الهلال

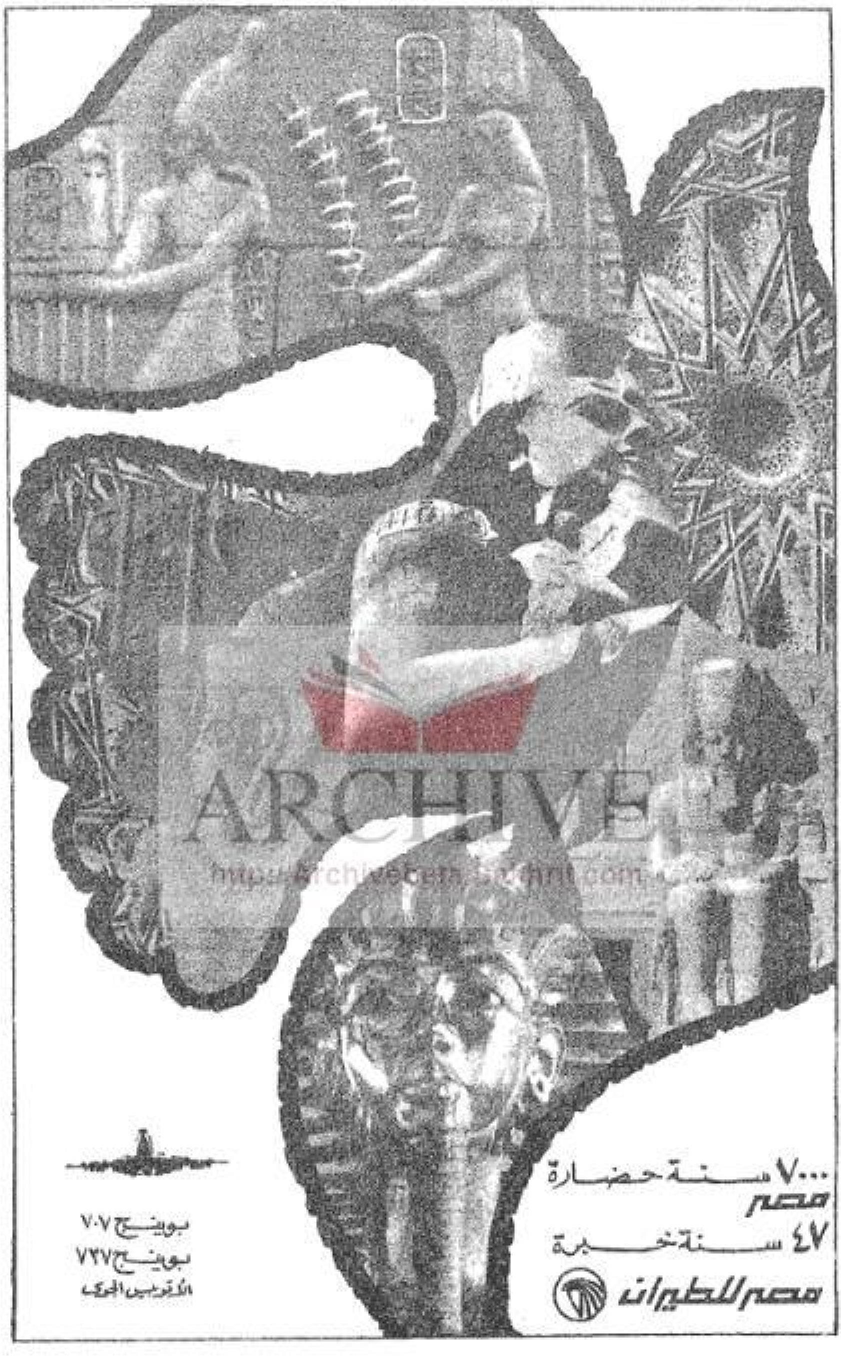
يناير ١٩٨٠

مجلة الفكر العربي



- ليس كل جديد بدعة
- مقام العقل فى التجديد الدينى الحديث
- الإسلام .. والعصر
- على صهوات الجياد كانت فتوح الاسلام

- مرحبا بميلاد المسيح .. للشيخ / أحمد حسن الباقورى
- استطلاع بالألوان


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٧ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧

كلمة الهلال

أين فرحة العام الجديد؟

هل احس العرب ان عاما مضى وعاما جديدا قد دخل ؟! ..
هل احتفلوا باستقبال العام الجديد بالاستبشار والمرح والأمل والاحتفالات الحافلة بالمسرة كما فعل غيرهم من الناس !
يا حسرة ! لا طافت ببابهم المسرة ولا عرفت بيوتهم الاحتفال ..
بل لم يكونوا فى وقت مضى اسوا مما هم فيه اليوم .
ونحن عرب منهم ، همومنا همومهم ويؤلمنا ان نرى التمزق الذى يعيشه العرب اليوم . وعدوان بعضهم على بعض وتناحر بعضهم مع بعض ، حتى الجامعة العربية التى كانت رمز وحدتهم اصبحت رمزا على تفرقهم الذى لا يوصف .
لقد بدأ عقد السبعينات فى ظل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، ثم ما لبثنا ان جمعنا قوانا وانتصرنا فى حرب اكتوبر ، وارتفع اسمنا وعظمنا فى اعين الناس ، وكان علينا ان نواصل المسيرة حتى اذا انتهت السبعونات وبدات الثمانونات استطعنا ان نحتفل كما يحتفل غيرنا من الناس وانفتحت امامنا ابواب الآمال ..
وهانت ترى عالمنا العربى والاسلامى اليوم .
كانت لدينا مشكلة رئيسية واحدة هى ماساة فلسطين فاضفنا اليها بذكائنا ماساة اخرى هى ماساة لبنان .
ثم اضفنا اليها ثالثة هى ماساة ايران .
وفى ظلال هذه المآسى بدا العام الجديد .. فهل فعلا بدأ بالنسبة لنا عام جديد ..
لا والله ، لا بدا عام جديد ولا اى شىء جديد . انما هو الماضى الأليم باق كما هو ، والقلوب المتناحرة ما زالت على تناحرها ، وحواجز سوء الظن تتعالى كالجبال ..
وقد سألنى كاتب غربى لقيته فى روما ـ قبل اسابيع : ماذا تريدون .. ؟ وهذه الضجة التى تثيرونها ماذا تقصدون بها .. ماذا ينقصكم ؟
قلت له : لقد اعطانا الله كل شىء : الارض والمال والناس ولكنه لم يمنحنا العقل لاننا لا نستحقه .
هذا هو الذى ينقصنا ايها العزيز ..

المحرر

فى هلالك

الهلال

مجلة الفكر العربى

صفــر ١٤٠٠هـ
ينـايـر ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهــلال
ــ اسســها جرجى زيدان ســنة ١٨٩٢
ــ السنة الثامنة والثمانون ــ اول يناير
١٩٨٠ ــ ١٢ من صفر سنة ١٤٠٠

من الهلال

جرت عادة الهلال على ان تطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت ام لم تنشر ..

الاشراف الفني على هذا العدد أحمد فاضل و أحمد الورداني

● الغلاف الأول ●

اخترنا لهذا العدد غلافا مناسبا للموضوع الرئيسي فيه وهو « الاسلام والعصر » وقد خصصنا لدراسات هذا الموضوع اكثر صفحات هذا العدد وجعلنا الغلاف صورة لجانب من مآذن الحرم المكي الشريف .

● الغلاف الأخير ●

صورة للعلامة المؤرخ ابي حنيفة الدينوري الذي عاش في القرن الثالث الهجري وكتب في كل فن : من النبات الى الادب والتاريخ . وقد رسم اللوحة الفنان ابراهيم الكردي مع موضوع « فضل الحضارة الاسلامية على النهضة الاوروبية » ـ داخل العدد ..

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ..٢ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى «١٢» عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات أو ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الإسلام والعصر

الإسلام بخير فى هذا العصر وكل عصر

.. ولكنَّ الذين ليسوا بخير هم المسلمون

بقلم : رئيس التحرير

● اخواننا الطاعمون يوما بعد يوم على مائدة الدين يفتحمون الفواههم الكبيرة ويقولون : الاسلام دين هذا العصر وكل عصر ، لانه دين صالح لكل زمان وكل مكان .

وهذا حق ، فان الاسلام فعلا ، دين هذا العصر وكل عصر لانه صالح لكل زمان وكل مكان .

ولكن الذى لا يصلح لهذا العصر هم اولئك الطاعمون على مائدة الدين يوما بعد يوم .

لانهم يعرفون أصـــول الدين : يحفظون المتون والشروح ويتشـــدقون باسماء ائمة هذه الامة من مالك بن انس الى الحافظ تقى الدين بن تيمية وهو عندهم آخر المجتهدين المجـــاهدين فى سبيل هذا الدين .. ولكن كلامهم هذا يخرج من الراس الى اللسان ولا يمر بالقلب ابدا ..

ولهذا فان هذا الكلام لا يقنع قارئا ولا يشفى غلة سامع وقد كنت أتحدث مع واحد من كبار المســـئولين عـــن احدى المجلات الاسلامية فقال بفخر : نحن نوزع عشرين الفا ..

وآلمنى ذلك القول وادهشنى منه لاننى كنت اظن ان مثل هذه المجلة ، وهى لسان ومعرض علم شيوخ أجلاء توزع الف الف نسخة ..

فاذا بلغ الامر أن يفخر أصحابهـــا بانهم يوزعون عشرين الف نسخـــة فى امة عربية تعدادها ..؟ مليون انسان فامر لا يوصف الا بانه ماساة ، لان معناه ان عشرين الفا فحسب من هذه الامـــة المؤمنة بالاسلام يعجبهم ما ينشر فى هذه

نقول : الإسلام والتجديد والأصح ان نقول :
المسلمون والتجديد لأن الاسلام جديد بنفسه دائماً ، فهو ليس في حاجة إلى تجديد ، ولكن المسلمين هم الذين يحتاجون إلى التجديد ..!.

المجلة . وهذا حكم يؤيد ما قلناه من ان الاسلام نفسه دين خالد صالح لكل زمان وكل مكان ، ولكن العيب في المتصدرين للكلام باسمه ؟ فهؤلاء ، بشهادة ضآلة انتشار مجلتهم هم الذين لا يفهمون العصر ولا يفهمهم العصر

والحق ان قليلين جدا من هؤلاء العلماء عرفوا كيف يتحدثون عن الاسلام بلغة العصر ، في مقدمتهم الامام محمد عبده ثم الامام المراغى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ محمود شلتوت ، ثم الامام القدوة الشيخ عبد الحليم محمود طيب الله ثراه ، وفي أيامنا هذه يحسن الحديث عن الاسلام بلغة أهل العصر الشيخ متولى الشعراوى

ولهذا فاننا نقول : رحم الله الشيخ محمود شلتوت الذى تحدث بلغة العصر فاقبل عليه أهل العصر ، وكتابه ، الاسلام ، عقيدة وشريعة ، طبق الافاق ، وطبع مرة بعد أخرى ..

ورحم الله ألف رحمة شيخنا ، بقية الصالحين عبد الحليم محمود الذى أحبه أهل العصر وقراوه .. وكتبه أصبحت اليوم أشعة من نور تضيء الطريق لأهل عصرنا والعصور التالية ..

ويرجع الجانب الاكبر من توفيق الامام عبد الحليم محمود انه كان يكتب من قلبه .

وكلام القلوب ينفذ الى القلوب ..

وكلام الله سبحانه خالد ، وكلام رسوله صلوات الله عليه ، خالد لأنهما ينفذان الى القلوب والعقول معا ، وصدق الله سبحانه عندما قال : « **انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور** » .

الاسلام دين العصر ..

فعقيدته السمحة التى تتفتح لها مغاليق القلوب ليست في حاجة الا لموصل جيد يوصلها الى الناس ، فاذا وصلت نفذت بقوتها وفضائلها الى أعماق القلوب .

ولكن اين الموصل الجيد ؟

أين الداعية الصالح ؟

اننا ـ امة العرب ـ امة مؤمنة ، ولهذا فنحن دائما في حاجة الى الداعية الصادق ، فاين الداعية الصادق ..

اين داعية مثل مصعب بن عمير شهيد احد ، ذلك الشاب الذى بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم مع وفد المدينة من اهل العقبة الثانية ليدعو للاسلام فيها ، فعاد اليه بعد أقل من عام ليبلغه انه لم يعد في المدينة بيت الا وأسلم اهله ..

أين داعية مثل سعيد بن المسيب الذى كتب صفحتين في الدعوة الى الاسلام واعطاهما لعبد الله بن عامر من كبار فاتحى فارس وقال له : قل لرجالك يقراوا هاتين الورقتين على الناس حيثما كانوا ، وفعل عبد الله بن عامر ، واعطى نسخة من كلام سعيد الى قواده وجنده ليقراوها على الناس ويشرحوها لهم فما سمع احد من الكفار كلام سعيد حتى آمن ودخل في الاسلام

لأن كلام سعيد بن المسيب كان صادرا من قلب خاشع ونفس استغرقها الاسلام حتى ذابت فيه ، ففتحت مغاليق القلوب

حتى لقد صاح رجل من الازد كان في مرو عندما سمعها : الله اكبر ! الان آمنت بالله ورسوله .. الان تتوق نفسي الى الشهادة في سبيل هذا الدين

فقيل له : اما كنت اسلمت يا شيخ ..

قال : لا والله ! كنت احسب انني آمنت اذنطقت بالشهادتين . حتى سمعت كلام هذا الشيخ فرأيت انني مازلت على الكفر ! والان اشهدوا : آمنت بمحمد ورب محمد وقرآن رب محمد .. وسمع نفر من الترك هذا الشيخ وهو يقول هذا فقالوا له : اقرأ علينا ما جاءك من سعيد ابن المسيب هذا ..

فقرأه عليهم بلغتهم ، لان هذا الازدي كان يحسن التركية .. فاسلم باسلامه عشرون الف تركي في ساعة واحدة !

ثم يفخر اصحابنا في ايامنا هذه بان مجلة اسلامية توزع عشرين الفا في عالم عربي مسلم تعداده ٤٠٠ مليون !

لانهم لا يعرفون كيف ينقلون الاسلام بلغة العصر كما نقله هذا الازدي الى الترك بلغة الترك ..

اجل ايها السادة : الاسلام دين هذا العصر وكل عصر

ولكن الذين يحملون رسالته الى الناس لا يتحدثون بلغة هذا العصر ..

تريد الدليل ..

اسمع يا اخي خطب الجمعة وقل لي : الى من يوجه الخطباء هذا الكلام ؟ لاهل العصر ام لاهل عصور مضت ؟

وهذه مكتبتنا العربية فقل لي : كم كتاب جديد فيها الفه شيوخ وفهمه عنهم اهل العصر فاقبلوا عليه ؟ ؟

لا اجد فيها نشروه وينشرونه على الناس الا كتاب الشيخ شلتوت وكتب الامام عبد الحليم محمود

وعصرنا الذى نعيشه اليوم عصر جديد

ولابد للعصر الجديد من كلام جديد صادر عن عقل يفهم العصر ومطالبه ومشاكله ..

فهل العقول التى تتحدث اليوم باسم الدين تفهم العصر ومشاكله ، وهل فيها - على الاقل - من يملك قدرة الشيخ شلتوت على الشرح والتوضيح .. وهل فيها من له رقة قلب الشيخ عبد الحليم محمود لكى تتفتح لها القلوب ..

الجواب واضح ...

والمنبر الذى لايستمع اليه الا عشرون الفا من اربعمائة الف الف يصور ازمة الشيوخ في عصرنا هذا باجلى بيان ..

ويقولون ان لغة العلم هي لغة هذا العصر ...

وهذا حق ، فان كل شيء في عصرنا هذا قائم على العلوم والرياضيات ومنطق العلوم والرياضيات

والجميل في الامر ان القرآن يتحدث في الكثير من آياته بلغة العلوم والرياضيات ، ولو احصيت مافي القرآن الكريم من الآيات التى تشرح الاسس العلمية التى يقوم عليها نظام هذا الكون العظيم ، لاجتمع لك منها كتاب جامع في اصول العلوم ...

ولكن المشكلة ان اكثر الذين يتصدون للدعوة والكلام في الدين هم انفسهم بعيدون جدا من الفكر العلمي واسلوبه في التعبير .

وما رايك في رجل الف كتابا فيما سماه الاعجاز العددى في القرآن الكريم مضى يحصي فيه كم مرة ذكرت الجنة ، وكم مرة ذكرت النار ، كم مرة ذكرت الملائكة وكم مرة ذكرت الشياطين .. ثم عمل حسابه في نهاية كل احصاء على نظام حسابات الميزانيات وخرج من ذلك بما سماه المعجزة العددية في القرآن الكريم ، وظن بذلك انه تحدث بلغة العصر في النظر الى القرآن الكريم ..

وما رايك في رجل مضى يفسر الطير الابابيل بانها الجراثيم وحسب انه بذلك يفسر القرآن بلغة العصر ! ..

وما رايك في كتاب نشرته هيئة

اسلامية تقول انها علمية احصت فيه اعداد المسلمين فى كل قطر من اقطار الدنيا ، وضربت النالج فى ثلاثة او اربعة حسب المناسبة وخرجت فى النهاية بأن المسلمين الف مليون وانهم بهذا ثلث البشرية ...

ايحسبون انهم بهذه الاساليب يخدعون الناس ..

لا والله ! مايخدعون الا انفسهم ..

لان المسلمين ليسوا الف مليون ، وليسوا ثلث البشر ..

وهم ليسوا ألف مليون لاننا نحن عجزنا عن ان نجعلهم الف مليون فى الواقع فكذبنا على انفسنا وجعلناهم الف مليون فى كتاب طبعناه على ورق صقيل ووزعناه بالمجان ، وحسبنا اننا بذلك انتقلنا بالدعوة الى اسلوب الارقام والاحصائيات ..

عبث !

ثم ان العبرة فى النهاية **بالكيف لا بالكم ..**

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كسب للاسلام من اهل مكة الناس قامته فيها بعد البعثة نفرا لا يزيد عددهم على خمسمائة من خمسين الفا كانوا يسكنون مكة اذ ذاك .

ولكن هؤلاء المئات الخمس – ولم يبلغوها – كانوا اقوى من الخمسين الفا الذين كانوا يسكنون مكة ، وكانوا كذلك اقوى من السبعين الفا الذين كانوا يسكنون المدينة المنورة ، ومن العشرة ملايين الذين كانوا يعمرون جزيرة العرب ... وقد إستطاعوا فى النهاية ان يدخلوا الجزيرة كلها فى الاسلام ..

فما قيمة الاعداد ؟

وماذا اضافت تلك الهيئة العلمية التى ذكرناها بكذبتها الكبيرة التى سمتها كتابا ؟

لم تفعل اكثر من ان اضافت ضلالا الى ضلال .. وهل بعد الكذب ضلال ؟

وليتنا ما كنا الا مائة مليون فحسب ، ولكن من طراز صحابة محمد صلوات الله عليه ! اذن لادخلنا فى الاسلام كل نفس على الارض ..

ولكن ما ابعدنا عن صحابة الرسول ! ان بيننا وبينهم مسافات شاسعة فى الزمان والمكان والايمان وقوة القلوب ..

فقد كانوا يؤمنون بعقيدتهم وبانفسهم ، وكانوا يؤمنون قبل كل شيء بأن لهم رسالة عليا فى الحياة .

هل تذكر حديث عبادة بن الصامت مع قواد الروم فى مصر ؟ لقد كان عبادة رجلا اسود ، ولم يكن عليه الا ثوب بسيط من الصوف ، وكان رجال الروم يختالون امامه فى ملابس الحرير والارجوان . وكان سلاح عبادة سيفا كلت شفرته من كثرة ما حارب به فى سبيل الاسلام ، ولكن القوة الكبرى كانت فى ذراع عبادة وفى قلب عبادة ، ولهذا فقد كان يتكلم مع قادة الروم من موقع القوة والعزة والايمان . وكان قد وضع حياته خلف ظهره واصبح الموت عنده احب من الحياة ، ولهذا لم يكن يخاف الا الله . ولقد اذهل قادة الروم بايمانه بدينه وبرسالته فى الحياة وبثقته بنفسه ، فزلزلوا امامه وهم الاقوياء الذين كانوا يحسبون انهم اهل عزة ، فذهبوا بعد الحديث مع هذا العربى المؤمن الى رئيسهم ونصحوه بالتسليم للعرب ، فهؤلاء ناس لا يهابون الموت ولا يخافون الا الله .. والموت عندهم احب من الحياة

وهل يذكر اصحابنا الذين غرتهم انفسهم وظنوا انهم شموس العلم واقماره ، معتزين بوظائفهم ومكاتبهم ، هل يذكرون سعيد بن المسيب عندما رفض ان يخرج من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طلبوا اليه ذلك وقالوا له ان عبد الملك بن مروان سيزور المسجد وانه لن يدخله الا اذا خرج كل

من كان فيه ــ خوفا على حياته ــ فأبى من ذلك سعيد وظل مكانه من المسجد ، ورآه الخليفةذو الحول والطول، فعرفه من بعيد وقال : لابد ان هذا هو الشيخ سعيد ! ولم يجرؤ على النظر اليه ،وأراد انيقدم لهمالا ليفرقه علىالفقراء . .كما قال ، فما حفل سعيد للخليفة ولا للمال، وظل صامتا مكانه ، وأحس الخليفة ان هيبته تتزعزع امام ثبات هــذا الشيخ الاعزل ، فاسرع بالخــروج تاركا ذلك الجبل الاشم الصــامت الذى يسمى سعيد بن المسيب ماضيا فى صلواته.

هذا هو الذى نحن بحاجةاليهاليوم : الايمان الصادق ، الايمان بالاسلام وقيمه ايمانا يحكم تصرفاتنا كلها ، فــلا نتبــع قواعده حينا وننساها حينا، ولانتحيل ولا نحاول التماس المعاذير والتعــلات والحجج ، ولكن لنا قوة عمر بنالخطاب فى الحق . لقد حدثه بعض جلســائه فى امر عبد الله بن عباس،وسأله لماذالايعهد اليه فى ولاية، فقالعمر دون تردد: والله لا أوليه فيستحل الفيىء على التأويل! وربما كان عمر عنيفا فى الحكم على ابن عباس ولكن هكذا كان عمر : لاينظر بغير الحق ولا يمارى فيما يراه الحق ! ولقد جاءه عبد الرحمن بن عوف فى ثوب خز على برذون مطهم وحياه وجلسليتحدث معه ، فقال له : مه يا عبد الرحمن هل لك عند عمر حاجة وانت فيما انت فيه؟ فقال عبد الرحمن : الله الله فينا ياعمر، ماذا سأءك منى ؟ قال : لباسك وركوبك ومالك وهو مال الله . . فقال عبــد الرحمن : فاسمع منى الآن ثمانظر الى ثيابى بعد فقال عمر : لا والله لا سمعت منك وعندى من امة محمد من لايجدون ما يسد جوعة العيال .

***

الاسلام بخير ايها الناس

• الاسلام قادر على ان يتمثل فى كيانه هذا العصر وكل عصر . . الاسلام لايعتبر العلوم او التكنولوجيا مشكلة ، فقدحوى القرآن من آيات العلم ما يتخطى اقصى ما يصل اليه الواصل فى اى ميدان من ميادين العلم الى آخر الزمان . .

ولكن المسلمين مع الاسف البالغ اقل بكثير من تحديات العصر ، واقل بكثيرمن حمل راية الاسلام . .

وليس فى الدنيا اثقل من شيخيخطب فى الناس ويلومهم على انهم نسوا الله وتخلوا عن سبيل الاسلام ، فاذا نزل من المنبر اسرع الى بيت المحافظ او السيد الوزير المحافظ كما يقولون اليوم ، لان هناك اجتماعا وهو يريد أن يراه سيادة الوزير المحافظ فى مقدمة الداخلين . .

لقد كنا فى مؤتمر السيرة ، وتعرفت على شيخ طويل عريض مستكرش كأنه يحمل فى بطنه سنام جمل ، وتحدثت معه فعرفت انه من المتخرجين فىالازهر ــ وهو ليس مصريا ــ فمضى يحدثنى بانه كان مستشار جلالة الملك فيصلعليه رحمة الله وانه كان يحمل رسالاته الى الرؤساء فى بعض الاحيان ، فقلت له : ما عن هذا اسألك ايها الشيخ انما اسألك عما الفتوصنفت . فقال : والله ياأخى انت تعرف مشاغل الدنيا . .

وتركنى ومضى ليكون اول الداخلين الى غرفة الطعام ، فظللت مكانىوانا اتفكر فى احوال امة الاسلام ، وقلت فى نفسى: لا عجب ان نكون كما نحن ، وهذا الشيخ الازهرى لا يفخر بخدمة واحدة اداها للاسلام ، وانمايفخر بانه كان رسولملك مهما كان ملكه فهو عبد من عباد الله

***

هل سمعتم حكاية الراهبة تيريزا التى اعطوها جائزة نوبل للسلام هذا العام

انها يوغوسلافية فقد ولدت من سبعين سنة فى قرية قومية من سكوبيــة فى يوغوسلافيا التى كانت فى يوم من الايام بلدا اسلاميا وكانوا يسمونها : البوسنة والهرسك . .

بمناسبة عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام
خاص صفحة ٨٨

من خمسين سنة تعمل هذه الانسانة المؤمنة بدينها وبرسالتها فى الحياة فى التبشير فى الهند ، وتبذل غاية وسعها فى معاونة المساكين هناك . لقد نالت تلك المبشرة جوائز مالية تصل فى مجموعها الى نصف مليون دولار ، فلم تحتفظ منها بدولار واحد ! كلها انفقتها فى سبيل الفقراء .. انها تجمع اليتامى والارامل والمسنين وتبنى لهم الملاجىء وتجتهد فى تدبير وجوه الرزق لهؤلاء المساكين حتى اصبحت ملاجئها تعد بالعشرات ..

وهل يتصور واحد من شيوخنا الذين يحسبون انفسهم آيات فى الايمان والتقى حياة المساكين فى بومباى ؟ ان الالاف منهم يموتون من الجوع والمرض ، ويموت الواحد منهم فى الطريق ، وتمر عربات القمامة فتأخذ الموتى وترسلهم الى المحرقة خارج البلد ..

هناك تلد الخاطئة ابنها وتتركه فى الطريق ، ويمر رجال النظافة ويأخذون الطفل الحى الى مجمع القمامات ، ويظل الطفل يحتضر حتى يرسلونه الى المحرقة

الم نكن نحن المسلمين اولى باغاثة هؤلاء ، ولو اغثناهم لكان ذلك احسن تعبير عن رحمة الاسلام ، وكان ذلك يؤدى قطعا الى دخول الناس هناك فى الاسلام ؟ . هذا الذى لم نفهمه نحن ، وفهمته الراهبة تيريزا ، فهجرت الدنيا وذهبت الى هذا الجحيم وعاشت تعانى اوصابه خمسين سنة

ويبلغ من عطفها على الفقراء والمساكين انها تنشىء دورا للموتى ، وهى تقول ، اذا كنا لا نستطيع ان نساعد كل المساكين هنا ليعيشوا فى سلام ، فلا اقل من نعينهم على ان يموتوا فى سلام . لابد ان نتداركهم قبل ان يدخلوا فى سكرات الموت ونحيطهم بالعطف حتى يبارحوا الدنيا .

تقول : ان اسوأ من الموت الا يجد الانسان مكانا يموت فيه فى سلام .. والموت نفسه ليس عذابا ، ولكن العذاب الحقيقى يحسه انسان يحتضر وهو ملقى الى جانب الحائط فى الطريق .. انه يجود بنفسه وفى عينيه رعب لا يوصف من القطط والكلاب والفئران وبنات عرس .. لهذا فانا انشىء دور الموت .. دور ، يموت فيها اولئك المساكين دون هذا الفزع ..

وفى مساء كل يوم تذهب الراهبة تيريزا الى دار من دور الموتى وتظل مع المساكين طول الليل ! انها تفىء هذه الدور حتى يحس التعساء انهم فى حماية وامن ، وتمر عليهم بآنية الماء لتسقى العطشان منهم قبل ان يفارق هذه الدنيا .

ذلك يا قوم هو الايمان ..

انها لم تذهب لتتسلم جائزة نوبل لان المساكين فى بومباى فى حاجة اليها كل يوم ، ولكنها طلبت الى طبيب سويدى كبير ان يتسلم الجائزة باسمها ويشترى بها اجهزة طبية معينة لها لتوضع فى مستشفيات بومباى .

فتأمل هذا ، وتفكر معى فى هذا الشيخ المتكرش الذى حصل على عالمية الازهر فلا يفخر بما الف ودرس وما قدم من الخدمات لدعوة الاسلام ، ولكنه يفخر بانه كان رسول جلالة الملك الى الرؤساء

تلك هى مأساة المسلمين فى ذلك العصر

اما الاسلام فهو يا سادتى بخير ..

وهو يطلب الينا ان نكون جديرين به ، فاذا لم نكن فلا اقل من ان نكف عن الحديث عنه والارتزاق منه والمتاجرة باسماء السلف الصالح ..

لان السلف الصالح لا ينفع فى شىء اذا لم يكن له خلف صالح ●

● د. حسين موسى ●

طريق العقل في التراث الإسلامي

• د. زكى نجيب محمود •

— ١ —

القرآن الكريم هو كتاب الاسلام ، أوحى به الى النبى محمد عليه السلام ، وقد ورد فى الكتاب ان محمدا هو « خاتم النبيين » ، وبهذا كانت رسالة الاسلام هى آخر رسالة سماوية الى الانسان ، وتعليل ذلك هو ان الانسان — بناء على العقيدة الاسلامية نفسها — قد أحيل الى احكام «عقله» كلما جدت له فى حياته مشكلات يريد لها حلا ، بعد أن كانت تلك المشكلات ، كلما تراكمت ، هبطت الهداية من السماء ، رسالة الى نبى ليهدى بها قومه الى سواء السبيل .

انه لو كانت مسائل الحياة العملية كلها ، محلولة بنصوص مباشرة وصريحة ، فى شريعة كتاب منزل على نبى — منذ نزول الرسالة والى الابد **— لما احتاج الانسان فى مواجهة حياته ،** لا الى رسالة الهية أخرى تهديه ، ولا الى عقله ليحتكم اليه كلما اشكل عليه امر من اموره ، الا بمقدار ما يستطيع به ان يستخرج للموقف الطارىء حكمه المناسب من كتاب الله ، لكن حقيقة الامر ، هى ان الانسان — على طول المدى — تعين أن يواجه احداثا **طارئة غير مسبوقة باشباه لها ،** ولا منصوص عليها فى الكتاب الموحى به من السماء . **فهاهنا يريد الاسلام من** المسلم أن يحتكم الى منطق العقل ، وكانت تلك هى المرة الاولى فى الرسالات الالهية ، أن يحال الانسان — بحكم الرسالة نفسها — الى عقله — كلما جدت **مشكلة لم يرد لحلها نص فى** كتابها .

وماذا يقصد بالعقل ومنطقه فى هذا السياق ؟ المقصود به أمور ثلاثة على وجه التخصيص ، ان لم يكن كذلك على وجه الحصر والتحديد :

أولها — استخدام منهج الاستدلال الذى يتيح للباحث ان يستخرج من النص القائم محتواه ، وذلك حين يكون ذلك المحتوى مضمرا فى الالفاظ وتركيبها ، بحيث يحتاج ظهوره الى تحليل ، والتحليل عملية عقلية .

وثانيها — هو قراءة الشواهد الحسية ؛ قراءة تؤدى الى فهمها وتعليلها ، على نحو يكون من شأنه حل المشكلة الطارئة .

وثالثها — النظر الى القيم — والقيم الاخلاقية بصفة خاصة — نظرة

ركون المسلم إلى عقله فيما يشكل عليه - مما لم ترد في شأنه نصوص - هو الدعامة الأولى في الوقفة العقلية عند الإسلام تلك الوقفة التي أقام عليها حضارته وثقافته على امتداد تاريخه، خلال القرون التي شهدت قوته وقدرته على الإبداع

موضوعية مطلقة، بمعنى لا يجعلها امورا ذاتية تتغير مع الاهواء، كما لا يجعلها مرهونة بظروف الزمان والمكان، وما دام امرها كذلك، فانه - يصبح في وسع الفقيه الموهوب ان يحكم على مايعرض له من مواقف طارئة جديدة، غير منصوص عليها نصا مباشرا صريحا، حكما يميز فيه بين ماهو حق وما هو باطل ..

— ٢ —

ركون المسلم الى عقله، فيما يشكل عليه، مما لم ترد في شأنه نصوص، هو الدعامة الاولى في الوقفة العقلية عند الإسلام، تلك الوقفة التي اقام عليها حضارته وثقافته على امتداد تاريخه، خلال القرون التي شهدت قوته وقدرته على الابداع ..

وكان الناس قبل ظهور الاسلام، قد الفوا ضربين من الحضارة ومن الثقافة، اختلفا فيما بينهما الى حد التنافر، بل الى حد المقابلة في حروب مستعرة يعرفها المؤرخون، وهاتان الحضارتان والثقافتان، المتنافرتان الى حد القتال، هما حضارة الفرس وثقافتهم من جهة، وحضارة الروم «اليونان» وثقافتهم من جهة اخرى.. المحور في الحالة الاولى هو الاملاء يفرض على الانسان طريقة فكره ونمط سلوكه، والمحور في الحالة الثانية هو عقل الانسان، يقيم له الحجة على الباطل فيرفضه، ويسوق له البرهان على الحق فيرتضيه .

كان الظن هو الا سبيل الى بقاء بين « الشرق» متمثلا في فارس، و«الغرب» متمثلا في اليونان، فلما اكتسح الاسكندر الاكبر بجيوشه هذه الرقعة من الارض التي امتدت بين اليونان والهند، بما في ذلك بلاد الفرس، قيل ان اهم اهدافه هو ان يحطم الحاجز الحضاري الثقافي الذي اشرنا اليه، حتى يصبح العالم المعمور عندئذ متجانسا كله، فلا يكون بعد ذلك « شرق» هنا و « غرب» هناك، ولكن ما كل ماتمنى الاسكندر الاكبر لنفسه وللعالم، قد ادركه او حققه، اذ لم يكد يطوي الزمان صفحته، حتى أوشك الامر ان يعود الى ما قد كان عليه قبل الاسكندر وحروبه .

ثم جاء الاسلام في اوائل القرن السابع الميلادي، ومع فتوحه، انهدمت الفواصل بين فرس وروم، وظهرت بوادر قوية تشير الى ظهور وحدة الانسان، فتلك الوحدة هي في الصميم من الايمان الجديد، كانما كانت تلك الخطوة هي الاولى على طريق المواطن العالمي، الذي لا هو من شرق، ولا هو من غرب، وانما هو « انسان »، وكان

كان الناس قبل ظهور الإسلام قد ألفوا ضربين من الحضارة ومن الثقافة اختلفا فيما بينهما الى حد التنافر، وهاتان الحضارتان والثقافتان المتنافرتان الى حد القتال، هما حضارة الفرس وثقافتهم من جهة، وحضارة الروم اليونان وثقافتهم من جهة أخرى!!..

ذلك الدمج الباهر بين ثقافتين كانتا متنافرتين متناحرتين الى درجة القتال هو الذي اخرج الى العالم تلك الصيغة الحضارية الثقافية الاسلامية الجديدة، وهي الصيغة التي ربما تمناها الاسكندر الاكبر من قبل، ولم يحقق منها الا قليلاً.

وكان السر الذي مكن المسلمين من الاضطلاع بهذا اللون الحضاري العظيم، هو اعداد المسلم بديانة في مبادئها ما يهيئه لاستخدام المنطق العقلي في شئون فكره ومعاشه، كما في مبادئها كذلك ما يعده للاتصال بالحق صلة مباشرة، وحيا او شهودا مما لا يحتاج فيه الى تدليلات المنطق العقلي ذات الخطوات المتتابعة فيما بين نقطة البدء ونتيجة الختام.

ومن دمج هاتين النظرتين في انسان واحد ـ هو المسلم ـ نشأت الصيغة الثالثة، التي الفت في مركب واحد، صوفية الفرس وعقلانية الروم، وباتت تلك الصيغة الجديدة هي مايعرف باسم الثقافة الاسلامية من حيث هيكل بنائها، فاذا كانت الصفة الاساسية التي تميز ما كان يعد « شرقا »، هي ادراكه للحق من طريق حدس صوفي مباشر، بحيث تنعدم الفواصل بين الانسان العارف والحقيقة التي يعرفها، ثم اذا كانت الصفة الاساسية التي تميز ما كان يعد « غربا » هي انه في ادراكه للحق يلجا الى طريق غير مباشر، « هو طريق العقل في الادراك » بمعنى انه ينتقل من مقدمة الى نتيجتها، ثم من النتيجة الى نتيجتها، وهلم جرا، حتى يبلغ خطوة النهاية التي يكون فيها البرهان المطلوب على الحقيقة المراد اقامة البرهان عليها، فان الصيغة الثالثة الجديدة، قد جمعت بين ادراك الحدس الصوفي، وادراك العقل الاستدلالي، بحيث احتملت الحياة الثقافية في الجماعة الاسلامية ان يظهر فيها اعظم المتصوفة واعظم مناطقة العقل في آن معا.

والذي يعنينا في سياق حديثنا هذا من تلك الصيغة الثقافية الاسلامية، هو جانب العقل منها، اذ بغير هذا الجانب العقلي من ثقافة المسلمين، ما كانوا ليستطيعوا ان ينقلوا في عصر المامون بصفة خاصة ـ ما نقلوه من فلسفة اليونان وعلومهم، والا فلماذا نقلت تلك الفلسفة والعلوم الى العربية، ولم ينقلها أهل الهند او اهل الصين الى لغاتهم؟ ان العلة لم تكن في ان لغة تستطيع ولغة اخرى لا تستطيع، بل العلة هي ان ثقافة تتقبل منطق العقل، وثقافة اخرى لا تتقبله..

جاء الإسلام فى أوائل القرن السابع الميلادى .. ومع فتوحه انهدمت الفواصل بين فرس وروم ، وظهرت بوادر قوية تشير إلى ظهور وحدة الإنسان ، فتلك الوحدة هى فى الصميم من الإيمان الجديد ، كما كانت تلك الخطوة هى الأولى على طريق المواطن العالمى ، الذى لا هو من شرق ، ولا هو من غرب ..

— ٣ —

كان القرآن الكريم هو محور العلوم الاسلامية واساسها ، فلم يكد القرن السابع الميلادى « الاول الهجرى » ينقضى ، حتى اخذ العلماء يتجهون بكل جهودهم نحو دراسة الكتاب ، فكان من المنطقى ان يبداوا بدراسة اللغة العربية نفسها ، لتجتمع لهم ادوات الفهم الصحيح ، فلم يرتضوا الوقوف من اللغة موقف المتذوق وكفى ، بل ارادوا ان يجعلوها دراسة علمية بادق مايكون المنهج العلمى ، ان قواعد اللغة لم تكن قد استخلصت وجمعت الى ذلك الحين فانصرفوا الى استخلاصها وجمعها ، وهنا انشعب الباحثون الى شعبتين ، كان لكل منهما منهج فى البحث ، على ان المنهجين كليهما ممايجيزه منطق التفكير العلمى .

اما الشعبة الأولى فكان مقرها مدينة البصرة ، واما الثانية فكان مقرها الكوفة ، واذا جاز لنا ان نستخدم لغة الفلسفة الحديثة فى التمييز بين الشعبتين ، قلنا أن فريق البصرة ، وعلى راسه العملاقان العظيمان : الخليل بن احمد ، وتلميذه سيبويه ، قد اختار لنفسه اسلوب المنهج « القبلى » ، على حين اختار فريق الكوفة اسلوب المنهج « البعدى » ، بمعنى ان فريق البصرة قد وضع الاسس العقلية للبناء اللغوى « قبل » ان يتقيد باوضاع اللغة كما حدث بالفعل فى استعمال الاولين ، واما فريق الكوفة — وعلى راسه الكسائى — فقد اراد ان يكون السند فى القبول والرفض ، هو ما استعمله الاولون من اللغة وما لم يستعملوه ، فلو عرض للباحث اللغوى لفظ معين اراد ان يحكم فيه بالصحة او بالخطا ، كانت طريقة علماء البصرة ان يحتكموا فيه الى القياس العقلى ، فاذا وجدوه جاريا مع ذلك القياس ، لم يابهوا بعد ذلك اذا كان القدماء قد استعملوه على هذه الصورة أو لم يستعملوه .. اما الطريقة عند علماء الكوفة فكانت ان يراجعوا ذلك اللفظ على ما استعمله الاولون ؟ فاذا وجدوه كان صحيحا ، والا فهو غير جائز الاستعمال ..

كان منهج جماعة البصرة اقرب الى منهج العلوم الرياضية ، بمعنى ان يقام البناء الرياضى على الاستدلال المنطقى المحكم ، ولا عبرة بعد ذلك لانطباقه على الواقع الطبيعى أو عدم انطباقه ، على حين كان منهج جماعة الكوفة اقرب الى منهج العلوم الطبيعية الذى يستمد معطياته من الواقع الفعلى فتجىء النتائج كلها مطابقة كذلك لما قد حدث بالفعل .

ليست مدارس البحث اللغوى فى ذاتها هى موضوعنا هنا . لكننا نذكرها

بيانا للوقفة العلمية والعقلية التي ميزت علماء المسلمين ، كائنا ما كان ميدان البحث ، فقد كان فهمهم للقرآن فهما صحيحا هو الهدف . ومن أجل ذلك هموا بدراسة اللغة بوجه عام دراسة علمية ، قبل ان يزعموا لانفسهم مثل ذلك الفهم الصحيح ...

ثم جاءت بعد دراسة اللغة ،الخطوة الثانية فى طريق الدراسة العلمية ، وكان فهم القرآن الكريم هو الهدف ، وأعنى بتلك الخطوة جهود الفقهاء في استخراج احكام الشرع ، استدلالا صحيحا من النص القرآني ، فرأيناهم جميعا ، وعلى اختلاف مذاهبهم ، وكأنهم امام عمل تطبيقي لمنطق الاستنباط ، فمن مقدمات مسلم بصوابها ، أخذوا يستنبطون النتائج التى تلزم عنها ،فتكون هى بين ماتحكم به الشريعة .

وكان للفقهاء منهجان للنظر كذلك، فانتهج بعضهم منهج ما سموه بالقياس وارادوا به ما يسمى فى كتب المنطق بالتمثيل ، بمعنى ان مالم يرد فى امره نص يحكم على اساسه ، يلجأ فيه الفقيه الى شىء يشبهه او يوازيه مما وردت فى امره نصوص ، على حين انتهج بعضهم الآخر الى ما سموه « بالرأى » ، وقصدوا به رؤية الصواب « او الانحراف عنه » بنظرة مباشرة ناقدة الى الموقف المعروض للحكم ، تأسيسا على كون القيم أشياء موضوعية .. يراها العقل كما يرى سائر الاشياء ومثل هذه الرؤية تغنى عن وجود مثيل للموقف المعروض ، بين ماوردت فى شأنه نصوص .

ومرة اخرى نقول انه ليس من شأننا فى هذا الحديث ،أن نتعرض لتفصيلات الفقه الاسلامي ، لكننا نريد بيانا للوقفة العقلية عند المسلمين ، فى كل مجال من مجالات النظر .

— ٤ —

كان من الطبيعي أن يختلف الرأى اختلافات بعيدة المدى بين المسلمين ، عندما اصطدموا باول مشكلة سياسية عسيرة ، نشأت لهم نتيجة للقتال بين علي ومعاوية حول الخلافة ، وذلك أن سؤالا طرح نفسه امام العقل ، وهو : لقد سفكت دماء للمسلمين فى ذلك القتال ، فعلى من تقع تبعته ؟ وماالحكم فيمن يثبت انه هو المخطىء من الفريقين المتحاربين ؟ أن احدى الجماعتين المتحاربتين — على الاقل — كانت على خطأ فى اثارة الحرب وما استتبعته الحرب من سفك للدماء . ودون ان نعين اى الجانبين هو المخطىء يسأل السائل عن حكم الاسلام فيه .

القى بهذا السؤال ، فكان كأنه الفأس الفائرة ضربت بها الأرض ، فتفجرت ينابيعها ، اذ انقدحت اذهان المفكرين ، وجاءت الاجابات من هنا ومن هناك ؟ وهى اجابات نستطيع ان نردها الى شعب ثلاث ، اختلفت كما تختلف المدارس الفكرية فى كل العصور . فاذا استخدمنا طريقة عصرنا فى التقسيم ، قلنا انه قد كانت هناك تجاهات ، فيها اليمين المتطرف ، وفيها اليسار المتطرف ، وفيها الوسط المعتدل .

أما اليمين المحافظ فقد آثر الا ينسب الخطأ الى اى من الجانبين ، وكيف يفعل وفى كل من الجانبين المتقاتلين صفوة ممتازة من خيار المسلمين ؟ وأما اليسار المتطرف فى ثورته ، فهم الخوارج ، الذين أصروا على أن يكون الجانب المخطىء فى هذه الحرب خارجا على الاسلام ، وبين أولئك وهؤلاء ، فريق وسط ، هو الذى يهمنا بالدرجة الاولى ، لانه هو الفريق الذى يمثل موقف العقل فى القضايا العامة ، ولبث كذلك لفترة

كان القرآن الكريم هو محور العلوم الإسلامية وأساسها فلم يكد القرن السابع الميلادي "الأول الهجري" ينقضي حتى أخذ العلماء يتجهون بكل جهودهم نحو دراسته..!

طويلة ، واضنى به فريق المعتزلة .

فقد طرح السؤال على الحلقة الدراسية التى كانت تلتف حول الحسن البصرى ، فما هو الا ان خرج واصل بن عطاء – بين الحاضرين – برای استوقف الأسماع ، وتحركت له الأذهان ، وهو أن من تقع عليه التبعة فى القتال ، وفى غير القتال مما يعد من الذنوب الكبيرة ، لا يخرجه فعله هذا من اسلامه ، بل يظل مسلما وان يكن مسلما عاصيا ، اى انه يقع فى منزلة وسطى بين منزلتى الايمان والكفر ، قال عنها انها المنزلة بين المنزلتين ، ولعل رأيه هذا لم يصادف قبولا عند شيخه الحسن البصرى ، فانتقل واصل بن عطاء من مكانه فى الحلقة واتخذ لنفسه مكانا آخر ، ولحق به نفر من المؤيدين لوجهة نظره ، فقال الحسن البصرى عندئذ: لقد اعتزل عنا واصل . ومن هنا سمى هذا الفريق على امتداد تاريخه بعد ذلك بالمعتزلة .

وكان اهم طابع يميز المعتزلة ، هو النظرة العقلية فى البحث عن حلول المشكلات المعروضة للنظر ، او فى طريقة فهمهم للافكار التى يراد فهمها على نحو صحيح ، ونكتفى من اعلام المعتزلة بذكر رجلين كان كلاهما فى البصرة ، وهما «العلاف» الذى يوصف بانه شيخ المعتزلة ، وتلميذه «النظام» الذى قال عنه الجاحظ ان مثله لايظهر الا مرة واحدة فى الف عام ..

ولقد ذكر الشهرستانى فى « الملل والنحل » عشر مسائل دار حولها فكر العلاف ، وثلاث عشرة مسألة للنظام ، وكان من اهم الموضوعات التى تناولها العلاف بالبحث ، موضوع الذات الالهية وصفاتها ، باحثا عن تصور تفهم به الصلة بين الذات والصفات ، فهما يؤدى الى توحيد حقيقى ، ولا يؤدى الى تعدد باى معنى من معانيه . وكذلك تناول موضوع الارادة الالهية ، البادية فى قول الله تعالى : « اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون » ، ثم انتقل العلاف الى الارادة الانسانية ، ليرى فيها ضرورة ان تكون حرة الاختيار ، ليكون صاحبها مسئولا عما يفعل ، وبغير ذلك لا يتحقق العدل . وكان مما بحثه العلاف ايضا ، وجوب ان تقام معرفة الانسان لربه على براهين العقل .

واما « النظام » فكان يشارك العلاف فى مسائل عرفت بها المعتزلة جميعا ، كالقول بحرية ارادة الانسان فى اختياره لافعاله ، ليكون للتبعة الخلقية معناها الصحيح . لكنه تميز بسعة الافق وعمق الغور ، حتى ليذهلنا فى كثير من المواضع ، باقترابه فى الرأى من

فلاسفة عصرنا هذا اقترابا شديدا . مثال ذلك موقفه من موضوع أثير حوله جدل كثير ، وهو عن علاقة الله تعالى بفعل الشر ، أهو غير قادر على فعل الشر ؟ أم هو قادر على فعله ولكنه لا نفعله ؟ فكان الرأى فى ذلك عند النظام ، هو نفسه الرأى التالى الذى كنا نسمعه من أصحاب المذهب الاجرائى فى المعانى ، من فلاسفة عصرنا ، أى أن معنى عبارة معينة ، ان هو الا مجموعة الاجراءات العملية التى تترتب عليه ، فاذا اختلفت عبارتان فى الفاظهما ، لكنهما يولدان مجموعة من الاجراءات لا تختلف احداهما عن الاخرى ، كان معناهما واحدا برغم اختلافهما فى الالفاظ . وهكذا كان موقف النظام من العبارتين السالفتين، اذ قال انه لا فرق بينهما، اذ ان الله تعالى لا يفعل الشر على كلا القولين .

ـ ومسالة اخرى يروعنا فيها النظام برايه الذى سبق به عصرنا بعدة قرون وهو ان الانسان يعرف بنفسه لا بجسمه ، شريطة ان تفهم النفس على انها وظائف ، لا على انها كيان قائم بذاته فى باطن الانسان، فكأنما أراد النظام ان يقول عن النفس انها انماط سلوكية ، يراها بعينيه من شاء أن يرى .

ومسالة اخرى تضع النظام فى قلب الفلسفة فى عصرنا ، وهى رايه عن شىء ما — أى شىء كان — بانه مساو لمجموعة ظواهره التى تنقلها منه الحواس ، اى ان المعول على معرفة الشىء هو الجوهر المزعوم كمونه وراء الظواهر ، بحيث اذا ما تغيرت الظواهر كان له هو الثبات والدوام ، فتثبت بالتالى هوية الشىء وتدوم .

بهذا القول عن حقائق الاشياء ، يمكن المشابهة بينه وبين « هيوم » فى الفلسفة الانجليزية التجريبية الحديثة لكن النظام لا يلبث أن ينتقل الى مسالة اخرى ، فاذا هو يشبه فى « عقلانيته » ليبنتز شبها شديدا .. بل ادهشنا ان يلجأ فى التوضيح الى مثل ، كان هو نفسه المثل الذى ساقه ليبنتز فى توضيحه لوجهة نظره ، وذلك ان النظام فى رؤيته للعلاقات التى تربط الاشياء بعضها ببعض ، قال انها « تتولد » بعضها من بعض ، اى ان الشىء يكمن مضمونه فى جوفه ، الى ان يظهر ذلك المضمون علانية فى وقته المناسب ، مثال ذلك « وهنا يشترك معه ليبنتز فى المثال » كان آدم يحمل فى طبيعته كل من ظهر ، ومن سوف يظهر من البشر ، وهكذا قل فى كل شىء ، فافعال فرد من الناس — مثلا — تظهر متتالية على تعاقب لحظات الزمن ، لكنها جميعا كانت كامنة فى طبيعة صاحبها منذ اللحظة الاولى . كان الكائن من الكائنات يشبه شريط السينما ، فى ان تكون القصة كلها مطوية فيه ، ثم تاخذ الحوادث فى الظهور شيئا فشيئا اذا انبسط ما انطوى .

— ٥ —

ونمضى مع المسلمين الاولين فى تاريخهم الفكرى ، خلال القرنين التاسع والعاشر بعد الميلاد « الثالث والرابع من تاريخ الهجرة » فاذا نحن امام حركة عقلية نشيطة دائبة تنقل « العقل » اليونانى بكل ما قد انتجه من فلسفة وعلم ، فاذا كان اليونان عند الغرب هم معجزته الكبرى لما أبدوه من قدرة على « التنظير » بعد ان لم يكن يعرف الشرق القديم الا الممارسة العملية ، فقد كان المسلمين القدرة على تقبل ذلك الفكر النظرى وهضمه ، والاضافة اليه ، وماذا تقول فى قوم خلقوا علم الجبر فى الرياضة من عدم ، وهو لا يزال يحمل اسمه

العربى فى لغات الغرب ، واضـــافوا الى الاعداد « العربية » ـ كما تسمى فى الغرب ، برغم افتراضهم بان العرب نقلوها من الهند ـ اضـافوا اليهـا «الصفر» الذى احدث ثورة حقيقيـة فى علم الحساب ، وكان احد علمائهم فى الرياضة ـ وهو الخوارزمى ـ هو الذى ابتدع اللوغارتم ، وقـد سمى كذلك على اسم صاحبه .

وتطول بنـا القصـة لو مضينا فى رواية ما اضطلع به المسلمون فى دنيا العلوم بشتى صنوفها ، من منطـق ورياضة وفلك وطب وكيمياء وغيرها ، ذلك ان هدفنا هنا ـ كما اشرنا مـن قبل ـ هو بيان الاتجاه الفكرى العام على طريق المنطق العقلى دون الوقوف طويلا عند تفصيلات تمتلىء بها الكتب.

وما نقوله عن العلم بشتى فروعـه عند المسلمين ، نقول أكثر منه عـن ميادين الفكر الفلسفى ، ويكفينا ان نذكر من لوامع الاسماء فى هذا الصدد الكندى ، والفـارابى ، وابن سـينا ، وابن رشد ، وهم قمـم فى الفـكر الفلسفى باى معيـــار نقيس به ذلك الفكر .

ولقـد كانت الصبغة الفلسفية تلون المناخ الثقافى كله عندهم خلال القرن العاشر الميـلادى « الرابع الهجـرى » بصفة خاصة ، ففيه ظهرت جماعـــة اخوان الصفا اصـــحاب الرسائل المشهورة والمعروفة بهذا الاسم ، وهى فى مجموعها بمثابة موسوعة شملت اهم ماكان يعرفه العالم حتى ذلك الحين ، من فلسفة وعلم وعقيـدة ، ونستطيع ان نقارنها فى مهمتها ، وان نقـــارن جماعة اخوان الصفا ، بفلاسفة عصر التنوير فى فرنسا ابان القرن الثامـن عشر ، وما اخرجـــوه للنـــاس من موسوعات وما يجرى مجراها .

ولو استطرد بنا حديث العقـــل وطريقه عند المسلمين ، لروينا طائفة من ألمع المفكرين فى مختلف الميادين ، كابن طفيل فى رائعته « حى بن يقظان » التى بينت فى بناء قصصى عميق ، كيف أن العقل اذا ترك على سجيته ، ينظر ويعلل ، لانتهى الى ماجاء به الوحى فى الدين ، وابن باجة فى « تدبير المتوحد » الذى يبين فيه ماذا يمكن للطبيعـــة الانسانية ان تصـــل اليه ، حتى لو انفرد الانسان فى عزلة من الآخرين .

بل اننا لنسلك فى طريق العقـــل شعراء بلغـوا ذروة الحكمة والفلسفة فى شعرهم ، كابى العلاء المعـرى ، ومتصوفة لم يمنعهم طريق التصـوف من ان يسلكوا طريق العقل الى آخر مداه فى عرض ما ارادوا عرضه ، كابى حامد الغزالى ، ودع عنك نقـــاد الأدب الذين بلغـوا فى تحليل النتاج الادبى من شعر ونثر ، تحليلا بلـغ اقصى غاياته ، ونكتفى منهم بمثـــل واحـد ، هو عبد القاهر الجرجانى ، ثم ماذا تكون عملية التجميع والتصنيف التى شغل بها علماء المسلمين خـلال قرون ثلاثة ـ الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر من التاريخ الميلادى فـى القاهرة ودمشق ، من قواميس اللغة الى مجمـــوعات تمثل التراث الادبى العربى ، اقول ماذا يكون هذا العمـل اذا لم يكن عقليا علميـــا اكاديميا من طراز رفيع ؟

ووصلت مسيرة الفـــكر العلمى المنهجى الى اعلى ذراها فى آخر خطاها الا وهو فيلسوف التاريخ ابن خلدون أكان هو تغريدة طائر التم ، التى تنم عن موته الوشيك ؟ لكن طائر التم هذه المرة لم يمت بعد تغريده ، بل رقد فى سبات دام معه نحو اربعة قرون مظلمة ، ثم اسلمته الى القرن التاسع عشر ، حيث استيقظ ليعود سـيرته الاولى من ازدهار وعطاء ، وهو على طريق العقل .

●

الإصلاح السياسى هو

ركن الزاوية فى أمة الاسلام

● فتحي رضوان ●

● حينما نتحدث عن الاسلام والتجديد ، أو تجديد الاسلام ، يجب أن نتوقف لنفهم ما الذى ننوى تجديده فى الاسلام .

ففى هذا الدين القيم أصول ثابتة لا تقبل التبديل ولا التحويل ولا تخضع للتطور ولا التغير . فهى كسنن الله العظيم التى وصفها فى كتابه المنزل على نبيه المرسل لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا .. «ولن تجد لسنة الله تبديلا» « الاحزاب » « ولن تجد لسنة الله تحويلا » سورة طه .

بل هذه الأصول ، هى سنة الله ، لأن أولاها ، هى وحدانية الله ، ويتبعها ويتفرع عليها أن محمدا رسول الله ، وأن الناس ، سيبعثون فى يوم عظيم ، وأنهم محاسبون ، وسيجزون على ما عملوا ، فمنهم من مثواه الجنة ، ومنهم من مأواه النار .. على هذه الأسس يقوم الدين ، فان زال أحد هذه العمد ، أو وهن ، فى نفوس المسلمين ، لم يعد الاسلام اسلاما .

والذين كانوا يتأولون معنى الثواب والعقاب ، والجنة والنار ، والحساب والصراط ، يبقون الى يوم الدين ، يعانون من شكوكهم ، ويبثونها للناس ، فى صور عديدة ، فتثير نقاشا ، وتسبب شقاقا ، وتجد من يفتح لها قلبه أو يقدح بها عقله ، ولكن يبقى القائلون بها ، والمروجون لها ، والسائرون فى سبيلها قلة يتدفق تيار الاسلام الاكبر ، بعيدا عنها ، لا تعترض مجراه ..

فالتجديد اذن لا يتناول هذه الأصول كما لا يتناول العبادات : فالصلاة والصوم والزكاة والحج ، مسلمات عند المسلمين ، والخلاف حول فروعها ، لم ينشىء المدارس ولا الفرق التى أنشأها الخلاف حول الأمور المتصلة بالعقيدة ، والتى أدت الى نشوء المذاهب الكلامية ، والتى تغذت بالاضطراب السياسى حينا ، وغذته حينا آخر ..

فالتجديد ينصب اذن فى الحاضر ، وسينصب فى المستقبل ، على ما يجب أن يفهمه المسلمون من أحكام الدين ، حين تتصل بأمور الدنيا ، التى لا يكف تشكلها ، وتغيرها ، عن نقل المسلمين من حال الى حال ، حتى اذا انقضت عليهم بضع سنين ، رأوا أنفسهم ، فى دنيا غريبة عن دنياهم التى ألفوها ، فألمت بهم الحيرة ، واشتد القلق فمنهم من يضيق بالدنيا ، ذاتها ويعجز عن مجاراتها والتكيف لها ، ومنهم من تفتر صلته

بالدين ، حتى يحسبه عبئا لا قبل له باحتماله ، أو عقبة في طريق النجاح ، لا مبرر للصبر عليها ..

***

وفي العصور الأخيرة ،كان أكبر هموم المسلمين ، وأعظم مشكلاتهم ، ثلاث طوائف من الأمور :

أولا ـ علاقة المسلمين بالمال والتجارة وأخذهم بأساليب الغرب في استثمار النقود • وعقد القروض ، وتعاطى الفائدة ، أم ترك ذلك كله ،خشية الوقوع في المعصية بأكل الربا في صورة من الصور ، والربا محرم صراحة بقول الله تعالى : « **وحرم الله الربا** » •

ثانيا ـ علاقة المرأة بالرجل من حيث سفور المرأة المسلمةوحجابها ، وتشبهها بالغربيات في الخروج من البيت الى العمل ، ومشاركة الرجل فيه ، ومنافسته في ادائه • ومن حيث تعدد الزوجات ، وحق الرجل في هذا التعدد بلا قيد عليه في ممارسته أنى شاء ، ما دام في نطاق القيد العددى • ثم حق الرجل في الطلاق ، أو تحريم هذا كله ، أو فرض القيود عليه •

ثالثا ـ انزال الحدود على من تجاوزوها ، ولا سيما القطع في السرقة

حول هذه الأمور ، اشتد الجدال ، واعتبر الاجتهاد فيها ، للخروج على الحكم القرآني الصريح أو حكم السنة الواضح لا يمت الى الاجتهاد المأذون به ، بتحرى حكمة النص ، ومصلحة المسلمين ، والتشبه بالائمة في الاستعانة بالاستحسان ، والاخذ بالمصالح المرسلة والاستصحاب، والذرائع وقول الصحابى والعرف ـ ذلك كله بعد الاجماع والقياس ..

ويلتمس للمسلمين العذر ، اذا هم أكثروا الجدال في هذه الأمور ، وأطالوا الوقوف أمامها ، فهي في واقع الأمر ، جبلة الحياة ، لا في عصرنا هذا ، بل هي عصب الحياة ، في كل زمان ومكان .. فتدبير المال ، واستثماره ، وادارته واستنباطه ، وطرق الحصول عليه ، وتوزيعه • هى منابع القوة ، ووسائل النفوذ ، والوسائط المباشرة الى الحكم ، والطرق السلطانية الى السيادة • والمرأة ، وصورة حشمتها ، وبقاؤها في البيت وخروجها منه ، وتعاطيها الاعمال العامة أو قناعتها بمهام العائلة من انجاب الاطفال ، وتنشئتهم ورعاية الزوج ، اما أن تبقى للرجل مملكته وسيادته ، ويبقى كل شيء في مكانه ، فتقر النفوس وتهدأ ، ويعرف كل عضو في المجتمع حده ، ويلتزمه • **واما أن تنقلب الدنيا رأسا على عقب •**

اما موضوع الحدود ، فموطن المشكلة ان العلم انتهى الى ان المجرم ، مريض ، وانه في حاجة الى العلاج والتطبيب ، لا التاديب والتعذيب •وقطع اليد عقاب صارم ، وهو عقاب لا يقبل التصحيح ، ان شابه خطأ ، وما أكثر ما أخطأ القضاة ، فهم بشر •

هذه هي مواطن هموم المسلمين ، وهم يرون شيئا يكرهونه ،ويتوقون الى شيء يتمنونه • يرون الذين تحرروا من الدين ، على صورة من الصور في نطاقه ، وألزموه مكانا لا يتجاوزه ، وأطلقوا للعقول وللفنون عنان التفكير والتدبير ، فأنشأوا هذه الحضارة التى أتت بالخوارق وحققت المعجزات • ويسرت على الناس سبل الانتقال ، ووسائل التعلم ، وطرائق العلاج ، وجملت الحياة بالمدن الواسعة ، والطرق الفسيحة ، والمتاحف والحدائق، وقاعات الموسيقى ، ومسارح الفن ، واتقان الطباعة ، وتجويد العمارة ••• بحرية لا نهاية لها في البحث والمناقشة والنقد والمعارضة ، مع نظم حكم مستقرة يتساوى أمامها .. كل الناس •

ورأوا أنهم محرومين من القوتين المادية والمعنوية • ففي جوانب الحياة المادية هم فقراء متوسط دخل الفرد فيهم لا يكاد يصل الى ما ينفقه الغربى على الكماليات من رفاهيه وللذائذه. وهم بلا صوت مسموع في بلادهم ، وبلا كلمه محترمه ، في بلاد الناس اجمعين •

ومن الناحية المعنويةفان أكثر المسلمين جهال ، ذهبت سدى كل المحاولات لتعليمهم الابجديه ، فالاميه تعصف بهم شرقا وغربا ، ولا تزال الخرافات والاباطيل هي دستور حياتهم ، وما زالت شعوب العالم الاسلامى عالة على علم أوروبا تأخذه عنها، وتشترى منها الالات

والاجهزة ، واكثر ضروريات الحياة من ملبس ومأكل ، وما زلنا نستورد العلم، في كتب الغرب ومجلاته ودورياته ، وما زلنا نتثقف بما يثقفون به عقولهم ، ونتمتع ونتلهى بكل منتجات فنونهم ·

وقد دعا هذا كله الى تلمس اسباب هذا التخلف المروع فمنا من أراح نفسه فقال انه الاسلام ، فهو دين نزلت أحكامه على النبي الذي ارسل به ، منذ أربعة عشر قرنا فاخرج العرب ، وعددا كبيرا من امم الارض من الظلمات الى النور ، ووضع اساس حضارة عربية ثم اسلامية لا يشك احد في جمالها وجلالها وسموها ، ثم مهد لحضارة اليوم بما انتجته واخرجته قرائح ادباء وعلماء وفقهاء المسلمين · ولكن أدال الله على المسلمين فنزع منهم الملك ، وحرمهم من السلطان ، وورثهم أهل اوروبا ، فارادت سلطات الكنيسة ان تخضع الحكم لباباواتها ومطارنتها وقساوستها · وان تحبس الفكر والرأى ، في العلم الكنسى والأفكار التى تقرها مجامع الأحبار والكهان ،وتعقبت الاحرار والعلماء امثال (كوبر نيكوس) و (جاليليو) بل **حرقت بعضهم** ، او في القليل سجنتهم بعد أن عذبتهم ، فطفح الكيل بأهل **اوروبا ، فقاموا** ضد الكنيسة قومة **رجل واحد ،** فنزعوا من الرقاب نير سلطانها ، ووضعوها حيث يجب أن توضع مؤسسة روحية تعلم الناس احكام الدين ، تستقبلهم في الكنائس والبيع ، تعظ وتنصح ، ولكن لا شأن لنا بأمور الحكم ، ولا بشئون العلم ·

ومن هنا استقام الحكم في بلاد أوروبا ووجد خطان متوازيان : الدين بسلطانه على الأرواح ، والحكومة المدنية المنتخبة بحرية ، ومن جميع افراد الشعب وبسلطانها على جميع ما يهم المواطنين من شئون المال والصناعة والتجارة ··

وبهذه القسمة الدقيقة ، صلح حال الغرب ، ووصل ما وصل اليه من المتعة والعزة والغنى والسؤدد ، فأخرج من العلم ما سخر به الدنيا ، عملا بقول الله تعالى من انه سخر لنا ما في الأرض جميعا · وأخرج من فنون الثقافة ، ما شحذ الهمم ، وألهم القلوب ، وجمل الحياة ، ونفى عن الشعوب عيوب السوقية والعامية ، والغلظة ·

فعلى المسلمين أن يتأسوا بأهل الغرب بأن يدعوا الدين لعلمائه ،يتلون كتاب الله ويشرحونه ، ويذكرونهم بأيام الله وآياته ، ويجتهدون في تطبيق احكام الدين على ما يجد من محدثات الأمور ، دون أن يتدخلوا في شئون السياسة ، والحكم ،ولا في شئون الناس المدنية من معاملات ، ولا في شئون الحياة الخاصة الا بالقدر الذي يحتمه الدين ·

فان استطاع رجال الدين أن يعوضوا ما فات المسلمين من متابعة الحياة ،ومن آخر ما انتجه العلم ، فبها ونعمت ، وان تخلفوا وقصروا ، **كان خطر تخلفهم وقصورهم ، محصورا في عملهم ودنياهم وسلمت** الحياة العامة ،**للمفكرين المدنيين من رجال** تشريع وقانون ، **ورجال علم وفن** ، ورجال مال وصناعة ، **ومصارف وزراعة ،** ورجال اقتصاد **وتخطيط ··**

وقال آخرون ان الامر في ديننا يختلف تماما ، عما تم **في دين المسيح** عليه السلام **في** اوروبا ، **وبالتالي في** الغرب كله ··

ففى الغرب قام ما لم يقم في ظل الاسلام من بابوية ظفرت بسلطة زمنية، حتى أصبحت ملكا عضوضا ، وقد استكثر الباباوات من المال،حتى أخضعوا الرجال ، ثم أخافوا الملوك ، فملك سلطانهم القلوب ، والجيوب معا ،ودانت لهم الملوك والشعوب على السواء · ولما انقسمت الكنيسة الى كنيسة غربية في روما ، وشرقية في بيزنطة ، اختلفت علاقة الكنيسة بالدولة في الظاهر ولكنها لم تختلف في النتيجة · فكنيسة روما وقفت ندا للدولة، بل وقفت سيدة تطلب الطاعة ، وتحرم الملوك الذين يأبون طاعتها ، فتحرمهم من حب شعوبهم في

الدنيا ، ومن الدخول في ملكوت السموات فى الآخرة .

اما فى بيزنطة فقد اصبحت الكنيسة تابعا للامبراطور ، ودخلت في مؤسسات الدولة تأتمر بأمرها ، وتنفذ رغائبها .

وفي الحالين أصبحت الكنيسة والدولة بيتا واحدا ، اما أن تكون هي الدولة ، واما ان تكون ذيلا لها ..

أما في الاسلام فلا بابوية ولا كهنوت ولا سلطة دينية قائمة بذاتها تناطح الملك أو الخليفة ،وتصارعه ،وتسلبه السلطة أو تسلمها له . والخليفة فرد من افراد المسلمين بايعته الرعية على أن ينزل على مقتضى الاسلام ، وينفذ احكامه دون ان يكون له حق تعديل ما أمر الله به ، أو وقفه أو تأجيله أو تعطيله . ولقد وضع هذا الدستور ، فى ظل الاسلام ، ويوحي منه ابو بكر الصديق خليفة رسول الله الاول : اذ قال (اطيعوني ما اطعت الله) وقد فرع علماء المسلمين على هذه القاعدة قاعدة في مثل سموها فقالوا : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ومن هذه التربية نشأ هذا الاعرابي الذي سمع عمر بن الخطاب يقول : « اذا وجدتم في اعوجاجا فقوموه » فقال الاعرابي على الفور: (لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فحمد الله عمر خليفة رسول الله الثاني اذ جعل في المسلمين من يقوم واليهم ، وخليفة نبيهم بحد السيف ..

هؤلاء اذن رفضوا أن يذهبوا المذهب الذي دعا اليه ، وتأثر به الذين عادوا من اوروبا ،وتلقوا العلم فيها ، وانخدعوا بظاهر الحال ، فظنوا ان ما عالجته به هذه القارة ، شأن الدين فيها ، فصلح صالحها ، واستقامت امورها ، وحفظت اموال الرعية واعراضها من الظلم والعسف والعدوان – هو سبيل الاصلاح والحرية ، والرخاء والطمأنينة ، في ظل الاسلام في كل بلاد المسلمين اى ان يدعوا الدين لرجال الدين ، داخل مساجدهم ، وتحت عمائمهم ، ويتولى رجال التشريع والاقتصاد والعلوم شئون المسلمين يأمرون بما يرونه مؤديا لاستكثار الارزاق ، وتقويم أداة الحكم ، وحفز المواطنين على الانتاج ، بلا تحرج ولا تأثم .

فاذا كانت المرأة الغربية قد خرجت سافرة فى أوروبا ، وراقصت الرجال ، ثم وليت المناصب حتى أصبحت رئيسة للوزراء ، ووزيرة ،واستاذة في الجامعة الى جانب أنها فنانة وراقصة ومغنية ، فلنفعل ذلك دفعة واحدة ، وبلا تردد ، وسنرى انه كلما اقدمنا على هذا التطوير بجرأة وصراحة ، تحررنا من متاعب ومخاوف التردد ، ووسواس الضمير المتذبذب ، واستطعنا ان نسابق الدول الغربية ونسبقها بما لدينا من مناخ افضل وثروات اعظم وموقع اكثر اهمية وخطرا .

واذا كان الاقتصاد العالمى يقوم على الربا فينتج هذه المؤسسات الهائلة ، ويخرج لنا مما تحويه عقول العلماء الجهابذة من الافكار والمخترعات وبدائع الوسائل والوسائط – فلنقبل على (الربا) لتعاطاه ، ونعطيه ، ونقيم حياتنا على اساسه بلا خوف ولا توجس .. بهذا قال بعضنا فدعينا الى الاخذ بحضارة الغرب بشرها وخيرها ،وحلوها ومرها . ولم يمض الدعاة فى دعوتهم ، ولم يقبل كل الناس عليها ، وبقى الامر معلقا .

وتمر السنون ونحن واقفون حيث نحن ...

ولا تزال فكرة الاسلام والتجديد ، تغازل عقولنا ونفوسنا . لا نستطيع أن ننحيها عن عقولنا ، فنستريح ، ولا نستطيع ان نهتدى الى معرفة ما هو الذى نجدده بالضبط فى الاسلام أو فى ظله فنتقدم وننتج ونؤثر .

والرأى عندى ، ان هذا الدين يصلح آخره ، على ما صلح اوله وقد قال الله تعالى « كنتم خير امة اخرجت

للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

وبهذا حدد كتاب الله كيف يتأتي الخير لهذه الأمة . وكيف يكون التجديد وكيف يكون البعث . كيف نحصد الخير المادى : اى الرخاء ، وكثرة الأرزاق ، ورواج التجارة ، واختفاء الفقر ، وابتعاد شبح المجاعة التى تلتهم من مسلمي افريقيا ، واحيانا آسيا ، في السنة الواحدة فوق المئة الف ، واغنياء المسلمين ودولهم يسمعون ويعلمون ، ولا يفعلون شيئا لمنع تجدد الكارثة ، وتكرر المهانة .

كيف نحقق الخير المعنوى ، فتختفى الآفة الضاربة اطنابها فى العالم الاسلامى وكأنها احتلت اقطاره ، وتأبى ان تجلو عنها ، بل تعشش في عقول ابنائه ، فلا ترحمهم ، فتخف وطأتها عليهم . كيف نلحق بركب العلم الحديث نتعلمه ، ونتلقاه ، ثم ننتجه ، ونضيف الى القائم منه ...

وفى هذه الآية الكريمة مصراعان ، بهما يكمل الخير ، اولهما الامر بالمعروف ، وثانيهما النهى عن المنكر .

ولكون هذه الآية من آيات القرآن الكريم ، نتصور أن المقصود بها ينحصر كله فى نطاق الدين البحت ، أى العبادة اى اداء الفروض من صلاة وزكاة وحج . ومن الانتهاء عن المعاصى ، كالزنا والسكر والربا .

ومتى أن حملت المسلمين على هذا القدر من الخير ، غيرت احوالهم ، وأصلحتها ، وأمدتهم بقوة تجعلهم فى صدر الامم وعلى هامات الشعوب .

ولكن الواقع ان هذه الآية تدعو الى اصل الخير كله ، فى الدنيا ، وفى الآخرة . فى السياسة ، والتربية .

فالغاية منها أن تجعل عامة الناس ، هم رعاة الدين ، ورعاة الحكم ، ورعاة المال العام ، ورعاة الأخلاق العامة .

وفى كلمة ، هذه الآية تخلق الرأى العام المستنير الشجاع ، النشيط الفعال المؤثر . بمعنى انه لا يقع خطأ فى محيط صغير ، كقرية او مدرسة او جمعية ، او سيارة او طريق ، الا ويجد من جميع الحاضرين استنكارا له ، ورفضا ، وقدرة على تقويم المخطىء ، واشعاره بأن ما وقع منه ، قد وقع على كل واحد منهم ، وانه آذاهم ، واحزنهم ، فاخذوا على يديه ونبهوه . ولكن ليس معنى هذا ان رفض الخطأ يتحول الى غلظة ، او ان تقام الحدود فى الشارع ، وان يكون الافراد اينما اجتمعوا ، هم الحكومة .

المقصود هو أبعد الأمور عن هذا ، لان الغاية اقامة مجتمع هادىء ، قليل الصخب ، متحاب ، لا يسوده الكره ، ولا الميل الى العنف . ذلك لأنه كما أننا سنعلم الأفراد بأن واجبهم تقويم المخطىء وتسديد خطأ الجاهل ، وردع الظالم ، ومقاومة المعتدى ، فانه مع الزمن ، سيكون أصحاب السلطة ، والآمرون ، والقادة كأفراد الشعب ، حريصين على تجنب الخطأ ، وعلى صيانة الحرمات ، وعلى حماية المال العام ، فلا يقع العدوان منهم ولا يتورطون فى الزلل الا قليلا ، فاذا الجميع فى أمن ورعاية .

***

واذا أردت ان ترد جميع ما انتاب المجتمعات الاسلامية من الادواء والامراض والعلل ، اذا أردت ان تعرف لماذا يشقى المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها فى الفقر والمسغبة والجهل والاوبئة ، وتفشى الخرافات ، وسيادة الأباطيل ، فلانهم لم يعودوا ، يعرفون شيئا عن هذه الآية ولا يطبقونها . أئمتهم وعلماؤهم ، وقادتهم ومعلموهم ، لا يلقنوهم دروسها ، ولا يطبقونها فى محيطهم الصغير . فاصبح المجتمع مجتمعا ينافق صغيره كبيره ، فقيره غنيه ، وضعيفه قويه .. ولا نتيجة لذلك كله الا الفقر ، فى جانب وكثرة الأموال فى جانب ، واهدار المال العام ، وانتهاك حرمته ، وصرف الموارد فيما لا يعلم

جاهلا ، ولا يشق طريقا ، ولا يقيم مستشفى ، ولا ينشر فضلا ، والنتيجة المثالية ان تسود الفرقة بين الناس ، فيتباغضون ، لان الوسيلة الوحيدة المناسبة للاعتراض على الفساد ، وسوء الاحوال ، ان يحسد الفقير الغنى ، وان يكره الضعيف القوى – وان يتعاطى الجميع النفاق والرياء • هذا المجتمع مصيره ، ان ياكله الطامعون فيه من الاجانب والاعداء المتربصين به الدوائر كلقمة سائغة ، وهذا الذى أقوله ، يتلخص فى كلمة واحدة،ان نقطة البداية فى التجديد المرغوب فى ظل الاسلام ، هو الاصلاح السياسى •

وهذا ما يؤكده تاريخ الرسالة المحمدية،فان محمدا عليه الصلاةوالسلام حينما دعا الى التوحيد ، هز مجتمعا ظالما ، كان يقوم على التفرقة الطبقية ، والتفرقة القبلية ، والتفرقة العرقية ، كان مجتمعا ثلاثة ارباعه رقيق ، والارقاء فيه تستباح اعراضهم ودماؤهم وتهبط فيه المراة الى المتاع الذى يباع ويشترى ، وتشتد فيه المظالم، وتنتفى معه الحرية • ولقد قاوم الاغنياء واصحاب النفوذ هذه الدعوة ، لانهم ادركوا تماما ، انها ستنقلهم من سدة السيادة والسلطان ، وستسوى بينهم وبين الناس • واشتدت الحرب بين دعوة المساواة ، والحكم الظالم ،والتفرقة بين البشر،وجماعة الاقوياءبالمال وبالنسب وبالسلطة الموروثة • واستمر محمد يعلم الناس ان يجهروا بقول الحق ، حتى اذا قيل له : اعدل يامحمد • لم يغضب ولما عارضت عمر بن الخطاب امراة فى المسجد ، عندما دعا الى نبذ المغالاة فى المهور ، وعلى مرأى ومسمع من المسلمين اعترف بخطئه قال : اصابت امراة واخطأ عمر • •

هذه التربية هى التى خلقت من الأعراب الاجلاف المتفرقين أمة متحدة ، رقيقة ، تحب كل شىء جميل ، وتنتج فنا جميلا ، وادبا رقيقا ، وحضارة تفيض لطفا واناقة •

ولن يصلح اجتهاد ، ولا تجديد فى الاسلام ، وظله ، الا اذا بدىء بتفهم هذه الآية وتطبيقها كما طبقها صحابة رسول الله ، والمسلمون فى صدر الاسلام • فالاسلام الذى خلق هذه الشعوب الهائلة من هذا الشعب الضعيف ، هو هو الاسلام الذى تؤدى هذه الايام فرائضه مع فارق واحد ، هو ان هذه الآية كأنما اسقطت من القرآن ، وان بقيت ضمن سطوره تتلى وتسمع • ولكن لا نقوى على ادراك مداولها ، ولا ننتفع بالتيار الهائل الذى بعثه فى عروق الأيام ، حينما كانوا يستظلون بها ، ويستمدون منها القوة والعون •

فاذا كنا قد عقدنا العزم على أن نجدد شباب الاسلام ، وننفض عنه تراب الاهمال والتراخى ، فهذه هى البداية • ولندع البحث طويلا فى النصوص ، ولندع الخلف حول تطبيق الشريعة ، بعامة ، لا لان هذه امور قليلة الشان ، ولا لأن مخالفتها جائزة ، بل لأن ركن الزاوية فى الشريعة ، هى هذه الآية بعد الايمان بالله ، والتسليم برسالة نبيه • بدأ بها محمد ، ولنبدأ بها نحن•

ولقد فطن جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده الى هذا حينما بدأ دعوته ، فى أخريات القرن التاسع عشر فراح الافغانى يذرع العالم الاسلامى شرقا وغربا ، ملقيا بذور هذه الدعوة الاصلاحية ، فبقى أثرها الى اليوم ، ولو واصل محمد عبده ، بعده هذا العمل العظيم ، لتضاعف فضله ، ولرأينا تجديدا فى فهم الاسلام ولغته ، وفقهه ، وفى كل جانب من جوانب حياة المسلمين •

هذه هى البداية ، ولا بداية قبلها ، فان اخذنا بها طبقت الشريعة على أحسن وجه واستقامت الأمور على خير صورة ، وتعلم الجهال ، وتغذى المحرومون ، وصينت الاموال والاعراض ، وقام حكم الاسلام القوى المستنير •• ●

الوسائل الفعالة لتجديد شباب الإسلام وإقصائه عن غربته في عالم مختلط غريب

● محمد عبد المنعم خفاجى ●

يقال فى اللغة : (جدد الشىء) أى صيره جديدا .. فهل فى الاسلام قديم وجديد ؟

وهل طرأ على الاسلام من عوامل البلى ما جعله يحتاج الى تجديد ؟

والذى نعلمه ونردده منذ من الله على الانسانية بالاسلام ، أن الاسلام صالح لكل زمان ، فهل يحتاج الشىء الصالح لكل زمان الى التجديد ، مع ايماننا بصلاحيته لكل العصور حتى أبد الابدين ؟

سؤال يرد الى الذهن قبل المضى فى معالجة موضوع الاسلام والتجديد . واذا كانت حركة التجديد فى الاسلام التى قام بها الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر الميلادى بتأثير من أستاذه جمال الدين الافغانى ، كانت (تسعى الى تحرير الدين من أغلال الجمود ، وتتجه الى استكمال اصلاحات توفق بينه وبين مطالب الحياة العصرية المعقدة) ـ فما معنى حركة التجديد أو الاصلاح التى قامت فى الهند فى وقت مواكب لحركة التجديد فى مصر ؟

وهل نذهب مع المستشرق المجرى « جولد زيهر » فيما ذهب اليه من خلق فروق بين الحركتين ، مع أنهما فى الحق يستهدفان غرضا واحدا لمصلحة الاسلام والمسلمين فى عالم طغت عليه الحضارة الأوروبية الحديثة ؟

وهل التجديد فى الدين نفسه أصولا وعقيدة وفكرة ، أم التجديد فى مظاهر الدين وسلوك أصحابه حتى يكون مواليا لحاجات العصر ومتطلباته ؟

والذى افهمه واوقنه ان (التجديد) ليس فى مفهومه الا مرادفا (للاصلاح) كما يظهر من نماذج التجديد والمجددين فى تاريخ الفكر الاسلامى . واقرب مثل لدينا هو ما قام به المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى تلميذ الأستاذ

الإسلام فى تمدده وتجديده وانطلاقه وامتداده ليس إلا تفسيرا حقيقيًا للطبيعة المتجددة، والطبيعة الممتدة فى الحياة، فالله جل شأنه قد مد الظل ولو شاء لجعله ساكنًا، كما قال فى محكم آياته

الامام واحد شيوخ الأزهر السابقين اللامعين ، من حركة اصلاح المحاكم الشرعية في مصر ... فقد كان القضاء الشرعي عندنا يرجع الى مذهب واحد بعينه من المذاهب الفقهية منذ حدوثها • ورأى المراغي ان هـذا « الالتزام » هونوع من « الجمود » لا يرضى به دين سمح متحرر ، فكان اول من خرج على هذا الجمود وعدل عن العمل قضاء بمذهب ابي حنيفة الى العمل بمذهب الأئمة الثلاثة الباقين وغيرهم •

وكانت له آراء وجيهة في الحلف بالطلاق وفي منع وقوع الطلاق « الثلاث » بلفظ واحد •

وكان حديثه في افتتاح (لجنة تنظيم الأحوال الشخصية) دعوة الى التجديد والاسلام الواعي الجريء ، حيث قال رحمه الله ورضي عنه : « ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان • وأنا لا يعوزني – بعد ذلك – ان آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم .. »

فالمراغي هنا جرى على طبيعة الاسلام « المتجدد » التى لا يرضى بالجمود ولا يقف عنده ...

وليس (التجديد) عديلا « للاصلاح » وحده ومرادفا له ، ولكنه عديل (للاجتهاد) ويكاد يكون مرادفا له .. والاجتهاد أصل من أصول الاسلام • وما أصدق المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش وهو ينادى بأن كل من يعرف لغة القرآن لا ينبغي له بحال ما أن يقلد غيره تقليدا متى قدر على فهمه وفهم الكتب الصحاح فى السنة • ومن هنا جرى الشيخ جاويش على تكرير وتوكيد ما قاله الامام جمال الدين الافغاني من رفض ما زعمه الفقهاء من أن باب الاجتهاد قد ارصد عند اهل السنة ، فلا مجال لمجتهد أو باحث بعد هذا الايصاد ..

وللافغاني هنا كلام جميـل خطير ورد في « خاطراته » • فقد ذكروا يوما في مجلسه رأيا للقاضي عيـاض ، ورأوا فيه انه غاية ما يمكن أن ينتهي اليه الاجتهاد ... فقال الامام الافغاني : ياسبحان الله ... ان القـاضي عيـاض قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله ، وتناوله فهمه وناسب زمانه • فهل لا يحق لغيره ان يقول ما هو اقرب الى الحق ، واوجه ، واصح من قول القاضي عياض او غيره من الائمة ؟ وهل يجب الجمود والوقـوف عند اقـوال اناس هم انفسهم لم يقفوا عند حد اقوال من تقدمهم ؟ قد اطلقـوا لعقـولهم سراحها ، فاستنبطوا وقالوا ، واتوا بما ناسب زمانهم ، وتتارب مع عقول جيلهم ، وتتبدل الاحكام بتبدل الزمان ..

والحق أن سد باب « الاجتهاد » هو تضييق على العقول ، وتقييد لحرية الفكر التى جاء الاسلام مؤيدا لها ومناديا بها · ومن هنا حارب الأفغانى القول بسد باب الاجتهاد بقوله الحكيم الجرىء : (ما معنى باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص سد باب الاجتهاد ؟ أو أى امام قال لا ينبغى لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ؟ أو أن يهتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث ، أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما ؟

والقرآن : لسان الاسلام وبيانه ، كتاب مفتوح لكل قارىء واع ، ولقد جاء فيه على لسان رب العالمين : (**ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر**) أى : فهل من طالب علم منه ، ومتفهم له ، فيعينه الله على الفهم ؟

والقول بأن الاسلام متجدد يؤكده ما جاء من اجتهادات النبى عليه الصلاة والسلام ، واجتهادات الخلفاء الراشدين والصحابة · فلو كان الاسلام جامدا لوقف النبى وأصحابه والمسلمون الاولون عند نصوصه لا يتعدونها ، ولا يجاوزون بها تطور العصر ، ولكن الخلفاء الراشدين اجتهدوا فى المصالح المرسلة التى لم يجىء بها نص ، ولم ترد لها سابقة ·

وللامام أحمد بن ادريس القرافى رأى وجيه فى هذه المسألة جاء فى شرحه لتنقيح الفصول حيث قال : (ومما يؤكد العمل بالمصالح المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم عملوا أمورا لمطلق المصلحة ، لا لتقدم شاهد بالاعتبار ، نحو كتابة المصحف ، ولم يتقدم فيه أمر ولا نظير ، وولاية العهد من أبى بكر لعمر رضى الله عنهما ، ولم يتقدم بها أمر ولا نظير ، وكذلك ترك الخلافة شورى ، وتدوين الدواوين ، وعمل السكة للمسلمين ، واتخاذ السجن ، فعل ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وهد الأوقاف التى بازاء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتوسعة بها فى المسجد عند ضيقه ، فعله عثمان رضى الله عنه ، وتجديد الأذان فى الجمعة بالسوق ، فعله عثمان رضى الله عنه ، ثم نقله هشام الى المسجد ــ وذلك كثيرا جدا ــ لمطلق المصلحة ··)

***

والتجديد فى الاسلام لا يكون بداهة فى أمور العبادات ، لأن أمور العبادات لا تقبل التغيير فلا يجوز التجديد فيها · وهل يصح فى الأذهان أن نجدد فى الأصول التى بنى عليها الاسلام ؟ وكيف يكون التجديد فى الشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج ؟

لو أن الاسلام دين عبادة فقط لوقفنا عند العبادات الواردة وجمدنا عليها ، وبهذا ينتفى « التجديد » الذى نريده ويريده لنا الاسلام · ولكن الاسلام دين جاء لصلاح الدنيا والاخرة ، وملة جاءت لخيرى الدنيا والاخرة ، وعقيدة جاءت لمصلحة أصحابها ــ بل لمصلحة الناس جميعا ــ فى الدنيا والاخرة ، فكيف نقف عند العبادات ومصالح الناس وصلاحهم ممتد الى يوم يبعثون ؟

لو أن الاسلام جاء لصلاح الآخرة فقط لانتهى بنا الأمر الى أن نكون « دراويش » فى هذه الحياة الدنيا التى جعل الله الانسان خليفته فيها · وما معنى الخلافة هنا؟أليس معناها أن الله استخلف الناس على صلاح الأرض وعمارتها والنهوض بأهلها فى كل مجالات النهوض التى لا تتعارض مع أصول الأديان ؟ ومن هنا كانت ملازمة التجدد للاسلام لأنهما مرتبطان على امتداد الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ·

***

نعود الى معنى التجديد فى الاسلام · هل معناه ادخال أمور على الدين لم تكن

الإسلام من طبيعته التجديد، وليس من طبيعته الجمود، وآية ذلك دعوته الدائمة إلى العلم وحثه عليه ... وقد أعلى الإسلام من شأن العلم ولم يساو بين عالم وغير عالم، لأنه يريد للناس والإنسانية أن يتجددوا مع الحياة ولا يقفوا عند حد معين

فيه من قبل ليصبح بذلك جديدا ؟ وهل الاسلام ثوب يرث ثم يستدرك بالتجديد حتى لا يخلع ، جريا على القاعدة التى أجراها شاعرنا القديم من واقع التجربة ، وهى ان كل جديد اذا مارث يخلع ؟ ونعوذ بالله أن يحوجنا سوء الفهم الى خلع ثوب الاسلام بدعوى أنه قديم غير صالح !

نحن ـ معشر الأدباء ـ نفهم « التجديد » فى الأدب منذ تطور الحركة الادبية والشعرية فى عصر صدر الأسلام وبنى أمية والعصر العباسى حتى نبلغ العصر الحديث ..

فالتجديد فى الشعر الأموى ـ مثلا ـ كان بادخال سمات وأشياء على الشعر العربى لم تكن فيه فى العصر القديم . والتجديد فى الشعر المهجرى ـ مثلا ـ كان بادخال سمات ومظاهر وملامح لم تكن فى الشعر العربى الشرقى غير المغترب ... فهل هذا المفهوم « للتجديد » فى الأدب هو الذى نفهمه فى التجديد الاسلامى ؟

اننا لا نضيف شيئا الى أصول الاسلام وقواعده والعبادات فيه حين نريد ان « نجدد » والا شاركنا الله ـ جل شانه وتقدس فى علاه ـ فى فرضه العبودية على خلقه ، وذلك لا ينادى به عاقل أو مؤمن .. ولكنا حين نحاول النهوض العام بالانسان والانسانية ـ تحقيقا لحكمة الله فى عمارة الكون فانا نحاول ، الاخذ بوسائل النهوض ، ولا نجمد بها عند حد معين لا نتعداه ، حتى تجرى مصلحة الدنيا ومصلحة الاخرة فى عناق واحد لا يجيز التخلف لواحد ، والارتقاء لواحد . ومن هنا كان الاسلام تجديدا دائما لشباب الحياة حتى لا تهرم ولا تتخلف .

والاسلام فى تجدده وتجديده وانطلاقه وامتداده ليس الا تفسيرا حقيقيا للطبيعة المتجددة والطبيعة الممتدة فى الحياة ، فالله جل شأنه قد مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ، كما قال فى محكم آياته . والله لم يجعل الليل سرمدا ، ولم يجعل النهار سرمدا ، ولكن جعلهما موصولين امتدادا وانطلاقا الى ابد الآبدين ، ولو وقف الكون عند نهار دائم وحسب ، أو ليل دائم وحسب ، لكان ذلك جمودا لا تصح به الحياة ، ولا يصح عليه الأحياء .

***

والاسلام من طبيعته التجديد ، وليس من طبيعته الجمود ، وآية ذلك دعوته

الدائمة الى العلم وحثه عليه ، وقد أعلى الاسلام من شأن العلم ، ولم يساو بين عالم وغير عالم ، لانه يريد للناس والانسانية أن يتجددوا مع الحياة ، ولا يقفوا بها عند حد معين •

ولعل ايراد بعض آيات من مادة (العلم) في القرآن يساند هذه القضية • فالقرآن يقـــول : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ويقول : (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) ويقول : (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) •

ويقول : (وزاده بسطة في العلم) ويقول : (هل يستوى الذين يعلمـون والذين لا يعلمون) ، فالعلم متغير ، متجدد ، قابل للتطور والارتقاء ، وليس كذلك العبادات • ومن هنا كانت دعوة الاسلام الى العلم ، لأنها دعوة الى التجديد في الحياة •

وليس المقصود بالعلم هنا هو علم الدين كمـــا فهمه بعض الجامدين من المسلمين وجاراهم فيه خبثاء المستشرقين والباحثين في الاسلام ، من أمثال (ســيكار) الفرنسي الذي ملأ مجلة (مراكش الكاثوليكية) في الثلاثينات من هذا القــرن بادعاءات وطعون في الاسلام زعم فيها أن الاســلام لم يدع الى العلم بمفهـومه العام ، ولكنه دعا الى علم الدين ، وذلك ليجرد الاسلام من فضيلة الدعـوة الى العلم مطلقا والحث عليه •• ونسى المسكين الحـــديث النبوى : (اطلبوا العلم ولـو في الصين) فلو كان العلم هنا دينيا ما دعا النبي الى طلبه في الصـين ، لأن أهلها من عباد الأوثان •• وهذا الحـــديث مما رواه العقيـل ، وابن عدى ، والبيهقى وابن عبد البر عن أنس •

***

والاسلام ـ في دعوته الى التجديد والانطلاق في آفاق الكون ، والنظر في ملكوت السموات والأرض ، وعدم الجمود عند حد معين ـ لم يجر على سنن غريب عليه ، وليس منه ••• فهو في ذاته مجدد مصلح منذ أن دعا النبي الى سبيل ربه •• وهو أبو التجديد ورائده •• وخاصة في كثير من شـــئون التشريع ، فقد أتى على نظم الجاهلية وأدخل عليها من التجديد والاصلاح ما جعله حريا بأن يوصف بالتجديد لا بالجمود •••

لقد قلل من تعدد الزوجات وكان مطلقا بلا قيود ، وجعل نظام الميراث يتسع ليقبل المرأة والصغار من أبنـــاء الميت •فقد روى عن ابن عباس انه قال : (لمـا نزلت الفرائض التي فرض الله فيها للولد الذكر والأنثى والابوين كرهها الناس وقالوا : تعطى المرأة الربع والثمن ، وتعطى الابنة النصـف ، ويعطى الغـلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة) وهذا يدل على أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار من أبناء الميت ، وانمـا يورثون من يلاقى العدو ، ويقاتل في الحروب ••

واذا كان الاسلام قرينا للتجديد وداعيا له ، فما بال المسـلمين قد تاخـــروا ـ وخاصة في القرون الأخيرة الى اليوم ؟ الحق أن هذا التاخر ليس من الاسلام ولكنه من المسلمين حين جمدوا ، وركنوا الى التوقف ، بل مالوا الى معاداة العلم ومحاربة الاصلاح ، وسدوا على أنفسهم باب الاجتهـــاد • والا فكيف نعلل ازدهار الاسلام وقوة المسلمين وتقدمهم في القرون الأول للاسلام ، وتأخرهم وهوانهم على الناس وعلى أنفسهم في العصور الأخيرة ، مع أن الدين واحد ،

دعا الإسلام إلى التجديد والانطلاق فى آفاق الكون، والنظر فى ملكوت السموات والأرض ... والإسلام فى ذاته مجدد مصلح، منذ أن دعا النبى إلى سبيل ربه .. وهو أبو التجديد ورائده، فقد أتى على نظم الجاهلية وأدخل عليها من التجديد والإصلاح ما جعله حريًّا بأن يوصف بالتجديد لا بالجمود ..!

والعبادات واحدة ؟ الحق أن طرائق المسلمين الآن غير طرائق المسلمين السابقين فليس غريبا أن تتفرق بهم السبل عن سبيل الله ..

ان الاسلام الصحيح تجديد، وهو يحض على التجديد ويدعو اليه . وليس من الضرورى ان يكون المجدد في الاسلام فقيها او من المارسين لعلوم الفقه والتشريع ... فقد يكون من القراء، أو المحدثين، أو الزهاد، أو المتكلمين، وقد يكون من أصحاب العلم الطبيعى والرياضى والفلسفى، وقد يكون من ولاة الأمور وأصحاب السلطان .

واذا صح حديث : (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) – وأترك تصحيحه لرجال الحديث – فقد ادعى كل قوم فى امامهم انه المراد بهذا الحديث، كما يقول الحافظ بن كثير ... واذا كانت (من) – بفتح الميم – تقع على المفرد والجمع فهل هناك ما يمنع أن يكون على رأس كل مئة من السنين رجل مجدد واحد أو أكثر على ما تقتضيه اللغة ؟

لقد نظم الامام السيوطى المؤرخ أرجوزة سماها : (تحفة المهتدين، بأخبار المجددين) ذكر فيها أسماء مجددى الأمة الاسلامية من القرن الأول الهجرى الى القرن الثامن، ولم يذكر مجددا فى القرن التاسع لانه ربما أن يكون هو المجدد المرجو المنتظر حيث قال :

وهذه تاسعة المئين قد ... أتت،ولا يخلف ما الهادى وعد
وقد رجوت اننى المجدد ... فيها، ففضل الله ليس يجحد

واذا كان صاحب كتاب (عون المعبود، فى شرح سنن أبى داود) لم يجعل لعلماء الشيعة حق الانتظام فى سلك « المجددين » لأنهم – فى نظره – (لا يستحقون هذه الرتبة، وان وصلوا الى الاجتهاد، وبلغوا أقصى العلوم، واشتهروا غاية الاشتهار) فاننا نطمع أن يتسع صدر السماحة فى الاسلام **لظهور امام مجدد، مصلح، واسع الأفق، مسموع الكلمة، مقدور الرأى، يؤكد دعوة الاسلام للتجديد، والاصلاح، والاجتهاد، والفكر والتفكير، والعلم والتعليم، وهى وسائلنا الفعالة الى تجديد شباب الاسلام، واقصائه عن الغربة التى يعانيها فى عالم مختلط غريب ...**

الإسلام والتجديد

● د . احمد الحوفى ●

قطرات من بحر السماحة واليسر

شرع الله سبحانه وتعالى الاسلام خاتما للاديان السماوية ، ومكملا لها، واقتضت حكمته تعالى ان يجعل الاسلام سهلا سمحا ميسرا فى جميع عقائده وعباداته ومعاملاته وسلوكه : وهذه لمحات الى بعض مايتصف به الاسلام من يسر وسماحة .

— ١ —

تكفل القرآن الكريم، وسنةرسول الله ، بالأصول العامة للاسلام ، قال تعالى : « **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا** » .

وقال عليه الصلاة والسلام : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى : عضوا عليها بالنواجد — الاضراس — واياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة

فنهى عن الامور التى لا أصل لها فى الدين ، وحذر من العمل بها ، لانها مبتدعة تضل المسلمين ، ووصف كل امر من هذه بانه بدعة ، ووصف كل بدعة بانها ضلالة ، وقال ان كل ضلالة فى النار ، يريد من هذا أن يصون الاسلام من التزيد والاضافات والمبالغات ، وان يصون المسلمين من الشحناء والخلافات

واذا كان الاسلام قد امر بعبادات، وشرع معاملات ، فان جوهره لا يفصل هذه من تلك ، ولا يفصل هاتين من الاخلاق السامية ، لانه نظام كامل متكامل وضعه وفصل حدوده وموازينه ومقاييسه رب العالمين ، وهو العليم بما يصلح عباده ، ويصلح لهم ، الخبير بنفوسهم وسرائرها ، الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، ويعلم السر والنجوم ، قال تعالى : « **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » ؟

— ٢ —

فرض الاسلام على المسلمين الوانا من الطاعة والعبادة ، وعدهم على ادائها ثوابا عظيما من الله ، وليس فيما فرضه الاسلام شىء من العسر او الارهاق او التكليف بما لا يطاق فى عقيدة او عبادة او معاملة ، ولقد صدق الله العظيم فى قوله : « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » وفى قوله : « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** » وفى قوله : « **يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر** » .

وان اقوال النبى عليه الصلاة والسلام وافعاله المتصلة بيسر الاسلام وسماحته لكثيرة :

منها قوله صلى الله عليه وسلم : اللهم من ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به ..

ومنها ان رجلا شكا اليه انه يتخلف عن صلاة الصبح مع الجماعة ، لان فلانا يطيل بالناس ، فغضب رسول الله وقال : ان منكم منفرين ، فايكم صلى بالناس فليتجوز — فليخفف — فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة .

ومنها انه راى رجلا يمشى بين ابنيه متوكئا عليهما ، فقال : مابال هذا ؟ قالوا : نذر ان يمشى الى الكعبة ، فقال رسول الله : « ان الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى » ، وامره ان يركب .

ومنها قوله : انى لاقوم فى الصلاة اريد ان اطول فيها ، فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى ، كراهية أن اشق على امه .

وقدم اليه رجل يستشيره فى الجهاد فسأله : الك والدة ؟ قال نعم ، فقال رسول الله : الزمها ، فان الجنة عند رجليها .

وقد تحلق المسلمون حوله يسألونه وهو بمنى فى حجة الوداع ، فكانت اجاباته كلها يسرا وسماحة .

سأله رجل : يارسول الله ، لم اشعر فحلقت قبل أن انحر . فقال رسول الله : انحر ولا حرج .

وقال رجل ثان : يارسول الله ، نحرت قبل أن ارمى الجمرات ، فقال رسول الله : ارم ولا حرج .

ثم جاء رجل ثالث فقال : يا رسول الله ، أفضت الى البيت الحرام قبل أن ارمى ، فقال رسول الله ! ارم ولا حرج .

فلم يسأل عن عمل قد يقدم المسلم بعضه على بعض نسيانا او جهلا الا قال: افعل ولا حرج :

ويتضح للمطلع على الشريعة الاسلامية ان اليسر اصيل فى عباداتها ومعاملاتها وان الضرورات تبيح المحظورات .

فمثلا يغنى التيمم عن الوضوء اذا فقد الماء .

ويباح للمريض او الضعيف الفطر فى رمضان .

ويجوز للمسافر ان يقصر الصلاة الرباعيه .

والحج غير مفروض الا على القادر قدره ماليه وجسديه .

والذى لايستطيع الصلاة قائما يصلى قاعدا . وهكذا .

ولما استقل بعض الصحابة عبادتهم بجانب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : والله انى اخشاكم لله ، واتقاكم له ، ولكنى اصوم وافطر واصلى وارقد ، واتزوج النساء ، فمن يرغب عن سنتى فليس منى .

ولما نزل قوله تعالى « **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** » اى خافوا الله وراقبوه واطيعوه فلا يعصى واشكروه فلا يكفر ، واذكروه فلا ينسى ، وجد الصحابة فى هذا ما يشق عليهم ، فنزل قوله تعالى : « **اتقوا الله ما استطعتم** » للتخفيف والتيسير ، لانه سبحانه وتعالى يعلم ضعف عباده .

وعلى يسر الاسلام وسماحته بايع رسول الله من بايعهم على السمع والطاعة فيما يستطيعون .

— ٣ —

احل الاسلام جميع طيبات الارض مادامت مباحة لا معصية فيها لله تعالى .

احل الطعام والشراب والكساء والاستمتاع المباح بما فى الارض وعلى الارض من خيرات وثمرات .

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون » وقال سبحانه : « ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون » .

وقال عز وجل : « يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وقال سبحانه : « يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم » .

وفى مقام الامر بالعمل الصالح املا فى ثواب الاخرة اقترن الامر بالنهى عن اهمال الدنيا ، قال تعالى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

وعلى هذا اليسر بايع رسول الله من بايعهم على السمع والطاعة فيما يستطيعون .

فلا غرابة فى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره التشدد فى غير مواضع التشدد ، لان المتشددين يضيقون على انفسهم وعلى الناس حيث وسع الله عليهم وعلى الناس .

فقد روى عنه قوله : هلك المتنطعون

وروى عنه قوله : ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين احد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة ، اى استعينوا على طاعة الله بادائها فى اوقات نشاطكم وفراغ قلوبكم ، بحيث تؤدونها وانتم تحسون حلاوتها ، ولا تسامونها ، كما ان المسافر فى اول النهار وفى آخره وفى آخر الليل يسير فى هذه الاوقات الثلاثة فلا يجد من المشقة مايجده فى غيرها من الاوقات .

وقال صلى الله عليه وسلم : ان هذا الدين متين ، فاوغل فيه برفق ، ان المنبت لا ارضا قطع ، ولا ظهرا ابقى .

ومن هنا نعلم انه ليس من الاسلام التزمت ، وتحريم الحلال ، والامتناع عن المباح ، بدعوى ان هذه زهادة ، كان يمتنع بعض الناس عن الاستمتاع بالمسكن الانيق ، وبالملبس الفاخر ، وبالمركب الفاره ، وبالطعام الجيد ، وبزينة الحياة . ليس هذا من الاسلام مادام الاستمتاع حلالا ومباحا وفى غير اسراف ولا خيلاء .

وكان عليه الصلاة والسلام انظف المسلمين جسدا وثوبا ، وكان اطيبهم عطرا ، وكان يأمر صحابته اذا ما قدم اليهم وفد ان يلبسوا احسن ماعندهم .

كما نعلم ان التنطع فى الدين بدعوى شدة الحرص على تعاليمه سخف ضار بصاحبه وبسواه ، فقد نهى القرآن الكريم عن الاستقصاء الذى يؤدى الى التحريم ، لما فى التحريم

من اعنات وتضييق ، ونهى عن السؤال الذى يتعرض به السائل لما ليس فيه مجال للراى ، لان هذا يؤدى الى مزيد من التكليف ، قال تعالى : « **لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسالوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم**»

ويؤيد هذا انه روى فى سبب نزول الاية الكريمة ان بعضهم سالوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الحج : اهو فى كل عام؟ فقال : لو قلت نعم لوجبت، ذرونى ماتركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم .

***

وذكر سبحانه وتعالى قصة بنى اسرائيل والبقرة التى امرهم بذبحها ، وكان مقتضى الامر المطلق ان يسارعوا الى ذبح اية بقرة ، ولكنهم جعلوا يسالون عن أوصافها وعن لونها ، ويشققون من السؤال سؤالا ، بدعوى ان البقر تشابه عليهم ، ثم ذبحوها بعد لاى ، وما كادوا يفعلون .

والعظة التى نستنبطها من قصتهم ان الاستقصاء فى السؤال اضرهم ، لانهم لما شددوا شدد الله عليهم ، وصارت البقرة المطلوبة ذات صفات نادرة ، بعد ان كانت فى اول الامر سهلة ميسرة فلو سارعوا الى الطاعة فذبحوا بقرة ما لأجزأتهم .

والحديث الشريف يجرى فى هذا الاتجاه نفسه ، قال صلى الله عليه وسلم : ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سال عن شىء لم يحرم على الناس فحرم عليهم من أجل مسألته .

وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها .

وقد خرج رجلان فى سفر ، وليس **معهما ماء ، فلما حضرت الصلاة تيمما وصليا ، ثم سارا فوجدا الماء فى الطريق ، والوقت حاضر ، فتوضا احدهما واعاد الصلاة ، ولم يعد الآخر ، ولما ذكرا ذلك لرسول الله قال للذى لم يعد: اصبت السنة ، واجزاتك صلاتك ، وقال للذى توضا واعاد : لك الاجر مرتين .**

لهذا انب الخليفة عمر بن عبدالعزيز احد عماله ، لانه كان يبالغ فى سؤال الخليفة ويستقصى .

قال له عمر : اذا امرتك ان تعطى فلانا شاة سالتنى : اضان ام ماعز ؟

فاذا بينت لك سالتنى : اذكر ام انثى ؟

فاذا أخبرتك قلت لى : اسوداء أم بيضاء ؟

لم أمره بالا يراجعه اذا طلب شيئا منه

وكثيرا ماجرى السلف الصالح على آداب الاسلام . كتب اسماعيل بن على الى الاعمش يساله عن شيئين : أولهما مباح هو مناقب الامام على بن ابى طالب والآخر غير مباح وهو معايب عثمان ابن عفان ، فبماذا رد عليه الأعمش ...؟

كتب له يقول : لو أن عليا لقى الله عز وجل بحسنات اهل الدنيا جميعا لم يزد ذلك فى حسناته .

ولو أن عثمان بن عفان لقى الله سبحانه وتعالى بسيئات اهل الارض لم ينقص ذلك من سيئاته .

وكان الامام مالك يبغض الاسئلة الافتراضية ، فاذا ساله احد عما لم يقع قال له : سل عما يكون ، ودع ما لا يكون . لانه كان يرى ان كثرة الفروض مفسدة .

وكان رحمه الله كلفا بملابسه وبطعامه وباثاث بيته . فلما عاتبه بعض الناس فى هذا قال لهم : ان البيت نسب الانسان ، ولست احب لامرىء انعم الله عليه الا يرى اثر نعمته عليه ، وبخاصة اهل العلم .

وكان يعتقد ان الطعام الجيد يساعد على نشاط الذهن والنفس ، وان جمال الثوب يضفى على صاحبه رضا وراحة وثقة بالنفس ومهابة .

اما بعد ..

فهذه قطرات من بحر زاخر لا ينضب او زهرات من بستان زاهر لا يذبل .. ●

ليفتح الإسلام أبوابه لكل علم جديد وكل حضارة جديدة نافعة

• د. محمد سعاد جلال •

هذه مسالة دقيقة المعنى ، مترامية الاطراف ، كثر الخوض فيها من اهل العلم على مدى العصر ، مع شدة الحاجة الى علمها ، وكثرة الفائدة فى شرحها ، فنقول فى بيانها ان شاء الله ما يكشف عنها الغطاء . والله الموفق

يتفصل القول فى هذه المسالة على احتمالين :

احدهما : ان يكون الاسلام باعتباره فكرا يحتاج الى تجديد .

وثانيهما : ان يكون الاسلام باعتباره دينا يتقبل الفكر المتطور ، والحضارة الجديدة .

وسيدور كلامنا حول بيان هذين الاحتمالين ، ولكن بعد ان نقدم بذكر ما هو « الاسلام » الذى يدور كلامنا عنه .

الاسلام الذى نعنى الحديث عنه فى هذا المقام هو مجموع الاحكام الاعتقادية، والشرائع العملية المفرغة من نص القرآن الكريم وما انبنى عليه من السنة ، والاجماع والقياس .

ذلك ان اصل مدارك الاحكام انما هو القرآن وحده: لان السنة بيان القرآن والاجماع لا ينعقد الا مؤسسا على نص من القرآن ، او السنة ، او مصلحة ترد اليهما ، والقياس مبنى على وجود علة الحكم الثابت بالنص، فى شىء آخر عار عن نص يبين حكمه ، ليتعدى الحكم من هذا الاصل المنصوص الى الشىء الذى لا نص فيه على حكم ، فيكون الشىء الثانى وهو الفرع داخلا تحت عموم النص بواسطة العلة المشتركة بينهما ، ويعتبر النص عاما عموما معنويا بهذا الاعتبار .

وبهذا النظر يكون القرآن وحده مدرك الشرع . لان مدارك الشرع الاخرى راجعة اليه ، غير مستقلة بنفسها ، ويكون الطريق الى معرفة مواطن الوفاق والخلاف بين الاسلام ، وبين شئون الحياة، والاحداث الجارية فى الزمن ، انما هو طريق معرفة مواطن الوفاق والخلاف الواقعة بين دلالات القرآن وبين هذه الشئون والاحداث الزمنية .

(الشق الاول من الاحتمال الاول ـ عقيدة الاسلام)

اصل عقيدة الاسلام : وحدانية الذات : **« وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ، انما هو اله واحد » .**

قد عاش المسلمون الأولون بقوة عقيدة التوحيد في المستوى الأرفع من العزة والقوة واستقلال الشخصية والإيمان بالعلم والعمل واقتحام المصاعب والأحداث بما عرف التاريخ عنهم من التفوق الساطع في مثل هذه المثل كلها وكانوا بها في وقتها خير أمة أخرجت للناس !..

ووحدانية العبادة : « **فاعبد الله مخلصا له الدين** » .

ووحدانية الخلق والأمر : « **الا له الخلق والامر** » .

ومن المؤكد ان المسلمين جميعا لم يشركوا فى ذات الله احدا ، لكنهم فيما يتعلق بواحدنية العبادة ، ووحدانية الخلق والامر ، قد اصابهم فى سلوكهم كثير من الجهالة والانحراف : ذلك ان العبادة هى افراد الله بكل الحب ،وكل الخوف وكل الطاعة ــ كما يشير الى ذلك « ابن كثير » وانما تتجسد هذه المعانى فى صور العادات الحسية والشعائر الدينية المرئية التى رسمها الشارع بمقادير مخصوصة فى اوقات مخصوصة ، وجعل فعلها آية على تفريده بكل الحب وكل الخوف، وكل الطاعة عقيدة وسلوكا .

واما وحدانية الخلق والامر فمعناها: نفى الشريك لله فى مقدار ذرة من خلق الكون اومقدار ذرة من تدبير شىء فيه. وذلك قوله « الا له الخلق والامر » بتقديم « الجار والمجرور » الدال على قصر الحكم المسند على المسند اليه ــ كما يقرر اهل الصناعة وهى عقيدة تفرض على المكلف محض التوكل على الله ، والاستغناء بالنظر اليه عما سواه .. بما انه خالق المادة ، والاسباب ، والمسببات جميعا من غير اخلال بمعاناة الاسباب ، لما جرت به عادته سبحانه من انه يخلق الفعل عند مباشرة العبد للسبب ، فلذلك اوجب العمل على المكلف دائما ــ وفى الحديث الصحيح « قالوا افلا نتكل ؟ قال : لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

***

وقد عاش المسلمون الاولون بقوة عقيدة التوحيد هذه باقسامها الثلاثة فى المستوى الارفع من العزة والقوة ، واستقلال الشخصية ، والايمان بالعلم والعمل واقتحام المصاعب ، والاحداث بما عرف التاريخ عنهم من التفوق الساطع فى هذه المثل كلها ــ التى كانوا بها فى وقتهم خير امة اخرجت للناس. ثم انتكسوا باسباب تاريخية ــ لا موضع الآن لبسطها ــ فتخلوا من عقيدة التوحيد هذه ــ فى اهم عناصرها التى تعطى تقويما متميزا ، واصالة مثالية لروح الانسان المسلم ونمط سلوكه بين انسان العالم اجمع ــ الا وهى ــ وحدانية « العبادة » ووحدانية « الخلق والامر » فدخلوا بذلك فى نوعين من الوثنية :

وثنية ذات صبغة دينية ــ ردا على وحدانية العبادة ، وهى الاقبال على اصحاب الاضرحة ، والمشاهد واحلاسهم من الدجالين ، او المصابين بامراض عقلية ونفسية ، يستقضونهم الحاجات ويستشفون بهم من العاهات. ويستدفعون بهم النائبات ، ويهبونهم من انفسهم الحب والخوف والطاعة ان لم تكن لهم فلاحلاسهم بسببهم.

وثنية اخرى ــ وهى وثنية اجتماعية،

ربما لم تكن اقل شرا من الوثنية الدينية الاولى ، واعنى بذلك اكثر ما درج عليه الناس منذ اعصار كثيرة حتى اليوم من الاستذلال لأهل الجاه والسلطان، وركائز المال والمنافع المادية والاعتماد عليهم دون الله رب العالمين، واستعمال النفاق . والخضوع لهم فى التماس شهوات الدنيا . وقد جحدوا ماجاءهم من العلم ان الله هو المنفرد بالخلق والامر — سبحان الله عما يشركون .

نقول : فتجديد الاسلام من هذه الجهة هو العمل للقضاء على هذه الوثنيات المدمرة لعقيدة الانسان المسلم، وخلقه وشخصيته، برجع المسلمين الى الاعتصام بوحدانية «العبادة» ووحدانية « الخلق والامر » .

ولقد نهض رجال من العلماء فى عصور انحدار الفكر الاسلامى الى محاربة هذه الوثنيات البشعة كشيخ الاسلام ابن تيميه — رضى الله عنه — وتلميذه ابن القيم فى خلال القرن السابع والثامن . والشاطبى صاحب « الاعتصام » فى القرن التاسع . والامام الشوكانى فى القرن الثالث عشر ، وعلماء آخرون لا يزالون يظهرون فى كل عصر حتى اليوم يقاتلون هذه الوثنيات العارمة .

« الشق الثانى من الاحتمال الاول »

الشريعة :

المراد بالشريعة هنا ماورد بخطاب الشرع من الاحكام الجزئية المأخوذة من الادلة التفصيلية ، وهى مايعرف بالفقه الاسلامى ، وذلك غير ما ورد به خطاب الشرع من الاعتقادات التى اشرنا الى قسم منها .

ولقد ازدهر الفقه الاسلامى فى القرون الخمسة الاولى من الاسلام الازدهار الذى استغرق جميع مراتب الازدهار الممكنة بما اجتمع له من الغزارة والخصوبة والعمق والشمول واطلاق الاجتهاد وحرية النظر وسمو قدر الصناعة ، وباكبر حشد من العلماء العباقرة المجتهدين الذين جعلوا من ادامة الاشتغال به ليلهم ونهارهم صورة من العبادة . حتى اقاموا له صرحا شامخا يطاول السحاب ، واثرا راسخا يغوص الى اعماق الارض، ووضعوا فى ذلك المؤلفات الخالدة التى يسجد العقل ازاء ما تزخر به من الدقة الرائعة فى الفكر والاداء ، ومن العناية الى درجة الهوس — ان صح هذا التعبير — بالبرهنة العقلية والنقلية على كل صغيرة وكبيرة — مما اظن قدر اطلاعى — أنه لا يوجد له نظير عند جميع كتاب الدنيا . . .

وبعد انتهاء القرن الخامس الذى انتهى بوضع آخر كتاب عظيم فى اصول الفقه — وهو كتاب المستطيفى للغزالى الذى يتميز باستقلال الفكر والمنهج — بدا الفقه ينحدر بصورة ملموسة .

وكان اعظم اسباب انحداره فى الحقيقة انقطاع اولئك العمالقة الافذاذ الذين اسسوا الفقه من امثال ابى حنيفة، **ومالك ، والشافعى ، وابى ثور ، وسفيان الثورى ، والاوزاعى ، والليث** بن سعد ، واصحاب ابى حنيفة **الثلاث — ممن شادوا المذهب ، ووثقوا** عراه كابى يوسف ، « ومحمد » ،وزفر **— ثم لم يأت بعد هؤلاء الائمة فى مسار الفقه الاسلامى نظائر لهم، يسيرون على** دربهم وينشئون القواعد والاصول **الفقهية كلما دعا داعى التطور وتبدل الحاجات الى اصول جديدة ، وقواعد فقهية مستحدثة. لا اعنى احكاما فقهية مخرجة على اصول سابقة .**

والسبب الجوهرى الثانى هو اغلاق باب الاجتهاد وحرية النظر الفقهى . . ولقد ظهر القول باغلاق باب الاجتهاد فى منتصف القرن الرابع ، فكان العلة السابقة على المعلول المتأخر الذى لا يتصور انه ظهر الى الوجود فجاة .ولم يأخذ صفة النشوء والتدرج .

***

ومن المؤكد عندى ان محنة المعتزلة مع احمد بن حنبل فى مسالة خلق القرآن التى ادت الى قتل ودفن حرية

ازدهر الفقه الإسلامي في القرون الخمسة الأولى من الإسلام، الازدهار الذي استغرق جميع مراتب الازدهار الممكنة، بما اجتمع له من الغزارة والخصوبة والعمق، والشمول والاجتهاد، وحرية النظر وسمو قدر الصناعة، وبأكبر حشد من العلماء العباقرة المجتهدين!..

الراى عــــلى يد المتوكل، هي التي اسهمت اسهاما جذريا فى اغلاق باب «الاجتهاد» فلم يبق فى يد الناس بعد هذه المحنة المؤلمة الا النص والتقليد - كما يقول المسعودى - واختفى عمــل العقل تماما.

هذا، ويتمثل انحدار الفقه فى صورتين:

احداهما: انعدام الاجتهــاد ممــا ادى الى عجز الفقه عن مواجهة حاجات المسلمين المتطورة، فى الاعصـــــار المتعاقبة.

وثانيتهما: صــعوبة طريقة التاليف مما يقف حاجزا سميكا دون الاقبــال على قراءة كتب الفقه واستيعابها.

نقول: وتجديد الفقه اوالشريعة من هاتين الناحيتين: انما يكون اولا بفتح باب الاجتهاد، واباحة استقلال النظر الفقهى للباحثين.

وان واجب الامانة ليفرض علينا ان نتساءل فى هذا المقام: ان العلمـــاء المؤتمنين قد وضعوا للاجتهاد شروطــا كبيرة منطقية وصــحيحة، وصــعبة التحصيل، فمــن فى عصرنا الراهــن من تتحقق فيه هذه الشروط يا ترى؟

وثانيا: باصــلاح نظــام التأليف. والخطب فى هذه المسالة سهل، فقد خطا هذه الخطوة علماء فضلاء كالشيخ احمد ابراهيم. وشيخنا الشــيخ شلتوت -رضى الله عنه- وغيرهمــا ممن يؤلفون للعلم لا للتجارة.

الاحتمال الثانى:

موقف الاسلام من العلم والحضارة:

اما موقف الاسلام من العلم فيتشكل بشكلين:

احدهما: ان يكون القرآن مشتملا على نظريات العلوم الكونية.

وثانيهما: ان يكون القرآن **يتناقض** اولا مع احكام العلوم الكونية.

وقد اشرنا لك فى اول البحث الى ان القـــرآن عمود الاسلام، ومبنى جميع الاحكام، وان الوفاق اوالخلاف بين الاسلام وبين حقائق الوجـود، والاحداث الجارية فى الكون، انما هو وفاق او خلاف بين القرآن وبين هــذه الحقائق والاحداث.

فههنا موضع ذكر هذا النص، فانا لا نعتبر شيئا يمثل الاسلام على جهة الاصالة والاستقلال، الا القرآن الكريم. واما السنة فهى فى معناها، وما تفيده من احكام لا تخرج عن معانى القرآن ولا عما اشتمل عليه من الاحكام، ولا تزيد عليه الا زيادة الشرع على المشروع وهذا رأى طائفة من العلماء.. وان لم يكن رأى عامتهم وجمهورهم، ذكره الشافعى فى الرسالة واوفاه الشاطبى بيانا، وحبب الينا ترجيح الاخــذ به لاسباب ليس الآن موضع بسطها.

القرآن كتاب هداية ووعــظ وتذكير بالله، وعلم دينى يتعلق بتكاليف البشر

وتعليمهم ما يلزمهم من العقائد ، والشرائع اللازمة لسعادتهم ونجاتهم من الشقاوة والعذاب فى الدنيا والآخرة .. وكل مافيه من القصص والمعارف ، وذكر الجنة والنار . واحوالهما ، وانواع البشارة والنذارة فهو راجع الى هذه الغاية : هذه وظيفة القرآن التى اخبر بها عن نفسه فى آيات كثيرة صريحة ؛ لا تحتمل اللبس ولا شطط التأويل .

قال تعالى : « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد» وقال « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون » ، وقال: « الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ، ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا . ماكثين فيه ابدا » الى غير ذلك من الآيات التى تدور حول هذا المعنى : وهى جميعا تؤكد ان وظيفة القرآن الكلية ؛ انما هى الهداية الحق الى معرفة الله معرفة كاملة ، وصحيحة . والتزام الانقياد لشرائعه التى جاءت بها رسله ، والبشارة والنذارة فى سبيل ذلك : ليس للقرآن وظيفة كلية الا هذا .

فليس من وظيفته التغلغل فى اسرار العلوم الكونية « الفيزياء والكيمياء والطب والتشريح » وغيرها من اصناف هذه العلوم . ولم يقع فيه العناية بشيء منها .

قلت : والدليل على ذلك امور :

الاول : قوله تعالى : « **يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس ، والحج** » فسبب نزول الآية : ان الصحابة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يستوى ويستدير . ثم ينقص حتى يعود كما كان — فانزل الله هذه الآية :

● **وجه الاستدلال بالنص مع السبب المقتضى لنزوله هو :**

انه اعراض من القرآن عن الجواب الاصلى المتعلق بشرح مسألة فى علم « الفلك » ؛ لأن ذلك ليس من اختصاص القرآن ، اذ لو كان الكلام والفلك من اختصاصه أو مما يجوز له ان يعنى به ، لأجاب السائلين من حال الهلال المذكورة جوابا فلكيا وما يعجزه ذلك ..

لكنه أعرض عن الجواب الفلكى فى المسألة ، ولفتهم الى الجواب الداخل فى اختصاصه ، وهو الجواب الدينى الدال على وظيفة الأهلة الدينية « **قل هى مواقيت للناس والحج** »

الثانى : قال تعالى : « **وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم** » : أرسل الله الرسل الى اقوامهم ليبينوا لهم مضمون رسالاتهم بالمعهود لهم من لسانهم ولغتهم فى دلالة الالفاظ وتركيب الجمل وخصائص اساليب البيان ، فبهذا تقوم الحجة على المخاطبين بالرسالة ، فلا يقولوا جاءنا بما لم نعهد من اساليب الخطاب ، فلا تثريب علينا فى الصدود عما لا عهد لنا بمثله فى الافهام .

وعلى وزان ذلك المعانى التى كلف المخاطبون بتعقلها ، يجب أن تكون من المعهود لهم تعقلها فيما الفوا من حياتهم الثقافية ، ومعارفهم الميسرة لهم ، لا أن تكون من غوامض الفلسفة ، واسرار العلوم التى لم تستكشف الا بعد قرون من زمنهم . فان ذلك — لو كلفوا بتعقله — لكان تكليفا بما ليس وسعهم . وهو باطل .

***

ان الشريعة ، لم تجيء لخطاب الخواص من الناس ولا لمن تعلت منزلتهم فى الادراك عن منزلة الاوساط ، وانما جاءت لخطاب الجمهور الاعظم من كافة الخلق هؤلاء الذين يمثلون العدد الاكبر من المتساوين ، او المتقاربين

الحضارة صور من العمران المتقدم مبنية على أساس من المعرفة المتقدمة، فالجامعة، والمستشفى، والصحيفة والمتحف، والحديقة العامة والمصنع والبرلمان، والمحكمة المكتملة العناصر القضائية. كل هذه ونظائرها من صور العمران المتقدم موجودات حضارية يسبقها مادة من الفكر والثقافة!.

في قدراتهم في الفهم والتعقل والعمل، ولهذا لا تجيء الشريعة في طرق الافهام ومدارك التعقل لا بالأخص ولا بالأخس، وانما تجرى في ذلك على الحد الوسط مما يناسب الجمهور الأعظم والعدد الاغلب، كما قرر الاصوليون ـ فامتنع ان يشتمل القرآن على غوامض الفلسفة ودقائق العلوم الحاصلة في الأعصار المتأخرة مشحونة بكل محاولات البحث والتجربة عبر الأجيال ـ لأن ذلك من شأن الخواص، القلة، الندرة وهؤلاء بالذات لا يعنون في مقصد القرآن من خطابه، وان شملهم عموم الخطاب : اقصد انهم ليسوا مقياسا في وضع الخطاب .

والدليل الثالث : ثبت بالدليل القاطع ان نظريات العلم متغيرة وان احكام العلم متغيرة لا تثبت على حال فلو فسرنا القرآن بالنظريات العلمية ـ والفرض انها متغيرة ـ لزم من ذلك تغير احكام القرآن بتغير احكام العلم وتحميله خطأ العلم في عصر اذا استبان هذا الخطأ في عصر آخر، وهو امر يدخل الشك والشبهة على القرآن، وذلك غير جائز قطعا .

الدليل الرابع : وهو من نص كلام الشاطبي الامام، رضي الله عنه، الذى اصاب به كبد الحقيقة، وقد مس بكلامه المخالفين في هذه القضية ـ كبعض الناشئين في عصرنا ـ قال :

« ان كثيرا من الناس تجاوزوا في القرآن الحد، فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين او المتأخرين من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون واشباهها . وهذا اذا عرضناه على ما تقدم ـ يعنى من الادلة ـ لم يصح، الى هذا فان السلف الصالح من الصحابة والتابعين كانوا اعرف بالقرآن، وبعلومه، وما اودع فيه، ولم يبلغنا انه تكلم منهم في هذا المدعى سوى ما تقدم ـ وما ثبت فيه من احكام التكاليف، واحكام الآخرة، وما يلى ذلك، ولو كان لهم في ذلك خوض ونظر، لبلغنا منه ما يدل على اصل المسألة . الا ان ذلك لم يكن، فدل على انه غير موجود عندهم، وذلك دليل على ان القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا »

انتهى كلام الامام الشاطبي ـ ذكرناه بطوله للانتفاع به. وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

وبعد، فانا افضنا في هذه المسألة واطلنا فيها النفس لنرتب على تقريرها أصلا في غاية الاهمية .

اما هذا الاصل فهو ان القرآن وظيفته الدينية المحددة وله منهجه في التعبير عن اختصاصات هذه الوظيفة،

لقد تعاظمت قوة الإسلام وازدادت فاعليته في خدمة العالم ، والاحسان للبشر ، وازدهرت حياة الأمم التي استظلت برايته يوم فتح الإسلام أبوابه على أوسع جهاتها لاستقبال علوم الأمم وحضاراتها !..

وان للعلم وظيفته المحددة ، وله منهجه في التعبير عن اداء هذه الوظيفة ، فلا يجوز ان يعترض الدين طريق العلم ، كمـــا لا يجوز للعلم ان يعترض طريق الدين .

بل يسير كل منهما في طريقه المرسوم له .

فلا يذهبن ذاهب الى ان عزل القرآن نفسه عن الخوض في اعيان النظريات العلمية الكونية ، والعناية بتقريرها — يحرم القرآن من كمال هو اولى به ، بل الكمال الحقيقي للقرآن هو الا يفرض على العلم المتطور مع اختلاف الاعصار في مسالة من مسائله — بحسب تفسير المفسرين له — رأيا يعد قاطعا في نظر المسلمين ، فيقطع طريق البحث على الباحثين الذين تتجدد الفـائدة بدوام بحثهم . بل يترك طريق العلم المادى حرا منطلقا الى غاياته الخلاقة التى لا يعلم مدى انتهائها ولا مدى الفـوائد المتكاثرة المستمرة المجتناة منها .

***

والى جانب ذلك فقـــد كان القرآن أقوى من كل شيء ، دعوة الى التحقيـق بالعلم بصفة عامة مطلقة ، وذكر العلم في آيات القـــرآن عشرات ، وعشرات المرات ، كما كان أقوى من كل شيء ، دعوة الى التحقق بالعلم الكونى بصـفة خاصة فحفز الهمم ولفت الابصـــار والبصائر الى النظر في ملكوت السموات والارض وتأمل احوال الطبيعة ، ممـا اعتبر سبقا للدلالة على التجربة العلمية — كما نبه على ذلك « اقبـــال » — واكتشاف اسرارها واستخراج منافعها ((قل انظروا ماذا في السموات والأرض)) الى عشرات الآيات من هذا القبيل — مما يطول ذكره جدا ؛ ويكفى ان تفتح المصحف لتقرا في أى صفحة ، فسيطالعك من هذا الجنس شيء .

الشكل الثانى من موقف القرآن من العلم .

هل يتعارض القرآن مع العلم ام لا يتعارض .

قضـايا العلم اما ان تكون قطعية وأما ان تكون ظنية .

ومعنى قطعية القضية العامية ان يكون دليل ثبوتها قطعيا ؛ كما ان معنى كونها ظنية ان يكون دليل ثبوتها ظنيا .

والدليل القطعى « هو ما لا يحتمـل متعلقه النقيض بوجه » ، والدليـــل الظنى ما كان على خلاف ذلك .

والنص القرآنى — ايضـا — اما ان يكون قطعى الدلالة ، أو يكـــون ظنى الدلالة فمثال الاول قوله : « **للذكر مثل حظ الانثيين** » وقوله ((**فاجلدوهم ثمانين جلدة**)) فدلالة الفاظ مثـــل هـــذه

الإسلام هو مجموع الأحكام الإعتقادية، والشرائع العملية المفرغة من نص القرآن الكريم، وما انبنى عليه من السُّنة والإجماع والقياس. ذلك أن أصل مدارك الأحكام إنما هو القرآن وحده، لأن السُّنة بيان القرآن..

النصوص على معانيها لاتحتمل الا معنى واحدا على جهة القطع. وهــو معنى القطع

ومثال الثاني: قوله: « **فامسحوا برءوسكم** » فانه عند المجتهدين محمول على معان متعددة، وهو معنى الظن: فمنهم من حمله على افادة وجوب مسح كل الراس لان «الباء» الداخلة على لفظ « رءوسكم » « زائدة »، ومنهم من حمله على أفادة وجوب مسح ربع الراس – لان « الباء » عنده تدخل على الآلة، تقول قطعت « الزبد بالسكين » فالسكين آلة القطع، وفى الاية جعلت الراس آلة للمسح، فكان الواجب مسح مقدار اليد التى اعتبر الراس اداة مسحها، وقدر ذلك بربع الراس – ومنهم من قال غير ذلك وهو المطلوب لنا بهذا المثال المشتمل على تعدد الاقوال الخارج بذلك التعدد من حيز الدلالة القطعية الى الدلالة الظنية والأصل عدم تعارض القرآن مع العلم، لان خبر الله لا ينافى قدر الله، وانما يبدو التعارض بينهما ظاهرا لقصور علمنا.

فان تعارض حكم ظنى من العلم بنص ظنى من القرآن، فلا تعارض بينهما، لان الظنيات لا تتعارض، لانه ليس بينها قدر مشترك من اليقين يثبته احد الدليلين وينفيه الاخر.

وان كان احدهما قطعيا والاخر ظنيا غلب العمل بالدليل القطعى على العمل بالدليل الظنى ايهما كان، لاجماع اهل العلم على انه لا اعتبار لوجود الدليل الضعيف مع وجود الدليل الاقوى منه.

وانما يكون الاشكال اذا تعارض حكم قطعى من العلم بنص قطعى من القرآن. **فذهب « الرازى » الى الجزم بتاويل نص القرآن حينئذ – كما فى قوله تعالى: « حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة »** وتاويله: **ان ذلك** يكون بحسب راى العين – **لان العقل اصل**، والشرع فرع عنه، **فلو غلبنا** العمل بالشرع على العمل **بالعقل لعاد الفرع على اصله بالنقض – وذلك باطل، وانما يفهم ذلك مما قرره علماؤنا أن العقل يستقل باثبات وجود الله، ووحدانيته، واتصافه بالحياة والعلم. والارادة. والقدرة. وجواز ارسال الرسل عليه، ثم يعزل العقل نفسه، فلا يتوقف العقل على الشرع فى هذه الامور. لان الشرع متوقف عليه فيها – فلو توقف عليه العقل لزم من ذلك « الدور » والدور باطل.**

وتوضيحه ببساطة: لا يصح ان تقول علم ثبوت القرآن متوقف على وجود

القرآن وحده مدرك الشرع ، لأن مدارك الشرع الأخرى راجعة إليه ، غير مستقلة بنفسها ، ويكون الطريق إلى معرفة مواطن الوفاق والخلاف بين الإسلام وبين شئون الحياة ، والأحداث الجارية في الزمن - إنما هو طريق معرفة مواطن الوفاق والخلاف الواقعة بين دلالات القرآن ... وبين هذه الشئون والأحداث الزمنية ..

الله ، وعلم وجود الله متوقف على علم ثبوت القرآن ، لأن هذا دور باطل لا يؤدى الى صحة ثبوت القرآن ولا الى صحة وجود الله» وانما تكسرهذا الدور بأن نقول: علم ثبوت القرآن متوقفعلى علم وجود الله لكن علم وجود الله ثابت بالعقل وحده ، لا بالشرع ، فمن هذا يصح الشرع من حيث صحة اثباته على دليل العقل وحده .

موقف الاسلام من الحضارة المعاصرة:

الحضارة في تعريفنا ـ صور من العمران المتقدم مبنية على اساس متين من المعرفة المتقدمة. فالجامعة، والمستشفى والصحيفة ، والمتحف ، والحديقة العامة ، والمصنع والبرلمان ، والمحكمة المكتملة العناصر القضائية : كل هذه ونظائرها من صور العمران المتقدم . موجودات حضارية يسبقها مادة من الثقافة والفكر توحي لاصحابها بامكان **اوضاع من الحياة افضل تستدعي سعى الانسان لتحصيلها ـ بما يحفز اصحاب هذا الوعي الى صنع الموجودات الحضارية. فالثقافة والمزيد من الثقافة امر سابق على الحضارة، ولكنه لاينقطع بوجودها ، بل يزداد حجما وكيفا بوجودها .**

ان الحضارة مقابلة لـ « البداوة » فيتعين أن تكون اسبابها نقيضا لاسباب البداوة ، واذا كانت اسباب البداوةهي بغير شك انعدام الثقافة والعلم قبل اى سبب محتمل آخر ، فتعين أن يكون سبب الحضارة الثقافة والعلم .

ولقد اخطأ « نولبرايت » صاحب كتاب قصة الحضارة ، هذه الطريقة ، فعرف الحضارة بقوله : « الحضارة نظام يعين الانسان على زيادة الانتاج الثقافي » وهو تعريف مختل لسببين :

احدهما انه تعريف بالمجهول ، لانه بناه على زيادة الانتاج الثقافي ،والثقافة ماهي ؟ انها ليست الأمر المعلوم الذى تشرح به « الماهية »

وثانيهما : انه اوهم ان الثقافة هي ابتداء متأخرة عن وجود الحضارة لا سابقة عليها ، مع ان العكس هو الصحيح .

والتصريح بزيادة الانتاج لا يمنعطروء هذا الابهام ؛ لان كثرة المسبب المعلولة بسبب لاتنافي ان يكون السبب علة للكثرة والاصل معا ، وانما وقع افراد الكثرة بالتصريح للتنبيه على قوة السبب .

وقد يقال ـ ايضا ان التعريف غير « مانع » لان العبقرية ـ ايضا ـ تعين الانسان على زيادة الانتاج .

فتعريفنا للحضارة الآن اضبط وادق مما عرف به « فولبرايت » .

من المؤكد أن المسلمين جميعا لم يشركوا في ذات الله أحداً ، لكنهم فيما يتعلق بوحدانية العبادة ووحدانية الخلق والأمر ، قد أصابهم في سلوكهم كثير من الجهالة والإنحراف .

اساس الحضارة امران : كما قدمنافى التعريف ـ العلم المكسب صاحبه وعيا بوجود عمرانى ارقى واتم ، وهـــذا المعنى قد نبه عليه القرآن بمثل قــوله تعالى : ((وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه)) فان اعلام الله الخلق بتسخير مافى السموات ومافى الارض تحريض لهم على ان يسخروا هم مافيهما من اجزاء الطبيعة التسخير الخاص بهم المناسب لظروفهم الباعثة، وحاجاتهم المستدفعة وذلك يستدعى تحصيلهم للعلم الذى يدلهم على مسالك تحقيق هذا التسخير .

والامر الثانى : ايجاد صور العمران المتقدم : وهذا المعنى قد نبه على اعتباره حكم الله بكون الانسان خليفــة عنــه فى عمارة الكون . ولا شك ان لتحقيق هذه الخلافة من الانسان وجـــوها متعددة ، اظهرها انشاء الموجـــودات الحضارية التى مثلنا لها آنفا .

فقد تبين لكم الآن موقف الاسلام من العلم والحضارة جميعا .

وتجديد الاسلام من هذه الناحية انما يكون بفتح ابوابه على مصاريعها . لكل علم جديد . وكل حضارة جـــديدة نافعة .

ولقد تعاظمت قوة الاسلام وازدادت فاعليته فى خدمة العالم . والاحســان للبشر وازدهرت حيـــــاة الامم التى استظلت برايته يوم فتح الاسلام ابوابه على اوسع جهاتها لاستقبال علوم الامم وحضاراتها ـ من فارسية ـ واغريقية ـ ورومانية ـ وهندية وغـــيرها ـ حتى كان من امر المسلمين ما كان من المحنة ؛ والتمزق ، وخمود الجذوة .

فصلوا ما بين الاسلام ، واستقبال الحضارات المتفوقة وعادوا بينهما عداء اعمى واصم ، لا يبصر الواقع ولايسمع التدبير . . . وظهر فيهم من مشـــايخ السوء من يجنح لهذه العداوة غـــير المنطقية ، بمثل قوله تعالى ((يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون)) .

وربما كان الذين لا يعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ـ هم هؤلاء المشايخ انفســهم المسئولون بهذا اللون من الجهالة وقصر النظر عن تقلص الاســلام ، وهزيمة المسلمين من اعدائهم ، وتخلف من بقى يصارع منهم مسئولية تعد اكبر جرما من مسئولية غيرهم فى هذا الصدد .

اما بعـــد ، فلعلنـــا نكون قـــد بينا من هـــــذا الموضــــوع ما فيه بلاغ . والله الموفق .

مقام العقل فى مدرسة التجديد الدينى الحديث

● محمد عمارة ●

« الحكم للعقل والعلم .. والانسان من اكبر اسرار هذا الكون ، ولسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفى من أسرار الطبيعة ! »
جمال الدين الافغانى

« العقل هو جوهر انسانية الانسان ... وهو افضل القوى الانسانية على الحقيقة ... والله قد جعل قوة العقل للانسان محور صلاحه وفلاحه ، فبه افترق وتميز عن الحيوانات ... »
محمد عبده

● كانت فكرية العصور الوسطى التى بدأت بسيطرة العسكر المماليك على مقاليد الأمور فى عالمى العروبة والاسلام – كانت هذه الفكرية تنفر من العقل ، كمعيار للبحث والحكم والتفكير ، وتتنكر للعلوم العقلية ، وتقف عند العلوم « الادوات » ، دون علوم « المقاصد والغايات » ، وكان عداؤها للفلسفة تجسيدا لهذا الموقف من العقل والعقلانية ...

فالدولة العثمانية ، مؤسسات وشيوخا وسلاطين ، كانت تشجع الفكر المؤسس على الخرافة ، وتنفر من الفلسفة، وتعادى اداتها فى البحث، وهى العقل ... واذا كان المقام لايتسع لاستقصاء ادلة هذا الحكم – الذى لا نعتقد انه موضع خلاف بين اغلب الباحثين – فان بعض الامثلة تكفى فى هذا المجال ... فالامام الغزالى قد الف كتابه « تهافت الفلاسفة » الذى شن فيه اكبر هجوم على الفلسفة والفلاسفة ، وعلى قوانين السببية وقوانين الطبيعة .. الخ ...

ورد عليه أبو الوليد بن رشد بكتابه « تهافت التهافت » الذى انتصر فيه للفلسفة والعقل والعقلانية ... فلما جاء الكاتب التركى العظيم حاجى خليفة « ١٠١٧ – ١٠٦٧ هـ ١٦٠٩ – ١٦٥٧م » فصنف موسوعته « كشف الظنون » عن أسامى الكتب والفنون» وهى التى احصى فيها العلوم والفنون والكتب التى وضعت فيها – كانت وقفته أمام هذين الكتابين تجسيدا لمكان كل منهما فى المناخ العثمانى .. فهو قد أفرد حديثا « لتهافت الفلاسفة » استغرق مائة واثنين وثلاثين سطرا ، بينما لم يفرد « لتهافت التهافت » حديثا ، وانما عرض له فى التذييل والتعقيب على حديثه عن كتاب الغزالى ، ولم يزد هذا التعقيب على سته أسطر فقط لا غير !

الله يخاطب فى كتابه الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولاحد .. والوقوف عند حد فهم العبارة مضرٌ بنا ، منافٍ لما كتبه أسلافنا من جواهر المعقولات ، التى تركنا كتبها فراشًا للأتربة بينما انتفعت به أمم أخرى أصبحت الآن متفوقة الحضارة !

والازهر وقتذاك لم يكن يطيق مجرد سماع مصطلحات واسماء مثل : الفلسفة ، والمنطق ، والمعتزلة ، الخ .. ومن العبارات التى غدت حكما على السنة عدد من شيوخة : « من تمنطق ، فقد تزندق ! »

وعندما جاء جمال الدين الافغانى « ١٨٣٨ – ١٨٩٧ م » الى مصر ، وعقد بمنزله حلقة درس أملى فيها تعليقاته على كتاب « شرح الدوانى للعقائد العضدية » وافاض فى الحديث ، باحترام وعمق ، عن فلسفة الاسلام وفلاسفته ، كان يذكر الناس باشياء قد نسوها واعلام كادوا ان يجهلوهم ..

وكان محمد عبده « ١٨٤٩ – ١٩٠٥ م » – وهو لايزال طالبا بالازهر يومئذ – يخرج من بيت الافغانى الى الجامع الازهر ، فيجمع نبهاء الطلاب ، ويعيد عليهم ماسمعه فى بيت جمال الدين ، فلما علم الشيخ عليش « ١٨٠٢ – ١٨٨٢ م » ان اسم « المعتزلة » قد تردد فى جنبات الازهر حمل عصاه الشهيرة وذهب « ليكسر عظام محمد عبده » ، ولكن الله سلم ، فلقد استعد محمد عبده للصدام ، فتراجع الشيخ عملا بقول القدماء : القتل أنفى للقتل .. واعداد العدة يمنع الصدام ! ..

ذلك كان مناخ فكر الدولة العثمانية، وموقف مؤسساتها من العقل والفلسفة .. فماذا صنع تيار التجديد الحديث واليقظة الحديثة – الذى بدأ بالافغانى وتجسدت قيادته فيه وفى محمد عبده – ماذا صنع هذا التيار على هذه الجبهة – جبهة العقلانية ؟ ..

ان الافغانى ، راس هذا التيار ، قد قدم نفسه كفيلسوف ، ليس بما احيا من دروس الفلسفة ومباحثها فقط ، ولكن بسلوكه وتصنيفه لنفسه – فهو اذا كان شجاعا ولا يخشى اعداءه ، بل ولا يخشى الموت فى سبيل غاياته ، فان هذه الشجاعة اثر من آثار الفلسفة على ذاته ، وثمرة من ثمار نظرته للعالم كما ينظر الفيلسوف : « ايها الدرويش الفانى : مم تخشى ؟! .. اذهب وشأنك ولا تخف من السلطان ، ولا تخش الشيطان ؟! .. كن فيلسوفا ترى العالم العوبة ! ولا تكن صبيا هلوعا ؟! .. انه سيان عندى طال العمر او قصر .. فان همى ان ابلغ الغاية ، وحينئذ اقول : فزت ورب الكعبة ! » ..

وهو امام تلاميذه وبين مريديه صورة عصرية للفيلسوف الناضل ، لا الذى يعيش منعزلا فى خلوة او فوق سطح منزله يتأمل النجوم ! بل وللفيلسوف المتصوف ، الذى جمعت العقلانية فيه بين الفلسفة والتصوف العقلى .. فهو صورة جديدة على عصره لكل من الفيلسوف والصوفى ..

ومن تعريفاته الطريفة فى هذا المقام : « الفيلسوف ، ان لبس الخشن واطال المسبحة ولزم المسجد ، فهو صوفى . وان جلس فى قهوة « متاتيا » وشرب الشيشة ، فهو فيلسوف ! » قال ذلك وهو يشرب الشيشة فى قهوة

« متاتيا » بميدان العتبـــة الخضراء بالقاهرة !.

وعلى حــــين كان مـوقف الدولة العثمانية من ابن رشد وفلسفته ماقد علمنا ، فان هذا التيار قد احل ابن رشد مكانا عليا ، بل لقد كانت فلسفة ابن رشد ، وتوفيقه بين العقل والنقل، بتاويل النقل اذا تعارض ظاهره مــع براهين العقل ، وبمؤاخاته بين الحكمة ــ « الفلسفة » ــ وبين الشريعـة .. كانت هذه الفلسـفة ، مع التصـوف الفلسفى لابن عربى من ابرز المنطلقات التى انطلق منها هذا التيار التجديدى فى هذا الميدان .

ولقد دخلوا هذه الســاحة داعين الناس الى العودة للبديهيات « فلقـد بدأ الانسان بداية لا تميزه عن غيره من الحيوانات ! .. لكن نقطة الافتـراق كانت قوته العاقلة .. والله قد جعل قوة العقل للانسان محور صــلاحه وفلاحـه ... والعقـــل هو جــوهر انسانية الانسان .. وهو افضــل القوى الانســانية على الحقيقة ... » « والحكمة ــ « أى الفلسفة » ــ وآلتها العقل ــ هى مقننة القوانين ، وموضحة السبل ، وواضعة جميع النظـامات ، ومعينة جميع الحدود،وشارحة حدود الفضائل والرذائل ، وبالجملة ، فهى قوام الكمالات العقلية والخلقية .. فهى اشرف الصناعات ! » .

ونقيض العقل وعدوه هو الجمود ، والصراع بينهما ازلى ، لكن النصر للعقل فى هذا الصراع حتمى واكيـــــد .. والافغانى يصور هـذه المعركة ، التى كانت فى الحقيقة معركة تياره التجديدى فيقول : « لبث الانسان يقلب طــرفه فى الفضاء وطبقات الهواء ، يتجادل عقله مع النــور والعقبان المحلقة ، ويهــب لمجاراتها واللحاق بها ، ثم يقعـــده الجمود ويريه ذلك مســتحيلا فيرجع الى الوراء ، والعقل وهو معتقـل بذلك الجمود ، يحاول فك قيده ليسير الى الامام .. فاذا ظفر العقل فى هـــذا العراك والجدال ، وتغلب اقدامه على الاوهام ، واستطاع فك قيوده ، ومشى مطلق السراح ، لايلبث طويلا الا وتراه قد طار باسرع من العقبان ، وغاص فى البحار يسابق الحيتان ، وسخر البرق بلا سلك لحمل اخباره ، وتحادث عن بعد اشهر مع غيره كانه قاب قوسين او ادنى . وهل يبقى مستحيلا ايجاد مطية توصله للقمر ، او الاجرام الاخرى وما يدرينا بعد ذلك ما ياتيه الانسان فى مستقبل الزمان اذا هو ثابر على هــذا السعى لكشف السر بعد السر من مجموع اسرار الطبيعة ، التى ما وجــدت الا للانسان ، وما وجد الانسان الا لها !.. ان الانسان من اكبر اسرار هذا الكون، ولسوف يستجلى بعقله ماغمض وخفى من اسرار الطبيعة ، وســوف يصــل بالعلم وباطلاق سراح العقل الى تصديق تصوراته ، فيرى ما كان من التصورات مستحيلا قد صار ممكنا ، وما صوره جموده بانه خيال قد اصبح حقيقة !.»

على هذا النحو كانت الثقة بالعقـل وقدراته ، وكان التنبؤ ، قبل عصرنا . بما حقق فى عصرنا من انتصارات ،وكان القطع بانه سيحقق كل الانتصارات ،اذ لا سر فى الطبيعة والكون سيستعصى على الكشف بواسطة هذا العقل الانسانى !.

والافغانى ، الذى يقول « ان الحـكم للعقل والعلم » ، لا ينكر ان للعقـــل نظرات ، ولنظراته ثمرات هى فــوق ادراك العامة والجماهير ..

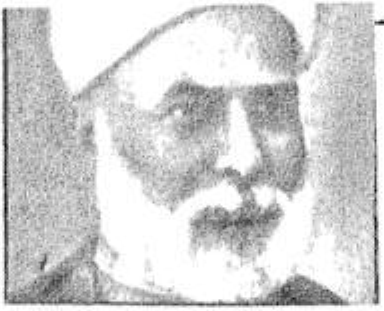
وهنا نتذكر منهج ابن رشد عنـدما قسم الناس الى مستويات ثلاثة :

العامة : وسبيلهم للمعرفة والايمان: الوعظ والخطابة ، والاسلوب الشعرى

واوساط الناس : وسبيلهم الجـدل وحجج المتكلمين ..



جمال الدين الافغانى



الامام محمد عبده

والخاصة : وسبيلهم صناعة الفلسفة وبراهين العقل ..

وانطلاقا من هذه النظرة يقــــول الافغانى : « ان العقل لا يوافق الجماهير وتعاليمه لا يفقهها الا نخبة من المتنورين والعلم ، على ما به من جمال لا يرضى الانسانية كل الارضاء ، وهى تتعطش الى مثل اعلى ، وتحب التحليــق فى الآفاق المظلمة السحيقة التى لا قبــل للفلاسفة والعقلاء برؤيتها او ارتيادها ؟!

❋❋❋

ومسرح العقل وميدانه ليس امور الدنيا وعلومها فقط ، بل وعلوم الدين ايضا ، والدين الاسلامى عــلى وجه الخصوص ، فالايمان ، يقين « ولا يقين مع التحرج من النظر ، وانما يــكون اليقين باطلاق النظر فى الاكوان ، طولها وعرضها ، حتى يصلَ الى الغاية التى يطلبها بدون تقييد . فالله يخاطب فى كتابه ، الفكر والعقلَ والعلم ، بدون قيد ولا حد .. والوقوف عند حـــد فهم العبارة مضر بنا ، ومناف لما كتبه اسلافنا من جواهر المعقــولات ، التى تركنا كتبها فراشا للاتربة واكلة للسوس بينما انتفعت به امم اخرى اصبحت الآن تنعت باسم النور ! ... »

وحتى « المعجز الخــارق » الذى تحدى به الاسلام خصومه ـ « وهــو القرآن وحده ـ قد دعا النـــاس الى النظر فيه بعقولهم .. فهو معجــزة عرضت على العقل ، وعرفته القــاضى فيها ، واطلقت له حق النظر فى انحائها ، ونشر ما انطوى فى اثنائها .. فالاسلام لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلى ، والفكر الانسانى الذى يجرى على نظامه الفطرى ، فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشى بصرك باطوار غير معتـادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهية .. »

ومن هذا المنطلق الفلســــفى ، المسترشد بالعقل ، ابرز هذا التيـار والتقليد ، حتى فى العمـل الدينى الصالح ، ليس من شأن المؤمنين « اذ المرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينــه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به .. فمن ربى على التسليم بغير عقل ، والعمل ، ولو صالحا ، بغير فقه فهو غير مؤمن ، لانه ليس القصد من الايمان ان يذلل الانسان للخير ، كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه ان يرتقى عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان فى دينــه ، فيعمل الخير لانه يفقه انه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر لانه يفهـــم سوء عاقبته ودرجة مضرته فى دينــه ودنياه ، ويكون فوق هذا ، عــلى بصيرة وعقل فى اعتقاده .. فالعاقل لا يقلد عاقلا مثله ، فاجدر به ان لا يقلد جاهلا هو دونه ! .. »

التجديدى العلاقة الضرورية بين الاسباب والمسببات .. وهى من الافكار المحورية فى معارضة فكرية التواكل التى لعبت دورها فى تخلفنا بالعصور الوسطى : فالعالم الجزائرى عبد الحميد بن باديس « ١٨٨٩ – ١٩٤٠ م » – وهو من أعلام ذلك التيار التجديدى – يرجع نجاح الامة فى عصر حضارتها الذهبى الى ايمانها بارتباط المسببات بالاسباب ، وهو الايمان الذى اثمر الاعتقاد بحرية الانسان واختياره ، وبأن للاشياء ، فى ذاتها وبطبيعتها ، نفعا او ضررا ، حسنا او قبحا ، بصرف النظر عن النصوص والنقل والمأثورات ..

وهذه القضية ، قضية ابراز ما للاشياء والعوامل والظواهر الطبيعية من خصائص وافعال وتاثيرات قد وجدت لها حيزا ملحوظا فى الفكر الفلسفى لهذا التيار التجديدى .. فالافغانى يبدى اعجابه بتلك العبارات التى صاغ فيها المفكر العربى ابو بكر بن بشرون « قبل اكثر من الف عام » افكاره العلمية عن اصل الحياة ، والتى يقول فيها : « ان الحركة هى الاصل فى توليد الحرارة ، وللحرارة خاصية نقل الاشياء وتحركها ، والكون ، بما فيه من رطوبة ويبس ، ليس لهما الا البرودة والحرارة ، فالبرودة تيبس الاشياء وتعقد رطوبتها ، والحرارة تظهر رطوبتها وتعقد يبسها ، والمرجع الكلى فى الاشياء : الحرارة المنبعثة من الحركة ، وهى اصل الحياة ، ومتى فقدت حرارة الكون تعطلت الحياة ، او فقدت ! » .

ولقد قاد هذا الموقف ، المؤمن بالعلاقة الضرورية بين السبب والمسبب ، بين العناصر الطبيعية وبعضها ، قاد الافغانى الى الايمان بنظرية النشوء والارتقاء ، بعد ان كان قد انتقدها فى صدر شبابه بكتابه « رسالة الرد على الدهريين » ، بل وبحث عن تراث العرب فيها ، فلما ساله سائل عن مراد ابى العلاء المعرى « ٣٦٣ – ٤٤٩ هـ ٩٧٣ – ١٠٥٧ م » بقوله :

والذى حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد

وهل مراد المعرى هو « ما عناه » « داروين بنظرية النشوء والارتقاء ؟ » . كان جواب الافغانى : « .. ان مقصد ابى العلاء ظاهر واضح ، ليس فيه خفاء ، فهو يقصد النشوء والارتقاء اخذا بما قاله علماء العرب قبله بهذا المذهب ، اذ قال ابو بكر بن بشرون فى رسالته « لابى السمح » ، عرضا ، فى بحث الكيمياء : « ان التراب يستحيل نباتا ، والنبات يستحيل حيوانا ، وان ارفع المواليد هو الانسان « الحيوان » ، وهو آخر الاستحالات الثلاثة وارفعها .. وان ارفع مواليد التراب « ومنه المعادن » : النبات ، وهى ادنى طبقات الحيوان .. سلسلة تنتهى عند الانسان .. الخ .

فاذا كان بناء مذهب النشوء والارتقاء على هذا الاساس ، فالسابق فيه علماء العرب ، وليس « داروين » ، مع الاعتراف بفضل الرجل وثباته وصبره على تتبعاته ، وخدمته للتاريخ الطبيعى من اكثر وجوهه ، وان خالفته وخالفت انصاره فى مسالة « نسمة الحياة » التى اوجدها الخالق سبحانه وتعالى ، لا على سبيل الارتقاء ..

ولم يجد هذا التيار التجديدى – مثلهم فى ذلك مثل ابن رشد – اى حرج فى تقرير علاقة السببية ، على الاعتقاد والايمان الدينى العميق بوجود الخالق الفاعل فى هذا الكون ، سبحانه وتعالى .. لانه سبحانه هو الذى خلق الكون وخلق القوانين والسنن التى لا سبيل الى

نقيض العقل وعدوه هو الجمود .. والصراع بينهما أزلى .. لكن النصر للعقل فى هذا الصراع حتمى وأكيد !

خرقها وتبديلها فعلى حين تحرج الغزالى من تقرير علاقة السببية حتى قال ان الثلج ليس هو السبب فى برودة الماء ، والنار ليست هى السبب فى احتراق القطن ، والسيف الذى جز العنق ليس هو السبب فى القتل ! .. لم يتحرج اعلام هذا التيار فى تقرير هذه العلاقة الضرورية ، باعتبارها سنن الكون وقوانينه وقوى المواد الطبيعية وخصائصها وفعل الظواهر المادية التى لا تتخلف عن الفعل الا اذا عاقها سبب وقانون جديد ..

ووجدنا الامام محمد عبده يتناول هذه القضية فى جلاء فيقول : « ان القول بنفى الرابطة بين الاسباب والمسببات جدير باهل دين ورد فى كتابه ان الايمان وحده كاف فى ان يكون للمؤمن ان يقول للجبل : تحول عن مكانك ، فيتحول الجبل ! .. يليق باهل دين تعد الصلاة وحدها ، اذا اخلص المصلى فيها ، كافية فى اقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصرى ! .. وليس هذا الدين هو دين الاسلام .. دين الاسلام هو الذى جاء فى كتابه : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » ـ « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » ـ « سنة الله فى الذين خلوا ولن تجد لسنة الله تبديلا »

وامثالها .. وليس من الممكن لمسلم ان يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب فى السببية والمسببية الا اذا كفر بدينه قبل ان يكفر بعقله ! ان لله فى الامم والاكوان سننا لا تتبدل .. وهى التى تسمى شرائع ، او نواميس او قوانين .. ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها ، هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل ، وعلى من يطلب السعادة فى المجتمع ان ينظر فى اصول هذا النظام حتى يرد اليه اعماله ، ويبنى عليها سيرته ، وما ياخذ به نفسه ، فان غفل عن ذلك غافل فلا ينتظر الا الشقاء ، وان ارتفع فى الصالحين نسبه ، او اتصل بالمقربين سببه . فمهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرر اتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجرى مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه ، ولا تنفر منه ! .. »

هكذا .. وعلى هذا النحو تالق العقل فى مدرسة التجديد الاسلامى الحديث ، وعادت له فى مباحث اعلام هذه المدرسة تلك المكانة العلية التى تبواها من قبل فى الاسلام ، كدين ، والاسلام ، كحضارة ، عندما استطاع العرب والمسلمون بسلطانه ان يصبحوا سادة الدنيا فى الماديات والمعنويات !

ولا نحسبهم بالغين ما يريدون ـ اليوم وغدا ـ الا بهذا السلطان ؟!

ليس كل جديد بدعة ضالة أو مضللة ..

قد يكون في الجديد عطاء الله للأمة

● د . محمد كمال جعفر ●

● **من اروع ما يطالع المتامل في الابعاد الفكرية للنظرة الاسلامية للوجود ، ميدان يعتبران في نظرنا الركيزة الاساسية ، والقناة الاصيلة التي يمر عبرها تيار التجديد والابداع وفي بساطة سافرة نشير الى هذين الميدانين الهامين بكلمتين قريبتين هما : الحركة ، والزمان ..**

ودون أن نقحم القارىء في بحث فلسفي موغل حول مفهوم هذين اللفظين عند الفلاسفة والحكماء ، فاننا نكتفي بأن نتنزه مع القارىء في رياض القرآن ، لنرى بأنفسنا كيف اهتم الاسلام بهذين الميدانين ، وكيف ابرز لكل فطن لبيب مبررات هذا الاهتمام ...

أما الحركة فقد جعلها القرآن الكريم طابع الوجود ، تسري في أوصاله وتشمل ارجاء الكون ، علوه وسفليه ، ظاهره وباطنه . فكل شيء يسبح بحمد الله في حركة تسخيرية تسير وفق قانون منظم ، يستغرق عرض تصورها مقالات ضافيات ، ولكننا سنقتطف بعض الملامح السريعة التي تكفل نقل ما نريد في هذا المقال .

وأول ما نلحظه في هذا الصدد هو أن الحركة في حد ذاتها على المستوى القريب المباشر ، تعد الأمارة الظاهرة الملموسة على **الحياة** ، كما يعتبر السكون والهمود والخمود والجمود أمارة واضحة على الموت والتلاشي .. وأن الحركة والحركية ترتبطان دائما بالفاعلية والتغيير والتبديل في المواضع والأبعاد من اجل غايات ونهايات محددة .

والآن وقد تأملنا ذلك ، **فلنستمع الى هذه الآيات الكريمة التي نعرضها في غير ترتيب سورها ، لتشهد في مواضعها المختلفة بما نود تأكيده من أن الحركة ـ ومعها الحياة ـ تسري في خلايا الوجود ، وأنها نفاذة الى مواطن ارجائه ظاهره وباطنه ، المحسوس منها والمعنوي ، الالهي منها والارضي .**

ومن أقرب دلائل الحركة المحسوسة الظاهرة ما تنطق به هذه الآيات :

« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » .

مما لا جدال فيه أن الانطباع السريع لهذه الآيات في ذهن المنصت لها هو انطباع بتأثير الحركة التي تعتبر العامل المشترك بين الظواهر التي تتحدث عنها

إننا لا نقدر الوقت حق قدره ، سواء كان ذلك فيما يتعلق بأوقاتنا نحن أو بأوقات الآخرين، مع أننا أمة شرح الإسلام لنا في عديد من المناسبات قيمة الوقت وخصوبته في الحياة الإنسانية

هذه الآيات ، وقد توج ذلك بقوله تعالى « ... **وكل فى فلك يسبحون** » .

ولعل هنا سرا فى العلاقة بين التسبيح والسباحة من حيث أصل الاشتقاق ، فهما على كل حال يشتملان على الحركة والانتقال .

لقد صور القرآن الكريم الانهار والبحار والفلك تجرى لا تكف عن الجريان ، وصور الحركة فى النبات وتفاعله مع الارض والماء ، ولم يكتف بهذا ، بل جعل الارض تشارك فى هذه الحركة بايجابية وفاعلية اذ يقول سبحانه : « **ومن آياته انك ترى الارض هامدة . فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج** » .

وصور النخل باسقات ، وصور الطير صافات ويقبضن ، ما يمسكهن الا الرحمن . وصور ظهور النبات ونموه « ثم يهيج فتراه مصفرا » . وصور الكائنات كلها بما يشمل الدواب والحشرات والآدميين والجن والملائكة فى حركة دائبة لا تفتر . وكان هدير تيار الحياة ــ وعنوانها الحركة ــ هذا التيار الذى هو فى منتهاه من اسرار الخالق جل شانه ــ كان هدير هذا التيار هو الطاقة التى تنظم بين الكائنات وتربطها ربطا وثيقا بواهب الحياة .

والحركة فى الوجود نوعان : حركة قسرية آلية رتيبة ، وحركة ارادية اختيارية هادفة ... وقد شاء الخالق ان تكون الحركة الاولى وهى القسرية الآلية الرتيبة هى حركة ماسوى الانسان . أما الانسان فكان وحده المميز بالحركة الارادية الاختيارية لانه للتكليف أعد ، ولحمل المسئولية أو الأمانة اختير . فانخراط الكائنات فى سلك القانون الالهى القاضى بالتسخير والتزام الكائن بالدور المراد به ومنه لا يعدوه الى غيره لانه ليس عنده البديل . والكائنات بهذا قد اراحت واستراحت فلا تملك الارض ان تبخل بما فى بطنها متى سلك الانسان اليه السبيل ، ولا تملك الشمس أن تعدو حدها او تهمل عملها .. ولا يملك سائر الحيوان أن يخرج عن النطاق الملتزم به بقاعدة التذليل والتسخير ، حتى الملك نفسه ــ على شرفه وطهارة اصله ــ لا يملك القدرة على الانحراف عن الجادة التى رسمت له ، فالملائكة « **لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون** » وكانهم أجهزة مضبوطة يصدر الضبط منها طبعا وليس تطبعا .

***

ومن هنا كانت كل حركة صادرة من هذه الكائنات لا تعبر عن ذاتية الكائن بقدر ما تعبر عن حكمة المكون .

أما الانسان فقد حمل الأمانة التى اشفقت منها السموات والأرض والجبال ، وكان له أن يختار بين البديلين ، وان يقرر ويؤدى الحركة التى تعبر عن ذاته ، وتفصح عن شخصيته ،

ومن هنا كان حراً ، وكان مسئولا. واذا كان الانسان مقدرا لمكانته ودوره فلابد ان يتحرك لكي يكون مواكبا لحركة الكائنات من حوله ولكن حركته ينبغي الا تكون نشازا بين نغم الوجود ، هذا النغم الذي يسوده الانسجام والاتساق والوحدة والتكامل .

وفي الحركة الانسانية نلتمس جانبين هامين ، أولهما جانب الاصول الثابتة التي تدور حول قيم عزيزة هي موضع حب الله ، وموضع تقدير كل ذي طبع سليم ، وثانيهما جانب الابداع والابتكار بما يضيف الى الحياة الجديد الدافع الى التطور والتقدم .

ولعل اسلافنا كانوا يعنون ذلك عندما حذرونا من ان النفس اذا تركت الى طبعها الحاد ، وشهواتها العارمة ، فانها تتحرك حيث لا ينبغي التحرك وتسكن حين لا يحسن السكون ... انها تتحرك عند النهي او موضع اللوم والمؤاخذة من اوجه النشاط المفسد او العقيم ، وهي تسكن ولا تؤدي دورا اذا واجهتها متطلبات القيم والمكارم .

***

من اجل ذلك وجب علينا ــ نحن ابناء هذا الجيل ، أن نزن حركاتنا وأن نهدف بها الى تحسين واقعنا الحسي والوجداني والعلمي ، وان نخلق الانسجام والاتساق في ذواتنا وحركاتها الظاهرة والباطنة . فاذا عنينا مثلا بأن يكون حولنا الجمال في شتى صوره الحسية والمعنوية ، فانه يجب ان نعني كذلك بأن يكون الجمال ذاته في داخلنا وفي أعماقنا ، فلا نطويها الا على النيات الطيبة والافكار البناءة والآمال الرشيدة التي تفسح باب الرجاء في وعي وبصر يقدر قيمة الكفاح من حيث تحقيق هذا الرجاء .

وقد بقي ان نتامل المبدا الثاني وهو الزمان ، ومرة اخرى لن نقتحم الميدان الفلسفي لنعرض التحليلات العميقة لمفهوم هذا المبدأ ، وانما سنقتنع بالاشارة الى المعنى القريب الذي يمس حياة كل مواطن ، بل حياة كل انسان على هذه الارض .

ومع ارتباط الزمان بالحركة من الناحية الفلسفية ومع علاقته بها من الناحية الواقعية العملية ، فاننا قد نخص الزمان هنا بالعناية ونستخدمه في هذا المقال لنعني به النظام التوقيتي الذي يرصد الثواني والدقائق والساعات والايام والسنين ، ونعتقد ان مشكلة المشاكل في واقعنا المعاصر هي مشكلة الزمن او الوقت .

لقد اهدرت قيمة الوقت والزمن لدينا بدرجة مؤسفة حتى بدا وكأن الزمن لا يدور ، وكأن الايام لا تمر ، او هي تمر ــ ولا جديد ، فأعمارنا كلها اعمار طولية رتيبة قد تكون كثيرة الكم ولكنها عديمة القيمة ، لقلة منجزاتنا كافراد بالنسبة لما اتيح لنا من وقت وزمن .

اننا لا نقدر الوقت حق قدره سواء كان ذلك فيما يتعلق بأوقاتنا نحن او بأوقات الآخرين ، مع اننا امة شرح الاسلام لنا في عديد من المناسبات قيمة الوقت وخصوبته في الحياة الانسانية حتى استلهم شاعرنا هذه الحكمة الاسلامية في قوله :

دقات قلب المرء قائلة له
ان الحياة دقائق وثوان

وكان هناك من الاسلاف من بين لنا كيفية اخصاب العمر واثراء الزمن بجليل الاعمال وروائع المنجزات العملية، والحضارية .

وكثيرا ما يعرض القرآن احوال هؤلاء الذين « **طال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** » وهؤلاء قد مر عليهم الزمن ولم يمر بهم ، فكانوا خارجه او على هامشه ، فلم يضعوا بصماتهم عليه ، ولم يحملوه طابعهم الذين يعتزون به .

وليس بغريب ان يصنف الناس ــ والمؤرخون منهم خاصة ــ الازمنة والعصور ، فيصفون عصرا معينا بانه العصر الذهبي ، ويسمون عصرا آخر بانه عصر التدهور والانحدار والانحلال، كما وضعوا ايدينا على نقاط التحول

في الزمن حيث تطوى امة ما صحيفة معينة لتنشر صفحة جديدة قد تحدد الميلاد الحقيقى لهذه الأمة .

***

ومن الطريف أن تجد بين قصص الاولين من أسلافنا الأماجد ما يوحى بمدى ادراك هؤلاء لنفاسة الوقت وخطورة الزمن واهمية الايام ، فقد روى عن أحدهم انه سئل عن عمره ــ وكان قد جاوز الخمسين ــ فأجاب بأن عمره خمس سنوات فقط ... ولما تعجب الحاضرون من اجابته شرحها لهم بقوله ان هذه السنوات الخمس وحدها هي الزمن الذى عشته على المستوى المطلوب منى كانسان ... انها الزمن الذى انتبهت فيه لقيمتى ودورى في الحياة ، ومكانتى من أمتى ،ومركزى بين الكائنات ، فقمت فيها بما أملاه الضمير الحي والهمة المشحوذة والقلب السليم والعقل المتفتح والسلوك الفاضل الذى يزيد في ساحة الجمال والخير ، ويحسر من ساحة القبح والشر ... انها عمرى الحقيقى الذى افخر ابانه بانني انسان ! » .

***

واذا كان المسلمون يودعون قرنا ــ هو القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية الشريفة ــ ويستقبلون قرنا جديدا هو القرن الخامس عشر ، فان عليهم أن يراجعوا أنفسهم ويحاسبوا ضمائرهم حيال هذين المبدأين : الحركة ، والزمان .

عليهم الا يكفوا من الحركة البناءة المتقدمة في شتى مجالات الثقافة والحضارة والعمران ، وعليهم أن تشمل الحركة كافة ملكاتهم ومواهبهم ومواردهم وامكاناتهم ، رابطين ذلك كله بتقدير الزمن والضن بالوقت وعدم اهداره وقتله دون فداء . على المسلمين ان تختفى من تعبيراتهم : قتل الفراغ ، او تسلية الوقت !

عليهم ان ينظموا عواطفهم وافكارهم وتخطيطهم واهدافهم في اطار من الزمن المحسوب والمقدر تقديرا دقيقا ،مدركين ان الزمن نفسه لا يتغير ، وانما يتغير محتواه من خلق واخلاق وعلى كل مسلم بصير الا يمل من تذكير نفسه بان هناك فرقا بين ما يجب ثباته ودوامه ، وما يجب تغييره وتجديده ، فهناك القيم الخالدة والمبادىء الثابتة التى تشبع كل انسان في كل زمان ومكان ، ولكن هناك الوقائع والحالات والصور والأمثلة القابلة للتطور والتغيير .

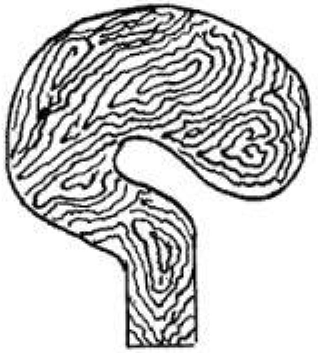
عليه الا يتزعزع مع الثوابت ، والا يجمد مع المتغيرات ... عليه أن يدرك أنه ليس كل جديد بدعة ضالة او مضلة ، بل قد يكون في الجديد عطاء الله للأمة في هذه الفترة او تلك . فليس له ان ينفر من كل تجديد ، بل عليه ان يزن الأمور بالقياس الجامع الشامل الذى يكفل للقيم ثباتها ، وللحالات والصور والامثلة الفرعية تجددها وتطورها .

***

اننا مطالبون الآن بأننقف موقف الحزم من مشكلة الزمن ومحنة الوقت ، فنقضى على كثير من الظواهر التى تبدد اوقاتنا هباء ، وعلينا أن نغرس في نفوس هذا الجيل احترام الوقت وتقديره ، كما علينا بالنسبة لاولادنا واسرنا أن نكون لهم القدوة والمثل على هذا الاحترام بما نعرضه عليهم من انماط سلوكنا ومواقفنا . ففى ظل هذين المبداين : الحركة والزمن يمكن لأمتنا أن تخطو بالحضارة والثقافة والعمران خطوة يحتاج اليها كل مسلم الآن ...

ونرجو أن نتبع هذا المقال بالخطة التقريبية التى يمكن أن نرسمها لكيفية تطبيق الانتفاع بهذين المبداين الجليلين في حياتنا المعاصرة ، وبالصورة ، وتزاء الانواع والمقاييس التى قدمت للزمن في **الاسلام لنرى بانفسنا اننا نملك الكثير الثمين ، ولكننا لم نفق بعد للافادة الكاملة من هذه الروح الاسلامية الأصيلة التى تفتح ارحب الآفاق للتجديد والابداع ، وايسر السبل للاقتداء والاتباع .** ●

العالم الإسلامي



هل يسترد قيادته للحضارة الإنسانية



● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

– ١ –

● ماضي العالم الاسلامي في الفكر العالمي وفي الحضارة الانسانية معروف لا يخفى على احد ، ولم يعد يستطيع ان يجحده انسان ..

فجامعات الشرق الاسلامي ومدارسه وعلماؤه ومفكروه وادباؤه وشعراؤه ، كل ذلك اصبح تراثا خالدا عزيزا جليلا في تاريخ التقدم والمدنية ، وفي تاريخ الانسان والانسانية ، وكان من الممكن ان يذهب التراث الاغريقي في الفلسفة والعلوم بددا ، لولا ان اعلماء المسلمين نقبوا عنه ، وحفظوا ذخائره ،وترجموا كنوزه الى اللغة العربية ، وأحاطوه بهالة من النور والاكبار ،وجاءت أوروبا بعدهم بقرون ، لتاخذ هـذا التراث عنهم ، ولتعـرف ما أسـداه أمثال سـقراط وافلاطون وأرسـطو وغيرهم للفكر من آثار خالـدة ، ثم أخـذت تبحث عن مؤلفاتهم في خزائن الكتب في العـالم الاسلامي وتنقلها الى مدنها ومتاحفهـا ودور كتبها . وحين كانت اوروبا تحارب العالم الاسلامي في الحروب الصليبيه أو في الغارات المنظمة التي كانت تشنها على بلاد المسلمين حول الثغور الاسلامية في سهول آسيا الصغرى ، أو في الجزر المنتشرة في خضـوض البحـر الأبيض المتوسط ، أو في المدن الاسـلامية في الشواطىء الشمالية الافريقيـة ، أو في جبال الاندلس وسهولها ، وكذلك حين كانت اوروبا ترسل السـفراء والتجار الى كل مكان في بلاد المسلمين ـ كانت تطيل التحديق والتفكير في هـذه النهضـة الباهـرة العجيبة التي تظلل العـالم الاسلامي ، وترنو الى أضواء الجامعـات الاسلامية باعجاب وانبهار شـديدين ، وتفكر في كل ما وصـل اليه العـالم الاسلامي من تقدم ونهضـة ورخاء ، ثم توازن بينه وبين ما هي فيه من تأخـر وانحطـاط وتخلف شـديد عن ركب الحياة .

وحين كان شارلمان ومن معه يحاولون

ان يعرفوا كيف يكتبون ويقرأون كان امثال سهل بن هارون والجاحظ وعلماء بيت الحكمة فى بغداد ، يملأون الدنيا ضجيجا بفكرهم وآرائهم ، ثم كان الخوارزمى والرازى والفارابى بعد ذلك بقليل يبحثون فى شئون الفكر والحياة وفى فلسفة ارسطو وافلاطون .

اليس ذلك كله وغيره مما لا يتسع المجال للحديث عنه من نهضة العلوم والفنون والآداب فى العالم الاسلامى منذ نهايات القرن الأول الهجرى الى فتح القسطنطينية والى سقوط الاندلس - دليلا ما بعده من دليل على تقدم المسلمين فى مجال الحضارة والمعرفة والفكر ؟

أما تاريخ المسلمين السياسى فى هذه الفترة ، بل وفيما بعدها حتى أوائل القرن التاسع عشر ، فمعروف وهو حافل بالانتصارات الباهرة التى لم يستطع شعب ولا مجموعة من الشعوب أن يحققوها فى مدى قليل كمثل هذا المدى الذى حقق فيه المسلمون معجزاتهم فى السياسة والحرب وفى النظم التشريعية والقضائية والادارية للدولة الاسلامية ، على الرغم من الأحداث الكبيرة ، التى نزلت بالعالم الاسلامى وبالشعوب المسلمة .

كل ذلك يعطينا الصورة الواضحة لروح العالم الاسلامى ، التى انبثقت من روح دينهم وشريعتهم وكتابهم العظيم .

ثم كانت النهضة الأوروبية ، وكان عصر الاستعمار ، عصر تخلف المسلمين ، وغزو بلادهم واستعمارها ، ومحاولة أوروبا تجريد الشعوب الاسلامية من كنوزهم وخيرات بلادهم ، وعملها الدائب على نقل المسلمين فكريا الى الايمان بالغرب وحضارته ، والى ترك تراثهم العظيم والى التمسك بكل ما هو وافد من بلاد (الأوروبيين) وتقديره ، ونبذ كل ما هو مستمد من روح الشرق العظيم .

وكان ما كان .. ومن أجل ذلك عاد **المسلمون يعملون من أجل استعادة** حريات بلادهم ، واستعادة نهضتها ، بأسلوب غربى ، وبولاء شديد للسادة المستعمرين سابقا .

- ٢ -

ويحاول العالم الاسلامى اليوم ان يعى دروس الماضى البعيد والقريب ، ولكن تيارات الحياة العالمية المعاصرة تدفعه هنا وهناك ، فيتصرف بغباء حينا ، وبنزق شديد حينا آخر ، وبدون تخطيط للمستقبل حينا ثالثا .. وفى أحيان يدركه الخور فيقف حائرا لا يدرى الى أى اتجاه يسير .

ان نكبة العالم الاسلامى اليوم تتمثل فيما يلى :

اولا : بعده عن روح الاسلام ، فليس الاسلام اموالا كثيرة تصرف فى أوروبا وغيرها ، وليس هو خزائن حديدية تملأ بالذهب ، وليس هو احتكارا لمقدرات الشعوب ، ولكنه عدالة اجتماعية شاملة وايمان بالقيم الانسانية الرفيعة ، وعدالة تامة فى كل جانب من جوانب الحياة .

نقرأ فى « **سورة الرحمن** » قوله تعالى : « **والسماء رفعها ووضع الميزان** » .. فنمتلىء ايمانا بعظمة النواميس الألهية المدبرة للكون ، والتى هى الميزان الحقيقى لبقاء العالم وحياته ، وضعه الله ليعيش هذا الكون الرحب فى نظام وتناسق وجمال ، وليبقى فى حياة متجددة ولذلك قال تعالى هنا : « **ووضع الميزان** »

ومن هنا دعا الله عز وجل الى أن يحافظ كل انسان على ظهر الأرض على هذا الميزان ، فقال تعالى : « الا تطغوا فى الميزان » ، أى ويدعوكم الله عز وجل الى أن لا تتجاوزوا الحد فى هذا الميزان الدقيق ، ولا تخرجوا عن حدود العدالة والنظام فى كل شىء ، وما دام العدل هو ناموس الكون يسيره بنظام دقيق ، فليكن هو ناموس الانسان فى الحياة يسير بهداه الى الأمن والأمان والسلام والنجاة .

العالم الإسلامي
هل يسترد قيادته للحضارة الإنسانية ؟

المسلم اليوم بعيد كل البعد عن روح الاسلام في أفكاره ومبادئه وقيمه وسلوكه ومعاملاته . وذلك هو الخطر الكبير عليه ، وعلى عالمنا الاسلامي كله . وسلوك المسلم الحقيقي لا يمكن أن يتمشى مع دعوات الفرقة والخلاف والشقاق التي تسود العالم العربي الذي هو جزء من الكيان الاسلامي الأكبر .

بل ان فرقة العالم الاسلامي اليوم تحول بينه وبين كل عمل ايجابي كريم وقوي ، وتحول دون القيام بكثير من الانجازات الحضارية الكبيرة ، فالشعوب الاسلامية لم تستطع اليوم ايجاد وحدة سياسية أو ثقافية أو اقتصادية بينها ، بل عجزت عن قيام سوق اقتصادية مشتركة بين دولها ، وكان من الممكن لو قامت هذه السوق تحقيق تكامل اقتصادي تام بين مجموعة الدول الاسلامية بعضها والبعض الآخر ..

والوحدة الثقافية ، بين شعوب المجموعة الاسلامية في العالم ، عسيرة لنهايه ، حتى اليوم ، ويمر الوقت سريعا دون امكان تلاقي المسلمين على نظام متكامل موحد في التعليم وفي مختلف الشئون الثقافية .

ولو وعى المسلمون المعاصرون روح الاسلام وعيا جادا ، لنالوا اليوم مكانهم المرموق في الحياة ، ولجمعتهم عقيدتهم على الاتحاد الكامل في كل جوانب المعيشة ، ولاحترمتهم الدنيا بأسرها ، ولصاروا أقوى وحدة سياسية في العالم .

ثانيا : بعد المسلمين عن روح العصر ، فهم حتى اليوم لم يستطيعوا توفير (تكنولوجيا) العصر ، ولم يدركوا المبادىء التي تسيطر على المجتمعات الدوليه التي تهيمن بقوتها على العالم وحضارته ، فلم يصلوا الى القوة المادية ولا الى القوة الروحية ، التي تسير شئون الحضارة العالمية .. واذا كانت أوروبا في القرن التاسع غارقة في الأوهام ، يستنكر الأساتذة في اوكسفورد الاستحمام ، ويحسبونه من ملذات العيش الشهوانية التي يجب الترفع عنها ، بينما كانت تعيش الأندلس الاسلامية من أجل اثراء المعرفة والحضارة الانسانية ، وتبلغ آدابها وفنونها وجامعاتها الذروة ، ويتردد الشباب المسلمون فيها على خزائن كتبها السبع عشرة ، ثم يعودون الى بيوتهم فيتنعمون بالاستحمام في حمامات بلغت الغاية من النظافة والأناقة ، فان الصورة اليوم أصبحت شبه مقلوبة ، نحن نعيش في ظلال التأخر والكسل ودعوى السيادة المزعومة ، وأوروبا تعمل ليل نهار ، لتزداد انتاجا ورخاء وثراء وقوة

اننا بعيدون حقا ، وسنظل بعيدين صدقا ، عن روح العصر والحياة ـ ما دام أسلوبنا هكذا لا يتغير أبدا .

ثالثا : توزع العالم الاسلامي بين مختلف الايديولوجيات وبعده عن ايديولوجيته الخاصة به ، والمميزة له . ولقد كانت أيديولوجية المسلم من قبل تدفعه الى الأصالة والمعاصرة معا ، الى الرجوع الى التراث ، والى كل جديد يهتدي اليه الباحثون بعقولهم ، والمؤمن الحقيقي لابد أن يتلقى اصول فكره من الاسلام ، وأن يجلس طويلا الى مائدة القرآن ، وأن يكون يقظا يعرف مدى الصلة الوثيقة بين الاسلام والعلم ، وبينه وبين شريعة التكافل الاجتماعي ، وبينه وبين نظريات الحرية والمساواة والاخاء كما يعرف صلة الاسلام بالمذهب الاقتصادي السليم ، وبتحرير الانسان واعزاز كرامته ، وباطلاق ارادته وكل قواه الانسانية الساعية نحو البناء والتجديد ، وبغير ذلك من أصول الحضارة والتقدم ، لأن هذه الصلة واضحة ومقررة ومعروفة .

ايديولوجية الشرق والغرب لا تغني المسلم شيئا عن نفسه ولا عن فكره ، ولا ينتمي الاسلام بحال من الأحوال الى مذاهب الشرق او الغرب .. ان التزام المسلم بكل قيم الاسلام الشريفة ، من

الشعور بالمسئولية ، والحرص على اداء الواجب ، والايمان بالعدالة الكاملة وبالتعاون التام بين جماعات المسلمين ، وبالمساواة بين جميع أفراد المجتمع في الحقوق والواجبات ، وبالحرية لكل الناس والطبقات وبتوفير العمل وجعله حقا لكل واحد ، وبكفالة الدولة لجميع مرافق الحياة وايصالها الى الناس ، وبمساعدة الدولة لكل محتاج بقدر ما يسد حاجته ، وبالعمل الجاد من اجل نشر الرخاء بين الناس ، وبمحاربة كل الوان الفساد الاجتماعى والرذائل الشيطانية ، وبالشورى ، وبالسلام الاجتماعى بين جميع طبقات الأمة ، وبالتكافل الاجتماعى ، وبالقضاء على الامتيازات الفردية والاجتماعية ـ هذا الالتزام الجاد بكل هذه المبادىء هو التزام بالفكر الاسلامى ، وباصول شريعة الاسلام ، وبايديولوجيته الانسانية الرفيعة .

ـ ٣ ـ

وعندما نريد أن نستعيد ثقتنا بانفسنا ، وبمقوماتنا الخاصه المتميزة ، وننطلق مرة اخرى ، لنعمل من اجل انفسنا ، ومن اجل الحياة ، ومن اجل الحضارة الانسانية ، علينا ان نعي ان منطقتنا هي بيئه الحضارات العالية على مر العصور ، ففيها قامت الحضارة المصرية والفارسية ، والسبئية والاشورية والبابلية والفينيقية ، ثم ورثتها حضارة الاسلام .

انها منطقة حية حافلة بمختلف الوان التطور ، الذى حققه التقاء الحضارات فيها ، وقد ازدهر الاسلام فى نفس هذه المنطقة التى نشات فيها أصول جميع الحضارات الكبرى .. ومن قبل قيام الحضارة فى ربوع منطقتنا هذه ، قامت فيها ثورة العصر الحجرى الحديث ، وشاهدت قيام اول حياة زراعية فى تاريخ الانسان ، كما شاهدت تاسيس المدن ، وحكم الأسر الملكية الأولى ، وتصنيف الادبيات ..

واذا كانت المواليد الحضارية فى المنطقة قد انقطعت ، فانها لم تفقد طاقتها الابداعية ، على مرور الأيام ، ولقد أسهمت فى ظلال الاسلام اسهاما فعالا فى اثراء الحضارة والحياة الانسانية . بل ان هذه المنطقة لم تفقد قيمتها الحضارية لقيام الحضارة الغربية فى بيئة جديدة بعيدة عنها ، فما زالت مؤهلة لمخاض جديد ينبعث من ورائه ميلاد أعظم مما يتصوره عقل لحضارة جديدة باهرة . ان منطقتنا لم ولن تخمد فيها روح الابداع أبدا ، لأنها منطقه التاريخ والفكر والمعرفة ، وهى المنطقه التى شهدت أعظم أحداث التاريخ الكبرى وجميع التحولات الفاصلة فى حياة العالم ، ولم تنطفىء جذوتها الحضارية فى يوم من الأيام .

وفى ظلال الايمان بقدرتنا على بعث حضارة اسلامية جديدة فى رقعتنا العربية ، أو فى رقعتنا **الاسلامية ، علينا ان** نحارب كل **ضعف فى صفوفنا وان نطهر** انفسنا من كل **وهن ، وان نعمل من** اجل قيام عصر **جديد يحفل** بكل ابداعات العقل ، **المؤمن بكل قيمة ذاتية ، وبكل فضيلة انسانية ، الزمنا بالايمان بها ديننا العظيم .**

على جامعاتنا مسئولية كبرى فى قيادة مواكب العلم والحضارة فى بلادنا على جامعاتنا الاسلامية بصفه خاصه عبء العمل من أجل السمو بافكار الشباب والجماهير والمجتمعات فى بلادنا لتعود الى نقائها وصفائها الروحى وطهارتها الاسلامية الخالصة ، وعليها كذلك عبء العمل من اجل نشر القيم الروحية والدعوة الى السلام والاخوة الانسانية فى عالم اليوم الملىء بالاحقاد والبغضاء .

ومن اجل ذلك أقول : هيا لنعود من جديد الى الايمان بالاسلام وبالحياة وبقدرتنا المستمرة على الابداع فيها لخير الانسانيه والانسان والحضارة .

مصطفى عبد الرازق

رائد الفلسفة الإسلامية في مصر

● د · عبد الحميد يونس ●

● ان انشاء الجامعة المصرية يعد معلما من أبرز المعالم فى تاريخنا الحديث وكان انشاؤها واستمرارها دليلا واضحا على التحول من مرحلة المحافظة الى مرحلة الحداثة او التجديد والأساتذة المصريون الأوائل فى الجامعة هم ، بلا جدال ، الرواد الذين أصلوا المناهج الحديثة فى الدراسات الانسانية والطبيعية وكل من يحاول تسجيل سيرة هذه الجامعة يدهشه ان يكتشف المحاولات الجادة التى انتهت الى توطيد أركانها وتحقيق غايتها فى مسايرة التغير فى الحياة والفكر والتعبير ، وهو تغير يحاول اللحاق بحركة التجديد متزايدة السرعة ·

ومن هنا نجد ان النظرة الموضوعية الى الاسلام والتجديد ، كانت ، ولا يزال لها ، التأثير القوى فى تخليص التقدم من العثرات · واساتذتنا المباشرون ،الذين اخذنا عليهم تلك المناهج ، هم الذين يشخصون المرحلة التى استكملوا فيها الاتجاه الى الأمام ، والسير الوئيد فى طريق العصر · والهدف هو المستقبل بالمفهوم الانسانى ، الذى يفيد من الماضى ويكابد الحاضر ويستعد للمستقبل ·

وأهم فضيلة يشترك فيها الأساتذة الرواد هى الجمع بين طلب العلم وبين نشره والاضافة اليه ·· وأتيح لى ، كما أتيح لغيرى أن تقوم العلاقة بينى وبين أساتذتى على المودة ، وأن أجد الصداقة الحميمة فى قاعة الدرس ، وفى دار الأستاذ ، وفى المجالس والندوات واللجان والجمعيات ···

وتبرز من جيل الأساتذة شخصية ، تعد وثيقة تاريخية حية فى حركة الاسلام والتجديد فى مصر الحديثة ، وهى شخصية الشيخ مصطفى عبد الرازق ··

والدرس المستخلص من أستاذنا مصطفى عبد الرازق وزملائه انه جمع بين القديم والجديد ، أو كما نقول نحن فى هذه الأيام : انه ممن جمعوا بين الأصالة والتجديد ·

وهو من أسرة أصيلة وعريقة ، وكان والده حسن عبد الرازق ممن شاركوا بصورة واضحة فى الحياة العامة ، فقد انتخب فى مجلس النواب الذى ألفه الخديو اسماعيل وكان هو الذى يتلو خطبة الخديو فى افتتاح جلسات ذلك المجلس · كما انتخب عضوا فى مجلس شورى القوانين عن مديرية المنيا · ونفى الى السودان لمواقفه الوطنية والاجتماعية ، واشترك فى تأليف حزب الأمة ،وكان صديقا حميما للشيخ محمد عبده ، واشترك معه أيضا فى انشاء الجمعية الخيرية الاسلامية التى كان لها أثر كبير فى المجالات الدينية والاجتماعية والانسانية ، وتعد أمارة بارزة من أمارات التطور والتجديد فى مصر ·

***

ومصطفى عبد الرازق الرائد العظيم لدراسة الفلسفة الاسلامية ، احتفظ بزيه التقليدى الأزهرى ، وعرف فى أسرته وفى الجامعة بلقب « الشيخ » ، وهو برهان ناطق على الأصالة ، التى لا يستطيع التطور أو التجديد ان يتغلب عليها ···

ويذكر كل من اتصل بهذا الأستاذ الكبير ما رواه عن سر احتفاظه بهذا الزى التقليدى ، فقد تشبث به وفاء لوصية والده بالا يخلع هـذا الزى المعبر عن الأصالة والمكانة الاجتماعية والاشتهار بالعلم ٠

وتعلم الشيخ مصطفى عبد الرازق فى الأزهر وفى فرنسا ، واستوعب عيون التراث العربي والاسلامي فى الفكر والأدب ، وتعلم اللغة الفرنسية ، وكان ممن أجادوها حديثا وقراءة وكتابة ٠٠٠ وما زلنا نتمثل صـوته العذب ، ونبرته الفرنسية ، ويأخذنا العجب من تشبثه بالأصالة ، التى قرنت شخصيته العصرية بمكانة الشيخ الأزهرى ٠

ولكي نتبين اتجاه أستاذ الفلسفة الاسلامية مصـطفي عبد الرازق ، فان من الضرورى أن نسجل دعوة الأستاذ الامام محمد عبده الى اتخاذ المنهج العلمي ، والى الدعوة الى نشر العلوم ، اذ قال فى رسالة التوحيد : « ان رسـالة النبى اشتملت على دعوة الناس الى العلم بأن الله عرض عليهم جميع ما بين أيديهم من الأكوان ، وسلطهم على فهمها ، والانتفاع بها ، بدون شرط ولا قيد ، الا الاعتدال والوقوف عند حدود الشريعة العادلة » ٠

وهو يقطع بأنه لا تعارض بين الدين والعلم لأن كلا منهما يعتمد على العقل ٠

وقبل أن تغلب الفلسفة على هذا الرائد ، بدأ بالنزوع الى التعبير ، وحاول أن يحقق شخصيته ــ مثل الكثيرين من المفكرين ــ بالشعر ٠ وكل الذين سجلوا سيرته يذكرون أنه اشتهر فى محيطه بنظم الشعر ، وأخذ يكتب الفصـول والمقالات فى جريدة المؤيد ، كما أنه نشر بعض منظوماته وبحـوثه فى مجلة الموسوعات التى قيل ان الذى كان يصدرها فى القاهرة هو محمد فريد رئيس الحزب الوطنى ٠ ولكنه انصرف عن نظم الشعر ، بعد أن رحل الى فرنسا ،وقال أخوه على عبد الرازق فى ذلك « لقد شغلنا هنا بالحقيقة عن الخيال » ٠

واعتقد ان الواجب يقتضى جميع الذين درسوا على هـذا الرائد العظيم ان يكشفوا عن جهوده الأدبية والفكرية فى مرحلة الشباب ، لأن ذلك يبرز الأمارات الكاملة لشخصية الأديب والمفكر والمصلح فى وقت واحد ٠

***

ولقد توثقت العلاقة بين الشيخ الامام محمد عبده وبين رائد الفلسـفة الاسلامية الشيخ مصطفي عبد الرازق حتى أن معظم المعنيين بهذه الفترة يذهبون الى أن تأثير الامام على تلميذه كان عظيما ٠

وحسبنا أن نذكر ما قاله الشيخ مصطفي عن دروس الشـيخ محمد عبده : « كنت طالبا من صغار الطلاب أيام جاء الشيخ محمد عبده الى الأزهـر ٠ وكان أساتذتنا عفى الله عنهم ، لا يفتأون يذمون لنا الشـيخ ، ويمثلونه خطرا على الدين داهما ، فتتأثر بذلك عقولنا الطفلة ، وكنت افر بدينى من أن القى الأستاذ أو أستمع الى دروسه ، مع انه كان صديق والدى ! وحضرت درسه مرة لأشهد كيف تشبه وجوه الملحدين وتشبه معها عقولهم وقلوبهم ٠ فلما رأيت الرجل بالرواق العباسى ، وسمعته يفسر كتاب الله ، قلت منذ ذلك الوقت : اللهم ان كان هذا الحادا فأنا أول الملحدين ٠

ان كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان أنى رافض » ٠

ومن الجلى انه كان يدل بهذه العبارة على اعجابه بأستاذه واقتناعه بمنهجه فى التفكير والاصلاح ٠

ومن السهل أن نجد قوة تأثير الامام فى تلميذه فى احتفاله بشـيخه ، حتى شغل بسيرته وآثاره وأفكاره فى الجانب الأكبر من نشاطه الفكرى ٠ واننا نجد محاضراته عن محمد عبده فى جامعة الشـعب عام ١٩١٩ ، قد جمعهـا أحد تلاميذه (١) ونشرها فى كتاب بعنـوان « محمد عبده » فى عام ١٩٤٥ ٠ ومما

(١) محمد عثمـان نجاتى ، كتاب« محمد عبده » سنة ١٩٤٥ ٠

يذكر أنه لما ترجم عباس محمود كتاب « الاسلام والتجـديد فى مصر » تأليف تشارلز آدمز ، رحب الشيخ مصطفى عبد الرازق بصنيعه وكتب مقدمة لترجمة هذا الكتاب ، الذى يتركز فيه الاهتمام بالدرجة الأولى على الشيخ الامام .

***

ويجمع هذا الرائد الأول لدراسة الفلسفة الاسلامية كل الخصـائص التى يتسم بها جيل النهضة المصرية ، فى الفكر والفن والاجتماع والسياسة . وهؤلاء الصفوة يمثلون كل المقومات ، التى يعود اليها الفضل فى تقدم الانسان العربى ولانقول المصرى فحسب – ومصطفى عبد الرازق يشخص هذه المقـومات كلها مع التخلص من التناقض الذى ظهر فى مرحلة أو شخصية ، فهو خلاصة تراث أصيل ، تمثل العناصر القومية والوطنية تمثل الغذاء فى وجدانه وفى فكره ، وأعانت فطرته السمحة على أن يمزج العناصر الاصيلة بكل صـالح ومفيد من الحضارة الغربية .

وتخصصه الذى فرضته الحياة عليه ، وهو ريادة الفلسفة الاسلامية، يعكس امتزاج التراث بالعصرية . ونحن نجد فيه كل ما اشتهر به احمد لطفى السيد من تعقيل الحياة والدعوة الى الديمقراطية ، وكل ما اشـتهر به قاسم امين فى مرحلته الثانية من دعوة الى تحـرير المراة ، فى اطار الاحترام ، الذى يكافىء الصالح من التقاليد والعلاقات . وكل دعاة التنور الذين لا نزال نجد فيهم صمام الأمان فى تيارات يصطدم فيها الشرق بالغرب ، والقديم بالحديث .

وثمة قاعدة عامة تنطبق على النوابغ والأعلام ، وهى انهم يبدأون بالنزوع الى التعبير الأدبى ، ويغلب عليهم الشعر فى الصبا ، ثم يتحولون عنه الى النثر أو الفلسفة أو العلم . ومصطفى عبد الرازق ظل يصدر عن الشـاعرية فى تعبيره وتفكيره جميعا ، ذلك لأنه كان قوى الاحساس بانسانيته . ولقد سـجل آحاد من تلاميذه فقرات من نظمـه ، ولكن كل من يراجع نثره وفكـره يتلقى نبض وجدانه فى رسائله ومقالاته ومحاضراته وكتبه ، بلا تناقض ظاهر أو خفى بين التأمل والتفكير ، والأسلوب الذاتى الذى لايتنافر مع نهجه فى التقييم .

والذين يعكفون على آثار مصـطفى عبد الرازق ، أو الذين تلقوا دروسـه ومحاضراته ، يتفقون على ان الصفة الغالبة عليه هى الصدق ... وهو متكامـل فى تحقيق الذات بالكلمة ، والاقتناع الكامل بالفكرة ، وقلما يستشعر من عرفه، أو قرأ له ، صراعا عند مواجهة الحياة والأحياء ، أو تناقضا لم يستطع أن يتخلص منه فى معالجته للقضايا الفلسفية . ولا نبالغ اذا استعرنا هذا الحكم على التكامل الواضح عنده فى التفكير والتعبير ..

لقد كان مصطفى عبد الرازق أديبا فى دراساته ومحاضراته ، وفيلسوفا فى ادبه ونقده للأدب . نجد ذلك فى محـاضراته المبكرة عن محمد عبـده ، وفى عرضه لبعض اعلام الشعر العربى .

ومن الانصاف أن نقرر ان استاذنا مصطفى عبـد الرازق لا يقـل تأثيرا او عطاء عن جيل الرواد من امثال طلعت حرب وأحمد لطفى السيد وطه حسـين وعلى مصطفى مشرفة . وهو يشبه بعض الجامعيين الأوائل فى انه لم يسـجل كل دروسه ومحاضراته ، كما انه شغل فى فترات بالسياسة والادارة ، ومن حق هذه الشخصية على تلاميذه أن يبادروا بجمع كل ما يستطاع جمعه من دروسـه ومحاضراته وأحاديثه ، والعمل على نشرها ، ليثبتوا مكانه الذى يسـتحقه مع الرواد الذين اسهموا فى تطوير المجتمع .

وفضيلة التكامل ، التى تحدثنا عنها فى ثقافته ومنهج حياته ، تدفعنا الى أن تذكر مزيتين عرفهما فى شخصيته زملاؤه وتلاميـذه جميعا ... المزية الأولى:

أنه كان متساميا في خلقه على العصبيات الطبقية والحزبية ... كان صديقا للجميع ، لا يعرف الحقد أو الضغينة ... كان يحب الناس ، كل الناس . ولم يكن يجد غضاضة في أن يكون اخا لمعاصريه من هذا الحزب او ذلك . وكانت له مشاركته الوجدانية ، التي تتجاوز البيئة والطبقة والحزب ، ودائما يصدر عن واجب انساني ، بلا تظاهر ولا ادعاء .

والمزية الثانية أنه كان يؤمن بالتواصل بين الأجيال ، فهو يعرف قدر شيوخه وأساتذته ، ويقبل على تلاميذه اقباله على أبنائه ، من الناحيتين المادية والمعنوية وأكثر تلاميذه يشهدون بأنه قام عن الهيئة الاجتماعية كلها بأعباء الأجيال المتتالية من الطلاب ، دون أن يعرفوا ، وكان يطلب الى أولى الأمر في الجامعة أن يظل ما فعله سرا ، وأن يتركوا الطلاب مقتنعين بأن الهيئة الاجتماعية هي التي أعفتهم من النفقات الدراسية .

ويعود الفضل في نجاحنا في ترجمة دائرة المعارف الاسلامية الى الأستاذ الوالد مصطفى عبد الرازق ، فقد شجعنا على هذه المبادرة ، على الرغم من العقبات العلمية والمادية ، وزودنا بارشاده في تصنيف مواد هذه الموسوعة على حروف المعجم العربي ، وهي في اصلها اعدت على ترتيب الحروف اللاتينية ، لكي يفيد منها الغربيون . وتعلمنا من هذا الدرس منهج المستشرقين في رسم الحروف العربية التي لا وجود لها في اللسان الأعجمي مثل الخاء والذال والعين .. الخ .

وعاوننا الرائد العظيم بتصحيح الاعلام ، ووجهنا الى وجوب الرجوع الى المصادر العربية الأصيلة عند الترجمة . وحفزنا الى متابعة العمل على تنوع الموضوعات ، وتباين بعض المناهج .

وأحسسنا منذ البداية بأن المستشرقين يصدر بعضهم عن آراء وأفكار ، يستطيع أن نقول عنها انها تتجاوز الموضوعية والانصاف . وخشينا في تلك المرحلة من مواجهة الآراء التي ينكرها الكثيرون من المتعلمين عندنا ، وتغلبنا آخر الأمر على تلك الصعوبة الكاداء باقتراح أستاذنا ورائدنا مصطفى عبد الرازق بأن نحافظ على آراء اولئك المستشرقين ، وأن نعلق عليها بأقلام كبار المتخصصين .

وهكذا جمعنا في صعيد واحد بين وجهات النظر المختلفة . واصبحت للنسخة العربية مزية لم تتوفر في النسخ الأوروبية . وكل من يؤرخ لجيلنا في مرحلة الشباب يستعيد الصراع المفاجىء بيننا وبين بعض أساتذتنا ، فلما صدر العدد الأول من هذه الموسوعة فوجئنا بمقالات ضافية تعارض الفكرة ، وتقلل من الجهد وتنقد الترجمة . وكادت تفتر عزائمنا . وزارنا مصطفى عبد الرازق في مقر اللجنة ودفعنا الى وجوب الاستمرار في القيام بهذا الواجب العلمي ، ولا يمكن أن ننسى قوله « ان العمل الصالح لا يخفت نوره مهما كانت السحب .. » .

وأثبتت التجربة أن الخطوة الأولى تحفز الى خطوات وخطوات ... وعاد اساتذتنا الى الرضا عن الجهد والتشجيع على الاستمرار ، وسجلوا ذلك في مقالاتهم ورسائلهم وأقوالهم . وتعاون الجميع على استكمال الناقص ، والرد على آراء بعض المستشرقين بتعليقات تستوعبها الموسوعة العربية .

كان مصطفى عبد الرازق همزة وصل حية بين الأجيال بنفسه ، وبالقدوة الحسنة ، التي حفزت علماء جيله على السير في الطريق نفسه ... ودفعنا الاحتفال بالاسلام والتجديد أن نراجع الكتاب الذى الفه المستشرق تشارلز آدمز ، والذى جعل عنوانه « الاسلام والتجديد في مصر » ، وان نواجه تشجيع الأستاذ الرائد مصطفى عبد الرازق للصديق المرحوم عباس محمود ، الذى ترجم هذا الكتاب الى العربية . ونحن جميعا نردد عبارة أستاذنا ونستشهد بها في ختام مقدمته لهذا الكتاب ، وهي « ... واذا لم يكن لنا من تلاميذنا أصدقاء فليس لنا في الدنيا من صديق ! » ..

الإسلام والتجديد

الحياة على أساس من المعرفة العقلية في الكون كله ...

● د . محمد أحمد خلف الله ●

هذه الحياة الدنيا في تجدد مستمر . ويرجع الفضل في استمرارية هذا التجدد الى تلك الحصيلة الضخمة من المعرفة الانسانية التي يكتسبها العقل البشري كل يوم تقريبا ، والتي تحرص المجتمعات البشرية على أن تمارس حياتها اليومية ، وحياتها العامة ، على أساس منها حتى لا تحصى في عداد المجتمعات الجامدة او المتخلفة حضاريا .

وهذه الحصيلة من المعرفة البشرية التي تجدد شباب هذه الحياة لاتاتي ابدا من خارج نطاق الدين ، ولا تتناقض ابدا مع المبادىء العامة للدين ، وانما تظل دائما وابدا مرتبطة بالدين برباط قوي متين — رباط لاينفك مع الايام وانما يزداد قوة وازدهارا بالايام ..

وتفسير هذا الذي نقول به ليس بالامر الشاق ولا العسير .

اننا ندرك جميعا ادراكا واعيا سليما أن هذه الحصيلة الضخمة من المعارف الانسانية المتمثلة في الدراسات الانسانية ، والعلوم المادية والطبيعية ، والحقائق التكنولوجية والالكترونية وما أشبه — ليست الا وليدة النظرة العقلية التي طوفت بالافاق ، وجابت كل نحى من أنحاء هذا الكون ، باحثة عن الحقيقة ، منقبة عن المجهول ، كاشفة لاسرار هذا الكون بمن فيه وما فيه من كائنات ، مدركة في النهاية نواميس هذا الكون ، وسنن هذه الحياة ، وكيف تمضي في دقة واتقان وانتظام .

هذه النظرة العقلية التي تفعل كل هذه الافاعيل ليست في حقيقة الامر الا نظرة دينية — أو على أقل تقدير نظرة اسلامية .

فالقرآن الكريم — وهو المصدر الاول للديانة الاسلامية ، يوجه العقل دائما الى النظر في الانسان ، وفي ملكوت الله ، وفي هذا الكون الفسيح بمن فيه وما فيه من كائنات . ينظر الانسان ببصره وبصيرته ، ويعمل هذه البصيرة في التعرف على كل ما في هذا الكون من كائنات — يحصيها عددا ، ويميز فيما بينها ، ويدرك ما لكل منها من خصائص وما تملك من قوى وقدرات ، ويسعى في استثمارها لكل مافيه من خير للبشرية ، فيدفع عن هذه البشرية الاضرار ، ويجلب لها المنافع .

***

وجه القرآن الكريم الانسان الى ذلك كله ، وطلب اليه أن يعمل عقله في ذلك كله ، لينتهي الى تلك الحصيلة الضخمة من المعرفة التي تجدد دائما وأبدا شباب هذه الحياة الدنيا حتى ليمكننا القول بأن مستقبل هذه الحياة الدنيا المتجددة في كل آن على أساس من العلم والمعرفة الانسانية ، سوف يكون خيرا من حاضرها ، ومن ماضيها .

والآيات القرآنية التي تؤكد هذه الحقائق كثيرة جدا ، ونكتفي منها بما يلي :

إن هذه الحصيلة الضخمة من المعارف الإنسانية المتمثلة في الدراسات الإنسانية والعلوم المادية والطبيعية والحقائق التكنولوجية والألكترونية وما أشبه، ليست إلا وليدة النظرة العقلية التي طوفت الآفاق وجابت كل أنحاء هذا الكون، باحثة عن الحقيقة، منقبة عن المجهول، كاشفة لأسرار هذا الكون بمن فيه وما فيه من كائنات

جاء في القرآن الكريم : « قل انظروا ماذا في السموات والارض ... »

وجاء : « اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض ... »

وجاء : «وفي انفسكم افلا تبصرون ..»

وجاء : « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج .. »

وجاء : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ... »

وجاء : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

« ومن آياته خلق السموات والارض، واختلاف السنتكم والوانكم .. ان في ذلك لآيات للعالمين .. »

وجاء : « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب، ومن كل الثمرات، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون »

« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر، والنجوم مسخرات بامره، ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ... »

وواضح من هذه الايات الغايات الكبرى التى يبتغيها القرآن الكريم من توجيه الانسان بعقله وفكره نحو كل هذه الاشياء التى وجهه اليها .

وتبرز هنا من بين هذه الغايات هاتان الغايتان الكبيرتان :

الاولى : ـ ان هذه النظرة العقلية وما تنتهى اليه من ادراك لنواميس الكون وسنن الحياة سوف تيسر على الانسان سبل استثمار هذه الموارد الطبيعية التى سخرها الله له افضل استثمار .

وليس منا مَن ينكر أن العلم والمعرفة البشرية قد مكنت الانسان من السيطرة على العديد من هذه الكائنات وهذه الموارد الطبيعية، وأنه يستثمرها، ويستخرج منها كل ماتملك من قوى وطاقات .

الثانية : ـ أن هذا الادراك الواعى لكل ما في هذا الكون من كائنات، وادراك العلاقة القائمة بين هذه الكائنات، وكيف تعمل كلها في دقة واتقان، هو الذى يوحى للعقل البشرى اولا، ثم يؤكد لديه ثانيا، أن هناك وراء هذه الكائنات قدرة خارقة هى التى خلقت فابدعت، وصنعت فاتقنت وأجرت نواميس الكون وسنن الحياة في دقة لايعتورها الخلل أو الاضطراب .

ان وراء ذلك كله : الله . العليم الحكيم . الخبير البصير . القوى العزيز . الذى قدر كل شيء تقديرا .

***

ولقد وضع مفكر دينى كل هذه الحقائق في عبارة موجزة ولكنها دالة .. فقال :

« ألا ان لله كتابين : احدهما مخلوق وهو الكون . والاخر منزل وهو القرآن، ولا يغنى احدهما عن الاخر »

ولم يرد هذا المفكر أبدا أن يفسر القرآن

تفسيرا علميا ، او ان يثبت الاعجاز العلمى للقرآن ، من حيث انه يعلم ان ذلك قد يولد الشك فى القرآن والبلبلة فى العقول حين يثبت للناس ان هذه الحقائق العلمية التى فسر القرآن على اساس منها ، او ثبتت المعجزة العلمية للقرآن على اساس منها ، قد بان خطؤها ، وانها ليست بالحقيقة او قد اصبحت هى الباطل .

لم يرد هذا المفكر شيئا من هذا ، وانما أراد شيئا آخر هو أن أى تقدم علمى ، وأى تجدد لشباب الحياة يقوم استنادا الى هذا التقدم العلمى ، انما هو من آثار تلك التوجيهات التى يقوم بها القرآن الكريم حين يوجه العقل البشرى نحو هذا الكون بمن فيه وما فيه من كائنات .

ثم ان هذا الذى يحصله العقل البشرى من معارف انسانية يعود بالخير على الفهم الدقيق العميق لآى القرآن الكريم .

هذا هو المعنى الذى قصد اليه حين نص على أن أحد الكتابين : القرآن الكريم والكون ، لايغنى أحدهما عن الاخر .

وليس يصح أن يقال ان الخطأ العلمى قد يحدث هنا كما يحدث هناك ، وأنه قد يعرض القرآن الكريم لمثل ذلك الخطر الذى عرضه له فى التفسير العلمى أو اثبات المعجزات العلمية للقرآن .

ليس يصح ، لأن التوجيه هنا انما يقصد منه الادراك الواعى السليم ، وأن العقل هنا مطالب بأن يصحح نفسه حين يقع فى الخطأ . أما هنا فاستنباط المعانى واستكشاف المعجزات العلمية انما يكون من القرآن ذاته . وهذا هو الذى يعرض القرآن الكريم للخطر حين يثبت خطأ الحقيقة العلمية المستنبطة من القرآن .

ويبدو أننا فى حاجة الى ضرب مثل نبين به حقيقة مايقوله هذا المفكر الدينى .

لنقرأ معا هذه الآية القرآنية : « وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون »

ان النظرة العقلية الدائمة ، المتجددة فى كل حين ، الى البحر بما فيه من كائنات هى التى وفرت لنا على مر العصور هذه الحصيلة من المعرفة البشرية المستنبطة من النظر فى البحر ذاته ، وفى اللحم الطرى وأنواعه ، وفى الحلى واحجارها الكريمة العديدة ، وفى الفلك المواخر .

وهذه الحصيلة التى توفرت للانسان على مر السنين قد مكنت الانسان من الانتفاع من البحر والفلك وما فى البحر من كائنات حية وميتة .

وهذه الحصيلة التى مكنت الانسان من الانتفاع بأنواع اللحوم الطرية ، وأنواع الاحجار الكريمة ، والتيارات المائية ، وأنواع السفن والبواخر المواخر ، قد عادت على الاية الكريمة بحصيلة من المعانى الجديدة التى لم يكن المسلمون يفهمونها من الاية الكريمة أيام الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ، وهلم جرا .

***

ان تسخير البحر وما فيه من كائنات للانسان قد دفع بالانسان الى أن يعرف عن البحر وعن الكائنات التى فيه كل شىء تقريبا ليبتغى من فضل الله مايمكن ابتغاؤه . ومن هنا استنبط علوم البحار ، وعرف كيف يستثمر العلم والتكنولوجيا فى الانتفاع بكل هذه الكائنات .

ثم ان هذا العلم وهذه المعرفة التى استنبطها الانسان من النظر والتفكر ، والتدبر فى امر ماسخر الله ، قد عادت هى الاخرى على الآية الكريمة بمعان لم تكن تخطر ببال القدامى من رجال الفكر الدينى من حيث التيارات البحرية ، والاحياء المائية ، والاحجار الكريمة ، والبواخر المختلفة العديدة .

وهنا نستطيع التأكيد على حقيقة هى التالية :

الدين الاسلامى هو الباعث للانسان على التفكير وعلى التجديد . وهو فى الوقت ذاته مستفيد من كل مايستطيع الانسان الحصول عليه من علم ومعرفة يستتبعهما التجديد .

***

والحصيلة الضخمة من المعرفة البشرية التى تتجدد بها هذه الحياة الدنيا ، وتتجدد بها أيضا معانى الآيات القرآنية الواردة فى شأن ما سخر الله للانسان من كائنات وموارد طبيعية ، لا يقف أثرها عند هذين الحدين من التجديد ، وانما

إن المعرفة البشرية الضخمة الناجمة عن النظرة العقلية في الكون بمن فيه وما فيه من كائنات، انما تجدد فقط فيما هو من شئون العقل البشري، ومما أذن الله للبشر في النظر فيه.. أما ما لا شأن للعقل به فيما هو من باب المعتقدات الدينية والعبادات، فلا ينالها التغيير والتبديل..!

يتجاوزهما الى ميدان ثالث هو : ميدان الاحكام الشرعيه .

ولقد قرر علماء أصول الفقه من قبل قاعدة أصولية يذهبون فيها الى ان الاحكام تتغير بتغير الازمان .

يذهبون الى ذلك في صراحة تامة عندما تكون هذه الاحكام من عمل المجتهدين ، وعلى أساس من الاصلين الفقهيين : الاجماع والقياس .

أما عندما يكون مصدر الحكم الشرعي النص فانهم يتوقفون ولا يقولون بالتغيير حتى ولو كان هذا التغيير قد تحقق ، واخذ المسلمون يمارسون حياتهم على أساس من البديل الجديد .

ان رجال الفكر الديني الاسلامي يقفون في مثل هذه الحالة في موقف لا هو : لا ... ولا هو : نعم ... انهم لا يرفضون الرفض البات ، ولا يوافقون الموافقة الصريحة .

ونحن هنا نقدم الشاهد على ان الحصيلة الضخمة من المعرفة البشرية تتقدم في بعض الاحيان الى الاحكام الشرعية فتجدد من معانيها وتغير من معالمها .

نقدم الشاهد والدليل من القرآن الكريم نفسه .

وقبل أن نقدم هذا الشاهد نشير الى حقيقة يجب أن يعرفها القارىء أولا ، وقبل كل شيء .

هذه الحقيقة هي أن الحكم حين يتغير ويتجدد بفعل هذه الحصيلة الضخمة من المعارف البشرية تبقى المبادىء الدينية التي كان الحكم الشرعي قائما عليها ، ثابتة مستقرة لا ينالها التغيير والتبديل .

والمبادىء الشرعية التي هي الاساس في كل حكم شرعي هي : الحق ، والعدل

والحق انما يستمد مقوماته من مراعاة الله للمصلحة البشرية ، ومراعاة الناس لمصلحة العقيدة الدينية .

والعدل انما يستمد مقوماته من الحق .. حتى ولو كان هذا الحق لمصلحة الاعداء .

يقول الله تعالى : « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى** »

***

وناخذ الان في ذكر الشاهد القرآني الذي نؤكد به صحة ما نذهب اليه من قول في أن الحصيلة الضخمة من المعرفة البشرية تؤثر آثارها في تجديد بعض الاحكام الشرعية ، وتغيير معالمها ، مع الابقاء على النص القرآني ذاته لتلاوته والتعبد به .

وهذا الشاهد هو بعض الايات القرآنية الواردة في شأن القتال وتوزيع غنائم القتال من سورة الانفال .

يقول الله تعالى في آية : « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » .

ويقول الله في آية اخرى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله ، وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم

التقى الجمعان » .
« والله على كل شيء قدير ... »
ومن المسلم به ان اعداد القوة لقتال الاعداء وارهابهم قد تجددت مقوماته ووسائله بفضل العلم والتكنولوجيا والالكترونات .

لقد كانت عدد القتال يوم نزول الآيات القرآنية هي : الخيل ، والسيوف ، والرماح ، والنبال ، وما أشبه . أما اليوم فقد تغير كل شيء بفضل العلم والتكنولوجيا والالكترونات .

وتكلف الدولة اليوم بالانفاق على الجند وعلى معدات القتال وادواته من حيث أن مصلحة المسلمين اليوم هي في الاعتماد على هذه المعدات والادوات القتالية التي جاءت بها المعرفة البشرية من علم وتكنولوجيا والكترونيات . ومن حيث ان مصلحة المسلمين هي في شراء الدولة لمعدات القتال وأدواته من حيث أنه لا طاقة للافراد في شراء طيارة أو دبابة أو غواصة أو بارجة حربية أو قنبلة ذرية أو هيدروجينية .

ولقد أصبح من المتعذر في الوقت ذاته ان توزع الغنائم وهي من عدد القتال الحديثة وأدواته على الجند المنتصرين .

لقد تغير كل شيء في النظام القتالي للمسلمين بفضل العلم والتكنولوجيا الحديثة . وتغير تبعا لذلك الحكم الشرعي الخاص بتوزيع الغنائم ، واصبحت الآيات القرآنية الخاصة بذلك بعيدة عن ان تمارس بها حياة المسلمين القتالية اليوم لان في ذلك الضرر كل الضرر .

وقبل المسلمون جميعهم ممارسة حياتهم القتالية على اساس من الجديد الذي جاءت به المعرفة العقلية من غير اعتراض على شيء من ذلك .

ان مصلحة المسلمين اليوم تكمن في ممارسة الحياة على أساس من هذا الجديد الذي جاءت به النظرة العقلية في الكون بمن فيه وما فيه من كائنات ـ وهذا هو الحق .

وان أخذ الدولة للغنائم ، وهي التي تنفق على كل صغيرة وكبيرة في ميدان القتال ، هو العدل .

لقد تجدد الحكم الشرعي ، وبقيت المبادىء الدينية التي يقوم عليها الحكم الشرعي ثابتة مستقرة لم ينلها أي شيء من التغيير والتبديل .

وقبل أن ننهي هذا المقال نشير الى حقيقة لابد من الاشارة اليها في هذا الموقف وهي :

ان المعرفة البشرية الضخمة الناجمة عن النظرة العقلية في الكون بمن فيه وما فيه من كائنات انما تجدد فقط فيما هو من شئون العقل البشري ، ومما أذن الله للبشر في النظر فيه .

أما ما لا شأن للعقل به فيما هو من باب المعتقدات الدينية ، والعبادات ، فلا يناله التغيير والتبديل .

ان المعتقدات الدينية لاتتغير ولاتتبدل من حيث أنها من الغيب المحجوب عن العقل ، والعقل البشري لايعمل الا حين يشاهد ويعمل ويجرب .

ان تلك من المعرفة الالهية التي تؤخذ عن القرآن .

والعبادات قد تغيرت في المسار التاريخي للبشرية . ولكن حق التغيير فيها لله وحده ، فهو الذي فرض على كل قوم عبادة بعينها جاء بها النبي الذي أرسل اليهم .

ان تلك أيضا من المعرفة الالهية التي تؤخذ عن القرآن ، مع بيان الرسول عليه الصلاة والسلام لها .

أما مسائل هذه الحياة الدنيا فهي التي تتأثر وتتجدد بفعل النظرة العقلية وما انتهت اليه من معارف بشرية .

وذلك هو الذي اذن به القرآن الكريم حين قال : « واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ... »

ومسائل الامن والخوف هي مسائل الحياة الدنيا .

أهذا أنت

• مبارك المغربى •

أهــــذا أنتَ يا زاهى ... وهــذا العطرُ ريّــاكا
وهــــذا النور نور الصبـ ... ـح أسفرَ ،أم محيـــاكا
رأيتك فى وشاح السّحـ ... ـرِ تخطرُ فى مـــزاياكا
وظلَّ مناىَ يا دنيـــا ... ىَ أن أحظى بلقيـــاكا
لقـد تيمتنى حبـــــاً ... وشاقتنى مـــسجاياكا
وذوب قلبىَ الملهـــو ... ف ما قالتـــه عيناكـا !

***

حديثكَ صيغَ مـــن در ... ومن أنشـــودةِ الفجرِ
عشقتكَ قبلَ أن ألقـــا ... كَ فى آياتِك الـــكُثْرِ
جمعتَ الحسن أشــــتاتا ... وحزتَ نفائسَ الفخـــر
أسيتُ على الذى قد ضـا ... ع قبلَ هواك من عمْــرى
فمثلكَ أنتَ من يُــوحى ... ومَن يسبى ومَن يغــرى
ومثلى من يصـوغ الحسـ ... ـنَ أنغـــاما من الشـعْرِ

***

أحبكَ حبَّ هـــذا الليـ ... ـلِ إجــلالا وإيـــمانا
وهــــل كالليـل من يروى ... حـديث الحب ألحـــانا ؟
جمالكَ آخـــــذ منـه ... فنونَ السحر ألوانـــا
أحبكَ فـــاترَ النظـــرا ... ت بالاشـــراق مُــزدانا
وأعشــق فيـكَ الســا ... نا نبيل الروح فتـــانا
أعــادَ لنـا عذابَ الوجـ ... ـدِ فتاكا كمـا كـــانا !

مبارك المغربى
الخرطوم ـــ السودان

فضل الحضارة الإسلامية على قيام النهضة الأوروبية

فى مجال الزراعة

● اعداد ورسوم :

ابراهيم الكردى ●

● اهتم العلماء المسلمون بعلم النبات اهتماما كبيرا ، ليس لذات النبات وانما باعتباره تابعا لعلوم الطب والصيدلة ، فأغلب الادوية والعقاقير الطبية المستعملة فى العلاج ، ان هى الا نباتات او خلاصات نباتية ...

ولذلك اخذوا فى دراسة كل نبات على حدة دراسة علمية مجردة ، لبيان اصله وساقه واوراقه وازهاره وثماره وبيئته التى ينمو فيها ، ان كانت ارضا طينية او رملية ، او كان ينمو على الماء .

ثم لبيان النباتات المفيدة والتى تصلح عقارا للعلاج من الامراض المختلفة . وكيف يعد كل عقار ، وكيفية تعاطيه ، ومقدار جرعته ـ وهو ما يسمى بالصيدلة ...

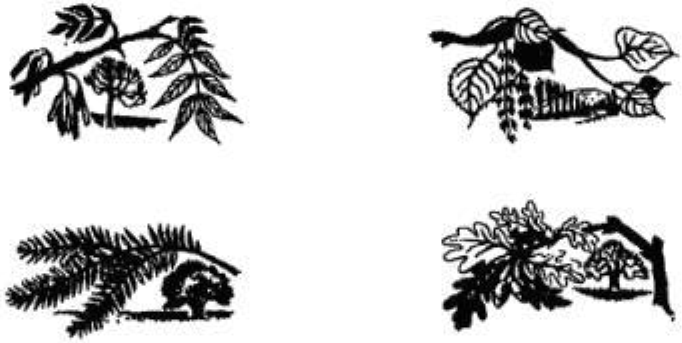
وكان العلماء المسلمون هم اول من انشأ الصيدلة بعد قدماء المصريين ، فقد انشأوا فى بغداد اول صيدلية منظمة تبيع للناس الادوية والعقاقير .. والفوا الكتب والرسائل فى الصيدلة والطب والتراكيب الدوائية ، ورتبوها بحيث يسهل استخدامها ، فقد رتبوها على حروف المعجم لتكون سهلة التناول .

وقد وصفوا كل دواء من حيث ماهيته وطبيعته وخواصه ومفعوله ، واخترعوا الأشربة والمستحلبات والعطور ، كما عرفوا « الترياق » وهو دواء يتركب من عشرات بل وربما من مئات الأدوية . كما حسنوا تركيب الزئبق .

اشهر الصيادلة المسلمين :

● (سابور بن سهل) : وهو اول من وضع نظام الادوية الذى لم يكن يعرفه اليونانيون .

● (ابن سينا) : وقد خص جزءا خاصا من كتابه (القانون) للمادة الطبية والصيدلة . وعن الأدوية اورد



والنباتات الطبية والصيدلة

وصفا تفصيليا للنباتات التى تتخذ منها الأدوية ، وكذلك لبعض الحيوانات والمعادن التى يستخلص منها العقاقير النافعة .

وفى الكتاب وصف للأجزاء النباتية التى تباع جاهزة عند العطارين من أخشاب وثمار وأزهار وقشور ، ثم يصف كيفية استخلاص الدواء منها وطريقة تعاطيه .. الخ ...

وقد قسم ابن سينا (الآلام) الى ١٥ نوعا ، وسجل لعلاجها ٧٦٠ دواء .

● **ابن البيطار** : جمع ابن البيطار فى كتابه « الجامع » ــ لمفردات الأدوية والأغذية ــ مجموعة من العلاجات المستخلصة من النباتات والحيوانات والمعادن .

وذكر ماهيات الأدوية وخواصها ومنافعها ومضارها واصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من جرعاتها او عصاراتها أو بدلاتهاعند عدم وجودها .

وقد سجل فى كتابه (المفردات) حوالى ١٤٠٠ عشبة ، وقد حوى هذا الكتاب ما جاء فى كتاب (الافلل) لديسقوريدوس وكذلك ماجاء فى المقالات الست لجالينوس . وايضا ذكر فيه كثيرا من الأدهان من دهن الورد ودهن النرجس ، ودهن القيصوم ودهن البابونج .

● **داود الانطاكى** : وله كتاب « تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب » وهو ما يسمى (تذكرة داود) وفيه وصف دقيق للنباتات الطبية وموطنها ومتى نقطعها وكيف نحفظها من الفساد .

وقد اخذ عن ديسقوريدوس فى (المفردات) وكذلك عن جالينوس ، وحنين بن اسحق ، وابن سيراعون ، وابن جلجل ، وخلف بن الزهراوى .. ويعتبر من اهم المراجع للأطباء .

ومن العلماء المسلمين الذين كتبوا فى الصيدلة ولهم كتب هامة فيها :

● **البيرونى** : وله كتاب (الصيدلة) .

● **ابن الهيثم** .

● **ثابت بن قرة** : الذى الف كتابا فى اجناس ما تنقسم اليه الادوية .

● **الرازى** : الذى حضر الكحول بتقطير المواد النشوية وكان يستعمله فى الادوية والصيدليات . وله كتاب فى الصيدلة ايضا .

● **الادريسى** : وصف فى كتابه انواع

النباتات المختلفة وطرق التداوى بهـا ويحوى مجموعة ضخمة من النبـاتات الطبية .

● **عبد الرحمن الداودى :** ذكـر فى كتابه (نزهة النفـوس والافكار فى معرفة النباتات والاحجار والاشجار) العقاقير النباتية والمعدنية واستعمالاتها الطبية .

وأورد بالكتاب ايضا تراكيب كثير من السموم والترياقات والأشربة والدهانات والحبوب مع ذكر طريقة تحضيرها .

● **القرطبي :** له كتاب فى الصيدلة اطلق عليه اسم (شرح أسماء العقار) يحتوى على ذكر للعقاقير النباتية وطرق تحضيرها وكذلك للعقاقير الحيـوانية والمعدنية .

وقد اخذ عن (ابن جلجل والغافقى وابن سمحون) وغيرهم .شـيخ علماء العرب فى علم النبات وهو :

الدينورى ...
المتوفى عام ٢٨٢ هـ ــ ٨٩٥ م

هو احمـد بن داود الدينورى ــ ابو حنيفة . نباتى ، مهندس ، مؤرخ من نوابغ الدهر . جمـع بين حكمة الفلاسفة وبيان العـرب . فهو فقيه ولغوى . ومؤرخ ، له شـهرة عالمية كبيرة كعالم للنبات ويعتبر بحق شـيخ علماء العرب فى النبات .

ولد بدينور قرب همـدان بايران الحالية .

ومن مؤلفاته :

● **الأخبار الطـوال :** (الذى تناول فيه بالتفصيل فتح العـراق على يد العرب) .

● **كتاب النبات :** (تنـاول فيـه النباتات المعـروفة مرتبة على حروف المعجم . وقد عنى بايراد ما قالته العرب من شعر ونثر فى وصف هـذا النبات وذاك ، كما اهتم بذكر صفة كل نبات واستعمالاته ومواطن نموه) .

● **تفسير القرآن** (من اجل كتبه ، وهو فى ثلاثة عشر مجلدا) .

● **ما تلحن فيه العامة** ● **الشـعر والشعراء** ● **البحث فى حساب الهند** ● **الجبر والمقابلة** ● **البلدان** ● **اصلاح المنطق** .

وقد توفى هذا العـالم الجليل عام ٢٨٢ هـ ــ ٨٩٥ م .

انتقال الصيدلة العربية الى اوروبا :

بعد ان تحقق لدى الأوروبيين ان العرب المسـلمين قد وضعوا أسس الصيدلة وانهم استنبطوا انواعا كثيرة من العقاقير ــ والدليـل على ذلك أن أسماءها عندهم تحمل الاسماء العربية حتى الان ــ بدأوا فى ترجمة كتب العلماء المسلمين فى الصـيدلة الى اللاتينية . ومن ابرز الامثلة على ذلك مؤلفـات (ليكرك) الذى جمع فيهـا الأدوية النباتية التى ذكرها العرب فى كتبهم وذكرها كلها بنصها واسمها العـربى وما يقابلها بنصها واسـمها اللاتينى . مما يظهر الاقتباس الواضـح من علماء المسلمين .

وتداخل الاوروبيون عن المسلمين نبات الزؤان ونبات الأفيـون والحشيش لاستعماله كمخدر للمرضى قبل العمليات الجراحية . واخذوا ايضـا كثيرا من المستحضرات الطبية كالاشربة واللعوق واللزقات والمراهم والدهانات والميـاه المقطرة .

فى مجال الزراعة

كذلك كان فضل المسلمين فى مجال الزراعة عظيما على أهل اوروبا ، فقـد برع المسلمون فى مجال الزراعة ، ولهم

بحوث مظيمة في ميدان الفلاحة والنباتات الطبية .
فقد الف كثير من العرب المسلمين كتبا فى فلاحة الأرض منهم :

● (ابن البصال) : وله تجارب زراعية خاصة جديرة بالاهتمام .

● (يحيى بن العوام) : وهو اندلسى وله كتاب فى الزراعة باسم (الفلاحة) .

● ابن الخير الاشبيلى :

● والحاج الغرناجى :

لهما كتب فى الفلاحة تحدثا فيها من فلاحة الأرض وكيفية العمل فى الزراعة والغراسة ، خاصة اشجار الفاكهة ، وتكلموا من غرس الأشجار من حيث أنواع الغراس وكيفية عمل الحفر لها وكذا مواعيدها .

الانظمة الزراعية التى ادخلها المسلمون الى اوروبا :

● **الطواحين الهوائية** : وهى لا تزال منتشرة فى بعض سهول اسبانيا وفى بعض بلاد أوروبا الغربية والوسطى وتستخدم لطحن الغلال ولرفع المياه .

● **المدرجات الزراعية** : وهو النظام الذى ادخله العرب ليتفق مع طبيعة البلاد الجبلية فى اسبانيا .

● شق القنوات والقنوات المغطاة .

● اقامة الجسور والقناطر .

● ادخال الحيوانات الزراعية : مثل البقر والأغنام والماعز والخيول والبغال .

● ادخال النباتات النادرة : مثل الأرز والتوت وقصب السكر والخوخ والمشمش والبرتقال والليمون والبرقوق والرمان والورد والياسمين والسوسن والريحان والحناء ، والباذنجان والسبانخ واللوبيا والحلفا والترمس والخروب والخرشوف .
وقد انتقلت النباتات الزراعية من البلاد الاسلامية الى اوروبا بالاتصال المباشر بين الفلاحين فى اسبانيا واخوانهم فى جنوب فرنسا ومنها الى اوروبا كلها .

● **البن « شراب القهوة » :**
والقهوة شراب عربى ، فالعرب هم أول من عرف القهوة فى التاريخ . فقد كان الصوفيون المسلمون فى القرن التاسع الهجرى يشربون القهوة لتعينهم على السهر والتهجد بالليل . وانتشرت فى شبه الجزيرة العربية ثم فى اليمن ثم الى القسطنطينية حيث احبها الأتراك ومنها الى فرنسا حيث انتشرت فى أوروبا كلها فى القرن السابع عشر ثم زرعها الهولنديون فى مستعمراتهم . وزرعها الفرنسيون فى جزيرة « سان دومنجو » ومنها انتشرت الى امريكا الجنوبية أشهر البلاد فى انتاج البن .
وتقدم بعض الأسماء الافرنجية للنباتات ، وواضح انها هى نفس الأسماء العربية . وهذا دليل لا ينكره احد على انتقالها من البلاد العربية الاسلامية الى اوروبا .

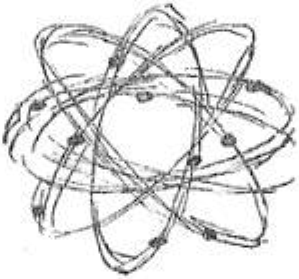
وهذه بعض الأسماء العربية ومايقابلها فى الانجليزية :

الأرز	Rice
القطن	Cotton
البرتقال أو اللارنج	Orange
الليمون	Lemon
السكر	Sugar
القهوة	Coffe

وهذه بعض الأسماء العربية ومايقابلها فى الأسبانية :

الحبقة	Al habca
السوسن	Azucenas
الريحان	Arrayan
الياسمين	Jasmines
الحسيناء	Al hucena
زعفران	Saffran
عطر	Attard

قصة خبر هز العالم



أوشكت الحرب الذرية أن تندلع !

في الشهر الماضي

● لواء مهندس سعد شعبان ●

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولي بباريس .. ورئيس لجنة الفضاء بنادي الطيران المصري

غارة نووية على امريكا :

خبر قصير نشرته الصحف منذ ايام : انه في ليلة العاشر من شهر نوفمبر ١٩٧٩ اهتزت اجهزة القيادة في القواعد العسكرية الامريكية فجأة ، بسبب انذار بغارة نووية على الولايات المتحدة .. وصدرت الأوامر الفورية باقلاع طائرات من طراز « ف - ١٠١ » من قاعدة كولومبيا الامريكية ، كما اقلعت طائرات من طراز « ف - ١٠٦ » من قواعد في ولايات ادبجون وميتشجان. الا ان قاذفات القنابل الثقيلة طراز « ب - ٥٢ » التي تحمل القنابل الذرية ؛ بقيت رابضة في المطارات في انتظار الاوامر التي تصدر من الرئيس الامريكي شخصيا ..

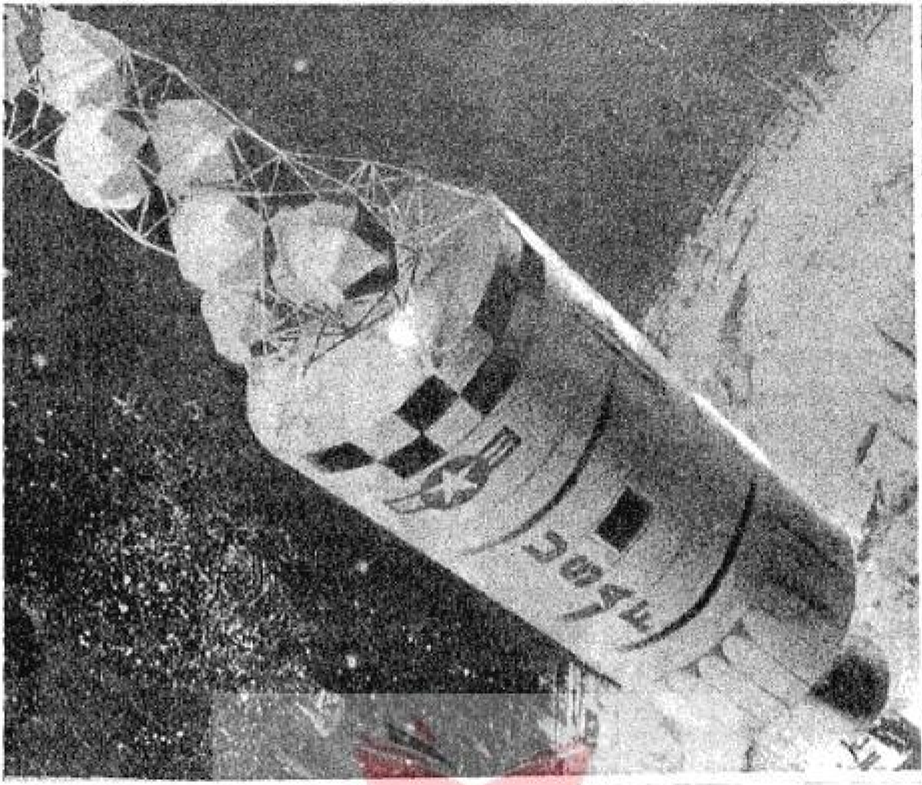
غير ان «الغارة» توقفت بعد ست دقائق فقط ، عندما اعلن المسئولون في وزارة الدفاع الامريكية « البنتاجون » ان خطا وقع في تشغيل الحاسب الالكتروني مما اسفر عنه هذا الانذار النووي الخاطيء ..وتحدد ان الخطا وقع في الجهاز الآلي بقيادة الدفاع الجوي بولاية كلورادو ، وانه تم اصلاحه على الفور ! ..

انتهى الخبر ، ولنا معه وقفة .. لانه لم يكن الخبر الوحيد الذي هز العالم ، وتعلقت به قلوب المراقبين للاستراتيجية الدولية . فقبل ذلك بشهر او يزيد روع العالم بخبر علمي اهتزت له وزارة الدفاع الامريكية وارتبكت اجهزتها ، وتوقف عليه مصير البشرية .

حدث مدته ثانية

ففي يوم ٢٢ من سبتمبر ١٩٧٩، وقع حدث علمي فريد لم تعهده البشرية ، ولم يالفه العلماء من قبل ، حار في تفسيره المفسرون ، وتخبط المراقبون .. وسبب ذلك ان الحدث كانت مدته « ثانية واحدة » ! ..

فقد ومض ضوء ساطع ومبهر فوق منطقة جنوب المحيط الاطلسي وغطى رقعة واسعة قدرت بانها ٧٥٠ كم مربعا ولكن هذا الضوء خبا وخيم على المنطقة الظلام مرة اخرى بعد ثانية واحدة.



لعالي التابل يطلقها صاروخ واحد

وتيقظت الأوساط العلمية للحدث لأن احد الاقمار الصناعية الامريكية المخصصة للانذار المبكر سجلت اجهزته هذا الارتفاع المفاجىء فى شدة الضوء، وهو القمر الصناعى «فيلا»

وعلى مدى اربع ساعات متوالية انشغل المسئولون فى « البنتاجون » الامريكى وعلى راسهم وزير الدفاع نفسه فى تفسير الحدث لأن مركز الضوء كان يتركز حول راس الرجاء الصالح وفى جمهورية جنوب افريقيا على وجه التحديد .

وانتهى المسئولون الى تفسير الحدث بانه تفجير نووى محدود تم فى دولة جنوب افريقيا .. غير ان التصريحات الرسمية فى هذه الدولة نفت الخبر باستنكار شديد ، لانه يثير الشكوك حول عضوية النادى النووى ! ..

وقد شجع هذا النفى كثيرا من المراقبين على الاجتهاد فى ايجاد تفسيرات اخرى للحدث ، لأن المنطقة التى غمرها الضوء تمتد من حافة القارة الغارقة « الانتاركتيكا » قرب القطب الجنوبى، حتى جنوب قارة افريقيا .، وتشمل مساحات شاسعة من المحيطين الاطلسى والهندى معا .

فأصر المسئولون عن متابعة القمر الصناعى الامريكى « فيلا » على ان تفجيرا نوويا حدث فى جنوب افريقيا، لأن القمر يعمل بكفاءة منذ عام ١٩٧٠ وله اكثر من ٤٠ سابقة فى تسجيل تجارب نووية . بينما رجح آخرون فى جنوب افريقيا نفسها أن الامر قد يكون ناجما من حادث تم فى غواصة نووية سوفييتية . ودللوا على ذلك بان غواصة سوفييتية من طراز «ايكو -٢»

كانت تجوب منطقة راس الرجاء الصالح قبل ذلك بأيام .

غير ان اجهزة المخابرات الامريكية ، حاولت الحصول على دليل ثابت وتفاصيل اكثر دقة عن الحدث فاخذت تزرع المنطقة بطائرات من طراز (اسي ـ ١٣٥)) و (يو ـ ٢) وهي مجهزة باجهزة لرصد بقايا المواد المشعة ، كما قامت بفحص سجلات السفن التي تجوب المنطقة .

وعكف المحللون على معطيات القمر الصناعي « فيلا » ، فوجدوا ان قوة التفجير الذي سجله لا تتجاوز « ٢ كيلو طن » ، وقارنوا ذلك بالانفجارات النووية المعتادة والتي غالبا ماتزيد على « ١٠ كيلو طن » . فزادت الاحتمالات التي تشير بأصابع الاتهام الى دولة جنوب أفريقيا ، التي تحاول ان تخترق حزام النادي النووي . ولكن بدأت اصوات التشكيك في جدوى اتفاقية « سولت ـ ٢ » بين أمريكا وروسيا تتردد ، وتتهكم من العجز عن مراقبة كل طرف للآخر . وانتهى الأمر بتصريحات غامضة ليس فيها جزم بشيء محدد .

مصير العالم تحكمه المفاجأة

معروف ان المفاجأة احد العناصر الرئيسية لتحقيق النصر في اى حرب من الحروب ، ولقد ثبت ذلك في كثير من الحروب ، آخرها انتصارات حرب اكتوبر ١٩٧٣ التي حققها الجيش المصرى على الجيش الاسرائيلى ، اذ احكمت خطة المفاجأة بذكاء نادر بهر العالم وجعل المخابرات المركزية الامريكية في حيرة من تفاصيل هذه الخطة وعدم القدرة على اكتشافها ، رغم ان العالم كله تحت أنظار عدسات الاقمار الصناعية للتجسس والاستطلاع . والحقيقة ان عنصر المفاجأة تعاظم شأنه بعد الحرب العالمية الثانية ، لأن الكتل المتصارعة في العالم تحكمها القدرة العسكرية على اطلاق الصواريخ العابرة للقارات وحاملة الرءوس النووية . وبحكمها ايضا التقدم المذهل في فنون الحرب الالكترونية ، ووسائل الانذار المبكر ، وبعد ان كانت المدة اللازمة لتحقيق عنصر المفاجأة تقدر بسبع عشرة دقيقة خلال الحرب العالمية الثانية نفسها ، تضاءلت هذه المدة حتى اصبحت جزءا من الدقيقة . فمن يبدأ بالهجوم على الآخر ، ويملك زمام المبادأة ويعطل خصمه دقيقة واحدة قبل أن يمتلك القدرة على الرد ، يكون له النصر ..

ولذلك اصبح العسكريون يخططون لتحقيق عنصر المفاجأة بشتى الأساليب والوسائل والحيل الخداعية . فنشأت عدة افكار ذكية أولها التحفز بحمل الرءوس الذرية والنووية ليس فوق الصواريخ العابرة للقارات فحسب ، بل ايضا بحملها فوق متن الطائرات « ب ـ ٥٢ » من قاذفات القنابل الاستراتيجية الأمريكية ذات المدى البعيد . **وجعلها تجوب السماء في دوريات مستديمة خلال الاربع والعشرين ساعة ، على ارتفاعات عالية ، وعلى مسارات تطوق المساحة الشاسعة للاتحاد السوفييتي من كافة اطرافه .**

ومعروف أن طائرات « ب ـ ٥٢ » جيل قديم من القاذفات الثقيلة عرف منذ الخمسينات ، وادخلت عليها عدة تعديلات لتلائم متطلبات الحرب النووية ، ولزيادة مداها الذى يفوق « ١٦٫٠٠٠ » كيلو متر ، والذى يمكن زيادته باعادة التزود بالوقود أثناء الطيران من حاملات وقود طائرة . ولذلك فان الدوريات الاستراتيجية تغطى بلاد المعسكر الغربى كله وتحيط

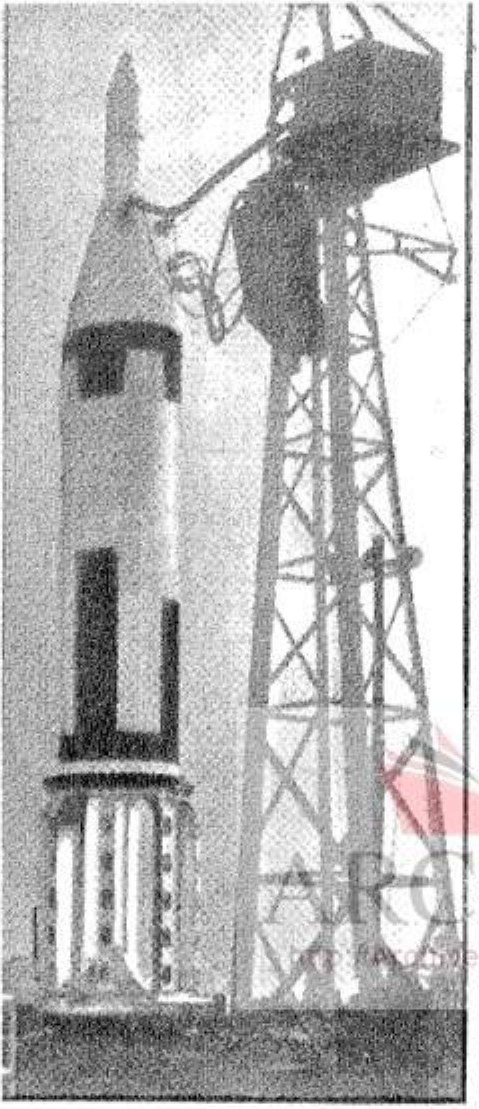


منطقة انتشار الضوء

بدول المعسكر الشرقي ، في مسارات كبيرة . وتطير هذه القاذفات الثقيلة على ارتفاعات شاهقة ، وهي تأتمر من خلال حواسب الكترونية وشبكة اتصالات دقيقه باوامر الرئيس الامريكي نفسه ، الذي له وحده سلطة توجيهها الى اهداف معادية لتصب عليها صواريخها الموجهة ذوات الرءوس النووية .

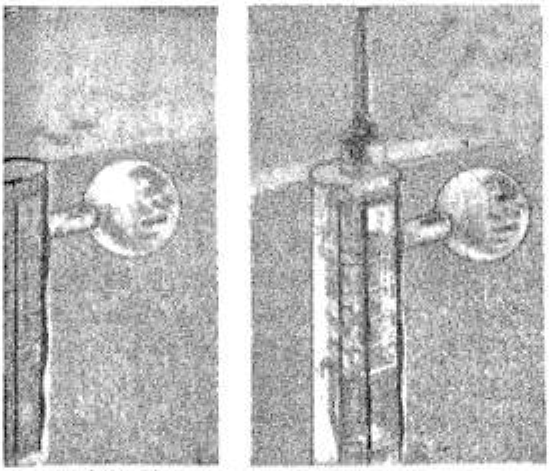
صواريخ تحت الارض وتحت الماء

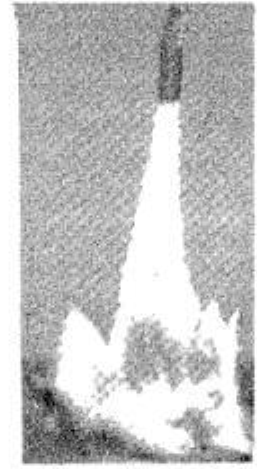
بعد ان أصبحت الدول الكبرى تخطط لاستراتيجيتها على اساس الذراع الطويلة للصواريخ البعيدة المدى والتي تجاوز بعدها ٢٠.٠٠٠ كيلو متر ، ابتكرت اهله الصواريخ آبار اطلاق محصنة .. تحت الارض ، وذلك حتى يصعب على طائرات الاستطلاع والاقمار الصناعية اكتشاف هذه الصواريخ بسهولة لأن اطولها يبلغ عشرات الامتار . ولذلك صممت آبار الاطلاق ليختفي فيها الصاروخ بكامله ، وبحيث يسهل التحكم فيه من غرف محصنة تحت الارض ايضا بحيث تحمله المصاعد الكهربائية الى اعلى في وضع الاطلاق خلال ثوان معدودة ، وامعانا في اخفاء الصواريخ عن أعين استطلاع الاقمار الصناعية ، نشأت فكرة اخفائها في الغواصات اعتمادا على عدم ظهور الغواصات على شاشات الرادار وعدم مقدرة التعرف على ما تحت الماء بسهولة من الفضاء . ومن ثم خططت الولايات المتحدة الامريكية ،



الصاروخ بولاريس

وشركاؤها في حلف الاطلنطي لاستراتيجيتها على اساس التكامل بين ما يمكن أن تحققه دوريات الطائرات « ب ـ ٥٢ » ، وما يمكن ان تصل اليه صواريخ « بولاريس » المحمولة في باطن الغواصات الذرية . ولقد عرفت صواريخ بولاريس منذ اوائل الستينات ، وصممت لتحمل كل غواصة ذرية ١٦ صاروخا منها . ويبلغ مدى


بئر لاطلاق الصواريخ من تحت الارض


الصاروخ بوسيدون

كل منها ٢٥٠٠ كيلو متر او يزيد ، وتم هذا التصميم على اساس ابعاد البحار والمحيطات التي تحيط بالاتحاد السوفييتي من ثلاث جهات .

ولكن رغم مرونة الحركة التي تضفيها هذه الغواصات ، ورغم خفة وزن الصاروخ ، فان الامر تطلب ادخال بعض التعديلات على هذا النوع من الصواريخ حتى بلغ مداه ٤٦٠٠ كيلومتر ، وهو محمل بالرؤوس النووية ، ويمكن اطلاقه والغواصة تامة الغطس تحت الماء .

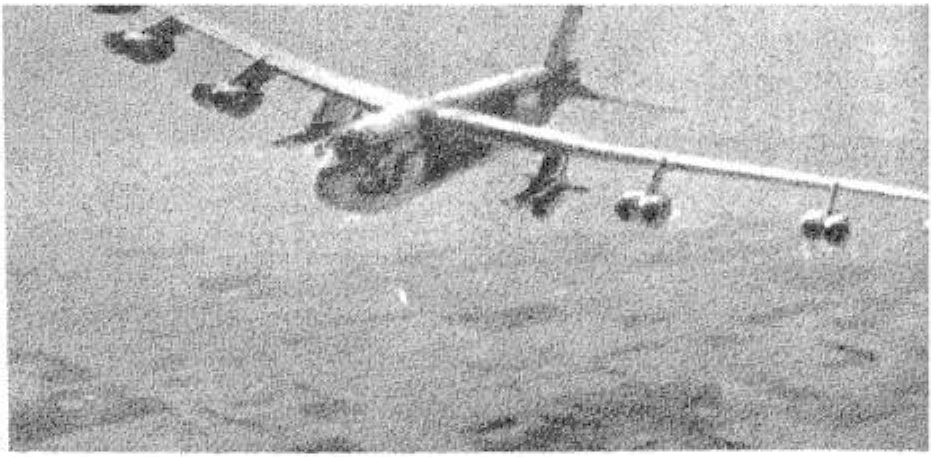
ولكن في اواخر الستينات طورت الولايات المتحدة الامريكية الصواريخ التي تطلق من تحت الماء ، بانتاج صاروخ اكبر وزنا تحت اسم (بوسيدون) ولكنه يستطيع حمل راس نووي اكبر وزنا واكبر قدرة تدميرية ، او حمل عدة رؤوس نووية تصل الى عشرة رؤوس يحملها صاروخ واحد ، لتوجه الى عدة اهداف متفرقة في آن واحد . ولذلك فالفارق بين « بوسيدون » و« بولاريس » ، يتركز في مجموعة التوجيه التي تتحكم في دقة توجه الراس النووي الى اهدافه .

وبذلك يمكن القول أن انتاج هذا الصاروخ حقق المثل الشائع « اصاب عصفورين بحجر واحد » ، والحقيقة انه يمكنه اصابة عدة عصافير . وعلى اساس التدقيق في صناعة هذا النوع من الصواريخ التي تطلق من تحت الماء ، تطورت صناعة « الغواصات الذرية » التي تستطيع ان تنقب قبة الجليد التي تغطي القطب الشمالي في حركتين متوافقتين في الاتجاه الافقي لتتقدم خلال الجليد الى الامام ، وفي حركة دورية حلزونية لتستطيع ان تذيب الجليد المتماسك في صلابة .

ويقدر الزمن اللازم لاختراق قبة الجليد القطبية كلها بمدة سنوات قد تمتد حتى اربع سنوات . وكل هذه الاستعدادات من اجل تحقيق المفاجاة من خلال اقصر الطرق وهي المسافة القصيرة بين امريكا وروسيا عبر القطب الشمالي .

الفضاء سيد المفاجآت

بعد توالي اطلاق الاقمار الصناعية الى الفضاء ، وتطور اجهزتها ، بدات الدول الكبرى في استخدام الفضاء للاغراض العسكرية تحت اسم اقمار الانذار المبكر ، او الاستطلاع ، وهي تسميات مهذبة للتجسس والحقيقة ان تكنولوجيا الفضاء كانت سببا مباشرا في تطور كل التكنولوجيات الاخرى بما فيها التكنولوجيا العسكرية التي تشمل اجهزة الاستطلاع والاستشعار من بعد والانذار المبكر ، والرؤية في الظلام . ولقد اخذ عنصر المفاجاة بعدا جديدا من خلال التقدم



قاذفة القنابل بعيدة المدى ب ـ ٥٢

فى استخدام الاقمار الصناعية للاغراض العسكرية المعلنة او غير المعلنة ، وذلك باساليب سلبية او ايجابية .

ومن الوسائل السلبية ، فضح كل ما هو فوق سطح الارض ،أمام عدسات كاميرات التصوير فى الاقمار الصناعية بحيث يصعب اخفاء اى شىء عنها مهما احكم اخفاؤه او تمويهه سواء بالليل او بالنهار فهذه العدسات قادرة على تمييز الطائرات داخل حظائرها بل هى قادرة على رصد المسمار الذى تربط به اجزاء كشك خشبى صغير الى بعضها، عندما تخضع لعمليات تكبير متوالية .

ثم زاد التطور عندما اصبحت عدسات هذه الاقمار قادرة على تمييز بعض القرائن التى تفضح ليس فقط ما فوق سطح الارض ،بل أيضا ماتحت السطح ، سواء كان ذلك مياها ارتوازية، أو آبارا بترولية، أو رواسب معدنية او آثارا مطمورة ، وذلك بقياس الأشعة تحت الحمراء الصادرة منها .

ومن ثم اصبحت الآبار المحصنة لاخفاء الصواريخ الاستراتيجية سهلة الاكتشاف من الفضاء . فضلا عن كل التحركات العسكرية العاديةسواء كانت بمدرعات أو مصفحات أو عربات ، او بواسطة الرواد .

ولكن الاساليب الايجابية لتحقيق المفاجأة من الفضاء تعتبر قمة فى التكنولوجيا وتتمثل فى اطلاق الاقمار الصناعية التى تستطيع ان تحمل القنابل النووية بدلا من أجهزتها . وتظل متصلة بالارض ، طوال مدة دورانها على مداراتها العالية من الفضاء بحيث يمكن التحكم فى توجيهها الى أهداف ارضية من هذه الارتفاعات الفضائية العالية . وزاد الامر تعقيدا عندما امكن تحميل هذه الاقمار ، اكثر من قنبلة واحدة ، بحيث أصبح ممكنا توجيه « القنابل المدارية » الى اكثر من غرض ارضى واحد

وهكذا اصبحت المفاجأة من الفضاء اكثر وسائل المفاجأة فاعلية على اصابة الاهداف .. وتدميرها . وكل ذلك يتم فى اطار تحكم الحواسب الالكترونية فى مسارات الاقمار الصناعية ومتابعتها .

ولكن هل وضع العلماء فى حساباتهم احتمالات الاخطاء التى يمكن ان تقع لهذه الحواسب كما حدث يوم ١٠ من نوفمبر الماضى ؟.

احسب ان الحقيقة مرة .. هى ان الانسان اصبح عبدا للآلات التى اخترعها . وان مصير العالم معلق بخطأ واحد يمكن ان يحدث ليجعل الحضارة الانسانية فى خبر كان ! ●

ناس وصور وحكايات

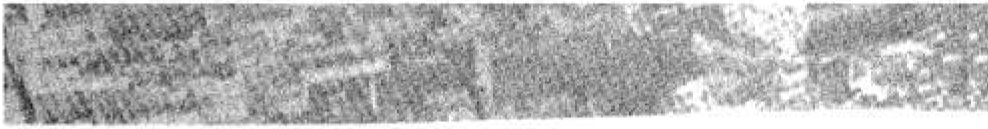
هذا هو مسجد "قم"

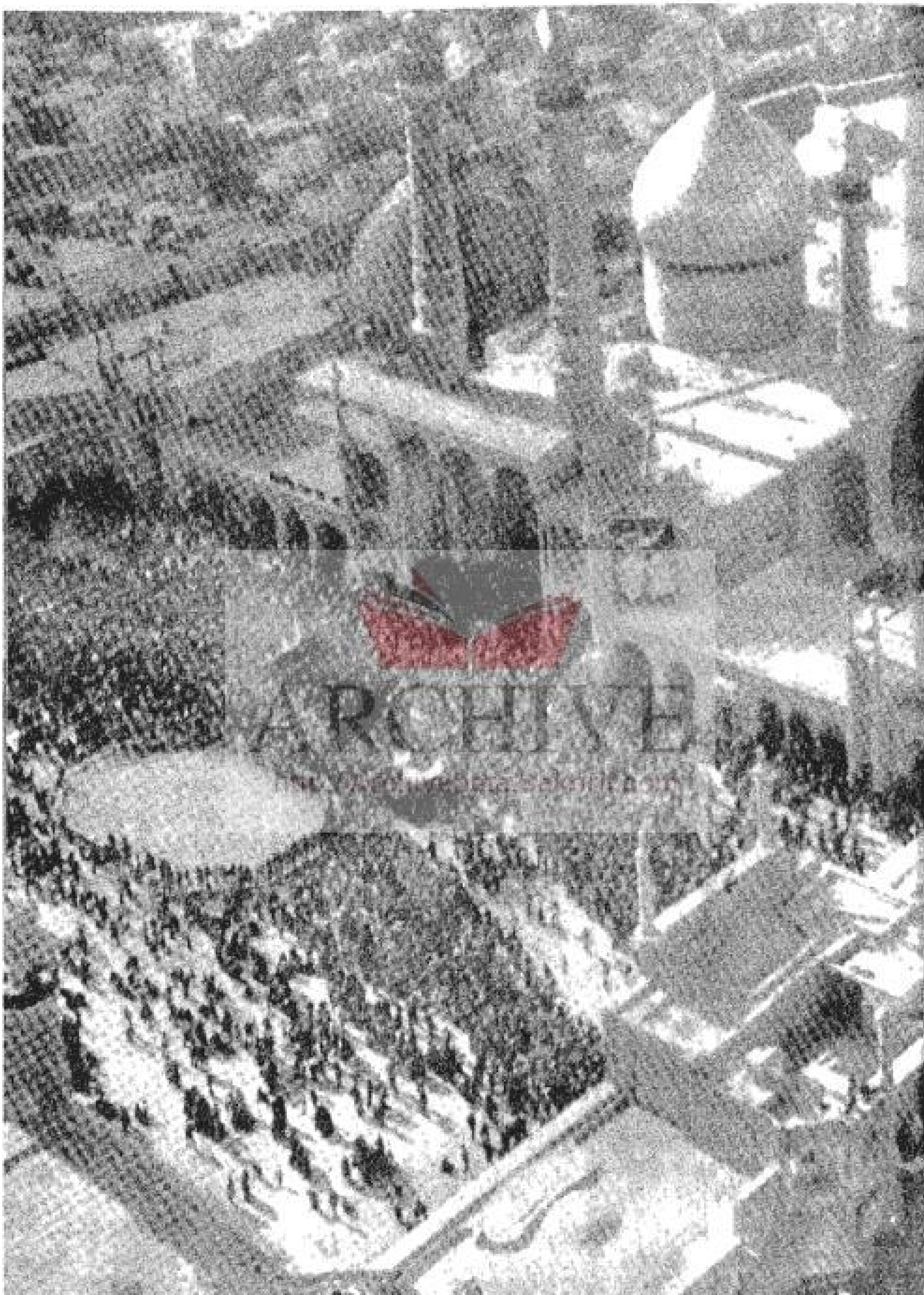
يتوارد في الصحف اليوم ذكر « قم » وهي المدينة الإيرانية التي اصبحت اليوم العاصمة السياسية لايران نتيجة للجمهورية الاسلامية التي اعلنت هناك ..

وقم مدينة صغيرة في وسط ايران ، كانت قرية عندما اختارها اسماعيل الصفوي وانشأ فيها واحدا من المساجد الشيعية الكبرى عندما جعل المذهب الشيعي في ايران مذهبا قوميا . وقد فعل مثل ذلك ببلخ التي اصبحت تسمى مزاري شريف ومشهد التي أصبحت تسمى مشهد على ..

ومسجد قم مشهور بضخامته واتساع صحنه الذى يستعمل مكانا للاجتماعات الدينية في غير أوقات الصلاة

وفي وسط الصحن مساحة مفروشة بالرخام ومسورة مخصصة لامام قم الذى يعتبر واحدا من الآيات اى الشيوخ الكبار في ايران ، اما الشيخ الصغير فيسمى الملا .





خرافة السيجارة ولغة "أكلوني البراغيث"

من نكد الدنيا ان يقبل الناس على التدخين بعد ما تبين من انه سبب من اكبر اسباب طائفة من الفن الامراض منهـــا السرطان ..

والنكد من ذلك ان تنفق شركات السجائر الملايين فى دعوة الناس الى تناول السم الذى تنتجه ..

والنكد وانكــد ان يســتعملوا فى هذه الدعاية التى تغطى مســاحات شاسعة من صفحات الجرائد والمجــلات ولوحات الاعلانات لغة رديئة تدخل تحت ما يسمى عادة بلغة اكلونى البراغيث ..

ان السيجارة نار تحرق وقطران يستقر فى الصدر ..

وقد اثبت معهد بحوث الصدر فى فرانكفورت ان السيجارة التى طولها ١٠ سنتيمترات خمسها مصفاة او فلتر ـ لا يضر شيئا والباقى منه سنتيمتر واحد لا يضر عند التدخين والباقى سم زعاف .

فاجعل هذه السيجارة ـ ان كنت مدخنا ـ آخر ما تدخن، او دخن من كل سيجارة سنتيمترا واحدا هو النفس الاول ثم ارم بها ..


5,3
8,5
10,9
12,2
13,8
16,7
17,6

هذا هو القمر الصناعى

سمعت كثيرا عن القمر الصناعى ، وخيل لك - فى الغالب انه قمر صغير معلق فى الفضاء حول الارض ..

ولكن القمر الصناعى الذى يسمى فى اللغات الاوروبية باسم ساتلليت او تابع هو جهاز معقد بعيد كل البعد عن استدارة الاقمار . انه شبه طائرة ذات جناحين كبيرين ، يطلقونه من الارض فى صاروخ ، وعندما يصل الى الارتفاع والوضع المطلوبين ينفجر الصاروخ ويخرج منه التابع ويظل مكانه فى الفضاء غير متأثر بجاذبية الارض . ثم يبرز منه جناحان عريضان هما عبارة عن سطحين يجمعان اشعة الشمس وباشعة الشمس تعمل اجهزة القمر الصناعى وهى اجهزة استقبال وارسال ، تستقبل الصور التى تتحول الى موجات صوت وضوء وتعيدها صورا واصوات مرة اخرى ثم تعيدها الى اجهزة الاستقبال على الارض ..

هذا هو القمر الصناعى عن قرب وبعيدا عنه ترى كرة الارض سابحة فى الهواء .



لكل شهر عربي قصة..

شهر ربيع

■ مصطفى الشهابي

كان شهر ربيع الاول يسمى « خوان » بفتح الخاء وتشديد الواو ... والخوان في اللغة هو البالغ في الخيانة والغدر ، لان العرب في ذلك الشهر كانوا يقومون بالغارات المفاجئة خلاله ويعودون منها بالغنائم والأسلاب ، وقال شاعرهم :

وفى النصف من خوان ود عدونا
بانه فى امعاء حوت لدى البحر

وكان شهر ربيع الآخر يسمى (بصان) (بضم الباء وفتح الصاد) أو « وبصان » بفتح الواو وتسكين الباء ، وسمى بذلك لوبيص السلاح فيه اى بريقه . ثم غير الاسمان الى ربيع الاول وربيع الآخر ، فقد صادف وقت ذلك التغيير فى الاسم ان كانت الابل ترتبع فيهما اى تأكل العشب ، ومن ثم كانا شهرى خير وبركة . والربيع الخصب وكل ما ينبت فى الربيع من الأعشاب .

وقد التزمت العرب ان تقرن كلمة ربيع بكلمة شهر تمييزاً لربيع الاشهر من ربيع الزمان والفصول ، لهذا كان من الحتم ان يقال شهر ربيع ، سواء أكان الاول ام الآخر (بكسر الخاء) ..

ويقال ربيع الآخر لا الثانى ، كما يجرى الاستعمال على اقلام الكثيرين اليوم ، لان التعبير بالثانى يعنى أن يكون هناك ربيع ثالث .

وبعد ظهور الاسلام اصبح لشهر ربيع الأول شرف وقدر لمولد النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، ولذلك يسمى « ربيع الانوار » وقد اشتهر عند الكثيرين باسم « شهر المولد » .. ويعتقد البعض أن من يولد فيه يعيش سعيدا موفقا .

وتيمنا باسم الرسول الكريم، يسمى المولود فى ذلك الشهر احيانا باسم « محمد » ، كما يستحب فيه عقد الزواج لان الرسول عقد له على خديجة فى العاشر منه .

ومن الموافقات العجيبة فى حياة الرسول الكريم ان شهر ربيع الاول كان شهره من بين الاشهر ففيه كان مولده وفيه كانت هجرته التى اتخذت بداية للتقويم الاسلامى . وفيه كان انتقاله الى الرفيق الأعلى ، ولهذه الموافقات سر يعلمه من اصطفاه على سائر خلقه واختصه برسالته .

وفى ربيع الاول من السنة الثالثة الهجرية قام الرسول بغزوة ذى امر لرد محاولة بنى غطفان الهجوم على المدينة ، فلما علمت غطفان بتحرك الرسول اسرعت بالفرار ولم يحدث قتال . وما كاد الرسول يعود الى المدينة حتى علم باستعداد بنى سليم لقتال المسلمين ، فلما خرج اليهم بادروا الى التفرق والفرار .

وفى السنة الهجرية الرابعة أجلى الرسول بنى النضير اليهود من المدينة وذلك لتآمرهم على اغتياله وحض قريش على قتاله ، وكان ثمار ذلك الجلاء ان استولى المسلمون على ارضهم ومساكنهم ومغانم اخرى .

وفى السنة الخامسة للهجرة غـزا الرسول القبائل المقيمة على حدود بلاد الشام لاعتدائهم على من يمر بهم من المسلمين واعتزامهم غزو المدينة ، فلما قصد اليهم بادروا بالفرار تاركين غنائم كثيرة للمسلمين .

وفى السنة السادسة للهجرة غزا الرسول بنى لحيان لارهاب قريش وغيرهم من اعداء الاسلام ثم الانتقام منهم لقتلهم من اوفدهم الرسول لدعوتهم للاسلام ، ولكنهم فروا واعتصموا بالجبال . ثم تلت تلك الغزوة غزوة الغابة او « ذى قرد » وفيها سار الرسول الى بنى غطفان لتاديبهم بسبب اغتصابهم لابل يملكها الرسول كانت ترعى قرب المدينة . وقد جرى فيها قتال قصير اعقبه فرار الاعداء واسترداد ابل الرسول .

وكانت نهاية غزوة خيبر فى ربيع الاول من السنة السابعة الهجرية وفيها هاجم الرسول اليهود المقيمين شمال المدينة لثأرهم المشركين على المسلمين وجرى قتال فى الاحراش انتهى باقتحام المسلمين حصون اليهود وسقوطها فى ايديهم واحدا بعد الاخر ، واخيرا تم الصلح على ان يكون للمسلمين نصف الثمار لما يملكون من اشجار ، هـذا عدا الغنائم الوافرة ويتصل بتلك الغزوة اهداء زينب بنت الحارث شاة مسمومة للرسول وبعض صحابته ، واكتشاف الرسول لذلك بعد ان لاك قطعة منها ، ظل تاثير سمها حتى انتقل الى الرفيق الاعلى ، وكانت صفية بنت حيى بن اخطب من السبايا وقد تزوجها الرسول بعد تلك الغزوة .

وفى شهرى ربيع اوفد الرسول بعوثا وسرايا اهمها بعث محمد بن مسلمة الانصارى لقتل كعب بن الاشرف اليهودى لتحريضه على قتل الرسول وتشبيبه بنساء المسلمين . وقد تم قتل كعب .. اما السرايا فعديدة وتبلغ نحو احدى عشرة سرية كانت خاتمتها السرية التى اعدها الرسول بقيادة اسامة بن زيد لقتال بنى غسان والروم انتقاما لقتل زيد بن حارثه وجعفر بن ابى طالب فى مؤتة فى جمادى الاولى من العام الهجرى الثامن ، ولكن تلك السرية عادت للمدينة عندما علم اسامة بوفاة الرسول . ثم ادت مهمتها فى اوائل خلافة ابى بكر الصديق ..

وممن ولدوا فى شهر ربيع الاول السيدة نفيسة والرحالة ابن جبير ، وكذلك ابن تيمية ، وابو العلاء المعرى ... اما المتوفون ففى طليعتهم الرسول الكريم ، والحسين بن على ، وسكينة ابنته ، والامام مالك ، والسيد احمد البدوى ، والسلطان محمد الفاتح ، والملك عبد العزيز آل سعود . ثم الملك فيصل الذى اغتيل فى ذلك الشهر .

اما ربيع الاخر فقد مات فيه ، الخليفة هشام بن عبد الملك ، والمعز لدين الله الفاطمى ، وابو فراس الحمدانى الشاعر .

واشهر احداث شهرى ربيع هو رمى الحجاج للكعبة بالمنجنيق فى حصاره لابن الزبير ، ثم زواج قطر الندى بالخليفة المعتضد ، وكذا وصول القرامطة الى القاهرة وصدهم عنها ، ثم انتصار صلاح الدين الايوبى على الصليبيين فى معركة حطين ، وكان سقوط غرناطة وانتهاء حكم العرب للاندلس واسبانيا فى ربيع الاخر وفيه ايضا شنق طومان باى على باب زويلة . ●

مرحبا بميلاد المسيح

• احمد حسن الباقورى •

كلما اقبل عيد الميلاد المجيد ، تنادت فى صدورنا معان كثيرة كبيرة ، تقتضينا حقه فى احفال نقيمها ، او نستجيب للدعوات اليها ، تكريما لذكرى ميلاده عليه السلام — بمايرضاه الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هدى الله ، واولئك هم اولو الالباب .

واشرف تحية لميلاده الشريف ، تحية نستصحب فيها ماقال الله تعالى ، وما قال رسوله — صلى الله عليه وسلم — ثم مايأثره الثقات عن اسلافنا الصالحين

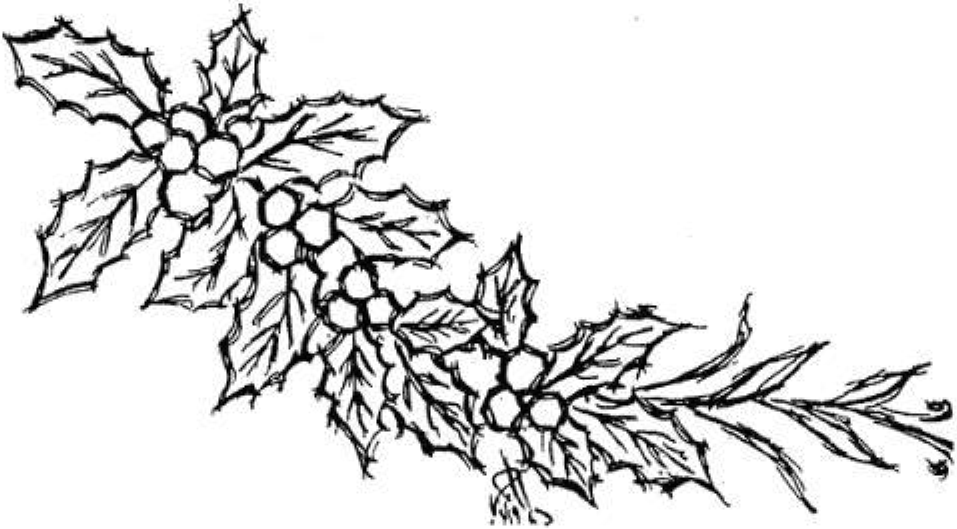
فأما التحية فيما قال الله ، فاليه الاشارة بالآية من سورة آل عمران : « اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ماق بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم »

لقد تضمنت هذه الآية حقيقة دينية تاريخية موثوقة ، خلاصتها ان امراة عمران كانت عاقرا لاتلد ، وذات يوم ابصرت طائرا فى ظل شجرة يطعم فرخا له ، فتحركت نفسها الى الولد ضارعة الى الله — تعالى — ان يكون لها من ولد نصيب ، ثم نذرت أن تجعل هذا الولد سادنا لبيت المقدس بحيث يكون خالصا للخدمة ولا سلطان لاحد عليه ولم يكن الولد فى خيال السيدة الكريمة الا غلاما ، يقبل فى سدانة بيت المقدس ، لان الانثى لم تكن تقبل فى ذلك الاحتراف الشريف

***

وقد استجاب الله دعاء المراة الصالحة زوجة الرجل الصالح وام العذراء البتول فاعطاها الولد ولكنه كان انثى ، وكان امرا طبيعيا ان تحزن الوالدة حزنا شديدا ، لم يدفع آلامه عن نفسها الا ان الله تقبل هذه الانثى ، ورضيها لخدمة بيته الكريم ، على ماتشير الى ذلك الآية الشريفة : « فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

ووجه التحية لميلاد المسيح فى هذه الآية ، ان الله قد اختار له ارحام المؤمنات الطاهرات ، الى اصلاب



المؤمنين الطاهرين من لـــدن ابيه واب الانبياء ابراهيم عليه السلام .

واما التحية فيما قال رسول الله ، فانه الحديث الذى اخرجه البخـارى ومسلم : « ما من بنى آدم من مولود ، الا ينخسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من نخسته ، الا مريم وابنها »

ووجه التحية لميلاده — عليه السلام — فى هذا الحديث النبوى الشريف ، ان الله جنبه مع امه سلطان الشـيطان عليهما ، استجابة لمرمريم لامه : « رب انى وضعتها انثى ، والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ، وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ..

***

واما التحية فى المأثود عن اسلافنـا الصالحين ، فهو مايرويه الثقات من ان ابا هريرة قال : قال رسـول الله — صلى الله عليه وسلم : « خير نساء ركبن الابل ، نساء قريش : احناه على ولد فى صغره ، وارعاه على زوج فى ذات يده »

وجه التحية فى هذا الحديث ان ابا هريرة حين روى هذا الحديث ، اردف يقول : « ومريم ابنة عمران لم تركـب بعيرا قط » ، يريد بذلك ان تظل مريم افضل نساء العالمين .

وقد نمى الى امير المؤمنين عمـر ان احد ابنائه سمى نفسـه « أبا عيسى » فدعا به اليه ، ثم سأله ، هل سـميت نفسك « ابا عيسى » ؟ فقال : نعم فقال له عمر — فى حدة وغضب — : « لقد جعلت له ابا وجعلت نفسك ابا له » ثم اذخله بالسوط وهو يستغيث بغـير مغيث ، ولم يدفع عنه حرارة الضرب الا انه قال لابيه : انني اتوب الى الله ثم اليك ، ولن اسمع لاحد أن يناديني بهذا الاسم بعد ذلك .

تلك كلمات راينا انها خير ما نكرم به ذكرى المسيح فى عيد ميلاده المجيد ، والضراعة الى الله — عز وجل — ان يعيد هذا العيد على شعبنا المصرى العـريق وامتنا العربية المجيدة ، والوحـــدة الوطنية شـــامخة المعالم خفـــاقة الاعلام ، فى اطار كـــريم من الحرية الشــــاملة والعدالة الكاملة والســلام العــزيز

من آيات التلاقي

بين المسيحية والإسلام

● الأنبا غريغوريوس (*)

اسقف عام الدراسات اللاهوتية العليا
والثقافة القبطية والبحث العلمى

لعله مما يخدم قضية الوحدة الوطنيــة بين المسلمين والمسيحيين ، وهم ابنــاء بلد واحد ، مصر الحبيبة ذات الحضارة التليدة بل منبع الحضارات ، وملتقى الديانات ، ان يتبين ابناء هذا البلد الامور التى تجمع بينهم ، روحيــا وعقائديا ، مما يدعم المحبة بينهم ويوطد وشائج المودة ، ويقوى أواصر الوحدة ، فيجعل منهم امة لا تنحر ، صلبــة لا تقهر .

ليست هذه دعوة الى نبذ الخصائص المميزة للاسلام او للمسيحية ، ولا هى منادأة بنــوع من الميوعة الدينيــة العقائدية ، معاذ الله فما قصدنا الى شيء من هذا !

انما جل قصدنا ان نهدىء من حرارة حمى الخلافات العقائدية بين الاســلام والمسيحية ، حتى لا يتصاعد منها بخار خانق لمحبتنا ، ونحن ابناء عائلة واحدة، ويتحول الى غمام قاتم يحجب رؤيتنــا لما يجمع بيننا فى الواقع من اصــول واحدة مشتركة عزيزة على جميعنا

أفهل هنالك من شك فى ان المسيحيــة والاسلام يدعوان الى عبادة الله الواحد الاحد الصمد ، الذى لم يكن له كفوا احد ، والذى ليس كمثله شيء ، السميع البصير الغفور الرحمن الرحيم ، القوى العزيز رب العرش الكريم ، وهو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، وانهما يأمران بالخير والمعروف واقام الصلاة ، وينهيان عن الفحشــاء والمنكر والبغى والاثم والعدوان ؟

اليس الاســلام والمسيحية يأمران باكرام الوالدين وينا ديان ان اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا؟

الا ينادى دين المسيح ودين محمــد بالنهى عن القتل والزنا والسرقة والكذب

وشهادة الزور ، وان لا يجعل المؤمنون الله عرضة لايمانهم ؟

الا يأمر الدين الاسلامي والدين المسيحي المؤمنين ان اركعوا واسجدوا واعبدوا وافعلوا الخير ، وان يقضوا بالحق ، واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل ؟

الا يتفق الدين المسيحي مع الدين الاسلامي على ان متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ، والدار الاخرة خير للذين يتقون ، وان المتقين هم اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة ، وان الاخرة هي دار القرار ، وان الاخرة خير وابقى ؟

فى كل اولئك يلتقى المسلمون والمسيحيون ، يؤمنون بالله واليوم الاخر ، يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويرجون الله واليوم الاخر .

والمعروف ان الاسلام دين توحيد، والدعوة الاسلامية دعوة للايمان بالله الواحد ، وعبادته ، وعدم الاشراك به وما اكثر النصوص القرآنية التى تدعو الى التوحيد صراحة ، وتضمينا :

« والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » (١٦٣ م البقرة ٢)

« انما الله اله واحد » (١٧١ م النساء ٤)

« وما من اله الا اله واحد » (٧٣ م المائدة ٥)

« قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون » (١٩ ك الانعام ٦)

« قل الله خالق كل شىء وهوالواحد القهار » (١٦ م الرعد ١٣)

« وليعلموا انما هو اله واحد » (٥٢ ك ابراهيم ١٤)

« الهكم اله واحد » (٢٢ ك النحل ١٦) .

« وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد » (٥١ ك النحل ١٦) .

« انما الهكم اله واحد » (١١٠ ك الكهف ١٨)

(١٠٨ ك الانبياء ٢١)

(٦ ك فصلت ٤١)

« فالهكم اله واحد » (٣٤ م الحج ٢٢)

« ان الهكم لواحد . رب السموات والارض وما بينهما » (٤ ك الصافات ٣٧)

«وما من اله الا الله الواحد القهار» (٦٥ ك ص ٣٨)

« سبحانه هو الله الواحد القهار » (٤ ك الزمر ٣٩)

« لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» (١٦ ك غافر ٤٠)

« قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الهـا واحدا » (١٣٣ م البقرة ٢)

« وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو » (٣١ م التوبة ٩)

كذلك المسيحية دين توحيد .

فقانون الايمان الذى يردده جميع المسيحيين فى صلواتهم الخاصة والعامة ويتلونه فى كل خدمة دينية وفى كل قداس ، وفى كل صلاة من الصلوات اليومية ، باكرا ونهارا وعشية ، ويرنمونه ترنيما ، ومنذ القديم ، واليوم ، والى الابد ، يقولون فى مطلعه « بالحقيقة نؤمن باله واحد » .

والمسيحيون يؤمنون وينادون بان الله واحد ، ولا يمكن الا ان يكون واحدا ، ويقولون : اذا كان هناك اله آخر غير الله ، فما عمل هذا الاخر ، وما هو اختصاصه ؟ لانه مادام الله غير محدود وغير متناه ، فلا مجال لاله آخر ، لان وجود هذا الاخر يتعارض مع صفة اللا نهائية واللا محدودية فى الله .. فانه طالما ان الله يتصف باللانهائية واللا محدودية ، لوجوده اذن يملأ كل مكان ، ولا يخلو منه مكان .. فكيف ، ولماذا ، واين يوجد الاله الاخر ؟ وهل هذا الاخر هو فى الكون

ام خارج الكون ؟ فاذا كان فى الكون ، فهل هو فى كل مكان فى الكون ، ام فى مكان دون مكان ؟ فاذا كان فى كل مكان فهو شريك مع الله فى وجوده .. وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الاخر .. فاذا كان الاخر كائنا فى مكان دون مكان ، فيترتب عليه أن يكون كل منهما محدودا فى المكان ، وهذا يتعارض مع كونه الاله الحقيقى الكائن فى كل مكان ولا يخلو منه مكان .

***

ثم لما كان الله قادرا على كل شيء فلماذا يكون ثمة اله آخر ، وما هو اذن عمل هذا الاخر ؟ .. هل ياخذ هذا الاخر شيئا من اختصاص الله ؟ ..

لو كان الامر كذلك لترتب عليه ان يكون الله غير قادر على كل شيء ، او يكون قادرا على اشياء دون اشياء لان هذه الاشياء تدخل فى اختصاص الاله الاخر المزعوم ..

وهكذا يمكن منطقيا وعقليا رفض القول باكثر من اله واحد .. واعتباره محالا ، لا يقبله العقل ولا يسيغه .

***

ولقد كتب آباء الكنيسة المسيحية الى الوثنيين قديما ، يثبتون لهم بالدليل العقلى ان الله واحد ، ولا يمكن الا ان يكون واحدا ، وان القول باكثر من اله امر لا يقبله العقل .. وكان لابد لاباء الكنيسة ان يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد ، بالدليل العقلى والمنطقى ، ولا يكتفون بالادلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة ، لأن الوثنيين لا يؤمنون بالكتب المقدسة

وقال المسيحيون ان « الواحد » هو اصل الوجود ، عليه يقوم كل شيء ، واليه يرتد كل شيء ، ومنه يتركب ويتكون كل الوجود .. ولا يوجد قبل « الواحد » شيء ، فهو الاصل ، أو هو اصل الوجود .. واذن فالواحد هو الله والله واحد ، ولا يمكن الا ان يكون واحدا ، ولا يوجد غير اله واحد .

واضاف المسيحيون الى الادلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين ادلة اخرى اقتبسوها من اسفارهم المقدسة ، وكانوا — ومازالوا — يبرزونها للمؤمنين من المسيحيين ، ولغير المسيحيين ممن يسالونهم عن اسانيدهم فى اعتقادهم ووحدانية الله .

ومن هذه النصوص :

«الرب هو الاله ، ليس آخر سواه»
(التثنية ٤ : ٣٥)

« الرب هو الاله فى السماء من فوق، وعلى الارض من اسفل . ليس سواه»
(التثنية ٤ : ٣٩)

« الرب الهنا رب واحد » (التثنية ٦ : ٤)

« الرب وحده .. وليس معه اله »
(التثنية ٣٢ : ١٢)

« انا انا هو ، وليس اله معى »
(التثنية ٣٢ : ٣٩)

« لانه ليس غيرك » (١ . صموئيل ٢ : ٢)

« واعدوا قلوبكم للرب ، واعبدوه وحده » (١ . صموئيل ٧ : ٣)

« قد عظمت ايها الرب الاله ، لانه ليس مثلك ، وليس اله غيرك »
(٢ . صموئيل ٧ : ٢٢)

« لانه من هو اله غير الرب » (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢)

« الرب هو الله ، وليس آخر »
(١ . الملوك ٨ : ٦٠)

« ايها الرب .. انت هو الاله وحدك»
(٢ . الملوك ١٩ : ١٥)

« انت الرب الاله وحدك » « ٢ . الملوك ١٩ : ١٩ »

« يارب ، ليس مثلك ، ولا الهغيرك» « ١ . اخبار الايام ١٧ : ٢٠ »

« انت هو الرب وحدك . انت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها والارض وكل ما عليهـا والبحار وكل ما فيها ، وانت تحييها كلهـا ، وجند السماء لك يسجد » « نحميا ٩ : ٦ »

« انك انت الاله الواحد فى الارض كلها » « طوبيا ٨ : ١٩ »

« لا اله قادرا على كل شيء سواه» « طوبيا ١٣ : ٤ »
« وسجدوا لاله السماء الواحد » « يهوديت ٥ : ٩ »
« انك انت الاله وليس آخر سواك » « يهوديت ٩ : ١٩ »
« الباسط السـماوات وحـده » « ايوب ٩ : ٨ »
« وواحد كوننا فى الرحم » « ايوب ٣١ : ١٥ »
« لانه من هو اله غير الرب » « مزمور ١٧ : ٣١ »
« من مثلك يا الله » « مزمور ٧٠ : ١٩ »
« انك اسمك يهوه وحدك العلى » « مزمور ٨٢ : ١٨ »
«عظيم انت .. انت الله وحدك» « مزمور ٨٥ : ١٠ »
« منـذ الازل الى الابد انت الله » « مزمور ٨٩ : ٢ »

« ليسبحوا اسم الرب ، لانه قـد تعالى اسمه وحده» « مزمور ١٤٧: ١٣ »
« ليس اله الا انت » « الحكمه ١٢ : ١٣ »

« الاسم الذى لا يشترك فيه احد» « الحكمة ١٤ : ٢١ »

« لا اله الا انت يارب» « يشوع ابن سيراخ ٣٦ : ٢ ، ٥ »
« انك انت الرب اله الدهـور » « يشوع بن سيراخ ١٩:٣٦ »

« يارب الجنود .. انت هو الاله وحدك » « اشعياء ٣٧ : ١٦ »
« انك انت الرب وحدك » «اشعياء ٣٧ : ٢٠ »
« انا الرب ، انا الاول والاخر ، انا هو » « اشعياء ٤١:٤»
« انا الرب ، هذا اسمى ، ومجدى لا اعطيه لآخر » « اشعياء ٤٢ : ٨ »
« انى انا هو . لم يكن اله قبلى، ولا اله بعده » « اشعياء ٤٣ . ١٠ »
« انا انا الرب ، وليس غـيرى » « اشعياء ٤٣ : ١١»
« انا الاول وانا الاخـر ، ولا اله غيرى » « اشعياء ٤٤ : ٦ »
« هل يوجد اله غيرى » «اشعياء ٤٤ : ٨»

« انا الرب صانع كل شيء ، ناشر السماوات وحدى ، باسط الارض . من معى » « اشعياء ٤٤: ٢٤ »
« انا الرب وليس آخر . ولا اله سواى » « اشعياء ٤٥ :٥»

« انه ليس غـيرى . انا الـرب ، وليس آخر » « اشـعياء ٤٥ : ٦ »
« الله ، وليس آخـر . ليس اله غيره » «اشعياء ٤٥ : ١٤ »
« خالق السماوات هو الله .مصور الارض وصانعها .. انا الرب وليس آخر » ـ « اشعياء ٤٥ : ١٨ »

« انا الرب ، ولا اله آخر غيرى .. ليس سواى » « اشعياء ٤٥ : ٢١»

« التفتوا الي واخلصوا .. فاني انا الله وليس آخر » « اشعياء ٤٥ : ٢٢ »

« لاني انا الله ، وليس اخر ، انا الله وليس مثلي » « اشعياء ٤٦ : ٩ »
« انا هو ، انا الاول وانا الآخر » « اشعياء ٤٨ : ١٢ »

« انه لا نظير لك يارب» «ارميا ١٠ : ٦ »

« ألست مالىء السماوات والارض، يقول الرب » « ارميا ٢٣ : ٢٤ »

« هذا هو الهنا ، ولا يعتبر حذاءه آخر » « باروخ ٣ : ٣٦ »

« فلست تعرف الها غيري ،وليس مخلص سواي » « هوشع ١٣ : ٤ »

« أليس اله واحد خلقنا » «ملاخى ٢ : ١٠ »

ومن تلك النصوص يتبين أن الله تعالى هو الاله وحده ، ولا شريك له، وليس كمثله شيء .. هو الله ،وليس غير الله اله ، لم يكن قبله اله ولايكون بعده اله .. هو الواحد والوحيد.. والمتفرد بالالوهية .. هو الواحدالاحد والرب الصمد والسرمد والسرمدي ، الازلي الذي لابداءة له ، والابدي،الذي لا نهاية له .

قال الانجيل المقدس :

« للرب الهك تسجد ،واياه وحده تعبد » « متى ٤ : ١٠ » ، « لوقا٤:٨»
« فمن يقدر ان يغفر الخطايا الا الله الواحد وحده ؟» « مرقس ٢:٧» « لوقا ٥:٢١»

«ليس صالحا الا واحد هو الله »

« مرقس ١٠ : ١٨ » ، « لوقا ١٨: ١٩ » ، «متى ١٩ : ١٧ »

« ان الرب الهنا هو رب واحد » « مرقس ١٢:٢٩» ، «متى ٢٢ :٣٧، ٣٨ » ، «لوقا ١٠ : ٢٧ » .
« ان الله واحد ، وليس آخر سواه» « مرقس ١٢ : ٣٢ »

« كيف يمكنكم ان تؤمنوا وانتم تقبلون المجد بعضكم من بعض وأما المجد الذي من الله الواحد وحده ، فلا تبتغونه » « يوحنا ٥: ٤٤»

« وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك » « يوحنا ١٧: ٣ »

« لان الله واحد » «رومية ٣ :٣٠»

«للجميع رب واحد » « رومية ١٠ : ١٢ »

« لا اله الا واحد » « ١ . كورنثوس ٨ : ٤ »

«لنا اله واحد» « ١ . كورنثوس ٨ : ٦ »

« الله واحد الذي يعمل الكل في الكل » « ١. كورنثوس ١٢ : ٦ »

« الله واحد » « غلاطية ٣: ٢٠»
« واحد هو آلاله ، الذي هو فوق الكل » « افسس ٤ : ٦ »

« اهتديتم الى الله ، وتركتم الأوثان ، لتعبدوا الله الحي الحقيقي» «١. تسالونيكي ١:٩»

« ملك الدهور الذي لا يفنى ،ولا يرى ، الله وحده ، له الاكرام والمجد

الى دهر الدهور » « ١ . تيموثاوس ١ : ١٧ »

« لان الله واحـــد » « ١ . تيموثيئوس ٢ : ٥ »

« انت تؤمن بان الله واحد ، فقد اصبت . والشياطين ايضا يؤمنون ويرتعدون » « يعقوب ٢: ١٩ »

«واحد هو واضع الشريعة وهـو الديان ، الذى يقدر ان يخلص ويهلك» « يعقوب ٤:١٢ »

«للاله الوحيد مخلصنا .. المجد، والعظمة ، والعزة والسلطان ، قبل كل زمان والآن ، والى جميـع الدهور » « يهوذا : ٢٥ »

« انا هو الالف والياء ، البـداءة والنهاية ، يقول الرب الاله »«الرؤيا ١ : ٨ » ، «٢٢١: ١٣ »

« انا هو الاول والاخر » « الرؤيا ١ : ١٧ »

اما التثليث المسيحى فلا يتعارض مع الايمان بالتوحيد .

فالمسيحيون يؤمنون باله واحد ، احــدى الــذات ، مثلث الاقانيم والخاصيات .

فالتوحيد للذات الالهيـة ، وامـا التثليث فللاقانيم . والاقانيم خاصيات وصفات ذاتية أى بها تقوم الــذات الالهية .

فالله الواحد هو « اصل»الوجود، ولذلك فهو «الاب » . والاب لفظ ـة سامية بمعنى « الاصل »

والله الواحد هو « العقل » الاعظم ولما كانت المسيحية تنادى بأن الله قد ظهر وتجلى فى المسيح ، على نظير ما ظهر للنبى موسى فى العليقة ، وتجلى فـى المكان دون ان يحده المكان ، لذلك كان المسيح هو« الكلمة »، قال الانجيل « فى البدء كان الكلمة » والكلمـــة تجسيد «للعقل » فان « العقل» غـير منظور ، ولكنه يظهر فى « الكلمة »وهو أيضا « الابن » لا بمعنى الولادة فى عالم الانسان ، بل لانه « صورة الله غير المنظور » « كولوسى « ١:١٥»

والله الواحد هو «الروح» الاعظم، وهو « ابو جميع الارواح » ولهـذا فهو « الروح القــدس » ، لان الله قدوس .

وعلى ذلك فايمان المسيحيـين بالتثليث لا يتعارض مع ايمانهـم بالتوحيد . لان التثليث ليس تثليث ذوات ، لكنه تثليث اقانيم ،والاقانيم صفات وخاصيات فى الاله الواحد ، لكنها صفات وخاصيات ذاتية وليست مجرد صفات نسبية . والصــفات والخاصيات الذاتية ما تقوم بها الذات

وعندهم ان الله الواحد كائن بذاته ناطق بكلمته ، حى بروحه .

ولذلك يقولون فى البسملة «باسم الاب والابن والروح القدس ، الالــه الواحد »

والخلاصة ان المسيحية قدمت عن الله درسين متممين الواحد للاخـر : الدرس الاول عن التوحيد ، والدرس الثانى عن التثليث . والدرســان لا يتعارضان وانما الدرس الثانى يبنى على الدرس الاول وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد ، اذ يدخـل بنا الى طبيعته وصفاته . ولم تقدم الـدرس الثانى الا بعد ان استقر الدرس الاول فى اذهان الناس : ان الله واحد احد ، وليس غيره اله . ●

بمناسبة عيد الميلاد :

اسم السيد المسيح وألقابه

● زكى شنوده ●

● جاء فى انجيل لوقا عن ميلاد السيد المسيح : « ارسل الملاك جبرائيل من الله الى مدينة فى الجليل تسمى الناصرة ، الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، وكان اسم العذراء مريم . فدخل الملاك اليها وقال لها : سلام ايتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة انت فى النساء . فلما راته اضطربت من قوله ، واخذت تفكر ما عسى ان يكون معنى هذه التحية . فقال الملاك لها : لا تخافى يا مريم لانك قد نلت نعمة عند الله . وهانت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع .. فقالت مريم للملاك : كيف يكون لى هذا وانا لا اعرف رجلا ؟ فاجاب الملاك وقال لها : ان روح القدس سيحل عليك ، وقوة العلى ستظللك .. لانه ليس مستحيلا على الله . فقالت مريم للملاك : هاانذا أمة الرب . فليكن لى بحسب قولك . وانصرف الملاك من عندها » .
(لوقا ١ : ٢٦ — ٣٨)

فما معنى اسم ذلك المولود الذى بشر الملاك السيدة العذراء مريم بانها ستلده وهو اسم يسوع ؟.

ان اسم « يسوع » فى الاصل العبرى هو « يهوشع » . وهو مكون من كلمتين مندمجتين ، هما كلمة «يهوه» وهى اسم الله ، كما اعلنه الله لموسى النبى فى صحراء سيناء ، وكلمة « هوشع » ومعناها « المخلص » . ثم تطور اسم « يهوشع » الى « يشوع » أو « يسوع » .

اما كلمة « المسيح » فهى اللقب الذى اطلقه الكتاب المقدس على المخلص الذى كان الانبياء فى العهد القديم يتنباون بانه سيجىء ليخلص العالم من شروره ، والذى كان الرسل فى العهد الجديد يبشرون بانه قد جاء ، وانه هو يسوع الذى ولدته السيدة العذراء مريم .

ففى العهد القديم جاء مثلا فى نبوءة دانيال النبى التى يقول فيها « فاعلم وافهم انه من خروج الامر بتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعا » (دانيال) . والمقصود بالاسبوع هنا لا سبعة ايام وانما سبع سنين .

اما فى العهد الجديد فقد جاء فى انجيل لوقا ان ملاك الله ظهر لبعض الرعاة عند ميلاد السيد المسيح ، وقال لهم انه « ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح » (لوقا ٢ : ١١). وكان اليهود يلقبون المخلص الذى ينتظرونه بالمسيح ، اذ جاء فى انجيل متى انه « حين جاء يسوع الى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا : من تقول الناس انى هو ؟ .. فقالوا : ان قوما يقولون انك يوحنا المعمدان ، وآخرون انك ارميا أو أحد الانبياء . فقال لهم : وانتم من تقولون انى هو ؟. فاجاب سمعان بطرس وقال : انت هو المسيح » (متى ١٦ : ١٣ — ١٦) .

ويرجع لقب « المسيح » الى احد الطقوس الدينية فى الشريعة اليهودية ، وهى المسح بنوع معين من الدهن ، بقصد التقديس والتكريس والاختيار لوظيفة عظيمة او رسالة سامية، اذ جاء فى سفر الخروج « وكلم الرب موسى قائلا : وانت تاخذ لك افخر الاطياب ، مرا قاطرا .. وقرفة عطرة .. وقصب الذريرة .. وسليخة .. وزيت الزيتون .. وتصنعه دهنا مقدسا للمسحة ..

وتمسح هارون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى ، وتكلم بنى اسرائيل قائلا : يكون هذا لى دهنا مقدسا للمسحة فى اجيالكم » (الخروج ٣٠ : ٢٢ ـ ٣١) .. وكان الذين ينبغى مسحهم بالدهن المقدس عند اختيارهم هم الكهنة والانبياء والملوك . وقد كان اليهود يعلمون من نبوءات انبيائهم الاولين ان المسيح المنتظر سيكون كاهنا ونبيا وملكا فى نفس الوقت ، وان الله قد مسحه مكرسا اياه لهذه الوظائف جميعا .. (المزمور ٢ : ١ والمزمور ٤٥ : ٧ واشعياء ٦١ : ١) .

وكان يطلق لقب المسيح فى البداية على كل ممسوح بالدهن المقدس ، ولكن هذا اللقب لم يلبث أن اختص به المخلص الذى كان اليهود ينتظرونه ، فقصر الانبياء استعماله على الاشارة الى هذا المخلص المنتظر وحده (دانيال ٩ : ٢٤ و ٢٥) . ومما يدل على ان هذا اللقب اصبح مقصورا على المخلص المنتظر وحده ان رئيس كهنة اليهود اثناء محاكمته للسيد المسيح سأله قائلا : « استحلفك بالله الحى ان تقول لنا هل انت المسيح » (متى ٢٦ : ٦٣).

وقد اصبح الذين آمنوا بالمسيح معروفين بالمسيحيين ، فجاء فى سفر اعمال الرسل انه « دعى التلاميذ (اى المؤمنون بالمسيح) مسيحيين فى انطاكية اولا » (الاعمال ١١ : ٢٦) .

واذ كان اليهود ينكرون السيد المسيح ويحاولون النيل منه واهانته ، كانوا يطلقون عليه لقبا آخر ينطوى فى اعتقادهم على التحقير ، قائلين عنه « الناصرى » . لان السيد المسيح عاش معظم حياته فى مدينة الناصرة احدى مدن الجليل التى كان اليهود يكرهون اهلها ويحتقرونهم ، لانهم كانوا يتعاملون مع غير اليهود من الامم الاخرى ، ولم يتعصبوا ضدهم ويقاطعونهم ، كما كان يفعل المتزمتون من اليهود . ومما يدل على ذلك ما جاء فى انجيل يوحنا اذ يقول ان « فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة وسائر الانبياء ، وهو يسوع .. الذى من الناصرة . فقال له نثنائيل : امن الناصرة يمكن ان يكون شىء صالح ! » (يوحنا ١ : ٤٥ و ٤٦) .

ومما يدل على ان اليهود كانوا يقصدون بهذا اللقب تحقير السيد المسيح انهم اطلقوه على اتباعه ، تحقيرا لهم ، اذ جاء فى سفر اعمال الرسل ان رئيس كهنة اليهود وشيوخهم قدموا بولس الرسول للمحاكمة امام الوالى الرومانى فى قيصرية ، قائلين له «وجدنا هذا الرجل مفسدا ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين فى المسكونة ، وزعيم شيعة الناصريين » (الاعمال ٢٤ : ٥).

وقد كان اليهود فى تحقيرهم للناصرة وتعييرهم للمسيح بانه « ناصرى » ، جاهلين حتى بنبوات انبيائهم التى تضمنها كتبهم المقدسة ، والتى تقول ان المسيح المنتظر سيكون ناصريا ، اذ جاء فى انجيل متى أن السيد المسيح بعد عودته مع العائلة المقدسة من مصر « جاء وسكن فى مدينة تدعى الناصرة ، لكى يتم ما قيل بفم الانبياء من انه سيدعى ناصريا » (متى ٢ : ٢٣) .

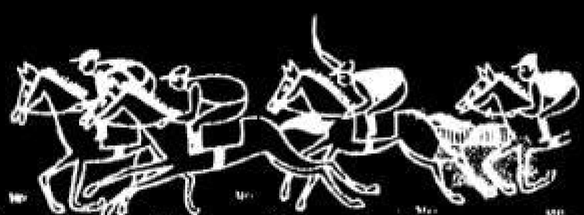
وقد اطلق اليهود كذلك على السيد المسيح لقبا آخر يقصدون به تحقيره والازدراء به ، فقالوا عنه « يسوع الجليلى » اذ جاء مثلا فى انجيل متى ان رؤساء اليهود حين كانوا يحاكمون المسيح فى دار قيافا رئيس الكهنة .. « كان بطرس عندئذ يجلس خارجا فى فناء الدار ، فجاءت اليه جارية قائلة: وانت ايضا كنت مع يسوع الجليلى » (متى ٢٦ : ٦٩) . وذلك أن اليهود كانوا يحتقرون اهل الجليل ويزدرونهم، لانهم اختلطوا بالامم الاخرى غير اليهودية ، وتميزوا ببعض الصفات التى تخالف صفات سائر اليهود ، سيما لهجة كلامهم . ولذلك اعتبرهم اليهود كافرين يعيشون فى ظلام الجهل بالشريعة اليهودية ، ومن ثم يستحقون الهلاك والموت ، على الرغم من انهم من سلالة سبطين من اسباط اليهود وهما سبطا زبولون ونفتالى ، بيد أن لقب « الجليلى » لم يتردد كثيرا عن السيد المسيح كما تردد لقب «الناصرى» .. فلم يحدث ان قيل عن الذين آمنوا به انهم « جليليون » ، ومن ثم ظلوا الى اليوم معروفين غالبا بالمسيحيين، واحيانا بالناصريين ، او النصارى ..

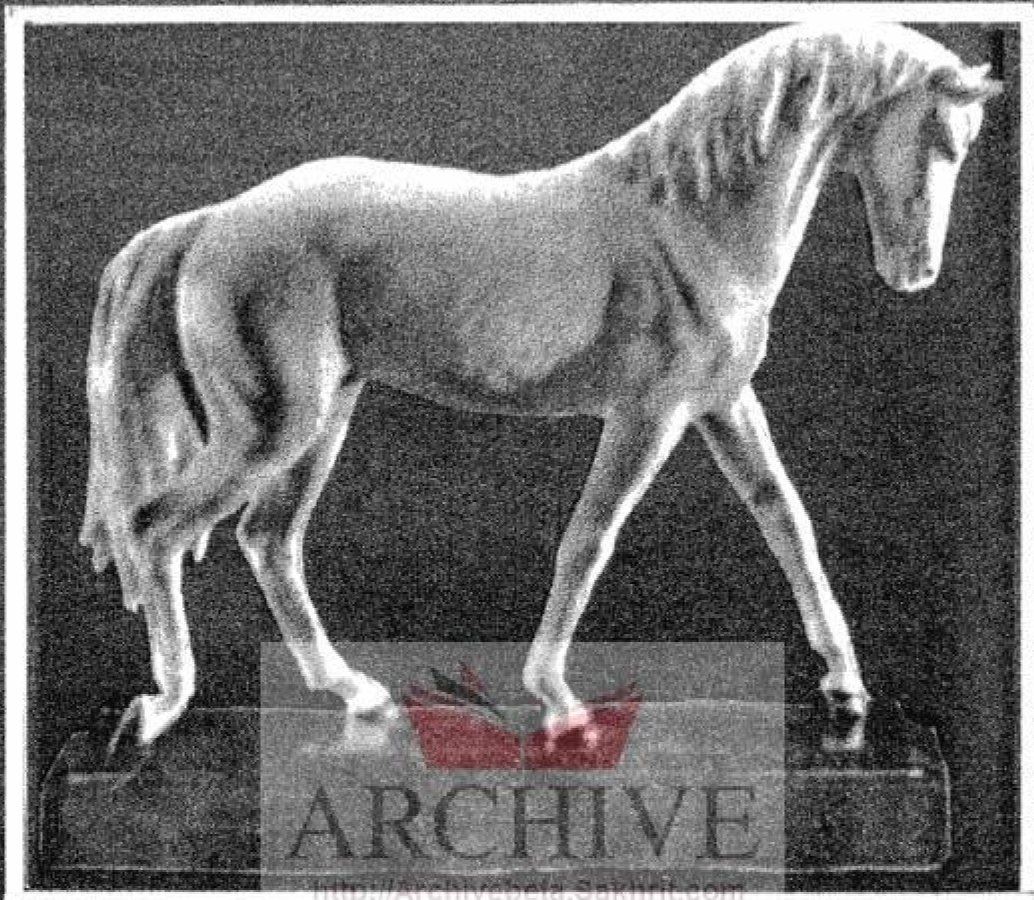
على صهوات الجياد

قامت فتوح الإسلام

الحصان العربى

آية من آيات الخالق سبحانه فى الجمال والقوة ورقة الإحساس وإرهاف العاطفة





الحصان اجمل مخلوقات الله جميعا .

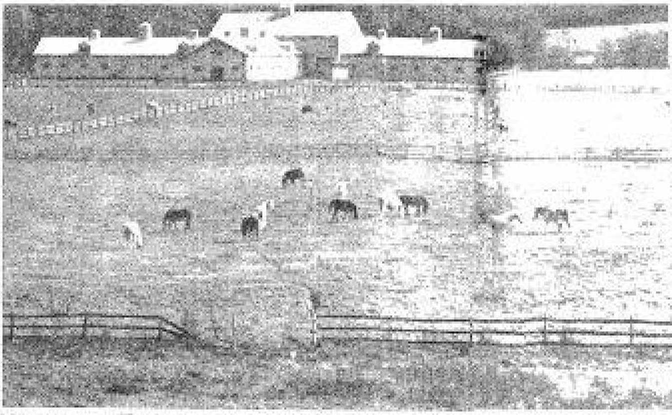
والحصان العربي هو أجمل الخيل فهو يمتاز بتناسق في الأعضاء يستوقف النظر وخفة في الحركة تبهر العقول .. وهو متين البناء ، وعظامه امتن عظام يتمتع بها حصان ، واذا جرى خيل اليك انه يسبح او يعوم .

وعندما استأنس الانسان الحصان وادخله في خدمته وقع انقلاب هائل في تاريخ البشر فقامت الدول الكبرى على صهوات الخيل : الاشوريون والمصريون القدماء واليونان والرومان ثم العرب اقاموا دولهم بفضل الحصان .

فما هي الخصائص التي جعلت الحصان يتمتع بهذه المكانة الكبرى في عالم التاريخ وعالم الجمال ؟

الحصان العربي





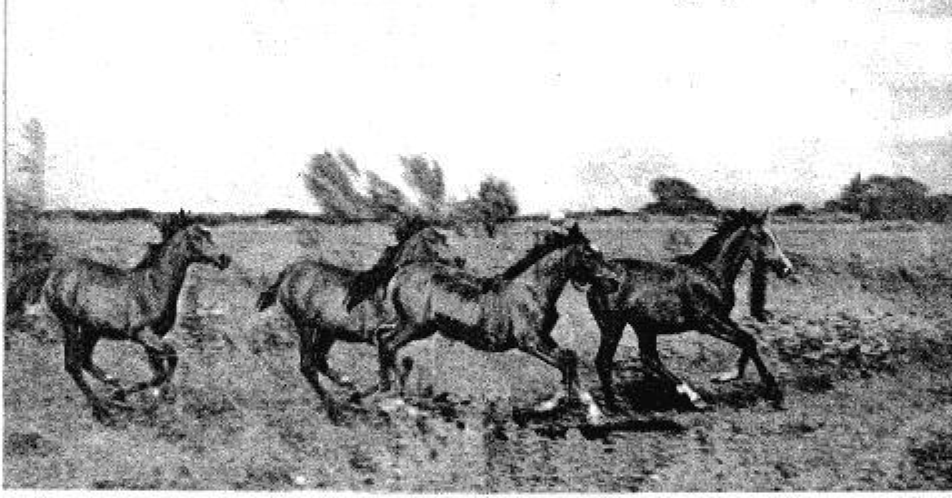
اي مكان في الدنيا سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

لكن نمو الحصان العربي تواصلها حتى الآن تربى في مراعي خلق فسيح كل حصبه تعوده على ذاكمدينة الطبيعة الأولى وهي الصحراء . وهذا المرعى الأخضر كله حققه رجل أمريكي من هواة الخيل العربية لهذا العدد القليل من الخيول .

[illegible]

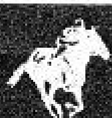
ولا يعرف احد كيف نشأ هذا الجنس من الخيل الذي لم يعرف الا في جزيرة [illegible]

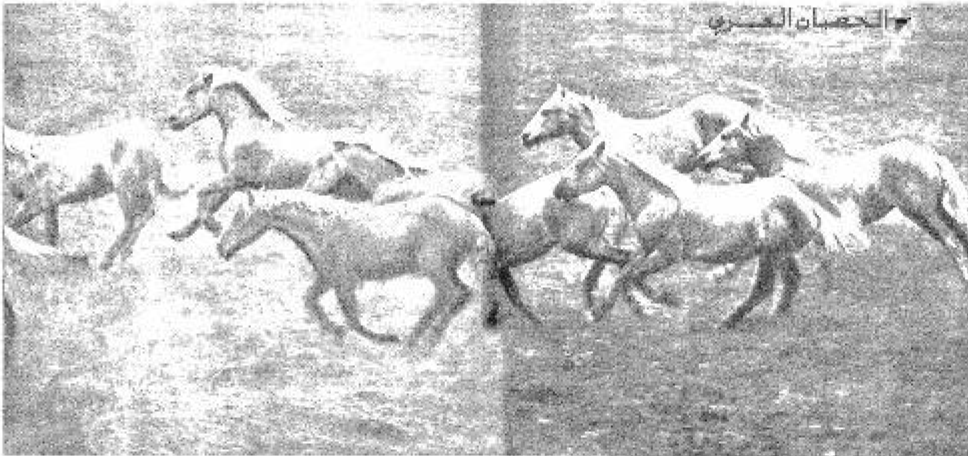
وعن طريق ايران ومن الحصان ال [illegible]





هذه الصورة أخذت لعدد من الخيول العربية التي يربونها الآن في أمريكا ويختارون مراعيها في الجنوب على حدود المنطقة الصحراوية في الولايات المتحدة ، وخاصة شمال اريزونا والسكان يزرعون الأرض بنوع خاص من الحشائش يشبه حشائش الصحراء في بادية الشام ، وهناك يطلقون الخيل حرة ترعى وتتنافس والنمو في جو يتلاءم تماما مع طبيعتها ، وكانت هذه هي طريقة العرب في تربية خيولهم إلا أنهم كانوا يعلفونها طوال شهور الصيف لشح الكلأ وهناك قد لا تعود مع أولادها في الطريف ولا يمكن أن ينسب الحصان العربي أصيلاً صافي الجنس إلا إذا ربي على هذه الطريقة .





العراق ، وهناك [illegible] الآشوريون وكانوا [illegible] امبراطوريتهم عن صهوات الخيل ، ومن المعروف انهم هم الذين ادخلوا الحصان [illegible] الى جزيرة العرب والى مصر ، وكذلك [illegible] الذي في [illegible] العربية [illegible] من الخيل في [illegible] ومن جنوب العراق دخل الحصان بلاد العرب .

وللعرب حكايات عديدة في دخول الخيل [illegible] والرأي السائد [illegible] هو ان اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام هو اول من ركب الخيل وادخلها جزيرة العرب ، أي ان الحصان دخل الجزيرة مع العرب الاسماعيلية وقد [illegible] وهذه الاسطورة [illegible] الحفريات دلت على ان الحصان دخل شبه جزيرة العرب قبل ذلك بكثير ، منذ ايام الآشوريين .

في جزيرة العرب [illegible] الحصان [illegible] الحصان العربي ، فجزيرة العرب [illegible] شمال [illegible] الحصان [illegible] جزيرة العرب [illegible]

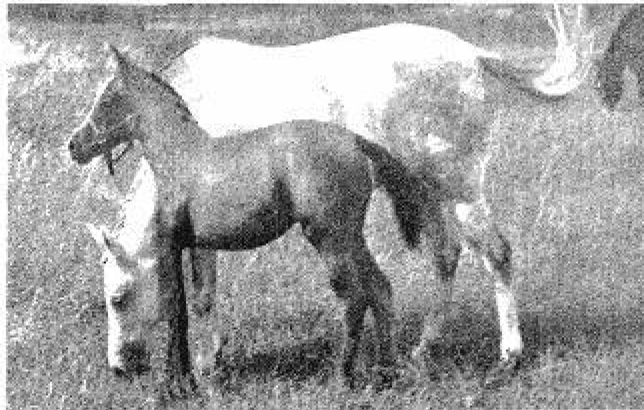
العرب [illegible] الجزيرة [illegible] الحصان [illegible] الصيف [illegible] الارض [illegible] الحصان العربي [illegible]

بلاد الشام [illegible] الحصان العربي [illegible] الحصان العربي [illegible] جزيرة العرب [illegible] الخيل العربية [illegible] مصر [illegible] العربية [illegible]









هذا الحصان يعتبر حصانا عربيا أصيلا نموذجيا فهو يمتاز بالتناسب الجسم وذلك الأرجل وأحناء الرقبة في قوس جميل ثم بمسحة بما يسمى بالغرة أو الهلال وهي البياض الذي يكون في وجه الحصان العربي ، ولاحظ أيضا أن القوائم الخلفية بيضاء الى نهايتها ، وذلك ما يسمى بالتحجيل .

هذه الصور الثلاث تريك خصائص رأس الحصان العربي ، منظر جانبي غاية التناسق والجمال والأذان منتصبة والغرة ، ثم العينين البراقتين والمنخار ، وفي الصورة السفلى الى اليمين ترى وجه الحصان العربي من الأمام ، ويمتاز باتساع المنخرين وتقارب الفكين ، وفي الصورة اليسرى ترى رشاقة الحصان العربي في عدوه وكيف ينساب ذيله في قوس جميل ، أما رقبته فتستقيم ، فاذا وقف الحصان حدث العكس ، استقام الذيل وانحنى العنق الى قوس متناسق جميل .

ثلاثين سنة ، وبفضلهم عادت [illegible] العرب مراتها من أكبر مراكز تربية الخيول العربية وتصديرها الى جميع أنحاء العالم .

***

واهم ميزة للحصان العربي - بعد ميزاته الجسمانية المتعددة هي انسانيته فإن أحدا من البشر لم يحب حصانه كما أحبه البدوي في العصر الجاهلي ثم في عصر الإسلام ، فقد كان البدوي لا يترك حصانه ينام وحده بل ينام معه في نفس الخيمة ، وكان يهتم بطعام الحصان أكثر من اهتمامه بطعام نفسه ، فكان اذا طلعت الشمس فتح باب الخيمة بنفسه فخرجت تجري وترتع في ندى الصبح وتحت الشمس الدافئة ، وتظل الخيول في مراعيها طوال اليوم والبدوي يرعاها بنظره ويتتبع ما يشرب منها ويورده الى الغدير ، بل كان العاقل يستجلب الماء لخيله ، فلا يمنعها شرب ماء [illegible]

أسنانا ، فاذا كانت لديه مهيرات [illegible]

[illegible]

الاثنين الفة ومودة . وقد اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يمسح رقبة الحصان بكمه ويقول ما معناه : المجد تحت صهوات الخيل ، وعندما قضى على بني قريظة أخذ كل ما تحصل من غنائمهم وأرسل رجالا الى نجد فاشتروا خيلا عتاقا للمسلمين ، وحمى لها الرسول أرضا جنوبي المدينة عرفت بحمى ضرية ، وفيها نشأت الخيول التي ركبها فرسان المسلمين في فتح مكة وفي معركة حنين وفي حرب الطائف وفي غزوة تبوك

***

وعلى صهوات الخيل تمت الفتوح العربية الكبرى في صدر الاسلام . ولا يمكن تصور امكان هذه الفتوح الواسعة بدون الحصان العربي بالذات ، فان العربي في الجزيرة عشق حصانه وتآلف معه حتى أصبح الفارس وفرسه شيئا واحدا ، وكان الفارس العربي وحصانه ينامان في نفس الخيمة لان الفارس كان لا يطمئن الا اذا توسد ظهر حصانه ونام ، وألف الحصان صاحبه حتى أنه كان لا ينام كذلك الا الى جانب صاحبه . وعندما قامت دولة الاسلام دهش الفرس والروم من التحام الفارس العربي وحصانه التحاما اصبحا معه شيئا واحدا ، ومن هنا ، وكان الفرس يحسبون انفسهم أمهر الناس على ركوب الخيل ، فاذا المئة منهم يطيرون فزعا امام خمسة من فرسان العرب ، لأن خيل الفرس كانت ثقيلة بطيئة الحركة وكان طعامها دسما وافرا ، أما خيل العرب فكانت ضامرة خفيفة تعيش على حفنات من التمر وشيء من الحشائش الجافة ، وكذلك كان الفارس على ظهرها لا يملأ بطنه ابدا ، وعندما التقى فرسان الروم بفرسان العرب لاول مرة في معركة كبرى هي اليرموك وقف الروم جامدين في مواضعهم وهم على ظهور خيولهم لأن تلك الخيول وجفت من سرعة انقضاض الخيول العربية واختراقها الصفوف كأنها سهوم مارقة ،

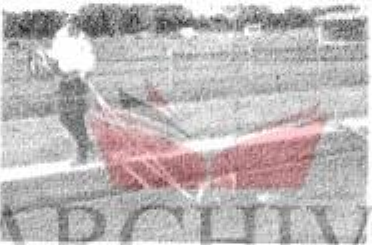
وكان الفارس العربي يخترق صفوف الروم ثم يفر ليعود مرة أخرى فيخترق الصفوف ، فخيل للروم ان فرسان العرب كانوا الوفا وكانوا في الحقيقة مئات ، ثم ان الحصان العربي يستطيع ان يقاتل اربع ساعات متوالية دون ان تهبط قواه ، في حين كانت خيل الروم لا تصبر على القتال أكثر من ساعتين ثم تخور قواها وتميل الى الهرب أو الراحة ، وقد تنفق في وسط المعركة .

وفي معركة اليرموك ظلت خيل العرب تقاتل من مطلع الشمس الى صلاة العصر فصلى المسلمون الظهر صلاة الخوف وصلوا العصر بعد هزيمة الروم صلاة حضر ، وقد كان بعض القادة يريدون أن يصلوا العصر قصرا فصاح فيهم ضرار بن الخطاب فارس قريش : لا قصر بعد نصر . لقد رعبت الروم ومضت ، فصلوها صلاة حضر بتمامها ثم اعقبوها بركعتي صلاة شكر لله . وقد بلغت هذه المقالة عمر بن الخطاب فقال : بورك لضرار ، لقد محا كل مساءة له في الاسلام بهذه القولة ..

وعندما شرع العرب في فتوح المغرب لم يثبت الحصان المغربي للحصان العربي في معركة واحدة ، مع أن الحصان المغربي او البربري معروف بصلابة بنيانه وشدة احتماله واكتفائه بالقليل من الطعام ، فاكتسح فرسان العرب بلاد المغرب اكتساحا . ومن غريب الامر أن الحصان العربي اختلط بعد ذلك بالحصان المغربي ، ونشأ من ذلك نوع بديع من الخيل يعرف باسم البارب وهو اختصار لاسمه الكامل في الانجليزية وهو «باربارى هورس» وعلى ظهر البارب فتحت الاندلس ، واكتسح ذلك الحصان جيوش القوط في معركة وادى لكه في جنوب الاندلس ، وقد فتحت هذه المعركة بلاد الاندلس كلها امام العرب والبربر فاسرعوا يطوون شبه الجزيرة حتى دخلوا طليطلة ومنها الى جنوب فرنسا ، واتموا الفتوح في سرعة لا تصدق .









يمتاز الحصان العربي بذكاء يفوق ذكاء اى نوع آخر من الخيول ، ولهذا فهو يتعلم بسهولة عددا كبيرا من الاعمال يقوم بها بنجاح كبير مثل مطاردة العجول او الثيران التى تعد للمصارعة والقفز على الحواجز والسباق ، وفى كل عمل من هذه الاعمال نجد الحصان العربي يتقنه فى وقت قليل .

وقد تدهور الحصان العربي بعد ذلك نظرا لسوء استعمال الاتراك له ، فسمن وترهل واختلط بغيره ففسدت طبيعته، ولكن شبه الجزيرة احتفظ باعداد قليلة من الخيول العربية فى مراعيها الواسعة وقد تكاثرت هذه الاعداد وبفضلها تمت غزوات الهلالية فى المغرب كله ، وبفضلها ايضا كان فتح السودان وازالة ممالكه القديمة على يد عرب رفاعة وجهينة ..

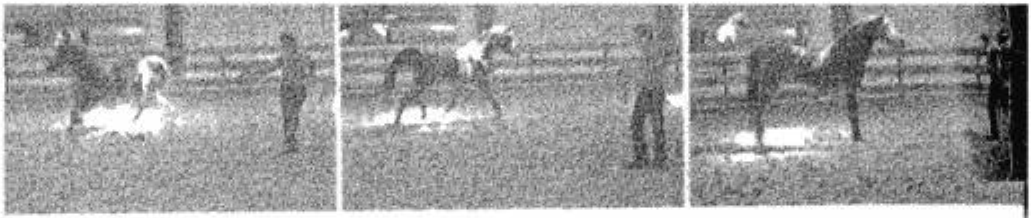
ومنذ أيام محمد على بدأ الاهتمام بالحصان العربي فى مصر ، وقد تولى تربية الخيول العربية وتأصيلها فى مصر فارس فرنسي يسمى الجنرال مارسو ، وعلى يديه نشأت أجيال جديدة من اجمل واقوى الخيول العربية ، وقد ظلت مصر المصدر الاكبر للخيول العربية الى يومنا هذا ، وفى جزيرة العرب اليوم خيول







لا يهتم احد بتربية الخيول العربية كما يهتم الامريكيون اليوم . لان الحصان العربي اذا عاش فى الصحراء فهو لا يتكلف شيئا ولكن اذا نقل من بيئته الى بيئة اخرى تكلف كثيرا لانه لابد من انشاء بيئة مناسبة له فى الوسط الجديد . وفى الولايات المتحدة المال اللازم لذلك كله ، واكثر الناس هناك ولعا بالخيول العربية هن البنات والنساء ، يحببن ذلك الحيوان الجميل ويدللنه كما فى صورتين من الصور التى تراها هنا ، والصورة الاولى فى اعلى الصفحة عن اليمين تريك راس حصان عربى فى اجمل صوره ، يملكه راعى بقر امريكى ، وفى الصورة الثانية ترى سفير احدى الدول العربية فى اوروبا وهو من هواة الخيل يدون ملاحظاته على خيوله التى يربيها هناك .







وبقية الصور لخيول عربية تربى فى مراعى انجلترا والمانيا والولايات المتحدة ويصل ثمن الحصان الواحد ذى الدم الاصيل بعد تدريبه على السباق وقبل ان يتخطى الثالثة من عمره ـ يصل الى ربع مليون جنيه انجليزى ، ومعظم خيول السباق التى تكسب المباريات فى اوروبا وامريكا خيول عربية خالصة الدماء ويليها فى ذلك الخيول الانجليزية التى توصف بانها مرباة تربية كاملة «ثاروبريد» وهذه ايضا اصلها البعيد عربى وقد اختلطت دماؤها بدماء خيول انجليزية اصيلة .





فى الصورة اليمنى ترى حصانا عربيا يتمرن على سباق الحواجز ، ونظرة واحده الى هذه الصورة تدلك على رشاقة ذلك الحصان وانسجام حركته عندما يقفز الحواجز فهو يقفز فى رشاقة وخفة حتى ان راكبه لا يحس بقدميه عندما تمس الارض.وفى الصورة الثانية ترى خيولا عربية من خيول السباق فى الولايات المتحدة وتتجلى فى هذه الصورة قوة الحصان العربى وجمال سيقانه التى تتميز الى جانب دقتها بانها صلبة العظام ، وجدير



بالذكر ان عظام الخيول العربية لا تقارن فى المتانة الا بسن الفيل . لاحظ كذلك الغرة فى وجه هذه الخيل وجمال انسياب رقبة الحصان الثالث منها ، وهذا انحناء يدل على فخر الحصان بنفسه واعتزازه بجماله وثقته بنفسه ، لاحظ كذلك ان الخيول العربية كلها هنا محجلة اما تحجيلا طبيعيا او صناعيا بلف قطعة من الشاش الابيض عند رسغ احدى قوائم الحصان .



يمتاز الحصان العربي بالحنان الشديد، فهو مع اليفته كأنهما زوجان متحابان، وهذه الفرسة تقف ساكنة ليرضع منها ابنها وقد مالت برقبتها نحوه كأنها تقبله.

بديعة ولكن معظمها اصله من مصر .. وقد انتقل الحصان العربي اليوم من جزيرة العرب ومصر الى شتى نواحي الأرض، وأصبح الحصان الأول في العالم وينافسه الحصان الانجليزي المعروف باسم « ثاروبريد » ومعناه العربي تربية كاملة ولكن كل هواة الخيل يقصدون الخيول العربية الاصيلة، ولها في امريكا اليوم جمعيات كثيرة كما قلنا.

لقد انتهى عصر الحصان بصفته سلاحا لا يضارع في ميادين الحروب ولكن دوره لم ينته في سباقات الخيل ونوادي الفروسية. والناس في الغرب كله يعنون بالخيل لجمالها ورقتها وحنانها وانسانيتها، وقد سأل رجل ذات مرة واحدا من كبار هواة الخيل: ولكن فيم ينفع هذا الحصان؟ فكان الرد: انك لا تشتري الحصان العربي لتستخدمه في شيء ولكن لتراه .. وهذا حسبك.

د. حسين مؤنس

السيرة الذاتية

متعة وثقافة وثروة وطنية

• منى مؤنس •

● لا يمر اسبوع واحد الا وتظهر ترجمة ذاتية لاحدى الشخصيات المعروفة من بلد من بلدان الغرب، وحينما نقارن ذلك بما يحدث فى بلادنا نجد ان قادتنا وعظماءنا يظلموننا من هذه الناحية رغم انهم هم الذين يرجع اليهم الفضل فى المحافظة على مصر بلدا عظيما .. انهم يظلموننا لاننا فى حاجة الى ان نعلم حياتهم من اول نشأتها حتى يومنا هذا ، حتى نصبر ولا نيأس ونكمل المشوار ونحافظ على مابنوه ..

ان ظاهرة انتظار الترجمات الذاتية فى الغرب تتسع يوما بعد يوم ، والذين يكتبونها هم رجال ونساء وصلوا الى مكانة مرموقة فى مجتمعهم . ونجد ان الناشرين هناك يشجعون الناس على كتابة هذه السير الذاتية بسبب اقبال الجمهور على قراءتها ، وبهذه الطريقة تتزايد اعدادها يوما بعد يوم الى درجة تستوقف النظر . وعندما نتساءل عن سبب نجاحها والاقبال عليها نجد اسبابا عديدة ، ربما كان اهمها :

اولا : ان اسلوبها سهل وسلس ، لان كاتبها يتحدث عن حياته فيتخذ موقف الراوى من مستمعيه ..

وثانيا : اننا نعلم الكثير عن كاتبيها واعمالهم وانجازاتهم عن طريق ما ينشر عنهم مما يشوق النفوس الى ان تعرف الشخصيات التى وراءها

وسبب ثالث : هو ان اولئك الافذاذ يروون فى خلال ما يقصون من تاريخ حياتهم ، اخبار فترات هامة من تاريخ اوطانهم لان حياتهم مرتبطة تمام الارتباط بتاريخ البلاد التى عاشوا فيها وعملوا على اعلاء شأنها .

وربما كانت هذه الاسباب من ضمن اسباب نجاح معظم هذه الترجمات ، ثم اننا نجد أن كل قارىء يشترى ويقرأ مذكرات الشخص الذى كان يعجب به طوال حياته ، واختياره هذا متعلق بذوقه وبتربيته وباهتماماته وبطموحه وبمثله الاعلى فى الحياة ، وخلال قراءته لها يعرف القارىء الكثير عن تاريخ البلد الذى ينتمى اليه المؤلف .

***

ولا شك فى ان كل هذه التراجم الذاتية والمذكرات فى مجموعها وبدون استثناء تضيف الكثير الى التراث الغربى وان قيمتها ستزداد بمرور الزمن لانها ستصبح مرآة الفترة من فترات تاريخه، اذ انها تعطى فكرة عن المجتمع وعن



تشارلى تشابلين



صوفيا لورين

اسلوب تعامل الناس فيه بين بعضهم والبعض وعن قيمة الحياة بالنسبة للغربيين ، وعن اشياء اخرى كثيرة سوف تظهر فى المستقبل

وعلى سبيل المثال اذا قرانا السيرة الذاتية لتشارلس تشابلين .. سنجد انفسنا نقرأ تاريخ السينما الغربية من نشاتها ، اذ كان هو احد منشئيها ، فيتحدث عن كفاحه المستمر وعن صموده وتعرضه للفشل بضع مرات حتى استطاع ان يقف على قدميه بابتكار شخصية تشارلى .. التى ما زالت حية حتى الآن ..

وان قرانا السيرة الذاتية لسيمون سينيورى الممثلة الفرنسية الشهيرة سنجد أنها تتحدث فيها عن كفاحها الشاق فى ميدان السينما حتى وصلت الى النجاح. وخلال مذكراتها هذه تربط سيمون سينيورى ما بين الافلام التى مثلتها والحوادث السياسية التى كانت تدور فى ذلك الوقت . ويشعر القارىء خلال قراءته لهذا الكتاب الى اى مدى ارتبطت الاحداث السياسية والاجتماعية بالافلام التى كانت تنتج فى حينها .

***

وقد نشرت ايضا مذكرات مارجريت ترودو الزوجة السابقة لرئيس وزراء كندا السابق بير ترودو ، ونتبين من خلال قراءتها قلة ما يتاح لزوجات كبار السياسيين من حريات شخصية، وكيف يمكن ان تتسبب ظروف حياة مثل هذه الشخصية فى القضاء على الشخصية نفسها واصابتها بالامراض النفسية ..

وهناك ايضا السيرة الذاتية لكريستينا اوناسيس ابنة واحد من اغنى رجال العالم ، ونستخلص منها ان كل مال الدنيا الذى عاشت فيه كريستينا طوال عمرها لم يستطع ان يعطيها اى شعور بالسعادة ، فطوال حياتها كانت وحيدة لا تشعر بحنان الابوين ولا بصداقة حقيقية ، فالجميع لا يهتمون الا باسمها وبمالها .

اما مذكرات جاكلين كينيدى فتتحدث فيها عن زواجها اولا بالرئيس الامريكى

السيرة الذاتية .. متعة وثقافة وثروة وطنية



كريستينا اوناسيس



جاكلين كينيدى

جون كينيدى ، ثم بالمليونير اليوناني أوناسيس . ومن كلامها نتعرف بطريقة غير مباشرة على بعض أساليب الصحف الغربية فى تلفيق الشائعات عن الناس حتى تصبح صورتهم أمام الجمهور مشوهة لا علاقة لها بالحقيقة ..

وهناك سير ذاتية اخرى كثيرة نشرت واخرى تكتب ، مثل مذكرات ريتشارد نيكسون ، ومذكرات هينرى كيسنجر ، ومذكرات موشى ديان ، وادوارد هيث ، والسيرة الذاتية لبريجيت باردو ، وحياة لورين باكال ، وغيرها وغيرها ، فهى كثيرة ، ذلك لان هذه السير لقيت رواجا واسعا لانها ناجحة ومربحة لاصحابها ولناشريها .

***

وليس من الضرورى ان تكون هذه التراجم الذاتية اعمالا ادبية ، لانها ـ اذا استثنينا القليل جدا منها ، وكذلك تراجم الكتاب المحترفين الذين لم نذكرهم هنا ـ تعبر عن حياة أصحابها كما صدرت عنهم بأسلوبهم الخاص الذى يتكلمون به فى شئونهم العادية ، فيصبح أسلوب هذه الكتب نفسها جزءا من الشخص وشخصيته ، فهو يقدم أحداث حياته بالأسلوب الذى تكلم به وكافح به بنفسه ، ومن هنا فهى لا تعد ادبا ..

ومن ناحية اخرى لا نستطيع ان نعتبرها صحافة ، لان كل مؤلف يتحدث بنفسه وبصراحة مطلقة ، بل يعرض حياته كما هى ويقدمها للجمهور ليحكم .

ومع ان مثل هذه التراجم الذاتية لا تعتبر اعمالا ادبية او صحفية ، الا انها تعتبر وثائق وتراثا ، فهى حافلة بالحقائق السياسية والاجتماعية والفنية

عن حياة البلد الذى ينتمى اليه كاتب السيرة .

ولكننا نحن فى مصر وباقى البـــلاد العربية اذا اقبلنا على قراءة ماينشر فى الغرب من مذكرات وسير ذاتية ، فاننــا بدون شك نكسب الكثير فى ميــدان المعلومات العامة ، وتزيد معرفتنا بتقاليد وتفكير وتصرفات واتجاهات الغـــرب ، فكلها تتعلق بهم وبنشأتهم وبتراثهـــم وبدينهم ، ومعظمها جدير بالاحترام وان كنا نحن كعرب لانجد أنفسنا فيها لان طريقتهم فى الحياة ونظرتهم اليها تختلف عنا اذ هى نابعة منهم ومناسبة لهم

حقيقة أن صحافتنا تنشر بين الحين والحين احاديث عن قادتنا وعظمائنا فى مجالات الادب والفكر والعـلم والفن والسياسة ، وكذلك تقدم لنا الاذاعـــة والتليفزيون احاديث من هذا النـــوع ، ولكن هذا كله لا يعطينا صورة متـكاملة لأى من هذه الشخصيات ، ولا يغنى بحال من السير الذاتية التى تظهر فى شكل كتاب ، والتى نحن فى اشد الحاجة اليها لكى نعرف حقائق حياتنـــــا ومجتمعنا فيزيد فهمنا لانفسنا

***

نرجو الا يبخل علينا اصحاب الشهرة والمكانة فى مجتمعنا فى كتابة سيرهم الذاتيـة ، والا يظـن احـد منهم ان تفاصيل حياته لا تهم الا دائرة محـدودة من الناس ، لان حقائق حياة شـعبنا تتجلى لنا بصورة اوضح واقـرب الى الصدق ، عندما نراها من خلال مايرويه اولئك الذين يصنعون تاريخنا فى كل ميدان من تفاصيل حياتهم وما مروا به من احداث وتجارب حتى وصـلوا الى ما وصلوا اليه ، ثم اننا بدون شك سنجد قطعة من مصر فى كل سيرة ذاتية كتبها مصرى ..



ريتشارد نيكسون



بريجيت باردو

أدباء القرن العشرين

• تاليف: الدكتور نبيل راغب •

• اعداد : عادل عبد الصمد •

● مما لاشك فيه ان كل عصر يمر يتسم بسمات تحدد ملامحه واتجاهاته ، وان اي ذخيرة من كنوز الحضارة والثقافة التى تتوارثها الشعوب جيلا بعد جيل هى ملك للبشرية جمعاء وليست ملك امة واحدة .

واذا كان الادباء والعلماء ورجال الفكر يختلفون فى جنسياتهم ، فانهم يعبرون بكل احاسيسهم ومشاعرهم عن قضايا العصر ومشاكله ، فانهم الرواد الذين يتعايشون مع كل مايدور فى زمانهم فى كل اعمالهم ...

وذلك ما نلمحه فى كتاب « ادباء القرن العشرين » الذى استطاع فيه الدكتور نبيل راغب برؤية الاستاذ والناقد ان يصور لنا الاتجاهات التى تشكل ملامح الادب العالمى المعاصر من خلال انجازات هؤلاء الاعلام الذين سيطروا على مجالات الشعر والمسرح والرواية والنقد منذ مطلع القرن الحالى حتى الآن .

وكتاب « ادباء القرن العشرين » يقع فى جزءين ، وقد حرص المؤلف ان يلتزم فيه جانب الموضوعية للادباء الذين تناولهم بالبحث والتحليل ، وذلك من خلال تطبيق معايير النقد الحديث

وكان ترتيب هؤلاء الادباء فى هذا الكتاب حسب ميلادهم بصرف النظر عن البلد الذى ينتمون اليه ، حتى يستطيع القارىء تتبع مراحل التطور التى مر بها الادب العالمى منذ مطلع القرن العشرين حتى الآن

ومما هو جدير بالذكر ان بعض هؤلاء الادباء ترك بلده الاصلى واستوطن فى بلد آخر ، ولذلك جاءت خبرته الفكرية والفنية خصبة تجمع فى داخلها روح العصر ...

ومن هؤلاء ت.س . اليوت الامريكى المولد الذى قضى الفترة الاولى من حياته فى الولايات المتحدة ثم هاجر بعد ذلك الى انجلترا لكى يستقر هناك ويحصل على الجنسية البريطانية ، ولذلك تمتزج فى اشعاره ومسرحياته الروح الامريكية المتوثبة بالروح الانجليزية التقليدية المحافظة بحيث



فلاديمير نابوكوف



فرانسوا مورياك



ت . س . اليوت

يصعب وضع أدبه تحت بند الادب الامريكى وحده أو الادب الانجليزى وحده .

ينطبق نفس الوضع على الاديب الروسى المولد « فلاديمير نابوكوف ». الذى هاجر مبكرا الى امريكا بعد ان عاش فترة قصيرة فى اوروبا متنقلا بين فرنسا والمانيا . ولذلك امتزجت فى رواياته روح روسيا الاقطاعية والشيوعية بروح اوروبا الليبرالية والديمقراطية بروح امريكا الرأسمالية التى تجعل من الفرد محورا للمجتمع يدور حوله

أما يوجين اونيسكو فهو رومانى المولد بينما يعيش فى فرنسا منذ اكثر من ربع قرن ، ويتزعم مسرح العبث مع صامويل بيكيت الايرلندى الاصل. فهذه الروح العصرية هى التى تطبع انتاج هؤلاء الادباء بسمات متميزة مشتركة بالرغم من تعدد بيئاتهم ، فلم يكن اختلاف الاجيال والاجناس سببا جوهريا فى ضياع السمات المتميزة والمشتركة التى يمكن ان نلمسها فى خلال الدراسة التى قدمها كتاب « ادباء القرن العشرين »

فان روح العصر تدمغ الجميع بطابعها المحدد ، فنرى ان أعمال سومرست موم الروائية والمسرحية تستقى مضمونها الفكرى والاجتماعى من حياته فى فرنسا او من خبرته كطالب طب مما جعله احدى العلامات البارزة فى الاتجاه الواقعى المعاصر .

اما اعمال أ.م. فورستر فتغلفها النظرة الانسانية الشاملة التى ترى ان بدون القيم الانسانية ستتحطم الحياة

اما شون اوكيس فيبلور مضمونه الفكرى من خلال تعرية كل مظاهر الزيف والنفاق الاجتماعى

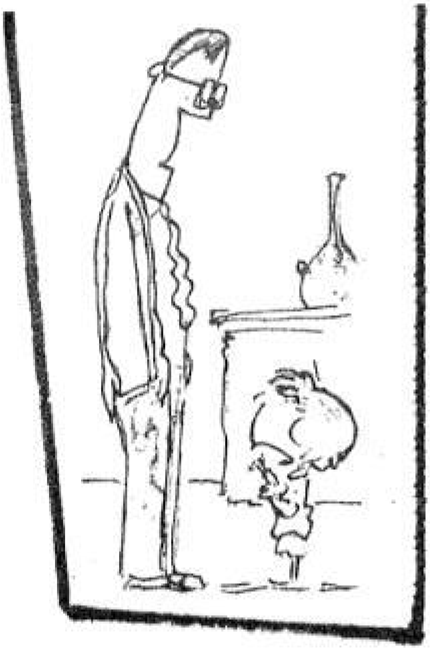
اما روايات فرانسوا مورياك فترتبط بالارض التى عاش عليها وخاصة مدينة بوردو والمناطق الريفية المحيطة بها فهى كانت قطعة من وجدان مورياك .

هذا ما قدمه الجزء الاول اما الجزء الثانى ، فقد قدم الينا ادباء بلاد الحضارة الرئيسية فى عالمنا المعاصر فقدم يوجين اونيل وارنست هيمنجواى ، وتينسى ويليامز من الولايات المتحدة ... واندريه مالرو ، وناتالى ساروت ، وصامويل بيكيت ، والبير كامى من فرنسا ، ولورانس داريل ، وانجوس ويلسون ، وايرس ميردوخ ، وجون اوزبورن من بريطانيا ... والبرتو مورافيا من ايطاليا ... وبوريس باسترناك من الاتحاد السوفييتى ... وبيتر فايس وفريدريش دورنيمات من كل من المانيا وسويسرا ممثلين للادب الالمانى المعاصر

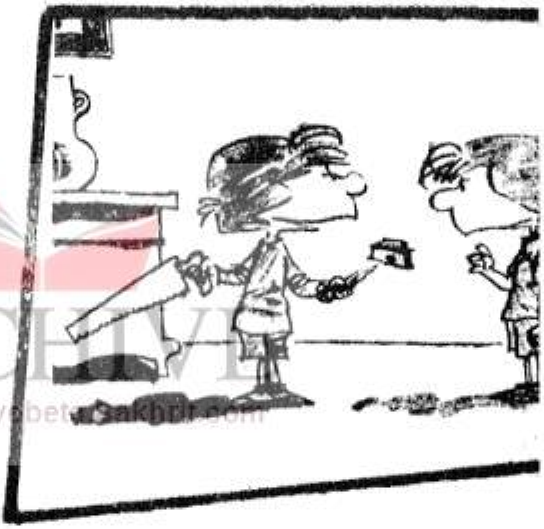
وهذا مما يدل على انه برغم تعدد البيئات والجنسيات فان روح العصر تقرب بينهم وتدمغ اعمالهم الشعرية والمسرحية والروائية بطابع مميز يسهل التعرف عليه ●

كاريكاتير

جيل جديد جداً !



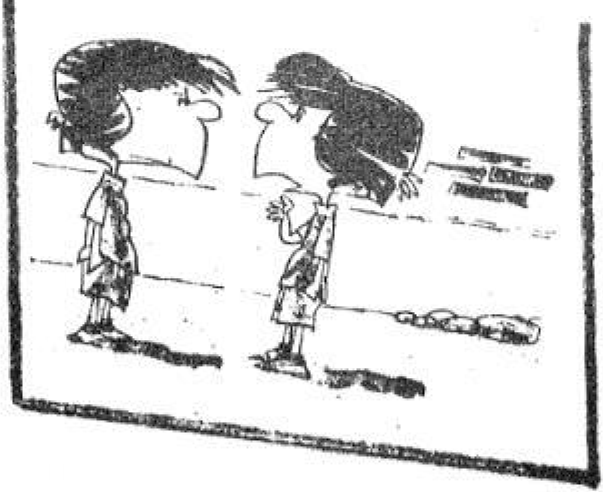
الولد لوالده : اللى محيرنى ياسيدى ان الخضار فيه فيتامينات .. والسبانخ فيها حديد .. اشمعنى بقى اللبس والبونبون ـ لا فيتامينات ولا حديد ؟!



الولد لصاحبه : بقولك ايه .. ما دام ماجابوش لنا لعب كويسة ، تاخد انت شاكوش وانا منشار .. نلعب بيهم على راحتنا فى البيت ونتسلى !



الولد لوالده : دايما ، دايما تقولى احنا مش متفقين ! يعنى لا انا ماجيلك ، ولا انت برضه .. خلاص نبقى متفقين !



الولد : الاصول بقى يعملوا لنا برلمان نتمرن فيه ، علشان لما نكبر ، نبقى من كبار الاعضاء !



الولد لصاحبه : صحيح انا دلوقت باحب البنت ميرفت .. لكن دا كله تدريب علشان ح احب « بريجيت باردو » !



الولد للطفل : اجرى انت العب بعيد ياولد !. عندنا دلوقت مشكلة خطيرة للمناقشة !

صورة الرجل في عين المرأة الفنانة والأديبة

● ماري غضبان ●

●● عندما تتصدى المراة لعمل فنى .. ماذا تكون وجهة نظرها اذا تعرضت لمن يشاركها الحياة .. الرجل ؟.. كيف تكون نظرة الاديبة ، المصورة ، المخرجة ، صاحبة الموهبة التى تشارك فى الخلق الفنى ؟ ..

هذا الموضوع هو محور بحث الناقد الفرنسى دانيال سيرسو فى كتابه « صورة الرجل فى عين المراة » والذى يقول فيه ان الرجال دائما متهمون ــ تدينهم المراة .. تعصب .. هم صغار فى عيونها ــ هذا على الاقل المراة للرجل فى اعمالها الادبية والفنية ..

●● فالرجل هنا لا يجد من يدافع عنه ... والرجل فى اعماله الادبية والفنية لايلتفت لهذه الناحية، ولكن المراة لا تعطى للرجل هذه الفرصة فى الدفاع عنه ، بل هى دائما تتهمه ، تواجهه ، تبارزه ولا تعطيه نفس القدر من نزاهة المبارزة .

حالة الرجل انه اما قوى جدا ، او ضعيف جدا .. رغم ان الحقيقة غير ذلك ، وغير ما تظهره حالة الرجل فى الاعمال الادبية والفنية التى تظهره اما قويا تعبده المراة ويستعبدها واما ضعيفا لا يستطيع مقاومتها او الافلات من اغرائها .

باختصار تبدو غالبية اعمال النساء الفنية والادبية ثورة ضد الرجل .. والغريب ان تحرير المراة ليس من الموضوعات التى تأخذ اهتمام المراة الاديبة او الفنانة .

والقضية المحورية لمعالجة المراة لمسائل الحياة العامة للمراة والرجل لا تدور حول السياسة العامة التى تتناول مركز المراة فى المجتمع وحجم مشاركتها للرجل . ولكنها تصر على ان تدور حول قضية « الخيانة » خيانة الرجل للمراة .. والمراة التى تقبل ان تخون امراة اخرى مع رجل .. هذا الوضع اصبح فى حكم « الجريمة » التى تدينها كل اعمال المراة الادبية والفنية

***

والاجيال الجديدة من النساء يمتلكن الايجابية التى تجعلهن يثرن على هذه الاوضاع ، بل ويكون الاصرار على رفضها ، فالمراة ترفض « سادية » الرجل بل وترفض «ماسوشية » المراة ورضاءها بان تكون اسيرة رغبات الرجل، الرغبات التى تعذبهن فى احيان كثيرة .

***

وينتقل الكاتب الى امثلة من اعمال ادبية وفنية عالمية اتيح له ان يتابعها فالعمل الاخير لمخرج المجر الكبير مارتاميزاروش ــ وعنوانه « ٩ شهور » ــ تقول فيه المراة التى ملت الرجل الذى يتصورها مجرد عاشقة او خادمة انها تكتفى بانها حصلت على طفل ، وترفض ان تصارحه بمن يكون اب هذا الطفل .. وهى ترفض هذا الرجل الذى عاملها بقسوة ، وتقبل ان تستبدل به الطفل الذى تتصوره استمرار سعادتها وحياتها .

ومن بين اعمال الفنانة الفرنسية ايناس فردا : « واحدة تغنى والاخرى



الجابراين : صاحبة وجهة نظر متقدمة تجاه قضايا المرأة فى مواجهة الرجل

ترفض » ـ تقدم صورة انسان عاجز ، تنظر اليه المرأة صاحبة العمل الفنى على انه مجرد اضحوكة .. ولم تتعمق المرأة فى حياته لكى تحلل الوضـــع المرضى الذى يعيشه ونظرت اليه على انه مجرد مادة للسخرية .

وفى رواية « لعبة التفاحة » التى قدمتهـا التشيكية فيرا تشتيلوفا التى تقدم صورة طبيبة ناجحة فى مستشفى بينما يبدو زملاؤها الاطباء مجرد امثلة غير ناجحة ، ومع ذلك تخضع هـذه المرأة لسيطرة وبيروقراطية الرجل ..

ايضا فى « زهرة المرجريت » تتصور المرأة انها هى وحدها الجـديرة بالنجاح . بينما الرجل لا يستحق النجاح ، لكنه يحصل عليه بسهولة .

وفى الفيلم الفرنسى « حب الخيانة » للمخرجة يانيك بيلون تقيم المخـرجة الدنيا وتقعدها من اجل محاربة الخيانة الزوجية من خلال اسلوب هجومى على الرجل لا يتعرف على الدوافع التى تبعث بالرجل على الخيانة الزوجية ..

ورغم هذا تقول المخرجة انهـا تريد العدالة ، بينما هى مستمرة فى الهجوم على الرجل والتعريض به بقسوة بالغة العنف .

***

●● واذا كان هذا حال المرأة عندما تتعرض للرجل فى اعمالها الادبية والفنية فان الرجل لا يأخذ هذا الجـانب المتميز عندما يتعرض للمرأة .. وكثيرا



المخرجة الاسترالية
جيل ارمسترنج

ما يأخذ الرجل جانب المرأة ، والامثلة عديدة ، وحتى فى الاعمال الفنية والادبية العربية كما نرى فى عشرات الامثـلة من اعمال الرجال الادبية والفنية ، وكما نرى بعد ذلك فى الاعمال القليلة التى كتبتها المرأة وتحولت الى اعمال فنية مثل رواية حسن شاه « اريد حلا » التى اخرجها للسينما سعيد مرزوق ورواية لطيفة الزيات « البـاب المفتوح » التى اخرجها بركات ورواية كاتيا ثابت « لا عزاء للسيدات » التى اخرجها بركات ايضا ورواية «أيام معه» لكوليت خورى التى اخرجها محمد علوان وغيرها من اعمال فتحية العسال وزينب صادق وامينة الصاوى التى تحولت الى اعمـال فنية فى الاذاعة والسينما والتليفـزيون والمسرح ●

قصة

دنيا .. بلا أحزان

• السيد ابراهيم •

استوقفني المنظر الصاخب وشدني اليه.. ادهشني صديقي وهو يجذبني بعنف : هيا ! . . ولكني تسمرت في مكاني ... الفتاة التي ترقص وتتمايل على صدور الرجال ، صورة باهرة للانسانة الرقيقة .. لو امعنت فيها النظر لهالك ألمها ... لا تصدق ابدا ان هذه الفتاة العابثة ملائكية الوجه رغم الاهمال الواضح .. الوجه النحيل ، العينان ملونتان رائعتان ، فيهما سحر وطفولة .. الجسد النحيل الذي يتمايل في مهب الريح وتلعب به العواصف ليس سوى غصن البان لا يتحمل حرارة الرقصات وعنف الاهتزازات ! ..

تسمرت عيناي عليها ... ماذا ارى ... ان ما اراه شيء غريب يجذبني ، ويعذبني ! ...

صوت صديقي يعنفني قائلا :

ـ هيا يا رأفت .. سوف احدثك عنها !

ـ اه تعرفها ؟

ـ بالطبع ...

واخيرا استطعت ان اتمالك نفسي ، وان اجر قدمي جرا .. تساءلت وانا أسير كالمنوم مغناطيسيا ..

ـ ماذا ارى ؟ من هذه الفتاة ..

ونظرت نحو صديقي ، وجدته يبكي .. الدموع تفلت من بين اهدابه تبلل وجهه ، دون ارادة منه يحاول مسح الدموع ، تخونه الكلمات .. ساءلتني حاله .

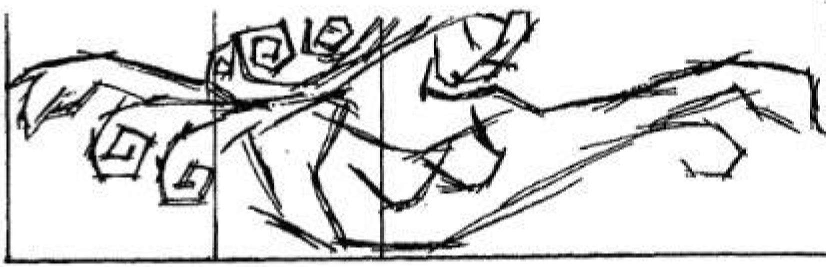
ـ ماذا يا حمدي ! لماذا كل هذا ؟

ـ هيا بنا .

وتمالك حمدي نفسه . . . قال بحزن ودموعه لا تنقطع : قد لاتصدق ما سوف احكيه ... اتدري من هذه الفتاة ومن هو والدها ؟ .. انها زينب .. بنت الحاج محمد عميد اسرة ابو السعود ، اسرة معروفة جيدا لهـا صلة بكل من في البلدة . معروفة بالخلق الرفيع . . لا تشكو من شيء أعطاها القدر كل شيء ، المال والجمال والخلق الرفيع ..

وزينب هذه التي تراها في هذا الموقف العجيب هي ابنته البكر .. لا يعرف احد ماذا الم بها ، سوى القلة القليلة التي تعرف حكايتها .. طول عمرها كانت متفوقة في دراستها ، حادة الذكاء ، رشيقة الاسلوب . . سعادتها في العلم تنهل من موارده كما تهوى .. سهلة الانقياد لوالديها . تحبها الأسرة ولا تمنع عنها اي شيء .. والفتاة تقابل هذا كله بالامتنان والشكر والتفوق ، حتى وصلت الى دراستها الجامعية ، وبدأت سنتها الاولى بالجامعة .. صاروخية الصعود .. اجتازت العقبات والمتغيرات ، وفرضت نفسها على كل شيء احبها الجميع واحترمها الزملاء ، وشجعها الأساتذة الكبار .. كانت شعلة خارقة من الذكاء ، وعيها اشعل لهب الغيرة في قلوب زميلاتها .. الزملاء اعجبوا بها وعاملتهم في رقة واخوة .. قلبها غني لا يعرف الحقد او الالتواء ..

تسلل الى قلبها شعور انساني يهواه الناس ويتعذبون به ، ولكن ذلك الامر لم تكن بحكم تربيتها تستطيع الافصاح عنه لاحد .. عاشت للشعور به ونما وسيطر عليها ، وبدأت الوردة تذبل.. اصابها الشرود وتعطلت مواهبها .. وبدأت تغرق في دوامة من الافكار لم تكن تعرفها .. احست بالتمزق ،وفي



الجسد من داخلها ينبعث مارد شيطان يسخر منها ومن رقتها وطهرها وعفافها ، ويدفعها دفعا نحو المجهول

في السنة الدراسية الثانية لم يعرفها كثير من الزملاء . حقا انها اجتازت الامتحان بنجاح ولكن بلا تفوق .. وفي السنة الثانية بدت الدراسة بلا رضا ، بلا قناعة ، بلا طموح .. تحطم داخلها شيء عظيم .. لم تشعر بنفسها . نسيت داخلها كل أحلامها . بل لم تعد تعرف الحلم الوردي الذي أخذ بيدها الى ضباب المأساة .. ماذا ترى ؟ ماذا تسمع ؟ بل ماذا تريد ؟

لم تعد تعرف ، ولم تعد تستطيع ، ورويدا .. رويدا بدأت تنفصل عن واقعها . بدأت تعيش اوهاما لم تكن تعرفها ..

وبدأت أسرتها تتألم من اجلها وتمد يدها لانتشالها . ولكن يبدو ان الوقت قد فات ...

الفتاة تتعذب ، تتألم ، تعيش أحزانها واوهامها .. الدراسة لم تعد هدفا ، التفوق لم يعد شيئا يهمها انقطعت اياما ، راحت كالتائهة في سراديب القاهرة .. لم تعد تعرف طريقها نحو كليتها ...

تألم من اجلها الزملاء والاساتذة ، حاولوا مساعدتها ولكنها رفضت . خافها الزملاء والناس ، اسرتها تحاول الاخذ بيدها ، ولكن كل شيء راح في غيبوبة الصراع الذي تعيشه ..

حاولوا اعادتها الى بلدتها ، لم تقبل .. ومرت أيام عصيبة وهم في قلق وانفعال الى ان فوجئوا بها يوما امامهم في ثياب غير ثيابها .. اختفى الاحتشام وحل محله تبرج وحركات غير متزنة .. تصرخ وتغني ، ترقص وتبكي ! .

حبسوها بين اربعة جدران ، ولكنها هربت الى النور .. كانت تصرخ وتبكي حتى يضطروا للافراج عنها وتخرج الى شوارع بلدتها التي تعرفها جيدا ... ووسط أهلها وناسها وصبيانها وبناتها تجري حوارا صامتا بالدم والدموع والالم والعذاب ... تحيطها قلوب الجميع وتواسيها ، ولكنها هي الوحيدة التي تعرف الحقيقة .. حقيقة مأساتها انها لا تحس بالالم او العذاب ..

لقد انطلقت الى آفاق البهجة بعد ان حطمت اسوار العزلة التي فرضت عليها ، وكأنها احست بأن كل ما في الحياة زيف وبهتان وباطل ، وان الالم والعذاب والشقاء والتفوق اشياء اصطنعها الانسان اصطناعا ليظل اسيرا وسجينا لخيالات وضباب يخلق له واقعا يرضى عنه ...

حطمت قيودها وانطلقت الى عالم بهيج ودفنت فيه أحزانها واوهامها وعاشت للسعادة وهي محلقة في واقعها الجديد بأجنحة الخيال ، ترقص وتغني ولا تتذكر شيئا من الماضي الذي هجرته وحطمته .. سعيا وراء حرية وارادة وواقع تريده ولم يردها .. هذه حياتها وواقعها الجديد .

ومسح صديقي دمعة كبيرة انحدرت على خده ، وجدتني اجاذبه برفق وانا اردد بيني وبين نفسي .. حقا ، ما الذي يريده الانسان . . بل ماذا تريده الحياة للانسان ولمن يحمل رسالته على مر العصور والازمان ..ولم اجد الاجابة ، وظل السؤال كما هو،ولعله سيظل الى آخر الزمان!

زهرات من رياض العرب



• لا تراجع •

كتب عمر بن عبد العزيز الى عامل له فى المظالم : « انه يخيل الى انى لو كتبت اليك ان تعطى رجلا شاة لكتبت الى : اضانا ام ماعزا ؟ .. ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى اذكرا ام انثى ؟ ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى اصغيرا ام كبيرا ؟
فاذا كتبت اليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها !

• فطنة شاعر •

ولى عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه رجلا من قريش عملا ، فبلغه انه قال:

اسقنى شربة الذ لديها
واسق بالله مثلها ابن هشام

فامر عمر بعزله عن عمله ، فلما قدم عليه قال له : البيت القائل « فانشد له البيت السابق » .
فقال الرجل : نعم يا امير المؤمنين ، وقد قلت بعده :

عسلا باردا بماء سحاب
اننى لا احب شرب المدام



فقال امير المؤمنين : اكذا قلت ؟
قال : نعم :
فرده عمر الى عمله .

• الحياء من الله •

كان الفضيل بن عياض يقول : يا مسكين : تغلق بابك ، وترخى سترك ، وتستحى من الناس ، ولا تستحى من الملكين اللذين معك ، ولا تستحى من القرآن الذى فى صدرك ، ولا تستحى من الجليل سبحانه وتعالى — وهو لا تخفى عليه خافية .

• لا توجد حسنات •

استفتى رجل الحسن البصرى فى أخذ راتبه ، لأنه يرى أن مافى خزائن الدولة من مال قد جمع من ظلم فقال للحسن : اترى ان آخذ عطائى او ادعه حتى آخذه من حسناتهم يوم القيامة؟ فقال له الحسن : ويحك ! قم فخذ عطاءك ، فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة !

• انفسكم اولا •

قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه « ميدانكم الأول انفسكم ، فان انتصرتم عليها كنتم على غيرها اقدر ... وان خذلتم فيها كنتم عن غيرها اعجز .. فجربوا معها الكفاح اولا » .

• دعوة الى الجنة •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى » ..
قالوا : يارسول الله ومن يابى ؟
قال : « من اطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد ابى » ..

• محسن فهمى •

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر يناير ۱۹۸۰

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ...

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ...

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان .

والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال » .

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد مارس ۱۹۸۰

آخـــر موعد لتسلم الردود ۲۰ من فبراير ۱۹۸۰

● الأسئلة ●

س ۱ : من اول من ركب الخيـــل وادخلها جزيرة العرب ؟
ج ۱ ... ... (مقال ... ...)

س ۲ ـ اين تقع قارة الانتاركتيكا ؟
ج ۲ ـ ... ... (مقال ... ...

س ۳ ـ لماذا يجب الا نقـول ربيـع الثانى ؟
ج ۳ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ٤ ـ ما الاصل العبرى لاسم « يسوع »

ج ٤ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ٥ ـ ما هو الفحم الابيض ؟

ج ٥ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ٦ ـ من مؤلف كتاب « تهافت التهافت » ؟

ج ٦ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ٧ ـ ما المبادىء الشرعية الاساسية فى كل حكم ؟

ج ٧ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ٨ ـ ما الاساس الذى يقوم عليه الاقتصاد العالمى ؟

ج ٨ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ٩ ـ لماذا ضرب عمر بن الخطاب ابنا له عندما سمى نفسه « ابا عيسى » ؟

ج ٩ ـ ... ... (مقال ... ...)

س ١٠ ـ من يوصف بانه شيخ المعتزلة ، ومن تلميذه ؟

ج ١٠ ـ ... ... (مقال ... ...)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد يناير ١٩٨٠

الاسم: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ السن: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ...

العنوان: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ



نتيجة مسابقة
عدد نوفمبر ١٩٧٩

هذه هي نتيجة المسابقة الثانية : اقرأ الهلال واكسب جائزة ـ عدد نوفمبر ١٩٧٩ .

ومسابقات « الهلال » في الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا اذا شاء الحظ وكان من الفائزين .

فان « الهلال » حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقرأها ويبدى رأيه فيها ، وهذه هي الغاية التي نرمي اليها من وراء هذه المسابقات ، اما الكسب المادى فرمزى فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم في المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة واجريت القرعة بينها .. وفيما يلى اسماء الفائزين في مسابقة شهر نوفمبر ١٩٧٩، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا في مسابقات الشهور القادمة :

الجائزة الاولى وقدرها خمسة جنيهات : حازم ممدوح يس ـ سوهاج ـ اخميم ـ شارع التحرير .

الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة جنيهات : محمد عبد الفضيل عبد القادر ـ ٣ شارع توفيق مجاهد بحدائق القبة .

الجائزة الثالثة وقدرها جنيهان : سهير السعودى ـ منوف ـ محافظة المنوفية .

الجائزة الرابعة وقدرها اشتراك سنة في مجلة الهلال : محمد سعيد ـ جمهورية جيبوتى ـ حارة عبد الله رقم ٤ شارع ١٢ .

الجائزة الخامسة وقدرها اشتراك سنة في مجلة الهلال : اكرو محمد ـ وزارة المالية ـ المراقبة الاقليمية للالتزامات بالنفقات اغادير ـ المغرب

فهرس موضوعات الهلال عام ١٩٧٩

حديث الشهر

● بقلم رئيس التحرير : د . حسين مؤنس ●

موضوعات عامة

استطلاعات مصورة

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
مصر الخالدة	د. حسين مؤنس	مايو	٩٨
الحمام	د. حسين مؤنس	يوليه	٩٨
سيناء .. ارض الاديان والتاريخ والمعارك	د. حسين مؤنس	يوليه	٩٨
غرناطة	د. حسين مؤنس	اغسطس	٩٨
الماس	د. حسين مؤنس	سبتمبر	٩٩
الكون على ضوء علم الفلك الجديد	د. حسين مؤنس	اكتوبر	٩٨
ملديف .. جزر النساء	د. حسين مؤنس	نوفمبر	٩٨
علماء وراء سر الحياة		نوفمبر	١٠٧
اسرار كوكب زحل	سعد شعبان	ديسمبر	٣٤
باريس الكبرى والقاهرة الكبرى	د. حسين مؤنس	ديسمبر	٩٨

اسلاميات

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
بالشورى والحرية يواجه الاسلام تحديات العصر	د. حسين مؤنس	يناير	٦
الاسلام وتحديات العصر	د. عبدالمنعم النمر	يناير	١٢
نبي الاسلام في راي الغربيين		يناير	١٧
الاسلام والتجربة العقلية	د. زكي نجيب محمود	يناير	١٨
الاسلام والمستقبل	فتحي رضوان	يناير	٢٠
من روائع اعجاز القرآن	د. جمال الفندي	يناير	٢٨
نبي الاسلام ومجتمع السلام	د. مصطفى الشكعة	يناير	٣٢
الاسلام والامن	د. لواء كمال عبدالحميد	يناير	٥٢
المناهج الاسلامية الحالية لا تمثل الاسلام الصحيح	د. احمد شلبي	يناير	٥٨
مادة السلام في الاسلام	د. احمد الشرباصي	يناير	٦٤
الاسلام والحياة المعاصرة	د. محمد كمال جعفر	يناير	٧٠
الدين في مجتمعات العصر	د. محمود علي مكي	يناير	٧٤
مفهوم عصري للاسلام في افريقيا	الشيخ عبدالرحمن النجار	يناير	٧٨
المرأة بين الاسلام والشرائع الاخرى	عبد الرزاق نوال	يناير	٨٨
الاسلام في مرآة الفكر الغربي	محمد الحديدي	يناير	٩٢
الاسلام في عالم البحر المتوسط	فرانشيسكو جابرييل	يناير	٩٨
موقف الغرب من الاسلام عبر التاريخ	مكسيم رودانسون	يناير	١٠١
حول الرؤية الجديدة في السيرة النبوية	السيد حسن قرون	يناير	١٠٧
تجربتي من الايمان	د. عبدالحليم محمود	فبراير	١٠
مع طلائع القرن الهجري الخامس عشر	انور الجندي	فبراير	٣٦
وحدة الثقافة الاسلامية ودور اللغة العربية فيها	محمد خلف الله احمد	فبراير	٥٢
الاسلام والعلم	د. عبدالمنعم النمر	ابريل	١٢
الله وحياة الانسان في فكره وسلوكه	د. زكي نجيب محمود	ابريل	١٨
الله والعلماء	محمد الحديدي	ابريل	٢٣
الاسلام والحياة المعاصرة	د. محمد كمال جعفر	ابريل	٣٨
الازهر .. مناهجه ومشكلاته العلمية	د. احمد شلبي	ابريل	٤٤
ايثار الاسلام للسلام	د. احمد الحوفي	مايو	١٠
الخيط المقطوع بين التوجيه الديني والشباب	د. حسين مؤنس	يونيه	٦

الموضوع	الكاتب	الصفحة	الشهر
نحو فكر اصيل معاصر	د. محمد كمال جعفر	يوليو	٣٢
تصحيح التاريخ	د. احمد شلبي	يوليو	٨٨
حصيلة اربعة عشر قرنا فى ظل رسالة محمد	د. حسين مؤنس	اغسطس	٦
محمد رسول الله ومشكلات القرن العشرين	فتحي رضوان	اغسطس	١٤
مثل من تسامح محمد وعفوه	د. عبدالجليل شلبي	اغسطس	٢٢
جوانب شخصية محمد	الامام محمود شلتوت	اغسطس	٢٥
على جبل النور	انيس منصور	اغسطس	٢٦
وقفة عند غار حراء	عبدالوهاب عزام	اغسطس	٣٢
محمد .. وبناء الجيل الجديد	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	اغسطس	٤٤
محمد وعلماء الافرنج	محمد رشيد رضا	اغسطس	٤٩
محمد بين الانبياء	د. محمد كمال جعفر	اغسطس	٥٠
محمد ابا ورب اسرة	د. مصطفى الديواني	اغسطس	٥٤
السيرة المحمدية	محمد قنديل البقل	اغسطس	٥٨
شباب فجر الاسلام حول محمد	مصطفى الشهابي	اغسطس	٦٤
محمد الداعية	د. احمد شلبي	اغسطس	٦٨
اثر الايمان فى قيام الدعوة الاسلامية	د. عبدالجليل شلبي	سبتمبر	١٢
تصحيح التاريخ	د. احمد شلبي	اكتوبر	٢٠
لمحات من تاريخ سيناء	محمد قنديل البقل	اكتوبر	٣٠
الحب والحرب فى القصر الكبير	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	اكتوبر	٦٢
تصحيح التاريخ	د. احمد شلبي	نوفمبر	٣٢
غاية التربية عند ابن حزم الاندلسي	د. عبدالحليم عويس	نوفمبر	٤٠
مع اشراقة القرن الخامس عشر الهجرى	مصطفى الشهابي	نوفمبر	٥٤
الحضارة العربية وتاثيرها فى اوروبا	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	نوفمبر	٦٤
الهلال مع شيخ الحرمين	عبدالمنعم الجداوي	نوفمبر	٨٤

أدب عربي

الموضوع	الكاتب	الصفحة	الشهر
عمود الشعر وشعرنا العربي	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	فبراير	١٣٢
عن هامش لغتنا الجميلة	فاروق شوشة	ابريل	٣٤
فى ذكرى العقاد .. قضية الشعر الجديد	د. عبدالفتاح الديدى	ابريل	٦٦
حديث الى الشباب	محمد عبدالغنى حسن	مايو	١٤
قضية الدماء الساخنة فى الادب	د. عبدالفتاح الديدى	مايو	٥٦
فلسفة الحكم بين شوقى وعزيز اباظة	د. سعد ظلام	مايو	٩٢
الصالونات الادبية النسائية فى مصر	اماني فريد	مايو	١١٦
التمرد الاجتماعي فى الشعر العربي المعاصر	د. محمد احمد العزب	يوليه	٥٢
التجربة الشعرية .. حوار حول مضمونها النقدي	د. محمد احمد العزب	يوليه	٦٨
مواجد الشعراء واحاسيسهم فى الاعياد	محمد عبدالغنى حسن	اغسطس	٩٢
حوار مع الدكتور يوسف خليف	عاطف فرج	سبتمبر	٤٨
فلسفة الحب عند ابن ابي ربيعة	د. عبدالفتاح الديدى	سبتمبر	٥٤
المعارضة الشعرية فى العصر العثماني	د. حسين نصار	سبتمبر	٦٨
العاطفة فى الشعر الهاتف بالوحدة	د. احمد الحوفى	اكتوبر	١٢
طاقة فى حائط دارنا تحكى قصة اللغة	سعد رضوان	اكتوبر	٨٦

الموضوع	الكاتب	الصفحة	الشهر
الادب ايضا له مستقبل	متى مؤنس	اكتوبر	١١٥
مع الدكتور شوقي ضيف	عادل عبدالصمد	نوفمبر	٢٧
استخدامات الادب	د. عبدالفتاح الديهدي	نوفمبر	٦٠
الوحدة العضوية للقصيدة وحوار حول مضمونها النقدي	د. محمد احمد العزب	نوفمبر	٧٨
كرامة الانسان في شعر العقاد	نصري عطا الله	نوفمبر	٩٢
محنة الرمل في الشعر الحديث	عبدالعليم القباني	نوفمبر	١٣٠

مرآة الفكر الغربي

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
الفراق .. تاليف : لورد بيرون	ترجمة د. سليم الاسيوطي	فبراير	٨٨
لن يموت شيء .. للشاعر : لورد الفريد تنسون	ترجمة د. سليم الاسيوطي	مارس	١١٨
مالارميه .. وفكرة اللغة المسحوقة	ماهر شفيق فريد	ابريل	١١٩
فراق الحب .. للشاعر شيلل	ترجمة د. سليم الاسيوطي	يونيه	٧٨
الكاتب المسرحي الامريكي تينسي وليامز يحاور نفسه	ترجمة : نصري عطا الله	يونيه	٨٤
قصة نجاح ادبي .. هي في حد ذاتها اسطورة	ترجمة : د. حسين مؤنس	يوليه	٤٤
رسالة غرام .. للشاعر و. هـ. اودن	ترجمة د. سليم الاسيوطي	يوليه	١٢٢
بودلير زهور الشر	شاهيناز حسن عمر	اغسطس	١٢٢
السهم والنشيد تاليف هـ . لونجفلو	ترجمة احمد مصطفى حافظ	سبتمبر	١٤٧
وقفة مع شاعر امريكي معاصر : جيمس ديكي	ترجمة د. سليم الاسيوطي	اكتوبر	١١٩

دراسات

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
اوديب مصريا ٢٠	يوسف الشاروني	يناير	١٠٨
عباقرة في العلم والفن معا	عزت محمد ابراهيم	يناير	١٠٤
الاديان غير السماوية	مصطفى الشهابي	ابريل	٢٨
على هامش لغتنا الجميلة	فاروق شوشة	ابريل	٣٤
ثورة في التعليم الجامعي لابد منها	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	ابريل	٤٨
العلاقات الثقافية بين مصر والسودان	يوسف الشاروني	مايو	٣٨
الدراسات العليا ايضا .. في حاجة الى ثورة جديدة	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	مايو	٦٢
الفسطاط الجامعة الاول في مصر الاسلامية	د. محمد عبدالمنعم خفاجي	يوليه	٤٤
الفراعنة والقانون	فتحي رضوان	يوليه	٣٠
المرأة والشعر	د. محمود علي مكي	يوليه	٥٠
كنوز عربية هامة في جامعة لايدن	احمد ابو كف	يوليه	٧٨

مواقف وشخصيات

تحقيقات

طب

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
تذكرة طبية : امل جديد للمتخلفين	د. مصطفى الديوانى	يناير	١٤٠
آفاق جديدة للطب النووى الحديث		فبراير	١٣٦
تذكرة طبية : نزلات البرد	د. السيد الجميل	ابريل	١٤٠
تذكرة طبية : الالتهاب الشعبى المزمن	د. السيد الجميل	يونيه	٩٥
محمد رسول الله طبيبا	د. محمد القواهرى	اغسطس	٩٣
تذكرة طبية : امراض الصيف	د. السيد الجميل	اغسطس	١٢٨
الوراثة مسئولة عن قرحة المعدة		سبتمبر	٨٦
تذكرة طبية : الهستيريا	د. السيد الجميل	سبتمبر	١٣٦
التوتر النفسى آفة العصر	جورج عزيز	اكتوبر	١٣٢
التوتر النفسى آفة العصر	جورج عزيز	نوفمبر	١٣٤
الانسان والوهم .. بين علم النفس وواقع الحياة	عزت محمد ابراهيم	ديسمبر	٨٨
تذكرة طبية : انت طبيب نفسك	د. السيد الجميل	ديسمبر	١٢٤
الاسترخاء .. فن الراحة وصفاء العقل	جورج عزيز	ديسمبر	١٣٤

علوم

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
معلومات جديدة عن تطور الانسان	محمد الحديدى	فبراير	٦٨
ارسطو العصر الحديث	د. صلاح عيد	فبراير	٩٠
الصدفة اصغار وراء العقل	د. عبدالفتاح الديدى	مارس	٤٢
التنجيم ما هو ؟	محمد الحديدى	مارس	٤٨
كفك دليل مهنتك		مارس	٥٤
قاموس مصطلحات النجوم والابراج	شندى الفلكى	مارس	٥٨
هل تعرف توامك الزمنى ؟	جورج عزيز	مارس	٦٢
الله والعلماء	محمد الحديدى	ابريل	٢٢
سر الحياة	محمد الحديدى	مايو	٢٨
هل للقمر تاثير خفى عل الانسان	د. حسين مؤنس	مايو	٣٤
من كوارث الطيران	د. حسين مؤنس	مايو	٨٥
زوار الفضاء	محمد الحديدى	يونيه	٢٨
من احداث الطيران : سهو يسير جدا ، والنتيجة اليمة جدا	ترجمة : د. حسين مؤنس	يوليه	٣٤
من حوادث الطيران	ترجمة : د.حسين مؤنس	يوليه	٣٨
ثقوب فى الفضاء تؤدى ال عالم اخر	محمد الحديدى	يوليه	٧٢
السيبرنطيقا وعالم المستقبل	محمد الحديدى	سبتمبر	٣٦
ومن العلم ما قتل	نهاد شريف	اكتوبر	٩٠
التخاطر .. هل توجد وسيلة للاتصال الروحى بين بنى الانسان	محمد الحديدى	نوفمبر	٤٤

سينما

من التراث

فنون

شعر

الموضوع :	الكاتب	الشهر	الصفحة
عودة الوجه الغائب	حسين على محمد	ابريل	١٣٦
لا تخجل	سعد عبد الرحمن	ابريل	١٣٧
سابقى اغنى	محمد عثمان صالح	ابريل	١٤١
مرافىء الاحباب	فوزى عطوى	مايو	٢٧
الربيع والحب	مصطفى عبدالرحمن	مايو	٦٤
العودة الى بلاد الشمس	سالم حقى	مايو	١١٥
انت غـال	كريمة زكى مبارك	مايو	١٢٥
الذى لا يذوب	فولاذ عبد الله الانور	مايو	١٤٠
احتج على عينيك	مصطفى رجب	مايو	١٤١
رفة العبير	محمد محمود غديه	مايو	١٤٥
نجم بعيد	مصطفى عبدالرءوف	مايو	١٤٥
فى مجلس الاحباب	مصطفى عوض‌الله بشارة	يونيه	١٥
ابو العباس المرسى	عبدالعليم القبانى	يونيه	٢٧
لهفة الحياة	ابراهيم عيسى	يونيه	٦٦
اعتراف	ابراهيم صبرى	يونيه	٨٢
سجن القلماء	احمد السمرة	يونيه	٨٩
الحقيقـــة	محمد برهام	يونيه	١٢٨
تفتح ورد الحياة	محمد على عبدالعال	يونيه	١٢٩
معزوفة للشاعر	ابراهيم صالح	يونيه	١٣٦
مقاطع من اغنية لم تكتمل	درويش الاسيوطى	يونيه	١٤٠
كهف الذكريات	د. سعد ظلام	يوليه	٧٧
ما تغير	روحية القلينى	يوليه	٩٣
عيناك	محمد حليم غالى	يوليه	١٢١
قالوا	فتحية النميرى	يوليه	١٢٥
البـــاب	محمد حلمى حامد	يوليه	١٤١
ذات الرداء الاسود	عبدالجواد طايل	يوليه	١٤٢
من خلال عينيها	د. عبدالحميد محمود	اغسطس	٣٣
بين يدى سيدى	ابراهيم عيسى	اغسطس	٧١
ليس الا الحب	محمد كمال الدين امام	اغسطس	٧٩
حســبى	عبد المنعم الانصارى	اغسطس	٩١
القبلة الاولى	سالم حقى	اغسطس	١١٥
متنــوعات	عمر شاهين	اغسطس	١٢١
روح المنى	د. مصطفى الجندى	اغسطس	١٢٣
صلاه الحقيقة	خديجة ابو زيد	اغسطس	١٣٢
اغنية لهواها	احمد مرتضى عبده	اغسطس	١٣٤
باقة سوسن	د. انس داود	سبتمبر	٣١
غيابة البنفسج	محمد ابراهيم ابو سنة	سبتمبر	٨٢
ذكريات صغيرة	ابراهيم عيسى	سبتمبر	٩٠
امسياتى	عبدالهادى النجار	سبتمبر	١١٥
روح الكلمات	عبدالشافى داود	سبتمبر	١١٩
اســماك	نشات المصرى	سبتمبر	١٣١
وجهها والحضور البعيد	محمد طنطاوى	سبتمبر	١٣٤
خلود الهوى	ياسين الفيل	سبتمبر	١٣٥
لا ترحلى	احمد مصطفى عوض	سبتمبر	١٤٢
كيف المقيت	نصار عبدالله	اكتوبر	٤١
حنين	مهدى محمد سعيد	اكتوبر	٤٩
سقطت جسور الحب	احمد السمرة	اكتوبر	٧٥
اللحن الاخير	فريد قرنى	اكتوبر	٧٩
نجمة الاصباح	د. كامل سعفان	اكتوبر	٨٩
قصيدتان	مصطفى رجب	اكتوبر	١٣٨
توبة	تاج‌الدين سلامة نوفل	اكتوبر	١٣٩
رســالتها	اسماعيل عبدالفتاح	اكتوبر	١٤٤
شفاء القلوب	مصطفى عوض‌الله بشارة	اكتوبر	١٤٧
حب جديد	د. انس داود	نوفمبر	٣٦
عاد .. وعدت	روحية القلينى	نوفمبر	٥٩
الداعى القانتات	محمود العتريس	نوفمبر	٦٧
البيان والحسن	عبدالله الانور فولاذ	نوفمبر	٧٥
تبقى الحياة	فولاذ عبدالله الانور	نوفمبر	١١٥

قصص

ابواب ومتنوعات

كلمة الهلال

الناس والعصر

● ناس وصور وحكايات ●

الاعداد : من عدد فبراير الى ديسمبر الصفحات
٨٠-٢٢-٧١-٥٠-٥٧-٦٢-٧٢-٧٤-٥٦-٦٨-٥٠ على التوالى

● فى مثل هذه الجميلة قالوا ●

الاعداد : يناير - مارس - ابريل - يوليه
الصفحات : ١٣١-١١٥-١١٥-١١٤

● زهرات من رياض العرب ● محسن فهمى

الاعداد من يناير الى ديسمبر ، الصفحات :
١٣٩ - ١٥٣ - ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٤ - ١٤١ - ١٤٦-١٢٥-١٤٣ - ١٤٠ - ١٣٨ - ١٢٥

● روح عن نفسك ● مصطفى الشهابى

الاعداد : ابريل - مايو - يونيه - يوليه - اغسطس - سبتمبر - اكتوبر - ديسمبر
الصفحات : ٩٨-١٤٦-١٢٤-١٤٤-١٣٠-١٤٠-١٤٢-١٣٦

● مرآة الفكر العربى ●

الموضوع	الكاتب	الشهر	الصفحة
الحلال والحرام فى الاسلام - تاليف : يوسف القرضاوى	اعداد : عادل عبدالصمد	يناير	١٠٤
الكعبة المشرفة - روح مصر فى قصص السباعى	اعداد : عادل عبدالصمد	فبراير	١١٢
من قضايا الفكر الاسلامى - تاليف : د. محمد كمال جعفر	اعداد : عادل عبدالصمد	مارس	١٣٦
شخصية مصر - الضرورة الشعرية فى النحو العربى	اعداد : عادل عبدالصمد	مايو	١٣٦
الغزالى والتصوف الإسلامى - السرقات الادبية	اعداد : عادل عبدالصمد	يونيه	١٢٠
مع الشعراء - تاليف : زكى نجيب محمود	اعداد : عادل عبدالصمد	يوليه	٩٤
الدعوة الاسلامية والاعلام الدينى - تاليف : د. عبد الله شحاته	اعداد : عادل عبدالصمد	اغسطس	٩٦
المتنبى .. دراسة عامة - تاليف جورج غريب	اعداد : عادل عبدالصمد	ديسمبر	١١٨

ترنيمة الختام ...

سبحات ..

• حسن كامل الصيرفي •

قد سبحنا بالفكر عندك يارب
فتاهت أرواحنا في سمائك
وشدونا ما قد شدونا ، ولكن
ضاع هذا جميعه في فضائك
وعرفنا من الخيال معانيه ، وغابت معاني جلالك
وسمعناك في الضمائر توحي
ما يهز القلوب من إيحائك
فجهلناه ، واستمعنا إلى ما
يملأ الجو من صفير هوائك
ورأيناك في الظلام مضيئاً
فشيئنا به حيارى ضيائك
ورأيناك في الجمال ، ولكن
لم تقدر لنا حياة الملائك
أنت قدرت أن نعيش حيارى
والحيارى على الرضا بقضائك
أنفس تهمس الرغائب فيها
همسات الكفاح والجسم شائك
في صراع الجسوم تنتقل الـ
أرواح ترجو الهدوء عند جوائك
ليت هذى الجسوم كانت صفاء
مستمدا جلاله من صفائك
لنعمنا مع الخلود بسر
دنيوي وصلته بسمائك ..



العلامة المؤرخ: أبو حنيفة الدينوري

انظر داخل العدد مقال: فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوروبية

فبراير ١٩٨٠

الهلال

مجلة الفكر العربي



الفن امر[illegible]

السبعونات .. عقد المتناقضات

قراءة فى فكر توفيق الحكيم

الرائدة: هدى شعراوى .. شاعرة

اللوفر

متحف الفن والجمال الخالد

{استطلاع بالألوان}


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٧ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧

كلمة الهلال

البند الأول

البند الاول فيميزانية الدولة وميزانيات الوزارات والهيئات الحكومية هو بند المرتبات والاجور ..

وقد القينا نظرة على مشروع الميزانية فروعنا ان البند الاول فى الميزانية العامة وفى الميزانيات الفرعية وميزانيات المشروعات يمثل ما بين ٦٠ الى ٧٠ فى المائة من الميزانية .. ومعنى ذلك اننا ناكل ثلاثة ارباع دخلنا كله ، والربع فقط هو الذى يذهب الى الانتاج نفسه .

حقيقة مروعة معناها اننا ــ فى كل بلد عربى ــ ناكل لحمنا الحى . وتهمنا هنا ميزانية الثقافة لأننا نعمل فى ميدانها .. ان الميزانية ــ او الموازنة ــ ترصد ٤٤مليونا للثقافة والاعلام . الثقافة تاخذ الربع والاعلام الثلاثة ارباع الباقية .

وهذا الربع الخاص بالثقافة يبلغ حوالى ١٠ ملايين ، منها سبعة ملايين ونصف للمرتبات والأجور و ٢٫٥ مليون للعمل الثقافى نفسه اى اننا ننفق ٧٫٥ الى ثمانية ملايين لنحصل على انتاج ثقافى قدره مليونان ونصف ، فاذا فرضنا مثلا ان مسرحية تتكلف ١٠٠٠ جنيه فان ٧٥٠ جنيها ياخذها العاملون فى المسرحية ولا يبقى للانفاق على اعداد المسرحية وملابسها ومناظرها واضوائها الا ٢٥٠ جنيها لا تكفى لاعداد مشهد واحد

هنا نضع يدنا على حقيقة رهيبة : اننا ناكل الثقافة كما ناكل التعليم والصحة وكل اموال الخدمات ، بدلا من أن ننفق المال فى تثقيف الناس نطعم « الافراد » او العاملين ونظل بدون ثقافة تقريبا ، ونحن بلد سكانه اربعون مليونا يخص كلا منهم للثقافة اقل من اثنين من عشرة من الجنيه .

حقيقة رهيبة نعيشها نحن العاملين فى خدمة الثقافة ونسال انفسنا دائما : ولم هذا الشقاء اذا كان نصيب المواطن من الثقافة عشرين قرشا

ماأصدق محمود بيرم التونسى عندما قال يسخر من المجلس البلدى فى الاسكندرية والضرائب التى كان يجبيها من الناس :

يا بائع الفجـل بالمليـم واحـدة
كم للعيـال ، وكم للمجلس البلدى

المحرر

في هلالك هذا الشهر

الهلال

مجلة الفكر العربي

ربيع الأول ١٤٠٠هـ
فبراير ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة الثامنة والثمانون ـ اول فبراير ١٩٨٠ ـ ١٤ من ربيع الاول ١٤٠٠

من الهلال

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر ..

الاشراف الفني على هذا العدد

أحمد الوردجي

● صورة الغلاف الأول ●

للشتاء في الدنيا جماله الذي يتجلى في الغابات السامقة في أجلى صوره ، وهذه الصورة التي زينا بها غلاف هذا العدد تصور هذه الناحية من جمال الشتاء في بلاد الغابات !

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم قيمة الاشتراك السنوى « ١٢ » عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج . ك . تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب . القاهرة .
الادارة : دار الهلال - ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط » .

السبعونات

عقد من تاريخ العرب حافل بالتطورات والتجارب والنصر الكبير

بقلم رئيس التحرير

عقد من تاريخ العرب حافل بالتطورات والتجارب والنصر الكبير والفرقة حول سياسة ما بعد النصر ، ولكنه رغم كل ما فيه عقد تقدم ونهوض ويقظة وسير الى الامام ..

في مطالع الثمانينات من هذا القرن ، يحلو للمفكر ان يجلس في صمت يسترجع السبعينات التي ودعناها منذ قليل ليعمل حسابها ، حساب السنين العشر ، ويسأل عما صنعناه بها وما صنعته بنا ، وهذا الحساب لا مفر منه اذا اردنا ان تكون حياتنا ذات معنى او شئنا ان نعرف ان كنا نسير مع السنين او نتخلف وراء ركب السنين ..

بدأت السبعونات في ظل الالم والهزيمة ، فعندما أهلت سنة سبعين كنا لا نزال في تلك الغيبوبة التي أصابتنا عقب هزيمة يوليو ١٩٦٧ . هذه الهزيمة كما تصور لنا ما زالت سرا مخيفا ، لا يتصور انسان أن شعبا كالشعب العربي ، يجر وراءه تجارب حافلة الدروس والعبر يمكن أن يدخل حربا مع الد أعدائه بالصورة المهينة التي دخلنا بها تلك الحرب .

لكنا نعرف أن اسرائيل كانت تستعد وكنا نعرف ايضا ان ذلك العدو يحسن الاستعداد للحرب ، بل انه لا يحسن الا ذلك العمل لان الذين انشأوا ذلك البلد فكروا دائما على أن يبنوا كيانهم على العنف كما كان الرجل الابيض يفرض سلطانه على السود الذين يستوردهم من افريقية ليخدموه على العنف البالغ والارهاب . وما حدث في النصف الثاني من مايو ١٩٤٨ يشبه بالضبط ما كان يفعله البيض مع السود الذين كانوا يخدمونه في امريكا : ارهاب وعنف بالغ وتخويف . ضربات مثل دير ياسين أصابت الناس في فلسطين بهلع لا يوصف ، فخرجوا من ديارهم ألوفا ، وهاموا على وجوههم تاركين البيت

• فى تاريخنا المعاصر كانت الستينات سنوات الآلام والهزيمة واليأس ومحاولة لإعادة البناء، ثم أعقبتها السبعينات: بدأت بالحيرة، ثم كان النصر العظيم وما أعقبه من انتفاع بالنصر ثم عاد أمر العرب فتفرق من جديد..!

والمال والوطن أيضا ..

وهذا ما قصد اليه الارهابيون الاسرائيليون .. وكل الاسرائيليين فيما يتصل بعلاقاتهم بالعرب ـ ارهابيون .

وفيما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ رأينا من ارهاب اليهود ما كان كفيلا بأن يفتح العيون حتى تخرج من المحاجر ..

ولكن عيون العرب لا تخرج قط من محاجرها .. لا شيء في الدنيا يدهشهم أو يشغل اذهانهم او يوقظهم من السبات العميق ..

ودون استعداد تقريبا ذهبنا لنهزم اسرائيل .

وقبل ان ندخل الحرب كنا قد فقدناها .

وقبل ان نسترد انفاسنا كنا قد فقدنا الضفة الغربية والقدس والجولان وسيناء وفقدنا معها جيوشا كاملة .

وفقدنا اكثر من ذلك : فقدنا حلم النصر الجميل ، وكانت امتنا منذ قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ قد كسرت القيود وتخطت السدود واستكمل معظم بلادها استقلاله ، وبدأنا نستعد لاسترجاع الجزء الذى كان باقيا اذ ذاك فى يد الاستعمار وهو فلسطين .

بعد قرون طويلة قضيناها خارج التاريخ اردنا ان نعود اليه فى موكب نصر حافل جدير بماضينا ..

وكان يقود هذا الموكب بطل من ابطال تاريخ العرب هو جمال عبد الناصر .

وجمال عبد الناصر عندما قاد ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت عيناه مثبتتين فى قيادة أمة العرب . وأمة العرب كانت يومها تبحث عن قائد . ومن غرائب تاريخ العرب اننا لا نحب النظام ولا القيود ولا نستريح لطاعة القانون ، ولكننا مع ذلك لا نحسن السير الا تحت لواء قائد بطل ، حتى لو كان هذا القائد مملوكا يسمى بيبرس البندقدارى ، فاننا سرعان ما نصنع منه بطلا ونسميه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، تحت رايته نسير ونتنصر ، فاذا ادركنا النصر أخذنا نتمرد عليه ..

وجمال عبد الناصر الذى قاد العالم الثالث كله فى صراع حاسم مع الاستعمار أصبح بطل المستضعفين فى الارض جميعا الى ذلك الحين ، ومنهم العرب .

وتأميم قناة السويس كان نهاية عصر وبداية عصر للدنيا كلها الا لأمة العرب ففى غداة ذلك التأميم رفعت أمة العرب رجلها جمال عبد الناصر الى مصاف الأبطال .

وبلغت الفرحة بشعب عربى هو شعب سوريا أن أقبل من بعيد وبايع جمال عبد الناصر برياسة بلده ..

وكما وحد الملك مينا مصر العليا ومصر السفلى فى تاجه المزدوج ، كذلك وحد جمال عبد الناصر مصر وسوريا ، وحسبنا بعدها أن سلطنة مصر والشام

السبعونات
عقد من تاريخ العرب حافل بالتطورات والتجارب والنصر الكبير

- وكانت العمود الفقرى لأمة العرب خلال العصور الوسطى - قد عادت من جديد لتكسب لنا انتصارات تهز الدنيا مثل حطين وحمص وعين جالوت ..

ولكننا كما قلت لك لا نكاد نتابع حتى نأسف على أننا بايعنا ونبدأ حكايتنا الخالدة مع التمرد ..

وسوريا التى كانت تقوم على قدميها لفرحتها ولا تنام قط اذا وطئت ارضها قدم عملاق بنى من مركز بنى مزار بالمنيا - كانت أول من تمرد عليه ..

والناس الذين رأيتهم بعينى رأسى فى صيف سنة ١٩٥٨ ينامون فى العراء على جانبى طريق جمال عبد الناصر من حلب الى القاهرة لكى تكتحل عيونهم بمرآه .. هذا البلد هو الذى انقلب عليه وخلع طاعته فى فجريوم من أيام سبتمبر ١٩٦١، ومن ذلك اليوم بدأت مأساة هزيمة ١٩٦٧، لأن الانقلاب السورى أحدث فى نفس البطل العربى دويا هائلا فاتجه الى فرض سلطان قاهر على الجزء الذى بقى له من امبراطوريته ولكى يفرض هذا السلطان القاهر اثقل على المواطن المصرى، والمفكر المصرى بصفة خاصة، وملأ بالفزع قلوب الفئة التى كان يرجى منها أن تقود المسيرة معه، فئة المفكرين أقصد، فخفتت الاصوات وانكسرت القلوب وخيم على النفوس ظلام .

وفى الظلام لم يعد أحد يرى شيئا فى وضوح .

وفى هذا الظلام انتقل السلطان داخل مصر من يد القائد نفسه الى أيدى فئة من الشياطين

وهؤلاء الشياطين هم الذين ساقونا - وساقوا أمة العرب كلها الى هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

***

وفى ظلال تلك الهزيمة التى أصبحت عقدة نفسية دخلنا عقد السبعينات . ولم نكد نخطو خطوة فى ذلك العقد حتى اختطفت المنية بطل هذه الأمة فى الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠ .

لقد قام بمهمته فى التاريخ، ايقظ أمة العرب ورفع لواء الوحدة العربية وهزها فى عنف حتى تساقطت كل أوراقها كما تسقط أوراق الشجر فى الخريف، وترك الشجرة العارية ومضى لحال سبيله .

واخذت رياح الشتاء الهوج تعصف بشجرة العرب حتى ظن بعض الناس ان ماء الحياة فى كيانها قد جف .

***

ولكن ماء الحياة لا يجف فى شجرة العرب أبدا ..

ففى صمت بالغ وهدوء نفس يهز المشاعر بدأ زعماء جدد من العرب يتقدمهم محمد أنور السادات وفيصل ابن عبد العزيز، عصرا جديدا فى تاريخ العرب، عصرا من التعاون الوثيق والعمل المرسوم باحكام لبناء النصر، لأن النصر يبنى خطوة خطوة كما يبنى كل شىء عظيم، وكان الرئيس السادات قد استوعب فى نفسه خلاصة التجارب الأليمة الماضية كلها، وادرك ان ما يحتاجه العرب قبل كل شىء هو قاعدة صلبة يبنون عليها النصر، قاعدة مبنية على الواقع كما هو، لا تعرف الايهام ولا مكان فيها للاوهام، لأن ايهام الناس بأن هناك قوة كافية لكسب النصر ينفع اسرائيل ولا ينفع العرب، لأن اسرائيل تكون لديها فى هذه الحالة القوة الحقيقية اما العرب فلا يكون لديهم الا وهم القوة، وهذا الفرق الشاسع بين القوة ووهم القوة كان السبب الأكبر فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ . يتجلى لنا ذلك واضحا عند ما نقرأ فى كتاب « البحث عن الذات » للرئيس السادات كيف علم بكارثة يونيو ١٩٦٧ :

«فى صباح الاثنين ٥ من يونيو عرفت من الراديو أن اسرائيل قد بدأت الهجوم، فقلت فى نفسى : حسنا، سوف يلقنوا

• الثمانينات بدأت بداية سيئة بل مخيفة : بدأت وايران في براثن الفوضى والخلاف بين العرب على أشده حتى ضاعت الرؤية عند الكثير من العرب ثم جاءت كارثة اغتيال الروس لأفغانستان!

درسا لن ينسوه مدى الحيـــاة ــ كنت مطمئنا تمام الاطمئنان ، فحلقت ذقني ، وارتديت ملابسى على مهـل ، وتوجهت بسيارتى الى القيادة » ..

ثم تجلى بعد ذلك كيف تبـــدت لـه الحقيقة الأليمة ، وفى النهاية يقـول : « سألت بعض الموجـــودين ، قد ضرب الطيران باكمله وهو على الارض ، وبعد قليل رايت جمال عبد الناصر يخرج من الصالون ، ثم بدأ عامر يلقى باللوم كله على الامريكان قائلا : ان سلاح الطيران الامــريكى هو الذى ضربنا ، وليســـت اسرائيل ، ورد عبد الناصر « انا لست مستعدا لتصديق هذا الكلام، ولا لاصدار بيان رسمى بأن امريكا هى التى اعتدت علينا الا اذا اتيتنى بجناح طائرة واحدة عليها العلامة الامريكية » ــ (ص ٢٢٧)

نرى كيف ان ايهام عبـد الحكيم عامـر لكل من حوله بأن قواته العسكرية كانت على أتم الاهبة لمواجهة كل طارىء ، أدى فى النهـــاية الى الهزيمة ، ثم أدى بعـد ذلك الى موته نفسه .

هذه المرة ، وخلال سنوات ١٩٧١ و ١٩٧٢ بنى الرئيس الســـــادات قـوة عسكرية حقيقية ، واشرف على اعدادها وتدريبها بنفسه ، ولهـــذا كان واثقـا بالنصر ، فهو يعتمد على قوة لا على وهم بالقوة .

وعرف السادات ان النصر لا يتم الا بتضامن عربى سليم، واضمن الوسائل الى ذلك هو بناء محور مصر ــ السعودية وجعله اساسا يقوم عليه ذلك التضامن ، وكان محقا فى ذلك التفكير ، فهناك فى الرياض كان يحكم رجـل ذكى مؤمن واعى هو الملك فيصل الذى ادرك تماما ان مصر السادات هى الحليفة المرجـوة للنصر ، وقد تم التفاهم بين الرجلين على احسن ما يكون التفاهم والتعــاون بين العرب .

وكانت الخطوة الثانية لضمان النصر هى التحرر من تدخـل الروس لان اى دولة لا تملك ان تكسب حربا الا اذا كانت لها الحرية فى اتخاذ القرار النهـائى ، لانها تعرف ماذا تريد وتنفذه متى وكيف تريد ، والروس كانوا اصدقاء وحلفاء فى الظاهر ولكنهم فى الحقيقة لا يريدون للعرب ان ينتصروا قط ، ويريدون ان يظل العرب دائما تحت سلطانهم ، لان الروس عرفوا فى التــــاريخ بأنهم لا

يخلصون الا انفسهم ، وهم احرار طبعا فى اتخاذ السياسة التى يريدونها ،ونحن ايضا ينبغى ان تكون لنا هذه الحرية . ولهذا فقد اتخذ الرئيس السادات قراره بابعاد الخبراء الروس ، وكانوا الوفا وقد وزعهم الروس على النحو الذى يمكن لهم من التدخل فى اى قرار يمكن ان نتخذه ، ولهذا فقد كان ابعادهم من مصر خطوة لابد منها على طريق النصر .

وكان النصر بالفعل لأن محور مصر السعودية كان كفيلا بتوثيق التعاون بين مصر وسوريا وهما القوتان الضاربتان اللتان حملتا عبء حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وعندما بدت طلائع النصر تسارعت الدول العربية الى التأييد ، ووضعت دول البترول امكانياتها فى خدمة المعركة واستخدمت بترولها سلاحا فعالا فى المعركة ، فخرجت أمة العرب كلها منتصرة على اسرائيل لأول مرة منذ ثلاثين عاما ، وقد كان النصر مهينا لاسرائيل ، لأن قواتها تلاشت خلال الايام الاربعة الاولى من المعركة واستغاثت بأمريكا استغاثة المشرف على الهلاك ، فسارعت الولايات المتحدة الى تأييدها ، ووجد المحارب المصرى نفسه أمام الولايات المتحدة ، ولم يكن هناك أى معنى لاستمرار الحرب مع امريكا ، فاننا لن نهزمها أبدا ثم انها ليست هى الخصم الرئيسى ، ولهذا اوقفت الحرب بعد ان أبدى العرب فيها من البطولة وروح التضامن والذكاء ما رفع مكانهم فى الدنيا باسرها ،وهبطت اسرائيل فى نظر العالم كله ، وعرفت الولايات المتحدة ان اسرائيل فى حقيقة الامر ليست القوة الكبرى فى المنطقة ، وانما القوة الكبرى فى العرب اذا اتحدوا وفى مصر والسعودية اذا دام محورهما سليما ، واخيرا فى مصر وحدها .

***

كان نصر رمضان / اكتوبر نصرا حاسما ولو أن اسرائيل افلتت فى النهاية من الهزيمة الكاملة، ولكن العبرة هنا أن العرب حطموا الوهم الذى كان يقول ان اسرائيل لا تقهر ، وان العرب لن يستطيعوا هزيمة اسرائيل قط ، فقد انكشفوا وهانوا بل ذلوا وهم يستنجدون بالولايات المتحدة استنجاد الهالك الذى لا أمل له فى نجاة ، وعالم الغربى يتميز على غيره بأنه يؤمن بالحقائق ولا يعتمد الا عليها ، ويؤمن بالقوة والاتقان والاحكام والكفاءة ، فأما اسرائيل فقد تبين لاهل الغرب وفي مقدمتهم امريكا انها ليست بالقوة التى صورتها لهم ، وانه من الممكن للعرب اذا اتيحت لهم الفرصة أن يعصفوا بها ، وأما العرب فقد تكشفوا للغرب عن قوة هائلة ، فهم عسكريون من طراز ممتاز ، وهم قادرون على وضع الخطط السليمة وتنفيذها ، وحل المعضلات العويصة بوسائل تبتكرها عبقريتهم ، فقد ابتكر المصريون حلولا تدعو للاعجاب للقضاء على الاستحكامات التى لا تصدق التى انشاها الاسرائيليون على ضفة القناة وخلفها ، وليس بالامر اليسير أن يسقط خط بارليف فى اليومين الثانى والثالث من المعركة ، وان تتدفق الدبابات المصرية على سيناء بالمئات وتدخل فى معركة دبابات هائلة تستنفد فيها معظم دبابات اسرائيل ، ثم ان القيادة المصرية قامت برسم خططها ونفذتها باحكام كان الغربيون يحسبون انهم ينفردون به دون غيرهم من البشر . وكذلك الجندى العربى اثبت بطولة أعادت الى الأذهان بطولات العرب الأول .

وكل هذه عوامل غيرت صورة العرب امام الدنيا ، فهم اصحاب ايمان وقوة وقدرة على صنع النصر ، وهم اغنياء يملكون عنصرا من عناصر القوة المالية والاستراتيجية وهى البترول او النفط

• لو ظللنا على هذه الحال فإن الأمر لن يقف عند افغانستان ، فإن أزمة إيران تتطور من سيء إلى أسوأ ، وليس بمستبعد أن تحل بها لعنة الشيوعية وهنا يكون الخليج كله تحت رحمة الأعداء .. !

(١) فهو مصدر الطاقة الاكبر وعماد الصناعات والنقل . والعرب يملكون ثلاثة ارباع المستعمل منه فى الدنيا ونصف المخزون منه تحت باطن الارض ، أى احتياطى القوة لعالم الغرب .

وبعد حرب أكتوبر ازداد احساس العرب بقوتهم النفطية ، وتجلت لهم خمسة شركات النفط العالمية اذ كانت تشترى منهم البرميل وهو مئة وثمانون لترا بدولارين وثلاثة ارباع الدولار ، ثم تصفيه وتبيعه وكل ما يستخرج منه بما يقابل الاربعين دولارا ، ومن هنا فقد كدست هذه الشركات أرباحا هائلة وقد استخدمت بعضها فى الكشف عن منابع أخرى للبترول ، ونجحت فى ذلك وكانت تريد أن تستمر فى شراء النفط بهذا السعر الزهيد الى ما شاء الله .

ولكن نصر اكتوبر منح العرب القوة على مجابهة شركات البترول ورفع اثمان بترولهم شيئا فشيئا حتى بلغ متوسط سعر البرميل اليوم ستة وعشرين دولارا أو أكثر ، ومعنى ذلك أن دخل الدول العربية من البترول ارتفع حوالى تسع مرات مما جعل هذه الدول قوة مالية واستراتيجية يحسب لها كل حساب فى ميزان السياسة العالمية .

ولكى يستمر العرب على هذا المستوى من القوة ويزيدوا عليه كان ينبغى أن يستمر التضامن وأن يستمر ذلك العمل العربى المشترك بنفس القوة التى تجلى بها فى حرب اكتوبر وما بعدها بقليل ، ثم ان نصر اكتوبر كان لابد من الاستفادة منه والا ظلت اسرائيل كما هى جاثمة على صدر العرب محتلة لسيناء والضفة الغربية والقدس والجولان .

ورأى بعض العرب أن حرب اكتوبر لابد أن تستمر ، بمعنى اننا اذا كنا قد عقدنا هذه المرة هدنة مع اسرائيل ، فينبغى أن نكسرها عندما تجتمع لنا عناصر قوة جديدة نخوض بها معركة اخرى ، وهذا كان رأى الذين لم يدخلوا الحرب ولم يكتووا بنيرانها أو يتعرضوا لخسائرها ، وكان ذلك أيضا رأى سوريا التى لم تكسب شيئا يذكر من حرب

(١) ينطقه الكثيرون بكسر النون وهو خطأ ، والصحيح بالفتح ، وهو معرب عن اليونانية نافتا ومنه جاء لفظ النافتالين المعروف ، ومازال الروس يستعملون كلمة النافتا بمعنى البترول ، أو الزيت أويل » المستعمل فى الغرب ، ولفظ « اويل يعنى البترول الخام فهو زيتى القوام بما فيه من الغازلين والكيروسين ولكنه اذا صفى ونقى من المواد الاخرى أصبح بترولا فى لغة الغرب الاوروبى و « جاز » فى الولايات المتحدة .

اكتوبر لان رجالهـا لم يحكموا خطتهم الاحكام كله . فكسبوا في اليومين الأولين شيئا من الأرض ، ثم فقدوه بعد ذلك ، فخرجوا من الحرب بشعور المنهزم فى قرارة النفس .

وعلى هذا الاساس قسمت الدول العربية الى دول مواجهة وهى فى الحقيقة مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ودول مساندة تقدم الدعم المالى لدول المواجهة .

وكان رأى مصر أن هذا الوضع سيعود بنا الى جمود فترة اللاحرب واللاسلم ، وسنستمر فى ذلك الوضع حتى تجتمع القوة اللازمة لخوض معركة اخرى .

وقد وافقت مصر على ذلك أول الامر ، ولكنها كانت ترى أن هذا الوضع اذا استمر طويلا ضاعت ثمرات حرب اكتوبر ، وانه لابد للعرب من التحرك المستمر حتى تظل للنصر قيمته وحتى يمكن الانتقال منه الى نصر آخر .

وكانت مصر قد رأت انهـا هزمت اسرائيل فى حرب اكتوبر ، فلما انتهت قوة اسرائيل ظهرت قوة الولايات المتحدة وراءها ، وتحولت الحرب الى حرب مع الولايات المتحدة ومن العسير تصور انتصار العرب على الولايات المتحدة الا اذا كان ذلك فى ميدان الوهم والايهام ، وبالفعل ارتدت بعض دول العرب الى سياسة الوهم والايهام مرة اخرى : وهم النصر البعيد والايهام بأنه ممكن وفى متناول اليد ، وكانت اكثر الدول امعانا فى ذلك هى الدول التى لم تحارب قط الا وهما ، وكانت حربها وهما وايهاما ، وقرأنا فى خطاب القاه رئيس دولة عربية يقول فيه نصا « سنظل نطارد الاستعمار اينما ذهب ،وكلما برز برأسه فى مكان ضربناه حتى قطعنا جذوره من بلادنا بتاتا » وهذا نموذج ملموس من نماذج الوهم والايهام ، لاننا فى الحقيقة لم نعد نحارب الاستعمار فى بلادنا ، لان الاستعمار بمعناه المعروف انتهى منها وانما نحن نحارب الافتراس ، لان اسرائيل لا تستعمر ما بيدها من الارض بل تفترسه ، وسياستها فى الضفة الغربية وغزة والقدس سياسة افتراس عن طريق انشاء المستوطنات ومصادرة اراضى العرب واستقدام اليهود من نواحى الارض ، **واذا نحن تركنا اسرائيل ـ كما هى ـ فى انتظار النصر البعيد فاننا حتى عندما نخوض المعركة التالية لن نجد ما نحرره لان اسرائيل تكون قد افترست الأرض والناس افتراسا . والاوطان كلها تبدا فتوحا او استعمارا ثم تتحول الفتوح والاستعمارات الى اوطان ، فالعرب مثلا فتحوا بلادا كثيرة ، وباستمرار وجود العرب فيها تحولت الأراضى الى اراض عربية ، وكذلك تحول الناس الى عرب .**

لهـذا لجأت مصر الى طريق آخر للوصول الى الغاية الكبرى ، طريق السياسة لكى تستمر القضية حية متحركة ، وبالسياسة يمكن دفع الفكرة الجديدة عند اهل الغرب عن العرب حتى يثبت فى اذهان الامريكيين أن العرب هم القوة الحقيقية فى المنطقة وانهم أصحاب الارض ، كل الارض ، ولا يمكن ان تستمر فى الارض سياسة الافتراس .

وهذا هو طريق السلام الذى دعا اليه الرئيس محمد انور السادات وبداه بالمبادرة الفريدة فى بابها وزيارته للقدس وخطابه فى الكنيست مخيرا الاسرائيليين بين السلام والحرب ، بين الاستقرار والرخاء لكل المنطقة ، والشقاء والمآسى لكل من فيها أيضا ، وهى مبادرة اذهلت الدنيا حتى شبهوها بهبوط الانسان على سطح القمر .

وسار السادات فى هذا الطريق ، فكسب الولايات المتحدة واوروبا الغربية الى جانبه ، وفصل الولايات المتحدة عن اسرائيل بعض الشىء ، بل ادخلهـا شريكا فى صنع السلام فى المعركة ، وتخطى ذلك الى كسب تأييد الامريكيين

• تتحسرون على ضياع الأندلس ! فهذا هو عالم الإسلام تحول إلى أندلس يتهدده الأعداء وملوك الطوائف سادرون في غيهم .. نخشى أن يكون هذا عصر طوائف جديدة ، وهنا تكون النتيجة الأسيفة حتمية وهذه المرة لن نجد من يبكي علينا ..!

لوجهة النظر العربية في ضرورة تحرير كل الارض العربية وانشاء دولة للفلسطينيين .

وقد فوجئت اسرائيل نفسها بهذه السياسة الجديدة ، لأنها تقضي قضاء مبرما على سياسة الافتراس التي كانت ماضية فيها ، ولهذا فقد بدأت تتراجع وتتحيل ، ولكن وجود الولايات المتحدة الى جانب الحق والعدل اللذين يدعو اليهما العرب يرغمها على التسليم شيئا فشيئا ، وهي اليوم تبذل أقصى ما تستطيع للافلات من النتيجة المحتومة التي سيؤدي اليها الطريق الذي فتحته مبادرة السادات في ١٩ و ٢٠ من نوفمبر ١٩٧٨ .

***

ولكن بعض الاخوة العرب يتخوفون من هذا الطريق فيرفضونه رفضا فيه الكثير من الوهم والايهام ، ولكنهم قطعا سيتغير موقفهم عندما يرون ان هذا الطريق يؤدي آخر الامر الى النصر الموعود ، وهناك عوامل شتى وراء هذا الرفض لا يتسع المجال هنا لعرضها ، ولكنه في النهاية خط سياسي ، والفرقة العربية الراهنة ،هي فرقة أسيفة أطاحت بالكثير من دعائم وحدة العرب ومنها الجامعة العربية ، ولكنها ليست الفرقة البغيضة التي سادت عالم العرب في الستينات ، انها فرقة اختلاف حول الطريق : طريق الحرب بعد عمر طويل وطريق السياسة والاخذ والرد والتقدم في بطء وصعوبة بالغة لا تقل عن صعوبة الحرب ومتاعبها ، ولكنه طريق يحرك القضية باستمرار ويجعلها حية في قلوب الناس وأذهانهم ، وما دامت قضية فلسطين وتحريرها ـ بما في ذلك القدس ـ متحركة حية وموضع مفاوضات وأخذ ورد فانها تظل حية ولا تموت قط وبحياتها ينحسر خطر الافتراس شيئا فشيئا .

ويكفي ان نذكر ونحن في مداخل الثمانينات ان السبعينات بدأت واسرائيل منتصرة ومعتزة بقوتها ومحتلة لأراض عربية شاسعة ، وانتهت واسرائيل قد فقدت النصر والاعتزاز بالقوة وفقدت تلك الهالة التي كانت تظلها قبل حرب اكتوبر ، وهي تحاول التشبث بما في يدها ولكن اظافرها تتكسر وقواها تضعف ، وفي النهاية لابد أن ينتصر الحق وأهله ، وهنا لا يكون هناك مناص لأهل الرفض من التسليم بأن النصر له أكثر من طريق وأن السياسة لابد ان تكون سياسة حركة حتى تؤتي ثمارا ، بدل الجمود وانتظار فرصة قد لا تسنح قط ، عندما يتبينوا ذلك سيعود التضامن العربي ونحن في الثمانينات باذن الله .

د . حسين مؤنس

فى محراب الخلود

● د. محمد عبد المنعم خفاجى ●

تذكره الدنيا • ويهلل له العالم وتهتف باسمه الشعوب، ويحيطه الخلود بأجنحة الجلال والمجد والنور، كلما مضت الأيام، ومرت الأعوام، وتوالت الأجيال، لأن «الشريعة التي تلقاها من ربه مملوءة بالحكمة، وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس» (١)

ان الشعوب والأمم تعرفه، والانسانية دائما تحنى رأسها اجلالا لاسمه. الغرب يعجب من سيرته وتاريخه والشرق يرى فيه الانسان النبى الرسول الذى أنقذ العالم، وحرر البشرية من اسار الطغيان والعبودية •

أما المسلمون خاصة فيمجدونه، ويرون أن الايمان به قرين الايمان بالله جل جلاله، وأن هذا الايمان ضرورة انسانية لا مفر منها، لأنه اعلان لسيادة فكر حضارى رفيع، لابد أن تعيش فى ظلاله الناس جميعا، وأن يطبقوه فى حياتهم تطبيقا عمليا دقيقا، ليتمتعوا بالحياة فى جنة العدل والحرية والمساواة

يقول المستشرق المجرى الكبير عبد الكريم جرمانوس « ١٨٨٤ – ٧ من نوفمبر ١٩٧٩ »

« انى وأنا الرجل الأوروبى الذى لم يجد فى بيئته الا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية – تأثرت أعمق التأثر ببساطة دين محمد، والشريعة المنزلة عليه، وبعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه •

« لقد حافظ الاسلام دائما على مبادئه الداعية الى الحرية والاخاء والمساواة، ولا يوجد فى تعاليمه كلمة واحدة، أو عمل واحد، من شأنه أن يعوق تقدم المسلم، أو يمنع زيادة حظه من النور والمعرفة والقوة، بل ليس فى تعاليمه شىء لا يمكن تحقيقه عمليا، ان أوروبا لم تعرف الاخاء بين الناس الا بعد الثورة الفرنسية، بينما دعا الاسلام اليه، وطبقه المسلمون قبل ذلك بنحو ألف عام

« ولقد كانت فكرة الديمقراطية والمساواة من ابتكار القرن السابع عشر فى أوروبا، بينما هى حقيقة من حقائق الاسلام وأصوله منذ نشأ، فقد استمتع البشر فى ظله بكافة الحقوق الانسانية، فحجر الزاوية فى بناء هذا الدين أن الناس أمام الله سواء، من آمن منهم بهذا الدين، وارتضى شريعته، ومن لم يدخل فيه، وذلك فى عقد اجتماعى مرتكز على حسن التوازن • ومنح محمد ورسالته المرأة حقوقا قانونية أكثر مما لها فى ظلال غيره من الشرائع • وآمل، بل أتوقع، أن يكون الاسلام قادرا مرة أخرى على تحقيق هذه المعجزة » (٢).

وقال «رانكه» المؤرخ الألمانى (٣): «ان وحى القرآن الذى لا يجارى، يعد بلا مراء أساس العقيدة الانسانية، والثقافة البشرية »

« لقد قامت على رسالة محمد دولة كانت لا تغرب عنها الشمس، وقد عبر عن ذلك الخليفة العباسى هارون الرشيد

(١) كما جاء فى نبوءة السامافيدا، وهى من كتب براهمة الهند القديمة – الفقرتان ٦ و ٨ من الجزء الثانى من السامافيدا: ص ١٧ مطلع النور للعقاد (ط مكتبة دار العروبة) منقلا من كتاب (محمد فى الاسفار الدينية العالمية) لعبد الحق – وهو بالانجليزية •

(٢) ص ٣٠٩ وما بعدها من كتاب « لماذا أومن بالقرآن » لهلال على هلال •

(٣) ص ١١ بين فكرين تأليف جرمانوس – طبع دمشق •

(ـ ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م) خير تعبير ،حين رأى من قصره العظيم في بغداد سحابة في السماء ، فقال يناجيها : « أمطرى أين شئت فسوف يأتيني خراجك » .

«وقامت على شريعته ثقافة عالمية كانت هي ثقافة العالم كله طيلة الف عام أو يزيد ، وقامت على مبادئه وعقيدته حضارة اظلت البشرية كلها أجيالا طوالا.

لقد ذعر الشاعر الايطالي بترارك (١٣٢٤ ـ ١٣٧٤ م)لسيادة الحضارة العربية في عصره ، وعجز العقل الأوروبي عن مجاراتها ، فلم يملك الا ان يناجي نفسه قائلا لها : « يا عجبا ، لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب غالبا ، وسبقناها أحيانا ، الا العرب ، فهل قدر علينا ألا نعمل شيئا بعد العرب ؟ ، فيا لعبقرية ايطاليا الخامدة ! » .

واستمر هذا الذهول بافضلية العقل العربي والحضارة العربية ، طويلا ، حتى قال غوستاف لوبون في كتابه المشهور « حضارة العرب » : « الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوروبا ارهابا عدة قرون ، وعندما كانوا لا يرهبوننا باسلحتهم ، كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية السامقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس » .

وقال في موضع آخر من كتابه:« ان أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم ،فالعرب كانوا هم ممدنين للغرب ، وائمة له ، في ستة قرون ، وعن طريقهم اهتدى الغرب الى تراث الاغريق ، وكشف ماضيه فأخذ ينقب عنه »

ويشهد برنارد شو بحيوية دين محمد العجيبة ، ويقول : « انه الدين الوحيد ، الذي له طاقة هائلة ، لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة ، وهو صالح لكل العصور ، وان محمدا يجب ان يسمى منقذ الانسانية ، واعتقد انه لو اتيح لرجل مثله ان يحكم العالم الحديث لحالفه التوفيق في حل جميع مشكلاته ، باسلوب يؤدي الى السلام والسعادة ، اللذين يفتقر العالم اليهما كثيرا »(٤) .

ويقول جوته شاعر الالمان (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢) في كتابه « الديوان الشرقي للشاعر الغربي » : « ان الكتاب المقدس الذي جاء به محمد سيبقى ـ ولا ريب ـ منيرا للفكر الانساني الى الابد » .

ولقد كان انبعاث الاسلام على تلك الصورة الهائلة التي انطلق بها ، عملا معجزا حطم كل الاقيسة التاريخية ، كما يرى المؤرخ الانجليزي الكبير « توينبي » توقف العالم حياله ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، مبهورا مذهولا ، لا يدرى كيف حدث ، ولا كيف كان ، فلقد أصبحت الدولة الاسلامية ـ بعد فتح العراق وفارس والشام ومصر وغيرها ـ وارثة للامبراطورية الساسانية ، مثلما ورثت ملك الدولة الرومانية ، ثم تحولت بعد قليل الى امبراطورية عالمية كبرى ، فاقت جميع الامبراطوريات العالمية القديمة:البارثية ، السلوقية، الاخيمينية، البابلية الجديدة ، الاكادية ،الفارسية، الرومانية . وبنقل المسلمين للارقام الهندية عام ١٥٤هـ / ٧٧٣ م في عهد المنصور العباسي ، وعلى يدى ابراهيم الفزاري ، ثم بترجمتهم للثقافات الفارسية واليونانية والهندية في عهد المنصور والمهدى والرشيد والمأمون أسدوا للحياة الانسانية ، وللحضارة البشرية ، أجل ما اسدته اليهما أمة من الامم . وكان المسلمون هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة (٤) ، وكانت واقعيتهم العملية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا الى القيام بتجارب واختبارات شخصية عديدة ، فكانوا يرون اجراء مئات التجارب والتحقيقات،للهدف العلمي الذي يعملون له ، دون أن يسعوا الى مكسب مادى .

(٥) ولم يأخذ العرب المسلمون العلوم التي دونوها عن طريق الاقتباس وكذلك لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم الغريبة من الامم القديمة ، دون مناقشة او تحقيق ، فلقد ادهشوا العالم بالحرية الموضوعية ، والشجاعة العلمية ، اللتين استقبلوا بهما نتائج السالفين واقوالهم، ليشبعوها بحثا ونقدا وتحقيقا ، وعملا دائبا في الحقل الجديد . رفضوا كل الاراء المنقولة عن السالفين باسم العلم ،

---

(٤) شمس العرب تسطع على الغرب ، للمستشرقة الالمانية هونكة .

(٥) ١٤٣ ، و ١٤٤ المرجع السابق .

ما لم تثبت لهم انفسهم صحتها ، عن طريق التجارب العلميه الصحيحة (٦) ، وقد صاح بترارك الشاعر الايطالى فى القرن الرابع عشر الميلادى متألما قائلا : ((هل قدر علينا الا نؤلف بعد العرب))؟

وصاح بطريرك قرطبة فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى يقول : « وا اسفاه!ان كل الشبان الذين يريدون اظهار نفوسهم تجدهم لا يعرفون الا لغة العرب وآدابهم ، حتى لقد كان قهر الاسبان العسكرى للعرب غير منتقص من اعجابهم الفكرى بهم قيد شعرة » .

وفى عصر المأمون العباسى قام سبعون عالما جغرافيا من العرب برسم خريطة الأرض .

ـ ٢ ـ

اننا لنذكر ذلك كله ، فى هذا اليوم العظيم ، يوم ميلاد محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .. نذكر ذلك بعد ١٤٥٣ عاما هجريا من هذا الميلاد الخالد وبعد ١٤٠٩ اعوام ميلادية من مولد هذا الطفل اليتيم ،فى مكة المكرمة ، فى أرض الحجاز الهادئة،فى جزيرة العرب الكبيرة ذات التاريخ الطويل .. نذكره ، ونحن على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى والعالم كله يعى معنى هذا الحدث العظيم فى تاريخ العالم ومستقبل الانسانية ..

ومن قبل قال لامرتين الشاعر والمفكر الفرنسى الكبير : « ان حياة مثل حياة محمد ، وقوة كقوة تأمله وتفكيره ، وجهاده ووثبته على خرافات أمته ، وجاهلية شعبه ، وبأسه فى لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان ، وايمانه بالظفر ، واعلاء كلمة الله ، ورباطة جاشه ، لتثبيت أركان العقيدة الاسلامية ، ان كل ذلك ادلة على انه لم يكن يضمر خداعا ، او يعيش على باطل ، فهو خطيب ومشرع ورسول ، وهاد للانسان الى العقل ، وناشر للعقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين لا فرية فيه ، ولا جور ، ولا رقيات ، ومنشىء عشرين دولة فى الأرض »

ولقد كان هذا الميلاد أملا للبشرية جمعاء ، وانقاذا للانسان من عصر الجاهلية والوثنية والعبودية والظلام والفوضى والهمجية ، وكان نورا يضىء فى الأفق ، ليبشر العالم ببروغ فجر النور والحضارة والتوحيد والحرية والمساواة والاخاء والعدالة ، كان بشيرا بعصر جديد من المعرفة والرخاء والسعادة والسلام لبنى البشر جميعا .

ولقد ولد صلوات الله عليه وسلامه فى مكة، من بيت فى الذؤابة من قريش ، ومن العرب أجمعين ، أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب . وامه سيدة بنى زهرة ، آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وهو نسب شريف عريق عظيم، لم يجتمع لاحد من قبل ولا من بعد. وحدث عن أبويه ، وعن أجداده ، ولا حرج ، أصالة وعراقة ومجدا وتاريخا مشرفا ، وصفحات مشرقة بالجلال والفخار والعزة والمنعة وكريم الخلال .

ومات عبد الله وآمنة حامل بمحمد رسول الله ، وذلك قبل الميلاد النبوى بسبعة شهور ، وكان هذا الميلاد النبوى الكريم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام الفيل ٥٧٠ للميلاد ، بعد حادث الفيل بخمسين يوما، وكان هذا الميلاد صدى لآمال كبيرة لكثير من الناس والجماعات والشعوب .

ويروى التاريخ ـ كما يذكر ذلك الكلبى ـ أن ابناء عبد المطلب ، ومنهم عبد الله ، « كانوا اذا طافوا بالبيت ياخذون البصر »، وكانت آمنة ام رسول الله افضل امراة من قريش نسبا وموضعا .

وكما مات عبد الله أبو رسول الله ولم يره ابنه اذ كانت وفاته قبل ميلاد محمد بسبعة أشهر ـ ويروى الطبرى أن عبد الله اقبل من الشام فى قافلة تجارية لقريش ، فنزل بالمدينة ، وهو مريض ، فأقام بها أياما ، وتوفى ودفن بها ـ .. كذلك ماتت أمه وهو فى السادسة

(٦) ٢٨٥ ، المرجع نفسه .

من عمره. وعاش رسول الله في كفالة جده عبد المطلب ورعايته ، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، لا يجلس عليه غيره ، حتى لقد كان بنوه اذا ارادوا الجلوس جلسوا حول الفراش ، لايجلس عليه أحد منهم اجلالا له ، الا رسول الله فقد كان يأتي وهو غلام صغير ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم : «دعوا ابني ، فوالله ان له لشأنا» ثم يجلسه معه عليه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

ولما بلغ رسول الله ثماني سنين توفي جده عبد المطلب ، وذلك عام ٥٧٨ للميلاد فكفل محمدا عمه أبو طالب ، وكان عبد المطلب في حياته يوصي به أبا طالب ، لان أبا طالب وعبد الله والد الرسول أخوان لأب وأم ، وأمهما فاطمة المخزومية

وكان محمد يقول : انا اعربكم ، انا قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر (٧) .

- ٣ -

هذا الملاد النبوي المعظم ، كان مقدمة لحياة حافلة كبيرة ، فلم تلبث الأحداث أن توالت مسرعة مبشرة :

● حرب الفجار التي نشبت والرسول في سن العشرين «٨» وقيل بل كان في الرابعة عشرة أو في الخامسة عشرة من عمره .

● يوم ذي قار الذي انتصر فيه العرب على الفرس ، وقال فيه الرسول : هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم ، وبي نصروا .

● انتصار سيف بن ذي يزن ملك اليمن على الحبشة ، حيث أجلى الجيش الحبشي عن بلاده ، وهذا الحدث يرجع الى الأعوام الأولى لمولد رسول الله .

● حلف الفضول الذي عقدته قريش في دار عبد الله بن جدعان ، حيث تعاهدت قبائلها على الا يجدوا بمكة مظلوما الا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه ، حتى ترد اليه مظلمته ، وقد شهده الرسول ، وهو في سن العشرين ، وقال فيه : شهدت في دار «ابن جدعان» حلفا ما احب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الاسلام لاجبت .

● رحلة محمد مع عمه أبي طالب في قافلة تجارية لقريش ، الى الشام ، وسن محمد آنذاك تسع سنين كما يقول الطبري «٩» ، او اثنتا عشرة سنة كما يقول ابن القيم (١٠) .

● زواج محمد بخديجة بنت خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ومحمد في الخامسة والعشرين ، وخديجة في الخامسة والثلاثين ، أو في الأربعين وكانت خديجة يومئذ اوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا .

● بناء الكعبة ، ووضع رسول الله الحجر الاسود بيديه الشريفتين في موضعه من الكعبة بعد أن اختلفت قريش فيمن يضع الحجر بيده ، واختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه ، دون الأخرى .

● البعثة النبوية الشريفة وبدء نزول القرآن الكريم ، على محمد بن عبد الله ، بالرسالة ، نزل به الروح الأمين جبريل ، على محمد ، صلوات الله عليهما .

وهكذا تصاعدت الامور ، واختير رسول الله محمد بن عبد الله ، ليبلغ رسالة ربه الى الناس جميعا .. ودوى بهذه الرسالة صوت الوحي ، وجلجل بها فم الزمان ، وانتقل صداها فسار في سمع العصور ، وضمير الاجيال ، وهزت مشاعر الانسانية جمعاء ، ووجدان البشرية كافة ، وكانت ايذانا بعصر جديد من التوحيد والايمان والعلم والحرية والحضارة .

---

(٧) ١ : ١٧٨ سيرة ابن هشام
(٨) ٢ : ٤١ الطبري « طبع الاستقامة »
(٩) ٢ : ٣٣ الطبري
(١٠) ١ : ٢٢ زاد المعاد

على عتبة العقد الثامن من العمر ويقدم منهجًا إسلاميًا كاملًا

● انور الجندى ●

لا توجد فى تاريخ الأدب العربي الحديث شخصية استطاعت فى خلال خمسين عاما ان تطوف بكل المناهج والايديولوجيات والمذاهب العصرية ، وان تكشف عن حقيقتها وجوهرها ومدى صلاحيتها لبلادنا العربية والاسلامية مثل ، شخصية الأستاذ احمد حسين . . .

وتمثل حياة الأستاذ احمد حسين المباركة فى هذا العقد الثامن ، قمة النضج والفهم ، بعد تجربة ضخمة تمثل فى رحلتين : رحلة فى عالم المكان الى مختلف اجزاء العالم ، ورحلة فى عالم الزمان دراسة لتاريخ الانسانية والامم ... ومن هنا فقد حق علينا أن نقدم خلاصة هذه التجربة لنهديها الى شباب الاسلام والعرب فى مطالع القرن الهجرى الخامس عشر .

ولقد بدأ الاستاذ احمد حسين حياته السياسية والفكرية وطنيا يدعو الى المصرية ، كما دعا الى كثير من المناهج العصرية كالديمقراطية والاشتراكية والانسانية عبر مراحل متعددة ، ثم كانت مرحلة حياته المعاصرة الخصبة خلاصة كل التجارب والدراسات وهي ما يمكن ان تسمى بالمرحلة الاسلامية الخالصة . . .

ويرجع هذا الاتجاه فى اعماق الاستاذ أحمد حسين الى مطلع الصبا ، ولكنه ظل يعمق عاما بعد عام ، ثم كان لاتجاهه الى تفسير القرآن الكريم منذ عشرين عاما تقريبا وقراءته لكل ماكتبه المفسرون على اختلاف مذاهبهم وعصورهم أبعد الاثر فى تأكيد مفاهيمه الاسلامية الأصيلة المستمدة من المنابع القرآنية والنبوية التى يمكن ان يطلق عليها مفهوم أهل السنة والجماعة .

ثم صفت النفس بعد المرض والعزلة خلال العشر سنوات الاخيرة فاضطرم القلب بايمان عميق وبيان عذب يسمعه الذين يسعدون بلقاء الاستاذ والجلوس اليه .

ولقد شاء الاستاذ أحمد حسين فى السنوات الاخيرة او شاء الله تبارك وتعالى له ان يستصفى جميع القضايا المطروحة فى الساحة المصرية والعربية والاسلامية ببيان واف صحيح ،



يستمد أساسه من مفهوم قرآنى أصيل وعميق .

وبهذا المفهوم الأصيل والعميق يراجع كل كتاباته القديمة والمختلفة فى عهود مختلفة منها ابان مصر الفتاة او الحزب الاشتراكى ، أو مواقفه واعجابه ببعض مظاهر النهضة الغربية كاعجابه بالقمصان او بناء الشباب بالتربية العسكرية مما أطلق عليه كذبا وضلالا اسم الفاشية .

وقد كشف الاستاذ احمد حسين هذا المعنى حين قال : اننى فى مختلف أدوار حياتى انتقلت افكارى من النقيض للنقيض، ومن ابرز ذلك انى كنت رئيس اول حزب اشتراكى يعمل فى ظل القوانين القائمة قد سعيت رغم مرضى الى دار نقابة المحامين لأعلن بأنى ابرأ من الاشتراكية التى اوصلتنا الى ما وصلنا اليه وقد غيرت كل آرائى وافكارى تحت ضغط التجارب .

ويقول ان الهدف من انشاء نظام الاقمصة الخضراء فانه لم يكن فاشية او نازية وانما كان التماسا لتنظيم الشباب واعداده عسكريا فى وقت كانت البلاد فيه محتلة ولابد لتحريرها .

وجعلوه احدى سنن الحياة ..

وهكذا نجد الاستاذ أحمد حسين يستصفى وجهته خالصة لله تبارك وتعالى ، فيكشف عديدا من الحقائق اهمها فى مجال الاقتصاد ، فيكشف دور اليهود فى بناء الاقتصاد العالمى وادخاله الى عالم الاسلام وانهم الذين انشأوا علما سموه علم الاقتصاد وجعلوا الربا جوهره ولبه ، واقاموا المؤسسات صغراها وكبراها على اساس التعامل بالربا ، ووضعوا على رأس الهرم البنوك تفرض على الكافة التعامل بالربا .

وتربع اليهود على عرش البنوك يأخذون أموال الناس ويستنزفون دماءهم فى صورة الربا الذى جعلوه احدى سنن الحياة كالشمس والقمر والليل والنهار .

ويقول ان اليهود لم يستطيعوا ان يطلوا برأسهم فى دنيا المال « الاقتصاد » الا بعد ان فقد المسلمون سلطانهم وتفوقت عليهم أوروبا . وكان أن نجح اليهود ان يصبحوا هم ملوك المال وأن يخضعوا الدنيا بما فيها العالم الاسلامى نفسه لسلطانهم بحيث أصبحت ترى شركات التأمين والبنوك تغمر العالم الاسلامى من مشرقه الى مغربه ، دون ان يتصور الكثيرون انهم بذلك يغرقون الى الاذقان فى خطيئة شبهت فى الاسلام بالكفر ، حيث توعد الله المرابين بحرب من الله ورسوله .

زيف النظريات المطروحة ..

ويمضى الاستاذ أحمد حسين فيناقش الماركسية فى افاضة وعمق وفهم ...

يقول : ليس الأمر ان نقف عند عداء الماركسية على أساس انها صادرة من يهودى أو انها معادية للدين فحسب .

فالبدعة الجديدة تقول : ليست الماركسية سوى نظام اقتصادى ، فانا استطيع ان اكون متدينا وان اكون ماركسيا من الناحية الاقتصادية ، وهذا هو آخر ألوان التدليس اليهودى فقد وجدوا ان انكار ماركس لله ،وعداءه للدين سيقف حائلا فى المجتمعات الشرقية التى هى أساس الحضارات ومنبع الاديان كلها ـ عن اعتناق الماركسية. فكانت هذه البدعة الجديدة، ان نحوا جانبا مذهب ماركس الفلسفى ، واعتبروا ان كلامه من المادية الجدلية هو من قبيل الفلسفة ، ولكن اقتصاديات ماركس ومذهبه الاجتماعى جدير بالاتباع !

وهؤلاء الذين يقولون هذا القول اما انهم يغررون بعقول الناس واما انهم جهلة ... ذلك ان كل مادعا اليه ماركس انما ينشأ من هذا الفرض الذى تقدم به من ان ليس هناك اله ، وانما هى المادة تتفاعل وتحدث كل ماحولك من خلائق وانظمة ، وخلص من هذه المقدمة الى ان كل ما يقال عن الحب والرحمة والتعاون بين البشر ، وكل ما يقال عن الاخلاق والفضائل ونظام الاسرة انما هى خرافات واوهام ، وسبيل لاستغلال الاقوياء للضعفاء ، وليست الحياة سوى صراع المادة الاعمى ، والمادة كلما زادت « كما » تحولت الى (كيف) . ولما كانت الطبقة العاملة فى ازدياد مستمر ، فسوف تصبح حتما وبقوة التطور المادى هى الطبقة السائدة ، فعليها أن تعجل بالتطور وتجعل من نفسها ديكتاتورية حاكمة يكون عملها فى الدرجة الاولى تصفية الطبقات الاخرى عن طريق كل انواع القهر ! ..

ولقد سارت الوقائع على عكس كل ما قاله ماركس ! ..

وهناك حقيقتان تهدمان المنهج كله الاولى : انه لا يوجد فى العالم اليوم طبقة عمالية اكثر عددا ووعيا وتقدما مما يوجد فى الولايات المتحدة ، ومع ذلك فلن تجد عداء للماركسية كما تجده وسط عمال الولايات المتحدة واوروبا الغربية بعامة ، حيث بلغت الطبقة العاملة اقصى درجات القوة ، فدل ذلك على ان الامر ليس تطورا حتميا لا فكاك منه كما قال ماركس ! .. والسبب فى ذلك جد بسيط ، وهو ان العمال « سواء فى الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية» يعملون ساعات اقل ويحصلون على أجر مرتفع ، ويعيشون فى رفاهية بالمقارنة الى نظائرهم ممن يدينون بالماركسية !

واجب النصرة للمسلمين

ويعود الاستاذ احمد حسين فيكشف الدور الضخم الذى سيقوم به العالم الاسلامى فى القرن الخامس عشر فيقول انى شديد التفاؤل بمستقبل العالم الاسلامى وليس هذا التفاؤل مجرد عاطفة او تمنيات واحلام ، وانما هو واقع وحسابات مدروسة ونتائج وتطورات ملموسة

وانى لم ار عبر اشتغالى بالمسائل الاسلامية خلال اكثر من **نصف قرن الا كل ما** يشد عزمى ويقوى **ايمانى بمستقبل** العالم الاسلامى . **حقا لقد وقعت** بعض الاحداث التى **ملات النفس بالاضطراب** والاشفاق **على هذا** المستقبل ، ولكن الامور **كانت لا تلبث ان تستقيم وتصحح الاوضاع وتعود** مسيرة الاسلام الظافرة .

وعلى راس الاحداث **ظاهرتان : تدفق البترول ، وتناقض مصالح كتلتى الدول الصناعية الكبرى ...**

فاما عن الظاهرة الاولى : فالمشاهد والملحوظ الذى لا يكاد يسترعى نظر الكثيرين ان القدر الاكبر من هذا البترول الذى اصبح اليوم هو سلعة الحضارة الاولى، قد اصبح يتدفق فى البلاد الاسلامية شرقا وغربا، ابتداء من جزيرة العرب حتى اندونيسيا ،وحتى فى الاتحاد السوفييتى يوجد البترول فى الاجزاء الاسلامية (القوقاز) . وقد ينكر الروس انها اسلامية وانهم مغتصبون ، ولكن الله والملائكة واولى العلم يشهدون انها اسلامية فى يوم يظنونه بعيدا وهو اقرب مما يظنون ..

وإذا كان البترول « النفط » سينفد في يوم من الايام فان الطاقة الشمسية لن تنفد ، وهي لا تتوفر في أي قسم من الكرة الارضية توافرها في العالم الاسلامي ..

اما العلامة الثانية فهي التصادم بين الكتلة الرأسمالية والكتلة الشيوعية واندفاع كل منهما لتدعيم الدول الصغرى فلن يستفيد من ذلك في خاتمة المطاف سوى العالم الاسلامي في الدرجة الاولى .

ولا يتوقف الاستاذ احمد حسين ان يدعو الى تحرير الدول الاسلامية في قلب آسيا من الاستعمار الروسي في التركستان والقوقاز ، وان على العالم الاسلامي أن يحقق ما فرضه الله تبارك وتعالى عليه من واجب النصرة لاخوانه المسلمين في هذه البقاع .

ويتحدث الاستاذ احمد حسين عن اللغة العربية الخالدة ، فيقول :

لقد ماتت كل اللغات في الماضي وستموت في المستقبل ، ما عدا اللغة العربية فستبقى الى الأبد وتلك هي معجزة القرآن .

القيم الانسانية من الاسلام

ويتحدث الاستاذ احمد حسين عن الحدود الشرعية ويعلن انه لا مناص من تطبيقها ويواجه حملات التبشير والدعوات المادية الالحادية كالشيوعية في رصانة وقوة ويدعو المسلمين الى حمل لواء الجهاد في سبيل تحرير المسجد الاقصى .

ويتحدث الاستاذ احمد حسين عن الحوار بين المسيحية والاسلام ، ويعلن ان الاسلام هو وحده القادر على مواجهة المادية والالحاد وقهرهما ، ويعلن أن أوروبا لم تنهض نهضتها الحديثة الا بعد أن استعارت تلك القيم الانسانية من الاسلام . ويطلق الاوروبيون على العصر الذي عاشوا فيه تحت حكم الكنيسة المسيحية عصر الظلام الذي لم يخرجوا منه الا بعد أن أخذوا ببعض تعاليم الاسلام تحت ستار الاصلاح الديني .

واليوم والبشرية مهددة باسم العقل والعلم والتقدم ، باكتساح الايمان بحجة انه خرافات واوهام — فان هذا القول اذا جاز اشهاره في وجه اليهودية والمسيحية الكنسية فلا يمكن بحال ان يثار في وجه الاسلام ، لا من حيث العقيدة او نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه او تعاليم الاسلام فكل ذلك اثبت بالتجربة الحية قدرته على البقاء ودفع الانسان الى التحضر والارتقاء .

ويعلن الاستاذ أحمد حسين بأن العالم الاسلامي قد عرف ارادة القتال وهي علامة الحياة في الوقت الذي بدأت فيه هذه الارادة تضعف في شعوب أوروبا وأمريكا .

وقد بدأ المسلمون اليوم يشعرون بكيانهم في كل مكان ويقاتلون عن وجودهم في الفيليبين وتايلاند والحبشة وبورما ، وهذا مؤشر على الطريق .

ويدعو الاستاذ احمد حسين الى التحرر من التبعية للفكر الغربي وان نتشبث بحضارتنا الاسلامية ، ولكي نعرف في اختصار شديد ما هي مقومات هذه الحضارة وما تنطوي عليه من ارادة القتال في سبيل ما هو حق وصالح ونافع لبني الانسان . وعندي من اليقين والايمان أن المسلمين مقبلون على ذلك .

وبالنسبة للغرب وأزمته النفسية والاجتماعية يقول الاستاذ أحمد حسين انه لا علاج سوى الاسلام : « ان الاسلام يقدم لبني الانسان في العصر الحديث متطلباتهم في العالمية التي تتسع لبني البشر كافة على اختلاف اجناسهم . والعالم يتطلع لشجب التمييز العنصري . والعالم يتطلع لاعادة التوازن بين الروح والمادة وكل ذلك متحقق في الاسلام » .

وهكذا نجد أن الله تبارك وتعالى قد اعطى الاستاذ احمد حسين في هذه السنوات العشر من المرض — حيوية دافقة وفكرا متألقا يتمثل في ذلك النتاج الضخم الذي ينشره في مجلات رابطة العالم الاسلامي والازهر والهلال والثقافة ومنبر الاسلام كاشفا عن منهج كامل جامع ، هو عصارة ايمان عميق وصدق مع الله .

امد الله في عمره وكتب له مزيدا من فضله ونوره .

حينما ينسى تاريخ الأدب شاعرًا كبيرًا مجودًا

• محمد عبد الغنى حسن •

هناك عدد غير قليل من الشعراء اصابهم الاغفال والنسيان فى تاريخ الادب العربى على مسيرته الطويلة كلها منذ عصور الجاهلية الى العصر الحديث • والحمد لله على ترفق « التاريخ » بهؤلاء الشعراء ، فانه لم ينسهم جملة ، ولكنه ابقى على اسمائهم ، وعلى شذور متفرقة من اخبارهم ، وان كانت شذورا لا تصور اللوحة الكاملة لحياتهم ..

ومن هؤلاء الشعراء المنسيين المظلومين : « محمود بن حسن الوراق » الشاعر العباسى الحكيم فى المئة الثالثة من التاريخ الهجرى • واسم شاعرنا يدل على صنعة الوراقة عنده او عند ابيه ، الا ان الاعتقاد يميل بنا الى انها كانت حرفة الولد لا الوالد ..

ولا يعيب شاعرنا الكبير الحكيم ان يكون وراقا ، فقد كان ابن النديم صاحب « الفهرست » وراقا ، وكان ياقوت الحموى صاحب « معجم الأدباء » وراقا ، وكذلك كان الشاعر الكاتب الأندلسى « عبد الله بن محمد الشنتريني » الذى قال فى مهنته التى لم تعد عليه بطائل مادى :

أما الوراقة فهى انكر حرفة　　　اوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بحالة ابرة　　　تكسو العراة وجسمها عريان !

ولقد ظلم صاحبنا « محمود الوراق » من ناحية الاهتمام بسيرته ، والترجمة له والتعريف به،فلم يتنبه لكتابة أسطر قليلة عنه الا الحصرى ، صاحب « زهر الآداب » ، وأبو عبيد البكرى ، صاحب « شرح الأمالى » لابى على القالى وابن شاكر الكتبى ، صاحب « فوات الوفيات » الذى استدرك به على « وفيات الأعيان » لابن خلكان • وهؤلاء الثلاثة هم أصحاب فضل فى تعريفنا بالشاعر المجيد « محمود الوراق » فى أسطر وجيزة جدا كشفت عن ملامح خاطفة منه ..

(١) اى انه من الصحابة ، وهذا يعنى انه كان من كبار المعمرين ،،
(١) اى رثيه وتصره .

(١) وذكر ابن بسام صاحب الذخيرة انه توفى سنة ٤٥٣ هـ • فيالفرق بين التاريخين !

ثم جاء خير الدين الزركلي في زماننا هذا فدون له في « الاعلام » ترجمة يسيرة جدا كانت جهد الرجل ـ رحمه الله ـ في التنقيب والتنقير عن حيـــاة ذلك الشاعر المغمور ..

***

« اذا كان التعريف « بمحمود الوراق » قد وقف في القديم والحـــديث عند هؤلاء الأربعة ، لم يتعدهم الى سواهم فيما نعلم وفيما وصل الينا من مصـــادر مخطوطة أو مطبوعة ، فان هناك فريقا آخر من المصنفين قد أنصف ذلك الشاعر الحكيم برواية أطراف من شعره الضائع ، ما بين البيت والبيتين الى بضـــعة الأبيات ..

وهذا الشعر المروى المنسوب الى « محمود الوراق » يشكل عنصرا من الوفاء والبر بهذا الشاعر الذى لولا أبياته المبعثرة في بعض المؤلفات القـديمة لغطى النسيان عليه جملة ، وجر عليه مساحبه ..

وهؤلاء الرواة الذين قدموا يد البر الى الشاعر المغمور « محمود الوراق » ، هم ـ كما نعلم من مروياتهم التى تحت ايدينا ـ ابن عبدربه صاحب « العقد الفريد » وابراهيم الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣ هـ(١) صاحب كتاب « بهجة المجالس وأنس المجالس » وابو عبيد البكرى الأونبى المتوفى ســـنة ٤٨٧ هـ صـــاحب « اللآلى ، فى شرح الأمالى » . والراغب الأصبهانى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، صاحب كتاب « محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء » . وابن الشجرى المتوفى ســـنة ٥٤٢ هـ صاحب كتاب « الحماسة » ـ وهى بالطبع غير حمـــاستى أبى تمام ، والبحترى ، والحماسة البصرية . ومحمد بن أحمد الأبشيهى المتوفى ســـنة ٨٥٢ هـ صاحب كتاب « المستطرف ، فى كل فن مستظرف » .

ويختلف القدر المروى من شعر « محمود الوراق » بين كتاب وآخر من تلك الكتب التى ذكرناها ، فعل حين يروى له ابن الشجرى اربعة أبيـــات لا غير فى مقطوعتين احداهما فى الحرص على الدنيا ، والثانية فى الخضاب ، نجد الامام ابا عمر بن عبد البر القرطبى فى بهجة المجالس يروى له اكثر من خمســـين وثلاثمائة بيت فى أغراض مختلفة سنذكرها عما قليل . وهذا قدر كبير جدا من شعر « محمود الوراق » يوحى الينا أن نتساءل : من أين نقل ابن عبد البر ، وهو من رجال القرن الخامس ، هذه الأبيات الكثيرة لشاعر من شـــعراء القرن الثالث ؟ واذا كان قد نقلها عن ديوان وقع له لهذا الشـــاعر المنسى فاين هـــذا الديوان الذى لا تدلنا المصادر والمراجع عليه ؟

الواقع أن الأربعة الذين عرفونا بالشـــــاعر محمود الوراق ، وهم ثلاثة فى القديم وواحد فى الحديث كما سلف القول ، لم يذكروا أن لمحمود هذا ديوانا ، ولم يشيروا الى ذلك من قريب أو بعيد ، والواقع أيضا أن فهارس المخطوطات ـ وعلى رأسها « كشف الظنون » ـ لم تسجل ـ فيما سجلته من تراث ـ ديوانا للشاعر محمود بن حسن الوراق .

وهنا نعيد التساؤل السابق على صورة أخرى : هل كان شعر الوراق الذى وصل الى صاحب « العقد الفريد » أول الأمر والى صاحب « زهر الآداب » ثانيا والى صاحب « بهجة المجالس » ثالثا وعلى قدر كبير ـ هل كان ذلك الشعر مدونا

في ديوان خاص بالشاعر ، أو في مخطوطات وقعت لهؤلاء الرواة المدونين ، أم منقولا عن روايات الحفظ في الصدور ؟

***

ومن الطريف أن اسم الشاعر الوراق هذا يأتي في المصادر التي ذكرناها على أوجه لا تتفق ، ولكنها لا تختلف في الحقيقة ، ولا تقيم خلافا عليه .. فالحصري القيرواني يسميه « محمود بن الحسن الوراق » كاملا ، أو يقتصر على اسمه الاول فيقول : « محمود » . وابن عبد البر يفعل كذلك ، فيورد اسمه كاملا ، أو يقتصر على « محمود » . والراغب الأصبهاني صاحب « محاضرات الادباء » يسميه « محمود الوراق » ، أو يقتصر على « محمود » . وقد يرد في«المحاضرات» على أنه « محمد » لا « محمود » كما ورد ذلك في « المستطرف » ، وهو تحريف مطبعي مما يمتلىء به هذان الكتابان اللذان لم تنلهما عناية التحقيق الحديث الدقيق على الرغم مما يحفلان به من نوادر الأخبار والأشعار ..

والذى نلاحظه على صاحب « بهجة المجالس » أنه حين يستوثق من اسم «محمود الوراق» يذكره ، والا فانه يقول عنه : قال الآخر ، أو قال الشاعر .

ولا شك ان تسمية الرجال باسم « محمود » تقع نادرة جدا في اعلام القرون الثلاثة الهجرية الاولى ، كما تقع على قلة في اعلام القرنين الرابع والخامس . فكان اسم « محمد » كثيرا وشائعا ، على حين كان اسم « محمود » نادرا اولا ، وقليلا ثانيا ، ولم يكثر الا منذ بداية القرن السادس الهجرى . ولعل اول « محمود » يصادفنا في تاريخ الرجال في الفكر العربي هو « محمود بن لبيد الأنصارى » المتوفى سنة ست وتسعين ، او سبع وتسعين من الهجرة . وقد ذكر الامام البخارى أن له صحبة (٢) ، وان كان الامام مسلم عدّه من التابعين . اما ثاني « المحمودين » من الرجال فهو « محمود بن الربيع الأنصارى الخزرجي » المتوفى سنة ٩٩ هـ . اما ثالث « محمود » نصادفه في اعلام العرب فهو «محمود بن غيلان المروزي» الحافظ المحدث المتوفى سنة ٢٣٩ هـ ، أما رابع « محمود » فهو صاحبنا « محمود بن حسن الوراق » الشاعر الذى توفى في حدود سنة ٢٣٠ هـ ـ كما جاء في « فوات الوفيات » ، وهو وهم يحتاج الى مراجعة وتصحيح ، وان كان الزركلي صاحب « الأعلام » يذكر ـ استظهارا ـ انه توفي نحو سنة ٢٢٥ هـ،وهو وهم أيضا ـ فان شاعرنا عاش الى زمن المتوكل الذى صار خليفة سنة ٢٣٢ هـ كما تدل على ذلك حادثة بين محمود الوراق والمتوكل رواها ابن عبد ربه في « العقد الفريد » جـ ٦ ص ٤٠٤ .

***

ويبدو مما جاء في الأخبار عن الشاعر « محمود الوراق » انه كان ـ على الرغم من احترافه الوراقة ـ ميسور الحال ، موسعا عليه في الرزق . ولعله أثرى بعد احترافه الوراقة فتركها وظل اللقب الدال على قديم الحرفة لاصقا به وقد كانت له جارية أديبة طريفة ذكية حاضرة الجواب شاعرة .

ويروى « ابن عبد ربه » صاحب العقد الفريد أن الخليفة المتوكل على الله العباسي سمع بهذه الجارية الظريفة المغنية ، فأراد شراءها من شاعرنا وأعطاه

بها عشرة آلاف دينار ، فأبى ، فلما مات « محمود الوراق » وصارت الجارية من ميراثه ، اشتراها المتوكل بخمسة آلاف ، .. وقال لها : كنا أعطينا مولاك بك عشرة آلاف ، وقد اشتريناك من ميراثه بخمسة آلاف ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، اذا كانت الخلفاء تتربص بلذاتها المواريث ، فسنشترى بأرخص مما اشتريت!

ويدل هذا الجواب اللطيف المسكت على بديهة حاضرة لا يستغرب وجودها فى شاعرة أريبة • فقد روى صاحب محاضرات الأدباء أبياتا قالتها هذه الجارية فى وصف مصلوب، ولعله «بابك الخرمى» الثائر فى الحاد على الدولة العباسية وتصف الجارية أداة الصلب والمصلوب قائلة :

على مركب خشـــن ظهره طويل الوقوف بطىء المسير
تظل الذئاب وعرج الضباب يعفونه حسدا للطيور ..
فأسفله مأتم للســـباع وذروته عرس للنســـور !

وتؤكد لنا حادثة « محمود الوراق » وجاريته مع الخليفة العبـــاسى المتوكل ما استنتجناه من أن وفاة شاعرنا الوراق لم تكن فى خلافة المعتصم فى حـدود سنة ٢٣٠ هـ كما ذكر ابن شاكر الكتبى فى « فوات الوفيات » ولا نحو سـنة ٢٢٥ هـ كما استظهر المرحوم الزركلى فى « الاعلام » ، ولكنها كانت بعد سـنة ٢٣٢ هـ وهى السنة التى ولى فيها « المتوكل » الخلافة العباسية •

وقد كسر (٣) شاعرنا « محمود الوراق » شعره على موضوعات الزهد والحكم والمواعظ ، وقد انتبه مترجموه القليلون ورواة شـــعره فى كتب الأخبـــــار والمحاضرات والأسمار الى هذه الناحية التى تتضح بجلاء فى كل ما روى عنه • وان كان يبدو انه كان صاحب صبوة فى زمن الشباب ! فقد روى له ابن شاكر الكتبى صاحب « فوات الوفيات » ـ فى خلال طائفة من شعر الحكم والمواعظ ـ بيتين يقول فيهما :

ســـقيا لأيـام خلت وكأن أوجهها رياض !
أيام يحيينـا الهـوى وتميتنا الحدق المراض

ولكن هذه الصبوة التى يدعو لها الشاعر ولأيامها بالسقيا والاغداق قـد انتهت بانتهاء الشباب ، وصارت الى مسلك جاد رصين رزين وقور فى الحياة •

ويبدو أن الحكمة التى نظمها الشاعر « محمود الوراق » كانت بين أمـــرين اما مما استظهره هو من حكم الحكماء السابقين ، وأشعار الحكماء ، واما مما اجتمع له هو من التجارب التى لا تمدنا الأخبار عنه بشىء منها• وقد تنبه الى هذا « الحصرى القيروانى » صاحب « زهر الآداب » فقال : (وكان كثيرا ما ينقـل أخبار الماضين ، وحكم المتقدمين ، فيحلى بها نظامه ، ويزين بها كلامه ...) ولكن « ابا عبيد البكرى » صاحب « اللآلى فى شرح الأمالى » لم يلتفت الى هذه الظاهرة ، ولم يعرها اهتماما ، بل اكتفى بالنص على أن صـــاحبنا محـــمود الوراق : (شاعر كثير الشعر جيده ، دعامته فى الحكم والمواعظ والزهد) •

على أن الحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣ هـ أو ٤٥٣ هـ لم يكن هو وحده الذى قال بأخذ « محمود الوراق » حكم المتقدمين وصبها فى شعره ، فان « ابن عبد البر القرطبى » ـ وكان معاصرا للحصرى القيروانى ـ كان يتتبع بعض الحكم التى نظمها الوراق شعرا دون أن يكون له الا فضل الصـــوغ لا ابتكار المعنى .. فحين روى ابن عبد البر قول الأحنف بن قيس : (ما نازعنى أحد الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث خصال : ان كان فوقى عـرفت له قدره ، وان كان دونى أكرمت نفسى عنه ، وان كان مثلى تفضلت عليه) عقب عليه بقوله : أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب — وان كثـــرت منـــه على الجـــرائم
وما النـــاس الا واحد من ثـــلاثة — شريف ومشروف ومثـــل مقـــاوم
فاما الذى فوقى فاعـرف فضلـــه — والزم فيه الحـــق ، والحـــق لازم
واما الذى دونى فان قال صـنت عن — مقـــالتـــه نفسى وان لام لائـــم
واما الذى مثـــلى فان زل أو هفـــا — تفضلت ، ان الفضل للحر حاكم ..

على أننا اذا رجعنا الى أبيات الشاعر « على بن جبلة » التى يقول فيها :

جـلال مشـيب نزل — وأنس شـــباب رحل

نرى أن شاعرنا « الوراق » استلهمها لفظا ومعنى ووزنـــا ـ فى قـــوله فى الشيب والشباب :

بكيت لقرب الأجل — وبعد فوات الأمل
ووافد شـيب طرا — بعقب شباب رحل
شباب كأن لم يكن — وشيب كأن لم يزل
طواك بشير البقـــا — وحل نذير الأجـــل

واذا كان الأدباء القدامى الفاحصون المتتبعون قد لاحظوا أن شاعرنا المظلوم « محمود الوراق » كان يأخذ حكم السابقين وينظمها فى أسماط شعره ، ســـواء أكانت تلك الحكم المأخوذة منثورة أم منظومة ، فان هناك من لاحظ أن الشاعر « محمود الوراق » كان يؤخذ من شعره ومعانيه ، كما كان هو يأخذ من شـــعر غيره .. فصاحب « زهرالآداب » الذى لاحظ قضية الأخذ عند الشاعر محمود الوراق هو بعينه الذى لاحظ قضية الأخذ من شعره (انظر زهر الآدابحـ١/٩٧)

على أن الذى يحير الباحث فى شعر « محمود الوراق » هو اختلاطه بشعر غيره واضطراب الرواة فى ذلك . فان الأبيات الآتية :

حيـــاتك انفـــاس تعد وكلمـــا — مضى نفس منها انتقصت به جزءا
فتصبح فى نقص ، وتمسى بمثله — وما لك معقـــــول تحس به رزءا
يميتك ما يحييك فى كل ســـاعة — ويحدوك حاد ما يريد بك الهـــزءا

رواها صاحب كتاب « بهجة المجالس » ـ وهو ثقة ـ ونســـبها الى محمـــود

الوراق ، ولكنها جاءت في ديوان أبي نواس من شعره كما جاءت لأبي العتاهية فى ديوانه ص ٥٣ ٠

والأبيات الآتية :

اشتعل الشيب فافنيته ... وكل مقراضي فاعتقته
كنت اذا استقصيت قصي له ... وقلت فى نفسى : افنيته
عارضني من جانب آخر ... كانني قد كنت زملته
الشيب ما ليست له حيله ... اعياني الشيب فخليته

رواها صاحب « البهجة » ونسبها الى شاعرنا « محمود الوراق » ، ولكن الراغب الأصبهاني صاحب « محاضرات الأدباء » رواها ونسبها الى الشاعر « أبي دلف »

والبيتان التاليان :

وعائب عابني بشيب ... لم يعد لما الم - وقته
فقلت اذا عابني بشيبي ... : يا عائب الشيب لا بلغته !

نسبهما صاحب العقد الفريد الى محمود الوراق ، ونسبهما صاحب « خاص الخاص » الى محمد بن عبد الملك الزيات، ونسبهما ابوعلى القالى صاحب الأمالى الى أبى بكر السراج النحوى ، وأعجب ما فى قضية الخلط والاضطراب فى الشعر المروى لشاعرنا المظلوم « محمود الوراق » ما وجدناه حول البيتين الآتيين :

ابيض منى الراس بعد سواده ... ودعا المشيب شبيبتي لنفاد
واستحصد القوم الذى انا منهمو ... وكفى بذاك علامة لحصادي

فقد نسبهما ابن عبد البر القرطبى فى « بهجته » الى محمود الوراق ،ونسبهما الجاحظ في « الحيوان » الى حسان بن ثابت - وليسا فى ديوانه - ونسبهما الراغب فى « محاضراته » الى أبي عيينه !

***

قلنا ان الشاعر العباسي « محمود بن حسن الوراق » قال أكثر شعره - بل كله - فى الحكم والمواعظ ، والزهد والسلوك ٠ وما وقعنا له على شعر يمدح به انسانا ،حتى ولو كان الخليفة المتوكل العباسى الذى أبى أن يبيع له جاريته، أما شعر الصبوة فقد ذكرنا له قبلا بيتين نظمهما زمن الصبا ٠ ولما تصدى الامام ابن عبد البر القرطبى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ ليجمع فى كتابه « بهجة المجالس » نتفا مما قاله الشعراء في أغراض شتى من القول ، جمع لشاعرنا محمود الوراق أكثر من خمسين وثلاثمائة بيت من الشعر فى أغراض قاربت الأربعين غرضا ، ما بين وزن الكلام قبل النطق ، وارخاص الشيء بتركه ، والغنى والفقر فى النفس ، ومقابلة الظلم بالرحمة ، والاساءة بالاحسان ، وعدم جدوى الطب مع القضاء ، وعز القناعة ، وبقاء مال البر ، والأمانة ، والبخل وعلله ، والتكثر من الاخوان ، وأدب الصحبة ، والرضا بالأصدقاء على علاتهم ، وصيانة النظر ، والشيب والشباب والخضاب الى غير ذلك من المسائل الخلقية الرفيعة التى تضمن للمتحلى بها عيشا طيبا فى الحياة ، ورضا وتوفيقا من الله ٠٠

قـــراءة فى الفكر المسرحى عند توفيق الحكيم

● د. محمد احمد العزب ●

— ١ —

المسرحية مجموعة من الافعال المترابطة التى يستدعى بعضها بعضا، وتتخلق تخلقا عضويا يفضى الى نهاية ما ، وتتجســـد هـــذه الافعال فى شــــخوص يتحركون على المسرح ، ويطورون الحدث من خلال الحوار المتبادل ، وليس من خلال السرد الخارجى ، او الحكاية على لسان المؤلف .

وتتطلب المسرحية عقدة او مجموعة من العقد الثانوية التى ترفد عقــــدة اساسية ، ويأخذ بعض هذه العقـــد برقاب بعض ، حتى تصل جميعـــا الى ذروة التـــأزم ، ثم تفضى جميعـــا الى الانفراج ..

وقد ظلت الوحدات « الارسطية » تسيطر على الخلق المسرحى منذ فجر التاريخ المسرحى حتى عصور النهضة الحديثة، فوضع الفنانون المبدعون امامهم وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الفعل كحتمية مسرحية لا يمكن الخـــروج عليها . ولكن هؤلاء الفنانين لم يلبثوا ان تحرروا من هذه التقاليد الكلاسيكية، واصطنعوا لأنفسهم تقاليد اخرى تقترب او تبتعد من التقاليد القديمة .

ومهما يكــن من شىء فقـــد ظلت المسرحية كابداع ادبى مرتبطة ، حتى فى ذهن مؤلفها ، بخشبة المسرح. وظل « المسرح » كامنا فى واعية الكاتب ولا واعيته معا وهو يختار موضوعه ويعالج مادته ويؤسس التكنيك الخاص به . فالمؤلف الذى يكتب مسرحية انمـــا يعيش بالقوة او بالفعل على خشـــبة المسرح ، وفى دائرة هذا التشكيل الذى يتعانق فى تجسيده المثل والنص والاضـــاءة و « الديكور » والملابس والجمهور . وهذا هو ما يجعـــل من المسرح نوعا فنيا مختلفا عن غيره من الانواع القصصية والروائية والملحمية .

— ٢ —

وفى البناء المسرحى تختلف الـــرؤية بين التقليد والابتداع ، وبين الواقعيـــة والرمزية ، وبين الحضور والتاريخ .. ويختلف التكنيك بين تكثير الفصـــول وتكثيفها ، وبين منطقية البنـــاء ولا منطقيته ، وبين نمطية الشـــخوص وتحريرها .

وتختلف طبيعة الموضـــوع والصراع بين التنامى والجمـــود ، وبين البشرية واللابشرية .. ويختلف الحوار والحركة بين الذهنية والجدلة وبين الديناميـــة والسكون . وبين التسطيح والتعميق.

اما فى المنحنى التعبـــيرى للمسرح طوابع يشترط حلولهـــا فى النص حتى يمكن ان يكون قابلا للحلول على خشبة





توفيق الحكيم

المسرح . هذه الطوابع تتمثل في ضرورة التركيز ، وحتمية الايجاز ، وتطويع اللغة لطبائع الشخوص وتطبيع المحتوى الفكري ، وايحائية اللغة ، وصفاء العبارة ، وتوتر الايقاع ، وتدامج الفكر والفعل .

من هذا المنظور الفني يمكن ان نحاكم الظاهرة المسرحية ، وأن نضيف هذا السؤال الصميمي كقانون اولي : ماذا قالت المسرحية للحياة والاحياء ؟. وكيف قالته ؟. لأن هذا السؤال الصميمي يحدد الغاية والوسيلة من اى عمل مسرحي معا ، والغاية هنا هي ما يريد الكاتب توصيله الى الجمهور .. والوسيلة هنا هي أدوات الكاتب وتقنياته .

الغاية هي الموضوع ميتافيزيقيا او انسانيا ، مثاليا او واقعيا ، رجعيا او تقدميا ، طبقيا او شعبيا . . والوسيلة هي القواعد الفنية ، كقاعدة الوحدات الأرسطية ، أو قاعدة فصل الانواع ، والصراع الصاعد ، والشخصيات ، والحوار ، والاثارة .

وينبغي للحركة النقدية ـ دائما ـ ان تفرق في تناولها النقدي بين طبيعة المسرح (الحركي) وطبيعة المسرح (الذهني) وأن تحاسب كلا منهما على أساس من طبيعته . فالاول يرتبط بالممثلين والمسرح والجمهور ، اى (بالحركة) حين تقع بعدا ثالثا بعد بعدى الحوار والصراع ، والثاني يرتبط بالفكر والنفس والخيال ، اى (بالتامل) الذهني الذى (يعيش) الحركة وان كان لا يشاهدها .

ان المسرح الحركي يثير المتلقي عن طريق الحركة والحلول فوق خشبة المسرح المادى ، اما المسرح الذهني فيمارس هذه الاثارة عن طريق التامل والحلول في فضاء المشاعر والعواطف والتفكير اذا جاز ان يقال .. وفي كل الحالات لابد من توافر عنصرى الحوار والصراع ، لأنه بدونهما لا يمكن تصور مسرح ، على ان يكونا معا متصلين اتصالا عضويا بطبيعة العمل المسرحي وليسا مستقلين عنه . فالحوار الفكرى المجرد (محاورات افلاطون) ليس حوارا مسرحيا . والصراع العضلي المجرد ليس صراعا مسرحيا .. لابد ان يبطن الحوار بالفعل المتنامى ، وان يبطن الصراع بالحوار الصاعد .

ـ ٣ ـ

وحين نقترب من رؤية توفيق الحكيم المسرحية ، نراه يجسد رؤيته في هذا الصدد على اساس نقدى هو في مجمله استقطاب لقيم (الموضوع) و (الحوار) و (البناء) .. ففي (الموضوع) يرى :

١ ـ ان المسرح ينبغي ان يعالج العام ولا يعالج تفاصيل الحياة اليومية

كالرواية ، اى انه فن تركيبى وليس فنا تحليليا .

٢ ـ ان الموضوع فى العمل المسرحى يجب أن يتسم ـ حتى فى اختيارنا له ـ بالصعوبة والجدية وان يظل كالصخرة الصامدة فى طريق الفنان ليستخرج الفنان منه ـ فى محاولة تذليله ـ اروع ما فيه ، وليستخرج الموضوع من فنانه اروع ما عنده ..

٣ ـ ان يكون الموضوع مما يمكن اخراجه على مسرح محدود بوساطة ممثلين آدميين ، بمعنى الا يكون موضوعا وصفيا تلعب فيه الجمادات والنباتات والعجماوات ادوارا يصعب اخراجها على المسرح .

٤ ـ أن يظل الموضوع متخلقا فى شخوص المسرحية ، دون أن تقع عليه ولا عليهم نقطة واحدة من مداد قلم المؤلف . تفضح وجوده ، أو تكشف أن خلف مخلوقاته مؤلفا .

٥ ـ أن يتحدد الموضوع فى اطارات من وحدة الفعل ووحدة الزمان ووحدة المكان ، ومع ذلك فلابد أن تتحرك فى هذا الحيز الضيق اعظم المآسى البشرية والمهازل الانسانية ..

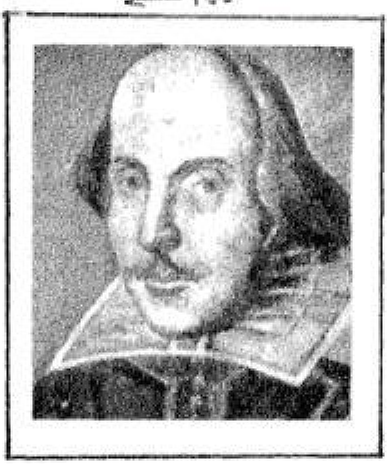
ويرى الحكيم ان المحور الصميمى الثانى من محاور العمل المسرحى هو (الحوار) وان على الحوار وحده تقع كل الاعباء . وذلك ان الحوار هو اداة المسرحية فهو الذى يعرض الحوادث ، ويخلق الاشخاص ، ويقيم المسرحية من مبدئها الى ختامها . بل ان الحكيم ليغلو فيؤكد أن الحوار ملكة تولد مع الانسان الموهوب اكثر مما هو شىء يكتسب .

واذا كان الحوار صميميا الى هذا الحد فينبغى على المؤلف أن يتعهده بطول الممارسة والمرانة . حتى يبوح له بأسراره ، ويسلم قياده له . لانه بلا حوار حقيقى مكتمل يصبح العمل المسرحى جثة بلا حراك .

ليس ذلك فحسب . وانما على الحوار يقع عبء تلوين الحوادث والمواقف باللون الموافق لنوع العمل المسرحى .. ان للمأساة مصطلحها اللفظى المشير لطوفان الرهبة والجزع والجلال والخشوع . كما ان للملهاة مصطلحها اللفظى الحاشد بروح الفكاهة والمرح والسخرية والعبرة . ولا تقف مهمة الحوار عند هذا الحد ، ولكنه يطالب بالسفر الداخلى الى اعماق الشخوص والاحداث ، وخلق (جو المسرح) ..

ويرى الحكيم ان هذه المهمات التى ينهض بها الحوار لا ينهض بها كأنواع أو عناصر مستقل بعضها عن بعض ، ولكنه يؤدى كل شىء فى وقت معا ، (فقد يرسل العبارة من عباراته ارسالا على لسان شخص من اشخاص المسرحية فاذا هذه العبارة محملة بمختلف المهام ، ففيها اخبار بحادثة ، وفيها تكوين لشخصيته ، وفيها خلق لجو ، وفيها

وليم شكسبير



تلوين لروح مظلم او مفرح مثلها كمثل العبارة الموسيقية التى تنطلق محملة بالنغم الذى يروى ويلون ويكون ويثير كل هذا فى لحظة) .

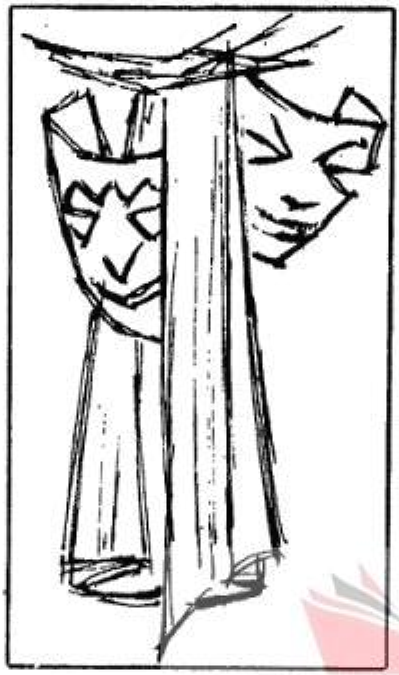
ويورد الحكيم عديدا من الملاحظات من الحوار : فقد يجرى الحوار على منطق الحديث الواقعى بين الناس فى الحياة . وقد يجرى على منطق الشعر المتجاوز لحرفية الواقع ... وقد يجرى على منطق الواقع الحيوى ولكنا نشم منه عطرا غريبا ينبعث من ثناياه يذكرنا بذلك العطر الشعرى .. وقد يجرى على منطق العلاقة بين الانسان وما هو اعلى . (وهنا نجد اسلوب الحوار لا يتسلسل طبعا بنظام واقعى ، ولكنه يجرى محمولا على اكتاف الفكرة مرة ، وعلى اجنحة الشعر مرة اخرى) .

اما المحور الثالث من محاور العمل المسرحى ـ كما يراه توفيق الحكيم ـ فهو محور (البناء) لان المسرحية كيان مبنى . اى قائم بعضه فوق بعض ، ومرتبط جزؤه بكله فى منطق ونظام ، هذه الاجزاء التى يضمها هذا البناء تتكون من مراحل ثلاث : العرض .. فالعقدة .. ثم الحل .

فالعرض هو : (تقديم الاشخاص ، وطيف الحادثة التى ستتضح ملامحها فيما بعد .. وتتعقد ثم تنفرج عن الخاتمة) ... وتختلف طرق العرض باختلاف نوعية المؤلف ، ثم باختلاف نوعية الموضوع والشخصية .

والعقدة هى : (حادثة توشك ان تقع ، ويترتب على وقوعها نتيجة او نتائج ، او هى مشكلة اجتماعية او عاطفية او فكرية تتهيأ للظهور ، وينجم عن ظهورها واشتباك اطرافها نتيجة او نتائج) .. وقد تكون فى المسرحية عقدة . وقد لا تكون ، وقد تتداخل العقدة مع العرض .

والحل : قد يكون جوابا عن الاسئلة التى اثيرت ، وقد يأتى نهاية لوقائع استطردت ، وقد يأتى هو سؤالا كبيرا ، وقد يجيء احساسا عاما بسحابة قاتمة او شفيفة من القلق الهائل الهائم .



هذه مفردات البناء المسرحى كما يراها توفيق الحكيم ، ولكنه يستدرك فيؤكد أن هذه المفردات لا تعمل عملها الخالق من خلال جبرية ميكانيكية بحتة ، لأن هذه الجبرية الميكانيكية اذا جازت فى الواقع المادى فانها قد لاتجوز فى الواقع الفنى ، (ان البناء المسرحى لا يمكن ان يكون بالضبط كالبناء المعمارى ، فالمهندس اذا رسم مسمارا على خريطة فلا شيء يغيره ، اما المؤلف فانه لا يضمن بقاء جزئية على حالها لو اندفعت شخصية فى اتجاه آخر على اثر كلمة فجائية لفظتها شخصية اخرى . ان المسرحية عجينة تتطور فى يد مؤلفها ، انها شجرة تنمو تحت اشراف بستانى ، ان المؤلف بالنسبة الى اشخاص المسرحية كالقدر بالنسبة

الينا فالقدر يعرف ما هو صانع بنا في نهاية الامر ، لكنه يترك لنا حرية الكلام والحركة التي تقتضيها دوافعنا الداخلية) .

وهكذا تتكامل رؤية رائد من رواد المسرح العربي — ان لم يكن رائده الوحيد — في الاساس النقدي

وقيمة هذه الرؤية انها ليست رؤية تنظيرية مجردة تجسد الحقائق النقدية من منظور محايد ،ولكنها رؤية تنظيرية مستلهمة من معاناة واقع ابداعي عاشه الكاتب وعاناه ، وخرج من مجموع ممارساته الفعلية في الكتابة الفنية بمثل هذا الاستقصاء النقدي الذي يتعانق فيه الخلق والتاصيل .

— ٤ —

وقد يكون من المفيد ان نضع هنا بعض الفروق الصميمة بين العمل القصصي والعمل المسرحي حتى تتضح الرؤية ، وتستقر مقولات النقد على فهم صحيح .

فالحوار (في المسرحية) يوشك ان يكون الفيصل الحاسم بينها وبين القصة، فبينما تتردد القصة بين الاتكاء على الاسلوب السردي والاسلوب التصويري مع بعض الحوارات لاتفارق المسرحية اساسية الحوار لانه ماهيتها وبناؤها جميعا ..

والوحدة العضوية اساس في القصة والمسرحية جميعا ، ولكنها في القصة وحدة متراخية يطوعها القصاص لكثير من المرونة والاسترسال الذي يتيحه تعدد الاشخاص بما لا يطاق في المسرح ... اما في المسرحية فهي وحدة متضامنة سريعة الايقاع ، وحدة قافزة متحفزة ، وحدة تتعارك باستمرار لتخلق الجو الدرامي وتكثف وحدة الاحساس .

وفي القصة يمكن للمؤلف ان يتدخل ليشرح وجهة نظر معينة ، او ليعلق على حادثة بذاتها ، او ليضيف لمسة هنا او لمسة هناك ... اما في المسرحية فلا يمكن للمؤلف حتى ان يطل بوجوده والا اصيب العمل المسرحي بالاحباط.

وفي القصة نحس اننا امام تشريح للحياة او امام لقطات من حياة .. اما في المسرح فنحس اننا امام لقطة واحدة من الحياة يحاول المؤلف ان يركز حولها كل بؤر الاشعاع حتى تصلنا حسارة دافقة متوهجة .. وبذلك تكون قيمة القصة النهائية في استقصائها وشمولها وقيمة المسرحية النهائية في تركيزها وتكثيفها .

وفي القصة قد لا نرى الرمز الا قليلا، لان رؤية الشخصيات رؤية تامة هي بعض اصول الفن القصصي .. اما في المسرح فنحن نرى الرمز طاغيا ، لان الزمن هنا لا يتسع الا لنوع من الايماء لا لانواع من التفصيل .

وفي القصة يمتاز الاسلوب بالتعمق والاستقصاء والاطناب والشمول لان القصاص مطالب بأن يجسد لنا عالم الشخصية في كل طور من اطوارحياتها المادية والنفسية .. اما في المسرح فالايجاز والتركيز واللمح وتكثيف المواقف هي السمات الاساسية في اسلوب التعبير .

— ٥ —

ومادمنا قد تطرقنا الى مصطلح (الاسلوب) فقد يكون من المجدي هنا تماما ان نحاول الاقتراب من حقيقته.

وللاسلوب معنيان : فهو اما بناء العمل الفني بكل مفرداته وعناصره ، واما طريقة التعبير ووسائله اللغوية وخصائصه اللفظية .

واذن فالكاتب الذي يحاول ان يعبر عن (فرديته) في التعامل مع (قاموس اللغة) أو (قواعد البناء) هو كاتب صاحب أسلوب .. .وقد يكون ذلك واضحا بالنسبة الى محاولات الكاتب في بناء العمل الفني من وجهة خاصة تنبيء عن فلسفته الخاصة في هذا التركيب البنائي المعقد ... اما في التعامل مع قاموس اللغة فقد يبدو الامر غامضا



بعض الغموض ، لأن اللغة ملك شائع يستطيع احتيازه كل فنان من جهة ، ولان الدلالات الوضعية للغة تتطور ببطء شديد من جهة اخرى ، مما يجعل التمايز بين فنان وفنان يوشك أن يكون — في هذا المجال — امرا عسيرا . . .
ربما يلوح للنظرة العجلى ان ذلك كله هو القاعدة في التعامل مع اللغة ولكن قليلا من الاستبصار بحركة الخلق الفني لدى كبار الفنانين يؤكد ان الامر مختلف تماما فان كل واحد من هؤلاء يوشك أن يعيد اكتشاف اللغة من جديد .
وقد لحظ ذلك (هافلوك أليس) في كثير من العمق ، يقول هافلوك اليس: (فالكاتب يرى أن الألفاظ لها معانيها الفنية الوفورة الخاصة بها ، وانها تعيش لتنمو او تذبل ، كما انه تنبعث منها خيوط بينها وبين غيرها من الاشياء في كل صوب ، وأنها تختلج بالمعنى الدائم التغير الذي ينتشر جرسه مسافات بعيدة، فعمل الكاتب لا يقتصر غالبا او دائما على اعداد قائمة مسببة للاشياء التي يراها أو يحسها ، بل هو فنان يعتمد على الالفاظ اعتماد الرسام على الألوان في الصورة التي يرسمها ، وكثيرا مانجد ان كبار الكتاب تستهويهم الالفاظ المجردة . ، ومن امثلة هؤلاء شيكسبير وكيتس وفيرلاند . فعقل الكاتب يسير ويتحرك بين الالفاظ لا بين الاشياء ، والصلة بين الاثنين وثيقة، الا ان الالفاظ لكثرة ما استعملت وتكررت على الالسن اكتسبت معاني جمة واكتست بالوان كثيرة ، فاصبحت لها حياتها الخاصة بها ، التي تهم الكاتب الفنان الذي لا تعنيه دراسة الاشياء التي يراها دراسة محددة مفصلة) .
ويقول : (ليس الاسلوب قطعة من الزجاج كل ما يهمنا فيها أن تكون صافية خالية من الخدوش، وهو كذلك ليس مجرد وسيلة شفافة لا ترى ولا حلة يكتسي بها الفكر ، بل هو الفكر نفسه كما قال جورمونت ، أو احالة الجسم الروحي الى جسم مادي حتى يتسنى لنا ان نفهمه وندركه .. ولذلك يجب أن يكون جميلا على قدر ما هو واضح) .
ويقول : (... الكاتب العظيم لا يتعلم الا من نفسه ، فهو يتعلم الكتابة كما يتعلم الطفل المشي ، لان قوانين منطق التفكير لا تختلف عن قوانين الحركة الجسمية على المتعلم ان يجرب الوقوع والتردد والوقوف قبل ان يدرك ادراكا تاما ذلك الروى المقدس الذي تتحقق به انسانيته)
بهذا الاستبصار العميق يتضح ان الاسلوب هو تفرد الكاتب في رؤيته وفي تعامله مع القاموس معا ، ويتضح كذلك ان الكاتب الحقيقي هو القادر باستمرار على تفجير البكارة حتى في اقدم الاشياء، ودمج الشكل في المضمون وانطلاقهما جميعا بايقاع موحد .. وهذا هو الاسلوب . . .

رسائل إخوان الصفاء

● د. كامل سعفان ●

١ ـ هذه الجماعة :

يكاد يكون التوحيدي اول من كشف اللثام عن هذه الجماعة ونشاطها ، كما كان ادق من وضعهم في مكان هم جديرون به ، وهو بصدد الحديث عن «زيد بن رفاعة» ، استجابة لطلب الوزير ابي عبدالله الحسين بن سعدان ، فيما جاءنا به كتاب « الامتاع والمؤانسة » . «(١)»

قال ابو حيان انه اقام بالبصرة زمانا طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لاصناف العلم وانواع الصناعة ، منهم ابو سليمان محمد بن معشر البيستي ، ويعرف بالمقدسي ، وابو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وابو احمد المهرجاني ، والعوفي ، وغيرهم ، فصحبهم ، وخدمهم ..

وكانت هذه العصابة تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، «(٢)» فوضعوا بينهم مذهبا زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ، والمصير الى جنته ، وذلك انهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولاسبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، وذلك لانها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ..

وزعموا انه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... وصنفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة ، علميها وعمليها ، وافردوا لها فهرستا ، وسموها « رسائل اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء » ، وكتموا اسماءهم ، وبثوها في الوراقين ، ولقنوها للناس ، وادعوا انهم مافعلوا ذلك الا ابتغاء وجه الله عزوجل ـ وطلب رضوانه ، ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضر النفوس ، والعقائد الخبيثة التي تضر اصحابها ، والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها ، وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية ، والأمثال الشرعية ، والحروف المحتملة ، والطرق الموهمة ..

فقال الوزير : هل رايت هذه الرسائل ؟

قلت : قد رأيت جملة منها ، وهي مبثوثة من كل فن نتفا ، بلا اشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات ، وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها ..

وحملت عدة منها الى شيخنا ابي سليمان المنطقي السجستاني ، وعرضتها عليه ، ونظر فيها اياما ، واختبرها طويلا ، ثم ردها على ، وقال :

تعبوا وما اغنوا ، ونصبوا وما اجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما أطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا فقلقلوا ، ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ، ظنوا انهم يمكنهم ان

---

(١) تحقيق احمد امين واحمد الزين ـ لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٥٣ .

(٢) يبدو ان هذا الوصف مما ادعته الجماعة ..

يدرسوا الفلسفة — التى هى علم النجوم والافلاك والمجسطى والمقادير وآثار الطبيعة ، والموسيقى التى هى معرفة النغم والايقاعات والنقرات والأوزان ، والمنطق الذى هو اعتبار الأقوال بالاضافات والكميات والكيفيات — فى الشريعة ،وان يضموا الشريعة للفلسفة ، وهذا مرام دونه حدد «٣»

وقد توفر على هذا — قبل هؤلاء — قوم كانوا أحد انيابا ، واحضر اسبابا ، وأعظم اقدارا ، وارفع اخطارا ، واوسع قوى ، واوثق عرى ، فلم يتم لهم ما ارادوه ، ولا بلغوا منه ما أملوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ، ولطخات فاضحة ، والقاب موحشة ، وعواقب مخزية ، وأوزار مثقلة «٤»

***

ومضت القرون دون ان نضاف حرف جديد .. فلما كانت محاولة احياء التراث ، لم يزد بطرس البستانى — وهو يقدم لطبعة الرسائل — على أن أعاد صياغة بعض ما اورد التوحيدى ، فقال : « تألفت هذه الجماعة فى القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — وكان موطنها البصرة ، ولها فرع فى بغداد ، ولم يعرف من اشخاصها سوى خمسة ، يتغشاهم الغموض والشك ، ولا يسفر اليقين من حقيقة امرهم بما يطمئن اليه الخاطر ، وينشرح له الصدر ، لما كان عليه من التستر والاكتتام فقد ذكرت اسماؤهم ، وكأنها لم تذكر ، لجهلنا اخبارهم وأحوالهم ، فقيل ان احدهم هو ابو سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى ، والاخر ابو الحسن على بن هارون الزنجانى ، ثم ابو احمد المهرجانى ، ويسميه المستشرق دى بور محمد بن احمد النهرجورى ، فأبو الحسن العوفى ، فزيد بن رفاعة » (٥) ..

ويلاحظ ان دى بور لم يزد على أن طرح رأيا فى الجماعة ، محددا هويتهم بأنهم « جماعة سياسية دينية ، ذات نزعات شيعية متطرفة ، وربما كانت اسماعيلية على وجه أصح » «٦» .

ومثل هذا الرأى توفره الدراسة السياسية للفترة التى ظهروا فيها وهى فترة وجود التوحيدى ،«أواسط القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — تقريبا » ، كما يقول دى بور ، كما ان عبارة التوحيدى توحى بهذه « الهوية » ، اذ يتحدث عن كتمان امرهم . وبث كتاباتهم سرا ، ادعاء مرضاة الله ، مع حشوها بالحروف المحتملة ، والطرق الموهمة ..

لكن الدكتور غلاب يؤكد ان هؤلاء القوم « ليس لهم اية غاية اخرى غير التى اعلنوها ، ولكن الناس لم يطمئنوا اليهم ، ولم يصدقوا ماقالوه ، بل رموهم بأغراض شخصية كانوا ينتوون الوصول اليها من وراء حركتهم هذه ، وهى قلب الدين والعرش .

« وقد ذاعت هذه التهمة فى عصرهم بين الخاصة والعامة ، فارتاب فيهم اولئك ، وحمل عليهم هؤلاء . واننا لنجد عناصر هذه الريبة فى اخوان الصفاء عند الوزير صمصام الدولة ، حين نمى اليه ان ابا حيان متصل باحد اعضاء هذه الجماعة ، وهو زيد بن رفاعة » ..

ثم يورد قول البارون « كارادى فو » بأنها « لم تكن جمعية فلسفية بسيطة ، وانما كانت الى جانب ذلك شيئا آخر ، وان كان من العسير ان يقال ماهو ذلك الشىء بالضبط ..انه يحوم حولها سر غريب ، وهو الذى يمنع من كشف غايتها واعمالها ووسائلها ، ولكن الأمر المؤكد هو أن اخوان الصفاء كانت لديهم ادوات اخرى للدعاية غير مؤلفاتهم ، بل ان هذه المؤلفات نفسها لم تقل كل شىء عنهم ، ولم توضح كيف كانوا ، ولا

(٣) دفع ومنع .
(٤) الامتاع والمؤانسة — ح ٢ ص ٦/٤ .
(٥) رسائل اخوان الصفاء — مقدمة طبعة بيروت وصادر سنة ١٩٥٧ — ص ٥ .
(٦) دائرة المعارف الاسلامية — دار الشعب سنة ١٩٦٩ — المجلد الثانى — ص ٤٥٢ .

ماذا كانوا يفعلون ، ولكنهم كانوا يشتغلون بالسياسة » ..

واذا البارون يؤكد ما ذهب اليه التوحيدى ، وما ذاع « بين الخاصة والعامة » ، وما حدث به دي بور ، وما اكده الدكتور طه حسين ، فيما اورده الدكتور غلاب ، فقد « كان هؤلاء الناس اذن يعملون من وراء ستار ، ويؤلفون جماعة سرية ، وكان قوام جماعتهم هذه — فيما نظهر — سياسيا وعقليا ، فهم يريدون قلب النظام السياسى المسيطر على العالم الاسلامى يومئذ ، وهم يتوسلون الى ذلك بقلب النظام العقلى المسيطر على حياة المسلمين ايضا .. وهم يسلكون فى ذلك مسلك جماعات سبقتهم فى العالم القديم ، أظهرها جماعة الفيثاغوريين فى المستعمرات الايطالية » .

ولم تعد للدكتور غلاب حجة ، الا « انهم كلهم حكماء ، اجتمعوا وصنفوا احدى وخمسين رسالة » كما قال صاحب كشف الظنون ، ومن ثم لم يكن لهم سبيل الى العامة الذين ينهض على كواهلهم العمل السياسى ، فقال : « واحسب ان كلمة « كلهم » هنا لاتدع مجالا للشك فى انه لم يكن بين اولئك الأعضاء دخيل جاهل ، ولا غنى غبى » (٧) ..

وصاحب كشف الظنون ليس الحجة القاطعة فى هذا المجال ، كما ان عبارة « الحكماء » لاتنفى الاشتغال بالسياسة ، وكونهم اشتغلوا بالسياسة ولم يفلحوا فيها لعدم اتصالهم بالعامة قضية اخرى ..ونحن اذا اخذنا فى الاعتبار ان هؤلاء القوم كانوا على صلة بافلاطون الذى جعل الحكماء على قمة المشتغلين بالسياسة، واذا كانت الحكمة تجربة حياة ، والحياة ابان ظهور الجماعة كانت تنتفض بتطلعات سياسية ، على مستويات مختلفة — لم يشق علينا الاطمئنان الى هذه الحقيقة ..

هذا على حين ان عبارة الرسائل تفيد القيام بدور سياسى ، كما تفيد تأثرهم بالفكر الافلاطونى اذ تقول « انه قد تناهت دولة أهل الشر ، وظهرت قوتهم ، وكثرت أفعالهم فى العالم ، فى هذا الزمان . وليس بعد التناهى فى الزيادة الا الانحطاط والنقصان .. واعلم بأن الدولة والملك ينتقلان فى كل دهر وزمان ودور وقران ، من امة الى امة ،ومن اهل بيت الى اهل بيت ، ومن بلد الى بلد ..

« واعلم يا اخى ان دولة الخير يبدا اولها من قوم علماء حكماء وخيار فضلاء ، يجتمعون على راى واحد ، ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد، ويعقدون بينهم عهدا وميثاقا الا يتجادلوا ، ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضا ، ويكونون كرجل واحد فى جميع امورهم ، وكنفس واحدة فى جميع تدبيرهم فيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة ، لا يبتغون سوى وجه الله ورضوانه جزاء ولا شكورا، فهل لك ايها الأخ البار الحكيم ، ايدك الله وايانا بروح منه ، بأن ترغب فى صحبة اخوان لك نصحاء ، واصدقاء لك اخيار ، هذه صفتهم ، بأن تقصد مقصدهم ، وتتخلق بأخلاقهم وتنظر فى علومهم ، لتعرف مناهجهم ، وتكون معهم ، وتنجو بمفازاتهم ، لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون » (٨) .

فالمقدمة التى تتحدث عن انتقال الدولة « من امة الى امة ، ومن اهل بيت الى اهل بيت آخر »، وتقرر ان « دولة الشر » آخذة فى « الانحطاط والنقصان » — هذه المقدمة تؤذن بقيام

---

(٧) د . محمد غلاب — اخوان الصفاء — المكتبة الثقافية — يناير سنة ١٩٦٨ ص ١٦/٩ .
(٨) رسائل اخوان الصفاء — ح ١ ص١٨١/١٨٢

«دولة الخير» ، التى يقوم عليها «علماء حكماء وخيار فضلاء» ، ومن ثم كانت الدعوة إلى هذه الدولة بعهد وميثاق «الا يتجادلوا ، ولا تتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضا ، ويكونون كرجل واحد فى جميع أمورهم ، وكنفس واحدة فى جميع تدبيرهم ، فيما يقصدون من نصرة الدين وطلب الآخرة» ولاريب فى أنه لا تقتصر نصرة الدين على الوعظ والارشاد ، مادام الهدف ازالة دولة الشر «بعد التناهى فى الزيادة» ..

ولا يمكن أن نطلب الى «القوم» — فى دولة قامت على السيف — ان يدعوا الى انفسهم بطريقة اكثر وضوحا مما فعلوا ..

٢ — تقويم الرسائل ..

سبقت الاشارة الى رأى التوحيدى فيها بانها «مبثوثة من كل فن نتفا ، بلا اشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ، وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها» .. وسبق ما أورده التوحيدى على لسان ابى سليمان المنطقى السجستانى ، بعد أن نظر فيها اياما ، واختبرها طويلا ، من انهم «تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما اجدوا ، وحاموا وما وردوا ، وغنوا وما اطربوا ، ونسجوا فهلهلوا ، ومشطوا فقلفلوا .. الخ» ..

وجاء بطرس البستانى ليقول : «جاءت مباحثهم وآراؤهم متراخية مفككة ، منتشرة هنا وهناك ، فيها عود وتكرار ، ومزج غريب ، اختلطت فيه الفلسفة التقليدية والعلوم الرياضية والطبيعية بخرافات من السحر والتنجيم ، وحكايات تشبه امثال كليلة ودمنة واسمار الف ليلة وليلة فجاء فيها من كل فن خبر ، حتى جعلها المستشرق دى بور أشبه بدائرة معارف «٩» : «لاشتمالها على مجمل ما انتهت اليه علوم الاقدمين وعقائدهم ، على غير تعمق فى عرض المسائل وبحثها وحلها ، مع ما يتخللها من الرموز والأحاجى التى يتوه القارىء فى دياميسها» ص ١٩—٢٠

لكن الدكتور غلاب يبالغ فى وصفها فيقول : «من روائع المنتجات العملاقية المجهولة القيمة ، المهضومة التقدم ، بل هى فى رأينا انفس واعمق وانفع من دائرة المعارف الفرنسية الأولى التى تباهى بها اهلها حتى رفعوها الى السماء ، ولا تزال اوداجهم تنتفخ بها حتى الآن» ..

ويقول : «موسوعة اخوان الصفاء تمتاز بالرجاحة العقلية التى تبرز بوضوح فى معالجة النظريات الفلسفية الرفيعة ، وتبدو فى كل صفحاتها معالم الروحية السامية ، ولكن فى اعتدال واتزان ، لا ينسيانها نصيبها من دنيا الحسيات والواقعيات» ..

ويقول : «واخص ما تمتاز به هذه الرسائل هو البساطة واليسر وسهولة المأخذ ، وعذوبة الأسلوب ، وتجنب الاصطلاحات الفنية التى هى احدى العقبات الكئود التى تعترض الدارسين فى دراسة الفلسفة ، فتعوقهم عن الاستمرار فيها ، بل تنفرهم منها»

● للبحث بقية ●

(٩) عبارة دى بور (وهذه الرسائل تشبه فى الظاهر موسوعة فى العلوم المختلفة) دائرة المعارف الاسلامية — جـ ٢ ص ٤٥٥ .

الدكتور لويس عوض

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

في مثل الشهر الماضي من خمسة وستين عاما ، اى سنة ١٩١٥ بدات رحلة لويس عوض مع الحياة ،وهي رحلة طويلة ممتعة رغم ما شابها من المرارات ومثمرة لصاحبها وللناس ، فقد اسهم خلالها لويس عوض في بناء الفكر العربي المعاصر بنصيب وافر ..

ويسعدنا ان نبعث اليه من « الهلال » بتحية بهذه المناسبة راجين أن تستمر تجربة لويس عوض موفقة مع الحياة فياضة بالصحة والعافية والعطاء .

الحق، الواجب ، وجهان لعملة واحدة .. وهما يشكلان حياة الانسان ....

حول هذا المعنى ،حق الجيل الجديد من الادباء الناشئين وواجب الجيل الرائد .. جيل الأساتذة — قال لى أنيس منصور :

«لايوجد حق يكفله قانون طبيعى او وضعى يعطى الجيل الجديد من الأدباء الحق في ان يقطعوا علينا خلوتنا الفكرية ، لكى نناقش كتاباتهم او افكارهم او انتاجهم .. واذا كانوا يريدون النصيحة فعليهم بقراءة كتاباتنا ، فكل منا يمثل اسلوبا ادبيا أو مدرسة ادبية .. »

فمن هنا نبدأ الحوار معك .. فماذا يقول الدكتور لويس عوض ؟

— اوافق أنيس منصور في الشطر الاول من كلامه .. وانه ليس من حق أديب ناشىء ان يقتحم على الأدباء الكبار عزلتهم او يرهقهم بالمطاردة لكى يقراوا عمله أو أعماله ..

وانما في الوقت نفسه ينبغى على كبار الأدباء ان يكونوا فى حالة يقظة دائمة لانتاج الادباء الشبان من تلقاء انفسهم .. لان هذا جزء من واجبهم الادبى ، اعنى اكتشاف المواهب الجديدة ورعايتها ، وتوجيهها . اذا كانت راضية بالتوجيه .

اقول تلقائيا ،لان كبار الادباء كثيرا ما يجدون عنتا وارهاقا من صغار



د . لويس عوض

الأدباء الناشئين ، لكى يتركوا اعمالهم الناجزة او قراءاتهم المتصلة لـــكى يتفرغوا لدراسة اعمال الناشئين ..

وانا اذكر عندما كنت شـــابا ، انى كنت على صلة كافيـــة بكبار الأدباء الرواد .. العقاد ، وطه حســـين ، وسلامه موسى ..

اما محمد حسين هيكل فلم يتح لى ان اعرفه ، لسوء حظى ، ومع ذلـــك كنت اراه لاستمع اليه واحيانا لاناقشه فيما يكتب .. ولم يخطر ببـــالى ابدا أن انتظر من العقاد او طه حســـين اوسلامة موسى ان يكتبوا عنى او يقدمونى للقراء . فالذى يقدم الكاتب لقارئه ، هو عمله ، وليس مقالات التزكيـــة او خطـــابات التوصية ، وكثير من الأدباء الشبان يتصورون ان الاعتراف الادبى فى الحياة الأدبية شىء شبيه بالحصول على وظيفة .. تذهب الى فلان او غيره ليعطيك خطاب توصية لكى تحصل على هذه الوظيفة .. وهذا تفكير عقيم .. ثم انـــه لا يشرف اى اديب ناشىء ان يجىء الاعتراف به عن طـــــــريق الواسطة ..

كل هذا لا يعفى كبـــار الادباء من متابعة الحياة الأدبية الجـديدة ، فاذا وجدوا ما يستلزم الكتـــابة عن كاتب او اتجاه فعلوا هذا تلقائيا بدافــع من احســاسهم بالواجب ، لا نحـــو الأديب الناشىء ولكن نحو الادب ومستقبله ..

واماالشطر الثانى من كـلام انيس منصور ، وهو صديق اعتز بصداقته — فانا لا اوافق عليه . لا اوافـــق على ان حل مشكلة الادباء الشبان هو ان يقرأوا اعمال الادباء الشيوخ ..

انما حلها يكون بتوجيههم الى الاطلاع على الأدب العالمى والفكر العالمى والفن العالمى .. ولعلى لا ابـــالغ ان قلت لك ان روادنا ســـواء الجيـــل الاول او الجيل الثانى .. الجيل الاول مثل طه حسين والعقاد وسلامه موسى والثانى مثل مندور وعبد الرحمن بدوى ، لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا من خـــلال استيعابهم للتراث الانســانى فى مجملـــه من مصر القديمة الى اليونان القـــديمة الى الآداب اللاتينية ، ومـــــن ادب الانجليز والفرنسيين والالمان والايطاليين الى ادب الروس ..

واجدر بنا ان نوجه الشـــباب الى الاتجاه مباشرة نحو الأصـــول لا الى الاستماع الى الاصداء ، لان قـــراءة

رحلة حياة وادب مع :
الدكتور لويس عوض

الاصول تفجر فى نفوس الشباب ينابيع الخلق الحقيقية اكثر مما تفجره قراءة المتاثرين بهذه الاصول .. وليس معنى هذا ان الجيل الرائد من طبقات الادباء المختلفة ليست لهم وظيفة ، فهم حلقة وصل او جسور بين ابناء العالم العربى وبين الحضارات العالمية ، فهم اشبه شيء بالمفاتيح التى تساعد على دخول هذه القصور المسحورة ..

انا مثلا عندما كنت شابا كان منهجى ان اقرا ماقاله طه حسين عن المعرى .. وما ان اتم هـذا حتى اذهب الى دار الكتب واستعير دواوين المعرى واحدا بعد الآخر .. او اقرا كتاب العقاد عن ابن الرومى ، ثم اشترى ديوان ابن الرومى واعكف عليه . وبهذا يكون لدى المتن فى اصله والاضواء الكشافة الملقاة عليه من عقلية رجل او رجال متوازنين فى الثقافة واصحاب الخبرة فى الادب .. كنت اقرا مقالات سـلامة موسى عن فرويد او عن داروين وما ان افرغ منها حتى اقبل على دراسة محاضرات فرويد فى التحليل النفسى واعماله التى يبسط فيها نظرياته من الـلاوعى .. او اقرا كتاب اصل الانواع ، وما تفرع عنه من فلسفات ككتب « سـبنسر » وغيرها .. هذا هو المنهج الذى انصح شبابنا بأن يتبعه ، ان ينظر الينا نظرته الى مفاتيح الى معـرفة ، والا يكتفى بقراءتنا فما نحن الا مداخل لثقافـة عالية .

وبتواصل الحوار مع الدكتور لويس عوض حول الحركة الادبية ومسارها الفكرى الان وكيفية تحديد هذا المسار حول خلو الساحة الادبية من النقـد والنقاد ..

يقول الدكتور لويس :

ـ مصر الآن تعيش فى مرحلة انتقال بين دورة تاريخية ودورة تاريخية اخرى . وفى ازمنة الانتقال عادة يوجـد فراغ تتخلق فيه القيـم الجـديدة والآداب الجديدة والفنون الجـديدة . وانا لست ممن يدينون جيل الشباب ، على العكس من ذلك ، انا ارى ان هناك بدايات كثيرة مبشرة بالخير ويمكن ان تنضج مستقبلا لتكون جيلا راسخا من الادباء والفنانين ..

ولكن هذا بحاجة الى حيز من الزمن والى قدرة الجيـل الجـديد على ان ينفتح ثقافيا على حضـارات العـالم وآدابه وفنـونه .. لا فضل لنا عليهم وكل ما نستطيع ان نقوله ان ظروفنا افضل من ظروفهم لان سبل المعرفـة والاطـلاع على الحضارات الاخرى كانت متاحـة لنا ، ثم الاستقرار النفسى والضـمانات الفكرية كانت متوفرة لدينا بصـورة اكبر .. مما هى متوفرة فى المجتمع الحالى .

المجتمع الذى نشات فيه شخصيا كان مجتمعا قائما على الحوار المـلازم للنظام الديمقراطى الليبرالى ، الحوار فى السياسة ، فى الايديولوجيات ، فى مدارس الفـن والادب ، فى القيم الاجتماعية والثقافية وفى كل شيء ..

ثم ان سبيل السفر الى الخـارج كان ميسوراً لنا وكنا نجد الـرعاية والتوجيه من اساتذتنا ، ويخيل الى ان هذا يمثل صعوبة خاصة بالنسبة لجيل الشباب لان اكثر اصحاب العقول الراجحة مجردون من السلطة وبالتالى لا يستطيعون ان يرعوا احداثا وهو ما كان متوفرا لجيل آبائنا الروحيين فى طـه حسين ، واحمد امين ، ولطفى السيد ،

وغيرهم وغيرهم .. كانوا في زمانهم في موقع السلطة بحيث يستطيعون ان يرعوا المواهب الجديدة بايفادها الى الخارج في بعثات طويلة الأجل او بمساعدتها على الاستقرار الوظيفي حتى تتمكن من النضج والانتاج ..

***

عود على بدء ، حول العلاقة بين الأجيال الرائدة والشابة .. يتحدث البعض عن الحرية الكافية لكي تخرج الأفكار الجديدة الى حيز النور من جانب الشباب المجدد . ويقول ان الكبار يفرضون وصاية تضفي الجمود على الحركة الفكرية .. وليست لهم طاقة على تقبل الجديد . . فما الذي يراه لويس عوض - وهو الثائر الرومانسي العقلاني التفكير ؟

- هذا منطق الحياة في كل بلاد العالم .. ليس هناك جيل ينتحر بنفسه ، المشكلة ليست في رغبة الجيل القديم في الاستمرار او في رغبته في فرض الوصاية على الأجيال الجديدة . .

هذه طبعا نظرة متخلفة ولكنها من طبيعة الأشياء في البلاد المتخلفة خاصة ان كل اب يريد ان يكون ابنه نسخة مكررة منه .

بل اكثر من هذا فان بعض الناس يكرهون ابناءهم على تحقيق ماعجزوا هم عن تحقيقه .

الأب الذي كان يحلم بان يكون مهندسا او طبيبا ولكنه اضطر الى تقلد وظيفة كتابية لأسباب العيش ، تجده يكره ابنه على ان يكون طبيبا او مهندسا ، ولو كان ابنه يريد ان يكون شاعرا او فنانا ... ؟

وكلما ارتقى الانسان ، تجرد من هذه الرؤية ، وانا اعتبر ان الجيل الجديد

له حق تقرير المصير ..

ويمكن القول ان مشكلة الاجيال تكمن في ان الجيل الجديد عادة مايعبر عن نفسه من طريق الثورة على القدماء .. الجيل الابن في العادة يؤكد ذاته يتحدى الجيل الأب . لكي يسمعه صوته ويلتفت الناس الى ما يحمله من قيم جديدة ، ولا يكتفي بالشكوى كما يفعل أدباؤنا الشبان . والجيل الجديد ملوم لانه ناقص في الثورية والقدرة على التحدي وفي الرغبة في التضحية من اجل ما يمثله من قيم جديدة ، وهو يريد كل شيء ان يأتيه من الجيل القديم مثل الموزة المقشرة او يظل يضيع وقته في الندب او في مؤاخذة الآباء والأجداد ..

وانما احب ان انبه الى ان الثورة الصحيحة شيء والفوضى شيء آخر ، فليس كافيا أن تقول ان جيل طه حسين او العقاد مثلا طغاة اديون ويجب هزلهم ، هذا ليس من حقك ان تفعله الا اذا كنت قد اهتديت الى نظام جديد في الادب يحل محل القديم ، نظام في الادب في النقد في القيم الاجتماعية الخ ..

اما الاكتفاء بالتحطيم فهذا يضر اكثر مما ينفع ، فانا احب ان ارى كاتب قصة شاب يتحدى نجيب محفوظ ويقول - لا يا استاذ نجيب ما هكذا تكتب القصة ، وانما القصة يجب ان تكتب على الأسس التالية .. كذا وكذا .. وكذا .

لكن الاكتفاء بمهاجمة نجيب محفوظ او توفيق الحكيم او اى قطب من هؤلاء دون ان يكون عندك ماتحله محل القديم .. فهذا مرادف للفوضى والمراهقة الفكرية ..

لايزال الحوار ممتدا بيني وبين الدكتور لويس عوض حول : الأدب في سبيل الحياة أو في سبيل المجتمع ، وهل الفن للفن خرافة .. وما هو الرأى في كتابات « اوسكار وايلد » ، والتي يرى فيها ان الفن للمتعة فقط..

يقول الدكتور لويس عوض ..

ـ الفن طريق لرقي الانسان بتكوين القيم الراقية ، وقد كان صديقي المرحوم الدكتور محمد مندور يخطيء عندما يفسر قول ارسطو ان غاية الفن هي الأخلاق بمعنى ان الفن يبشر بالقيم الاخلاقية ، انا لا اعتقد ان ارسطو قصد هذا المعنى ..الفن اخلاقي بمعنى اكثر تعقيدا ..

فاعتقادي ان الذي قصده ارسطو هو ان التراجيديا تجعل المشاهد يتقمص شخصية البطل الآثم ، ويمر في كافة أدوار صعوده وانهياره . فاذا ما فعل هذا تطهرت نفسه بما كان يسميه ارسطو عملية « التطهير » وبعبارة اخرى ان بطل التراجيديا .. بطل وليس وغدا .. «ماكبث» بطل وليس مجرد سفاح ، « عطيل » بطل وليس مجرد مجنون بالغيرة وهكذا .

فالذي يحدث هو ان المشاهد بتقمصه شخصية البطل نجده يتعاظم مع البطل حتى يبلغ القمة ثم يتعذب مع البطل ويدفع ثمن خطيئته عند انهياره او مصرعه ..

لان بذور الخطيئة موجودة في كل منا .. وقد كان اليونانيون يعتقدون أن الكبرياء او ما يسمونه «الهوبيرس» هو اس سقوط الانسان ، سقوط الأبطال بصفة خاصة ، الطموح الفائق عن العادة ، والتأله ، احساس الانسان بانه فوق القدر وبانه يستطيع ان يصوغ كل شيء وفق ارادته وأن يتحدى السماء نفسها كما نجد مثلا في حالة « فاوست » أو « بروميثيوس » أو « ماكبث » هنا تلقنه الالهة الدرس الخالد ، وهو ان كل تجاوز للحدود المرسومة للانسان يتبعه القصاص الفظيع .. اجا ممنون مثلا لانه قدم ابنته قربانا للالهة كان جبارا امتثالا بغرائز القائد الذي يريد ان يحرز النصر على الطرواديين بأي ثمن ولوكان بذبح ابنته أرضاء لاله البحر حتى يتحرك الأسطول ..

نفس الأمر بالنسبة لماكبث . . كان قائدا عظيما وصاحب ولاء اعظم لملكه ووطنه ، وصاحب امجاد عسكرية ولكنه تجاوز الحدود المسموح بها لطموح الانسان ، فصدق كلام الساحرات بانه سيكون ملكا على انجلترا ، وقتل ملكه فدفع الثمن ، ثمن خطيئته وثمن جريمته ..

كل منا فيه شيء من اجا ممنون وماكبث ومن غيرة عطيل ، وهكذا . ونحن حين نرى هؤلاء الأبطال يصرعون امامنا على المسرح نتطهر من هذا النقص بتقمص شخصياتهم ، وهذا التطهير يمثل أخلاقية الفن ، فالفن أخلاقي دون أن يعظ الناس بمكارم الاخلاق .

وعندما اقول أيضا ان الفن يجب أن يكون في سبيل الحياة وليس في سبيل المجتمع لأن الحياة اعم كثيرا من المجتمع .

الفن في سبيل المجتمع قد ينتهي

بان يصبح دعوة مادية بحتة، اما الفن في سبيل الحياة فانه يشتمل على الوجه المادي والروحي لهذه الحياة ..

ولم يمر الكلام عن التطهر والتطهير امام عيني مرورا عابرا ، بل جرني ــ وخصوصا موقف « بروميثيوس .. » وهي الاسطورة التي اخذ عليها لويس عوض درجة الدكتوراه ــ الى التطرق الى الفلسفة الوجودية ، فالدكتور لويس يرفض الفلسفة الوجودية لانها تقوم على فلسفة العملاق المعاصر ، في حين انها تؤكد على الحرية والاختيار ، وقد وضح ذلك في مسرحيـــة : الله والشيطان التي كتبهــا سارتر .. فسألته :

رغم انك تعتنق الانسان وتزكي فيه شعلة الحرية ، تعود لترى ان عليه أن يتطهر بتقديم نفسه بحريته واختياره قربانا لقوى اقوى منه .. كما حدث بالنسبة لبروميثيوس ، الذي بعد ان لعن جوبيتر ندم « بعد ان صقل الالم نفسه واصاب الحكمة من شقائه» فهل نكتفي بالسلبية أم نخوض التجربة رغم معاناتها ؟

يقول الدكتور لويس عــــوض :

ــ انا ارى ان مشكلة الوجودية في نظري على الاقل عند رجل مثـل البيركامي وفي بعض الاحيان عندسارتر .. ان فيها تناقضا بين دعــوى، ان الانسان سيد مصيره وان الاختيـــار واجب اخلاقي على الانســان ، وبين النظرية الوجودية الأصلية .. القائمة على نظرية القلق الدائم ، الذي يقـوم على امتناع الانسان عن الاختيـار لأن الاختيار فيهما يسمى الاسقاط اسقاط النفس الى الخارج .

.. والاسقاط الى الخارج يحـدد دوائر الاختيار وبالتالي يفقــو نفس الانسان.. وهذا ما جعل بعضهم ينظر الى شخصية « هاملت » على انها المثل الاعلى للانسان الوجودي بسبب تردده المستمر بين الثار واللا ثار . والفكرة في هذا ان هاملت لو اختار احـــد الطريقين، لحل المشكلة بسهولة وتحول من انسان خصب النفس متعـــدد الامكانيات يستطيع ان يفعل هذا وذاك الى انسان محـــدود فقير النفس وانتهت امكانياته بالاختيار .. ولقد عجز سارتر في التوفيق بين القـلق الوجودي ، وحل القلق الوجـــودي بالاختيار الذي يتضمن الفقر في القلق

امــا « بروميثيـــوس » فان نص اسخيلوس مفقود ، ولا ندري .. اذا كانت النهاية التي يتضمنها نص « بروميثيوس طليقا » لشـيلي ، هي نفس ما انتهت اليه احداث اسطورة اسخيلوس ام لا ... من هنا فان الحكمة التي اصابها بروميثيوس هي المعرفة .. وقد ظل يقاوم حتى نهاية .. تلك الفترة التي بدا فيها رحلة الندم ..

وفي رايي ان السلبية نوع من العجز ولا اقول بها . ولكن بخوض التجربة ومعاناة احداثها ..

وعندما ينتهي الحوار .. مع الفكر الدكتور لويس عوض ، احييه واهنئه بمناسبة عيد ميلاده الخامس والستين ففي مثل الشهر الماضي من عام ١٩١٥ بدات رحلة حياة الفكر الكبيـــر ليجوب بعد ذلك بحار الثقافة ويضرب في اعماق المعرفة .. •

الأدب والمستقبل

● استطرادا لما بدأناه فى عدد « الهلال » قبل الماضى ، وتكملة لهذا الاستفتاء الادبى حـول الادب والمستقبل ـ نقدم هنا آراء لفيف من الأدباء والمفكرين ـ اجابة عن هذين السؤالين :

● فى زحام وسائل العصر ، وما يشغل الانسان ، ومع انتشار السينما والاذاعة والتليفزيون ـ ما هو ، فى رايك مستقبل الأدب؟

● وفى مجال البحث عن قوالب وافكار جديدة لكتابة القصـة والرواية والكتاب والشعر والدراسة ـ ما هو تصورك للقـوالب والأفكار التى تلائم هذا العصر ؟ ..

● اعداد : موريس عزيز ●

المضامين التى تتفوق فيها الكلمة وتعجز عنها الصورة

● نجيب محفوظ ●

ما هو مستقبل الأدب فى عصر الاذاعة والتليفزيون والسينما ؟

اولا : ان وسيلة الأدب ، وهى الكلمة المكتوبة ، وسيلة فذة لا يغنى عنها غيرها ... وهى تمتاز بالقدرة على التغلغل فى النفس والفكر بقوة لا تتساح لها فى الوسائل الأخرى ...

كما انها تمتاز بأنها تدعو القارىء الى التخيل وقدر من الابداع ، بخلاف الوسائل العصرية التى تفرض عليه سلبية مطلقة ...

كما انه توجد آثار ادبية لا يمكن نقلها الى الوسائل الاخرى لصعوبتها ، فهى وقف على الكتاب دون غيره .

ثانيا : ان الوسائل العصرية ليست منافسة للكلمة المكتوبة باطلاق فهى ايضا تكون فى خدمتها فتحول القصص والأشعار الى صور ومسموعات وتضيف الى روادها ملايين ممن لا يستطيعون أو لا يحبون القراءة ...

ثالثا : انه على الأدب أن يتوافق مع عصره ، وذلك بأن يتخصص ما أمكن فى المضامين التى تتفوق فيها الكلمة وتعجز عنها الصورة ، مثل التأملات والفكر ، كما انه عليه أن يستعير منها صفات التركيز وغيره مما تتصف به هذه الوسائل الحديثة ، وأن يقلل مما يعجز عن منافستها فيه كالوصف والعرض .

رابعا : على الوسائل العصرية ان ترتفع من مستواها ، أن تستهدف الفن الرفيع والفكر العميق حتى يكون انتصارها انتصارا للروح الانسانية لا خسارة لها .

سيكون هناك الأدب المستعجل الموجز

● محمد زكى عبد القادر ●

لابد ان يتأثر مستقبل الادب فى مصر والعالم بالاذاعة والسينما والتليفزيون ، فهى تؤثر فيه وتتأثر به. وان كنا لم نذكر الصحافة ، ولعلك اهملتها لأنها وسيلة قديمة من وسائل الاعلام ، ولكنها فى الوقت نفسه متطورة ، ومتطورة بسرعة ... واثر الصحافة فى الأدب ربما كان اشد من اثر الاذاعة والسينما والتليفزيون . فهذه الوسائل الأربع تتفاعل مع بعضها تفاعلا مستمرا ولعلك تقرأ او تسمع او ترى ما يسمى بالأدب الاذاعى او التليفزيونى او السينمائى ، وهو ادب مسرع فى التطور بسرعة هذه الأجهزة فى التطور .

وتوجد الآن ما تسمى بالقصة

الأدب والمستقبل

الاذاعية والسينمائية والتليفزيونية . بل وكذا اقول القصة الصحفية ... ولكل من هذه الانواع قوالب وسمات تتفق مع الجهاز الذى يتولى الاذاعة او النشر .

والذى ارى ان كل هذه الانواع لن تحجب ادب الكتاب فستظل له الصدارة والاهمية والمذاق الذى يكون للعمل الأدبي الخالص المتميز بالعمق والهدوء والتأنى واستخلاص ما فى النفس والوجدان والعقل من انفعالات ، وبذلك يظل هو الأدب النقى الذى تكتب له الحياة والتأثير على الرغم من انه يكون اقل انتشارا من الانواع الأخرى التى تفرزها الاذاعة والصحافة والسينما والتليفزيون .

والادب كائن حى يستمد حياته من النشر وسعة الانتشار . واغلب ظنى ان الادب فى المستقبل ستكون سمته السرعة والايجاز حتى يتلاءم مع سمة العصر .

ثم لا ينبغى ان ننسى نبض الحياة فى العالم المعاصر وهو نبض وصفه المفكرون بانه نبض يدخل فيه العلم والتكنولوجيا .

ثم ان الحياة فى هذا العصر وما يقبل من عصور ستكون مشحونة بالاهتمامات المتعددة التى تتقاسم وقت القارىء واهتماماته ، ولست استطيع ان اقطع على اية صورة سيكون شكل الادب وقوالبه وصوره ، فانه لابد ان يساير العصر ...

ولكن الذى استطيع ان اقطع به هو ان الادب سيظل عنصرا اساسيا فى حياة الانسان ، وان التكنولوجيا والعلم والاختراع الذى قد يغير من حياة الانسان تغيرا لا يعرف أحد مداه ، فمهما يكن هذا التغيير فان الانسان لن يتخلى عن التعبير عن نفسه وخوالجها وانفعالاته على الصورة التى ترضى فيه النزعة الادبية التى هى نزعة طبيعية ..

واما عن القوالب والأفكار الجديدة التى يمكن أن تطرأ على القصة والكتاب والرواية والشعر والدراسة . والذى لا ارتاب فيه انه لابد أن تكون هناك قوالب وافكار جديدة لهذه الفنون جميعا .

فان استقراء تاريخها وتطورها فى العصور الماضية يؤكد انها لابد أن تتطور فى العصور المقبلة .

على انى يخيل الى مما وقع من تطور فى السنوات الأخيرة انه لابد أن يوائم الادب بفنونه المختلفة من قصة ورواية وشعر ومسرح — يوائم العصر بايجاز ، والبعد من التطويل والوصف والدخول فى دقائق قد يحتملها العصر ، ويمكن أن يستبدل بها التعبير الموجز المفيد الذى يصوب الى المعنى المقصود مباشرة ، وان كان هذا سيجىء على حساب دقة التعبير وجماله . فقد يكون من متطلبات هذا وذاك الافاضة فى الوصف والتحليل وبلوغ كوامن النفس الانسانية .

ومن اجل هذا اعتقد انه سيكون هناك نوعان من الأدب :

١ — الأدب المتعجل الموجز ، الذى لا يهتم كثيرا بالدقة وجمال التعبير ، ولكن يرضى عادة الكثرة ممن يرضيهم ان يأخذوا من كل شىء السطح والمتعة العاجلة .

٢ — أدب آخر هو الأدوم والابقى والأعظم متعة وجمالا ، يجرى على ما يجرى عليه الأدب الصحيح عادة من الاحتفال بالقالب بنفس الدرجة التى يحتفل بها بالمضمون .

روائع الفكر والأدب ولدت فى زحام العصر

● محمد عبد الغنى حسن ●

اشم من سؤالك هنا ريح القلق على الأدب ، والاشفاق عليه ، والخوف على مصيره في وسط زحام العصر ومشاغله التي لا تكاد تترك للمرء متنفسا فى حياة ادبية يظفر بها كما كان يظفر بهـا الناس قبلنا ، حيث كان البال رخيا ، والعيش رضيا .. ثم لم يكتف بهذا الكابوس الثقيل من أعباء الحياة المعاصرة،بل اضيفت اليه اثقال السينما والاذاعة والتليفزيون . واظنك ـ ان لم يخطىء حدسى ـ انك لست مشفقا على الأدب وحده ، بل اكاد المس اشفاقك على مصير (الـكتاب) و (المجلة) ، وهما المجالان الظاهران لاحتواء الأدب وعرضه على اختلاف فنونه وصوره من مقالة ، ودراسة ، وقصيدة ، وقصة ، وخاطرة أدبية ، ونقد وما اليه من الوان تجد مجالهـا الرحب فى الـكتاب والمجلة .

ولا اكتمك يا أخى اننى لا أرى داعيا لهذا القلق والاشفاق ... فالأدب بخير فى حاضره ، وبخير فى مستقبله ... ولا يأتيه الخوف والقلق من ناحية تلك العوامل والظروف المحيطة التى ظننتها شرا عليه ، ولكن الخـوف والضعف يأتيانه من ناحية نفسـه هو ... فاذا كان الأدب قويا فى ذاته ، خالصـا فى ذاته فلا خوف عليه من سينما تنافسه، أو تليفزيون يزاحمه . وهل تصد الأعمال الأدبية الجليلة او الجيدة انسانا جادا مخلصا من أن يستمتع بها وان يتطلبها قارئا لها ، متمعنا فيها ؟

وما كانت السـينما والاذاعة والتليفزيون ادبا ، ولكنها وسائل قصد بها الترفيه والتسلية اولا ، أما الأدب فلا شأن له بها ولا شأن لها به الا من حيث أنها فى بعض حالاتها تمثيل للأدب او لنـوع من الأدب ـ وهو القصة والرواية ، واخراج لها على هيئة فيلم أو تمثيلية . على ان هذه التمثيليات والمسلسلات الاذاعيـة والتليفزيونية لا تغنى عن الأصل الأدبى المكتوب أو المطبوع شيئا ...

صحيح يا أخى اننا نستمتع بمسلسل « الأيام » للدكتـور طه حسين على شاشة التليفزيون ، ولكن أتظن أن هذا المسلسل ، مرئيا أو مسموعا ، يغنينا عن « كتاب » الأيام مقروءا ؟ ان الأديب الحق وطـالب الأدب لا يكتفى برؤية (الأيام) على الشاشتين : الـكبيرة والصغيرة ، ولكنه يجرى وراء كتـاب الأيام ليقرأه ، ويعيد النظر فيه .

فان الأدباء الأصلاء سيظلون يقرأون وسيظلون يصاحبون الكتاب والمجلة فى هدأتهم وفى أوقات فراغهم ، وفى أوقات درسهم ودراستهم .

الحق أننا نستفيد من الاذاعة وأختيها أنها تحيل بعض الأعمال والروائع الأدبية المطبوعة الى صور ومشـاهد مرئية ومسموعة وجميلة ، ولكنها لا تصرفنـا بحال من تلك القطع الأدبية .

أما زحامات العصر الحديث ومشاغله فانها زحامات العصور القديمة ومشاغلها، بل هي مشاغل (الانسان) كله في كل زمان ومكان ... ولقد خلق الله الانسان في (كبد) - كما يقول في محكم كتابه - فهو شقي بهمومه وشواغله ومشاكله حتى في أهدأ العصور ، وأهدأ الأزمنة وأقلها ازدحاما بمشاغل الحياة ..

ولكن هل منعت تلك الزحامات المكتظة أديبا قديما أو معاصرا أن ينتج لنا أدبا عاليا ؟ أو هل صرفته عن أن يقرأ لغيره أدبا عاليا ؟ .

ان روائع الفكر والأدب قد ولدت في وسط الزحام ، واذا كان هناك أدباء أو شعراء عرفوا بأنهم ينتجون في ظل الهدوء ، فان هناك أدباء عرفوا بأنهم لم يحسنوا الكتابة والتأليف الا في وسط الضجيج ...

أما ما هي القوالب أو الأفكار الجديدة التي تلائم العصر في مجال القصة والرواية والشعر والكتاب والدراسة ؟

فلا شك أن القوالب والأفكار تتغير بتغير الزمن وتتطور بتطوره . فالذي يكتب أو ينتج على غير مقتضيات عصره ومتطلبات زمانه هو متخلف عن وقته .. الا اذا كان يكتب أو ينتج في ريادة ظاهرة ، فهو اذن سابق لعصره . وأكثر الأفذاذ من هذا النوع الأخير ، فانهم يسبقون زمانهم ، لأنهم لم يخلقوا له ، ولكنهم خلقوا لزمان مقبل .

ويجب أن يكون الانتاج الفكري والأدبي للمفكر والأديب استجابة لحاجات العصر ، وانعكاسا حقيقيا له .

ان عصرنا عصر متميز عما سبقه من عصور ، فهو بحيرة انصبت فيها كل رواسب العصور الماضية بالاضافة الى مشاكل العصر الحديث . ومن هنا لابد أن تدور القصة والرواية والشعر والدراسة في مداره ، وأن تصوره بكل ما فيه من خير وشر ، وأن تحاول أن تجعل من ذلك صورة صادقة تقدمها الى العصور الآتية .. .

الكلمة المكتوبة لا يمكن أن تموت !

● د . مصطفى محمود ●

أما عن مستقبل الأدب في القادم من السنين ، فعلم ذلك عند ربي ، ولا أستطيع التنبؤ بمستقبل نملة تسير الى جحرها . فما بال التنبؤ بمستقبل الأدب ...

ولكن لا أتصور أن الكلمة المكتوبة يمكن أن تموت بمجرد ظهور منافسة قوية من سينما واذاعة وتليفزيون لأنه حتى هذه الفنون المرئية والمسموعة تعتمد على الكلمة المكتوبة .

والقوالب الأدبية يمكن أن يجري عليها التطور لتكون أكثر طواعية في خدمة التليفزيون والسينما والمسرح والاذاعة .

وأما عن الأفكار الجديدة والقوالب العصرية في القصة والرواية وغيرها - فاني أجيب عن ذلك في كتاب جديد أصدره . وسوف يجد القارىء قالبا جديدا أصدره للفكر والقصة الجديدة القصيرة في مجموعتي الجديدة التي تصدر بعنوان « المسيخ الدجال » .

الشكل الجديد فى القصة والقصة القصيرة جداً

● فتحى الابيارى ●

ان الأدب هو نبض أى امة ، وهو الذى يعيد للانسان كينونته من خلال قصيدة شعرية او قصة او رواية او اى عمل ادبى حقيقى صادق يعبر عن مشاعر الانسان تجاه قضايا عصره ..

وعلى مر العصور نجد أن الأدب او الاديب من أهم المعالم البارزة فى حياة الانسانية مهما تنوعت أساليب وسائل الاتصال .

وكان المسرح وهو ابو الفنون منذ القدم وحتى الآن هو الذى يجمع بين كل وسائل التعبير ، فى النقد وابداء الرأى فى نظام الحكم ويصور الانسان فى دوامات عصره وصراعاته مع القيم والاخلاق ، وقد تمثل هذا فى مسرحيات يوربيدس وسوفيكليس وارسطو فانق روائعهم أوديب وانتيجونا والضفادع .

وقد تطور العصر وولدت وسائل اتصال كثيرة من اهمها الصحافة ثم الاذاعة ثم التليفزيون . وفى هذا العصر الحافل بدوامات وأزمات هدت من كيان الانسان المعاصر وجعلت العلاقات الانسانية قائمة على المادة واعدمت كثيرا من أحاسيس الانسان ومشاعره. ـ فى هذا العصر ـ وجدت وسائل الاعلام فرصا ذهبية لغزو هذا الانسان وخاصة التليفزيون الذى يجد فيه الانسان المعاصر واحة الراحة لتهدأ نفسه بعض الشيء من هذا الصراع المادى ، فما اسهل ان يضغط على زر التليفزيون فيشاهد بعض الرقصات والافلام والمسرحيات والبرامج التى تحاول أن تشغله من واقعه المرير ..

وقد أثر هذا كله على الأدب الحقيقى الذى ينشره الاديب فى كتاب .. كذلك اصبحت عملية النشر من وسائل التعذيب بالنسبة للأديب ..

وارتفع ايضا سعر الورق وبذلك تضاعف سعر الكتاب الى حد غير معقول وبالتالى انحسرت موجة تأثير الأدب على انسان هذا العصر ..

ومع ذلك فمهما تكالبت العناصر المادية للسيطرة على مشاعر الانسان ، فان الأدب سيظل النبض الحقيقى لضمير انسان هذا العصر المتأزم .

ولذلك فاننى ادعو الى شكل جديد فى القصة ، وهو القصص القصيرة جدا .. لقد مشى الانسان بقدميه على ارض القمر واصبح العالم كله حلقة صغيرة بالاتصال الهاتفى ووسائل النقل من الطائرات السريعة .. ولذلك لابد من شكل جديد للقصة ، على شكل قصة قصيرة جدا . اى ان يتناول الأديب فى القصة القصيرة جدا النبض السريع للعصر .

ان الانسان لا يحتمل الآن قراءة الروايات الضخمة كما كان يحدث فى القرن التاسع عشر .

وبالنسبة للقصيدة ايضا يستطيع الشاعر أن يترنم بنبض واحاسيس الانسان فى أرق عاطفة كادت تنعدم وسط الماديات وهى عاطفة الحب التى لن تنمحى أبدا ما بقى هذا الانسان وايضا ستجد ما يسمى بالرواية القصيرة جدا وليست الملاحم كما كنا نقراها فى العصور الماضية .

يجب على الأديب أن يواكب عصره باستخدام اللغة المعاصرة ، وقد حاولت ذلك فى ثلاثيتى مجموعة قصص قصيرة جدا والتى صدر منها جزءان ، وحاولت فيها أن تتحول الكلمة والتركيبات العربية الى كاميرا تصور المشهد او الموقف أو الشخصية التى اكتب ●●

الرائدة هدى شعراوى

أمينة السعيد

تحتفل المراة العربية هذه الايام بذكرى رائدة النهضة العربية هدى شعراوى ... وتنشر مجلة « حواء » مذكرات هدى شعراوى كما سجلتها ابنتها الروحية السيدة سيزا نبراوى، وقدمت السيدة امينة السعيد ـ وهى كذلك من رائدات نهضة المراة العربية ـ لمذكرات هدى شعراوى بمقال ممتع ننقل منه فقرات هنا ، لانه كلام رائدة عن رائدة . . .

ونضيف الى ذلك حقيقة لم يكن يعرفها الا القليلون، وهى ان هدى شعراوى شاعرة تصوغ الشعر الجميل، وعلى هذه الصفحات نموذج من شعرها ننشره طليعة لما سينشر بعد ذلك من شعر هدى شعراوى .

ويسعد «الهلال» ان يشارك فى هذا الاحتفال بذكرى رائدة النهضة النسائية هدى شعراوى .



من شعر هدى شعراوى بمناسبة بناء مقبرة الحـــــوش بالشرق

يا مــــوت مهــلا للغدِ حتى أعـــدَّ لى منامى
مادامَ لا يرضيــــهمْ أن تحـــرق يوما عظـامى
دعنى أقيم لمرقـــــدى بجوار من ولــــوا مقامى
دارا تخلد مجــــدهم ودوامَ حبى واحتــرامى

« هدى شعراوى » هى بلا نزاع قائدة حركة تحرير المرأة فى العالم الاســلامى قاطبة، ولقد قضت ما لا يقل عن خمسين عاما من حياتها، وهى فى صراع مرير من اجل رفع الظلم عن المرأة المسلمة عموما، والعربية على وجه التخصيص، وكانت البادئة برفع الحجاب، والمناداة بالمساواة الكاملة بين الجنسين لتمكين نصف الشعب العربى من الخروج من عزلته الاجتماعية والانطلاق الى عالم البناء والانتاج ..

وموطن العظمة فى «هدى شعراوى» انها كانت فى شخصيتها تجمع المتناقضات فلقد ولدت فى فراش من ذهب، ولكنها تنكرت للترف والدعة ، واختارت أن تقضى حياتها فى النضال والكفاح من اجل أسمى وانبــل الغايات .. وكانت تقاليد عصرها تحرم العلم على النساء، فتحدت هذه التقاليد بأن علمت نفسها بنفسها، وتوسعت فى طلب العلم حتى بلغت اعلى مراتب الثقافة والمعرفة ، واتقنت ثلاث لغات ، واصبح بيتها صالونا أدبيــــا وسياسيا يهرع اليه فى يوم الثلاثاء من كل اسبوع اعلام السياسة والادب والفلسفة والفنون .. وتبنت المواهب وهى مازالت فى براعمها ، فارســـلت على حسابها بعثات الى الخارج من الرجال والنساء

على السواء ، وخصصت للنوابغ من الشباب جوائز سخية تشجعهم وتساعدهم على الصعود الى القمة . والوصول بمواهبهم الفنية او الادبية الى مراتب الامتياز .. ولا اظن ان احدا بين قمم الحياة فى عصرها كان يفوقها حبا لمصر ، ووفاء لارضنا الطيبة ، وجراة على المطالبة بالحريات فى ظل اسمى واطهر مبادىء العفة والاخلاق.

ولقد خاضت « هدى شعراوى » مجال السياسة الذى لم تكن تجرؤ على الاقتراب منه امراة قبلها ، ولم تكن تخاف من الجهر بآرائها ، والتفانى فى تحقيقها سوى الله عز وجل ، وتاريخ تلك الحقبة يذكر لها مواقفها الباسلة من الزعماء والملوك، ومن ذلك معارضتها لزعيمها « سعد زغلول » حين خشيت ان تهدد بعض مواقفه الوحدة الوطنية فى مصر ، وخصومتها « لفاروق » بسبب انحراف سلوكه الاجتماعى وطلاقه لزوجته فريدة ..

وما هذه النقاط سوى ذرة صغيرة فى عالم كفاحها العظيم ، ولو اننى استرسلت فى سرد مآثر «هدى شعراوى» ما انتهيت ، ولهذا اكتفى بهذه الكلمات المعدودة تاركة لمذكراتها مهمة التفصيل.

وجدير بالذكر ان الزعيمة الخالدة « هدى شعراوى » عاصرت الاحداث السياسية الكبرى التى وقعت فى بلادنا منذ نهاية القرن التاسع عشر الى حين وفاتها يوم ١٢ من أغسطس عام ١٩٤٧ ..

ولقد سجلت فى مذكراتها رؤيتها لتلك الاحداث ، وأوردت بمنتهى الشجاعة والصراحة المواقف التى حضرتها بنفسها ، كما ابدت رأيها صريحا فى بعض القادة وبعض الزعماء . . . فان كان لاحد من قرائنا وقارئاتنا رأى مخالف ، فنحن نرحب به ، ولن نتاخر عن نشره بشرط ان يكون موضوعيا ومدعما بالاسانيد .. اما المهاترات والتهجمات فلن نعيرها اهتماما مهما بلغت مكانة صاحبها .. لاننا نقدس الحق، ونرفض ان يتخذ ذريعة لتحقيق اغراض شخصية او خدمة مبادىء خاصة ..

ويسرنى ان اقرر فى ختام هذه الكلمة .. ان مذكرات الزعيمة الخالدة قد قدمت لنا من الاخ العزيز الاستاذ «عبد الحميد فهمى مرسى » ، ولقد اعطاها لنا دون اى مقابل ، ولم يرض اطلاقا بأن يسمح لنا حتى بالاسهام المحدود فيما تكبده فى تنظيم هذه المذكرات واعدادها للطبع والنشر متمسكا بواجبه فى تنفيذ الوصية التى تركتها له أمه الروحية هدى شعراوى التى اختارته دون جميع مريديها ومريداتها لتنظيمها ونشرها فى الوقت المناسب . ولسوف يجد السادة القراء فى الصفحة المقابلة صورة الوصية التى كتبتها بخط يدها للصديق الكريم « عبد الحميد فهمى مرسى » خالص شكرنا وتقديرنا .

من تكون ؟!

• البابا شنودة الثالث •
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقصية

كلُّ ما حولَك صمتٌ وسكونٌ — وهدوءٌ يكشفُ السرَّ المصونْ
اعتزلتَ الناس حتى ماترى ... — غيرَ وجهِ الله ذي القلب الحنونْ
وتركتَ الكونَ بل أُنسيتَه .. — لم يعاوِدْكَ إلى الكونِ الحنينْ

***

هلْ ترى العالَم الا تافهــا — يشتهي المتعةَ فيهِ التافهونْ
كل مافيه خيــال يمَّحي — كل مافيه سيَفْنى بعدَ حين ...
هلْ ترى الآمالَ إلا مجمرا .. — يتلظَّى بلظـاه الآملـون ؟
لستَ منهم .. هم جسوم بيْننا — أنتَ روح فرَّ من تلك السجون

***

قدْ يقولُ البعض هذي حكمة — ويقولُ البعضُ كلا .. بل جنون !
فاترك الناس إلى أفكارهم — مثلَما شاءَ الهوى يفتكـرون
لكَ نهج مفـرد ، والناسَ في .. — منهجٍ مختلِف يضطـربون

***

أنتَ رمز كلمـا نبصره ! ... — نزدري الآمالَ والكونُ يهـون !
أنتَ رمز لحياة طهـرت — قد دعا الخالقُ يوما أن تكـونْ
أنتَ لحنُ الروح يسري هادئا — يسكُبُ النشوة في القلبِ الأمين
أنت قلب هائم في حبِّـه — أنت سر .. ليتَ شعري من تكون؟!
أنتَ سر لستُ أدري كُنهَه — أيُّ شيء فيه لي غير الظنون ..!
أنت روح سارح في عمقِه — يجتلي الأعماقَ في صمتٍ رصين.
إنَّ في صمتك سرا لن يَرى — قدسَ أقداسه إلا الصامتون

نحن و القمر

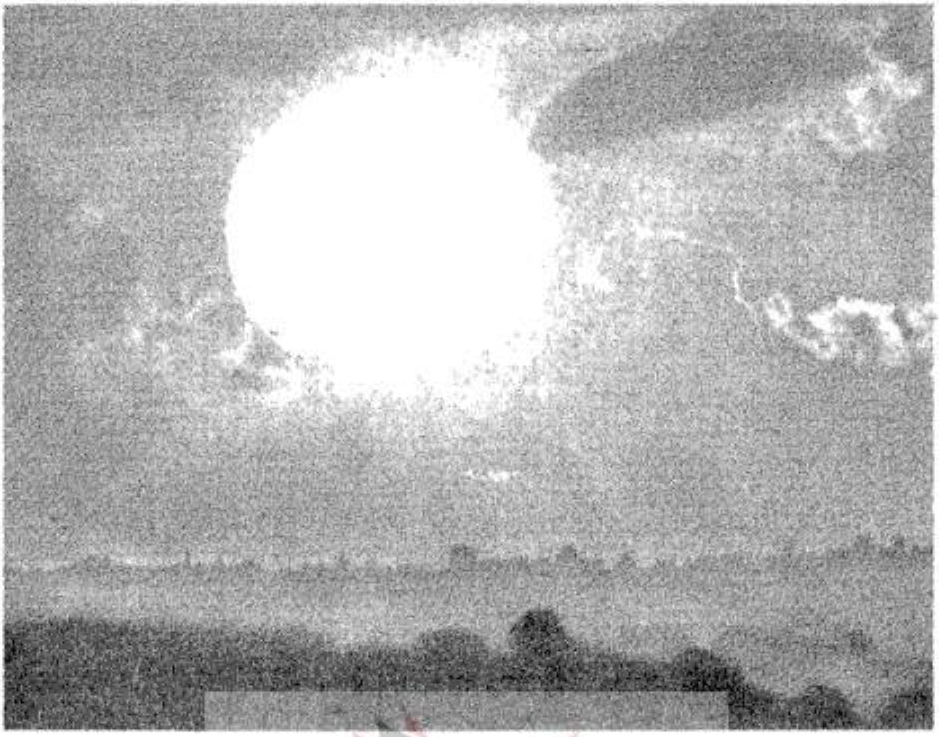
● محمد الحديدى ●

« كنا نحب القمر » ، هكذا يقول عبد الوهاب ، فماذا لو كنا خلقنا على ظهر كوكب ليس له قمر ؟ كنا سنحرم من هذه الاغنية ، ومن اشياء اخرى كثيرة جميلة وعزيزة علينا ، ولكن هل هذا كل شيء ؟ .
لا ، لان تاثير القمر على الحياة فى كوكب الأرض لا يقتصر على القاء ظلال الأشجار فى الليالى التى يطلع فيها ، او الهام مؤلفى اغانى الحب ...

القمر والجاذبية

مرة اخرى ، نحن لا نتحدث عن جاذبية القمر بمعناها الجمالى ، وليس فى علمى ان قوما غيرنا يتخذون القمر انموذجا للوجه الجميل ، بل ان الغربيين يتخذونه للدلالة على الانتفاخ والسمنة ويعدون وجهه قبيحا ، وهم الخاسرون فى هذه المسالة على الاقل ، فقد الهم القمر شعراءنا ايضا بالأغانى الرائعة ! .

سنة ١٦٦٥ كان وباء الطاعون الشهير يجتاح انجلترا ، وكان العالم الانجليزى الكبير اسحق نيوتن فى الثالثة والعشرين من عمره ، طالبا فى جامعة كمبريدج ، واضطر الى الانقطاع عن الدراسة ، وبينما هو يتجول فى الريف راى تفاحة تسقط من شجرة على الأرض ، وقال لنفسه انه لابد أن الأرض تجذب القمر كما جذبت هذه التفاحة ، وأوحى له هذا بما أصبح فى النهاية قانون الجاذبية العالمى ، الذى يقول بان كل قطعة او ذرة من المادة فى هذا الكون تجذب كل قطعة أو ذرة اخرى ، وان قوة الجذب تتناسب على كتلتى هذين الجسمين وتتناسب عكسيا مع مربع المسافة بينهما .
الأرض تجذب القمر بقوة عظمى تجعله لا يستطيع أن يخرج من المسار الذى يتخذه فى دورانه حولها ، ولا حتى أن يستدير ليرينا ظهره ، ولذا فنحن لا نرى منه الا هذا الجانب ، اما الجانب الآخر ــ البعيد ، كما



يسمونه صحة ، والمظلم كما يسمونه خطأ ، فهو الذى عرفناه لأول مرة فى التاريخ عندما صوره قمر صناعى سوفييتى فى الستينات من هذا القرن .

والقمر بدوره يجذب الارض ايضا ، مما يجعل الماء على سطحها يبدو كما لو كان ثوبا تثيره الريح فيبتعد من جسد صاحبته ثم يعود فيرتد ، عندما تواجه الارض القمر ، ينجذب ماء المحيطات والبحار التى تواجهه ، وعندما تمضى الارض فى دورانها يرتد الماء فيهبط ، وهكذا يحدث المد والجزر فى كل دورة للارض ، وبينما يكمل القمر دورته حول الارض فى ٢٧٫٣ يوما ، فان الارض تريه كل اجنابها مرة كل ٢٤٫٨ ساعة .

كل نقطة ماء فى المحيط تتجاوب مع هذه الذبذبة ، وكل كائن بحرى يحس بهذا الوضع .. طلوع ، نزول ، مد ، جزر ، وهو يلعب دورا اساسيا فى حياة هذه الكائنات . هناك مثلا دودة مفلطحة صغيرة تتحد مع عشب بحرى يكسوها ويعيشان معا ، كلما احست بالمد خرجت من الرمال لتعرض العشب للشمس ، وجربت احدى عالمات الحياة البحرية ان تأخذ هذه الديدان بعيدا عن موطنها الى معمل التجارب ، وهى تقول فى وصف النتائج : « مرتين كل يوم ، تخرج « كونفوليوتا » من الرمال فى قاع الحوض المعملى ، لتتعرض لاشعة الشمس ، ومرتين كل يوم ، تعود فتغوص فى الرمال ، بلا مخ ، وبلاذاكرة ، او حتى قدرة واضحة على الادراك ، تستمر كونفوليوتا فى حياتها كما تعودت عليها ، حتى بعد ان جاءت بها الغربة الى هنا ، ان كل خيط فى جسمها الأخضر الصغير يتذكر نبض المد والجزر فى المحيط البعيد » .

وهناك عالم آخر اجرى تجربة مماثلة على نوع من القواقع يعيش فى خليج يسمى « لونج آيلاند ساوند » بالقرب من نيويورك (وهو مسرح احداث الرواية الشهيرة « جاتسبى العظيم ») هذه القواقع تنفتح اثناء المد ثم تنقفل

فى الجزر احتمـــاء من ضغط الماء المرتفع . وتعتاد هذا الوقع المنتظم . وبينما تجرى أغلب التجارب فى معامل على شاطيء المحيط ، فان هذه التجربة أجريت بالقرب من مدينة شيكاغو على ارتفاع مائة وثمانين مترا فوق ســطح البحر ، لاحظ العــالم الذى أجرى التجربة ان القواقع مضت فى برنامجها تمــاما كما لو كانت لا تزال فى قاع البحر ، ثم حدث شيء عجيب ، اذ تغير نظامها ومع ذلك ظلت متوافقة احداها مع الأخــر كالاوركسترا ، وبعملية حسابية ظهر انها تتصرف كما لو كــان المد يغمر هذا المكان البعيد عن البحر . ظن أول الأمر انها ربما تتجاوب مــع شروق الشمس وغروبها ، فاحتفظ بها فى ظلام مستمر ، واستمر نظامها كمــا هو ، والسر فى ذلك هو ان جاذبية القمر لا تؤثر على المحيط فقط ، بل على كل مكان يواجه القمر فى اى وقت .

وفى معامل شركة «هيوزايركرافت» (وهى مصانع للطائرات كان يملكهـا المليونير الغامض الشهير هوارد هيوز) امكن صـــنع ميزان على درجة من الحساسية يمكن بها قياس تأثير المد لا على حوض تعيش فيه القــواقع فحسب ، بل على ســطح كوب من الشاى ! وهكذا يؤثر القمر على كائنات تحيا بعيدا عن الأرض ...

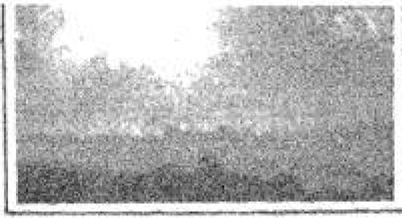
نفس الشيء يحدث للغلاف الجــوى المحيط بالارض ، هذا الهــواء الذى نعيش فيه يتعرض للمــد والجزر هو ايضا بتأثير جاذبية القمر ، صحيح ان جذب القمر للهواء ثم تركه له «يرسخ» ثانية لا يحدث الآثار الواضــحة التى يحدثها فى المحيط وعلى شواطئه ، ولكن هذا لا ينفى ان عمق الغــلاف الجــوى الذى نعيش نحن فى اعماقه يتغير مع الدورة اليومية للقمر ، وهناك مناطق بعينها يكون فيها هذا التأثير اشد مما يكون فى غـــيرها ، وهى لذلك تتميز بالاعاصير وشدة الظواهر الجوية ، وبعد استحداث الاقمار الصناعية امكن دراسة هذه الظواهر وتحديد هذه المنـــاطق بدرجة أكبر من الدقة .

هو والتنبؤات الجوية ...

وقد ظهر هذا الاكتشاف لأول مرة فى مجلة « ســـاينس » الأمريكية على هيئة مقالين لاثنين من العلمـــاء كانا يشتغلان بهذه النظرية منفــــردين ومنفصلين ، احدهمـــا امريكى والآخر استرالى ، وكان كل منهما يخشى ان يجاهر بانه يعتقــد ان القمر يؤثر على أحوال الارض الجوية لكى لا يتعرض لسخرية الناس ، ونشرت المجلة المقالين فى صفحتين متقابلتين فى عدد واحد سنة ١٩٦٢ ، بعد أن واتت الباحثين الجراة لذلك عندما علم كل منهما بالآخر .

كما عمل فريق بحث امريكــى على جمع الحقائق عن تسجيلات الاحــوال الجوية من أكثر من ١٥٠٠ محطـــــة بحوث جوية فى امريكا الشمالية ، على مدى النصف الاول من القرن العشرين، واوجدوا العلاقة بين القمر وســقوط الامطار بعد أن رسموا خرائط عــديدة واجروا حسابات مستفيضة واصدروا تصريحا قالوا فيه « هناك تأثير واضح للقمر يظهر على هيئة الميل الى سقوط امطار غزيرة جدا فى امريكا الشمالية بالقرب من منتصف الاســبوع الاول والثالث من الشـــهر القمرى » وهو ما يعنى ان الامطار الغــزيرة تسقط بمعدل أكبر فى الايام التالية لاكتمال القمر ورؤية الهلال .

وقد توصل الباحثــون الى نتائج مشابهة فى استراليا بناء على قراءات الاحوال الجوية فى الربع الاول مـــن هذا القرن أيضا ، وذلك فيما يختص بنصف الكرة الجنوبى ، ونحن نعرف أن المطر يســقط عندما تتشبع السحب بذرات الغبـــار او الملح أو الثلج مما يؤدى الى تكثف بخـــار الماء فيها حول هذه الجسيمــات وسقوط قطرات الماء المتكثف علــى



الارض ، ويستخدم العلم بهذه الظاهرة فى اسقاط « المطر الصناعى» من طريق «ذر» السحب بالكيمائيات التى تبذرها الطائرات والصواريخ ، ومن المصادر الطبيعية لهذه الجسيمات الغبار المتساقط من الشهب والنيازك وقد تكون هذه هى الصلة بين القمر والامطار لان فريقا من العلماء قد اكتشفوا العلاقة بين اكتمال القمر وظهور الهلال، من ناحية ، واقتراب الشهب من الغلاف الجوى للارض من ناحية اخرى .

واجرى احد العلماء تجارب عديدة على عدد من الكائنات منها اعشاب البحر والجزر والبطاطس والدودة الأرضية وحيوان السلامانذر ، اخذ يقيس كميات الاكسجين التى تمتصها واوجد ذبذبة يومية تشبه ما كان يحدث فى حالة القواقع ، وعندما وضعها فى جو خاص يبقى الضغط الجوى ثابتا فانها استمرت تظهر ما يدل على انها «تعرف» الدورة القمرية اليومية وتتجاوب معها ..

ما السبب فى ذلك ؟ احدى النظريات تعزو هذه الظواهر للتغيرات فى المجال المغناطيسى للارض والتى تنتج عن تاثير الشمس والقمر ؟ وقد دلت قراءات اخذت فى مرصد جرينتش فيما بين سنتى ١٩١٦ ، ١٩٥٧ على أن المجال المغناطيسى يتغير كل ساعة تؤخذ فيها قراءة ، وذلك بتاثير اليوم الشمسى واليوم القمرى والشهر القمرى ، ويبدو أن الاحياء تحس بهذه التغيرات . ومن المقطوع به – طبقا للتجربة – ان بعض الكائنات الدنيئة تنجذب بفعل القوى المغناطيسية ، منها كائن كروى الشكل قطره حوالى ملليمترين ، اسمه « فولفوكس » يعيش على اسطح بحيرات الماء العذب ، ويعتقد علماء الاحياء انه سليل التكوينات الاولى للكائنات المتعددة الخلايا .

و «الوقع» اليومى للقمر متوافق مع الوقع الشمسى ، من حيث انهما يحدثان على مدى فترة «يوم » تتساوى فيهما تقريبا ، ولكن للقمر وقعا آخر هو وقعه الشهرى ، نحن نرى القمر لان ضوء الشمس يسقط عليه ، نرى « النهار القمرى » سواء سطع فى ظلمة الليل الارضية او ظهر اثناء النهار ، وتتم دورة اوجه القمر على مدى يزيد قليلا على فترة التفافه حول الارض ، فهى ٢٩٫٥ يوما من القمر المكتمل الى القمر المكتمل الذى يليه ، اثناء هذه الدورة يحدث مرتان أن تكون الشمس والارض والقمر على استقامة واحدة «ليست الاستقامة التى تحدث الكسوف او الخسوف ، فهذه مسألة اخرى » بحيث تتحد جاذبيتهما ، وينتج من ذلك مد وجزر اشد مما هو فى غير ذلك من ايام الشهر القمرى ، وذلك عند اكتمال القمر وبدء تكون الهلال .

وفى مقابل ذلك ، فى ربع الشهر وبعد انقضاء ثلاثة ارباعه ، يحدث العكس وتتضاد القوتان ، ويضعف تاثير المد . لهذه الظواهر تاثيرات عديدة مباشرة على حياة الحيوانات البحرية والاسماك ودورات تناسلها والكثير منها ربما يفنى لولا تاثير القمر !

الانسان والقمر :
هل صحيح ان النوم فى ضوء القمر يجلب الجنون ؟

هناك نزعة عند بنى الانسان – بما فى ذلك العلماء والفلاسفة – الى ايجاد العلاقات بين الاشياء ، او اصطناعها اذا لم توجد ، وهكذا فهناك قائمة لا تنتهى من المعتقدات الخرافية ،

الشيء الفلاني يجلب الشيء العلاني، خذ الاعتقاد في «العين» مثلا، ولا نقول الحسد فالحسد غير العين و «شر الحاسد» هو الضرر المادي الذي يقع علينا من حقد من يحسدوننا، كالثورة مثلا، اما العين فهي شيء آخر، انه أن تقول: «ما اسعد حظ فلان».. وبقوة خفية تزل قدم فلان وتنقطم رقبته!

من المؤكد أن كل انسان مهما كان «غلبانا» سيجد من يحسده على شيء لم يناله هو، وطبقا لقانون العين كان المفروض ان يصاب الجنس البشري كله بمكروه أو آخر «وهذا ليس بعيدا من الحقيقة على اية حال» ومن الغريب ان رجلا مثل برتراند راسل مثلا لا يجد من يحسده وقد حاز نصيبا عظيما من الفكر والشهرة والمجد والمال والسعادة والمكانة، وصادق أجمل نساء العالم وعاش دنيا من صنعه هو، عاش فيها ما يقرب من مائة عام بصحة وافرة ورضا تام حتى موته يحسدعليه فهو لم يعوض ولم يعان شيئا، ومع كل هذا لم تصبه عين واحدة، برغم كثرة الذين كانوا ينقمون عليه ومنهم على الاقل ازواج عشيقاته!

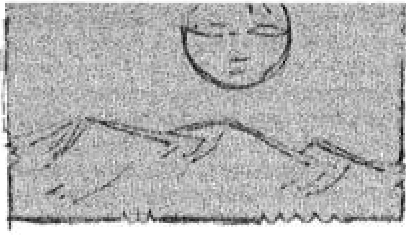
وهكذا توجد العلاقات بين تضاؤل القمر واكتماله وبين امور كثيرة في الحياة الانسانية، الكثير منها خرافة ولكن القليل قد يكون صحيحا.

اول مجال طرقه الباحثون هو ولادة الانسان، فالولادات تكثر في النصف الثاني من الشهر القمري وتقل في الهلال، هذا ما وجدوه في نيويورك، ولكن البحوث في ألمانيا جاءت بنتائج عكسية، ولكن هذا لم يضعف من حجة اصحاب الرأي الاول، فتأثير القمر يختلف من مكان لمكان على الارض، تماما كتأثيره على المد والجزر فالمد لا يتجاوز عدة بوصات في جزر تاهيتي مثلا ولكنه يصل الى.. خمسة عشر مترا في خليج فاندي مثلا!

على أية حال فانه عندما يكون القمر عاليا فوق رءوس الناس فان حالات الولادة تتدافع كما لو كان الاطفال يتسارعون لمشاهدة هذا الجرم الفضي الجميل، ولا علاقة لهذا بالمد، انها مسألة «برية» صرفة، ما السبب؟ لما كان وقت الولادة يتأثر بوقت الحمل فلا بد ان العلاقة تأتي من هنا، ولم يفت احدا حتى العلماء — ان دورة الطمث عند انثى الانسان تتم على مدى شهر قمري، وقد تعب الكثيرون في البحث عن العلاقة بين هذا وذاك، و «البت» طبيب سويسري ان بدء الحيض يكثر اثناء تزايد القمر، ثم عادوا فقالوا انه من العسير معرفة بدء حدوث هذه الظاهرة لان الغشاء المبطن للرحم يبدأ في التساقط قبل الظهور الفعلي للحيض ربما بثلاثة ايام او اربعة، ولذلك فالقياس الادق هو الذي يعني بخروج البويضة وتعرضها للاخصاب.

ويقول باحث تشيكوسلوفاكي ان وقت خروج البويضة هو الذي يتعلق بالقمر، وانه عند كل امرأة يتأثر بوجه القمر الذي كان سائدا ساعة ولادتها وبناء على ذلك رسم خرائط لمريضاته لتمكنهن من التحكم في الحمل سواء أردنه او اردن اجتنابه، واستخدث شيئا اكثر فعالية من الاقراص دون اعراض جانبية، وبنجاح شبه تام. الا يستحق هذا شيئا من اهتمام علمائنا قبل أن نموت من الجوع بفعل التكاثر؟

ربما كان هذا صحيحا ذات يوم وتغير الحال لان مدة هذه الدورة ذاتها اصبحت تختلف من انثى لاخرى من ١٩ يوما الى ٣٧ يوما فاين تأثير القمر؟ ولكن هذا لاينفي ان اطباء سلاح الجو الامريكي اجروا تجارب



على عدد من النســـاء اللاتى يشكين من اضطراب دورة الطمث ويقــولون أنهم عالجوهن بـ « قمر صــناعى » ، وهم لا يطلقون هذا التعبير هنا الاعلى ما نسميه نحن القمر الصناعى بل على النوم فى ضوء يشبه ضوء القمــر لثلاث ليال هى اقرب موعد لافــراز البويضة ، وقد حصلوا على نتائج طبية ايضا ، صدق او لاتصــدق . وقد يكــون التــاثير نفسيا بحتــا ، من يدرى ..

ولكن هناك علاقة بين القمر والنزف على اية حال ، تقول الخرافة القديمة ان للقمر تاثيرا على النزف يشــبه تاثيره على ماء البحار ، مجرد جاذبية ، معقول ..

وعندما كان « الفصاد » أسلوبا طبيا معتمدا كان « الاطباء » يتجنبــون اجراءه عند اكتمال القمر لكى لاينزف المريض نزفا خطرا ، واجرى احــد الجراحين احصاء على حالات النــزف الجراحى واوجد انه يتزايد بشــكل ملحوظ فى الليالى القمرية ، وقال ان قراءاته قد اقنعته بان يشتغل بالطب السحرى والا يجرى عملياته الا فى الليالى المظلمة ، اما الليالى القمرية فهى للحياة العاطفية والحب والشعر فقط .

وكلمة « قمــرى » ذات الاصــل اللاتينى ، معناها « مجنــونة » ، وتاتى من الاعتقاد بان النــوم تحت القمر الساطع يؤدى للجنون ، أو على الاصح فان هذا التعبير يصــف الذين « تتحــرك عليهم » الحالة فى الليــالى المقمرة فقط ، وقد درجت مستشفيات الامراض العقلية على منــع أجازات الاطباء فى الليالى المقمرة ، وفى القــرن الثامن عشر كان كل نزيل فى مستشفى كهذا يعطى « علقة » تهد حيله قبــل اكتمال القمر ، بينما كان النــزلاء يخشون بعضهم البعض فى هــذه الفترات .

ونشرت جمعية طبية امريكية مؤخرا بحثا جاء فيه أن الجرائم التى تنشــا من الحالات النفسية كهوايات السرقة واحداث الحرائق والقيادة الجنونيــة والقتل بدافع السكر ، كلها تتــزايد فى فترات الاكتمال القمرى ، وانه اذا كان « فى الجو غيم حجب القمر » فان هذا لايمنع الظاهــرة مما يدل على تاثير الجاذبية وليس الضــوء ، وأن السبب قد يرجع الى فعل المغناطيسية واثرها على فارق الجهد الكهــربائى بين رأس الانسان وصدره . وقيل فى ذلك « مهما كانت طبيعة الانسان فهو لا يزال آلة كهربائية ، ولا يوجد تيار كهربى لا يتاثر بتغيرات المجال المغناطيسى »

صحيح ، ولكن الى اى مدى ؟

ولكن اذا كانت الطائرات التى تفوق سرعة الصوت تسبب الاصابة بسرطان الجلد وامراض اخرى كثيرة ، فمــاذا يمنع ان يكون لشىء هائل كالقمر اثره ايضا ..

انا واثق بشىء واحــد ، وهو اننى كواحد من سكان مصر الجديدة ، فى الحى القريب من المطار ، اوشك ان افقد عقلى بسبب ازيز الطائرات الذى لايمكن الانسان من اكمال جملة واحدة دون مقاطعة ! اعوذ بالله ..

لابد ان للقمر تاثيرا فعــلا ، تاثيرا مغناطيسيا او جاذبيا ، اما من حيث الضوء فهو ليس الا وسيط ، ياتينــا بضوء الشمس المنعكس عليه ، وبناء عليه فهل للشمس تاثير على حيــاتنا العضوية والنفسية ؟

لم لا ؟
هذه مسالة اخرى ..

ناس وصور

كريستينا أوناسيس

وارثة عاقر .. وملايين كثيرة لاتجد من يورثها

كريستينا اوناسيس هي دون شك من اغنى نساء الدنيا ، فقد ورثت اموال ارستطاليس اوناسيس بعد أن اخرجت من التركة جاكلين اوناسيس وارضتها بمبلغ متواضع : عشرين مليونا من الدولارات .

وكانت مشكلة كريستينا هي الزواج والشهرة ، فاما الزواج فقد فشلت فيه مرتين ، ثم اختارت بنفسها زوجا روسيا متواضعا، كان يعمل في شركة تامين ، وتزوجته رغم معارضة الدنيا كلها ..

واما الشهرة فقد زهدت فيها واستطاعت ان تتخلص من فضول الصحفيين بالانزواء والاندساس وسط الجماهير ..

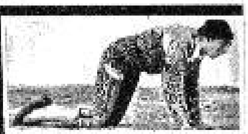
ثم جاءت مشكلة الولد . بعد انقضاء اكثر من عام لم ترزق المليونيرة المسكينة ولدا ، ومضت تستشير الاطباء ، واخيرا ذهبت الى الطبيب السويسرى الاشهر الذى استطاع ان يعالج صوفيا لورين .. فاجرى كشوفه وفحوصه ثم قال لها في النهاية : آسف ياتينا ـ وذلك هو اسم التدليل لها ـ لن تصبحي اما ابدا . .

وخرجت من العيادة وفي عيونها حزن وياس لا يوصفان ، وكان الصحفيون لها بالمرصاد فالتقطوا للمليونيرة الحيرى هذه الصورة التي تعبر عن تعاسة الدنيا كلها ..

هذه الملايين كلها .. بلا وارث ..







نحن الثيران يا آنسة لا يعجبنا هذا اللعب

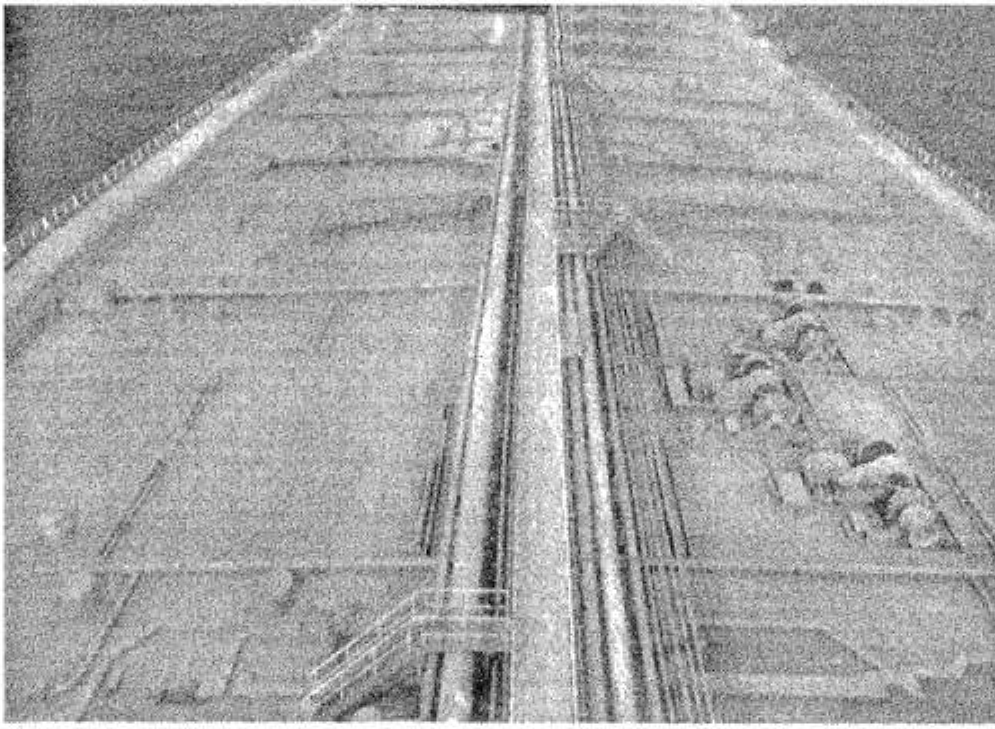


مصارعة الثيران أو ملاقاتها تعتبر أصح رياضة تلاقي شيئا فشيئا لأنها من مخلفات عصور الصيد القديمة، ثم لأن هناك تسليات أخرى حديثة تصرف الناس عن الذهاب إلى ميدان المصارعة أو لإلقاء ذي قودوس لقضاء عصرية مثيرة في السينما أو الاحتلال القومي.

وتلك اللعبة الخطرة لعبة رجال، ولكن النساء يغامرن بالدخول في ميدانها بين الحين والحين، وهذا أمر لا يعجب الثيران، فما يكاد الثور يرى الآنسة أو السيدة تحرك «الوليتا» أي القطيفة الحمراء أمامه حتى يندفع نحو المصارعة بدلا من الوليتا.

وهذا ما حدث في مدينة سان سباستيان في شمال إسبانيا منذ قليل، لم تكد الآنسة المصارعة ماريا لورنس تتوسط الحلبة والعصر مساعديها بإخلاء الميدان، حتى وضعت الوليتا على السيف وحركتها أمام الثور تدعوه للهجوم. ولم يتمالك الثور أعصابه فاندفع وضرب الآنسة الجريئة بقرنه وألقاها أرضا كما ترى في الصورة الكبيرة.

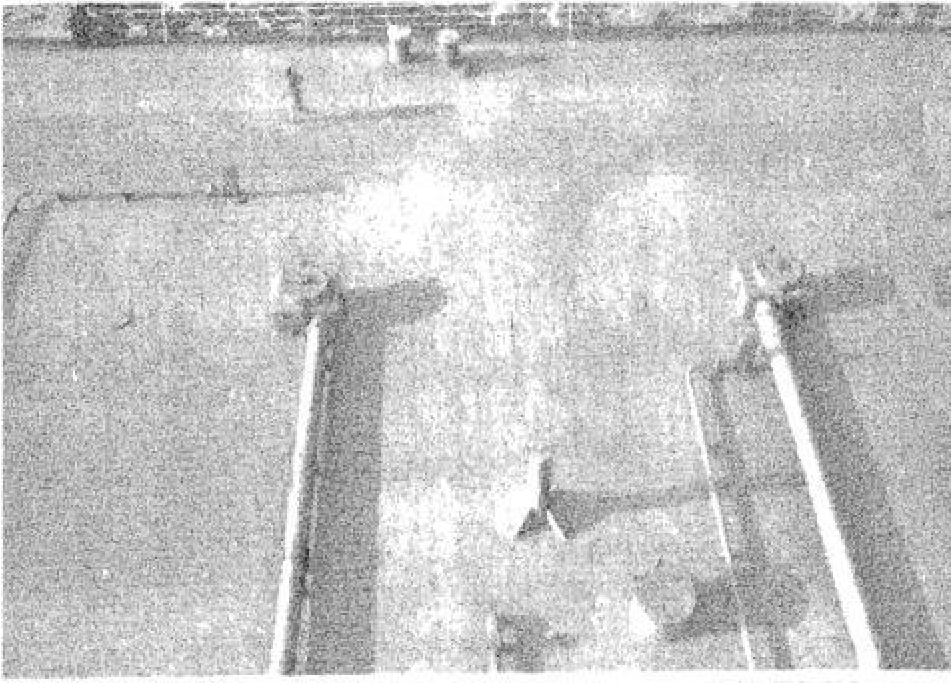
والصورة الصغيرة تريك الآنسة الجريئة تزحف هاربة من الثور وحالتها تبعث على الأسى والضحك معا.





أضخم سفينة

هذه السفينة التي ترى في الصورة جزءا من سطحها هي حاملة بترول تسمى بلاميا وحمولتها ٦٠٠ الف طن من البترول • للمقارنة نذكر ان باخرة الركاب الكبيرة الفاخرة لاتزيد حمولتها على ٢٠ الف طن ، وحمولة هذه السفينة من الذهب الاسود تكفي حاجات ٣٠٠٫٠٠٠ عائلة من الوقود خلال عام •

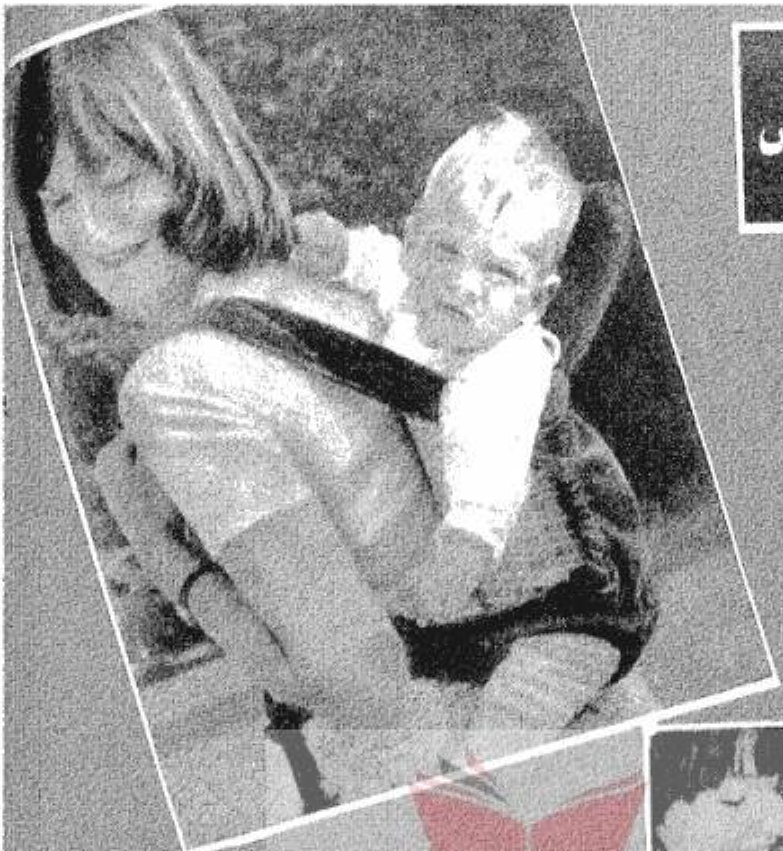




على سطح الماء

طول هذه الناقلة الهائلة ٣٠٠ متر وعرضها ١٠٠ واقصى سرعة لها ١٧ عقدة فى الساعة · وهى من الضخامة بحيث ان ربانها يوقف كل ماكيناتها على بعد كيلو مترين من الشاطىء ويدعها تسير بقوة الدفع حتى تقف بعد كيلو متر من الاندفاع · وهنا تاتى اللنشات الجرارة لجرها الى الشاطىء وهى لا تسكن الا اذا اسندت جنبها الى الرصيف ·

والسبب فى هذه المبالغة فى احجام الناقلات هو الرغبة فى خفض تكاليف نقل البترول ·



أم تحمل طفلها في حمالة



رغم كل الابتكارات فى عربات الاطفال تبين ان خير وسيلة لحمل الطفل هى تعليقه فى حمالة على ظهر الام او على صدرها او الى جانبها ..

لان اكثر ما يطمئن الطفل ويريحه هو ان يحس ان جسده ملتصق بصدر امه ، وهذه خلقة الله التى تجعل القرد الوليد يتشبث بشعر امه ولا يفارقها ابدا ولا يصيبه بذلك اذى او مرض ..

حقا ان الطبيعة لها حكمتها ، ومهما تقدمت الحضارة فنحن لابد ان نعود الى الشيء الطبيعي .. الى ما بدات به قصة الحياة على ظهر الارض ..

صدقنا

● ابراهيم عيسى ●

صَـدَّقنــا أنَّ متــاعَ الأرض
خيوط تنســجُ نغمــــانا
صَـــدَّقنا الدنيــا .. فعَدَوْنا
نســتبقُ الريحَ بدنيَـــانا
صدَّقنا الآمـــالَ ... فشـــدْنا
للأملِ البـاسِمِ بنيـــانا
صدقنا الشِّعرَ ... فذلّلنــــا
لجَــواد الشـعرِ الأوزانــا
صدَّقنـــا الحب ... فغنّينــا
وزرعْنـــا اللهفــة بســتانا
صدقنــا الفرحةَ ... فضــحكنا
حينــا ، ونســينا الأحــزانا
صدَّقنـــا أنَّ الخــلدَ هنـا
نَبع لا ينضــب ظمــآنا
صدَّقنـــا صــدَّقنا ... حتى
صِـــرْنا للدنيَـــا فرسَـــانا
نغتـــالُ الأيّـــامَ ونمضي
لنقيمَ عليهـــا سُلطـــانا
ونحيـــل الخيْرَ بأنفسنا
جِنّا يحتضِــنُ الشيْطـــانا
ونهـــد الأرضَ ونبنيهـــا
ونســـينا فينـــا الانســانا
حتى إذْ جــفَّ ربيعُ العُمْــر
ومالَ الغصـــنُ يئنُّ حـــوانا
أبصرْنا الأرضَ ومنْ فيهـــا
عرْيـــانا يســتر عريـــانا
وسَـــرابا يسقينـــا وهمًا
ويَخُطّ الحيْرةَ عنــــوانا
قد ضاعَ حصادُ العمرِ ... سوى
عَمل يَسْتَمْـــــقي الغفرانا !

المولد النبوي في الشعر الحديث

● علي غريب بهيج ●

المادحون وارباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملي صادق الكلم
« احمد شوقي » في « نهج البردة »

يلاحظ كل من يطالع الشعر الحديث في مصر منذ البارودي حتى اليوم ، احتفال الشعراء بالسيرة النبوية العطرة ، احتفالا لا نظير له في عصور الشعر العربي وبيئاته عبر التاريخ • وقد اختص الشعراء مناسبة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقدير والعناية وبأروع قصائدهم ، تلك القصائد التي أصبحت من عيون الشعر العربي على الاطلاق ••

واذا تصفحنا دواوين الشعراء منذ البارودي حتى اليوم نلاحظ ذلك القدر الهائل من المدائح النبوية عامة ، وقصائد المولد خاصة • ولا يملك المرء سوى الانتخاب والانتقاء اذا أراد الايجاز لضيق المقام •

فاذا ذهبنا نقرأ في شعر البارودي رائد الشعر الحديث نراه يختص السيرة النبوية الشريفة بقصيدة رائعة تبلغ اربعمائة وسبعة وأربعين بيتا من قافية واحدة ، هي قافية الميم المكسورة ، بعنوان « كشف الغمة في مدح سيد الأمة »• ومطلعها : ـ

يارائد البرق يمم دارة العلم ... واحد الغمام الى حي بذي سلم

وقد قدم لها البارودي بمقدمة قال فيها : « هذه قصيدة ضمنتها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من حين مولده الكريم الى يوم انتقاله الى جوار ربه ، وقد بنيتها على سيرة ابن هشام وسميتها (كشف الغمة في مدح سيدالأمة) ورغبتي الى الله أن تكون لي ذريعة أمت بها يوم المعاد ، وسلما الى النجاة من هول المحشر •• » •

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم

مديحه فيك حب خالص وهوى
وصادق الحب يملى صادق الكلم

والقصيدة معارضة لقصيدة « البردة » الشهيرة للامام البوصيرى رضى الله عنه ، الا ان منهج البارودى فيها يختلف عن منهج البوصيرى ، حيث عرض البارودى وصفا مفصلا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم واهم الأحداث البارزة فى سيرته صلى الله عليه وسلم .

وقد يبلغ البارودى من دقته فى عرض الأحداث ، الحد الذى تتحول معه قصيدته من الشعر الى النظم التاريخى ، ومن ذلك قوله فى المولد النبوى الشريف :

وحينما حملت بالمصطفى وضعت
يد المشيئة عنها كلفة الوحم
ولاح من جسمها نور أضاء لها
قصور بصرى بأرض الشام من أمم
وعند ما الوضع وهو لرفع منزلة
جاءت بروح بنور الله متسم
فأدت به غرة « الاثنين » ، وابتسمت
عن حسنه فى « ربيع » روضة الحرم

فهو يؤرخ لمولده صلى الله عليه وسلم تاريخا دقيقا لدرجة انه يذكر يوم مولده (الاثنين) صلى الله عليه وسلم ، من شهر ربيع .

الاأن القصيدة فى مجملها ملحمة تاريخية رائعة للسيرة النبوية الشريفة ، تغلبت فيها شاعرية البارودى المقتدرة على أسلوب النظم الذى كان يهدد القصيدة بالسطحية والجفاف .

●● شوقى والسيرة النبوية :

حفل ديوان شعر أمير الشعراء أحمد شوقى بقصائد اسلامية عديدة من أهمها قصيدتان ، الأولى : « نهج البردة » وهى التى حاكى فيها الامام البوصيرى وتجلت فيها عبقريته الفذة بشكل كاد يتفوق على البوصيرى نفسه .

والثانية : همزيته التى مطلعها :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وهذه القصيدة تربو على مئة وثلاثين بيتا من رائع الشعر وأعذبه ، وهى

معارضة لهمزية أخرى للامام البوصيرى أيضا ، الا أن همزية شوقي تعتبر من عيون الشعر العربى كله ، ومن أروع ما قيل فى الشعر الحديث فى هـذا المجال ..

وقد تابع شوقى فيها خليفتاه : على الجارم وعزيز إباظة على نحو ما سوف نذكره فيما بعد ، ومن روائع الهمزية النبوية لشوقى قوله :

بك بشر الله السماء فزينت ... وتضوعت مسكا بك الغبراء
وبدا محياك الذى قسماته ... حق وغرته هـدى وحياء
وعليه من نور النبوة رونق ... ومن الخليل وهديه سيماء
يوم يتيه على الزمان صباحه ... ومساؤه بمحمد وضاء

وفى هذه القصيدة لا ينسى الشاعر أنه شاعر للأخلاق ، فيقول مشيرا الى أطراف من خلقه ، عليه الصلاة والسلام :

يا من له الاخلاق ما تهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها ... دنيا تضىء بنوره الآناء
زانتك فى الخلق العظيم شمائل ... يغرى بهن ويولع الكرماء

وعن الشريعة الاسلامية يقول :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد ، وهى حقيقة ... نادى بها سقراط والقدماء
والدين يسر ، والخلافة بيعة ... والأمر شورى والحقوق قضاء

ثم يختتمها بابتهالات ومناجاة منها :

يا من له عز الشفاعة وحده ... وهو المنزه ما له شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه ... والحوض أنت حياله السقاء
أنت الذى نظم البرية دينه ... ماذا يقول وينظم الشعراء

***

وللشاعر « على الجارم » قصيدة رقيقة يعارض فيها « احمد شوقى » فى همزيته التى تحدثنا عنها ، ومطلع « همزية الجارم » التى وضعها فى صدر ديوانه « سبحات الخيال » يقول :

اطلت على سحب الظلام ذكاء ... وفجر من صخر التنوفة ماء
وخبرت الأوثان أن زمانها ... تولى وراح الجهل والجهلاء

ثم يختتمها بقوله

عليك سلام الله ما ذر شارق ... وما عطر الدنيا عليك ثناء

***

أما الشاعر الكبير عزيز إباظة فله ديوان كامل عن السيرة النبوية الشريفة شعرا ، بعنوان : «من اشراقات السيرة الزكية » يقع فى نحو ثمانية وثلاثين فصلا، تتناول مراحل حياته عليه الصلاة والسلام ، على نحو ما تذكره كتب السيرة . ومن هذه الفصول الفصل الثامن بعنوان « المولد الشريف » . وهو يستهل هذا الفصل بقوله :

اليوم ضاح والنسيم رخاء ... وتريق فيض رواتها الصحراء
وتبرجت تحت الظلال وأشرقت ... كالمحصنات الكعبة الغراء

وفى هذا الفصل يضمن الشاعر شعره بيتا من قصيدة شوقى وهو مطلع

الهمزية الذى يقول فيه :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبســـم وثناء

وبعده يقول :

وضعته فى احضـــــان يتم امه فاذا الأسى طـــاف عليــه عزاء

الا أنه لا يتابع الروايات الشهيرة عن معجزات مولده صلى الله عليه وسلم ، وانما يتناول الموضوع من زاوية المنطق العقلانى على نحو ما فعـل العقـــاد فى « عبقرية محمد » . فهو يقول :

ولدت كما تلد النســـاء فهن فى حمل وفى عنت المخـــاض ســـواء
سنن الخليقة ليس فى قانونهـــا عوج ، ولا فى ضـــبطها استثناء
ان تخب نـــار أو تـــدك ركـــائـز فعوارض ان صحت الأنبــاء ...

●● شعراء آخرون :

ولا يتسع المجال لعرض نماذج من كل الشعراء الذين تناولوا مولده صلى الله عليه وسلم فى أشعارهم ، الا أننا نحب أن نختتم بالاشارة الى شاعرين اخرين احدهما « كلاسيكى » من المدرسة التقليدية ، وهو الشـــاعر محمد مصطفى الماحى ، والثانى « حديث » : وهو الشاعر محمود حسن اسماعيل .

والماحى يصدر ديوانه باهداء الى ساحة النبى الأكرم محمد صـــلى الله عليه وسلم ــ يقول فى مطلعه :

الى الســـاحة العظمى الى مطلــع الهـــدى
بســـطت لخير النـــاس ــ اجمعهـــم ــ يدا

وللماحى قصائد عديدة فى السيرة النبوية وفى مدح النبى صـــلى الله عليه وسلم ، منها قصيدة قالها فى بغداد عام ١٩٣٧ بمناسبة المولد النبوى الشريف مطلعها :

يا شادى الروض قد ضاعفت اشجانى وهجت يا طير بالتغـــريد وجـــدانى

● أما الشاعر محمود حسن اسماعيل فهو يختتم ديوانه « نهر الحقيقـــة » بقصيدة بعنوان « مع النور الأعظم » ــ فى ذكرى مولد المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ــ يستهلها على هذا النحو :

يا اول نور
سكب الله النور الأعظم من شفتيه
يا اول نور
كل النور تالق منه وجاب الكون على كفيه
يا اول نور
خف اليه الروح القدس وكبر شوقا بين يديه

أزمة الأدباء الشبان

أزمة جدلية إلى حد كبير !

● د . نبيل راغب ●

● لاشك أن ادباء الأجيال الماضية في العالم العربي بصفة عامة ، كانوا أكثر حظا من ادباء هذا الجيل ، نظرا لظروف العصر المتغيرة .. فبعد ان كان الكتاب سيد ادوات المعرفة على الاطلاق ، تراجع كثيرا الى الخلف بفعل اجهزة الاعلام والفن الحديثة مثل الاذاعة والسينما والتليفزيون ، وهي الاجهزة التي علمت الانسان العربي الكسل في مجال التثقيف الذاتي ..

واذا كانت هذه المشكلة عامة بالنسبة لعالمنا المعاصر ، الا انها اشد حدة وكثافة في العالم العربي ، لأن الكتاب لم يكن قد انتشر واحتل مكانته المرموقة مثلما فعل في دول العالم المتحضر . يرجع هذا الى عوامل متعددة منها الظروف السياسية القاسية التي مرت بها المنطقة العربية وعلى رأسها الاستعمار والاحتلال ، وانتشار الأمية التي شجعها الاستعمار بكل طاقته ، وقتل كل تطلعات ثقافية عندما اقتصر التعليم على مجرد تخريج موظفين للعمل في خدمة الجهاز الحكومي

وعندما حصل العالم العربي على استقلاله ، كانت الأجهزة الاعلامية والفنية قد زحزحت الكتاب العربي عن مكانته الأثيرة في قلوب الأجيال السابقة لدرجة أن وجود الكتاب الآن مهدد بالاندثار في حياة الجيل الحالي . ومن ثم اهتزت مكانة الادباء والمفكرين الى حد كبير لأن بضاعتهم لم تعد رائجة في سوق المعرفة الذي اصابه الكساد في حمية اللهث وراء المكاسب المادية والانغماس في صراعات الحياة اليومية .

وكان من الممكن أن يتحول العالم العربي من المحيط الى الخليج الى سوق رائج للكتاب العربي الصادر في أية دولة عربية ،لكن الانقسامات والصراعات الداخلية التي تمزق الأمة العربية أوشكت أن تقضي على وحدة الثقافة العربية . فالكتاب الذي يصدر عن أية دولة عربية لا يكاد يجد سوقا له الا في حدود هذه الدولة ، وذلك على الرغم من وحدة اللغة والتراث والتاريخ التي تتمتع بها أمتنا ، والتي نعتز بها فقط في مجال الكلام والجدل ، أما في مجال التطبيق العملي والتنفيذ الفعلي فما زلنا أبعد ما يكون عن وحدة الثقافة العربية . ونحن بهذا نساعد القوى الخارجية في محاولاتها المستمرة لتشتيت وحدتنا الثقافية ، ولن نلوم في النهاية سوى أنفسنا ، حتى مؤتمرات الأدباء العرب التي كانت تعقد في الماضي لاقامة الجسور الثقافية بين مختلف أجزاء الأمة العربية راحت ضحية الخلافات السياسية .

هذه مجرد امثلة على المناخ العام الذي يعيشه ادباؤنا الشبان ويعانون منه اشد المعاناة . اما عن الظروف الخاصة التي تؤثر في انطلاقهم فحدث عنها ولا حرج فقد انقسموا هم بدورهم الى تشجيع

متناحرة ، وبذلك جعلوا من انفسهم صورة مصغرة ومركزة للامواج السياسية المتلاطمة والمتصارعة ، فقد نسوا أن السياسة مجرد جزء او فرع من فروع المعرفة الانسانية ، ومن ثم نسوا دورهم الريادى فى تشكيل وجدان امتهم وفكرها ، واصبحوا تابعين لما تأتى به حركات المد والجزر السياسى . لذلك يتحتم عليهم أن ينظروا الى الدور الريادى الذى قام به رجال من امثال لطفى السيد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، والعقاد ، وغيرهم فى مجال الثقافة . فقد اشتغل معظمهم بالسياسة على اعلى المستويات ، لكنها كانت مجرد تنويعة جانبية على خطهم الثقافى الاساسى .

***

هناك مشكلة أخرى يعانى منها أدباء هذا الجيل وتتمثل فى الهوة السحيقة التى تفصل بينهم وبين الجيل الذى سبقهم ، لدرجة أنهم اصطلحوا على تسمية انفسهم بأنهم « جيل بلا آباء » ومن ثم فان الجيل الذى سبقهم يعتبر جيلا بلا أبناء . وللأسف لم يحاول أحد الجيلين أخذ زمام المبادرة فى يده والقيام بلقاء الجيل الآخر ، بل قنع كل جيل بمهاجمة الجيل الآخر . فالجيل القديم يتهم الجديد بالعقوق والسطحية والجهل والجيل الجديد يتهم القديم بالأنانية والتسلط والاستيلاء على كل الفرص التى من حق الجيل الجديد ، متهمًا بذلك استمراره فى تحكمه القديم فى مراكز الثقل الثقافى من أجهزة ودور نشر .

وبالطبع كانت الثقافة هى ضحية هذه الهوة أو هذا الصراع المؤسف . ذلك لأن الثقافة هى نهر متصل ، قد يحمل على سطحه الأمواج المتلاطمة ، لكن لا يعنى هذا أن مجراه قد فقد حدوده المميزة وملامحه الخاصة .

وفى تراثنا العربى العريق كان الأستاذ يفخر بأنه قدم للثقافة العربية اكثر عدد ممكن من التلاميذ النجباء ، فى حين كان التلاميذ يعتزون أشد الاعتزاز بتلمذتهم على يدى هذا الأستاذ لكن هذا لم يمنع وجود الاختلاف فى الرأى والاجتهاد بين الاساتذة والتلاميذ فقد كان الاختلاف دليل الصحة والحيوية والقدرة على الابتكار والتطور . اما الصراع فلا يؤدى الا الى العقم والجدب والموات . وهو ما جعل ادباء هذا الجيل يعانون من الطريق المسدود التى اوشكوا على الدخول فيها بلا عودة .

وعلى سبيل ممارسة النقد الذاتى فانه يتحتم على أدبائنا الشبان مواجهة عيوبهم الذاتية فى محاولة للتخلص منها ، وذلك حتى ينطلقوا فى المسار الصحيح . من هذه العيوب التسرع والعجلة فى النشر والانتشار ظنا منهم ان الأمور تقاس بالكم فى ميادين الثقافة . فالعبرة ليست بعدد الكتب التى نشرت لكاتب ما ، بل بنوعية الكتب التى أصدرها . فقد يحتل مؤلف مكانة مرموقة وعريضة على الخريطة الثقافية بكتاب وحيد الفه طوال حياته ، وقد يغفل تاريخ الثقافة والفكر ذكر كاتب نشر عشرات الكتب . فالثقافة معاناة واستيعاب وفكر ورؤية واضحة محددة للكون والاحياء قبل أن تكون استعراضا أو تكرارا للمعلومات التى يمكن الحصول عليها من مصادر أخرى .

***

من العيوب التى يعانى منها أكثر الأدباء الشبان أيضا تلك التى تتمثل فى ان معظمهم لا يجيد اللغات الأجنبية وعلى رأسها الانجليزية والفرنسية ، ومن المعروف ان اللغات الأجنبية العالمية هى النافذة التى يطل منها الأدباء والمفكرون على ثقافة العصر . ولا يهم ان اتفقوا مع هذه الثقافة او اختلفوا ، لكن المهم الاطلاع ثم الاستيعاب حتى يتسنى لهم تحديد موقفهم الحضارى من الثقافة العالمية ، وحتى يتمكنوا من الاستفادة من الايجابيات وتجنب السلبيات التى قد تعترض جوهر ثقافتنا وتراثنا .

أما اعتماد الأدباء والكتاب على الاعمال المترجمة فمن شأنه ان يضعهم تحت رحمة المترجمين . ونحن نعلم أن بعضهم يعجز عن نقل المعنى الذى يقصده المؤلف الاصلى . هذا بالاضافة الى ضعف حركة الترجمة الى الدرجة التى أوشكت فيها على الاندثار .

***

أما عن أزمة النشر التى يشكو منها الكتاب الشبان فهى تختلف من بلد لآخر

فى المظهر الخارجى ، أما فى جوهـرها فهى تكاد تتشابه الى حد كبير فدور النشر - سواء كانت حكومية أو خاصة - تفضل بطبيعتها التعامل مع مشاهير الكتاب ذوى الأسماء الكبيرة حتى تضمن توزيع انتاجها ، ومن ثم لا يتسع المجال للأدباء الشبان لكي يصلوا الى الجمهور فهناك عنـق زجاجة يتحتم على الأديب الشاب أن يمر منه فى عملية نشر أعماله وبالطبع فان قليلين هم الذين يوفقـون فى هذه المحاولة .

فى هذه الحالة لا يستطيع الجيـل الجديد من الأدباء اتهام الجيـل القديم بالأنانية والتحكم والتسلط ، ذلك أن المسألة هنا تخضع لعوامل السوق التى يضعها الناشرون فى اعتبارهم دائما . هنا يمكن للدولة أن تقوم بدور ريادى فى تشـجيع الأدباء الشـبان عن طريق تبنيها لأعمالهم ونشرها وتقديمها للجمهور العريض من القراء ، فهـدف الدولة - بطبيعته - نشر الثقافة وتعميقها قبل الحصـول على أرباح معينة . أما الأدباء الكبار فالباب مفتـوح لهم على مصراعيه عند ناشرى القطـاع الخاص الذين يجنون الكثير من وراء الأسماء الكبيرة .

هناك مشكلة أخرى تبرز فى مواجهة الأدباء الشـبان ، وهى على الرغم من بداهتها فانه ثبت عمليا أنها ظاهرة خطيرة الى حد كبير . هذه المشـكلة تتضح فى عدم تمكن عـدد غير يسير من الأدباء الشبان من ناصية اللغة العربية ذاتها . واللغة - كما هو معروف لدى الجميع - هى أداة توصيل الأعمـال الأدبيـة الى الجمهـور . واذا كانت الأداة رديئة التوصيل للفكر والفن فلابد أن يكـون العمل الأدبى رديئا بدوره مهمـا كانت عظمة الفكر والفن اللذين يحتوى عليهما . فالشكل اللغوى لا يمكن أن ينفصل عن المعنى الفنى أو الفكرى ، لأن العنصرين يشكلان وجهين لعملة واحدة . من هنا كانت حتمية تمكن الأديب من ناصيـة اللغة . وهذا التمكن لا يتأتى له الا من خلال المران الشاق والطويل حتى يدرك أسرار اللغة وحيلها وألاعيبهـا . وهى أسرار تختلف من لغة الى أخرى اختلاف بصمات الأصابع . فاذا كان التمكن من قواعد النحـو والصرف والمحسـنات البديعية واللفظية بديهية لا تقبل الجدل فان تطويع اللغة واستخراج أسـلوب مميز منها وخاص بالأديب ضرورة ملحة أيضا .

كل هذه ضرورات لابد أن يضـعها الأديب الشـاب فى اعتباره ، وعليه بالتروى والتأنى والدراسـة العميقـة والمستفيضة حتى يقع فى نهاية الأمر فى غرام لغته وأدبه وفنه . وعندما يصـل الى هذه المرحلة المتقدمة من عشقه لفنه ، سيجد المتعة كل المتعة فى عملية الابداع الأدبى ذاتها وسيتوارى جنون النشر فى خلفية تفكيره الى حد ما . لكن عليه أن يعلم أن الجيد الأصيل لابد أن يصـل ، لأنه فى النهاية لا يصح الا الصحيح . أما المتعجل فسرعان ما يقع ضحية لليأس أو الملل ، وسرعان ما يهجر الميدان لغيره من الأدباء الأصلاء المثابرين .

***

ولا نعتقد أن أزمـة النشر أو صراع الأجيال أو غير ذلك من العقبـات التى يقابلها الأدباء الشبان نهاية العـالم - لا نعتقد أن هـذه العـوامل تمكنت من القضاء على أديب جديد أصـيل بطول تاريخ الأدب الانسانى . وان كانت قد فعلت فلابد أن تكون هذه حالات شاذة للغاية ، لأن من سار على الدرب وصل . لذلك فان أزمة الأدباء الشـبان أزمة جدلية الى حد كبير ، لأن الشباب الأصيل - بطبيعته - قادر على اجتياح أية أزمة طالما أنه مسـلح بالثقـة بالنفس ، والدراسة العميقة ، والنظرة الشاملة ، والتحليل الموضـوعى ، والمنهج العلمى وغير ذلـك من الأسـلحة التى لابد أن تسـاعده فى النهـاية فى تحقيق كل طموحاته الفكرية والفنية .

صخب السكون!

• محمود العتريس •



وبعد ... يا فتاة العينين ..
متى .. وأين .. ؟؟
هذا السكون الصاخب الأعماق ..
قد يطول
وتنتهي الفصول
وعندما يستيقظ الهجير
وليس في قرارة القدير .. غيرقطرتين
ماذا ترى تفعل — حينذاك —
أو تقول .. ؟؟
***
يا فتاة العينين .. باختفاء
أقول : إن أرضنا ، سماء
تعرف ماتشاء ، لكن ليتها تشاء
إن جبال الصمت ، قد تقطعها رياحنا
العنيده
لكن ما أخشاه — ياحبيبتي
لو أسلم الرجاء ...
أن تبرد احتدامة الفضول
وتذبل القصيده

العمل العربي في البحر جهاد و القرصنة عمل غير عربي

(٢)

● د . عبد العزيز بن عبد الله ●

بقية ما نشر في عدد ديسمبر ١٩٧٩

وقد كان مجموع المغرب مهددا اذا ذاك من طرف غزاة الاسبان الذين حدتهم الى اكتساح افريقيا روح صليبية باركتها رسميا البابوية اذ ذاك ، ولم تكن تخلو هذه الغارات من الرغبة في الغنيمة لاسيما وان استقرار المسيحيين في الشواطىء المغربية كما يقول الاستاذ « تيراس » سبقته سلسلة من غزوات النهب قام بها البرتغاليون والفرسان الاسبان ،على ان هاته الاعتداءات ضد المغرب تندرج في اطار حملة استعمارية واسعة النطاق ، زجت اوروبا بنفسها فيها في القرن السادس عشر الميلادي، ذلك ان الاستعمار الاسباني البرتغالي لم يسعه الا ان ينجلب لثروات بلاد قريبة من اوروبا مثل الشمال الافريقي.

ولا يمكننا ان نفصل تاريخ تلك القرصنة الموسومة بالافريقية عن حركة الغزو التى نسقت « كما يقول تيراس » تنسيقا بديعا تحت ظل البابوية . وقد اغار الاسبان على شرق البلاد ، بينما اكتسح البرتغاليون غربها محاولين اقرار حمايتهم على جميع المغرب ، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل ، وارتطمت بصمود لقتال عنيف ، حيث هرب الشعب الذى كادت تجرف به لاول مرة في تاريخه حملة الغزاة الاوروبيين - في كتلة متراصة لصد العدوان ، فتدفق المتطوعون من جميع انحاء البلاد لنصرة الوطن المهدد..

وقد لاحظ « تيراس » ان مجاهدى الجنوب الاقصى للمغرب شوهدوا وراء اسوار سبتة متحفزين للوثوب على العدو ، فقد كان المغربي متسامحه حتى ذلك الحين ازاء الاوروبيين ، واستوثقت علاقته مع اوروبا طوال خمسة قرون في جو من التحالف الوائق الهادىء . غير ان هذا المساس بسيادة وطنه وكيانه ، وذلك الثلم الاليم



لكرامته وحريته .. أسفر عن عهد جديد وسمه الحذر والحيطة بطابع خاص ، فانقلبت الجماهير المتسامحة المسالمة الى شعب كالح جريح في شعوره القومي فانتفض انتفاضة الموتور للذود عن حماه ..

وقد حفزه ذلك الحذر الى الانطواء على نفسه لا بالنسبة للعالم المسيحي وحده بل حتى بالنسبة للامبراطورية العثمانية التي اكتسحت منذ القرن السادس عشر الميلادي الاقليمين الشرقيين للشمال الافريقي وهما الجزائر وتونس ، ذلك أن التوسع التركي كان يرمي الى الاستيلاء في شمال المغرب على بعض المراكز الاستراتيجية التي كانت تركيا ترى من الضروري مراقبتها لتعزيز كفاحها ضد الاسبان .. غير ان المغرب الذي كان شديد التمسك باستقلاله لم يتوان في خوض كفاح مرير من أجل الدفاع عن كيانه ضد المعتدين ولو كانوا من المسلمين ، لكفاحه هذا يتسم الآن بسمة عنصرية ولا ملية وانما كان رد فعل قوي ضد الأجنبي بصفته معتديا.
وهذه الفترة العصيبة في التاريخ العربي قد وافقت سقوط غرناطة آخر معقل اسلامي في اسبانيا والفتك الذريع الجماعي بعشرات الآلاف من الاندلسيين فاضطر المغرب الذي انتزع منه قسط من ترابه الوطني الى ايواء المهاجرين الاسبان الذين حطوا معهم الحقد والظوت قلوبهم على ضغينة ضد العداة ممن طردوهم من بلادهم .

نعم ، ان المهاجرين الاندلسيين حنقوا اشد الحنق على اسبانيا التي فتكت في ظرف ١٣٩ سنة بنحو ثلاثة ملايين من المسلمين واليهود حسب قول المؤرخ « لورانث » في تاريخه النقدي للتعذيب باسبانيا كما احرقوا عام ١٥٩٩ أزيد من مليون مخطوط عربي حسب رواية المؤرخ « بيرسكوت » في كتابه « حول فراند وايزابيلا » ص ٤٥١ ، وهكذا انقلب الاندلسيون الذين فقدوا اموالهم وعائلاتهم من جراء الضربات المتوالية التي انزلتها بهم اسبانيا الصليبية - ليأخذوا الثأر لعائلاتهم فاستوطنوا بعض مدن الشمال ، وكونوا عصابة من القراصنة هاجمت الاساطيل الاسبانية في قوة وعنف ، فتحولت القرصنة البحرية آنذاك الى كفاح وطني ..

وقد ابرز المؤرخ الانجليزي « لينبول » هذا النوع الجديد من الحرب في الكتاب الذي صنفه حول قراصنة افريقيا ، وبذلك ارتسمت القرصنة كمرحلة جوهرية في المناورات الحربية في ذلك العصر ، فالقى القراصنة الاندلسيون مفاجع الغزاة الاسبان الذين كانوا قد استقروا بقسم من الساحل الافريقي ،مما حدا الاستاذ « تيراس » الى القول بان سيطرة العثمانيين على سواحل الجزائر وتونس كانت نتيجة رد فعل لطائفة من القرصنة ضد الاكتساحات

الاسبانية على هاته الشواطىء ، كما اكد المؤرخ « اندرى جوليان » أن تدخل هؤلاء القراصنة العرب هو الذى ادى الى فشل سياسة اسبانيا الافريقية ، كما غير مجرى تاريخ القارة الافريقية .

ففى عام ١٥٠١ نقل السيد خير الدين المعروف عند الاوروبيين « بباربورس » — وهو مسيحى الاصل من جزيرة ليسوس اليونانية — مركز عملياته الى البحر الابيض المتوسط بعد ما ساعد على نقل سبعين الف اندلسى الى التراب المغربى « راجع « لين بول » ص ٥٩ وبذلك اندرج فى سلك عصابة خير الدين عدد من المرتزقة للقيام بالقرصنة فى مياه البحر المتوسط .

***

نعم ، كانت هناك أوكار اخرى للقراصنة فى شواطىء الاطلنطيك ، لاسيما فى مصب ابى رقراق ، تطور نشاطها مع الايام حتى أصبح رجالها معروفين بالقراصنة السلاويين ، وهو اسم أطلق فى الحقيقة على مجموع القراصنة المغاربة — غير أن هؤلاء لهم وضع خاص يعتبر مظهرا لمشكلة استثنائية هى مشكلة الداخلين فى الاسلام من المسيحيين فى افريقيا . وسنرى كيف ان هذه القضية المعقدة خلقت لبسا خطيرا فى ذهن بعض المؤرخين .

وعلى اى حال فان الاعمال التى كان يرتكبها هؤلاء القراصنة اصبحت مع الزمان مثار قلق بالنسبة للمغرب ، ولم يكن فى وسع ملوكها مواجهة هذه المشاكل ، لأن المسئولية ترجع فى الواقع الى أوروبا التى تحدت السلطات المغربية المشروعة فاعترفت لمن يسمون بالقراصنة المغاربة طوال قرنين اثنين بوجود قانونى شبه رسمى — « راجع كتاب دوكاستر فى الموضوع » — بل ان بعض الدول الاوروبية حالفت هؤلاء القراصنة وشجعتهم ، ثم شملتهم بعطفها وحمايتها مثل هولندا وانجلترا ، فلا يغرب من اذهان المؤرخين ذلك العمل الغريب الذى قامت به الولايات العامة « اى هولندا » حيث اجبرت بحارة « لوبيك » . « وهى مرسى المانية تقع على ٥١٥ م . من بحر البلطيق » — على اعداد مركب جديد لتسليمها الى القراصنة المغاربة ، بل ان الاسطول الانجليزى حمى هؤلاء القراصنة عام ١٦٣١ بدعوى مسالمته لهم ، ذلك ان وجود القراصنة بالمغرب كان يشجع دسائس ومناورات بعض الدول التى كانت تتحين الفرص للانقضاض على الشمال الافريقى ، وقد استغلت بعض هذه الدول القرصنة نفسها فاعتبرت وجودها خطرا على كيانها ، والفت كتلة عملت على القضاء على اسطوله الوطنى الذى كان معقلا متنقلا وحصنا مكينا للذود عن سيادة المغرب ، فكان ذلك من أوروبا الخطوة الاولى فى سبيل القضاء على استقلال المغرب .

وقد كتب « دوكاستر » بحثا قيما حول تاريخ « قراصنة سلا » فاكد أن المغرب تمكن من فرض وجوده خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، الى حد ان الدول المسيحية خطبت وده وحالفته ، وادت له جزية ، ثم علل ذلك بأن اسطولا قرصنيا كان يثير الرعب فى الاطلنطيك فوجب ان تضمن ضد السلاويين سلامة السفن التجارية عن طريق المعاهدات والجزيات .

ومعلوم أن القرصنة فى حوض ابى رقراق من اثار الاوروبيين انفسهم لان ذلك كان مجهولا فى المغرب ، حتى استقر ايام المرينيين انفسهم ، وكر « قرصنى » فى المعمورة « المهدية » على ساحل الاطلنطيك ، فعظم شأنه واستفحل امره ، وكان القائمون عليه اخلاطا من جميع الامصار فيهم من

إن القرصنة ضد الأساطيل الأوروبية كان يستغلها أحياناً مُلاّك من بحارة الغرب.. فقد كان هنالك ضباط ضاربوا في التأمينات البحرية... فسلموا سفنهم إلى القراصنة

المسيحيين اكثر من المسلمين ـ كمايقول « دوكاستر » .

***

ولكن بعد دولة الشرفاء واسترجاع المغرب لمراكزه البحرية وقع حادثان اثنان كان لهما كبير الأثر في تاريخ المغرب ، وهما استيلاء خير الدين ورجاله على مدينة الجزائر ، وتحول محور التجارة الدولية من الشرق الى الغرب على اثر الاكتشافات البحرية الكبرى ، فقد اصبح مضيق جبل طارق المحجة التجارية الكبرى ، وكان من بين المدن الساحلية التي نجت من غارات البرتغاليين والاسبان ،سلا ـ الواقعة على ساحل الاطلنطيك ، وتطوان على ضفاف المتوسط فاصبحتا « مهدا » للقراصنة المغاربة ، ثم صارت سلا خاصة المدينة القرصية الرابعة ـ حسب قول « دوكاستر »ـ بعد طرابلس الغرب وتونس والجزائر

وبالرغم من ان سلا كانت رديئة الميناء فقد اصبحت اهم مورد للغرب حيث كانت أوروبا تروج مجموع منتجاتها المصدرة للغرب ، فقد لاحظ قنصل فرنسي عام « ١٦٩٩ » ان منتجات الغرب كانت تباع باقل من ثمنها في أوروبا نفسها نظرا لوفرة الكمية المستورده .

وطوال قرن كامل انحدر الى سلا من الفردوس المفقود عدد كبير من المهاجرين على اثر سياسة القمع التي نهجتها اسبانيا آنذاك ، واستمرت هده الهجرة المؤلمة الى عام ١٦١٠ ميلادية وهو تاريخ الطرد النهائي المقرر من طرف فيليب الثالث ، ولم يندمج الدخلاء الجدد مع سكان المدينة ،بل زادوا عليهم عددا وقد انجلب لهاته المدينة التي كانت في حمى امنع من المدن الأخرى ضد ردود فعل المسيحية عدد لابستهان به من الاندلسيين الذين كانت تذكيهم روح المغامرة البحرية ، فوجدوا في القرصنة ذريعة للاقتصاص من اسبانيا بوجه خاص ، ولتنمية ثرواتهم في آن واحد، وقد شجع السلطان عبد المالك السعدي استقرار هاته العائلات الاندلسية لاسيما وان المدينة المعمورة التي سبق لعبد المؤمن الموحدي ان اقام فيها ١٢٠ قطعة **حربية كانت لا تزال هي واصيلا والعرائش في قبضة المسيحيين ،فكانت سلا بذلك هي الميناء المغربي الوحيد بالاطلنطيك الذي تأتى له مراقبة مضيق جبل طارق الذي لم تكن تفصله عنه سوى خمسين مرحلة ، وقد لاحظ الاب « دان » ان هذا الوضع ساعد القراصنة على الانزواء المستمر استعدادا للتحفز ضد السفن الاجنبية وكانت معرفة الاندلسيين للجهات الاسبانية ولثنايا البلاد تمكنهم من تقمص المظهر المناسب للتربص بالعدو ولم يكن لهؤلاء الاندلسيين صلات طيبة بالقبائل المجاورة التي كانت تعتبرهم ضعيفي الايمان فلم يكن بينهم والحالة هذه تآمر من اجل القرصنة المشتركة .**

وقد لاحظ « دوكاستر » انه ورد على سلا عقب هذا العهد اتراك ومسلمون حديثو عهد بالاسلام ، انحدروا من

مختلف آفاق المتوسط ، وكانوا عبارة من عصابات اتخذت اللصوصية مهنة لها ، فما لبث هذا الخليط من البشر ان انساق على غرار امثاله من سكان المدن القرصنية الاخرى. واذا استثنينا العقيدة الاسلامية في نفوس هؤلاء فلم يكن هناك فرق كبير بينهم وبين اهالي مدن المتوسط المسيحية وبالاخص منها « جنوة وبيزا ولفورن وبرشلونة » .. وكان الاسترقاق هو هدف الحانسن الاساسي في القرصنة ، فقد حط الجنويون من كرامتهم التجارية عندما استرقوا المسيحيين والمسلمين على السواء ، وفتحوا باب الرق على مصراعيه على حد تعبير « دوكاستر ».

ففي بحبوحة القرن السابع عشر الميلادي كنت ترى في مدينة جنوة بحارة الرباط يستخدمون عبيدا افارقة، ولم يتورع من ذلك حتى كبار المسيحيين الذين كانوا يضربون المثل لغيرهم ، فقد حكى المؤرخ « مويط » ان احد سكان تلمسان كان عبدا عند كردينال مدينة ارجونة ، وقد انقلبت سلا على غرار اخواتها من مدن المتوسط القرصنية الى جمهورية وكانت ظاهرة عادية في التاريخ لان الحواضر البحرية والتجارية كانت دائما تتوق الى الاستقلال الذاتي فتدانفصلت هذه المدن تدريجيا من الدول التي كانت تابعة لها لاعتناق النظام الجمهوري ، ففي فرنسا ايضا حصلت مدن « مرسيليا ولاروشيل وسان مالو » على امتيازات وحريات كانت عبارة عن استقلال ذاتي حقيقي .. فوجود وكر للقراصنة داخل التراب المغربي كان يتسم اذن مع الناموس الطبيعي في ذلك العهد . وقد ادخل الاندلسيون الى سلا اللغة الاسبانية كما استعملوا القوانين والاعراف الاسبانية البرتغالية ، وقد لاحظ « دوكاستر » انه لا ادل على ذلك من قوائم اعضاء ديوان سلا حيث البتت اسماء عائلات اندلسية مثل زهراء وفنيس ، غير ان هؤلاء الاندلسيين

الذين ظلوا مرتبطين نظريا بسلاطين المغرب حيث كانوا يؤدون اليهم جراية خاصة طواعية ، لم يكونوا يرتكبون جرائمهم الا خارج المياه الاقليمية الوطنية ، فظل بذلك التجار المسيحيون القاطنون سلا المغربية ، محفوفين بالعناية والرعاية .

وقد استمسك ملوك المغرب بمبدأ حرية البحار وسلامة التجارة الدولية وجعلوا ذلك فوق الاعتبارات الدينية ، بل كانوا يتحرجون عن مجابهة الاعتداءات المتكررة في هذا الميدان ، وكانوا يفرقون بين العمل البحري ــ خلال الحرب وهو عمل مشروع ، وبين القرصنة التي لم تكن اكثر من لصوصية بحرية.

ان الافارقة لم تكن لهم هواية خاصة في القرصنة مما جعل « دوكاستر » يؤكد « ان قراصنة طرابلس الغرب وتونس والجزائر وسلا ــ اذا اردنا ان نقتصر على المدن الهامة ــ « لم يكونوا ينبثقون على وجه العموم من بين ظهراني اهالي المغرب ، بل لم يكونوا ينبثقون حتى من بين الاتراك ، لان الذين كان يطلق عليهم هذا الاسم كان معظمهم من الدخلاء او احفاد الدخلاء في الاسلام»

وقد لاحظ « دوكاستر » ان عدد المسيحيين الذين اعتنقوا الاسلام واستقروا في تركيا او في المغرب « يتجاوز كل حسبان » فمن هؤلاء خير الدين واخوه ، وحسن رمضان امير القراصنة البندقي وغيرهم .

وقد استنكر الاب « دان » حوادث اليونانيين والروس والبرتغاليين والاسبان والفلامند والالمان وغيرهم ممن كانوا يملأون جوانب البلاد الافريقية .

والحقل العادي لعملية « القراصنة السلاويين » كان هو بحر الظلمات الذي كانوا يمخرون عبابه صعودا ونزولا

يقول المؤرخ "دوكاستر" أن القراصنة كانوا يحترمون المراكب التى تحمل على ظهرها رهبانًا متوجهين لتحرير الأسرى.. رغم ماكانوا يحملون معهم من أموال...

حتى الجزر الخالدات الى مياه بريست بفرنسا ، وكانت هذه الجزر تحتضن عام ١٥٩٥ ميلادية أزيد من ثلاثمائة عائلة افريقية ، بحيث كان معظم سكان مدينتى فوريطا فانتورا ولا نزاروط افارقة ، وكانت الاولى وحدها تشتمل على ثلاث عشرة قرية افريقية «هسبريس - مجلد ٢٥ عام ١٩٣٥ » ، وقلما كان السلاويون يعبرون مضيق جبل طارق للدخول للبحر المتوسط حيث كان قراصنة الجزائر يتعرضون لهم مدعين احتكار القرصنة بهاته المياه ، بل كانوا يفضلون الجولان فى لجج الاطلانطيك الى حدود المياه البريطانية وحتى الى جزيرة ترنوف الامريكية ..

على أن القرصنة ضد الاساطيل الاوروبية كان يستغلها احيانا ملاك من بحارة الغرب ، فقد كان هنالك ضباط ضاربوا فى التامينات البحرية فسلموا سفنهم الى القراصنة المغاربة . وقد ضرب « دوكاستر » مثلا لذلك البارجة « لاروبال » وهى من حمولة ٦٠ طنا ومجهزة بستة مدافع ، فقد سلمت هذه بربابنتها والمسافرين المحمولين عليها مع امتعتهم الى احد قراصنة سلا يوم ١٦ من سبتمبر ١٦٧٠ - ميلادية ، وحكى « موبط » أن قبطانها وهو من مدينة ديب « مدينة فرنسية على بحر المانش » كان قد ضمن لنفسه تامينات كبرى على سفينته ، بحيث اصبح غرمها غنما كبيرا ...

وقد لاحظ « دوناستر » أن القراصنة كانوا يحترمون المراكب التى تحمل على ظهرها رهبانا متوجهين لتحرير الاسرى رغم ماكانوا يحملون معهم من اموال .

وقد نظمت بعض الدول الاوروبية حملات ضد قراصنة سلا ولكن مطاردتهم وحصارهم للقرصان ذهبت ادراج الرياح ذلك ان نفس هؤلاء القرصان كانوا محميين من طرف دول غربية اخرى تحالفت مع عصابات اللصوص امعانا فى الدسيسة ضد ملوك المغرب ، على أن بعض الاقطار الاوروبية التى لم تكن تذكيها مطامع بالمغرب ، كانت تسالم القراصنة حفاظا على وضعها فى البحر . وكانت دول اخرى تستخلص من علاقتها مع القرصان ارباحا طائلة شجعتها على عدم التحرج من مساندة تلك العصابات وقد لوحظ انه فى أواخر العهد العربى اصبحت مدينة انفا غنية جدا مستقلة من باقى البلاد فى نظام جمهورية صغرى سكانها القراصنة تربطهم بانجلترا والبرتغال روابط تجارية ، وقد ساعد هذا التشجيع كلا من انفا وسلا على الايغال فى تمردها ضد السلطة المركزية وعقد عدة معاهدات مباشرة مع اوروبا ، كما وقع لعدد من الدول المسيحية التى عاهدت الجزائر دون اشراف تركيا .

فانعدام اللياقة الديبوماسيه كما يسميه « دوكاستر » هو الذى اطال امد الحركة الثورية التى خاض غمارها هؤلاء الدخلاء من ضعاف الايمان ضد ملوك المغرب ...

قصة

رسالة فى زجاجة

• بقلم : ارستوبارا •
• ترجمة . د . محمود على مكى •

كاتب هذه القصة قصصى اسبانى ناشىء ، اشترك فى المسابقة السنوية التى تنظمها مجلة « الرسالة الادبية » الاسبانية فى الشعر والقصة القصيرة للكتاب الشبان ممن هم دون الخامسة والعشرين ، وكانت قصته هذه قد فازت بالجائزة الاولى فى المسابقة ونحن نرى فيها نموذجا طيبا لكتابة الادباء الشباب فى اسبانيا ذلك البلد الصديق الذى تربطنا به علاقات وثيقة فى الماضى والحاضر .

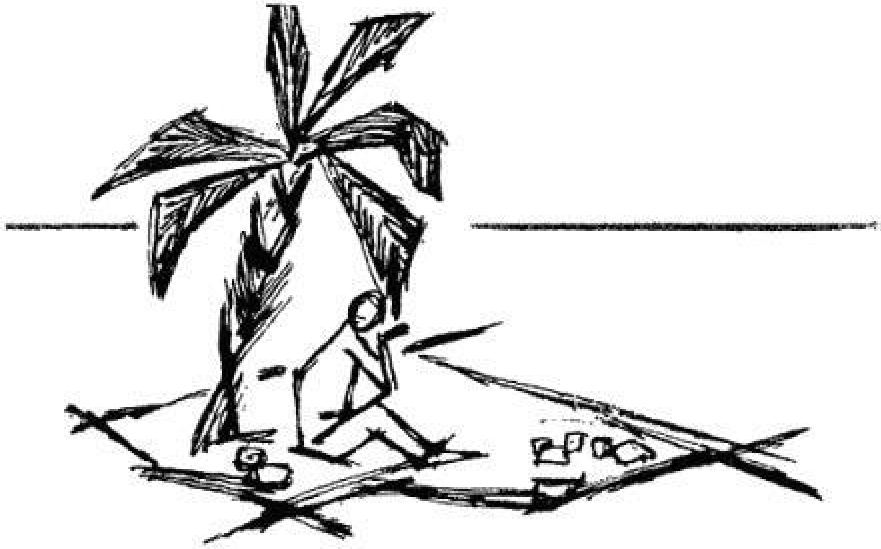
« من اسوأ ما ابتلى به الشرفاء انهم فى العادة جبناء ! »
فولتير

● لم يكن هناك مركب واحد فى الميناء وكان « فوثيو » يقوم بنزهته على الرصيف فى اصيل هذا اليوم الملبد بضباب كثيف كأنه مطلى بالقطران .. الشمس تبدو كقرص من الاسبرين قد الصق بسقف غرفة ، ولكنها كانت لاتزال ترسل اشعتها فى جلالة مهيبة وان كان ضوؤها رفيقا لا يغشى بصر الناظرين ..

لم يكن هناك بحارة يتجولون على الارصفة ، ولا نساء يبذلن اجسادهن لطالبيهن ، ولا مهربون يعرضون بضاعتهم من العطور اليابانية . حتى الحانة كانت مغلقة .. الميناء كله مهجور كما لو كان مدينة اسطورية انحسر عنها الطوفان . كل ما يمثل الحياة فى عصر هذا اليوم هو اسراب من الطيور البحرية ترسم باجسادها الصغيرة بقعا بيضاء على خلفية رمادية ، بقعا طائرة ، شهبا فى وضح النهار ..

ولكن على بعد كيلو مترات كثيرة من رصيف الميناء كان فى عرض البحر رجل شاء له حظه ان ينجو من غرق سفينته ، وكان معتصما بجزيرة مرجانية صغيرة لم يبد على سطح الماء منها الا طرف ضئيل كأنه قلامة ظفر حاد يشق البحر ويخدش صفحة السماء !

كان مع الرجل زجاجة .. فالمعتاد فى كل من يظفر بالنجاة من مركب غارق ان تكون معه زجاجة او على الاقل يعثر عليها فى مكان ما . وكانت فى جيبه قطعة من ورق التنظيف، فقد فاجاه غرق السفينة وهو فى دورة المياه . ولكن لم يكن معه قلم . الا انه شرع فى التفكير معتصرا ذهنه المبلل بالماء ، وظل يستعرض بذاكرته



كل ماكتبه الادباء والقصاصون حول من حملهم الموج بعد نجاتهم من الغرق الى جزر مهجورة . كانت كل تجاربه فى ذلك لا تعدو سطورا قليلة قراها حول الموضوع بينما كان يجلس فى ليالى الشتاء مادا قدميه امام المدفاة وقد بسط على ركبتيه بطانية غليظة .

ولكن الأمر الان يختلف : هو نفسه الان الذى يقوم بدور « روبنسون كروزو » مع فارق واضح هو انه لم يوهب قدرة «كروزو» على تعذيب نفسه بالتأمل والتحليل ولا برودته وهدوء أعصابه عند مواجهة المواقف الصعبة !

لم يكن امامه الا حل واحد : هو أن يجرح ذراعه بشفرة اتفق انها كانت فى جيبه ، ويكتب بدمه رسالة استغاثة ، ولتكن هذه الرسالة المسطرة بالدم بمثابة حلف ماساوى يحاول عقده فى هذه اللحظات مع الحياة .. اما آلة الكتابة فيمكن أن يفى بالغرض اى فرع يابس . هذا الفرع سوف يكون صاحب الفضل فى نجاته اذا نجا ، وسوف يضعه دائما امامه على مكتبه اعترافا بجميله!

وكان « فوتيو » هو الوحيد المثابر على هذه النزهة اليومية على رصيف الميناء فقد كان يعجبه سماع النعيب الحاد العالى الذى تطلقه الطيور البحرية المحومة على تلك المقبرة الصامتة من أحجار الرصيف المهجور .

ثم جلس على احد المقاعد الحجرية بعد أن انتزع من جريدته ورقة لحمى ثيابه مما علا المقعد من تراب ، ومضى يتصفح الجريدة ، ثم تركها الى جانبه واقبل يتأمل صفحة الماء . كان البحر يبدو فى هدوئه كما لو كان صورة مرسومة . ومضت عيناه تجوبان الافق هنا وهناك ، ونظراته ترتفع وتنخفض وتنزلق على صفحة البحر ثم تغوص حتى يبللها الماء ، ثم تنطلق حتى نهاية الافق وتعود من جديد . واخيرا تصطدم عيناه بشىء معدنى البريق يطفو على الماء ، ويحد النظر ويلف جريدته ليتخذ منها منظارا مقربا يعينه على الرؤية ، وكانه قرصان يبحث فى البحر عن سفينة يشن عليها الهجوم !

ومن جديد يركز نظره على هذه النقطة اللامعة التى تبدو طافية على صفحة الماء .. الان يبدو عنق

زجاجة يتارجح على السطح مانحا نفحة من الحياة على المنظر الجامد !

وينحي «فوليو» منظاره المقرب جانبا ويقترب من حافة الرصيف ، ثم ينزل من الدرج المؤدي الى الماء ليلتقط الزجاجة الطافية . لقد عودته التجربة على انه لا يعثر المرء على زجاجة في البحر الا اذا كانت تحمل رسالة دعوة الى نجدة عاجلة ..

***

الرجل الناجي من الغرق يجلس بعد ان قذف برسالته بادئا مرحلة انتظار فيها امتحان لصبره . ولكنه لا يستطيع عد الايام كما فعل « روبنسون كروزو » ، اذ هو لا يجد في جزيرته نخلة ولا آلة حادة يسجل بها حسابا للوقت ، ولا قططا ولا كلابا ولا قرودا تؤنسه في وحدته . بل حتى طيور البحر لا يرى منها واحدا يصفق بجناحيه في جو تلك الجزيرة . ليس هناك الا البحر ممتدا امام عينيه وقد امتزجت على صفحته الوان متباينة من الازرق البحري الى الاخضر القاتم كانها اللوحة التي يمزج الرسام عليها الوانه .

وحينما كان ظلام الليل يخيم على الجزيرة كانت تصل الى مسامعه ضحكات الاف من الاسماك حوله ، وكان يحدث نفسه مغيظا وقد فرغ صبره « ليتها كلها تموت مختنقة او تشرق بما تبتلعه من ماء ! »

***

ويلتقط «فوليو» الزجاجة ، ويعالج سدادها الفليني حتى ينتزعه ، ثم يستخرج الورقة المطويه بداخلها . كانت الكتابة بمداد احمر او لعله دم ، أما القلم فيبدو انه لم يكن على درجة من الجودة لما في الخط من اضطراب ، وان كان يبدو من طريقة الكتابه وما فيها من طلاقة ان الكاتب رجل اوتي حظا من الثقافة . كانت هذه هي النتائج التي وصل اليها « فوليو » وهو يقوم بدور المخبر البوليسي . وكان هذا هو نص الرسالة :

النجدة ! .. انا في جزيرة مهجورة . سفينتنا تحطمت وغرقت وانا الناجي الوحيد .. لابد انني في موقع قريب من التقاء خط الطول ١١ بخط العرض . ارسلوا نجدة عاجلة ، ارجوكم الاسراع — امضاء » .

واودع « فوليو » الرسالة من جديد في جوف الزجاجة ، وعاد الى بيته في عجلة ، وهناك اخرج صينية النيكل التي كان يحتفظ بها في الصوان ، ووضع عليها الزجاجة ثم مضى بها في خفة ، واجتاز عدة شوارع حتى وصل في النهاية الى مبنى مصمت ليس له نوافذ وان كان له باب واحد وصعد الدرج وهو لا يزال يحمل صينيته التي انتصبت عليها الزجاجة ومضى يذرع الممرات الصامتة حتى وقف امام باب كتبت عليه لافتة : « ادخل بلا استئذان » وتحتها بخط اصفر : « نحن لا نعاني قليلا من الصمم » .

كانت الغرفة مربعة الشكل ولم يكن يبدد الظلام الذي تسبح فيه الا ثلاثة مصابيح خافتة الضوء نصبت على ثلاثة مكاتب جلس وراء كل منها موظف . وكان على المكتب الاول لافتة كتب عليها : « طلبات المواطنين » . ومن ورائه موظف اشهب الشوارب قد ألبت على عينيه نظارة سميكة .

— نعم .. ما هو طلبك ؟

ووضع «فوليو» صينيته بحرص على المنضده ونزع سداد الزجاجه ثم اخرج منها الرسالة وهو يقول :

— لقد اتيت اليكم بهذا .

ومضى الموظف في قراءة الرسالة

على حين كان « فوثيو » يقطب حاجبيه في قلق .

ـ آسف ، ولكن هذه الرسالة لاتدخل في اختصاص مكتبي ، اذ انه لاسلطة لنا على اراضي ماوراء البحار ، ومن ناحية اخرى يجب ان يتم التحقق اولا اذا كانت الجزيرة التي يشير اليها هذا السيد تقع في نطاق مياهنا الاقليمية ام لا ..

واعاد الموظف اليه الرسالة فطواها بعناية وزج بها في داخل الزجاجة ، وحمل صينيته من جديد ، وتوجه بها الى المكتب الثاني حيث انتصبت لافتة تقول :

« الحالات العاجلة للمواطنين الذين يهددهم خطر الموت او الحوادث الخطيرة »

وكما حدث في المرة الاولى شرع « فوثيو » في نزع السداد عن الزجاجة واستخراج الرسالة وتسليمها للموظف المواجه له ، وكانه يؤدي طقسا من الطقوس . كان الموظف متكئا على مكتبه وقد اسند راسه الى ذراعيه وهو يغط في النوم .

ـ معذرة اذا كنت قد ايقظتك .

ودفع اليه « فوثيو » بالرسالة فمد الرجل ذراعه وعيناه نصف مغمضتين وتناول الورقة بينما كانت يده الاخرى تستخرج النظارة من جيب صديريته والبت النظارة على عينيه ومضى يقرا الرسالة بصوت مسموع وهو يبسبس بشفتيه ، على حين سرت في جسد « فوثيو » قشعريرة خوف غامضة .

ـ آسف . ولكن ليس في وسعنا التدخل في الامر طالما لم نعرف على وجه التحديد مكان تلك الجزيرة ولا جنسية هذا المواطن ، وذلك خوفا من انتهاك الحقوق الدولية ومبادىء السلام المقررة في هيئة الامم المتحدة بالنسبة للدول الاعضاء في هذه المنظمة او التي ينتظر ان تنضم اليها فيما بعد

ـ ولكن هذه حالة خطيرة ! ماذا بوسعي أن افعل من اجل هذا الرجل المسكين ؟

ـ حاول أن تبعث اليه برسالة بنفس الوسيلة التي استخدمها واطلب اليه أن يحدد عنوانه وجنسيته !

وانهى الموظف الحوار بأن أخلد من جديد الى نومه الهادىء .

« جهاز معونة المواطنين الذين فقدوا المأوى » كان هذا هو العنوان الذى تحمله لافتة المكتب الثالث . وامامه عاد « فوثيو » الى تكرار مافعله في المرتين السابقتين ، وقدم الرسالة الى الموظف القابع خلف المكتب ، فقراها الرجل وهو مقطب الاسارير وقد بدا عليه اهتمام واضح .

ـ نعم . هي مما يدخل في دائرة اختصاصنا .

وتناول الرسالة فضمها الى أوراق اخرى وضعت في ملف كتب عليه : « حالات تحت البحث » .

وامتدت يده الى استمارات شرع في ملئها ثم الصق عليها عددا من أوراق الدمغة وانهى عمله بايصال حرره وقدمه الى محدثه وهو يقول :

ـ خذ هذا الايصال ليثبت انك تسلمنا الزجاجة والرسالة عليك ان تدفع خمسمائة بيزيتة لقاء الرسوم والدمغات !

ويعود « فوثيو » الى مكان نزهته على رصيف الميناء ، ولكنه يحمل في هذه المرة زجاجة تحت ابطه . . . وحينما يصل الى المكان الذى التقط منه رسالة الاستغاثة يخرج من جيب سترته ورقة مطوية ويعود لقراءتها قبل ان يودعها الزجاجة ويقذف بها الى البحر ، وقد ساده شعور بالرضا شأن كل من ادى واجبه :

« صديقي اللاجىء الى الجزيرة المهجورة . تذرع بالصبر والشجاعة . فحالتك في طريقها الى الحل بالطرق المشروعة ـ صديقك : فوثيو »

الحُزورة أقرب من الفُزورة إلى العربية

● محمد قنديل البقلى ●

● ثمة تلازم بين الفصحى والعامية ، لا تخلو من ذلك لغة ... وهذا التلازم له مظاهر تختلف مراتبه ، فقد يشتد ما بين العامية والفصحى من قرب ، وقد يبتعد ، ومرد ذلك لاشك الى تمكن الفصحى من الألسنة وعدم تمكنها ، نعنى شيوعها وانحصارها ، فمتى شاعت الفصحى على الالسنة واسبيح المتكلمون بها كثرة غالبة ، راينا هذا التقارب يشتد حتى لتكاد العامية تنهج نهج الفصحى ، ويكاد الاختلاف بين الاثنتين ينحصر فى فوارق ضئيلة .

اما اذا ما ضعفت الفصحى واصبحت لغة القلة وكان للعامية شيوع ، راينا تباعدا كثيرا بين الفصحى والعامية وكدنا نرى العامية لغة اخرى لا تمت الا بصلات قليلة للفصحى ودخلتها الفاظ من هنا ومن هنالك ، يرجع بعضها الى لهجات لشعوب يكون لها دور فى حياة تلك الامم حين تضعف الفصحى فيها وتاخذ عن غيرها الكثير من الفاظ وتراكيب .

ولكن الذى لا شك فيه ان الفصحى مهما قلبت على امرها لا تغلب الا فى العرض لا فى الجوهر ، نعنى أن كيان الفصحى اى هيكلها الذى هو قوامها يظل باقيا ، وأن التغيير يمس غير ذلك الكيان وذلك الهيكل ، وأن قدر للغة من اللغات الفصحى ان تمس فى ذلك الكيان وذلك الهيكل ، كان ذلك ايذانا بزوالها ، واختفت هى لتظهر لغة الغالب ، وهى لغة اخرى بمبناها ومعناها ..

ولقد منيت اللغة العربية مع عصور الازدهار بعصور انهيار ، وكانت فى هذه العصور وتلك تعيش الى جانبها لهجة عامية ضعفت مع عصور الازدهار فكان التقارب بينها وبين اللغة العربية شديدا ، وضعفت الفصحى فى عصور الانهيار فبعد ما بينها وبين العامية من تقارب ، وبدت العامية وكانها لغة

اخرى تعيش الى جانب اللغة الفصحى ... ولكننا رأينا أن مع عصور الانهيار التى بدت العامية فيها شبه لغة مستقلة ، كما قلنا ، فان تلك العامية لم تستطع أن تنال من كيان الفصحى وهيكلها ... ثم رأينا انها على الرغم من هذا الاستقلال فى التعبير تعيش على تلك المناهج القولية التى اختصت بها الفصحى مع اختلاف فى الاداء ، فاذا كان للفصحى شعر له موازينه وله طريقته ، كان للعامية ما يشبه ذلك الشعر وهو الزجل ، وكان له هو الآخر موازينه وطرائقه ، وكما كان للفصحى أمثالها المدونة المرتبطة بأحداث تعبر عنها فى ايجاز فجاءت وكأنها الحكم — كذلك رأينا للعامية هى الأخرى أمثالها التى تترجم عن احداث قد تتفق واحداث الفصحى ، وقد تختلف ، ولكنها جاءت آخر الأمر وكأنها الحكم ...

وكما رأينا فى الفصحى مكانا للغز والاحجية شعرا ونثرا ، كذلك رأينا العامية تحتذى حذو الفصحى فتشغل هى الأخرى بالالغاز والاحاجى ، كما اختلفت المسميات مع ذلك التشابه الذى سميناه من قبل فسمى الشعر العامى زجلا واتخذت فنون الزجل أسماء تقابل تلك الأسماء التى وضعت لبحور الشعر الفصيح ، فبدلا من أن نسمع فى العامية ذكرا للطويل والرجز والبسيط ، سمعنا فى العامية ذكرا للمواليا والكان كان والدوبيت وغير ذلك ..

الالغاز والاحاجى ...

والأمر هنا فى الالغاز والاحاجى يكاد يخضع هو الآخر لمثل ذلك ، فاصبح أسم اللغز والأحجية يتسمى فى العامية بأسماء جديدة ، فسمى «الفزورة» أو «الحزورة» ... ويكاد الاسمان فى العامية يرتدان الى اصل عربى ، فالفزر فى اللغة هو الشق والفزورة ليست غير امعان فى الكشف عما تضمنه ، فكأنها شق عن الشىء ، وتكاد تكون لفظة الحزورة أقرب من الفزورة الى العربية ، فهى مأخوذة من الحزر وهو الظن والتخمين .

وهكذا نرى هذا التلازم بين العاميا والفصحى ممتدا على طول السنين يحكى فن فنا ويضارع قول قولا ، ولكن ثمة اختلافا مبعثه عجز القائل فى العامية عن أن يبلغ مبلغ القائل فى الفصحى ، أو نزول القائل فى العامية الى مستوى الشعب الذى لا يلقن الفصحى ولا يفهمها ...

وسواء أكان هذا أو ذاك فالذى لاشك فيه أنه كان ثمة عامية لازمت العربية منذ نشأتها ، كما قلنا ، على اختلاف فى ذلك التلازم بعدا أو قربا ، يؤثر البعد فى مجانبة العامية للكثير من نهج العربية لفظا واسلوبا ، كما يؤثر القرب فى ظهور العامية أوفى ما تكون الى الفصحى ، ويكاد يكون المقول هنا هو المقول هناك شكلا واسلوبا الا فى خروج على الاعراب حينا ، وعلى الاشتقاق حينا آخر واستخدام الفاظ دخيلة حينا ثالثا .

وقد قلنا ان هذا التلازم كان له مظهره فى محاكاة العامية بأزجالها للشعر العربى وبأمثالها كذلك ، ثم فى ألغازها واحاجيها ، وهذا ما سنعرض له فى مقالنا هذا .

المؤلفات التى انفردت بجمع الاحاجى والالغاز :

ان الناظر فى كتب الأدب الموسوعية ، أعنى تلك التى جمعت طرائف من هنا وهناك ، امثال : العقد الفريد لابن عبد ربه ، ونهاية الأرب للنويرى ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ثم تلك الكتب التى انفردت فى هذا الباب خاصة ، أعنى باب الالغاز والاحاجى والمعميات ، من ذلك كتاب الالغاز للشريف عز الدين حمزة بن أحمد الدمشقى المتوفى عام ٨٧٤ هـ ، والالغاز لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن الاسنوى الشافعى المتوفى سنة ٧٧١ هـ وكذا كتاب الالغاز لتاج الدين عبد الوهاب بن السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، ثم كتاب الذخائر الأشرفية فى الالغاز الحنفية للقاضى عبد البر بن الشحنة الحلبى ، وثمة كتب اخرى جاءت فى الالغاز أيضا ولكنها خاصة بعلوم بعينها مثل : كتاب الالغاز لشمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣ هـ ، وهى قصيدة همزية فى القراءة .

هذا عن الالغاز والاحاجى فى الفصحى وقد جمعت هذه الكتب العامة والخاصة

الفزورة إلى العربية

وغيرها من الاحاجي ماهو شعر وما هو نثر ، وكما قلنا ، انه ليس ثمة باب او نهج في الفصحى الا وحاكت مثله العامية، تقرب ان كانت الشقة بين اللغتين غير بعيدة ، وتبعد ان كانت تلك الشقة على درجة من البعد .

والالغاز في مضمون معناه تحمل الالفاظ والعبارات دلالات خفية تنغلق وتنبسط على قدر قوة الملغز في تحميل كلماته وعباراته دلالات خفية تدق وتجل .

اللغز في الفصحى :

وقبل أن نعرض لما يحكى اللغز والاحجية في اللغة العامية، نحب أن نسوق امثلة من ذلك في الفصحى شعرا ونثرا لنعرف مدى القرب والبعد بين العامية والفصحى في هذا الميدان .

واذا كان اللغز في الفصحى حين يخرج في قالب شعري يكاد يتسم بسمات خاصة تباعدبه في نسجه عنه اذا جاء نثرا ، وكما يحدث ذلك في الفصحى يحدث نظيره في العامية ، — فانا نلاحظ أن « الفزورة » أو « الحزورة » اذا انتظمها قالب من قوالب النظم العامي تجيء هي الأخرى فيها نوع من المغالاة والتلوين والتشكيل لا نجد له نظائر في « الفزورة » أو « الحزورة » اذا اصبحت في قالب من قوالب النثر ، من أجل هذا كان لابد من فصل ، وكان لابد من سوق الموضوع مقسما على بابين :

١ — باب يختص بما جاء في ذلك على قالب شعري أو قالب من النظم عامي

٢ — وباب يختص بما جاء في هذه اللغة وذلك مصبوبا في قالب نثري

اللغز والاحجية في الشعر العربي

الملاحظ في هذا الباب ، أن ماجاء من لغز أو احجية على لسان شاعر ، — نجد أن القالب الشعري فيه اعمال فكرة واعمال بديهة ، وفيه ايضا الوان مختلفة من الوان الاحتيال على الدخول الى الغرض المنشود ، وهذا نهج من العسر بمكان ، لايلين لأي شاعر ولا يسهل على كل قائل ...

ولقد وجدنا على السنة شعراء لهم شأنهم ولهم خطرهم ابياتا في هذا الغرض ، ولكن اذا قسناهم الى ما قيل لهم في اغراض اخرى نجدها قليلة قلة ملحوظة ، وهذا كما قلنا ، مرجعه المعاناة الخاصة التي يتحملها الداخل الى هذا الغرض ، كما قد تكون هذه القلة من الالغاز وردت على السنة هؤلاء الفحول أصحاب القصائد الطويلة الكثيرة لها سبب آخر يضاف الى السبب الأول ، وهو الجهد الخاص والفطرية الخاصة والموهبة التي تتصف بالحيلة والخوض في المعميات والدخول فيما يغمض .

وهذا السبب الآخر قد يكون في نظرة هؤلاء الفحول الى اللغز والاحجية على انه عمل دون ما يعملون ويبدعون ، فما من شك انهم كانوا ينظرون اليه على انه من الفكاهة والدعابة .

وعلى قدر ميل هؤلاء الشعراء الفحول الى الدعابة والفكاهة كان يصدر عنهم من ابيات فيها اللغز وفيها الاحجية ، فنظفر لأبي العلاء المعري مثلا وهو الشاعر الفحل الفيلسوف الزاهد الجاد في كل ما يصدر ، ابياتا في الالغاز ...

وما نشك في أن الدافع لأبي العلاء الى نحو هذا كان من سبب آخر ينضاف الى السببين اللذين ذكرناهما ، فنحن نعرف ان أبا العلاء كان يميل الى التعمية والى الاغراب والى سوق الالفاظ المحملة بأكثر من معنى ، وهذا السبب كان لا شك ، كما قلنا ، مما ساند السببين الاولين ومما دفع ابا العلاء الى خوض هذا المضمار ..

تحس ذلك في قول ابي العلاء حين يلغز عن الملح فيقول :

وبيضاء من سر الملاح ملكتها
فلما قضت اربي حبوت بها صحبي
فباتوا بها مستمتعين ولم تزل
تحثهم بعد الطعام على الشرب !

فانت ترى معي ان البيت الفارة في

استخدام الفاظه لغة ، فهو لا يحتاج منك الى اعمال فكرة لرتاح آخر الأمر لبلوغ الغاية معها ، ولكنه يحتاج منك الى بحث عن معانى تلك الألفاظ اللغوية وما تحتمل ، فأبو العلاء يريد هنا بكلمة سر : الخالصة ، ويريد بكلمة الملاح : كلمة ملح ... وأنت بعدتعرف هذين المعنيين قد وقعت على اللغز فى يسر دون إعمال فكر ودون كد ذهنى، ثم أنت لن تحس بعد الكشف عن اللغز الى تلك الراحة النفسية التى يحسها الماضون فى الكشف عن سر الالغاز فى ابيات لشعراء فطرتهم المرح وديدنهم المزح .

ويقول أبو العلاء ايضا ملغزا فى ركابى السرج :

خليلان نيطا فى جوانب مجلس
جداراه قدام له ووراء . . .
متى يضع الرجلين ماش عليهما
يزل عنه فى وشك حفا وحفاء !

فهو يعنى بالمجلس : السرج، ويعنى بجداربه : قربوسه ورادفته ،ويعنى بكلمة الحفا مقصورة : وجع الرجل ، ويعنى بكلمة الحفاء ممدودة : مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وهذا يؤكد ما سقناه قبل من البيتين السابقين لابى العلاء من ان الالغاز يتشكل بطبيعة الملغز وميله واتجاهه ، فمن كانت طبيعته كطبيعة ابى العلاء تتصف بالتزمت والجد كان الغازه من ذلك .

ومثل هذا الشعر الملغز الذى يصدر على السنة شعراء ملغزين من هذه البابة اعنى بابة أبى العلاء ، يكون الغازهم جافا لا اثارة فيه ولامتعة ، على العكس من الشعراء الملغزين الذين لم يكونوا من الفحول وانما كانوا من الشعراء اللاهين العابثين . وتكادنرى شاعرا يلحق بابى العلاء فى هذا المضمار وهو ابن الرومى ، ولكنه اذ كان ليس له عمق ابى العلاء ، بدا شعره الذى الغز فيه اقرب الى النفس واخف على الروح ، يقول ابن الرومى فى فتيلة السراج :

ما حية فى راسها درة
تسبح فى بحر قليل المدى...
ان غيبت كان العمى حاضرا
وان بدت لاح طريق الهدى!

فهذان البيتان لاشك يبدوان اقرب ما يكون الى الفن الالغازى ، نعنى الفن الفكه الذى يحتاج الى اعمال فكرة من ابيات ابى العلاء .

ويجيء بعد ابن الرومى شاعر آخر يخطو الى الفن الالغازى خطوة أوسع، وهو السرى الرفاء حيث يقول فى شبكة الصياد :

وكثيرة الأحداق الا انها
عمياء مالم تنغمس فى ماء
واذا هى انغمست افادت ربها
ما لا ينال باعين البصراء !

وهكذا نرى ان الالغاز فى الفصحى الذى جاء على السنة النحاة والفقهاء والمحدثين و اللغويين واضرابهم كان الغازا خاصا ، اعنى انه كان لفئات المختصين من نحاة ولغويين وفقهاء ومحدثين يستخدمون فيه علمهم الخاص الذى لا يقوى على فهمه عامة الشعب ، من أجل ذلك جاء الغازا جامدا ليست فيه روح التسلية والتسرية التى خلق الالغاز من اجلها فيما نرى ، لذا لم تكن هذه المرحلة من الالغاز من المراحل التى سايرت فيها العامية الفصحى .

وحين خرج الالغاز من يد هؤلاء المختصين الى ايدى غيرهم من الشعراء أو الناثرين المتيسرين الذين يفهمون الالغاز بروحه العامة التى فيها التسلية واعمال الفكر وكد الخاطر والذى فيه فسحة للذهن باخذ ويعطى ، حين وصل الالغاز الى ايدى هؤلاء وقالوا فيه جاءت تلك المرحلة الثانية التى شاركت فيها العامية الفصحى ، وكان كل ماجاء على السنة هؤلاء الشعراء

من الغاز جاء مثله او قريب منه على السنة شعراء العامية وناثريهم .

وهاك ما استطعت جمعه لشعراء الفصحى القائلين فى اغراض عامة تتفق واغراض القائلين فى العامية .

فى القلم :

اصم عن المنادى لا يجيب
به وتشتعل الخطوب ...
ضئيل الجسم «اعلم» ليس تخفى
عليه غيوب ما تخفى القلوب
تراه راجلا لاروح فيه ...
ويحييه وينطقه الركوب !
يبين لسانه ماكن سودا
معارفه ويخرسه الشيب
يقسم فى الورى بؤسى ونعمى
ويحكم والقضاء له مجيب . . .
عجبت لسطوة فيه وضعف
وكل اموره عجب عجيب . . !

وفيه ايضا :

بصير بما يوحى اليه وما له
لسان ولا قلب ولا هو سامع
كان ضمير القلب باح بسره
اليه اذا ما حركته اصابع ..

وفى الميزان :

وقاض قد قضى فى الارض عدلا
له كف وليس له بنان
رايت الناس قد قبلوا قضاه
ولا نطق لديه ولا بيان !

وفيه ايضا :

ما واحد مختلف الاسماء
يعدل فى الارض وفى السماء
يحكم بالقسط بلا رياء . . .
اعمى يرى الرشاد كل رائى !
اخرس له من علة وداء
يغنى عن التصريح بالايماء
يجيب ان ناداه ذو امتراء
بالرفع والخفض عن النداء
يفصح ان علق فى الهواء !

وفى البيضة :

الا قل لاهل الراى والعلم والادب
وكل بصير بالامور اخى ارب
الا خبرونى اى شىء رايتم
من الطير فى ارض الاعاجم والعرب
قديم حديث وهو باد وحاضر
يصاد بلا صيد وان جد فى الطلب
ويؤكل احيانا طبيخا وتارة
قليا ومشويا اذا دس فى اللهب
وليس له لحم وليس له دم
وليس له عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يد
وليس له راس وليس له ذنب .
ولا هو حى .لا ولا هو ميت
الا خبرونى ان هذا هو العجب ؟ !

وفى الخاتم :

ومستدير تروق العين بهجته
كانه فلك نجم الدجى فيه
حروفه اربع قد ركبت فاذا
ما قلت اول حرف تم باقيه !

وفى اسم سعيد :

يبسم عن اول اسمه حبى
ثم بثانى حروفه يسبى
ثم بحرفين لو بدا بهما
اسدى يدا ، صورة اسمها تنبى
اربعة نصفها كجملتها
فى العد لم تتناقص ولم تربى
هذا وفيه اسم يوم اتفقت
مفاخر العجم فيه والعرب
فاعمل الفكر فى تامله
واركب به كل مركب صعب

فشبه السين بالثغر ، وثانيه العين وهى تسبى القلوب ، والحرفان يد وهى اربعة فى العدد وستة فى الصورة ، واذا اخلت السين والعين فهى اربعة ، وهى جملة العدد وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة واللباس .

ولقد آثرنا شيئا من الشعر الملغز لانه هو مناط المقارنة بينه وبين النظم العامى الذى جاء يحمل « الفزورة » او «الحزورة» ، وقد رايت انهذا القسم الثانى من الشعر الملغز الذى سايرته العامية كله دون استثناء يسير على ادراك العامة وفهمهم ، وتكاد تكون عبارته وان بدت عربية سليمة الا انها هى الاخرى ميسورة ، ثم تكاد النكتة فيه مما تحذقه نفوس العامة . .

نحن والـزمـان..

● فاروق جويده ●



وفى عينيك ...
ألقيتُ الأمانى
وقلتُ الآنَ
اصفح عن زمانى
قضيت العمر
أبحثُ عنكِ حلما ...
رأيتكِ منْ سنينٍ
فى كيانى !
تركتُ القلبَ عندكِ
دونَ خوْف
وأخشَى أن يمُوت ...إذا أتانى!
فإنْ سألوكِ يوما
عن فؤادى ...
وكيفَ يعيشُ مذْهولَ الأمانى
فقُولى إن حبّك
كانَ لحنا
كحلم لاحَ فى ليل الزّمان !
عشقتك ذاتَ يوم
فى ضياعِى ...
وفى عينيك
أصفحُ عن زمانى ..!

فاروق جويده
من ديوانه الجديد
فى عينيك عنوانى

الخليل بن احمد

عبقرى نذر نفسه لعلوم العربية وقواعدها

• عزت محمد ابراهيم •

ما اكثر ما يضفى الناس على الناس ـ فى عالم الادب والشعر ـ من نعوت وصفات ، فهذا واحد دهره ونسيج وحده ، وذاك فرد زمانه ، وذياك درة عصره .. ثم ينقضى الزمان ، ويزول الهيل والهيلمان ، فيصبح الجميع فى خبر كان !

وقل من صدق فيه الرأى فى زمانه وبعد زمانه ، وهؤلاء هم الافذاذ حقا على توالى الحقب وتتابع الازمان ، ومن هؤلاء : الخليل بن احمد الفراهيدى : قيل انه اجتمع بمكة ادباء من كل افق ، فجعل اهل كل بلد يرفعون علماءهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل بن احمد فلم يبق احد الا قال : الخليل اذكى العرب ..

وحياة الخليل بن احمد جديرة حقا بالتأمل والتدبر ، لعلنا نجد فيها أسوة ، وهدى نهتدى به ، ومثالا ننسج عليه ..

عاش فى البصرة أوائل القرن الثانى للهجرة ، ومات بها فى النصف الثانى من ذاك القرن ، وفى حياته صور ومواقف فيها الكثير من الدلالة على خلقه ، وسجايا نفسه .. كان فى مستهل حياته قد برع فى علوم النحو واللغة ، ولكنه كان مغمورا لا يعرفه احد .. وقد كان له صديق يدعى ابا المعلى اراد ان يعينه على أن يتصدى للتدريس والتعليم ، ويشق لنفسه الطريق الذى يطمح اليه ، فالح عليه فى مناظرة شيخ من شيوخ العلم ، يتربص به حتى اذا بدت منه عثرة انقض عليه ينال منه .. ويهون من قدره ، ويعلى بذلك من قدر نفسه ، بذلك يكون له شأن ..

وحانت الفرصة فى حلقة ابى عمرو بن العلاء ، وهو اذ ذاك شيخ جليل مهيب فى الثمانين من عمره ، وجعل ابو عمرو يلقى دروسه ، ويتعثر أحيانا فى بعض

مسائل النحو ، وابو المعلي يدفع صاحبه الي الرد عليه واظهار براعته ولكن الخليل امسك فلم تنبس شفتاه بكلمة . . .

وانتهى الدرس ، فانهال عليه صاحبه لوما وتقريعا : هذه فرصة قد اتيحت لك فجعلتها تفلت من بين يديك ، وكان جديراً بك ان تعض عليها بالنواجذ ، وكانت جديرة ان تثير انتباه الناس اليك ، فتغدو بينهم شهيرا .

وزاد من لومه وتقريعه فالصق به تهمة الجبن ، ورد الخليل عليه قائلا : لست جبانا ولكني رأيت شيخا قد بلغ من العمر عتيا ، وقد افنى عمره في العلم ، وافاد به الناس ، وقد رايته يخرج علما من عنده ، اكتشفه واذاعه فاخذته من شيوخي سهلا يانعا ، ثم ظهرت لي منه مسائل ما كنت لاجدها لولاه ، فما اقبح ان اسقطه بها ، وما عرفتها الا به ، فافضح بين الناس علمه ، واضيع حقه وحرمته ، لافعلت ذلك ابدا !

وينطلق الخليل بن أحمد بعد ذلك الى الحياة مزودا بما طبع عليه من الخلق الرفيع ، والتجلة والاحترام لشيوخه الذين تلقى عليهم درسا ، او انتفع منهم بعلم

وانقطع الى النحو ، واتصل بأبي عمرو بن العلاء ، فنال اعجابه وحظى بثقته فشجعه على المضي ، وبث في نفسه الثقة بنبوغه وقدرته ، فمضى في طريق الابداع والابتكار ، واكتشف في النحو قواعد وضوابط بهرت الناس وادهشت العلماء ، فاحدقوا به يمدحونه ويجلونه ويرفعون من شأنه

وكانت أولى غزوات الخليل بن أحمد هي ابتكاره لعلامات ضبط الكلمات من ضم وكسر وفتح وسكون ... هذا الامر الذي نراه اليوم سهلا يسيرا هينا ، لم يكن له قبل الخليل وجود ، وانما نراه اليوم كذلك لاعتيادنا عليه والفنا له ، كشأننا مع كل اختراع وابتكار .

وكان آخر ما اهتدى اليه ابو الاسود الدؤلي قبل ذلك هو تمييز الكلمات بعضها عن بعض بالنقاط ، وبيان حالة اعرابها بالنقاط كذلك ، وانما كانت تميز النقاط بعضها عن بعض بلون الحبر ، فيكون اسود للنقاط التي توضع فوق الحروف ، واحمر للنقاط التي تدل على اعراب الكلمة ، وقد كان في ذلك مشقة وعسر ، يتسبب عنه اضطراب في النطق واختلاط في التعبير ، وظل الامر كذلك حتى جاء الخليل فاقاله من عثرته .

***

ولقد جاء علم النحو وليدا للحاجة بعد ان اختلط العجم بالعرب ، فكثر في اللغة العربية اللحن والخطأ ، وكان

لابد من وجود علم يلتزم به الناس في لغتهم فلا يخرجون عليه حتى تسلم من الخطأ ، وتكون بمنجاة من الواغل الدخيل ، فكان علم النحو .

ولكن الشعر حتى زمن الخليل بن احمد لم يكن له ضابط ولم تكن له قواعد ، وكان يقال ان الشعر العربي اصله الطبع ، ومقياسه الأذن ، ولكن هذين عرضة للفساد فيفسد مع فسادهما الشعر ، وهيأ الله الخليل ابن احمد لهذا الأمر ، فوضع له الضوابط والمعايير ، لقد ابتكر ميزان الشعر وانشأ علم العروض ، اى الذى يعرض عليه الشعر ، فان كان صحيحا تبينت صحته ، وان كان فاسدا ظهرت علته .

ولم يقف الخليل عند اختراع هذا العلم ، بل جعله سبيلا الى ابداع انواع من البحور والشعر لم يكن للعرب بها من قبل عهد ، انه مفتاح الشعر ، قد امتلكه بعروضه ، فكان حريا ان يفتتح به آفاقا من الشعر مجهولة .. وما جاء به من بعد ذلك الاندلسيون من الموشحات ، وما يأتى به الناس بعد ذلك من أوزان جديدة انما يرجع فضله للخليل ، لقد اكتشف مفاتيح الشعر ، وأتاح للشعراء استخدامها بما يرتضيه ذوقهم ، ويستجيب له طبعهم .

***

ولعل الخليل بن احمد يكون قد استهوته نفسه فأزدهى بها ، وامتلأت أعطافه فخرا وخيلاء بما قدر عليه ولم يقدر عليه سواه ، وقد كان خليقا أن يفعل ، فليس ادعاء منه ، وانما هو زهو الواثق المطمئن الذى يعرف قدر نفسه ، ولكنه على كل حال ليس بالخلق الحسن ، فليس أقبح من الزهو ، وليس اضر على المتفنن من الفخر والخيلاء ، فانه خليق ان يقف به عند الحد الذى بلغه لا يتجاوزه الى سواه . ولعل الله قد اراد به خيرا حين أوقعه فى تجربة يرده بها الى جادة الصواب ، فيخفف من غلوائه ويطامن من خيلاء نفسه : جاءه رجل يصحب ابنه يتلقى على الخليل العلم ، واراد الخليل ان يسأله اسئلة يعرف بها مبلغ علمه ، وتصدى له الغلام يقول فى لهجة جريئة واثقة مطمئنة : سل ما شئت ، قال : يابنى ارأيت هذه النخلة ، قال : نعم ، قال : فصفها لى ، قال : ان لوصفها وجهين ، فاما ان يوصف ما حسن منها فتبدو صالحة ، واما ان توصف مساوئها فتبدو سيئة ابمدح ام بذم تريد ان اصفها ؟

قال الخليل : احسنت يابنى بهذا التفصيل ، وانى اوثر ان تمدح نخلتى فتحببها الى . قال الغلام : انها حلو مجتناها ، باسق منتهاها ، ناضر اعلاها .. قال الخليل : حسن يابنى وعساها ان تكون كما قلت ، فذمها لى حتى اعرف سوءها ... قال الغلام : انها صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالأذى .

واحسب انك تستطيع ان تتخيل حال الخليل اذ ذاك : فاغر الفم دهشة ، وهو يرى امامه غلاما لم يبلغ الحلم ، يحسن من الكلام ما لا يحسنه الدارسون ... ولم يكن هو فى مثل سنه يحسن شيئا مما يحسنه ، فتضاءلت فى عينه نفسه ، وهان عنده ما بلغه من علم ، والتفت الى الغلام يقول : يابنى نحن الى التعلم احوج منك .

وقد يتعلم الكبير من الصغير !

وان من حق هذا الغلام الاريب الحاد الذكاء الشديد الفطنة ان يحفل به التاريخ ، وان يتتبع من بعد ذلك خطاه ليعرف فيه فى نضجه واكتماله : « النظام » راس المعتزلة ، من سادة القول ، وائمة البيان .

وما كان النظام أوفى من الخليل ذكاء ، ولكنه الاختلاف في النوع : أحدهما ذكاء بديهة وسرعة خاطر ، وحسن بيان وانطلاق لسان ،والآخر ذكاء تدبر وتعقل وغوص فى حقائق الاشياء ، واستنباط لدقائق الامور. ولا وجه للمقارنة بين نوعين مختلفين ولا وجه كذلك لتفضيل واحد على آخر .

ويمضى الخليل بن احمد بعد ذلك عالما متعلما حتى يهييء الله له وضع كتاب «العين » وهو فى خراسان فى ضيافة تلميذه الليث بن المظفر، وقد كان ابتكارا لم يسبقه اليه احد ، فهو لم يات حسب الحروف الابجدية، وانما جاء حسب مخارج الحروف من الفم .

ومن بعد الليث جاء من يقول فى الخليل الكثير والكثير ، قال فيه الثعالبى : سيد اهل الادب فى علمه وزهده ، والامام فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، وهو اول من استنبط علم العروض ، واخرجه الى الوجود .

وصار للخليل بن احمد شأن عظيم ، ومكانة بين الناس عالية ، فهم يشيرون اليه بالبنان ، وتسير باخباره الركبان ، ويقول الناس اذا وقعت عليه ابصارهم : هذا الخليل ، اذكى الناس ، واصفاهم ذهنا ، واحسنهم قريحة

***

وقد كان الخليل الى جانب اشتغاله بالعلم ونبوغه فيه يحسب أن يعظ الناس ويدلهم على سبيل الرشاد ، وكانت له مجالس وعظ يؤمها الناس ويستمعون فيها اليه ..

ولم يكن قوالا غير فعال ، ولم يكن بالذى ينهى عن خلق ، ويأتى مثله ، وانما كانت حياته لمعتقداته خير مثال : اقبلت عليه الدنيا فادبر عنها واشاح بوجهه عن بهارجها وزخارفها، والقى وراء ظهره بما تذل له اعناق سواه .

وقصته مع الامير سليمان بن حبيب المهلبى ، شاهد على ذلك ودليل ،اراد له ان يكون حاشية من حواشيه فابى ولوح له بالمال الوفير يغدقه عليه اغداقا ، ويغرقه فيه اغراقا ، فازداد اباء ، وآثر القلة وكفاف العيش مع الكرامة والشموخ ، على الوفرة والرفاهية مع الذلة والهوان ..ويسأله رسول الامير عما يحمله اليه من رد ، فيقول الخليل :

ابلغ سليمان انى عنه فى سعة
وفى غنى غير انى لست ذا مال
سخا بنفسى انى لا ارى احدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه
ولا يزيدك فيه حول محتال

ويعود الرسول بالفضة يسيل لها لعاب القوم ، وتكاد تخرج لها العيون من محاجرها شرها وطمعا ، وهو يقول قولة المتعجب :ما هذا انسان كما رأيت . بلى ، ما هذا انسان كما يرى ، اذا كان الانسان الذى يرى هو الخانع الذليل ، والذلة ضروب والوان ذلك انسان قد نذر للعلم نفسه، فلا يعنيه من بعد ذلك مال ولا جاه.

***

واخيرا تأتى النهاية فريدة متميزة كما كان هو فردا متميزا غير مسبوق بمثال ، ولعلها نهاية تذكر بنهايات الذين يذهلهم فكرهم عن انفسهم فلا يحذرون ولا يحتاطون .. كان يسير فى المسجد مشغول الفكر بما يدور فى راسه من مسائل وافكار ، فارتطم الراس بسارية من صخر ، فكان فى ذلك القضاء عليه ..

وهل يفل الحديد الا الحديد .

وهل يقدر على مثل هذا الراس العتيد الا الجلاميد !

طعام الآلهة

● سعد رضوان ●

● وجدت نفسى جالسا الى مائدة الطعام لاكتب بدلا من ان اطعم ... فقد اتضح انه لم يعد هناك مكان فوق او تحت مكتبى الا وشغلته الكتب والمجلات ، كما لم يعد فى ارفف مكتبتى موضع لكتاب كبير او صغير .. واصبح من الضرورى ان اقوم بعملية فرز لهذا الركام من الورق فالقى منه الى بائع اللب والنقل ما ينفعه فى عمل القراطيس المطبوعة ، وبدأت لعبة الفرز ...

ووقع فى يدى بين ما وقع ، كتاب « طعام الآلهة » . الذى الفه « هـ.ج. ويلز » وترجمه محمد بدران ، ونشرته دار الكاتب المصرى عام ١٩٤٦ ، ونسيت ما اعمله وعدت الى مائدة الطعام لأكتب ، وافكر فى وضع «هـ. ج. ويلز » من مكتبتى ، ولتغضب زوجتى ..

واول علاقتى بـ « هربرت جورج ويلز » كانت فى أحد كتب القصص الدرسى حيث قررت علينا احدى قصصه الانجليزية القصيرة ، التى لا اذكرها ، وان كنت اذكر أن لغتها القديمة أتعبتنى فابعدتنى عن كاتبها الذى ولد عام ١٨٦٦ وكتب بلغة عصره ... الى ان قرات عام ١٩٤٥ فى مجلة «القصة» التى كان يصدرها الكاتب الساخر محمد عفيفى قصة فكهة « لويلز » عنوانها « سر بانكرفت » ...

وكانت هذه القصة الساخرة هى مبدأ اهتمامى « بويلز » الذى ولد فى بلدة « ربملى » بمقاطعة « كنت » بانجلترا ، وكان ابوه بستانيا فى بيت ريفى وله حانوت لبيع الخزف فى « كنت » لايدر ربحا كبيرا .

وساءت احوال الاسرة فاخرج «ويلز» من المدرسة فى سن الثالثة عشرة ليعمل عند تاجر اقمشة وبائع عقاقير . وقد حاولت أمه تعليمه عدة حرف فلم يفلح ولكنه افلح فى مواصلة دراسته الثانوية ودخل الجامعة وحصل على بكالوريوس فى العلوم من جامعة لندن ، واشتغل مدرسا لمادة الأحياء وكتب للصحف، ثم تفرغ للكتابة ، وكان أول كتبه كتابا مدرسيا بعنوان « احاديث مختارة مع عم » .

وفى سنة ١٨٩٥ نشر قصته « آلة الزمن » فكانت سببا فى شهرته . . .

وبعد ذلك توالت رواياته التى اشتهرت ومثلت السينما الكثير منها ، كرواية « الرجل الخفى » و « حرب العوالم » و « القلاد المدنية » و « رجال كالالهة » .. الى آخر رواياته وقصصه القصيرة التى لا تحصى بسهولة .

واهم ما يميز « ويلز » هو خياله العلمى ، هذا الخيال الذى جعله أحد مبدعى القصة العلمية ، وهو قد تنبأ بكل ما دار بخيال الانسان منذ مئات او الاف السنين حتى عهده ، فالانسان قد حلم بسكنى القمر فكتب له «ويلز» رواية « أول رجل فى القمر » .

ورواية « طعام الآلهة » التى ذكرتها تدور حول اختراع قدمه عالمان وهو طعام يجعل الكائنات الحية تكبر وتتضخم ، ولكن هذا الطعام تسرب يمينا وشمالا فكبرت فئران ونملات وذبابات الى احجام ضخمة ، احالت حياة الانسان الى صراع للقضاء عليها.

ومن هذه الناحية الخيالية العلمية استطاع العلماء فى وقتنا الحالى ببحثهم ودراستهم لاطوار النمو والهرمونات والفيتامينات . الخ . ان يتوصلوا الى انواع راقية مختارة من الحيوان والطيور كالابقار الفريزيان، والدجاج الكبير الحجم

الذى يتبارى الكثيرون اليوم فى انشاء مزارعه .

❁❁❁

والحق ان ما ورد فى روايات « ويلز » قد تحقق الان الكثير منه ..

ثم مرت بـ «ويلز» فترة تفلسف فيها، فروايته « النار التى لا تموت » هى صراع بين الايمان والشيطان ، وفى رواية « بلاد العميان » يقدم تصورا خياليا لما تسببه الانطوائية وعدم الانفتاح من قصر فى النظر وجهل للحقائق التى لا نلمسها بحواسنا ، لقد حدث ان انخفضت الارض بسبب زلزال حيث نشات مدينة منعزلة عن العالم اصاب سكانها مرض افقدهم البصر جميعا حتى ان الاجيال الجديدة اصبحت تولد عمياء .

ويوما سقط رحالة تسلق الجبل من الناحية الاخرى الى هذه المدينة ، وامسكوا بالغريب وحاولوا ان يقودوه فافهمهم انه يبصر فلم يصدقوه او يصدقوا حكاياته عن السماء والنجوم والشمس والقمر ، فانه لا يوجد فوق العالم غير سقف املس ولا شيء آخر ، وهو اذن مجنون .. وحتى يتجنب الرجل شرهم اضطر ان يوافق على آرائهم وان يعمل عند احدهم ليعيش .. واحب الرجل الفتاة « مدينا » العمياء ، ورفضوا زواجه منها لانه مجنون يتخيل انه يبصر ، ولكن البنت احبته ، ولما كان سبب جنونه انه يتصور ان الحجرين الغريبين الموجودين داخل الانخفاضين بالوجه يبصران ، فلتجر له جراحة ، ويزال هذان الحجران ليعود له عقله ويتزوج البنت .. واقنعته البنت باجراء الجراحة التى تحدد موعدها بعد اسبوع ، وفى الليلة السابقة للعملية خرج « نونيز » ـ اسم الرجل ـ الى الجبل يتسلقه هاربا بابصاره الى مصيره المجهول بين الجوع والثلج !.

وكما ارخ «ويلز» خيال الانسان فقد قرر ان يكتب تاريخا للعالم بطريقة جديدة قديمة فى كتابين : الاول «تخطيط التاريخ » والثانى : « مختصر تاريخ العالم » .

قدم فيهما تاريخ العلوم ، فبدأ بتاريخ علم الفلك والجيولوجيا



الكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز

والحيوان والتاريخ الطبيعى للانسان وعلم الاجتماع . « الخ . « ويلز » لم يؤمن بأن التاريخ مخصص لدراسة اسماء قواد ووقائع حروب ، بل يعتقد ان هذا هو السبب فيما يصيب العالم من خراب لما يتركه فى اذهان الناس من خيالات عن بطولات الغزاة والفاتحين ، فيحاولون التشبه بهم .

وقد قلت ان طريقة « ويلز » فى كتابة التاريخ هذه جديدة قديمة ، فالحق انها جديدة بالنسبة لكتب التاريخ الاوروبية ، ولكنها فى العربية قديمة فهى الطريقة التى اتبعها ابن خلدون فى مقدمته من تاريخ العالم التى عرض فيها التاريخ وحقائق كل علم عرفه وقته على حدة فى فصل خاص .

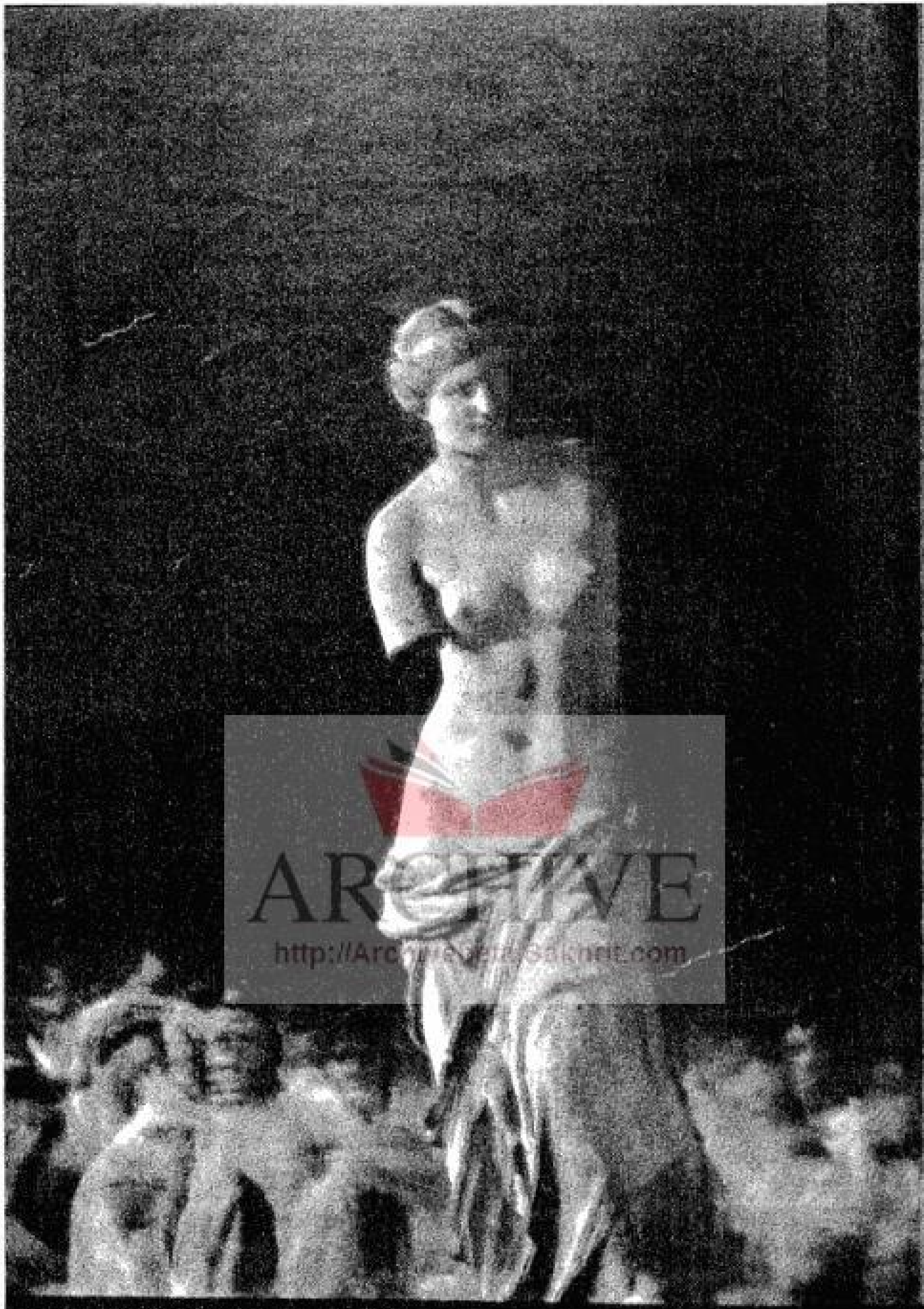
وقد توفى « ويلز » سنة ١٩٤٦ وهو فى الثمانين من عمره .

ولكن ماذا كان موضوعى ؟! ... انه كتاب « طعام الآلهة » الذى امسكه بيدى الان ، فهل احتفظ به ام .. الحق ، انى لا ادرى .. نعم ان القصة التى به قد تحققت علميا الان ، ولم يعد موضوعها جديدا او ذا قيمة ، ولكنه ايضا كتاب من التراث الجميل للخيال الانسانى ، مثله مثل قصص السجادة الطائرة ، والحصان الطائر فى حكايات الف ليلة ، والتى فقدت قيمتها الخيالية بظهور الطائرات الحديثة والصواريخ ، ولكن هل نلقى بالف ليلة .. لا ، لا .. ساعيد « ويلز » الى المكتبة واتركه فى حاله وابحث عن كتب غيره .. ربما .

متحف اللوفر

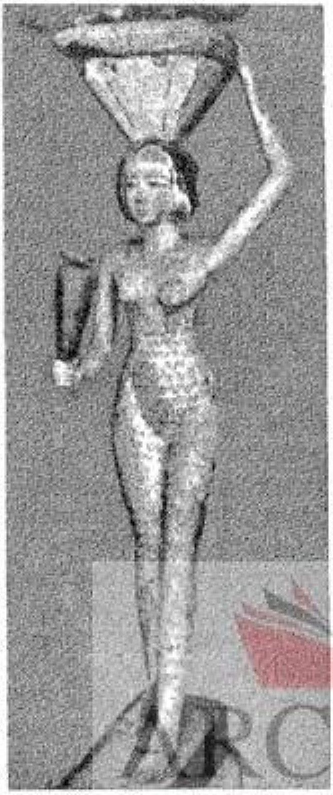
أعظم ديوان للفن في الدنيا

.. انه ليس متحفا وانما هو ديوان للفن الخالد ، ففى اطار من البساتين التى تتألق بالجمال أقام الفرنسيون متحفا للتصوير والمثالة على مر العصور يضم نحو ٥٨٠ قاعة متصل بعضها ببعض على نحو يجعل منها نموذجا لفن المتاحف .. هنا كنوز وذخائر تعجز شركات التامين عن التامين عليها لانها لا تقدر بثمن .. هنا مدرسة للفن عليا ومعهد لدراسات الآثار وترميمها والكشف عنها والمحافظة عليها .. هنا اقيم ذخر تملكه فرنسا .



أعظم تمثال في التاريخ. إنه تمثال فينوس أو الزهرة الذى عُثر عليه فى جزيرة ميلوس فى اليونان، وقد ذكرنا قصة العثور عليه فى المقال ويجمع النقاد على أن هذا التمثال استكمل كل صفات الجمال والإبداع على نحو لا يدانيه فيه تمثال آخر

● اكتب هذه السطور بعد ان فرغت من قراءة كتاب ضخم عن « اللوفر » الفه مديره الحالى اندريه بارو .. أصارحك الحق لقد شعرت بالحزن يملأ نفسى وبعينى تتندى عندما ذكرت متحف الآثار المصرية وما يلقى من الاهمال منا والهوان على يد الكثيرين من العاملين فيه لا اقصد رجال الفن ولاثريين ، فهؤلاء والحمد لله رجال من طبقة عالية ومستوى من الاحساس الفنى والحضارى رفيع ، ولكن المديرين ورؤساء الاقسام ليسوا كل شيء فى المتاحف ، لأن معظم العمل والعناية يقوم به موظفون عاديون ما بين حراس وفراشين وعمال نظافة ، وأكثر هؤلاء يعيشون فى المتحف المصرى ولا يكادون يشعرون بانهم فيه ، لا صلة بينهم وبين ذخائر الفن التى يحرسونها الا صلة الراتب الذى يتقاضونه . وليتهم يقومون بالواجب الذى يتقاضون الراتب عليه ، فقطع التماثيل يعلوها غبار الشهور ، وزجاج « الفترينات » لم يعرف التنظيف ربما من اسابيع . وآلم للنفس من ذلك ما قاله لى احد الامناء : ان اهمالهم التنظيف فى ذاته نعمة ، لأن الغبار لا يضر بالتماثيل ، وبقع القذارة لا تأكل الزجاج ، وانما أيدى هؤلاء العمال لا تمس شيئا الا كسرته ، وهم اذا قاموا باعمال التنظيف لا يخلو فمهم من السيجارة ابدا ، وبعضهم يفعل ذلك وهو يتناول « الساندويتش » ! ..



تحفة من اجمل ما يحتفظ به اللوفر . انه تمثال خادمة مصرية عثر عليه فى مقبرة فرعونية قرب أسيوط . طول التمثال ٣٠ سنتيمترا وهو من الخشب الملون ويقول النقاد ان هذا التمثال من اجمل ما صاغته أيدى الفنانين فى التاريخ لانه يصور رقة المرأة واناقتها وابداع قوامها . . .

وفى ذات مرة دخلت قاعة فلم أجد فيها حارسا ، وانتظرت حتى عاد ، فلما لمته فى اهماله لتلك الذخائر القومية قال بكل غباء : ذخائر فنية .. هذه لعب يا بيه ! ماذا تريد ان افعل لها أكثر من القيام « ملطوعا » الى جوارها طول النهار ؟! هل تريد ان اطعمها واغسلها؟!

ولم أجب ، وبارحت القاعة ، وعندما قرأت فى كتاب أندريه بارو كيف يختارون حراس « اللوفر » والمشرفين



تمثال النصر الذى عثر عليه فى جزيرة ساموس . برغم ضياع اليدين والراس يعتبر هذا التمثال اعظم التحف الفنية فى تاريخ الفن وهو من الرخام . لاحظ الابداع فى نحت الثوب . ورقة يد الفنان فى عمل ثوب من الحجر . . .

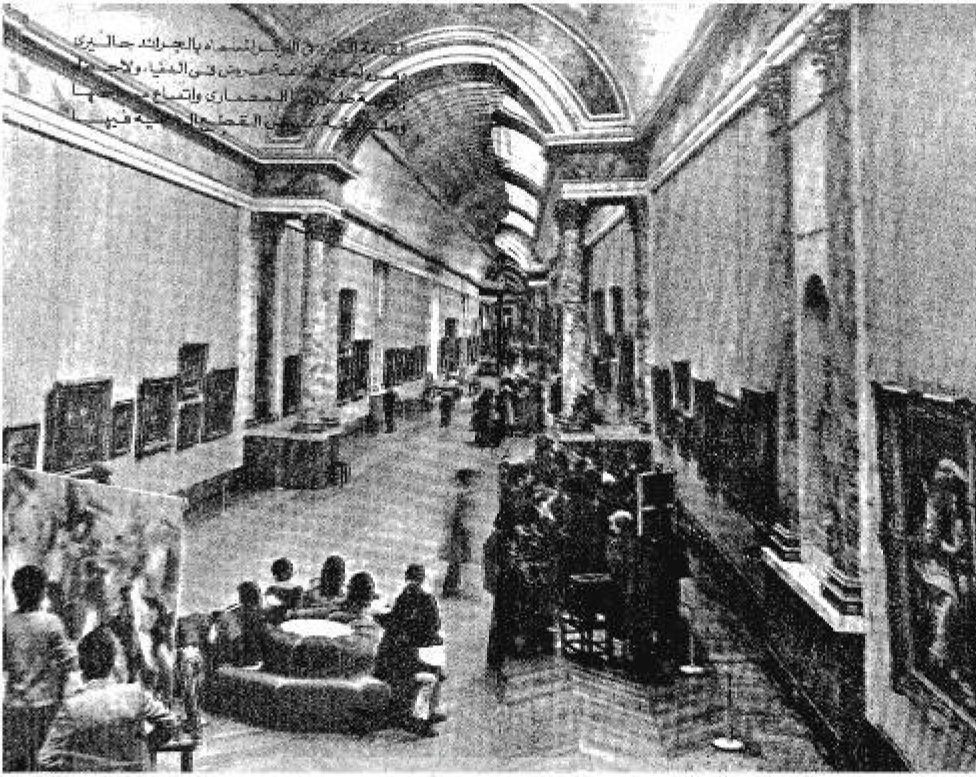
على قاعاته ويتحرون أن يكونوا من أهل الفن أو الاحساس الفنى على الاقل ، فغالبيتهم من خريجى كليات الفنون ولابد من تدريبهم على الاعمال التى سيقومون بها تدريبا طويلا ، لان « اللوفر » مفخرة فرنسا ، وهو ذخر للانسانية كلها ، ولا ينبغى أن يترك الا فى أيدى رجال يعرفون قيمة الاعمال التى يقومون عليها .

متحف « اللوفر » او قصر « اللوفر » هو اعظم متاحف الدنيا على الاطلاق ، وهو ليس مجرد متحف وانما هو مجموعة كبيرة من المتاحف بعضها الى جوار بعض وهذه المتاحف لم تنشأ مرة واحدة ، لان الملك فرانسوا الاول ،وهو الذى خصص للمتحف حديقة واسعة مساحتها نحو ثمانية افدنة ـ بدأ بانشاء معرض صغير وضع فيه التحف الفنية التى كان يملكها وكان هذا الرجل من هواة العلوم والفنون ورعاتها ، وهو الذى استقدم ليوناردو دافنشى من ايطاليا ، ويسر له وسائل العمل فى باريس .

ثم جاء لويس الرابع عشر أعظم ملوك فرنسا على الاطلاق وافرغ على « اللوفر » جانبا كبيرا من عنايته ، فجلب له مئات القطع الفنية وانشأ البوابة الرئيسية التى تؤدى الى البهو الرئيسى ، وانفق فى ذلك مالا طائلا .

وهذا الجزء الذى انشأه لويس الرابع عشر هو الذى أعطى « اللوفر » طابعه المعمارى المميز ، لأن كل الذين أتوا بعده احتذوا النموذج الذى بناه هذا الملك واستمر الحال الى اليوم فيما يتعلق بالشكل الخارجى للمبنى .

وكان نابليون من أكبر المعنيين « باللوفر » ، فقد كان يحرص فى حروبه وغزواته على أن يسلب البلاد المفتوحة



[illegible] القسم الاوسط المسمى بالجراند جاليري
[illegible] في الدنيا ، ولأج[illegible]
[illegible] المعماري واتساع [illegible]
[illegible] القطع [illegible] فيها

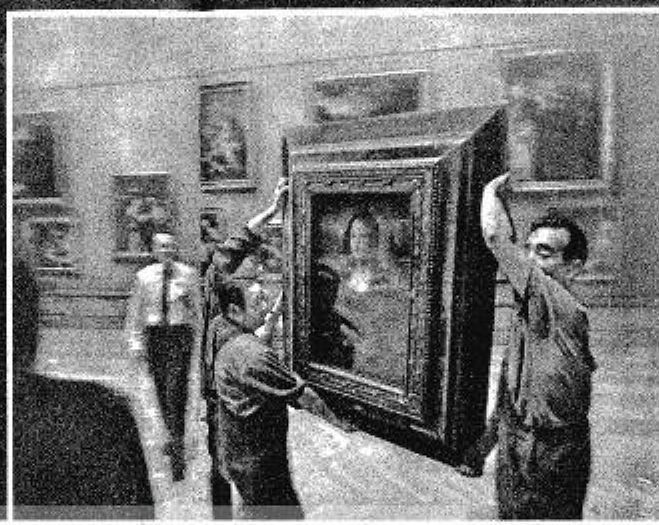


في معامل اللوفر حيث تفحص القطع بأحدث الأساليب العلمية . هنا ترى ذراع تمثال يوناني من البرونز . ان الخبراء يفحصونه بعدها بالتحليل الالكتروني لكي يعرفوا تركيب البرونز اليوناني .

العمال الفنيون ينقلون لوحة موناليزا الشهيرة الى القسم المختص عن اللوحات حيث يتم الكشف عليها مرة كل سنة للتأكد من سلامتها واصلاح اي خلل في الاطار او القماش وكذلك مراجعة البرواز والى الاشياء التي استعملت فيه . لقد رسم ليوناردو دافنشي هذه اللوحة بين سنتي ١٥٠٣ و ١٥٠٦ وكانت اهم شيء عنده حتى انه كان يحملها معه في اسفاره كلها .



يقوم بلانك اوز اكبر الاخصائيين في العالم في الكشف عن اللوحات للتعرف على اصالتها . وهو يستخدم الاشعة السينية طريقة فنية خاصة تعرف بها على طبقات الالوان في اللوحات وكذلك انواع الزيوت والالوان المستعملة . لقد فحصت هذه اللوحة المشهورة لرامبرانت واسمها ملكة سبا وثبت انها اصيلة اكتشف ان الرسام الكبير اعاد رسم الرأس ثلاث مرات ليعطي وضعها الى المستوى الذي يرغبه .







لوحة «الحرية تقود الشعب» احدى اللوحات الضخمة التي نراها في اللوفر . كل لوحة من اللوحات الضخمة يخصص لها جدار كامل . ورسم هذه اللوحة يوجين دي لاكروا ليخلد بها ذكرى ثورة اهل باريس سنة ١٨٤٨ على الملك شارل العاشر ، وقد اعلنت بعد ذلك الجمهورية وانتخب نابليون بونابرت رئيسا لجمهوريه فرنسا ولكنه لم يلبث ان اعاد الملكية وتسمى بنابليون الثالث . هنا جمع دي لاكروا وهو من اعاظم الرسامين الرومانتيكيين بين الخيال في صورة الحرية في هيئة امرأة زاحفة على الثورة . والواقعية في تصاوير الثوار الذين يحبونها ويهتفون للحرية والاخاء والمساواة .



الشاغبون في المسرح ــ لوحة من الفن الحديث بريشة اونوريه دوميه ، وكان الشاغبون ظاهرة شائعة فى مسرح الخمسينات والستينات من القرن الماضى فى فرنسا • وكانوا يتعمدون اخذ مقاعدهم فى الصفوف الامامية ويجتهدون فى افساد الحفلات •

كان اونوريه دوميه رساما ساخرا يركز على ابراز انواع من يرسم من الناس

ذخائرها الفنية ويرسل بها الى فرنسا سواء وجدها فى متاحف أو فى مجموعات يملكها افراد • ويقدر عدد القطع الفنية التى جلبها الى فرنسا وملأ بها متاحفها وخصوصا « اللوفر » بنحو ٢٥ الف قطعة ما بين لوحات وتماثيل وأعمال فنية من كل شكل ولون وعصر • وقد استردت بلجيكا وهولنداوالمانيا وايطاليا والنمسا وبولندا والروسيا ٥٢٣٣ قطعة مما اهداه « للوفر » ولكن الباقى بعد ذلك كان كثيرا جدا ••

ثم استمرت عملية جمع التحف وتقديمها الى « اللوفر » وتظمت أبنيته فى هيئة أجنحة تسمى « بالبافيونات » كل منها يتألف من مبنى مربع يحيط بهو مكشوف ، واضلاع المربعات كلها قاعات عرض مكونة من دورين ، وربما كان هناك دور نصف أرضى ودور صغير علوى ، وانشئت دهاليز ومخازن واسعة تحت الأرض ، وكلما ارادوا توسيع « اللوفر » انشأوا « بافيون » جديدا ، وكل هذه الابنية تحيط بحديقة واسعة هى حديقة « اللوفر » ، وهى فى الاصل جزء من حدائق « التويلرى » وهى حدائق القصور الملكية الفرنسية ، وعنايتهم بالحدائق لا تقل عن عنايتهم بالمتحف نفسه ، وهى تتألق فى الربيع بالخضرة والزهور ذات الالوان الباهرة ، مما يجعل الجلوس فى تلك الحدائق متعة •

ويدير « اللوفر » مجلس ادارة من



لوحة بريشة بول سيزان رائد الفن الحديث : لعب الورق هذه واحدة من خمس تجارب لنفس المشهد قام بعملها سيزان حتى وصل اخيرا الى النتيجة التى ترضيه ، لم يكن سيزان يركز على التفاصيل بل على « جو » اللوحة ، وكان يدقق جدا فى رسم الوجوه وهيئات الأجسام حتى تعبر تماما عما يدور فى نفسه .

الفنيين والاداريين يراسهم مدير من أهل الفن وتاريخه، والمسيو اندريه بارو المدير الحالى قضى عشرين سنة من عمره فى العراق يعمل فى الحفر والتنقيب عن آثار الكلدان وآشور وبابل ، وقد اختاروه لأنه أعد فى سنة ١٩٦١ مشروعا لتجديد « اللوفر » واعادة تنظيم قاعاته وقد لقى مشروعه القبول وانتهى الامر بتعيينه مديرا « للوفر » .

و « اللوفر » مقسم الى ستة اقسام فنية كبرى لكل منها مبنى او أكثر، وهى قسم آثار مصر ، وما بين النهرين ، وقسم اليونان والرومان وقسم الفن الايطالى ، وقسم التماثيل ، وقسم التصوير .

وهناك أقسام أصغر بعد ذلك مثل اقسام الفن الروسى والبولونى والصينى والهندى والهولندى والبلجيكى والانجليزى ،وأعظم هذه الأقسام ثلاثة ، هى :المصرى،واليونانى ، والرومانى،فان القسم المصرى فى «اللوفر» يلى المتحف المصرى من حيث ضخامة عدد القطع المعروضة وأهميتها ، ولكنها معروضة هناك بشكل يبهر الانظار . وأنت تزور المتحف المصرى فتشعر وكأن القطع تختنق فاذا رأيتها فى « اللوفر » أحسست أنها حية تتنفس بل سعيدة



غرة أعمال الرسام الفرنسي الشهير جاك لوي دافيد معاصر نابليون: تتويج نابليون امبراطورا وزوجته امبراطورة على فرنسا وممتلكاتها في ٢ من ديسمبر ١٨١٢ احتفل بالعيد بنسبه عاد الفنان ليرسم لوحة التتويج ليرسمها في لوحة هائلة وعرف دافيد كيف يصور المشهد التاريخي الذي لا ينسى: مشهد نابليون وهو يخطف التاج من يد البابا ويتوج نفسه بيده حتى لا يكون للبابا فضل عليه، ثم تناول تاج نادي لوزي ووضعه بيده فوق رأسها. لكي يصنع دافيد هذه اللوحة صنع لذلك دمية لرجال ونساء وألبسها ملابس كبار الشخصيات التي شهدت الحفل، وطلب اليه نابليون أن يرسم وجه أمه على احدى الشخصيات النسائية الكبرى ففعل مع أن أم نابليون لم تشهد الحفل وأرادها في وسط الصف يتجلى في الصورة - حجم اللوحة ٣٠ قدما مربعا وهي في قسم التصاوير في اللوفر.



في معمل ترميم الصلصال في اللوفر .. هذا الرأس الضخم لتمثال يوناني تم توصيلها في أمانة سوان في اللوفر .. لقد جربوا كل وسيلة للمحافظة على هذا الرأس الذي تنخر جوانبه .. وأخيرا . اهتدوا إلى أقصى ما يمكن عمله هو تغطيته بطبقة حريرية بماء الكلة



ومن ذلك ..

وفي القسم المصري وحده ٧٥٠٠ قطعة ما بين تماثيل ولوحات ومجموعات نحوية ولطع الزينة معروضـة في ٣٦ قاعة ، وقد خصصت قاعة لما يسمى هناك بالمصطبة — وهي عبارة عن داخل مقبرة مصرية قديمة بحطيزها ، وقد نقلوا هذه المصطبة تماما وأقاموها بكل عناية في باريس محافظين على سقفها وأرضيتها وكل جزئية من جدرانها وتصاويرها وكل ما كان فيها ..

وقد عرضوا هذه المصطبة بصـورة فنية ووزعوا الأضواء فيها على نحو يبعث على الإعجاب ، فأنت ترى فيهـا بكل وضوح تفاصيل كل جزء وكل قطعة ، وإني لآسف فيهـا لانتقال كل هذه القطع الفرعونية إلى فرنسا وأمثالها إلى ألمانيا وعاصمة برلين ، وكنت في شبابي أتحمس للمطالبة بإعادتها إلى مصر ، أما الآن فإني أعتقد أنها هناك أحسن لها ولنا ، فهناك على الأقل يحرسها ويرعاها ناس لا يقولون إنها أصنام ، ولا أثر لغبار وزجاج الفاترينات تغلب شعاعي هنا .

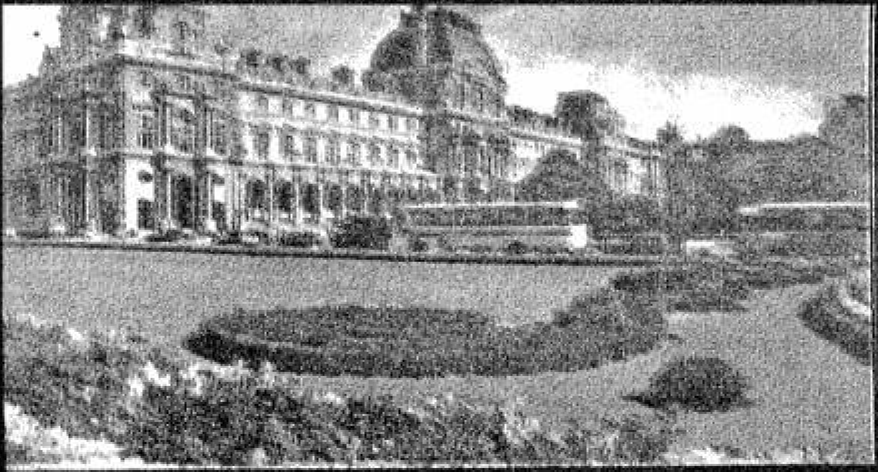
وعندما تقف أمام تمثال السـيدة مرمر — مع زوجها رأسركا ، موظف الدولة — تحس بالفعل أنها تحب زوجها .. تقرأ ذلك في عينيها وابتسامتها الناعمة بالرقة وبعدها الحنون التي تطوق ظهره .

فإذا انتقلت إلى قسم التصوير وجدت نفسك في عالم من الفن عجيب ، فهناك خمسون قاعة تعرض عليك من روائع الفن ما لا يجتمع قط في مكان واحـد ، ومن بين هذه القاعات قاعة تسمى قاعة الشهرة جمعوا فيها لوحات المشاهير صلا من المصورين من أمثال رافائيل ،

وتسيانو ، والجريكو ، ورمبرانت ، وبوسان ، وروبنز ، هنا تحس في أعماق نفسك بروعة التصوير وإبداع الفن ، هنا يجلس الناس على المقاعد الخشبية ساعات يتأملون هذا العالم الحافل من الجمال . أما موناليزا رائعة ليوناردو دافنشي فقد خصصـوا لها قاعة كاملة ووضعوها على نحو يملك الشاعر .

والكثيرون من قصد تلك التحفة الفريدة نفسي ، ولكني هنا بصـدد فينوس ميلوس ، ذلك التمثـال الرائع لامرأة رائعة الحسن ، صانعها هو الفنان المجهول على نحو من الكمال في التكوين لا نظير له في عالم الفن قط . ويذهب العلماء إلى أنها ترجع إلى أواخر القرن الثاني قبل الميلاد . وقد اكتشفت سنة ١٨٢٠ في جزيرة ميلوس في بحر إيجة ، وقد عثر عليها فلاح يوناني ، كان يحرث أرضه عندما اصطدمت فأسه بقطعة حجر كبيرة ، فأزاحها ليجد تحتها حجرة وفيها ذلك التمثال راقـدا على الأرض منكسرا قطعا وعرف الرجل أنه عثر على كنز ثمين فوضع الحجر مكانه ومضى يفكر فيمـا يصنع ، ولكن الخبر لما يطرقه ما إلى السلطات التركية ، وكانت اليونان إذ ذاك تحت حكم الأتراك — وصـدرت الأوامر بنقـل التمثال بكل قطعه إلى استامبول ، وحملوه فعلا على سـفينة تركية شراعية ، وكان عملاء فرنسـا الباحثون عن تحف الفن والآثار في العالم كله بالمرصاد ، فلما ابتعدت السـفينة التركية عن الشاطئ تبعتها سفينة حربية فرنسية ، وانتقل التمثال إلى السـفينة الفرنسية ، وأسرعت به إلى فرنسـا ، هنا ابتهجت فرنسا كلها للخبر ، والهم حتى لتقديم التمثـال إلى الملك لويس الثامن عشر ، وضربت ميـدالية تذكارية لهذه المناسبة ، ومنذ أقبل يوم التمثال واليوم في « اللوفر » ، أما ربان السفينة التركية فقد ضرب خمسين جلدة عقابا له على التفريط في أجمل امرأة عرفت في التاريخ .

د. حسين مؤنس





الحدائق الغناء تحيط بمباني المتحف من كل ناحية وعلى مساحات واسعة حافلة بالخضرة والازهار والاشجار لكي يكون شكل المتحف ووضعه قطعة فنية . في هذه المباني يعرض تطور فن العمارة الفرنسية على طول اربعة قرون تبدأ من عصر النهضة الى يومنا هذا مارة بعصر النهضة الاوروبية وعصر نابليون الاول والثالث ثم عمارة القرن العشرين مكيفة تكييفا معماريا بديعا بدخلها في الاطار المعماري العام للمبنى كله وبساتينه . هذا الجزء من قصور اللوفر استولت عليه وزارة المالية الفرنسية من مائة عام ولكنها حافظت على عمارته وجماله . عن قريب تنتقل الوزارة الى مبنى جديد خاص بها خارج باريس . فتتضاعف مساحات العرض في اللوفر لكي توضع الاف القطع المحفوظة في المخازن في اماكنها المناسبة لها . لقد فتح متحف اللوفر للجمهور سنة ١٧٩٣ بعد قيام الثورة الفرنسية بقليل . كان قبل ذلك معرضا ملوكيا ، ومع ذلك فان جنود ثورة ١٨٤٨ في فرنسا اقتحموا متحف اللوفر واستعملوه معسكرا واقاموا مواقد الطبخ والتدفئة في القاعة الكبرى - لاجراند جاليرى .

قصة الموت مرتين !

• حنفى المحلاوى •

لم تدم غربته طويلا ، ما هى الا لحظات ويعود من حيث أتى .. اخذته الافكار بعيدا . وعلى صوت اصطدام القضبان بعجلات القطار ، استيقظ .. قفز ، اعطى لنصف جسده حرية الحركة اكثر من ذى قبل ..

الهدوء يسود على غير العادة ، الوقت ظهرا ، الحرارة تصنع بريقا فى عيون الناس .. صيحات مكتومة ، ولغة كأنه لا يعرفهـا ، والكل يتزاحم ليتقدم .. وقف خارج البوابة لحظات اختطف خلالها نظراته .. حمل ما فى يده تحت ذراعه ـ كومة من بقايا كتب الماضى ، لم يعبأ بها ، ربما تساقط اغلبها قبل أن يخرج من المحطة .. هذه اجازة نصف السنة ، يا طول الغربة عن القاهرة وجوها الرمادى .. لقد خرج من سجن الهواء العلن ودخان أفران جدته ..

خطوات ، اخذ بعدها فى العد التنازلى .. ثلاثة شوارع ضيقـة ، وثلاث حارات قذرة ، علامات لا تخطئها العين .. أكثر من أربعة اشهر ، تمنى خلالها لو شاهدها طويلا ..

وعلى غير هدى ، توقف من جديد .. كومة من البشر من مختلف الاعمار ، ناصية شارع طويل ، لا يتذكر الغلب معالمه ، رائحة الدواء تتلاعب مع الانفاس ، اصوات استغاثة ملأت جو المكان .. جرى مسرعا ، توقف ، تمالت صيحات المتزاحمين ، وسرعان ما تكونت الدائرة المعروفة ، مجموعة كبيرة من الناس حول مريض او مصاب ..

وبصعوبة بالغة كان فى المقدمة يدفعـه حب الاستطلاع .. دقق النظر ، هيكل عظمى خال من اللحم الآدمى .. وعشرات المناديل تلاحق فمه من اجل وقف النزيف ..

تصلبت مفاصله ، دقق النظرات اكثر واكثر ، ارتعشت كل اعصابه .. القلب لونه الى الاصفر ، ودون ان يدرى ـ صرخ عاليا .. لم يتمالك ، اصابه الانهيار ....

ركع على ركبتيه كمن يصلى .. انتابته حالة من الخشوع ، انتفض قلبه ، وامسك بما تبقى من الهيكل العظمى ، ناداه طويلا ..

قفزت علامات الدهشـة تعلو الوجوه ... ماذا يحدث ؟! .. انسان ينزف دمه ـ يموت ، والاخر يصرخ من اجله ...

من يكون ؟ .. كيف ظهر ؟ أسئلة واستفسارات لا اجابة لها فى حينها ..

الحتى عليه أغلب الواقفين بالكلمات والتوجيهات ...لهم ربما فهم مايقصدون .. المطلوب عربة لنقله الى البيت ..

نهض واقفا فى صمت ، كسر الدائرة . تركه ووراءه ينزف .. لم يتوان من صيحاته ، جرى فى كل ناحية ، كيف يموت على الرصيف ! ان منزلهم قريبه ، وبلعن مشمت ، مش مسرحا ، لا بل جرى . تولدت فيه طاقة لم يعهدها فى نفسه ..

البحث عن سيارة او حتى عربة اى عربة .. لابد من نقله الى البيت ، سيموت على الرصيف ، دمه ينزف بغزارة .. لم يعد لديه قدرة على السير ..

بعد خطوات كاد يموت تحت عجلات سـيارة مسرعة .. وقف وسط الطريق ، ولم يجـد من يسعفه .. السيارات وحوش كاسرة تأكله قبل غيره .. ما العمل .. سيموت ، سيموت ..

وعلى الرصيف الذى حمله بعيدا عن الكارثة ، التقطه صديق ، ناداه ، هزه بقوة . نظر اليه فى بلادة غير معهودة ، واخيرا تذكر ، عانقه ، أخذه بالاحضان .. انطلق لسانه ، طلقات مدفع خرجت فى غير أوانها :

ـ بابا مات .. بابا مات .. يا محمد !

ولم يكتف بلسانه ، أصابع يده ، كل أعضاء جسمه ، تشير الى هناك حيث يرقد الميت الحى .. جسم مرتعش وعيون زائغة ، وكلمـات متقطعة ..

لم يفهمه صاحبه ، استفسر منه أكثر :

ـ من الذى مات ؟

نظر اليه فى خوف . والده يموت على الرصيف .. لقد تركه منذ قليل ينزف ، دماؤه ملأت عيون الناس .. أخبروه انه ترك المستشفى منذ قليل .

وعلى دموعه التى انسابت مكتومة حزينة ، أخذه بين ذراعيه الى جوار الحائط .. :

ـ ابوك ؟.. ابوك مات من سنتين !

جحظت عيناه اكثر ، تسمرت فى اتجاه واحد ، قضم على شفتيه حتى سال الدم ..

اخيرا ... افاق على الحقيقة .. لقد أكد له بالدليل وبالعلامات الواضحة ان والده فارقه بالفعل منذ سنتين !

مشى بجواره ، اطبق عليه الصمت ، تمنى ان يغوص وتبتلعه الارض ..

نسى كل شىء .. ولد من جديد .. نسى حتى كتبه التى تركها هناك على أمل النجاة !

الحقيقة الضائعة في روايـة :

مسافة بين الوجه والقناع



• محمود العزب •

هذه الرواية - للقاص نبيل عبد الحميد - يمكن ان يقال انها من نوع خاص ، انها تسعدنا وتغمرنا بالدهشة ، وتثير تساؤلات متعددة كلما اعدت قراءتها ، وهي تقوم على فكرة غير مسلم بها ولا يمكن تصديقها ظاهريا ، هذه الفكرة هي اختفاء « عطيات » ابنة صاحب العمارة في ليلة زفافها .. سقطت في فجوة حدثت داخل عمود مسلح بالدور الأخير من العمارة ، وحضر وكيل النيابة المحقق ، ليبحث سر اختفاء « عطيات » ويكتشف الفاعل .

وقد اخذت العمارة بعدا مكانيا لاطار هذه الرواية بحيث يدور التحقيق داخلها ولا يتجاوز جدرانها ، ونتعرف على شخصيات العمارة ابتداء من « حسن » زوج « عطيات » الى « أبو العينين » البواب وفكرة الفجوة اللامعقولة ، وسقوط أو اختفاء الضحية « عطيات » فيها ، وقضية البحث عن السر ، واكتشاف غموضه وخفاياه .. كل هذا يحمل رائحة من « كافكا » في بعض اللمحات ، على الاقل حين يكون الجو الضبابي غالبا على الواقع الملموس ، ويتداخل دور النمل الذى يأكل الأشياء ، ويتلذذ بمهاجمة الآخرين حتى « عين » الأستاذ رفعت .. تلك الشخصية التى تبدو رؤيتها عبثية في حين يتهكم عليها أهلها ، وربما ما عدا الابنة سوسن ..

على أية حال المحقق يواصل عمله ، الشبهات تلاحق الجميع ، ولا أحد يصبح متهما على الاطلاق ، لأن كل شخصية حرصت على حماية نفسها ، فى نفس اللحظة التى لا تتردد عن توجيه الادانة لغيرها ، أو اثارة الشبهات حولها على اقل تقدير ، وبخاصة اذا كان هذا « الغير » غير محبوب من جاره ، أو فى النفس منه أشياء ، ولعل هذا ما كان يدعو المحقق الى التريث ، والبحث بدقة أكثر ، ناظرا باهتمام الى علاقات الانسجام غير المتوفرة بين معظم الشخصيات .

هذا ، وشخصيات العمارة شخصيات بورجوازية مترددة ، متناحرة ، غير منسجمة ، وعلاقات الجوار القائمة غير موفقة ، يجمعها التنافر ، ويهجرها الترابط ، والنميمة تسود مجتمعهم



المشغول فى المحل الأول بذاتيته ومنافعه وان كان ذلك لم يمنع هذه الشخصيات من المحافظة فيما بينهـا على نوع من التوافق « البورجوازى » حفاظا على حبل الرياء الذى لا يرغب أحد أن يفرط فيه .

والسؤال الذى يفرض نفسه هو : ما دلالة أن تكون جميع الشخصيات (ما عدا البواب) من نمط بورجوازي ؟ ربما لكى يظل التردد والتبرير واصطناع المواقف الذاتية ملائما كمناخ يزيد من متاهة البحث عن الحقيقة التى قد يمسك كل منهم بطرف منها دون أن يكون فى مقدوره أن يفيد البحث فى الوصول الى نتائج حاسمة .

الشخصيات تعيش لحظتها الراهنـة وفقا لغرائزها وأهـوائها ومطـامعها ونزواتها ما عدا شخصية سـوسـن ، وشخصية الدوريش .. الشيخ حامد ، ولا تجدى مثـابرة المحقق فى كشـف غموض الحـادث ، وكلما تقـدم فى استجوابه يتنبه الى أن كل شـخصية بكيفية أو بأخرى لا تزال تضع قناعهـا على وجهها تخشى رفعه أو تستمرىء بقاءه ذلك لأنهـا تخفى ما ينبغى أن يعلـم ، وتراوغ لكى تنفى ما تريد ، فمنطـق السلامة ، وسطوة القناع يحتم عليهـا نفى ما تعرف ، واثارة الشـبهات على غيرها ، ويبدو المحقق ، برغم جهوده ، كمن دخل متاهة كمتاهة الفجوة التى فقـدت تعليلها المادى أمام حيرته وشـكوكه ، وتضارب أقوال سكان العمـارة . ان الخيط الرهيف الذى يصـله بالحقيقة يتمدد ويرق ويكاد يتمزق ، فهل يغرق فى وهم الحيرة ، وتضييع الحقيقة ؟! فهو كلما حاول أن يمسك بها يراها تفلت من أصابعه كالشعاع .. اذن يبقى الوهم ، ولكن الوهم نفسه يحتاج الى ما يثبته . ما الوهم هنا ؟ ان اثبات ما جـرى وما يجرى ، وما هو فيه ، وما يسدده اليه فراغ الفجوة من نظرات غامضة .. أليس كل هذا وهما يحتاج هو الآخر الى أدلة وبراهين ؟!

انه فى عمارة أشبه بزنزانة منعـزلة فى المكان المنفرد ، مجردة من الزمان ـ تجريدا ظاهريا على الأقل ـ تسبح فى ضوء حائر يتوه فيه الخط الفاصل بين الوهم والحقيقة ، وحين يضطر المحقق أن يسلم بضـياع الحقيقة ذات الألف وجه يكاد يرى نفسه موضع شك وشبهة كأنما أصبح هو الآخر مدانا ، حين زحف ـ فى آخر الرواية ـ ببصره الى الأمام ونظر فى ـ الفجـوة ـ وظلت ذراعه تتارجح فى فراغها ..

ان الخطاب ، والعصا ، والنظـارة ، والايصال ، « والبـاروكة » وزجاجـة « خيشه » ، والنمل .. كل هذه الأشياء

الحقيقة الضائعة في روايــة :
مسافة بين الوجه والقناع

تبرهن على وجود رابطة بين سكان العمارة ، وبين اختفاء « عطيات » في ليلة زفافها باعماق الفجوة ، والذى يلفت النظر أن الفجوة التى حدثت في راس عمود مسلح من الأعمدة الرئيسية والتى لا غنى عنها لعمارة متماسكة تحمى نفسها وحياتها وسكانها ، يقول عنها تقرير الخبير المسئول : « ٠٠ ان الفجوة منحوتة بطريقة فنية للغاية ، لا يوجد على جدرانها الداخلية اى بروز او تشقق او حتى نتوء صغير ٠٠ فجوة مصنوعة بمهارة ٠٠ »

هذا العمود بالذات ، الأساسى فى البناء ٠٠ أصيب بالفجوة ، واختفت فيها العروس ، وبمعنى آخر أصيب أحد الأسس الهامة التى تقوم عليها الحياة ، فمن يطمئن للحياة ؟! فمن يطمئن ؟! وتجدد الحياة يتوقف ، فى شخص العروس المختفية !

ومن الواضح من طريقة حدوث الفجوة فى العمود أنها لم تحدث عفوا او قضاء وقدرا ، والوقائع وظلالها بما فيها النمل الذى يشارك هو الآخر فى الهدم والتصدع ، يشير الى أن الجميع بدرجة او بأخرى كانوا مشتركين فى نحت هذه الفجوة ، انهم من زمان طويل (٠٠ زمان لا يذكر أوله من آخره فى الرواية ، بل لايكاد يذكر مطلقا لأن امتداداته غير مرئية ٠٠ بلا حدود) ٠٠ زمان متكاثف وغير مرئى ، ينحتون – عبره – هذه الفجوة كما يفعل النمل تماما ، وكما يتسلل كيفما شاء ، ابتداء من المخزن – مخزن العمارة – الى عين ٠٠ ورؤية شخصية رفعت – الى حد تواجده على حافة الفجوة كدليل ملموس على التآكل البطىء الذى بدأ منذ أحقاب بعيدة فى هيكل « العمارة » العصرى المصنوع من الأسمنت المسلح ٠

وبرغم أن الزمان المحدود الذى يدور فيه التحقيق غير مثبت على نحو محدد فى الرواية الا أننا نحس بامتداده وانعكاساته ٠٠ زمان غائر فى أعماق الماضى ، يلقى بثقله وظلاله على الحاضر المشحون بالتوتر والتأزم والرغبة فى الاكتشاف ٠٠

ان الزمن هنا يعاد بناؤه كحقيقة لا جدوى من التهرب منها ، كحقيقة لا تقتصر على احتواء الرواية وعالمها ،بل لأن الزمن – الذى كثر تجاهلهم له وتهربهم منه – جزء من نسيج كياننا – وكيانهم – الذى يظهر من خلاله فى علاقة جدلية ٠

وربما كان من سلبيات المحقق أنه كان يريد أن يخضع « الزمن » لحدود الواقع المباشر مثلما يخضع أمامه « المكان » بحدوده التى لا تتعدى مساحة العمارة ، ربما لأنه فى حاجة الى أن ينهى تحقيقه فى وقت محدود ، والا لذاب فى متاهة الزمن واللاجدوى ، وهو ما حدث له بالفعل عندما استسلم لعجزه عن اكتشاف الحقيقة فى عالم متصارع تحكمه الأهواء والمطامع ٠

ومن المدهش أن الشخصيات جميعها لم تهتز أمام المحقق كما هو متوقع فى هذه الحال ،ولو من بعضها على الأقل – التى تجابه موقفا كهذا – وربما يكون هذا عيبا فنيا – وان كان يمكن تبريره بأننا لسنا أمام رواية تقليدية ٠٠ ان كلا منهم يظهر أمامه بمظهر عادى ان لم نقل بمظهر هادىء تماما ، قادرا على المواجهة أو لا يخافها ، فهل يقال ان ذلك نابع من اقتناع كل منهم ببراءته وحده ، أو أنها جرأة المذنب ومهارته المكتسبة من قبل ، ولا مبالاته السائدة ؟! فكم من أشياء وقيم وأحلام وحياة تختفى وتضيع على طول وعرض الحياة ، وتفلت منهم وتذوب فى معاناة الواقع المرير ! فماذا يجد لو اختفت حياة أحد بطريقة غامضة وغير مألوفة ؟! ربما تجمدوا من كثرة دوران المألوف وغير المألوف فى طاحونة الحياة التى تتكرر بالأمل المفقود والحقائق الضائعة ، وربما يقال ان كل شخصية كانت تلعب دورها بكامل وجودها – بصرف النظر عن الاهتزاز أو الارتباك

إن هذه الرواية على طريق التجديد، بتحول من موضوع للفهم إلى موضوع للبحث، وهذا معناه أن تشرك القارئ في عملية الإبداع والتفسير والاكتشاف

المنتظر أمام وكيل نيابة فى العرف الاجتماعى ٠

ان الشىء الأكثر اثارة للاهتمام هو أن الشخصيات تعطى انطباعا بأن وجودهم بأسره متورط فى « الفعل » الذى افلت سره من بين يدى المحقق وأن كل واحد منهم مقيد بالآخر فى أعماق وجوده ، وهذا ما يسبب التصادم فيما بينهم — سواء أكان مباشرا أم غير مباشر كما لو كان كل منهم هو الجلاد والضحية ٠

***

ان هذه الرواية الهامة تعكس ضرورة البحث وعبثه ، وضرورة التفكير وعبثه ، وضرورة الاتصال واستحالته ، وضرورة الوهم وزيفه ، وضرورة الحقيقة واختفاءها ، وضرورة الكشف عن عورة غير مستورة ٠

ان هذه الرواية — على طريق التجديد — تتحول من موضوع للفهم الى موضوع للبحث ، وهذا معناه أن تشرك القارىء فى عملية الابداع والتفسير والاكتشاف

هذا ويبدو أن المؤلف نبيل عبد الحميد قد ضاق بعدم كفاية السرد التقليدى ، بقصد الثورة على أسلوب الرواية السائد الآن ، وحاول أن يتميز بشىء يقترب مما يسمى بالرواية الجديدة ، فهو هنا يقوم بتسجيل بعض المعطيات الحسية كوصف النملة وحركتها وصفا دقيقا فريدا من غير توجيه أو تعليق أو تدخل، تاركا للقارىء الحرية فى تكوين انطباعه الشخصى ، واعادة تكوين ما يقرأ بمعرفته هو بعيدا عن التحليل النفسى أو التعليق الفلسفى أو الكشف الاجتماعى ، مثل دور النمل، ومثل ما حدث أثناء تناول الطعام بين الرجل وولديه ٠

وهو هنا يستخدم « الأشياء » خارج حدود الشخصية ، ويوظفها فى عرض الواقعة التى حدثت حاجبا بمهارة الأسلوب الوصفى ، تاركا الشخصيات « تفعل » أكثر مما تقول ، وهى محاولة على طريق التجديد لعله يكون واحدا من روادها ، واذا فلسفنا هذه الرواية فربما يمكن اعطاء رموز ، فصاحب العمارة رمز للاقتصاد ورأس المال ، والنمل رمز للغريزة والموت ، واسماعيل الجارحى وأولاده رمز للجانب المادى الحيوانى ٠٠ الخ ٠ لكن هذه النقطة تحتاج حديثا آخر

وأشير هنا الى بعض نقاط خاصة أخيرة حيث ألاحظ أن الفصل الثالث على صلة بأسلوب المرحوم ضياء الشرقاوى فى مرحلته الأخيرة من انتاجه كما أن الأسلوب فى الرواية عموما شديد الاقتصاد فى العبارة مع تركيزها ، ويستخدمها خالية الى حد بعيد من النعوت والكاتب يتلاعب بمهارة باللحظة من خلال المكان المحدود بين المائدة والمطبخ ، وهو قليل الاستخدام لحروف العطف بحيث تبدو الجمل كنقلات عين الكاميرا وهى تجمع اللقطات المتوالية دون حاجة الى وسيلة ربط خارج العدسة ٠

ان رواية «مسافة بين الوجه والقناع» لنبيل عبد الحميد علامة هامة على الطريق الجاد للرواية العربية وهى تؤكد بالأصالة والمهارة أن الرواية على يد الأجيال الجديدة تخطو الى الأمام بانتصار ونجاح

الفن امرأة جميلة

● عرفت في اسبانيا رساما يعيش في فيللا انيقة قرب ماربيا المصيف المشهور . كان رجلا ثريا ينفق عن سعة ، وكان يعمل الوقت كله ، فما زرته مرة الا وجدته يرسم أو يتفاوض على رسم لوحات ..

وكان لا يرسم الا صور نساء ..

كان يرسمهن في كل شكل وهيئة : يرسمهن جالسات وواقفات ومستلقيات بملابس أو بغير ملابس ، أو يرسم وجوها أو ابتسامات .. ولكن رسومه كانت في غاية الاتقان والجمال ، والعين لا تشبع قط من تأمل رسومه ولوحاته ونسائه ..

وكانت الطلبات تنهال عليه من كل نواحي الدنيا مع ان لوحاته كانت غالية الثمن ، وكانت له سكرتيرة تعمل طول الوقت في ضبط مواعيده ومراسلاته وحساباته ، وفي العادة كان الرجل مرتبطا لسنتين قادمتين ، فاذا طلبت منه لوحة ذات هيئة معينة كان لابد أن تنتظر أكثر من سنتين ..

وكنت اسأله :

ـ ولماذا تقصر أعمالك على المرأة وحدها ..

فكان يقول :

ـ لأن المرأة هي الفن ، والفن هو المرأة !

وقال لي ذات مرة ونحن على شاطىء البحر بعد الظهر :

ـ انظر الى ذلك البحر وتأمل مياهه وامواجه . ان هذا المنظر ساحر ولا شك ولكن لأمر ما أجد انه صامت لا يقول شيئا ليس له صدى في نفسك . كل أثره انه يريح عينيك ونفسك ، وأنت تنظر اليه لحظات ثم تنساه : عيونك مفتوحة عليه وفكرك في مكان آخر .. ثم أنظر الى هذه الغابة خلفنا .. انها أيضا بديعة



يحب الانسان أن يقضي الساعات فيها ، ولكنها اطار لراحة النفس ومتعة العين، مجرد اطار ..

اما المراة الجميلة فشيء آخر .. ان ملامحها الجميلة تريح عينيك ورقتها تبعث فى نفسك مشاعر شتى .. انني أرسم صورة امرأة تبتسم أو تمشط شعرها وهى تنظر اليك أو مسترخية على كرسى ، ثم أنظر اليها فأحس أنها تخاطبنى ، تحاورنى .. هناك حديث متصل بينى وبينها .. ان جمالها ليس مجرد اطار للراحة أو الهدوء ، انه الحياة نفسها .. انها صورة صامتة على قماش ولكنها حية تتحرك وتتكلم ، أو قل انا ارسمها على نحو تبدو معه وكأنها تتحدث وتتكلم .. لهذا يطلب الناس منى صور النساء .. انها ليست مجرد صور ، انها مخلوقات حية ، انها نساء حقيقيات ، والذين يشترونها منى يحسون بذلك .. انهم لا يشترون لوحة بل امرأة .. انهم يشترون رفيقة وصاحبة ونديمة ..

وبعد لحظة صمت :

– ليس فى الدنيا يا اخى اجمل من المراة ، انها اجمل من مناظر الطبيعة الخلابة او الجواهر البديعة .. انها الفن كله ، انها الحياة نفسها ... هناك رجل من امريكا الجنوبية – من المكسيك – يشترى منى صورة كل سنة ... حوائط بيته كلها مغطاة باطارات تضم صور نساء من رسمى .. انه يقول انهن اسرته ، وكل عام تزداد الاسرة واحدة .. وهو غير متزوج لانه يفضل صور النساء على النساء ، لأن النساء يتكلمن ويغضبن ويطالبن بأشياء وينجبن اطفالا يدخلونه فى مشاكل .. انه على حق .. ليس أجمل فى الدنيا من صورة وجه مشرق انثوى جميل .. انه متعة متجددة وصحبة بلا متاعب وفن بلا حدود .. يا صديقى : ان الفن امرأة جميلة !

جنكيزخان والشبح

للكاتب الهندي : آرندجوخالي
ترجمة : حسن حسين شكري

امتاز « راج » في القاء دروسه بروح خاص مفعم بحماسه واخلاصه اللذين جعلا التفكير في مستقبل البراعم المتفتحة من تلاميذه همه الوحيد .. ولذلك كان دائم الخلاف مع زملائه المدرسين الذين كانوا لا يعيرون النواحي الاخلاقية والتربوية للتلاميذ اهتماما ، بل يعتبرون التلاميذ (خيل سباق) يجب ان تعد لخوض معركة الامتحانات فحسب ! ..

وكان « راج » يرى أن هذه الطريقة قد جعلت من المدارس شبه اوكار للقمار يلعب الحظ فيها دورا كبيرا .. وكانت نفحات السرور والاغتباط تنتابه وحده كلما لمح بين تلاميذه عقلامتفتحا تبدو عليه دلائل النبوغ ، فيأخذ على عاتقه ان يوجهه الوجهة المثمرة ، وبذلك غدا « راج » فيلسوف طلابه ، ومرشدهم ، وصديقهم ، وغدت شخصيته لديهم المثل الأعلى للاعتزاز بالنفس والتمسك بالمبادىء ..

وكثيرا ما كان «راج» يباهي المدرسين والطلاب بأحب تلاميذه الىقلبه ، بابنه الوحيد « شنتماني » فقد استطاع ان يشكل عقليته ويصوغهاكما يحب ويرضى وان يفعم نفس الغلام وعقله المتقبل في شوق بعطر الصفاء والرحمة ..

وكان « راج » لا يؤمن على الاطلاق بجدوى الوسائل النظرية في التربية والتهذيب ، وقد دفعه ذلك الى تأييد نظرياته بالامثلة العملية . واراد أن يبرهن لابنه « شنتماني » على أضرار الكحوليات فاصطحبه معه الى احدى الحانات لكي يرى بعيني رأسه مصائب اضرارها ، حيث السكارى يتشاجرون ويتبادلون الشتائم البذيئة بلا حياء .

واراد بعدها أن يبصره باضرار المقامرة فحدثه عن لعب الورق (والروليت) وعقب قائلا : يا بني انها العاب تعتمد على الحظ ، وكلها ذات هدف واحد هو الحصول على المال في اقرب وقت دون القليل من العمل ، وأكد أن المقامرين علىاختلاف شواكلهم ينتهون نهاية واحدة ، هي خسار المال والاصدقاء والأقرباء والكرامة والاحترام ! .

ونظر الى « شنتماني » نظرة فاحصة ليرى أثر هذه الكلمات ، ولما لمح تأثره واستياءه أراد أن يضرب على هذا الوتر قبل أن تفلت منهفرصة الاندماج فمضىفي حديثه قائلا : اما أسوأ أنواع المقامرة يا بني فهو « سباق الخيل » ! .. ولكن علية القوم تحاول أن تخفي قسوته فتسميه « رياضة الأثرياء » ، ولكن نهاية المقامر السابق هينهاية كل مقامر:ضياع المال والكرامة والأصدقاء !

واحب « راج » كعادته أن يبرهن لابنه على صدق حديثه ببرهان عمل:سأصحبك اليوم « ياشنتماني » الى نادي السباق لاتيح لك الفرصة أن ترى بنفسك ،كيف يفقد الرجال والسيدات احترامهم ونقودهم ، وكرامتهم !

وبعد لحظات كان « راج » وابنه امام شباك التذاكر هناك ، وظل الفتى ينظر مبهورا الى الجموع البشرية المتراصة ، والسيارات الفخمة والعربات التي تجرها الخيول ،وبعد قليل كان « راج» و « شنتماني » في احد المدرجات حيث رأى « شنتماني » الرجال والنساء ، شيوخا وشبانا ، نحافا وسمانا ، شقرا وسمرا ، والشحاذين واصحاب الملايين والطلاب وغاسلي الثياب.

العيون كلها مشدودة نحو الخيول الرشيقة التي يجري اعدادها امام الآلاف، الكل يرقبها في قلق ، ويعلق عليها الآمال · واينما نظر « شنتماني » راى الاثارة والأمل واليأس والرجاء · وبدا المكان باجمعه في نظر الغلام كعالم الاحلام ! ··

وجاهد « شنتماني » أن يتذكر ما اخبره به والده من مصائب السباق ولكن دون جدوى ·· فقد تبخر كل شيء من خلايا ذاكرته لمرأى آلاف الروبيات تتبادلها الأيدي في سرعة غريبة ، واشياء أخرى كالذي يرهن ساعة يده ، والذي يرهن أزرار قميصه الذهبية ، حتى أقلام الحبر كان البعض يرهنها — ومن أعجب ما رأى — قارىء الكف وغيره من الفلكيين يطمئنون الباحثين عن الثروة ··

ولمح « راج » ابنه « شنتماني » مأخوذا بتلك المناظر · فخشي أن تحدث في نفس الغلام ، نتيجة عكسية لما اراد ، فبادره قائلا : سأذهب واشترى تذكرة لترى يا بني كيف يضيع المال في لحظات ولتعلم أن هؤلاء المجانين الذين يظنون انهم سيكسبون المئات سيخسرون كل شيء في ثوان ! ··

واخرج عشر روبيات واشترى بها تذكرة وهو يرتجف دون أن يبدي أية ملاحظة عن الحصان الذي سيراهن عليه ودفع التذكرة الى الغلام بيد مرتعشة وهو يردد في ثقة تامة : ستري كيف يضيع المال في لحظات يا « شنتماني » !

وبدأ السباق واشرأبت الأعناق··· الجموع كلها تصفق ، تصرخ ، تقفز من مقاعدها في نوبات جنونية ، وشقت الفضاء صيحات : رقم سبعة رقم سبعة رقم سبعة سيكسب ·· رقم سبعة كسب ! وفي عصبية فحص الغلام التذكرة في يده ، وبدأ رأسه يدور ··· لم يصدق عينيه ،وتعلق بوالده صائحا : معنا رقم سبعة !

وفي نفس الوقت ظهر على اللوحة أن هذا الرقم قد كسب ٤٥٠ روبيه ، ووقف « راج » في حيرة ·· لقد حدث ما لم يكن في الحسبان ! لقد اراد أن يبرهن لابنه كيف يضيع المال في لحظات ، ولكن ! ··

ووسط الجموع الصاخبة اخذ «راج» يشق طريقه في صعوبة بالغة وهو يقول : يا بني أن الذي كسب فرد واحد وهذه الآلاف منكسة رءوسهم ، بادية عليهم سمات الهزيمة ، لقد خسروا الآلاف ! ·

وانصرفا ·· والوالد يعد رزمة النقود ويضعها في جيبه بعناية !

وفي هذه الليلة آوى « شنتماني » الى فراشه منهكا من تجربة اليوم المثير ·· لقد فارق النوم عينيه ، وكلما أغمض جفنا توالت احداث اليوم أمامه كالشريط السينمائي ، رزم من أوراق النقد ،أرقام تتوالى ، جموع صاخبة ، خيول رشيقة ··· ومع اقتراب الصباح بدأ النوم يتسلل الى عينيه في اغفاء وهو ما زال يحلم بنفس الاشياء والمناظر ···

لم يستطع الغلام أن ينهض من فراشه مبكرا كعادته ، فانزعج خاصة واليوم يوم الامتحان الاسبوعي ··

واخذ كتبه بسرعة محاولا أن يتذكر شيئا من الدروس أو يراجع شيئا منها، ولكن الكلمات كانت تتحول في عينيه الى خيول ·· والسطور كأنها حلبات للسباق ! ·· واخذ يذرع الغرفة في ضيق شديد ، وفكر في كوب من اللبن عله يساعده ، فأسرع الى المطبخ ، وفتح الدولاب الصغير ، فوقعت عيناه على اناء من المعدن بجوار اناء اللبن ، وعندما نزع الغطاء ظلت عيناه معلقتين بفراغ الاناء الذي لم يكن خاويا ، فخمس روبيات ترقد في القاع ! ··

خمس روبيات ، ماذا استطيع ان افعل بها ·· اشتري تذكرة واراهن بالباقي !·· وبدأ « شنتماني » يرتجف للفكرة ، لكن الاثارة والاغراء تفاعلا في نفسه ·· هل يأخذ المبلغ ام لا يأخذه فربما تكون والدته قد ادخرته لشراء بعض الحاجيات ، فاخذه يعتبر سرقة ، وقد اخبره والده أن السرقة جريمة وذنب عظيم ··

وبدأ يسمع دقات قلبه ، وكأنما ثارت عاصفة بأعماقه هزته في قسوة · واذا اخذت الروبيات الخمس ، وكسبت في السباق سيكون معي بدلا منها ·· خمسات ، خمسات ·· اردها مكانها ،

ولن تعلم امى شيئا ! . هذه ليست سرقة انها قرض لفترة وجيزة لبضع ساعات ، واخذ « شنتماني » الروبيات الخمس ..

وفي المساء عاد « شنتماني » حزينا لانه فعل أشياء كثيرة يعلم أن أباه قد نهاه عن فعلها .. قائمة من الذنوب ، ففي الصباح قدم كراسات الواجب الأسبوعي ولم يسود فيها سطرا ! .. وفي الظهر استمع الى احاديث والده في ضيق واستياء ولم يعرها انتباهه ، بل حاول مرات ان يشعره بانه في حاجة الى الراحة !

والادهى من ذلك انه توج ذلك كله بالمقامرة في السباق ! .. وبذلك يكون قد خالف كل تعاليم والده ، وليس هناك ما هو اسوأ من ذلك ، نعم ... لقد عاد الى المنزل ومعه عشرون روبيه ــ رد منها القرض الى مكانه وأصبح يملك خمس عشرة روبية ! ..

ومنذ ذلك اليوم اقتنع « شنتماني » أن المقامرة لا تعتمد على الحظ وحده بل تحتاج الى مهارة وذكاء .. انه « علم » يحتاج الى رباطة الجاش وتجنب الاثارة والاغراء ..

وأصبح الشاغل الوحيد لفكر « شنتماني » هو احداث بعد ظهر السبت من كل أسبوع ـ موعد السباق ..

وأصبحت المدرسة وامتحاناتها في نظره هراء في هراء ، وغدت كراساته وكتبه المكان المفضل لحفظ جداول السباق .

وبمرور الزمن زادت ثقته بنفسه .وكلما خسر مرة كان يأمل انه سيسترد الخسارة أضعافا ، عندما تكتمل دراسته « العلمية » لخيل السباق ، ومن ثم بدأ يرهن كل شيء حتى كتب المدرسة ، وذلل العقبات امامه في الحصول على المال اكتشافه (لمراب) يعرف والده يقرض مبالغ صغيرة الا انها تفي بالغرض في وقت الضيق ، ورغم أن المخاوف كانت تنتابه من حين الى حين خشية ان يسمع والده او يراه وهو في طريق الاثم ، الا انه كان يطمئن نفسه ويشجعها .. ولم يقلق « شنتماني » فقد كان متأكدا انه سيسدد كل الديون في مساء اليوم التالي ، بل سيكون مالكا لثروة كبيرة اذا راهن على الحصان « جنكيز خان » وربما نبتت هذه الثقة العظيمة من الشهرة التاريخية لهذا الاسم . وذهب الى المرابي لاقتراض عشر روبيات ووجه اليه المرابي الانذار الاخير بابلاغ والده نظرا لما تراكم عليه من الديون .

وحانت اللحظة الحرجة ، وبدأ السباق . وظل « شنتماني » ينظر الى من حوله وكأنه خبير يحتفظ بسر خطير.

وارتفعت معنوياته بعد أن همس لنفسه بتلك العبارة .. والخيول تقترب بعضها من بعض وكل يشجع الحصان المراهن عليه ، والجموع تصرخ وتصفق ، وانطلقت الصيحات «جنكيز خان» سيكسب .. «جنكيز خان» سيكسب ، وارتفعت معنويات « شنتماني » أكثر فأكثر وقلبه الصغير يتسابق مع الخيول ... تقدم يا « جنكيز » تقدم ... « جنكيز » سيكسب !

وهدأ الصراخ فجأة .. فحصان آخر هو الذى كسب السباق ! .. ولم يصدق « شنتماني » عينيه ، وموجات من الفكر تترى : ماذا سيفعل غدا ، عندما يخبر المرابي والده بكل شيء ..

وترك مكانه وهو يحس بان الحياة تنفلت من جسده ، وفجأة عادت اليه يقظته ، واخذ يحملق .. لا ، لا .. لا يمكن ان يكون هذا حقيقة ، انه شبح! .. انها صدمة الخسارة والفشل : هى التي جعلته يرى هذا الشبح ، وحك عينيه ثانية فلم يجد شبحا .. فالرجل الداخل الى مقصورة الدرجة الثانية ملامحه واضحة وضوح الشمس ، فهو والده « راج » بشحمه ولحمه .. متابطا جداول السباق ، ويمسح جبينه من العرق باليد الاخرى ! .. ●

متى تعود؟

● اسماعيل عبد الفتاح ●

● لا تبتعد ...
سأظل وحدى فى دروب العمر
انتظر المجىء ! .
وحدى على درب الفراق
بقسوة الاشواق
بالحزن الكئيب ! .
وحدى على ذكرى هوانا انتظر
بقسوة الايام
باليتم الغريب ! .

● لا تبتعد ...
الدرب يبدو خالى الأرجاء ،
مسكين القلق
والعمر يسلو نسجه الاحلام
يدنو للغرق !
والليل يبدو فى دروب الوحدة الصماء
وحشى الشفق
الصوت يرجع خائب النبضات
مشنوق الارق ..
والريح تحمل لى صدى خطوات
بين الافق !
وانا هناك على الطريق
تكاد تخنقنى القيود
اترى تعود ؟!
ما زلت وحدى انتظر
ومكاننا المحبوب يسألنى
والشوق شوق العمر
يحرقنى اليك ..
اشتاق ليل الذكريات ..
اشتاق ليل القرب والاحلام والذكرى
وفتنة ناظريك ؟!
اترى تعود ؟!
والعمر يسلو نسجه الاحلام
يدنو للغرق !
وانا على دربى وحيد
زائغ النظرات
مشنوق القلق !

فكرة فابتسامة ..

● تاليف : يحيى حقى ●
● اعداد : عادل عبد الصمد ●

● ان أصالة الكاتب والمفكر انما تكون بمدى اعتزازه بارضه ووطنه ومشاكل مجتمعه الذى يختلط به ويعيش فى ارجائه فلا ينعزل عنه ولا يضع نفسه داخل سور حديدى ويطل على الناس من اعلى وانما اصالة الكاتب تتفسح بمدى احتكاكه بالناس ومدى تعايشه مع مشاكل مجتمعه اليومية ، فيجعل من نفسه الحارس الامين على قضايا الناس ، فيصبح قلمه المصباح الذى يضيء الطريق للناس ويكون الهادى والمرشد الامين الذى ينير الطريق لمن يضل طريقه .

والاستاذ يحيى حقى من المفكرين الذين تنطبق عليهم تلك الاصالة ، فهو علم من أعلام الفن الروائى والاديب والمفكر الذى تقرأ له فتشعر باحاسيس وخصائص متداخلة ومتشابكة بالمصرية التى تمتلىء بها كتاباته العديدة المتنوعة من قصة ، وسيرة ، ورواية ، ومقال نقدى نذكر منها : قنديل ام هاشم ، ام العواجز ، صح النوم ، دماء وطين ، ياليل ياعين ، خليها على الله ، انشودة البساطة ، حقيبة فى يد مسافر ، عنتر وجولييت .

ونحن هنا بصدد مجموعة مقالات جمعها فى مؤلف واحد تحت عنوان « فكرة .. فابتسامة » وهى عبارة من تجارب ومواقف عديدة فى الحياة اراد بها أن تكون نبراسا يهتدى به لانها عالم من التجارب والغرائب لمفكر ينبض قلمه بكل ما يدور فى مجتمعه من مواقف ومشاكل فيتناولها بالدراسة والمناقشة والتحليل ليستخلص العبرة والعظة لكل من أراد ان يستفيد من تجارب الاخرين حتى يقف على الاراء السديدة لحل مشاكل الحياة مهتديا بالرأى الراجح المدروس .

وجاءت المقالة الاولى لوحة ترسم لنا امراة فقدت الرحمة والانسانية وملكتها الانانية المفرطة لتكون ذئبا يفترس آدمية الانسان .

فيصور بأسلوبه الساخر تلك المراة وهى تعامل مخدومتها الجديدة فتشعرها بأنها جاءت تلتمس رزقها بالذل والامتهان فجاء التصوير بارعا وواقعيا

« وكيل نيابة » يسال متهما .
عندما نصبت تلك السيدة من نفسها
وظلت تحاصرها بالاسئلةحتىشعرت الخادمة بالذلة والانتهاك لحرمة الامومة فشعرت بالضياع الذى جعلها تفكر فى موت ابنتها .

فهذه لوحة من الحياة نراها كل يوم ليظهرفيها صدق الكاتب ومدىواقعيته .. ثم نجده فى مقالة اخرى يتناول عادة سيئة من العادات التى تمتلك الناس ولا يستطيعون الخلاص منها فهى السيجارة الملعونة التى تصيب الناس باضرار جسام منها الاضرار المادية والاضرار الصحية ، ورغم ذلك يتفنن الناس فى تدخينها ولايستطيعون الخلاص منها، بل يصورلنا الكاتب مدىاستعباد تلك السيجارة للناس ، تنتهى عندها عزيمتهموقدرتهم على انفسهموالسيطرة عليها ..

وفى مقالة اخرى يتناول مشكلة لها حيويتها على الناس اجمعين وهى كيفية التعامل مع البائعين حيث ان التعامل مع هذه الطائفة محتاج لفن بارع ، فاستحدث الكاتب الوصايا العشر فى فن شراء الفاكهة .. وهى مسالة هينة فى جميع البلاد ، تصبح عندنا مشكلة عويصة تحتاج الى بصر وذكاء وصبر وخبرة كبيرة فى كافة وسائل الغش .

ثم تناول فن الصداقة ، وقد رسم لنا فى مقالته هذه الطريق السليم لنضمن وفاء الاصدقاء وحبهم ، وكيف نحافظ على الود والحب الذى قد يضيع بين الاصدقاء ، اذا لم يعلموا فن الصداقة ، فاعطانا فى مقالته هذه خبرته العظيمة فى عالم الاصدقاء ، وكيف تكون الصداقة وطيدة لانمعاملة الناس فن يحتاج لخبرة مدروسة لها احتكاكها الكثير وتجاربها العديدة .

وقد تناول الاستاذ يحيى حقى فى مقالة اخرى .. الاغنيةالمصرية وماانتابها من ضعف وركود ، يتعجبا من بعض الالفاظ التى دخلت على اللغة مثل كيفية تسلل لفظ « العزول » الى اغانينا !

والذى يؤكده الاستاذ يحيى حقى، ان شعر الجاهلية وصدر الاسلام وايام عز الدولة العربية قد خلا من هذه اللطخة ويرجح انها ترجع الى عهد انحطاط الشعر العربى ابان احتضار الدولة العباسية فكان الشاعر لا يخجل من ان يلطم الخدود ويشق الجيوب ويستغيث بطوب الارض لترثى له وتبكى معه على نكبته .

ويرى الاديب يحيى حقى ان كلمة « العزول » تختفى شيئا فشيئا من اغانينا والحمد لله ، ولكنها كالحشرات تترك وراءها « سبانا » يعشش فى الشقوق نعسى أن كلمته هذه تفعل ما تفعله « المبيدات » فى الحشرات

ومما جاء فى المقالات ايضا البخل واثره فى حياة الناس ضاربا الامثلة من واقع الحياة وما يتسبب عنه من امراض اجتماعية جسيمة

وقد جاء ايضا فى كتابه « فكرة .. فابتسامة » تاريخ من نوع جديد اراد ان يكتبه فى فترة معينة ، وقد حصر فيه النكبات التى احاطت بالانسان على مر العصور ، فذكر منها ان اول نكبة فى التاريخ انما هى ولادة الذكاء مقترنة بولادة الكذب فى مهد واحد .

اما النكبة الثانية جاءت بسبب افتراق الطب عن السحر حيث يرى الاستاذ يحيى حقى ان الطب كان سحرا له جلاله ، فاصبح هواية او لعبة ، ومن اللعب ما يسفر عن ضحايا يفوق عددهم ضحايا اشد المعارك هولا .

وكان الانسان من قبل يعالج كانهروح بلا جسد ، فلما افترق الطبعنالسحر اصبح يعالج كانما هو جسد بلا روح وهو فى نظر الاستاذ يحيى حقى هبوط من نصف الصدق الى نصف الكذب .

المدرسة الحديثة فى أدب الرسوم المتحركة

● مارى غضبان ●

●● مرت الرسوم المتحركة فى تطورها بعديد من المدارس والمراحل خاصة عندما تحولت هذه الرسوم الى الأعمال الفنية فى السينما والتليفزيون ..

كان التطور الاول على يد مدرسة الفنان والت ديزنى التى بدات نشاطها فى عام ١٩٢٧ ، وابتكرت شخصيات « ميكى » و « بلوتو » و « بطوط » و (سنو هوايت) وغيرها ، ثم تطور هذا الفن وانتشر فى انحاء اخرى من العالم مرتديا الوانا وافكارا مغايرة ، فظهرت المدارس الفرنسية والتشيكية والبلجيكية والمجرية والرومانية . وكان الاتجاه الأحدث هو ما تمثله المدرسة البلجيكية الحديثة التى اتجهت الى عالم الادب والكتابة السياسية لكى تستخدمها فى دنيا الرسوم المتحركة ..

● والكاريكاتير فن للجميع . يعشقه الطفل الصغير ويتابع الكبار الوانه .. والكاريكاتير محبوب لدى كل الشعوب تقريبا ..

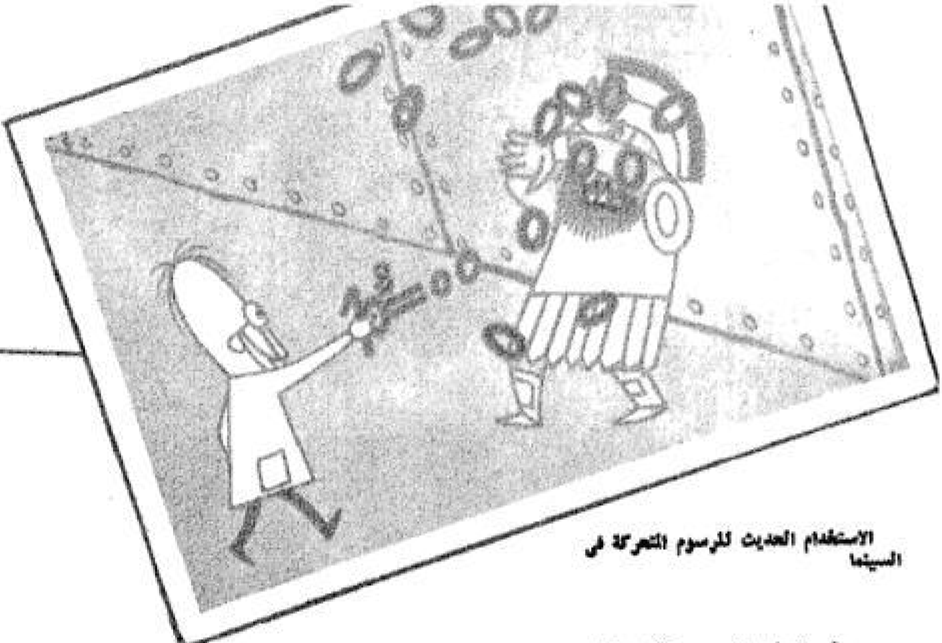
والفنون التى تعتمد على الرسوم المتحركة تختلف عن القراءة ، فانها لا تتطلب أى جهد من المتلقى أكثر من متابعة حركة هذه الرسوم .. فالقارىء يجد القيم والمثل التى يبحث عنها من خلال القراءة عن أبطال العالم الذى يهواه وهذا قد يتوفر بأسلوب أفضل فى عالم الرسوم المتحركة ..

وفى واقع اليوم يبدو انسان العصر محاطا بالمشاكل والهموم ولهذا فان القارىء يبحث عن الكاريكاتير من بداية بحثه عما يشغله فى الصحف والمجلات .

وكل الرسوم التى تقدم مضمونا معينا تعطى للمشاهد أو للقارىء قدرا من الراحة فى هذا الاطار الشكلى الذى تقدمه الرسوم المطبوعة ..

وانسان اليوم لديه التخيلات من الطموحات والرغبات ما يريد ان يجد له اطارا يبعث فيه قدرا من الاطمئنان ، وهذا ما يجده فى الاطار الذى توصله الرسوم المتحركة ورسوم الكاريكاتير ..

وفن الرسوم والرسوم المتحركة هو أسهل فنون الاتصال التى تحقق أكبر قدر من الاستجابة لدى المتلقى سواء القارىء أو المشاهد ..



الاستخدام الحديث للرسوم المتحركة في السينما

● السينما والرسوم المتحركة ●

كان من الضروري أن يكون للسينما تأثير على رسوم « الكاريكاتير » والرسوم المتحركة ، من خلال وحدة « الكادر » على الشاشة والاتفاق بين « الكاريكاتير » والسينما في القصة وضرورة وجود مضمون « للحدوتة » بجانب التوقيت أي تحديد الحدوتة بالوقت ..

وقد أضافت السينما عنصر الجمال الى رسوم « الكاريكاتير » التي تحولت الى رسوم متحركة اكسبتهاالسينما المضمون والتعبير والأسلوب الجمالي ..

وأضافت السينما الى فن «الكاريكاتير» والرسوم المتحركة ما يسمى بالتنسيق وتخطيط الشكل والزوايا والاضاءة والجو العام. ثم ترتب على هذا الاستخدام أسلوب الحيل السينمائية ، والحوار والموسيقى والمؤثرات الصوتية .

● ادب الرسوم المتحركة سينمائيا ●

كان لحكايات وأساطير « الكرتون » ورسوم «الكاريكاتير» أبطال ونجوم يعرفهم متابعو هذا الفن ، استطاعت السينما أن تضعهم في الاطار السينمائي والأمثلة عديدة منها شخصية « جيمس بوند » .

وقد وضح تأثير فن « الكاريكاتير » على أسلوب كبار المخرجين في السينما مثل بليك ادواردز ، وريتشارد ليستر، والممثل جيري لويس ، والمخرج الايطالي فدريكو فيليني الذى كان في الأصل رساما « للكاريكاتير » . وهناك الشخصيات التي خرجت للادب السينمائي من أدب الرسوم ومنها (سوبرمان) الذى مثل فيه النجم العالمي مارلون براندو مع عدد ضخم من نجوم السينما ، وهو مأخوذ عن كتاب الرسوم الذى صدر عام ١٩٣٣ رسوم وتأليف جيري سيجل وجو شاستر . والفيلم يحكي عن حلم امريكا بتحقيق خيال أوسع من خلال انتصار الخير على الشر .. وكذلك شخصية انسان الغابة « طرزان » الذى بدأ أيضا في مجلات رسوم الاطفال ، وأيضا شخصية المغامر « روبين هود » ، وحتى المجموعات الموسيقية مثل الخنافس « البيتلز » عرفهم العالم من خلال رسوم «الكاريكاتير» التي سبقت بالشهرة قبل أن يصل الى العالم صوتهم .

وتطور أدب الرسوم المتحركة ورسوم

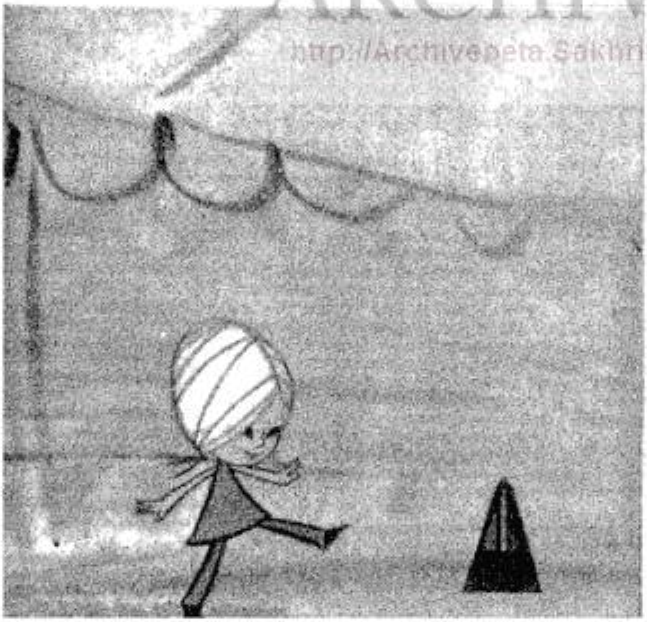
الكاريكاتير ليكتسب أبعادا جديدة بجانب مضمون المغامرات ومضمون التسلية ، فاكتسب مضامين جديدة فى تناول المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال اسلوب النقد المتعلق باسلوب الحياة والحكم والسياسة والادارة ، وكان أساتذة هذا اللون فى مدرسة الرسوم المتحركة فى بلجيكا ، وأشهر الاسماء التى قدمت هذا اللون جون رونالد توليكيان الذى نشر فى عام ١٩٣٧ كتاب « القزم بيلبو » ، بعدها فى عام ١٩٥٤ ظهرت الثلاثية التى أصدرها « أمير الحلقات » .. كان الكتاب الأول عن مجتمع الحلقات (الشكل الحديدى للدائرة) والكتاب الثانى (البرجان) والكتاب الثالث (عودة الملك) .

وقد أطلق النقاد على هذا النوع من الرسوم والكتابات « أدب الفانتازيا » بما يحوى من خيالات ورومانسيات وأشياء أخرى مسلية .

وعندما ظهرت هذه الكتب اشتهوت المخرج رالف باكش وهو مخرج بلجيكى شاب تأثر بها قبل ان يشترى والت ديزنى حقوق تقديم هذه الأعمال فى السينما . لكنه لم يقدمها بسبب التعقيدات الموجودة فى مضمونها ، حتى عندما اسند اخراجها الى المخرج ستانلى كوبريك .. وكذلك المخرج جون بورما حتى بدا المخرج رالف باكش يأخذ طريقه الى عالم الشهرة من خلال فيلم (المرور الثقيل)وهو من اللون الكوميدى الساخر ، فاشترى من والت ديزنى حق تقديم هذه الكتب فى السينما .. لكن الجديد الذى قدمه فى الفيلم الذى يعرض حاليا فى أوروبا ويعتبر ثورة فى «تكنيك» الرسوم المتحركة فى السينما ،هو أنه يصور الفيلم بالممثلين ، ثم يستبدل بهم الرسوم التى يضعها على « السوليفان » على « نيجاتيف » الفيلم — (الفيلم الخام)

وهذا الأسلوب يوفر الرسوم العديدة التى تتطلبها كل حركة ، مما يجعل هذا الاسلوب اقتصاديا فى التكلفة والوقت.

والمدرسة البلجيكية ليست وحدها فى عالم ادب الرسوم المتحركة فهناك أكثر من مدرسة أخرى حديثة واهمها مدرسة بوخارست التى يتزعمها



نموذج من افلام الرسوم المتحركة



لقطة من فيلم مجرى

(رسوم متحركة)



مخرج الرسوم المتحركة بويسكو جوبو

يان بويسكو جوبو ، وهو فى الأصل رسام « كاريكاتير » تحول الى الرسوم المتحركة المتميزة بالقصر والايجاز والتى تتضمن نقدا ساخرا لاذعا ..

وهناك المدرسة المجرية التى يشتهر بها فنانو بودابست وفي بلغاريا هناك مدرسة يتودور دينوف وهو ايضا رسام « كاريكاتير » والمدرسة البلغارية متقدمة جدا في فن الرسوم المتحركة . وتعادل مدرسة صوفيا مدرسة بروكسل فى الشهرة والتفوق والنقد الساخن .

كما ظهر فى الاتحاد السوفييتي ايفان فانو . واكتسبت المدرسة المجرية بعض الاسماء الكبيرة مثل بيتر سوبوسلاى وهى مدرسة تستفيد من العرائس والحيل السينمائية والرسوم المتحركة، ومن أبرز فنانيها يارى يترنكا وكاريل زيماك الذى نوع فى استخدام الرسوم مع مشاهد السينما العادية مع أساليب الحيل والخدع السينمائية .

●● وهكذا يبدو لنا أن التشابه بين حدود الرسوم المتحركة ورسوم « الكاريكاتير » كونهما مصدرا من مصادر التأثير على الناس من خلال الصورة المطبوعة فى الصحافة والصورة المتحركة فى السينما ، فان الفارق بينهما لم يعد موجودا اليوم بنفس الوضوح فان الرسوم المتحركة فى السينما والتليفزيون ما هى الا رسوم منشورة ولكن من خلال « تكنيك » مختلف .



قصـــة..

المدينة التي تخلع الثياب !!

• محمد كمال محمد •

● كان الطنين البشري في حجرات الشـــقة الواســـعة يئز في داخلي ... وكانت ضربات الدفوف تلاحق كلماتها على رأسي وصيحات الغناء تنفجر من الحناجر الخشنة ، متدافعة من بطن الارض ومن السقف الخشبي ومن جوف الجدران .. تطوقني وتلتف بي ، فاتدور معها حول نفسي ، حتى أحسستني سأسقط منها.

انسللت خارجا ، ووقفت على درجة السـلم الخشبي المرتفع وسط صبية يتقاوون داخل عالمهم ...

أحست زوجتي بجانبي ، لتسند ذراعي وتقول بصوت متخفض :

ـ البنت سعيدة بعريسها !

اخفضت رأسي وحدقت في الالواح الخشبية المشـــققة ...

ـ وأختهـــا ... هل تراها ! .. انها تقف بجوارها فرحانة !

تمتمت في أسى :

ـ صغيرة لا تعرف بعد ...

وكزت بكوعها كتفي :

ـ تنكر في الآخر ؟ لماذا تعذب نفسك !؟

بصوت خفيض قلت :

ـ كان الفضل لها لا لي المظاهر ...

تنهدت زوجتي وغمغمت : ـ مقسوم !

بعد لحظة عادت تقول :

ـ لم أكن مطمئنة لدخولها الجامعة هنا ... المدينة بحالها الجديد تدير رءوس البنات .

صمت آسيا ...

حاولت زوجتي أن تغرق صمتي لتهون علي بكلماتها . لكنني ظللت مستغرقا في الصمت ، أسقط نظراتي في فراغ السلم المعتم ...

« الأمس ونحن قادمون على طريق المدينـــة الصغيرة مع ابنتنا قالت زوجتي :

ـ كيف وافقتهم أن تجيء الى بلدهم ؟. كان الأليق ألا تقيم عندنا نحن حفل الزفاف ! »

لم أرد عليها : فعادت كلماتها ...

تنهدت ، كلمتها انتهت بالقاعدة القـــائلة ان الاقل عددا أخف حركة ، وفوق ذلك نحن لا نقدر على استضافة أسرة كبيرة العدد ..

كان الطريق الواسع المزدوج خاليا أمامنا ... وكانت ريح الصحراء تسفي الرمال على جانبيه لتنبه في شبابي أسلوب بصيبتي بالكآبة .. »

اندست يد في مودة تحت ابطي .. دعاني الرجل المبتسم سعيدا لاسير مع العروسين ، ولده وابنتي ..

مشيت في جواره وسط صفوف النسـاء .. كان بعضهن يرقص القاعد بالأرض الناعمة لينقلنها من فوق رءوس الاخريات ..

صعدت كالمخدر الى المنصة المزينة بالورود ، ارتطم رأسي باللمبة الكهربائيـــة المتوهجـــة واعطيت وجهي لآلة التصوير ...

« ـ شـــاركت في الجريمة ... لماذا تهون الاشياء الطيبة ؟ »

« ـ قلبي القلب من أجل ابنتي .. سأظل حزينا من أجلك »

انسلت يد العروس لتحتضن ذراعي وتلتصق بي مبتسمة ...

ومضت آلة التصوير في وجهينا . « سأبتسم من أجلها .. لكن سوف تبدو العيون حزينة »

وسط اللمة على سلم البيت الذي يئن تحت

ثقل الاجسام ـ كنت فالها كانني في غابة هائجة مجهولة المسالك ..

خرج احدهم من باب احدى الشقق يلتقط للعروسين صورة ، مباركا بابتسامة ..

« ـ وقفت بيننا الأشياء .. ولم تستطع هي ان تتجاوزها ... هل كنت اخاطبها بلغة عالم لا تعرفها ؟ »

في الشارع العريض تحلق المفتون امام البيت حول العروسين صائحين بفتوة الزفاف ..

« ـ تخدع نفسها .. تتجلب الى الاخر .. المدينة « الحرة » الآن لها بريق الذهب ! »

تدافعت شظايا اللعب النارية في الفضاء .. لسعت احداها عنقي فانتفضت في ألم ...

ابتسم لي احدهم وقادني الى سيارته التي تقف وسط السيارات المتلئة بالناس والاطفال ـ

جلست وحدي في المقعد الخلفي ...

انطلقت السيارات في الطريق تتصايح ابواقها المتغنية خلف سيارة العروسين .. انتبهت على صوت العجوز يتحسس رباط عنقه الثمين ، وهو يقود السيارة :

ـ لذة شهر وعذاب دهر !

ابتسم متنهدا ...

املا خياشيمي بعطره الباريسي السائل الرائحة ..

فجأة توقف الرجل وسأل في حيرة : ـ

ـ اين ذهبوا !! .. السيارات كلها اختفت!

التفت الي ينظر في وجهي كأنما يقيس صمتي .. حول وجهه الى الطريق مهمهما :

ـ يجب أن نعثر عليهم ، حتى لا يغضبوا !

دار بي الرجل في شوارع المدينة التي بدات تخلو من الناس ...

منذ الصباح كانت تمر بينات الحامعة المثريات ، يتدفقن من الضفة المقابلة .. العيون تتحسس في جوع واغتراب الثياب الفاخرة خلف واجهات الدكاكين المتجاورة ...

والصديق القديم الذي استقبالني امس للغداء ، لم يعد يأكل غير لحم العلب المفروم والمربى .. والزبد الاجنبي ، وقدر المدمس في ركن البيت يكسوه الصدأ : بعد ان خلا مكانه في الدكان الصغير لانواع الشكولاتة واللبان الامريكي وحقائب النساء الايطالية ..

اسرع الرجل وابطأ .. همهم لنفسه ، وسألني : ما الراي ؟

ـ هل خرجوا من المدينة ، ام غطسوا في بطن الأرض ؟!

مال بجذعه الى الامام فوق عجلة القيادة ، محدقا بعينيه الجاحظتين من خلف الزجاج ، وتلفت يمينا ويسارا تجوس عيناه في كل اتجاه ..

ارخيت بيني وبين الرجل ستارا من اللا احساس بوجوده ...

غصت في مقعدي .. سقطت في عالمي ... القيت براسي الى الوراء . اغمضت عيني باحزاني ..



قصيدتان

• الـرحـلـة •

• أغنية صغيرة إلى طفلتي •

• حسين علي محمد •



• الرحلة •

حينما رحلت في عيونك ـ البحيره •
راكبا بساط الموجة المنطفئه • • •
ماسكا زمام الماء والاعشاب والطحالب الملونه
كانت عناكب الخريف في انتظاري
تراقب انكسار الضوء في مدامع النهار
ومركبي في الوحل يا صديق
اخاف من عوائق الطريق
اخاف من غدي المجهول
الخوف في خطاي
والخوف فيك يا سهول !

• اغنية صغيرة الى طفلتي •

ـ ١ ـ

ابتسمي يا فاتن ، يا زهرة أيامي القاحلة العجفاء
جئت صباحا ..
فابتسمت كل شموس الدنيا في وجهك
وارتلعت في خيلاء • • •
فوق الاشجار الطارحة ثمار الحب
غني يا فاتن لحن القلب العاشق منذ زمان

ـ ٢ ـ

ما احلى تغريد البلبل في عينيك
ما احلى بسمة حب وحنان
تترقرق في شفتيك
ان شئت قطفت نجوم الدنيا
لاصوغ العقد لأحلى جيد
واغني في احلى عيد ..
للأيام القادمة ، من القلب
بعد سنين القهر واحقاب الصبر •

حاسب نفسك!

● وحساب النفس معناه وزن الأمور أولا ، وتقديرها ، والنظر فيها وتدبرها ، ثم الاقدام عليها ومباشرتها ..

في القرآن الكريم يقول الله جلت قدرته . (ان الله كان عليكم رقيبا) قال أبو عثمان : قال لى أبو حفص : اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك ، فانهم يراقبون ظاهرك ، والله رقيب على باطنك

● وحكى انه كان لبعض المشايخ مريد شاب ، وكان يكرمه ويقدمه ، فقال له بعض أصحابه : كيف تكرم هذا وتقدمه وهو شاب ونحن شيوخ ! .. فدعا بعدة طيور ، وناول كل واحد منهم طائرا وسكينا ، وقال : ليذبح كل واحد منكم طائره فى موضع لا يراه فيه أحد .. ودفع الى الشاب مثل ذلك ، وقال له كما قال لهم ..

فرجع كل واحد بطائره مذبوحا ، ورجع الشاب والطائر حى فى يده .. فقال له الشيخ : ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟

فقال : لم أجد موضعا لا يرانى فيه أحد .. اذ الله مطلع على فى كل مكان! فاستحسنوا منه هذه الفطنة وحسن مراقبة النفس .. وقالوا للشيخ : حق لك ان تكرم هذا الشاب الصالح والأمين .

● وعلى العكس من ذلك ما روى عن شاب ماجن راود حرة عن نفسها ، فقالت له : الا تستحى ! فقال : ممن استحى وما يرانا الا الكواكب ! فقالت : فأين مكوكبها ؟!

● وقال رجل للجنيد : بم أستعين على غض البصر ؟ فقال : بعلمك أن نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور اليه ..

● وسئل ذو النون : بم ينال العبد الجنة ؟ فقال بخمس : استقامة ليس فيها روغان .. واجتهاد ليس معه سهو .. ومراقبة الله تعالى فى السر والعلانية .. وانتظار الموت بالتأهب له .. ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب !

وقد قيل :

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل : على رقيب ..
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا ان ما تخفيه عنه يغيب
الم تر أن اليوم اسرع ذاهبا ... وان غدا للناظرين قريب !

● وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مكة ، فاسترحنا فى بعض الطريق ، فانحدر عليه راع من الجبل ، فقال له : يا راعى .. بعنى شاة من هذه الغنم!

فقال : انى مملوك ..

فقال : قل لسيدك أكلها الذئب !

قال الراعى : فأين الله ؟

فبكى عمر رضى الله عنه ، ثم غدا الى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال: أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك فى الآخرة ..

● درية عبد الله ●

لكل شهر عربي قصة

● جمادى ، شهران : جمادى الأولى وجمادى الآخرة • وكانت الاولى تسمى « الحنين » بفتح الحاء أو ضمها ، وكانت الآخرة تسمى « ورنه » بفتح الواو وتسكين الراء ••

ولما وضع العرب أسماء الشهور الحالية ، وافق الوضع شدة البرد ، ولذلك إشتق الاسم من طبيعة زمن وضعه ، يقال جمد الماء اذا صار ثلجا وجمادى معناها البرد الشديد •

قال الشاعر :

وليلـة من جمــادى ذات اندية
لا يبصر المرء في ظلماتهـا الطنبـا
لا ينبح الكلب فيهـا غير واحـدة
حتى يلف على خرطومه الذنبـا

(الطنب : حبل لشد الخيام)

وأسماء الشهور كلها مذكرة الا « الجماديين » فهما مؤنثتان ، تقول مضت جمادى ، وجمع جمادى هو « جماديات »

ويقال جمادى الأولى وجمادى الآخرة بمعنى المتأخرة ، ولا يقال الأخـرى لأن الأخرى بمعنى الواحدة فتتناول المتقدمة والمتأخرة ، ومن ثم يحصـل اللبس ، ولذلك يقال الآخرة لتختص بالمتأخرة •

وكان جمادى الأولى يسمى احيانا « جمادى خمسة » أى الشهر الخامس كما سمى جمادى الآخرة « جمادى ستة » أى الشهر السادس أو تمامه ، قال لبيد :

حتى اذا سلخا جمادى ستة
جزء فطال صيامه وصيامها

ويزعمون أن المولود فى احدى الجماديين يكون جامدا أى هادىء الاعصاب •

اهم احداث الجماديين

ولعل أهم الأحداث فى هذين الشهرين هو وضع عمر بن الخطاب للتقـويم الهجرى فى يوم الأربعاء الموافق ٢٠ من جمادى الآخرة فى السنة السابعة عشرة للهجرة ، وذلك بسبب ما حدث من بلبلة فى تاريخ المكاتبات والصكوك وغيرها •

وأهم غزوات جمادى الأولى هى غزوة سنوان ثم العشيرة فى السنة الثـانية للهجرة وقد قادهما النبى صلى الله عليه وسلم ولم يحدث فيهما قتال ، ثم غزوة بحران فى السنة الثالثة للهجرة بقيادة النبى الكريم ولم يحدث فيها قتال كذلك، وفى السنة الرابعة كانت غزوة ذات الرقاع وقادها النبى أيضـا ولكن الاعداء تفرقوا دون قتال وتركوا غنائم وافرة للمسلمين وفى السنة السـادسة جرت بضع غزوات وسرايا انتهت بنصر المسـلمين على المشركين ثم وقعت سرية مؤتة (والبعض يسميها غزوة) وكانت فى السنة الثامنة للهجرة وكانت لتأديب بنى غسان والروم جنوبى الشام وفيها قتل زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ثم عبد الله بن رواحة ، وتولى القيادة خالد بن الوليد الذى استطاع بخطة بارعة

شهرا جمادى

● مصطفى الشهابى ●

وتحركات موفقة أن ينقذ جيش المسلمين من براثن عدوهم وكان نحو مائتى الف مقاتل بينما المسلمون نحو ثلاثة آلاف . وعاد خالد الى المدينة وقبل وصوله بايام اخبر النبى الكريم من اجتمعوا اليه بالمسجد بما حدث ونوه بدور خالد ودعاه « سيف الله » .

ثم كانت سرية ذات السلاسل فى نفس العام وقد قادها عمرو بن العاص وانتهت بهزيمة الاعداء وتشتتهم .

وجدير بالذكر أن هناك خلافا بين المؤرخين في تحديد الأشهر التى وقعت فيها بعض هذه الغزوات فبعض أصحاب السير اوردها فى جمادى الأولى والبعض الآخر أوردها فى جمادى الآخرة .

وأشهر من ولدوا فى الجماديين على بن أبى طالب وزوجته فاطمة ، وكذلك جعفر الصادق ، وأسامة بن منقذ ، والطرطوشى ، وعز الدين بن الأثير .

اما الوفيات فاهمها مصرع عبد الله بن الزبير بعد قتال مرير مع الحجاج بمكة عام ٧٣ هـ . ومن العلماء والأدباء والشعراء والعظماء : هارون الرشيد ، وابو العتاهية ، وبديع الزمان الهمدانى ، ثم الغزالى ، والقلقشندى صاحب صبح الأعشى ، والسيوطى .

ومن أعلام القرن الهجرى الماضى توفى عبد الله النديم ، ومحمد عبده ، وشوقى ، ومحمد رشيد رضا ، ومحمد فريد وجدى .

وفى جمادى الأولى سنة ٣٥٩ كان الشروع فى بناء الجامع الأزهر الذى رفع راية الاسلام وصان اللغة العربية أكثر من ألف عام .

وفى جمادى الآخرة عام ٥٤٨ وصل رأس سيدنا الحسين بن على ـ سيد شباب أهل الجنة ـ القاهرة ، فتوج تلك الجماعة الكريمة من آل بيت الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ المدفونين بالقاهرة .

وفى جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ أعدم الايطاليون المجاهد الخالد الذكر عمر المختار الذى كافح طويلا فى سبيل تحرير ليبيا من الاستعمار الايطالى .

وفى الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩ ارتكبت اسرائيل أكبر حماقة ضد المسلمين والعرب وذلك باحراق المسجد الأقصى ، مما زاد من التمسك بعودة القدس الى حظيرتها الأولى ، تحت الراية العربية الاسلامية .

وكان مسك ختام أحداث جمادى الآخرة هو رفع الرئيس أنور السادات علم مصر على مدينة العريش فى ٢٨ من جمادى الآخرة عام ١٣٩٩ (٢٦ من مايو سنة ١٩٧٩) فعادت تلك المدينة الباسلة الى أحضان الوطن الأم بعد غربة نحو اثنى عشر عاما !!

ولا يفوتنا أن ننوه بصدور الوقائع المصرية أقدم مجلة عربية مصرية فى ٢٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٤٤ (٣من ديسمبر سنة ١٨٢٨) كما يجب أن نذكر أن جمعية الشبان المسلمين قد انشئت فى آخر جمادى الآخرة عام ١٣٤٦ . وعلى الرغم مما قوبلت به من مضايقات وعراقيل ، الا أنها استطاعت أن تثبت أقدامها وان تشق طريقها وتكثر فروعها فى مختلف أرجاء مصر بل وامتدت دعوتها الى العديد من الدول العربية . ●●

كاريكاتير

جيل جديد جدًا !

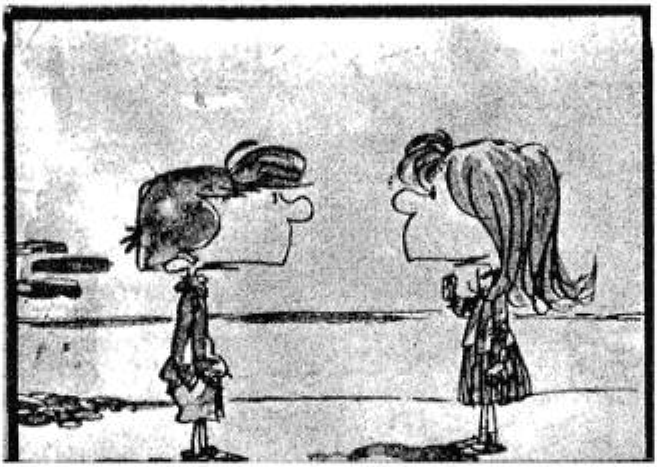


الولد لابيه : لا ابدا ، انا مش زعلان .. انا مكشر كده بس ، احسن حد من اصحابي يشوفني ويفتكر اني مبسوط علشان رايح المدرسة !



البنت : بقى لنا اكتر من سنة مخطوبين في السر ، مش ح تيجي بقى تكلم بابا !

الولد : الحقيقة انا موقفي حرج جدا ... عندي بابا مغلبني ، اجيب لنفسي كمان بابا تاني !



الولد لابيه : انا اتعرفت امبارح على بنت عجبتني ، وقررت اخطبها واتجوزها . شد حيلك بقى ويالا رتب لنا اللازم والذي منه !



الولد لابيه : انا مش فاهم ليه نص البنى ادمين فى الدنيا دى ستات .. دى واحده بس عندنا مقلبه الدنيا كلها !



الولد لأبيه : قلبوا دماغى فى امتحان الحساب بمسائل عن الحنفيات وتركيبها وتكاليفها ، الخ .. الخ ! .. مش كانوا يشوفوا لهم واحد سباك كويس ويريحوا دماغهم ويريحونى !



الولد لأخته : انا مش موافق على خطيبك ده ! .. ومش عاجبنى ! عمره ما عزمنى على حاجة ، ولا قدم لى حاجة ، الخ..الخ!!

روح عن نفسك

اولا : لغز بالشعر :

يميت ويحيي وهوميت بنفسه
ويمشي بلا رجل الى كل جانب ..
يرى فى حضيض الارض طورا وتارة
تراه تسامى فوق طود السحائب !

ثانيا : كم مربعا فى الشكل التالى ؟

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ـ اذا استغرق سلق بيضة واحدة اربع دقائق ، فكم من الوقت يستغرق سلق خمس بيضات ؟

٢ ـ اشترى فلاح نعجة وخروفا صغيرا بمبلغ ٨٥ جنيها ، وكان ثمن النعجة اكبر من ثمن الخروف بمبلغ ١٥ جنيها ، فكم ثمن الخروف ؟

٣ ـ عند احد هواة تربية الحيوانات الاليفة مجموعة منها ، وكلها كلاب ماعدا اثنين ، وكلها قطط ما عدا اثنين ، وكلها ارانب ما عدا اثنين ، فكم عدد القطط والكلاب والارانب ؟.

٤ ـ ما الكلمة المكونة من سبعة أحرف والتى اذا حذفت أولها صارت ثمانية ؟

٥ ـ اذا كنت آخر رجل على ظهر الارض وسمعت صوتا يناديك ، فصوت من يكون ؟

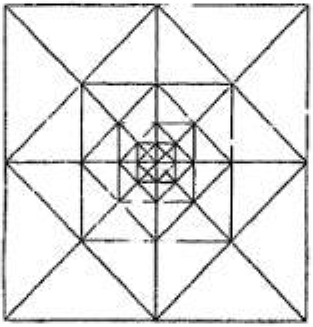
٦ ـ لى ثلاثة اطفال ولكل منهم اخت ، فكم عدد ابنائى ؟

٧ ـ لقيت سيدتان شابين ، فقالتا : « مرحبا بابنينا وزوجينا وابنى زوجينا » . فكيف صح ذلك ؟

٨ ـ سقط طفل فوق القضبان الحديدية وعلى مسافة متر واحد من القطار الذى كان يسير بسرعة ، ولكنه لم يصب بسوء .. فلماذا ؟

٩ ـ عمرى الآن ضعف عمر ابنى ، ومنذ ثلاثين عاما كان عمرى ثلاثين عاما ، فما عمرى الآن ؟

١٠ ـ ما قرابة طفل لوالده الحقيقى ، حين لا يكون ابنه ؟



رابعا : اختبر معلوماتك ...

ما هو :

١ ــ كتاب الموتى ؟
٢ ــ الكاياك ؟
٣ ــ اللون الاكثر ظهورا امامنا ؟
٤ ــ طير لا يستطيع الطيران ؟
٥ ــ الفحم الابيض ؟
٦ ــ الباستيل ؟
٧ ــ اقدم آثار العالم القديم ؟
٨ ــ الاولمبياد ؟
٩ ــ السمك الفضي ؟
١٠ ــ الاعلان المعاكس ؟

الإجابات

الاجابات

اولا : لغز بالشعر : الماء .
ثانيا : كم مربعا ؟ : اربعون .
ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ــ اربع دقائق ايضا .
٢ ــ ٢٥ جنيها .
٣ ــ كلب واحد وقط واحد وارنب واحد .
٤ ــ ثمانية .
٥ ــ صوت امراة .
٦ ــ اربعة .
٧ ــ كان الشابان ابنى المراتين فتزوجت كل واحدة منهما بابن صاحبتها ، فكان الشابان ابنيهما وزوجيهما وابنى زوجيهما .
٨ ــ سقط الطفل خلف القطار بعد مروره .
٩ ــ ستون عاما .
١٠ ــ ابنته .

رابعا : اختبر معلوماتك :

١ ــ لفائف بردية كانت تدفن مع الاموات لترشدهم الى العالم الآخر .
٢ ــ قارب الصيد المصنوع من جلد عجل البحر او الحوت والمستعمل فى المناطق القطبية .
٣ ــ اللون الازرق فهو لون السماء التى تحيط بنا .
٤ ــ النعام او البطريق .
٥ ــ القوة المستمدة من المياه الساقطة من عل .
٦ ــ سجن سياسى هدم اثناء الثورة الفرنسية .
٧ ــ اهرام الجيزة .
٨ ــ مدة السنوات الاربع التى تقع بين كل دورتين .
٩ ــ نوع من الحشرات يوجد بين الكتب .
١٠ ــ الاعلان الذى يثير القارىء ولا يدله على الشىء المعلن عنه ويدفعه الى ترقب اعلان آخر .

زهرات من



● ادب ●

التقى الاصمعى بابن المقفع فقال له : من ادبك كل هذا الادب ؟

فقال ابن المقفع : نفسى !

فضحك الاصمعى وقال له : يا ابن المقفع ايؤدب الانسان نفسه بغير مؤدب؟!

فقال ابن المقفع : وكيف لا ؟. كنت اذا رايت فى غيرى حسنا اتيته ، وان رايت قبيحا ابيته .. وبهذا وحده تادبت نفسى !

● اكره ان اقول ! ●

دخل محمد بن كعب القرظى على سليمان بن عبد الملك بثياب رثة ، فقال له : يا ابا كعب ما الذى حملك على الظهور امامنا بهذه الثياب الرثة ؟

فاجاب ابو كعب : يا امير المؤمنين والله ما حملنى على هذا الا امران :

الاول : انى اكره أن اقول انه الزهد فاطرى نفسى !

والآخر: ان اقول الفقر فاشكو ربى!

● جعلت فداك ! ●

غضبت عائشة بنت طلحة على زوجها مصعب بن الزبير يوما ، فاشتد ذلك عليه ، وشكا امره الى خاصته ، فقال له اشعب : ماهى جائزتى عندك ان هى رضيت عليك ؟

قال مصعب : اعطيك عشرة آلاف درهم ! فاتى اشعب الى عائشة ، وقال : « تفضلى بكلام الامير ، فقد استشفع بى عندك ، واجزل لى العطية ان انت كلمته » !

قالت : « لا سبيل الى ذلك يااشعب ـ اذهب من حيث اتيت » !

فقال ! « جعلت فداك كلميه حتى اقبض عشرة آلاف درهم ، ثم ارجعى الى ما عودك الله من سوء الخلق » !.

فضحكت عائشة وقامت من توها وصالحته ..

● الهذر ●

تكلم رجل عند معاوية فهذر ، فلما اطال قال : اأسكت .. ياامير المؤمنين؟

فاجاب معاوية بقوله : وهل تكلمت؟!

● عظنى ●

قال رجل لآخر : عظنى ..

فاجاب بقوله : لا مال اوفر من العقل ولا فقر اعظم من الجهل ،ولا ظهر اقوى من المشورة !

● نسيج الاضراس ●

قال اعرابى لرجل رآه سمينا : ارى عليك قطيفةمن نسيج اضراسك!

● لا تقل الا خيرا ●

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت » .

● محسن فهمى ●

تذكرة طبية

غذاؤك في الشتاء

● د. السيد الجميلي ●

● غذاؤك في الشتاء ●

يحتاج الجسم في فصل الشتاء الى أغذية معوضة لقاء الحرارة المفقودة منه ، اذ ان درجة حرارة الجو في الشتاء اقل من درجة حرارة الجسم ، ولذلك فان الجسم يفقد حرارته باستمرار ، وهو لذلك - بديهيا وعمليا - محتاج لأن يعوض هذه الحرارة المفقودة ..

من ثم يحتاج الشخص البالغ ٢٥٠٠ سعر حراري كل ٢٤ ساعة في الشتاء ، ولابد ان يكون غذاؤه لائقا لأن يدفع اليه هذه الكمية الهائلة فليكن مثلا : الزبد والالبان ومنتجاتها مطبوخة ، ثم اللحوم الدسمة ، والعسل الأسود وعسل النحل والحلاوة الطحينية والارز والمكرونة .

اما الخضروات فتشمل الخضروات الدرنية : البطاطا والبطاطس والبسلة واللوبيا والفاصوليا وفول الصويا .

الفواكه : كالموز والجوز وغيرهما .

ولا ننصح في الشتاء بشرب الماء البارد ، انما يفضل شرب الحساء السميك الدافىء ، والمشروبات الدافئة الحارة كالقرفة ، اذ لها اهمية قصوى في توليد الطاقة ، فضلا عن تبعثها في تنبيه اعصاب الشم والتذوق ، كما انها تنبه افراز اللعاب وتنشيط عملية الهضم .

وافضل ما يشرب ويؤكل في الافطار شتاء كوب من اللبن الحليب او طبق من مطبوخ اللبن مضافا اليه - ان امكن - قليل من الزبيب او الفواكه المجففة ، مع الجبن والخبز .

اما وجبة الغداء فمن الاحسن ان تحتوي على اللحوم والارز والخضر ولاسيما الدرنية والسلاطة الخضراء والفواكه الطازجة .

وفي المساء يفضل تناول كمية من عسل النحل او العسل الاسود وماتيسر من المربى او بليلة القمح او الجبن الجاف مع الخبز الاسمر وما يطيب من الفاكهة .

عضة برد

نتيجة الخروج الى جو بارد ورطب فجاة من مكان دافىء او مواجهة التيارات الهوائية ، فان مقاومة الجسم تضعف لحظيا ، ومثل ذلك وعلى شاكلته التواجد في دور السينما او الاوتوبيسات او الاماكن المزدحمة الاهلة بالناس ، مما يساعد على انتشار الفيروس الخاص بالجهاز التنفسي من شخص لآخر فيحدث التهابا حادا بالغشاء المخاطي للانف والأذن والحنجرة والقصبة الهوائية ، ثم تتطور الحال سريعا الى رشح بالانف وزكام واوجاع بالعظام وآلام بالعضلات ، وهبوط شديد وخمول شامل لكافة أعضاء الجسم ومختلف نواحي البدن .

بعد قرابة الثلاثة ايام تظهر مضاعفات أخرى مثل التهابات الجيوب الانفية الحادة مما يشعر معه المريض بآلام في عظام الجبهة من الامام « مقابل الجيب الانفي الجبهي » ، ثم يتوقع في هذه الاثناء حدوث التهاب دثوي او التهاب شعبي ، وقد تنتهي الحال بالصمم واوجاع الاذن الشديدة مع ارتفاع في درجة الحرارة .

● سلامة قلبك ●

اذا افادك طبيب القلب باصابة عضوية في قلبك - لاقدر الله - فلا تنزعج ولا ترهق اعصابك من الوهم ، فالاعمار بيد الله ، لكن يجب الاحتراس من ثلاثة عوارض :

١ - حدوث أية التهابات باللوزتين أو الجهاز التنفسي .

٢ - الانيميا الشديدة وفقر الدم .

٣ - الامساك الحاد .

من ثم يجب المسارعة بحسم هذه العوارض اذا ماحدثت لايقاف ضراوتها وتامين القلب السقيم من اخطارها لانها تقوض بنيته وتهدد بقاءه .

● **وليكن معروفا لمرضى القلب ان العلاج سهل ميسور واهم اسسه الانتظام والاعتدال وعدم الاسراف.**

نتيجة مسابقة
عدد ديسمبر ١٩٧٩



● هذه هي نتيجة المسابقة الثالثة اقرأ الهلال واكسب جائزة - عدد ديسمبر ١٩٧٩ .

ومسابقات « الهلال » في الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا ، اذا شاء الحظ وكان من الفائزين ..

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقرأها ، ويبدي رأيه فيها . وهذه هي الغاية التي نرمي اليها من وراء هذه المسابقات اما الكسب المادي فرمزي فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم في المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة ، واجريت القرعة بينها ..

وفيما يلي اسماء الفائزين في مسابقة شهر ديسمبر ١٩٧٩ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا في مسابقات اعدادنا القادمة ..

الجوائز واسماء الفائزين

الجائزة الاولى ، وقدرها خمسة جنيهات : نجية خليل مصطفى ـ مكتب التامينات الاجتماعية ـ بمدينة : العريش .

الجائزة الثانية ، وقدرها ثلاثة جنيهات : مجدي ابراهيم زغلول ١٢ شارع ابي بكر الصديق ـ طنطا ـ محافظة الغربية .

الجائزة الثالثة ، وقدرها جنيهان : احمد عبد الرسول بخيت ٩ شارع الضياء ـ الساحل ـ القاهرة .

الجائزة الرابعة وقيمتها اشتراك لمدة سنة في مجلة « الهلال » : السيد موسى النفزاوي ـ تونس الجمهورية التونسية .

الجائزة الخامسة وقيمتها اشتراك لمدة سنة في مجلة « الهلال » : بقال الادريسي حسن محطة موبيل ـ سيدي حجاج ـ المغرب

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر يناير ١٩٨٠

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟.

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز .

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا .

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان .

والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال » .

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد ابريل ١٩٨٠ .

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من مارس ١٩٨٠ .

• الاسئلة •

س ١ — من قال : « امطـرى حيث شئت فسوف يأتينى خراجك » .
ج ١ — ... ...(مقال ... ...)
س ٢ — ما اعظم متاحف الدنيا على الاطلاق ؟
ج ٢ — ... ...(مقال ... ...)
س ٣ — ما هو المحور الصميمى الثانى من محاور العمل المسرحى ؟
ج ٣ — ... ...(مقال ... ...)
س ٤ — كم مخطوطا عربيا أحرقت فى اسبانيا عام ١٥٩٩ م ؟
ج ٤ — ... ...(مقال ... ...)
س ٥ — من مؤلف كتـــاب عيـون الاخبار ؟
ج ٥ — ... ...(مقال ... ...)
س ٦ — من أصحاب الفضـــــل فى تعريفنا بالشاعر « محمود الوراق »؟
ج ٦ — ... ...(مقال ... ...)
س ٧ — ما عنوان القصيدة التى نظمها البارودى عن السيرة النبوية الشريفة ؟
ج ٧ — ... ...(مقال ... ...)
س ٨ — أى الاديان اقدر على مواجهة الالحاد والمادية ؟
ج ٨ — ... ...(مقال ... ...)
س ٩ — من من الادباء المعروفين يرى أن الادب يجب ان يتوافق مع العصر ؟
ج ٩ — ... ...(مقال ... ...)
س ١٠ — ماذا قال ارسطو عن غاية الفن ؟
ج ١٠ — ... ...(مقال ... ...)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عـدد فـبرايـر ١٩٨٠

الاسم: ــــــــــــــ السن: ــــــــ

العنوان: ــــــــــــــــــــــــ
ــــــــــــــــــــــــ

الجمال والأمومة

للشاعر البرتغالى : الميداجاريت
ترجمة : احمد مصطفى حافظ

عن الحبِّ يصدُرُ سحرُ البهاءْ
كما يصدرُ الضوء عن نارهِ ..
فان شئت أن تكتسى بالسناء
فَذُوقى الغرامَ ... بأسرارهِ
جميعُ المفاتن طوْعَ اليراع
وتسطيع تصويرَها .. الريشة
وتمثالها .. بيُمنِ صناعْ
يُقلد ، وتبدعه الصنعة.
ولكن .. أهذا جمال صحيح؟
اشك : وللحكم لا أستريح ! ..
فذلك ظرف بدُنيا الفنون
ومحضُ قشور .. لحسن يصيح
ولكنْ ما أستريحُ إليه
جمالُ الأمومةِ .. فى البسمةِ
كما يسمُ الفجرُ ، فى مقلتيهِ
ندى الدمع .. للزهر فى النشأةِ
هى الأم ، تكتتمُ أوصابَها
وتهفو لطفلٍ بأحشائِها
فتبسمُ ... والله أوصَى بِها
فكَم تستهين بلوائِها
هىَ الأم ! .. لا شك فى حبِّها
بنُور الإله ، غدا يستضىء
كنُور الطهارةَ فى قلبها
ومَنْ ذا .. إلى حضنها لا يَفىء


١٨٩٢م
١٩٨٠م
بين العدد الأول من الهلال والأخير منه
٨٨ عامًا
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
لازالت مجلة الهلال عميدة المجلات
الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال كتب فيه كل أعلام الفكر العربي ويكتب فيه كل أعلام العصر
الهلال يقدم لك كل عدد زادًا من الفكر والأدب والثقافة
الهلال يقدم لك العلم ... والعلم سلاح العصر!
لا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر..
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي
بالبريد الجوي
في البلاد العربية
لقسم الاشتراكات بدار الهلال

في
الهلال
وكتب
جائزة

مارس ١٩٨٠

الهلال

مجلة الفكر العربي

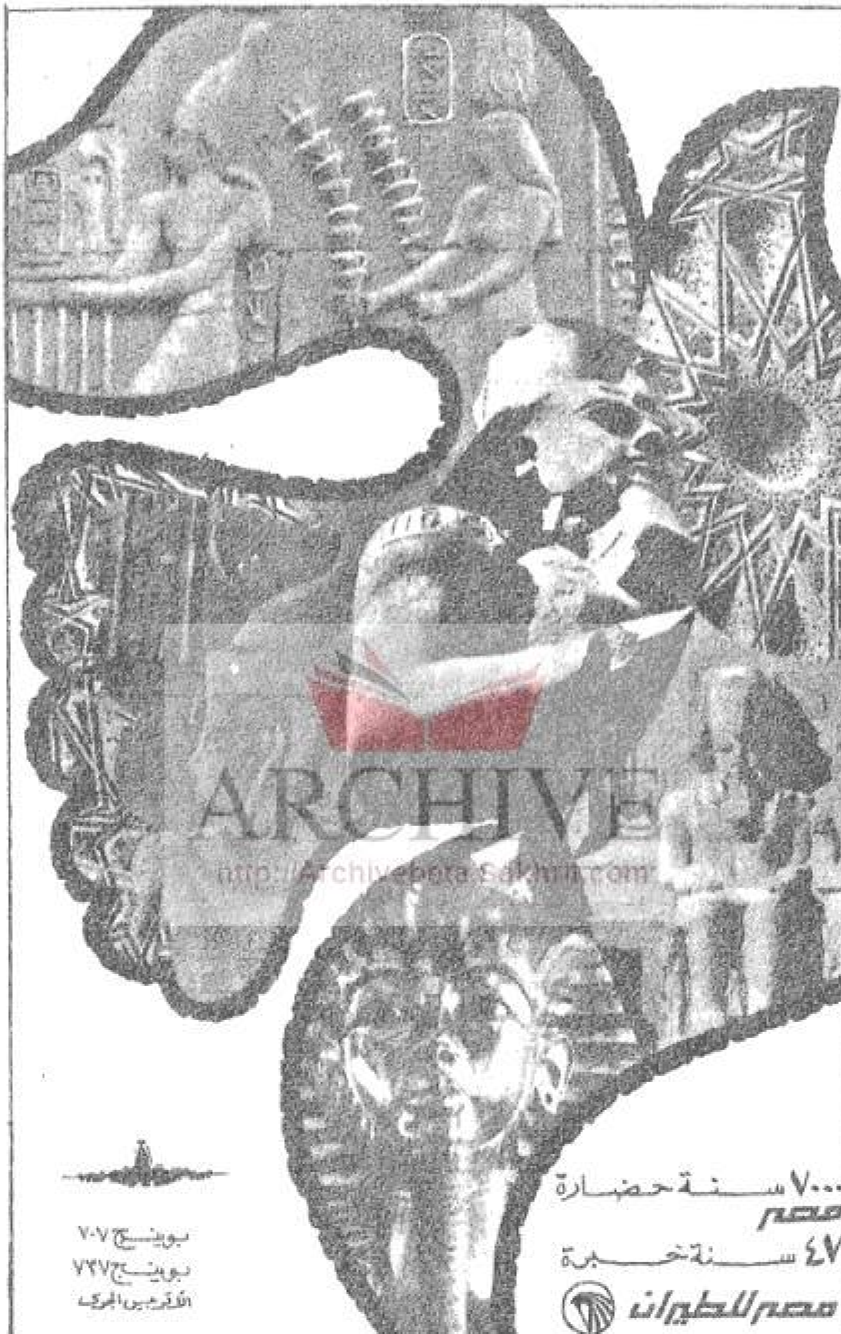


أفغانستان

محطة إلى قلب عالمنا الإسلامي

{استطلاع بالألوان}

- شخصية الشهر: ذكرى العقاد
- الإسلام والعلوم التجريبية



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٧ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧

كلمة الهلال

الخروج من عنق الزجاجة

اعلنت ادارة التليفونات فى المانيا الغربية انها قد حققت خلال العام المنقضى (١٩٧٩) ارباحا قدرها ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ماركا المانيا اذا ضربتها فى اربعين قرشا للمارك كانت ٨٠٠ مليون جنيه مصرى .

ومصلحة التليفونات فى المانيا لايمكن أن تختلف فى تركيبها عن مصلحة التليفونات فى مصر ، فهى – هنا وهناك – لا تخرج عن ادارة وتركيبات كهربائية وعدادات وآلات للمكالمات .

اذن لماذا يكسبون هناك ونخسر نحن هنا ؟
لماذا يعتبر التليفون هناك نعمة وراحة وهنا عذابا وتعبا
الجواب بسيط : العيب فى العنصر البشرى .
او قل ان العيب فى طريقتنا فى اعداد العنصر البشرى الذى يدير التليفونات وسكة الحديد والموانى وكل ادارات الدولة ..

هناك يعدونه اعدادا سليما ونحن لا نعده على الاطلاق .
هناك يحاسبونه على عمله ونحن لا نحاسبه على الاطلاق .
هناك يفرقون بين من يعمل ومن لا يعمل : من يعمل يكافأ ويعطى وتفتح له الابواب . ومن لا يعمل لا مكان له عندهم اطلاقا .

والأمر عندنا على خلاف ذلك .
نحن نفسد العنصر البشرى وهم يجودونه .

ونحن نحسب اننا نكرم المواطن عندما ندلله ولا نحاسبه على عمـل او على خطأ ، والحقيقة اننا نهينه .

ونحن ننفق الملايين على الأدوات والماكينات والمعدات لكى يفسدها الناس بعد ذلك ويتلفونها . يخربونها ثم يجلسون على تلها ..

الأمل قليل فى تحسـن حقيقى اذا لم نعن بالعنصر البشرى اولا . لابد من الحزم فى معاملته ، لابد من التدقيق فى محاسبته . ليس من المعقول ان يترك عامل ماكينة ثمنها ١٠٠٠٠ جنيه ويخرج ليقضى مصلحة خاصة ويعـود فاذا الماكينة قد اصابها عطل اوقفها عن العمل نحو العام وتكلف اصـلاحها اربعة الاف جنيه دون ان نوجه لهذا المخطىء همسة عتاب كما يقولون ..

هذا غير معقول ..
وبهذه الطريقة فى العمل والحياة كيف نرجو ان نخرج من عنق الزجاجة
ام ان حياتنا كلها عنق زجاجة ؟

فى هلالك

ص

الهلال
مجلة الفكر العربي

ربيع الآخر ١٤٠٠هـ
مارس ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
- اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
- السنة الثامنة والثمانون - اول مارس
١٩٨٠ - ١٤ من ربيع الآخر ١٤٠٠

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى محمد

من « الهلال »

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل أقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

• صورة الغلاف •

غلاف هذا العدد مشرق باسم متعدد الألوان، رجونا عند اختياره ان يكون الشتاء رفيقا بنا فلا يبخل علينا بابتسامة شمس او قطعة سماء زرقاء .. وعلى هذه القطعة من الامل البتنا ما يتضمن هذا العدد من الهلال المتجدد دائما

الإشراف الفني
أحمد الورديجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ ج . ك تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

الكتاب العربي الثاني عشر

بقلم : رئيس التحرير

● القارىء موجود ، والعطش الى العلم والثقافة شديد ، ولكن الذي ينقص دور نشر جادة تخدم الكتاب وفكر جديد في التأليف والنشر والتوزيع وتنظيم المعارض .

في العام قبل الماضي حضرت معرض الكتب العالمي الذي يقام في فرانكفورت يومها بهرني كل ما رأيت .

نحو ٨٠٠ دار نشر عالمية تنتشر من اليابان الى نيوزيلاندا . كل واحدة منها عرضت من مائة الى خمسمائة كتاب جديد ، جديد في موضوعه واخراجه . حتى القديم الذى اعادوا طبعه واخراجه كان له شكل جديد .

وشركات صناعة مطابع لا نهاية لها . وشركات ورق وشركات أدوات كتابية وشركات تسجيلات ، من الكتب الجديدة المسماه ليبرو - فيلم الى الكتب المسجلة للاستماع الخالص « ليبرو تيب » .

وشركات ماكينات تصوير كتب ومستندات: ميكرو فيلم وميكروفيش ولاسخات (كوبيرز) وآلات كاتبة واخرى حاسبة واجهزة كومبيوترز ..

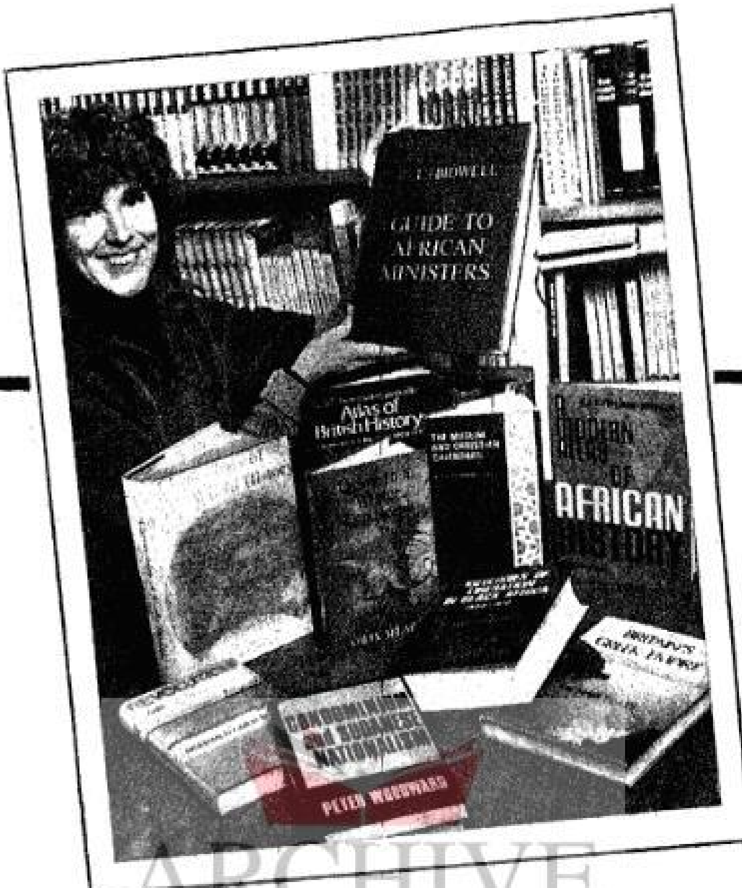
الى جانب ذلك كله دليل ضخم انيق بكل ما في المعرض ، ومكتب استعلامات على احدث طراز وأربعة مكاتب للتلغراف والتليفون الدولي والتليكس .

ومطاعم من كل صنف ، كبيرة وصغيرة وقاعتان لعرض الافلام الثقافية .

وكل شركة تعطيك دليلا أنيقا مصورا عالم رائع تشعر فيه حقا أنك مع ناس يعرفون ماذا يعملون ويعرفون كيف يعملون .

وقد قدرت الصفقات التي تمت أثناء هذا المعرض بأكثر من اربعة ملايين مارك المانى .

ومن اول يوم خصصوا لنا نحن الضيوف مضيفات دليلات مستعدات لصاحبتك ، والبقاء في مكاتبهن في



جانب من الكتب الاوروبية التي عرضت في المعرض .. كلها كتب حديثة وهامة لانها تتناول موضوعات العلوم والتكنولوجيا اى انها كتب العصر وفيهـا قواميس ودوائر معارف . ذلك ما كنا ننتظره من المعروضات العربية فى ذلك المعرض ..

انتظار اشارة منك ..

ولم اشا ان يصحبنى احد . فظلت المضيفة الموكلة بأمرى فى مكتبهـا ، ولا اذكـر أننى احتجت اليهـا فى امر واتصـلت بها بالتليفـون من داخل المعرض الا وجدتها فى مكانها .

وفى يوم السـفر رافقتنى الى المطار بعد ان كانت قد قامت بكل اجراءات السفر . وفى المطـار سلمتنى تذكرتى وبطاقات شحن حقائبى . اضافت اليها ادارة المعـرض حقيبة ملأتهـا بالكتب وادوات الكتابة ودفعت كذلك اجر المتاع الزائد الخاص بها .

يومها ، وبعـد ان ودعت السـيدة المضيفة وجلست فى قاعة السفر انتظر الطائرة وجدت نفسى اقول :

ـ حـلال عليكم يا نـاس ! عملتم واجتهـدتم واتقنتم وانتجتم وربحتم وكسبتم الدنيا ..

حلال عليكم قيادة الدنيـا ، فان الله سبحانه وتعالى خلق هذه الدنيا للعامل المجد المتقن الذى يزيد عمـران الارض وينفع الناس ..

هذا العام حضرت معرض الكتب الثانى عشر فى القاهرة .

من البداية يفاجئك منظر السـوق

بازار الكتاب العربي الثاني عشر

الشرقي أو البازار : الفوضى وقلة النظافة والبهدلة ..

دليل للمعرض ؟ لا يوجد

مكتب استعلامات ؟ يوجد ولكنك لن تجد فيه انسانا لا في الصباح ولا في اى ساعة من نهار .

مكتب تليفون وتلغراف وتليكس .. لا يوجد .

مضيفات وأولاد .. لا يوجد

مصرف أو مكتب تحويل عملة .. لا يوجد

قيل لتاجر كان يريد أن يعقد صفقة : هناك قريبا من هنا ، في فندق البرج وجد فرع لاحد البنوك ..

وذهبنا الى فندق البرج ووجدنا الفرع ولكن لا احد فيه فاصحابنا الموظفون — على العادة — ليسوا هناك ..

اذن ما الذى هناك ..

مولد ..

اصوات الميكروفونات من اكشاك اجبرها صانعو الأشرطة . على طول سيرك تسمع اسخف الاغاني والتسجيلات .. فقرات من كوميديات مهلهلة تصل سمعك في كل خطوة :

— ما لك يا محمود ..

— مفيش

— انت عيان يا محمود ..

— مفيش ..

— امال لونك مقطوف ليه يا محمود

— مفيش ..

الى آخر حوار التدهور الفكري .

مباني العرض او السرادقات ابراج بابل : قاعات واسعة مقسمة بقواطيع كل مكتبة اجرت بضعة امتار لتبيع كتبها . هذه الكتب كانت .. هنا في المعرض الحادي عشر وفي المعرض العاشر ومعظمها طبعات بالاوفسيت فكيف طبعناها في الثلاثينات والاربعينات .

كلهم يسطون على الكتب دون مبالاة : وجدت مروج الذهب للمسعودي في خمس مكتبات ، كل منها طبع الكتاب بالاوفسيت وعرضه بثمن يختلف عن جاره ، والطبعة الاصلية نفسها سقيمة حافلة بالخطأ ، ولكننا لا نستطيع اليوم أن نعمل مثلها ، ورحمة الله على الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، كان لا يعجبنا في أيامه ، واليوم لا نجد من يضاهيه .

والكتب الجديدة .. ؟

لا شيء تقريبا .

الجديد الوحيد كتب جامعية .كتب الفها اعضاء هيئات التدريس لتباع على الطلاب .

هي دائما نفس الكتب تحت اسماء مختلفة : رأيت ثلاثة كتب بعنوان : تاريخ أوروبا في العصر الحديث ... المؤلفون مختلفون وكذلك الناشرون ، ولكن الكتب منقولة نقلا سخيفا سطحيا عن ترجمة تاريخ « فيشر » الذى ابدع في ترجمته استاذنا احمد نجيب هاشم وبعض مذكرات الاستاذ شفيق غربال عليه رحمة الله . بل ان واحدا منها نقل بالحرف من كتاب للمرحوم الاستاذ الدكتور محمد صبرى .

هذه كتب بالاسم فحسب اما بالفعل فهي مذكرات طلاب يؤلفها القائمون بالتدريس طلبا لزيادة الدخل . والتقليد الجامعي الجاري عندنا ان الاساتذة يتنافسون على المواد التى تدرس للفصول الكبيرة لان معنى ذلك ان اى مذكرة يطبعها الاستاذ ستبيع الف نسخة من أول يوم ..

لا تهم المذكرة .

ولكن ثمنها مهم .

والناشر دائما رجل بجلباب ومعطف يطبع الكتاب في مطبعة صنعت من ايام سيدنا نوح . وكذا للاستاذ وكذا للطابع الذى يسمى ناشرا ، والطالب يشترى والامور تسير او لا تسير ، فماذا يهم ؟ المهم أن الطالب يحوز الامتحان والاستاذ يكمل ايراده والناشر يبني عمارة جديدة .. دنيا ..

وقيل لي : ان الكثير من دور النشر

فى البلاد العربية لم تشترك ..

– وماذا فى ذلك ..

– خسارة كبيرة ..

– لا خسارة ولا شبه خسارة ... دور النشر هناك هى مثل دور النشر هنا الفرق فى آلات الطباعة : هؤلاء يسرقون الكتب بالطبع التصويرى وأولئك يسرقونها بمطابع شارع الصنادقية .

وسواء أكانت دور النشر هناك ، قد مثلت هنا أم لم تمثل .. فان الكسب الثقافىمنعدم . لقد خسروا مالاو كسبنا نحن راحة البال .. وليس فرضا على هذه الامة ان يكسب كل قرصان كتب فى بيروت كذا مليون ليرة فى العام ..

***

ولكنى رأيت الناس يشترون الكتب مئات ومئات تغص بهم القاعات ، وهم يشترون . من قروشهم القليلة اشتروا كتبا بجنيهات .

رأيت سيدات عاديات يحملن كتبا كثيرة اشتريناها حبا فى الثقافة والعلم

ورأيت ناسا عاديين يدفعون عشرات الجنيهات ليحصلوا على تفسير ابن كثير او الاحكام للقرطبى او الاعمال الكاملة للعقاد ..

الناس موجودون والشغف بالعلم قائم ، ولكن التقصير منا نحن اهل الفكر نعم والجناية من الناشرين . كل همهم الكسب ، انهم لا يدفعون المؤلف مالا الا اذا كان الكتاب جامعيا مضمون البيع للطلاب .

والعقود التى يقدمونها للمؤلفين عقود رق ! المؤلف رقيق بين ايديهم ، العلى يتقاضى الا ما يتسلم ساعة توقيع العقد والباقى ! يعوض الله فيه .

لا مكان عندهم لاديب جديد او شاعر ناشىء .. وكفاية علينا : زعلان ليه يا محمود ؟ انت عيان يا محمود ؟ لونك مقطوف ليه يا محمود .

والذى اعجبنى حقا هى الاقسام الخاصة بالكتب الاوروبية . كلها منظمة مرتبة وفيها كتب جديدة تفرح القلب

القسم الفرنسى تحفة والايطالى متعة ، وبعض دور النشر الاوروبية كانت زينة للمتحف كله ..

والذى اعجبنى أكثر وأكثر ان الناس التهموا هذه الكتب التهاما : قاموس لاروس كان يباع بأربعين جنيها . كنت سعيدا ان اشتريت احدى نسختين بقيتا باع القسم منها مائة وثلاثين قاموسا .

ومندوب دائرة المعارف البريطانية باع فوق الثلاثين مجموعة وأخذ معه فوق المائة عقد شراء دفع كل واحد من اصحابها مائة جنيه مقدما ..

القراء موجودون والناس متعطشون ولكن المورد راكد آسن ، والمتعطش الى العلم يظل عطشانا الى الابد ..

والذى يفسد علينا كل شىء هو روح البازار ، فوضى سوق القرية والمذياع يذيع باعلا الصوت تسجيلات هى وصمة للفن وبائع اللب والسودانى المترص بك فى كل مترين من الطريق واكوام أوراق مهملة وبائع سندويتش لم يغسل يده قط وقرصان نشر يملأ حافظة نقوده بجنيهات مجموعة من طلاب يشترون ملازم لينجحوا فى مواد لا يعرفون من امرها الا القشور .

والى المعرض القادم

● د . حسين مؤنس ●

● مذكرات هدى شعراوى ●

نحب ان نصحح هنا مانشر فى العدد الماضى من « الهلال » فى تقديمنا لمقال السيدة امينة السعيد عن الرائدة هدى شعراوى – فنقول ان هذه المذكرات كتبتها بيدها واسلوبها الزعيمة هدى شعراوى واستودعتها ابنها الروحى الاستاذ عبد الحميد محمد زكى الذى يراجعها وينشرها كما كتبتها صاحبتها . فى زميلتنا « حواء » ..

أزمة التاريخ المصرى الحديث

● فتحى رضوان ●

قال انتونى ناتنج فى مقدمة كتابه « العرب » الذى نشرته دار الهلال اخيرا : يصنع الناس التاريخ اكثر مما يصنع التاريخ الناس » . وهو قول شبيه بما قاله بعض الزنادقة ، من ان الناس يصنعون الهتهم ، ثم يعبدونها ، ويخافونها ، ويتقون بطشها ، ويلتمسون خيرها ..

فمن اقدم العصور ، والانسان لا يزال فى الكهوف عاريا ، قد صنع بيده من الحجر او الخشب الها جاف المنظر ، خشن الهيئة ، قبيح الصنع ، وركع له وسجد . وما التاريخ الا اله من آلهة المتحضرين ، يستشهدون به ، ويستمعون لحكمه ، ويعرضون امورهم على حكمته وتجربته ، وينسون او يتناسون انهم هم الذين صنعوه ، وانشاوا له هيكلا ، ثم اضافوا اليه وحذفوا منه ، وماشوا حياتهم ، يغيرون فيه ، ويبدلون ، بدعوى أن هذه ارادة التاريخ والتاريخ لا يملك لنفسه ردا ولا قولا !.

وللتاريخ فى حياة الامم والشعوب ، مواسم ، يلتفتون اليه ، ويتجهون نحوه ، وتلك هى فترات التغيير والانتقال ، وعصور المحن والهبوط ، أو عهود الانتصار والتفوق .. وليس ثمة غرابة فى هذا ، فالتاريخ هو مستودع امجاد الشعب ، ومعرض آثاره ، والمبكى الذى يندب فيه حظه العاثر ، والقول عهده الغابر ، وديوان مظلماته ، يلتقون فيه ، ووثيقة افضاله على الامم ، واياديه فى اعناق الآخرين .

وقد مر عصر ، منذ سنوات غير طويلة ، عهد احسست معه ، او احس بعض اصحاب القلم فيها بأن تاريخ مصر ، قد تحلل واختفى ، فندت من صدورهم صرخة استغاثة ، قد يكون مبعثها الوهم ، او الحب ، أو اضطراب الاعصاب ، الذى يصاحب المحن ... فمنذ بدات ثورة ١٩٥٢ ايامها الاولى ، الى ان اختفى من عالم الأحياء رجلها الاول ، وشغل الناس الشاغل ، وحديثهم المتصل هو هذا الرجل ، يسمعونه ، ويسمعون عنه ما يملا ساحة العمل العام ، لا يقف الى جواره احد. فلما وقعت مصيبة الهزيمة ، ثم توالت أحداث جسام ، ضخام ، كأنها الطوفان الذى يزيل من طريقه ، كل شيء ، وانتهت الملحمة بالموت الرهيب ، اهتزت الاعصاب اهتزازا شديدا ، فنجم منه احساس اشبه شيء باحساس

الحبلى ، حينما يفجعها مخاض ، يتبعه اجهاض . فما نصيب هذا الاحساس من السلامة والصدق ..

يستطيع الذين ينقمون على ثورة سنة ١٩٥٢ أمورا كثيرة من أهمها انها ختمت الفصل الاول منها ، وهو الفصل الذى أرسى الاساس ، وتئن الاصول بهزيمة لم تنطو على مثل نداحتها ، وضخامتها صحائف تاريخ امة سوانا ، ولو كانت دولنا بمراحل .. لهؤلاء ان يقولوا ما شاءوا فى ثورة سنة ١٩٥٢ ولو كان اكثر ما سيقولون باطلا ، لا نصيب له من الحق .. الا انهم لا يستطيعون أن يرموا هذه الثورة، بانها غضت من شأن تاريخ مصر ، أو ازرت به ، أو هونت من أمره. بل على النقيض ، لقد فعلت من اجل هذا التاريخ أمورا صانت هذا التاريخ من ان تتبدد وثائقه ، أو تزيف حقائقه..

لقد استفتحت الثورة بقرار جمهورى صدر فى سنة ١٩٥٤ ، ونشأ لاول مرة فى تاريخ مصر السياسى دارا للوثائق التاريخية ، وقد أعد هذا القانون ، وكتب مذكرته الشارحة المرحوم الدكتور حسن ابو السعود ، وكيل وزارة الارشاد القومى ، وقد كان قبل اختياره لهذا المنصب الادارى ، أستاذا جامعيا درس القانون فى كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية ، كما درس هذا العلم ذاته فى كلية حقوق بغداد .

والمذكرة الشارحة للقانون المنشىء لدار الوثائق ، هى فى ذاتها وثيقة . فقد سجلت ان وثائق تاريخ مصر ، وهى مادة التاريخ ، وعنصره الاصيل ، تتوزعها جهات حكومية فى مصر متعددة، وان هذه الجهات جميعا تستقبل هذه الوثائق ، وهى لا تدرى قيمتها ، اذ لا تعدو عند كل جهة على حدة، اوراقا رسمية فرغت منها حاجة الحكومة ، وفقدت قيمتها كمستند ، يقيم الحقوق، ويعين على اصدار الاحكام ، ولم يحتفظ بها الا من باب الاحتياط والتوقى، فقد تقوم اليها الحاجة بعد ذلك . .

وقد عددت المذكرة هذه الجهات فذكرت القصر الملكى ، ومراسيمه ، وبراءاته ومراسلاته .. وقد كانت هذه الاوراق الهامة ، فى حين من الزمن ، مكتوبة كلها باللغة التركية ، ومع ذلك كانت لها قيمة لا تعدلها قيمة ، ابان عهد محمد على، ومن بعده حتى الاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ ، فقد كانت (السراى) ، اى القصر الملكى ، هى الحكومة بكل فروعها الداخلية والخارجية ، ومن ثم فقد تجمع فى اقسام محفوظاتها المعاهدات ، ومراسلات الدول الموالية والمعادية منذ ولى سدة مصر ، الحاج محمد على باشا الكبير، حتى وقعت مصيبة الاحتلال البريطانى.

وقد رأى الملك فؤاد أن يسند الى الاستاذ أسعد رستم ، أستاذ التاريخ الحديث فى الجامعة الامريكية فى بيروت، أن يدرس وثائق السراى الملكية بالتركية وباللغات الاجنبية الخاصة بعهد محمد على ، وينشرها مبوبة ومحققة ، مع التعليق عليها ، ففعل الاستاذ اللبنانى ما طلب منه ، ونشرت السراى عددا من المجلدات الحاوية لبعض هذه الوثائق .

تشريح لباطن هذا المجتمع

وكانت المحكمة الشرعية فى مصر منسية تماما باعتبار دار محفوظاتها التى تضم عشرات الالوف من حجج وقف العقارات من اطيان زراعية ومثله فى القاهرة وريف مصر ، على مدى بضعة قرون ، مع العطايا والهبات ، وأحكام هذه المحاكم بالزواج والطلاق ، والعتق والرق ، والحجر للسفه والعته — ليست سوى جهة قضاء ، ولا ينفع نظر المؤرخ اليها ، والتأمل فيها ، الا أن هذا النظر ثبت خطؤه ، اذ تبين أن كثيرا من تطورات السياسة والحكم ، قد انعكس فى حجج اوقاف الولاة والحكام ، وزوجاتهم ، وأصهارهم ، وفى حجج أوقاف كبار الاعيان الذين كانوا ينتمون الى السلطة أو يخاصمونها . وأن من الخطر ان نترك هذه الحجج ، ليتصرف فيها أولو الامر ، بعيدا من الهيئات العلمية فى الجامعات ومراكز

البحوث ، وتبوب ، وتصنف وتستخرج منها حقائق تاريخية بالغة الاهمية ..

والجهة الثالثة من مصادر التاريخ هى محفوظات وزارة الخارجية .. التى تنطوى على المعاهدات والمراسلات الدولية والتقارير السرية المرسلة من السفراء واعوانهم فى الداخل والخارج ..

ثم محفوظات وزارة العدل التى تضم جميع القضايا السياسية الكبرى التى تعكس كل ما يجرى فى المجتمع بين الهيئات الحكومية من جهة ، والاحزاب والهيئات الشعبية من جهة ، وما يدور من صراع بين الأحزاب والتجمعات السياسية بعضها البعض . وهذه القضايا ليس ثمة ادق ولا اكثر حساسية فى البيان والعرض من القضايا ، وتحقيقاتها ، والدفاع العلنى والسرى الذى يجرى فيها .

واخيرا فان تقارير الشرطةالسياسية هى عملية تشريح للمجتمع ، او تصوير بالاشعة لباطن هذا المجتمع ، وما تخفيه احشاؤه .. ولو جمعت هذه التقارير، وطبع كل ما يخص منها موضوعا فى حقبة من تاريخ مصر ، او حقب ... لعرف المؤرخ من الغرائب التى لا تخطر له على بال ما يغير نظرته للتاريخ وللشخصيات التى توجهه ، وتلعب ادوارها على مسرحه .

وقد انقذ قانون الوثائق الصادر فى سنة ١٩٥٤ عددا من ملفات القضايا السياسية الهامة من ان تأكلها النار لتصبح رمادا . اذ ان التقليد الرسمى ان هذه الملفات تحرق بعد ١٥ عاما فقط ..

الا ان هذا القانون الخطير ، لم يقتصر على تقرير الحماية لهذه الوثائق الكبرى ، والمحافظة عليها ، واخضاعها لادارة مركزية ، بقصد الانتفاع بها كعناصر أساسية للتاريخ ، والمؤرخين، ولو اقتصر على ذلك وحده ، لكانت يده فى عنق التاريخ المصرى عظيمة ، ولكان من حق المؤرخين والعلماء ، ان يقرروا بأن نصل للعهد الذى فطن الى وجوب اصدار هذا التشريع ، واصدره ونفذه ولكن الواقع انه احتوى على حكم آخر يقضى بأن يكون من حق وزارة الارشاد القومى التى حلت محلها وزارة الثقافة الاستيلاء على ما يتركه عظماء المصريين من مذكرات وأوراق — ما عدا ما كان منها متصلا بالذمة المالية للمورث — وقد انقذ القانون بهذا الحكم عددا من اهم ما تركه زعماء مصر ، من مذكرات وذكريات ، كان الورثة يتنازعونها ، اما لشدة حرصهم على اظهار الولاء لصاحب هذه المذكرات والذكريات ، واثبات انهم اقرب الناس منه ، واولاهم به ولما لمظنة امكان الانتفاع بهذه الاوراق فى سوق البيع والشراء ، او فى سوق السياسة بابتزاز ثمن اخفاء ما جاء فيها مما يمس الاحياء واسرارهم ...

وقد امكن بفضل هذا القانون انقاذ عدد من مذكرات عظمائنا وفى مقدمتها مذكرات وذكريات محمد فريد الرئيس الثانى للحزب الوطنى ، ومذكرات سعد زغلول ، وعبد الرحمن فهمى ، ومحمد على علوبة ، وفخرى عبد النور ، وعبد العزيز جاويش وهدى شعراوى ، ولا شك ان كل ما سيتركه عظماء مصر من هذا القبيل ، سيكون مقره دار الوثائق ، وسيوضع كل هذا لخدمة الباحثين فى الجامعات ومراكزالدراسات التاريخية فى هيئات البحث العلمى والنشر ..

امجاد ثورة ١٩١٩

وقد تميز هذا العهد ، بأن شهادات الماجستير والدكتوراه ، فى الاقسام التاريخية ، بعد أن كانت قاصرة على شخصيات العصور القديمة والوسطى، بدات تدور حول شخصيات التاريخ الحديث والمعاصر فبحث عصرنا هذا ، والذى سبقه مباشرة ، فى عشرات او

مئات من الرسائل التى اشرف عليها أساتذة كبار متخصصون ، بعد أن كان ما يكتب فى وقائع هذا العهد ، من قبيل التعليق السياسى المرتجل ، شفاء لأحقاد ، أو من قبيل التعالم ، مع اطمئنان الكاتب انه لن يجد من يصحح له خطأ ، او يرده من افتراء ..

ولأول مرة بعد اكثر من ربع قرن، استأثرت ثورة سنة ١٩١٩ ، باهتمام الدارسين والباحثين بعد ان انقضى على انطفاء نارها ، وانطواء صفحتها بثلاثين عاما أو يزيد ، فقد بدأت فى العقد السادس من القرن الحالى ، فى سلسلة طويلة من حلقات البحث والتحقيق لأحداث هذه الثورة المجيدة، وحاولت ان تحصى فى تحقيقها كل اشارة واردة ، ثم جمعت هذه الحلقات فى مجلد ضخم من القطع الكبير ، اشرفت على جمعه وتنشيطه ونشره لجنة من العلماء ، على رأسها الدكتور عزت عبد الكريم استاذ التاريخ الحديث فى جامعة عين شمس الذى اصبح فيما بعد رئيسا للجامعة ذاتها، كما انتخب رئيسا لجمعية الدراسات التاريخية ، وبيع هذا المجلد بثمن بخس .

وفعلت جريدة الاخبار الشىء نفسه، فقد واصلت لمدة تزيد عن الشهرين نشر وقائع ثورة سنة ١٩١٩ ، وقد اسهم فيه كل من اسهم فى هذه الثورة او ادعى انه يسهم فيها من الاحياء او ابناء او احفاد او اصدقاء او زملاء ابطال هذه الحركة العظيمة ، وقد جمعت خلاصة هذه التحقيقات فى كتاب بقلم الاستاذ مصطفى امين بعنوان: «الكتاب الممنوع » وفى الحلقة السابعة بدأت مجلة (آخر ساعة) سلسلة من حلقات البحث والتحقيق والتحليل عن ثورة سنة ١٩١٩ ، بقلم الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ، وقد امتازت هذه الحلقات بأمرين اولهما المذاق الأدبى لها ، والثانى دقة العالم المتخصص وقد جمعت ايضا هذه الحلقات فى سلسلة (اقرأ) التى تصدرها دار المعارف ..

هذا كله الى جانب عدد كبير من الكتب التى قام على نشرها الاستاذ الدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة القاهرة فى مقدمتها كتابه عن مذكرات وخطابات المرحوم عبد الرحمن فهمى بك الذى نعده قائد ثورة سنة ١٩١٩ تحت زعامة سعد زغلول ، ودراسات اخرى عن هذه الثورة ، لم تر النور ، حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ ..

ونحن لا نعدو الحق اذا قلنا ان هذه الثورة لم تظفر من الذين اسهموا فيها وعملوا مع زعيمها سعد زغلول الا بكتاب واحد ، هو الكتاب الذى وضعه الاستاذ عباس العقاد عن سعد زغلول ، والذى وسمه بوصفه اياه بأنه (سيرة وتحية) أما كتاب عبد الرحمن الرافعى عن هذه الثورة والمجلدين اللذين وقفهما على ما جرى فى اعقابها ، فقد كانت كلها حلقات من سلسلة التاريخ القومى، التى نذر عبد الرحمن الرافعى نفسه لكتابتها ابتداء من عصر الحملة الفرنسية حتى قيام ثورة سنة ١٩٥٢ ، وما جرى فى صدر أيامها .

وقد كان آخر ما كتب عن ثورة سنة ١٩١٩ ، الكتاب الذى وضعه المرحوم محمود سليمان غنام باشا عضو الوفد المصرى ، وأحد وزرائه ، وذلك قبيل وفاته فى العقد السابع من هذا القرن ، وقد حفزه على وضع هذا الكتاب ، الآراء التى أبداها كاتب هذه السطور فى ثورة سنة ١٩١٩ وزعامتها ، فظفر القراء بالكتاب الوحيد الذى كتبه أحد تلاميذ زعيم هذه الثورة الخالدة .

باكورة اعمال دار الوثائق

وقد نشطت شهية كتاب التاريخ المصرى الحديث وكلهم حائر على وثائقه، فنشر الدكتور محمد أنيس كتيبا احتوى على خطابات متبادلة بين الزعيم مصطفى

كامل ، وبين صديقه الاستاذ عبد الرحمن احمد الذى كان وكيلا للديوان العربى للخديو ، واحد كبار خريجى دار العلوم كما نشر الاستاذ عبد العزيز دنيا المراسلات المتبادلة بين مصطفى كامل ايضا ، وبين صديق صباه وشبابه المرحوم محمد فؤاد سليم الحجازى باشا الذى كان اول امين عام للحزب الوطنى الذى انعقدت جمعيته العمومية قبل وفاة زعيم الحزب ومؤسسه وذلك فى ٢٢ من ديسمبر سنة ١٩٠٧ .وقد كشفت‌هذه المراسلات جانبا هاما من حياة الزعيم مصطفى كامل ، ومن تاريخ الحركة الوطنية .

وقد كانت باكورة اعمال دار الوثائق نشر المجلد الاول من اوراق محمد فريد وهو المجلد الذى يحوى مذكرات الزعيم بعد هجرته الى منفاه فى تركيا فى ١٢ من مارس سنة ١٩١٢ وستثنى بمذكرات سعد زغلول ، التى كانت الاساس لرسالتى الدكتور عبد الخالق لاشين (للماجستير والدكتوراه) عن دور سعد زغلول فى السياسة المصرية .

ولقد تعددت مراكز دراسة التاريخ المصرى الحديث او المعاصر،فنشا مركز لدراسة وثائق هذا التاريخ فى كلية آداب القاهرة ، وآخر باسم « مركز وثائق تاريخ مصر المعاصرة بهيئة الكتاب »وكذلك بما يشبه هذا الاسم فى جريدة الاهرام .

وليس ثمة شك فى ان الدراسات التى صدرت لاول مرة حول فلسفة تاريخ مصر ، ودلالة الدولة ، وحول شخصية مصر ، قد ساعدت على خلق الوعى التاريخى ،وتاكيده ، وارهافه ،والارتفاع به عن الجزئيات الى الكليات ..

ولقد كان من اول ما وضع من هذا القبيل ، كتاب (تكوين مصر) الذى ضم عددا من محاضرات الاستاذ العالم المؤرخ الدكتور محمد شفيق غربال باللغة الانجليزية ثم ترجمتها الى العربية ، وكتاب الاستاذ الدكتور حسين مؤنس فى سلسلة اخترنا لك بعنوان « رسالة مصر » .

وهل من حقى ان اذكر هنا على استحياء الكتيب الذى ضم محاضرات متواضعة القيتها فى الاذاعة عن تاريخ مصر الحديث وجمعتها دار المعارف فى حلقة من سلسلة اقرا بعنوان : اخى المواطن . وفى هذه الفترة نشر الدكتور محمد حسين هيكل باشا مذكراته السياسية عن الفترة السابقة للثورة فى مجلدين وهو عمل ادبى وسياسى‌وتاريخى لا تجد له ندا فى الفترة السابقة على الثورة .

ولقد اسهمت وزارة الثقافة بعملين جليلين فى هذا الصدد واولهما مجلد بعنوان (كفاحنا ضد الغزاة) تناول تاريخ كفاح مصر ، ضد اعدائها وخصوم حضارتها ، منذ العهد الفرعونى ، حتى عهد الاحتلال البريطانى الذى بدأ فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ . ولم يكن هذا المجلد ، بيانا خطابيا متحمسا ، يشيد بحضارة مصر ، ومواقفها فى دفاع بنائها عنها ، وانما كان بحثا علميا صوره أساتذة التاريخ فى جامعات مصر، بروح العلم مؤيدا بأسانيده ومراجعه .

مهرجان لتاريخ مصر الحديث

أما العمل الثانى فهو مجلدان ضخمان يضمان مراحل الحضارة المصرية من عهد ما قبل الاسرات حتى منتصف القرن العشرين الميلادى ، ويتناول الحديث فى كل مرحلة عن وجوه الحضارة المصرية فى مجالات الدين والفن والأدب والقانون والموسيقى . ومدى تفاعل الحضارة المصرية بالحضارات الشقيقة فى الشرق الاوسط أخذا وعطاء ، ولا يمكن أن ينسى الدكتور جمال حمدان فى هذا الصدد ، وقد أنشأ لونا جديدا من‌دراسة جغرافية لتاريخ مصر ، وأثر موضعها العبقرى ، فى مجريات شئون العالم الحديث ، فقد استظهر فى هذه الدراسات روح مصر ، وكشف عن رسالتها الانسانية باسلوب العالم والأديب معا .

فانت اذا قلت بعد ذلك انه قد اقيم لتاريخ مصر الحديث مهرجان وانه امتد طوال المدة من ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ حتى آخر سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، فانك لا تتجاوز الحقيقة ولا تعدوها ، وقد شمل هذا المهرجان الطويل المواكب ، والمتاحف ، واصدار الافلام ، والدوريات ففى ١١ من فبراير سنة ١٩٥٣ شيعت جنازة مصطفى كامل ، فى نفس اليوم الذى شيع فيه جثمانه حينما توفى فى ١٠ من فبراير سنة ١٩٠٨ واصطف الناس على جوانب الطرقات من مقر جريدة اللواء التى أصدرها الزعيم فى ٣ من يناير سنة ١٩٠٠ ، والتى كانت لواء ، ومنبرا،وبوقا ،ومدرسة ومعهدا لاعداد المقاتلين والمجاهدين • وعادت روح الجهاد الأول ، وبعثت ذكريات الوطنية الغضة •

وفى نفس السنة فى ١٥ من نوفمبر سنة ١٩٥٣ شيع رفات محمد فريد من مقر اللواء القديم بشارع نوبار (ولسنا نسأل عن المفارقة) الى الضريح الذى أعد للزعيمين فى حى الخليفة ، وتجلات الذكريات عينها ، ومشى المصريون مرة أخرى ، وراء الجثمانين ، محاولة للوفاء لهما ببعض حقهما لتتصل حلقات التاريخ المصرى •

ثم أقيم للزعيمين متحف فى ضريحهما ضم ما أمكن جمعه من آثار ، تتناول الأوراق والملابس والأوسمة والكتب • وكان هذا اول متحف من نوعه يقام لعظيمين من عظماء مصر،ولا يزال المتحف قائما ، ولا تزال افواج من شباب الامة يقصدونه ويلتمسون عنده المدد الروحى •

ثم اقيم لمختار متحف فى حديقة الحرية بالجزيرة ضم آثار هذا المثال العظيم ، الذى احيا فن استنطاق الجرانيت والبازلت ، بازميل الفنان المصرى ، على طريقة الفنان الفرعونى العريق ، الذى علم الانسانية كلها فن الحفر وقاد خطى الانسان نحو التعبير الانيق والرقيق لخلجات النفس الانسانية الدفينة بما هو يشبه الشعر رقة ولطفا وعمقا •

واقيم تمثال لمحمد فريد ، بعد طول الاهمال ، وآخر لطلعت حرب ، وافرج عن فيلم مصطفى كامل ، بعد أن حبسته حكومة ما قبل الثورة • وتوالت حلقات سلسلة اعلام العرب ، التى قامت على اصدارها هيئة الكتاب التابعة لوزارة الثقافة وبقيت تماثيل العهد الملكى ، فى شوارع وميادين القاهرة والاسكندرية لم تنقل من مكانها ، ولم يمسها ماس ، كما بقيت اسماء شوارع العاصمة والاسكندرية وعواصم الوجهين البحرى والقبلى ، كما هى لم تتناولها يد التغيير والتبديل ، وتحدث من له قلب أو القى السمع وهو شهيد عن رجالات العهد القديم،سواء من كان منهم مصريا جديرا بالتوقير ، او اجنبيا تذكر له يد فى التثقيف او التعمير،واحيانا من كان عدوا لمصر ، عمل ضدها واساء اليها كنوبار باشا الذى يحتل شارعا ضخما •

وليس فى ذلك شىء غريب فمصر هى موطن رواد التاريخ العربى والاسلامى ، بعد التاريخ القديم الضارب فى العراقة، عاش فيها ، وانتج ومارس مواهبه المنلص زعيم المؤرخين والاخباريين ابن عبد الحكم الذى تتلمذ على يديه ونهل من مورده صف طويل من اكبر مؤرخى العرب والاسلام ، الذين انشأوا مكتبة عامرة بالموسوعات والمجلدات والآثار الأدبية والتاريخية نذكر منهم ، الكندى المتوفى سنة ٣٥٠ هجرية وصاحب « خطط مصر » •

والبكرى وابن دقماق والمقريزى وابن حجر وابو المحاسن ، والسيوطى ، وابن اياس وقد بقيت روحهم تعطر جو مصر ، وجو القاهرة ، بروح الحب للتاريخ بعامة وتاريخ مصر بخاصة وتخرج اجيالا من المؤرخين الذين يهيمون بحب هذا الوطن الخالد ، ويبذلون اغلى ما يملكون من جهد وفكر وقدرات فى الجمع والفحص والتنقيب والمقابلة والمراجعة فى اسلوب، يجمع بين لطف الادب وعمق العلم • ●

مطالعات ومراجعات

حول التأليف والمؤلفين

● محمد عبد الغني حسن ●

● من نعم الله على الفكر الانسانى أنه هدى الانسان الى اختراع الكتابة والكتاب ، فيهما تسجل الافكار وتقيد كلمة كلمة ، كما نطق بها صاحبها او ارادها فلا يتسرب اليها تغيير او تحوير ولهذا اصبحت الافكار اليوم بعد اختراع المطبعة وانتشار الكتاب على مقياس وسيع اقرب الى الضبط والدقة بعد ان كانت محلا لاختلاف الرواة او تزيدهم او تنقصهم .

ولقد فطن الى قيمة التدوين والكتاب شاعر عربى قديم هو « ذو الرمة » من رجال العصر الاموى ، فقد قال يوما للراوية النحوى المشهور عيسى بن عمر: (اكتب شعرى ـ فالكتاب أحب الى من الحفظ .. ان الاعرابى ينسى الكلمة قد سهرت فى طلبها ليلة ، فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ثم ينشدها الناس . والكتاب لاينسى ولا يبدل كلاما بكلام ..)

وقد وفر المطبوع علينا اختلاف الروايات ، وخاصة فى الشعر الذى لا نجد نسخة خطية منه تتفق على رواية واحدة لان التدوين بالرواية غير التدوين على عين المؤلف او الشاعر . فالراوية يغير ويبدل ، والناسخ يحرف ويشوه . وهكذا نجد روايات متعددة لديوان الشعر الواحد ، او للكتاب المخطوط الواحد على حين نجد الشعر بعد التدوين والتقييد والطبع لا يتسرب اليه اختلاف.

وقد دلتنى تجاربى فى القراءة أن كثرة الكتب المؤلفة فى موضوع واحد توسع اطراف الموضوع ، وتقدم مجموعة من الآراء الجديدة فيه ، فما زعم مؤلف أن كتابه هو الحكم الفصل فى الموضوع، والا كان مغرورا .. لان كتابا واحدا لا يمكن أن يلم باطراف المجموع ويستوفى كل وجهات النظر .. ففى السيرة النبوية ـ مثلا ـ وصلت الينا من القديم سيرة ابن هشام ، وسيرة المؤرخ ابن كثير ،والسيرة الحلبية ، وامتاع الأسماع للمقريزى ، والطبقات الكبرى لابن سعد والروض الأنف للسهيلى ـ وغيرها ..

كما وصلت الينا فى الحديث كتب السيرة التى كتبها كل من أستاذنا الشيخ محمد الخضرى ، ومحمد رضا ، والدكتور محمد حسين هيكل ، ومحمد عزت دروزة ، وأمين دويدار ـ وغيرهم . فهل يقال ان واحدا من هذهالكتب يغنى عن صاحبه أو يحل محله ؟ الواقع أننا نجد فى « امتاع الأسماع » ما لا نجده حتى فى سيرة ابن هشام ، وهو من أقدم المؤرخين للسيرة النبوية .

ومفتاح الهدى الى الكتبهوالفهارس المتنوعة لنور الكتب ، وقوائم المكتبات التى تتولى نشر الكتب وتوزيعها ،

والمعاجم الخاصة بالمؤلفات والمؤلفين ، « كمعجم المطبوعات العربية » ليوسف سركيس ولا غنى عنه لباحث « ومعجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة ، وكالمعجم الموجز الذى وضعه المستعرب « فانديك » واسماه : (اكتفاء القنوع بما هو مطبوع) على ان معجما لفنون التراث العربى والوانه وتصنيفاته حتى القرن السابع عشر الميلادى لا يجوز أن تفوتنا الاشارة اليه ، وهو كتاب « كشف الظنون » للعلامة التركى المستعرب حاجى خليفة المتوفى سنة ١٦٥٧ م ، وهو يعد رائدا عظيما لكتب التراث العربى ومسجلا لها بعد البداية العظيمة التى بدأ بها « ابن النديم » الوراق العربى العظيم فى كتابه المشهور : (الفهرست) .

***

ولا شك ان اول محاولة علمية لتنظيم قوائم المكتبات ودور النشر فى الشرق العربى هى التى صدرت عن دار المعارف سنة ١٩٥٠ ، وكان من سوالف الاقضية أن التى الى عبء هذا العمل ، فقمت به عن محبة ورغبة . وزادت الأقدار فى عبئى فعهدت الى اكثر دور النشر فى مصر بعمل قوائمها المنظمة المنسقة المعرفة كتبها تعريفا دقيقا وجيزا .

وهذه الفهارس المتنوعة للكتب تسوقنى الى الحديث عن الفهارس الداخلية للكتب ذاتها ، أى الفهارس التى تحتوى على موضوعات الكتاب ومسائله . ولقد انتهت الينا اعداد غير قليلة من كتب عربية لا فهارس لها . وكانت هذه الكتب يصعب الرجوع اليها للاستشهاد ببيت من الشعر ،أو الاهتداء الى علم من الاعلام ، أو مكان من الامكنة .. فجاء المحققون المحدثون لكتب التراث العربى من أمثال الشيخ أحمد شاكر ، ومحمود محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، ومحمد أبى الفضل ابراهيم ، وعبد الستار فراج ، وعبد العزيز اليمنى ، وعلى محمد البجاوى . وحسن كامل الصيرفى ... وغيرهم ، فاضافوا الى دقة التحقيق ، ومقابلة النسخ عمل الفهارس العديدة المتنوعة لكل كتاب يحقق .

واصبحنا نجد فى كتب «زهر الآداب» و « الوساطة » و « الصناعتين » لأبى هلال العسكرى، و «الاغانى» للأصفهانى و « العقد الفريد » لابن عبد ربه ، وشرح ديوان الحماسة ـ للتبريزى أو المرزوقى « وازهار الرياض » للمقرى ، و « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، و « طبقات الشافعية » للسبكى ـ فهارس متنوعة للاعلام ، والأمكنة ، والقوافى ، والآيات والأحاديث ، والأمثال ، والأراجيز وغيرها وشجعنى هذا على ان اصنع لكتاب «حلية الفرسان ، وشعار الشجعان » لابن هذيل الاندلسى احد عشر فهرسا لموضوعات الخيل وأوصافها وأمراضها وشياتها وعدة السلاح والسيف والدرع والترس فكان هذا أول فهرس متعدد الأبواب والمسائل لكتاب فى المكتبة العربية ، مما جعل الزميل المحقق الأستاذ عبد السلام هارون يشير اليه ، ويشيد به فى كتابه الثمين عن (تحقيق النصوص ونشرها)

والحق ان كتاب عبد السلام هارون هذا كان اللبنة الاولى فى المكتبة العربية، اعقبته كتب ودراسات على راسها كتاب « قواعد تحقيق النصوص » للدكتور صلاح الدين المنجد

وقد يصادف المحققين لكتب التراث اوهام تتصل باسم المخطوط ، واسم مؤلفه، فيفطن بعضهم اليها ويصححها .. ويلجأ بعضهم الى الحدس والاستنباط والظن الذى قد يجرهم الى مزالق واخطاء.. واذكر أن المرحوم الشيخ احمد شاكر ذكر فى تقديمه كتاب (لباب الآداب) لاسامة بن منقذ ان اسامة له كتاب (القضاء) ، وانكر على من قال ان اسمه كتاب « العصا » ، وعلى راسهم المؤرخ الدكتور فيليب حتى . ثم تبين أن اسامة له كتاب « العصا » ، وأن « القضاء » ما هو الا تحريف من النساخ للكلمة ...

واذكر أن كتاب «الذخائر والتحف» صدر سنة ١٩٥٩ بتحقيق الدكتور محمد حميد الله ، وفيه انه للقاضى « الرشيد بن الزبير » ، وجاء المحقق ليعرفنا بهذا المؤلف ، فاخذ يدور ـ على غير يقين ـ قائلا انه عراقى ، وانه كان فى خدمة « كاليجار » السلجوقى،

وانه هاجر الى مصر لان المذهب السنى هناك لم يوافقه ... واستنبط حول هذا استنباطات غريبة ، مجافية للصواب وللحق وللتاريخ . فالرشيد ابن الزبير هو مصرى صميم من اهل اسوان فى القرن الخامس ، وكان شخصية بارزة عند الفاطميين ، وكان اسود اللون هو واخوه « المهذب » من شعراء مصر المعدودين فى العصر الفاطمى ...

ومن الطرائف المتصلة بالرشيد هذا ان المرحوم الدكتور سامى الدهان اسماه احمد بن الزبير المقرى – بالقاف – وصوابها : المصرى، نسبة الى مصر، **فانظر كم تجر الاوهام فى تحقيق التراث من مفارقات !!**

***

وما زالت المقدمات للكتب شيئا يميزها منذ ظهر فى عالم التدوين العربى اول كتاب . فالمقدمة تكشف من منهج صاحبها وغاياته من التاليف، على ان ذلك لا يمنع أن بعض الكتب ظهر بدون مقدمات ، كالكتب التى تعتمد على رواية الاخبار بالاسانيد ، مثل « فتوح البلدان » للبلاذرى ، وكتاب « الطبقات » لابن سعد ، و « الاخبار الطوال » للدينورى ، و « المعانى الكبير » لابن قتيبة . فهذه الكتب تدخل على موضوعاتها دخولا مباشرا بلا تقديم ولا مقدمات ...

وفى عصرنا الحديث ظهرت طائفة من الكتب بلا مقدمات ، ومنها : « عبقرية خالد » لعباس العقاد ، و «متنوعات» للجراح الدكتور محمد كامل حسين ، و « الامام الشافعى » للشيخ مصطفى عبد الرازق ، و « ابن رشد » للدكتور محمد يوسف موسى . وتصادفنا مقدمات وجيزة جدا لا تزيد على بضعة سطور . ومقدمات طويلة جدا تبلغ كتابا قائما بذاته .

ومن الكتب ما يقدم لها غير اصحابها .. وقد يكون ذلك التقديم « الغيرى » للتعريف بمؤلف بادىء او مغمور ، او للتعريف بكتاب ذى اهمية خاصة فى موضوعه ، او للوكالة عن المؤلف او المصنف فى التعريف به استحياء ان يتحدث هو عن نفسه ... والتقديم من الغير معروف وحاصل فى المؤلفات الاجنبية ،ولعلنا قد نقلناه عن الغربيين، فما أظن ان قدماء المؤلفين العرب كانوا يدعون لغيرهم كتابة المقدمات لكتبهم .

***

واذا كنا نصادف فى عالم الكتاب العربى مؤلفين أو مترجمين او محققين للتراث ، فاننا نلتقى ايضا بعدد غير قليل من الكتب التى يسهم فيها مراجعون توضع اسماؤهم على اغلفة الكتب توكيدا لقيمة العمل الموضوعية وتوثيقا له . وهذه المراجعة غير مراجعة تجارب الطبع ، فهذه عمل لا يتصل بالتاليف او الترجمة او التحقيق ، ولكنه يتصل بتصحيح أوهام المطبعة وتحريفاتها ، واصلاح اخطائها . واكثر ما تكون المراجعة الموضوعية فى مجال الترجمة والتعريب، او فى مجال تحقيق كتب التراث .

ويحمل كثير من الكتب اليوم ظاهرة المشاركة فى التصنيف . وهى ظاهرة بكثرة فى العصر الحديث ، وان كانت جاءت على ندرة نادرة فى العصور الماضية ، كما وقع من الشقيقين الخالديين : سعيد ومحمد من رجال القرن الرابع ، حيث اشتركا فى تاليف ديوان شعرى لهما، كما شاركا فى تاليف بضعة كتب منها « الاشباه والنظائر » و « التحف والهدايا » و « اخبار أبى تمام » وغيرها. ولقد كانت مشاركتهما فى ديوان شعر يحمل اسميهما عملا عجيبا التفت اليه أبو العلاء المعرى وسجله فى « رسالة الغفران » ، الا اذا استقل كل منهما بقصائد من نظمه، وهذا نادر عندهما . ومن المشاركات الشعرية فى عصرنا الحديث ما صنعه الشاعران الشقيقان : شبلى الملاط ، وتامر فى شعرهما ؛ فقد صدر لهما من بيروت ديوان واحد .

وقد يضع المؤلفون اسماء مراجعهم فى اول الكتاب او فى آخره على السواء، الا ان بعض المؤلفين الآن يضع المصادر

والمراجع لكل فصل في نهايته . كالذى نجده في كتاب «الادب المصرى القديم» لسليم حسن المؤرخ ، وكتاب « الحملة الفرنسية » للدكتور محمــد فؤاد شكرى . وهذه المصــادر والمراجع ضرورية للبــاحثين ، على شرط الا يكون ذكرها على ســبيل التباهى والتكاثر ...

ويتفاوت المؤلفون بين كثرة الانتاج وقلته تفاوتا عظيما . ومن العلمــاء والمفكرين من اهتم باخــراج تلاميذ ونشر رســالته عن طريقهم أكثر من اهتمامه بالتصنيف . فالســيد جمال الدين الافغاني لم يوجــه عنايته بالتاليف ، ولم يترك في دنياالتصنيف كتابا ذا بال ، على حــين كان المؤرخ السيوطى تعد مؤلفاته ورسائله بالمئات ما بين كبير وصغير ، حتى لقد بلغت عند بعض مترجمى حياته ســتمائة مصنف ..

ومن أكثر المؤلفين انتــاجا في عصرنا الحديث الأســاتذة عباس العقاد ، وطه حسين وميخائيل نعيمة ، واحمد امين وسلامة موسى ، وجرجى زيدان ، وعادل زعيتر ، وأحمد تيمور ، وولده محمود ، وتوفيق الحكيم ، ويوسف السباعى ، ونجيب محفوظ ، وشــوقى ضــيف ، واحمد الحوفى ومحمد عبدالمنعم خفاجى وأنور الجندى (المصرى)

وقد وزع بعض المؤلفين انتاجهم بين التاليف والترجمة ، لكل منهما قدر من نشاطه . ومن هؤلاء على أدهم ، وزكى نجيب محمـــود ، وحســين مؤنس ، والدكتور احمد زكى ، ومحمــد منــدور ومحمد مفيد الشوباشى ، وعبد الرحمن بدوى . على حين أن هنـــاك من وقف نشاطه كله على الترجمة والتعريب ، كما فعل المرحومــان عادل زعيتر ، ومحمــد بدران ،وهما من أساطين النقل والترجمة في العصر الحديث . وقد حدثنى عادل زعيتر انه كان يتهيب التاليف فلم يترك فيه كتابا واحدا ، على حين ملأ المكتبــة العربية بكتبه المترجمة .

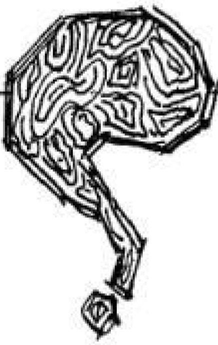
***

ومن حسنات العصور الحديثة الى المكتبة العربية والكتــاب أن المرأة العربية قد شاركت الرجل في التاليف والترجمة ، وفي الدراسات الجادة ، حتى في ميدان تحقيق التراث . وعلى حين كانت اسماء: باحثة البادية ، ومى زيادة ، وعائشــة التيمورية ، ووردة اليازجى من النوادر التى تثير الدهشة والاعجاب عند الرجال أصبحنا الآن نجد كثرة مألوفة ــ نرجو لها المزيد ــ من أسماء النساء المؤلفات أمثال : منيرة ثابت ، وبنت الشاطىء ، وسهير القلماوى ، وجميلة العــلايلى ، وأمينة السعيد ، ونجــلاء عز الدين ، وسيدة الكاشف ، ونفوسة زكريا سعيد ونادرة جميل سراج ، وفدوى طوقان ، ونازك الخزرجى، ونازك الملائكة، وثريا ملحس ، وســلمى عبد الله ، ووداد سكاكينى ، وزاهيــة قدورة ، وســميرة عزام ، وعزيزة مريدن ، وسلمى الحفار الكزبرى ــ وغيرهن .

ولا تزال تحقيقات بنت الشــاطىء لرسالة الغفران للمعرى ماثلة امامنا مما يعد فخرا للمراة العربية في مجال نشر التراث . فقد تبين لى أنها لا تستهين في تحقيقها للمخطوطات اعتمادا على الحافظة أو الذاكرة التى قد تخطىء وتصــيب ، ولكنها تؤثر الرجوع الى المصــدر لتكون على يقين مما تروى .

وكثيرا ما انزلق مؤلفــون الى رواية آيات الكتاب الكريم خطا لاعتمادهم على الحافظة ، حتى وجدنا تلك المزالق عند بعض القدامى .. وما اشــد ما كانت تزعجنى تحريفات (الجاحظ) القرآنية الفظيعة في كتــابه « الحيــوان » فهى تحــريفات من عمله هو ومن اتكاله على الحافظة ــ لا من عمل النساخ ... ومن اخطائه القرآنية : (فلما أتوا على وادى النمل) ، وصوابها : (حتى اذا أتوا على وادى النمل) و (انى مبتليكم بنهر) وصوابها : (ان الله مبتليكم بنهــر) و (ثم اسلكى سبل ربك ذللا) وصوابها: « فاسلكى سبل ربك ذللا » . وقد نبه الى هذه التحريفــات الزميل المجمعى المحقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون في احد مصنفاته المباركة .

الإسلام



هل له تصور خاص في العلوم التجريبية

• د. محمد عمارة •

● من الظواهر الطيبة والايجابية التى يشهدها عالمنا اليوم : تعدد المؤتمرات الفكرية التى تعقد لدراسة حال الاسلام واحوال المسلمين، ولتدارس مستقبل الشعوب الاسلامية ومكانها بين الأمم والحضارات وموقعها فى خريطة الصراع العالمى ونصيبها فى الاسهام الحضارى بالمستقبل ، القريب منه والبعيد ...

تلك ظاهرة طيبة وايجابية ، لانها ثمرة الوعى بالذات ، الذى يلى الحصول على الاستقلال والتعرف على المواريث والامكانات ، ولانها تعكس بلوغ الانسان المسلم المعاصر سن الرشد ودور النضج ، فلم يعد مبهورا ولا مندهشا بالحضارة الغربية ، يرى فيها التوحد والانفراد بطرح الحلول لمشاكل الانسان، ويعتقد ان صلاحها للعطاء الجيد والفعال خالد على مر الزمان ، كما اعتقدت اجيال مضت دون ان تلمس مابهذه الحضارة الغربية من سلبيات)).

لكن الشىء غير الطيب وغير الايجابى، ان العديد من هذه المؤتمرات الاسلامية ، على خطورة ماتطرح من قضايا ، وعلى اهمية ما تصدر من توصيات ، لا تلفت نظر الباحثين والمفكرين والنقاد الى الحد الذى يدعوهم الى تناول اعمالها بما تستحقه من جدية توازى خطورة ما يطرح فيها من تصورات ويتخذ فيها من قرارات ...

وهذا الموقف الذى يفتقر الى الاهتمام بهذه المؤتمرات ، ويفتقد الى الموقف النقدى الشجاع لما يطرح فيها من تصورات ، سيقودنا حتما الى احدى النتيجتين .. اما ان تذبل تلك الجهود، وتضيع ايجابياتها ، وتلك خسارة محققة . . واما ان نفاجا بالاخذ

إن أبحاث العلماء، وممارسات المفكرين وتجربة الانسانية الحديثة - تؤكد أن الشك هو الطريق إلى اليقين، وأن الفروض والاحتمالات والخيال العلمي الجامح والثورة العلمي المعلن والحرية والمعاناة الطليقة من كل قيد - كلها خطوات لابد منها على درب الذين يبغون امساك الحقائق النهائية وبلورة النظريات.

بكثير من قرارات هذه المؤتمرات، - التي تسهم فيها حكومات، ويشارك فيها الكثير من ذوى المسئولية والسلطان - ويومها نكتشف ان العديد من هذه القرارات قاصر، أو ضار، أو لا يعبر عن الفكر الذى تتطلبه حركة التطور والتطوير لعالمنا العربى والاسلامى من الواقع الراهن الى الوضع المأمول...

ونكتشف يومها كذلك - بعد فوات الأوان - أن فكر هذه المؤتمرات لايعبر عن التيار المستنير والمتطور فى عالمنا الاسلامى، وأن قراراتها وتوصياتها لاتصمد كثيرا ولا تعيش طويلا اذا هى عرضت على حقائق الفكر الاسلامى المستنير، رغم انها قد انعقدت فى مؤتمرات اسلامية، ورفعت عاليا رايات الاسلام...

وعلى سبيل المثال.. فالمؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى» الذى عقد بمكة - «٣١ مارس - ٨ ابريل سنة ١٩٧٧ م ١٢ - ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٣٩٧ هـ» - قد مر انعقاده ومرت توصياته دون أن تحظى بالدراسة النقدية الجادة.. وذلك على الرغم من خطورة توصياته التى اصدرها ٣١٣ عضوا شاركوا فيه، ومثلوا بمشاركتهم هذه اربعين بلدا اسلاميا، وبينهم العديد من القادة والمسئولين عن العملية التعليمية فى العالم العربى والاسلامى.. وعلى الرغم من أن البحوث التى قدمت الى المؤتمر قد جاوزت المئة والخمسين!.

كل هذا الجهد، بما فيه، وبما له وما عليه، قد مر دون دراسة جادة ودون نقد موضوعى يلقى الضوء على الاتجاه الذى تبشر به مثل هذه المؤتمرات، ويسهم فى بعث اليقظة الفكرية تجاه مايطرح فى الساحة من حلول وما يقدم لهذه الامة من أطواق نجاة!..

الايجابيات، والتناقض الذى يلغيها:

والى جانب الايجابية العامة التى يمثلها هذا المؤتمر، كواحد من المؤتمرات التى تجسد وعينا بذاتيتنا الحضارية، فلقد تحدثت توصيات المؤتمر عن تقسيم للعلوم سارت فيه على هدى الموقف الذى استقر عليه المفكرون العرب والمسلمون، عندما قسموا العلوم الى علوم شرعية «علوم الشريعة» وأخرى غير شرعية. فكان من بين توصيات المؤتمر توصية تدعو الى تصنيف العلوم الى نوعين.

أ - العلوم القائمة على الوحى، المتمثلة فى علوم القرآن والسنة وما يستنبط منها، مع ملاحظة اللغة العربية التى هى مفتاح فهم القرآن والسنة.

ب - العلوم الأخرى، كالعلوم الكونية القائمة على التجريب، وعلوم الآداب والاجتماع والتربية، وما الى ذلك من المعارف المكتسبة.»

وتبع ذلك أيضا حديث المؤتمر في « المفاهيم والتصورات والأهداف» عن أن « مصادر المعرفة في التصور الاسلامي نوعان : أولهما : الوحي وثانيهما : العقل .»

لكن هذه الايجابية التي نسجلها لهذا المؤتمر قد عادت التوصيات الأخرى لتسلبها نعلا فاعليتها ، وتوالت القرارات التي تلغيها وتمحو آثارها ، وذلك عندما طرح المؤتمر ، وركز في توصياته على تلك القضية الخطيرة : **قضية : علاقة الاسلام كدين ، بالعلوم التجريبية وما ماثلها من علوم لا تستمد أصولها ونشأتها من الوحي الالهي والسنة النبوية الشريفة ..**

هنا طرح المؤتمر هذه القضية الخطيرة ، واتخذ فيها اخطر القرارات، فمحا بذلك ما قدمت بعض توصياته من ايجابيات .

● **اغفال التمييز بين الاسلام كدين وبين الاسلام كحضارة .**

لقد عاد المؤتمر ، وهو يتحدث عن « المفاهيم والتصورات والأهداف » ، فوقع في الخطأ الفكري الذي يخلط أصحابه بين ماهو دين وما هي علوم دينيةشرعية مصدرها الوحي وموضوعها أصول الدين وأركانه وعباداته ، وبين ما هو حضارة وما هي علوم اسلامية بالمعنى الحضاري موضوعها كل ماعدا موضوعات علوم الدين من ميادين للمعرفة الانسانية ومجالات لعقل الانسان ونظره وتدبره وتأمله .. عاد المؤتمر ليقع في هذا الخطأ وذلك الخلط فقالت توصياته : « .. تلتقي علوم الشريعة مع الطب والهندسة والرياضيات والتربية وعلم النفس والاجتماع .. الخ في انها كلها علوم اسلامية مادامت داخل الاطار الاسلامي ومتفقة مع تصوره ومفهومه وملتزمة بأحكامه وتعاليمه »

وزاد المؤتمر هذه الفكرة وضوحا عندما تحدث أن للاسلام تصورامحددا هو الذي يحدد « اسلامية » هذه العلوم غير الشرعية من عدم « اسلاميتها » !.. فقال : « ان للاسلام تصورا عاما شاملا تنبثق منه فلسفة تعليمية وتربوية قائمة بذاتها ومتميزة من غيرها ، لذا فان نظام التعليم الاسلامي يجب ان يقوم على أساس هذا التصور الخاص المتميز »

ثم حدد المؤتمر ان نطاق الاشتراك والاستفادة مع غير المسلمين ومنهم في هذه العلوم هو نطاق « **الوسائل** » فقط .. فقال : « اما الوسائل فلا ضير من الاستفادة منها في التجارب البشرية الناجحة ، مادامت لا تصادم هذا التصور الاسلامي ولا تناقضه» !.

وبناء على هذا الفهم وانطلاقا منه كان تقييم المؤتمر لمدى تحقق«الاسلام» في ميدان العملية التعليمية والتربوية في العالم الاسلامي ، فكان حكمه بمجافاة هذه العملية للاسلام لابتعاد العلوم فيها عن التصور الاسلامي بل لقد اعتبر ان « الواقع غير الاسلامي » في المؤسسات التعليمية عند المسلمين هو أهم سبب لانعقاد المؤتمر ، فنصت مقدمة قراراته على « ان الاوضاع القائمة في المؤسسات التربوية والتعليمية الحالية في معظم بلاد العالم الاسلامي لاتمثل الصورة الاسلامية الصحيحة ، ولا تقوم بدورها الواجب في تنشئة الاجيال على هدى الاسلام ، عقيدة وتصورا وسلوكا ، بالاضافة الى ما دخل في التعليم من افكار وتصورات مناقضة للدين ومعادية له » ..

ثم تأتي اكثر توصيات المؤتمر خطورة في هذا المقام ، وهي التوصية الخامسة عشر ، فتطلب صياغة للعلوم التجريبية تجعلها «مؤمنة» بعد

إن الدعوة إلى "وصاية دينية" على العلوم غير الدينية بحجة أن للإسلام كدين، تصورا خاصا لما يجب ان تكون عليه حقائق هذه العلوم ونظرياتها هى دعوة تلغى تلك الحقيقة التى رسخت فى تراثنا الإسلامى واتفق عليها أعلامه

ان « كفرت » أو كادت !. . تقول: « يوصى المؤتمر باعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية . . كما ينبه المؤتمر الى ضرورة تنقية مناهج تلك العلوم وكتبها المقررة مما يندس فى ثناياها من افكار واتجاهات تصادم العقيدة الاسلامية او تخالف التصور الاسلامى الصحيح ، وضرورة الفصل بين الحقائق العلمية النهائية ــ وليس فيها ما يخالف العقيدة ــ وبين الفروض والنظريات العلمية التى لم تثبت نهائيا ، والتى قد تحتوى على مقررات مخالفة لمقررات العقيدة الاسلامية »(1)!

وفى التوصية الرابعة والثلاثين ، التى دعا المؤتمر فيها الى انشاء « المركز العالمى للتعليم الاسلامى » بمكة المكرمة ، حدد المؤتمر النموذج الذى يبتغيه للسياسة التعليمية الاسلامية المثلى ، فنص على انه يستهدف «رسم السياسة التعليمية على غرار الخطوة الرائدة التى قامت بها المملكة السعودية والتى تقوم على أساس التصور الاسلامى وتستمد اصولها من مصادره».

تلك هى جوهر توصيات المؤتمر التى تعلقت بدراسة العلوم ، وبالعلوم التجريبية خاصة ، اى بالعلوم غير الشرعية ، وهى التوصيات التى انطلقت من فكر يرى ان من هذه العلوم ما هو اسلامى مسلم ومؤمن ، ومنها ما هو غير اسلامى ، فهو كافر ، ولا بد من اعادة صياغته صياغة اسلامية ، وكما فعلت المملكة العربية السعودية على وجه التحديد .

والأمر الذى لاشك فيه ان هذه الدعوى وتلك الدعوة التى اطلقها «المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى» هى دعوى خطيرة . واهم من خطورتها انها ضارة . وايضا غير علمية ! . . ولا ادل على ذلك من ضررها المحقق بواقعنا الراهن ومستقبلنا المأمول ، ومن تناقضها مع تراثنا الاسلامى الذى ورثناه من اعلام فكرنا الاسلامى فى هذا الميدان ! . .

● هذه الدعوة . . وطموحنا العلمى ●

لا نعتقد ان هناك من يجادل او يخالف فى اننا ، فى ميدان البحث العلمى ، متخلفون . متخلفون ، متخلفون ! . . سواء اكان النموذج الذى نقارن به حالنا امريكا أم أوروبا وسواء اكانت أوروبا الرأسمالية أم أوروبا الاشتراكية . . فالهوة التى تفصل بيننا وبين الامم التى تمتلك مراكز البحث العلمى وتتسابق فيه، هوة سحيقة ، والتفكير فى اتساعها يقلق، بل ويخيف كل صاحب ضمير حى ومسئول من المعنيين بالعلوم وابحاثها، المدركين لخطر العلم فى التقدم وصراع

(1) انظر النص الكامل لتوصيات المؤتمر بمجلة (المسلم المعاصر) العدد العاشر يوليو 1977 م ص ١٤٩ – ١٦٢ .

الأمم والحضارات .. ويكفى ان نعلم ان طموح دوائر البحث العلمى فى بلادنا يكاد ان يقف فى معظمه عندهدف متابعة بحوث الآخرين والالمام بأنباء فتوحاتهم فى هذا الميدان ، وليس الاسهام فى الابداع والخلق ! .

ولكن الذين يمتلكون الوعى بنشاة الحضارات وتطورها ، ويدركون قوانين بعث الأمم ونهضاتها لا يصيبهم الهلع ولا يتطرق الى تفكيرهم اليأس من صورة الواقع الذى نحياه فى ميدان العلوم وابحاثها .. فقط ينبهون الى ضرورة ان نعى قانون التطور وشروط التقدم ومتطلبات الانطلاق لتعويض التخلف ولتضييق الهوة . تمهيدا للحاق والسباق ..

فمنذ عدة قرون ، وفى اعقاب الاحتكاك العنيف بين الغرب وبيننا خلال الحروب الصليبية ، كنا نمثل نحن مركز التحضر والتقدم والاستنارة ، وكانت اوروبا ميدان الجهل والتخلف والبدائية .. ولكن اوروبا استثمرت فكرنا وتراثنا واتخذت منه سبيلا لاكتشاف تراثها القديم الذى حفظناه نحن وطورناه فعرفت ارسطو من خلال ابن رشد ، وتعرفت على مكوناتها الحضارية من خلال آثارنا فى الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والعلوم .. الخ . الخ ثم لم تلبث ان وعت ذاتها ، فاستقلت بالملامح التى ميزت حضارتها ، واصبحت صلاتها مباشرة مع تراثها دون وساطة من الفكر العربى الاسلامى ، وكانت تلك شهادة نضج شخصيتها الحضارية ، التى بدات بها رحلة التقدم والاضافة ثم التفوق الذى نشهده الآن .

وعندما صنعت اوروبا ذلك لم تسلم مسيرتها هذه من التجريح ، ولم ينج روادها من الاتهام ، ولم يخل طريقها من العقبات ، بل الضحايا والتضحيات ! فلقد وقفت الكنيسة يومها موقف العداء من علوم العرب وفكر المسلمين ، ورات فى هذه العلوم هرطقة « تصادم العقيدة المسيحية ، وتخالف التصور المسيحى للكون » ! فحرمت ابن رشد واحرقت كتبه وحكمت بالكفر على تلاميذه ... وسعت الى فرض وصايتها على دوائر الفكر والبحث العلمى ، بحجة ان للمسيحية تصورات محددة فى ميدان العلم ، تجعل بعض العلوم وبعض النظريات « مؤمنة » وتجعل البعض الآخر مجردا من «الايمان» ! .. وقصة الكنيسة مع نظريات : كروية الأرض ودورانها ومع بحوث الوراثة ، والنشوء والارتقاء . الخ . الخ اشهر من ان تحتاج الى تفصيل .

وهنا نتساءل : ماذا كان سيحدث لاوروبا لو فرضت على عقلها العلمى ومراكز البحث فيها قيودا من خارج نطاق مراكز البحث هذه ؟ هل كانت ستستمر فى تخلفها ، لم تدخل عصر نهضتها ، لم تقفز الى مكانها الآن ؟! وماذا كان سيحدث لو نجح رجال الدين فى فرض وصايتهم ، فاستبعدوا هذه النظرية ، ومنعوا الاستمرار فى هذا البحث .. وطلبوا التوقف عن متابعة اختبار هذه الفروض « لانها لم تثبت نهائيا ، ولانها قد تحتوى على مقررات مخالفة لمقررات العقيدة .. » ؟!

ان جواب التساؤل واضح .. **ذلك ان الذين يعرفون شيئا عن «صناعة الفكر» ويمارسون البحث والخلق والابداع فى اى ميدان من ميادينه ، يعلمون جيدا ان اية قيود ، داخلية كانت او خارجية ، معلنة كانت او متوهمة ، انما تمثل مناخا غير ملائم للبحث والابداع ..**

فعندما تجىء توصيات « المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى » لتتحدث عن وجود تصور اسلامى للعلوم ؛ ولتطلب « اعادة صياغة العلوم التجريبية صياغة اسلامية » فاننا لنتذكر ، مرغمين واسفين ، ذلك الصراع الذى عرفته اوروبا عندما ارادت ان تنهض ، صراع العلم واهله مع رجال الدين هناك ! .. ولن تجدى تلك التفرقة التى تقدمها

إن الذين يفهمون الإسلام بعقولهم يؤسسون إيمانهم على الحق والحقيقة، ومن ثم يدركون قوة حجة الإسلام كدين، فلا يخشون عليه من ثمرات العقل وإبداعه في مجالات العلوم، طالما هم يلتزمون التقاليد العريقة لحضارتنا في التمييز بين علوم النقل في الدين وبين علوم العقل والتجريب!

توصيات المؤتمر « بين الحقائق العلمية النهائية .. وبين الفروض والنظريات العلمية التي لم تثبت نهائيا » وإجازة دراسة الاولى وإباحة تدريسها ، لأنه « ليس فيها مايخالف العقيدة» وتحريم تدريس الثانية لأنها « تحتوى على مقررات مخالفة لمقررات العقيـــدة الاسلامية » ..

ذلك ان هذا الموقف يفترض فينا دوام الوقوف موقف المتلقى ، **لا موقف المشارك في البحث والابداع .. فعلينا ان نظل على تخلفنا ، وان نسأل الآخرين: هل وصل البحث في هذا الفرع من فروع العلم الى مرتبة « الحقيقـــة النهائية » ؟ فان كان الجواب : نعم .. سمحنا بدراستها وتدريسها ، لأنها « ليس فيها مايخالف العقيـــدة » وان كان الجواب : لا ، فهي لا تزال فروضا وافتراضات ، حرمنا النظر فيها ومنعنا تدريسها في مؤسسات العلم والتعليم. مع ملاحظة هامة ، هي ان الذين يقررون لنا : اى البحوث صارت « حقيقـــة علمية » ، وأيها لا يزال « فروضا » هم الذين يختبرون « الفروض » ويتعاملون مع « الافتراضات » حتى يستخرجوا منها « الحقائق والنظريات » اى هم العلماء غير المسلمين فهم المرجع فيما ندرس ونبيح وما لا ندرس ونحرم .. ومن ثم فهم المرجع فيما سنعتبره غير مخالف لعقيدتنا ، حتى وان لجأنا الى تأويل ظواهر النصوص لتتفق معه ، وفيما سنعتبره « مصادما لعقيدتنا ومخالفا لتصورنا الاسلامى الصحيح ؟! »**

ويزيد من خطورة هذه القضية ذلك الواقع الذى نعيشه ، رغم منافاته لما تعارفت عليه تعاليم ديننا الاســلامى الحنيف .. فمعلوم أن الاسلام ينكر ان تكون لأحد من الخلق سلطة دينية على عقائد الناس وضمائرهم ، وأنه ينكر الكهانة والكهنوت ، ولا يعرف الدين « وظيفة » لنفر من الناس ، على النحو الذى عرفته المسيحية واليهـودية من قبل ، فليس في الاسلام « رجـل دين » لأن المسلمين سواء ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وأفضلهم عنـد الله أتقاهم .. لكن الواقع قد صـــادم هذا الوضع « النظرى » المعلوم . لأن تفرع العلوم وتشعبها ، ونمو بحـوث العلوم الشرعية وتعقدها قد فرض على الحياة الفكرية ضرورة أن يتخصــص نفر من العلماء للبحث والتبحر في علوم الدين ، فعرفت حياتنا الفكرية منذ قرون الفقهاء ، والمحـدثين ، والمفسرين ، والمتكلمين ـ اى علماء الدين ، ثم حدث ان استعانت نظم الحكم الجائرة بنفر من هؤلاء العلماء فأصبحت لفتاواهم سلطة وسلطانا ، وحـــدث كذلك أن « قلد » بعض هؤلاء العلماء نظراءهم فى المسيحية واليهـودية ، فأصبحوا « رجال دين » وأصبحت لهم ـ رغم

نظرية الاسلام ونظرته ـ سلطة « رجال الدين » .. وصدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اذ يقول : « لتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع ، حتى لو دخلوا حجر ضب خرب لدخلتموه ! » (٢).

وهكذا نشأت في الاسلام ، على الرغم منه ، فئة احتكرت ، او هي تجاهد لتحتكر ، الحديث باسمه ، والفهم لتصوره الخاص للكون ، ونظرته المتميزة للعلوم .. فاذا نحن اخذنا بتوصيات « المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي » فلابد لنا وان نستفتي فقهاءنا فيما هو مطروح في الساحة العلمية من نظريات وبحوث ، ايها يتفق مع التصور الاسلامي ؟ وايها يتصادم مع العقيدة ؟ .. وايها قد بلغ مبلغ الحقيقة حتى نقبله ، وان طوعنا النص لموافقته بالتأويل ؟ .. وايها لا يزال فرضا ، فنحرم دراسته الى ان يستخلص الآخرون ، الذين لا تقيدهم التصورات الاسلامية ، الحقيقة من هذه الفروض ؟ !

ولعل اكثر الالفاظ نعومة في التعبير عن تلك المأساة هي تلك التي تقول اننا بذلك نستفتي غير المتخصصين ونخالف قول الله سبحانه : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (٣) .. فالله سبحانه قد امرنا ان نرجع عند الاختلاف في الدين ، اليه والى رسوله « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » (٤) والرسول الكريم قد طلب الينا ان نرجع الى عقولنا وتجاربنا ، كل في نطاق تخصصه وابداعه عندما تكون الدنيا وعلومها هي موطن البحث والخلاف والاختلاف ، وذلك عندما قال : « ما كان من امر دينكم فالي ، وما كان من امر دنياكم فانتم اعلم به » (٥) .

فهي ستكون اذن مأساة ، تؤبد بها تخلفنا العلمي ، وتزيد الهوة بيننا وبين المتقدمين اتساعا ، وتزيد سخرية الاخرين منا فوق ما هي ! .. بل وتزيدهم سرورا عندما يطمئنون الى ان هذه الوصاية غير الواعية ستضمن لهم الامن من قرب بعثنا الحضاري الذي يخشاه منهم اولئك الذين وعوا تاريخ الصراعات الحضارية واولئك الذين يبصرون ما هو ابعد من مواطئ الاقدام ! »

وللذين لا يدركون ابعاد مأساة تلك الوصاية « الفقهية » على البحوث والدراسات « العلمية » نقدم مثلين اثنين ، ليتم عليهما القياس :

اولهما : ان الذين اطلقوا للعقل العنان كي يبحث في ميدان العلوم قد وصلوا بالعقل المتحرر وبحقائق العلم الى حيث وطئت اقدامهم سطح القمر ، وهم يعملون لما هو اخطر وابعد.. اما نحن فان وصاية « الفقهاء » تمنعنا حتى اليوم من استخدام العلم في تحديد توقيت ظهور القمر ! .. وما زلنا نتمسك بان « العين المجردة » هي وسيلة « الرؤية » الوحيدة !.. وعندما طرحت القضية للنقاش في مؤتمر ضم الفقهاء ووزراء الاوقاف ، عقد بماليزيا منذ سنوات رفض الفقهاء ان يمثل « العلم رؤية » بالنسبة للانسان ، وحسم مفتي احدى الجمهوريات العربية الامر عندما روى حديثا منسوبا الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقول فيه : « نحن امة امية ، لا نقرا ولا نكتب » ! .. هكذا طلب المفتي ان نرفض العلم ، في هذه القضية ، لأنه فرغ من القراءة والكتابة ، والرسول قد حدد اننا امة امية لا تكتب ولا تحسب .. ولم يكلف هذا المفتي الفاضل نفسه ان يعرض مضمون هذا الحديث ، ليختبر صحته

(٢) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم ، وابن ماجة ، وابن حنبل .
(٣) النحل : ٤٣ (٤) النساء : ٥٩
(٥) هذا الحديث رواه مسلم وابن ماجة وابن حنبل

ومعقوليته ، على كل ما فى القرآن والسنة من حض على العلم وتمجيد له ولأهله ، كما لم يكلف نفسه البحث فى : هل هذا الحديث ، ان صح ، هو وصف لواقع قديم نهض الرسول وصحابته بتغييره ؟ أم هو تشريع يطالب المسلمين أن يلزموا الجهل ويبتعدوا عن مواطن العلم والتعليم . . . .

لقد ساد منطق الشيخ فى مؤتمر ماليزيا ، وفيما تلاه من مؤتمرات وما زالت له السيادة فى واقعنا . . ولقد ضاعت صيحات علماء الفلك والارصاد هباء ، لان الوصاية هنا هى للفقهاء ، نعم هم « علماء » فى علوم الشريعة ، ولكن وصايتهم تعدت الى « الفلك والحساب والارصاد » ، فكانت تلك النتيجة ، التى هى « مأساة وملهاة » فى ذات الوقت ! .. فهل نريد تعميم هذا النموذج بمد هذه الوصاية الى مختلف فروع العلم ؟! »

وثانيهما : ان «المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى » قد حدد لنا فى توصياته النموذج الذى يبتغيه ، ويطلب لشعوب الامة الاسلامية احتذاءه فى دراسة العلوم وتدريسها .. ونحن نعلم ان هذا النموذج : تنكر كتب العلوم التى تدرس لطلابه الكثير من النظريات العلمية ، وتتجاهل عددا آخر منها .. تنكر وتتجاهل مثلا : كروية الارض ! .. ودورانها ! .. وقوانين الوراثة وعلومها ! .. ونظريات اصل الكون ! .. ونشأة الحياة على الارض ! .. والنشوء والارتقاء ! .. الخ .. الخ .. فهل نريد تعميم هذا النموذج فى كل بلاد الإسلام ؟!

وهل يستطيع باحث او مفكر او عالم ، يستشعر المسئولية عن وضع امته ، ويطمح الى ان تنهض لتعود ثانيا الى الساحة الدولية بعطائها الحضاري واسهامها الفكري والعلمي .. هل يستطيع هذا الانسان ان يرى فى ذلك الطريق الدرب الذى يلبي احتياجاتنا ، ويعوض تخلفنا ، ويلحقنا بمعسكر المتقدمين ؟!

ان الاتهامات العشوائية ليست من من شيمة الباحث الجاد او المفكر الاصيل أو العالم المسئول .. لكننا نتساءل ، وفى ذهننا الواقع الذى نعيشه والمستقبل الذى نأمله ، ووصايا ديننا الحنيف بأن نطلب العلم ولو بالصين — ولم تكن مسلمة — وبأن الحكمة هى ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو احق بها .. نتساءل : لماذا يدعو «المؤتمر العالمى الاول للتعليم الاسلامى» الى أن نغلق دون عقولنا ابواب العلم والتعلم ؟ فبدلا من أن يدعو الى السياحة العلمية والانتشار فى الارض والفضاء للدرس والنظر والتدبر ، كما امرنا الله سبحانه ، اذا بتوصيته الثامنة والعشرين تطلب :

« قصر ارسال البعثات الى الخارج على التخصصات النادرة — نظرا لما يتعرض له الشباب المبتعث الى الخارج من فتنة .. مع العمل على ايجاد جميع التخصصات فى داخل العالم الاسلامى حتى يتم الاستغناء من الابتعاث الى الخارج الا فى حالة الضرورة القصوى » ! ..

ان هذه التوصية لم تجانبها فقط النظرة والروح والواقعية ، التى تؤكد أن التقدم العلمى والبحث العلمى قد غدا يتطلب من النفقات والامكانيات ما يجعل الاستقلال فيه والاكتفاء ضربا من ضروب المستحيل .. تلك حقيقة الامر لدى المتقدمين فيه ، فما بالنا بالمتخلفين يتحدثون عن الاكتفاء : انها بالقطع دعوة الى مجتمع عصر المماليك والعثمانيين ، اى الى جاهلية عصورنا المظلمة ! .. فهل هذا هو النموذج الذى يبتغون ؟! وهل هذا هو طوق النجاة المنقذ لنا من التخلف الذى نعيش فيه ؟!

● للبحث بقية ●

رسـائل إخوان الصفاء

بقيـة مانشر في العدد الماضي

● د . كامل سعفان ●

● ويقـول : « ان المستشرق الألماني فريدرخ ديتريصي قد اتخذ من هذه الرسائل مرجعه الوحيد لكتابه الضخم الذي بلغت مجلداته ثمانية ، والذي فيه دراسة الحكمة عند العرب في القرن الرابع الهجري ، وان دوائر المعارف الاوروبية وكتب المستشرقين قد اسهبت في تحليل هذه الرسائل واستكناه دررها وحل الغازها ، ومحاولة تبيين رموزها ، وتتبع ترتيباتها وتنظيماتها ، لأنهم جميعا قد اقتنعوا بأنها هي المرآة الصادقة لنضوج الفكر الاسلامي ، بعد أن انتشرت حوله المعارف الأجنبية المترجمة ، وعملت عملها ، وآتت أكلها » ..

وأورد قول الدكتور طه حسين : « لسنا نقول شيئا جديدا حين نقول : ان رسائل اخوان الصفاء هذه اشبه شيء بدائرة معارف فلسفية علمية ، جمعت كل ما لم يكن بد من تحصيله للانسان المثقف حقا في ذلك العصر ، ولكنها جمعت ذلك كله على شيء من النظام يمثله الفهرست الذي قدمين بديها » «١» .

هذان رأيان متقابلان الى حدما .. التوحيدي والبستاني ودي بور يقررون انها جملة تقول اعوزها الاختبار الجيد والنقد البصير ودقة التناول ، والدكتور غلاب يقرر انها قمة في التراث مجهولة القيمة ، مع « أن دوائر المعارف الاوروبية وكتب المستشرقين قد أسهبت في تحليل هذه الرسائل .. الخ ..

فما الراي لو اتطالعنا هذه الرسائل معا ، ووقفنا عند ما تقدمه لنا النصوص ؟!

٣ ـ هذه الرسائل ..

يقول كاتب الرسائل في التعريف بها : « هي اثنتان وخمسون رسالة ، في فنون العلم ، وغرائب الحكم ، وطرائف الأدب ، وحقائق المعاني ، من كلام الخلفاء الصوفية ، صان الله قدرهم ، وحرسهم حيث كانوا في البلاد .. وهي مقسومة اربعة اقسام : فمنها رياضية تعليمية ، ومنها جسمانية طبيعية ، ومنها نفسانية عقلية ، ومنها ناموسية الهية » ص ٢١

« وهي اثنتان وخمسون رسالة ورسالة ، في تهذيب النفوس واصلاح الأخلاق » .. ص ٤٣

« انها جلاء وشفاء ، ونور وضياء ، بل كالغذاء أن لم تكن دواء ، وكالفساد ان لم تكن صلاحا ، وكالهلاك ان لم تكن نجاة ، تداوي وقد تدوي ، وتميت وتحيي ، فهي كالترياق الكبير الذي هو في نفسه وحده ، وتختلف الاحوال

(١٠) اخوان الصفاء ـ ص ١٧ و ١٨ و ٢٢ و ٢٣

عنده ، فيفعل الشيء وضده ، بحسب القوابل والمنفعلات عنه ، والحواصل والمتولدات منه ، بل مثلها الغذاء والضياء ، فان بالغذاء القوة والزيادة ، وبالضياء الابصار والهداية » .. ص ٤٤ ـ ٤٥

وينبغي ملاحظة انه ـ مع حسن التقسيم والفهرسة بين يدي الكتاب ـ نجد طبيعة كتابة الرسائل ، وطبيعة الهدف من كتابتها ، وكون الكاتبين متعددين ـ كل هذا ساعد على يسر الحركة الفكرية ، بعيدا عن المنهجية بتاليف كتاب ، ومن ثم كان التداعي الفكري ، وكان التكرار .. وبالرغم من الشعور الذي قد يصل الى حد اليقين بأن هذه الرسائل أعيدت صياغتها بقلم واحد ، مما انكشف عنه خصائص التعبير ، فانها على الأرجح كانت بين يدي كاتبها رسالة بعد اخرى ، ومن ثم احتفظت بظاهرة التكرار التي كان يمكن تلافيها ، لو انها تنوولت في شكل كتاب ..

أ ـ المجلد الاول

: قوامه الحديث عن العدد ، وماتوحي به الأرقام .. فالواحد الذي قبل الاثنين هو أصل العدد ومبدؤه ، ومنه ينشأ العدد كله ، صحيحه وكسوره ، واليه ينحل راجعا » .. ص ٥٠

« ونسبة الباري ـ جل ثناؤه ـ من الموجودات كنسبة الواحد من العدد » ص ٥٣ .. « وكما أن الواحد اصل ومنشؤه ، واوله واخره ، كذلك الله ـ عز وجل ـ هو علة الأشياء وخالقها وأولها وأخرها .. وكما ان الواحد لاجزء له ولا مثل له في العدد ، فكذلك الله ـ جل ثناؤه ـ لا مثل له في خلقه ، ولا شبه .. وكما أن الواحد محيط بالعدد كله ويعده ، كذلك الله ـ جل جلاله ـ عالم بالأشياء وماهياتها » ـ ص ٥٤ ـ ٥٥

ولاريب في أن هذه الدعوى ظاهرة البطلان ، لأن علاقة الواحد بغيره من الأرقام قائمة على « التكرار » والتعدد

اما علاقة الخالق بالمخلوق فقائمة على اساس « ليس كمثله شيء » ..

وتستمر الرسائل في هذه « المغالطات قائلة :

العدد كله احاده وعشراته ومئاته والوفه ، او ما زاد بالغا ما بلغ ، فاصلها كلها من الواحد الى الاربعة ، وهي هذه ٤٣٢١ ، وذلك ان سائر الاعداد كلها من هذه يتركب ، ومنها ينشأ ، وهي أصل فيها كلها ، بيان ذلك انه اذا اضيفت ثلاثة الى اربعة كانت سبعة ، وان اضيفت واحد واثنان وثلاثة الى اربعة كانت عشرة » ـ ص ٥٢

لكن ، مادام الأمر مرتبطا باضافة ارقام أخرى ، فما مبرر الوقوف عند رقم بعينه ؟!

●● والحديث عن العدد يسلم الى الحديث عن « النجوم » .. ولعل الكلام عن النجوم يشعر بقدر كبير من المعرفة في هذا المجال ، على حين اقتصر الحديث عن العدد على اوليات وسفسطات وطرائف ايضا ..

وجملة المآخذ على ماورد عن النجوم مردها الى الخلط بين معارف العلماء واوهام رجال الدين ، وبخاصة الصابئة ، وبين ما انتشر في المجتمع الاسلامي من خرافات واساطير عن طريق الفرس والهنود .

فالرسائل تدعى ان علم الفلك جاء به أدريس النبي ، اذ « يحكي عن هرمس المثلث بالحكمة ، وهو ادريس النبي ، (٢) عليه السلام ، أنه صعد الى فلك زحل ، ودار معه ثلاثين سنة ، حتى شاهد جميع أحوال الفلك ، ثم نزل الى الأرض ، تخبر الناس بعلم النجوم ، قال الله تعالى : « ورفعناه مكانا عليا » ـ ص ١٣٨ .

استشهد بالاية الكريمة في غير موضعها .. لكن ماذا جاء به هرمس بعد مشاهدة « جميع أحوال الفلك » خلال ثلاثين عاما ؟!

يقول :

---

٢ ـ تذكر الرسائل ص ٢٩٧ ان هذا ورد في السفر الرابع من صحف هرمس (!!)

« واعلم ان الارض بجميع ماعليها من الجبال والبحار بالنسبة الى سعة الأفلاك ما هي الا كالنقطة في الدائرة ، وذلك أن في الفلك ألفا وتسعة وعشرين كوكبا ، اصغر كوكب منها مثل الارض ثماني عشرة مرة ، واكبرها مائة وسبع مرات » — ص ١٦٦

« واجزاء الأرض لما كانت كلها ثقيلة انجذبت الى المركز ،وسبق جزء واحد، وحصل في المركز ، ووقف باقي الاجزاء حولها ، يعني حول النقط ، يطلب كل جزء منها المركز ، فصارت الأرض بجميع اجزائها كرة واحدة بذلك السبب ، ولما كانت اجزاء الماء آخف من أجزاء الارض وقف الماء فوق الأرض ، ولما كانت اجزاء الهواء اخف من اجزاء الماء صار الهواء فوق الماء والنار لما كانت اجزاؤها أخف من اجزاء الهواء صارت في العلو مما يلي فلك القمر » — ص ١٦٢

مجرد كلام ، لاعلاقة له بالعلم ، وان اخذ صورته.

●● ثم ينتقل الى دور الكواكب في مسيرة الحياة ، فيقول :

« ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سمواته ، خلقهم الله تعالى لعمارة عالم ، وتدبير خلائقه وسياسة بريته ، وهم خلفاء الله في افلاكه ، كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله في ارضه، خلقهم وملكهم بلاده ، وولاهم على عباده ، ليعمروا بلاده ، ويسوسوا عباده ، ويحفظوا شرائع أنبيائه ، بانفاذ احكامهم على عباده ، وحفظ نظامهم على احسن حالات مايتاتي فيهم، واتم غايات مايمكنهم من البلوغ اليها ، وافضل نهايات ما يصلون اليها ، اما في الدنيا واما في الاخرة ..

فعلى هذا المثال والقياس تجري احكام هذه الكواكب في هذه الكائنات التي تحت فلك القمر ، ولها افعال لطيفة وتاثيرات خفية تدق على اكثر الناس معرفتها وكيفيتها ، كما تدق على الصبيان والجهال معرفة كيفية سياسة الملوك وتدبيرهم في رعيتهم » — ص ١٤٥

●● ثم ينتقل نقلة اخرى ، فماذا الملائكة المتجسدة في الكواكب تفارق اجسادها ، ولا ندري من امر هذه الأجساد ،ماذا بقي لها في عمارة الكون .. يقول :

«فاجناس الملائكة هي نفوس خيرة موكلة بحفظ العالم وصلاح الخليقة ، وقد كانت متجسدة قبل وقتا من الزمان ، فتهذبت واستبصرت ، وفارقت اجسادها ، واستقلت بذاتها، وفازت ونجت ، وساحت في فضاء الافلاك ، وسعة السموات ، فهي مغتبطة فرحانة مسرورة ملتذة ، مادامت السموات والأرض » — ص ١٤٢

●● وما دامت الملائكة خيرة مستبصرة فمن أين هذا الشر في العالم ، لابد من عنصر اخر يتمثل في العفاريت ومردة الشياطين ، لكنه لم يحدد فيم كانت الارواح الشريرة متجسدة .. قال :

« واما عفاريت الجن ومردة الشياطين فهي نفوس شريرة مفسدة ، وقد كانت متجسدة قبل وقتا من الزمان ، ففارقت اجسادها ، غير متبصرة ولا متهذبة ، فبقيت عميا عن رؤية الحقائق ، صما عن استماع الصواب ، بكما عن النطق الفكري في المعاني اللطيفة ، فهي سابحة في ظلمات بحر الهيولي ، غائصة في قعر من الأجسام المظلمة ، ذي ثلاث شعب ، تهوي في هاوية البرزخ ، كلما نضجت جلودهم بالبلاء بدلناهم جلودا غيرها بالكون ، مادامت السموات والارض » ص ١٤٣

واحسب ان من كان هذا حاله شغله ما هو فيه عن غيره،لكن مع ذلك،

فان للشر دوراً في الحياة الى جانب الخير ، كيف يتم ذلك ؟ هناك تفسير جديدة لطريقة التدبير الكوني ،

واعلم يا اخي أن أول قوة تسري من النفس الكلية نحو العالم فهي من الأشخاص الفاضلة النيرة التي هي الكواكب الثابتة ، ثم بعد ذلك في الكواكب السيارة ، ثم بعد ذلك فيما دونهامن الأركان الاربعة ،وفي الاشخاص الكائنة منها من المعادن والنبات والحيوان ..

واعلم بأن مثال سريان قوة النفس الكلية في الاجسام الكلية والجزئية جميعا ، كمثال سريان نور الشمس والكواكب في الهواء ومطارح شعاعاتها نحو مركز الأرض » .. ص ١٤٦

وبهذا تنتفي « الارادة »مع«الفعل»، ومن ثم لايكون داع للثواب والعقاب ، لكن الكاتب ــ وهو يخطف خطفة من **هنا واخرى من هناك ــ يعالج قضية « الكسب والاكتساب »بطريقة اخرى، على اساس :**

ان اخلاق بنيالدنيا هي التي ذكرتها الطبيعة في الجبلة ،من غير كسب منهم ولا اختيار ولا فكرولا روية ولا اجتهاد كلفة ، فهم يسعون فيها ويعملون عليها مثل البهائم في طلب منافع الاجساد ودفع المضرة منها ، كما قال الله تعالى ذكره : **« يأكلون كما تأكل الانعام ، والنار مثوى لهم »** .

واما اخلاق أبناء الآخرة فهي التي اكتسبوها باجتهادهم ، اما بموجب العقل والفكر والروية ، واما باتباع أوامر الناموس وتأديبه ، وتصير عنه ذلك عادة لهم بطول الدءوب فيها ، وكثرة الاستعمال لها ، وعليها يجازون ويثابون ، كما ذكر الله تعالى بقوله : **« وأن ليس للانسان الاماسعي ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى »** .

واعلم يا اخي ــ أيدك الله وايانا بروح من عنده ــ بانك اذا انعمت النظر بعقلك وفكرت برويتك ، وتأملت اوامر الناموس ونواهيه واحكامه وحدوده وترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وزجره وتهديده ــ عرفت وتبينت أن أكثر اوامره هي بخلاف ما في طباع الناس ، ونواهيه عما هو في الجبلة مركوز من تركيب الشهوات ، أو طلب الراحة والنعيم والتلذذ » ــ ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣

خلط بين آراء ومفاهيم ،تبعد كثيرا عن دور الكواكب ، فالشر مركوز في الانسان « من غير كسب » ، والخير يمكن « بموجب العقل والفكر والروية و « او أمر الناموس » هي «بخلاف ما في طباع الناس » ..

ويسطو على الآيات القرآنية فيوظفها لصالح هذه الآراء والمفاهيم دون روية .. هذا مع ان ابسط **المفاهيم الدينية** تشير اليه الآية الكريمة : **« واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم** على انفسهم : **الست بربكم قالوا : بلى »** ... **فالهدى الالهي مستقر في ذرات التكوين الانساني ،** ومن لم يصبح الشر طارئا ، نتيجة التفاعل مع الحياة ومتطلباتها ، و « بموجب العقل والفكر والروية » يمكن التحرر من هذا الشر الطاريء ، والا ففي « أوامر الناموس ونواهيه واحكامه وحدوده وترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وزجره وتهديده » ما يحول دون تجاوزات صراعات الحياة ، او يخفف من تأثيرها ..

●● يستمر في تأكيد مفهوم « القدرية » ، وأن الانسان « مسير لا مخير » ، فيقول :

« اذا اتفق للفلك شكل محمود من أوقات الزمان ، ويولد في ذلك الوقت عدة مواليد من اجناس الحيوانات ومواليد الناس ، ولكن يكون بعضهم من اولاد الفقراء والمساكين والمكدين ــ

فلايكون قبولهم لسعادة الفلك على سن واحد ، بل كل واحد منهم بحسب مرتبته — ص ١٤٩ .

حقا يكون المؤثر واحدا ، ومع ذلك تختلف درجات التأثير من شخص لآخر ، بل من وقت لآخر على وفق الاستعداد النفسى والعقلى فى الدرجة الاولى ، لامن حيث كونهم أبناء ملوك اوابناء سوقة ، والا فما قيمة الصراع بين الافراد وبين الطبقات ؟ وما دلالة ان يصبح اولاد الملوك سوقة وأولاد السوقة ملوكا ، بفعل أحداث التاريخ ؟

●● والحديث عن الافلاك يؤدى الى الحديث عن الموسيقى :

لانه :

« لو لم يكن لحركات اشخاص الافلاك اصوات ولانغمات ، لم يكن لاهلها فائدة من القوة السامعة الموجودة فيهم ، فان لم يكن لهم سمع فهم صم بكم عمى ، وهذه حال الجامدات الناقصات الوجود ، وقد قام الدليل وصح البرهان بطريق المنطق الفلسفى ان اهل السموات وسكان الافلاك هم ملائكة الله وخالص عباده ، يسمعون ويبصرون ويعقلون ويعملون ويقرأون ويسبحون الليل والنهار لايفترون ، وتسبيحهم الحان اطيب من قراءة داود للزبور فى المحراب ، ونغمات الدمن نغمات أوتار العيدان الفصيحة فى الايوان العالى » .. ص٢٠٦

اى منطق واى فلسفة تقيم الدليل على صحة هذا القول ؟ واذا كانت الملائكة هى روح الافلاك ، لأنها كانت متجسدة فيها ، فهل تسمع عنها وتتأثر بها تلقائيا ، او بطريقة الخفافيش التى تصطدم اصواتها بالاجسام فترتد ، لتحدد طريقا ؟!

الحقيقة ان كاتب هذه الاخبار التى لا يسهل على العقل ان يسيغها او يستريح اليها ، اخطاه التوفيق كثيرا ، لا فى ايرادها ، ولكن فى توثيقها بعبارات « اعلم يا اخى » ، وفى نسبتها الى انبياء والى علماء .. وقل ان يلجا الى لفظ الحكاية او الرواية بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات **كان يقول ،**

« ويقال ان فيثاغورس الحكيم سمع حركات الافلاك والكواكب . فاستخرج بجودة نظرته اصول الموسيقى ونغمات الالحان ، وهو اول من تكلم فى هذا العلم ، واخبر عن هذا السر من الحكماء ، ثم بعده نيقو ماخس وبطليوس واقليدس وغيرهم من الحكماء » .. ص ٢٠٨

وجد فى هرمس اول من علم عن الافلاك ، ووجد فى فيثاغورس اول من علم عن الموسيقى ، مع ان القول عن الاوليات هذه يتنافى مع بداهة الافكار ، لكنها متشبثة « اخوان الصفاء » فى رسائلهم ، يقطعون ويجزمون فيما لاقطع ولا جزم فيه ! ..

●● ولا يكاد المجلد الاول يخرج عن هذا الخط الرئيسى ، وان كان القارىء يلتقى هنا وهناك بحديث عن شرائط التفسير للقرآن الكريم « ص ٣٢٥ — ٣٢٦ » ، او عن آفات الشبع ، وخصال الزهاد « ص ٣٥ — ٣٦٠ » ، اوعن النشأة الاخرة « ص ٣٤١ » ، او عن النشوء والارتقاء ، « ص ٣١٩ — ٣٢٠ » ، الى كثير مما هو اشبه بالاستطرادات ..

● للبحث بقية ●

أحببتها

• محمود ابو الوفا •

أحببتها ، أحببتها ، أحببتها
وأحب فى الأيام يومَ رأيتها
ووددتُ لو أنّى جمعت لها المنى
وأتيتُ بالدنيا لها ووهبتها
تمشى مفاتنها تلحّنُ خطوها
الله فيما لحّنت خطواتها
لم تكذب الرؤيا وقد فسّرتها
وعن اسم هذا اللحن ، رحت سألتها
لم أدر ما قالته إلا بعد ما
كانت بمعصمها يدى ورفقتها
كل المنى فى لحظة أنا نلتها
لمّا شعرتُ بأننى كلمتها
وكلامها .. إن قلتُ إن كلامها
نغمُ (الكمان) فقد أكونُ ظلمتها
إن لم تكنْ (فينوس) فهى مثالها
فى موكب الربات أو هى أختها
الحسنُ ولاّها على سلطانه
وعلى الجمال أقامها ملكوتها
وأنا الكليمُ ، فهل علىّ ملامة
ولقد عبدت الحسن لو ألّهتها
ياليلة فى العمر أحسب أنها
عدلت جميعَ العمر لو قومتها
منحُ الشباب جميعها ، استقبلتها
هذا المساء وللشباب منحتها
لم أبق صالحة تمشى عاشق
فى عشقه المبرور إلا جئتها
والله لو بيدى لما ترك امرؤ
ذو حاجة ، إلا له نولتها !!

المرأة المسلمة والميراث

• د. احمد الحوفي •

● اجمع المفسرون للقرآن الكريم والمؤرخون للعرب قبل الاسلام ان المرأة العربية كانت مسلوبة حق الميراث، لان عرب الجاهلية لم يورثوا النساء والغلمان ، اي لم يكن حق الميراث الا لمن طاعن بالرماح، وذاد عن الحوزة، وحاز الغنيمة .. (١) .

وقالوا ان العرب بقوا على هذا النظام الى ان مات اوس بن ثابت وترك ابنتين وولدا صغيرا وزوجة ، فجاء ابنا عمه فاخذا ميراثه كله ، ولم يتركا لامرأته واولاده شيئا ، فقالت لهما : تزوجا اليتيمتين ، فأبيا لانهما كانتا دميمتين ، فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته ، فدعاهما ، فاحتجا بان ولدها لا يركب فرسا ، ولا يحمل كلا ، ولا ينكي عدوا . فقال رسول الله : انصرفوا حتى انظر مايحدث فيهن ، فانصرفوا .

حينئذ انزل الله تعالى الآية الكريمة : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، مما قل منه او كثر ، نصيبا مفروضا » . «(٢)»

ثم نزلت بعد ذلك الآية الكريمة : « ويستفتونك في النساء ، قل الله يفتيكم فيهن ، ومايتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لاتؤتونهن ماكتب لهن ، وترغبون ان تنكحوهن ، والمستضعفين من الولدان، وان تقوموا لليتامى بالقسط ، وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما » . «(٣)»

ثم نزل قوله تعالى : «يوصيكم الله في اولادكم ، للذكر مثل حظ الانثيين ... والله عليم حليم » . «(٤)»

• لكن هذا في حاجة الى مناقشة وتمحيص :

١ ـ فلو ان حرمان المرأة من الميراث عرف عام عند العرب ما شكت أم كحة زوجة أوس بن ثابت انها واولادها قد حرمن الميراث ، بل ان هذه الشكوى

(١) تفسير الطبري ٥/١٨٥ ، ١٩١ والكشاف للزمخشري ١/١٩٠ .

(٢) سورة النساء ٧
(٣) سورة النساء ١٢٧
(٤) سورة النساء ١٢ .

لاشك أن نظام التوريث في الإسلام قد استوفى العدل والإنصاف والرحمة جميعا ، لأنه فرض للمرأة نصف الرجل ، والرجل هو المكلف بالإنفاق على نفسه وعلى زوجته وعلى أولاده منها وإن كانت ذات مال .

تدل على ان أولياء الميت كانوا عادة يعطون الزوجة والبنات بعض ما ترك ، ولكنهم في هذه الحالة ضيقوا على الزوجة وعلى أولادها ، واحتازوا التركة كلها ، فلم تجد بدا من أن تستنجد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حكم القرآن الكريم فيصلا في موضوع الميراث .

٢ ــ ثم انني وجدت في تفسير الطبري نصا استنتجت منه ان الثروة كانت من نصيب الولد الاكبر وحده ، لانه قال : فكانوا لا يعطون الميراث الا من قاتل ، ويعطونه الاكبر فالاكبر .(٥)

وهذا النظام شبيه كل الشبه بالنظام الانجليزى المعمول به الى اليوم .

ومعنى هذا ان الذكور الكبار المقاتلين كانوا يفضلون على الذكور الصغار وعلى الاناث في تقسيم الغنائم والاسلاب والميراث ، لان اعباء القتال وتبعات الثأر وحماية الحوزة كانت كلها على الرجال وحدهم دون الاطفال والنساء ، فلم يكن الحرمان من الميراث مقصورا على الاناث وحدهن .

٣ ــ واذا كان النظام العام الا ترث المرأة ، فمن اين حصلت النساء على ما امتلكن من اموال ؟ وكيف صارت بعض النسوة ثريات مشهورات بالثراء كالسيدة خديجة ؟

ولقد أوصى القرآن الكريم برعاية اليتامى في اموالهم وحظر اكله بالباطل ، وحبب الى المسلمين زواج اليتامى واعطاءهن صداقهن كاملا : « **وآتوا اليتامى اموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم** انه كان حوبا كبيرا » .(٦)

واوصى النبي صلى الله عليه وسلم باليتامى اصحاب المال خيرا ، وحذر الاوصياء من العدوان على مالهم .

ومن المعقول ان يكون بعض هؤلاء قد ورثوا قبل مشرق الاسلام ، وان يكون آخرون قد ورثوا بعد الاسلام ، لان القرآن الكريم ينص على ان اليتامى كان لهم مال قبل ان تنزل الآية : « وآتوا اليتامى اموالهم » وفي معنى الآية ان بعض الاوصياء كانوا يأخذون الجيد من مال اليتيم ، ويتركون لليتيم الرديء والخسيس مكانه ، فنهاهم الله عن هذا التبديل ، ونهاهم عن خلط مال اليتامى بمالهم ، حتى لا يأكلوه .

ولقد تشدد بعض الاوصياء في

(٥) تفسير الطبري ١٨٥/٤ .

(٦) سورة النساء ٢ .

تحرزهم ، حتى كرهوا ان يخالطوا اليتامى، فنزل قوله تعالى : « ويسالونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير ، وان تخالطوهم فاخوانكم » . «٧»

كذلك ينص القرآن الكريم على ان الاناث اليتامى كان لهن مال « وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » . «٨»

والمراد كما روى عن السيدة عائشة ان تكون اليتيمة في حجر وليها ، فيرغب في مالها وجمالها ، ويريد أن يتزوجها باقل من صداقها ، فنهاهم الله عن هذا الزواج الا بالعدل في الصداق ، أو ان تكون اليتيمة ذات مال ، فلعل وليها ينكحها لمالها وهي لا تعجبه ، ثم يسيء عشرتها ، فنهاهم الله عن هذا . «٩»

٤ ـ ولقد عثرت على نصوص فريدة تكشف الحجاب عن هذه الحقيقة ، وهى أن المراة كانت ترث احيانا قبل الاسلام، وهي نصوص كالشعاع الذى يومض من خلال السحب الكثيفة ، يعلن ان الشمس ها هنا ضوؤها لم يذهب كله، ولم تغرب الشمس .

انها نصوص كالاثر الوحيد الذى بقى سليما على عوادى الدهر وعوادى الناس ، في اكداس من آثار مهشمة والواح محطمة ، ونقوش ممسوحة .

من هذه النصوص :

أ ـ قال ابن حبيب : ورث ذو المجاسد وهو عامر بن جشم بن غنم اليشكرى ، ماله لأولاده في الجاهلية ، للذكر مثل حظ الانثيين ، فوافق حكم الاسلام . «١٠»

ب ـ وذكر ابن حزم الاندلسي ان عامر ابن جشم اول من اعطى الذكر حظين والانثى حظا . «١١»

ولم يكفل لهذا الاثر ان عامرا ورث بناته ، وانما كفل له البقاء انه فرى فريا عجبا اتفق مع ما شرع الاسلام فيما بعد ، ولولا هذا لضاع ما عمله عامر كما ضاع ما عمل غيره .

ج ـ ووجدت الواقدى قد ذكر في قصة ام كحة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : مات بعلى ، فانتقل الميراث الى اخيه ، وبقيت بناته بدون مال ، ولكن انى للبنات ان يتزوجن اذا لم يكن لديهن مال ؟ «١٢» فهذه الزوجة تشكو الى النبي صلوات الله وسلامه عليه ان عم بناتها استأثر بمال زوجها ، وتستبعد أن يقبل احد على بناتها ليتزوجهن ولا مال لهن ، وتصرخ من استئثار الرجل بتركة اخيه .

ومعنى هذا انها كانت تتوقع كما يتوقع غيرها من هذا العم ان يترك لبنات اخيه نصيبا من تركة ابيهن .

د ـ ثم وجدت نصا في الطبرى صريح الدلالة على ميراث البنت احيانا هو قوله : كان جابر بن عبد الله الانصارى ثم السلمى له ابنة عم عمياء، وكانت دميمة ، وقد ورثت عن ابيها مالا ، فكان جابر يمتنع من زواجها ، ولا يمكن غيره من أن يتزوجها ، مخافة ان يذهب زوجها بمالها ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وكان ناس في حجورهن فتيات ايضا ، فجعل جابر يسأل النبي صلى الله عليه وسلم : اترث الجارية اذا كانت

(٧) تفسير الطبرى ١٥٤/٢ .
(٨) سورة النساء ٣ .
(٩) تفسير الطبرى ١٥٥/٢ وسنن ابى داود ٢٠٥/١
(١٠) المحبر لابن حبيب ٢٣٦ .
(١١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٩٠
(١٢) المغازى للواقدى ١٤

قبيحة عمياء ؟ والنبى عليه الصلاة والسلام يقول نعم . «١٣»

ولاشك ان هذه كانت قد ورثت فى الجاهلية ، بدليل ان جابرا رغب عن زواجها ، وعضلها ، وفى سؤال جابر للنبى اترث الجارية اذا كانت قبيحة عمياء ؟ دليل على ان مبعث الاستنكار او العجب انها مصابة بالعمى والدمامة، لا انها انثى .

هـ ـ كذلك وجدت ان ضباعة بنت عامر بن قرط ورثت من زوجها هوذة بن على الحنفى مالا كثيرا ورجعت به الى قومها . «(١٤)»

٥ ـ كانت المراة ترث اذا فى بعض الاحيان ،وكان قومها يحرمونها هذا الحق فى احيان اخرى، ولكن التى كانت ترث لم تكن ذات حق معلوم مقرر كهذا الحق الذى حدده القرآن الكريم وانما ارجح ان بعض العرب كانوا يسيرون مع المراة على نظام يشبه التخارج فى الاسلام ، فيرضونها بمقدار من المال قليل او كثير .

ومن هذا نستنبط ان المراة العربية تميزت من نساء العالم القديم ، لانهن كن محرومات من الميراث فى قانون حمورابى والقوانين الاشورية ، ولم يكن لهم الا المهر يدفعه الاب لابنته ، فاذا مات قبل ان يمهرها منحها اخوتها جزءا من ربع ما خلف ابوهم ، اما العين فلهم وحدهم . «١٥»

وكانت المراة العبرية لا ترث قديما، بل كانت تورث كما يورث متاع الرجل، ثم ورثت البنت اباها فى عصر متاخر اذا لم يكن له ابناء ، فاذا كان له ولد ذكر حجبها فلا ترث شيئا . «١٦»

كذلك لم ترث المراة اليونانية ، فاذا مات ابوها ورثه اخوتها وان لم يكن لها اخوة تزوجت اكبر الوارثين الاقربين . «١٧»

ولم ترث المراة الحبشية ، مخافة ان ينتقل المال الى الاجانب ، الا اذا فقد الورثة من الذكور الى الدرجة السادسة . «١٨»

اما الاسلام فانه كفل للمراة فى التركة حقا معلوما مقررا مقدورا مفروضا لا يصح العدوان عليه .

ولاشك ان نظام التوريث فى الاسلام قد استوفى العدل والانصاف والرحمة جميعا ، لانه فرض المراة نصف الرجل ، والرجل هو المكلف الانفاق على نفسه وعلى زوجته وعلى اولاده منها وان كانت ذات مال .

وهو مكلف البذل فى وجوه اخرى لا تكلفها المراة .

فالاسلام اذا سخى فى فرضه للانثى نصف الذكر .

وحسبنا شهادة العلامة جوستاف لوبون فى قوله : يظهر من مقارنة الاسلام بالقوانين الفرنسية او الانجليزية ان الشريعة الاسلامية منحت الزوجات والنساء ـ اللاتى يزعم بعض الناس ان المسلمين لا يعاملونهن بالمعروف ـ حقوقا فى الميراث لا مثيل لها فى قوانين فرنسا او انجلترا . «(١٩)»

---

(١٣) تفسير الطبرى ١٩٣/٥ .

(١٤) اشعار النساء للمرزبانى ٢٢ .

(١٥) النظم الاجتماعية والسياسية ١٧١ محمد جمعة .

(١٦) سفر العدد ـ اصحاح ٣٦ آية ٨ ، ٩ .

(١٧) المراة فى التاريخ والشرائع ٧٢ محمد جميل بيهم .

(١٨) مقدمة الحضارات الاولى ٦٩ جوستاف لوبون .

(١٩) حضارة العرب جوستاف لوبون ٤٧٢ .

مع المفكر والفيلسوف
الدكتور زكي نجيب محمود

● حوار اجراه : عادل عبد الصمد ●

● اتفق جميع المفكرين فى كل العالم على ان هناك علاقة ما ، فنية وفكرية ، تربط جميع الكتاب والأدباء على مر الأجيال .. هذه العلاقة هي الدعوة الى اصلاح المجتمعات الانسانية من اجل تحقيق المزيد من الحب والخير والرفاهية لكل الناس .

ومما لاشك فيه ايضا ان الرواد على اختلاف العصور لا تختلف عليهم الشعوب بل يكاد ينعقد الاجماع على زعامتهم وريادتهم . والقيادة الثقافية والفكرية لا تتحدد بالظروف او تتأثر بمواقف ، وانما هي نتاج فكرى يتألق ويتجدد على مدى العمر ..

ومن هذا المنطلق اود ان نضع ايدينا على ذلك الخيط الفكرى والفني والأدبي والفلسفي لأستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود الذى اقيمت على يديه جسور هامة بين الفكر الأوروبي والفكر العربي ، وصاحب الثلاثية المشهورة .. تجديد الفكر العربي »، و « المعقول واللامعقول فى تراثنا » ، و « ثقافتنا فى مواجهة العصر » حيث

كان الغرض الأساسى من تلك الثلاثية هو دراسته كل شيء بموضوعية .. لا نقدس الماضى ، ونضفى عليه جلالا لانه « ماضى » فقط .. ويجب الا نتجه الى الحديث وندير ظهرنا للتراث ،ولكن لابد ان نأخذ من الجديد جدته وطرافته ونأخذ من القديم ثراءه ، بلا خوف ولا وجل .

ومن ذلك بدأنا الحوار مع الدكتور زكى نجيب محمود ، حول كثير من القضايا التى شملت جميع أوجه مجالات حياتنا الثقافية فى العلم ،والفن والأدب والنقد والفلسفة والسياسة والتعليم .

وكان بداية الحوار مع الدكتور زكى نجيب محمود حول قضية تشغل اذهان الكثيرين فى الوقت الحاضر سواء فى الغرب ام فى الشرق ، ونقصد بذلك ، الراى الذى يرى ان ما اصاب الانسان فى الوقت الحاضر من محن واضطرابات وقلق انما يرجع الى التقدم الهائل فى العلوم والتكنولوجيا.
فيقول الدكتور زكي نجيب محمود

كثيرا ما اقع علىمثل هذا الراى عند

الثقافة فى صميمها هى وجهة نظر فى الحياة يراها المثقفون من خلال التصورات التى تتكون لديهم من وسائل التثقيف التى أهمها الأدب والفن والدين.

الكتاب فى اوروبا وأمريكا ، لأنهم وجدوا ان عصرا طويلا لا يقل عن مائتى عام قد انقضى على الانسان وهو يغوص الى ام راسه فى العلم واجهزته التى ملأت كل ركن من كل منزل . ولكنهم - اعنى هؤلاء الكتاب - يلاحظون ان الانسان ليس اسعد حالا مما كان عليه قبل هذا العصر الاخير الذى امتلأ بنتاج العلوم ، ولذلك ترى كثرتهم الغالبة يفضلون ان يوقف الانسان هذا الزحف العلمى والتكنولوجى ليرتد بعض الشىء الى طبيعته وهى فى طمأنينة الهدوء ، وذلك ما يقوله كثيرون فى الغرب عن العلم والتكنولوجيا ..

ولكنى اعجب عجبا اشد اذا قاله كاتب مصرى او عربى او من اى بلد آخر مما يسمونه بالعالم الثالث ..

فاعجب اولا من هذا الرأى عند الكتاب الغربيين انفسهم ، لأن العلم والتكنولوجيا حررت الانسان بدرجة لم يحلم بها فى اى عصر مضى ، فلم يعد الانسان يحمل الاثقال كالدواب ، كما كان يحملها قديما ، ولم يعد الانسان يعمل عددا من الساعات تملأ نهاره ومعظم ليله كما كان يفعل قديما ..ولم يعد الانسان يجد بينه وبين اخيه الانسان ذلك التفاوت الشديد الذى كان بين الناس قديما اذ هو الآن مهما بلغ من التواضع ، فهو يملأ فراغه امام التليفزيون والراديو تماما كما يملأ فراغه اغنى الاغنياء ، وهكذا ...

ثم لابد أن نضيف الاجهزة الطبية مثلا التى هى جزء من التكنولوجيا الحديثة ، والتى لولاها لما نعم الانسان بما ينعم به اليوم ، ثم نضيف وسائل النقل الحديثة وغزو الفضاء ، فكل هذا واكثر منه هو ثمرات التكنولوجيا، فكيف يتمنى الكاتبون فى الغرب ان لم تكن هذه التكنولوجيا فى حياتهم ... ومع ذلك فربما اتخموا علما واتخموا اجهزة ، فحق لهم ان يأخذهم الملل والضجر ...

اما نحن ابناء العالم الثالث فلم نخط بعد على عتبة الحضارة العلمية ، ونكاد لا نخطو خطوة جريئة نحو استخدام التكنولوجيا فى حياتنا كما يفعلون فى الغرب ،فليس من حقنا ان نتعجل رأيا كهذا لأنفسنا . وأولى بنا ان نتمنى لأنفسنا مزيدا من العلم ومزيدا من التكنولوجيا .

● رؤية المستقبل المنشود ●

ثم ننتقل بالحديث الى دور المثقفين، ونوعية الثقافة التى يجب أن ندعو اليها ، حيث اننا نعلم أن الثقافة تتغير معانيها مع تعاقب العصور ..

فيقول الدكتور زكى نجيب محمود :

الثقافة فى صميمها هى وجهة نظر للحياة يراها المثقفون خلال التصورات التى تتكون لديهم من وسائل التثقيف التى اهمها الادب والفن والدين ، فاذا كان الامر كذلك

وضح لنا ماذا تكون مهمة المثقفين، فهي نشر التصور الجديد الذي يمكن ان تكون عليه حياة الناس، نشره على اوسع نطاق ممكن، ليكون بمثابة التمهيد الذي يتلوه التغيير الفعلي في حياة الناس، كان المثقفين يسبقون الى رؤية المستقبل المنشود ويرسمون صورته امام مواطنيهم.

واما الصورة الثقافية التي اراها احق بالدعوة اليها في مصر، فهي صورة تمتزج فيها ثقافة الحضارة العلمية الصناعية الحديثة مع الركائز الأساسية التي ورثناها من أسلافنا سواء المصريين القدماء منهم ام العرب لأننا ننتمي اليهما معا.

هذا المزج بين الثقافتين في وحدة واحدة قد تجسد بالفعل في بعض اعلامنا ونريد له الآن ان ينتشر ليكون هو ثقافة الشعب.

ويستمر حديث الدكتور زكي نجيب محمود متدفقا مفندا الرأي القائل «بانه ليس هناك ما هو أشد خطورة على الفنان من مبالغته في تقدير اهمية الفن» بقوله:

انني لا اوافق على هذا الرأي في الفن، لاننا لا نستطيع أن نبالغ في اهمية الفن، فمهما بالغنا في أهميته فسنظل مقصرين في تقدير تلك الاهمية على حقيقتها، ويكفي ان نعلم أن الفن في مجموعه هو عالم يخلقه الانسان لنفسه ليستريح فيه من عناء عالم لم يخلقه لنفسه، بل فرض عليه فرضا، فنحن مثلا في ساعات العمل التي نكسب منها اقواتنا. انما نعمل في شبه سخرة لاننا مكلفون بما قد لا نحب ان نعمله لولا ضرورات العيش ولكن تلك الساعات التي نقضيها في الفن مختارين لا اجبار علينا، وعندئذ كما قلت نعيش حياتنا كما نريدها وكما ابدعناها لانفسنا

● من ذات انفسنا ●

وننتقل الى الفن الدرامي الحديث فهل هو تطوير للفن الدرامي القديم.. أم هو ثورة عليه.. فيقول:

هو كلاهما معا، فهو تطوير للفن الدرامي القديم من جهة لانه هو وذلك الفن الدرامي القديم اجزاء من سلسلة تاريخية واحدة حيث تؤدي حلقات السلسلة بعضها الى بعض، ولكنه في الوقت نفسه ثورة عليه، اذ لا نتوقع من اي عصر الا ان يكون ذا شخصية مستقلة تعبر عن نفسها في فن درامي مختلف عن الصور السابقة وبصفة عامة نقول مثلا انه بينما كان الفن الدرامي عند اليونان يصور الحوادث وكان اصبعا من القدر يتدخل في مجراها ويرغمها على مسيرة معينة في غفلة من الناس، ثم جاء الفن الدرامي عند «الشيكسبير» أيام النهضة الاوروبية فجعل مسار الحوادث وليدة التكوين السيكولوجي الباطني للافراد، فليس هو قدر مفروض من الخارج، بل هو اندفاعة نابعة من الداخل ولعلنا نتذكر العبارة التي وردت عند «شيكسبير» في مسرحية «يوليوس قيصر» عندما قال البطل مخاطبا بروتس «ان الخطا ياصديقي بروتس انما ينبع من ذات انفسنا ولا يهبط علينا من انجم السماء».

ثم جاء عصرنا الحاضر فادخل محورا جديدا للفن الدرامي اذ لم يعد يتصور البطل قائدا عسكريا او حاكما او «امبراطوريا»، ولكن قد يتصور بانها متجولا او خادما او غير ذلك.

وهنا يمتد الحوار مع المفكر والفيلسوف حول قضايا الفكر العربي المتعددة ، ونطرح السؤال التالي « لقد كان لكل من لطفي السيد ، والدكتور هيكل ود . طه حسين ، والعقاد وغيرهم من اعلام الفكر السياسي مكانته المرموقة في ميادين الفكر الاخرى .. أما اليوم فنرى عكس ذلك المفكر الناقد والمفكر في مجال الفلسفة او في مجال القضايا الاجتماعية والاقتصادية ، ولا يكون له شأن ملحوظ في الكتابة السياسية ، فما تعليلكم لذلك في ضوء معاصرتكم لهذه الاجيال ؟

يقول : هذا صحيح ، وتعليله ان في العشرينات التي ظهر فيها هؤلاء الاعلام جميعا، كانوا هم الذين يعرضون الفكر السياسي وينقدون ما يتراءى لهم ان ينقدوه .. اما المرحلة الراهنة بحكم ظروف التغيير العميق الذي جاءت به ثورة ١٩٥٢ من حيث الارتفاع بالايدي العاملة من فلاحين وعمال مما لابد ان يجيء معارضا لمصلحة اصحاب الارض والمال ، فكان من الضروري أن يوضع الفكر السياسي تحت مراجعة حتى لا يبلبل الأفكار نحو التغيير الجديد ، ولا غرابة ان نجد مثل هذا الفكر السياسي يتولاه المسئولون عن الدولة ويتلقاه المفكرون بالشرح والتحليل .

ويجيء دور الحديث عن الاديب ودوره في المجتمع وبكلمات مضيئة ، لها دلالات قوية على عمق الفكر واتساع الأفق — ليقول الدكتور زكي نجيب محمود : الاديب الحق انما خلق ليكشف عن حقيقة الانسان في تفاعله مع غيره من الناس ، ليفهم الانسان نفسه . ومن هنا كان الاديب لا يكتب لنفسه . والا لما كان ينشر كتاباته في مقالات او كتب او قصائد، او مسرحيات ، وانما هو يكتب ليرى الناس انفسهم في مرآته لعل ذلك ان يكون طريقا للتخلص من مواضع القصور في حياتهم .

ثم ننتقل الى طور آخر من الحوار ، الى الحركة النقدية وهل هي في غفلة عن حياتنا الثقافية أو ان الادب افتقد اهميته في المجتمع

— فيقول :

لقد أوشك النقد الجاد العميق أن يختفي من حياتنا لسبب بسيط ، وهو أنه ليس هنالك ما يستحق النقد الجاد العميق . فحينما يوجد انتاج يتحدى العقل يظهر فورا الناقد الذي يتصدى للتحدي .. اذ لابد هنا ان نلاحظ ان عمل الناقد الأساسي . هو بيان ما يكمن في باطن العمل الأدبي، ولايراه القارىء العادي ، فيأتي الناقد ويصب تحليله من اى زاوية شاء ليخرج ذلك الكامن فيراه جمهور الناس ويزدادون بذلك فهما للعمل الادبي ، لكن اذا كان العمل الادبي من السطحية بحيث لا يحتوي على باطن فما الذي يراد بالناقد ان يحلله ويظهره ؟! .

هذا صحيح من جهة ، ومن جهة اخرى لابد ان نضيف الى ذلك نوعا من العجز وضعف القراءة عند اولئك الذين كنا ننتظر منهم ان يتصدوا للعملية النقدية ، فلو كانوا على شيء من القدرة ثم لم يجدوا في الانتاج الراهن ما ينتقدونه لاتجهوا الى اعمال قديمة يمارسون عليها قدرتهم النقدية لكنهم لا يفعلون ذلك ايضا .. فاذا اضفنا الى هذا كله ان القارىء الجاد اصبح نادرا ، وجدنا شيئا من التعليل ، لماذا لا يوجد عندنا المؤلف الجاد ، وبالتالي لا يوجد الناقد الجاد ! ..

● سبيل الاصالة والابداع ●

واستطرد بنا الحديث الى الفلسفة من حيث اننا لانجد لنا فلسفة خاصة تميزنا عن فلسفات الغرب ..

فيقول الدكتور زكي نجيب محمود اذا علمنا ان الفاعلية الفلسفية ان هي الا تحليل للحياة الفكرية القائمة واستخراج ما تنطوي عليه من مبادىء مضمرة ..

اقول اننا اذ علمنا ذلك عرفنا لماذا يتعذر او يستحيل ان تكون فلسفة خاصة بنا اليوم ، لانه ليس لنا حياة فكرية خاصة بنا ، فاهم جوانب الحياة الفكرية الآن مستعار ، اما من اسلافنا الاقدمين واما من الغرب ، ما الذي نفلسفه اذن ..

اننا مضطرون الى ان ناخذ من اسلافنا فلسفتهم ومن الغرب فلسفتهم ، مادمنا قد اخذنا حياتهم الفكرية لنحياها على سبيل المحاكاة لا على سبيل الاصالة والابداع ..

ثم يعلق الدكتور زكي نجيب محمود على الراي القائل بان الجيل الجديد يكتب اكثر مما يقرأ ـ بقوله :

اوافق على ان الجيل الجديد يكتب اكثر مما يقرأ ، ولذلك فهو ـ كما قلت كثيرا ـ مشوب بسطحية لا يمكن انكارها وسر ذلك ان معظم الجيل الجديد تقصر اداة التحصيل التي هي اللغة العربية من جهة واللغة الاجنبية من جهة اخرى ، فلا هو قادر على قراءة التراث ، ولا هو قادر على قراءة ثقافة الغرب ..

وعن دور الجامعة والدراسات الاكاديمية حيث نرى أن الدراسات الاكاديمية لا تجد صداها الا داخل اسوار الجامعة فقط

ـ يقول الدكتور زكي نجيب محمود :

ان هذا الراي مبالغ فيه ، وذلك لانني حيثما توجهت في ارجاء مصر ، بل وفي ارجاء الوطن العربي كله وجدت متخرجي الجامعة يعملون في مجالاتهم الخاصة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فاننا اذا تتبعنا القضايا الفكرية التي تثار في حياتنا الادبية والفنية والسياسية والاقتصادية احيانا ، فيندر الا تجد طائفة من اساتذة الجامعة يعرضون افكارهم وحلولهم ، وحتى وسائل الاعلام من تليفزيون واذاعة تكثيرا جدا ما يكون المتحدث استاذا جامعيا ، فهذه كلها ضروب من المشاركة ولكننا مع ذلك نعترف ان المشاركة يجب ان تكون على نطاق اوسع من ذلك وخصوصا في حل مشكلات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها حلا مقاما على بحث علمي يؤديه رجل الجامعة او مراكز البحوث ، لكن الذي نلاحظه ان المشكلات متروكة « للبركة » ولا تهتدي بمثل تلك البحوث العلمية التي تشير اليها .

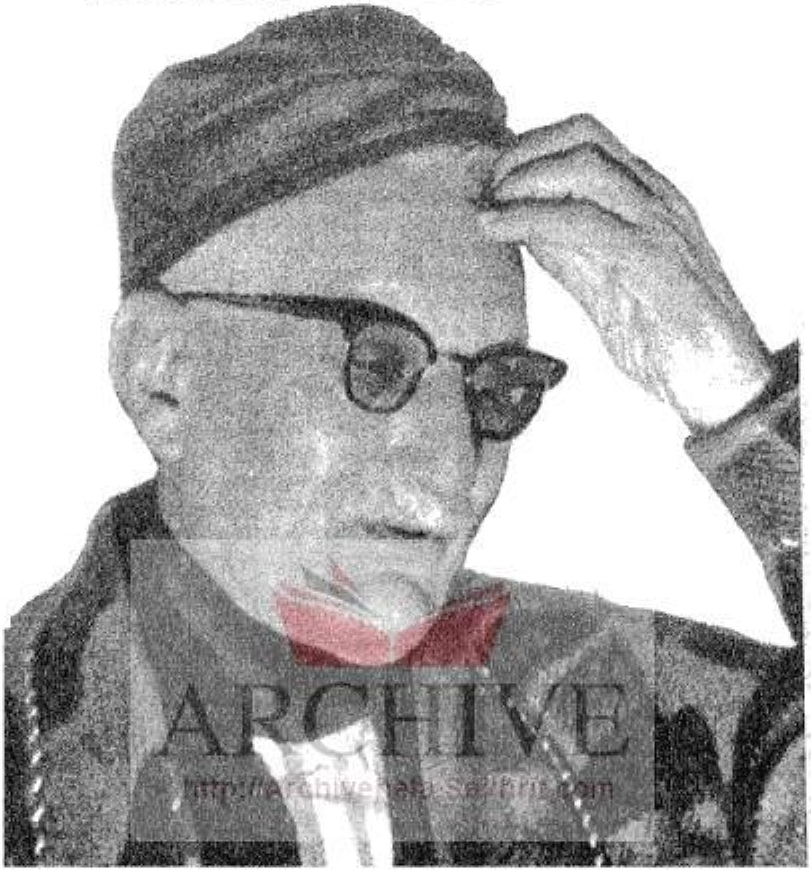
● فكرة للغد ●

وفي نهاية الحوار القيم تطلب « الهلال » من الدكتور زكي نجيب محمود الفكرة التي يتمناها لغدنا المنشود .

ـ فيقول :

لا ارى لغدنا الآن يتجه بكل جهده نحو التشبع ما استطاع بالثقافتين معا ، لثقافتنا الخاصة المستمدة من تراثنا ، وثقافة الغرب التي هي ثقافة العصر ، هذا ما صنعه آباؤنا عندما قالوا انهم يريدون التوفيق بين العقل والنقل ، اي بين الفلسفة اليونانية والشريعة الاسلامية ، وهذا ايضا ماينبغي علينا ان نقوله ونفعله ..التوفيق مرة اخرى بين العقل والنقل ولكن العقل في هذه الحالة ليس هو فلسفة اليونان فقط بل هو علم وفلسفة الغرب الحديثة ، وان النقل كما كان عند الاقدمين الالتزام بالشريعة واللغة العربية لان فيهما مقوماتنا الاساسية . ●

شخصية الشهر : ذكرى العقاد ..



هذا باب جديد يفتحه « الهلال » ويخصصه للاعلام من بناة نهضتنا الفكرية والعلمية ، نحيي ذكرى اعمالهم ونقدرهم قدرهم وننشر المقالات والدراسات عنهم ، ونبدأ بعملاق الأدب عباس محمود العقاد الذى تملأ كتبه عالم العرب ، ولكن ذكراه تمر ولا يكاد يذكرها أو يحتفل بها احد ، وهذا الجزء الذى يخصصه « الهلال » للعقاد هذا الشهر هو اول ما يقدم « الهلال » تحية لذكرى هذا العبقرى الأديب الباحث الشاعر •

عباس محمود العقاد

وقعودنا عن تكريم ذكراه

● يقال ان مالك بن انس مدين في شهرته وانتشار مذهبه لتلاميذه .. فقد رزقه الله بجماعة من انجب شباب الفقهاء درسوا عليه وحلوا مذهبه وطريقته ونشروهما في الآفاق وخاصة في مصر والمغرب والأندلس ..

ولم يرزق معاصروه من أمثال الاوزاعي وطاووس مثل هذا الحظ . فقعد بهم تلاميذهم فلم تنتشر مذاهبهم ولا طار ذكرهم مع انهم كانوا في أيامهم ملء السمع والبصر ..

هكذا يقال عن طه حسين والعقاد ..

فقد كان كلاهما وما زال علما من أعلام الفكر العربي الخالد .

ولكن تلاميذ طه حسين نهضوا به بعد موته ، فظلوا يتحدثون عنه ويكتبون المقالات في أدبه وفكره ودوره الحضاري

في حين أن العقاد لم يخلف من التلاميذ من ينهض باسمه كما نهض تلاميذ مالك بشيخهم وكما نهض تلاميذ طه حسين بأستاذهم .

نعم أننا جميعا تلاميذ طه حسين وتلاميذ عباس محمود العقاد على حد سواء ..

وحقا أن اسم العقاد مازال يدوى في الاسماع والقلوب وكتبه تباع بالالوف في طول العالم العربي وعرضه ، ولكن صوت طه حسين يعلو يوما بعد يوم بفضل تلاميذه ..

فقد اقاموا له ذكراه الرابعة في كليتي الآداب في القاهرة والاسكندرية ونشروا مذكرات حرمه عنه مجزأة ثم نشروها في كتاب .

واقاموا اكثر من ندوة ادبية عنه في التليفزيون .

واعادوا اخراج روايته «دعاء الكروان» مسلسلا بل اخذ واحد منهم قصيصة له كتبها في صفحة واحدة ، فما زال يتوسع فيها حتى جعلها مسلسلا للتلفاز من ثلاث عشرة حلقة ، بلغ من تطويلها ومطها أن ضعفت مادتها في النهاية واصبحت مما تقدم من مسلسلات التلفاز .

ولكن المهم أن اسم طه حسين ظل يلمع على الشاشة الصغيرة ثلاثة عشر أسبوعا

فأين من هذا كله ذكرى العقاد ؟ .

***

ان العقاد صنو طه حسين : تعاصرا وتزاملا وتعاونا معا في النهوض بعبء جانب كبير من نهضتنا الادبية ..

وكلاهما شق طريقه من أسفل السلم الى أعلاه بالعمل والصبر والصدق والاخلاص والموهبة الخلاقة واحترام النفس وارتفاع الهمة .

فالعقاد ولد في اسوان في اقصى القطر المصرى ، وفيها نشأ وتعلم تعليمه الاول ، ثم حفزته الهمة على الوفود الى القاهرة ليكون وسط معركة الفكر في عصر كانت مصر تخوض معركة تحريرها في كل ميدان .

ولم يأبه للتعليم النظامي ، فاكتفى منه بقدر قليل لانه احس انه في غير حاجة الى مدارس ، فهو نفسه مدرسة ،



وعلم نفسه بنفسه على نحو لا يصل اليه اعاظم الاساتذة ، قرأ الأدب العربي كله وقرأ من كتب الفكر والتراث العربي قدرا لا نظن أنه تيسر لغيره، ثم وجد ان ثقافة الرجل في عصرنا هـذا لا تتم الا باتقـان لغة اجنبية فعكف على اللغـة الانجليزية يدرسها وحده حتى احاط بها تماما ، واصـبح يقراها كما يقرأ العربية •

وفي الانجليزية قرأ قدر ما قـرأ في العربية ، وكان رحمه الله آية في الذكاء والاستيعاب • كان ذهنه صافيا كالبلور وذاكرته صادقة كوجه المرآة ، وكانت له ملكة نقادة تزن الأمور وتصفي ما يقرأ فتستبقي منه احسنه •

كل ذلك وهو على رقة حال يعمـل مدرسا حينا وصحفيا حينا ، ولكنه لم يشك الحاجة قط فقد كان عزيز النفس عـالي الهمـة الى مكان رفيع ، وكـان مثقلا من الدنيا وان كان شديد الحرص على مظهره ، فما رؤى قط بقامته المديدة الا على هيئة جميلة وسمت رفيع ،وقد رزقه الله وجها قويا جميلا وقامة فارعة وصوتا جهوريا رنانا وشـخصية كاملة متوازنة وارادة تذلل العسير وطموح بعيـد الغايات •

ومن أكثر ما كان يميز العقاد قدرته على العمل، فقدكان طول حياته لاينفق أقل من خمس عشرة ساعة في اليوم في العمل الجاد المتصل ، وهو لم يتزوج ولا كانت له مسـئوليات عائلية ، ومن ثم فقد فرغ للعمل بكل قواه وذكائه ،فكان ينجز الكتاب الضخم فيشهرين أوثلاثة. وبلغ من تمكنه من اللغة انه كان يكتب الشيء فلا يغير منه حرفا عند المراجعة ، فالكلمة في موضعها والسياق مترابط في قوة واحدة والمعاني مترابطة والموضوع الذي يكتب فيه يسير من فصل الى فصل حتى النهاية •

ولكنه كان كثير المراجعة لما يكتب • وكان يحرص على أن يصحح تجـارب الطبع بنفسه : شـهدته مرة حـوالي السـاعة الحادية عشر ليلا في جريدة الجهـاد جالسـا ينتظر تجربة مقالة ليصححها قبل أن يمضي الى بيته ، وطال انتظاره ، فنهض ونزل الى المطبعة وصحح مقاله على منضدة حديدية وانصرف بعد منتصف الليل وقد اطمأن على مقاله •

***

كان العقـاد أمة وحده ، وهو دون شك من اعلام هذه الأمة وامة العـروبة كلها ، ومهما ذكرناه فاننـا ولا شـك مقصرون في أمر ذكراه • وقد حرصـنا في الهـلال على أن ننبه الى ذلك فلعل العارفين بفضله وقدره ممن بيـدهم أن يفعلوا شيئا لاحياء هذه الذكرى يقررون شيئا ، فحق هذا الرجل علينا عظيمولكننا مدينون له ، وكتبه ثروة طائلة في المكتبة العربية وهو صانع من صـناع الفكر العربي المعاصر •

بواعث الإبداع عند العقاد

● د. احمد متولى مسلم ●

● كانت حياة العقاد فريدة ، فقد عاش المبادىء والمثل العليا ، طعمها ، وشربها ، وسعد بها، حتى افنته عن الزوج والولد !

واعمال العقاد ستمكث فى الارض ، وستنفع الناس فى كل عصر ، فلقد زاوج بين التراث الاسلامى ، والثقافة الغربية ، وقدس العلم ، فجعله محورا لاعماله الادبية والتاريخية والسياسية والصحفية ، وقدم الباحثين منهجا متميزا ـ يحتذونه فى دراسة التراجم والشخصيات .

ويهمنى فى هذه الدراسة النفسية ان القى الضوء على بواعثه فى الابداع، فلا يمكن تحليل ادب العقاد الا من خلال بواعثه ، كالبحر الخضم لاتتم دراسته الا بمعرفة تياراته واعماقه .

١ ـ عصره وبيئته :

فى القرن الماضى اشتد الوعى القومى فى مصر ، بعد ان افاق الناس من الذهول الذى اطبق عليهم فترة من الزمن عقب احتلال الانجليز مصر ، فزرع رفاعة الطهطاوى بذور الحرية الفردية والاجتماعية والدينية والسياسية، ودعا جمال الدين الافغانى الى مشاركة الشعب فى الحكم .

وقامت ثورة عرابى تنادى بأن تكون مصر للمصريين ، وكتم الاستعمار الانجليزى انفاس الثورة العرابية، لكن الغليان الفكرى كان مستمرا ، ازاء تآمر الاستعمار والقصر ، لاستغلال الشعب وخنق حريته ، وارتفع المد الثورى فى مطلع القرن العشرين :

فظهر محمد عبده يدعو الى تنقية الحياة الدينية من الخرافة .

ومصطفى كامل يحارب الاستعمار

وقاسم امين يدعو الى حرية المرأة

ولطفى السيد يدعو الى الديمقراطية والمساواة ، وتطوير التعليم ، وتعليم المرأة .

وطه حسين يدعو الى تحكيم العقل فى البحث العلمى

وتوفيق الحكيم يعيد الروح الخلاقة الى الانسان المصرى

وسيد درويش يحرر الموسيقى ، لتعبر عن روح الجماهير .

« ومن قلب اسوان يقبل عباس محمود العقاد ، شابا نحيلا يتوقد ذكاء وعزما وموهبة وعزة ، فينضم الى موكب سعد زغلول ، ويمسك القلم ويكتب، فينجلى عن كاتب من اعاظم الكتاب والمفكرين، كان يقدس الحرية ويمجدها ، ويضحى



عباس محمود العقاد .

فى سبيلها بأمنه وراحته وكان يدعوالى تحرير الفن والشعر ، ليعبرا عن فردية الانسان بلا قيود ولا حدود ، ولم يجنح الى التملق والمديح ، بل هاجم - بكل عنف - الخديوى ، والخليفة العثمانى والانجليز ، وطبقة الاقطاعيين المصريين

وقد قضى طفولته فى اسوان ، حيث تلتقى حضارة الفراعنة ، بحضارة اوروبا وامريكا ، وتفتحت عيناه على شمسها الساطعة ، وملأ عقله بما حوت مكتباتها من الكتب العربية والافرنجية

«٢» وفرة الموهبة والذكاء :

كانت عقلية العقاد نادرة ، تتميز بالبصيرة النافذة ، والقدرة الفائقةعلى الاستدلال والتحليل والنقد والطلاقة والقدرة اللغوية ، وتذوق جمال اللغة .

وبانت بوادر عبقريته فى صورة حب استطلاع مبكر ، ورغبة ملحة فىالبحث والتنقيب لاكتساب المعرفة فكثيرا ما وقف - وهو طفل - يرقب الطيور المهاجرة ، واسراب النمل فى اركان المنزل ، وكان شغوفا بالزهر والطير وطبائع الحيوان ، وكتب الشعر وهو فى التاسعة .

وكان فى لعبه الايهامى يقود جيشامن الاطفال ، مناوئا للانجليز .

وقرأ العقاد مجلة «الأستاذ» لعبدالله النديم فى مكتبةوالده ، وعارضها بمجلة حائط اسماها « التلميذ»

وكان العقاد معتقد الذكاء «ونسبة الذكاء اذا زادت على ١٢٠ » وهى عند العقاد أعلى من ذلك بكثير » ، فاندور الذكاء فى الابداع يتراجع ، ويترك المجال لبواعث السلوك ، واسلوب الشخصية ..ويتميز المبدعون بارتفاع يقظتهم الاجتماعية ، وقبول ذواتهم، وانخفاض تطبعهم الاجتماعى ، أى انهم يقاومون الثقافة التى تفرض عليهم ، ويرفضون التضحية بفرديتهم ، ولعل ذلك كان الاساس الذى قامت عليه « مدرسة الديوان » ، من العقاد والمازنى وشكرى ، لمحاربة الاسلوب التقليدى فى الشعر .

«٣» عرف نفسه مبكرا :

حكمة « سقراط »الخالدة : «اعرف نفسك ! » تنطبق علىالانسان العادى

اما شعار المخترع أو المبتكر فهو : « اعرف نفسك مبكرا »!

فمعظم المخترعين عندما قدموا اختراعاتهم كانوا فى الحلقة الثالثة

من عمرهم . وقدرة الخلق ـ ككل قدرات الانسان ـ تضمر وتضعف ، اذا لم تمارس فى وقت مبكر .

وفى مدرسة اسوان الابتدائية كان التلاميذ ـ فى كتابة الانشاء ـ يفاضلون بين شيئين . وكان العقاد يختار اضعف الجانبين ، حتى انه اختار الجهل مرة فى مفاضلة بينه وبين العلم ! ولقلم قصيدة عن العلوم المدرسية ومنافعها فى التاسعة من عمره .. وتلقى العقاد التقدير والتشجيع من مدرس اللغة العربية ، ومن مدرس التاريخ» ومن الشيخ احمد الجداوى ، مدير التعليم فى اسوان « وكان هو نفسه شاعراً» ومن الامام محمد عبده ، وهو يزور المدرسة ، ويتنبأ له بانه سيكون كاتبا بعد .. فادرك العقاد من كل ذلك انه قادر على الكتابة ، وان هذه القدرة ستقرر مصيره ...

واعتقد ان العقاد قد تقمص شخصية الامام محمد عبده ، اى التبس سلوكه ومواقفه حتى اصبحت جزءاً من شخصيته ، فبعد أن اصبح العقاد كاتبا ، كتب عن الامام محمد عبده يقول : « صورة يلتفت اليها طلاب القدوة الحسنة ، من ابناء هذا الجيل فيجدون ـ امام اعينهم ـ محمد عبده» اماما هو اولى ائمة العصر ان يأتم به المقتدى ، فيما اضطلع من امانة العقيدة وامانة الفكر ، وامانة الخير ، وامانة الحق ، وامانة الاخلاص الخلق والخالق»

وكتب العقاد فى كتابه «انا» ، ان الامام كان من اوائل من شجعوه على ان يكون كاتبا ، ويعلق قائلا: « التى اومن بكلمات التشجيع التى يتلقاها الناشىء فى مطلع حياته ، ممن يثق بهم ، ويعتز برايهم، فيمضى الى وجهته ، على يقين من النجاح » .

«٤» كان مجازفا جسوراً :

طمعت نفس العقاد على المجازفة والبسالة هل هناك مصرى ـ سوى العقاد ـ بتحطيم راس الملك ؟ .. لم يحدث فى التاريخ . وكلفته كلمته تسعة شهور فى السجن ، هل استكان العقاد بعد هذا العقاب ؟ ابدا ـ كتب بعد خروجه من السجن :

واعظم بها حرية زيد قدرها
لدن فقدت اوقيل فى السجن تفقد
عرفت لها الحبين : فى النفس والحمى
وكان لها حب سوان جل مفرد
وكنت جنين السجن تسعة اشهر
فها انذا فى ساحة السجن اولد
عداتى وصحبى ، لا اختلاف عليهمو
سيعهدنى كل كما كان يعهد !

وبعد موت سعد زغلول حكم «محمد محمود » باسم الاحرار الدستوريين حكما دكتاتوريا حل المجلسين ، واجل الانتخابات ، وهدد بالضرب بيد من حديد على من يعارضه ، فشن العقاد حملة على حكومته استهلها بمقالة : مجنون فى يده سيف !

وقد التحق العقاد بالوظيفة الحكومية بعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، نزولا على رغبة والده واخواله ، وقضى فى الوظيفة سنتين لا اكثر . وعرض فكرة عمله بالصحافة على « كتبى » فى الازهر يثق فى رايه ، فنهاه عن هذه « الملعونة » . لكن جسارة قلبه كانت فائقة ، فكتب مقالا فى «الجريدة» بعنوان «الاستخدام رق القرن العشرين!» ولم يلبث ان ترك الوظيفة ، فى وقت كان الناس يعتبرون فيه ترك الوظيفة نوعا من الانتحار . وفعلا لقى فترة لا يجد قوت يومه الا ببيع كتبه ، لم القى بنفسه فى اشواك الصحافة ، وليكن مايكون !

ولم يتراجع عن الكتابة فى مسائل من المسائل ، ولو جلبت عليه الازمات !

«٥» عوض نقص الشهادات بغزارة العلم :

كان العقاد يدرك ـ منذ اضطر الى ترك الدراسة بعد المرحلة الابتدائية ـ ان الخطوة فى النشر والشهرة والمكانة ، من نصيب حملة الشهادات ، لذلك حاول أن يعوض عما يشعر به من نقص بالدراسات العصامية الجادة

المتصلة . وعندما بلغ النضج كان يصب جام عدوانه على من يتعالى عليه بالتفاخر بالدرجات العلمية احد هؤلاء « الدكاترة » تعالم عليه في الفلسفة - مع انه ليس من اهلها - فرد عليه العقاد قائلا : « عجز عقيم من هؤلاء العلماء « اللقبيين » يضيعون به الحقيقة في سبيل الاسم ، ويجهلون الجوهر ، لأنهم ينظرون الى العرض ، ويرفضون من جراله البضاعة المطلوبة لانهم يفرزونها بالعناوين على الصناديق ويوشك العجز أن يخيل الى هؤلاء أن « اللقب » الذى جعلهم من العلماء كهنوت جديد ، يخلف الكهنوت القديم في أسوأ عيوبه ، وهو عيب « البركات الكهنوتية » فلا يؤذن لراى أن يكون « علميا» بغير رخصة منهم !»

وعبارة العقاد ظاهرها السخرية والتهكم ، وباطنها المرارة والمقت الدفين !

ويقرر الأستاذ « عبدالفتاح الديدى» من العقاد : كانت كتب العبقريات ، ودراساته عن ابن الرومى ، وجبته ، وشيكسبير ، وبرناردشو، ترفعه الى مستوى من يقدم الى هؤلاء جميعا الشهادات التى تميزهم بالعبقرية والنبوغ والامتياز . ووجد لذة كبيرة في كتابة التراجم والسير ، لهذا كان حماسه في اثبات دعواه التى يفتتح بها ترجمته لكل هؤلاء ، نوعا من استعراض قدرته وقواه العلمية ، في اثبات كفايته هو نفسه في تقدير النابهين والاذكياء » .

لكأنما كان العقاد يقول للناس : انظروا ! أنا الذى لا شهادات لى ، امنح الشهادات الى كبار العباقرة والمفكرين والقواد والشخصيات !

وكان ذلك تعويضا عن شعور بالنقص لازمه ، في حياته الباكرة على الأقل ..

« ٦ » اتجاه خلقى قوى :

كان العقاد قويا في الجاهه الخلقى ، اى الايمان بالمعانى الكبيرة ، ذات الطابع الدينى ، والفلسفى والجمالى

لقد نشأ من ابوين شديدين في الدين لايتركان فريضة من الفرائض اليومية ، ومن ثم فللوراثة دورها في ايمانه ، يضاف اليها الشعور المرهف ، والتفكير الطويل ..

لذلك وجد هذا الاتجاه تعبيرا غزيرا في الاعمال التى اختارها العقاد لنفسه ، أو بالأحرى التى اختارت العقاد .

بهذا الفهم نتصور كيف كانت حياة العقاد مجموعة من القيم والمعانى .. نذكر منها :

● **الحرية :** نشأ العقاد في عصر ينتفض بالوطن ، ويفتقد الحرية ، فكانت أولى حناته لها ، رفض الوظيفة من اجلها ، واستعان بالسياسة على تحقيقها ، ودافع من طه حسين في الادب الجاهلى لالتزامه بالدفاع عن الحرية . وحارب الشيوعية لانها تطغى على حرية الانسان ..

● **الصدق :** هو جوهر الجمال والفن في رأيه ، فالطبيعة الغلبة أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئا واحدا، وان يكون ديوانه ترجمة لنفسه وحياته . والعقاد الف عشر ديوانا ، وشهد له طه حسين سنة ٣٤ بانه لا يؤمن في هذا العصر الحديث بشاعر عربى كما يؤمن بالعقاد : « خذوا ما شئتم من دواوين الشعراء المعاصرين انا واثق انكم لن تمضوا في قراءة قصيدة حتى تتذكروا شاعرا من المتقدمين ، أو من الغربيين المحدثين . لكن انظروا في العقاد . خذوا بيتا من العقاد ، او قصيدة او مقطوعة ، فلن تروا الا العقاد ! »

● **الجرأة في الحق :** كانت مواجهاته السياسية منقطعة النظير في الجرأة . في البرلمان سنة ٣٠ هدد الملك فؤاد بتحطيم الراس الذى يعتدى على الدستور . ودخل السجن في تهديده ، لكن صيحته ايقظت ضمير الامة ، فظهر الفدائيون ، وسارت المظاهرات ، ورددت الجماهير عباراته .

كتب الاستاذ « عبدالحى دياب » عن العقاد : « شجاع يجاهر بالصدق والعدل ، ويمقت الكذب والظلم ومن هنا فانه قد وقف نفسه لنصرتهما حتى لتحس بأن نصرة هاتين الصفتين رسالته فى الحياة ، وذلك لأنه يدافع عنهما دفاع المستميت ويجاهد فى سبيلهما جهاد الابطال . ومن امثلة ذلك كراهيته لكل مستبد فى التاريخ القديم والحديث . اذ انه لم يكتب فى تراجمه الا على من همه شرف الانسانية وضميرها ، مثل محمد والمسيح ، وابى بكر ، وعمر ، وعلى ، والحسين ، وخالد ، وعثمان ، وسعد زغلول ، ومحمد على جناح ، وغاندى وسن يات سن ، فلقد كان لكل منهم رسالة ، عادت على أمته والانسانية بالخير ، ولم ينل هو منها الا الكروب .. واذكر اننى ما رأيته مرة — على طول مصاحبتى له وتلمذى عليه ، سكت على ضيم لحق انسانا . ومن هنا فانك لتجده يتوجه الى موطن الظلم فيدرؤه بعزم مصمم على النهاية الحاسمة . بل انه ليغلى الدم فى عروقه ، حتى يؤدى الى الاحتقان فى رأسه ، حينما تكرر عليه قصة مظلوم » .

● تقديس الفرد وذاتيته : هو الدافع لكثير من آرائه ، ولتمجيده الديمقراطية ومحاربة الشيوعية واذانته الشعر التقليدى شعر المديح والتبعية . وايمان العقاد بالفرد أملى عليه أن تاريخ الانسان كله انما يتجه فى مساره من الاجتماعية الى الفردية ، وفلسفة العقاد فردية مسئولة ، تركز على وعى الفرد ، وحرية الفنان كأساس لنشاطه الابداعى . وهذه الفلسفة اسقاط لشعوره القوى بالتفرد والامتياز . وكان له الحق فى هذا الشعور ، فقد كون نفسه بجهده وعرقه ، لم يتتلمذ على استاذ ولا جامعة ، ولم يلتزم بالمنهج القديم فى التفكير ..

وهذا الشعور القوى هو الذى دفعه الى دراسة العبقريات ، التى تؤكد امتياز الفرد ، وتبرز جوانب الغرابة فيه . والعبقريات هى التى دخل بها العقاد عالم الخلود ..

● الثبات على المبدأ : لم يستهو العقاد منصب ولا جاه . عرض عليه القصر ان يكون مديرا للادارة العربية فى القصر ، فأبى ، وعرض عليه منصب مدير دار الكتب ، ومدير الجامعة ، بل وعرضت عليه الوزارة ، فرفض هذه العروض جميعا ، كان يقدس شرف الكلمة واستقلال الراى ، وكان يخشى ان تخفض المناصب منه الجبين

« ٧ » دافع عنيف للانجاز :

تفاعل العقاد مع بيئته ، تعرض للصراع والاحباط ، وتلقى المساندة والتشجيع ، وكان يدفعه باعث قوى للانجاز ، يدفعه الى تحقيق مستوى عال من التحصيل ، بل والى تكريس حياته كلها للتحصيل . كان مؤمنا بجدية ما يقوم به ، وبصعوبته ، وبقيمته للانسانية . واصبحت الرغبة فى التحصيل ، وتحقيق الذات موقفا اساسيا من الحياة .

وكان العقاد عنيفا مع نفسه ، يطالبها دائما بالمزيد ، حتى اصبح الانجاز — فى حد ذاته — غايته المنشودة لم يكن طموحا قائما على مطالب الواقع فى مباذله ومراميه ، بل كانت نظرته خيالية ، كاصحاب الحماسة والاحلام من المثاليين .

فى حديث له من مقاييس الشباب : بين قائل بمقياس الشعور ، وقائل بمقياس القلب والهوى ، وقائل بمقياس الهمة والطموح ، كان مقياسه الوحيد ، الذى يقيس به جهوده فى جميع ادوار حياته ، هو النهم الى المعرفة . لذلك كان موسوعة فى التراث الدينى ، والفلسفى ، والأدبى ، العربى منه والاجنبى ، وفى علوم الحيوان والحشرات والنبات ، وفى الطب وعلم النفس ، وفى التاريخ

والاجتماع .

وسئل العقاد : هل فزت بماكنت تريده من الحياة ؟

فكان جوابه : « بلغت فيما اعتقد - غاية مايستطاع فى بيئتنا العربية. ولم ابلغ الغاية التى رسمتها امامى ، فى مقتبل حياتى : ولا قريبا من الغاية واذا قدرت ما صبوت اليه منفى المئة فالذى بلغته لايتجاوز العشرين او الثلاثين !! » .

كتب العقاد اكثر من مئة وخمسة عشر كتابا ، ونشر أكثر من سبعمالة مقالة فى « اليوميات » باجزالهـا الاربعة . فكيف به لو بلغ الغاية ؟!

كان العقاد يجد لذته فى الفوز بمستوى الاداء الذى يطمح اليـه ، لايهمه الجاه ولا المال . ومثل هـذا الشخص اذا اعترضته العقبات تنمر وكشف عن دخيلة نفسه . وهـذا يفسر تهكمه وعدوانه على من يتعالى عليه بالدرجـات .

وكان العقاد اذا التفت الى عمل معين ينشغل به بكليتـه ، ولا ينصرف عنه حتى يتمه ، وكان يعطى نفسـه اسبوعا للراحة بين الانتاج والانتاج ..

(٨) فكر عالم ، ووجدان شاعر :

اذا حاولنا ان نرسم « بروفيل » شخصية العقاد ، كما تبدو فى كتاباته وكتابات من صحبوه وكتبوا عنه ، تصورها كالاتى :

● عنده من سمات العلماء : الانطواء والاكتفاء الذاتى ، والجد والصمت ، والسيطرة والمثابرة ، والجـرأة والمغامرة ، ورقة القلـب ، والثقـة بالنفس ، وحرية الفكر ، وقـوة الضمير .

● وعنده من سمات الفنـانين : العصابية والاحباط ، وقوة الخيال ، والعدوانية ، والبصيرة السيكولوجية .

والخلاصة أن العقاد يجمع بـين صفات العلماء والفنانين .

كتب العقاد الشعر ، وعبر فيه عن بواعثه الكبرى ، التى تتجلى فى تقدير الحرية والعزة والكرامة ، ومن حبه للجمال ، ومن عطفـه حتى على الحيوان ، ومن العنت الذى يلقـاه فى حياته . بسبب تمايزه عن النـاس، وقال عن الشعر انه تعبير عن النفس الانسانية وتمثيل الحياة فى شـتى الوانها ، وشكولها ، يستحق مـن التقويم والتقدير ،ما تستحقه الحياة

ودرس العقاد العلوم التجريبيـة كالطب والوراثة وعلم النفس ، ليفهم على اضوائها الحوادث التاريخية ،فلا يرجعها الى علل متوهمة كما فعـل الرواة الاقدمون .

كان منهج بحثه علميا ، واسلوبه ادبيا . وكان يتبع المنهج العلمى فى بحوثه ودراساته ، وكتاباته الصحفية على السواء مثال لذلك مقالة المعنون « البحث العلمى فى تاريخ الادب » - « اليوميات الجزء الاول » : يفند فيها اسباب وفاة ابن الرومى وعـبد الرحمن الكواكبى ، اللذين كتب التاريخ انهما ماتا مسمومين . فيثبت العقاد - بالتحليل الطبى والتاريخى المفصل - ان الاول مات بسبب جرح متقيح من مضاعفات مرض السكر ، وان الثانى مات بنوبة صدرية . ويستنتج العقاد ان « التاريخ بعلاقيره وشـيك ان يتغير اذا عرضناه على ضوء المعارف التى كانت مجهولة من قبل .»

ويثبت العقاد - بعلمه الموسوعى - انه طبيب شرعى ، ومؤرخ محقـق ، وشاعر لماح .!

وبعض علمائنا يقصرون تفكيرهـم العلمى على تجاربهم وحساباتهـم العلمية ، اما خارج هذه التجـارب والحسابات فيعتقدون فى الخرافـات ويروجونها . لكن العقاد دمج فى عمله الفنى لغة الادب بما فيها من غموض وايحاء ، ولغة العلم بالتزامها بدقتها . . وكان دائما يتـصـدى بالخوارق ويكشف الخرافات حيثما وجدت ..

●●

نفسية العقاد

● حافظ محمود ●

● كانت متعة لأى شاب اديب او متأدب ان تكون له اية صلة بالعقاد ... وكانت متعة لى وانا طالب صغير ان اذهب الى كتبى باول شارع محمد على بالقرب من ميدان العتبة ، فى ساعة الضحى ، لا لأشترى الكتب ، بل لارى العقاد جالسا عند هذا الكتبى ، وهو يحاوره فى انباء الكتب ... وكان الانصات الى هذا الحوار متعة اخرى ، فالكتبى لم يكن يرى فى الكتب الا مجرد سلعة . يحسب قيمتها بمقدار ما تدره عليه من الربح ، والعقاد يرى فى الكتب مصابيح للمعرفة يحسب قيمتها بمقدار ما تضيفه الى المجتمع من اشعاعات فكرية ...

وعندما كبرت وأتيحت لى فرصة التعارف بالعقاد ، وسألته فى هذا المعنى ، كان جوابه شيئا عجيبا على سمعى فى ذلك الوقت المبكر ... اذ قال لى : يا أخانا ــ وكانت كلمة « يا أخانا » لازمة من لوازم حواره ــ يا أخانا لقد آن لك أن تعرف « ان الحياة رغيف وكتاب » وانت تعيش بهذين الاثنين !

وشاء القدر أن يقدم لى دليلا على تمسك العقاد بهذا الرأى ... كان هذا فى أوائل الاربعينات والحرب العالمية الثانية على أشدها ، والناس بين مشغول بهموم « التموين » وبين مهموم باتقاء الغارات الجوية ... فى هذا الجو لقينى العقاد يوما ، فسألنى عن كتاب صدر حديثا فى لندن ، فلما قلت له اننى لا اعلم عن هذا الكتاب شيئا ، وكيف اعلم والحرب قد قطعت وسائل الاتصال بيننا وبين العالم الخارجى .. فقال لى : وماذا يصنع « معلمك » ــ وقد كانت هذه هى تسمية العقاد للدكتور محمد حسين هيكل بوصفه استاذا لى ..

كان الدكتور هيكل أستاذى ، وكان فى تلك الاثناء وزيرا للتعليم ، وكان من رأى العقاد أن وزير التعليم مسئول عن تزويد المكتبة المصرية بأحدث المؤلفات العالمية ...

وحدثت أستاذى الدكتور هيكل فى هذا الأمر ، فاجابنى بانه سمع بهذا الكتاب ، لكن كيف السبيل اليه ... ثم أعطانى خطاب توصية الى مدير الجامعة الامريكية راجيا أن يكون هذا الكتاب قد وصل الى مكتبة الجامعة .

وتبسم مدير الجامعة راضيا عندما قدمت اليه هذا الخطاب قائلا : « من حسن حظ هيكل باشا اننى تسلمت



عباس محمود العقاد

اليوم من القيادة البريطانية صندوقا احتوى على بضع نسخ من هذا الكتاب ... فخذ هذه النسخة للباشا :

واثر الدكتور هيكل صديقه العقاد على نفسه ، واوفدني اليه بهذا الكتاب

وابتسم العقاد وهو يقول لى : « الآن فقط اقتنعت بان هيكلا يصلح لوزارة التعليم » .

الجبار ... الرقيق

ليست هذه القصة غريبة على اسلوب العقاد فى الحياة ، فانا لم اعرف انسانا تعامل مع الكتب قارئا وكاتبا كالعقاد ، ومن الروايات التى تروى عنه انه حين نصح بالسفر الى السودان عندما كادت جيوش المحور تدخل مصر وتسبقها اذاعات من برلين الهتلرية بان العقاد سيكون فى مقدمة اهدافها للانتقام منه — لم يكن فى حقيبة سفر العقاد بجانب الضرورى من الثياب الا كمية من الكتب ! .

ان العقاد نفسه كان كتابا منشورا، فما من خطوة من خطى حياته الا وتصلح أن تكون كتابا . ولنبدأ معه منذ جاء من اسوان الى القاهره فى سنة ١٩٠٧ ليعمل محررا بجريدة « الدستور » التى كان يصدرها العالم الموسوعى « محمد فريد وجدى »

كان العقاد اذ ذاك فتى دون العشرين من عمره ، لكن هذا الفتى الصغير كانت له تجربة سابقة فى التعليم ، ليس بوصفه طالبا ، بل بوصفه معلما ، فقد سبق للعقاد ان مارس وظيفة المعلم وهو فى هذه السن وخرج من هذه الممارسة بافكار اصلاحية جديدة لم يكتف بنشرها فى مقال ، بل ذهب بها الى وزير التعليم ليناقشه فيها .. وكان هذا الوزير هو سعد زغلول ... واجرى الفتى العقاد مع هذا الوزير الجليل اول حديث صحفى فى حياته ، بل فى حياة الصحافة المصرية التى لم تكن قد عرفت بعد فن الحديث الصحفى ... فكان العقاد اول من مارس قواعد هذا الفن فى صحافتنا ..

وصار سعد زغلول زعيما لثورة سنة ١٩١٩ ، وارادت الصحيفة التى كان العقاد يشترك فى تحريرها أن تحصل على حديث صحفى من سعد ، فاشترط سعد ان يكون مبعوث الجريدة اليه هو العقاد ! ...

وحصل العقاد على ثانى وآخر حديث صحفى اجراه فى حياته ... وعلق على هذا الحديث بمقال من عنده ، وعلق سعد زغلول على هذا المقال بان كاتبه هو « الكاتب الجبار » ... ومنذ ذلك التاريخ اشتهر العقاد بانه « الكاتب الجبار » ، واصبح هذا الكاتب هو لسان الثورة ، فلما اختلف العقاد مع خلفاء سعد زغلول فى منتصف الثلاثينات ، وفصلوه من حزبهم ، كان

عظيم التعليق على هذا الفصل بقوله : « انكم بهذا الموقف قد خرجتم على روح الثورة » .

كبرياء .. وليس تكبرا

ليس صحيحا ، اذن ، ان العقاد كان مغرورا ، انما كان رجلا متمكنا واثقا بنفسه ، وكانت رقة النفس من طبائعه رغم كل ما كان يشاع عنه من عنف الحوار .

لقد كان عنيف الحوار حين يدافع عما يؤمن به ... بل لقد كان في عنف الحوار مخيفا، ومن ادلة ذلك ان الجبار الآخر طه حسين ، كان يحرص اذا اخرج كتابا جديدا ان يحمله بنفسه الى العقاد ليستمع الى رايه فيه قبل ان يكتب عنه .

اما معاملاته مع الناس فقد كانت تسيل عذوبة . وأنا لن انسى يوما كنت فيه اقف في آخر طابور طويل امام شباك التذاكر باحد المسارح .ومر بي العقاد الذي كان قد احتجز له كرسيا من قبل . فقال لي .. « لماذا انت متاخر هكذا ؟ » . ودخل قاعة المسرح، ثم خرج ليعود الي كي يفسر لي كلمة « متاخر » .. وانه لا يقصد بها اكثر من موقفي في هذا الطابور فقط !

الى هذا الحد كانت تبلغ رقة العقاد .. رقة شاعر رقيق الاحساس ... لكن هذه الشاعرية كانت ركنا من اركان نفسية عارمة ، ففي الركن الآخر منها كنز من الكرامة ...

والواقع أن العقاد فيما كان يتصف به من كبرياء لم يكن يدافع عن كرامته وحده ، انما كان يدافع عن كرامة حملة الاقلام جميعا ... ولست انسى له اننا **كلينا كنا ضمن مجموعة من المتحدثين في حفل عام، ولما كان المتحدثون سوآنا جميعهم من رؤساء الوزارات والوزراء .. فقد نشر اسمانا بعد اسمائهم ، فغضب العقاد غضبا شديدا ، ورفض الاشتراك في هذا الحفل ، وأبى على** — وانا احد تلاميذه — أن اشترك فيه .. **فلما راجعته في هذا الأمر قال لي : « يا اخانا ... نحن الذين نصنع باقلامنا اولئك الوزراء ، فكيف يوضع اسم الصانع بعد اسم المصنوع ؟! »**

لقد تعالى العقاد بقلمه حتى على الجالس فوق العرش ، ودفع الثمن لذلك تسعة اشهر في السجن .. وفي السجن كانت للعقاد آية من آيات الحرية .. فقد ذهب وزير العدل اذ ذاك — وهو على ماهر باشا — لزيارة العقاد في سجنه ، فاذا بالعقاد يشيح بوجهه عن الوزير ، ولا يرد تحيته ، فلما عاتبه على ماهر على هذا الموقف، اذا بالعقاد يقول له « سوف أرد تحيتك بعد خروجي من السجن في ساحات الحرية »

***

هذه هي نفسية العقاد ... وفي ظني أن كل ما كتب عنه لم يستكمل بعد الاحاطة بهذه النفسية المتميزة ... وربما كان اعمق ما في هذه النفسية أنه رجل قد ثار بكبريائه للمتواضعين ، وانصف حملة الاقلام المظلومين ، علم الدنيا درسا في الاباء ،

لقد كان العقاد كثير النقد للمتنبي لان المتنبي على مكانته في تاريخ الادب العربي كان يداهن الامراء ، وكان العقاد يرى ان الامارة الحقيقية للفكر لا للجاه والسلطان ... وقد شرح هذا المعنى ببلاغة في **الخطبة التي القاها في حفلة تكريم الدكتور محمد حسين هيكل بمناسبة توليه الوزارة وحصوله على رتبة الباشوية ، اذ قال ان اسم هيكل الكاتب اعلى قدرا من اسم اى باشا او وزير .**

وكم من الوزراء والباشوات كانوا يتمنون رضاء العقاد عنهم ...



رسالة مجددة إليه

● ادوار حنا سعد ●

كانت الابيات الاتية التى نظمتها بمناسبة منح الفنان سيف وانلى درجة الدكتوراه الفخرية اخر رسائلى اليه .. اعود لها الان تحية لفنه الخالد فى الذكرى الاولى لرحيله ..

إن كرّموكَ فانما شهِدُوا   للعبقرية وهى تتّقد
وخطاكَ فوقَ السّفح دائبةً   للقمّة الشماءِ تضطرد
ولروعة الألوان ، ينقشها   فى اللوح حس مرهفٌ ويَدٌ !
تجرى بها الفرشاة ساحرة   آياتها موروثة جدد ؟
فياضةً بالسهل ممتنعًا   يمتازُ فيه الكيف والعدد !
فى عمقها من روحكم قبس   ويصوغها من فكركم مددُ !
إن كرّموكَ ، فانما شهدوا   بسموق نجمك .. وهو متفرد !
مدح الشموس حتى أشعتها   وتحية البفعو الذى نجدُ !
ومراحنا فى الفجر ، مبعثه   سحرُ الضياءِ وطيرهُ الغرد
وثناؤنا يا « سيف » أطلقهُ   فن عليهِ الغارُ منعقدُ
وعرائسَ الأوليمب إذ هبطت   بفتونها لحماكَ تحتشد ،
الشعرُ فيه .. عواطفا وجات   تعبيرها .. وخواطر تمرد !
وأنّ فنك صيغَ من نغم   فتجسّدت .. وإطارها الأبد !
إن كرّموكَ فانما شهدوا   لكَ بالنبوغ .. وأنهم وعدوا ..
.. بمجدد من حسبِ أمتكم   يزداد منه النجح والسدد !
من غنّت الدنيا بروعته   هيهات تجحد فضله البلد ؟

من رواد الفكر:

ابن خلدون

فيلسوف التاريخ والاجتماع

١ - عبد الرحمن بن خلدون المفكر العربي الكبير أقرب الناس الى قلبي ، فقد عاش تحت سماء مصر سنين طوالا ، وقد تصدر حلقة من حلقات العلم في الأزهر ، حيث درس لطلابه التاريخ ومقدمته في فلسفة التاريخ والاجتماع . وقد شهد لمصر ولحضارتها وتاريخها شهادات خالدة على مر الزمان ، سجلها في كتابه التاريخي الكبير ..

ولقد بهرته مصر بحضارتها وجامعاتها وعلمائها ، فكتب في كتابه التعريف يقول : « انتقلت الى القاهرة فرأيت محشر الأمم ، وايوان الاسلام ، وكرسي الملك ، وحضرة عاصمة الدنيا ، وبستان العالم » .

ويروى ابن خلدون من صديقه أبي عبد الله المقري قاضي الجماعة بفاس ، وكبير العلماء بالمغرب : « من لم ير القاهرة لم يعرف عزة الاسلام »

وابن خلدون من علماء القرن الثامن الهجري « ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ » أو الرابع عشر الميلادي « ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م » . وقد تبوأ تراثه العلمي مقاما رفيعا بين تراث الفكر العالمي منذ القرن التاسع عشر ، وكان من المسلم به ان أوروبا هي اول من اهتدى الى فلسفة التاريخ ومبادىء علم الاجتماع واصول الاقتصاد السياسي ، فلما قرأ المفكرون الغربيون تراث ابن خلدون ملكهم العجب والذهول ، اذ اكتشفوا ان ابن خلدون قد سبق علماء الغرب في كل هذه الميادين بعدة قرون ، وانه المؤسس الحقيقي لهذه العلوم ، فعكفوا على دراسته ، وترجموا آراءه الى معظم اللغات ، وعدوه في سلك الفلاسفة ومؤرخي الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسي ، واعترفوا له بالسبق والاصالة في كل هذه الميادين .

يقول د . علي عبد الواحد وافي في كتابه عن ابن خلدون : « ان دراسة الظواهر الاجتماعية - لا لمجرد وصفها ، ولا للدعوة اليها ، بل لتحليلها تحليلا يؤدي الى الكشف عن طبيعتها ، والأسس التي تقوم عليها ، والقوانين التي تخضع لها - لم يعرض له أحد من قبل ابن خلدون » .

مسلم تقي متزن

وهكذا نرى في «المقدمة» لابن خلدون علما جديدا سماه هو علم العمران البشري ، ونسميه نحن علم الاجتماع .

"من لم يعرف القاهرة لم يعرف عزة الإسلام"

أبو عبد الله المقري كبير العلماء بالمغرب

د. محمد عبد المنعم خفاجي

ويقول المؤرخ محمد عبد الله عنان في كتابه عن ابن خلدون : « كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافا علميا حقا ، وكان اعجب ما في هذا الاكتشاف أن يظفر الغرب في تراث المفكر المسلم بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التي لم يطرقها البحث الغربي الا بعد ابن خلدون بعصور طويلة ، اجل اكتشف الغرب لدهشته واعجابه في تراث هذا العالم العربي كثيرا مما ردده مكيافيللي بعده بعدة قرون ، ومما ردده فيكو ، ومونتسكيو ، وآدم سميث ، وأوجست كونت بعده بقرون عديدة .

ويقول لوفيج جمبلوفتش : لقد اردنا ان ندلل على أنه قبل اوجست كونت ــ الذي اراد الايطاليون ان يجعلوا منه اول اجتماعي ــ جاء مسلم تقي ، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، واتى في هذا الموضوع بآراء عميقة ، وما كتبه هو ما نسميه اليوم : علم الاجتماع .

٢ ــ ينتهي نسب ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الى جده الاعلى ابن خلدون ، وهو من بني وائل ، وقد هاجرت اسرته الى الاندلس في القرن الثالث ، وقد ولد بتونس في اول رمضان ٧٣٢ هـ : ٢٧ من مايو ١٣٣٢ م من اسرة اندلسية اشتهرت بالعلم والادب والرياسة ، وكان نزوحها من الاندلس اثر الغزو الاسباني المدمر للمدن الاندلسية وذلك في أواسط القرن السابع الهجري ، وكانت تقيم في اشبيليه . ومنها هاجرت الى تونس .

رابطة الصداقة والأدب

ونشأ عبد الرحمن في ظلال دولة الحفصيين ودولة بني مرين بالمغرب ، الذين كان منهم السلطان ابو الحسن المريني « ٧٣١ ــ ٧٥٣ هـ » ، وابنه ابو عنان « ٧٥٢ ــ ٧٥٨ هـ » وابنه الثاني ابو سالم بن ابي الحسن المريني « ٧٥٨ ــ ٧٦٢ هـ » .. واكمل دراسته الاولى على والده وعلى بعض الاساتذة المشهورين ، ولكن الوباء الكبير الذي اجتاح البلاد قضى على اسرته في المغرب ، فحزن لذلك حزنا شديدا ، واشتغل بالكتابة ، فدعاه السلطان ابو اسحاق ملك تونس عام عام ٧٥١ هـ ليتولى له كتابة « العلامة » ، وهي التوقيع على المراسيم السلطانية والمخاطبات الرسمية باسم السلطان ، وقربه اليه ، ولم يلبث ابن خلدون ان

ترك العمل فى ديوان السلطان ابى اسحاق ، وعمل مع السلطان ابى عنان المرينى ملك المغرب الاقصى عام ٧٥٥هـ وتولى له الكتابة والتوقيع ، ولم يلبث ان اتهم بالتآمر على السلطان فسجن، ولم يفرج عنه الا بعد وفاة السلطان ابى عنان حيث رد الى وظائفه وتولى كتابة السر والانشاء وخطة المظالم للسلطان ابى سالم بن ابى الحسن المرينى ، فاظهر كفاية واخلاصا . وفى هذه الفترة لجأ الى السلطان ابى سالم ملك الاندلس محمد بن الأحمر ووزيره لسان الدين بن الخطيب ، بعد أن اغتصب العرش منه ، فاتصلت رابطة الصداقة والأدب بين ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب من ذلك الحين

وتوفى السلطان ابو سالم عام ٧٦٢ هـ ،ولم يلبث ملك الاندلس أن استرد عرشه ، فرحل ابن خلدون الى الاندلس عام ٧٦٤هـ ، واقام فى غرناطة عاصمة ملك بنى الاحمر ، مشمولا بعطف ابن الاحمر ووزيره ابن الخطيب؛ وارسله الملك الى ملك قشتاله باشبيلية فقام بالمهمة خير قيام .

ولم يلبث ابن خلدون أن ترك الاندلس بعد فتور العلاقة بينه وبين ابن الخطيب ، وذلك عام ٧٦٦ هـ ، حيث تولى الحجابة ــ رئيس الديوان ــ لأمير بجاية ، ولكن عرش هذا الأمير لم يلبث أن اغتصبه مغتصب ، فظل ابن خلدون ينتقل من خدمة امير الى خدمة امير ، حتى حيكت حوله الدسائس والمؤامرات ، ففر الى الاندلس ، مهاجرا اليها مرة اخرى عام ٧٧٦ هـ ، .

فى العزلة الثانية كتب ..

عاد ابن خلدون الى المغرب الاقصى ملتجئا الى احياء بنى عريف بتلمسان حيث عكف على تأليف كتابه التاريخى الكبير « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ثم عاد الى وطنه الثانى تونس عام ٧٨٠ هـ ، فاتم كتابه ورفعه الى سلطان تونس الحفصى ابى العباس عام ٧٨٣ هـ ، فقربه السلطان اليه ، ولكن الوشايات عادت تحوك حوله الدسائس والمؤامرات من جديد ، فعزم على الرحلة الى المشرق ، واستأذن السلطان فى السفر الى مكة للحج ، فاذن له وركب ابن خلدون سفينة أقلته الى الاسكندرية عام ٧٨٤ هـ ، فنزل بها ومنها سافر الى القاهرة حيث اقام بها اقامة دائمة فى ظلال دولة المماليك البرجية ،واتصل ببرقوق ملك مصر « ٧٨٤ ــ ٨٠١ هـ » ، وصار من المقربين اليه .

٣ ــ كانت شهرة ابن خلدون السياسية والعلمية ــ والأدبية قد سبقته الى مصر ، وكان كتابه « العبر » قد طار صيته الى كل مكان ، وكانت « المقدمة » التى كتبها ابن خلدون لتاريخه قد نسخت وبعث بها من تونس الى انحاء العالم الاسلامى .

ويرجع تاريخ تاليف هذه المقدمة الى عام ٧٧٩ هـ وحين نزل ابن خلدون فى عيد الفطر عام ٧٧٦ هـ : ١٣٧٤ م فى مدينة تلمسان فى المغرب اراد ان يخلد فى هذه المدينة الى الدرس والتاليف ، وان يستريح من اعباء السياسة واهوالها ، ولكن امير تلمسان اراد من ابن خلدون ان يسعى لتوطيد عرشه بين القبائل المغربية ، فتظاهر بالقبول ، وخرج من تلمسان ، وذهب الى احياء بنى عريف ، فنزل لديهم ، وقدمت اسرته من تلمسان ، حيث اقام ابن خلدون فى هذه المنطقة النائية على مدى اربعة اعوام لتاليف تاريخه « العبر » ..

وكان ابن خلدون يومئذ فى الخامسة والأربعين ، مكتمل الثقافة كثير التجارب ،ناضج التفكير ، واسع الاطلاع ، دارسا لأحوال المغرب «وسياسته وتاريخ دولة وملوكه ، ولحياة القبائل البربرية وطباعها وتقاليدها .. وفى هذه العزلة النائية كتب ابن خلدون كذلك مقدمة تاريخه،

التي جاء فيها بنظريات جديدة ، لاتزال البيئات العلمية في الشرق والغرب عاكفة على دراستها ..

انتهى ابن خلدون من كتابه «المقدمة» في منتصف عام ٧٧٩ هـ : ١٣٧٧ م ، حيث امضى خمسة شهور في تدوينها ، ثم نقحها وهذبها بعد ذلك عدة مرات ، وبعد اتمام « المقدمة » شرع في كتابة تاريخه ، فكتب تاريخ العرب والبربر وزناته وهو المدون في الاقسام الاولى والاخيرة من « العبر » .

وكان ابن خلدون يريد أن يكون تاريخه مقصورا على كتابة تاريخ المغرب ودوله دون سواه من الاقطار — كما قال هو — ولكنه ، بعد ان امضى شوطا في كتابة تاريخه رأى ان يكون كتابه شاملا لتاريخ البشر منذ بدء الخليقة ، ومن ثم آثر أن يعود الى تونس ليستكمل مراجعه ، بعد أن كان قد أكمل المقدمة والاقسام المتعلقة بتاريخ العرب والبربر في المغرب .

وكتب ابن خلدون الى سلطان تونس يستأذنه في العفو عنه والاذن بعودته الى وطنه ، لاكمال تاريخه ، فرد السلطان عليه بالصفح والقبول ،ودعاه الى القدوم الى تونس فغادر أحياء بني عريف في شهر رجب عام ٧٨٠ هـ ، ولقى العالم الجليل سلطان تونس ابا العباس بظاهر سوسة ، حيث بالغ السلطان في اكرامه ،واصدر اوامره الى رجال الدولة بتوفير ما يلزم له ولأسرته من المسكن والمعاش ودخل ابن خلدون وطنه بعد ان عاش بعيدا عنه مغتربا منذ ان كان شابا في العشرين ، وذلك منذ عام ٧٥٣ هـ ، واقام فيدعة وهدوء ، عاكفا على البحث والكتابة .

وفي أوائل عام ٧٨٤ هـ — ١٣٨٢ م كان ابن خلدون قد أتم مؤلفه التاريخي الكبير ، وكتب مقدمته المشهورة الخالدة .

ترجمة ذاتية جيدة ...

ولم يلبث ان ركب البحر — كما قلنا سابقا — في منتصف شعبان ٧٨٤هـ — اكتوبر ١٣٨٢م ، متوجها الى المشرق للحج .. وفي عيد الفطر من العام نفسه وصل الى الاسكندرية ، فنزلها ، وتوجه منها الى القاهرة ، فوصلها في اول ذي القعدة عام ٧٨٤هـ — نوفمبر ١٣٨٢ م ، بعد دخول ابن بطوطة الرحالة اليها بنحو ستين عاما ، اذ كانت وفادة ابن بطوطة على القاهرة عام ٨٢٦ هـ : ١٣٢٦ م في عهد الناصر ابن قلاوون .

وكان سلطان تونس قد حجز اسرة ابن خلدون في تونس حتى يعود ليلسوفنا الى وطنه . فتوسل ابن خلدون الى السلطان الظاهر برقوق ليشفع له لدى سلطان تونس ليخلي سبيل اسرته ، ففعل ، واطلق سراح اسرته ، وركبت اسرته السفينة الى الاسكندرية ، ولكن السفينة غرقت في البحر الابيض ، وغرق اهله فيها ، ووصله في القاهرة نبأ هذه الفاجعة الاليمة ، فحزن حزنا شديدا .

وفي عام ٧٨٩ هـ سافر الى الحج وعاد الى القاهرة في جمادي الاولى عام ٧٩٠ هـ . وفي هذه السنة اخذ يهذب المقدمة والتاريخ ، وزاد في حوادث التاريخ حتى بلغ بها نهاية القرن الثامن الهجري ، بعد أن كان قد بلغ بها في تونس حتى عام ٧٨٣ هـ .

ومن الفصول الجديدة التي كتبها في مصر : خواص دول المماليك المصرية ، ونشأة التتار .

وفي آخر تاريخه تعريف كتبه ابن خلدون عن نفسه ، وهو ترجمة ذاتية جيدة له حتى مستهل عام ٧٩٧ هـ ، ويعد بمثابة ذيل لتاريخه ، ومفتاحا دقيقا لشخصية هذا العبقري الكبير ، ومرجعا لكل من كتب عنه . ومن التعريف نسخة اخرى كاملة مستقلة في دار الكتب المصرية ، برقم ١٠٩ تاريخ ، تصل حوادثها الى نهاية عام عام ٨٠٧ هـ ، الى ما قبل وفاته باقل من عام

وقد نشرت المقدمة لاول مرة فى مصر عام ١٢٧٤ هـ ١٨٥٨ م . وفى عام ١٢٨٤ هـ تم طبع تاريخه باكمله ونشرت المقدمة كذلك فى باريس عام ١٨٥٨ م ، وفى بيروت عام ١٨٧٩ م ، وظهرت الترجمة الفرنسية للمقدمة بين عامى ١٨٦٢ و ١٨٦٨ بقلم دى سلان فى ثلاثة مجلدات ، وترجمت الى التركية عام ١١٦٢ هـ - ١٧٤٩ م بعناية بيرى زاده ، وترجمت كذلك الى مختلف اللغات العالمية .

الدرس النقدى للتاريخ

وفى عام ١٩٣٢ أحيا جماعة من ادباء مصر ذكرى ابن خلدون بمناسبة مرور ستة قرون على ميلاده ، ونشر عنان كتابه عنه ، واخذ د . عبد الواحد وافى يحقق مقدمته .

٤ - وبحوث ابن خلدون فى المقدمة تمهيد لدراسة التاريخ وفهمه ، وهى بحوث جديدة كل الجدة ، وفيها يدرس ابن خلدون قوانين الاجتماع البشرى ونواميسه ، وبذلك وضع اساس علم الاجتماع . ولا شك أن ابن خلدون قد سبقه الى اثارة البحث العلمى حول هذه الامور امثال : الفارابى فى المدينة الفاضلة ، واخوان الصفا فى رسائلهم كبحوث الفارابى من حاجة الانسان الى الاجتماع ، ومن نشأة القرى والمدن ، وكتقسيم اخوان الصفا للعلوم والصنائع ، وبحثهم عن تاثير طبيعة البلدان فى الاخلاق ، ولكن سمة البحث عند الفارابى واخوان الصفا سمة فلسفية ، اما ابن خلدون فانه يتناول هذه الموضوعات . من الجانب الاجتماعى : ومن الخطأ أن يذهب مثل سلامة موسى الى أن ابن خلدون كان صدى للفارابى أو لاخوان الصفا ، وقد فند رأيه الباحث التونسى صديقى ابو القاسم كرو فى كتابه عن « ابن خلدون » .

ان بحوث ابن خلدون فى المقدمة تشمل جوانب من علوم الاجتماع وفلسفة التاريخ والاقتصاد السياسى.

وقد عنى المستشرقون بالجانب الاجتماعى من تفكير ابن خلدون وترائه وقد عده فون كرايمر المستشرق النمسوى مؤرخا للحضارة الاسلامية، وعده دى بوير فيلسوفا ،ولكن الاتجاه العلمى انصب على دراسة فلسفته الاجتماعية « علم الاجتماع »التى سبق بها : أو جست كونت ، وفيكو ، ومكيافيللى ، من أعلام الاجتماع فى اوروبا ، كما سبق فيكو ومونتسكيو ومكيافيللى الى الدرس النقدى للتاريخ ، وسبق ماركس وسواه الى النظريات الخاصة بعلم الاقتصاد السياسى .

والمقدمة تسبق كتاب « الأمير » لمكيافيللى باكثر من قرن من الزمان على الرغم من أن « المقدمة » كتبت عام ١٣٧٧ م ، وكتاب « الامير » الف عام ١٥١٣ م . فابن خلدون بمقدمته يعد مبتكر علم الاجتماع ، وواضع اسس العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصاد الاجتماعى والسياسى ، وفلسفة التاريخ والقانون العام . وهو ينبه فى المقدمة على أن الكلام فى مثل هذه البحوث مستحدث جديد ، وانه ليس من علم الخطابة المنطقية ، ولا من علم السياسة المدنية ، بل هو علم مستقل وان كانت بعض الأبجديات التى ذكرها فى المقدمة قد تجرى لأهل العلوم بالعرض فى براهين علومهم ، مثل ماذكره الفلاسفة فى اثبات النبوة من ان البشر متفاوتون فى وجودهم فيحتاجون الى الوازع والحاكم ، ومثل ما يذكر فى اصول الفقه من ان الناس محتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات ، ومثل ماورد فى حكم الحكماء وكتب الفلاسفة من امثال كتاب ارسطو فى السياسة ، ورسائل ابن المقفع ، وكتاب سراج الملوك للطرطوشى،على سبيل الاستطراد والعرض ويؤكد ابن خلدون أن نظرياته

فى المقدمة قد الهمه الله اياها الهاما .

والمقدمة هى من اهم ماوصلنا الينا من التراث العربى الأصيل ، ولقد استغرق كتابتها نحو العامين ، وتمت مراجعتها كاملة عام ٧٧٩ هـ ، اما كتابه التاريخى فقد انتهى منه عام ٧٨٤ هـ ، ولكنه ظل ينقحهما ويزيد فيها الى ماقبل وفاته بعام ، وان كان عام ٧٩٨ هـ قد كتب منهما نسخا جديدة مزيدا فيها ومنقحة ، ولكن الزيادات الأخيرة أوفى واشمل ، وقد اهدى ابن خلدون نسخة كاملة من الكتاب لسلطان مصر برقوق ، واهدى نسخة اخرى الى سلطان المغرب الاقصى أبى فارس المرينى ، الذى تولى حكم المغرب ثلاثة اعوام « ٧٩٦ — ٧٩٩ هـ » .

ذكر خالد على مر العصور

وقد قسم ابن خلدون تاريخه الى :

١ ـ المقدمة وهى فى علم الاجتماع وفلسفة التاريخ واصول الاقتصاد السياسى .

٢ ـ الكتاب الأول فى اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة الى عهده ، وفيه عرض لأشهر الأمم المعاصرة للدول العربية .

٣ ـ الكتاب الثانى اخبار البربر ومواليهم من زناتة وغيرهم والتاريخ مطبوع فى ستة مجلدات فى تاريخ العرب والعجم والبربر والمقدمة مطبوعة فى مجلد مستقل . وكانت اراء ابن خلدون فى الفصل الخامس من المقدمة عن المعاش ووجوهه والكسب والصنائع ذات طابع خاص ادخل فى باب الاقتصاد السياسى والاجتماع ، ومنهما اقتبس كارل ماركس بعض الآراء التى بسطها فى كتابه « راس المال » .

٥ ـ وفى مصر اقام ابن خلدون فى القاهرة ، وانثال عليه طلبة العلم بها ، يلتمسون منه الافادة ، وتصدر للتدريس فى الأزهر ، وتولى بعد ذلك التدريس بالمدرسة القمحية بجوار جامع الفسطاط « او جامع عمرو بن العاص » ، وهى من مدارس المالكية المشهورة فى مصر ، وبعد قليل عين قاضيا للقضاة المالكية فى مصر فى اواخر جمادى الأولى عام ٧٨٦ هـ .

ولم يلبث ابن خلدون على اثر توليه منصب قضاء المالكية ، أن ثارت حوله الدسائس والمؤامرات والأحقاد ، وبخاصة من العلماء المنافسين له ، والذين كانوا يودون أن يكون هذا المنصب القضائى الكبير وقفا عليهم ، فاضطرب الأفق حوله ، وعزل من القضاء ، فاستأذن من برقوق فى الحج فاذن له ، وعاد بعد الحج فعينه السلطان استاذا فى المدرسة الصرغمتشية شمالى جامع ابن طولون، ثم عينه شيخا لخانقاه بيبرس ،وانقطع الى التدريس والتعليم ، يوطد الصلات السياسية والعلمية ، بين مصر والمغرب حتى اعاده برقوق الى منصب القضاء وظل فيه الى ان توفى برقوق عام ٨٠١ هـ ، وتولى بعده ابنه فرج بن برقوق حكم مصر،فعزل ابن خلدون،عن القضاء .

ولما خرج فرج للقاء تيمورلنك خرج معه ابن خلدون ، وكان سفيرا بين مصر والسلطان التترى المخرب تيمور لنك ولما عاد ابن خلدون الى مصر اعيد للقضاء لثالث مرة،ثم عزل عام ٨٠٤هـ، واستمر بين ولاية القضاء المالكى والعزل منها ، حتى تولى القضاء لسادس مرة عام ٨٠٨ هـ ، فلبث فيه ستة أشهر توفى بعدها فى ٢٦ من رمضان ٨٠٨ هـ — ١٦ من مارس من عام ١٤٠٦ م ودفن فى مقبرة الصوفية فى العباسية خارج باب النصر .

وودع جثمانه السلطان والشعب ، مشيعا بأحر العبر ، واطيب الذكريات ، ووري جثمانه التراب ، ولكن ذكره بقى خالدا على مر الايام والعصور .

ناس وصور
وحكايات

قمر الزمان يتزوج ست الحُسن للمرة الثانية !!

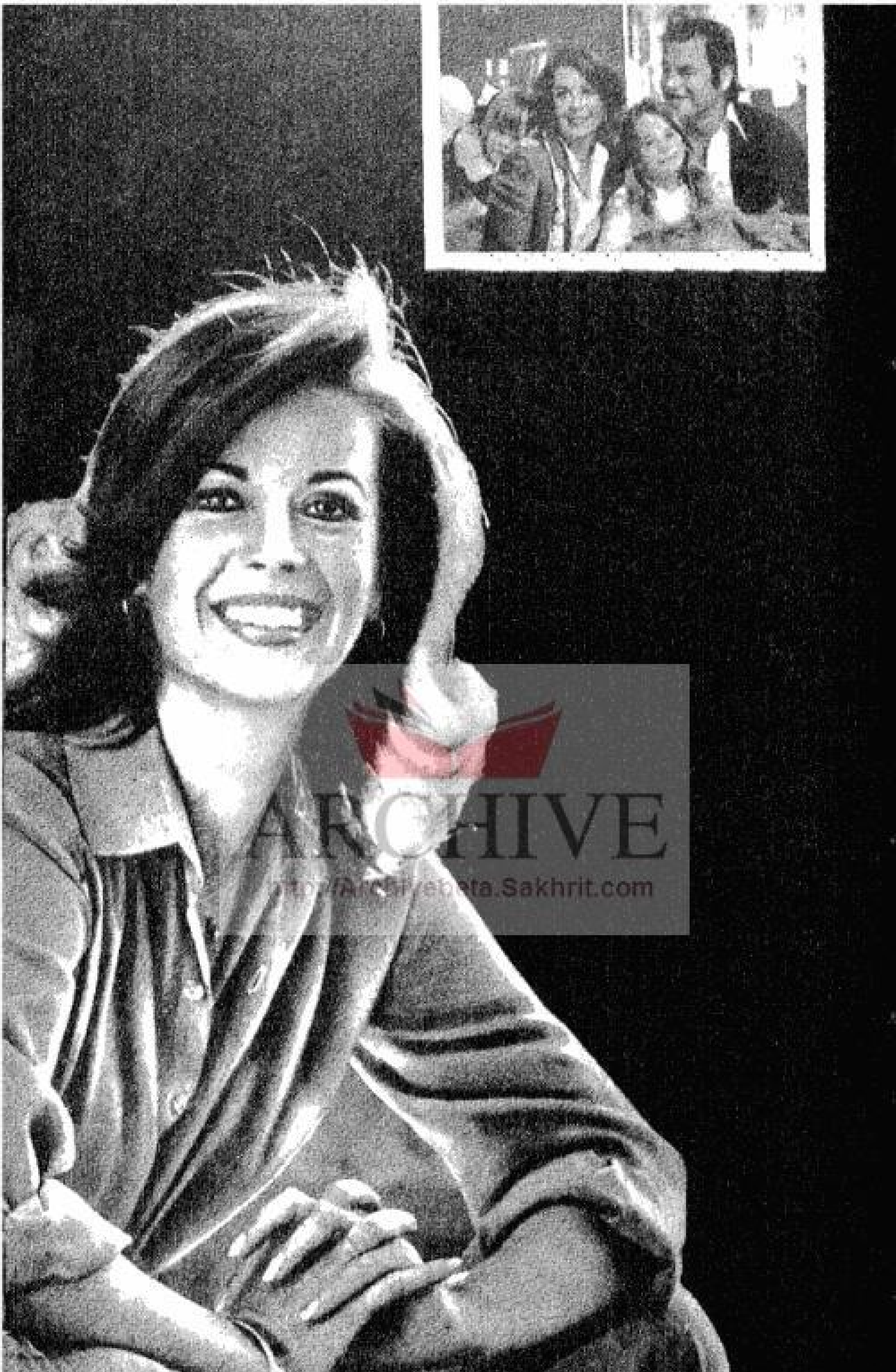
روبرت فاجنر ممثل سينمائى امريكى اشتهر بلطف الهيئة وخفة الظل وقد اصبح عند ظهوره فى اواخر الخمسينات حلم الملايين من بنات امريكا واوروبا .

وناتالى وود ممثلة امريكية من اصل روسى ، بهرت الناس بجمالها فى أواخر الخمسينات .

وفى سنة ١٩٦٢ تزوج قمر الزمان من ست الحسن ، وكان زواجا باهرا تحدثت عنه امريكا كلها ..

ولكن ست الحسن لم تستطع العيش مع قمر الزمان .. وفى سنة ١٩٦٨ طلقته لتعود الى حريتها كما قالت ..

وفى هذا العام ، وبعد اثنتى عشرة سنة عادت ست الحسن الى قمر الزمان ! تزوجت زوجهـا فى عرس كبير حضرته هوليود كلها ، لأن الزوجين اصرا على ان يكون حفل الزواج الثانى حفلا كاملا : دخلة وشربات وموسيقى ..







ثلاثة أزواج من هـذا الحيـوان أصبحت ٦٠٠,٠٠٠

في سنة ١٩٣٦ لاحظ العلماء الألمان أن حيوان الغابات الألمانية يقل مع الزمن بسبب كثرة الصيد واتساع العمران ، فقرروا أن يعمروها بالحيوان من جديد ، فجلبوا من الولايات المتحدة ثلاثة أزواج من نوع صغير من الدببة ، يتسلق الأشجار ويعيش على الحيوانات الصغيرة التي تأكل جذور أشجار الغابات ..

واليوم يبلغ عدد هذه الدببة ٦٠٠,٠٠٠ دب ودبة ! وأصبحت بدورها بلاء على الغابات التي حولها ، فهي تهاجم القرى بالليل وتسطو على أي حيوان أو طير داجن تصادفه

والغريب أن أحدا لا يرى هذه الحيوانات قط ، فهي صغيرة جدا في حجم الكلب المتوسط الحجم ، وهي تعيش إما في باطن الأرض أو في أعالي الأشجار ، وتنام الشتاء كله في جحورها .

ناس . وصور . وحكايات

طراز جديد من تجارة الرقيق

طراز لا يمكن إيقافه

أو اتخاذ إجراء لإيقافه

الكثير من الشركات الاوروبية تنشىء لها الآن فروعا فى بعض بلاد آسيا وامريكا اللاتينية لتخرج انتاجا ارخص مما تتكلفه السلع عند تصنيعها فى بلادها وفى هونج كونج وعلى سواحل الفلبين والهند وملقا وبورما وفى كل بلاد امريكا اللاتينية مصانع للملابس وادوات البلاستيك واجهزة الراديو والادوات المنزلية وقطع غيار السيارات ..

هذه الشركات مستقلة انشاها اوروبيون وغير اوروبيين او فروعا لشركات كبرى فى اوروبا وامريكا . ووظيفتها اخراج انتاج رخيص يباع لبلاد العالم الثالث .

هذه المصانع يشتغل فيها رقيق . رقيق بمعنى الكلمة : ناس يشترونهم من بلاد افريقية وامريكا اللاتينية ويدربونهم ويستخدمونهم فى مصانعهم لقاء لقمة العيش ..

ذلك ان الفقر شديد جدا فى الكثير من نواحى الدنيا ، وفى موانى الكثير من البلاد التى ذكرناها مئات بعد مئات من النــاس لا يجدون لقمة العيش ، وهم مستعدون للقيام باى عمل فى سبيل لقمة العيش ..

هؤلاء يشتريهم وكلاء متخصصون فى شراء هؤلاء النــاس ونقلهم الى اماكن اخرى وتشغيلهم لحسابهم او بيعهم مرة اخرى بيعا صريحا نهائيا ..

وعندما اكتشفت السلطات البريطانية هذه الحقيقة لم تستطع عمل شىء لا مع تجار الرقيــق ولا مع الشركات التى تستخدم اولئك الناس . لانهم ــ الرقيق ــ يفعلون ذلك برضاهم ، انهم يقبلون بيع انفسهم لكى يضمنوا لقمة العيش والماوى



قافلة الرقيق تسير . لقد قبضوا الثمن وقيدت أيديهم ، وهم يغادرون الآن إلى حيث تنتظر سفن شحنهم بعيدا عن المياه الاقليمية . تنقلهم اليها لنشات بخارية . لا احد يستطيع ايقاف هذه التجارة لانها تتم على اساس التراضى الكامل بين الطرفين .

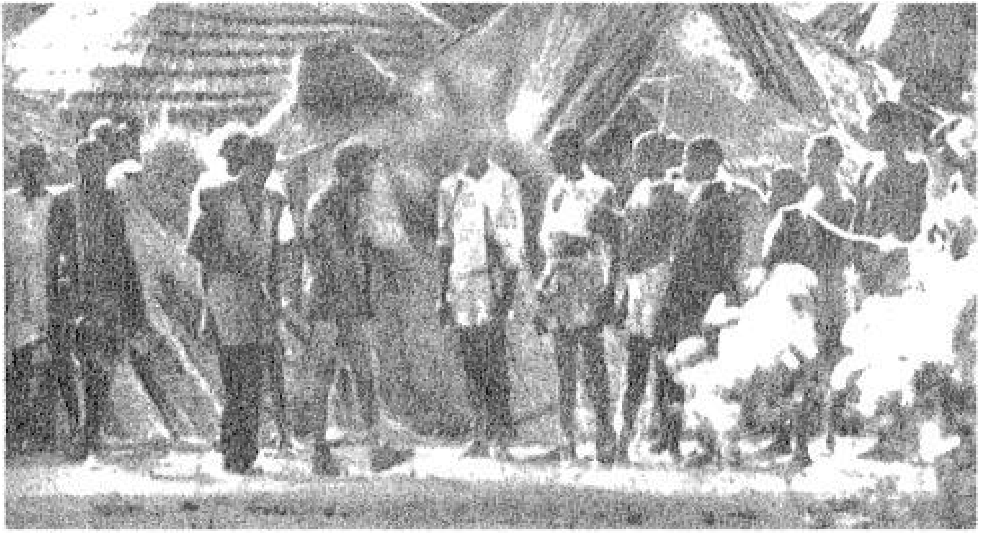
انهم يتزاحمون على تلك المكاتب ، ويعملون بدون عقود اصلا ، لان الوكيل الذى يشتريه واثق من انه محتاج للعمـــل ، فهو يتولى نقله اولا الى بلد بعيد لكيلا يستطيع اللجوء الى سلطات قضائية او بوليسية ، وهو يدخله تهريبا ، فيحرص الرقيق على الصمت حتى لا تتنبه السلطات له وتعيده من حيث أتى فيعـود الى البطالة والجوع ..

والثمن الذى يعطى للرقيق من هؤلاء هو ١٠٠٠ جنيه انجليزى ، يســلم له بمجرد وصوله الى الجهة التى سيعمل فيها ، وهو فى العادة يضعها فى مصرف ثم يضع نفسه تحت تصرف صاحبه فيبيعه اذا راد أو يؤجره للعمل ، والمسكين يضمن بذلك عيشا ثابتا وسقفا يأويه . وهو لا يحاول قط ان يهرب من وضعه هذا لان حالته بدونه اسوأ ، فهو فى بلده عاطل وحكومته لاتهتم به ، وهو تحت اعين رجال الامن فى الميناء او البلد الذى يعيش فيه .

وهذا الرقيق يعمل فى العادة فى مصانع فى افريقيا وآسيا وبعض بلاد امريكا اللاتينية . فهناك مثلا شركة المانية كبيرة فى همبورج تحتـــاج الى الف رجـل يعملون لحسابها قرب مدينة باهيا فى شمال البرازيل ، هؤلاء الرجال عملهم هو نقل مقادير ضخمة من تراب مناجم النحاس الى السفن ، لتشحن الى المانيا وهناك تستخرج منها المعادن . هذه الشركة لا يمكن أن تحقق أى ربح اذا هى اعتمدت على أيد عاملة نظامية ، لأنها تستخرج من كل ١٠٠٠ طن من التراب رطلا من النحاس ونحو ٣٠٠ جرام من الذهب ، فلابد ان تتم عملية شحن التراب بأقل التكاليف ، وهى لهذا تشترى مثلا ٥٠٠ عبد وتدفع فى الواحد ١٠٠٠ جنيه ثم تجعله يعمل لحسابها فى مقابل طعام متواضع وسقف يعيش تحتـه لمدة خمس سنوات تبيعه بعدها مرة اخرى او تتركه أو تجدد عقده ..

وهذه الشركات والوكالات كلها تعمل بغير أوراق : ليس هناك عقد بيع ولا عقد عمل ، والرقيق يتزلون على الساحل ويدخلون البلاد خلسة ويظل طوال فترة عقده بلااوراق ، فهوتحت رحمة من يشترونه . وفى حالة وقوع اى تعقيد فان العملاء والشركات تعلن انها لاعلاقة لها به الا علاقة العمل . لقد طلبت عمالا فأتوا وعملوا واخذوا اجورهم ، اى انه لا مأخذ عليها على الاطلاق ..

وفى مكان ما من ساحل بلد آسيوى مصنع كبير لصناعة الملابس النســائية الجاهزة.ان كل عاملاته من الرقيق.المصنع يشتريهن بالجملة من الوكلاء ويدفع عن كل بنت ١٠٠٠ جنيه يضاف اليها نفقات السفر ، ثم تعمل البنت بعد ذلك طول عمرها فى مقابل غذاء من الارز وبعض الخضروات ومكان للنوم فى غرفة



في مكان ما على الشاطيء الافريقي يذهب اولئك الافريقيون ليبيعوا انفسهم • انهم يفعلون ذلك بمحض اختيـــارهم • الواحد منهم يتقاضى الف جنيه ثم يقيد ويصدر الى اى ناحية في العالم يقررها تاجر الرقيق •

واسعة • يملك هذا المصنع الضخم ثلاثة رجال واحد انجليزى والثاني هنـدى والثالث صينى • والسلطات المحلية لا تستطيع التدخل بين اولئك الرقيقـات ومن يعملن عندهم ، لأن هذه السلطات تكسب من وراء المصـنع ، فهو يدفع لخزينة الولاية ضرائب لا باس بها ثم هو يفتح أبواب العمل لمئات العاطـلات ، هذا الى جانب الرشاوى والاكراميات التى تدفع هنا وهناك ، وهذا شيء معروف

وهذا النوع الجديد من الرقيق لا يمكن ايقافه ، ولا يمكن اتخاذ اجراء ضده ، لأنه يتم برضى الطرفين ، ثم أن الرقيق نفسه كاسب فى النهاية ، لأنه يجـد عملا ومأوى وهو خير من البطالة والجوع والتسول والسرقة فى النهاية •

وقد قال واحد من اولئك الارقاء : وما لكم انتم وما اعمل بنفسى:ألست حرا



هذه المجموعة من الرقيق تم شراؤها على الساحل الغربي لافريقية شمال السنغال • هؤلاء الرقيق قدموا ليبيعوا انفسهم من وسط الصحراء • قبضوا الثمن وها هم رجال التاجر يقيدونهم لكي يرسلونهم خفية الى حيث يريدون •

فيها ؟ من يضركم فى شىء ان أبيعها ، واذا انا لم ابع نفسى فهل لديكم حل لى احسن من هذا ؟ هل عندكم عمل ثابت اعيش منه ؟

ولكن الناحية الوحيدة التى يمكن اتخاذ اجراء فيها ضد هذا النوع من الرق هو شراء الفتيات لبيعهن فى سوق البغاء ، وهذا امر منتشر جداً مع الاسف ، والمسكينات هنا يستغلهن تجار الرقيق بصورة بشعة ، ومعظمهن يتحولن فى النهاية الى مدمنات مخدرات ويلقين اسوأ نهاية •

يا ليل

● مصطفى عبد الرحمن ●

يا ليـــل ..
أيها المنصت إلى أرغن الأزل
يسكب ثوب السحر في الأسماع والقلوب
يا وحي الشـــعراء ..
وغنوة المحبين والمعذبين ..
ماذا فيك يا ليل العشاق ..

ثمل ... وليلي في الهوى ثمل ... فنسيمه، وضياؤه قبل !
وعيـــونه نور يســـامرنا ... وعيوننـــا بالشوق تشتعل !
وزهوره سكرى تميـــل على ... أغصانها، ما صدها خجـــل !
وعبيرها الفواح يســـكرنا ... من طيبات رفيفــه نهـــل ...
فحديثنـــا وحديثه غـــزل ... يخضر عند سماعه الأمل !

●●●

ياليل ...

خذنـــا في فضـــائك إلى ... عرش النجوم .. عليه ننتقـــل !
في زورق يسري على مهـــل ... تحدوه ملء قلوبنـــا شعـــل !
تحكي حكايتنا ... ولا مـــلل ... والحب يصـــغي، والمنى ظلل
ياليت صبحك لا يطـــوف بنـــا ... وبه تفضـــل على المدى السبل !
ونظل يا ليل الهوى، أبدا ... ... وسناك ممـــدود .. ومكتمل !

مصطفى عبد الرحمن
« من ديوانه الجديد الأنيق »
أمنيات قلب

الأسس الفنية للقصة عند محمود تيمور

● د . محمد احمد العزب ●

● القصة : فن قولى «درامى» ، يسعى الى خلق عالم ابداعى مواز فى علاقاته للعالم الواقعى الذى يعيشه القصاص ، من خلال تجارب الفكر او تجارب العاطفة او تجارب الخيال ..

اوهى – كما يقول تشارلتون – : « ضرب من الخيال النثرى له مهمة خاصة به ، وهى ان تقص بعض اعمال الرجل العادى فى حياته العادية بعد ان تضعها فى شبكة من الحوادث كاملة الخيوط ، متتبعة كل فصل الى ادق اجزائه وتفصيلاته وسوابقه ولواحقه ، موغلة فى دخيلة النفس حينا لتبسط مكنونها اثناء وقوع الفعل ، مستعرضة الآثار الخارجية للفعل حينا آخر ، لاتترك من جوانبه وملحقاته ونتائجه شاردة ولا واردة الا سجلتها فى امانة وصدق كما تحدث فى الحياة الواقعية التى يخوضها الناس ويمارسونها»(1).

واذن فالقصة استقطاب لواقع الشخصية او نقل لبعض واقع الشخصية ، ليس من خلال منهج استقرائى او تسجيلى فحسب ، وانما من خلال منظور ابداعى ينفذ الى جوهر هذا الواقع الانسانى ويمنحه تشكيلا فنيا يصبح به ما هو وغير ما هو جميعا : يصبح به ما هو لأنه يعطيه حقيقته الانسانية التى هى جوهر الاشياء .. ويصبح به غير ما هو لأنه يعلو به من مستوى الواقع الحرفى المتعين الى واقع فنى يحمل وجهة نظر الفنان وملامح فلسفته الخاصة .

والعمل القصصى يستلهم من مصدرين اساسيين : اولهما مجموع الخبرات التى صادفها الكاتب فى حياته الخاصة والعامة ، لان هذه الحياة هى المنبع الطبيعى الذى يستلهمه الفنان كواقع عاشه وعاناه .. وثانيهما مجموع الخبرات التى حصلها من قراءاته واطلالاته لأن الفنان كانسان – محدود بحدود حياته المادية وهى حدود صغيرة صغيرة مها تراحبت ولكى يمتلك تجربة أعرض واعمق واغنى ، فلابد له من قراءة تجارب الآخرين الغابرين والمعاصرين .

ولا يتميز الفنان بوقوعة على نوعية معينة أو كم معين من الحوادث الهائلة او الحائلة ، وانما يتميز الفنان بكيفية ترتيب الحوادث وكيفية توظيفها معا .. قد تكون الحوادث واحدة فى اعمال عديد من القصاصين ، ولكن المنظور الفنى والفلسفى الى هذه الحوادث الواحدة يختلف من فنان الى فنان ،

---

(1) فنون الادب – ترجمة د . زكى نجيب محمود – ص ١٧



محمود تيمور : اثرى الحياة الادبية واسهم فى وضع الاسس الفنية للقصة

وهذا هو ما يعطى فنانا بذاته امتيازا على جميع من عداه ، اذا هو استطاع أن يمتلك موضوعه واداته ،وان يخرج بالواقع الحرفى الى ابعاد الواقع الفنى وأن يطل من خلال الخاص على العام ، وأن يضع ملامح وجهه المتفرد على كل جزئية من جزئيات عمله شكلا ومضمونا وبناء ولغة وأسلوبا ورؤية .

ومن هنا تصبح القيمة الحقيقية للقصة كاملة فى هذا العمل الفنى،وليس فى جلال موضوعها أو حقارته .

ويتردد العمل القصصى — كما يقول محمود تيمور — بين أنواع اربعة، هى : الأقصوصة والقصة ،والرواية ، والحكاية .. ولكل واحد من هذه الانواع ملامحه الخاصة التى تميزه عن سواه :

فالاقصوصة : قصة قصيرة يعالج فيها الكاتب جانبا من حياة ، لا كل جوانب هذه الحياة ، فهو يقتصر على سرد حادثة او بضع حوادث يتالف منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته، على أن الموضوع مع قصره يجب ان يكون تاما ناضجا من وجهة التحليل والمعالجة .

والقصة : تتوسط بين الاقصوصة والرواية ، وفيها يعالج الكاتب جوانب ارحب مما يعالج فى الاولى ، فلا باس هنا بان يطول الزمن ، وتمتد الحوادث ويتوالى تطورها فى شىء من التشابك .

والرواية : تعالج موضوعا كاملا او اكثر ، زاخرا بحياة تامة او اكثر ، فلا يفرغ القارىء منها الا وقد الم بحياة البطل او الابطال فى مراحلها المختلفة ، وميدان الرواية فسيح امام القاص يستطيع فيه ان يكشف الستار عن حياة ابطاله ، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت .

والحكاية : تسوق واقعة او وقائع حقيقية او خيالية ، ولا يلتزم فيها الحاكى قواعد الفن الدقيقة ، بل يرسل الكلام كما يواتيه طبعه ، والحكايات فى الاكثر تكون منقولة عن افواه الناس ، وصاحبها يعرف بالحكاء او السمير . (٢)

ويرى تيمور أن القصة بمعناها العام تتالف عادة من ثلاثة عناصر رئيسية هى « الموضوع » و « الشخصيات» و « الحوار » . وان كان يرى ان هذا العنصر الاخير « الحوار » ليس من المقومات المحتومة دائما ، ولكنه لازم فى اغلب الاحيان .. فتبدأ القصة بالتمهيد للفكرة ثم تتطرق الى ظهور العقدة ثم تتوصل الى حل هذه العقدة أو ما يشبه الحل ، وهذا هو الهيكل المألوف فى بناء القصة على

(٢) انظر : فن القصص — لمحمود تيمور — ص ٤٧ — ٤٨ .

وجه عام . (٣)

وبديهى ان كل قصاص له ان يرتضى الطريقة التى تلائمه ، ولكن ليس له بد من أن يراعى جانب القوانين العامة فى التأليف القصصى ، لأنه مع اهدار اى من هذه القوانين يشعر الناقد باختلال العمل القصصى ، ولادخل فى ذلك للطريقة الخاصة ولا للمذهب الخاص .

وقد استقرت الحركة النقدية على مجموعة من الاساسيات التى رات انها تشكل قواعد الخلق الحقيقى فى فن القصص ، ومن هذه الاساسيات مايتصل بعناصر العمل القصصى كالحادثةوالسرد والبناء والشخصية والزمان والمكان والفكرة ..

ومنها ما يتصل بالبناء الفنى للقصة كترابط الوحدات ترابطا عضويا . ومواءمة الشكل للمضمون ، ومفارقة الانواع بعضها لبعض ، واختلاف منظور فنى عن منظور فنى آخر ، والابتعاد عن الوعظية والخطابية ، وترك الفحوى لتنطق بها الحوادث والشخوص ..

ومنها ما يتصل بطرائق التعبير القصصى كصياغة القاص لمصطلحه اللغوى الخاص واصطناعه اسلوبا شخصيا يدل على فكره الذاتى وتعبيره عن الواقع ليس بلغة هذا الواقع وانما بلغة فنية خاصة ، وانطاق شخوصه بلغاتهم ومستوياتهم الفكرية والاجتماعية والنفسية واتخاذ اسلوب سردى فيه ومضة الفن وديناميكية الحياة .

وقد فصل تيمور الحديث عن القواعد الاساسية التى يراها ضرورية فى كتابة القصة ، حتى يكتمل لها بناؤها العضوى ، وحتى تصبح لونا ادبيا قائما على ركائز نقدية تحدد فيه ما هو تلقائى وما هو مشروط ، وهو تفصيل يجمل اهم الخصائص فيما يلى :

اولا : أن تكون للقصة وحدة فنية، وبهذه الوحدة تتوافر فنية القصة . وما الوحدة الفنية الا أن يجعل الكاتب همه مقصورا على ابراز الفكرة الاساسية مجتنبا جهد الطاقة أن يتطرق الى آفاق اخرى .

ثانيا : أن يراعى فى عرض الموضوع جانب التلميح ما امكن ،وان يحذرجانب التصريح ، فلا يشرح الكاتب الموضوع ويحلل الشخصيات فى شكل مهلهل ، بحيث لايترك شيئا لفطنة القارىء وذكائه .. كما يجب أن يراعى كذلك عدم الاغراق فى هذا التلميح حتى لايتورط العمل القصصى فى الغموض والابهام .

ثالثا : ان يعنى الكاتب برسم شخصياته ، وأن يجعلها تصدر فى اقوالها وافعالها عن منطق الحياة التى اراد لها المؤلف ان تعيشها بواعيتها الظاهرة وواعيتها الخفية ايضا .

رابعا : الا تكون الشخصيات بوقا ينقل ما يلقى اليه المؤلف من الكلام، فيكون المتكلم هو المؤلف نفسه على لسان هذه الشخصيات الببغاوية ، والواجب أن يبقى للشخصيات كيانها المستقل ، وان تظل حية فى حركاتها وسكناتها ، وأن يحس القارىء من اعمالها حرارة هذه الحياة ، ويتعرف من افعالها ما تتميز به من شمائل وحقائق ..

خامسا : حتم أن يكون لكل قصة معنى ، والا كانت القصة لغوا لا جدوى له .. ومعانى القاص اما مستمدة من الواقع او مستخرجة من النفس البشرية . والا فان المجد الادبى لا يكون الا من نصيب القصة التى يحقق كاتبها رد أصولها ومعانيها الى أوصال الانسانية بغرائزها الباقية وميولها الخالدة .

سادسا : يجب الا تكون الفكرة

(٣) فن القصص — لمحمود تيمور ص ٤٨ — ٤٩ .

المعالجة مصوغة في قالب وعظي أو على هيئة حكمه والا يظهر فيها تحبيذ شيء او النهي عن شيء ،بل يجب ان تكون الحكمة او الموعظة مطوية في غضون الحوادث ، خالصة الى القارىء دون معونة ظاهرة من المؤلف . وان يكون التحبيذ او النهي كامنا في أعطاف السرد غير ملموس بالكلام المكشوف .

سابعا : الا تخلو القصة من عنصر التشويق . على أن يبقى تشويقا طبيعيا غير مفتعل ولا ملفق .

ثامنا : أن تحرر لغة القصة من المحسنات البديعية الباطلة ،وان تكون القوالب على قدود المعاني ، في غير اهمال لما تقتضيه خصائص اللغة من الموسيقية الاخاذة على ان يراعى تجنب الأساليب المبتذلة التي تستعمل فيها الالفاظ استعمالا شائعا يفقدها بكارتها وبهاءها ، وكذلك تجنب التراكيب الركيكة التي لا تستبين فيها قدرة اللغة على التصرف في الاداء والتعبير . (٤)

وواضح تماما ان هذا الاجمال النقدى يستقصى معظم أساسيات العمل القصصي بالفعل وان كان لا يزعم انه استقصاء جامع مانع ، فليس في الفن كلمة اخيرة ، ولا كلمة تتسم بالشمول والاستغراق ، لأن منطق التطور هو الذى يحكم ظواهر الاشياء

وبديهى اننا ينبغى أن نفرق في النظرة النقدية بين القصة القصيرة والرواية باعتبارهما أشيع الالوان القصصية في هذا العصر . فالرواية عمل فني كبير تكون الاهمية فيه « للوقائع » ، أما القصة فهى عمل فني قصير تكون الاهمية فيه «للشخصية» و « الدوافع». كما انه لابد في القصة من ملاحظة «التركيز» كقيمة أساسية من قيم السرد والبناء والشخصية ، على النقيض من العمل الروائي الذى تتطلب فيه التحليل والاستقصاء والشمول والعمق والنفاذ .

ويعزو « ادجار الان بو »الاختلاف الجوهرى بين القصة والرواية الى « وحدة الانطباع » التى ينبغى أن تتوافر في القصة القصيرة .

ويمكن ايجاز الفروق بين القصة والرواية فيما يلى :

١ ــ الطول في الرواية . والقصر في القصة القصيرة .

٢ ــ وحدة الانطباع في القصة ، وتعدده في الرواية .

٣ ــ وحدة الشخصية والزمان والمكان في القصة ، وتعددها في الرواية

٤ ــ يمكن أن يكون للرواية تسلسل زمنى ويمكن الا يكون كما في « الفلاش باك » . أما في القصة فلا بد من تجميع الحاضر والماضى والمستقبل

وهكذا يمكن ان يصح قول من قال « الرواية تصوير من المنبع الى المصب اما القصة القصيرة فتصوير دوامة واحدة على سطح النهر » (٥)

ولكن البعض يذهب الى ان الاختلاف بين القصة القصيرة والرواية يرجع الى « ان الموقف هو الموضوع الغالب على القصة القصيرة ، وان رسم الشخصية هو الموضوع الغالب على الروايه كما تقول « اديث هوارتون » . ولا يرجع الى الطول والقصر ، ولا الى الاسهاب والايجاز ، ولا الى العناية بالاسلوب الادبى وقلة العناية بذلك الاسلوب . ولا الى خطر الموضوع او تفاهته ــ فكل اولئك الصفات قد تتشابه فيها جميع هذه الانواع . (٦)

●●

(٤) فن القصص ــ لمحمود تيمور ــ ص ٥١ ــ ٥٥ .
(٥) انظر الادب وفنونه الدكتور عز الدين اسماعيل . والقصة القصيرة نظريا وتطبيقيا ــ ليوسف الشاروني .
(٦) الوان القصة القصيرة في الادب الامريكي ــ لعباس محمود العقاد .

فارس الشهباء

● د. أحمد الشرباصي ●

« فارس الشهباء » هو الشاعر الفارس الامير : ابو فراس الحارث بن ابي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث، التغلبي الربعي الحمداني، ابن عم سيف الدولة الحمداني امير حلب ، واخيه ناصر الدولة .

وابو فراس شاعر بطل مشهور ، يعد من ابرز افراد الاسرة الحمدانية المشهورة في التاريخ . وكان الصاحب بن عباد يقول : « بدىء الشعر بملك وختم بملك » يعني امرا القيس وابا فراس الحمداني ..

وقد اثنى الثعالبي على ابي فراس في كتابه « يتيمة الدهر » فقال عنه : « فرد دهره ، وشمس عصره ، ادبا وفضلا ، وكرما ونبلا ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة . وشعره مشهور ، سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك » .

وكان والد ابي فراس عما لسيف الدولة وناصر الدولة . وام ابي فراس ام ولد رومية الاصل ، وقد ولد ابو فراس بالعراق على الارجح . وقيل في بلدة منبج ، في حدود سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة . ومنبج بلد بين حلب والفرات ، وهو كما يقول ياقوت في معجم البلدان : بلد قديم ، وما اظنه الا روميا ، قيل انها من بناء كسرى ، وهي مدينة كبيرة واسعة ، ذات خيرات كثيرة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، ومن منبج الى حلب يومان ، ومنها الى ملطية اربعة ايام ، والى الفرات يوم واحد ، ومنبج هي بلد البحتري الشاعر المشهور . وقد قتل والد ابي فراس في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة للهجرة ، ولهذا نشأ ابو فراس يتيما . اذ مات ابوه وهو في الثالثة من عمره .

نشأ ابو فراس في بلاط سيف الدولة بحلب ، وكان سيف الدولة يأنس بحديث ابي فراس ، ويتوسم فيه الخلال الحميدة في الشجاعة والادب . ولما بلغ ابو فراس أشده انضم الى جيش سيف الدولة ، واشترك في رد هجمات الروم عن ارض بني حمدان ، وكان اذا عاد من الحرب جلس في مجلس سيف الدولة يذاكر الشعراء ، ويناقش الادباء ، واخذ سيف الدولة يزداد اعجابا بمحاسن ابي فراس ، ويخصه بالاكرام والاحترام ، وكان يستصحبه في غزواته ، ويقدمه على سائر قومه .

وكان ابو فراس يبادل سيف الدولة الحب والاحترام ، وله فى سيف الدولة أشعار فيها تنويه عظيم ، وتقدير رفيع، ومن امثلة ذلك انه كتب اليه يقول :

الا من مبلغ سروات قومى   اذا حدثن جمجمن الكلاما
بانى لم ادع فتيات قومى   وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهن ببذل نفسى   ونار الحرب تضطرم اضطراما
ولما لم اجد الا فرارا   اشد من المنية او حماما
حملت على ورود الموت نفسى   وقلت لصحبتى موتوا كراما
وهل عذر وسيف الدين ركنى   اذا لم اركب الخطط العظاما ؟
والفو فعلـه فى كل امر   واجعل فضله ابدا اماما
وقد اصبحت منتسبا اليه   وحسبى ان اكون له غلاما
اراني كيف يكتسب المعالى   واعطاني على الدهر الذماما
ورباني ففقت به البرايا   وانشاني فسدت به الأناما
فاحياه الاله لنا طويلا   وزاد الله نعمته دواما

وفى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ولى سيف الدولة ابا فراس ولاية منبج مع صغر سنه ، ثم أضاف اليها ناحية حران، فضبط الامن وقاوم الفساد .

وجاء فى دائرة المعارف ان ابا فراس كان يترفع عن أساليب الشعراء فى الاستجداء ، حتى انه كان يتنكر للقب « الشاعر » نفسه ، اذا ما قصد بمدائح الامراء ومطربهم فى مجالس انسهم فيقول :

وصناعتى ضرب السيوف واننى   متعرض فى الشعر للشعراء

وهو القائل فى ختام رائيته الطويلة فى الفخر :

نطقت بفضلى ، وامتدحت عشيرتى   فما انا مداح ، وما انا شاعر

وكان ابو فراس بارعا فى الشعر العاطفى الوجدانى ، ومن ذلك انه سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية ، فقال كأنه يخاطبها :

اقول وقد ناحت بقربى حمامة   ايا جارتى هل تشعرين بحالى ؟
معاذ الهوى ماذقت طارقة الهوى   ولا خطرت منك الهموم ببال
اتحمل محزون الفؤاد قوادم   على غصن نائى المسافة عالى
ايا جارتا ماانصف الدهر بيننا   تعالى اقاسمك الهموم تعالى
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة   تردد فى جسم يعذب بالى
ايضحك ماسور ، وتبكى طليقة   ويسكت محزون ، ويندب سالى
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة   ولكن دمعى فى الحوادث غالى

ومن شعره الرائع قوله فيما يروى ابن كثير فى البداية والنهاية من قصيده :

الى الله اشكو اننا بمنازل   تحكم فى آسادهن كلاب
فليتك تحلو والحياة مريرة   وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر   وبينى وبين العالمين خراب

وكان الشاعر العظيم ابو الطيب المتنبى يشهد لابى فراس ـ كما يقرر الثعالبى فى اليتيمه ـ بالتقدم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا ينبرى لمباراته ، ولا

بجتريء على مجاراته . وجرت بينهمـا مناقشات شعـــرية فى حضرة سيف الدولة ، إبان فيها ابو فـراس سرقات للمتنبى فى شعره ، وخاصة فى قصيدته المشهورة : واحر قلباه ممن قلبه شبم ...
وكان ابو فراس من اخلص مسـاعدى سيف الدولة فى معاركه ضد الروم، وكان من أشجع قواده . وقد اسر ابو فراس فى « مغارة الكحل » سنة ثمان واربعين وثلاثمائة للهجـرة ، وحمله الروم الى « خرشنة » وهى بلدة على الفرات قرب « ملطية » كان فيها للـروم حصـــن حصين ، يطل على النهر ، ويبدو ان هذه البلدة كانت تتداولهـــا أيدى الروم والعرب . ولذلك يقول ابو فراس :

ان زرت خرشنة اسيرا ... فلقـــد حللت بها مغيرا
ولقـد رايت النار تنـ ... ـتهب المنازل والقصورا
من كان مثلي لـم يبت ... الا امــيرا او اســيرا
ليست تحل ســرأتنا ... الا الصـدور او القبورا

وقد أسر ابو فراس مرتين ، وفداه سيف الدولة ، ومكث فى المرة الثانيـــة أربع سنوات وشهورا فى الاسر .

يقول التاريخ انه فى سنة احـــدى وخمسين وثلاثمائة للهجرة فوجيء ابو فراس بزحف الجيش الرومى عليــه فدافع عن نفسه دفاعا شديدا ، حتى ثقلت عليه الجراح ، فاستسلم مع سبعين من رجاله ، فاسروه وحمـــلوه الى بيزنطة ، وظل اثر هذا الجرح فى فخذه يعرج منه طول حياته ، وفى ذلك يقول ابو فراس :

اسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى ... ولا فرسى مهر ولا ربه غمـــر
ولكن اذا حم القضاء على امـرىء ... فليس له بر يقيه ولا بحـــر

وقد اشار الى جرح فخذه فى رسالة انفذها الى امه وهى من اولى قصائده الروميات المشهورة التى كان يكتبها من اسره ، وفيها يقول :

مصابى جليل والعزاء جميـــل ... وظنى ان الله ســوف يديل
جراح تحاماها الاساة مخافة ... وسقمان : باد منهمـا ودخيل
واسر اقاســيه وليل نجومه ... ارى كل شيء غيرهن يـزول

وقضى الشاعر فى أسره ــ كما قلنا ــ اربع سنوات .

وقد أخذ ابو فراس وهو اســير فى الاستنجاد بسيف الدولة ليفك أسره ، وفى بعض هذا الاستنجاد نرى أبا فراس يمن بجهاده من اجل سيف الدولة ، مع حفظه للاحترام لشخصـــه والتوقير لمكانته ، كقوله :

فمثلك من يدعى لكل عظيمـــة ... ومثـــلى من يفـدى لكل مسود
تشبث بهـــا اكرومة قبـل فوتهـا ... وكن فى خلاصى صادق العزم واقصد
فان تفتدونى تفتدوا شرف العـلا ... واســـرع عواد اليـكم معود
يدافع عن اعراضـــكم بلســانه ... ويضرب عنكـــم بالحسام المهند
متى تخلف الايام مثـلى لكم فتى ... طويل نجاد السيف رحب المقلـد

ولا وابى ما ساعدان كساعد ولا وابى ما سيدان كسيد
وانك للمولى الذى بك اقتدى وانك للنجم الذى بك اهتدى
وانت الذى عرفتنى طرق العلا وانت الذى اهديتنى كل مقصد
وانت الذى بلغتنى كل غاية مشيت اليها فوق اعناق حسدى
فيا ملبسى النعمى التى جل قدرها لقد اخلقت تلك الثياب فجدد

ولم يخل شعر ابى فراس وهو فى الاسر من تعريض بالاصدقاء والاصحاب الذين نسوه فى أسره ، فمن ذلك قوله :

تناسانى الاصحاب الا عصابة ستلحق بالاخرى غدا وتحول
وان الذى يبقى على العهد منهم وان كثرت دعواهم لقليل
اقلب طرفى لا ارى غير صاحب يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى ان المتارك محسن وان خليلا لا يضر وصول

ثم فدى سيف الدولة ابا فراس بأموال عظيمة ، سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للهجرة ، وكان ابو فراس يكتب شعرا من والدته يدل على حبه لها وشوقه اليها كقوله :

لولا العجوز بمنبج ما خفت اسباب المنيه
ولكان لى عما سألـ ت من الفدى نفس ابيه
لكن اردت مرادها ولو انجذبت الى الدنيه
امست بمنبج حرة بالحزن من بعدى حريه
فيها التقى والدين مجموعان فى نفس زكيه
لا زال يطرق منبجا فى كل غادية تحيه
يا امتا لا تحزنى وثقى بفضل الله فيه
يا امتا لا تيأسى لله الطاف خفيه
اوصيك بالصبر الجميـ ـل فانه خير الوصيه

وقد توفى أبو فراس الحمدانى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وعمره سبع وثلاثون سنة ، وكان قد شاب قبل بلوغ العشرين من عمره ولذلك قال :

وما وافت العشرين سنى فما عذر المشيب الى عذارى

وقد قيل ان ابا فراس قد قتل فى « تدمر » ، وهى مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة ايام ، وقال ابن خلكان ، انه مات قتيلا فى مكان يسمى « صدد » وذكر ابن كثير فى « البداية والنهاية » ان ابا فراس مات سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وعمره ثمان واربعون سنة .

ويروى ان ابا فراس قال عند موته ، وهو آخر شعر قاله :

أبنيتى لا تجزعى كل الانام الى ذهاب
نوحى على بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولى اذا ناديتنى فعييت عن رد الجواب
زين الشباب ابو فرا س لم يمتع بالشباب

عليه رحمة الله ورضوانه .

قصة :

زوجات وأزواج

● عاطف سعودي ●

● شيء ما كان يشدني دائما الى شعر صديقي الاستاذ صبحي كلما شدني هو للحديث في مسألة عدم التوافق الزوجي .. كنت اتأمل لون شعره الذي كان الشيب قد بدأ في غزوه ، وكنت ارى الاستعدادات التي كان الزمن يقوم بها لرسم خطوطه المعروفة حول فمه وعلى جبهته ..

لكن لما كان حديثه هذا مجردا من الاشارة الى انطباق ذلك على علاقته بزوجته يسرية هانم ، فقد غلب على ظني أن الامر لايعدو أن يكون مجرد « زيادة معلومات » ، خاصة وان عملنا بالمركز الذي تخصص في اجراء البحوث الاجتماعية كان يحتم علينا باستمرار مثل هذه الاستزادة ..

بيد أني لاحظت عليه في الآونة الاخيرة شروده أثناء عمله واستغراقه في التفكير وتقلب حاله بين القنوط والرضا ، والفرح والحزن ، حتى بات واضحا أنه يعاني صراعا داخليا يستعر فيه من قمة رأسه الى اخمص قدميه .

وفي يوم طالت فيه سرحته في ملكوت ما اعتاد أن يسرح فيه ، واذا بي أبادره قائلا :

« الا ترى ياصبحي بك أن نعود الى الحديث عن مسألة عدم التوافق الزوجي .. لكن بشرط » .

انتبه قائلا : « وماشرطك » ؟

قلت : نحذف كلمة « عدم » .. بمعنى أن نتكلم في موضوع التوافق الزوجي ، شروطه .. أبعاده ، تنميته ، وقايته ، وما الى ذلك .. فمارايك » ؟

وولجنا باب الحديث على الفور ، واعترف أني كنت خبيثا بالدرجة التي استبحت لنفسي أن اتلصص على أسراره المنزلية من وراء ستار هذا الحديث ، ولو أن لي بعض العذر في أني كنت أريد أن أعرف درجة وفاقه مع زوجته يسرية آنذاك ... وكانت طريقتي في ذلك أن أنتقل مع صبحي من آن الى آخر من باب النظرية العلمية الى مجال التطبيق العملي ، على بيتي الا مرة ... وعلى بيته عدة مرات .

وانتهى الحديث ، وخرجت مدام يسرية من امتحان التوافق الزوجي مع زوجها ناجحة ، بل ومتفوقة ... لقد كانت فعلا هذه السيدة من كرائم العقيلات ، كما هو محكي عليها من قديم ، أدب ، وكمال ، ورقة ، وذوق ... تلك كانت صفاتها المعنوية ... وملاحة وجه ، واتساق عود ، وصفاء بشرة ... وتلك كانت صفاتها الجسدية .

وحارت نفسي في تعليل هذه الحالة التي اصيب بها صديقي وزميل صبحي ... ما الذي جعله يتارجح بين السعادة الغامرة مرة والتعاسة العارمة مرة أخرى ... وما الذي يدعوه الى الحديث معي عن موضوع عدم التوافق الزوجي ؟

وذات يوم قررت أن ألقي بالقفاز في وجه صبحي وليكن مايكون ... فقلت له فجأة وبغير مقدمات :

اسمع ياصبحي .. اقول لك الحق ؟

قال : وهل تعودت منك غيره ؟

قلت : انت تحب امرأة أخرى غير مدام يسرية !

وتوقعت بعدها أن اسمع منه ما لا ارضى ، او انه سيستنكر رأيي في درجة أمانته الزوجية . لكن وعلى خلاف ماتوقعت ، اجابني في هدوء : نعم أنا احب ياصديقي وغارق لأذني في الحب !

قلت له : ومدام يسرية .. هل تغير مكانها من قلبك ؟

قال : أبدا .. المدام لم تتأثر أبدا بما أعاني منه !

قلت : مادام الامر كذلك فعليك اذا بالمقاومة . دعم أسوار قلبك يا أخي ضد هذا الهجوم العاطفي الدخيل !

وفاجأني قائلا : فات الاوان .. فنحن الان نفكر في الزواج !

لم اشأ أن اعارضه او استنكر كلامه ، عن قصد ... فقد كنت اعلم أن المعارضة أو الاستنكار في ذلك الوقت تأتي بنتيجة عكسية ، لان معنى ذلك اني احكم عليه بأنه مخطيء . والانسان بطبيعته نادرا مايقبل الاعتراف بالخطأ ... كل مافعلت ساعتها أن ذكرته بالاولاد ، فقال إنه سيضاعف مايعطيه لهم . ومدام يسرية يا أستاذ صبحي ؟ قال انها ان شاء الله لن ينقصها شيء ... قلت مرافقا : « على بركة الله » ..

ومضت أيام على هذا الحديث ، واطمأن صبحي الى أن مباركتي لمشروع زواجه الجديد مباركة من القلب ، فاطلعني على اسم فتاته الجديدة وكل المعلومات عنها ، الى أن وصل « البعير الى القشة التي قصمت ظهره » ... فثرت ، بل واحترقت حقيقة وهو يقول لي أن عمرها لايزيد على العشرين ربيعا ...

عرفت لحظتها ما الذي يشدني دائما الى شعره وخطوط وجهه ، كلما شدني الى الحديث عن مسألة عدم التوافق الزوجي ... عرفت أن لسانه كان يتحدث بما يجول بخاطره فعلا . هو يحب . والرجل حين يحب في مثل هذه السن وفي مثل تلك الظروف الاجتماعية التي تحيط به من زوجة واولاد ومسئوليات جسام . مثل هذا الشخص يشعر في قرارة نفسه أنه يرتكب اثما اذ يعتدي على كل هذه البراعم الطيبة بسبب نزوة طارئة . ولكي يتجنب قسوة هذا الشعور بالاثم فهو يبحث دائما عن مبرر مقنع ليستريح اليه . والمبرر العام والعبارة المطاطة التي تلائم هذه المناسبة هي حكاية « عدم التوافق الزوجي » .

عرفت فيه حكاية « الطفو النفسي » ، شعور عميق بالذنب كلما طفا الى السطح ، غطاه صبحي بالحديث

المستمر من التوافق الزوجي بينه وبين يسرية لتبرير موقفه ، ليس امام المجتمع ولا الناس ولا الاسرة المجنى عليها بقدر ماهو لتبرير موقفه وابراء ساحته امام نفسه ... ولذلك لم يكن عفو الخاطر من ناحيتي عندما تحدثت اليه في الموضوع العكسي موضوع التوافق الزوجي ووجدت أن مقاييسه متوافرة لديهما . وانه ليس بحاجة الى زواج جديد على الاطلاق ، لذلك قررت ان ابتعد عن القود عن محاولة رفع قيمة يسرية في عينيه ، وفضلت من جهة اخرى ان اهبط بقيمة سوسن — وهو اسم الفتاة الدخيلة — فذلك اجدى واوقع ...

وكانت خطتي تقوم على أساس التحليل النفسي لسوسن . فتاة صغيرة تؤثر رجلا جاوز الخمسين ، ومتزوجا وله أولاد ، تشجعه وتدلله منها .. لماذا ؟ صحيح أن من الفتيات في مثل هذه السن من ترى انها بشبابها وحيويتها وجمالها تستطيع أن تلهب كل القلوب خصوصا قلوب المتزوجين ، والولها مريحة خصوصا — المتزوجين — ليس لان فيهم عسلا وسكرا ، بل لانها تريد أن تحقق لنفسها لذة الانتصار على غيرها من بنات جنسها . تريد أن تحس بسلطان انوثتها التي لايقهر واقتدار شبابها ، لذلك فهي لاتقنع في ميدان التحدي برجل اعزل القلب . تريد ان تستولى على رجل بعيد المنال . رجل يكون مسلحا بحب امرأة أخرى ! ..

لكن هناك رغم ذلك أسبابا أخرى كثيرة قد تدفع الشباب أن يرمي نفسه طائعا مختارا في أحضان المشيب . ذلك ماكنت أهدف الى الوصول اليه ...

وراقبتها دون أن تدري في دخولها وخروجها وغدوها ورواحها حتى عرفت مكان عملها . وفي يوم ذهبت الى مكان العمل مدعيا المرض . دخلت المستشفى التي تعمل بها وقطعت تذكرة علاج كاي مريض عادي ، وجلست بين المرضى في صالة عيادة الامراض الباطنية . وطال انتظارنا حتى جاء الطبيب وحضرت ممرضة اخرى لمعاونته لتشغل فيها الطبيب وامرها ان تحضر له زميلتها سوسن لهي — اي ولا المشغول — فيها — لاتعرف الالف من كوز الذرة في شئون التمريض !

وبعد قليل حضرت التي تعرف ، حضرت تتهادى طوال الطرقة الطويلة وصوت حذائها يحدث ايقاعا رتيبا ، وعطرها يسبقها الى انوف الغلابة من عباد الله المرضى المتألمين . دخلت سوسن غرفة الكشف مع الطبيب وطال انتظارنا . وضجر المنتظرون مأعداي ، لان مهمتي كانت تحتاج الى الصبر .

بدأ النداء على الاسماء وتوالى دخول وخروج المرضى حتى جاء دوري . فانصرفت الى دورة المياه كي اعطى الفرصة لكل المرضى لينتهوا مما جاءوا من أجله . واطلت الحسناء مرة أخيرة من الباب ونادت اسمي فوجدتني قبالتها :

« أين كنت ياسيد ... ناديتك ولم تجب ... الا تعرف النظام »

وتحملت شخطتها قائلا : « معلهش يابنتي »

ودخلت وكشفت ، وسألني الطبيب عما بي فاسطعت ثقلا في سمعي حتى اضجرت الطبيب ولاحظت خلال الكشف ما لا تخطئه عين مثلي . عينا الطبيب الحالة دائما ، لنظراته الثاقبة — ليس في جسدي بطبيعة الحال ولا الى عيني — ارتفاع الكلفة بين التابع والمتبوع . والضحكات الواعدة والتعليقات الهامسة . ولا أطيل ... خرجا ... وكان الهدوء قد خيم على ارجاء صالة الانتظار فتتبعتهما كانا يسيران جنبا الى جنب ، كتفا بكتف . وصلا الى نهاية الطرقة الطويلة ، وكان عليها أن تتجه يسارا وهو الى يمين :

« سوسن .. لاتنسي الليلة في المسرح انا حاجز تذاكرين .. تدفعين ثمنهما لو تأخرت ! »

ضحكت وقالت : « لا ، لا ... وانا مفلسة ! »

وبسرعة البرق كنت أقف الى شباك حجز التذاكر بالمسرح المحدد للقائهما . التمثيلية هزلية لاشك ... المسرحية ساخرة مثيرة للالم ولو أنها تبدو ضاحكة . فملاحظا قمة النجاح المسرحي . لابد من مشاهدة الرواية حتى آخرها . البطل والبطلة ورجل مخدوع وزوجة بريئة يعدونها للذبح ، اطفال الزوجة يتعلقون بها . انهم لايعرفون لحداثتهم مايريد القدر ان يفعل بوالدتهم ... ثم يأتي فارس من بعيد ، لما الى علمه خبر المؤامرة ، أخذته دناءة المؤامرة فهل تراه ينجح في احباطها ... جمهور الصالة يدعو للفارس من كل قلبه . ينتظر في لهف وقع خطواته . يحس باحساسه ويتجاوب معه ...

— « كم تذكرة ياسيد .. ناديت عليك ولم تجب .. ألا تعرف أن خلفك صفا طويلا ؟! »

انتبهت قائلا : — « آه .. آه اربع تذاكر من فضلك »

ثم خطفت سماعة التليفون وانتظرت الحرارة وجاءت على الخط :

— مدام يسرية .. انا عازمك الليلة والاستاذ صبحي على مسرحية « المتزوجون » ..

— لكن ..

— مافيش ولا حاجة . انا حاجز أربع تذاكر .. تدفعين ثمنهم لو تأخرت انت وصبحي !

ضحكت يسرية وقالت : « لا ، لا ... وانا مفلسة » !!

واكتمل عقدنا في الموعد المضروب أمام باب المسرح ... يسرية وزوجها وزوجتي وانا . ودخلنا ... وصافحت وجوه الحاضرين بالدور صفا صفا ، وكنا ركنا ... خرجت الى الكافتيريا أيضا . لم يحضرا بعد الى مكاني . تملكني اليأس . لم اشاهد الفصل الاول بطوله . بكيت لقردي الضائعة . اضيئت الانوار فخرجت أنا وصبحي لنحضر للسيدتي شيئا تتسليان به من الخارج . وهناك تفرحني وجدتهما الطبيب وسوسن . كانا يجلسان في مكان منعزل بآخر الصالة يتهامسان ويتضاحكان . جذبت صبحي من يده وقلت له في براءة :

— تعال معي .

— الى أين ؟

— أعرفك بدكتور شاطر جدا !

وانحنيت على الطبيب شاكرا . صافحته بحرارة واخذت ادعو له ، واشكره على عنايته بي هذا الصباح ... وكلما قال لي لا شكر على واجب ، زدته شكرا ! ... وكلما حاول اقناعي انه انما كان يقوم بعمله المكلف به زدته تلطيفا ، واعطته اعجابا ، حتى اضجرته . أما صبحي ... فتركته في ذهوله وهو ينظر الى رفيقة الطبيب الجالسة الى جواره . وكان الامر لايعنيني في قليل أو كثير !

وانتهت المسرحية ، وفي طريقنا للخروج نظرت الى مدام يسرية قائلا :

يارب تكون المسرحية عجبتك !

— في الحقيقة مسرحية هايلة !

ثم نظرت الى صديقي صبحي في براءة تامة وقلت له :

وانت يا صبحي . ما رأيك ؟

مط صبحي شفتيه وقال :

« في الحقيقة ... لم يعجبني منها الا الفصل الاول » !!

إنسـانيــة..

الأدب النسـائى

● شفيق محمود عبد اللطيف ●

عندما بدأت كلمة أدب تتخذ مسارها التخصصى على اسنة الأقلام ، كانت المرأة فى قلق وحيرة .. ذلك لأنها تشعر بأنها مخلوق ناقص التكوين ، لأن الرجل سبقها الى الشعر والنثر ، وصار مثلا رائدا للحياة العقلية والفكرية .. فالرجل هو القائد والجندى والفيلسوف والشاعر والمفكر وصانع الحضارة منذ فجر التاريخ الذى يفخر بأن العباقرة كلهم من الرجال ! ..

وأمام هذا كله لم تظل حيرة المرأة ، فقد اتجهت تدعو بنات جنسها للخروج من هذه القوقعة المظلمة الضيقة — الى عالم الرجال .

فالرجل ، كما يقولون ، هو الذى صنع تاريخ الحضارة الانسانية والمرأة جنس مساعد ، لأنها لن تستطيع الحياة الا فى ظل الرجل .. رغم أن كلمة « انسان » تشمل الرجل والمرأة أيضا ..

.. وهذه العقدة قد حفزت المرأة لكى تخلق لها وجودا وكيانا فى عالم الأدب مثل كيان الرجل ، الذى بدأ به الرجل وسبق منذ فجر التاريخ الانسانى ..

فالمرأة مخلوق غيور ، يدفعها احساسها بالقيمة الذاتية الى تأكيد وجودها فى هذا الميدان ..

وقد برزت عندها هذه النزعة وتأكدت فى أواخر القرن الماضى ، وحتى يومنا هذا وحيث برزت فى الآفاق الأدبية وجوه وأقلام سوية تحمل قسمات فكرية مرتكزة على النهج القصصى .

وهناك « وردة اليازجى » التى نهجت نهج الرجال فى تناول القضايا الأدبية

و « عائشة التيمورية » التى بحثت قضايا العصر من خلال رؤيتها الاجتماعية ..

كذلك « مى زيادة » التى جعلت من صالونها الأدبى محورا فكريا جديدا للمرأة ، ولعبتا مساجلات أدبية مع جبران خليل جبران .

وفى يومنا هذا نجد كثيرات على قمة الأدب النسائى أمثال الدكتورة سهير القلماوى ، وبنت الشاطىء ، وأمينة السعيد وعاتكة الخزرجى وغيرهن ممن أثرين المكتبة العربية .. الى جانب شاعرات مجيدات وكاتبات للقصة منهن لطيفة الزيات ، ونوال السعداوى ، وجاذبية صدقى ، وأمينة الصاوى، وحسن شاه ، وسنيه قراعه، وغيرهن .. هذا الموجه الشابة التى تتلمس طريقها فى ميادين أدب القصة والشعر ..

وهذه النزعة النسائية فى الادب لا يمكن اغفالها ، لانها تعبر عن الحياة الاجتماعية المعاصرة ، وكلها ـ بلاشك فى طياتها ضرورة انتشال المراة من اسر الرجل وجبروته ... لذلك كانت القصة النسائية هى وسيلة للتعبير عن عن كوامن المراة النفسية والاجتماعية وهى كوامن من ينابيعها الصدق والاحساس بالواقع ..

فالمراة حين تكتب انما تكتب من واقعية الحياة حولها وماتعانيه من قضايا ملحة ..وهى وان كانت ، بوجه عام، مقلة فى الكتابة الا انها تسير فى خطين متوازيين: الأول : الرغبة فى أن تكون كيانا مستقلا له شخصيته الأدبية المميزة .. والثانى ان تعبر عن قضيتها المصيرية فى الحياة

والملاحظ ان ادب المراة بوجه عام ادب انفعالى لا يركز على قضايا عامة او اساسية حول قاعدة الحياة العريضة خاصة فى مجال القصة التى بدت سمة غالبة فى الأدب النسائى ان صح هذا التعبير .. لأن المراة تكتب عادة عما يشغل بنات جنسها فقط ... وفى معظم القصص التى صدرت لاقلام نسائية تلحظ هذه السمة التى تعيش قلقة فى زاوية من العزلة وكان كل ما يهم المراة من قضايا العصر يتركز فى قضيتها الاساسية التى تقلقها • وكان العالم حولها محدد بتلك الرؤية القريبة

ولسنا بحاجة هنا الى تقديم نماذج من القصة النسائية التى تعبر عن ذاتية المراة لكن رجوعنا الى ماتناثر فى المكتبات ، يبرز ان الرؤية النسائية تغلف ابعاد القصة وتكاد لا تخلو من هجوم على انسانية الرجل ، فى حين ان هناك كتابا كثيرين انصفوا المراة ودافعوا عنها ككيان مستقل وباعتبارها نصف المجتمع وركيزة الاسرة ودعامتها ..

ان الادب النسائى فى معظمه لا يكاد يتخطى حدود النزعة الذاتية للمراة وهذا ما يصيب أدب المراة بالقصور فى تناول قضايا العصر ويبعدها عن عن عموميتها وعالميتها ..

ولست ارى ما يدعو الى تسمية كتابات المراة « بالأدب النسائى » • لان الادب كل لا ينفصل ، ولانه ينبع عن العقل الواعى غير المحدد بجنس .. فالقول بما يسمى بالادب النسائى قول لايرقى الى العقل الواعى لان الادب لا يعرف الزمان ولا المكان ولا الجنس .. انه يتطور مع الحياة ليعبر عنها فى صدق .. ولعل السبب هنا يعود الى ان انعزالية المراة فى الماضى هو الذى اجبرها على القصور وعدم الولوج فى انماط الحياة الاجتماعية ..

ومن الشواهد على ذلك ما صدر مؤخرا وما يصدر من قصص تبرز ضياع المراة فى متاهات الحياة باقلام نسائية غير واعية تفتعل القسوة والمرارة وسقوط الى الدرجات السفلى من الحياة..

والحقيقة التى لامراء فيها ان ادب المراة فى تناول القضايا الانسانية ، قد يكون فى معظمه ادبا لا يرقى الى مستوى ادب الرجل المتميز بالاصالة والقدرة واستيعاب انماط الحياة بوعى وادراك .. لكنا نقول انها بدايات طيبة ان تدخل المراة ميدان الادب وخاصة القصة التى لها مكانتها بين الوان الادب ..

واخيرا ، فان الرجل والمراة يكملان حلقة من حلقات الفكر الانسانى المتطور مع الحياة ..لان المراة نصف المجتمع

الحب عطاء

ومدينة

ملمح عن "العام الأول للميلاد"

● محمد قطب ●

● حين يعزف الأديب للانسان والحياة معزوفة الدوام والاستمرار والعطاء، يكون قد حفر الدروب طريقا معبدا للانسان، واضاء بوهجه الفني شمعة تلقى بضوئها، وان كان خافتا – شعاع امل يفرش على الوجه بسمة كثيرا ما غابت، ودفقة حب نادرا ما تواجدت وسط جهامة الحياة وقسوتها. ويظل الحب هو العطاء الاول الذى يعطيه الفنان ويسعى اليه .. الحب بمعناه الشمولى الذى يتمازج فيه الجزء بالكل، الانسان بالجماعة، الانثى بالارض. هذا التمازج هو الذى يوقفنا على طريق الانتماء الصحيح. والفن يكون عظيما اذا استطاع ان يجدل من الحب والارض جديلة واحدة ذابت خيوطها وغمست فى محلول الابداع حتى تستحيل خلقا جديدا وتكوينا متجددا.

والفنان فتحى سلامة استطاع فى رواية « العام الأول للميلاد » ان يضع هذه الجديلة وان يتقن الحوار والتحاور بين الحب والأرض. وان يطهر مشاعرنا من كثير من الانفعالات المحبطة حين استوى بطله فى الرواية شخصا سويا بعد معاناة شديدة للوصول الى الولادة الجديدة بوضع الخطوة الأولى على طريق الانتماء والحب .. فبالحب الحقيقى استطاع البطل ان يسيطر على ذاته وان يكتشفهما فيها من جمال وارادة وتوق الى الافضل، طمسته – فى مسيرته – قسوة النشأة، وذات مستسلمة لشخصيات أسرة نجح أخيرا ان يفلت منها .. وبالمدينة – مدينة السويس وهى تواجه الحرب والدمار – ، المدينة التى ابى ان يتركها ويهجرها واصر أن يعيش فيها، ويواجه الصراع والتجربة، المدينة التى سرقها، ثم مسك مدفعه ليحارب عنها، ليكتب شهادة البطولة ويحصل على لقب البطل، ويضحى فى عيون الرجال رجلا، بعد أن كان جبانا، بهذه المدينة – رمز الأرض والوطن – يحصل البطل على انتمائه ووجوده. و « محمد فؤاد » وهو يعبر عن الخلاص والميلاد الجديد فى نهاية الرواية يتبهر بما فعله، فلقد استطاع ان يوقف «رتل» الدبابات. وفى التعبير نرى أن الخلاص ليس على مستوى الفرد فقط وانما على مستوى الجماعة. فالكل يحتوى الجزء ولا يستقيم بدونه كما ان الجزء دعامة



الكل واساسه . هو التحاور والتمازج .. يقول فى حديث النفس « يجتاحنى فرح غامر ، بيان شخصى رقم واحد .. اليوم ولدت لا .. بيان عام رقم واحد : اليوم ولدنا .. لا .. بيان مصرى رقم واحد : اليوم صحونا » .

وكما ولد بطلا فى عيون الرجال ، ولد من جديد فى عين « كاتى » حبيبته التى فرت منه ، حين ادماها جبنه وخوفه واستسلامه وضياعه ... هربت منه لتكون فى النهاية . اليد الحانية التى تخفف عنه الم الاصابة وتداوى جرحه ، وتنفض عنه ركامات الماضى وثقله . ويتحرر «محمد فؤاد» من الاطار الذى ظل يتحرك داخله ، يتحرر حين يعى ذاته ويلتقط الخيط الاول فيستدعى « كاتى » فى الذاكرة يطلبها لترى ميلاده ، وليصنعا سويا أمل الأيام القادمة .. وليعرى نفسه ايضا ويفضحها من منطق التعرف على خبايا الذات واقتناص ما فيها من جماليات فى المعنى والشعور « كاتى .. انا موجود .. انا احمل سلاحا غير مسروق .. احمل قهرا اطلقه على اعدائى كى اتحرر .. ولهذا صرت قادرا على الفعل، قادرا على الحركة.»

ومن ثم يحق له ككل الناس الاسوياء أن يحلم وهو حلم طبيعى للتحرر النفسى ـ بان يجلس ساعة الظهيرة فى بيته يتحسس ثوب ابنه القادم من ظلام الرحم .

والشوط الذى قطعه ليصل الى هذه النهاية الحالمة والواعدة كان شوطا محاطا بالمعاناة والفشل ومرارة التجريب .. وكان اساسه وبدايته افتقاد الاتزان والاحساس بالضياع والاغتراب وفقدان الهوية .. ولقد عبر الكاتب عن هذا التوزع والشتات تعبيرا جيدا استطاع ان يلم باطرافه ويأتى بابعاده حتى تكتمل ملامح الشخصية الرئيسية ، ولقد كان الاسى مالى الامر ان يطلب منه شهادة رسمية باسمه حين التحق بعمله انه شخص غير معترف به« يطلقون على فى الشارع اسم عيد ، وينادوننى فى المدرسة باسم الغول . ويصر عيسوى على ان يسمينى عبد الستار . اما امى فيعجبها ان تنادينى بسامى وابى يلقبنى بالأستاذ ، ومدرس الحساب يدعونى بالغبى .. الخ ... » . وهذا التعبير الذى لجا اليه الكاتب تعبير مقصود يرمى من ورائه الى رسم

صورة مهتزة للبطل فى عيون الآخرين هذا الاهتزاز انسحب عليه فى الداخل، وشكل طبيعته وسلوكه ، وادى فى النهاية الى أن تكون الشخصية غير مكتفية بذاتها وانما هى فى حاجة دائما الى الغير ليس من منطق السواء فى العلاقة ولكن من منطق العجز . « ووسط هذا الشتات كان خيط الامل يتراءى واهنا باهتا وسط الجو الكابوسى المحيط • فجو الاسرة الذى يعيش فيه يفتقد الصدق ، والثقة ، والحب والبسمة التى تضىء وتعين على مشوار الحياة .. يعيش بين اب يخاف من الحرب ويثرى منها يرتعب من وسوسة الشيطان والحديث فى السياسة ، يعشق النساء ويغش فى البيع والشراء .. وبين ام تمقت الزوج وتخاف منه وكأنه عفريت سيقتلها » حتى استحال دعاؤها صباحا نحيبا يبعث على الحزن والياس « دعوات أمى فى الصباح تأتى كنحيب ابدى لامرأة فرعونية تقش على جدران المعبد » .. فالتعبير فى هذه العبارة يسحب من الام كل معنى جميل عجزت أن تعطيه لابنها وسط جو الحب المفتقد . وربما كان امعانا فى الاستفزاز والتلذذ بعذابات البطل ، أن يصدر الكاتب فى تعبيرية شفافة حذرة حالة التكوين الجنينى له ، وكانما للخوف «جينات» للوراثة .

«تدفعنى الرغبة فى الانطلاق الرنوبات الحب الهائلة .. الى أن أدور فى عالمى الواسع .. أطوف بتلك الشجيرات المرتفعة والتى يأتى منها الماء معطرا. .. كان عالمى وحده هو الأرحب والاوسع .. والعوالم الاخرى ـ ان وجدت ـ فستكون ضيقة ومظلمة .. والخروج من عالمى يعنى الموت .. ولهذا كنت اخاف الخروج من عالمى. .. كنت اخاف الموت » لكنه خرج وحمل خوفه معه . وارتبط بعيسوى وكانى ... وكان أحد اضلاع المثلث كان الضلع الباهت المطموس وكانت هى امله وحبه ، وحين فقد عيسوى الشخصية التى لا تزال ترف على ذاكرته ، كان اكثر التصاقا بكانى عله يعوض فيها موت صديقه ، ويستولد منها انتماء جديدا ينمى الحب ويزيل الخوف .

ـ وما الذى يحلو لنا ؟

ـ ان نفعل ، ان نتحرك ، انتزاول

ـ لكنى اخاف

ـ الخوف فى الخطوة الاولى فقط..

والبطل حين فضل أن يبقى فى جو الحرب بالمدينة ، كان تفضيله ادانة للجو المأساوى الذى نشأ فيه وكان املا ايضا فى أن الحرب التى تعطى لديدان الارض الحق فى الحياة والسعى قد تعطيه هو الخلاص . ففى جو الخراب ، تلتقطه شخصية كابوسية لا تثبت الا فى ادغال الحرب .. وهى شخصية الاعرج ، الذى استدرجه شيئا فشيئا حتى احتواه فى قبضته وسيره حسب هواه واغراضه ، فسرق ونهب ، وكان السقوط انقاذا لكانى حتى لا تقع فى قبضة اللص . ويكاد السقوط يطمس وجه الحب ، ويبدو العطاء شحيحا ويتبدى الحب وجها مدمما .. فكيف يستقيم الحب مع النهب واللصوصية ؟

ـ الرجل الاعرج يريدنى

ـ لا ، لا تقولى هذا .. لايجرؤ ان يقول هذا ..

وتدمدم الرغبة فى داخله ، تطالبه بأن يحمى حبه من غول الرغبة المجنونة ، من الأعرج، المسخ الانسانى « أيها الحيوان الشرير سوف اقتلك واقتل نفسى ايضا سوف اقتل الخوف فى قلبى . . » . ومن ثم يأتى التعبير متلائما مع الرغبة فى الخلاص ودعوة الى الانسلاخ واستشراف الامل الذى بدا يرف من بعيد . » فلابد لبلدة

الحب هذه أن تجد تربة صالحة للنمو .. فقد آن الأوان « لمحمد فؤاد » أن يعي ذاته ويعي ما يدور حوله وأن يتخلص من أجل حبه . ويتحول التعبير من هذه الحالة الى مقطع صوفي شاعري النسق ، تعبير خارجي لكنه يتغلغل في الموقف ، « يا غريب . يا ساكن السويس .. يا مالك كل الأسرار تعرف أن الحبة لا تنبت كل الأزهار . وأن النبت الأخضر لا ينمو، لا يثمر في الليل .. لكنه يحتاج الى نهار .. والليل الاحمر طال ، ياغريب .. » . ويثور على نفسه ، يخلع من داخله الاب والأم وعيسوى وكاني والرجل الاعرج والشيخ الرابض داخل نفسه . وهاهي المدينة تزغرد له ويدفن وجهه المعروق المخذول في حضنها وهي تهمس في اذنه اليوم صحوت يا ولدى ويتولد احساس بالحب جديد ، حب مطلق يوحى بالسعادة في لحظة الفناء « سمعت صوت جنازير الدبابات، ضحك الشيخ وقال — جاء دورك لا تدعهم يمرون». وتضحك الدنيا له وباقة الورد تزين مضجعه في المستشفى ،فقد فقد ساقه اليمنى ، وتهدهده كاني في صوت رقيق شجى «طاهرا مدت الي . بطلا رجعت» ويعود الحب مرة ثانية الى المدينة بعد طول غياب .

— كاني احبك

— احبك

— ولكن الحب ...

— عطاء .

— الحب عطاء ومدينة .

وهكذا تكتمل الدائرة ويمتزج الحبان ، حب الأنثى وحب الارض ، وتتحرر الذات حين تكون الحرب هي الخلاص بالحب .

وانا لنلحظ من خلال الرواية قدرا هائلا من الانفعالات ومن المواقف ومن الرصد الدقيق يخرج من عدسة الكاتب .. انها قطعة من ذاته ، والذاتية صفة تستقطب الرواية حين تسجل ما يجرى في العقل عبر تيار الشعور واللاوعي . وهو يؤكد على حقيقة هامة تتمثل في تأكيد الحرية عبر التعبير . فلم يعد الاديب يكتب للذات الكاتبة وانما ليتحرر بشخصيته هو ، يزيح من نفسه الخوف والمعاناة والغربة ، ويتقدم عبر فنه ليساعد القراء على التحرر — هم الآخرون — من هذه الانفعالات . ومن ثم يحدث التواصل الفنى بين المبدع والمتلقى . والكاتب بفنية واضحة « يدرك أن الفن هو أسمى فعل من أفعال الحرية يمكن أن يأتيه الانسان » .

والرواية — وهذا ملمح واحد منها — تميزت بقدرتها على تصوير الشخصية المحورية في دقة وواقعية رغم اندراجها تحت ما يسمى بادب تيار الوعي . اذ كان الموضوع الروائى هو الوجود النفسي للشخصية او « الانسان من الداخل » . والرواية مصممة بمعمار فنى مدروس ومقصود ، وهذا القصد يعطيها قدرا من الحساسية والتنوع حيث تقوم على ركائز تجريبية في البناء، والاسلوب ،والزمن ، والفعل ، والمكان، واستتبع ذلك كثيرا من الاسترجاعات وحديث النفس والذاكرة ، وفيضان الوعي والتداخل الآني في الزمن والوعي والحوار . ومن ثم فالرواية في حاجة، لحظة القراءة ، الى اخلاص العقل وتركيز الفكر . فنحن امام عمل ادبي متميز ، احتشدت له كثير من المقومات الفنية التي علت به واكدت قيمته الفنية والجمالية والفكرية. واوضحت في مرارة مدى ما يصيب المرء منا من حزن وهو يرى مثل هذا العمل الجيد يقابل بالصمت مع ان كاتبة فتحى سلامة — أحد اصوات الرواية المجيدين .

قصـــة

أمنيتي الأخيرة

● نجيبة العسال ●

امتدت اصابعي توقع عـلى عقد الشركة ووقع حامدبعدى، وامتدت ايدى الشهود وهم المحامى ، ووكيله وشـقيق حامد واخى الاكبر محمود .. ثم امتـدت الايدى بالتهنئة لنا ، وتعانقنا اناوحامد ثم قال حامد بصوته الجهـوري الصاخب ويده تربت على كتفى :

ـ انتهى الامر ، والاصحاب اصبحوا شركاء ... من الآن لن اتركـك ، ولن تتركني . لقد اصبحت مصالحنـا واحدة هذا بالاضافة الى الصـداقة الاصيلة ، والرابطة القديمة !

وقلت بكلمات احسستها تخرج من اعماق قلبى ..

ـ صداقة ، ورابطـة ، وشركة الى الابد ان شاء الله !.

والتقت عينى بعينى اخى محمـود عفوا فى لمحة خاطفة ، واكدت لى نظرته التى حاول ان يخفيها سريعا ، انه لن يحيد عن رأيه فى حامد حتى ولو كتب لهذه الشركة ، ان تظل نعـلا الى الابد .. لم اهتم كثيرا لنظرة محمود كمالم اهتم لرأيه فى حامد من قبل فقد كان محمود لا يرتاح لصداقتى بحامدوكنت امزو هذا الى أن الاخ الاكبر دائما يحب السيطرة على الاخ الاصـغر حتى فى تصرفاته الشخصية وفى صـداقاته ، ولكنى اناشخصيا ومنذ بدات صداقتى لحامد وانا اكن له فى نفسي قدرا كبيرا من الاعجاب ، فهو سريع التصرف،لبقا مع الناس ، حاضر النكتة والبسمة ، لا ينعى هما لامور كثيرةربما لو صادفت بعض الناس لاخذت من اعصـابهم وتفكيرهم اياما وليالى . اما انافعكسه تماما .. لا استطيع التبسـط فى الحديث مع الناس بسهولة ، ولا يمكننى عقد صداقة الا بعد أن احس فعـلا باشياء تربطنى بالآخرين ، فالصـداقة فى اعتبارى تعنى الكثير .

ان الصداقة احسها دائما كالخيط المشدود عبر الفضاء لا تراه ، ولكنك تحس به قويا متينا ، يشدك الى من ترتاح الى صداقته .

كنت احس انى وحامد تربطناصداقة من هذا النوع فضلاعن طباعه الحقيقية التى كانت تشدنى اليه أكثر، انه يقابل مشاكله ببساطة ومرح ، وسرعان ما اجدها وقد حلت وانزاح ثقلها عن اكتافه .. اما انا فقد كانت اى مشـكلة تصادفنى او اى عقبـة ارتطم بها فى الحياة تؤرقنى كثيرا واظل داخـل ضبابها الى ان اجد لها حلا مرضـيا او كليا .

...ولم يكن حامد ليتركني ابدا تحت سيطرة طبيعتى بل كان دائما يمد يده الى ليخرج بى الى الفضاء الى رحابة الحياة وسعة صدرها ـ ولكـن اخى محمود كان دائما غير راض عن صحبتى لحامد فهو فى نظره انسان ذو حدين يخفى تحت هذه الصورة الصـاخبة خبثا دفينا فى نفسه . يخفيه بمهارة وذكاء حاد لانه على حد تعبير محمود شخص منتفع فى كل الحالات . ومـا صحبته لى الا ليستفيد على حسـابى ان لم تكن استفادة واضحة ملموسة فهى دائما على هيئة المصروفات النثرية لكلينا والتى اقوم بها وحدى كعرفان بجميل حامد لانه لا يتركنى ابدا لانطوائى وصمتى ، ويعمل كل ما فى وسعه حتى

يجدنى سعيدا اشعر باقبال الحياة على وافتح لها صدرى .

لذلك كنت احس دائما بمدى حب حامد لى واشكر له داخل نفسى كل مجهوداته فى سبيل خروجى من ازماتى النفسية التى كنت اعرف حقيقتها ، ومع ذلك لا استطيع مقاومتها ، والسبب كان واضحا لى كل الوضوح ، فرغم وصولى الى سن السابعة والعشرين الا اننى لم اكن قد ارتبطت عاطفيا او بمعنى اصح لم استقر عاطفيا بعد . ان الحب ايضا له فى نفسى وفى يقينى بعض الشروط لم تقابلنى فرغم تعدد قصص الحب التى صادفتنى لكنى لم اجد الروح التى احبها تسبح معى ولم اجد العقل الذى يلتقط افكارى وهى تدور فى راسى ..

ربما اكون انسانا حالما ، وربما اكون رجلا مثاليا او هكذا ابدو لنفسى ، ولكنها الحقيقة حقيقة نفسى التى كانت تخرجنى من كل قصة حب تصادفنى .. وكثيرون كانوا لا يفهمون حقيقة مشاعرى ، ومبعث ازماتى ، وحامد وحده هو الذى يجاهد دائما وبفهم كبير حتى يخرجنى من ازماتى ، ولهذا كانت صداقتى به تزداد على مر الايام

ــ اخيرا كان عرض تلك الشركة بينى وبين حامد بعد ان توفى والدى وترك لى مبلغا من المال لا باس به . لم يوافق اخى محمود على العرض اولا ، لم اوافق عليه مرغما لرغبتى لا اكثر ، وكان العرض فى ان تقوم بيننا شركة الملابس الجاهزة امولها انا بمالى واشرف على اعمالها فى المصنع الذى يعمل فيه متخصصون فى الملابس الجاهزة . ويعمل حامد فى الخارج يشترى للمصنع كل ما يلزمه من الاقمشة ثم يسوق الانتاج من الملابس ، وكل المكاسب تقسم بيننا مناصفة .

ــ سارت الامور بيننا من حسن الى احسن ، وبدا اسمنا يعرف فى السوق ، وازدهر انتاجنا وكنت سعيدا جدا بنشاط حامد ونسيت قصص الحب التى لم تكتمل فى حياتى وبدات اشعر بالحياة من حولى نشطة مرحة سعيدة وبطبيعتى الهادئة رحت اشرف على سير العمل بجدية وفهم ، ولكن كانت هناك بعض الملاحظات على مظهر حامد جعلتنى اشعر بوخز داخل نفسى بدا يقلق راحتى . ان دخل حامد من مكاسبه التى تعادل مكاسبى تماما لا يتيح له اطلاقا ان يبدو على هذه الدرجة من البحبوحة فى العيش التى اصبح عليها . اذن لابد ان فى الامر سر .

وبدات استرجع كل كلمات اخى محمود عندما كان يعارض تلك الشركة بينى وبين حامد وذلك الخبث الذى اشار اليه محمود وقال ان حامدا يخفيه بذكاء حاد . وفى احدى الليالى لم تر عينى النوم .. ان كان حامد يخفى خبثه بذكاء فانا ايضا رغم طيبتى لست غبيا وان كنت دائما افضل الطريق السليم . ولكن لن تنقصنى الصراحة . والشجاعة حتى اواجهه ان كان فى تصرفاته ما يشين اذن لابد ان اتاكد قبل ان اواجهه . وفى الصباح كان اول ما فعلته ان اخرجت كل فواتير الاقمشة التى دخلت المصنع على يد حامد وكل الفواتير التى تحولت الينا من ثمن الملابس الجاهزة ودخلت الى المصنع على يد حامد .. واكتشفت تلك البورة فى نفس حامد وصدقت كل كلمات اخى الاكبر محمود .. كانت هناك فى الفواتير ارقام قليلة مضافة الى ثمن الشراء . وارقام اخرى محذوفة من سعر البيع اخفاها حامد بمهارة فائقة ، واكتشفتها انا بذكاء صادق . وواجهت حامدا فى سرعة وشجاعة . واسف شديد ، وحاول الانكار ولكن كانت الحقيقة اقوى منه

وصفينا الشركة التى لم تستمر الى الابد لانها قامت اساسا على جانبين مختلفين جانب صادق مخلص لاينقصه الذكاء والاخر يخفى خبثه بذكاء حاد تحت صور من المرح الصاخب .

ولدهشتى البالغة بعد ذلك اننى لم اجد نفسى داخل ازمة نفسية كما كنت اتصور ، ولم احتج الى اى انسان يخرجنى من ازماتى بعد هذا ....

أفضل أعمال تنيسى وليامز فى التناول الفنى على الشاشة

● مارى غضبان ●

●● قدمت مجلة « تايم » الامريكية دراسة خاصة من اعمال الاديب الامريكى الكبير تينسي وليامز ، وكيف تحولت الى رؤية فنية على شاشة السينما وعبر الشاشة التليفزيونية الصغيرة .

تناولت الدراسة اشهر اعمال تينسى وليامز ، وابرزت ان انجحها فى التناول الفنى كان « عربة اللذة » ثم « قطة على سطح من الصفيح الساخن » بينما كان افضلها فى التناول السينمائى روايته « فجاة .. فى الصيف الماضى »

●● وفيلم « فجاة .. فى الصيف الماضى » لعبت بطولته اليزابيث تايلور اشهر نجمات الخمسينات والستينات مع كاثرين هيبورن أشهر نجمات الاربعينات ، وقام بالبطولة امامهما الممثل الراحل مونتجمرى كليفت الذى تفوق فى تجسيد شخصية عالم النفس ورائد المدرسة التحليلية « فرويد » ودور مونتجمرى كليفت فى هذا الفيلم يعتبر اخر أعمال الممثل الشاب الراحل .

والفيلم مستمد من مسرحية تينسى وليامز « فجاة .. فى الصيف الماضى » كتب السيناريو والمعالجة الفنية جور فيدال تحت اشراف تينسى وليامز والفيلم من انتاج سام شبيجل واخراج جوزيف مانكفيتش .

● سلسلة المغامرات الفجة ●

وتبرير ناقد مجلة « تايم » فى اختيار هذا العمل بالتحديد ليدلل على انه اقرب اعمال تينسى وليامز تعبيرا عنه من بين أعماله التى حولتها الشاشة الى اعمال فنية ، هذا التبرير يعود الى تينسى وليامز نفسه الذى اوضح فى كتابه « الفرار من الفندق الكئيب » حالته الشعورية واعترافاته التى تشبه دور الشخصية المحورية التى يدور حولها مضمون المسرحية المكتوبة ثم الفيلم السينمائى دون ظهورها أمام المتفرج بالرغم من تأثيرها الكبير على مجريات الأحداث والتأثير على شخصية أبطال ونجوم العمل الفنى ..

فيقول تينسى وليامز فى كتابه الذى يضم جانبا من ذكريات حياته ان حياته كانت سلسلة من المغامرات الفجة قبل ان يصل الى سن الثامنة والعشرين بعد ان ذهب الى نيو اورليانز واعتبر الشذوذ مسلكا وقرارا باختياره عندما كتب اعماله الأول : معركة الملائكة ـ معرض الوحوش الزجاجى ، ففى ذلك تأكيد لمعظم كتابات النقد التى تناولته فى اختياره لشخصياته ، بينما فى مسرحيته « فجاة .. فى الصيف الماضى »



اليزابيث تايلور

يبرز توفيقه فى اختيار الشخصية النسائية والتعبير عنها مما يدحض اتهامات نقاده ، لأنه استطاع من خلالها ان يخلق شخصية انثوية أصيلة ، فعلى الرغم من تأثير سلوكه على اختيار سارة لأبطال رواياته الا أن وليامز نفسه يقول فى كتابه « الفرار من الفندق الكئيب » انه لا يستبعد هذا وان كان لا يستبعد ان يكون للشخصيات النسائية التى وصفها فى رواياته نفس الدور الذى لعبته فى حياته ، ففى مسرحياته الاولى خلق تينسى وليامز من اسرته ، أخته وامه وعمته ـ وهى العمة « بيل » التى تتحدث بهستيريا مع كثير من الفصاحة .

● اقرب اعماله الى نفسه ●

وعلى حد تعبير تينسى وليامز فان لحياته تأثير على فنه فيستطيع ان يكتب من واقع تجاربه .. ماذا حدث وما الذى يحتمل أن يحدث .. وفى اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات حقق تينسى وليامز نشاط كبيرا فى مجالات الابداع المسرحى ، فقد كان



سيجموند فرويد

له في كل موسم مسرحي مسرحية كبرى تعرض على مسارح برودواى

.. ثم انكمش نشاطه في اواخر الخمسينات ، ليعود مرة اخرى بشكل مكثف في الستينات التى كتب خلالها « ملكية الارض » ومسرحيته السياسية « الشيطان الاحمر » ..

على أن تينسي ويليامز يؤكد في كتاباته الصحفية أن اقرب اعماله الى نفسه بجانب الصيف الاخير ،مسرحيات: عربة اسمها اللذة ــ كامينو ــ قطة على سطح من الصفيح الساخن »

● ملامح الأسى والمرارة ●

ويبرر نقاد الادب أعجاب ويليامز بمسرحية «فجاة .. في الصيف الماضي» بظروف طفولته الصعبة واستكمال تعليمه في ظروف بالغة المرارة .. وهو كانسان امريكي يعيش الحياة الامريكية التى يلعب فيها الحرص على جمع المال والثراء دورا كبيرا ــ قد طبعت حياته بالكثير من ملامح الأسى والمرارة وجعلت نظرته الى الحياة ذات وضع خاص .

● نقاد السينما والادب ●

وبطلة « فجاة في الصيف الماضي » هي كاترين ــ « اليزابيث تايلور » ، وقد مات ابن عمتها في ظروف غير طبيعية ، وضعت هي في مصحة عقلية للظروف النفسية الاليمة التي مرت بها والدة الشاب المتوفى «كاترين هيبورن» ولجات عمتها الثرية الى طبيب نفسي وجراح في المخ والأعصاب « مونتجمرى كليفت » لعمل جراحة للفتاة في المخ حتى ينتهي من عقلها كل الظروف الصعبة لموت ابن عمتها .

ويتاثر الطبيب بواقع الفتاة ويتبادل معها مشاعر الحب ويقتنع بالعلاج سبيلا لانقاذها بدلا من الجراحة ،



كاترين هيبورن

ويتصور انه سيتوصل الى الحقيقة من خلال هذا العلاج .

وكان لتاثير هذا العلاج واقع جديد على العمة التى بدات تعترف باشياء جديدة مؤداها ان شخصا مجهولا له تاثير على الشاب المتوفى وله تاثير سادى على الاخرين

●● ورغم ان الفيلم لم يحقق اية جوائز سينمائية الا انه في راى نقاد السينما ونقاد الادب من افضل اعمال ويليامز التى عالجتها الشاشة، بعد ان قدمها المسرح باسلوب جيد .

والفيلم بداية لسلسلة من الافلام التى تضم شخصيات مركبة ومعقدة قدمتها اليزابيث تايلور في السينما ولم يتح لنا ان نتابع افلامها تلك خلال السنوات الاخيرة؟ .

نعم.. و.. لا!

● للشاعر الرومانى المعاصر : ايوجين جيبيلانو ●
● ترجمة : د . سليم الاسيوطى ●

فى بداية حياته الأدبية كان شعره شبيها بتماثيل منحوتة بمعزل عن الحياة ، وبعد هذه الفترة ، نأى شعره عن الذاتية التى ظلت تلازمه على امتداد ثلاثين عاما . وعلى الرغم من روح الاحتجاج التى كانت قوام قصائده واحتفاله بانتصار الاشتراكية ، فان قصائده ظلت دائما تعبق بنكهة عاطفية مفرطة وحماسة بالغة ، وله ترجمات مؤلفات عديدة من مثل الفرنسية والمجرية والاسبانية ، والالمانية . وهو الآن عضو مراسل فى الاكاديمية .

نعم ، ولا ...
انى ، فى كل شىء يخصك ، اضع ثقتى ..
فهناك الكثير عنك ، ولكن الأعمى لا يرى .
انت على الأقرب نجم منا ، ومن الطبيعى لك
ان تطلعى !.
انى ارفض الحقيقة القائلة بحياة الانسان
مئة عام ، ثم يختفى ..
وعلى الرغم من انى استطيع ان اراه فانى ارفض
اللامعقول ، فليس كل خالف ــ وهم !..
الالم الروحى اعمق كثيرا من الم الجسد .
انى اؤمن بقوة هؤلاء الذين تعلموا الطيران
وارفض الاذعان ! .
انا الدعاء التنبوى الذى يتقمص
ذكرى قبله ،
ولى مقابض تستندها ذراعاك ..
وهى اقوى الآن عما كانت فيما مضى ! .
انى ارفض هذا الذى يرغب فى النسيان ،
باسرع وقت ممكن ، انه ميت ...
فهو الذى ، على هذا القرار
يوقع بالروح فريسة للموت !
انى ارفض الغراب الذى يحاول ان يغطى
النار باجنحته السود ذات الحفيف
ويقول وهو ينعب : اتبعنى فانى جهاز الضوء
انى اؤمن بسمائك المتحررة من قيودها الآن ،
بجمالك المؤمن ...
وبالرداء الذى يكسو الكارك ،
وارفض النسيان ، الى الأبد!

قصة :

طارت عصافير الحب ..

● هدى جاد ●

● رنت اليه بكل الحب ، بكل الالتحام .. وجوده معهما في القاهرة لأيام معدودة يغرقها في دوامات التوتر التى تلوى عنقها احيانا وتخبط صدغيها احيانا اخرى ، واخيرا تكاد تغطيهما حتى ذؤابات شعر راسها ..

رنت اليه بكل مالديها من حنان ، بكل عدد مرات ترديدها لاسمه ، بكل نبضة قلب ، ولهفة استماع الى صوته .. .

ايام اجازته قاربت على الانتهاء ، والابناء بينهما كالفراشات تحمل رحيق كل منهما لتبثه للطرف الآخر .. رنت اليه بكل الحب قائلة :

ـ كم اتمنى ان تقصر المسافة بيننا :

يضحك وبدوره يرنو اليهما : أمازلت متشككة فى الدافع لسفرى عنكم .. عن احب اجزاء نفسى ؟

رنت اليه بكل الود : ـ ابدا ، ابدا .. كل ما ارجوه لك هو النجاح والتوفيق فى عملك كى تؤوب الينا .. هل للهواء بديل للتنفس ؟

وتظل عينيه عليهما ويجيب : ـ تحملنا الكثير ولم يعد لدينا الا القليل .

***

الغيرة ، القلق ، التوتر .. كلها عوامل تحيط بفقاعات الحب المتحمسة .. أليس كذلك ياناهد ؟

تمعنت ناهد فى وجه أختها رجاء ، ثم سرعان مارمت بأنظارها الى الأرض .. نعم قد يكون ذلك صحيحا ، ولكن .. هل للحب منطق ؟

رجاء غارقة فى حب زوجها تائهة فى ملكوته ، عالمها يحدده أكثر من اطار فى كل زاوية منه وجه مامون : زوجها الذى تقدس تراب قدميه !

ورجاء تملك عينين رائعتين ، لكنهما لاتريان .. لا تريان الا عالمها هى الذى صنعته بقلبها ووجدانها ، ثم وقع على صحيفته كيانها كله ، باسمها المقرون باسمه ... مامون متوتر ، نعم .. قلق ، نعم .. والغيرة هذه هى محك الحب العميق ... هى التى تفرض «صيوانا» من قماش متين ، يتعرض لرياح الحب العاصفة ويصمد .. ماذا تقول لاختها رجاء ، المنتشية بعاطفة دعمتها بأمومتها وفرشت تحت اقدام افراد اسرتها ابسطة من الورود النابضة التى لا تذبل ؟..

ـ مامون مسافر بعد غد ، ويرجونى أن اعيش بينكم ، يخاف على من نسمة هواء .. من وحدتى .. من مرض قد يباغتنى والأبناء فى الخارج ، فى المدرسة ، أو مع أصحابهم يلعبون .. ما رأيك يا ناهد ؟ .

والتحم الأمين وتكون عش محبة مجدول بأحبال ثقة متينة تمسك بأطرافها أنامل رجاء ، وماذا تملك ناهد حيال ذلك كله ، الا بعض كلمات قد تفى بالتفسير :

ـ أنت فى أعيننا يا رجاء ، مكانتك كما هى قبل زواجك او بعده ، تضفين على جو البيت الحيوية .. تدفعينا لنستنشق معا عطر الألفة والود .. وتر « يستكين الى جوار اوتار اخرى ، يكون « كمانا » عظيم القدم الا انه متين البنيان ..

التحمت رجاء مع بقية الأوتار : وكان أبوها رجلا حصيفا يثق بأن الموسيقى ملهمة ، لكنها لاتجلب الطعام ، أشار الى رجاء قائلا وهما فى موقف هادىء

ــ الم يحن الوقت كى تزورى بيتك؟

ثم سرعان ما رفع ذراعه وبدت ناصعة مسالمة .. استدرك بعد حديثه على الا يؤول كلامه بأن هناك معولا لهدم « الكيان » ، لكنها اليد العازلة باتقان

ــ سافر زوجك يارجاء وجميعنا بعده واحدا من افراد أسرتنا المتماسكة .. لكن الا تحتاج الشقة الى رعاية ؟ الهواء يبعث اللماء فتية فى عروقنا .. الم يحن الوقت لتستطلعى أحوال بيتك ؟

وتنهدت ودق عقلها بطرقات لينة ، لكنها رتيبة . وهمست من بين شفتيها

ــ معك حق يا ابى ، كل الحق ..

***

تذكر تماما انها رزقت بثلاثة ابناء ، لكن هذه الشقة ذات العنوان المنشود ، العش الذى انجبت فيه « يمامها » ، هى نفس الشقة .. العنوان مضبوط الشارع مازال كما هو رغم تفاقم زحامه رقم الشقة ثابت .. ما الذى حدث بالتمام؟

رنت اليها امرأة وقور ، حملقت فى عينيها متسائلة دون ان يسمع لهما صوت ، لم يعد هناك بد من اخراج الكلمات : ــ ما الذى تريدينه بالضبط يا سيدتى؟كيف يتوه الانسان من وعيه وهو بكامل قواه العقلية ؟ كيف تختلط عليه الرؤى ومازال بصره حادا ؟ .. الوقت من ذهب ، وقلبها هى من ماس ، ومع كل فلابد من القاء الضوء على هذا الحب الغامض !..

ــ هذه شقتى يا سيدتى !

ــ كيف ! اجرها لى رجل محترم قبل ان يسافر الى الخارج .. وهاك اسمه !!

طارت عصافير الحب من قلبها ، بعد الاستماع الى رصاصة كانت تظنها طائشة ، هاهى بكل قسوتها ، بكل شبابها ، بكل عافيتها تتحرك .. تسال فى هدوء يمرق شرايينها بلين ، كمشرط لم يصنع شيئا الا مشاهدته للدماء السائلة ..

تكلمت بدات كلماتها تكون لكمات ضاربة . واحتقن وجهها ، والتحمت الكلمات وكونت مدفعا رشاشا :

ــ هذه الشقة شقتى .. انجبت فيها كل ابنائى .. الجيران يشهدون ، اهل الحى ايضا .. لكن هناك حقيقة ثابتة هى ان عقد ايجار الشقة باسمه .. زوجى .. اعنى من كان يسمى زوجى !!

***

الشقة او عش الزوجية ، تحول الى دار حضانة .. القشرة الخارجية لوجه الزوج تنبىء عن حنان ورحمة ، فالهدف هو تجميع اكبر كم من « اليمام » ليستكين فى حضن أم كبير ، ويتحول الى دار للحضانة .. وأين تقيم هى بعد ان كونت اسرة لاتستطيع بجناحيها القصيرين ان تزيد على عبء اسرتها الاولى عبئا جديدا ، ياله من « صيوان » حب أبدعته وجملته برياحين وجدانها وعطرته بالفاس حنين أم قبل حنين امرأة .. ماذا صنع بها زوجها؟ تظاهر بالحدب فى ان تكون تحت رعاية العش الاكبر ، عش امها وابيها ، كى يخلو له الجو .. تطير عصافير الحب من الشجر ، ولا يبقى الا جيبه ليمتلىء ذهبا ، بالاضافة الى مرتبه الذى يحصل عليه من خارج مصر .

مديرة دار الحضانة ، تحولت الى صاحبة حق ، اما من وضعت الاساس وبنت طوبة تعلوها اخرى ، فلقد اصبحت اليوم حالة معول تريد اخراج عصافير مشردة من جنتها .. وماذا يقول القانون وعلام يسفر التحقيق .. وكل صاحب حق . وبطل النزاع هارب الى الخارج .. كى تتصارع ارواح بريئة ، ولا يبقى فى النهاية الا دماء لا يحل الله اراقتها ..

لم تضحك رجاء حتى تدمع عيناها ، ويدق عقلها منذرا اياها ومذكرا بكل الود ، بكل الحب ، بكل الالتحام .

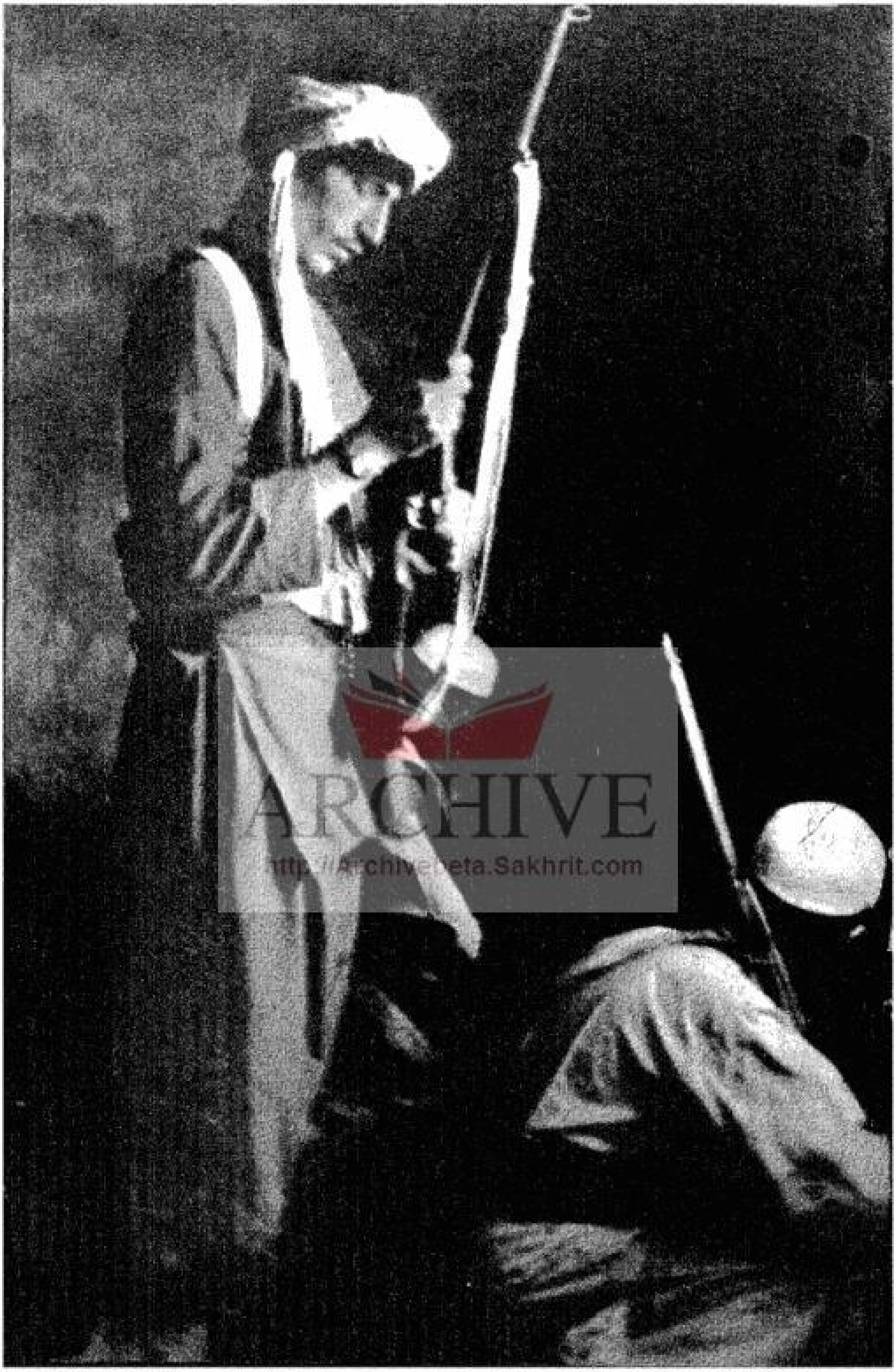
ماذا جنيت الا باقة حصى .. لا تنفع فيهما ولا تضر ؟! ●

أفغانستان

محطة إلى قلب عالمنا الإسلامي

ان سقوط افغانستان فى ايدى الشيوعية مؤشر خطير لما ينتظر ان يصيب العالم الاسلامى كله اذا سارت الامور على ما هى سائرة عليه الى الآن . فان روسيا كشفت عن نواياها ودلت على ان مطامعها فى العالم الاسلامى لا تنتهى عند بلاد التركستان بل تشمل عالم العرب والاسلام كله .. بما فى ذلك البحر المتوسط والمحيط الهندى ... هذا هو الهدف الروسى الذى ندرسه فى هذه الصفحات ..

رجلان افغانيان يفحصان اسلحة وبنادق يستعملها المجاهدون فى الدفاع عن بلادهم وحربهم مع العدو الشيوعى الغاصب .. انها اسلحة قديمة لا تستطيع الثبات طويلا أمام الروس ، ولكن خلف الأسلحة رجال من حديد قادرون على قهر الروس بهذا السلاح المتواضع وينبغى ان نقف جميعا الى جانبهم ..



افغانستان





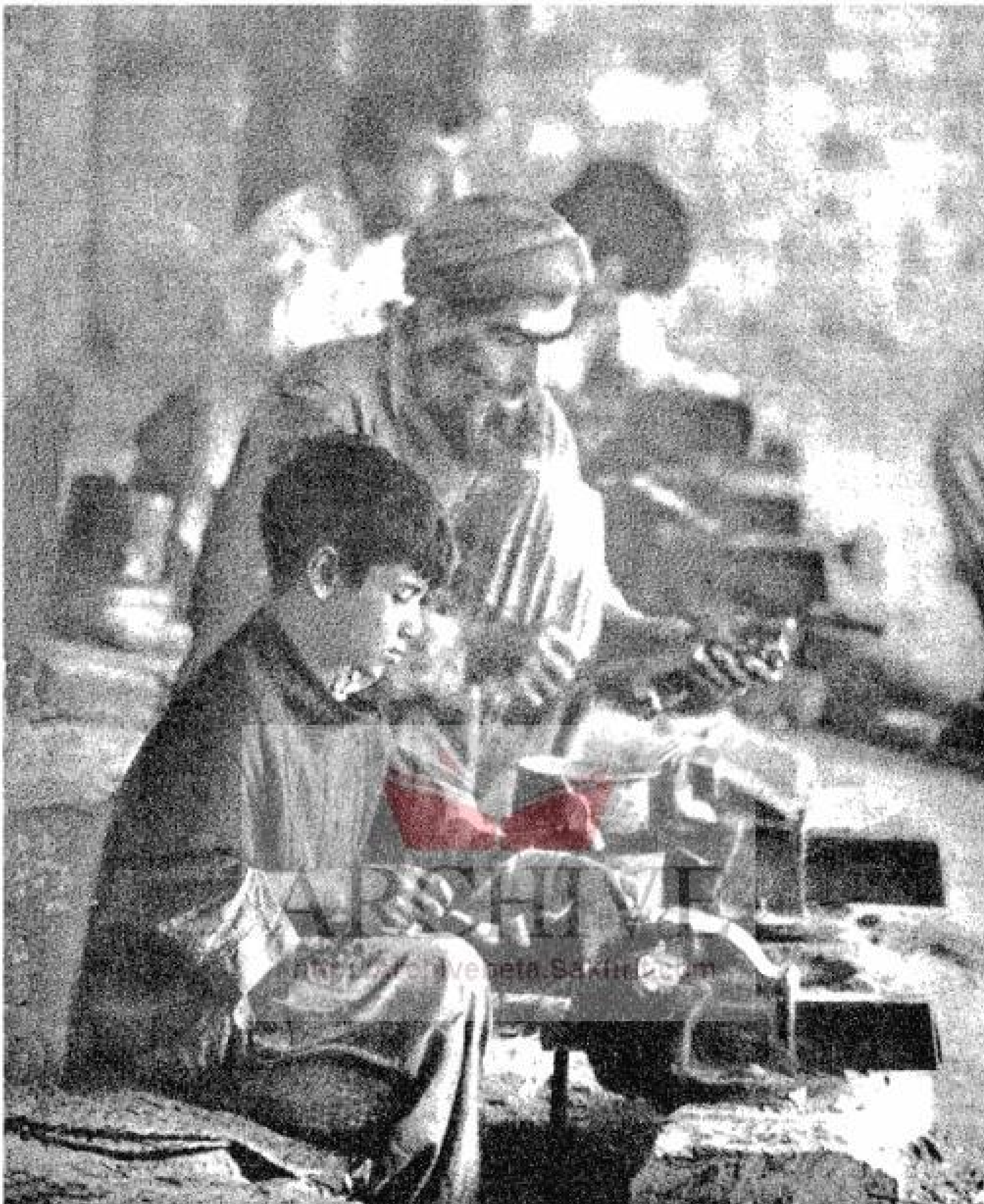
منطقة الحدود بين افغانستان وباكستان هي اليوم منطقة الدفاع عن الاسلام وإعاقة التقدم الشيوعي هذه المنطقة كانت دائما ميدان حروب طويلة لأنها منطقة الممرات التي تخترق جبال الهندكوش وسليمان .

● **من أكبر مآسى الكاتب العربى انه اشبه شىء بنهر يغيض فى رمال وتتبدد مياهه بين البخر والجفاف ..**

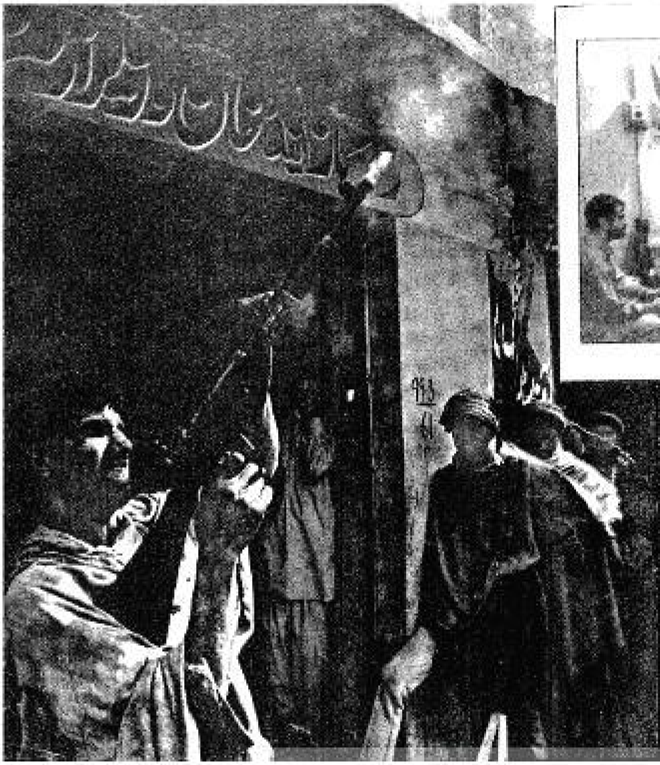
فهو فى غالب الامر يكتب لنفسه من نفسه ينبع وفيها يصب والقليلون الذين يقراونه هم الذين يشاركونه فى الراى ويقولون مثل الذى يقوله، فقراءاتهم لما يكتب ليس فيها بلاغ رسالة وانما هى رجع صدى ..

اما الذين يكتب لهم ، ويريد أن يهديهم آراءه حتى تتحول على ايديهم الى حقائق ومنافع فهم أهل القوة والتنفيذ. وهؤلاء فى الغالب لا يقراون كلام مفكر او أديب ، وقـــراءاتهم مقتصرة على ما يسمى بالمذكرات والتقارير ، وهى كلام ركيك سقيم لا يتحصل منه شىء ، لانه يكتب ليؤكد شعور الامتياز والخبـرة

تلك هى خريطة الباكستان وخط الحدود مع افغانستان .. الى هنا سيقبل الروس اذا لم يجـدوا قوة تقف امامهم ، فسيكون فى يدهم ممر خيبر ومداخل الهند وجبال الهندكوش . بعـد ذلك لن يستطيع الوقوف امام الروس أحد ...



الافغان وخاصة اهل منطقة بوخشان ومداخل ممر خيبر من امهر الناس فى الصناعات اليدوية . انهم يصنعون كل شىء بايديهم من المدافع الى اجهزة الراديو . انهم « يخرطون » اى شكل واشكال قطع الغيار ومكونات المسدسات والبنادق والمدافع ...



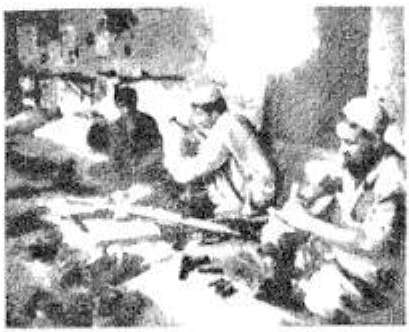


قائد من قواد الدولة الافغانية فى مكتبه البسيط وسط الجبال . كان يعمل مدرسا ولكن بعد الغزو السوفيتى انسحب مع المجاهدين الى مناطق الجبال ليدير اعمال الجهاد ...

وهذا محل لبيع الاسلحة التى يصنعونها بايديهم فى افغانستان . انه يجرب بندقية من البنادق التى يعرضها للبيع والتى تحمل اسمه واسم شريكه ..

افغانستان





والعلم عند ناس يرون انهم أهل الامتياز والخبرة والعلم ، ونادرا ما تضم التقارير والمذكرات رأيا جديدا صالحا ، انما هو دائما القديم مكتوب على ورق جديد .

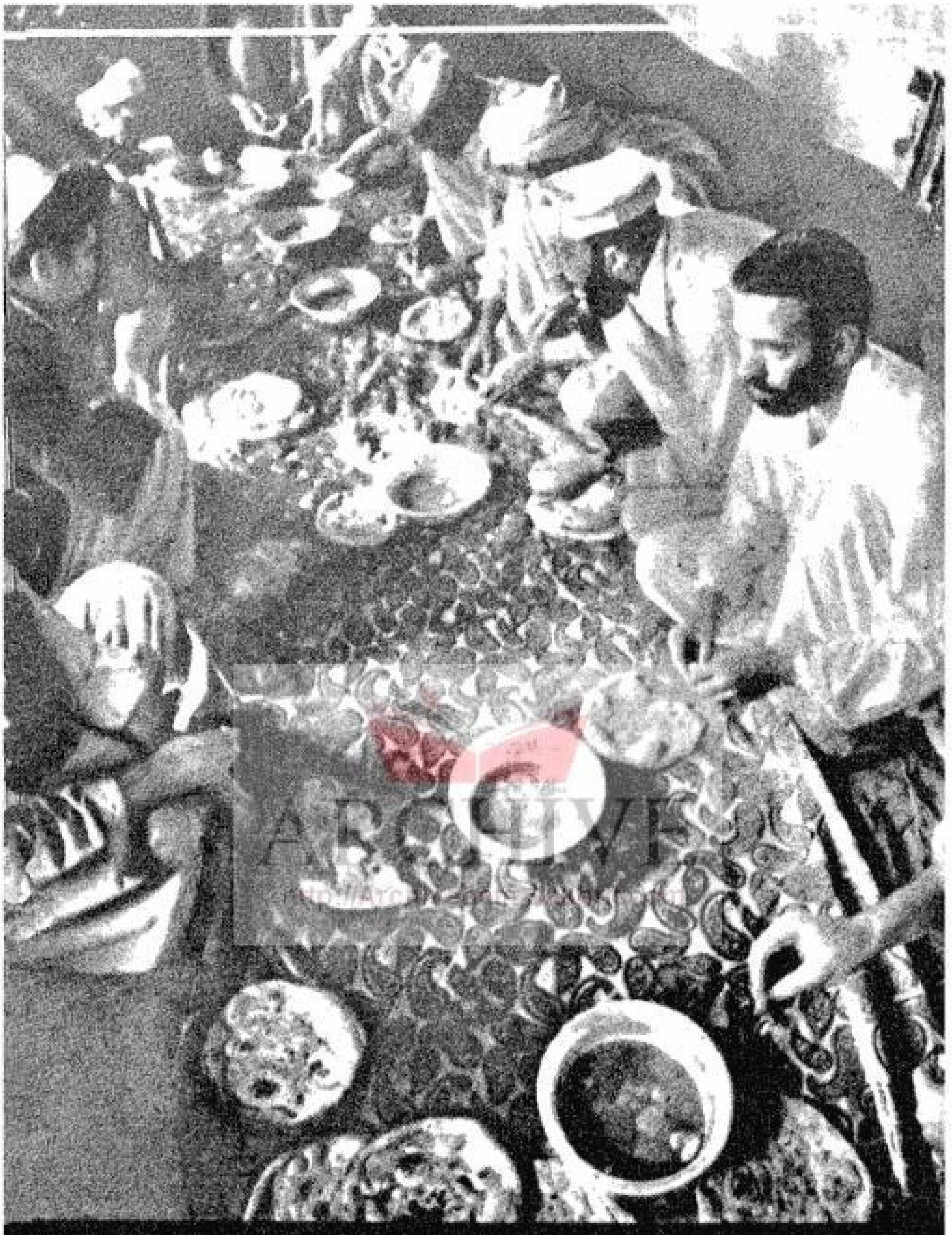
وقد كانت لى فى يوم من الايام صداقة مع مدير مكتب واحد من رؤساء الوزارات فكان هذا الرئيس يقول له : اكتب لى مذكرة عن كذا وقل فيها كذا وكذا ، ويكتب الرجل المذكرة ويضمنها الكلام الذى سمعه من رئيسه دون زيادة ، ويرفعها الى الوزير الخطير فيوقعها ويتقدم بها الى مجلس الوزراء زاعما انها خلاصة آراء ومداولات ، ويقر المجلس المذكرة ، وهكذا كان الحوار يدور بين الوزير ونفسه ، بين صوته وصدى صوته اما ما يكتبه الآخرون من المتخصصين واهل العلم والخبرة فيتلاشى دائما على عتبات الادارة والتنفيذ ، وقلما يصل الى حيث اراد الكاتب له ان يصل .

اقول هذا لاننى سبق ان قلت هذا الكلام عن ماساة افغانستان وما لابد ان يتلوها فى صحف ومجلات منها هذا «الهلال» نفسه ، وما من شىء كان يدور فى خواطر الروس نحو الاسلام والمسلمين الا كتبناه وكشفناه ولكن لمن تنشد مزاميرك يا داود ؟

ومع هذا فان داود سيظل ينفخ فى مزاميره ، فهذه رسالته وهذا قدره . والكلام الذى ستقراه فيما يلى انما هو ترديد لنفس الزمار القديم ، ولكنه كان فى الماضى تنبيه وانذار ، وهو اليوم مرثية وبكاء على اطلال جدار .

***

ان اعين الروس على افغانستان منذ العشرينات فان لينين عندما قام بثورة اكتوبر كان ظاهر كلامه انه يريد أن ينشىء عصرا جديدا يقوم على وضع « العمل » وضعه الصحيح ، وقال ما ردده كارل ماركس فى بيانه المشهور من أن العمل سلعة تباع وتشترى ، وهى فى آخر الامر اغلى السلع ، لأن جذع الشجرة لا يساوى شيئا الا اذا حولته يد النجار الى مكتب ، أو دولاب ، وفيما خلا ذلك فهو حطب يصطلى به أو يطبخ عليه . وما دام هذا هكذا فان عمل



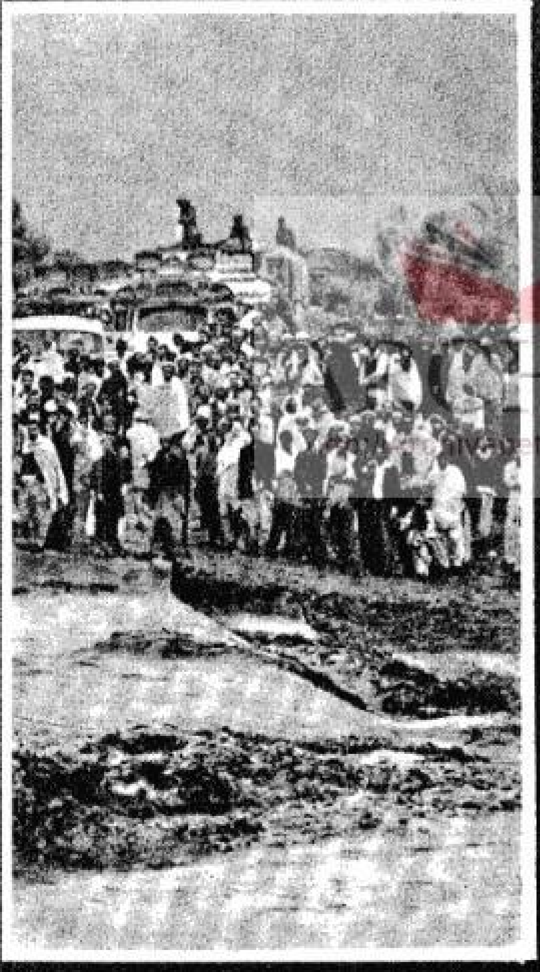
المجاهدون في الجبال يتنــاولون طعامهم المتواضع . انه لايخرج عن طبق حساء يغمسون فيه الخبز ، وعلى هذا الزاد القليل يعيشــون راضين سعداء ..



مجاهدون افغانيون يصلون صلاة الخوف ، وصلاة الخوف هي في الحقيقة صلاة الحرب ، يؤديها المحاربون المسلمون في الميدان في مواجهة الاعداء فنصفهم يصلي والباقي يحرسون .

افغانستان مشهورة بحافلاتها التي يقوم الناس بدهنها بالوان بهيجة ونقوش جميلة وكتابات بالخط الفارسي . هذه حافلة منها مثقلة بحمولتها من الناس ...

اهل قرية أفغانية مطلة على الوادى العميق . انهم ينتظرون دورهم ليعبروا بهذه الطريقة المبتكرة المحفوفة بالاخطار ، ولكن أولئك الناس الذين يعيشون مع الموت لا يعرفون الخوف ...





افغانستان كلها جبال واودية ، والناس يعبرون الأودية العميقةفي ناقلات معلقة بحبال من اعالي الجبال كما ترى في الصورة ...



العامل هو اساس ثروة الامم وقوة الدول ورخاء الشعوب ، اى انه اهم واقيم شىء فى حياة الجماعات . والعمل هنا ينطبق على كل جهد مثمر : يستوى فيه عمل الفلاح فى الحقل والصانع فى المصنع والباحث فى المعمل والطبيب فى العيادة والمهندس امام لوح التخطيط والرسم والادارى على مكتب التنفيذ والحاسب امام دفاتر الحساب .

ولكن لينين كان يقول هذا ويريد غيره فقد كان يعمل على اعادة بناء الامبراطورية الروسية وتوسيع نطاقهـا وتثبيت دعائمها على اساس العقائدية او الايديولوجية الماركسية : فيزعم فى الظاهر انه يبنى دولة العمل والعمال وهو فى الباطن يبنى دولة الروس ، وباسم توسيع نطاق دولة العمل والعمال يوسع نطاق الامبراطورية الروسية ، فموسكو هى مركز الايديولوجية الجديدة ومهبط وحيها ، والكرملين ، هى قاعدتها ومركز القوة فيها ، والجيش الاحمر هو اداة بناء العالم الجديد ، وما دام فى العالم سذج يتصورون ان الروس يعملون على اقامة العدالة والمساواة بين البشر على اساس القول بان لكل على قدر ما يعمل ولكل على قدر ما يفيد الجماهير - فان الروس يعربدون فى الدنيا كما يريدون بدلا من ان يطبقوا





قاعة واسعة تستقبل عشرات المصابين من المجاهدين .. ان مستشفى المجاهدين في الجبال لا يخرج عن هذا الشكل وحجرة بسيطة للعمليات وحجيرة للادوية.. وليس في المستشفى ادوية ولا ادوات جراحة متقدمة . كل شيء هنا بدائي ولكن المجاهدين لا يعرفون الشكوى لانهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى والموت عندهم اهون شيء ...

أفغانستان

صادق الحرية الذين يتشدقون بها على البلاد التي احتلتها الجماهير يزعمون أن تلك البلاد تحولت إلى جمهوريات اشتراكية مستقلة بإرادة أهلها ... [illegible]



أسرة كاملة تهاجر على ظهر جمل : جلست الأفغانية الهاربة من الاحتلال الشيوعي على جملها ومعها طفلها وكل شيء تملكه حتى عنزتها الصغيرة . إنها تنتقل إلى الأمان في جبال باكستان لتكون إلى جوار زوجها المجاهد ، وخلفها أسرة أخرى على جمل آخر وهكذا تسير قافلة المهاجرين .



هذه الصورة تعبر عن مأساة افغانستان . هذه الصبية هربت حاملة أختها من السهل إلى الجبل لكي تكون آمنة على نفسها وعلى اختها . بقية الإسرة تشردت هي الأخرى . وهكذا نرى ان الغزو الشيوعي انما هو في الحقيقة عملية ابادة شعب ودين . ولكن الله سبحانه ولي المجاهدين سينصرهم وينصر معهم الاسلام على الكافرين ..

نعيده ، وسنظل نعيده وهذه وظيفتنا : نقول اليوم ما قلناه بالأمس ، ونقول غدا ما قلناه اليوم ، ومن يدرى فربما ايقظنا القلوب في يوم من الايام ومن يدرى فلعل مزمار داود يصل نغمه الى اذن تعى وتفهم .

روسيا .. والاسلام

منذ أن قام لينين بثورته كانت محاربة الاسلام هدفا من أهدافه الرئيسية . فالمسلمون الروس كانوا كثيرين ، يقدر عددهم بستة ملايين كانوا يعيشون في الجنوب . من مصب الفولجا الى كييف كان معظمهم من التتر الذين احتلت روسيا القيصرية بلادهم ، فكانوا يهاجرون الى روسيا طلبا للرزق والعمل كما كان الجزائريون يهاجرون الى فرنسا

والتتر جنس علي قوى مقبل على العمل .. استعملهم اغنياء الروس لزراعة الارض ورعاية الماشية. استقروا هناك وتكاثروا واقاموا المساجد في كل بلاد جنوبي روسيا . ولكنهم كانوا ايام القيصرية طبقة فقيرة عاملة شأنها في ذلك شأن جميع « الموجيك » وهم الفلاحون الروس في عصر ما قبل ثورة اكتوبر ١٩١٧ .

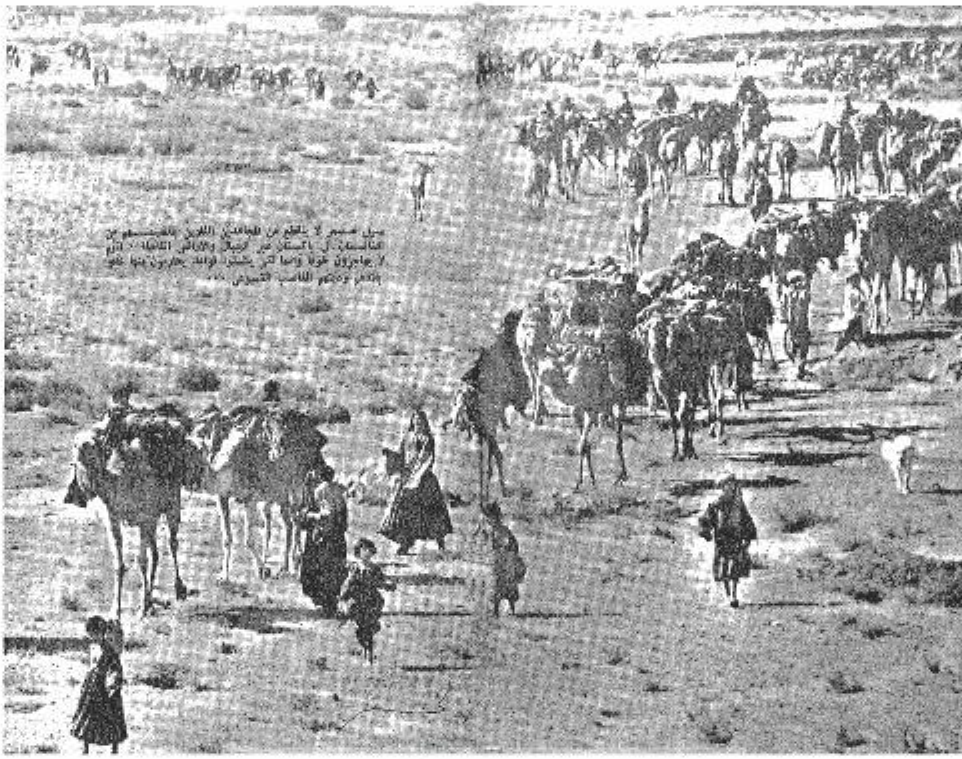
وجاء لينين ، وبدلا من أن يحرر هؤلاء المسلمين ويمنحهم اراضى الاقطاعيين كما فعل مع الكثيرين من المزارعين الروس اخذ ينقل جماعات المسلمين التتر من مواطنهم التى استقروا فيها الى ما يسمى بالجمهوريات السوفييتية الاشتراكية في بلاد التركستان وما يقع شمالها . كانت عملية ازالة ملايين البشر من مواطنهم . هذا لاشىء بالنسبة للينين وفكره السياسى . فهذا الرجل كان لا يتردد في ازالة طبقات كاملة من البشر لاقامة الامبراطورية الشيوعية الروسية ، المهم لدينا انه ازال الوجود الاسلامى من روسيا حتى المساجد التى اقامها اولئك المساكين ازيلت وجماعات المسلمين التى تعيش فى موسكو وغيرها من مدن روسيا تموت وتجف لان مساجدها اهملت او هدمت والمتهما نقلوا الى سيبيريا . حتى سمعتهم نالوا منها . فى روايات تولستوى كانت شخصية التترى - ولا تخلو منها رواية روسية - شخصية بطولية محترمة ، فى كتابات مكسيم جوركى اصبح التترى متسولا ، دائما متسول

الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية الاسلامية ؟

مما يؤلم النفس ان كل بلاد الاسلام فى بلاد ما وراء النهر وشماله تحولت اليوم الى ما يسمى بجمهوريات اشتراكية ، لقد سقطت هذه البلاد العزيزة علينا فى ايدى الروس ايام القياصرة ، وبدأ الروس يلتهمونها من أواخر القرن الثامن عشر ، كانت هناك سلطنات وامارات فى بخارى وسمرقند وطشقند وبلاد الاوزبك فى عصور الاستعمار وافتراس بلاد الاسلام اخذت روسيا تتوغل فى هذه البلاد وتستولى على قواعدها واحدة واحدة ولكنها لم تستطع التمكن منها الا بعد أن تغلبت على الاوزبك او الاوزبكيين . والاوزبك فرع من الترك الغزية أو الغز والغز هم الجنس التركى الذى حكم الدولة العباسية أيام تدهورها بعد خلافة الواثق ومنهم أيضاً المماليك وهم غز .

الاوزبك فى بداية القرن التاسع عشر كانوا سادة ما وراء النهر ، كانوا يسمون الشيبانية ، وكانوا واقفين للروس بالمرصاد . كان القياصرة يصانعونهم ، ولكن الذى كسر ظهرهم والجأهم الى طلب عون الروس كان رجلا مسلما وهو نادر شاه تولى شاه ايران ومؤسس الاسرة القاجارية .

نادر شاه كان رجلا دمويا وهو



مسئول عن تحطيم مراكز القوة الاسلامية في قلب آسيا . لكي ينتقم من المسلمين في الهند اقتحم دلهي وخربها وقتل من اهلها ٢٠٠٠٠ في اسبوع ، ثم هدم مسجدها الاعظم وحمل رخامه على الجمال ليبني به مسجدا لنفسه في بلخ التي تعرف اليوم بمزاري شريف .

هذا الرجل المخرب ألح على الأوزبكيين بالغزوات واقتحم بلادهم فاضطروا لطلب عون الروس . كان الروس ينتظرون مثل هذه الدعوة لانهم كانوا يطمعون في وسط آسيا الاسلامي . استولوا على بخارى ثم سمرقند واقاموا في طشقند حاكما عاما روسيا . اصبحت هذه البلاد الاسلامية كلها حمايات روسية في عصر الحمايات . بالضبط كما تدخل الفرنسيون في بلاد المغرب وحولوها الى بلاد تحت الحماية فيما عدا الجزائر التي اعتبرت ارضا فرنسية كذلك اصبحت بلاد ما وراء النهر وخوارزم وشمال أذربيجان حمايات روسية . وهذا كله من نتائج اعمال حاكم مسلم هو نادر شاه قولي

لو استمرت القيصرية لكان من الممكن ان تستقل امارات بخارى وسمرقند وجند وميركي وطشقند كما استقلت بلاد المغرب وبقية بلاد الاسلام التي كانت تحت الاستعمار .

ولكن الثورة الروسية اتت وغيرت كل شيء .

بدل الاحتلال السياسي العسكري جاء الاحتلال الفكري العقائدي . بقرار من مجلس السوفييت الاعلى أصبحت هذه البلاد ست جمهوريات سوفييتية اشتراكية : اوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزستان وأذربيجان وخوارزم .

لم يعد الاسلام دينا رسميا او غير رسمي هناك . نفى السوفييت على رءوس المقاومة والمفكرين ورجال الدين - كما يفعلون في افغانستان الان - واغلقوا المساجد او اهملوا امرها تماما وانشأوا معاهد البلشفة لكي يصنعوا من أولاد المسلمين شيوعيين ملاحدة وخدما للروس .

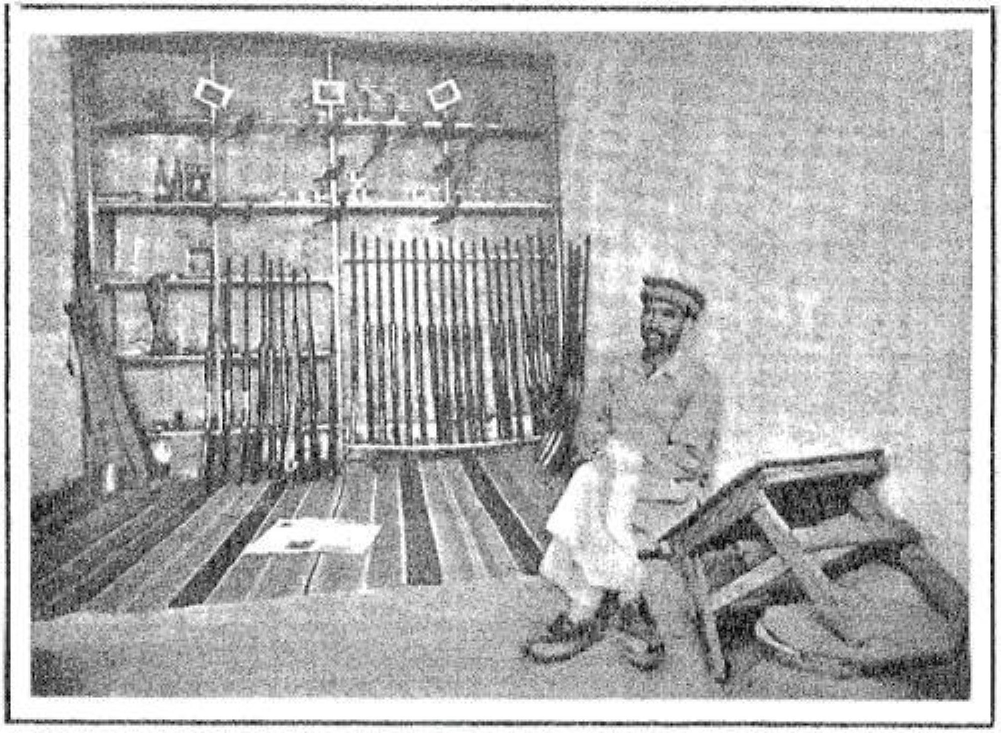
بهذا الاسلوب الخطر على الوجود والكيان الاسلاميين يحكم الروس تلك البلاد كلها . بالاسم جمهوريات مستقلة وهي في الواقع اذل من المستعمرات . ان أهل تلك المستعمرات الروسية الشيوعية لا يتمتعون حتى بحق الشكوى او الاعتراف : ومم تشكون ؟ الستم مستقلين ؟ وعلام تثورون ؟ الستم تعيشون في عالم اشتراكي سعيد ؟

والويل لمن تخطر بباله فكرة معارضة السوفييت . هل تذكرون ثورة المجر سنة ١٩٦٥ ؟ ثلاثة آلاف دبابة سيقت الى المجر لتسوى كل شيء بالارض . لقد طحنوا الناس طحنا خلال أيام قلائل . هذا ما يفعله الروس اليوم في افغانستان وسنرى بعد قليل ان المسئولين هم الافغانيون أولا ثم نحن - أمة الاسلام ثانيا .

ثم يقولون انهم سينسحبون من افغانستان ، نعم سينسحبون بعد ان يحطموا كل عناصر المقاومة والمعارضة ويقيمون حكما تابعا لهم يأمر بأمرهم ، سيسحبون دباباتهم من شوارع المدن الى مخابيء الدبابات .

بداية المأساة

بداية المأساة كانت في اواخر ايام الملك محمد ظاهر شاه . كان ملكا تقليديا قديم الطراز ولكنه كان محافظا على بلاده كان الحكم كله مركزا في ايدي البيت المالك واصهاره والمقربين اليه . نحو عشر اسر كانت تحكم البلاد وما فيها :منها الموظفون وقادة الجيش وكبار التجار . وكانت افغانستان كلها واللغة



تاجر الأسلحة الافغانية يعرض بضاعته • ان البندقية هي الرفيق الدائم للافغاني الذي يسكن الجبال لأنه يعيش دائما مع الاخطار • هناك كانت الحرب دائمة بين القبائل ولكنهم اتحدوا الآن للدفاع عن الدين ، وهذا السلاح انتقل الآن الى أيدي المجاهدين ••

مكانها ، لا سبيل امامها الى التقدم •

يقولون أن افغانستان بلد فقير • بعض احصائيات الامم المتحدة تقول انها كانت أفقر بلد في الدنيا وان دخل الافغاني كان ٦٠ دولار في العام في المتوسط • ربما كان هذا صحيحا ، ولكن افغانستان ليست بلدا فقيرا فهناك اراض واسعة يمكن أن تزرع ، وهناك غابات غنية بالاشجار ذات القيمة الكبيرة وهناك محصول عظيم القيمة من الفواكه الجافة كاللوز والبندق • وهناك غاز طبيعي وفير ومعادن اكتشفت ولم تستغل • ان مسالة غنى شعب وفقره مسالة حكم • الحكم الصالح يصنع الغنى لأن الثروة الحقيقية في أي بلد هي أهله والأفغانيون فروع من الاتراك عقلية سليمة ، والافغاني ذكي متفتح ، ولكن الحكومة كانت راكدة والملك محمد ظاهر لم يكن يرى ما حوله بوضوح • لهذا كان الشعب الافغاني لا يرى شيئا بوضوح •

ولم يكن في ذلك كله بأس ، فهناك بلاد تبقى على هذه الحال قرونا ولكن الامان الى جانب الروس مستحيل . ان عيونهم تبحث عن الضحايا دائما وامبراطورية لينين لابد أن تبتلع كل

شيء .

الوسيلة التي يلجأ اليها الروس دائما هي خداع الشباب وايهامهم بحلم العدل الاجتماعي والتقدم والرخاء ـ يقدمون المنح الدراسية للشباب ، والافغاني الناشيء الذي يخرج من اكواخ قريته ليدرس في طشقند او كييف او موسكو في معهد يسمى معهد لينين وينام لاول مرة في بيت فيه ماء جار بارد وساخن ، وفيه تدفئة كافية ومطعم يملأ فيه بطنه ويتقاضى في الشهر راتبا لا باس به ويذهب الى قاعة الرقص في الليل وفي ذراعه فتاة روسية بيضاء شقراء يظن انه قد انتقل الى السماء السابعة،على ان هذه البنت ـ وهي دائما من المخابرات ـ وخلال سنوات الدراسة يتحول الشاب الساذج الطيب الذي ذهب ليتعلم ويخدم بلاده بعلمه الى انسان شيوعي مضطرب الذهن مريض الوجدان ، يدخلونه في دوامة افكار لينين وماركس ، ويصورون له بلده في حالة سيئة جدا ، وانه لن ينقذها الا النظام الشيوعي .

ويعود الشباب الى بلده وليس في رأسه الا هذه الافكار وآمال الحكم والسلطان والعمل مع اولئك السادة الروس العظام .

تلك هي قصة نور محمد تراقي وحفيظ الله امين ثم بابراك كارمل وكل من سيأتون بعدهم . لأن الروس لن يبقوا لك على صاحبهم بابراك ، لابد من ازاحته من الطريق بعد أن يؤدي رسالته في خدمتهم ، وقد رأينا هذه القاعدة مطبقة في اليمن الجنوبية التي اتعسها الله بالوقوع بين أيدي زبانية موسكو ، وها هم رجالها الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الشيوعية يأكل واحد منهم الآخر حتى « صفصفت » في النهاية على التعيس عبد الفتاح اسماعيل ، ولا شك أن الروس يعدون اليوم خليفته لانهم قاتلوه لا محالة .

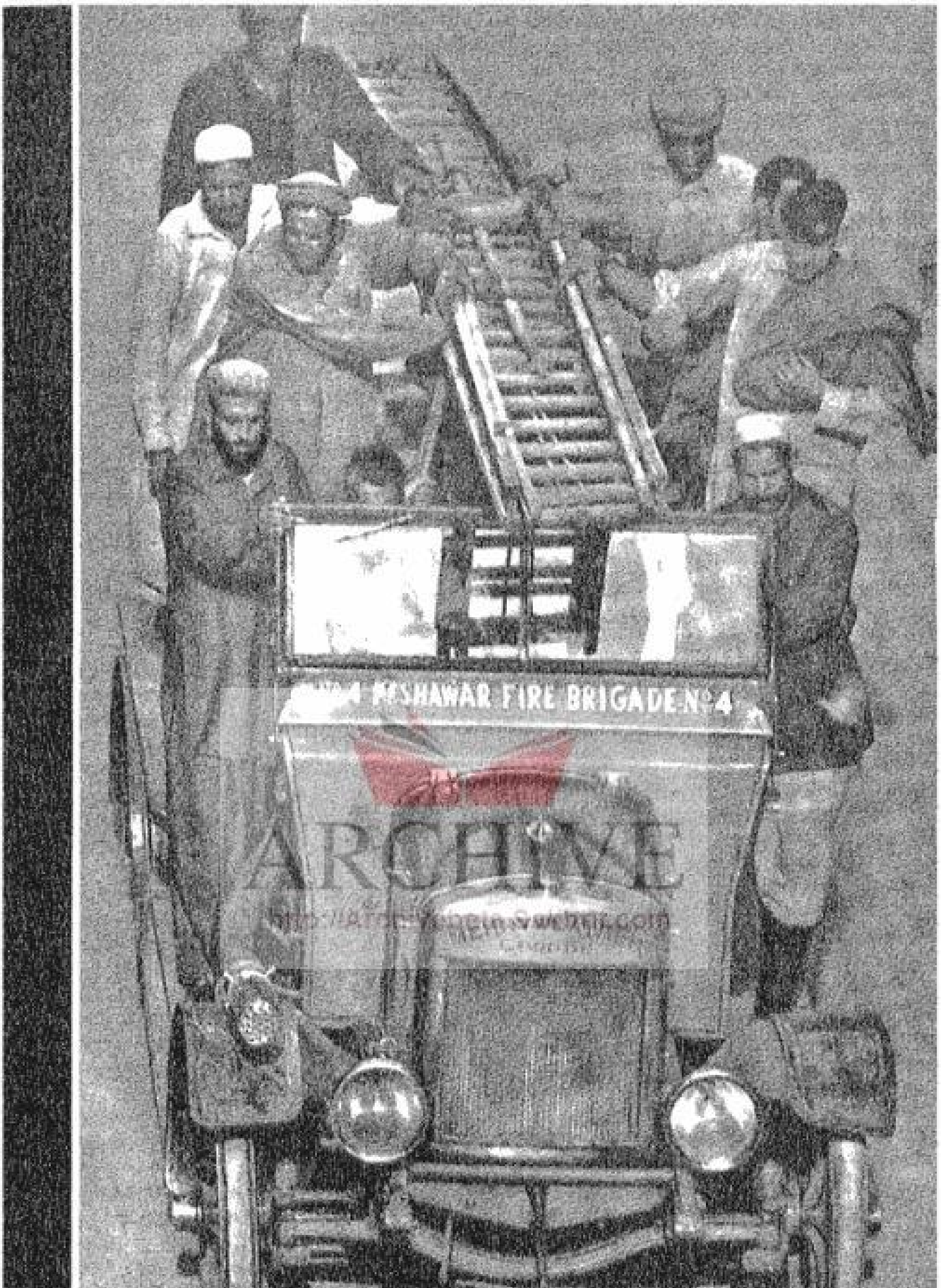
***

تلك بداية المأساة

ونعود الى الوراء قليلا في حديثنا عن مأساة افغانستان فنقول ان البلاء كله بدأ بمحمد داود الذي كان ابن عم الملك محمد ظاهر شاه وصهره ، وظن انه يفعل الخير لنفسه اذا هو غدر بصهره، وبينما كان الرجل في زيارة للخارج نهض محمد داود وألغى الملكية واعلن نفسه رئيسا للجمهورية بمعاونة رجال موسكو الذين أسلموا بلادهم للروس في النهاية ،وهم على الترتيب نور محمد تراقي ثم حفيظ الله امين ثم كارمل بابراك . هؤلاء كانوا رجال محمد داود الذين حقق انقلابه على أيديهم ، وظن انه يبدأ في تاريخ بلاده عصرا جديدا .

لقد كان محمد داود يعرف الخلفية الحزبية الماركسية لمساعديه هؤلاء . كان يعرف أن حفيظ الله امين رئيس حزب « شولى » جاويد وان نور محمد تراقي ينتمي الى حزب « الخلق » والاثنان حزبان ماركسيان . كان محمد داود يعرف ذلك ولكنه تغاضى عنهما حاسبا انه اذكى منهما ، بل ان الامر

سيارة اطفاء حريق تابعة لقوة الاطفاء في « بشاور » اول بلاد باكستان بعد ممر خيبر . انها من اقدم عربات الاطفاء في الدنيا ولكنها تقوم بعملها على ما يرام ، والذين تراهم في السيارة هم رجال المطافىء ، وليس لهم هناك زى خاص ..


PESHAWAR FIRE BRIGADE No 4

كان شائعا معروفا لكل النـــاس ، فقـد نشرت صحيفة « كارانت » التى تصدر بالانجليزية فى بومباى عنوانا ضخمـــا أعلنت به عن انقـــلاب محمد داود ، والعنـــوان يقول : النجم الأحمر فـــوق أفغانستان •

وبعد ان استقر محمد داود فى الحكم بتأييد اولئك الشـــيوعيين بدأ يتجـه بالبلاد نحو الغرب وأمريكا ، وحســب لسذاجته أن موسكو ستتركه يحقـــق خطتــه : اتجـــه الرجل نحـــو امريكا والسعوديةوبلاد الخارج ، وأتىالى مصر واجتمع بالرئيس السادات ، وقيـــل يومئذ أنه يحاول ان يمد يدا لمساعدة العرب فى القضية الفلسطينية وفى أثناء غيابه نشـــط الروس فى العمـــل على القضاء عليه ، واستغلوا فى ذلك غضب رجال الدين عليه بسبب اتجاهه نحـــو الولايات المتحدة •

ورجال الدين فى أفغانســـتان كتـلة قوية لها خطورتها ، فهى قوة تقوم على جماعات من أشد جماعات السلــفيين تمسكا بالقديم ، وعلى رأس هذه الجماعة الدينية المولوية وهم الرؤساء ، وهـــم يقـــابلون الآيات فى ايـــران ، غير ان المولويين من أهل السنة والآيات شـــيعة ويليهم الملا وهم صغار الشيوخ ، وكلهم بعيدون البعد كله عن أى تفكير عصرى، فهم يعارضون التعليم الحديث ،وينكرون الجـــامعات وخاصة كليـــة الطب التى تدرس التشريح وهو عندهم حـــرام • واولئك المولوية والملا كانـــوا هم الذين أسقطوا ملك أفغانستان العصرى المتفتح امان الله خان فى العشرينـــات وكانت جريمته عنـــدهم انه ترك زوجته ثريا تنزع الحجاب وتبدو سافرة للناس فى أثناء زيارة له لاوروبا •

وكان ٢٧ ابريل ١٩٧٨ هو التاريخ الذى حددته روسيا لنهاية محمد داود عقابا له على ما فكر فيه من الاتجاه نحو الغرب • والحق ان احدا لم يحـــزن على محمد داود عندما قام عليه نور محمـــد تراقى واعدمه ، لانه هو ايضـــا محمد داود ـ سبق ان انقلب على ابن عمــــه وصهره الملك محمد ظاهر شاه • ولكن موت محمد داود وصعود نور محمـــد تراقى الى السلطة كان بداية استيـــلاء موسكو على افغانستان ، لان الروس يعملون دائما بنظام وبنـــاء على تخطيط محكم ، فان مسيرتهم الى كابل كانت مرسومة بعناية : تبدأ بالقضـــــاء على الأسرة الملكية الحاكمة ، وباختفائها يفقد المولويون والملا قوتهم الســـياسية ، ثم يقضى على محمد داود ليجىء نورمحمد تراقى ثم حفيظ الله أمين ثم بابراك كارمل على الترتيب ، ومهمة هذا الاخير هى استدعاء السوفييت لاحتلال بلاده ، وسيلقى بابراك حتفه دون شك ليحـــل محله عميل روسى أكثر اخلاصـــا وأقل اهتماما بمصير بلاده وبمصير الاسلام . سيعدم لكى يطمئن الناس الى ان الخائن لقى جـــزاءه ، ولكن خلفـــه ســـيكون قومسيرا روسيا اسمه أحمد أو محمد أو نجم الدين •

هذا هو ممر خيبر الشهور انه مفتاح الهند ، وقد حرص الانجليز على حمـــايته ، وارادوا انتزاعه من ايدى الافغانيين فانهزموا وتركوه لافغانســـــتان • ان الروس يحاولون الاستيلاء على مدخله اليـــوم ولكنهم لن يســـتطيعوا مهما كان عتادهم الحربى لانهم يحاربون ••



نقول هذا تنبيها للعقول والقلوب في عالم الاسلام ، فماذا فعلنا نحن مثلا لمعاونة افغانستان وهي تمر بمحنتها مرحلة بعد مرحلة ؟ لقد شهدنا انقلاب محمد داود ووقفنا نتفرج ، ثم كان احتلال افغانستان وها هو الستار الحديدي يهبط رويدا رويدا حتى تختفي افغانستان — ولا نعود نسمع عنها الا كما نسمع اليوم عن قرغيزيا وطاجيكستان، واهلهما مسلمون ولكن روسيا ابتعلتهم من زمن بعيد ·

نحن المقصودون

والآن يحتل الروس افغانستان المدن الكبرى على الأقل في ايديهم ، ولكن معاقل الافغان مازالت تقاتل : في طخارستان وبدخشان وفي اقليم بخت الذي تكتبه صحفنا باكيتا ما زال القتال مستمر . هناك جبال الهندكوش الوعرة والخوانق العسيرة التي تؤدي الى ممر خيبر · الروس حريصون جدا على أن يقبضوا على هذا الممر التاريخي الذي يؤدي الى بشاور ومن ثم الى سهول البنجاب وهي قلب باكستان ، ولكنهم أحرص على أن يكونوا على حدود ايران انهم يكدسون قواتهم اليوم في منطقة زابلستان شمالي بحيرة زارنج وكذلك في سجستان · انهم يستطيعون دخول ايران من هناك بسهولة لان اقليم سجستان اقليم بحيرات مالحة وصحار · من هناك المسافة بينهم وبين هرمز او بندر عباس لا تزيد على ٣٠٠ كيلو مترا تقطعها الدبابات في اربع ساعات لتكون عند عنق الخليج . ان المتفائلين يظنون ان الروس يريدون ان يستولوا على آبار النفط في شمال الخليج وغربه اولا ولكن العارفين بطبيعة هذه الحركات العسكرية يعرفون أن الأهم هو القبض على عنق الخليج · هناك حيث رأس مسندم الداخل في بلاد مملكة عمان سيتحدد المصير · وامارة راس الخيمة التي لم يسمع اهلها صوت المدافع منذ ايام البرتغاليين والصراع مع الانجليز ستكون — ربما — على الصفحات الاولى من صحف العالم كله في اى لحظة · انها اقصى امارات اتحاد الامارات الى الشمال ، هنا ستدخل معركة المصير دورها الحاسم ·

هنا ستسقط طائرات الهيلوكوبتر الوف الجنود في فجر يوم والايام القادمة ستاتي باستدعاء واحد من شياطين الروس هناك ، وستكون الحجة أن الروس اقبلوا لمساعدة صديق ·

ولكن — أيها الاخوة العرب ، من منكم تحرك واحتشد واستعد لمعركة المصير ، البلايين الراقدة في المصارف لماذا لم تتحول الآن الى قنابل — ومدافع وطائرات وملايين العرب الناعسون لماذا لايحشرون اليوم في معسكرات التدريب ؟ بدلا من ذلك تجدنا منصرفين الى خصومات شخصية بل قومية ·وفي بعض الاذاعات العربية المستهدفة لا تسمع كلمة تنبيه الى خطر الروس او الشيوعيين ولكنك تسمع دفاعا عن البعث وغير البعث وتعظيما لفلان وعلان ، بينما هم في روسيا يرون هؤلاء الزعماء جميعا مشردين عما قريب في نواحي الدنيا وهم

شباب افغانستان المسلمين : اولئك يريد الشيوعيون ان يحولوهم الى شيوعيين او يعدموهم ، ومن واجبنا نحن ان ننقذهم من هذا المصير التعس · انهم شباب متفائل عزيز علينا ، لا ننسى واجبنا نحوه ··

←





عبور النهر بغرابة! لأن انهار افغانستان في مناطق الجبال هي شلالات وجداول تنحدر فيها المياه بقوة وعنف، فلا يمكن عبور النهر الا عن طريق حبال تمد في الهواء بين الجبال، ويوضع الانسان في [illegible] ويسحبه الآخرون الى الضفة الأخرى، وهنا نرى صبيا [illegible] يستخدم [illegible] الحبال التي تمد في الهواء!

أفغانستان

[illegible]

هم يستجدون ونحن نتفرج

[illegible]

تريد ان تقول العرب أن بلاد الافغان في ذاتها لا تستحق في نظر الروس تلك الغزو، فهي بلاد جبلية وعرة وأهلها اشداء كالحديد، ولو [illegible] الروسي هناك لما هو يكاسبين شيئا في النهاية، بل هم مضطرون للانفاق على الجيش هناك وقتل الكثير من الافغانيين، ولكن افغانستان رغم ذلك تستحق كل العناء، فهي المعبر الى منبع العجاد في عصرنا وهو النفط، وهي المعبر الى الخليج [illegible]

اننا نقول اليوم ان الأمل الباقي هو باكستان، ولكن اين باكستان!

وهناك ايضا فى شوارع كراتشى وراولبندى ، كما فى شوارع انقرة واسطمبول وفى شوارع العواصم العربية المواجهة للخطر الشيوعى شبان تربوا فى روسيا ، وفى اى لحظة يتحول اى واحد منهم الى نور الدين تراقى او حفيظ الله امين او ربما كارمل بابراك . بعد الذى رأيناه فى افغانستان واليمن الجنوبية لم نعد نستبعد شيئا . ان عبد الفتاح اسماعيل مسلم ولكنه يعبد لينين ، وكارمل بابراك يكتب خطابا الى آية الله خمينى يؤكد له انه لمسلم صادق وانه قام بثورته — اى ثورة يا حسرة — حماية للاسلام ! وخمينى فيم يفكر ؟ لا فى افغانستان ولا فى ايران ! انه يفكر فى ابنه الذى قتله الشاه وفى الثأر الذى ينبغى ان يدرك من الشاه !

الاسلام هو الامل

فى هذا الظرف العصيب الذى نقف فيه كما وقفنا قبل سبعة قرون واثنتين وعشرين عاما امام غارة هولاكو ودخوله بغداد — لا امل لنا الا فى الاسلام . ان الهدف المقصود هو الاسلام ، لان الروس لا يخافون شيئا كما يخافون الاسلام ، وانتفاضة صادقة فى قلب عالم الاسلام قادرة على ان تهز كيان الاتحاد السوفييتى من اقصاه الى اقصاه . فان ست جمهوريات سوفييتية اسلامية تئن تحت نير الشيوعية ستتحرك ، وتركمانستان واوزبكستان وطاجيك وقرغيزيا وقازكستان ستتحرك ، وهنا بالذات مراكز الصواريخ الروسية ، هنا قلعة السوفييت .

ولكننا لا يجوز لنا ان نعلق متاعبنا كلها على اكتاف الدين . لقد اهدانا الله الاسلام لندافع عنه ونحميه فاذا بنا نضعف من حمل امانته ونلجأ اليه كل يوم للحماية والانقاذ . ثم ان المتحدثين باسم الاسلام هم ابعد الناس اليوم عن اى تفكير من النوع الذى نتحدث عنه فى هذا المقال .

لماذا لا نكون صادقين مرة فى حديثنا عن الرسول الاعظم والصحابة والتابعين ونقتدى بهم بالفعل لا بالكلام ؟ لماذا لا نجد مرة ونثبت اننا أهل لهذا الدين لماذا لانجمع صفوفنا كلها ونخوض معركة الشرف كما رسمها لنا سيد المرسلين .

لماذا لاننسى تفاهات خصوماتنا وننظر للامور كما ينبغى ان ينظر اليها الرجال ؟

وماذا ينقصنا ؟

الرجال ؟

انظر الى شوارع بلادنا وازقة قرانا تجدنا نشكو تخمة الرجال او — بتعبير اوحد — تخمة الافواه التى تطلب الغذاء ولا شىء غير الغذاء .

المال ؟

انظر الى حساباتنا فى مصارف الدنيا والى الذهب الذى اهدانا الله اياه من باطن الارض ، ثم انظر كيف نتصرف فيه ، اننا نعبده كما عبد آل اسرائيل — عجل الذهب . نعبده دون ان نتنتفع به .

لا الرجال ينقصون ولا المال .

الذى ينقص عزم الرجال وايمان الرجال وعقول الرجال ..

وهذه ليست موعظة تلقى فى مسجد ولا كلاما يقال تزجية فراغ .

انها دعوة لكل مسلم لان يحترم نفسه ويثبت انه جدير بالاسلام .

انها صيحة الى كل عربى يزعم انه ينحدر من اصلاب عدنان او قحطان ! ●

د . حسين مؤنس



قرية افغانية في الجبال . بيوتها كلها من الخشب متراصة على نسق كما ترى في الصورة . هؤلاء الناس يعيشون حياة كلها شظف ومتاعب ولكنهم كانوا سعداء بالحرية ، والآن يريد الشيوعيون ان يسلبوهم اياها ...

مع جيمس جويس

● ماهر شفيق فريد ●

● كتب جبريل جوزيبوفتشى فى صحيفة « ذاسنداى تايمز » مقـــالة عنوانهـــا « فى اثر جويس » وذلك بمناسبة صـــدور كتابين جديدين عن الروائى الايرلندى جيمز جويس : « مرشد الدارس الى جيمز جويس » من تاليف ماليو هود جارت ، وقد صدر عن دار « راوتلدج وكيجان بول » للنشر ، و « اصوات جويس » لهيوكنر عن دار « فيبر » للنشر .

يقول كاتب المقالة : لو لم يوجـــد « جويس » لتعين على اساتذة الادب ومعلميه ان يخترعوه . ان اعمـــاله تصرخ منادية بالشرح والهوامش وحل الغاز الكلمات المتقطعة التى تولع بهـــا عقول الاكاديميين . فالكتب التى تدور حول روايات « جويس » ، كالـكتب التى تدور حول قصـــائد « ملتن » ، تستطيع حقيقة ان تساعد القارىء على نحو لا نجد معه ان الكتب التى تدور حول جون دن ، او ت . س . اليوت ـ تساعده .

وعلى ذلك فاننا نرحب بـ « مرشـــد الدارس الى جيمز جويس » . وعندما يكون صاحبه رجلا فى مثل لوذعيـــة « هودجارت » وانسانيته ، فان ترحيبنا يتضـــاعف . وعلى الرغم من أن كـــتابه قصير متواضع فانه ليس بحـــال مـــن الاحوال مجرد تلخيص لما كتبه الدارسون من « جويس » . ان « لهـــودجارت » آراءه الخاصة فى رقعة واســـعة من الموضوعات ، وهو أكثر اهتمـــامـــا بالموسيقى من أغلب رجال الأدب (وهى ميزة كبيرة لدارس جويس الذى كـــان هو نفسه خبيرا بالموسيقى والغناء) كما انه يصدر دراساته المفصلة لكـــل عمل من اعمال «جويس» بتحليـــلات لتاريخ ايرلندا وادبها تعين على وضـــع « جويس » فى سياقه .

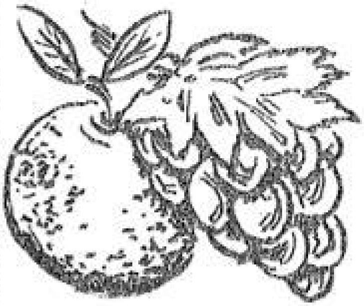
ومع ذلك فان هذا النوع من الكتب لا يترك المرء على راحته مهمـــا كانت موهبة مؤلفه . قارن تعليق هودجارت على مسرحية جويس المسماة «منفيون» بتعليق « هيوكنر » على نفس المسرحية تجد ان « كنر » هو الاكثر امتيازا ..

يقول هودجارت : « ان « منفيون » (١٩١٨) مسرحية جويس الوحيـــدة تحية لاستاذه العظيم هنريك ابســـن واستكشـــاف لمشكلات جويس الزوجية ، وفيما عدا ذلك لا يوجد الكثير مما يمكن أن يقال عنها » ، و « كنر » ـ هـــو الآخر ـ لا يبوىء المسرحية مكانا عاليا ، وهاك ما اختار أن يقوله عنها : « لقـــد كان جويس بحاجة الى ان يكتب شيئا ليس فيه وجهة نظر ولا راو من اى نوع ، شيئا موضوعيا » كلية ، شيئا تكون وجهة النظر الوحيدة فيـــه هى وجهة نظر المتفرج متفهما ما يمكن تفهمه من الشخصيات عندما لا يتوافر سوى احاديثها وسلوكها . ما الذى يحـــدث عندما يخرج راوى القصة من نطـــاق قصته الى هذا الحد ؟ عندما يكـــون الكاتب هو « جويس » ، فالذى يحدث هو أنه يفقد سيطرته عليها » .

ان « كنر » ـ بمعنى آخر ـ لا يكتب مرشدا وانما يقدم اطروحة . فهـــو لا يتناول اعمال « جويس » على انهـــا مادة بحاجة الى ان ترسم لها خرائط وانما على انها جزء من عملية استكشاف مستمر ، بحث بالنسبة « لجويس » مثلما انه بحث بالنسبة لنـــا .. ان « منفيون » ليست فى نظره مجـــرد « مسرحية جويس الجديدة » توصف ثم يصدر عليها حكم ، وانما هى اختيار واتجاه ممكن .. وهو حين يوضح لنـــا انها كانت بالنسبة « لجويس » اتجاها خاطئا ، انما يلقى الضوء على الطبيعة الحقيقية لـــما حققه «جويس» ، عنـــدما يعثر على الاتجـــاه اللازم لعبقريته . ● ●

تذكرة طبية

فواكه الشتاء



● د . السيد الجميلى ●

البرتقال

● من نعم الله على البشر ان يكون توافق الطبيعة مواتيا لطبيعة الجسم الآدمى فى الشتاء ، اذ يظهر البرتقال فى هذا الفصل ليناسب جو البرد وحاجة الأبدان الشديدة لما يحتويه البرتقال من نسب عالية من فيتامين ج اذ يحتوى المئة جرام منه على ٥٠ " ملليجرام " من فيتامين ج . وهذا يؤدى بطبيعة الحال الى تدعيم جدر الشعيرات الدموية المحتقنة والملتهبة من فعل المناخ البارد الذى يمتص حرارة الاجساد هذا فضلا عن احتوائه على فيتامين « هـ » المعروف بالسترين وهو مادة منظمة لعملية الانتشار الغشائى .

وللبرتقال فوائد طبية عظيمة الشأن اذ ان له تأثيرا قلويا ، وهو لذلك مناسب لمن يشكون من حموضة الجوف ولهم ان يشربوه عصيرا ، حتى يعادل هذه الحامضية الضارة احيانا .

ومن الأفضل ان يؤخذ البرتقال بعد الوجبات حتى يسهل عملية الهضم وينبه الغدد ويسهل فرز اللعاب كما يمارس مهمة تنشيط بعض الخمائر المعدية الهاضمة لمادة البروتين ، وملين للهضم منبه لافراز الصفراء الكبدية مهدىء للأعصاب ، محرك لشهوة الطعام .

اليوسفى

ويقارب البرتقال فى فوائده الجمة ونفعه العظيم ، بيد ان مغلى قشور اليوسفى تفيد كثيرا فى امراض الجهاز الهضمى والضعف العام ، وقد استخدمت بدوره قديما كلبخة لعلاج امراض كثيرة

وما أجمل اعطاء عصير اليوسفى الى الأطفال الرضع من الشهر الثالث للولادة .

وحبذا لو تناولته الأم الحامل او المرضع لتقوى بنيتها وعزز مقدرتها ونشطها على شهور الحمل .

ليمون البنزهير

وكلمة بنزهير فارسية معناها « مضاد السموم » وهو يعالج كثيرا من امراض سوء التغذية ، كما أن له فوائد أخرى كثيرة فى الأمراض المختلفة، وقد اكتشفنا فعالية مادة السترين التى يحتوى عليها ــ فى تقليل كثافة الدم ، كما أن مادة سترات الصوديوم منشطة لافرازات الكبد

ويفيد الليمون البنزهير فى شفاء اوجاع الاسنان ويشفى امراض اللثة كما يبرىء التهابات الحنجرة والقصبة الهوائية كما يوقف النزيف ، ويعادل كثيرا من السموم . وقد افاد فائدة اخرى فى علاج داء الملوك واوجاع الروماتيزم ●

لكل شهر عربي قصة :

شهر رجب

● مصطفى الشهابي ●

● رجب هو اسم الشهر السابع من شهور السنة الهجرية ، وكان يسمى في الجاهلية « الاصم » لانه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا تحرك لقتال او قعقعة سلاح ، لاعتباره من الاشهر الحرم .

وقولهم اصم هو كقولهم « ليل نائم » وانما النائم من في الليل ، كان الانسان في شهر رجب اصم من صوت السلاح كما كانوا يسمونه « منصل الال » و « الال » او « الال » « بكسر الهمزة » هي ادوات الحرب من رماح وسيوف وحراب وغيرها ، ونصل السيف من قرابه اي اخراجه ، ذلك لان هذه الادوات كانت تنزع من نصالها او تغمد في آخر ليلة من جمادى الاخرة لكيلا تستعمل في شهر رجب .

وتسمية رجب بهذا الاسم حدثت قبل الاسلام ، وهي من الترجيب اي التعظيم لان « مضر » ، كانت تعظمه في الجاهلية ، ولذلك نسب اليها وسمي « شهر مضر » ، وقد اشار الى هذه التسمية الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع ، عندما تحدث من الاشهر الحرم فقال : « ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » تمييزا له من « رجب ربيعة » وهو شهر رمضان ، لان العرب قبل الاسلام كانوا يؤخرون حرمة رجب من شهر الى شهر ، فيتحول من موضعه الذي يختص به ، فبين لهم رسول الله الكريم أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان ، وقد اقر الاسلام حرمته وسماه الرسول « شهر الله » .

ويسمى رجب كذلك « بالفرد » وهي تسمية شرعية لانفراده من بقية الاشهر الحرم ، كما يسمى شهر « الرجم » لان الشياطين ترجم فيه ، لئلا يؤذوا المؤمنين .

وقد خص ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، هذا الشهر بكتيب اسماه « تبيين العجب بما ورد في فضل شهر رجب » وفيه ذكر ان لرجب ثمانية عشر اسما ، اشرنا الى بعضها ، وأضاف اليها اسم « الاصب » لانهم كانوا يقولون ان الرحمة تصب فيه صبا ، وأضاف كذلك اسم « شهر العتيرة » وهي ذبيحة كانت تذبح لغير الله في الجاهلية في العاشر من رجب وقد حرمها الاسلام وحلت محلها الاضحية ، كما ذكر اسماء « الاحب » و « المطهر » .. الخ ومعناها ظاهر .

وكان العرب يرون في رجب افضل واسرع الاوقات لاجابة الدعاء ، ولذلك كان المظلوم يرجئون الدعاء على الظالم حتى يحل رجب فيدعون بما شاءوا . وكانوا يسمون آخر ليلة من الشهر السابق للشهر الحرام « فلتة » يسارعون فيها الى الاخذ بالثار حتى لا يفلت العدو .

روى ان « عاصم بن الاشعر » علم ان « الخنيفيس الضبي » قتل اخاه في آخر يوم من جمادى الاخرة فلحقه لتوه قبل بدء شهر رجب وقتله قائلا : « العجب كل العجب بين جمادى ورجب ! » فذهبت مثلا .

ومما يتقرب به الى الله كثير من المسلمين في هذا الشهر ، زيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي

تسمى « الزيارة الرجبية » ثم يزورون بعدها مكة لاداء العمرة .

***

وقد اعتمر الرسول عليه الصلاة والسلام في رجب واقتدى به بعض خلفائه وصحابته وكان يستحب الدعاء فيه، وقد روى انه كان اذا دخل رجب قال : « اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان » .

ونهى الرسول الكريم عن اتخاذ رجب موسما دينيا بقوله : « لا تتخذوا شهرا عيدا ، ولا يوما عيدا » ولا يدخل في ذلك النهى أيام الاعياد الاسلامية المعروفة . وقد روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يضرب أكف الصوام في رجب ليفطروا .

اهم احداث رجب :

واهم احداث رجب ، قبيل الهجرة هو الاسراء برسول الله من المسجد الحرام « مكة » الى المسجد الاقصى « بيت المقدس » حيث عرج به الى السموات السبع ، يقول تعالى : « **سبحان الذى** اسرى بعبده **ليلا من المسجد الحرام** الى المسجد **الاقصى** ، **الذى باركنا حوله** ، لنريه من **اياتنا** ، **انه هو السميع البصير** » وكان الاسراء ليلة ٢٧ رجب وفي تلك الليلة فرض الله على الرسول والمسلمين الصلوات الخمس . ولا يتسع المجال لبيان الحكمة في الاسراء والمعراج وكان الاسراء والمعراج بمثابة بشرى للرسول بان دينه سيظهر ويظفر ويمتد نوره الى المسجد الاقصى وما حوله . وتكريما لتلك الذكرى تتلى قصة الاسراء والمعراج في احتفال حاشد في ليلة ٢٧ رجب في كبرى المساجد بالبلاد الاسلامية .

ومن المصادفات التى جرت في يوم ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ ، هى فتح صلاح الدين للقدس وتحريرها من الصليبيين بعد ان احتلوها عدة سنوات

وفي رجب جرت بضع سرايا وغزوات ، اولاها في السنة الثانية للهجرة وهي سرية عبد الله بن جحش الى « نخلة » قرب مكة لترصد اخبار قريش ، ولكن عيرا القريش مرت بهم فاستولوا عليها وقتلوا احد سائقيها واسروا ثانيا وهرب الباقون ، وكان ذلك في آخر يوم من رجب فلما عادت السرية الى المدينة شاع انها قاتلت في الاشهر الحرم ، وعابت ذلك قريش واليهود ، كما عنفهم المسلمون ، وقال لهم عليه الصلاة والسلام : « ما امرتكم بقتال في الاشهر الحرم ! » فندموا فانزل الله تعالى في سورة البقرة : « يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل . »

فسرى عنهم .

وآخر السرايا كانت سرية خالد بن الوليد في السنة التاسعة وفيها انتصر خالد على اعداء الاسلام واسر قائدهم

واشهر من ولدوا في هذا الشهر الزمخشرى « ٤٦٧ هـ » وابن بطوطة « ٧٠٣ هـ » والسيوطى « ٨٤٩ » وعبد القادر الجزائري « ١٢٢٢ هـ » وقد توفي في نفس الشهر عام ١٣٠٠ ثم البارودى « ١٢٥٥ » ومصطفى كامل « ٢١٩١ » ومصطفى صادق الرافعى « ١٢٩٨ » .

اما اشهر من توفوا في رجب فنذكر منهم معاوية عام « ٦٠ » وعمر بن عبد العزيز « ١٠١ » والحسن البصرى « ١١٠ » والشافعى « ٢٠٤ » وابن قتيبة « ٢٧٦ » وابن زيدون « ٤٦٣ » وابن خلكان « ٦٨١ » وزعيم مصر الاقتصادى طلعت حرب عام ١٣٦٠ وجدير بالذكر انه اوصى ان تكون ذكرى وفاته بالتاريخ الهجرى ، ثم المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر .

اما اشهر الاحداث في تاريخ مصر الحديث فهى افتتاح مجلس النواب في عصر اسماعيل عام ١٢٨٣ ثم افتتاح دار الكتب عام ١٢٨٧ ، واخيرا خلع اسماعيل عام ١٢٩٦ .

بقى حادثان اهتز لهما العالم الاسلامي وهما الغاء الخلافة الاسلامية في تركيا عام ١٣٤٢ ثم استيلاء اليهود على المسجد الابراهيمى بمدينة الخليل عام ١٣٨٩

نتيجة مسابقة

عدد يناير ١٩٨٠

هذه هي نتيجة المسابقة الرابعة « اقرأ الهلال واكسب جائزة » - عدد يناير ١٩٨٠ ومسابقات الهلال في الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا ، اذا شاء الحظ وكان من الفائزين ..

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء أن يقرأها ، ويبدى رأيه فيها ، وهذه هي الغاية التي نرمى اليها من وراء هذه المسابقات ، أما الكسب المادى فرمزى فحسب .

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم في المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة ، وأجريت القرعة بينها ..

وفيما يلى اسماء الفائزين في مسابقة شهر يناير ١٩٨٠ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا في مسابقات اعدادنا القادمة ..

الجوائز وأسماء الفائزين

الجائزة الأولى ، وقدرها خمسة جنيهات : محمد عبد الفضيل عبد القادر ٣ شارع توفيق مجاهد - حدائق القبة - القاهرة

الجائزة الثانية ، وقدرها ثلاثة جنيهات : احمد فخرى ثروت - مديرية الثقافة بالخارجة - محافظة الوادي الجديد .

الجائزة الثالثة ، وقدرها جنيهان : محمد محمد ابو الشيخ - مدرسة جابر ابن حيان الخاصة - السيدة زينب - القاهرة .

الجائزة الرابعة : وقيمتها اشتراك لمدة سنة في مجلة الهلال : المنجى فرحات - حومة السوق - جربة - الجمهورية التونسية .

الجائزة الخامسة ، وقيمتها اشتراك لمدة سنة في مجلة الهلال : ناعيم أحمد - شارع المسجد رقم ٥٣٨ - الريش المملكة المغربية .

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر مارس ١٩٨٠

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من « الهلال » ؟ ..

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من « الهلال » يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ..

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا .

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجود به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة . والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز .. : الأولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال » .

وستعلن نتيجة هذه المسابقة فى عدد مايو ١٩٨٠
آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من ابريل ١٩٨٠

● الأسئلة ●

س ١ من القائل : « العمل سلعة تباع وتشترى » ؟

ج : . . . . (مقال . . . . .)

س ٢ : أى أدباء العرب سبق ديكارت الى الحديث عن الشك كمنهج فى البحث ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٣ : كم عدد رسائل اخوان الصفاء

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٤ : من مؤلف كتاب كشف الظنون ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٥ : اين ولد ابن خلدون ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٦ : فى اى شهر كان الاسراء ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٧ : ما معنى كلمة « بنزهير » ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٨ : لمن يدين مالك بن انس فى شهرته وانتشار مذهبه ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ٩ : ما اهم وسائل التثقيف ؟

ج : . . . . (مقال . .. . .)

س ١٠ : بماذا اشتهر فرويد ؟

ج . . . . (مقال . .. . .)

كوبون مسابقة : اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد مارس ١٩٨٠ .

الاسم : ــــــــــ السن : ــــــــــ

العنوان : ــــــــــ

أجمل وجه

اليها في عيدها ..

• تاج الدين سلامة نوفل •

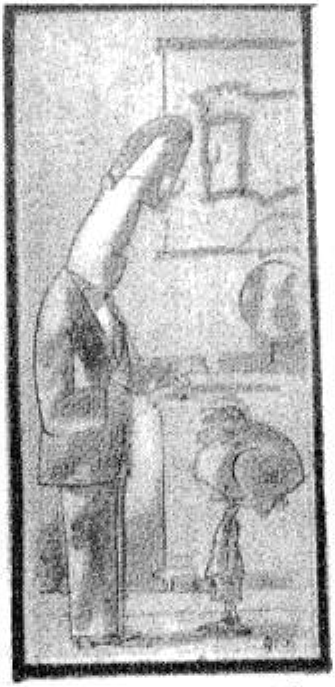
اجمل وجه تحت الشمس
وجه كم اشرق لا يمسى !
يابى ان تغمض عيناه
او يحظى بسكينة نفس
حتى تكتمل كواكبه
ويعود القمر الى الشمس
فاذا جن الليل عليهم
ملكا يتلألأ بالانس
ضمتهم تحت جناحيها
ليناموا في حرم قدسى
قد ينسى كل واجبه
فالدنيا سوق قد ينسى
والام تقوم بواجبها
لا تنسى حاجة ملتمس
ولها قلب يسع الدنيا
لا يعرف ما معنى الياس
تعمل في رفق صامتة
كفراش يعمل في همس
والقلب بين يدى الله
لتؤدى الصلوات الخمس
تسرى نورا في الظلماء
وتفيض رخاء في البؤس
طيبة كالطيب الحر
مخلصة مرهفة الحس
طاهرة من كل خبيث
طهرها الله من الرجس
فلها رؤية صانع جيل
واصول في علم النفس
هى ملكة اعظم مملكة
وملاك في صورة انس
تملك دون ملوك الدنيا
مفتاح دخول الفردوس
ام في عز امومتها
وعروس في اجمل عرس
فهى السدفء وهى الانس
وهى الرحمة حين الباس !

كاريكاتير

جيل جديد جداً !

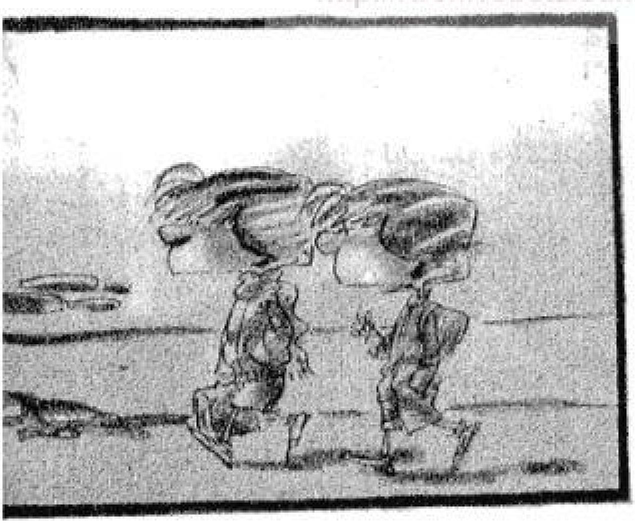
الولد لابيه : حضرتك طول النهار قاعد تقرا جرايد .. وانا طول النهار شغال فى المذاكرة .. يبقى مين بقى اللى بيشتغل فى البيت ده ومين اللى بيلعب ؟ !

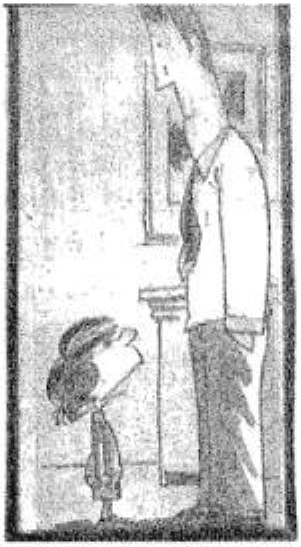




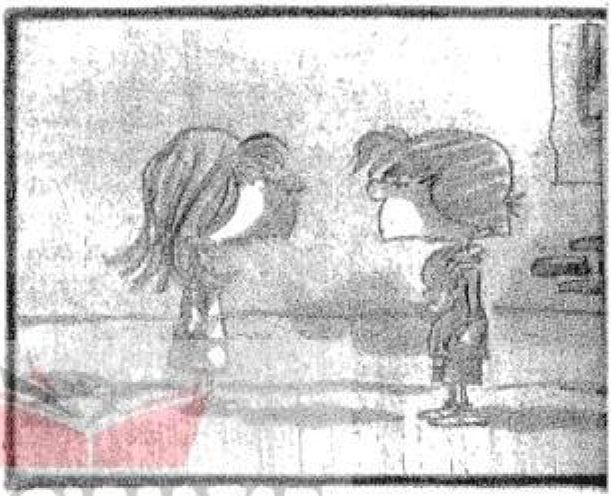
الولد لابيه : كل ما تشوفنى تقوللى اعمل الواجب !.. اعمل الواجب . ما فيش مرة مثلا ، تقوللى اعمل معروف وتعال نتناقش فى قضية افغانستان ؟ !

الولد لصاحبه : هى دى المشكلة ! .. لا يعزمونا فى مؤتمر دراسة مشاكل الاطفـال ، ولا يعطونا امكانيات نعمل احنا مؤتمر لدراسة مشاكل العيال ! ..

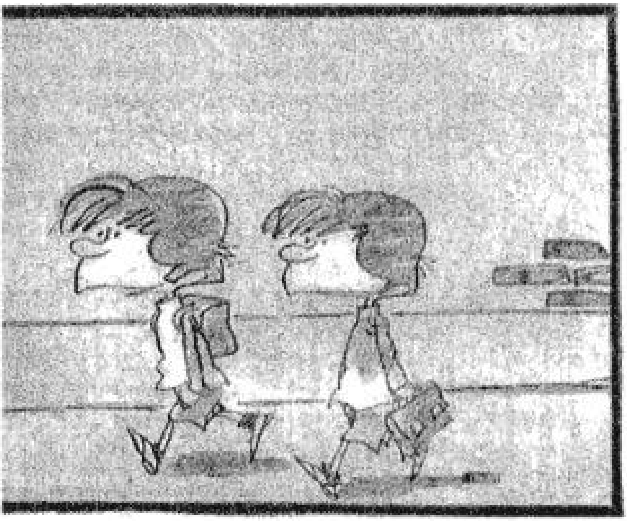




الولد لابيه : الحقيقة يا استاذ بابا انك بدل ماتشتكي من الاسراف والمصاريف و ... والخ ... اديني انا ماهيتك وفلوسك ، وشوف بقى انا ح اتصرف ازاي !..



الولد للبنت : يا عزيزتي الدنيا اتغيرت .. البنات الايام دي على قلقا من يشيل .. يعني اللي ماوزالى الجوزها ، تحمل ل ماهيه من دلوقت ! ..



الولد لصاحبه : وانا دلوقت - كلام فى سرك ! - رايح اقابل سيادة الوزير اقدم له تقرير عن رأيى فى مستوى التعليم اللى مش عاجبنى ! ..

الناس والعصر

١٧

● نصر الدين عبد اللطيف ●

••••••••

لفر الله بالحب وبالحضور البهيج عيد ميلادك ...
وجنبك ان تستقبل العيد بابتسامة حزن !
لقد آنست غربتى ، امسية امس ، ملامح من سجاياك وقسماتك ! ..
وعلى غير لقى وتعارف – عرفتك ! ..
كنت وحدى فى زحام بهو الانتظار ، بالمطـــار ... وعلى المسرة قريبى وبمسمع منى ، صاحبة لك تحدث عنك صاحبة لها !..
... يالوحشة المجهول فى عمق النفوس المهاجرة ! ..
تتنفسين الغربة بين من حولك حتى فى حفاوتهم بعيدك !؟
لكن عيدك – لو تعلمين – يوم النضارة والمسرات ومولد « التانجو » !
ففى مثل يوم عيدك – فى الحادى عشر من ديسمبر – ولدت هـذه الرقصة الموسيقية البديعة ..

كان مولدها منذ سنين بعيدة ، فى البلد الذى تطل عليه مرتفعـــات الانديز ، وتغطى قممه وبراكينه الثلوج – فى الارجنتين !..

ومن هناك ، هاجرت « التانجو » الى الولايات المتحدة ، لتزدهر وتنتشر .. رقصة رشيقة ، هادئة ، تتميز بخطواتها الفسيـــحة ، مع الدوران التدريجى داخل دائرة يضيق نطاقها رويدا رويدا ، وينســـاب ايقاع الموسيقى فيها رباعى الخطوات ! ..

ولقد ساحت « التانجو » فى الدنيا ، فشرقت وغربت .. ولكنهـــا لم تستشعر الغربة .. فقد ذهبت تنثر الحب ، وتلطفه ، وتمنح اللحظـــات المفعمة عذوبة ، واناقة ، ودفئا ...

وكانت دائما فى دائرة اعتزاز وطنها الام ، حتى لقد صدر هناك اخيرا قرار جمهورى باعتبار الحادى عشر من ديسمبر – يوم مولد « التانجو » – عيدا قوميا يحتفل به رسميا كل عام ، وفى كل انحاء الارجنتين ...
ويا ابنتها العزيزة التى عيدها « التانجو » !

لقد تحركت الاضواء بنبأ جديد فى لوحة المواعيد ، فتحركت صاحبتك تطوى حديثها ، وتنساب متعجلة تذوب فى الزحام ...
وبقيت لى ملامح قليلة عنك ... واحلام كثيرة معك !
فى الاحلام ... ان تتفتح مغانى الفكر والشعر فى سماوات الملهمين ، ترد عنك – وعنى – غربة الروح !

● هل يزهر في قلبك الغناء .. والعيد قد فات ؟!

وفي الأحلام •• أن أجيئك على طائرة بيضاء •• نحلق الى مهرجان « التانجو »هناك ، في الجمهورية الفضية البعيدة ، ونعيش عيدك عيدين في وقت معا !•••

و •• آه ، لولا أن ذلك وهم وقبض الريح ! ••

والا •••

فهل يزهر عندك الغناء ، والعيد قد فات ؟!

وكيف ••• كيف المجيء اليك على غير عنوان ؟! ••

● جو يبدع الفرسان والشعراء ●

كل شيء هادئ ••• في أحد شوارع العصر •••

أضواء شارات المفارق في الأحمر •••

تعطل انسياب المرور واختنق •••

هي وهو في عربة أنيقة وسط حشد العربات المتوقفة في زحام يملأ نهر الطريق حتى الحافتين ! •••

هو : ــ (ينظر في ساعته ، ويتنهد) آه •• فات الميعاد !

هي : ــ تأخرنا •••

هو : ــ كالعادة ••• الزحام واختناقات المرور !

هي : ــ خسارة ••• وسيارتنا جديدة !

هو : ــ الآن ، والطريق مسدود ، لا فضل لجديدة على قديمة ! •

هي : ــ فعلا •• كلها الآن « محلك سر » !

هو : ــ وكلها الآن ، أحسن وأسرع منها : الجمل !

● جواب •• لكل سؤال ●

... وهكذا ، فان الذى ــ كل الذى ــ نشر وينشر في « الهلال » ، هو حصاد مدرسة استاذنا الكبير رئيس التحرير ..

ويبقى الناس والعمر ، فسيوف مناسبات .. يضيق بنا المهرجان ، عادة، فترد الى ماوراء « الهلال » وينفسح ، احيانا ، فنساق الى ما بعد بعد ..حتى اخر الصفحات ، في الذيل ، هناك ، على يدك الشمال !

الله احمد •••
به اتقى ••
وهو بالغ أمره ••

هي : هاها .. فعلا !
هو : اذن ، ما رايك .. نبيعها : السيارة ؟!
هي : ـ آه .. و .. وماذا تكون مواصلاتنا بعدها ؟
هو : ـ الجمل !
هي : ـ الجمل .. لا تعطله اختناقات المرور ؟!
هو : ـ والفسحة عليه عظيمة !
هي : ـ في الصحراء ؟!
هو : ـ ارض الله ...
هي : ـ واسعة .. براح ! ..
هو : ـ تصوري ... ونحن معا هناك ...
هي : ـ في الصحراء !
هو : ـ (يتخيل) انت وانا والجمل .. جملنا !
هي : ـ (متجاوبة) آه ...
هو : ـ (مسترسلا) والرمال ... بحر الرمال ، والهواء ، والنخيل !
هي : ـ (حالمة) جميييييل ! .. جميل !
هو : ـ والجمل يمشي بنا ، يتخطر ، و ...
هي : ـ لا ،لا .. يوقعني ! .. اقع ...
هو : ـ امسكيني ... تعلقي بي ! ..
هي : ـ ولكن ... دع الجمل يقف ، ويجلس ! .. انا خائفة !
هو : ـ انت يلزمك هودج !
هي : ـ هودج ؟!
هو : ـ محمل ، فوق الجمل ، له قبة ، وعليه ستائر ، و ...
هي : (باسمة) صالون ؟ .. صالون جمل !
هو : ـ لكنه مريح ، وامان ، يسعك والأطفال ...
هي : ـ آه ، اطفالنا ...
هو : ـ لكنهم بعد أن يكبروا ...
هي : ـ سيكبرون بسرعة !
هو : ـ ولم لا ؟ .. عندهم هنا أم رائعة ،وجو يبدع الفرسان والشعراء!
هي : ـ جو يبدع !
هو : ـ ... تقدمين لهم منه ما كانت تقدم لابنائها صاحبة الأصمعي !
هي : ـ من صاحبة الأصمعي ، وماذا كانت ...
هو : ـ اقول لك ... : قال الأصمعي : رايت امراة من العرب ، تأتي بصبية لها كل يوم قبل الصبح ، فتقف بهم عل تل عال ، وتقول : اي بني .. خذوا صفو هذا النسيم قبل ان تكدره الخلائق بانفاسها ! ...
هي : ـ الله ! ..
هو : ـ ولكن .. آه هذه الضجة المفاجئة والصخب ؟!
هي : ـ انها أبواق السيارات وراءنا ، وحولنا !

● ها هنا، كما ترين، يبيع الفرسان والشعراء ..
● إعلم أيها الشاعر العظيم أنى ...

هو : ــ فعلا ! .. الطريق يتفتح .. بدأوا التحرك هناك الى الامام ..
هى : ــ طردوا منا الحلم ، والصحراء ، و ...
هو : ــ وضيعوا الجمل !
هى : آه .. الجمل !
هو : ــ فلنتسرع الآن ...
هى : ــ الى موعدنا الذى فات ؟
هو : ــ لا ، لا ... الى سوق الجمال !

● اعلم ايها الشاعر العظيم ... ●

لا يهم أننا ، هو وانا ، نجدد الوعد كل حين للقاء لا يحين موعده ! ..
يكفى اننا حول شعره جد مختلفين رأيا ورؤية !
لقد عرفته فيما كتب لى وقرات له ، بصيرا بفن الشعر ، واثقا ، حسن الاداء ... لولا انه يلمس جراح القلب كلفة ، ويأخذ الناس والاشياء من ظواهرها ! ..
لست ارى له عندى بعد ما يمكن أن يقال ...
لا انا عملاق ... ولا هو أمير !
والا فلعلى كنت ــ والقياس مع الفارق والفارق بعيد ! ــ اقول له ماقال العقاد العملاق ، فى الديوان ، لشوقى أمير الشعراء ... :
اعلم ايها الشاعر العظيم ، أن الشاعر من يشعر بجوهر الاشياء ، لا من يعددها ويحصى اشكالها والوانها ! ..
وليست مزية الشاعر ان يقول لك عن الشيء ماذا يشبه ، وانما مزيته ان يقول لك ما هو ، ويكشف لك عن لبابه ، وصلة الحياة به ...
وما ابتدع التشبيه لرسم الاشكال والألوان ، وانما ابتدع لنقل الشعور ... وبقوة الشعور وعمقه يتميز الشاعر ! ...

● ليل ، على كل عين لا تنام ــ طويل ! ●

شمس النهار الى مغيب ...
والشارع العريض زحام وصخب ...
وانا ، مثقل باحمالى من الأوراق وكتبى ... اتلمس نجدة موصلة الى بيتنا البعيد ...
ومن الضفة الاخرى لنهر الطريق ، يلمحنى سائق « تاكسى » ، فيعطى

كل براعته للفتة مفاجئة ينحدر بها نحوى ، حتى يتوقف عند حافة قدمى ، واهتف له عجبا وحمدا ...

انا : ـ شكرا لك ... (انحنى لافتح باب السيارة) اجمل الشكر !

السائق : ـ (يمد يده يمنعنى) لا ... لا !

انا : ـ ... انا فى طريقك ، و ...

السائق : ـ (مقاطعا) لحظة .. لحظة واحدة !

انا : ـ تحت امرك !

السائق : ـ قل لى ...

انا : ـ نعم ...

السائق : ـ هذه النظارة التى ....

انا : ـ التى اين ؟!

السائق : ـ هنا ... (مشيرا بيده) على عينك !

ـ آه ، نظارتى ! .. هاها .. و .. (امد يدى الى باب السيارة) ..

ـ (معترضا) قلت لك لحظة ! .. انتظر ! ..

ـ حاضر !

ـ اهى طبية ؟

ـ النظارة ؟ .. وللشمس ايضا !

ـ مستوردة طبعا !

ـ طبعا ؟ .. تعنى بحكم تطبيع المستوردات ؟..

ـ واعنى لانها تبدو آخر صيحة !

ـ ولكن الصيحات هذه الايام لا آخر لها ! ..

ـ (يضع اللوطة الصفراء على العداد ، ويكتفى بالاشارة اليها ، ردا على كل طلب او سؤال) المهم الان ان ...

ـ (مقاطعا) المهم الان اننى ... (احرك يدى مقبض الباب) و ...

ـ (معترضا) صبرك بالله ! .. الا تعرف الصبر ؟!

ـ الا ترى انى صابر معك صبر ايوب !

ـ تقول صبر من ؟!

ـ صبر ايوب العصر يطلب « تاكسيا » !

ـ هاها .. ولكنى لا اريد الآن

ـ (مقاطعا) ماذا تريد اذن ؟

ـ ... اولا ، ان اريحك من بعض احمالك (مشيرا بيده) اوراقك هذه والكتب .. هات عنك !

ـ حسنا ! .. (اناوله ما احمل) وماذا بعد ؟ ..

ـ تتراجع ، لو سمحت ، قليلا ... الى الوراء !

ـ نعم ؟!

ـ لا ، لا شيء ... اردت فقط ان ارى نظـــارتك من جانب الوجه ... « البروفيل » يعنى ؟!

ـ ولكن .. لماذا « البروفيل » يعنى ؟!

● ليل على كل عين لا تنام ـ طويل ...
● مقبل ، مدبر .. صعق القلب له عجبًا ، وحمدًا ..

ـ لانى فى الحقيقة مغرم نظارات ! .. ونظارتك .. شدتنى ! واردت ان ...
ـ حسنا ، ولكن ... ليكن ذلك آخر ما تريد !
ـ (باسما) وآخر كلام !
اتراجع قليلا .. اتلفت له بوجهى ، طوع ما يشاء ويرضى .
... ونفسى تهمس لى تقول : وماله ! .. عارض نظـــارات فى الطريق ... تجربة جديدة ورائعة ! .. فيا رواد الطريق :
تعالوا اعينونى على الليل انه
على كل عين لا تنام طويل !
ـ (يوجهنى) يمين ! .. آه ، يسار ... فى اليســار مدهش ! .. وارفع ، ارفع راسك يا ..
ـ .. يا اخى كفاية ! ..
ـ الآن ، طلب صغير ، اخير ، ونمشى ! ..
ـ ونمشى ؟!
ـ تماما ! .. (يناوله ورقة صغيرة) تكتب اسم النظاراتى وعنوانه ،
ـ وماذا ايضا ؟
ـ وممكن توصية له ...
ـ تحت أمرك ! .. (يكتب) ... تفضل !
ـ تفضل انت ايضا احمالك ...
ـ اوراقى والكتب ...
ـ (يدير محرك السيارة) وعن اذنك !
ـ ماذا ؟ .. انتظر .. دعنى اركب !
ـ قلت لك مشغول !
ـ و .. والانتظار ، والحوار ، و ... صبرى معك !
ـ صبرك معى ! .. هاها : قلت لى انك «أيوب العصر يطلب تاكسيا»!!
ـ آه ، ولكنه ... كما ترى .. والطريق معذبه !
ـ معذبة فعلا ! .. (وهو ينطلق بسيارته) هاها ! .. معذبة .. اذن أيوب العصر يمشى عذابه ! .. يمشى !

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمي ●

● اسعد الرعاة ●

كتب عمر بن الخطاب الى ابى موسى رضى الله عنهما :
اما بعد ، فان اسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وان أشقى الرعاة من شقيت به رعيته ، واياك أن تزيغ فتزيغ عمالك ، فيكون مثلك مثل البهيمة نظـرت الى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغى بذلك السمن ، وانما حتفها فى سمنها •



● اصـحابك ●

قالت زوجة يحيى بن طلحة لزوجها: ما رايت ان اصـــحابك : اذا ايسرت لزموك ، واذا أعسرت تركوك :
فقال : هذا من كرم اخلاقهم ، يأتوننا فى حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم •



● آكل مال الله ●

ولى الحجاج اعرابيا ولاية ، فتصرف فى الخراج ، فعزله على الفور ،فلما حضر قال له : يا عدو الله أكلت مال الله •
فقال الاعرابى : لم أجد غيره ! فقـد راودت ابليس على أن يعطينى فلســـا واحدا فلم يقبل !
فضحك الحجاج من قوله وخفف عليه العقاب •

● قد نسيت ●

قيل ان زيادا ـ امير البصرة وحاكمها ـ امر بقتل رجل •
فقال الرجل : ايها الامير ، ان لى بك صلة •
فقال الأمير : وما هى !
قال: ان أبى كان جارا لك بخراسان•
فقال زياد : ومن ابوك ؟
فقال الرجل : قد نسيت الآن ، وانا فى هـذا الكرب ، اسم نفسى فكيف لا أنسى اسم أبى ؟!
فضـحك زياد وعلم انه اديب احتال فى خلاص نفسه ، فخفف الحكم عنه •



● دعاء ●

اللهم انى اسالك الثبات فى الأمر واسالك عزيمة فى الرشد واسالك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك واسالك لسانا صادقا ، وقلبا سليما واعوذ بك من شر ما تعلم ، واستغفرك مما تعلم ، انك انت علام الغيوب •

رقم الايداع بدار الكتب ٢٩٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام

النرجس المائي ..

● عن الشاعر : وليم ورد زورث ●

● ترجمة : عامر محمد بحيرى ●

تجولت وحدى ... كبعض السحا
ب فوقَ الروابى ، وأعلى الوهاد
فأبصرتُ جمعا من النرجس الـ
مُذهَّب .. جمهرة فى احتشاد
بشطِّ البحيرة ، بين الشجرْ !
تصفق راقصة فى النسيم !

***

دواما كما تستضىء النجوم
وتبرق فوقَ مسار الزمن
تمدد فى لا نهائية
بشطِّ الخليج ، امتدادَ الزمن
وتبدو عديدا بلمح البصرْ
تهز الرءوس برقص حكيم !

***

بجانبها يرقص الموجُ نورا
ولكن تبثره فى حبور !
فهل للطبيعة من شاعر
يراها ولا يعتريه السرورْ !
نظرت إليها ، ولم أفتكر
بما نلته من ثراء كريم !

***

ولما تمددتُ فوقَ الفراش
خليًّا فؤادى ، أو فى انشغال
تلألأ للبصر الباطنىْ
وتلكَ له نعمة الاعتزال
فأرقصتُ قلبى بين الزهر
وأفعمته باغتباط عظيم !



قيمة الاشتراك السنوى

بالبريد العادى : فى مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عدد • فى الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية
بالبريد الجوى : فى الخارج ١٤ دولارا أو ٩ جنيهات إنجليزية
فى البلاد العربية : سوريا : ٣٠٠ ق.س الكويت : ٣٥٠ فلسا لبنان : ٢٥٠ ق.ل
العراق : ٤٠٠ فلس الأردن : ٢٥٠ فلسا السعودية : ٤ ½ ريال

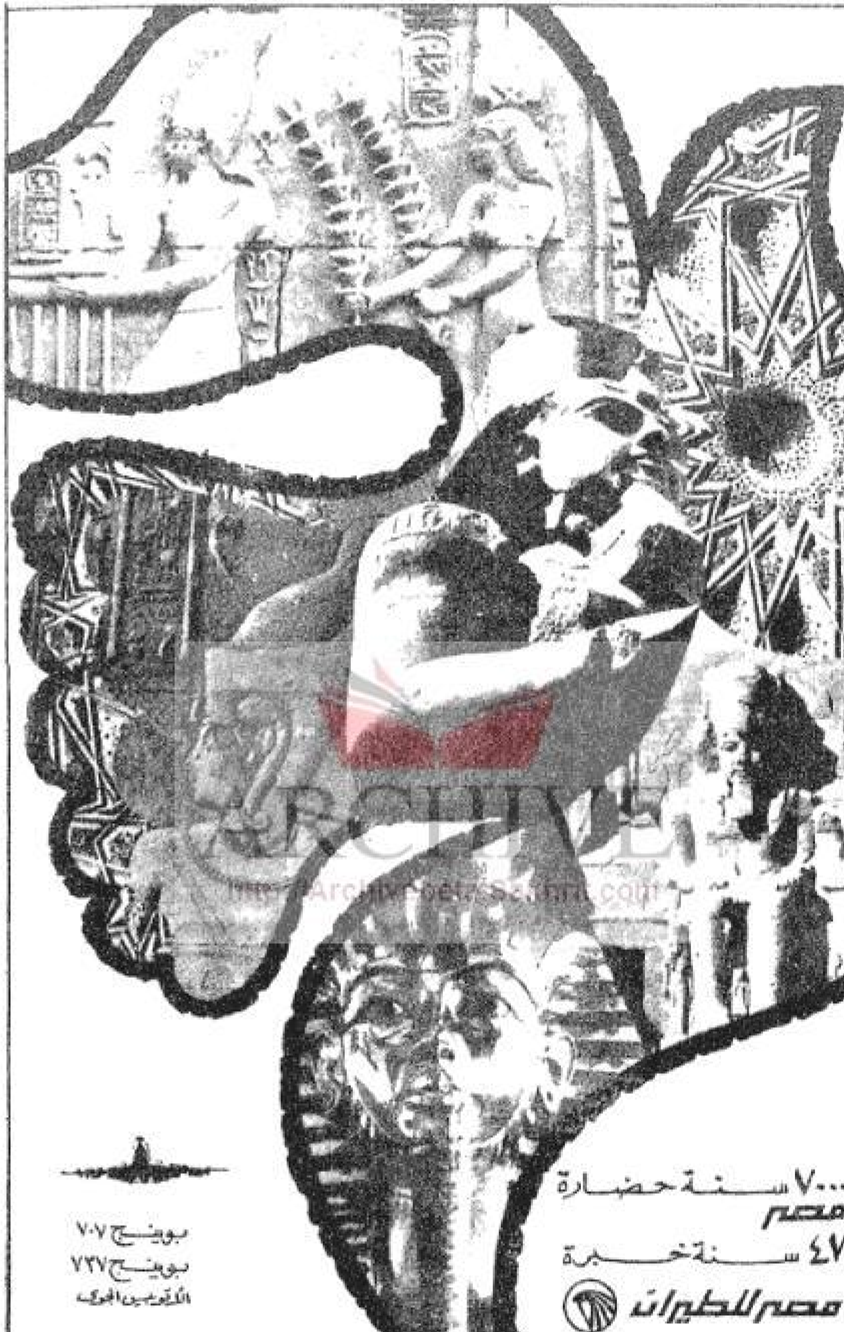
ابريل ١٩٨٠
الهلال
مجلة الفكر العربي



المرأة
كسبت العربية وخسرت المعركة !

ديرسانت كاترين (استطلاع بالألوان)

- شخصية الشهر : أديب كبير لم ينصفه عصره
- الأربعون .. زهرة شباب كل امرأة



٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٧ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأوتوبيس الجوي

كلمة الهلال

خطوط مباركة على الطريق

ان معرض القاهرة الدولى الدائر هذه الأيام ارهاص بالمستقبل الزاهر ..
لقد ألفنا قبل ذلك عشرات المعارض الصناعية . ألفناها فى كل عاصمة عربية من الرباط الى الكويت ، ولكن للمرة الأولى نرى معرضا صناعيا عربيا حقيقيا ..

انني اتحدث الى كل العرب ولهذا فاحب ان يسمعني كل العرب ، وانا سعيد بهذا المعرض لا لأنه في مصر ، بل لأنه في بلد عربي ، وهو حدث عربي كبير وهو خطوة عربية الى الامام ، لأن اى خطوة الى الأمام يخطوها عربي هى خير لكل العرب ..

في المعرض صناعات عربية مصرية ذات مستوى رفيع . للمرة الأولى تصنع الايدى العربية صناعة يمكن ان تباع فى كل بلاد الدنيا ! هنا الفشة تضاهي اجمل الفشة فرنسا وانجلترا وامريكا ، هنا ادوات منزلية لا تفترق فى شيء عما نستورده من الخارج ، هنا « موبيليا » على مستوى رفيع ، هنا معلبات يمكن ان تباع في « السوبر ماركت » في سويسرا ، هنا مصنوعات من « البلاستيك » في غاية الاتقان و « قاشاني » لا يفترق عن الإيطالي والاسباني .. هنا اشياء جميلة جدا ومفرحة جدا ..

هنا بداية جميلة لعصر الصناعة العربية ..

كنت اتمنى ان يرى العرب جميعا ذلك المعرض ، فهو لهم ، وهو غرس ايدى اخوانهم فى مصر ، وهو بداية عصر جديد لهم ..

هنا ايضا اقسام ضخمة لمعروضات من دول اوروبية وامريكية ..

هنا اقسام انجليزية وفرنسية والمانية وهولندية ويابانية والمعروضات فيها هائلة ..

ولكنني واثق باننا سنصنع مثلها غدا ..

ولكن ، اتعرف ماذا افرحني فى هذه الاقسام الأجنبية ؟

ان كل توكيلاتها بايد عربية مصرية ..

لقد تعلمنا كيف نستورد . كيف نزرع بايدينا فروعا لشجرات غريبة في بلادنا ..

وفي الماضى كان يقوم بذلك غير المصريين ..

كانت التوكيلات كلها بيد خواجات ..

كانت الارباح كلها تذهب فى جيوبهم . كنا دائما ندفع وهم يكسبون . اليوم تعلمنا اقامة التوكيلات وادارتها وتوزيع البضائع وتنظيم الادارات ..

هذه أيضا خطوة هامة على الطريق الصحيح .

خطوة لمصر وخطوة لكل العرب ..

هذا ليس مجرد معرض ..

انه علامة مبشرة بالخير على طريق النهوض ..

انه خطوة حقيقية نحو الغد ..

المحرر

فى هــــلالـــك

الهلال

مجلة الفكر العربى

جمادى الأولى ١٤٠٠هـ
أبريل ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال • أسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة الثامنة والثمانون – اول ابريل ١٩٨٠ – ١٥ من جمادى الاول ١٤٠٠ •

من «الهلال»

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى الهامة .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ويبذل الهلال ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

خصصنا جزءا كبيرا من هذا العدد لقضية المرأة وتساءلنا عما اذا كانت قد كسبت شيئا رغم الضجة التى تملأ الاسماع ، ورأينا ان يكون غلاف الهلال تعبيرا عن هذا السؤال المحير .. وها هى واحدة من بنات حواء تسأل : اين انا الآن !!

الإشراف الفنى
أحمد الورديجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ك بالبريد الجوى ١٥ دولارا او ٩ ج . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .

الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

حقوق المرأة

ليست قضية نسائية، إنها قضية الوطن كله

خسرت المرأة قضيتها لأنها أرادت أن تخسرها

وإذا أرادت أن تكسبها، فهذا هو الطريق

بقلم: رئيس التحرير

● بعد قليل سيكون قد انقضى على صيحة تحرير المرأة العربية ثمانون عاما، فماذا حققت المرأة خلال هذه الأعوام الثمانين ؟

أو – بتعبير ادق – ما الذى سمح المجتمع للمرأة بتحقيقه خلال هذه السنوات الطوال ؟

هل تحررت المرأة فعلا فى الحركة والتصرف والقول ؟

هل اصبحت تستطيع ان تتولى كل امورها بنفسها وتتصرف فى شئونها بنفس الحرية التى يتصرف بها الرجل ؟

هل تحمل المرأة العربية اليوم نصف المسئولية عن مصير الوطن كما تنبأ قاسم امين ؟

ببالغ الأسف لابد أن نقول ان المرأة لم تحقق الا جانبا ضئيلا جدا مما كنا ننتظره منها ونتوقعه لها ..

وباستثناء عدد قليل جدا من النساء وصلن الى مستويات القيادة واثبتن بالفعل جدارتهن بالمسئوليات التى يحملنها فان الباقى مازلن حيث كن من ثمانين سنة – باستثناء المظهر ..

اذا أخرجنا من الحساب سيدات من أمثال امينة السعيد، وتماضر توفيق

وحمت مصطفى ، وآمال عثمان ، وكريمة السعيد ، ممن يعتبرن حالات فردية لا يقاس عليها ، فان المرأة عندنا ما زالت حيث هي في كل شيء فيما خلا بعض مظهريات لا تقدم ولا تؤخر ..

فان أمثال أمينة السعيد كان لابد أن تظهر وتتميز حتى في أظلم سنوات العصور الوسطى ، فان الشخصية القوية والانسانة الذكية الحازمة تفرض نفسها بنفسها أيا كانت الظروف . وقد ظهرت هدى شعراوي في عصر ظلام دامس ، وكان كل شيء ضدها ، فشقت طريقها في بسالة وذكاء ووقفت نداً لسعد زغلول وطلعت حرب وطه حسين وعباس العقاد وغيرهم من فحول الرجال ..

وفي آخر العصر الايوبي ظهرت شجرة الدر وأمسكت بعنان الحوادث في عصر عصيب ، وقادت دفة الحكم حتى تآمر عليها الرجال وقضوا عليها ، ولكنها دون شك كانت أقوى وأذكى وأكفأ ممن حولها من الرجال بما فيهم الرجل الذى أرغموه على الزواج منها لكى تكتسب احترام المجتمع بمفهوم العصر ، وهو سيف الدين قطز ..

وقبل شجرة الدر بألف سنة ظهرت كليوباترا وقادت الرجال والتاريخ وقامت بدورها الكبير وماتت قبل ان تبلغ الخامسة والعشرين من عمرها ..

ولكن صيتها ما زال يدوى الى اليوم .

ولكن هؤلاء الشواذ لا يقاس عليهن .

انما الذى يقاس عليه ، هى المرأة العادية : جارتك وجارتى وابنة جارك وزوجتك وزوجة جارك الى اى مدى تقدمت فى المجتمع ..

فى المجتمع الاوروبى والامريكى حيث حققت المرأة تقدما حقيقيا تستطيع المرأة المفردة أن تقضى عمرها كله مفردة دون أن يوجه اليها انسان كلمة نقد ، تستطيع ــ فى حدود القانون والاخلاق طبعا ــ أن تفعل ما تريد دون أن يقتحم الرجال عليها حريتها ويفرضوا عليها ارادتهم كما يحدث عندنا ..

ما يحدث عندنا الى اليوم ورغم كل ما نادينا به وفعلناه ، ما زال المجتمع مجتمع رجال ، وما زالت المرأة قابعة فى مكانها وان دخلت وخرجت وتكلمت وكتبت . ما زالت هى الجانب المنهزم المغلوب فى المجتمع ، الجانب الذى يحمل أثقل المسئوليات دون شكر أو تقدير .

وما زال القانون يقف الى جانب الرجل فى كل ما يتصل بعلاقته بالمرأة رغم كل شيء ما زالت المرأة بعيدة جدا عن تحمل نصيبها من مسئولية الحياة لاننا نحن الرجال لا نريد ، وهى أيضا لا تريد .

ففى كل ما يتصل بالشكليات يبدو على السطح ان المرأة نالت قدرا كبيرا من الحرية وانتقلت من حال الى حال ..

ولكننا عندما ندخل فى الحقائق وعندما يجد الجد نجد الامور كلها فى أيدى الرجال

وما زال المجتمع يصر على غسل مخ المرأة واقناعها بأنها نالت كل حقوقهـا وأنه لم يبق حق الا نالته وتمتعت به ، وليس عليها الا ان تكمل الطـريق على بركة الله ·

اننا رغم كل شيء لا نريد الحرية للمرأة ولا نؤمن بأن من حقها ان تتســاوى بالرجال ··

ففي أعماق نفوسنا ما زلنا مكبلين بقيود ألف عام مضت من التفكير والتصرف والتعبير ··

وهل من الممكن مثلا ان يؤذن لامرأة شابة على شيء من الجمـال في ان تنزل وحدها في فندق لقضاء اجازة صيف مثلا ·· ؟

لقد طلبت سيدة أعرفها ان تذهب للاجازة وحدها لأن زوجها متغيب للعمـل في بلد عربي ، فاضطرت الى ان تصحب معها غلاما من اقاربها ليكـــون معهـا حماية لها من كلام الناس ··

وهذه السيدة تشغل وظيفة استاذ مساعد في احدى الكليات الجامعية ، وهي تحاضر وتناقش وتقوم بمسئولياتها العلمية على أحسن وجه ، ولكن المجتمع يصر على أن يلزمها مكانها القديم ، لابد أن تظهر في المجتمع في حماية رجل ، ولـو كان هذا الرجل صبيا ·· ان المجتمع الذى نعيش فيه لم يتغير مستوى تفكيره ونوعه عما كان عليه الحال من مئة سنة ، وكل التقدم شكلي ومظهري ولا زيادة·

والسبب في ذلك اننا ــ في قرارة نفوسنا ــ لا نريد ان نؤمن بحقوق المرأة ، ونحن لا نريد أن نؤمن بهذه الحقوق لأننا ــ نحن رجال العرب ــ لم نصل بعد الى درجة الثقة الكاملة بالنفس · نحن نخاف المرأة · نخاف أن نفقد مكانتنـا اذا نحن اعترفنا لها بمكانتها · هناك رجال يرون ان زوجاتهم اذكى وأقدر منهم بكثير ، يرون ان الحلول التي تقترحها زوجاتهم لما يعرض من المشاكل افضل من الحلول التي يقترحونها هم ، ويضطرون في النهاية للأخذ بآرائهن · وهنـا نجد ان مركب النقص · عقدة الرجل تجعله يحاول اهانتها لكي يثبت لنفســه انه رجل وانه ما زال السيد وصاحب الكلمة ··

وقد تأصلت عقدة الرجل هذه في نفوسنا بتوالي العصور حتى أصبحت وكأنها عقيدة أو حقيقة لا تقبل المناقشة · وهي عتيقة ترجع الى عصور الغابات وبدايات الحضارة · فسواء في أيام اليونان أو الرومان أو خلال العصور الوسـيطة كان الرجل يفرض ارادته لأنه الاقوى ولأنه هو الذي يعول الاسرة ، لأن مجالات العمل امام المرأة كانت مقفلة · انما هو عمل البيت ولا زيادة ·

ثم جاءت الاديان ، والاسلام خاصة ، فمنحت المرأة حقـــوقها ، وســـاوتها بالرجل في القيمة الانسانية والقدرة على العمل والمكانة في المجتمع ··

هنا سنحت للمرأة الفرصة التي كانت تنتظرها ··

لقد أعطاها الاسلام حرية التصرف في أموالها ، وفتح أمامها أبواب العمـل فلم يغلقها · نعم انه أمر المرأة بالاقتصاد في الزينة وبالحـــرص على الا تثير الغرائز ــ اذا كانت من الجمال والفتنة بحيث تثير الغرائز · لقد أمرهن القرآن **بأن يقرن في بيوتهن ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، ولكنه لم يقل ان تظل**

● إذا أرادت المرأة أن تكسب كل حقوقها فستكسبها، أما إذا أرادت أن تأخذها من الرجال منحة فلن تحصل قط على شيء، لأن الحياة صراع، ولا مكان للعواطف فى الصراع

المرأة رهينة البيت لا تفارقه . انها تقر فيه فلا تخرج الا لحاجة او مصلحة او عمل، لأنه من الطبيعى انه لا ينفع المرأة فى شىء ان تسير فى الطرقات بدون وجهة او غاية . وكلنا ننتقد السيدات او البنات اللاتى يقضين اوقاتهن فى النوادى لمجرد التسلية وقضاء الوقت الفارغ ـ وفى حالة هؤلاء النساء كل وقتهن فارغ، لاننا نرى ـ مهما بلغت سعة تفكيرنا ـ نرى انه لا معنى اطلاقا لتسكع المرأة فى النوادى وعندها شغل فى البيت ينتظر من يعمله .

ولكن القرآن أتاح الفرصة للمرأة لتعمل وتكسب وتسهم فى النشاط العام للمجتمع، وأنا اتحدى أعلم الناس بالفقه ان يأتينى بنص واحد يحرم على المرأة العمل والخروج الى الأسواق ما دامت مراعية لقواعد الحشمة .

وفى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم كانت المرأة كذلك حتى ان عمر بن الخطاب اقام ذات مرة امرأة على السوق، اى انه عهد اليها بعمل يشبه عمل المحتسب أو مفتش الاسواق والرقيب على البيع والشراء ومراعاة الاخلاق ..

فلماذا لم تستمر هذه الحركة التى بداها الاسلام، والتى نستطيع أن نسميها بنهضة نسوية ؟

ما الذى اوقف المرأة فى منتصف الطريق، وجعل الحجاب ستارا كثيفا يحرم المرأة حتى من الهواء والنور، وجعل البيت سجنا حتى ابتكر الناس المشربيات، وهى ـ على جمالها ـ رمز لعبودية المرأة واستبداد الرجل الذى دفع بالمرأة قرونا كثيرة الى الوراء .. ؟

المسئول عن ذلك هى المرأة لا الرجل ..

هى التى قصرت فى حق نفسها، وتركت الرجل يفرض نفسه عليها ويسلبها ما منحه الاسلام اياها من حقوق .

من الذى قال ان شعر المرأة عورة ويد المرأة عورة وصوت المرأة عورة . ؟

بالارهاب والتخويف وتجاوز القانون فرض الرجل على المرأة هذه المفهومات .

واسوأ من ذلك أنها هي اقتنعت بذلك وفرطت في حقوقها وجعلت الرجل يتصرف فيها كما يريد . كان في امكان المرأة أن تستند الى الدين وتطالب بحرياتها وحقوقها ..

كان على اهل الفكر في عالم الاسلام ان يتمسكوا بما يمنحه الاسلام للمرأة - وللانسان عموما - من حقوق وحريات ..

ولكن ، اين اهل الفكر في عالم الاسلام ؟

ان تاريخ الفكر في الاسلام طويل ، ولكن الشجعان فيه قليلون او قل لم يوجدوا قط ..

وما اقل انصار الحق في تاريخنا ..

دائما كان ينتصر الرأى الجامد الجاف . وكان الجامدون دائما الاقوى في الصراع ، لانهم لا يعرفون الحق ولا الحياة . دائما كانوا يسندون رءوسهم الى صاحب السلطان والى الجماهير الجاهلة الغافلة لاطفاء كل مصباح نور يوقد في ظلام عصور الجهل والجبروت ..

وفي تاريخنا كله لم تعرف المرأة الا نصيرا واحدا هو الذى فهم المرأة وعرف قدرها وعرف رأى الاسلام فيها وفي حرياتها ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

أما البقية فلم يفهموا عن رسول الله شيئا في هذه الناحية . حتى جاء العصر الحديث وتبين لنا مقدار الظلم الذى نزله بالمرأة فبدأنا نصلح خطأنا ..

ولكن ، هل اصلحناه ؟

هل عرفنا خطأنا وعدنا الى صوابنا وادركنا مقدار ما يعود علينا من الخير اذا اعترفنا للمرأة بما وهبها القرآن اياه من حقوق ؟

تعال معى وانظر الى اولئك الذين لا يزالون يقولون ان شعر المرأة عورة وصوتها عورة ويدها عورة ..

لقد سمعتها تخرق اذنى في خطب الجمعة اكثر من مرة ..

ولم اسمع قط واحدا يعرف الحق ويقوله ..

والحق الذى ينبغى ان يقال هو ان عفة المرأة ترجع الى شخصيتها وتربيتها ونوع الرجال الذين يحيطون بها ..

فما معنى ان يقال للمرأة : غطى شعرك واسدلى على وجهك الف حجاب وحذار أن يرى كفك احد ، لانك تعيشين بين حيوانات وبهائم تسمى الرجال ..

أليس هذا في ذاته اهانة للرجال انفسهم .. ؟

وهل اذا كان هناك رجل بهيمة هل ستزول بهيميته اذا رأى امرأة تسير داخل زكيبة لايبدو منها الا عيناها ؟

لقد عاشت المرأة في هذه الزكيبة ثلاثة عشر قرنا ، فهل قضى ذلك على الفسق وفساد الاخلاق .. ؟

● عندنا نساء ناجحات عرفن كيف يحصلن على حقوقهن ويحملن مسئوليات كبرى دون أن يفقدن شيئًا من أنوثتهن. لقد نجحن بالجد والعمل ومتانة الخلق والإيمان الحقيقي بأن الله وهب المرأة كل ما وهب الرجال من الملكات والقدرات.

أمامك كتاب واحد هو « الاغاني » .. فاقرأ فيه اخبار ما كان يحدث من الفجور في عصر الحجاب الكثيف ..

وفي العصر المملوكي ، وهو العصر الذى بلغ فيه الحجاب اقصاه اقرأ مقامات الوهراني ، وهو كتاب بين أيدى الناس لترى كيف ينتشر الفساد ..

اننا اليوم ارفع اخلاقا الف مرة من كل العصور الماضية ما عدا عصر النبوة وامتداده الى آخر أيام الراشدين ..

ان المرأة السافرة اليوم أقرب الف مرة الى معنى الشرف والعفة والتعاون مما كانت جدتها المحجبة التى كانت لا ترى الدنيا الا من خلال ثقوب المشربية ..

ولكن المشكلة الكبرى اليوم هى ان المرأة نفسها لا تؤمن بنفسها ، ولا تريد ان تحارب معركتها لتكسبها بالعمل الجاد ..

انك ترى الوف البنات قد غسل بعض خطباء الجمعة اذهانهن فاصبحن يرتدين ما يسمى بالزى الاسلامى حاسبات انهن اذا لم يلبسنه فقد كفرن بالاسلام ..

وانا لست ضد الزى ، فلا بأس به ولا اعتراض لى عليه على الا يكون لبسه عقيدة تدعو الى القول بأن من لا تلبسه ضعيفة الدين .

ولا احب كذلك أن تعتقد بناتنا أننا الرجال ـ جميعا ـ حيوانات واننا لن نتمالك انفسنا اذا رأينا شعر المرأة كأننا ثيران تلقيح فى الموسم .

اريد ان اقول انه اذا كانت لابسة الزى تلبسه لانها هى نفسها تعتقد ان لبسه أنسب لها فلا بأس ، اما اذا كانت تلبسه لان رجلا قال لها ذلك او ان صاحبة لها اوحت اليها بهذا المعنى فهذا هو الخطأ ..

انها بذلك تكون قد الغت عقلها وحريتها ، وتصرفت بأمر صدر لها من الآخرين ..

والشىء الآخر الذى أحب ان انص عليه هنا هو ان المرأة عندما اقتحمت ميدان العمل لم تدخله بالجدية المطلوبة ..

ومن يوم ان عرفنا المرأة العاملة وهى تطلب ان تعامل معاملة خاصة ، لمجرد انها امرأة ..

انها لا تأتى فى المواعيد لانها امرأة ..

وهى تنصرف قبل الموعد لانها امرأة ..

وتحصل على ثلاثة أشهر للولادة ، ولها الحق في سنة اجازة بدون مرتب لرعاية الطفل ..

ولها الى جانب ذلك امتيازات أخرى تصر على الانفراد بها لانها امرأة ..

وكل ذلك لا يخدم قضية المرأة ..

وما تسميه النساء امتيازات لهن انما هو انتقاص من اقدارهن ، لان ذلك يقلل من حرص جهات العمل على استخدام النساء ..

وما الذى يلزمنا باستخدام موظفة لكى نقضى الوقت كله فى انتظار مجيئها ونعمل حسابنا لوقت انصرافها ، وندبر أمرنا ثلاثة شهور كلما ارادت ان تهدى الوطن مولودا .. ؟

وماذا نعمل اذا طلبت سنة اجازة لتربى طفلها ، ماذا نكسب نحن من طفلها ؟

أليس أفضل لنا أن نستخدم رجلا ؟

حقا ان الرجل أيضا ملىء بالعيوب ولكننا نستطيع أن نكون حازمين معه . نستطيع أن نغلظ له فى القول . نستطيع أن نوقع عليه عقوبات ، أما المرأة ؟

ومن الغريب أن المرأة هذه اذا انتدبت للعمل فى بلد آخر تنازلت عن كل ما تتمسك به هنا وتعتبره امتيازات لانها تعرف أن العمل هناك جد ، وان أى تقصير معناه الغاء العقد ..

لقد عرفت هناك سيدة مصرية شابة تعمل ناظرة ، فمن غريب الامر أنها كانت لا تلد الا فى الصيف ، وفى انتهاء الاجازة السنوية تجدها فى مكتبها فى الساعة الثامنة صباحا ..

ولا أذكر انها أخذت مرة اجازة سنة بدون مرتب لتربية المولود .

وأولادها والحمد لله يتربون احسن تربية ..

فلماذا هذا التدليل كله للسيدات عندنا .. ؟

ولماذا تصر المرأة على أن تعامل معاملة خاصة اذا كانت تقول انها تساوى الرجل فى الملكات والمواهب وكل شىء ، وهى فى الواقع تساويه فى الملكات والمواهب وكل شىء ..

ان المرأة تهزم نفسها بنفسها اذا هى أصرت على أن تعامل معاملة خاصة ..

ومن الآن نجد الكثير من الهيئات تنص فى طلبات العمل على الا تاخذ الا الرجال ..

وهذه الهيئات معذورة ..

لان العمل عمل والمسئوليات مسئوليات ..

والسيدات الرائدات اللاتى بدأت مقالى هنا بذكرهن لم يعرفن ولا هن عرفن هذه الامتيازات ..

انهن يعملن فى جد ويظهرن بحق انهن جديرات بكل تقدير واحترام ، وقد

● لقد منح الإسلام المرأة حقوقها كاملة ، ولكن الرجال سلبوها هذه الحقوق ، وهم منافقون إذ يقولون أن ولايتهم على النساء من صالح المرأة ومن صالح المجتمع وهم منافقون عندما يزعمون أنهم أعرف بحقوق المرأة من المرأة نفسها .

يلغن ما يلغن بالعمل والجد والكفاءة ، وجدير بالذكر أنهن فى نفس الوقت زوجات صالحات وربات بيوت قادرات وأمهات ناجحات أهدين لوطنهن أبناء وبنات على خير ماتكون الذرية الصالحة ، وما سمعنا قط عن واحدة منهن تعللت بزوجها أو أطفالها لكى تقصر فى عملها أو تتخلى عن مسئولياتها ، وعرفن كيف يوفقن بين مطالب العمل ومسئولياته ومطالب الحياة الزوجية ومسئولياتها ، وهذا ما نرجو أن تضعه كل امرأة نصب عينيها • اذا كانت المرأة تريد أن تكسب قضيتها حقا فينبغى أن تعلم انها ينبغى أن تخوضها فى جد تام دون طلب امتيازات أو التعلل بظروف خاصة ••

لأن معظم الذين يرأسون أعمالا فيها نساء كثيرات بدأوا يشكون اليوم ويأسفون على أنهم لم يأخذوا رجالا بدل النساء ، لأن المسألة ليست مسألة أكل عيش ، انما هى عمل وتحمل مسئولية .

لقد قالت سيمون دى بوفوار فى مذكراتها ان سر نجاحها الأكبر هو أنها لم تذكر قط فى عملها أنها امرأة ، ولم تطالب بالمعاملة على أساس انها امرأة • ولكنها لم تنس فى حياتها العامة أنها امرأة ، فلم تهمل فى ملابسها ولا قصرت فى تجميل وجهها والمحافظة على قوامها ••

لابد أن تكسب المرأة قضيتها ••

ذلك حق لها ••

وذلك ضرورة تحتمها روح العصر ويتطلبها صالح الوطن ••

والامر بيدها لا بيد الرجل ••

وحذار أن تعلم المرأة بأن الرجل سيعطيها حقا من حقوقها ، لأن الحقوق لا تعطى بل تؤخذ ، تؤخذ غلابا كما قال أحمد شوقى •• ●

د • حسين مؤنس



سيدة مصر الاولى : جيهان السادات

المــرأة

هل كسبت الحرية .. وخسرت قضيتها؟

مع مهرجان اليوم العالمى للمراة ، لا تزال للمراة قضايا كثيرة تثار ، واسئلة حول قضاياها تبحث عن جواب ...

وعلى مستوى الحياة فى مجتمعنا العربى ، ما هو مفهوم الحرية للمراة .. ؟ وهل تقدمت المراة حقا ، واستحقت ، وادت دورها كاملا فى خدمة مجتمعها سياسيا واجتماعيا .؟ وهل لا تزال نظرة بعض الرجال تمثل تحيزا للرجل ، وتفضل الرجل على المراة للوظيفة والعمل وان تماثلت المؤهلات العلمية بينهما .. ؟

وتمتد قائمة التساؤلات حول حرية الفتاة فى الزواج ... واشتغال المراة بالعمل ليلا ... وحريتها فى ان تستقل وحدها بحياتها فى مسكن خاص ... وكذلك الراى فى قانون الاحوال الشخصية ... وفيما يقال عن سيادة الرجل زوجا للمراة وصاحب عصمة ...

وحول هذه القضايا والتساؤلات ، يحدثنا فيما يلى نخبة من رجال الفكر والقلم ...

● اعداد : موريس عزيز ●



هدى شعراوى



ملك حفني ناصف



نبوية موسى



صفية زغلول

قضية المرأة

د. آمال عثمان
وزيرة الشئون والتأمينات الاجتماعية

بالنسبة للحريات اللازمة للمرأة – المرأة شأن كل انسان – تحتاج الى الحرية المناسبة للقيام بدورها كمواطنة وعاملة وام وزوجة .

وان كان مفهوم الحرية هنا امر نسبي – فالحرية التى لا تتعارض مع حرية الاخرين هى الحرية التى اعنيها فى اطار نظم المجتمع واعرافه وتقاليده .

● عن تقدم المرأة المصرية – اود ان اوضح انه اذا قارنا فى تطور تاريخى بين اوضاع المرأة فى مصر فى الاربعينات مثلا وبين أوضاع المرأة فى الثمانينات ، فسوف نجد الفرق شاسعا .. وقد كان الحديث عن (تحرير المرأة) فى البيئة المصرية والعربية بوجه عام منذ سبعين عاما ، لم يكن فكاهة ولا تسلية وانما كان معاناة صعبة قاسية .

ويكفى ان نذكر ان المرأة لم تكشف وجهها الا بعد ثورة ١٩١٩ – وقد كافحت المرأة المصرية وشاركت فى ثورة ١٩١٩ – وكان من أهم نتائج هذه الثورة الاجتماعية حدثان هامان هما :

١ – نزع الحجاب – وكان أول من اقدم على ذلك هدى شعراوى وزميلتها سيزا نبراوى – بعد عودتهما من المؤتمر النسائى الدولى فى روما عام ١٩٢٣ .

٢ – اعلان تأسيس الاتحاد النسائى المصرى فى ١٦ من مارس عام ١٩٢٣ وقد طالب الاتحاد النسائى الحكومة المصرية حينذاك بتحديد سن الزواج بما لا يقل عن ١٦ عاما ، والمساواة فى فرص التعليم بين المرأة والرجل . كما كافح الاتحاد النسائى حتى استطاعت المرأة المصرية ان تحصل فى عام ١٩٢٩ على حقها فى طلب الطلاق اسوة بالرجل اذا ثبت انها تعامل معاملة سيئة كما امتدت فترة حضانة المرأة للطفل من التاسعة الى الحادية عشرة .

ثم جاءت ثورة يوليو المجيدة سنة ١٩٥٢ فاعطت المرأة المصرية الكثير من الحقوق وصدر دستور الشعب سنة ١٩٥٦ يمنح المرأة حق الترشيح والانتخاب . وفى عام ١٩٦٢ تولت المرأة المصرية لأول مرة منصب الوزيرة .

وبعد ثورة التصحيح التى قادها الرئيس المؤمن محمد انور السادات فى ١٥ من مايو ١٩٧١ اعيد تعيين المرأة فى منصب الوزيرة تقديرا من الدولة لاهمية الدور الذى تضطلع به المرأة وقدرتها على تحمل المسئولية جنبا الى جنب مع الرجل .

وقد احتلت المرأة العديد من المناصب القيادية العليا وعلى سبيل المثال لا الحصر وصلت الى درجة وكيل الوزارة العديد من السيدات ودرجة المدير العام ، ودرجة المستشار بوزارة الخارجية ، ودرجة نائب الوزير باتحاد الاذاعة والتليفزيون ، وعميدة لكلية جامعية ، ورئيسة قسم ، وعالمة فى الذرة والكيمياء والطبيعة ، وسفيرة لمصر فى الخارج . وعضو بمجلس الشعب ، ورئيسة لمجلس شعبى بالمحافظات ، وعضو فى كافة المجالس الشعبية ، ووكيلة لنقابة المعلمين ، وعضو بمجالس ادارة العديد من النقابات المهنية والعمالية .

وقد شاركت المرأة المصرية فى المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية المختلفة ، كما شارك وفد نسائى كبير برئاسة سيدة مصر الاولى السيدة جيهان السادات سنة ١٩٧٥ فى مؤتمر المرأة العالمى الذى عقد بالمكسيك .



هذا بالاضافة الى التشريعات والقوانين العديدة التي اعطت المرأة العديد من المزايا في العمل والتأمينات الاجتماعية . وتم تعديل بعض القوانين التي تعوق تقدم المرأة المصرية .

كما حققت المرأة المصرية كسبا رائعا عندما اعطى السيد / رئيس الجمهورية للمرأة الحق في تمثيلها بعضوية مجلس الشعب بثلاثين مقعداً ، كذلك فان الدولة – ايمانا منها باهمية دور المرأة المصرية استراتيجية قومية لتنمية المرأة المصرية المشاركة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد والاسهام في نشر السلام والتعاون الدولي – فلقد انشأت اللجنة القومية للمرأة كلجنة عليا تمثل كافة الوزارات والاجهزة المعنية بشئون المرأة في مصر .

● بالنسبة لوظيفة العمل بين الرجل والمرأة ، فانه لا يوجد فرق او تمييز في تصوري لاختيار شخص رجلا كان أم امرأة – لوظيفة معينة .

● انا لا اتفق اطلاقا مع القول بان الوالدين يتجاهلان بنتهما في موضوع زواجها . فكلنا نلمس التغير الاجتماعي الكبير في مفاهيم الناس عن الزواج واهمية رأي البنت فيمن تختاره شريكا لحياتها المقبلة ، وخاصة بعد التوسع الهائل في التعليم ووصوله الى كل قرية وكل نجع وانعكاس اثره على العادات والتقاليد في هذه الناحية ، وان كان هذا يحدث احيانا في الريف فلقد بدأت النظرة تتجه الى ضرورة تغييره ليساير روح العصر .

● هناك بعض الاعمال مقصورة على الرجال ، محظور قانونا تشغيل النساء فيها . وكذلك اعمال بعضها محظور اشتغال النساء ليلا فيها . ومن بينها ما جاء في قرار السيد وزير القوى العاملة رقم ١٩ الصادر سنة ١٩٧٨ .

وقد قصد بها المحافظة على سلامة المرأة وحمايتها من الاعمال التي قد تعرضها لاخطار صحية او اجتماعية .

● وفي رأيي ، والحديث عن الزي النسوي – ان القضية لا تكمن فقط في توحيد الزي أو عدمه وانما تكمن في ضرورة التوعية بين الامهات ودعوة الاسرة ، ومخاطبة العقول بطريقة منطقية تبرز مزايا المظهر المحترم المتانق في وقار ، وهي مهمة جسيمة تشارك فيها اجهزة الاعلام والمفكرون والمربون ، كما تشارك فيها الاسرة .. ولنضرب المثل والقدوة لبناتنا ليؤمن بما ننصح به .

اما عن اختلاط الجنسين في المدارس والجامعات فانا لا ارى غرابة في ذلك ، فلماذا لا ننظر الى هذه الاماكن كاسرة كبيرة تنتظم الفتى والفتاة على اعتبار انها امتدادا طبيعي للعائلة التي نشأ كل منهما فيها .

● ويبقى السؤال حول استقلال السيدة بمسكن خاص لها . فهذا كثيرا ما يحدث لو سافر الزوج خارج البلاد او طلق زوجته وترك لها اولادا ، او توفي مثلا . فانها تستمر مع ابنائها في منزلها ولا غبار على ذلك .

اما عن رأيي في استقلال الفتاة بالاقامة في مسكن خاص بها ، فقد تضطرها لذلك ظروف اجتماعية . كأن يموت الوالدان مثلا . اما الفتاة التي تترك اسرتها لتعيش بمفردها فانا لا اوافق على ذلك ، لانه لا يتفق مع قيمنا وتقاليدنا ، وفيه ايضا تعريض للمرأة لكثير من المخاطر .

د. آمال عثمان
وزيرة الشئون والتأمينات الاجتماعية

في طبيعة المرأة ما يجعل العمل
أدنى إلى الكمال والجمال!

● احمد حسن الباقورى ●

● مبلغ علمى ان المراة المصرية فى مختلف اطوار هذا البلد العريق ، لم تكن تلزم بيتها ، وانما كانت تعاون زوجها ، فحيث ما كان تكون . وعلى هذا النحو كانت المراة العربية ، فلم تكن تلزم الخدر او الخيمة ، ولكنها كانت تؤدى اعمالا تنتفع بها فى نفسها، او تنفع بها اسرتها ..

● ان التقدم والتاخر ، من المعانى التى ليست لها حدود واضحة تمكن من الحكم عليها . فاذا نظرنا الى المراة اليوم فى اطار ادراكها للامور وقدرتها على التعبير ، وجدناها بلا ريب تقدمت تقدما وسيما ..

وان الاستقلال بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، لا تستطيع المراة الحصول عليه الا اذا انفصلت عن زوجها ان كانت زوجة ، او عن ابيها ان كانت ابنة ، او عن ولدها ان كانت اما . والاستقلال الكامل فى هذه الصور وامثالها ، مما لا يكون ، ولا خير فى ان يكون ..

● كان المفروض ان يكون دور المراة فى الحياة السياسية والاجتماعية ،أشد وضوحا واوسع دائرة مما هو عليه الان ، فقد توافر لها من الاسباب الداعية الى نشاطها الشىء الكثير ، كما يتضح ذلك فى دعوة قاسم امين ومصطفى كامل وسعد زغلول والسيدةالجليلة ذات الاثار التى لاتنسى فى المجال المصرى والمجال العربى، هدى هانم شعراوى ، وصفية هانم زغلول ، وكثير من فضليات السيدات اللوائى يعتز بهن الوطن وان لم يعرف التاريخ اسماءهن . تمثلهن فى امتنا وبلدنا مثل الجندى المجهول .

ورجاؤنا الى الله عز وجل ، ان يوفق القيادات النسائية المعاصرة ـ وفى طليعتها سيدة مصر الاولى جيهان هانم السادات ـ الى تدارك تقصير الماضى ، بالعمل الدائب على تثقيف المراة ، بما ينفع الامة فى مجالات السياسة والاجتماع والاقتصاد .

● هناك اعمال تنافر ـ غاية المنافرة ـ طبيعة المراة . فمن الخير الا تزاول المراة عملا ينافر طبيعتها ، فذلك اعون على اسعاد الاسرة ونفع الامة .

● المراة ادق حسا واضن بنفسها على التعرض للملامة من المسئول عن عملها فهى من اجل ذلك اتقن للعمل واقدر على بذل الجهد .وربماكان لهامن



طبيعتها ما يجعل الاعمال التى تؤديها ادنى الى الكمال والجمال . وما دام الامر على ذلك ، فاننى اختار فى هذه الحال السيدات على الرجال .

● **أعرف هنا قضاء لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم – لا ارى مناصا من الخضوع له والنزول على حكمه ،** فقد ذهبت اليه فتاة تشكو اليه ان اباها زوجها ابن اخيه على غير رغبة منها ، فاستدعى رسول الله اباها ، ولعله لامه على صنيعه هذا ، ثم قضى – صلى الله عليه وسلم – بأن لها الحرية الكاملة فى ان تقبل او ترد ، ولكن الفتاة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اننى اقبل ما صنع ابى ، ولكننى اردت بهذه الشكوى ان ابين للاباء انهم لا يملكون من امرنا شيئا يعاند رغباتنا وهذا حديث صحيح النسب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

● اذا أمنت المرأة الطريق ووثقت بسهولة المواصلات ، فلست أرى فرقا بالنسبة اليها بين العمل فى الليل والعمل فى النهار .

● مادامت المرأة فى زى حشمتها ، فان لها ان تجالس زملاءها فى المصنع والمتجر والمدرسة والجامعة .

● **ان المرأة امينة على نفسها ، والذى يرميها بما يمس كرامتها او يسىء الى سمعتها ، يعرض نفسه لسخط الله وتاديب الحاكم ، كما تقضى بذلك شرائع الله .**

● مبلغ علمى بالذين اشرفوا على وضع القانون وارتضوه ، انهم امناء على احكام الشريعة ، وفى مقدمتهم شيخ الازهر ، والمفتى ، وكثير من اهل العلم فى بلدنا وفى كثير من البلاد العربية التى تحترم شرائع الله . وانا شخصيا اجد فيه انصافا للزوجات من طغيان كثير من الازواج . ومع ذلك فليس فى دنيا الناس قانون ولد كاملا ، وانما تطبيق القانون هو المجال الذى تظهر فيه الحسنات والسيئات . فاذا افترضنا ان التجربة تظهر بعد حين من الزمن مساوىء فى القانون ، فان من الميسور – بمنطق القوانين نفسها ومنطق الدستور – ان يعدل القانون بما يدفع عنه ماكشفت التجربة من سوء فيه . والله ولى المؤمنين .



عالم المرأة

المساواة التامة بينها وبينه

● مصطفى امين ●

● ورايي المساواة التامة في الحريات بين الرجل والمرأة .

● تقدمت المرأة عندما حصلت على استقلالها الاقتصادي ، بمعنى انها استطاعت ان تعمل وتعيش من ايراد عملها .

● ادت المرأة المصرية دورها الحقيقي في ثورة ١٩١٩ وفي كل الحركات الوطنية التي قامت مطالبة بالدستور والاستقلال .

● ورايي ان المرأة تستطيع ان تقوم بكل ما يقوم به الرجال ، وغير صحيح خرافة ما يقال من ان المرأة اضعف من الرجل ، فقد قابلت نساء كثيرات كن اقوى من بعض الرجال .

● واذا تساوت المرأة والرجل فانى اختار الأكفأ بقطع النظر ان كان رجلا أم امرأة .

● ورايي ان الفتاة لها حق اختيار زوجها ، واغلب العرسان الذين فرضوا على البنات كانوا أزواجا فاشلين .

● ويمكن للمرأة أن تشتغل ليلا ، وهذا يحدث في كل بلاد العالم .

● لا أوافق على أن ترتدي السيدة أو الفتاة زيا معينا فهذا ضد الحرية ، مثل أن تفرض رأيا معينا وان تفرض أكلا معينا ، وأنا أوافق على اختلاط الجنسين في المدارس وقد حضرت التعليم المشترك في المدارس والجامعات ولا أذكر أن فتاة أفسدت أخلاق طالبة ، وانما العادة الطالب هو الذي يفسد أخلاق الطالب .

● انا من رايي ان كل امرأة ،لابد ان يكون لها مسكن خاص ، ولكني افضل للفتاة ان تعيش مع أسرتها لأن في ذلك حماية لها .

● ورأيي أن القانون اعطى المرأة حقوقا جديدة ، وانا لا اعتقد أن الرجل هو سيد المرأة فالمرأة هي امي ، وانا لم أكن ابدا سيدا لأمي ..

عن استقلال المرأة



ماهو معنى الاستقلال؟

● مصطفى بهجت بدوى ●

● اعتقد ان الحريات التى ينبغى توفرها للمرأة هى عينها الحريات المكفولة للرجل سواء فى التعليم ام العمل ام الانتخاب ام الترشيح .. الخ وانا اصدر فى هذا الراى عن نظرة متحضرة وعملية واسلامية على السواء . فما يفوتنا - وبغير عنجهية او ادعاء - ان شريعة الاسلام السمحاء ، هى التى سبقت بتمكين المرأة من ان تتبوأ مكانتها وان تكفل لها الحقوق بعد ان كانت اشبه بالمسحوقة ، فى عصر الجاهلية .

ان الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى تعارف عليه وتواصى المجتمع الدولى لا يفرق بين الرجل والمرأة . انها سنة التطور ، وهى ايضا ما يجب ان يتحقق للشعوب وللافراد رجالا كانوا ام نساء وليس مجرد شعارات او امنيات على الورق .وبمعنى آخر فان حقوق الانسان محتاجة الى نضال دائب وخالص حتى تترجم الى واقع ولا تنتهك .

● لو رجعنا بذاكرتنا الى الوراء أو قلبنا صفحات التاريخ الحديث من أوائل القرن العشرين حتى الآن (سنة ١٩٨٠) فلسوف نبهر حقيقة بالتقدم بل القفزات العالية الواسعة التى غيرت وطورت معالم المجتمع المصرى عبر هذه المرحلة القصيرة نسبيا فى عمر الزمن . وكان للمرأة بالذات قصب السبق حيث تيسر لها أن تخرج الى الحياة العامة وتفرض وجودها فى شتى المجالات . بل أستطيع القول ان واحدة ممن كن يعشن فى ذلك الزمان لن تصدق عينيها اذا بعثت من مرقدها وهى ترى ما عليه المرأة المصرية المشاركة للرجل الآن فى كل عمل تقريبا وفى البرلمان وفى الوزارة وفى الجامعات طالبات بعشرات الآلاف ومدرسات بالآلاف ..

أما عن استقلال المرأة ، فما هو معنى الاستقلال ؟ اذا كان معناه أن «تستغنى» المرأة عن الرجل فلا هى ولا الرجل مستقلان ، لأن أحدا منهما لا يستطيع أن يستغنى عن الآخر ، بصرف النظر عن نماذج هنا وهناك وحالات استثنائية يمكن تجاوزا اعتبارها استقلالا ذاتيا .. أما اذا كان العمل والدخل العائد منه يمثلان الاستقلال فلا عيب ، فان ثمة « مشاركة » بين الرجل والمرأة أصبح لها مع سنة التطور الحضارى وضرورات العصر مذاق خاص حميد لم يكن معروفا او معهودا ، كما أنها هيأت « ترشيدا » للعلاقات الأسرية ، ولا يصح فى الأفهام أن الاستقلال أو المشاركة أو عمل المرأة ودخلها من شأنه أن يدهش أو يتعارض مع حقيقة أزلية لا تتغير ، وهى أن الرجل هو رب الأسرة والمسئول الأول عنها .. ذلك واجبه أكثر من كونه حقه - وأن المرأة هى ملكة مملكة الزوجية والأمومة فتلك أيضا أغلى وأقدس واجباتها وحقوقها .

● ربما آن هنا ان تثار قضيتان لم اعرض لهما فيما تقدم . الأولى هى قضية

عن استقلال المرأة ما هو معنى الاستقلال؟

الريف والحضر ، والثانية هي قضية الأمية ، ولعلهما ليستا بعيدتين عن بعضهما البعض .. المرأة في الريف ـ بكل أسف ـ ما زالت متخلفة وبالتالى لم تنتزع حقوقها وانطلاقها وحريتها ، التى كافحت المرأة الحضرية من أجلها وتوفر لها مناخها ففازت بها ..

وتأتى « الأمية » فتضاعف من ثقل « هوان » المرأة الريفية حتى ولو كان رجلها أميا ! • فعندما نتساءل عن دور المرأة المصرية الريفية • فى أعماق الريف المطحون ـ فى المجال السياسى والاجتماعى وأوجه نشاطها ، فأظن أن الوضع لم يختلف كثيرا عن دور جداتها ! ..

على أن هذا لا يعنى أن المرأة المصرية الحضرية والقاهرية بالذات قد أدت دورها الحقيقى فى المجال السياسى كاملا .. انها ما فتئت تبنيه لبنة لبنة ويجب أن نلتمس لها العذر ـ مع كل تقديرنا لجهود « فذة » مشهودة ـ فانها حديثة العهد بهذا المجال السياسى فضلا عن « بقية تحفظ » لدى الرجال وعدم تمكين أو عدم اقتناع من شأنه أن يعوق المسيرة النسائية التى قد تبلغ غايتها شريطة الا تيأس أو تنسحب من الميدان صريعة الاحباط ..

ولأضرب مثلا آخر « محيرا » وان لم يكن سياسيا بطريق مباشر ، والمثال للتأمل والاستئناس كليات الطب ـ على سبيل المثال ـ تخرج منذ سنوات بعيدة مئات الطبيبات وأصبحن الآن بالآلاف « والأغرب » أن المتفوقات والأوائل من الفتيات ، كم عدد الطبيبات اللاتى « لمعن » فى الحياة العملية أو شققن طريقهن « فى الصخر » وأصبحن على قدم المساواة مع الأطباء؟ • انه عدد غير مذكور لأن « أزمة الثقة » ما فتئت تقيم حاجزا كثيفا ـ للأسف ـ بينهن وبين المجتمع المصرى لا برجاله فحسب بل وبنسائه أيضا ! .. كل ذلك رهن الزمن والتجربة ومزيد من امتناع الصراع بين الاصرار من جانب والاقتناع من جانب آخر • وهى ليست مشكلة مصر وحدها بل تجدها فى أكثر الأمم تقدما •

أما المجال الاجتماعى فللمرأة المصرية نصيب ملحوظ فيه بل هى روحه وملهمته ومن غير مشاركتها ولمساتها ما كان طوع له ما طوع • ان جمعيات مثل الهلال الأحمر « والوفاء والأمل » ، والأسر المنتجة ، وعشرات من جمعيات النشاط الاجتماعى والانسانى لرعاية المرضى والمعوقين والعائلات والأمومة والطفولة ، انما كتبت لها الحياة والنمو والازدهار بكونها رضعت من النساء المصريات وتفيأت اهتمامهن وحنانهن وعنايتهن • ولم يكن من قبيل المصادفة أن وزارة الشئون الاجتماعية والتأمينات تولتها المرأة المصرية بغير انقطاع منذ الستينات فهى مجالها الطبيعى تمد به مظلة النهضة الاجتماعية والتأمينات • فهى ـ كما قال أبو العتاهية : أتتها منقادة فلم تكن تصلح الا لها !

● رغم انه لا يغيب عن الاعتبار أن بعض الأعمال الشاقة لا تناسب طبيعة المرأة ، فانه فيما عدا هذه فليقلن : فصبر جميل • .. ثم ولن يتحقق كل شىء فى طفرة واحدة • ثم أين كنا وكيف أصبحنا ؟ ادخل أية مصلحة حكومية أو شركة أو مجمعا لأنشطة مهنية وتخصصية وتجارية الخ .. وقارن ما تراه بما كان عليه الحال منذ ثلاثين سنة : المرأة قامت بعمليات اقتحام فى كل مكان .. وأحيانا هى وراء كل نجاح

ويبقى السؤال :

● انه ليس افتراضا نظريا • فاننى مارست هذا بالفعل • وأحيانا رجحت كفة المرأة وأحيانا الرجل ، ولم يكن « جنس » هذا أو هذه المانع من شغل الوظيفة • وانما الفيصل هو للاختبار والاستعداد وتقديرات التفضيل العملية المرجحة • واذا كان لى ان ابدى ملاحظة ارجو الا يكون لها طابع التعميم ، فهى اننى بالتجربة قد تبين لى ـ وفى بعض الحالات ان أفضل سنوات العطاء للمرأة الموظفة هى التى تسبق الحمل والولادة والأمومة ، ثم ينحدر الرسم البيانى مع هموم البيت والأمومة والحضانة حتى يكبر الأولاد ، فتعود

سيرتها الأولى فى الجهد والعطاء وعدم التغيب وعدم « السرحان » . وظالم من من لايعذرها،فتلك ضريبة لابد ان تتقبلها المجتمعات الراقية بنفس راضية بل تشجع عليها وأن تيسر الاجازات المناسبة او تمدها ولو بغير اجر حتى تطمئن الأم والأمة معا . والشيء الذى يضمن العودة والقبول والانتظام للمرأة المصرية الزوجة والأم العاملة هو التصميم والجدية والايمان بالحرارة والحيوية المنبثقة من استمرارية العمل ايمانها بالدفء الذى تشعه الحياة الزوجية والأمومة .. اهى معادلة صعبة ؟!

● وتبقى مسألة الزى ..

صحيح أن الزى المعين أو الموحد أقل تكلفة وأقرب لتذويب الفوارق بين الطبقات ، غير أنه فى الوقت نفسه ضد طبيعة الأشياء وقيد على حرية المرأة فى الاختيار وفى الأذواق ، « قل من حرم زينة الله » ـ « وخذوا زينتكم » ؟ انما نراعى الاحتشام والحفاظ على الأصول و « عدم البهرجة » والبعد عن التقليد الأعمى « للموضات » التى قد لا يعتبرها الغرب مبتذلة ولكنها عندنا شائنة ومستهجنة . أما عن « عدم الاختلاط فى المدارس » فهذا ـ أردنا أم لم نرد ـ مما عفى عليه الزمن . سؤال قد يطرح فى سنة ١٩٢٠ أو ١٩٣٠ أما فى ١٩٨٠ فسؤال غريب ! الذى لا غرابة فيه هو التسامى بالمشاعر وعلاقات الزمالة و « العين المفتوحة » والعقل المفتوح والمناخ الصحى بغير كبت ولا تفريط !

● وننتقل الى مسألة المسكن الخاص بالنسبة للمرأة .

هل هو هدف .. هذا الاستقلال النسائى بمسكن خاص ؟ لا أظن . انما للضرورة الطارئة والظروف الخاصة أحكام نحن يعنينا أن تجنب السيدة أو الفتاة مخاطر التعرض « لرذالات » من فى قلوبهم مرض . وهؤلاء ربما يحاولون مضايقتها أو الاعتداء على حرمة مسكنها فاذا لم يفلحوا أطلقوا عليها الشائعات بالباطل ، أوليس هذا مما نسمع ونقرأ عنه فى بعض الأحايين ؟ واذا استقلت ففى بيت للفتيات أو فى « ونس » جيران تطمئن اليهم وكأنها جزء منهم أو كأنهم ـعلى الأقل « حائط صد » ، فالاحتياط فى مثل هذه الشئون أوجب .

اما عن قانون الأحوال الشخصية الجديد فهو قد جاءبعددراسات مستفيضة ومتأنية ومناقشات واسعة ،وصحح بعض المفاهيم الخاطئة عن بيت الطاعة وعن الطلاق وخطا خطوات لا بأس بها فى احاطة الأسرة المصرية لا المرأة وحدها ـ بالأمان مستهديا بروح الشريعة الاسلامية الغراء على قدر اجتهاداته . وحاول سد الذرائع على « استبداد » نوع من الأزواج مغرور و « متأفف » لا يعاشر بالمعروف ويسىء استخدام مفهوم الطاعة و « بيت الطاعة » ثم هو أيضا يحمى الزوجة والأبناء والأسرة والمجتمع من « هوى » تعدد الزوجات ومن حماقات ونزوات الطلاق الذى هو أبغض الحلال الى الله ، بتقييده « وتهذيبه » وترشيده بقدر المستطاع . .. أما « العصمة » التى بيد الرجل فهى ليست على اطلاقها ،فالحلال بين والحرام بين ، والقاضى يقرر .. وعلى أى حال فلن يستدرجنى أحد لأبطل حكما من احكام الله يتفق مع الطبيعة البشرية فى قوله تعالى الذى خلق الزوجين .. الذكر والأنثى وهو اعلم بهما « الرجال قوامون على النساء » . ، ولكن بغير تعنت ولا اساءة استخدام للحقوق المشروعة وعلى حساب الواجبات المفروضة . هذا هو معنى « المشاركة » التى اسلفت الاشارة اليها . وليبق الرجل المسئول الأول عن الأسرة ، وتبقى المرأة ملكتها ومملكتها . هما اذن شريكان متكاملان ـ فى السراء والضراء ـ يسكن اليها وتسكن اليه . تلك هى سنة الله .. ولن تجد لسنة الله تبديلا .

مع الشروط المتكافئة اختار الرجل

● ثروت اباظة ●

● اجتمعت اخيرا مائتان وخمسون الف سيدة في امريكا يطالبن ان تعود المرأة الى البيت لأنها بدأت تفقد انوثتها في العمل ..

فاذن الحرية التي انشدها للمرأة هي القدر الذي تستطيع ان تطيقه المرأة من الحرية ..

● كلمة استقلال المرأة دائما كلمة مطاطة فلا ادرى ما المراد بها . وليس هناك استقلال مطلق فالاستقلال المطلق مرادف لكلمة الحرية المطلقة وكلاهما فوضى .. فكل حرية واستقلال لابد ان تسيطر عليه قوانين ، ومفهوم القانون انه يسرى للجميع بلا استثناء . فاذا استثنى من القانون شخص واحد سقط القانون كله .. في هذا الاطار اعتقد ان المرأة نالت الاستقلال فجعلها ترتبك في حياتها وتختلط عليها اهداف الحياة .

اما اذا كان المقصود استقلال المرأة عن الرجل فهو امر لو قبله الرجل لرفضته المرأة لأن في هذا الاستقلال انهيار الحياة الأسرية .

● اعتقد ان هناك اعمالا لا تتحملها طبيعة المرأة فانا لا اتصور امرأة تعمل في القضاء ، فالقضاء عقل وقانون ولا مجال فيه لعاطفة فحين تدخل العاطفة يخرج القانون ، وليس من الحكمة ان تعمل المرأة في القضاء الجالس، وحسبها أن تعمل في القضاء الواقف ، وأعتقد أن الأعمال الأخرى التي لاتعمل فيها المرأة قليلة ولا تستحق الصراع ، انما تمنع من العمل بها للابقاء على ما بقى لها من انوثة .

● وبالنسبة للمرأة والرجل في الالتحاق بوظيفة ، فانه اذا كانت الشروط متكافئة فاني اختار الرجل لاضمن على الأقل الا يأخذ اجازة حمل وولادة .



● وعن السؤال الخاص بزواج البنت فان المقدمة لا تؤدي الى النتيجة ، فأنا ابن رجل ينتسب الى الجيل الماضي - ولي أختان تزوجت كلتاهما برغبتها ، فاذا كان هذا يحدث منذ ثلاثين عاما ، فأنا لا أعتقد ان أبا يتدخل في زواج ابنته الا اذا كان هذا الزواج مخطئا لما جرى عليه الناس من اتفاق الدين والجنسية أما بالنسبة للحالة المالية والاجتماعية فلن يصبح التكافؤ فيهما أساسا للاعتراض . والحالة الوحيدة التي أتصور أن الأب يعترض فيها ولا يقبلها بحكم تكوينه - هي اختلاف الدينين او الجنسية .

● أما بالنسبة للعمل فهذا أمر متروك لكل آنسة وسيدة ، لترى ما يناسبها في هذا العمل ، وربما كانت ظروفها تجعل العمل المسائي أكثر مناسبة لها فالأمر هنا لا يمكن أن يخضع لقاعدة واحدة فالسيدة أو الآنسة التي أستأمنها على شرفها في الصباح أستطيع أن آمنها عليه في المساء .

● وعن الملابس والزي للمرأة فرأيي أن الفتيات يحاولن بغريزة المرأة ان يلفتن الأنظار اليهن ، والملابس ما دامت ليست خارجة ولا عارية فهي أكثر مواءمة للآنسة او السيدة مما يشتحن من ملابس لا تتفق مع العصر ، ولو أن الملابس العصرية المحتشمة وجدت أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، للبستها النساء ولما اعترض النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق »

● واذا كان سكن المرأة وحدها هو المتاح لها وليس هناك بديل فماذا تصنع ؟ اما نظرة الناس فهي التي تصنعها بتصرفها لا بسكنها ، فكم من زوجة مع زوجها وكم من فتاة مع أبيها ولم يستطعن أن يحصلن على احترام الناس .

● وانا معجب بقانون الأحوال الشخصية كل الاعجاب ، وان كانت لي مؤاخذة فان المؤاخذة على من يدافعون عنه لا في القانون ذاته ، لأنهم يصرون على القول انهم لم يخرجوا عن رأي المذاهب الأربعة . وكأنما المذاهب الأربعة أصبحت دينا جديدا ندين به والعجب ان هؤلاء اعتبروا اقفال باب الاجتهاد آية لا يجوز مراجعتها . انما هي رأي يحتمل المناقشة واعتقادي أن التقدم الذي أصاب البشرية يقتضي وجوبا اعادة النظر في المذاهب الأربعة . ولو كان واحد من الأئمة أصحاب المذاهب الأربعة حيا لبادر باعادة النظر في مذهبه ومذاهب الآخرين . فقيمة أصحاب هذه المذاهب أهمها حرية الرأي وعدم الخضوع للغوغائية وتفهم النص القرآني وما ثبت من الحديث في ضوء العصر الذي كانوا يعيشون فيه ..

حافظ محمود

● عاطف فرج ●

● الصحافة .. مهنة البحث عن المتاعب . وحرفة كل من يجره قدره اليها فيعشقها ويصبح ناسكا فى معبد صاحبة الجلالة ..

وقد كان من فرسانها طه حسين والعقاد ولطفى السيد ومصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد عبده .. وغيرهم الكثير ممن رفعوا لواءها فى ساحة القلم والفكر ..

وصحافة اليوم ولا شك تختلف عن صحافة الأمس — فى هذا يقول استاذ له السبق فى هذا المجال هو حافظ محمود نقيب الصحفيين الاسبق :

« .. صحافتنا المعاصرة فيها من التقدم الفنى بالنسبة وبالقياس الى صحافة الأمس ، ما نستطيع ان نعتز به .. وفى مقدمة هذا الاعتزاز ان صحافة مصر المعاصرة هى النبع الذى استقت منه صحافة العالم العربى كله الفنون الصحفية الحديثة .. »

والحديث عن الصحافة يجرنا الى ما هو الممكن والمطلوب منها .. وفارس الصحافة حافظ محمود يستطرد فى القول :

« .. المطلوب شىء كثير جدا قد لا يحتمله الواقع ، لأننا .. كصحفيين فطرنا على أن نطلب من حرية الكلمة اكثر مما تحتمله الحرية ذاتها . لكن ما من شىء فى الوجود يمكن الوصول اليه دفعة واحدة ، والذى كنا نعمله فى لجنة تقنين الصحافة هو وضع القواعد التى تستطيع الصحافة بها أن تصعد سلم الحرية دون اهمال للمسئولية » .

وعلى درب الاختلاف بين صحافة الأمس واليوم أحاور حافظ محمود ، فى هذا المعنى — فيقول :

« .. كانت الصحافة المصرية تأخذ طابع جيلها على مرور الأجيال ، فقد كانت مهمة الصحافة يوما المطالبة بالدستور ثم مقاومة الاستعمار ، ثم جاءت مرحلة المطالبة بالاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

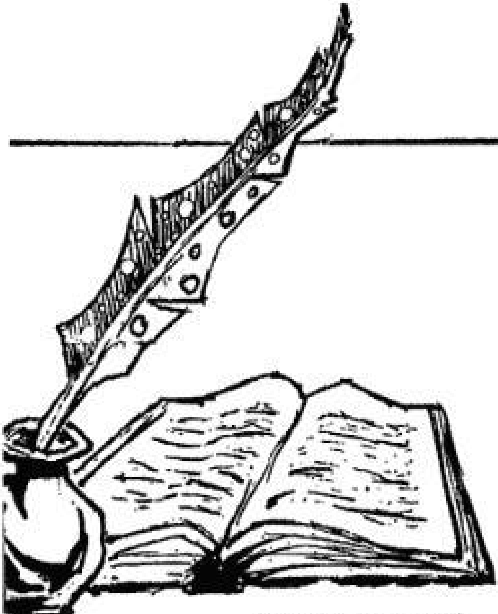
هذه المراحل الثلاث ظهرت طلائعها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. فلما انشأ مصطفى كامل جريدة اللواء عام ١٩٠١ اخذت الصحافة المصرية طابعا جديدا هو طابع النيابة من الشعب نيابة كاملة فى المناداة بكل مطالب الجماهير ، وفى مقدمتها الحريات العامة سياسية وغير سياسية ، وقد تأكدت هذه النيابة للصحافة المصرية فقد كانت الاحزاب السياسية تظهر من داخل الصحف ، فجريدة اللواء هى التى اخرجت حزب مصطفى كامل الحزب الوطنى ... وجريدة المؤيدهى التى أخرجت حزب الاصلاح . . . وجريدة « الجريدة » هى التى اخرجت حزب الأمة ، فقد كانت الصحافة هى

البرلمان الحقيقى للشعب ،ولذلك فقد ثار الشعب فى يوم ٣١ من مارس سنة ١٩٠٩ قبل الصحفيين انفسهم حينما ارادت السلطات البريطانية ان تفرض قيدا جديدا على حرية الصحافة .

ويأتى بعد ذلك دور الصحافة فى ثورة ١٩١٩ . فلولا وجود صحافة متحررة فى تلك الاثناء لما استطاع التاريخ ان يسجل خطوات الشعب فى هذه الثورة. لقد استطاعت الصحافة اذ ذاك ان تجبر السلطات البريطانية على ان ترفع الرقابة عن الصحافة المصرية فى سنة ١٩٢٠ بعد أن كانت هذه الرقابة مفروضة بالحديد والنار طوال سنين الحرب العالمية الاولى .

وفى الثلاثينات تظهر روح شابة جديدة فى الصحافة المصرية تقاوم كل الرجعيات وكل عناصر الاستنامة الى ما انتهت اليه الاوضاع السياسية . وكان من أثر هذه الصحافة الشابة قيام ثورة الشباب فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ . الثورة التى غيرت الكثير من مواقف الساسة القدامى ، بل واقول صراحة ان حصيلة ثورة الشباب فى سنة ١٩٣٥ هى الخامة التى قام عليها الفكر الثورى عند الضباط الاحرار الذين قاموا بثورة سنة ١٩٥٢ .

وبعد ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ اخذت الصحافة مسارا آخر فقد كان على اجهزة الاعلام وفى مقدمتها الصحافة ، ان تمهد الطريق لجميع التغييرات والمفاهيم الجديدة للثورة . وكان هذا المسار يبدو طبيعيا الى ان صدر قانون تنظيم الصحافة فى ٢٤ من مايو سنة ١٩٦٠ وتبع المؤسسات الصحفية الجهاز السياسى القائم يومئذ بوصفه ممثلا للشعب وما تلا ذلك من تداخلات من جانب بعض العناصر التى سميت



فيما بعد بمراكز القوى .

فلما جاءت ثورة ١٥ من مايو سنة ١٩٧١ وأخذت تدخل تعديلات جديدة على النظام سياسيا او حكوميا ، ادخلت فى برنامجها رفع يد السلطة عن الصحافة فبدأت الغاء الرقابة فى سنة ١٩٧٤ .

واريد ان اقول ان الغاء الرقابة وحده ليس هو التمثيل الكامل لحرية الصحافة ، فحرية الصحافة تنبع أصلا من حرية الصحفى ومن حرية الكلمة . وفى المراحل السابقة التى تحدثت عنها كانت هناك رقابة ولكن كان هناك صحفيون احرار يستطيعون ان يقولوا الكلمة الحرة من تحت سيف الرقابة .

وكما قلت لا ينبغى أن يتصور أحد صحفيا كان أو غير صحفى أن ادراك امانينا الصحفية فى الحرية الكاملة ممكن أن يأتى بكلمة او بقانون او بلائحة .. انما انا أرى أن هذا كله مقدمات لجيل فكرى جديد من الصحفيين يعرف كيف يمارس الحرية دون اخلال بالمسئولية أو كيف يمارس المسئولية دون اخلال بالحرية .. »

***

ويستمر الحوار بين جيلين :

رحلة حياة وصحافة
حافظ محمود

لماذا كانت الصحافة مدرسة العمالقة والزعماء امثال مصطفى كامل وسعد زغلول ومحمد عبده وطه حسين والعقاد ولطفي السيد .. و .. و ..؟

يقول حافظ محمود، وهو يضحك من أعمق اعماقه ـ بعد أن اشعل سيجارته:

« .. هذه القضية يحددها العلم بالصلة التي بين الاعلام وبين اى تحرك قيادى في العالم ..

والاعلام المصرى الى الثلث الاول من القرن العشرين متصلا بما قبل ذلك، لم تكن له اية وسيلة الا الصحافة .. اضف الى هذا ان الصحافة وبخاصة في الماضى، كانت هى الحقل الذى تنبت فيه الافكار الاصلاحية سواء في السياسة او في الاقتصاد او الاجتماع.

وانت ذكرت اسماء بعض القادة الذين عاونوا على ابراز قيادتهم او افكارهم، واضيف انا اليهم طلعت حرب الذى لا علاقة له بالسياسية .. فلولا الصحافة لما استطاع طلعت حرب ان يقوم بانشاء بنك مصر ومشروعاته الكبيرة، فعندما بدا طلعت حرب في نشر حركته الاقتصادية بداها عن طريق الصحف، حتى بات ينظر اليه وكأنه عضو من اسرة تحرير هذه الصحف ..

نفس الشيء يقال عن الجامعة التى انشئت عن طريق النداءات الصحفية المتكررة .. »

***

ويتشعب الحوار حول اختفاء الصفحات الادبية، يقول الرجل الذى امتشق القلم سيفا يصول به ويجول في دنيا الصحافة:

«.. في الواقع ان هذه كانت غلطة من بعض الزملاء الذين تصوروا ان عصر الادب قد انتهى ولم يعد القراء يهتمون به، وان كنت التمس لهم العذر لاننى كما قلت ان الصحافة في الحلقة السادسة من القرن العشرين كانت صحافة موجهة **لا تنشر الا ما هو مطلوب منها فقط،**

هذا من جهة ومن جهة اخرى اننا اذا استثنينا بعض الأسماء الكبيرة القديمة من الادباء الاحياء، نجد ان المحصول الادبى في هذه المرحلة كان هشا، مما جعل المسئولين عن الصحف ينأون عنه ..

لكنى اقول في نفس الوقت ان مسئولية الصحافة لا تنحصر في نشر الجيد فقط، ولكن عليها مسئولية خلق الجو الجديد الذى يولد ادبا جديدا جيدا .

وهذا ما عملته صحف الجيل الأسبق التي تتلمذنا عليها . فحينما خصصت جريدة السياسة في سنة ١٩٢٢ وما بعدها صفحة للأدب، كانت هذه الصفحة غير مسبوقة، ولكنها تخيرت لها المادة الجيدة، بدليل ان محررها كان هو الدكتور طه حسين، فاقبل الناس عليها اقبالا شديدا واخذت جميع الصحف الأخرى بهذا الاسلوب .. »

***

وكان لابد ونحن في معرض الحديث عن الادب أن نناقش امور الثقافة، ومفهوم الكلمة، وحدها الادنى، وامية المثقفين وكيف تكون .

يقول النقيب الأسبق حافظ محمود :

« .. ترجع نشأة كلمة ثقافة في مصر الى منتصف العشرينات، فلم يكن احد يستخدم هذه الكلمة . لكن مع التطور الفكرى الذى قام به اساتذتنا السابقون ظهرت نوعيات جديدة من المقالات، ومن الكتب لا تتناول الادب خالصا ولا السياسة خالصة، ولكنها مزيج بين افكار تجمع بين الادب والعلم والسياسة .

ونوقش اذ ذاك هذا اللون من الكتابة وسماه بعضهم باسم الادب العلمى، ثم لا حظ آخرون ان في هذه التسمية تعارضا عجيبا لان الادب شىء والعلم شىء آخر .

وهنا اتفق اثنان من كبار الكتاب الذين تتلمذنا عليهم وهما الدكتور محمود عزمى

والأستاذ سلامة موسى على ترجمة كلمة Culture باسم الثقافة واصبح هذا النوع من الكتابة كتابة ثقافية بمعنى ان الكاتب فيما يكتبه يجمع نواحي المعرفة بمفهومها القديم والحديث .

فكلمة ثقافة قد حلت محل كلمة « المعرفة » بالنسبة للاجيال القديمة . وكما أن المعرفة لها مفاهيم واسعة النطاق جدا لانها تحيط بكل شيء يتصل بالنشاط الفكري ، كذلك أخذت « الثقافة » هذا المفهوم في العصر الحديث .

ويصعب جدا ان نضع حدا ادنى للمثقف ، لان الثقافة — اى المعرفة — تختلف من جيل الى جيل ومن بلد الى بلد ومن مجتمع الى مجتمع . . ففي المجتمع الزراعي يبدو مثقفا الرجل الذى يستطيع ان يحدثك في شئون هذا المجتمع ، وثقافته هذه قد لا تمثل شيئا في مجتمع آخر . لكن على ابسط الفروض نستطيع ان نقول ان المثقف هو الشخص الذى بلغ باطلاعه وتفكيره مرتبة الوعي الضرورية لانسان متحضر ... ومن هنا يكون الشخص الذى لا يدرك هذا الوعي من اهل الامية الثقافية مهما كان مبلغ توفره او تخصصه في الفنون والاداب والعلوم . لان هناك فارقا بين المتعلم والمثقف . »

قلت له : تشعب الكلام عن الثقافة وكثر ، بقدر القائلين بأزمة الثقافة .. فهل انت مع هؤلاء ، واذا كنت معهم فكيف ترى العلاج ؟ .

قال حافظ محمود .. بحماس شديد: « .. انا ارى ان كلمة « ازمة » كلمة كبيرة جدا .. فكلمة ازمة لا تنسحب الا على العدم .. فنحن حينما نقول ان هناك ازمة ورق مثلا يعنى اننا لا نجد الورق الذى نكتب فيه ، لكن حينما يكون لدينا بعض هذا الورق فالمعنى يختلف . ولهذا فانا اسميها « ازيمة » تصغيرا الكلمة ازمة .. وانا غير منزعج حينما اسمع هذا كله عن الثقافة ، لان القائلين بذلك — وان تجاوزوا الحقيقة — انما يقولونها رغبة منهم في ثقافة اكثر او ثقافة اعظم وهذا امل نرجوه جميعا. فقط ارجو ان يكون واضحا ان ثقافة اى جيل او مجتمع ككل شيء فيه — تخضع لظروف الجيل والمجتمع .

ونحن اذا قسنا ثقافتنا الحالية على مجتمع السنين القريبة التى مرت بنا نجد أن الثقافة قد استطاعت ان تتغلب الى حد ما على ظروف هذا المجتمع .. اما كوننا نريد ثقافة اكمل واوعى وأشمل واعمق اثرا ، فهذا هدف اذا لم يسع اليه المثقفون كانوا غير مثقفين .. »

عود على بدء — من بين المدارس الصحفية ، هناك مدرسة الاثارة . . . فما رايك فيها . وكيف يكون الالتزام الصحفي .. كان هذا سؤالى لحافظ محمود وهذه هى اجابته :

« .. الالتزام الصحفي شيء متعارف عليه لا يجهله احد ، لكن كلمة « الالتزام » مثل كلمة « القانون » فالقوانين تتفاضل لا بنصوصها بل بأساليب تطبيقها ، وكذلك الالتزام . اما مدرسة الاثارة الصحفية فانها في رأيي قد وقعت في خطا لو لم تمارسه لما انتقدها احد .

ذلك ان اصحاب هذه المدرسة — وليس بالضرورة ان يكونوا كلهم — ظنوا ان الاثارة هى الاثارة الجنسية او ماهو اقرب الى الاثارة الجنسية ؛ لكن الاثارة الحقيقية في الفن الصحفي هى ان يستطيع متناول اى موضوع ولو كان خاصا بمنمش الترجمان ، أن يعبر من الزاوية التى تثير اهتمام اكبر مجموعة من القراء » ..

وكانت هذه الكلمات حول كيفية الاستحواذ على ذهن القارىء .. وتطويعه للفكرة — هى ختام حوارنا الذى امتد لاكثر من ثلاث ساعات .. بين جيلين من ابناء صاحبة الجلالة ، الصحافة.

بقية ما نشر في العدد الماضي

رسائل إخوان الصفاء

● د . كامل سعفان ●

ب ـ المجلد الثاني :

● وفي المجلد الثاني يكون الحديث عن الجسمانيات الطبيعيات ، منطلقا من الكواكب ، فاذا مزيحمن الأخبار التي لا يخفى خطؤها على ذي فكر محدود ، فكيف بالقوم هؤلاء الذين ندبوا انفسهم لتبسيط علوم الحكماء الاولين،وتقريب فهمها على المتعلمين ، وتسهيل النظر فيها على المبتدئين ؟! ص ٢٠ .

يقول كاتبهم : « اعلم يا اخي ان الارض التي نحن عليها كرة واحدة ، بجميع ما عليها من الجبال والبحار والبراري والانهار والعمران والخراب ،وهي واقفة في مركز العالم ، في وسط الهواء بجميع ما عليها ، باذن الله عز وجل ، والهواء محيط بها من جميع جهاته ، كاحاطة بياض البيضة بمحها ، وفلك القمر محيط بالهواء من جميع جهاته ، كاحاطة القشرة ببياض البيضة ، وفلك عطارد محيط بفلك القمر ، على مثل ذلك ، وعلى هذا القياس سائر الافلاك ، الى ان تنتهي الى الفلك المحيط بالكل ، كما ذكره الله جل ثناؤه : « وكل في فلك يسبحون » ـ ص ٢٧ .

وقدمت الرسائل صورة للكون من دوائر متداخلة ، تبلغ احدى عشرة ، ولولا ان العين الباصرة ترى كل يوم الاعداد الهائلة من النجوم والكواكب ، لقلنا حسن ، لكن ، والحال كذلك ، كيف لا تحجب الدائرة القريبة بقية الدوائر ؟!

ثم يقدم الكاتب أرقاما يحار المرء في الطريقة التي حصل بها عليها .. يقول: « وهي الف وتسعة وعشرون كوكبا الذي ادرك بالرصد منها السبعة السيارة، وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، لكل واحد منها فلك يختص به » ـ ص ٣٢ .

فاين بقية الكواكب من الكون المرسوم في احدى عشرة دائرة ؟ واذا كان المدرك بالرصد منها سبعة ، فاني له هذا الاحصاء لبقية الكواكب ؟ وكانما قد تنبه الى شيء من التساؤل ، فقال

من الكواكب السبعة :

« وهى محيطات بعضها ببعض ، كما بينا من قبل ، واما سائر الكواكب وهى الف واثنان وعشرون كوكبا ، فكلها فى فلك واحد ، وهو الفلك الثامن المحيط بفلك الكوكب ، اى زحل ، وسائر الكواكب هى فى جوفه » ـ ص ٣٢.

ويظل التساؤل قائما ، اذ كيف تصبح الكواكب الاخرى فى فلك واحد دون أن تأخذ نفس الاطار الذى شكلت فيه الكواكب السبعة ؟ ثم ان الدوائر احدى عشرة لا ثمان ، فماذا يكون فى الدوائر الثلاث ؟ .

●● وعلى نفس المنهج فى المجلد الاول ينتقل من الحديث عن الكواكب الى الحديث عن الملائكة ، على اساس انهما شىء واحد ! .. ثم نراه يقدم لنا معلومات جديدة عن الكواكب السبعة ، فيقول :

« انه ينبث من جرم الشمس قوة روحانية تسرى فى جميع العالم .. ويسمى الناموس هذه القوة ملكا ذا جنود واعوان ، واسرافيل منهم صاحب الصور .

« وهكذا ينبث من جرم المريخ قوة روحانية تسرى فى جميع العالم .. والناموس يسميها ملكا ذا جنود واعوان ، وملك الموت منهم ، ومنكر ونكير ايضا .

« وهكذا ينبث من جرم المريخ قوة روحانية تسرى فى جميع العالم .. ويسميها الناموس ملكا ذا جنود واعوان وجبرائيل منهم ، ومالك الغضبان ، وخزنة جهنم اجمعون .. الخ .. الخ » ـ انظر ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

وهذا وغيره بالنسبة لتقويم الرسائل لايفيد اكثر من ان القوم قرأوا ثقافة عصرهم ، وان لم يحسنوا التنسيق بينها ، وكان رصيدهم من الخبيث اكثر من الطيب ..

ولعل ابرز ما لهجوا به فى كل المجلدات تقريبا ، هو الحديث عن التطور من الجماد الى النبات فالحيوان فالانسان .

وفى المجلد الثانى جرت مناظرة طويلة « ص ٢٠٤ ـ ٢٧٧ » على لسان ممثلين للحيوان والانسان ، يتضح من خطبها المطولة خلائق كل واهم ما يمتاز به ، لتنتهى الى انتصار الانسان ، وبيان حقه فى التحكم فى الحيوان .

جـ ـ المجلد الثالث :

ويتناول الجسمانيات الطبيعيات والنفسيات العقليات ..

وظاهرة التكرار والنقل عن فيثاغورس وبطليوس وارسطو ، علامة بارزة فى هذا المجلد ، فضلا عن المواعظ المملة ، حتى لايكاد المرء يعثر على فكرة تميز القوم عن سواهم ..

وللوقوع تحت تأثير المقروء دون مناقشة او تمحيص تكثر الاخبار الخرافية المرتجلة ، كالاخبار بان آدم وبنيه كانوا يتكلمون السريانية ، وقيل النبطية ـ ص ١١٣ ، وان الكتابة ظهرت من اجل انه بيت عطارد ، وشرف الرأس وهبوط الذنب ، وصارت الحروف فى ذلك اربعة وعشرين حرفا ، وهى الكتابة اليونانية ، لانها قسمت لكل برج حرفين ، فقيدت تلك الالفاظ ، وكتبت الاسماء بالحروف على لغة اهل ذلك العصر « حين سلم الدور الثور الى الجوزاء » ـ ص ١١٣

وكثر اغتصاب الشواهد التى تخدم الفكرة الخاطئة ، كان يقول :

« يجرى حكم النفس الكلية فى الانفس الجزئية ، فى كل سبعة آلاف سنة مرة ، تعرض النفوس الجزئية لدى النفس الكلية ، فتبرز النفس الكلية لفصل القضايا بينها بالحق ، « فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » ، ونسب الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انه قال : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة ، بعثت فى آخر الف منها » ـ ص ٢١٩ .

ويلاحظ أن ما نسب الى الرسول ـ مع انه ظاهر الافتراء والكذب ـ يتناقض مع الخبر الذى اراد تاييده ، لانه اذا كانت النفوس الجزئية من الدنيا ، فكيف يكون العرض كل سبعة آلاف سنة مرة ، مع أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فقط ؟!

●● وقد نجد « لقطات » كبيرة ذات مظهرية فرارة .. كقوله :

« اعلم يا أخي ــ أيدك الله وإيانا بروح منه ــ أن علم البعث وحقيقة القيامة محجوب عن ابليس وذريته واتباعه وجنوده ، من شياطين الجن والانس ، وهو سر الله الاعظم ، لايطلع عليه أحد من خلقه ، الا من ارتضى من اوليائه وأصفيائه ، وأهل مودته من ذرية آدم ، ومن ذرية نوح ، وذرية ابراهيم واسرائيل ، وممن هدى واجتبى : « **اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** » ، جعلكم الله ، أيها الاخ ، وإيانا ، منهم برحمته ، انه ودود رءوف رحيم ..

ونريد أن نلوح من هذا السر طرفا ، ونشير اليه اشارة ما ، اذ لا يجوز التصريح به ، اقتداء بسنة الله عز وجل : « **والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » ، وقال عليه السلام : « **اللهم اهد قومي ، فانهم لا يعلمون** » ، اشارة الى مثل هؤلاء القوم الذين هم ظالم لنفسه » ــ ص ٢٩٩ (١)

ثم لم يذكر شيئا يكشف به من « سر الله الاعظم » الذي اخبر عنه الله رسوله وصفيه محمدا بقوله : « **وما يدريك لعل الساعة قريب** » (٢) ، أي انه لا يدري ، وقال له : « **ان الله عنده علم الساعة** » (٣) أي اختص بهذا العلم ، « **ويسألونك عن الساعة ايان مرساها ، قل انما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت في السموات والارض ، لا تأتيكم الا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل انما علمها عند الله ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » (٤) ، ويتجاهلون قول الرسول الامين « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ، ويدعون لانفسهم دعوى عريضة ..

ومن الآراء الفاسدة أيضا انه يرى بأن أهل الجنة اجسادهم لحمية واجسامهم طبيعية ، مثل اجساد أبناء الدنيا ، قابلة للتغير والاستحالة ، متعرضة للآفات ، فاذا تأمل ما وصف الله تعالى في صفات أهل الجنة « **لايمسهم فيها نصب** » ، و« **ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى** » ، وانهم خالدون ، وماشاكل هذه الاوصاف المذكورة في القرآن التي لاتليق بالاجساد اللحمية والاجساد الطبيعية ..

●● والى جانب هذا تورد الرسائل حقائق دينية كثيرة ، لا تتميز بها الرسائل عن غيرها من الكتب الدينية ..

د ــ المجلد الرابع :

في العلوم الناموسية الالهية والشرعية الدينية ..

وهذا المجلد يسيطر على أسلوبه روح الوعظ ، وتكرار المعلومات الواردة في المجلدات السابقة ، والوقوع تحت تأثير كليلة ودمنة ، بالاضافة الى الامثال القصصية ..

ومن خلال هذه المعلومات المكرورة بفعل تعدد أقلام الكاتبين ، قد نعثر في هذا المجلد على بعض آراء ذات وزن ، كأن يقول على لسان رجل آتاه الله الحكمة ، مما يعد تفسيرا لكيفية الوحي :

« أجد قلبي كالمرآة تتراءى فيه حقائق الاشياء ، وأجد لساني يجري على الصواب ، من غير تكلف مني ، وأجد نفسي كالترجمان تسمع من وراء الحجاب ، وتعبر وتؤدي الى أبناء جنسي مما تسمع ، بلا تصنع مني » ــ ص ٩٧ .

كما يورد من صفات القيادة الدينية فيقول :

« **من تمام فضيلة واضع الشريعة أن تكون فيه اثنتا عشرة خصلة ، قد فطر عليها** :

(١) كذا ولعلها (منهم ظالم لنفسه) أو هم ظالمون لانفسهم .
(٢) الشورى ــ ١٧ (٣) لقمان ــ ٣٤ (٤) الاعراف ــ ١٧٨

احداها : ان يكون تام الاعضاء ، قوية قوائمه على الاعمال التي من شأنها ان تكون بها ومنها ، ومتى هم ان يقضي عملا أتى عليه بسهولة .

والثانية : ان يكون جيد الفهم ، سريع التصور لكل ما يقال له ويلقاه، لفهمه على ما يقصد القائل به ، على حسب الأمر نفسه .

والثالثة : ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولمايسمعه ولمايذكره، وبالجملة لايكاد ينسى شيئا منها .

والرابعة : ان يكون فطنا ذكيا ، اذا راى بكفيه لتبين ادنى دليل ، حتى اذا راى على شيء ادنى الدليل فطن له على الجهة التي يدل عليها الدليل .

والخامسة : ان يكون حسن العبارة ، يواتيه لسانه على ملق قلبه وضميره باوجز الالفاظ .

والسادسة : ان يكون محبا للعلم والاستفادة ، منقادا له، سهل القبول، لا يؤلمه تعب العلم ولا يؤذيه الكد الذي يلحقه ..

والسابعة : ان يكون محبا للصدق وحسن المعاملة ، مقربا لاهله .

والثامنة : ان يكون غير شره في الاكل والشرب وغيره ، متجنبا للعيب مبغضا اللذات الكائنة عن هذه .

والتاسعة : ان يكون كبير النفس ، عالي الهمة ، محبا للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الامور ويشنع ، وتسمو همة نفسه الى ارفع الأمور مرتبة واعلاها درجة .

والعاشرة : انيكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينة عنده ، زاهدا فيها .

والحادية عشرة : ان يكون محبا للعدل واهله ، مبغضا للجور والظلم واهله ، يعطي النصفة لاهلها ، ويرثي لمن حلّ به الجور ، ويكون مواتيا لكل مايرى حسنا جميلا عدلا ، غير صعب القياد ولا جموح ، وان دعي الى الجور والقبح لايجيبه ..

والثانية عشرة : ان يكون قوى العزيمة على الشيء الذي يرى انه ينبغي أن يفعل ، جسورا مقداما ، غير خائف ولا ضعيف النفس » — ص ١٢٩ — ١٣٠ .

وهذه الخصال — وان كانت تحتاج الى اعادة ترتيب ، والى اعادة صياغة بعض عباراتها — تكشف عن وعي بتبعة القيادة .. ولعله من تحصيل الحاصل أن نضيف الى الخصلة السادسة ما يؤيد موقفهم المبدئي من كسب المعرفة .

وقد اكسبهم هذا الانفتاح على الوان المعرفة ثقافة واسعة ، وعلما بكل ما كان رائجا في زمنهم ، عربيا وغير عربي .. حتى ليقول قائلهم :

« ان لنا كتبا نقرؤها مما شاهدها الناس ولا يحسنون قراءتها ، وهي صورة اشكال الموجودات بما هي عليه الآن ، من تركيب الافلاك ، واقسام البروج ، وحركات الكواكب ، وامهات الأركان ، واختلاف جواهر المعادن ، وفنون اشكال النبات ، وعجائب هياكل الحيوانات ، ولنا كتاب آخر لا يشاركنا فيه غيرنا ، ولا يفهمه سوانا ، وهو معرفة جواهر النفوس ، ومراتب مقاماتها ، واستيلاء بعضها على بعض والتنان قواها ، وتأثيرات افعالها في الاجسام من الافلاك والكواكب والاركان، والمعادن والنبات والحيوانات، وطبقات الناس من الانبياء والحكماء والملوك واتباعهم والسوقة واعوانهم » — ص ١٦٧ — ١٦٨ .

الا ان هذه القراءات وهذه المعارف، لم تزود بالحاسة الناقدة ، ولا بالقدرة على التنسيق ، فجاءت رسائلهم ركاما من المعلومات والخرافات ، لم تستطع العبارة المشرقة ان تحجب عوارها ..



فى الأربعين

تبلغ المرأة أوج شبابها وجمالها..

● فى الماضى كانوا يتحدثون عن « بنت » ١٤ • واليوم يتحدثون عن بنت ٤٠ •

لان الدنيا تغيرت شكلا وموضوعا •• فى الماضى كان الرجل هو الذى يتزوج •• يتزوج المراة التى تعجبه ، لانه كان وحده يتحمل المسئولية،وكانت المسئولية خفيفة نوعا ما ، ومن ثم فقد كان يختار الصبية الصغيرة التى تطيع اوامره ويتصرف معها كما يريد دون أن يحسب لها أى حساب : اذا غضبت لم يكترث ، وان فرحت فهى طفلة تلهو ، ثم هى تنجب له الاطفال،وكان الاطفال تسلية • كان كل شيء رخيصا ، حتى التعليم ـ وكان كله بمصاريف ـ كان ارخص من التعليم المجانى اليوم • كان الواله يدفع ١٠ جنيهات مصروفات لابنه فى المدرسة الابتدائية و ٢٠ جنيها فى الثانوية ، ولكن الولد كان يتعلم وكان يستفيد وكان ينجح ، واليوم لا يدفع شيئا ، ولكن الاولاد كذلك لا يتعلمون شيئا فى المدرسة ، فلابد اذن من المعاونة الخارجية ، والدروس الخصوصية تتكلف مئات ، « وبرضه » لا يتعلم الولد شيئا •

تغيرت الحياة ، وتغيرت معها الأسرة وتغيرت المرأة ••

لم تعد لعبة ولا طفلة ولا تسلية ولا أم الأولاد فحسب • أصبحت مواطنة وانسانة مكتملة الاحساس ، تحمل على أكتافها مسئوليات أسرة ومسئوليات











هؤلاء السيدات الخمس اللاتى يعتبرن من اجمل سيدات اوروبا ، تخطين الاربعين ، ويبدين فى اوج جمالهن وشبابهن

انهن : من اعلى الى اسفل عن اليمين :

جاكيل وولش التى تقول انها لم تشعر انها شابة حقا الا بعد ان مضى عهد الشباب الباكر والرعونة . انها تعترف بان روحها كلها شباب ثم ان قوةافرائها زادت.

ثم هايدليندا فابس نجمة التليفزيون الالمانى التى تقول : اننى ادهش من كثرة عدد الرجال الذين يريدون الزواج منى اليوم ..لقد تزوجت مرة واحدة ولم اوفق، وفى هذا كفاية.

وهايدى جينيه التى تحولت بعد الاربعين من التمثيل الى الاخراج تشعر ان شبابها يزداد ازدهارا كلما مضت بعد الاربعين .

*

ومن اعلى الى اسفل : العمود الثانى:
فى اعلى : سابين سنجن نجمة التليفزيون الالمانى . تزوجت للمرة الاولى بعد الاربعين وتشعر انها اصغر مما كانت فى العشرينات .
وتحتها : هانلور الزنر نجمة السينما الالمانية ، شابة فى الثانية والأربعين .

بيت وفى معظم الأحيان مسئوليات عمل ..

وهنا يحتاج الأمر الى اكثر من ١٤ سنة .

قد تتزوج البنت فى سن ١٤ وفى سن ٢٠ وفى سن ٣٠ ولكنها لا تصبح امرأة بالمعنى الصحيح الا عندما تقترب من الاربعين ، وفى الاربعينات تحس بكيانها كله ويحس الناس بكيانها كله .. هنا وفى عصرنا هذا تدخل المرأة فى زهرة حياتها ، وفرق جسيم بين زهرة الحياة وزهرة الشباب ، فزهرة الحياة هى زهرة العمر الدائمة، وزهرة الشباب هى زهور الربيع التى تتفتح اليوم وتموت غدا ..

واليوم مع تطور أدوات التجميل . وظهور حشد حافل من المركبات الطبية التى تعالج البشرة والشعر وغضون الوجه وتجاعيد الجلد وخاصة فى الايدى والرقبة ، تغير الموقف تماما وأصبحت بنت الثلاثينات لا تفترق فى شىء عن بنت العشرينات . أما بنت الاربعينات فهى سيدة الجميع ،وفى أوروبا وأمريكا خاصة تبدو بنت الاربعينات الواعية لنفسها ، المعنية بجمالها ، المحافظة على هيئتها وهندامها ، تبدو زهرة المجتمع حقا ،فهى سيدة بيت كاملة ،وهى سيدة رزين مكتملة ، وهى عاقلة مجربة ، وهى أهل لحمل المسئوليات ، فاذا أضفنا الى ذلك محافظتها على جمالها اكتمل لها المطلوب وأصبحت بالفعل زهرة المجتمع ومحط أنظار الرجال .

***

وفى احصائية عملت فى الولايات المتحدة ظهر أن الرجال يفضلون بنت الأربعين للزواج حتى لو كان الرجل أصغر سنا ، بل هناك اندفاع عام على السيدات فى تلك السن ، لأن ضغوط الحياة فى أوروبا وأمريكا عنيفة ومتوالية وعندما يتزوج شاب فى الخامسة والعشرين من شابة فى مثل سنه تبدأ الاصطدامات فى البيت ، وتصبح معركة الحياة مضاعفة : صراع خارج البيت وصراع آخر داخل البيت ، ومن هنا يكون الطلاق ، لأن الزوجين يفضلان الاكتفاء بمعركة واحدة خارج البيت ، ولا حاجة للزواج ..

وقد دهش الناس من اقبال الكثيرات من مشاهير الممثلات على الزواج من شبان يصغرهن بكثير : فعلت ذلك بريجيت باردو وأورسولا اندريس ورومى شنايدر وهايدى جينيه ، وكان الناس يظنون ان أولئك الممثلات هن اللاتى يجرين وراء الشبان ولكن تبين ان العكس هو الصحيح ، وان الشبان هم الذين يجرون وراء هؤلاء السيدات ويفضلوهن على الشابات الاصغر سنا ، لأنهم يطمئنون فى هذه الحالة الى ان الزواج سيكون هادئا مستقرا ، فان بنت الأربعين امرأة مستقرة هادئة النفس ، فيها شباب وفيها أمومة .

***

وقد كان يقال ان السيدة فى الأربعينات لا تتزوج لأنها تكون قد تخطت سن الانجاب ، فثبت أن ذلك غير صحيح .

وقد تقدم الطب اليوم واصبحت المرأة تستطيع الانجاب خلال الأربعينات من عمرها بدون مساعدة الطبيب فى كثير من الأحيان .وصوفيا لورين انجبت ابنها الثانى فى الرابعة والأربعين وأورسولا اندريس حملت فى الثالثة والأربعين ، وكاثرين دى نيف ولدت فى مثل هذه السن ، فلم يعد هناك سن يأس بالنسبة للمرأة الا فى الخمسينات المتأخرة .

***

كانت المرأة فى الماضى اذا بلغت الأربعين قال الناس انها استهلكت سواء أكانت متزوجة أم غير متزوجة ، لأن المجتمع كله كان قاسيا على المرأة ؛ أما الآن فقد تغير كل شىء ، حتى سن الانسان تغيرت ، ولم يعد الرجل فوق الأربعين كهلا بل يظل شابا ، والمرأة بالذات تغير الوضع بالنسبة لها تماما للاسباب التى ذكرناها ، أصبحت تستطيع أن تكون شابة فعلا الى أواخر

راقصة الباليه التى تراها الى اليسار سنها اربع واربعون سنة . كانت طول حياتها راقصة باليه اولى (باليرينا) اما اليوم فقد افتتحت معهدا لتدريب البنات على رقص الباليه وهى تحس اليوم انها فى زهرة العمر .



الاربعينات وبدايات الخمسينات .

بل ان جمالها كما قلنا يبلغ ذروته فى الاربعينات وقد كانت تشوب جمال المرأة فى هذه السن تجاعيد الوجه . وشيخوخة الجلد وشيب الشعر وسقوطه والان امكن علاج ذلك كله وأصبحت المرأة فى الاربعين نضرة الوجه صبوح الطلعة كما كانت فى العشرينات . وتزيد على ذلك نضجا واكتمالا ..

ولكن ثلاثة اشياء تهدد جمال المرأة فى الاربعينات .. الهموم ، فلابد للمرأة من محاربتها ..

والتدخين فهو من اضر الاشياء بجمال المرأة وجلدها وعينيها خاصة .

والمشروبات الكحولية وهى السم الذى يجعل بنت العشرين تبدو فى الستين .

ناس وصور وحكايات

الجميلة نائمة

والجميلة هنا هي أوروبا .

انها في اوج نشاطها الاقتصادى والفكرى .

انتاجها الصناعى يغطى كرة الارض ، وفكرها ما زال هو القوة الكبرى التى تسير الفكر العالمى ..

ولكنها من الناحية السياسية نائمة . انها متعبة او قل منهوكة القوى لطول ما خاضت من الحروب والصراعات من القرن العاشر الميلادى الى نهاية الحرب العالمية الثانية ..

انها لا تريد الحرب ، ولا تريد ان تتحمل مسئوليات السلام . انها تترك كل شيء لامريكا وروسيا وتكتفى بالتمنيات الطيبة والآراء والكلام الكثير وربما جادت بشيء من المال ..

اما عسكريا وسياسيا فهى فى سابع نومة ..

وهذا الرسم يرمز لاوروبا في صورة ثور غارق في النوم . وعلى ظهره نامت اوروبا الجميلة ..

اوروبا التى كانت قبلا تسير الدنيا ولا تريد اليوم ان تحرك قدما ..

[redacted]



[redacted]

ناس وصور وحكايات

المرأة الفرنسية مشهورة بحرصها البالغ على أناقتها ..

ورجل البوليس الفرنسي مشهور بدقته في عمله ومحافظته على الظرف الذي يميز كل الفرنسيين ..

وهذه الصورة الطريفة التي التقطها مخرج ذكي تعبر عن هذين المعنيين أصدق تعبير ..

فهذه الفرنسية ركنت سيارتها وخرجت لتقضي أمرا ، ولكنها قبل أن تقفل السيارة انحنت لتضع اللمسات الأخيرة في تجميلها أمام المرآة الجانبية للسيارة .

ولمحها رجل البوليس الفرنسي ، لأن السيارة كانت في موضع ممنوع ، وكان لابد من الغرامة .

وعندما اقترب ليكتب الورقة المشهورة لمح السيدة الواقفة في الهيئة العجيبة أمام المرآة وقد نسيت حقيبتها على مقعد السيارة .

وفي عينيه بدت الدهشة وخفة الظل ، فإنه بدلا من أن يكتب ورقة الغرامة مضى يتأمل المرأة الأنيقة حينا وما في داخل حقيبتها المفتوحة حينا آخر .


BOUVARD & DUVARD
JUNGLE JAP KEN
لاهى تتنسى نفسها .. ولاهو ينسى نفسه



حتى طرزان .. جار عليه الزمان

هل تذكر طرزان .. ذلك الإنسان الفتى البدائي الذي كان يبهرنا في الثلاثينات والأربعينات بجمال جسمه وتدفق شبابه وحيويته وقدرته على التنقل بين الأشجار طائرا في الجو ومن خلفه القردة شيتا؟ هذا هو اليوم في الصورة اليسرى رجل عجوز أنهكه المرض وألحت عليه الحاجة، لأن جوني ويسمولر - طرزان - لم يدخر من شبابه لشيخوخته فقد دخل في صفقات تجارية ومالية خسر فيها معظم ما جمع من أموال، ثم ألحت عليه الأمراض وأصابه الشلل وأنفق ما بقي عنده وهم الآن يجمعون له مالا لكي يستطيع أن يكمل مشوار حياته.







قاتل الله الهموم

بين هاتين الصورتين عام واحد من الزمان

ولكن بينهما عشرين عاما من الهموم

انهما لفرح ديبا ملكة ايران السابقة التى عذبها زوجها اكثر مما عذبها الزمان ..

لقد تحملت متاعبه وهو فى قوته ..

وهى اليوم تتحمل همومه وهو شريد طريد .

وهى خائفة على اولادها ..

هموم .. هموم .

وكبرت المرأة الشابة حتى بدت فى الستينات مع انها اليوم فى الاربعينات .



البقرة الحية خير من البقرة الميتة

كلنا نعرف أن الهندوس يقدسون البقرة ويرون فيها نفمة كبرى ورمزا للخير ، بل منهم من يعبدها ، وهناك من يتبركون بكل ما فيها ، حتى بولها يحسبونه شافيا من بعض الامراض فيشربونه ..

والهندوس ليسوا اغبياء حتى يفعلوا ذلك كله مع البقر ، ولكن موقفهم هنا نابع من تقديس الحياة فى ذاتها ، فهم لا يذبحون البقرة ولا يقتلون اى حيوان او حشرة ..

وهم يقولون ان البقرة الحية خير الف مرة من البقرة الميتة ، فهي تعطيك لبنا شهيا طالما هى حية ، وعلى اللبن تعيش أنت وأولادك ومنه تصنع الزبد والسمن .. وما دامت البقرة تعطى هذا الخير كله فلماذا نذبحها ونأكلها ، هل هذا جزاؤها ؟ ..

لهذا يتركون البقر حرا يمرح كما يريد ، ولا يفكرون فى ايقاظ بقرة اذا نامت أو ابعادها عن مكان ترتاح فيه .

وها هى بقرات جميلات اختارت ان تستريح فى وسط ميدان واسع من بومباى فرقدت ، وليفعل رجال المرور ما يريدون ..

شخصية الشهر ذكرى

مصطفى لطفى المنفلوطى



فتحت مجلة الهلال منذ شهر مارس الماضى بابا بعنوان شخصية الشهر تخصصه للشخصيات الفكرية والأدبية والعلمية التى قامت بدور كبير فى التاريخ الحضارى لأمة العرب ثم تناساها الناس بعد ذلك أو قصروا فى القيام بما ينبغى لها من حق •

وقد خصصنا الباب فى الشهر الماضى للأديب الكبير عباس محمود العقاد لا لأن الناس تناسوا قدره بل لأنهم لم يحتفلوا بذكراه عندما حل موعدها الاحتفال اللائق بها • وقد كان ذلك تنبيها للهيئات الأدبية فتسارعت بعد ذلك تحيى ذكرى العقاد حتى لقد أقامت محافظة اسوان مهرجانا خاصا له فى شهر مارس دعت اليه عددا من الأدباء والمفكرين ، وخصص التليفزيون امسية من امسياته الثقافية للعقاد •

وتخصص الباب هذا الشهر للأديب الكبير مصـــطفى لطفى المنفلوطى صاحب القلم المبدع والانشاء العربى الرصين الجميل الذى تتلمذ عليه معظم ادباء الجيل التالى له •

ومع ذلك فقد خيل الينا أن المنفلوطى لم يأخذ حظه من التقدير والتكريم ولهذا فقط خصصناه بالباب هذا الشهر •

ولم نكن نقدر أن دعوتنا ستلقى الاستجابة الواسعة التى لقيتها ، فقد توالت علينا المقالات والدراسات ، وسننشر بعضها فى هذا العدد وننشر الباقى فى أعداد متوالية •

مع رائد فنى البيان

مصطفى لطفى المنفلوطى

● محمد عبد الغنى حسن ●

● اذا ذكرنا مصطفى لطفى المنفلوطى هنا بعد خمسة وخمسين عاما من وفاته ، فلذلك ملمح من ملامح مجلة « الهلال » فى الوفاء لاعلامنا الراحلين ، الم يذكره سلامة موسى فى السنة الثانية والثلاثين من « الهلال » ، كما ذكره طاهر الطناحى فى السنة الثامنة والثلاثين ، وكما كان لعدد سبتمبر سنة ١٩٥٤ من الحديث عنه نصيب غير قليل ...

واذا كان المنفلوطى لم يلق كل التقدير الذى كان حريا به من مثل طه حسين وابراهيم المازنى ، والدكتور صلاح الدين القاسمى ، ومارون عبود ـ فانه من ناحية اخرى قد لقى من حسن التقدير ، وسماحة الرأى ، وبسطة الانصاف ، وفهم الظروف التى احاطت بالكتابة والانشاء فى عصره وقبيل عصره ـ ما عوضه عما يكون قد فاته من نقد الناقدين ، وعنت المتشددين غير المترفقين ...

الم يقل فيه أستاذ الجيل احمد لطفى السيد حين قرأ « النظرات » لأول مرة : (... من أشياخ البيان عندنا السيد مصطفى المنفلوطى . أكاد لا أجد له فى طريقته مثيلا بين كتابنا . وأقول من غير محاباة انه هو الثمرة الناضجة للعصر الكتابى الحاضر ...) .

ثم الم يقل فيه احمد حسن الزيات : (أشرق أسلوب المنفلوطى على وجه « المؤيد » اشراق البشاشة ، وسطع فى أندية الادب سطوع العبير ، ورن فى أسماع الادباء رنين النغم . ورأى القراء الأدباء فى هذا الفن الجديد ما لم يروا فى فقرات الجاحظ ، وسجعات البديع ، وما لا يرون فى غثاثة الصحافة ، وركاكة الترجمة ، فاقبلوا عليه اقبال الهيم على المورد الوحيد العذب) ؟

٥٠

ثم ألم يستقبل الكاتب اللامع أحمد شاكر الكرمي - شقيق صديقنا الشاعر عبد الكريم الكرمي - وفاة المنفلوطي في عدد من أعداد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٤ بقوله : (لقد فقد الناطقون بالضاد بموت المنفلوطي كاتبا هو أوسع كتاب العربية المعاصرين شهرة ، وأبعدهم صيتا ، وأكثرهم قراءة .. كاتبا كان يضرب أوتار القلوب ، فيضحكها قليلا ، ويبكيها طويلا . كاتبا كان له الفضل الأكبر في تهذيب ذوق الجمهور ، وتحبيب العامة بالآداب الرفيعة ، وترغيبهم في الاقبال عليها ... تعرض له الفكرة التي تعرض لسواه من الناس فيصورها صورة يعجز غيره عن تصويرها ..) ؟

ولا يفوتنا هنا ان نسجل رأى المنفلوطي في المنفلوطي نفسه ، فالرجل اعرف بنفسه ، وادرى بشانه ، واكثر تهديا الى حقيقته .. وحين حكم على ادباء عصره وأعلام وقته باحكامه الأدبية الوجيزة الصادقة ، لم ينس ان يحكم على نفسه قائلا في غير استعلاء ولا ادعاء : (المنفلوطي شعره كالعقود الذهبية . الا ان حبات اللؤلؤ فيها قليلة ، فهو يخلب بروائعه ، اكثر مما يخلب ببدائعه ..)

وحكم المنفلوطي هنا على المنفلوطي الشاعر .. ولعله كان كثير الاحساس بمنزلته في الشعر الذي هجره الى النثر ، كما هجر ابراهيم المازني الشعر وطلقه الى غير رجعة ، وكان هو والعقاد وعبد الرحمن شكرى أول المجددين فيه ...

***

والحديث عن شعر المنفلوطي يجرنا الى الحديث عن رأيه في الشعر حيث يقول : (وهل الشعر الا نثارة من الدر ، ينظمها الناظم ان شاء شعرا ، وينثرها الناثر ان شاء نثرا ، أو نغمة من نغمات الموسيقى ، يسمعها السامع مرة من أفواه البلابل والحمائم ، وأخرى من أوتار العيدان والمزاهر ، أو عالم من عوالم الخيال ، يطير فيه الطائر بقادمتين من عروض وقافية ، أو خافيتين من فقر واسجاع ...) .

وليس الشعر عند المنفلوطي وزنا وقافية ، وعللا وزحافات ، ولكنه (روح يودعها الله فطرة الانسان من مبدا نشاته ، ولا تزال كامنة فيه كمون النار في الزند ، حتى اذا شدا فاضت على اسلات الالسنة ، كما تفيض الكهرباء على اسلاكها ...) . اما الرجل النظام الذي يعتمد على الوزن والقافية ، اكثر مما

يعتمد على الشعور والحس ، واكتناه أسرار الكون ، وتحليل مشاعر النفس فهو رجل جامد المشاعر متبلد الاحساس : (فوالله ! للمحراث في يد الفلاح ، والقدوم في يد النجار ، والمسبر في يد الحداد ـ اشرف وانفع من القلم في يد النظام ! •••) •

وعلى الرغم من أن المنفلوطي هجر الشعر بعد ان نظمه زمانا وأجاد فيه ، فان بعض مترجميه الأوائل في العقد الثاني من هذا القرن ، قد عدوه من كبار الشعراء ، وقرنوه الى شوقي ، وحافظ ، واسماعيل صبري ، وأحمد محرم • وأحمد الكاشف ، وأحمد نسيم ومن اليهم ••• فهذا صديقنا الباحث المحقق الدمشقي أحمد عبيد ينظمه في سلك كتابه : (مشاهير شعراء العصر) فيقول عنه : (•• ومن نظر الى الشعر من وجهة الاحساس والشعور وقوة التصور والخيال ، حكم بأنه شاعر في كتابته ، كما هو شاعر في شعره ،وأنه لم ينقطع عن الشعر في جميع أدوار حياته • والظاهر أنه كان قليل الاكتراث بحفظ ما ينظم من الشعر ، فضاع أكثره مع الزمن •••)

ولا تزال تتردد في نفسي ذكريات شعر للمنفلوطي كنت اقرؤه وأحفظه حيث الشباب وارف ، والنفس مقبلة على كل طريف ••• وهل أنسى له مقطوعته في المشيب التي يقول فيها :

ضحكات الشيب في الشعر ... لم تدع في العيش من وطر
هن رسل الموت سانحة ... قبله ، والموت في الاثر
يا بياض الشيب ما صنعت ... يدك السمراء بالطرر ؟
أنت ليل الحادثات ، وان ... كنت نور الصبح والبصر
ليت سوداء الشباب ، مضت ... بسواد القلب والبصر
فالصبا كل الحياة ، فان ... مر مرت غبطة العمر ! ••

وهل أنسى له عينيته الجميلة في أسماء بنت أبي بكر وولدها عبد الله بن الزبير حين حرضته على مواصلة القتال ، فقاتل حتى قتل ، وفيها يقول : ـ

ان « أسماء » في الورى خير انثى ... صنعت في الوداع خير صنيع

وهل أنسى له قصيدته في وصف القلم ، وهي لا تقل دقة في الوصف وابداعا في التصوير عن قصائد في الموضوع نفسه لأبي تمام وغيره من الشعراء المجودين في وصف القلم ، وفيها يقول :

● ليس الشعر عند المنفلوطى وزناً وقافية، وعللاً وزحافات ولكنه روح يودعها الله فطرة الإنسان من مبدأ نشأته، ولا تزال كامنة فيه كمون النار فى الزند، حتى إذا شدا فاضت على أسلات أقلامه، كما تفيض الكهرباء على أسلاكها

جمع الله فيه بين نقيضيـــ   ـــن ، فكان الظلام منه نهارا
فهو حينا نار تلظى ، وحينـــا   جنة الخلــد تنثر الأزهــارا
وتراه ورقاء تنــدب شــجوا   وتراه رقطـــاء تنفث نارا ..
وتراه مصــــورا يرسم الحسـ   ـك بين الجــوانح الأوتــارا
وتراه مصــــورا يرسم الحسـ   ـن ويغرى برسمه الأبصــارا
فتخال القرطاس صــفحة خد   وتخــال المداد فيه عــذارا
كان غصنا ، فصار عودا ولكن   لم يزل بعد يحمــل الأثمارا
كان يستمطر السحاب فحال الأ   مر فاستمطر العقــول الغـزارا

ولما فرغ المنفلوطى من تعريب رواية « الفضيلة » أو « بول وفرجينى » سنة ١٩٢٣ - وكانت آخر ما أخرجه من كتب قبيل وفاته سنة ١٩٢٤ بعام واحد - ختمها بقصيدة همزية لعلها تؤكد لنا أنه لم يهجر الشـعر جملة ، وأنه دائم الحنين اليه ، فكان التوافق عجيبا بين جمعه للنثر والشعر فى كتاب واحد ..

وقد تعاطف المنفلوطى فى همزيته هذه مع الفقر والفقراء كعـــادته حين كان يسكب ذوب قلبه دموعا أو « عبرات » على البائسين والمحرومين . ولقـد كانت هذه القصيدة من لوازم محفوظنا مما كان يطالعنا به المنفلوطى من كتب وروايات وكان مدرسونا فى المدارس يفاضلون بيننا نحن الطلاب الصغار بما كان الواحد منا يحفظه من كلام المنفلوطى . واذا كان الله قد قدر لعيشنا ورزقنا أن يكــون كفافا فى ذلك الزمان ، فان فضيلة المنفلوطى أنه - بكتبه وبتعاطفه مع الفقراء - قد حبب الى كثير منا عيش الكفاف !

ولعل الأشجان وملامح الشجى التى يحملها لداتنا وأبناء جيلنا اليوم هى أثر من آثار الأشجان والأحزان التى كانت تصــادفنا فى كتب المنفلــوطى وفى نفثاته ! .. وهل تغيب عن حافظتنا الأبيات الأولى لهذه الهمزية حيث يقول :

يا بني الفقر : سلاما عاطرا من بني الدنيا عليكم وثناء ...
وسقى العارض من أكواخكم معهد الصدق ومهد الأتقياء
كنتم خير بني الدنيا ، ومن سعدوا فيها ، وماتوا سعداء
عشتم من فقركم في غبطة ومن القلة في عيش رخاء
خلق بر ، وقلب طاهر مثل كأس الخمر معنى وصفاء
أصبحت قصتكم معتبرا في البرايا وعزاء البؤساء !

والحق الذى تجلله الطرافة هنا ان قصة « بول وفرجيني » وحدها لم تعد معتبرا ، فان القصيدة التي نظمها المنفلوطي فيها كانت أكثر اعتبارا ، وأعظم اشتهارا .. ففي بلدة « عاليه » بجبل لبنان كان « وديع نصار » راعيا للكنيسة الانجيلية هناك ، فاضطر يوما الى التغيب عن الكنيسة في يوم موعظة الاحد ، واختار الشاعر المعروف « حليم دموس » لينوب عنه في القاء الموعظة ، فالقاها واردفها بقصيدة المنفلوطي ، وكانت تقارب الأربعين بيتا .. واستقبلها المصلون باستحسان شديد ، ولكن رؤساء الطائفة في بيروت استنكروا هذه الفعلة وعاقبوا وديع نصار بابعاده عن كنيسته .

وليست هذه الطرفة الوحيدة التي تتصل بشعر المنفلوطي وشاعريته ، فان القصيدة التي حكم عليه بالحبس فيها ستة أشهر لهجائه الخديو عباس يوم عودته في نوفمبر سنة ۱۸۹۷ ونشرت في جريدة الصاعقة للصحافي المنفلت اللسان : أحمد فؤاد ، كانت مجالا لتشطيرها من بعض الظرفاء الموالين للقصر بما يخفف من حدتها . وكانت مطالع أبيات المنفلوطي تقول :

قدوم ، ولكن لا أقول : سعيد وملك وان طال المدى سيبيد
علام التهاني ؟ هل هناك مآثر فنفرح أو سعى لديك حميد ؟
تمر بنا لا طرف نحوك ناظر ولا قلب من تلك القلوب ودود
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت علينا خطوب من جدودك سود !
رمتنا بكم مقدونيا ، فأصابنا مصوب سهم بالبلاء سديد .. !
فلما توليتم طغيتم ، وهكذا اذا أصبح التركي وهو عميد ...

فلما تلطف الجو الذى خلقته هذه القصيدة الموجعة ، انتهز أحد أصحاب الصيدليات في القاهرة هذه الفرصة ، فكتب على واجهة صيدليته بالخط الكبير الواضح :

قدوم الخديوى أكسب الناس صحة فأضحى دوائي لا يباع ولا يشرى !

***

ومن غرائب المفارقات بين المنفلوطي الصحافي المنشىء البياني ، وبين العقاد

● إن الموهبة عند المنفلوطي لم تحوجه إلى الإقتداء والتأثر بكاتب حديث أو قديم فقد كان أسلوبه ذاتياً مستقلاً أنشأه هو نفسه بقوة طبعه وسلامة فطرته وحسن ذوقه على غير مثال.

الصحافى الكاتب ، أن الثانى بعد وفاة الأول بعام وبعض عام كتب فى البلاغ دراسة فى أدب المنفلوطى أثنى عليه فيها بمقدار ، فقال انه (أحد أولئك الأدباء القلائل الذين أدخلوا « المعنى والقصد » فى الانشاء العربى ، بعد أن ذهب منه كل معنى ، وضل به الكاتبون عن كل قصد) ، ولكنه عاد بعد ذلك ليقول ان المنفلوطى « منشىء » لا « كاتب » ، وأن الفرق بين الاثنين كالفــرق بين الذهب الخالص والقشرة المطلية ! ٠٠ فالمنفلوطى ـ كما يراه العقاد ـ (منشىء لبـق الصناعة ، كثير التزويق فى الصياغة ، قليله فى المعانى والأفكار ٠ أو هو ـ اذا بالغنا فى انصافه ـ أقرب الى جماعة المنشئين منه الى جماعة الكتاب ٠٠٠) ٠

ولقد قضت الأيام على كل من الرجلين بالسجن ، لاتهام كل منهما بالاجتراء على رئيس البلاد ورأسها ٠٠ فظل المنفلوطى فى السجن بضعة أشهر ، الى أن سعى شيخه وأستاذه الامام محمد عبده لاصدار عفو عنه ، وظل العقاد فى الســجن تسعة أشهر هى مدة العقوبة التى حكم عليه بها ، وكان السجن طريق كل منهما الى شهرة أعرض ، وشعبية أوسع ٠٠ بل رأى العقاد نهاية ســجنه هى بداية الخلود حين قال من قصيدته التى ألقاها فى « بيت الأمة » عقب انطلاقه من عالم السدود والقيود :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر ... وهاأنذا فى ساحة الخلد أولد ! ٠

واذا كان ما بين « المنشىء » المنفلوطى ، و «الكاتب» العقاد قد اختلف باختلاف مذهبيهما فى الكتابة والتعبير وفقا لما قرره العقاد وذهب اليه ، فان أوجها أخرى من الوفاق قد قاربت بين الرجلين ٠٠ واذا كانت محنة السجن للتطــاول على العرش قد وحدت بين رائدين فى مجال النثر العربى المعاصر ، فان هناك ملمحا آخر من ملامح التشابه فى الظروف لا يجوز لنا أن نغفله ٠٠ فقد شاءت ارادة الله للمنفلوطى والعقاد أن لا يمضى واحد منهما فى طلب العلم والتعليم الى نهاية الشوط ٠٠ فالأول انقطع به الطريق فى الأزهر بعد سنوات من الطلب ، والثانى وقف بالتعلم عند مرحلة التعليم الابتدائى ، ولهذا لم يكــونا من أصــحاب

« الشهادات » التي تجيز لأصحابها ارتقاء السلم الوظيفي ، والوصول به الى أبعد غايات الوظائف ... فلما تولى سعد زغلول وزارة المعارف سنة ١٩١٠ كان يضمر للمنفلوطي خيرا ، ويكن له حبا ، ويدخر له ولادبه تقديرا ، فعينه في وظيفة محرر عربي بالوزارة لعله يصلح من لغتها الرسمية ، وعباراتها الديوانية وهي وظيفة اقرب الى وظيفة ((كتاب دواوين الانشاء) بالدول العربية المتعاقبة، حتى لا يصدر عن الديوان رسالة ركيكة ، أو عبارة متهافتة . وكانت تلك الوظيفة للمنفلوطي جزاء وفاقا له على ما اسداه للبيان العربي من نفحات ..

ولكن طالبا من طلاب دار العلوم في ذلك الزمان ، واسمه الشيخ منصور مهران لم يعجبه ذلك التكريم لأديب كاتب اشتهر « بالنظرات » في أجزائها الثلاثة ، وبالمقالات الجياد ، في جريدة المؤيد . وكان اعتراض الطالب المعترض على أن المنفلوطي رجل لا يحمل شهادة ، ولم يكمل تعليما ، ولم يدرس العربية دراسة منهجية منظمة . وانتهز المنتهزون هذه الفرصة ليشوهوا صورة سعد زغلول عند الخديو عباس ، ويجعلوه وزيرا لا يعترف بقانون ، ولا يمضي على شريعة من أمر الوظائف .. فما كان من سعد الا أن قال ردا على ذلك : اذا لم يكن للمنفلوطي من الشهادات سوى كتبه فكفاه ذلك فخرا ..

وكذلك كان موقف سعد زغلول من المستشار الانجليزي للمعارف «دنلوب» حين قامت قيامته لهذا التعيين الذى لم يجر على سابقة منذ تقنين الوظائف ، فما كان من سعد الا أن اسكته بقوله :

(ان الحكومة في حاجة ماسة الى مثل مصطفى المنفلوطي ..)

***

ولا شك أن المنفلوطي ظهر رائدا في الأدب والبيان منذ العقد الاول من القرن العشرين . فقد رثت أساليب الكتاب بانتهاء القرن التاسع عشر ، وأصبح أسلوب المويلحي الكبير وولده « محمد » صاحب حديث عيسى بن هشام ينادي بضرورة قيام أسلوب جديد . ولم يستطع كتاب مثل أحمد حافظ عوض ،ومحمد مسعود ، وقاسم أمين ، والشيخ على يوسف ، والشيخ محمد عبده ، وابراهيم اليازجي ، وأحمد لطفي السيد ـ على الرغم من رسوخ أقدامهم في الكتابة والصحافة ـ أن يملأوا المكان الذى ملأه المنفلوطي باقتدار . فقد بهر الناس وجذبهم برسائله التي كان ينشرها في المؤيد منذ سنة ١٩٠٨ . ولفت القراء بأسلوب ممتع مترسل جديد لم يألفوه من قبل .

ويكفي أن يقول الزيات بانه كان هو وزميلاه في الأزهر : طه حسين ومحمود زناتي ، وبعض الأيفاع المتأدبين يترقبون المؤيد يوم الخميس ليقرءوا مقال المنفلوطي خماس ، وسداس ، وسباع (وطه مرهف أذنيه ، وزناتي مسبل عينيه والزيات مأخوذ بروعة الأسلوب ، فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يعقدون أسبابهم بهذا المنفلوطي الذى اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر .)

وبالطبع لم يات المنفلوطي الى مكان الريادة في ساحة الأدب والبيان من فراغ، فقد كان يقرأ كثيرا لابن المقفع،وابن العميد،وأغلب الظن أنه قرأ لغيرهما من اعلام

النثر ، وأمراء البيان منذ العصر الأموى ، ولكنى أشك كثيرا فيما قاله الصديق أحمد حسن الزيات ـ رحمه الله ـ من أنه تأثر فى الحديث بجبران ، وميخائيل نعيمة ، لأنه بدأ يكتب « النظرات » تباعا فى « المؤيد » منذ سنة ١٩٠٨ ، ولم يكن لجبران فى ذلك الزمان الا (عرائس المروج) التى ظهرت فى نيويورك سنة ١٩٠٥ . أما بقية كتب جبران فقد ظهرت منذ سنة ١٩١١ ، كالأجنحة المتكسرة ، والمواكب التى ظهرت سنة ١٩١٨ ، والعواصف التى ظهرت فى مصر سنة ١٩٢٢ ، وكان المنفلوطى قبل ذلك كله نجما لامعا ، وظهرت « النظرات » فى كتاب واحد سنة ١٩٠٩ .

وهكذا نجد أن الموهبة عند المنفلوطى لم تحوجه الى الاقتداء والتأثر بكاتب حديث أو قديم . فقد كان أسلوبه ذاتيا مستقلا أنشاه هو نفسه بقوة طبعه ، وسلامة فطرته ، وحسن ذوقه على غير مثال . فقد كان الرجل صادقا حين قرر أنه استطاع أن ينفلت من قيود التمثل والاحتذاء . وتدل عبارته على أنه حمد الله على ضعف ذاكرته ، التى كانت عاجزة عن أن تمسك الا قدرا قليلا من مقروءاته . فقد كان يقرأ وينسى ، ولا يذكر انه عنى نفسه يوما بأن يحشو حافظته بما كان يقع عليه فى قراءاته من منثور ومنظوم ...

رحم الله المنفلوطى : لقد تعرض لنقد من طه حسين ، وصلاح الدين القاسمى والمازنى ، ومارون عبود . وما انتفضت لنقد كمثل ما صادفنى من نقد المازنى رحمه الله ـ فقد وصف أدبه بأدب الضعف والحلاوة والنعومة والانوثة . وكان جو (الديوان) الذى أصدره العقاد مشتركا مع المازنى سنة ١٩٢٢ هو الذى أوحى الى المازنى بهذه القسوة التى لم أعرف لها سببا .

وقد يكون وراءه بواعث لم تنكشف لى حقيقتها . وكذلك كان «مارون عبود» فى كتابه : (جدد وقدماء) غير موفق فى تحامله الشديد على المنفلوطى ، فهو يكشف فى نقده عن كلام له خبىء .. والا فما كان أغناه فى سنة ١٩٥٤ وبعد وفاة المنفلوطى بثلاثين عاما كوامل أن يقول : (لا أدرى لماذا صرت أرى المنفلوطى رخوا مترهلا كالمرأة الهركولة التى تعتمد على يديها ورجليها ، لتنهض وتكاد تقعد لولا التشدد ، كهريرة الأعشى . فأدب المنفلوطى أدب مفلطح متنفش ، اغترت الصحف بخرزاته وودعاته فلقبته « أمير البيان ») .

أغلب ظنى انهم ـ ولا اسميهم ! ـ استكثروا على المنفلوطى لقب أمير البيان فحولوه الى ناحية الأمير اللبنانى : شكيب ارسلان . ولكن شاء الله أن يقول عنه ـ منذ ثمانية وخمسين عاما ـ صديقنا الباحث الراوية المحقق الدمشقى احمد عبيد : (هو صاحب القلم البديع الجذاب ، المتفوق فى جميع الأغراض والمقاصد ، حتى سمى بحق « أمير البيان » ولأسلوبه تأثير خاص على نفوس القارئين ، كأنه يكتب بكل لسان ، ويترجم عن كل قلب . وقد صار أسلوبه المثل الأعلى الذى يحاول دائما ان يحتذيه الناشئون والمتأدبون ..)
رحم الله المنفلوطى عداد ما أسدى الى الكتابة والبيان ، من حسنات واحسان ...

المنفلوطي

صاحب أسلوب

● د . عبد العزيز الاهواني ●

● الذين يؤرخون للنثر العربي الحديث ، والذين يصنفون الادباء المصريين منذ عصر النهضة ـ سيجدون انفسهم امام تطور ثقافي خرج منه صنفان من الادباء، صنف المفكرين والذين مثلهم رفاعة رافع الطهطاوي الذي يعتبر داعيا لفكر جديد ، والذي اتخذ موقفا عقلانيا من الحياة والمجتمع ، والذي قدر ان الحضارة الاوروبية يمكن ان يكون لها دور ايجابي نافع في حياتنا الشرقية

ويجيء جيل بعد رفاعة رافع الطهطاوي على راسه لطفي السيد ، وفتحي زغلول وكثيرون من ابناء الجيل الماضي الذين اعتبروا انفسهم رسلا لفكر وآراء تصاغ وتذاع في لغة يتوخى فيها البساطة والفهم والوصول الى الفرض مباشرة ، وبجانب هؤلاء وجوه من نسميهم باصحاب الأسلوب من الادباء ، وهؤلاء يعنون بلغتهم وبطرائق التعبير وبأساليب البلاغة عناية ربما فاقت عنايتهم بالفكرة أو بالموضوع

وهذا الصنف الثاني ـ اي اصحاب الاسلوب ، هو الصنف الذي ارتبط بالتراث العربي القديم ارتباطا اقوى من ارتباط الصنف الاول . ويلاحظ الباحث او المؤرخ ان الثقافة والادب بمعنى الاسلوب كان وليد دراسة اللغة العربية في معهدها الاول وهو الجامع الأزهر ثم معهدها الثاني دار العلوم .

كان جيل الازهر اولا وجيل دار العلوم ثانيا لا يسلم بلقب أديب الا لمن سلمت لغته سلامة كاملة من اى لحن او خطأ او شذوذ . وكان يكفي في تلك العصور ان يكون المرء قادرا على ان يقيم الوزن في الشعر وعلى ان يكتب أو يخطب دون خطأ لغوى ليكون اديبا ...

ودور المنفلوطي الحقيقي ولورثه انه وهو الازهرى تعليما، وهو المنتمى الى مدرسة الاسلوب ـ انه استطاع بذوقه وحسه وشاعرية نفسه ، أن يطوع اللغة والاساليب البلاغية تطويعا فتن به الشباب في عصره ، ووجدوا فيه ضالتهم المنشودة من حيث سلامة اللغة وموسيقية التعبير ، وجمال الاداء ، فتخلصت على يديه مدرسة الاسلوب مما كانت تتورط فيه من قيم



جمالية لدى الجيل السابق عليه ، وهى السجع والمقابلات والمحسنات البديعية والاستعارات والمجازات التى كثيراً ما تخرج عن السياق ولا تستقيم مع روح المقالة أو القصة .

أما المنفلوطى من حيث هو مفكر ، فلا نستطيع أن نسند اليه دوراً فكرياً واضحاً ، اللهم الا ان نقول انه ينتمى للمدرسة الرومانسية او الوجدانية ، أما من حيث اسلوبه ولغته فهو كاتب ممتاز ، امتدت آثاره الى جيل الشباب فى عصره والمرت هذا النثر الأدبى الطبع الذى استخلم بعده .

ولا ينبغى ان ننسى ان المنفلوطى توفى عام ١٩٢٤ وان طه حسين فى شبابه حمل عليه حملة شعواء ، وانتقد مقالاته وكتاباته نقداً شديداً فى حياته ، واننا لو راجعنا هذا النقد لوجدنا ان طه حسين وكان شاباً يطلب الشهرة ركز على الاخطاء النحوية واللغوية فى كتابات المنفلوطى ، وكان هذا التركيز على هذا الجانب دليلا على ما كان يفهمه جيل الشباب فى اول هذا القرن من معنى الادب ، وانه فى المقام الاول يرتكز على صحة اللغة وسلامتها ، ولقد كان طه حسين فيما بعد يستنكر مقالاته هذه لتلامذته والمقربين منه ، ويعتبر انها كانت خطرات شاب فى اول حياته الادبية .

نقول ان عناية النقد وان صدر من شاب وهو طه حسين فى جيل المنفلوطى كانت مركزة حول فن الاسلوب بالمعنى القديم المعتمد على الصحة اللغوية قبل كل شىء .

والآن لعناية المنفلوطى ودوره فى مجال الاسلوب وانتماؤه الى ما سميناه مدرسة الاساليب ، وأن دوره فى مجال الفكر والآراء كان فى المقام الثانى — لا ينقص من قدره ، بل يؤكد الدور الخطير الذى اداه للأدب العربى ، وهو تطوير مدرسة الاسلوب الى مدرسة جديدة .

فاذا قورنت كتابات المنفلوطى بكتابات المفكرين كرفاعة الطهطاوى والسابقين عليه ، او بكتابات الادباء المعاصرين له وخاصة جبران خليل جبران الذى كان ايضا مثار شغف وشوق لدى شباب القراء فى الجيل الماضى .

نقول اذا وازنا بين اسلوب المنفلوطى وبين اسلوب هذين الكاتبين ، وضح فعلا ما ندين به جميعا للمنفلوطى من انه وضعنا على الطريق الصحيح بحسه الجمالى وموسيقاه العاطفية ، وفتح آفاقا امام اللغة العربية طوعتها للحياة الادبية وخلصتها من عقد التكلف والتعقيد .

المنفلوطى

معلم الأدباء

● د . احمد متولى مسلم ●

نحن ومعلمونا تتلمذنا على مدرسة المنفلوطى ، وتعلمنا فيها الانشاء ، والرومانسية ، والانسانية ، والقيم الخلقية ..

النظرات ، والعبرات ، والفضيلة ، وماجدولين ، والشاعر ، وفى سبيل التاج — كلها تركت فى ذكرياتنا وضمائرنا آثارا لا تمحى . وكنت تلقى كتبه فى كل بيت ، وفى كل مدرسة ، وفى كل مكتبة عامة ، وفى يد كل طالب يتعلم ، وكل مدرس يعلم .. ولم يكن الطالب يكتب موضوع الانشاء الا وعبارات المنفلوطى تتراقص تحت بصره ، او تتداعى فى ذاكرته .

وكان لكلماته وقع السحر فى نفوسنا ، لبساطة الفكرة ، ودقة اللفظ ، وموسيقى الايقاع والاهم من ذلك صدق الاخلاص ورهافة الحس .

ومن تلاميذه جيل الادباء العظام الذين ظهروا فى اوائل القرن ، ولا يزالون يؤثرون فى الاجيال بعطائهم الوفور . وعلى سبيل المثال اعترف الاستاذ احمد حسن الزيات انه هو وصاحبه طه حسين كانا يتابعان مقالات المنفلوطى بشوق شديد ، ويقرآنها بشغف بالغ ، وكان لذلك اثره فى الاسلوب الجمالى الذى اختاره فى الكتابة ، وان تميز كل منهما بطابعه الخاص .

ونستطيع ان نقول ان معظم ادبائنا الكبار خرجوا من جبة المنفلوطى ، كما خرج الروائيون الروس العظام من معطف « جو جول » ...

ماذا صنع المنفلوطى فى الادب ؟ ولماذا كان اول منهل لناشئة الادباء ؟

ظل النثر الفنى يجرجر اذيال الركاكة والتخلف قرونا طويلة ، ويقدم نماذج شوهاء لادب القاضى الفاضل وابن المقفع . وقبيل عصر المنفلوطى بدأ الناس ينفرون من هذا الادب الممل ، ويحيون التراث العربى المجيد .. وفى هذا الجو ظهر المنفلوطى ، وارشده الامام « محمد عبده » الى تجنب الصنعة والزخارف اللفظية ، فخرج على الناس باقاصيص جيدة تبرز معاناة الانسان بشكل درامى ، وبأسلوب طلى ، ولفظ بسيط ، وبيان عذب . كان صادق العاطفة ، بعيدا عن التكلف والتقليد .

لقد نظر المنفلوطى فى النثر القديم ، لكنه جدد فى صياغته ومعانيه ، وافرغ فيه مشاعره الذاتية الرقيقة ، بحيث تتعرف على شخصيته من كتاباته .

وشهد له « العقاد » بالرائد الادب العربى ، حيث يقول : « لقد كان المنفلوطى احد اولئك الادباء القلائل الذين ادخلوا المعنى والقصد فى الانشاء بعد أن ذهب منه كل معنى ، وخلا به





الكاتبون من كل قصد »
هكذا كان المنفلوطى ، فماذا بقى منه اليوم ؟

لقد اختلفت الظروف كل الاختلاف عما كانت عليه فى جيلنا ،وتغيرت المفاهيم وتطورت الاهداف ، ولم يعد القديم يتخذ مثلا يحتذى.. لعلها أزمة الثقافة بأكملها ، لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم كله ، الذى اصبح قرية واحدة بعد تطور الاتصالات والمواصلات بين الانسان والانسان فى كل مكان من العالم . يوجد شعور عام بضرورة التغيير واعطاء معنى مختلف لكل ما هو متعارف عليه

كان ادباؤنا الكبار - فى مطلع القرن - يقفون فى خشوع امام الصور القديمة من الادب ، ويريدون ان يفلتوا من تأثيرها الساحق ، ليجددوا فى الاسلوب بصفة خاصة ، وفى المضامين اذا امكن .

أما الكاتب الجديد فهو لا ينظر الى الادب القديم بهذا التقديس ، بل انه لينكره ويجرده من كل قيمة فنية .. هم الكاتب الجديد تجديد الفكر العربى حتى لو اضفنا الى لغتنا الجميلة لغة شائهة ينفر منها النظر والسمع .

وبعض الكتاب المحدثين يدعو-صراحة - الى الكتابة بلغة عامية او قريبة من العامية . وقد يميل طلاب الادب ، بحكم روح العصر وسرعة الايقاع وضعف اداء اللغة لديهم ، الى اهمال جانب اللغة .. وقواعدها المعقدة ، مكتفين بقدرتهم على خلق الصور ، وابداع الافكار .

وقد حذر المنفلوطى من ذلك ، كأنه كان يرجم بالغيب ، ويتنبأ بالاتجاه الجديد ، فيقول :

« يجب ان نحافظ على **اللغة** ، باتباع قوانينها ، والتمسك باوضاعها ، ومميزاتها الخاصة بها ، ثم نكون احرارا بعد ذلك فى التصور والتخيل واختيار الاسلوب الذى نريد .

« يجب ان يتمثل المعنى فى ذهن المتكلم ، قبل ان يتمثل **اللفظ** ، حتى اذا حسن الاول فاض على الثانى جماله ورونقه .

فاللفظ لا يجمل حتى يجمل المعنى .. بل لا مفهوم للفظ الجميل الا بالمعنى الجميل »

وبعد نصف قرن من الزمان يؤكد الاستاذ توفيق الحكيم الفكرة ويوضحها فيقول :

« اهم صفات الاثر الادبى والفنى فى نظرى : الاتقان والامتاع والانسانية. فمن انتج فى الادب أو الفن عملا غير متقن فى أسلوبه الفنى ، ولا محكم فى تعبيره الادبى ، فقد وقع فى العجز الشكلى .. ومن صنع عملا لامتعة فيه ولا روعة ، فقد صنع شيئا آخر غير الادب والفن ..

ومن صنع عملا متقنا ممتعا رائعا ، ولكنه فاقد المعنى الانسانى ، والفكرة النافعة للانسان والمجتمع فقد صنع ادبا وفنا ، ولكنه ادب وفن من طراز بارع الصنعة ، زهيد القيمة » .

والخلاصة ان اللغة اداة لا غاية فى ذاتها ، ولكنها ـ فى لغة العرب والقرآن خاصة ، جزء صميم من العمل الادبى ، واللفظ لابد ان يطابق المعنى .

● نفسية المنفلوطى :

لم يكن المنفلوطى متوقد الذكاء . وصفه الاستاذ احمد حسن الزيات بانه « كان سليم الفكر فى جهد ، هيوب اللسان فى تحفظ ، وكان يتقى المجالس ، ويتجنب الجدل ، ويكره الخطابة » وبسبب ذكائه المحدود لم يسع الى تعلم لغة اجنبية ، ليوسع أفق ثقافته وليقرأ الروايات التى عربها فى منابعها ، بل اكتفى بأن يترجمها له اصدقاؤه ويتناولها هو بقلمه .

والتعليم النظامى الذى تلقاه المنفلوطى كان الدراسة عشر سنوات فى الازهر وكان التعليم فى الأزهر ـ قبل التغيير الجديد ـ اقرب الى التعليم فى القرون الوسطى ، وقد وقف اكثر رجال الازهر وقتذاك ضد المدارس الحديثة وضد الازهريين المتنورين .. امثال رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عبده ، وطه حسين ، واحمد امين ، ومصطفى عبد الرازق ..كان مبدأ رجال الازهر القدامى سلفيا تقليديا : كل خير فى اتباع من سلف ، وكل شر فى اتباع من خلف ..

ذكاء متواضع ، وتعليم متواضع ، لا يشحذ قريحة ، ولا يثير همة ، ومع ذلك يبرز المنفلوطى بفضل موهبته لا صنعته ، لأن الصنعة لا تخلق ادبا مبتكرا ، ولا اديبا متفوقا ، ولا طريقة مستقلة .

والذكاء والموهبة لا يلتقيان بالضرورة فبعض الموهوبين منخفضو الذكاء ، او متوسطو الذكاء . والاقلية منهم مرتفعو الذكاء . وحين تقترن الموهبة بارتفاع الذكاء يوجد العبقرى . وحين تجتمع الموهبة والذكاء المتوقد ودافع قوى للانجاز وتحقيق الذات ، تخرج الطبقة الممتازة النادرة من الكتاب ، أمثال العقاد ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم .

ومفتاح شخصية المنفلوطى يتجلى فى عاطفته الجياشة ، وذوقه الرقيق ، واتجاهه الخلقى القوى ..

ويرجع ذلك الى وراثته ، وتربيته فى بيت كريم بالدين ، جليل بالفقه ، توارث أهله قضاء الشريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتى عام .

وبسبب هذه العاطفة وهذا الذوق انصرف عن علوم الازهر الجامدة ، ولم يلق بالا الا لعلوم اللسان ، وفنون الادب ، ونظم الشعر ، وكتابة المقالات فلفت الانظار اليه ، وقربه محمد عبده وزجهه ، وكذلك قربه سعد زغلول ، وتبناه ، وشجعه الشيخ « على يوسف » صاحب المؤيد ونشر مقالاته . وكان لهؤلاء الثلاثة اثر كبير فى تكوين شخصية المنفلوطى الادبية .

وبسبب عاطفته الجياشة كان شديد المشاركة للبؤساء ، حتى لترى صدق شعوره وعمق الله فى كل صفحة خطها .. فى اهداء « العبرات » يقول : « الاشقياء فى الدنيا كثير . وليس فى استطاعة بائس مثلى ان يمحو شيئا من بؤسهم وشقائهم ، فلا اقل من ان اسكب بين أيديهم هذه العبرات ، علهم يجدون فى بكائى عليهم تعزية وسلوى »

واتجاهه الخلقى الذى يرجع الى الضمير الحى والعقيدة السليمة ، جعله يتعلق بالقيم الروحية والانسانية ، فتغنى طول حياته بالعطف والرحمة ، والحنان والاحسان ، والفداء والوفاء ، والحرية والسلام . وقد تناولها بطريقة مباشرة صبغت ادبه بسذاجة الوعظ ، وبراءة الأطفال .

واتجاهه الخلقى املى عليه ان يكون وطنيا صادقا . كان الخديو عباس الثانى على خلاف مع الاحتلال فانحاز الى جانب الحركة الوطنية ، فكتب المنفلوطى قصيدة فى مدحه كان مطلعها :

ملك يسير السعد حول ركابه
فكانه من جملة الحراس

ويمضى عام بعد ذلك ، وينقلب الخديو الى مساندة الاحتلال ، وينكشف خداعه للامة ، فيكتب نفس القلم قصيدة قوية بلا امضاء ، يهجو بها الخديو ، اثر عودته من رحلة داخلية الى الاسكندرية ، وكان مطلعها

قدوم ولكن لا اقول سعيد
وملك وان طال المدى سيبيد

ويقبض عليه فيعترف بانه صاحب القصيدة ، ويحكم عليه بالسجن ، ويخفف الحكم الى ستة اشهر بفضل جهود صاحب « المؤيد » .

وقد ظهر المنفلوطى فى مرحلة ازدياد الوعى والحنين الى الخلاص من الاستعمار ، فقدس الحرية ، ومن كلماته الخالدة :

« الحرية شمس يجب ان تشرق فى كل نفس ، فمن عاش محروما منها عاش فى ظلمة حالكة ، يتصل اولها بظلمة الرحم ، وآخرها بظلمة القبر . ان الانسان الذى يمد يده لطلب الحرية ليس بمتسول ولا مستجد ، وانما هو يطلب حقا من حقوقه التى سلبته اياها المطامع البشرية ، فان ظفر بها فلا منة لمخلوق عليه » .

وبعدثورة ١٩ قدم المنفلوطى رواية « فى سبيل التاج » التى ترجمها صديق له ، وهى تجارى روح ثورة ١٩ ، وتصور كفاح شعب من شعوب البلقان ، من اجل الحصول على حريته واستقلاله ، وقد اهداها الى راعيه الزعيم الوطنى « سعدزغلول »: « الى الزعيم العظيم سعد باشا زغلول اقدم البطل البلقانى الى البطل المصرى لتانس نوح كل منهما بروح صاحبه » .

ومن المصادفات الغريبة فى حياة المنفلوطى انه عاش ثمانية واربعين عاما نصفها بالضبط فى ختام القرن الماضى، ونصفها فى مطلع القرن العشرين . مصادفة اخرى انه ولد قبل خمس سنوات من الاحتلال الانجليزى لمصر ، ومات بعد خمس سنوات من ثورة ١٩ .

وقد تكون هذه « السيمتريه » ترتيبا الهيا ، ليقف المنفلوطى على راس المدرسة الحديثة ، التى نقلت النثر من المحسنات اللفظية والكلمات المعقدة والمعانى التافهة ، الى السلاسة والطلاقة وسهولة الكلمات وعذوبة الاسلوب .

ومصادفة ثالثة فى حياته : انه مات فى نفس اليوم وقعت فيه محاولة اغتيال سعد زغلول فى محطة مصر ، فانشغل الناس بالحادث ، ولم يخرج وراء نعش المنفلوطى الا اهل بيته ..
عاش الرجل ومات فى تواضع ، وحياء !

« فى سبيل الله تلك النفس الطاهرة الكريمة التى ما حملت فى حياتها شرا لمحسن ولا لمسىء ، وذلك الصدر الرحب الذى كان يسع الدنيا بارضها وسمائها ، فلا يضيق عنها ، وذلك القلب النقى الابيض الذى ما اضمر فى حياته غير الخير والاحسان ، ولا فاض الا بالرحمة والحنان »

والعبارة من المنفلوطى فى « العبرات» وهو خير من تهدى اليه ، لانها تنطبق عليه ..

رثاء شوقى للمنفلوطى

● د . احمد الحوفى ●

زخر ديوان شوقى بالمراثى حتى انها تجاوزت الستين ، جاء قليل منها مصورا صادقا لمشاعره وآلامه اذا كان المتوفى صديقا حميما له . وجاء اكثرها تنويها بمآثر المتوفى ، واشادة بفضله ، ومساءلة له عن الحياة والموت،واستكناها لما بعد الموت ، وجنوحا الى الحكمة ..

ولقد كان رثاؤه لمصطفى لطفى المنفلوطى من الضرب الثانى ...

ويبدو ان شوقى لم يخالطه مخالطة تنيض بالود ، أو تمزج النفس بالنفس، لكنه كان على ثقة بأن المنفلوطى صاحب قلم بليغ ، واسلوب رائع ، اخاذ متميز ، وكان عظيم التأثير فى كثير من الكتاب والشباب الذين قرأوا ما الف أو ترجم .

ولا شك أن شوقى كان يعجب بالبيان الرائع سواء أكان شعرا أم نثرا .

ومن المصادفات العجيبة ان المنفلوطى توفى يوم ١٢ من يوليه عام ١٩٢٤ وهو اليوم الذى اعتدى فيه شاب مفتون على سعد زغلول رئيس الوزراء وزعيم الأمة ، فاطلق عليه رصاصة أصابت ساعده الأيمن وجانبا من صدره ، وكان ذلك فى محطة القاهرة ؛ وسعد ينتوى السفر الى الاسكندرية ليحضر الاحتفال بعيد الأضحى .

كان لهذا الاعتداء دوى فى مصر وفى القاهرة بخاصة شغل الشعب كله ، وشغل أنصار سعد ومعارضيه جميعا فصرف الأسماع عن وفاة المنفلوطى . ولهذا كانت جنازته خافتة ، ولولا جرح سعد لكانت الجنازة اشد ازدحاما ، ولكان مشيعوه أكثر آلاما ..

***

١ ــ بدأ شوقى المرثية بمطلع من مطالعه البارعة ، ذكر فيه اقتران الوفاة باطلاق الرصاص على سعد ، واعتذر عن قلة مشيعى المنفلوطى بانه مات يوم الهول الذى طغى على نبأ موته ، فلم يستطع ناعيه أن يسمع أحدا ، لأن عواصف الحادث كانت اعلى منه صوتا،



مصطفى لطفي المنفلوطي



احمد شوقي

ولان الذين وجه النعي اليهم لم يسمعوه ، اذ كان حزنهم على الزعيم قد سد آذانهم .

وعقب شوقي على هذا بحكمة من الحكم التي برع في سوقها مناسبة لما قبلها هي أن الذي يموت يوم القيامة لا يجد من يشيعه ، فالناس جميعا في شغل بنفوسهم وكل منهم يفر من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه :

اخترت يوم الهول يوم وداع
ونعاك في عصف الرياح الناعي
هتف النعاة ضحى فاوصد دونهم
جرح الرئيس منافذ الاسماع
من مات في فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع او حفاوة ساع !

***

٢ ـ وقفى على هذا باعتذار آخر للمنفلوطي عن قلة الذين شيعوه ، فود لو ان جنازته تمهلت ، مع أن المنفلوطي لا يحفل بمظاهر الحياة الدنيا لانها لا قيمة لها في تقدير الموتى ، وحسبه أن ينتظم في مصاف العباقرة اصحاب المجد الحافل باعظم المواكب واكثر التابعين والمقدرين ، لانه اذن يعلو الى سماء المجد ويخلد بفضله وآثاره :

من مات في فزع القيامة لم يجد
قدما تشيع او حفاوة ساع !
ما ضر لو صبرت ركابك ساعة
كيف الوقوف اذا اهاب الداعي ؟
خل الجنائز عنك لا تحفل بها
ليس الغرور لميت بمتاع !
سر في لواء العبقرية وانتظم
شتى المواكب فيه والاتباع
واصعد سماء الذكر من اسبابها
واظهر بفضل كالنهار مذاع !

٣ ـ ثم نوه بقلم المنفلوطي ، وبراعة فنه ، وحيوية نثره الدال على شباب دائم متجدد على حين ان الشيب قد خالط رأسه ، وقال انك تقرا ما كتب نثرا فتحسب انك تقرا شعرا .. وانه كان حريصا اشد الحرص على اللغة العربية الفصحى في كل ما كتب ، فان كتب في موضوع قديم ابدع ، وان كتب في موضوع جديد اعجب ، كالشمس شعاعها متجدد لا يفتر ولايبلى :

فجع البيان وأهله بمصور
لبق بوشي المتعات صناع !
مرموق أسباب الشباب وان بدت
للمشيب في الفود الأحم رواعي
تتخيل المنظوم في منثوره
فتراه تحت روائع الأسجاع !
لم يجحد الفصحى ولم يهجم على
أسلوبها أو يزر بالأوضاع
حر البيان قديمه وجديده
كالشمس جدة رفعة وشعاع !

٤ ـ وبعد هذا عرض لبعض ما كتب المنفلوطي ، فذكر من كتبه النظرات والعبرات ، وعقب على هذا بأن العبرات تنبيء عن حزن وضيق بالحياة ، والحكيم هو الذى لا يتبرم بالحياة ، لأنها هى والدهر والأرض والسماء والأناسى خاضعة للقدر ، كالشراع فى لجة البحر ، تسيره الريح كيف تشاء .

ثم ساءله عن البواعث التى قبحت اليه الحياة ، فلم يجد فيها غير أشقياء وجياع ، حتى انه لم ير فى وجوه الناس وفى عيونهم الا بقايا دموع أو ندوب دموع .

وعقب شوقى على هذا بأن الحياة ليست كلها عذابا وشقاء وبكاء ، وليس الشقاء مقترنا دائما بالفقر ، وليست السعادة تابعة دائما للغنى ؛ فان الكوخ كثيرا ما يشرق بسعادة سكانه ، وكثيرا ما ينوء القصر بشقاء أربابه ، وكثيرا ما يتقنع البؤس ويتوارى عن الأنظار ، وهو أشد وأنكى من البؤس السافر :

يا مرسل (النظرات) فى الدنيا وما
فيها عن ضجر وضيق ذراع
ومرقرق (العبرات) تجرى رقة
للعالم الباكى من الأوجاع
من ضاق بالدنيا فليس حكيمها
ان الحكيم بها رحيب الباع
هى والزمان بأرضه وسمائه
فى لجة الأقدار نضو شراع
من شوه الدنيا اليك فلم تجد
فى الملك غير معذبين جياع ؟
أبكل عين فيه او وجه ترى
لمحات دمع او رسوم دماع ؟

لا الفقر بالعبرات خص ولا الغنى
غير الحياة لهن حكم متاع
ولرب بؤس في الحياة مقنع
اربى على بؤس بغير قناع !

٥ ـ وانتقل من هذا الى مناجاة المنفلوطى ومساءلته عن الموت وعما وراء الموت ، وذكر أن أحبابه وخصومه قد صمتوا بعد موته ، وأنه قد فرغ من حقد الخصوم الذين شنوا عليه غاراتهم ، وهو لم يحفل بهم ، بل واصل جهده الرائع ، فكان هو الرد المفحم لهم .

ولم ينس شوقي أن يصف الحانقين على المنفلوطى بأنهم مرضى ، ولابد أن يخلفهم أصحاء مبرأون من الحقد يقضون للمنفلوطى بالتفوق والاقتدار ، وسيكون فى حكم التاريخ صاحب القلم البليغ والمرتبة العليا التى لا ينالها الا الأفذاذ :

يا مصطفى البلغاء اى براعة
فقدوا واى معلم يراع ...
اليوم ابصرت الحياة فقل لنا
ماذا وراء سرابها اللماع ؟
وصف المنون فكم قعدت ترى لها
شبحا بكل قرارة ويفاع
سكن الأحبة والعدا وفرغت من
حقد الخصوم ومن هوى الأشياع
كم غارة شنوا عليك دفعتها
تصل الجهود فكن خير دفاع
والجهد موت فى الحياة ثماره
والجهد بعد الموت غير مضاع !
فاذا مضى الجيل المراض صدوره
واتى السليم جوانب الأضلاع
فافزع الى الزمن الحكيم فعنده
نقد تنزه عن هوى ونزاع
فاذا قضى لك ابت من شم العلا
بثنية بعدت على الطلاع
واجل ما فوق التراب وتحته
قلم عليه جلالة الاجماع !

ثم ختم المرثية بتمجيد حرية الفكر والقلم والتنويه بشجاعة القلم والرأى ، والتنفير من نفاق الاقلام ومن جبنها ، لأن جبنها عار ووصمة كجبن المحاربين وفرار المقاتلين .

المنفلوطى

أديب ظلمه عصره وما بعد عصره

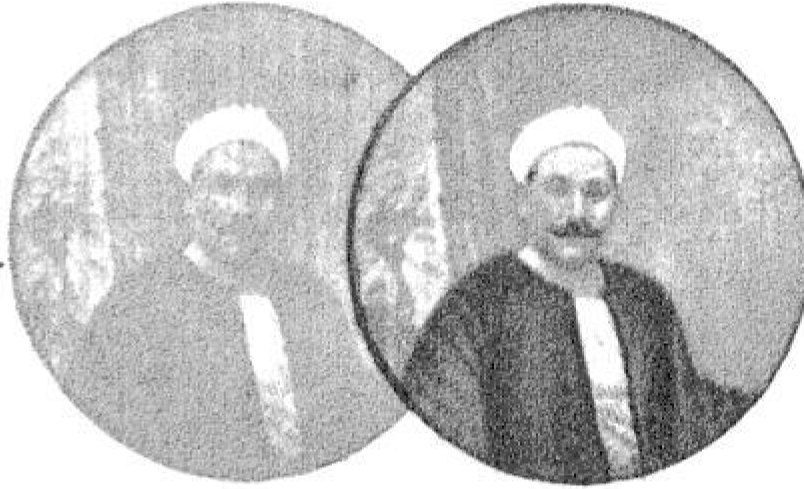
● على غريب بهيج ●

عاش المنفلوطى حياة قصيرة حافلة .. كانت حياته فترة قصيرة بالقياس الى ما خلفه من آثار أدبية فى النثر بصفة عامة ، وفى المقالة الأدبية بصفة خاصة . وقد أثر أدبه فى أدباء عصره المعاصرين له واللاحقين عليه ، لدرجة لا يمكن أن يغطيها الدارس لتاريخ أدبنا العربى الحديث .

واذا كان الأدب الفرنسى يفخر « بمونتانى » كرائد لفن المقالة الأدبية الحديثة ، كما يفخر الأدب الانجليزى « بفرنسيس بيكون » كرائد أيضا لهذا اللون الأدبى ، فان المنفلوطى يعد بحق وعن جدارة رائدا لفن المقالة فى أدبنا العربى الحديث ، وأحد رواد الفن القصصى - الى جانب ذلك - الذين تأثر بهم أعلام القصة بمفهومها الحديث فى مصر ، وعلى رأسهم عميد القصة محمود تيمور ، وقد ظلم المنفلوطى فى عصره كما لم يقدر حق قدره بعد عصره حتى يومنا .

●● المنفلوطى فى عصره :

ثمانية واربعون عاما هى الفترة التى عاشها المنفلوطى من عام ١٨٧٦ حيث ولد ، وحتى العاشر من يوليو ١٩٢٤ تاريخ وفاته . نشأ المنفلوطى فى بيئة أزهرية سلفية كانت العلوم عندها تدور فى فلك المتون النحوية والبلاغية والفقهية شرحا واسهابا أو اختصارا وايجازا .. ويصور المنفلوطى تلك البيئة بقوله « ولم يكن حولى لذلك العهد ممن يستعين بمثلهم مثل على الأدب احد ، لاننى كنت أعيش فى مفتتح عهدى به بين اشياخ أزهريين من الطراز القديم لا يرون رأيى فيه ، ولا يتملقون منه بما اتعلق ، فكانوا يرون أن التوفر عليه او الالمام به عمل من اعمال البطالة والعبث ، وفتنة من فتن الشيطان ، فكان الذين يتولون أمرى منهم لا يزالون يحولون بينى وبينه كما يحول الأب بين ولده وبين مايعرض له من فتن الهوى ونزعات الصبوة ضنا بى - يزعمون - أن انفق ساعة من ساعات دراستى بين لهو الحياة ولعبها ، فكنت



لا استطيع ان الم بكتابي الا في الساعة التي آمن فيها على نفسي ، وقليلا ماكنت اجدها .. وكثيرا ما كانوا يهجمون علي، فاذا عثروا في خزانتي او تحت وسادتي او بين لفائف ثوبي على ديوان شعر او كتاب أدب خيل اليهم انهم ظفروا بالدينار في حقيبة السارق ، او العشيق في خدر الفتاة ، فاجد من البلاء بهم والنقص بمكانهم ما لا يحتمل .. »

وسط هذه الظروف البالغة الصعوبة أحب المنفلوطي الادب عن بصيرة وعن فهم حقيقي وتذوق ، فاختار أطيب ما في العربية من أشعار ، وأروع ما فيها من نثر قصصي بصفة خاصة ، الى جانب اقباله على مترجمات للآداب الغربية من القصص الفرنسي الرومانسي خاصة ، كان يطلب الى بعض اخوانه الذين يعرفون هذه اللغة ان يترجموها له بأي أسلوب ، ثم يقوم هو باعادة تمثلها وصياغتها في لغة عربية آسرة اخاذة ، وهو ما عرف به المنفلوطي معرب : « الفضيلة » و « مجدولين » و « في سبيل التاج » و« اقاصيص « العبرات » وغيرها ..

أما محصوله من الأدب العربي فقد اتسع ليشمل مختارات من القصص العربي وبخاصة قصص الحب والغرام والأقاصيص ذات الطابع المأساوي الباكي والى جانب ذلك توفر على دراسة أشعار الفحول من امثال ابي تمام وابن الرومي وأبي العلاء المعري والبحتري وغيرهم .

غير ان عيون القصائد هي التي كانت تعجبه بصرف النظر عن قائليها . ويتضح ذلك من « مختاراته » ومما عرضه في مقدمة الجزء الأول من « النظرات » حيث يقول :

« اغزل الغزل عندي غزل العاشقين ، وافضل الرثاء رثاء الثاكلين ، وانبل المدح مدح الشاكرين ، واشرف العظات عظات المخلصين ، واجمل البكاء بكاء المنكوبين ،واحسن الهجاء هجاء الصادقين وابرع الوصف وصف الرائين المشاهدين .. »

وهكذا كان الصدق الفني هو الذي يشد المنفلوطي الى العمل الادبي مهما كان قائله .

●● ادب المنفلوطي وبداياته :

بدأ المنفلوطي حياته الأدبية في نحو العشرين من عمره شاعرا . واتخذ لشعره غاية وطنية هادفة هي مقاومة

الاحتلال والفساد . وكانت أول قصيدة له في بداية العام ١٨٩٧ يقول فيها :

ذهلنا فما ندري أوالي أمورنا
بلندن أم في مصر ! كيف نفرق ؟
اليك خديو مصر منك شكاية
ومثلك أدرى بالأمور وأحذق !
كسرت قلوبا كنت قبل جبرتها
فصرنا وكل للمذلة مطرق ! ..
فوالله ان لم تترك الأمر واسعا
لأرغمت عن ادراكه وهو ضيق !

ورغم أنه وقع القصيدة بامضاء مستعار هو « عدو الاحتلال » الا أن القصيدة اشتهرت وعرف صاحبها ولكن بصفة غير رسمية .

ولم يكد العام ١٨٩٧ ينحدر نحو المغيب حتى ظهرت القصيدة التي أودت بالمنفلوطي الى السجن والتي ظهرت في جريدة « الصاعقة » لصاحبها « أحمد فؤاد » . ظهرت هذه القصيدة في ٤ من نوفمبر سنة ١٨٩٧ غداة عودة الخديو من رحلة قام بها داخل البلاد بالوجه البحري ، وقد ظهرت القصيدة بهذه المقدمة :

« تهنئة مرفوعة لسمو خديو مصر لمناسبة عودته من ثغر الاسكندرية الى العاصمة » ثم القصيدة التي يستهلها المنفلوطي على هذا النحو :

قدوم ولكن لا أقول سعيد
وملك ـ وان طال المدى ـ سيبيد
بعدت وثغر الناس بالبشر باسم
وعدت وحزن في الفؤاد شديد
علام التهاني ؟ هل هناك مآثر ؟
فنفرح ! .. أو سعي لديك حميد ؟
اذا لم يكن أمر فغيم مواكب ؟
وان لم يكن نهي ففيم جنود ؟
تذكرنا رؤياك أيام أنزلت
علينا خطوب من جدودك سود !
رمتنا بكم « مقدونيا » فأصابنا
مصوب سهم بالبلاء سديد !
فلما توليتم طغيتم وهكذا
اذا أصبح التركي هو عميد !

وكانت النتيجة هي المحاكمة والسجن حيث قضى المنفلوطي في سجن « الحوض المرصود » بالسيدة زينب ستة أشهر بعد تخفيف العقوبة واستئناف للحكم .

هذه هي البداية ..

غير أن المنفلوطي قد وضع أمامه هدف أسمى وأخلد وهو الأدب الانساني الهادف ، حيث وجد في المقالة الأدبية الاجتماعية بغيته فراح يخرج للناس المقالة تلو المقالة ، وهي المقالات التي جمعت فيما بعد في « النظرات » .

●● أعماله في الميزان :

أشرنا الى أن المنفلوطي أثر في أدباء عصره وما بعد عصره ، واعترف بذلك كثيرون منهم رائد القصة محمود تيمور الذي سحره أسلوب المنفلوطي ـ على حد تعبيره ـ في مستهل حياته الأدبية . والذي يقارن أسلوب المنفلوطي بأساليب أعلام العصر مثل البشري ، وطه حسين وتيمور، وغير هؤلاء يجد التأثر واضحا .

والحقيقة التي لاشك فيها أن أسلوب المنفلوطي نمط متميز في أدبنا العربي الحديث على اختلاف مواطنه ، فهو أسلوب قد تخلص من قيود العصور

المظلمة السابقة عليه ، فخلا من الزخارف اللفظية والمحسنات الصناعية ليستعيض عن ذلك بسلاسة العبارة وانتقاء الالفاظ فى نمط فريد يمكن أن نسميه بالسهل الممتنع كما يقولون عن جدارة واستحقاق .

ومترجماته فتحت أمام كتاب القصة باب التعبير القصصى على مصراعيه نظرا لفقر التراث الحديث فى هذا المجال قبل عصر المنفلوطى ، فقد استطاع ان ينقل الى العربية روائع من الأدب الفرنسى القصصى الرومانسي مثل « مجدولين » و « فى سبيل التاج » و « الفضيلة » وقصص قصيرة أخرى ضمنها كتاب « العبرات » ـ كل هذا بأسلوب عربى مبين ، لم يعهد قبل المنفلوطى بآماد بعيدة .

اما « نظراته » والتى تقع فى ثلاثة اجزاء فهى مما يفخر به تراثنا الأدبى الحديث فى فن المقالة الادبية . ومقالات المنفلوطى تستوفى شرائط فن المقالة بالمفهوم الحديث الدقيق لها . فهى ذات موضوع محدد يستهلها بجملة استفتاحية ويقسمها الى فقرات تحمل كل فقرة جزءا من الموضوع ، ويختتمها بجملة ختامية تلخص الموضوع ، وهذه طريقة فى بناء المقالة كلن مستقل حديث العهد فى الأدب العالمى بصفة عامة وفى الأدب العربى بصفة خاصة .

وكان العقاد والمازنى قد ألفا كتابا سيباه « الديوان » خصصاه لنقد أو قل هدم علمين فى أدبنا الحديث هما شوقى أشعر شعراء العصر ، والمنفلوطى أشهر كتاب المقالة الأدبية ورائدها ... والذى يطالع « الديوان » يلمس آثار التحامل والهدم ...

ولا أريد أن أغض من شأن المازنى أو العقاد فكل منهما علم له مكانته فى أدبنا العربى ،ولكن نقدهما هذا قد صرف بعض الشباب عن شعر شوقى ونثر المنفلوطى الى حين . خصوصا وأن شوقى والمنفلوطى كانا من الشخصيات الهادئة التى تعمل فى صمت دون تجريح ودون أن ترد على تجريح ، وان كان التحامل والتجريح يغيظهما ويحز فى نفس كل منهما .

ولقد بلغ من التعنت المازنى فى « الديوان » فى نقده للمنفلوطى أن أخذ يحصى استخدامات المنفلوطى فى أدبه للمفعول المطلق ، واستطاع أن يحصى منها ٥٧٢ مفعولا مطلقا ، وكأنه يحصى سيئات خاطىء أو مذنب ! ..

●● وخلاصة القول :

ان أدب المنفلوطى ـ خصوصا مقالاته فى النظرات ـ قيم بكل القيم الفنية التى يقاس بها الأدب . و « النظرات » نماذج رائعة للعربية .. ونحن اذا نحينا جانبا النزعة الرومانسية التى سادتها والموضوعات التى لم تعد تهمنا ـ وكانت تهم المنفلوطى ـ فاننا رغم كل ذلك نفيد الكثير من دراسة الأساليب والتراكيب والتعبيرات فى أدبه .. ولعمرى فانها خسارة على الأدب العربى وعلى اللغة العربية ، ان نهمل معينا عذبا مثل أدب المنفلوطى وأمثاله ممن سوف تخلدهم لغتنا الجميلة عبر الزمان .

سيرة وتحية

المنفلوطي

● مصطفى الشهابي ●

ـ من أكتب الكتاب باللغة العربية في عصرنا ؟

كان السائل ـ حتى بداية الحرب العالمية الأولى ـ اذا سأل السؤال السابق ، أجابته الكثرة الغالبة من القراء يومئذ :

ـ هما اثنان : الشيخ علي يوسف ، والشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي .

وقد ظفر المنفلوطي باعجاب مدرسي اللغة العربية ، دون الشيخ علي يوسف ، لما ظهر له من مؤلفات يمكن قراءتها مرارا وتكرارا ، ولذلك كانت وصية هؤلاء المدرسين لمن يرغب في تحسين أسلوبه الانشائي ان يقرأ كتب المنفلوطي وينسج على منواله .

وظل المنفلوطي في طليعة كتاب مصر الذين علت شهرتهم وعظم تأثيرهم في الربع الأول من القرن العشرين ، على الرغم مما وجه الى كتاباته من نقد وانتقاص من بعض معاصريه ، والمعقد له لواء النثر بعد أن ذاق الأمرين من ملاحقات وتعقيبات محمد الهيهاوي ، والعقاد ، وطه حسين وغيرهم .

واستمرت كتب المنفلوطي تلقى الرواج والاقبال في أواخر حياته وبعد وفاته بعدة سنوات ، حتى أن المرء كان اذا قصد الى أية مدرسة ، وخاصة المدارس الثانوية ، وجد الطلبة عاكفين على مطالعة أحد كتب المنفلوطي يقراونه في شغف مستهلمين الحب في أنبل معانيه والفضيلة في أبهى صورها .

● نشأته :

ولد المنفلوطي عام ١٨٧٦ في أسرة كريمة بمنفلوط احدى مدن محافظة أسيوط ، وقد نسب الى تلك المدينة التي تعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم . ثم قدم الى القاهرة والتحق بالأزهر حيث شغف بالأدب واقبل على كتب أعلامه يطالعها وعكف على قراءة دواوين البلغاء من الشعراء ، دون أن يكلف نفسه عناء حفظ ما راقه من هذه أو تلك ، ولكنه كان يتذوق ما يقرأ ويعجب بما يستحق الاعجاب دون أن يحاول تقليده .

وهكذا شغل المنفلوطي بالأدب ، وكان من أثر ذلك أن انصرف عن التفرغ لكتب الأزهر ومحاولة فهمها واستظهارها ،



واقتصرت علاقته بالأزهر على الحرص على حضور دروس الشيخ محمد عبده ، لاعجابه ببراعته فى تبسيط ما كان يلقيه على الطلبة ، مع الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والدينية ومناقشتها فى حرية وصراحة .

واتصل الطالب باستاذه فانس له فى مجالسه وشجعه على الكتابة فى الصحف والاتصال بالرأى العام ، وظل المنفلوطى على اتصاله بالاستاذ الامام حتى انتقل الاخير الى جوار ربه عام ١٩٠٥ .

● المنفلوطى الشاعر :

بدأ المنفلوطى قرض الشعر وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وقد ظهرت فيه بوادر نبوغه لكثرة ما طالعه من قصائد لفحول الشعراء ، وأول قصيدة نظمها كانت غزلية ، ولكنها لم تظهر فى مجلة او كتاب ، ومطلعها :

اردنا سؤال الدار عمن تحملوا
فلم تدر من فرط البكا كيف تسال
وهاج لنا الذكرى معاهد اصبحت
تعيث صبا فيها وتعبث شمال

وقد اطلع بعض الادباء يومئذ عليها فشجعوه على مواصلة نظم الشعر ، فدفعه ذلك الى نشر عدة قصائد فى الصحف والمجلات وفى طليعتها مجلة « الهلال » .

● مهاجمة الاحتلال والخديو :

كان المنفلوطى منذ صباه وطنيا صميما يمقت الاحتلال وأعوانه ، فقد دفعت به وطنيته الى أن يلج بشعره ميدان السياسة ولذلك نظم - فيما نظم - قصيدة طويلة ندد فيها بالاحتلال وجعلها بامضاء « عدو الاحتلال » - وكان مطلعها :

الا راية للعدل فى مصر تخفق
لعل مساعى دوله الظلم تخفق
الا صدمة للجور توقف سيره
فيجبر ذاك الكسر والفتق يرتق

وعرض فيها برئيس الوزراء « مصطفى فهمى باشا » فغضب وأمر بالبحث عن ناظمها والقبض عليه ، ولكنهم لم يهتدوا اليه عدة اشهر ، فتناسوا أمره .

وكانت القصيدة الثانية - الجديرة بالتنويه - هى قصيدة الهجاء المشهورة التى استقبل بها الخديو عباس حين عودته من أوروبا يوم ٣ من نوفمبر عام ١٨٩٧ ، وكان المنفلوطى يومئذ طالبا

• شخصية الشهر • المنفلوطى

بالأزهر وسنه لا تتجاوز الحادية والعشرين . وقد وزعت تلك القصيدة على المستقبلين للخديو بالاسكندرية ثم القاهرة ، كما نشرت بمجلة « أنيس الجليس» التي كانت تصدر بالاسكندرية وبجريدة « الصاعقة » القاهرية ..

ومطلع تلك القصيدة هو :

قدوم ولكن لا أقول سعيد
وملك وان طال المدى سيبيد

وفيها ندد بعباس وتصرفاته وشهر بأسرة محمد على وعرض لطمع عباس في الخلافة .. الخ ولذلك بادرت الحكومة الى التحقيق الذى انتهى الى ان المنفلوطى هو ناظمها ، بالاشتراك مع السيد توفيق البكرى ـ كما قيل ...

وانحصرت التهمة على المنفلوطى وآخرين ثم قدم للمحاكمة وحكم عليه بالحبس سنة مع غرامة مالية .

وشغلت القصيدة والقضية الرأى العام طويلا ...

وقضى المنفلوطى في السجن ستة أشهر ثم سعى الشيخ محمد عبده لاستصدار العفو عنه فأجيب لسعاه ، ولكن المنفلوطى لم يستطع الالتحاق بأية وظيفة حكومية فانقطع للصحافة والكتابة .

وظل ملازما للأستاذ الامام ، الى ان توفى الامام عام ١٩٠٥ فضاقت به القاهرة وكره الاقامة فيها ، بعد أن فقد أعظم سند له بها، ولذلك غادرها الى منفلوط وقضى بها عامين ، ثم دعاه الشيخ على يوسف الى الخروج من عزلته والسمو فوق محنته باستئناف الكتابة في « المؤيد » ، وهيأ له فيها بابا خاصا يطالع فيه القراء بخواطره كل اسبوع ، وهى المقالات التى جمعها واصدرها في كتاب « النظرات » .

• المنفلوطى الكاتب :

ومنذ ذلك التاريخ نبذ الشعر وانقطع الى صياغة النثر .. ، ولو انه استمر في نظم الشعر لكان في طليعة شعراء عصره ، قبل ان يكون من ألمع كتابه .

وبعد قليل عرفه الشيخ على يوسف بالمغفور له سعد زغلول باشا وكان وزيرا للمعارف ، فأعجب به سعد وعينه في وظيفة أنشأها له وكان اسمها « المحرر العربى » . وقد ظل المنفلوطى بها حتى جاء « تيودور روزفلت » احد رؤساء الولايات المتحدة السابقين ، الى مصر في مارس عام ١٩١٠ . والقى خطبة سياسية في الجامعة المصرية ندد فيها بالحركة الوطنية المصرية والمطالبة بالدستور وأيد الاحتلال البريطانى ، فاشتد سخط الرأى العام ..

عندئذ انبرى له المنفلوطى وهاجمه في الصحف بمقالات نارية ، فغضب « دانلوب » المستشار الانجليزى لوزارة المعارف وقتئذ واراد فصله من وظيفته، ولكن سعدا لم يجبه الى طلبه، وظل محتفظا به .

ولما عين سعد وزيرا للحقانية « العدل » في عام ١٩١٠ نقله معه وظل بها حتى انتقل الى الجمعية التشريعية عندما انتخب سعد وكيلا لها حيث عمل سكرتيرا بها حتى نفى سعد الى مالطة في مارس عام ١٩١٩ عقب مطالبته برفع الحماية عن مصر واعلان استقلالها، ومنذ ذلك التاريخ بدأ المنفلوطى يكتب في الصحف منددا بالسياسة البريطانية ومهاجما للاستعمار البريطانى ، ولذلك طالب الانجليز بفصله من وظيفته ففصل ، وبعد قليل اعيد للجمعية التشريعية ثانية بسعى من سعد زغلول وظل بها حتى اذا ما تولى سعد رئاسة الوزارة وافتتح البرلمان ، عينه رئيسا لاحدى فرق السكرتارية بمجلس الشيوخ ، وظل يعمل هناك حتى توفى عام ١٩٢٤ بالقاهرة عن ثمانية واربعين عاما .

ومن عجائب الاقدار أن المنفلوطي ـ الذى تفانى فى الاخلاص لسعد طول حياته ، تغمره سعد بحبه وتقديره ـ ينتقل الى رحمة مولاه فى ذلك اليوم الذى اعتدى فيه شاب أحمق باطلاق الرصاص على زعيم مصر يومئذ ، عندما كان يتأهب لركوب قطار السكة الحديد من محطة القاهرة فى طريقه الى الاسكندرية ليتقدم بالتهنئة بعيد الاضحى للملك فؤاد .

ولما ابلغ النبأ للملك أمر بالغاء التشريفات فى ذلك العيد . وكان يوما عصيبا ، شغل فيه الناس بسعد وبحياة سعد وكأنهم من هول الحادث فى هول يوم القيامة ، والى ذلك يشير شوقى فى مطلع مرثيته للمنفلوطي ...

● **مؤلفاته :**

كانت مؤلفات المنفلوطي هادفة تجمع بين جمال الاسلوب وسمو الفكر ، واليك ـ منها :

ـ النظرات : وفيها اودع الكثير من نظراته فى الحياة كلها ودعا الى اصلاح المجتمع وتهذيب النفوس وغرس الفضائل ..

ـ العبرات : وهى قصص عن الاشقياء والبائسين ، البعض منها موضوع والبعض مترجم ، وفيها يصور ما يخالج نفسه من اهداف اجتماعية وانسانية .

ـ وللمنفلوطي روايات طويلة مترجمة عن الفرنسية ترجمها بعض اصدقائه ترجمة حرفية للمحافظة على الاصل بدقة ثم قام المنفلوطي بصياغتها وتهذيب عباراتها مع المحافظة على روح الاصل والتقيد به .

ومن تلك الروايات :

ـ الفضيلة : وهى تمجيد للحياة بين أحضان الطبيعة بعيدا عن زخارف المدنية ، وقد جرت أحداثها فى احدى الجزر الافريقية بالمحيط الهندى قرب مالاجاش « مدغشقر » .

ـ الشاعر : وهى قصة شاعر قبيح الوجه ، كبير الأنف ، أحب ابنة عمه المتعلمة الذكية ، دون أن تعلم بحبه ولكنها أحبت فارسا نبيلا غبيا استعان « بشاعرنا » فى صوغ عبارات الحب لها وأخيرا قتل ذلك الفارس فدخلت الفتاة الدير حزنا عليه ..

ـ ماجدولين : قصة فتى فقير أحب الفتاة ماجدولين ولكن أهلها عارضوا فى ذلك لفقره ، وفى نفس الوقت اراد أهل الفتى تزويجه بفتاة غنية ولكنه رفضها ومضى يعمل كمعلم موسيقى . وحدث أن مات عم فتى له بعد أن أوصى له بثروته فذهب ليخطب ماجدولين فوجدها قد غادرت القرية وتزوجت شابا غنيا ، فانصرف الفتى الى الموسيقى ونبغ فيها واشتهر واغتنى بينما أفلس زوج ماجدولين وانتحر ثم انتحرت هى بدورها !

اما « مختارات المنفلوطي » فهى مختارات جمعها وجعل أساس اختيارها : جمال الاسلوب أولا وجمال المعنى ثانيا .

والمختارات قسمان : الاول تناول ما قيل فى الشعر والنثر فى وصف البيان والفصاحة والثانى عالم الادب والحكمة وما يتصل بهما من فضائل نفسية واجتماعية .

وبعد .. فانه وعلى الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على مؤلفات المنفلوطي ومترجماته فلا تزال عند قرائها حافظة جدتها ، باقية على رونقها . ●

غرام الشعراء

جوته عاشقاً شاباً وشيخاً

● د . سليم الاسيوطي ●

ورثت من والدي قامته
ومن حياته ، رصانته
وورثت من والدتي فرحها
وحب قراءة القصص !

● هكذا قال وكتب عن نفسه شاعر ألمانيا العظيم « جوته ». ولقد تلقى جوته دروسه الأولى على يد والده ، ثم أخذ يتلقى الدروس من أساتذة قادرين ، في بيت الأسرة، ومنها اللغات الفرنسية والانجليزية والايطالية واليونانية . وفي السابعة عشرة من عمره دخل جامعة لايبزج في عام ١٧٦٥ نزولا عن رغبة أبيه ليدرس فيها الحقوق ، غير أنه أبدى اهتماما كبيرا ، بالآداب والرسم بعد وقت قصير . ثم استأنف دراسة الحقوق بجامعة ستراسبورج ، وكان اذ ذاك قد بلغ الواحدة والعشرين من عمره .

وتعرف جوته بـ / ليلى شومان الجميلة ، ابنة أحد أصحاب البنوك ، وخطبها للزواج منها ، ولكن هذا الحب لم يدم طويلا لأن جوته لم يكن يميل الى الحياة الاجتماعية الصاخبة التي يحتمها هذا الزواج من « ليلى » ، فآثر الرحيل عن ديارها واصطحب معه في رحلة النسيان الى منطقة الراين ، الأخوين شتولبيرج عسى أن يسلاها ، ثم عاد الى فرانكفورت وقضى فيها لفترة من عذاب عاطفي أليم ، وفسخ الخطبة من « ليلى » ، ولكنه لم يكن لينساها وظل قلبه يخفق بحبها .

ولما كان جوته قد تخرج في الجامعة وحصل على درجة الدكتوراه فقد استطاع والده أن يهيء له منصبا في مجلس الامبراطورية في مدينة وتزلار ، حيث التقى بشابين معجبين بشعره مفتونين بشخصيته وبما يتحلى به من حميد الخصال ، وكان أحد هذين الشابين يدعى « جيروزاليم » والثاني « كيستنر » من موظفي مفوضية هانوفر راح الفرسان الثلاثة يلبون نداء الشباب فهرعوا الى الحفلات الساهرة وحلبات الرقص التي يتقاطر اليها ذوو الثراء والجاه والسلطان .

وفي سهرة من تلك السهرات المتلألئة بالأنوار التقى جوته بـ « شارلوت



صورة لجوته بريشة الرسام سيبرس « عام ١٨٢٦ »



تمثال نصفي لجوته من النحات شادوف « عام ١٨٢٣ »

بوف ، خطيبة صديقه « كيستنر » الذي كثيرا ما تحدث عنها الى صديقه جوته .
وكان هذا اللقاء بداية فجر جديد في قصة حب كبير بين شارلوت وجوته .
تطورت علاقة جوته بشارلوت ، فأصبحت تشغل كل تفكيره ، وأفلت زمام عواطفه من بين يديه ، لخر صريع هواها ، وزايلته حصانته ، لطبع على جبينها المشرق الوضاء ، وهي غافلة ، وعلى غير توقع منها أو انتظار ، قبلة مشبوبة لم تكن لتدور بخلدها !

وأفضت شارلوت بهذا الحدث الى خطيبها ، ولما كانت ثقة هذا بخطيبته فوق مستوى الشبهات فقد طبع بدوره قبلة على جبينها أكثر حرارة ، وطيب خاطرها ، وترك لها الأمر تعالجه بما عهده فيها من الكياسة وحسن العقل والروية كي ترد صديقه الى جادة الصواب فتوفر الحفاظ على رباط الصداقة وتنقذهم جميعا من سوء القالة .

وفي الوقت نفسه رأى جوته أن من الحكمة والعقل ، وبعد النظر ، أن يرحل عن « وتزلار » حتى لا يعكر على صديقه وخطيبته صفو الحياة ، ولا ينشر في صفائها السحب والغيوم أو يثير لهما المتاعب والهموم .

رحل جوته الى «كوبلنز» ومنها سافر الى «ايمس» حيث نزل ضيفا على المستشار « لاروش » وزوجه ، وفي بيت مضيفه لاول وهلة ، استرعى انتباهه جمال « مكسيمليانا » الباهر العبقري ، ابنة مضيفه .

على أن مكث جوته في «ايمس» لم يمتد طويلا فقد غادرها بعد فترة الى فرانكفورت حيث يوجد بيت أبيه . من هناك راح يراجع النظر فيما دونه في الأيام السالفة من مذكرات وذكريات وما مر به من تجارب وخبرات ، وما وقع عليه بصره من مناظر ومشاهدات ، عسى أن يخرج منها بهيكل أول قصة يطلع بها على الناس ..

ثم تلقى رسالة من صديقه «كيستنر» ينهى اليه فيها نبأ انتحار صديقهما « جيروزاليم » ، ذلك الشاب الشاعر ، الهادىء ، الوديع ، الحالم . وتقفز فجأة الى ذهن جوته فكرة موضوع قصته ، يجعل بطلها الشاعر ينتحر في نهايتها فيكتب الى «كيستنر» ليروى له بالتفصيل

غرام الشعراء ..

جوته عاشقاً شاباً وشيخاً

كيف انتحر هذا المسكين · ويحقق له صديقه أمنيته ، ولكن جوته لا يقنع الا بالسفر الى وتزلار ليرى بعيني رأسه الحجرة التي انتحر فيها « جيروزاليم »·

وكان « كيستنر » و « شارلوت » يتأهبان لعقد قرانهما فشهد الحفل وقدم لهما هدية ثمينة · وسافر العروسان الى هانوفر ، وعاد هو الى فرانكفورت حيث شرع في كتابة « آلام فيرتر » · ولم ينس أن يكتب لهما من محرابه بين الفينة والفينة · واستعار الكاتب لنفسه اسم « فيرتر » الذي اختاره لبطلها ، كما استعار لصديقه «كيستنر» اسم«ألبير» أما « شارلوت » فقد أصر على أن يذكرها صراحة ·

ولدى ظهور الطبعة الأولى بعث بأول نسخة منها ، ومعها عبارة اهداء رقيقة صغيرة المبنى كبيرة المعنى ، تنص على انه « طبع عليها مائة قبلة » فما كاد يقرؤها صديقه حتى طار طائره ، وثار بركانه وكتب اليه ، متهما اياه بانه ارتكب جرما شنيعا ، اساء به الى سمعته وسمعة زوجه شارلوت وشوه من سيرتها مما بما ذكره بين سطور قصته من وقائع وأحداث خلط فيها بين الحقيقة والخيال فساءت العلاقة بين الخليلين · وانشغل كل منهما عن الآخر بمشاغل الحياة ومتاعبها ·

وذات يوم جاءته الانباء بأن « مكسيمليانا دى لاروش » قد تزوجت هى الأخرى من بقال ثرى ، وانتقلت الى بيته وهو ليس ببعيد عنه ، وكان يدعى « برنتانو » ·

نعم ، كانت « مكسيلمينا » مازالت تقيم على حب جوته ، وترى فى زوجها غير ما كانت تحلم به وترجوه وتطمع فيه ،ومع ذلك فقد رأت أن الوفاء للحياة الزوجية يحتم عليها أن تقطع على هذا العاشق الولهان خط الرجعة ، فردته عن بيتها فى رفق ، متوسلة اليه أن يكف عن زيارتها خشية الفضيحة والعار ·

اعتلت صحة جوته فغادرها الى كارلسباد للاستشفاء فيها ولكنه ما لبث أن غادرها الى ايطاليا دون أن يفضى بنبأ سفره الى أحد ،فاستاء عارفوه والمحيطون به ، ولكنه كان يعرف أن حياته تمر فى أزمة شديدة ، وأن سفره الى ايطاليا كان محاولة جريئة لكى يثوب الى رشده كشاعر ·

غادر جوته ايطاليا«روما » ـ بعد أن ظفر فيها بقسط وافر من السعادة فى حياته ، الى « فيمار » ، حيث تزوج من « كريستيانه فولبيوس » ، وكانت فتاة عادية من بنات عامة الشعب ، وبعدت بهذا الزواج الشقة بينه وبين مجتمعه السابق أكثر من الماضى وافتقدته زمرة الأصدقاء القدامى ·

ظل جوته بعد هذا الزواج يعيش فى مركزه المرموق فى الدولة ، فهو المستشار والوزير ، وفى اسرته بين زوجه وما انجب من ولد حتى تقدمت به السن وخط المشيب شعره · وصار من عادته فى هذه السن المتقدمة ـ فقد ولد عام١٧٤٩ ـ ان يشخص الى كارلسباد فى كل عام ولكنه فى عام ١٨٢١ عدل عنها وقصد الى « مارينباد » ، يسعى الى الاجتماع بالناس ومخالطتهم ، ينشد حسن الصحبة وسعادة الايناس بعد فترات الهدوء والعزلة ، والمطالعة والدرس ·

كان قد ورد الى مارينباد صبية حسناء فى السابعة من عمرها ، بصحبة جدتها وأمها وشقيقتين لها ، وكان تدعى : « أولريكة فون لوتسو » · واقتنت الاسرة لها دارا أنيقة صغيرة تسكنها وتفيد منها فى زيادة مواردها ، فجعلت منها نزلا للقادمين الى « مارينباد » · فلا غرابة أن رحبت الأسرة بضيافة جوته عندها فهو المستشار الخاص لصاحب السمو الملكى أمير ساكس ووزيره · بالاضافة الى أن اقامة جوته عندهم تضفى على الاسرة شرفا عظيما وعلى الدار شهرة بعيدة ·

طاب العيش لجوته فى كنف « آل لوتسو » وحيث يرى « أولريكة » التى جمعت فضائل الحسن والجمال ، وكان جوته كثيراً ما يدعو الاسرة للنزهة فى مركبته فتلبى الدعوة الى « العين ·

الكبرتية حيث يحتشد كرام القوم في أبهى زينة وأفخر ثياب ، وتبقى الاسرة مع جوته حتى يحين وقت العودة ، فيعود بهن الى الدار وهو لا يمل مجاذبتهن أطراف الحديث طوال الطريق ، وان كان يخص معبودته بالقسط الاوفر من الاهتمام والكلام .

كان هو و « أولريكة » لا يدعان سانحة تفلت من أيديهما دون أن يظهر كل منهما للآخر التلطف والتودد والمجاملة . أهدت اليه ذات يوم آنية للزينة « فازة » فلم يفتها أن تلفها في اكليل من الزهر واللباب ، رمزا للرابطة التي تؤلف بين قلبيهما . كما كان هو بدوره يحرص على هذا التقليد الجميل فكان يدس في كل ما يقدمه لها من كتب أو مجلات قطع الشكولاته وكل ما تتذوقه من حلوى .

وبعد هذا كله وضح لجوته ان كل ما يشغل قلبه ويملأ عقله خاصا « بأولريكة » ليس هو العاطفة الابوية فحسب ، ولكنه أقوى وأشد ، انه لواعج الهوى وتباريح الغرام ،دهمته في خريف العمر وأرذله بعد أن غدا في الحلقة الثامنة من عمره.ولكن لم لا يحب ويعشق وينعم في هذه السن المتقدمة ؟ انه قوى ممتلىء الجسم ، فارع القوام ، منتصب القامة كالرمح أو أكثر اعتدالا ، زيادة على القلب المحب ، المدنف الذى لا يشيخ انه صريع هوى « أولريكه » فلماذا لا يتزوجها ؟ وقد فقد الزوجة من زمن.

كان جوته في هذه الاثناء يعايش في « ويمار » ، بنيه وزوجة ابنه وأحفاده ، ولكنها كانت عيشة صاخبة مضطربة ، تعصف فيها الأنواء بين الزوجين الشابين من جانب ويكثر فيها الشجار والعراك بين الاحفاد من جانب آخر . ولكن هنا في وتزلار ومع « آل لوتسو » وبجوار حبيبة قلبه « أولريكه » سوف يتنعم بالراحة والهدوء والحب ، نعم ان هذا الزواج سوف يكون مثار قيل وقال تلوكه الألسنة في كل مكان ، لما فيه من نوارق ومفارقات ولكنها أسباب لا يؤمن بها الفيلسوف ولا يقرها الشاعر

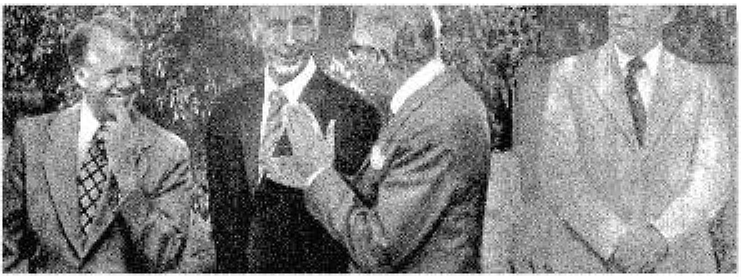
فكر جوته في خير وسيلة يتوسل بها لتحقيق رغائبه وهداه ذكاؤه الى خير حل لماذا لا يوسط أميره لهذه الغاية ؟وتفضل الامير بمفاتحة مدام لوتسو ـ والدة أولريكه ـ في الامر في اغسطس من عام ١٨٢٣ .

ولكن حين جد الجد وفوتحت « أولريكة » صراحة في الامر ، أفاقت وتابت الى رشدها فأجابت في لطف ورقة وأدب بأنها لا تروم الزواج ولا تعتزم الاقدام عليه ، فهي تحب الشاعر الكبير الحاني العطوف ،حب الابنة البارة للاب الشفيق ، بجانب انه ذو اسرة وولد وأحفاد ، ولئن كان وحيدا ، يشكو الوحدة والشيخوخة لما ترددت لحظة في قبوله زوجا تقوم على رعايته والعناية به في شيخوخته .

أما الأم ـ أمها ـ فقد آثرت ألا تحسم الأمر في صراحة واضحة فطلبت اعطاء الفتاة الغريرة فرصة تراجع فيها نفسها فيما عساها أن تتخذ من قرار نهائي .

شارف الموسم على نهايته ، وحانت ساعة الفراق والوداع ولكن جوته الذى يعاني تباريح الهوى ، لم يتوافر لديه من القوة والعزم ،ما يمكنه من الانفصال عن الفتاة ، والصبر على حبها.فما كان منه الا أن بقي بجانبها ثمانية أيام ،ولكن **حين وضح له كل الوضوح أنه لابد من رحيله ، قطع الرجاء وفقد الأمل ، فحزم أمره وحقائبه وعاد الى « فيمار » . وفي طريق العودة ثارت به عواطفه ، فكان لابد له من متنفس يخفف به من غلواء غرامه ، فنظم وهو في مركبته « مرثية ماريناد » التي تزخر بالحب والاخلاص وتفيض بالحسرة والوجيعة ، ولكنها تحفل بالذكريات العطرة استهلها بهذه الكلمات :**

في شمس نظراتها الساطعة
وفي جو انفاسها الذكية
تلوب في الشتاء بعد تجمدها
ثلوج الشيخوخة من وحدتها !



الشخصية و التقدم

● على فؤاد ●

● هناك ظاهرة تتجلى امام اعيننا اكثر فاكثر بمرور الايام ، وهى ظاهرة تقارب شعوب العالم بعضها من بعض ، لدرجة ان هذه الشعوب جميعا بدأت تتجه الى التشابه الكامل الذى سوف يشمل العالم كله ، وذلك فى الفكر والعادات وطريقة الحياة ..

والخطر فى ذلك هو ان الدول المتقدمة سوف تقضى على دول العالم الثالث من الناحية الحضارية ، ويرجع ذلك الى قيادتها للعالم بسبب قوتها العسكرية وتقدمها فى العلوم والتكنولوجيا ، وبهذا تمثل امامنا القوة وتثير فينا الاعجاب ؛ ونبادر الى تقليدها معتقدين اننا اذا قلدناهم سنصبح مثلهم ولكن هذا التقليد الاعمى قد ينتهى بفقداننا شخصيتنا المصرية وذلك قد يحدث بدون ان نشعر ؛ الا ان الدول الغربية الفضل فى انها ادخلت فى بلادنا التقدم والتكنولوجيا وهو ما كنا فى اشد الحاجة اليه حتى ننضم الى قافلة التقدم العالمى ، ولكن فى نفس الوقت ادخلت علينا طباعها وافكارها واساليبها . ونحن وبدون ان ندرك الامر ، نتأثر بهم وتمادى الى درجة ان هناك من اصبح يعتبر ان من يتمسك بتقاليد شعبنا وسلوكه يعتبر « رجعيا » وعقبة فى سبيل التقدم .

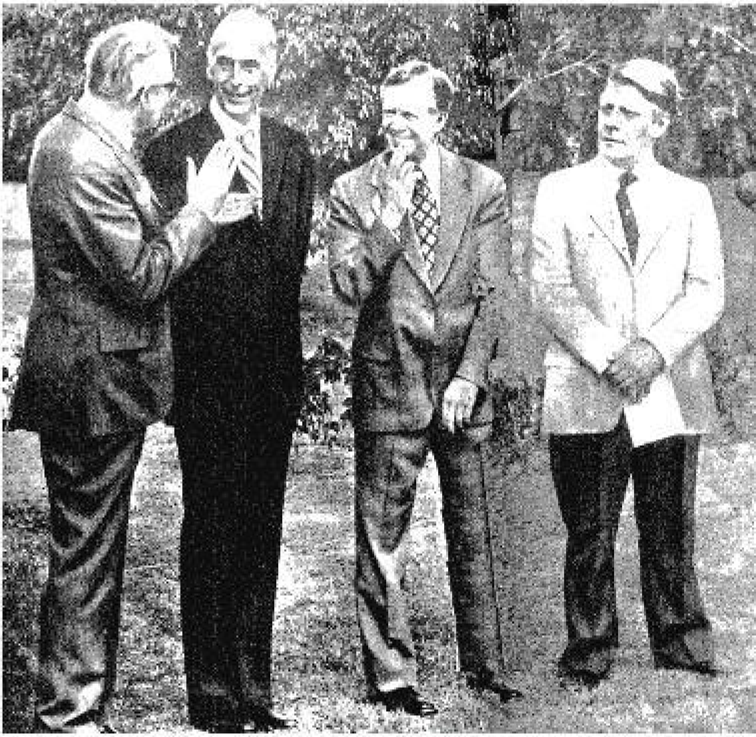
وهذا خطأ .. وهو خطأ لاننا يجب علينا ان ندخل التكنولوجيا ، وان ننقل العلوم الحديثة ، وان نحاول تطويرها عندنا . **ولكن وفى نفس الوقت يجب ان نتمسك بتقاليدنا وسلوكنا وبتراثنا وبديننا ونعتز بها ؛ اى انه يجب علينا ان نفخر بمصريتنا حتى يكون لنا دائما شخصيتنا الذاتية المميزة التى ما زالت حتى الآن والحمد لله الاخذ فى الاعتبار ونحترم لدى كل شعوب العالم .. يجب الآن ان نتقبل كل ما يقدمونه لنا من فكر واساليب التقدم ونعمل به فى مجال العمل ، وهذا مهم جدا ؛ ولكن فى نفس الوقت يجب علينا الا نضحى بشخصيتنا المصرية ..**

ان ما حدث فى العالم من تقارب الشعوب بعضها من البعض نتج اساسا من اننا جميعا نعانى من نفس المشاكل ، ومنها مثلا ازدياد السكان ونقص الغذاء العام . وبسبب هذه المشاكل العامة تم التقدم فى العلم والتكنولوجيا الذى قفز قفزات مدهشة للتغلب على هذه المشاكل وذلك لتحسين ظروف البشر والعالم . وحدث فى نفس الوقت التقدم فى وسائل الاتصال . وبمرور الزمن نلاحظ فى يومنا هذا أن المسافات فى الدنيا اصبحت قصيرة ؛ فما اسهل الانتقال من مكان الى مكان .

وكذلك نلاحظ ان مستوى الناس وعاداتهم بعضهم ببعض فى العالم اصبح يتشابه ، وذلك بسبب ما نراه فى الافلام وما نسمعه فى الاذاعات وما نقرؤه فى المجلات والصحف ، وكل هذا يشجع الناس على ان يقلدوا ما يرونه وما يسمعونه بقصد او بغير قصد . ومن هنا يدخل الخطر .. والعكس هو الذى ينبغى ان يحدث ؛ لانه اذا كان من الواجب علينا ان ندخل التقدم فانه لابد لنا من ان نتمسك بما عندنا ؛ وان نحتفظ بشخصيتنا كشعب اصيل له تقاليده وتراثه وتاريخه ولغته ودينه ، فكلها مميزات يجب ان نتمسك بها الا انها سمات شعبنا ، وان فقدانها عن طريق التقليد الذى لا يليق بنا ، سوف نكسب التقدم ، نعم ، ولكننا سوف نفقد مصريتنا . فهذا التقليد الاعمى لسلوك الغرب قد يؤدى ويحقق بمرور الزمن ما تحدث عنه الكاتب الانجليزى الدوس هوكسلى فى روايته « عالم جديد باسل » التى نشرها فى عام ١٩٣٩ . ذلك ان هوكسلى تصور فى روايته هذه عالما فى المستقبل ويقول :

ــ ان العالم سوف ينقسم الى خمس قارات يحكم كل قارة منها رجل واحد وعلى رأس الرجال الخمسة طاغية واحد !.

ــ وان الحكم سيكون الى حكم الرجل الواحد ؛ لان قيادة العالم فى هذه الحالة تكون اسهل . وحتى يتحقق له النجاح فى الحكم يجب ان يوجه الفكر البشرى وجهة واحدة حتى يستطيع قيادتهم . وحتى يتحقق ذلك يجب ان تغسل عقول البشر بصفة مستمرة وذلك عن طريق اجبار جميع سكان العالم على ان يستمعوا الى نفس الحملة الاعلامية



[illegible] المستشار الالماني – جيمي كارتر الرئيس الامريكي – جيسكار ديستان رئيس الجمهورية الفرنسية – جيمس كالاهان رئيس الوزراء البريطاني السابق.

[illegible]

(وليس هناك الا محطة واحدة فقط !) وذلك بصفة مستمرة . وهكذا يضمن فى نفس الوقت ابعادهم عن التفكير ..

— ولكى يقف عدد سكان العالم عند رقم واحد لا يزيد ولا ينقص ، وحتى يتأكد من ان البشر سينقسمون الى نوعيات معينة فسوف يصنعون الاطفال فى انابيب ،ويربونهم بعد ذلك فى مصانع مخصصة لتربيتهم. وفىهذه «المصانع» سوف يتعلم الاطفال قليلا جـدا من العلوم ،وهذا القليل يقتصر على الفروع التى سيعملون فيها عندما يصبحون رجالا او نساء . ويوقف اذن التعليم عند حد لا يتعداه وتلغى العواطف ،لان التعليم والعواطف يمثلان خطـرا على سلام العالم وعلى حكم الرجل الواحد.

— ويصف هوكسلى رجلا واحدا حدث خطأ فى صنعه فى الانابيب ونشأ بمشاعر وافكار تميزه من بين سكان العالم ، اذ كان يميل الى التفكير والتخيل والشعر . فاعتبره طاغية العالم خطرا على حكمه فعزله عن الجميع وارغمه بذلك على الانتحار !.

***

وهذه اذن باختصار الصورة التى تصورها هوكسلى قبل اربعين عاماللعالم الذى نعيش فيه . ونحن الان دخلنا فى الثمانينات واذا نظرنا حولنا وجدنا اننا نسير بالفعل فى الطريق الذى يؤدى الىتحقيق الرؤية التشاؤمية التىرسمها هوكسلى . فكما قلنا فان مشاكل العالم اصبحت واحدة والمراض شعوب العالم اصبحت تقريبا واحدة ، وان المسافات قصرت وانسلوك البشر وطريقة تفكيرهم تتقارب .

انى لذلك اتمنى ان نعتز اكثر وان نفخر صراحة ، وان نؤيد كل ما هو شرقى ومصرى فينا حتى نكون دائما مميزين عن الآخرين فى نفس الوقت الذى نتقبل العلوم والتكنولوجيا بمناهجهما العقلية العلمية ، فمن المهم الا يقضى هذا التقدم على شخصية مصر واعتزاز المصرى بكل ما هو مصرى حتى لا يحدث التغيير بدون ان نشعر ونندم بعد فوات الاوان .

ان هناك شيئا يطمئن الى حد كبير وهو ان شعوب الغرب ، رغم تقاربها فى الفكر وتضامنها فى الغاية من طريق التقدم العلمى والتكنولوجى ما زالت تتمسك بسماتها الشعبية وبسلوكها الخاص بكل منها ، وتفخر بها .. انظر مثلا الى الصورة المجاورة لهذا الكلام : فلاول وهلة يخيل اليك انهممجرد اربعة رجال يقفون فى دفء الشمس . ولكن اذا دققنا النظر فى الصورة سنعرف انهم جيمس كالاهان ، رئيس الوزراء البريطانى السابق — وجيسكار ديستان ، رئيس الجمهورية الفرنسية، — وجيمى كارتر الرئيس الامريكى ، واخيرا هيلموت شميت المستشار الالمانى ..

فانك عند تدقيق النظر ستلاحظ انهم رغم لبسهم لبدلات من النوع الغربى العادى ، فان كلا منهم اختار بذلته وطريقة لبسها باسلوب يبين الكثير من سمات شعبه . فكالاهان مثلا يرتدى بذلته من لون رمادى داكن، وفى جيب السترة وضع المنديل الابيض التقليدى حتى يكون لبسه لائقا

المناسبة ، وهو بذلك يصور حرصه المتوارث على المحافظة على التقليدية الانجليزية ، اذ أنه من المعروف أن الشعب الانجليزى فى ماضيه كلهيتمسك بكل ما هو تقليدى .

وان نظرنا الى جيسكار سنجده يرتدى بذلة مناسبة ولكن هنا ايضا تظهر السمة الفرنسية العريقة وهى الاناقة . فانظر الى لون البذلة والى رباط الرقبة المتمشى معها ، والى وقفة ديستان نفسه والى خط البذلة ، فهو عبارة عن تجسيد الاناقة فى الملبس ، وهذه الاناقة سمة معروفة يتميز بها الشعب الفرنسى عبر تاريخه وما زال يحتفظ بها حتى الآن فهو غيور عليها.

فاذا دققت النظر فى هيئة الرئيس كارتر ستجد هنا ايضا السمةالاساسية فى الشعب الامريكى ، فهو من ناحية تقليده كشعب فهو شعب مختلط الاصول لانه تكون من انواع بشرية من بلاد شتى ثم حدث نوع من التعايش السلوك والتفكير والاذواق المختلفة تعيش جنبا الى جنب ، فالولاياتالمتحدة الامريكية حديثة العمر ولم تستطع ان تنشىء تقليدا وسلوكا امريكيا يوحدها وهذا - وستوافقنى على ذلك - يتجلى بصورة واضحة فى لبس رئيس دولتهم ، فانظر الى البذلة ذات اللون الفاتح والرسم المخطط ، ثم الى رباط الرقبة ذى المربعات ، ثم الحذاء الذى لا يتفق لونه اطلاقا مع باقى ما يرتديه .. فهنا اذن نجد السمة الامريكية المميزة وهى اختلاط الاصول مجسدة فى رئيس دولتهم .

واخيرا انظر الى الرجل الالمانى : الوان ما يرتديه ملائمة من ناحية اللون ، والبذلة فى حد ذاتها ملائمة للمناسبة ، ولكن انظر الى مقياس السترة فهو عريض عليه ، والى طول البنطلون فهو أطول من مقياس ساقيه، وهنا تتبلور السمة الالمانية التى عرف بها الشعب الالمانى عبر تاريخه وهى الروح العملية . فالالمانى يحب العمل ذا النتيجة المثمرة ، والمستشار الالمانى كما تراه فى الصورة يجسد ذلك . فهو يظهر بصورة لائقة للمناسبة ولكنه أهمل المظاهر ؛ فهو يكرس حياته للعمل فقط ويهتم بالمضمون اكثر من اهتمامه بالمظهر .

وهذه الصورة كما قلت مطمئنة الى حد كبير ، اذ انها تقول انه رغم توحد الفكر ورغمالتقدمفى العلوم والتكنولوجيا ستظل السمات المميزة لكل شعب موجودة . ولكن يجب الا ننسى أن هؤلاء الناس يتمسكون بتقاليدهم وبتاريخهم وبتراثهم وبعاداتهم وبدينهم ، ويحبونها ويفخرون بها ؛ ولذلك احتضنوا التقدم رغم أنهم كشعوب لم يفقدوا شخصيتهم .. وهذا من ضمن الاشياء التى تجعلنا نحترمهم لانهم احترموا انفسهم .. وذلك هو ما نتمنى أن يحدث عندنا ، وهو ان نتقبل اساليب العلم الجديدة حتى نحقق الرخاء ، ولكن نتمسك فى نفس الوقت بكل ما هو مصرى فينا حتى لا نفقد سماتنا المصرية ونصبح مقلدين بدون شخصية ، فاذا تمسكنا بها فسوف نحترم اكثر لان الانسان ما دام متمسكا بشخصيته مقتنعا بها ، راضيا عنها - فقد اطمأن على مصيره وكيانه .. ●

الأميرة تعود من الزفاف بطفل!

● سعد رضوان ●

والأميرة هي جويدان زوجة الخديو عباس حلمي الثاني الذي حكم مصر من سنة ١٨٩٢ حتى خلعه الانجليز عن العرش سنة ١٩١٤ وهو يقضي الصيف في العاصمة التركية، فسافر الى سويسرا حيث عاش بقية حياته ..

وكانت الاميرة اديبة وقارئة هاوية، والخديو يكره منها ذلك، ويعتبر القراءة مضيعة للوقت .. وهي تقول في مذكراتها التي كتبتها عن حياتها معه انه شاهدها مرة تقرا في كتاب فقال لها :

ـ ما هذا الحيوان ؟!

وتحكي جويدان في مذكراتها تلك، انها قد دعيت لحضور أحد الافراح المصرية . وكانت تعرف العروس التي لم يكن سنها يزيد على الثالثة عشرة، وبنت أحد الباشوات الاغنياء .

وكانت العروس الطفلة مريضة بالالتهاب الرئوي، ولكنهم قالوا ان الطبيب قرر انه لا خطر عليها من الزواج ..

اما العريس فكان في الثامنة عشرة من عمره، وكان رفيقا لعروسه في طفولتهما، يلعبان معا، ويمرحان معا، فلما قرر اهلها انها كبرت، ويجب ان تحجز في البيت، وتمتنع عن اللعب مع الاولاد، أحس الولد بالفراغ وطلب من امه « وداد هانم » ان تخطبها له ففعلت ..

ولم يفكر أحد في رد طلب الأم، فالعريس في نفس مستوى العروس، وغني مثلها، ولديه من الأراضي التي يملكها ما يمكنه من العيش وعروسه في رخاء ..

وفي ليلة الفرح، بدأت الاميرة جويدان ترتدي الملابس التي أعدتها للمناسبة، وقامت وصيفاتها بتزيينها ثم لبست « الهرطوس » او ما نسميه الآن « بالطرطور »، وهو ما كانت السيدات تغطين به رءوسهن في ذلك الوقت .. وثبتت « اليشمك » ـ وهو غطاء شفاف للوجه في الهرطوس .. وركبت العربة الملكية التي تجرها الخيل قاصدة الحفل ..

وعند وصول العربة تدفقت الانوار التي تضيء خارج بيت العروس الى داخل العربة .. وصدحت فرقة موسيقى بالالحان الصاخبة التي تصدح بها عند وصول اي ضيف كنوع من التحية، وكتنبيه لاهل الدار ليخرجوا مسرعين لاستقبال الضيف .. وتمهلت



عربة الاميرة فى سيرها حتى تحسرت الذبائح امامها اكراما للاميرة ..

ثم وصلت العربة الى باب الحريم ووقفت .

وكانت الدور فى ذلك الوقت مقسمة الى قسمين ، قسم يسمى « السلاملك » وقسم يسمى « الحرملك » .. ولكل قسم باب يؤدى اليه ، فاذا دخلت من باب الرجال ، أى « السلاملك » وجدت نفسك فى صالة واسعة على جانبيها عدد كبير من الحجرات تستعمل كصالونات للاستقبال . وحجرات للضيوف الاغراب الذين قد يستدعى الحال مبيتهم بالدار ..

وفى الصالة يوجد سلم يؤدى الى الطابق العلوى حيث « الحرملك » الذى به حجرات نوم الاسرة وسكن السيدات وعدة صالونات لاستقبال السيدات وايواء الضيفات .. وامام الحجرات ممر متسع دائرى به شرفات تطل على الصالة التى بالسلاملك وهى شرفات مصنوعة من الخشب المشغول والزجاج الملون ..

***

واستقبل الأميرة عدد كبير من النساء المدعوات والجوارى اللاتى نزعن عنها نقابها ومعطفها ، وقدمن لها مرآة مرصعة بالجواهر لتتفقد فيها زينتها ..

وعلى راس سلم الحريم وقفت أم العروس وأم العريس وخلفهما عدد من السيدات والآنسات اقبلن على صاحبة السمو يقبلن ثوبها كالعادة المتبعة وصعدت جويدان بين مظاهر الترحيب والتحيات المتتالية المزعجة الى صالون واسع اعد فيه مقعد كبير مغطى بالكشمير خصص للاميرة ، فى حين جلست باقى السيدات على وسائد من الحرير .

وحضرت القهوة تحملها « قهوجى كلفا » ، أى المكلفة بالقهوة ، على صينية من الفضة مستديرة ، وجعلت تصبها فى فناجين اطباقها وأظرفها

مرصعة ، ثم تقوم خادم مساعدة لها بحمل الفنجان الى السيدة وتقدمه لها فى احترام مبالغ ، وهى منكسة الرأس .

ونظرت الهوانم الى الاميرة لتكون هى البادئة بشرب القهوة ، لان التقاليد تمنع أن يرشفن من فناجينهن قبل أن تعطى الاميرة اشارة البدء ، وتشرب من فنجانها الاول الذى سيتلوه فناجين اخرى كثيرة تدور على الجميع كلما حضرت ضيفة جديدة ..

ورفضت الاميرة ان يحضروا العروس اليها لتحيتها ، وقررت ان تذهب بنفسها لرؤيتها ، فهذا يوم العروس السعيد ..

وذهبت الى الصالون الذى تجلس به العروس التى قامت تمشى الى الاميرة ، فاسرعت الاميرة تحتضنها وتعيدها الى مقعدها .. وظهر على العروس انها تغالب الألم وتخفى البكاء خلف ابتساماتها التى توزعها على وفود النساء اللاتى يمرون أمامها فتسلم كل واحدة منهن عليها وهى تختلس النظر الى ما تلبسه العروس من مجوهرات ، محاولة ان تقدر ثمنها حتى تستطيع فيما بعد ، بينها وبين نفسها وصديقاتها التشاد شيء أو اكتشاف عيب تتحدث عنه ! ..

وبعد هذه النظرة الفاحصة للعروس تدعو السيدة لها بان يقيها الله شر العين والحسد وأن يمتعها بحياتها المقبلة .

***

وكانت العروس تلبس ثوبا من قماش الاطلس الموشى بالذهب ، وعلى رأسها تاج مرصع بالجواهر ، يتدلى من تحته نقاب يغطى كل جسمها .. وفى هذا النقاب اربعة أحجار كريمة عند الجبهة والذقن والخدين ، ويتدلى من التاج خيوط طويلة من الذهب ، وفى أذنى العروس قرطان من «البرلنت» ، وعلى صدرها وعنقها عقود مختلفة ، وبيديها أساور لاحصر لها ..

ثم قادوا الاميرة الى الحجرة المخصصة للهدايا المقدمة للعروسين ، وللدادة ، فالدادة هى مربية العروس وحاضنتها وراعيتها ، لذا كان لها نصيبها من الهدايا .. وطبعا كانت الهدايا غالية ونفيسة ، وقد وضعت على سرير الزفاف ، وهو سرير فاخر قوائمه مرصعة بالاحجار الكريمة ، ولايستعمل هذا السرير الا مرة واحدة فى ليلة العرس ، ثم يحفظ كتذكار جميل لتلك الليلة ! ..

وانتقل الجميع الى الشرفات والنوافذ التى تطل على السلاملك ، وجلست الاميرة وحولها سرب من الانسات والهوانم يتفرجن على بعض الالعاب الرياضية والبهلوانية التى تجرى فى الصالة وتدل على القوة والمرونة وسعة الحيلة ..

واعلنت ربة الدار عن زفة العروس ، فاسرعت السيدات الى حجرة الاستقبال ، ووقفن صفين ، وحملت الجوارى اليهن اكياس النقود الذهب التى ستلقى تحت اقدام العروس ..

وفتح باب الصالون ، وظهرت العروس واقفة عند بابه ، ثم سارت ببطء وامامها الدادة والجوارى يفسحن لها الطريق ، ويدعين لها بالوقاية من أعين الحاسدين .

والقيت النقود الذهب والزهور تحت اقدامها .. واخذت كل واحدة من السيدات تحاول خطف خيط من الخيوط الذهبية المتدلية من تاج العروس جلبا للحظ !. وطافت العروس بالحرملك ، وعادت لتجلس مكانها .

وجلس الجميع ، ووقفت من لم تجد لها مكانا .. واخذت الراقصات ترقص شبه عاريات .. وكلما اقتربت الراقصة من احدى الزائرات ، تقوم الهانم بلصق قطع النقود الذهب فى وجهها ..

***

وأعد العشاء .. وبعد الطعام وشرب القهوة بدأت زفة العريس فاستأذنت



الخديو عباس حلمى الثانى

ام العروس من السيدات لاستقباله ليشكرهن على تشريفهن زفافه فوافقن واصلحن من زينتهن ، ووقفن ينتظرن العريس الذى ظهر عند الباب مبهوتا ، وانحنى محييا حتى كاد يقع على الارض ثم شكر للسيدات سماحهن له برؤية وجوههن سافرة .. واخذ ينتقل من وجه الى وجه محدقا .. وامسكته امه من يده وقادته الى الاميرة فتقدم لها القهوة بيد مرتعشة ، وانتظر فى أدب حتى شربتها ، ثم غادر الصالة محييا ..

وعادت السيدات من جديد الى الشرفات المطلة على « السلاملك » للاستمتاع بما يدور هناك من رقص وغناء ...

واغرب ما حدث للاميرة فى تلك الليلة ، هو ان زوجة لاحد الوزراء تقدمت اليها ، وسألتها ان تسمح لها بان تقدم للاميرة هدية هى أعز ما عندها ..

وذهبت الهانم ، وعادت فى يدها طفل يبلغ من العمر خمس سنوات، هو ابنها ، وهى تقدمه هدية للاميرة .

ولاول مرة فى حياتها ، لم تعرف جويدان ما تفعل او تقول .. وكان الطفل يحفظ دوره تماما ، فقد تقدم واخذ مكانه عند قدمى الاميرة .. ولكى تدارى الاميرة دهشتها ، فانها اخذت الطفل فضمته وغمرته بالقبلات ، ثم اجلسته بجوارها ، ورفعت راسها الى السيدة الام ، وابتسمت ابتسامة متكلفة ، ثم عانقتها ، وقد انعقد لسانها وخانها الكلام ..

ولكن من الذى قال ان الاطفال تدخل فى باب الهدايا ؟!

ماذا سيكون شعورها ازاء هذا الطفل الذى أهدى اليها لغرض فى نفس امه وابيه ! . ولم يكن هناك بد من ان تأخذ الطفل معها الى القصر

وطبعا ، امتنع الطفل عن الطعام والشراب ، واكثر من البكاء طالبا امه، فكانت فرصة اعادته فيها الاميرة الى امه محملا بهدايا ملكية !

قصيدة العودة..

بين امرئ القيس وتينسون وناجي

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

● في الخامس والعشرين من مارس عام ١٩٥٣ توفى الشاعر الكبير د . ابراهيم ناجي ، الشاعر الرومانسي الحالم ، الذى عطر دنيانا بالحب والشجن والآهات .

وكان ناجي قد تألقت شاعريته منذ أن نشرت له مجلة ابولو عام ١٩٣٣ قصيدته « العودة » هذه القصيدة الرومانتيكية الساحرة التى خطها يراع شاعر كبير عرف الحب والألم .

وكانت جماعة « أبولو » الشعرية التى أعلن الدكتور أحمد زكى أبو شادى قيامها عام ١٩٣٢ ، وأصدر مجلة شعرية ـ باسمها ـ « أبولو » ـ قد بدأت تهز الحياة الأدبية والشعرية فى مصر هزا عنيفا ، وكان من شعرائها : أبو شادى ، وابراهيم ناجى ، وعلى محمود طه وصالح جودت ، ومختار الوكيل ، وعبد العزيز عتيق ،ومصطفى عبد اللطيف السحرتى ، وحسن كامل الصيرفى ، ومحمود حسن اسماعيل ، والهمشرى ، ومحمود أبو الوفا ، وغيرهم .

وكان قيام أبولو ومجلتها الشعرية تأييدا للحركة الشعرية الجديدة ، وللتيار الرومانسى فى شعرنا المعاصر ، وفى مجلة أبولو ظهرت شاعرية شعراء موهوبين يمثلون مختلف التيارات والمذاهب ، وكانت أبولو تحتضن كل المواهب من أية نزعة كانت ، وأى مذهب كانوا .

وتألقت شاعرية الدكتور ابراهيم ناجى ، هذه الشاعرية الثرة المعطاء التى كان بدء ظهورها فى المنصورة ، وعلى ضفاف « البحر الصغير » ، حيث كان ناجى وعلى محمود طه فى المنصورة وكان بجوارهما من الكتاب أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة ، وحولهما كان صالح جودت والهمشرى ومختار الوكيل ولفيف من الشعراء ، الذين لم يلبثوا أن انضموا تحت لواء أبولو ، وصاروا من أكبر شعرائها .

ومضت الايام بناجى ، هذا الطبيب الانسان الشاعر ، وأصدرت أبولو له ديوان « وراء الغمام » عام ١٩٣٤ ، ثم صدر له بعد الحرب العالمية الثانية ديوانه الثانى « ليالى القاهرة » عام ١٩٤٧ ، وبعد وفاته صدر له ديوانه « الطائر الجريح » عن دار المعارف بالقاهرة .

وقد نشر الأستاذ وديع فلسطين فى مجلة الأديب اللبنانية مجموعة كبيرة من القصائد للشاعر ابراهيم ناجى ، مما لم ينشر فى دواوينه الثلاثة ، ونشر حسن توفيق بعض قصائد أخرى لم تنشر لناجى أيضا فى دواوينه .

***

وكان ديوان « وراء الغمام » يحمل تيارا رومانسيا متميزا ، ويعبر عن روح غنائى فريد ، وقد قابله فريق من النقاد



د. ابراهيم ناجي

بالسخط الشديد ، وآخرون بالاكبار والتقدير ، وحفلت الصحف والمجلات الادبيــة فى مصر والعــالم العربى بالدراسات النقدية العنيفة والمعتدلة ، للشاعر وديوانه ، ونقــده الدكتــور طه حسين فى « حديث الاربعاء » ، والعقاد فى فصوله الادبية ، وأبو شــادى ، والسحرتى والصيرفى ، ومختار الوكيل وعبد العزيز عتيق ، ونقده الشــاعر السودانى التيجانى يوسف بشــير فى مجلة الفجر السودانية ، ونقاد آخرون فى مجلتى المقتطف والرسالة وفى مجلة الحديث الحلبية ، وفى مختلف مجالات النقد ومنابره .

وبينما كان ديوان « وراء الغمــام » رومانسيا مستغرقا فى التــامل والحب والحيرة ، ومجددا مبتدعا فى مثل قصيدة « العودة » ، نجد ديوان « ليالى القاهرة » يميل الى النزعة الانسانية ، ويحمل فى قصــائده كثيرا من تجــاربه الفكرية والشعورية ، وكان ناجى يحيــا حيــاة الرومانسيين ، تلذعه نار عاطفة حــزينة باكية ، صاحبته طول حياته ، حتى كان يقول عن شعره الذى فجرته فى نفسه هذه العاطفة الحزينه :

هو آهات شــــاعر عــــرف الحب والألم

ومن عجب أن تنتهى حياة الشــــاعر حياة دامية ، فقد أخرج عقب الثورة من وظيفته دون ما سبب ، مما أورثه آلاما نفسية عميقة ، وتوفى أواخــر مارس ١٩٥٣ ، من حيث كان ميلاده فى أوائل مارس (٤ من مارس ١٨٩٦ م) ..

وهذا يذكرنا بالشاعر ابى شــادى الذى كانت هجرته الى لنــدن فى طلب العلم فى ١٤ من ابريل ١٩١٢ ، وهجرته الى نيــويورك للاقامة فيها فى ١٤ من ابريل ١٩٤٦ ووفاته فى ١٢ من ابريل ١٩٥٥ فى واشــنطن ، حيث نشر نبــا وفاته فى القاهرة فى اليوم الرابع عشر من ابريل ١٩٥٥ .

ـ ٢ ـ

وقصيدة العودة ستة وعشرون بيتــا من بحر الرمل ، تســير فى قافيتها على نظام الرباعية ، فكل مقطع من مقاطعها مكــون من بيتين : اربعة أشــطر للشطرين فى الصدر قافية ، وللشطرين فى العجز قافية ، وهــو لون من الوان

التجديد في القصيدة ، قديم جديد معا، والشعراء المعاصرون يلجاون اليه توسعا في القافية ، وخروجا بالقصيدة العربية الى نمط شبه جديد ..

وفي « العودة » نرى فن ناجي الغنائي بوضوح : الموسيقى الشعرية في القصيدة تختلف صعودا وهبوطا ، وتتميز بالتنوع لا بالوحدة ، واذا كان بعض النقاد يرى أن توحيد النغم خير من تنوعه ، فانه لا ضير على الشاعر عند الكثير من النقاد من اختلاف نغم موسيقاه في القبض والسرعة ومدى الارتفاع والانفعال .

والصور الشعرية في «العودة» مثيرة ومؤثرة ، والفكرة موصولة بتجربة عميقة ، والموسيقى تلفتك يمنة ويسرة، واماما ووراء ، وتجعل بصرك يرمق السماء والأرض ، ليرى يدالبلى ، ونسج العنكبوت ، واقدام الزمن، وخطا الوحدة فوق الدرج ، وكانما نظمت القصيدة من الحان وانغام ، ومن حياة وصور ، وصيغت من روح وعاطفة وخيال لا من الفاظ وتعابير ، وحقا لقد تمكن ناجي من اداء مشاعره وتجربته الفنية اداء ملهما .

ان قصيدة « العودة » بتجربتها الحية ، وبخيالها الجميل المتآلف الموحد وبموسيقاها وصورها الشعرية البديعة، لتعبر عن تيار رومانسى حاد . وهي بمجازاتها واستعاراتها الحية ، وبتجسيدها للمعاني العقلية ، وبمسيرتها الذهنية مع عاطفة الشاعر وانفعالاته وتجربته ، وبوحدتها العضوية التي تتآلف فيها الصور والخيالات والعاطفة والموسيقى تآلفا عجيبا ، بل بموضوعها الحي ، وأفكارها الانسانية وبكل ما تحتويه من عناصر واصول فنية لتعد من أشهر القصائد المعاصرة .

وموضوع القصيدة رومانسى الاطار ، الا أن جوهر الصورة ومعدنها مغرق في رومانسيته كذلك .. أحزان الشاعر ، همومه ، آلامه النفسية ، هربه من الحياة وأحداثها الى حيث يستريح في دار أحبابه ، ثم الى حيث يستريح في جو ذكرياتها ، وقع أقدام الزمن في جنباتها وأرجائها ، خطا الوحدة والوحشة فوق الدرج ، البلى ويداه تنسجان العنكبوت فيها ، والسأم وقد سرت أنفاسه في جوها ، الليل وهو قائم قاعد فيها ، والليل رمز الخطوب والأحداث .

كل هذه الصور هي جزء من البناء الرومانسى في القصيدة ، والشاعر فيها يستعرض ماضي هذه الدار وماضي ذكرياته فيها ، ويستعرض حاضرها ، وعصف الزمن بها ، ويستعرض كل ما يثيره هذا الحاضر في نفسه من أسى وشجن وآلام ، في نسيج مؤثر ، وفن رومانتيكي يهرب من الواقع ، ويعيش في أعماق النفس ، ويربط بين المعاني والأفكار وتداعي الخواطر والانفعالات النفسية ، برباط وثيق .

ولم يعطنا ناجي في قصيدته معاني والفاظا ، بل أعطانا صورة نابضة بالحياة للدار ، ورسم لها مشهدا فريدا تتالق فيه الاصالة ووهج الفن وشخصية الشاعر .. كل ذلك في غزل عذري رفاف ، وذكريات حلوة شجية .

والعودة تعطينا تفسيرا لتجديد الشاعر المعاصر ، فقد يكون هذا التجديد تصرفا ماهرا في القديم ،والقصيدة التي نعرض لها هنا هي كقصائد بكاء الاطلال في الشعر القديم ، ولكن التصوير مختلف ، والنزعة متفاوتة ، والفن وجوهره متباين فيها وفي القصائد القديمة التي وقف الشعراء فيها على الأطلال باكين .

يقول ناجي في هذه القصيدة :

هذه الكعبة كنا طائفيها
والمصلين صباحا ومساء ..
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنا غرباء

***

دار احلامي وحبي لقيتنا
في جمود مثلما تلقى الجديد

انكرتنــا وهي كانت ان راتنــا
يضـــحك النور الينا من بعيــد

***

ايـن ناديـك وايـن الســـمر
اين اهلـــوك بســاطا وندامى ؟
كلمـا ارســـلت عيني تنظـــر
وثب الـدمـع الى عيني وغـامـــا

***

والبـــل ابصرته راى العيـــان
ويداه تنســـجان العنكبـــوت
صحت : يا ويحك ، تبلو في مكان
كل شيء فيه حي لا يمـــــوت

***

كـل شيء من سرور وحــــــزن
والليـــال من بهيج وشـجي
وانــا اســــمع اقــدام الــزمن
وخطـا الوحـــدة فــوق الدرج

***

وطني انــت ولـكني طـــريـد
ابـدى النفي فى عـــالم بؤس
فاذا عـــدت فللنجوى اعــود
ثم امضي بعــدما افـــرغ كـاسي

– ٣ –

ان موضـــوع القصيدة شبيه ببكاء الأطلال في الشعر القديم ،وبكاء الأطلال التزمه أكثر الشـــعراء الجاهليين في مطالع قصـــائدهم ، وهو سمة مميزة لأغلب قصائد المعلقات الجاهلية .

ولقد بكى الشعراء فى الشرق والغرب الأطلال ، حتى فى العصر الحـــديث . بكاها امرؤ القيس وزهير ولبيد وعنترة وطرفة وغيرهم ،كما بكاها حسان وجرير والفرزدق وابو تمام والبحترى والمتنبى بل البارودى واسماعيل صبرى وشوقى وحـافظ ومحـــرم ، وول الـدين يكن وابكاشف ، بكوا الأطلال ووقفوا عليهـا واستوقفوا أصحابهم عندها ، كما كان يفعل الجاهليون .

وكذلك بكاها تنيســـون (١٨٠٩ ـ ١٨٩٢) شاعر العصر الفيكتورى ، كما بكاها من قبله شـــوسر أبو الشـــعر الانجليزى .

ولما نهض الســـير وليـــام جـونز المستشرق الانجليزى المعروف (١٧٤٦ ـ ١٧٩٤ م) بعبء ترجمة المعلقـــات الســـبع الجاهلية الى الانجليزية عام ١٧٨٣ وضع أمام الشـــعراء الانجليز صـــورا شعرية جديدة كان لها تأثيرها العميق في حركة الشعر الانجليزى فى العصر الفيكتورى . وفي عـــام ١٨٤٢ م كتب تنيسون قصيدته (لوكسل هول) متأثرا فيها كل التأثر بفن المعلقات وبكاء الأطلال فيها ،ويقول ابن الشاعر تنيسون انه سمع والده يقول :

ان ترجمة سير وليام جونز النثرية للمعلقات ،تلك القصائد العربيه السبع، التى هى عبارة عن مختـــارات من نتاج شعراء ما قبل الاسلام ، هى التى أعطته فكرة هذه القصيدة .(١) وكان تنيسون يعد هذه القصيدة ، من أكثر القصـــائد المحببة لنفسه ، وكان يقول : ان القصيدة قد أوحتها له دراســـته لترجمة جونز النثرية للمعلقات العربية القديمة (٢) .

وكان تأثر تنيسون خاصة بمعلقـة امرىء القيس ومعلقة لبيد وبما فيهمـا من فن شعرى أصيل ظهر صــــداه فى بكائهما للأطلال فى مقدمة قصيدتهمـــا الجميلتين القويتين .

ففى قصيلة لتنيســـــون يستوقف أصدقاءه للبكاء على الأطلال كما كان يفعل امرؤ القيس تماما ، ويبكى الشــــاعر بحرارة على حبيب ومنزل كمـا فعـــل الشاعر الجاهلى كذلك ، ويصف هـــذه

(١) رضا حوارى ـ مجلة المنهل ـ يوليو ١٩٧٠ ص ٦٢
(٢) المرجع نفسه .

الأطلال ويتحدث عن ذكرياته فيها أيضا ويعبر عن كل ما أورده جونز في ترجمته للمعلقات ومن بينها معلقة امرىء القيس تماما (١) ٠

ويرى المستشرق الانجليزي ى ٠آربري ان ترجمة جونز للمعلقات لم تلبث بعد صدورها ان اعتبرت اسهاما ذا اهمية كبرى في مجال الدراسات الادبية ، بل واقول ايضا انها اعتبرت اسهاما كبيرا في تطور الشعر الانجليزي الحديث فقد خاطب جونز الشعراء الانجليز في مقدمة ترجمته للمعلقات لافتا نظرهم الى هذه الصور والاخيلة والأفكار العربية التي يعد الالتفات اليها اسهاما كبيرا في دفع عجلة التطور والتجديد في الشعر الانجليزي ٠

وكما قص امرؤ القيس في معلقته قصته مع عنيزة ومع ابنة عمه فاطمة ، قص كذلك تنيسون في قصيدته (لوكسلي هول) قصة البطل مع ابنة عمه ٠

وقد رفضت فتاة تنيسون الزواج كما رفضت فاطمة الزواج من امرىء القيس على حد تعبير جونز في ترجمته لمعلقة امرىء القيس ،وكما وصف امرؤ القيس في معلقته المطر وصف تنيسون في قصيدته عاصفة هبت ٠

وقد كان تأثر تنيسون عميقا كذلك بالبناء الشعرى للمعلقات العربية وزنا وقافية ، حتى ليقول آربري ان هذا التجديد في العروض الشعرى الانجليزي ـ يذكرنا بالمدى الذى ذهب اليه الفيكتوريون ومن بينهم تنيسون في توسيع نطاق العروض الانجليزي ، ليشمل أيضا الأنغام الشعرية المكتشفة حديثا في منجزات الشرق الأدبية (٢) ٠

ـ ٤ ـ

وهكذا نرى أن بكاء الأطلال قد أعطاء تنيسون ٠ ثوبا جديدا عصريا في قصيدته التي ظهرت ضمن مجموعات قصائد ديوانه الصادر عام ١٨٤٢ م وكان تنيسون ممثلا لعصره ، باعتباره شاعرا يعبر صوته عن روح بريطانيا منذ ظهور ديوانه الشعرى السابق ذكره ٠

ولم يكن بكاء الأطلال شيئا جديدا يظهر لأول مرة عند تنيسون ، انما الذى ظهر في قصيدته هو الطابع العربي لمضامين تنيسون الشعرية في بكائه للاطلال ، ونحن نجد عند شوسر شعرا يتحدث فيه عن الأطلال بثوب جميل يذكرنا تماما بصنيع ناجي في قصيدته « العودة » ، مما يمكن أن يكون ناجي تأثر فيه بشوسر في صوره الشعرية الجميلة في « العودة » ، وليس ببعيد ذلك عن ناجي الذى كان مطلعا على الأدب والشعر الانجليزي اطلاعا واسعا ٠

يقف الشاعر شوسر Chaucer أبو الشعر الانجليزي الذى توفي عام ١٤١٠ م في حديثه عن البطل Trolius في كتاب Trolius and cresyde يندب حظه البائس بمخاطبته القصر الذى كانت تقيم به محبوبته فيقول ـ ماترجمته :

« ايها القصر الموحش ، ايتها الدار التي كنت تحملين في الأيام الخوالي أروع الأسماء ٠٠

ايها القصر المبتئس الخاوى على عروشه ، وأنت أيها المصباح الذى يشع نورا غريبا ٠

انت أيها القصر الذى حال الآن الى ليل مظلم بعد ان كان في سالف العهد نهارا منيرا ، انه لحرى بك ان تهوى ، وحرى بي أن ازول ، ما دامت قد غادرت الديار من كان من عادتها ان تقود خطانا » (٣) ٠

(١) المصدر السابق .
(٢) المرجع السابق نفسه ـ ص ٦٤٢.
(٣) الاصل الانجليزي وترجمته عن رضا حواري في بحثه عن « تنيسون والمعلقات العربية » مجلة المنهل بجدة ـ عدد يوليو ١٩٧٠ .

أليس ذلك هو مضمون روح ناجي في العودة ؟ أليس « القصر المبتئس الخاوي على عروشه ، والذي حال الى ليل مظلم بعد أن كان في سالف العهد نهارا منيرا ، هو جوهر قصيدة ناجي ؟

يقول ناجي في العودة :

موطن الحسن ثوى فيه السام
وسرت أنفاسه في جوه
وأناخ الليل فيه وجثم
وجرت أشباحه في بهوه

ويقول :

دار احلامي وحبي لقيتنا
في جمود مثلما تلقى الجديد
انكرتنا وهي كانت ان رأتنا
يضحك النور الينا من بعيد
رفرف القلب بجنبي كالذبيح
وأنا أهتف يا قلبي : اتئد
فيجيب الدمع والماضي الجريح
لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد

واذا قلنا : ان بكاء الأطلال في قصيدة « العودة » قد أعطاه ناجي ثوبا جديدا عصريا ، كما فعل شوسر من قبل وكما فعل تنيسون من بعد ، وكما فعل امرؤ القيس وشعراء المعلقات قبل ذلك بطويل ، فانني لا أستبعد تأثر ناجي في مضمون قصيدته وجوهرها وصورها بهؤلاء الشعراء جميعا ، مع ما في طاقة ناجي الشعرية القوية من ابداع وخلق شعري ، جعل لقصيدته طابعها الرومانسي الخاص المتميز ، ولقد غير ناجي قوالب مادته التي أخذها عن شعراء المعلقات والشعراء الانجليز لتصبح كلا متميزا خاصا بناجي وحده ، بما أضاف الى قصيدته من صور شعرية وأداء نفسي لفكرته ومضمونه ،وبما حرك من خيال ، وأثار من عاطفة ، وأشعل من انفعال ، وهيج من تجربة .

وله بذلك ميزة ظاهرة ، هي ميزة عصره على عصور السابقين له ، وميزة موهبته الشعرية المبدعة التي تألقت جذوتها في النصف الثاني من حياته التي امتدت سبعة وخمسين عاما حافلة بالأحداث في حياته وحياة وطنه .

— ٥ —

ولقد جدد ناجي في مضمون القصيدة وشكلها تجديدا واسعا :

فمن حيث المضمون آثر الجانب العاطفي الغنائي التصويري واحتفى بشتى العواطف والمشاعر النبيلة ،واتجه الى الطبيعة ، والى الروح يأخذ عنهما أسمى الهاماته ، وكتب أعمق التجارب الانسانية ، مع عصرية الموضوع ، حتى وان استعاره من القدماء .

ومن حيث الشكل : حرص على عمودية القصيدة مع ايثاره للاوزان الغنائية السهلة الخفيفة،وقاده التجديد في الوزن الى الأوزان الخفيفة والغنائية (الرباعيات) ، متأثرا في ذلك بالخيام في رباعياته .. كل ذلك مع الاصالة ، والبساطة ، ومحاربته للزيف والصنعة والابتذال .

ويبدو في شعره التأثر بمهيار وابن الفارض وشوقي ، وبعمر بن أبي ربيعة والشعراء العذريين في العصر الأموي من أمثال جميل وقيس . كما تأثر بالمدرسة الرومانسية في الشعر الانجليزي وبهازلت ومدرسته في النقد وبديكنز وجون كيتس وغيرهم من الشعراء .

وعني ناجي بالمدارس الشعرية المعاصرة وقرأها : قرأ للبارودي وشوقي وحافظ ومطران ومدرسة الديوان ولغيرهم من أعلام الشعراء ، وكان يعد مطران أستاذا له شأنه في ذلك شأن أبي شادي تماما .

لقد عاش ناجي حياته يغني للحب ، ويتحدث بلهفة العذريين الرومانسيين عن قلب الانسان وعاطفته ووجدانه ، وودع الحياة ، بعد أن مثل دوره على مسرح الحركة الشعرية ، المعاصرة ، التي بلغت بناجي وأضرابه عنفوان قوتها وازدهارها ...

الشاهدان

● فؤاد بركات ●

ـ ١ ـ

عيناه تسعيان الى الاستقرار عبثا فوق صفحات كتاب « الهندسة الوصفية » .. اخيرا والشمس تسقط في هدوء في الناحية الاخرى من المدينة ، فان نسمات طرية شرعت تتهادى الى صدره الضيق ..

« الحوش » فسيح ، على ارضه الترابية تبعثرت الشواهد ـ فوق الجوف ! وتندت بمياه رشها الاولاد لتخفف من لهيب الحرارة . فوق شاهد حجرى وطيء ، جلست هي ، تداعب صغيرا ...

بين الحين والحين كانت تمده بنظرة عميقة ، وهي تشير اليه متلفتة أن يذاكر .. لم يعد يخاف من الليل ، والليل هناك موحش مخيف صامت ، الليل مع الموت ، فليس هناك سكان تتذكر فيه الموت دائما سوى هنالك ، ولكنه وبعد ثمانية أشهر كساكن دائم لم يعد يحفل ، ولا يتأمله حتى ولا يذكره .. والنسوة كل يوم يطلقن الصرخات التقليدية مروعة متشابهة ، وترتوى الارض بالدموع .. سريعة الجفاف ، ويعود الصمت والاولاد يلعبون .. ويعود سكان حوش « الفقي » الى سابق أعمالهم ، واحيانا والراحل يدلف الى الجوف ، وبعض النساء يعددن مآثره ، فان الاولاد يلعبون الكرة ، والنساء يطبخن الطعام ، وتتحادث البنات في المواضيع الدقيقة .. واحدة فقط هي الست « لطيفة » ـ التى تبدى الاهتمام الشديد ، وتواسى في رياء ، وزوجها المعلم ناحل الجسد مع الصبيان يقومون بعملهم في الردم ، والرش ، والقارئون تتصاعد أصواتهم ، لتدور العربات .

والمعلم الاهل . وتعود الست لطيفة تحاسب الجميع . وتلوح بذراعيها وأساورها الذهبية الثقيلة ...

وجه النهار بعتريه الشحوب . هو ، وعيناها .. هي ليست مجرد جارة في حوش الفقي ، لقد تجاوزت الاحداث ذلك .. كان ذلك بالضبط يوم الرفض اخاها جنيهين كان في حاجة اليهما لينقل أثاثه البسيط الى حجرة في البساتين ، اذ أن زوجه تتشاءم ، يقولها متهكما وهو ينظر اليه ، وشقيقته بجواره ، وصدرها يضغط في قوة على جلباب عارى الساقين الى فوق الركبة :

ـ لا تريد أن تصدق أن كلنا .. لها !

ورحلت العربة الى البساتين ، وتظل سعاد مع الاب ، الخفير في جامعة الازهر ، والام التى تصحبه عابرة طريق صلاح سالم الى المدينة ، ويقول الاب الذاهل ان الغسيل في البيوت عار ، وان الام تدخر لا يعلم لماذا ، والحفرة قريبة جدا ، وهناك .. ـ ويضحك ـ الموت بلا ثمن !

تاهت الكلمات من الكتاب ، الى جسد الثوى كامل .. راح يتأمل ، السكن هنا زهيد وكان الحل الوحيد كي يكون يوما ما مهندسا مثل سبعة مهندسين في بلدته .

وايجار غرفة مع الزملاء يتجاوز الثمانية جنيهات ، والوالد قد مات ، ولم يترك له الا عشرين جنيها كل شهر هي مايمكن به ، بالكاد ، ان يعيش ليتعلم ، ولكن الايجار والحياة هناك معقولة .. ايجار حجرة جنيهان فقط ، والحجرة مفروشة بمرتبة ووسادة ولحاف ، من الاكيد انه من بقايا الراحلين !

... وحينما كاد يذاكر بامعان ، قد شب النهار ، تصاعدت صيحات لنسوة ، وبنات واولاد .. مد بصره الى الشواهد ، عليها أسماء فخمة ، دكتور كبير ومهندس عظيم ، وباشا وبك ، وصاحب المعالى ، والمغفور له .. وذكرى الوفاة ... صحيح تلك الاجساد العظيمة ترقد تحت ، لم تعد تبعث الرهبة ، ولا حتى الخوف من الموت ذاته ، بالداخل آلاف ، متلاصقين .. متزاحمين . يقول لنفسه ، الهندسة الوصفية ترقص من على صفحات الكتاب بالدوائر والخطوط : كل الاشياء تعود الى الكون ، مطلقة مثل الهندسة التى تحكم كل العلوم بحياد كامل !

البنت ، رقصت بجسدها تتمشى ، وهى تلاحقه بنظرات واسعة تملأ الفضاء ، يخيل اليه وعقله يتأرجح بالافكار والحرارة أن الحياة عينان جميلتان ، واحيانا تكون شفتين شهيتين .. واحيانا لمسة .. رجل وامرأة وبينهما الحياة ..

سعاد في صوتها المطوط ، راحت تداعب بنات صغيرات ، والاولاد هناك لهم دراية بدقائق الحياة ـ مدهشة ، يدركون أدق الامور بين الرجال والنساء ، فهم يسمعون اذ يتساقط الليل ، العبارات التى تبدو ألفاظا سرعان ماتحل وحتى مع الظلام الذى يتطاير برفق على لمبات غازية ولمبة كهربية تنطفىء لادنى خلاف .. الاولاد يرون رغما عنهم اول الامر ، ثم بالسعي الى



تصيد الاخبار التي يفضون بها الى بعضهم بعضا بصورة عادية تلقائية .

ـ ٢ ـ

اقتربت منه .. وضعت ساقا فوق الشاهد الحجري ، وهمست بصوت ثابت :

ـ لعلك لم تنس ليلة الاسبوع الماضي ؟!. الان انا اكاد أجن . ماذا ستفعل ؟ ستقول بعد الامتحانات ..؟ انا لا استطيع الصبر ؟!

رمقها في عجز ـ وهو يحسب حسابات يائسة بحثا عن قبس ضوء . في ظلام موقفه المروع .

وفي نفس اللحظة فانها تمتلكه ، يتذكر اللحظات الرائعة ، تفاصيل اللقاء تنبض في جسده ـ من وقتها فان البنت بكلمات لا اسمعة تذكره ، وبنظرات حاسمة تطالبه ، وبحركات جسدها القمحي الفائر ، فانها تماما تستهويه. جلسا فوق الشاهد .. قال لها :

ـ اريد أن أكون مهندسا كبيرا ، مثل ذلك الذي يرقد في الجوف ، ياحبيبتي سعاد !

كان الاولاد يلعبون الكرة خارج الحوش ، وعيون كثيرة تراهما في مباركة تامة لما بينهما .. هي مثلهم لم تعد تحفل بهم ، فهناك اشياء كثيرة تقال ، ثرثرة تلوكها الالسن ، بيد أن الثرثرة لا تضر ، ولا تمتزج ابدا بنظرات ازدراء جارحة، ولا حتى سخرية ـ فكل انسان له مشاكله ، والنهايات لأي وضع لن تكون اسوأ النهايات.. ... تطاير التراب والغبار مع دخول قادم جديد ، معه قلة من المودعين . لم تنهض الست « لطيفة » بجلبابها الاسود ، سيدةالمكان،واكتفت بان صاحت في زوجها ان يلح في طلب «الوهبة» ـ والا يترك القراء دون تلاوة ...

جلس بجوارها ، كانت تحترمه ، واحيانا تدعوه أن يجلس إليها اذا خلا من مذاكرته ، قائلة له ، انها كانت تود أن تعلم اولادها الثلاثة ، لكنهم ذوو عقول مثل أبيهم .. لا يصلحون لغير ما هم فيه !

« لطيفة » ـ وهي تصر أن يشرب فنجانا من القهوة ، تمده له وهو يجلس بجوارها على الحصيرة .. وفجأة تصعده بنظرة هادئة ، وتطلق نفسا من سيجارة :

ـ البنت طيبة ، والحب حلال ، والزواج سترة للرجل ايضا !

ثم اردفت : بمجرد الحب لا يكون هناك فارق !

ثم ضحكت في خبث : ـ ان كان هناك فارق !

وسارا على طريق صلاح سالم ، والعربات تمرق فوقه .. تقرأ الخوف من النظرات والالسنة ... امسك بيدها ، قال ملتقطا انفاسه :

ـ لا تخافي .. لكل شيء حل !

ـ هناك حل واحد ، بعد الامتحانات موعده !

يتحول وجهها في الظلام الى مسرح لتعبيرات الرعب والغم والتردد ، وعبق كل الاشياء .. الرعب رعبهما المشترك،حساب الخسارة،وتصور المستقبل الغامض .. الهروب ممكن ، ماذا بعد الهروب .. يحاول ابتكار الذي يتصوره الانسان .. افضل من الان ..

ـ ٣ ـ

واقفان أمام الشاهدين ، والثالثة عشرة ، تعبره بجسدها الاسود واساورها الذهبية ، وتنظر اليه واليها ، وتنظر الى كتابه .

وتهمس : ـ شد حيلك يا «باشمهندس» .

على الخطوة الاولى من طريق طويل ، مسح نهار مبهم غير منفتح الملامح ، في أحضانه دافئة لدنة طازجة ، هي في ملابس اخرى ووجه آخر وهو في ملابس انيقة مثلها .. على الشاهد لوحة رخامية ، الحروف كما لو كان عليها اسمه المهندس « ...... » يتطاير اسم المهندس يقرأ « ...... » عاش عصاميا ، بدأ من البداية .. صالحا عاش ، وأعطى حياته وماله للخير .

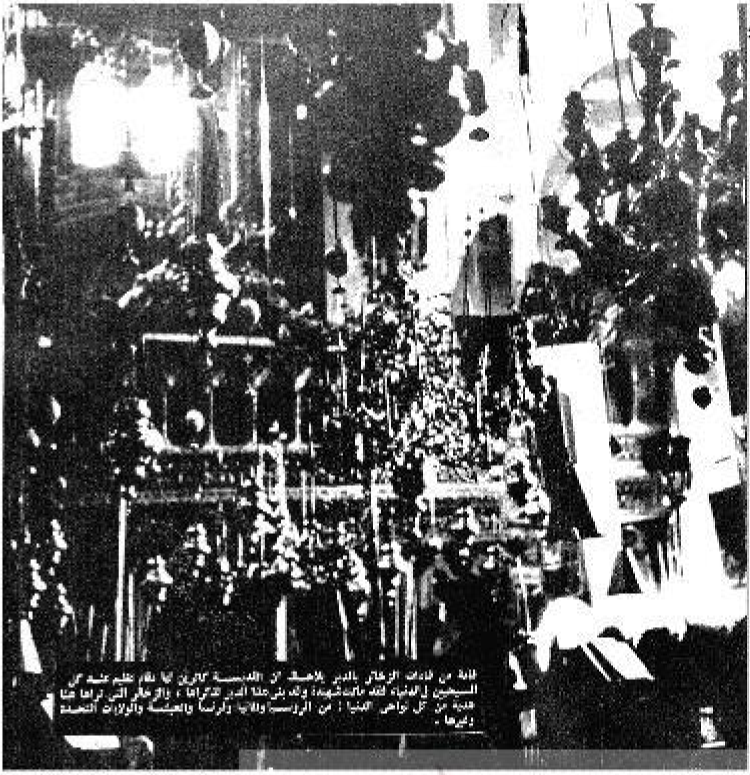
من وراء كل الشواهد ـ وقد ضاع العجز ، وهبت القوة ، عربة انطلقت لا يدرى كيف وهما في جوفها ، على الطريق ، اسفل سماء مزدانة بسحابات كثيفة ، تحجب النجوم .. القوة مع حيرة الابد ، وجهها الحلو في نظرات ثابتة ، وعيناه كسولتان ، معذكريات بعيدة ... بعيدة !..

سانت كاترين

دير عمره خمسة عشر قرنًا وواحة من الخضرة والوديان فى أرض سيناء حيث كلم الله موسى تكليما

انها ليست مجرد كنيسة • انها مدينة فريدة فى نوعها فى الدنيا : مدينة كاملة اقيمت وسط الصحراء لعبادة الله سبحانه ، وفى موقعها هذا صمدت لحوادث الدهور صمود جبل موسى الذى يشرف عليها • من اعلى الجبل كلم الله موسى عليه السلام واسفل الجبل يصلى الرهبان لله ليل نهار ...





لقطة من قاعات الزخارف بالدير يلاحظ أن القديسة كاترين لها مقام عظيم عند كل المسيحيين في الدنيا، فقد ماتت شهيدة، وقد بنى هذا الدير لذكراها ، والزخارف التي تراها هنا هدية من كل نواحي الدنيا : من الروسيا والمانيا وفرنسا والحبشة والولايات المتحدة وغيرها .

سانت كاترين

● لو سألتني عن مثال ملموس لتسامح الاسلام ، لذكرت لك — بين أمثلة أخرى لا نهاية لها: دير القديسة كاترين في شبه جزيرة سيناء .

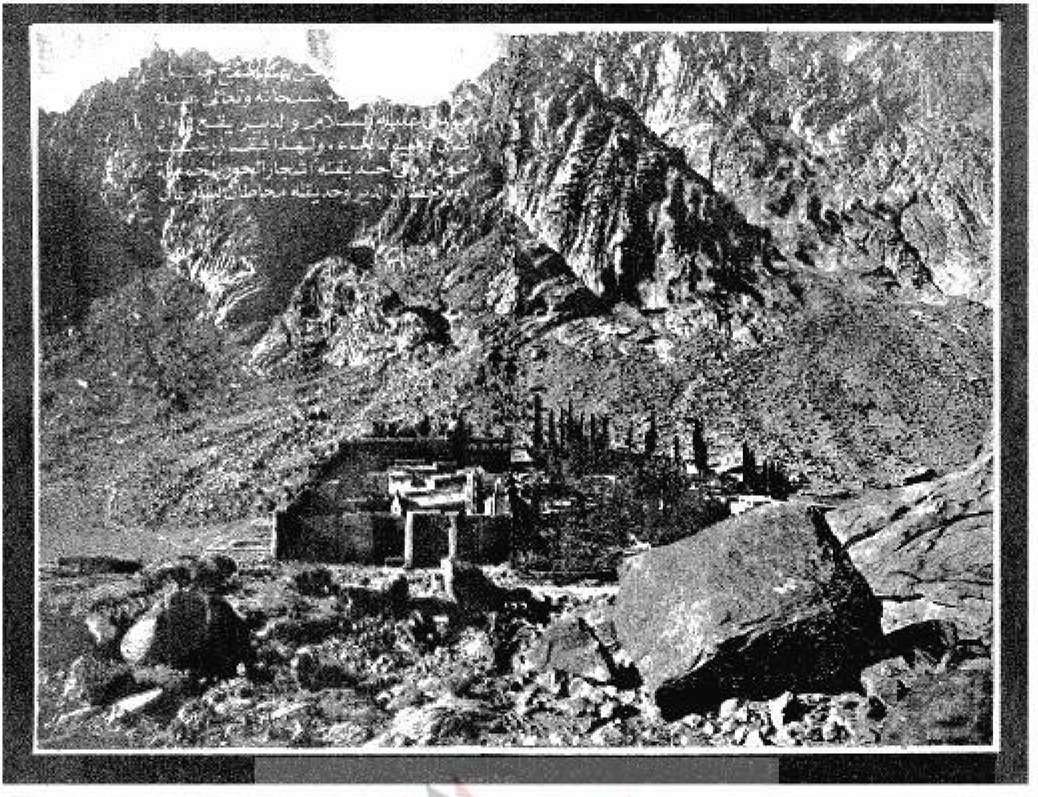
فهذه كنيسة مسيحية بيزنطية بنيت في جنوبي شبه جزيرة سيناء ابتداء من سنة ٥٤٢ ميلادية وتم بناؤها فيما بين سنتي ٥٦١ و ٥٦٥ ..

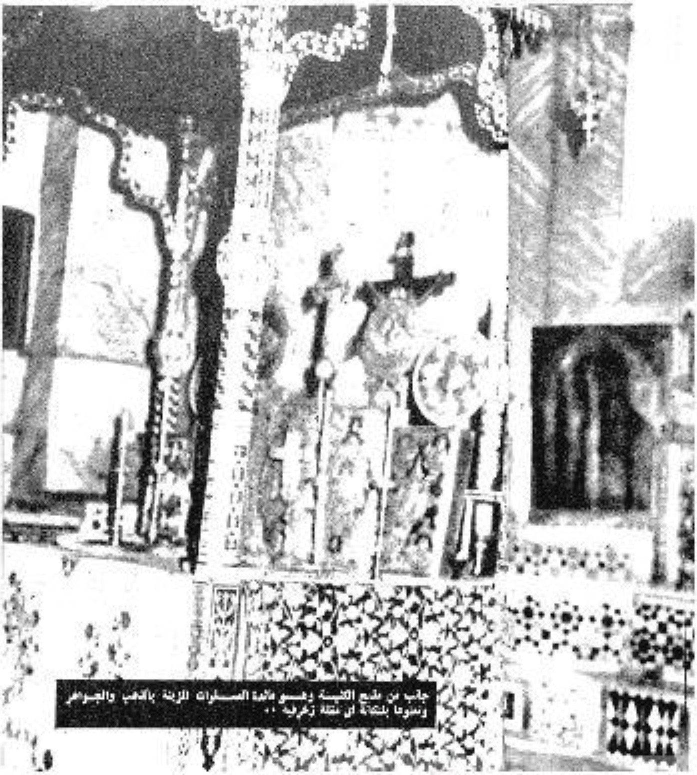
ودخل العرب الى مصر حاملين الاسلام سنة ٦٤٠ ميلادية فما مسوا هذه الكنيسة بأذى ، وظلت قائمة خلال العصور الاسلامية كلها ، وما زالت قائمة الى يومنا هذا في أجمل صورة وأحسن هيئة ..

فلنذكر على سبيل المقارنة — فحسب — ان كل بلاد البلقان كانت عامرة بالمساجد الاسلامية تحت الحكم العثماني ، والحكم العثماني هناك انتهى تماما عند نهاية الحرب العالمية الاولى أي سنة ١٩١٨ ، لتسألني كم مسجدا بقي في البلقان كله ؟ باستثناء بضعة مساجد في يوغوسلافيا والبانيا ، فانه لا يوجد في اليونان مثلا الا عدد قليل جدا من المساجد لليونانيين المسلمين وعددهم لا يزيد على مائة الف نسمة .

وان سألتك عن عدد ما بقي من المساجد في الاندلس فالجواب معروف : ولا واحد ! حتى مسجد قرطبة الجامع تحول الى كاتدرائية .

هذا ودير سانت كاترين لا يقوم في مدينة يحرسها ويؤمنها رجال الدولة وشرطتها ، ولا هو في منطقة معمورة يأمن الدير واهلها فيها ، وانما هو يقوم في وسط صحراء لا يعمرها غير البدو ، والبدو في الماضي لم يكونوا حكومة ، ولا كانوا يخضعون لحكومة ، ولو أرادوا أن يغيروا على الدير ويأتوا على ماليه ويزيلوا آثاره من مئات السنين لفعلوا دون أن





جانب من مذبح الكنيسة وتبدو فيه اللوحات المزينة بالذهب والجواهر وتبدو بالقطع ان لمسة زخرفية ..

مسالك كاميرون

يكون ذلك حادثا فريدا في بابه فقد أمر الكاردينال ثيزنيروس الإسباني بهدم مسجد غرناطة العظيم بعد سقوط غرناطة في يد ملكي قشتالة وأرجون بثلاثة أيام .. والكاردينال ثيزنيروس رجل ليس مثقفا ولا حاكما متحضرا بل هو رئيس ديني كبير ، ومع ذلك فإن بدو سيناء البدو أنهم أكثر تحضرا منه ، فقد صان الدير النصراني القائم في وسطهم بوازع واحد هو الإسلام ، فقد أمر الإسلام بالتسامح وبرعاية رجال الدين ..

***

وإذا سألتني عزيزي سالك عن حدود … كما هي طوال أربعين قرنا لقلت لك : مصر ، فقد حافظت مصر على حدودها التاريخية كما وصفها الفراعنة من عهد … منها إلى يومنا .. حتى لقد عجز الإنجليز بحدود مصر الجنوبية حاسبين أنهم يحسمون بذلك إمبراطوريتهم ، فرسموا حدودا بين مصر والسودان مع أن تلك الحدود كانت مفتوحة دائما ، فلا أهل السودان كانوا يشعرون أنهم إذا دخلوا مصر أنهم غادروا بلدهم ، ولا أهل مصر يشعرون أنهم إذا دخلوا النوبة السفلى ودنقلة أنهم غادروا بلدهم ، إنما هو كان بلدا واحدا مفتوحا من الجنوب ، لأن النيل نهر المصريين كما هو نهر السودانيين ، ولا يعرف أحد كيف توضع الحدود على مجرى نهر متدفق يجمع بين أفراد شعب واحد هو شعب وادي النيل .

الذي يعنيني الآن هو الحد الشرقي لمصر ، خط العريش العقبة ! رغم كل ما مر على مصر من تطورات ، ورغم قيام سلطنة مصر والشام من أيام أحمد بن طولون كان المصريون يحسون دائما أن حدودهم في الشرق عند خط رفح العقبة هناك وضع الفراعنة لوحات تؤكد أن حدود مصر تمر هنا ، لقد امتدت مصر في الشام ولكنه امتداد القوة والكفاح والصالح



يقوم أهل الدير بكل ما يلزم [illegible] من خدمات فيطحنون القمح ويخبزون الخبز . وفي الصورة ترى عمال يديرون مطحنة الدقيق وعامل آخر يخبز الخبز وفي العادة يعد [illegible] إضافية من الخبز [illegible] البدو المحيطين بالدير



مشتركة ، ولكن مصر تقف هنا ولا يمكن ان تفرط فى هذا الحد مهما حدث .

ولقد حاول بعض رجال الانجليز فى فلسطين ان يتخطوا الحد الى سيناء ، وحاول اليهود اخذ شيء من سيناء عقب الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ ، ولكن مصر رفضت ، ومن غريب الامر ان اللورد كرومر ممثل الاستعمار البريطاني فى مصر هو الذى رفض ذلك واصر على التمسك بحدود مصر الشرقية .. رغم كل ما كانت نفس كرومر تنطوى عليه من جشع استعمارى الا أن مصر فرضت نفسها عليه ، فتمسك بحدودها وهو اول من أطلق عليها تسمية حدود مصر الدولية ..

***

وعندما دخل الاسرائيليون سيناء فى حرب يونيو ١٩٦٧ ووصلوا الى ضفاف قناة السويس ظنوا ان سيناء قد أصبحت تحت سلطانهم ، وانهم يستطيعون ان يقتطعوا من أرضها ما يريدون ، وبالفعل راودتهم الاحلام والاطماع ، وانشأوا عند شرم الشيخ مدينة قالوا انها مدينة اسرائيلية ، وشقوا اليها طريقا من ايلة — البلد العربى الذى يسميه الاسرائيليون ايلات ، ودخل بعض الطامعين فى شمال سيناء وانشأوا ما سموه بمستعمرة ياميت عند شواطىء البردويل ، وكما هى العادة بدأت الدعاية الاسرائيلية تنشر قصصا عن تضحيات آل ياميت وعجائب آل ياميت ..

ثم ، انتفضت مصر وضربت ضربتها فى اكتوبر المبارك سنة ١٩٧٣ ، وتلاشت احلام اسرائيل وعرفوا ان ايامهم فى سيناء اصبحت معدودة ، ان حدود مصر الشرقية لايمكن ان تمس ، وبعد مبادرة الرئيس السادات الفريدة فى بابها فى التاريخ فى نوفمبر ١٩٧٨ تلاشت احلام اسرائيل فى سيناء ، واخذوا فى التخلى عن سيناء ، وعاد معظمها الى مصر ، وبعد قليل ستكون سيناء كلها قد عادت الى مصر ، وتتلاشى الى الابد أحلام ياميت والمدينة السياحية التى تزول وهى شرم الشيخ .. ان حدود مصر لا تمس ، لا من شرق ولا من غرب ، فهذا البلد لم يعتد يوما على أحد ، ولم ينتزع شبرا من أرض أحد ، ولا يريد أن يعتدى أحد على شبر من أراضيه .

***

ومع سيناء عاد الى مصر دير سانت كاترين .

انه دير فريد فى بابه .

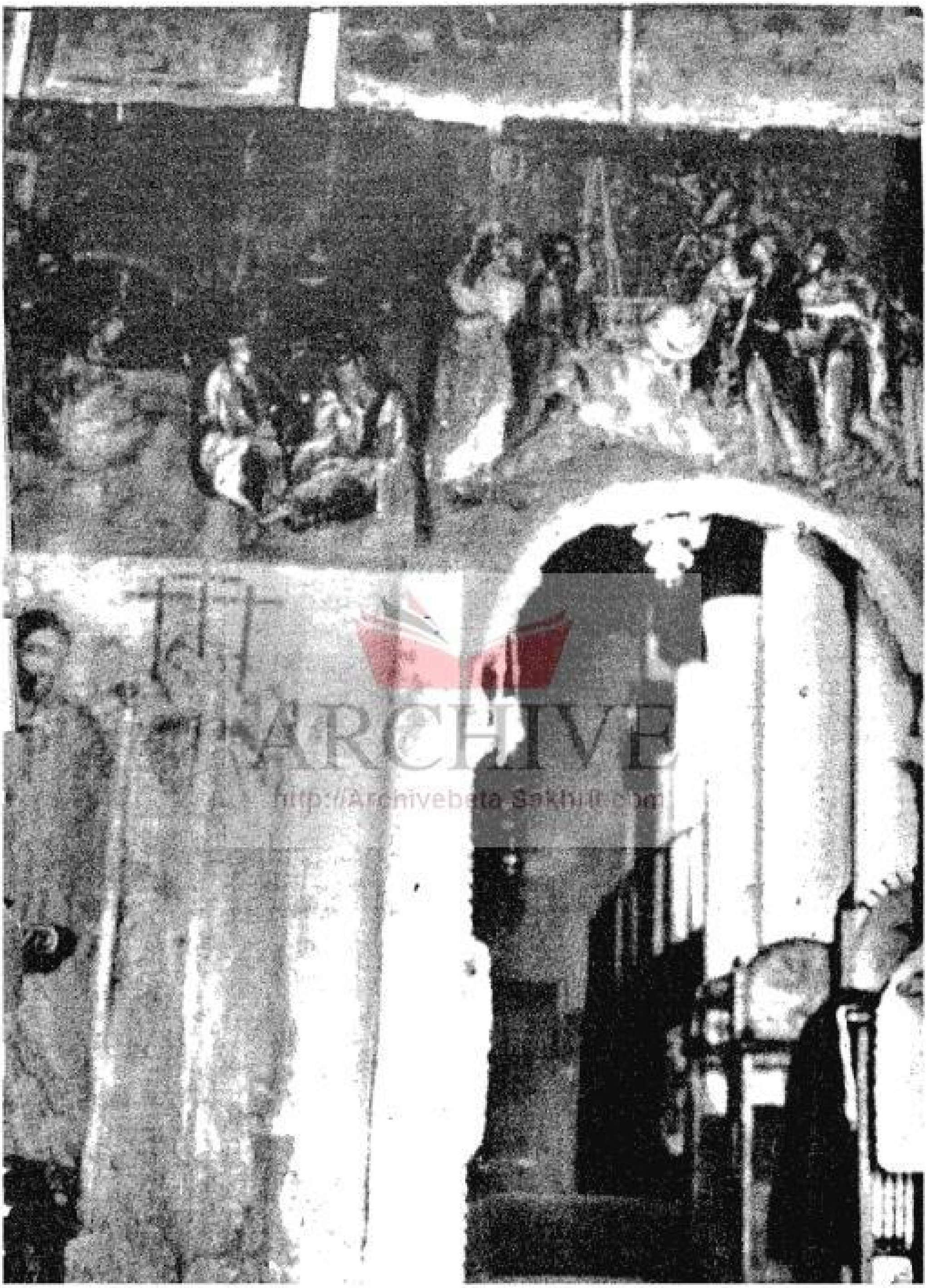
فهو جزيرة من الحياة والسلام والخضرة وسط بحر شاسع من الرمال .

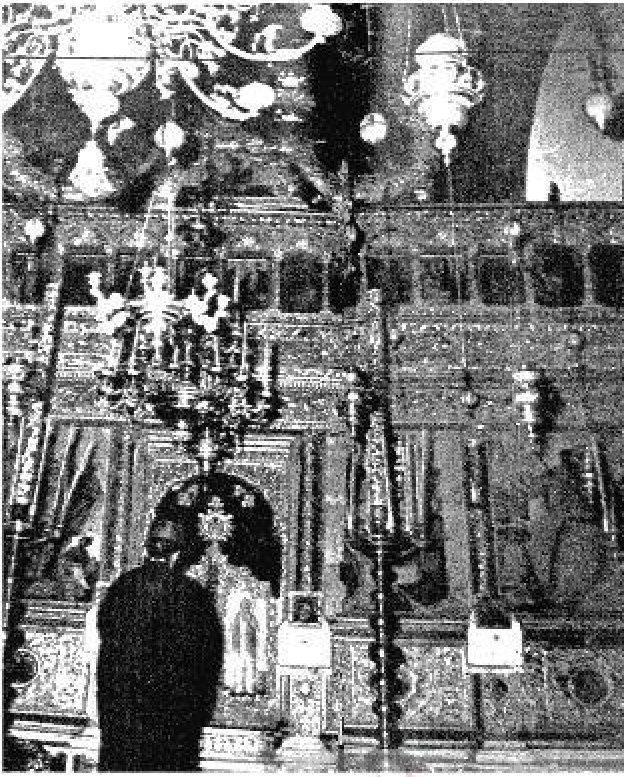
وهو دير مسيحى على مذهب الروم الكاثوليك ، لأنه كان فى الاصل تابعا لكنيسة القسطنطينية وأساقفته يختارون من مئات السنين من اليونان والبلقان . ولكنه رغم ذلك دير مصرى داخل فى نطاق الكرازة المرقسية القبطية المصرية لانه يقوم على أرض مصر ، وأسقف دير سانت كاترين تابع روحيا ومعنويا لكنيسة مصر ، وحكومة مصر هى التى ترعاه وتتولى رعايته وتأمينه .

***

والدير فى ذاته مدينة ، مدينة قائمة بذاتها ، فيها كل مقومات الحياة ، مثله

◄ قاعة من قاعات الدير مزخرفة بالنقوش الدينية البيزنطية وعليها لوحات فنية ، والقاعة تؤدى الى الخلوات التى يخلو فيها الرهبان للصلاة ..





في ذلك مثل كل الأديرة في العصور الوسطى ، فقد كان المفروض أن الأديرة مدن صغيرة تعتمد في حياتها على نفسها دون أن تنتظر عونا إلا من الله سبحانه وتعالى ، فهو يضم الكنيسة والمخبز والمطحن والخبز ويعيشون لله ، والعمال يعملون كل ما يحتاجون اليه من نجارة وحدادة وعصر زيت واصلاح آلات ، ورئيس الدير اسقف أو مطران ، ولكنه أيضا حاكم أو محافظ لهذه المدينة الصغيرة ، ولابد له من أن يتقن الادارة والاقتصاد ليسير أمور مدينته الدينية الصغيرة ، وهو لابد أن يكون سياسيا ، فهو تابع لكنيسة اليونان وكنيسة مصر في آن واحد ، وهو محاط بالبدو والبدو في حاجة الى سياسة ، والى حين قريب كان محاطا باليهود والاسلام يحتاج الى الكثير من السياسة حتى يأمن اليهود ولكن مطران الدير عرف كيف يحافظ على ديره مصريا سليما بعيدا عن كل مطامع اليهود ، وقد حاولوا في وقت من الأوقات أن ينشئوا مركزا سياحيا قرب الدير ، ولكن المطران تمكن بإرادته من صرفهم عن هذا التفكير .

الدير كما قلنا مدينة كاملة تقوم على سطح جبل موسى ، هذا الموقع غير مناسب لأنه يهدد أمن الدير ، وأي عاصفة شديدة تقذف الرمال والصخور من الجبل الى الدير ولقد غضب جستنيان عندما قالوا له أنهم أنشأوا الدير في هذا الموقع ، ولكنهم قالوا له أنهم مضطرون ، لأن هذا الموقع

كنيسة دير سانت كاترين تعتبر من أجمل آثار العمارة البيزنطية في مصر لأنهـا بنيت في عصر الامبراطور جستنيان - وهذه الصورة تعطيك فكرة عن فخامتها وما تضمه من زخارف ونقـوش ..

سانت كاترين



قالة الخيري من اللاتات الزجاجية التي يحتفظ بها في دير سانت كاترين · وهذه الزجاج لا تقدر بثمن وان كان معظمها من الخشب والنحاس ولكن قيمتها تاريخية وفنية ..

المكان من قبل هيلانة زوجة الامبراطور قسطنطين الذي كان اول امبراطور روماني يعترف بالمسيحية وانشأ فيه كنيسة سنة ٣٤٢ ميلادية ، ولكنها كانت مجرد معبد صغير ، وكان من الممكن اختيار موقع آخر ، ولكن هذا هو الذي حدث .

***

وداخل أسوار هذا الدير .. المدينة ، يوجد المساكن للضيوف ، كل منها أشبه بالاستراحة ، ولكنها استراحة متسعة مرتبة يشعر الانسان بالراحة فيها رغم البساطة والتقشف ، ففي كل غرفة : سرير أو سريران ومنضدة عليها ابريق ماء وطبق كبير للغسيل وكرسيان ومصباح للقراءة ، والاستراحات تضاء بالكهرباء لأن للدير محطة توليد كهربائي خاصة به ، ولكنها لا تكفي للمطابخ ولتسخين المياه ، وانما تكفي للانارة ، والانارة الكهربائية في الدير تتوقف الساعة العاشرة ليلا ، بعدها لابد أن ينام الناس أجمعين .

***

ولن ندخل في أوصاف دير كاترين ، فالصور الفوتوغرافية تغني عن ذلك ، انما نريد أن نقول ان عودة دير سانت كاترين الى مصر ليست مجرد حادثة سياسية ، انها رمز ، رمز لبقاء مصر وخلودها وخلود معالمها جميعا ، فقد كانت صحارى مصر والشام وبلاد المغرب الشمالية حافلة بالاديرة قبل الاسلام ، فلماذا زالت هذه الاديرة وبقي دير سانت كاترين بهذه الشهرة العالمية ؟ ولماذا تنفق مؤسسة علمية امريكية ربع مليون دولار لتصوير كل ما في دير سانت كاترين من كتب ومخطوطات ؟

د . حسين مؤنس



لوحةبالفسيفساء تزين باطن قبة القاعة الرئيسية فى الدير وهى تمثل الرسولين بطرس وبولس وقبة دير سانت كاترين مشهورة بهذه اللوحات من الفسيفساء فى العالم كله .

جراح المساء ..

● محمود العتريس ●

عندى من الذنب جُرْحٌ
أغفو عليه .. وأصحو
أتيته .. غيرَ عادٍ
فعادنى منه قُبحٌ .. !!
أخفيه عن حُسْنِ قومى
فقد سَقِمْتُ ..وصحوا
شُغِلت عن ربح وُدّى
فضاعَ ود ... وربحُ
***
يقولُ لى .. فى عِتابٍ
دواء جُرحِك .. صَفْح
فليس كالعفو كَفٌّ
تطوى الذنوب فتمحو
كانَ حبّى .. يَغنفِضُ
كانَ بَذْلى .. شُحّ
فهل تكون .. وليّى
ما استعبدَ القومَ قَدْحٌ
حتى ولو مَسَّ أمرى
لديك فى الظّنّ قرح ؟؟
***
يامن حَسَنْتَ .. عتابا
وزاد حُسْنَكَ ..نُصح
سلِمتَ .. مما أعانى ..
ولا نبا بك بَرْحٌ .!!
شقيتُ ، والمرء قلبٌ
يشقيه .. حزن وفرحُ !
جُرح الذنوب .. مَساء
قد لا يوافيه .. صبحٌ !

هجاء مُغلق

واديب نهم

● محمد قنديل البقلى ●

● للادباء ميول تختلف باختلاف اهوائهم وتتباين بتباين نزعاتهم، فمنهم الغزل الذى لاينفك يستهويه كل جمال ولايفتأ يقول فيه ويكثر... ومنهم المداح الذى يرصد افعال المعروفين من الرجال يطريهم على كل صغيرة وكبيرة طمعا فيما عندهم من جوائز وهبات .. ومنهم الزاهد الصادف عن ملذات الحياة وما فيها من متاع ومغريات ، يفيض ادبه بالزهد والتعفف والاباء ... ومنهم من يتدنى فيجعل الطعام غرامه ومقصده ومنتهى امله ان يظفر بدعوة الى طعام فيه ما لذ وطاب ياكل حتى يتخم ويشرب حتى يبشم .

وهذا النوع الاخير من الادباء النهمين يفيض شعرهم بوصف الطعام وذكر الشراب ، لا تكاد تقرأ لهم قـولا الا والطعام والشراب لحمته وسداه، وهذا الادب ، ادب الطعام والشراب كـم يروق الكثيرين ويعجب المتادبين ، ففى الحق ان فيه لمهارة خاصة فى الصياغة وبديهة موهوبة فى القول ، ولفتات طريفة معجبة قد لا يقوى على مثلها الكثيرون من الادباء الذين ليس الطعـام والشراب من همهم وقصدهم .

ولقد ظهـر فى مصر فى القـرن الثـانى عشر الهجـرى ، أديب من هؤلاء الادباء النهمين ، قال الشعر وقال الزجل ، وكان الطعـام والشراب هو غاية هذا الاديب فى شعره وزجله ... ابدع شعرا وابدع زجلا ، وكان هذا وذاك فى الطعام والشراب ، ولم يكفه ما كان يبدع ، بل عدا على ابداع غيره من شعر وزجل فاحاله الى طريقته واخلصه لما يحب ، فاذا هذا الشعر الجاد والزجل الجاد قد استحال شعرا هازلا وزجلا هازلا فى الطعام والشراب وهذا هو كل هدف ذلك الشاعر ومراده .

***

هذا الاديب النهم هو عامر الانبوطى ، المتوفى سنة ١١٢٣ هجرية ، ولعه بوصف الطعام والشراب جعل منه اديبا متهكما حتى كان يخشى تهكمه الادباء من حوله مخافة ان يسطو على ادب لهم جاد فيحيله الى ادب هازل ...

وكم اشتروا سكوته بدعوتهم له الى موائدهم التي كانت تترى وتتوالى وهم يعلمون انهم اذا اغفلوه لحظة لم يغفل هو ان يتهكم بهم وبادبهم فيحيله الى شعر هازل فيه رائحة الطعام ....

وتحضرني في هذه كلمة قالها له اديب من ادباء عصره هو الشيخ الشبراوي ، فقد كان يكرمه اكراما لا ينقطع ، يدعوه اليه يشاركه طعامه وشرابه . يوما بعد يوم ، اذا كان يخشاه ويقول له : « يا شيخ عامر لا «تزفر» قصيدتي الفلانية وهذه جائزتك ! »

وكلمة الشيخ الشبراوي هذه هي كلمة تشبه ادب الانبوطي ، وفي الحق انها كناية لطيفة حين يقول له « لا تزفر » قصيدتي ، اي لا تجعل زفر الطعام يلحقها فتفسد رائحتها ...

والشبراوي بهذا كان يعلم ان اعتداء الانبوطي على شعره واحالته اياه شعر طعام وشراب فيه الفساد وهلهلة للشعر ...

وكما كان يفعل الشبراوي بالانبوطي يكرمه خوفا منه ، كان اديب آخر من ادباء ذلك العصر يكرمه هو الاخر ويغدق عليه ويترضاه يخاف ما خافه منه زميلهما الشبراوي من اعتداء على الشعر الجاد واحالته اياه شعرا هازلا يدور حول الطعام والشراب !

ولقد قلت ان هذا اللون من الادب الهازل ليس من الذي يهون ويذل لكل اديب ، بل ان وراءه موهبة وقدرة ليست يسيرة على كل اديب ، ولو نظرت معي الى هذه المحاولة التي حاولها الانبوطي في احالته الفية ابن مالك في النحو الى شعر هازل مضحك ، لآمنت معي ان الانبوطي كان ذا قدرة وكان ذا موهبة ، وكان اكثر حفظا لشعر القدماء ... اقرأ معي قوله في الفيته التي سماها « الفية الطعام » يعارض بها الفية ابن مالك :

يقول عامر هو الانبوطي	احمد ربي لست بالقنوطي

ثم يقول :

واستعين الله في الفية	مقاصد الاكل بها محوية
فيها صنوف الاكل والمطاعم	لذت لكل جائع وهائم !

واذا ما قال ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم	واسم وفعل وحرف للكلم
مفرده كلمة والقول عم ...	وكلمة بهـا كلام قد يؤم

نرى الانبوطي يقول :

طعامنا الضاني لذيذ للنهم	لحما وسمنا ثم خبزا فالتقم !
فانها نفيسة والاكل عم ...	مطاعما الى سناها القلب ام !

ومنهـا :

والاصل فى الاخبار ان تقرا وجوزوا التقديم اذ لا ضررا !

ارايت معى الى هذه الاحالة وكيف احال الانبوطى ابياتا فى النحو الى ابيات فى الطعام والشراب فيها احكام وفيها دقة ومن ورائها موهبة ، ثم هى الى هذا كله هازلة فكهة تسرى عن النفس .

وكما اغرم الانبوطى بالفية ابن مالك ، اغرم بلامية العجم للطغرائى ، وهى من الشعر الدقيق الصعب والتى اودعها الطغرائى حكما ومواعظ متعددة ، ومحاكاتها او النسج على منوالها من الصعوبة بمكان لا سيما اذا كان هذا المحاكى لها والناسج على منوالها يريد ان ينقلها من غرض الى غرض ، ولكن اديبنا الانبوطى كان ذلك الاديب الذى لا يستعصى عليه ما يريد ، نتراه ينقل او يحور هذه اللامية الى صورة فكاهية عن الطعام وصور نفسه فيها الشراهة وحب لون خاص من الوان الطعام وهو لحم الضأن ، وافتن فى معارضته بحيث جعلنا نشعر انه رجل محروم من هذا الطعام .

فالطغرائى يقول فى قصيدته :

اصالة الراى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

مجدى اخيرا ومجدى اولا شرع والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل

فاقرأ معى ما قاله الشيخ عامر الانبوطى وانظر الى هذه الصورة الكاريكاتوريه التى رسم بها نفسه :

اناجر الضأن ترياق من العلل وأصحن الرز فيها منتهى املى
اكل غداء واكل فى العشاء عل حد سوى اذا اللحم السمين فلى
فيم الاقامة بالارياف ، لا شبعى فيها ولا نزهتى فيها ، ولا جملى
ناء عن الاهل خالى الجوف منقبض كمعدم مات من جوع ومن فشل
هلا خليلا بدفع الجوع يرحمنى ولا كريم بلحم الضأن يسمح لى
طال التلهف للمطعوم واشتعلت حشاشتى بطعام البيت حين قل
اريد اكلا نفيسا استعين به على العبادات والمطلوب من عملى
والدهر يفجع قلبى من مطاعمه بالعدس والكشك والبيسار والبصل

وكما لم تسلم لامية العجم من محاكاة الانبوطى لها كذا لم تسلم لامية ابن الوردى فقد احالها هى الاخرى الشيخ عامر الانبوطى الى شعر فى الطعام والشراب ، وذلك فى قوله :

اجتنب مطعـــوم عدس وبصـــل في عشاء فهو للعقـــل خبـــل
واحتفـــل بالضان ان كنت فتى زاكي المقل ودع عنك الكسـل
من كباب وضـــلوع قــد زكت اكلها ينفى عن القلب الوجـل !

هذا كله من الجانب الشعرى ... أما عن الجانب الزجلى فلقدكان الانبوطى فيه كذلك مبدعا لم يسلم منه الزجالون المعاصرون والغابرون كما لم يسلم منه الشعراء السالفون ، فمن كلامه على وزن كلام لزجال فى عصره ، هـو ابن عروس :

اكلك من الضـــان رطلين يزيد قلبـك نفاســـه ...
وابعد عن الكشـــك يا زين دا الاكل منـــه تعاسه !

غير هذا وذاك فلقد كان للانبوطى أزجال من ابداعه تصف شغفه بالطعام ونهمه به ، وهل كان له زجل الا فى هذا الولع وذاك النهم ...

اقرا قوله :

يا طابخ الضان اشـــتد واغرف اوانى وسيعة
عاجر اتى لك وله يد فى الاكل دايمــا سريعة ؟

واقرا له :

العدس والكشك والفول الاكل منهم شـــماته
يصبحوا الشب مخبـول قطعوا الجميع التلاته !

واقرأ قوله

خشاف مشمش وعناب الشرب منهــم دوايا
من بعد ما آكل كبـاب يا رب حقـق رجايا !

ارايت كيف كان ابنا الانبوطى محبا للطعام متهافتا على الاكل متطفلا على الموائد ، لا هم له ان يدعى الى مأدبة ، فان لم يدع اليها اقتحمها على أصحابها والناس على الحالين راضون ، فان لم يرضوا كان لهم من لاذع هجائه ولاسع تعريضه ما يؤذى بسوء .

● من أجل هذا سماه الجبرتى : الشاعر الهجاء المفلق لهيب شراره محـــرق .

● ماري غضبان ●

اختفت الأعمال الأدبية من شاشة السينما العالمية

● من المعروف ان كاتب السيناريو ـ او بمعنى اوضح ، المؤلف السينمائي ـ يختار موضوع فيلمه اما من خلال عمل ادبي منشور لاحد الادباء ، او من تاليفه هو .. اى ان القصة السينمائية اما ان يكون موضوعها الاصلى من تاليف شخص آخر ، بحيث يعيد « المؤلف السينمائى » كتابتها بشكل يعتمد على الصورة بالدرجة الاولى .. واما ان يكون هذا الموضوع الاصلى من تاليف المؤلف السينمائي ذاته !

وقد يتصور البعض ان كاتب السيناريو يستسهل اللجوء الى قصة ادبية لمؤلف آخر فيعيد كتابتها للسينما على اساس الصورة ، كما حدث فى السينما العالمية والمصرية حيث نقلت شوامخ الاعمال الادبية الكبيرة لعمالقة القصة والدراما عن امثال شيكسبير ، وتولستوى ، وديستويفسكى ، وبرنارد شو ، وجيته ، وجوركى ، وسومرست موم وجسرام جرين ، وبيرل بك وغيرهم ـ اقول انه قد يتصور البعض ان تحويل هذه الاعمال الى سيناريو سينمائى اسهل كثيرا على كاتب السيناريو من ان يضطر هو لتاليف الموضوع الاصلى الذى يبنى حوله مشاهد الفيلم او السيناريو السينمائى !

الا ان ذلك فى الواقع غير صحيح .. فان كاتب السيناريو عندما يضع بنفسه موضوع الفيلم او قصته السينمائية ، انما يستطيع ان يتحكم فيها بفكره بحيث يولد الموضوع بشكل يعتمد من البداية على الصورة ، وبحيث تولد الشخصيات وتنمو وتتطور ايضا بشكل سينمائى يعتمد على الصورة . وتصبح فى النهاية من السهل ان يكتمل بالبناء الدرامى السينمائى . اما العمل الادبى ، فالمشكلة التى تواجه كاتب السيناريو تعتبر من الضخامة بمكان ، كما انها تلقى عليه المسئولية الخطيرة فهو يواجه عملا ادبيا معروفا لكاتب شهير . والعمل يحمل مضمونا معينا ، عرفه ملايين القراء فى انحاء العالم . وعلى كاتب السيناريو ان يحرص على هذا المضمون وان يزيده وضوحا بالصورة السينمائية كما يحرص ، شخصيات هذا العمل الادبى فى تكوينها وتطورها وهو اذا مس هذا او ذاك ، اتهم بانه اساء الى العمل الذى عرفه واحبه الملايين والى الكاتب صاحب التاريخ العظيم .

وتزداد المشكلة تعقيدا عندما يكون هذا العمل الادبى من الاعمال الكبيرة التى تضم تاريخا طويلا يتعرض لمساحة زمنية كبيرة ويشمل عشرات الاحداث



مشهد من الفيلم الفرنسى : فى مواجهة الحياة ـ اخراج : برتران تافرنييـــه

فيها ، اذ يصبح من المحتم على كاتب السيناريو أن يستغنى من الكثير من هذه الاحداث ، وربمـــا من بعض الشخصيات .. وقد يحتاج العمـــل الدرامى فى اعـــادة بنائه الى اضـــافة شخصيات ـ وهـــذا من حق كاتب السيناريو وغالبا ما يؤدى ذلك الى اقتضاب المساحة الزمنية الطويلة والتطـــور الطبيعى بما يتناسب مع وقت الفيلم الســـينمائى الذى لا يجب أن يزيد على ساعتين عـــادة حتى لايمل الجمهور .
ويجد كاتب السيناريو نفســـه فى النهاية امام مشكلة ضـــخمة فهو يبذل من الجهد ما كان يستطيع ان يوفـــره لو انه وضـــع بنفســـه فكرة الفيلم او الموضوع الاســـاسى ، وهو فى نفس الوقت من الممكن ان يسىء الى النص الادبى المعروف بما يلغيه من احـــداث او يحذفه من شخصيات ، وأيضـــا بما قد يضيفه من ذهنه من شخصيات واحداث يقتضيها العمـــل الدرامى فى بنائه الجديد .. ثم فى النهاية فـــان أسم صاحب النص الادبى **لا يزال بعد ذلك كله فوق العمل .. ولا يـــزال الجمهور يعرف صاحب العمل الادبى اكثر مما يعرف كاتب السيناريو الذى حول هذا العمل الى فيلم ســـينمائى يشاهده الملايين ،حتى الذين لا يعرفون منهم القراءة ، او الذين يعرفونهـــا لكنهم لا يستطيعون قراءة اعمال الكتاب الكبار لانهم غير قادرين على فهمها.**

ولعل الدليل على أن كتـــابة السيناريو لعمل ادبى معـــروف ليس اسهل بالقطع من كتابة السيناريو لعمل من تاليف كاتب الســـيناريو ذاته ـ ان هذا العدد الضخم من الافـــلام التى ضمها مهرجان برلين السينمائى الدولى الاخير ، وهو عـــدد يزيد على ٥٠٠ فيلم

ـ ليس بينها سوى اربعة افلام فقط، هى التى كتبت عن اعمال ادبية !

وهذه الافلام هى : «ارملة مونتييل» الذى اشتركت فى انتاجه كل من المكسيك وكوبا وفينزويلا وكولومبيا ثم « المانيا الوطن الباهت » وهو انتاج المانى .. ثم « جريمة كونيكا » من انتاج اسبانيا . و « فى مواجهة الموت» من فرنسا ..

ارملة نوتييل مقتبس من كتاب للكاتب « جبرييل جارسيا ماركيز » ، ويدور موضوعه حول رجل يدعى « جوسيه مونتييل » الذى يموت ولا يتصور احد ان ميتته طبيعية . فقد كان انسانا مكروها لانه استطاع ان يتحول خلال ست سنوات من رجل فقير جدا الى رجل ثرى . ثم سيطر على التجارة واقتحم ميدان السياسة ، واصبح عينا واذنا للدولة بين الناس ..وقد استغل موقفه هذا لكى يتخلص من اعدائه واحدا بعد الآخر ، بحيث يرسل الفقراء منهم الى السجن ، ويطيح بالاغنياء خارج البلاد .

وفى جنازة هذا الرجل الكريه ، لا نرى جمهوراً يشيعه ، ولا اولاده وبناته الذين يدرسون فى الخارج . نرى فقط أرملته التى تسير خلف نعشه .. انها تزوجته وهى صغيرة ، ولا تعرف شيئًا عن عمله وقد ظلت تثق به ثقة عمياء ، حتى انها لاتعرف شيئًا عن ممتلكاته ولا تعرف مكان مفتاح خزانته .. انها وحدها مع الشغال فى منزله : تراقب كيف تريد المدينة ان تنتقم من الزوج الراحل ، وتريد أن تحرق حظائر خيوله .. انها تهرب فى النهاية من بيتها ، وتسأل السماء ـ متى ترحل اليها ، ثم تنتحر ..

مخرج الفيلم هو « ميجيل ليتين » من شيلى ، بدأ حياته مؤلفا مسرحيا ، وهو يختار افلامه من اعمال ادبية معروفة ..

فى مواجهة الموت : فيلم فرنسى مقتبس عن رواية للكاتب « دافيد كومبتون » وهو من الافلام العلمية رغم ان مخرجه « برتراندا برنيه » ينكر ذلك ويقول ان الفيلم يجمع بين الفكرة العلمية وسينما المشاعر والاحاسيس ، والخوف الذى قد يؤدى الى الموت.

الفيلم تجرى احداثه فى مدينة المستقبل ، حيث يموت الناس من الجوع والعنف او الخوف او الشيخوخة لانهم لم يعودوا يموتون من المرض .. لذلك ، فان التليفزيون يجرى برنامجا بعنوان « فى مواجهة الموت » حيث يكشف عن اناس يموتون من المرض . ولذلك ينجح هذا البرنامج فى عالم لا يموت فيه الناس من المرض ويختار البرنامج الفتاة « كاترين » **ليجرى منها احدى حلقات البرنامج . يحدث ذلك بعد ان يتم « ترقيع » ذهن المخرج بكاميرا صغيرة تقوم بتسجيل** كل مواقف هذه الفتاة حيث يصحبها المخرج بتلك « الكاميرا الذهنية » .. وبالفعل تستمر الاحداث التى تنتقل الى شاشة التليفزيون .. ولكن غير المتوقع هو وقوع المخرج فى حب «كاترين» مما جعله يغمض عينيه لفترة طويلة ، وهنا تنفصل الاسلاك عن هذه الكاميرا الذهنية فلا تسجل شيئا ، بل انها تؤدى الى ان يفقد بصره .

تبحث الطائرات الهليوكوبتر عن «كاترين» والمخرج بين الغابات ، وتتضح المفاجأة فى النهاية حيث تكتشف ان « كاترين » ليست مريضة ، وان مدير التليفزيون هو الذى اتفق مع احد الاطباء للايحاء بانها مريضة بالسرطان ، وعندما تكتشف هى هذه الحقيقة ـ تقرر الانتحار !

المانيا الوطن الشاحب : فيلم للمخرجة « هيلما ساندرز »وهومقتبس عن قصة حياة المخرجة نفسها التى عاشت ايام النازية خلال الحرب العالمية



رومى شنايدر : بطل فيلم « فى مواجهة الموت » مع مندوبة الهلال : مـارى غضبان

الثانية وما بعدها .

يروى الفيلم قصة حب سريعة بين «هانز» و « هيلين» ، وبمجرد زواجهما يستدعى هو للحرب ، وفى الايام القليلة التى يلتقيان فيها خلال المعارك، تقرر ان تنجب منه ، ثم نتابعها خلال هروبها من مدينة الى اخرى مع طفلتها الوليدة التى تكبر مع الاحداث . وعندما تلجا الى قصر عمها فى برلين يكشف الفيلم عن الفوارق الاجتماعية الواضحة بين اسرتها واسرة زوجها ، مما يسبب لها شللا نصفيا فى وجهها .. بينما نجد الزوج بعد عودته من الحرب وانتهاء النازية واعلان السلام ، يعانى من بطالته فى حين يحصل كل الذين كانوا تابعين للنازية على الوظائف .

وعندما تقرر الأم ان تنتحر بغاز الحمام ، تدق الطفلة على بابها وتصرخ .. فتعود الأم تحضنها من جديد !

ورغم حساسية المخرجة وقدرتها على التعبير الا انها استسلمت لاسلوب المبالغة فى الاحداث بطريقة الميلودراما المجوجة .

جريمة كونيكا : وهو فيلم اسبانى لمخرجة امراة ايضا ، عن قصة حقيقية وقعت فى اسبانيا للمؤلف « سلفادور مالدونادو » وهى تدور ايام فرانكو فى قرية صغيرة من اسبانيا ، حيث يقتل رجل ويتهم شخصان بارتكاب هذه الجريمة ، وتحت العذاب غير المحتمل يعترفان بارتكابهما للجريمة — بعكس الحقيقة — ويحكم عليهما بالاشغال الشاقة لمدة ١٨ سنة .. ولحسن السلوك يتم الافراج عنهما قبلها بسنوات ، لكن المفاجاة الغريبة ، ان الرجل المقتول يظهر حيا بعد عامين من الافراج عن القاتلين !.. ويستانف الحكم من جديد ، ويطالب المسجونان خطا بالتعويض ويضطر ثلاثة من القضاة الى الانتحار !

والغريب ان مشاهد العنف غير الطبيعية كانت تسيطر على الفيلم رغم ان المخرجة امراة .. ولعل السبب ان هذه المخرجة نفسها عانت كثيرا فى عهد فرانكو من السيطرة الاستبدادية على كل الاجهزة والنظم الاجتماعية .. وعندما جاءتها الفرصة فى عهد ديمقراطية الملك « خوان كارلوس » ، لم تجد طريقة للتعبير عن معاناتها سوى تلك المشاهد العنيفة فى فيلمها ..

ويبقى الاغرب من ذلك ، وهو ان اسبانيا تمنع عرض هذا الفيلم داخل البلاد .. ايضا — ورغم الديمقراطية. والذى الاحظه ان المخرجة بدلا من ان تسلط الاضواء على العدالة والقضاء ، لقد سلطتها على مشاهد التعذيب والعنف ، مما اضاع رسالتها الاساسية !

وبعد ..

فان المشكلة الاساسية فى السينما — سواء فى مصر او العالم — هى فى كتابة السيناريو ، لان السيناريو هو الفيلم .. ولا شك ان عملية البحث عن كاتب سيناريو متفوق ، خلاق ، لاتزال تدور فى انحاء العالم كما تدور فى مصر .

المجتمع المصرى في حديث عيسى بن هشام

● عزت محمد ابراهيم ●

● ليست المرة الاولى التى اقرا فيها كتاب « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحى ، فقد قرأته اكثر من مرة ، وافرغ من قراءته فى كل مرة لاقول لنفسى : هاهو ذا كتاب قد غالب الزمان فغلبه ، وتوالت السنون وكرت الاعوام وهو لايزال بين ايدى الناس يقرؤه قارئون ويعجب به معجبون .. فكم من الكتب التى بين ايدينا اليوم يقدر على الصمود والتحدى قدرته ، وان منها ماهو غثاء كغثاء السيل ، وان منها ما يلفظ فى المهد انفاسه ، فيكون مهده لحده ، وما يزيد ما بين المهد واللحد على طرفة عين !

واذا كان العقاد العظيم لم يزد تعليمه المدرسى عن الابتدائية ، فان المويلحى لم يحز من الشهادات شيئا ، ولا حتى الابتدائية ، لا لفقر فيه ، ولا لخصاصة فى أهله تعدت به عن الانفاق ، فقد كان ذا يسر ، وكان بيته بيت جاه وعز ، ولكن لعلة فى خلقته ، مع رهافة فى حسه اجتمعا فيه فبغضا الى نفسه الخلطة والاجتماع ، وكانت تعتريه حبسة فى الصوت ، فيغص بالكلمات حلقه ، فلا يقدر على الابانة والافصاح ، وربما كف عن الكلام واشاح بوجهه عن محدثه الما مما يعانى .. ذلك نقص عنده احب ان يعوضه ويكمله فى منحى آخر فكان هو منحى الادب والفن ، كحال من عرفنا من سواه من أصحاب الادب والفكر والفن من ذوى الافات والعاهات على اختلافها وتباينها وتنوع اشكالها من هوميروس والمعرى حتى سومرست موم وطه حسين .

ولم تقعد به العلة عن طلب العلم وتحصيله ، فقد جمع له ابوه المعلمين فى بيته ، يتلقى على أيديهم الفرنسية والعربية ، ثم كان يقصد الازهر يستمع الى مايلقى فيه من دروس ، فافاد منه خير افادة ، ثم سافر ورحل وعرف ورأى ، واضاف الى ما تعلم مزيدا من العلم فتعلم الايطالية ، فكان خليقا ان يتوفر له من الثقافة خير زاد ، واهم من ذلك كله ان يجمع بين طرفى الثقافة العربية والغربية ، وهما مرد النبوغ والتفوق عند كل من عرفنا من رواد نهضتنا الفكرية الحديثة ، بغير حاجة الى عد واحصاء .

وقد جمع المويلحى بين الانشاء والفن فكان منشئا متفننا ، وقد كانا له معا جناحين ، حلق بهما فى الاجواء عاليا .

وقد اشتهر المويلحى وذاع صيته

وسمت مكانته ، حتى كان فقده رزءا عظيما وخسارة فادحة يحشد لها الراثون فنون قولهم ، فيقول فيه احمد شوقى :

كاتب محسن البيان صناعه
استخف العقول حينا يراعه
ابن مصر وانما كل ارض
تنطق الضاد مهده ورباعه

وقال فيه حافظ ابراهيم :

غاب الاديب اديب مصر واختفى
فلتبكه الاقلام او تتقصفا

***

ذلك هو المؤلف ، اما الكتاب فهو اقرب الى أدب المقامات ، تأثر فيه بسابقيه من فحول هذا الفن من امثال الهمدانى والحريرى ، ونسج على منواله فيه لاحقون ، فكانت « ليالى سطيح » لحافظ ابراهيم بعض غرسه ، وقد قيل فى الكتاب انه كان نواة للرواية العربية الحديثة ، وقد يشجر فى ذلك خلاف لبعد مابينه وبين الرواية بمفهومها الحديث ، ويبقى بعد ذلك ما لا خلاف عليه ، وهو انه مهد ارض القصة ورعاها ، وجاء من بعده فالقى فيها البذور فنمت وترعرعت والمرت وانيعت فآتت اكلها بعد حين ..

ولعل من حق ابراهيم المويلحى ان يذكر فى مقام الحديث عن ابنه محمد المويلحى ، وقد كان الاب اديبا ، وكانا ينشران فى وقت واحد : الابن ينشر حديث عيسى بن هشام ، والاب ينشر حديث موسى بن عصام. وقدر للاول ان يبقى وان يندثر الثانى فتطويه الايام.

***

وعيسى بن هشام هو الشخصية التى تدور حولها احداث الكتاب ، او هو الشخصية التى تقمصها المؤلف ليتحدث بلسانها عما يريد ، وتبدا صفحة الكتاب الاولى برؤيا او منام ، فهى خارقة من الخوارق لاسبيل الى الوصول اليها الا عن طريق التخيل والاحلام ، حين يكون عيسى بن هشام بين المقابر يلتمس العبرة : ثم اذا بقبر من هاتيك القبور ينشق ويخرج منه واحد ممن كانوا قد توسدوا فيه الثرى واذا به احد «الباشوات» قد بعث من مرقده ، ثم يكون ابن هشام دليله ومرشده فى عالم جديد لا عهد له به ، ولا علم له بما فيه ، يستغرب « الباشا » ويتعجب، ويشرح ابن هشام ويفسر .

لقد هجم المويلحى على موضوع كتابه هجوما سريعا خاطفا ، لا يستانى فيه ولايتمهل ، فاذا به بعد صفحتين فى قبضة يده يحركه كيف يشاء ، ويشرق به ويغرب كيف اراد ، او هى خيوطه قد اصبحت بين اصابعه فهو ينسج منها ما يشاء من موشى الثياب، انها يد ماهر صناع قد فجرت ينابيع الكتاب كله بضربة واحدة ، واذا أحب ان يلم باحداث بانف «الباشا» وابن هشام من المشاركة فيها ، او يصيب الخلل والارتباك موضوع الكتاب اذا هما قد شاركا فيها ، فان الحيلة عندئذحاضرة والمخرج سهل ميسور لا يقصر عنه ذكاء المؤلف ، ولا تضيق به افانينه ، فليقفا اذن موقف المتفرج مما يدور امامهما من احداث ، وليكونا منهما من كثب فلا يفوتهما منها شىء ، ولا يفوت قارىء الكتاب كذلك ..

انها تلك الحيل والافانين التى يعرفها اصحاب الفن الروائى ويملكون زمامها فيحركون بها الوقائع والشخوص عن قدرة ودراية وتمكن،وحسن استخدام للادوات والاساليب ، وانها لمن احفل

وامتع احداث الكتاب وفصوله ، وهى تلك التى تدور حول العمدة ـ والتاجر والخليع ، والتى جاءت فى الكتاب تحت فصول : العمدة فى الحديقة ـ العمدة فى المجتمع ـ العمدة فى المطعم ـ العمدة فى الحان ـ العمدة فى المرقص العمدة فى الرهن ـ العمدة فى الاهرام ـ والعمدة فى الملهى .. انه عمل فنى قائم بذاته ، او هى رواية داخل الرواية ، وهى فصول تموج بالحركة وتضطرب بالحياة وتتدفق فيها الاحداث تدفقا ، ويتصل بعضها ببعض وياخذ بعضها بزمام بعض ..

واغلب الظن ان قارئها فى حينها كان ينتظر متلهفا فصولها على احر من الجمر فى ((مصباح الشرق)) ليعرف ماذا آل اليه امر العمدة ، وكيف خرج مما وقع فيه من شر ، وما نصب له من احابيل المكر واشراك الخداع ، تماما كما يحدث فى ايامنا حين تعرض الشاشة الصغيرة حلقات متتابعة ينتظرها الناس فى لهفة ، ويترقبون موعدها فى اشتياق ..

واخص ماتمتاز به هذه الفصول من الكتاب هو الصدق الفنى ، فهى صور صادقة للمجتمع الذى عرفه منشؤها وعاش فيه ، ولم تغفل عينه عن ظواهره وخوافيه ، ترى كم من روايات وتمثيليات قرئت ومثلت ، وقد استمدت قوامها من هذا العمل اقتباسا وتأثرا وتغييرا وتبديلا ، او على الاقل اشارة الى باب يلج منه المتفننون فيربحون ويغنمون .. ولقد وددت لو لخصت بعضها ولكن المجال أضيق من أن يتسع لذلك ، فضلا عن أنه ليس يغنى بعضها عن كلها ، وما اكتب عن هذا العمل العظيم لكى اغنى عن قراءته ، وانما لكى أحفز اليها ، فحسبى منه هذه الاشارة دلالة عليه .

واذا كانت مصر هى مسرح القسم الاول من الكتاب وموقع احداثه ، فان باريس هى موقع احداث قسمه الثانى او هى ـ توخيا للدقة ـ مجال الوصف فيه .. كان المويلحى قد زارها وجاس خلال معالمها وشاهد معرضها المقام فيها حينذاك ، وبرجها الذى تمت اقامته وقتذاك ، فلم يجد غضاضة فى أن يكون ذلك تتمة لكتابه ، فحمل عيسى بن هشام و«الباشا» الى هناك يمخران عباب البحر الى تلك الديار .. ويتناول المويلحى فى كتابه المدنية الغربية بخيرها وشرها تناول الفاحص المدقق الواعى الحصيف الذى لا تلهيه القشور عن اللباب أو يغره المظهر عن المخبر .

وقد جمع المويلحى فى كتابه بين السجع والترسل ، ولكنه السجع غير المتكلف الذى يكاد يختفى فيه اثر الصنعة فلا يحس بها متذوقه ، وتلك آية الفن ، وقد اعانه على ذلك ذخيرة من الالفاظ لا تكاد تنفد ، وفيض من الكلمات كأنما يغترفها من بحر اغترافا ، ولم يكن كذلك حال النثر فى عصره ، فان من بين الكتاب وقتذاك من يبدو كأنما ينحت من الصخر نحتا ، او يقتلع الكلمات اقتلاعا .. تبقى بعد ذلك كلمة يعز على ان تبقى فى صدرى حبيسة . اين الاذاعة .. مرئية ومسموعة عن هذا الكتاب الحافل الغنى ، وهو جدير أن يضيف اليها غنى وثراء .

الحمامة والذئب الشاعر

● سالم حقى ●

وارتدى الذئبُ مسوحَ الناسكين ... معلِنا توبتَه فى العالمين !
ومضى للروضِ يمشى خاشِعا ... هادىءَ السمت .. يُحيِّى الناظرين
غمغم الثعلبُ ... من دهشته ... أى سرٍ فى قناع التائبين ! ؟

***

قصد الذئبُ ... إلى غايتِه ... ذلك العش ... بأعلى الياسمين
قال : يا هذى الحمامات التى ... تملأ الروض هديلا كلَّ حين
يشرقُ الفجرُ على أنغامِها ... عاطِر الأنفاس .. وضّاح الجبين
جئتكنَّ اليومَ أبغِى مأربا ... ليسَ لى فيه .. سواكنَّ .. معين
آه .. لو أملِك صوتا ملهما ... يبعثُ الشجوَ ويهتاج الحنين !
تنبِض الآهةُ فى نبرتِه ... مثلما تنبض فى القلب الحزين
أنا قلبٌ شاعرٌ ... ينقصه ... ساحرُ الجرس وصدّاح الرنين !
وأنا طوعٌ التى تهبط لى ... أستقِى من نبعِها الدرس الثمين
فلقد ودّعتُ أيام الصِّبا ... كيفَ آتى العش .. والجهدُ ضنين ؟
آهِ .. لو تبلِغُنى .. أمنيتى ؟! ... عشتُ عبدا .. أبد الدهر .. أمين !

***

واستجابتْ من بنيّات القطا ... بضة .. بيضاءُ .. تسبى الناظرين
ذاتُ طوقٍ من عناقيد السنا ... ذاتُ جرس من لهاة العاشقين
هبطتْ للذئب .. ترعَى شأنَه ... مثلَ طفل لم يزل غفلَ السنين !
فإذا الصوتُ عواءٌ .. لا ينى ! ... وإذا الجرسُ عصىٌ .. لا يلين !
قالت الورقاء : يا ذئب الفلا ! ... لستَ للشدو .. وهمس الحالمين
صاح : يا ورقاء ! .. لا .. لاتقنطى ... ولتجيئى الغابَ خيرَ الزائرين
هو يوم آخر .. أو بعضه ... وتؤوبين .. بغار الفاتحين !

***

رجَع الذئبُ .. إلى غابتِه ... يحمِل الصيدَ البرىء المستكين
بارزَ الأنياب .. مسعور الخطى ... ينقض العهدَ ويزهَى بالكمين !
... ومضى الدهرُ .. ولم يروِ لنا ... أن ذئبا .. كانَ .. بين المنشدين !

فلسفة الجمال في الفكر المعاصر

● تأليف : دكتور محمد زكي العشماوي ●
● اعداد : عادل عبد الصمد ●

● يعتبر تحديد ماهية الفن ، من القضايا التي شغلت الكتاب والمفكرين وطرحت نفسها على الباحثين والدارسين في ميادين علم الجمال والفلسفة والدراسات الادبية والنقدية .

وكل ماتقدم من تعريفات لتحديد ماهية الفن، فهوعاجزعن الوصول الى التعريف الجامع المانع الذى يصلح لكافةالفنون في كل عصر وفي كل زمان .

ان صعوبة وضع تعريف للفن ، انما يرجع الى طبيعة الفن ذاته ، حيث اننا نواجه وجها من اوجه النشاط الانساني لا يخضع للاحكام المطلقة ولا يعرفها .

فالنشاط الفني على اختلاف أشكاله ـ سواء اكانت فنونا تشكيلية كالتصوير والنحت والعمارة ، ام كانت فنونا تعبيرية كالموسيقى والشعر ـ ليس من العلوم المضبوطة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء ، تلك العلوم التى يتفق على صحة معاييرها أكبر قدر من الناس ...

ولقد تعرض لذلك كله مؤلف كتاب « فلسفة الجمال في الفكر المعاصر » كما تعرض لقضية أخرى تخص « الفن » و «الذاتية» ، موضحا الفرق بين الحقيقة العلمية والحقيقة الفنية من خلال دراسته عن « الفن والذاتية » .

لبين لنا ان الحقيقة العلمية تصح وانحبتهـا اذا صحت فكرتها الذهنية ، واذا اثبت المنطق والتجربة صحتها .

فالقوانين العلمية تقتضى صحتها أن تكون منطقية ، وبذلك تكون الحقائق العلمية كليات عامة يتفق الناس على صحتها ويثبتون ذلك باختبار نتائجها اختبارا يخضع لوسائل مادية محسوسة ، وأن معايير الحكم لا تأخذ صفات فردية وانما تكسب صفة العموم لما لها من واقعية يؤكدها المنطق وتثبتها التجربة العلمية . ومن هنا كان العلم موضوعيا وليس ذاتيا .

وبذلك اختلف العلم عن الفن ، لان الفن لا يخضع للاختبارات التى تجرى في المعامل ولا نتيجة تثبتها التجربة العلمية ، وانما هو نتيجة لما في الفنان من تباين وفردية .. وترتفع قيمة العمل الفني كلما كان هذا التباين وتلك الفردية مظهرين واضحين في الانتاج الفني

والفردية والذاتية تميز الفن عن العلم عند النقاد وعلماء الجمال ، وهى العنصر الاساسى الذى يجعل الفن عند خلقه يتسم بسمة الاصالة . وهذه الاصالة هى التى تطبع الفن

بطابع الذات وهي التي تجعل من كل أثر فني صورة مميزة تحمل روح كاتبها ومزاجه ولفتات ذهنه وقدراته على التعبير.

فالصدق في الحقيقة العلمية يرجع الى ما لها من واقعية يؤكدها المنطق وتثبتها التجربة العلمية، والصدق في الحقيقة الفنية يرجع الى مدى ما يكون من تواؤم واستجابة بين التجربة التي تتضمنها قطعة من الادب وبين ما يحدث أو يقع للانسان من تجارب واقعة بالفعل أو ممكنة الوقوع .

وبذلك يقول الدوس هوكسلي « عندما تصبح التجارب التي يسجلها الاثر الفني متوائمة في يسر والتصاق مع تجاربنا الفعلية أو ما نسميه بتجاربنا الممكنة ، فاننا نقول دون شك هذه القطعة من الادب صادقة » .

ومعنى هذا اننا نقبل القضايا في الشعر والادب من اجل الاستجابات العاطفية التي تثيرها فينا هذه القضايا .

وليس من شك في ان هذا الاحساس بالتصديق أو الاقتناع أو القبول الذي ينتهي اليه القارىء لاثر فني جيد ، مرتبط أشد الارتباط بقدرة الاديب أو الفنان على رؤية الحقائق النفسية والانسانية بصفة عامة، كما انه مرتبط كذلك بمدى طاقته على التوصيل والاداء ، لان كل فنان مزود بقدرة لا تمتلكها اغلبية الناس ، والفنانون لديهم الاستعداد الطبيعي للرؤية والنفاذ والتعلم الى أقصى حد ، وهم في نفس الوقت معلمون ماهرون .

والفن ان كان يصدر عن ذات واحدة فانه يهدف في نتيجته الى اشراك اكبر عدد من الناس في التمتع بالاثر الفني، وبذلك تنتهي الذاتية في الاثر الفني الى محو الفروق والتضاد بين الافراد ؛ ويظهر هنا مهمة الفنان حيث ان انعكاس الوجود الخارجي على نفس الشاعر او الكاتب انما هو في الحقيقة انصهار الموجود خارج الاديب عن طريق التجربة الوجدانية أو الحدسية التي يعانيها بوجوده الذاتي .

وينتج من ذلك كله ان الاثر الفني تعبيرا أوخلقا او ادراكا هو حصيلة اتحاد ذات الفنان بالعالم الخارجي والباطني معا .

وان مسئولية الفنان لا تقل ان لم تزد على مسئولية العالم في محاولته لتفسير الوجود وفهم اسراره واكتشاف حقائقه .

ثم تعرضت الدراسة في هذا الكتاب ايضا لموضوعية الفن في النقد الحديث حيث يتضح من تلك الدراسة .. ان اصحاب الموضوعية في الادب يريدون تصحيح بعض المفاهيم الشائعة التي تسيء للخلق الادبي .

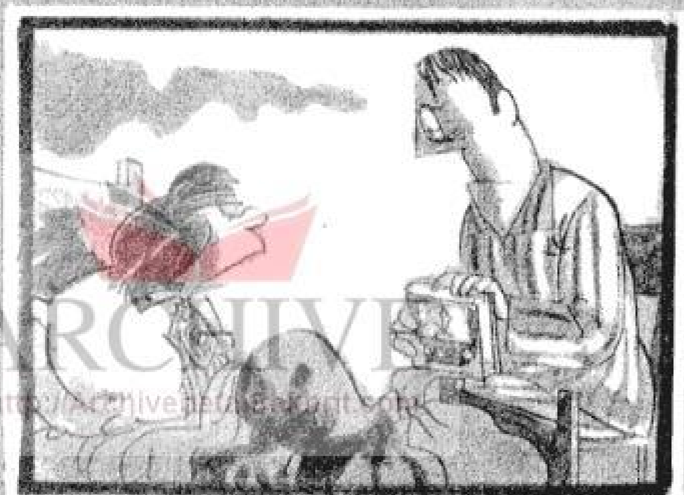
فان كل ما يهدف اليه اصحاب الدعوة الى موضوعية الادب هو ان يقرروا ان عملية الخلق الادبي لا تستمد قيمتها مما تتضمنه من تجارب ذاتية بل تكتسب قيمتها مما تحتويه من قيم فنية ، وليس هناك ما يحدد هذه القيم الا ما في الاثر الفني نفسه من خصائص هي نتيجة طبيعية لنضج العقل الخالق للفنان وتوافر امكاناته ، وهذه الحقيقة لا تتنافى أصلا مع الذاتية في الادب التي هي شرط اساسي في كل خلق ادبي .

كاريكاتير

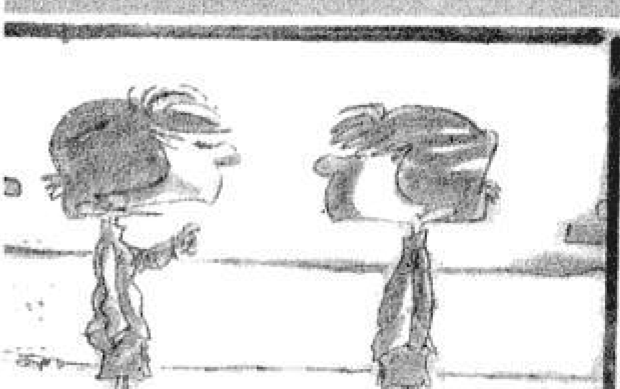
جيل جديد جداً !



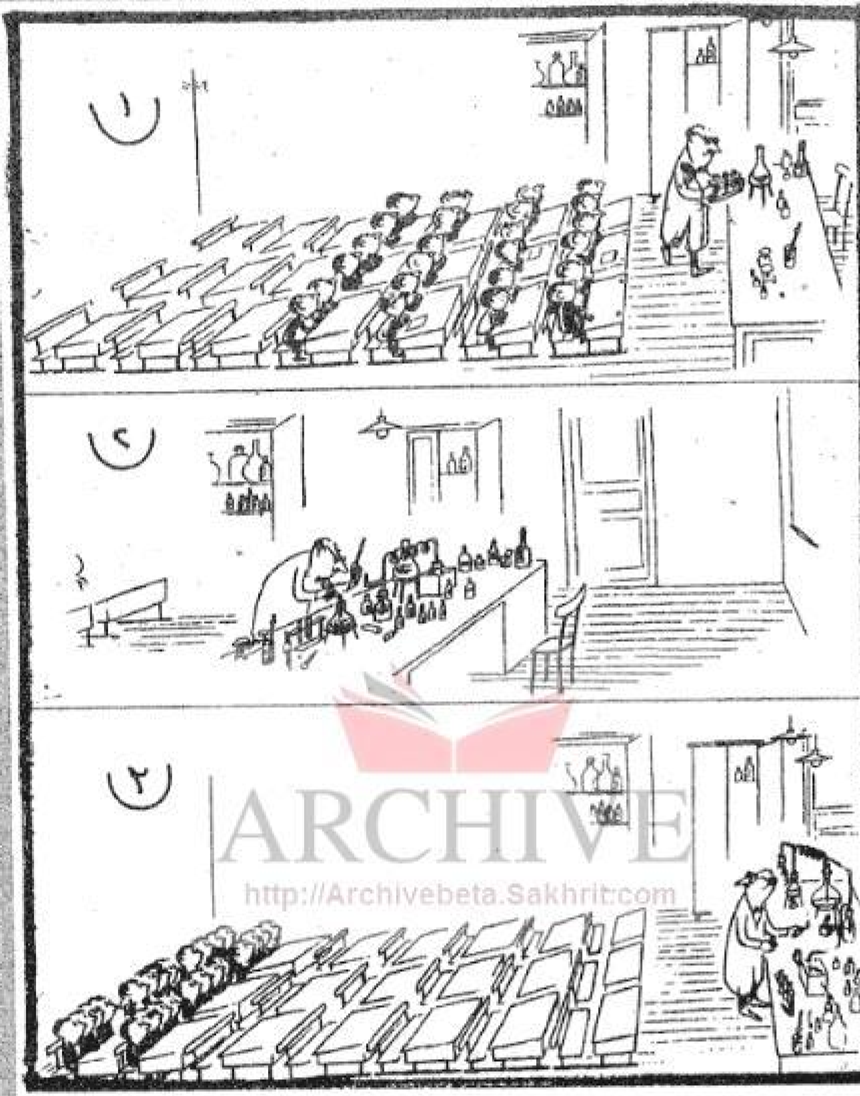
الولد لصاحبه : ما انا عارف ان الدنيا هنا برد زى التلج .. وعلشان كده انا واقف هنا من غير بالطو .. عاوز اخد برد محترم يريحنى من المدرسة زى اسبوعين !



الولد لابيه : لسه ، مش رايح المدرسة النهارده ، وليه اروح .. ما انت رحت المدرسة عشرين سنة ؟ والنتيجة زى ما انت شايف !..



الولد لصاحبه : اذا كنت عاوز تاخد منى « شوشو » علشان بتقول انك بتحبها ، لازم تدفع لى تعويض مناسب ، اعرف منه كفاية ما اشوف لى واحدة غيرها !



الجيل الجديد واعجبا .. أوعى من الأستاذ ، وهذه الصور الثلاث ـ بدون تعليق ـ تعبر عن فطانة هذا الجيل من العفاريت !

الغرفة الخالية

● خليل فواز ●

يؤرقني البعد يا غاليه — وقسوة أيامي الخاويه
وتلك الليالي .. مضى عهدها — وأتبعتها دمعة جاريه
وماذا تبقى سوى ذكرياتي — وطيفك .. في الغرفة الخاليه !

***

ألا أين مني سحر الجفون — ووجهك ذو الفتنة الطاغيه !
وهمس الشفاه وعذب الحديث — وعيناك .. والنظرة الحانيه
وإشراق وجهك كل صباح — وصوتك .. والضحكة الصافيه !

***

ووقع خطاك .. كخطو الملاك — وظلك رائحة غاديه ...
ودرب مشينا به ضاحكين — وهمسة حب على ناصيه !
وروضة سحر سمعنا بها — أغاريد عصفورة شاديه

***

وثوب جديد أتيت به — تناسبه وردة ناديه
يتيه سعيدا بمن ترتديه — فترقص ألوانه الزاهيه !
وقولي «جميل» .. وقولك «شكرا» — تداعبك البسمة الراضيه !

***

وأذكر أول لقيا لنا — بعيدا عن الأعين الواشيه ؛
أبيح لثغري مفاتن وجه — تورد في حمرة قانيه ..
ونسمع وقع خطى من بعيد — فنجفل .. كل إلى ناحيه !
وفي فمنا قبل ظامئات — وفي دمنا رعشة غاويه !

***

ويوم قضيناه بين الحقول — تعانق خضرتها الكاسيه
تميل على جذع صفصافة — وتلثم سنبلة جاثيه
وآهات شاد بموّاله — كآهات ساقية شاكيه !
ترامت لسمع ذئاب الخلاء — فرقّت طباع لها جافيه !

اعتراف

● نشات المصرى ●

قبلما يأتى الخريف .
ويصير اليوم حلما ،
فنعيد الامس بالاكراه وهما ...
.. تهجر الالحان عشينا الى عش اليف
قبلما يأتى .. تعالى نعترف .
ان ما فات من العمر نزيف لم يجف ! .
والذكرى ان خانت الناس هواها بين صحو ومنام
« نحن شقان لجرح يتمنى الالتئام ! .. »

***

كان ياما كان ..
بهلوان يسال الساحات ممن يستجيب
زامرا فى حينا لحن الغروب
وحده يضحك ، يبكى ، يتلوى ، ثم يمتص اللهيب ،
يرمق الاشجار عجفاء ، تأسى باندثار المعجبين ،
ارسلت اوراقها الصفراء ، بالصمت تصفق
فتعالى .. قبلما نصبح هذا البهلوان
فتخط الوحشة الدكناء رسما فى تراب المائدة
ورفيف الحب فى العينين ذكرى بائدة !

***

قبلما يأتى تعالى .. ربما نحيا لساعات جديدة
نترك الايام تجرى بعدنا ...
ربما تغفل عنا ، فنوارى ظلنا
نكتفى بالحب مرسانا الاخير !

***

قبلما يأتى الخريف ! ..
هات حرفا منك ، تلقاه حروفى ، ذاك ميلاد اللغات ..
واسترى وجه خريفى ، ان تراءى فى صباح او مساء ..
.. فجرى السر الجميل
انه السر الذى تخفيه ، هل يخفى بريق زورقه ؟
انه السر الذى نخشاه ، هل يخشى سجين مطلقه ؟
.. فصلنا الخامس حب واعتراف ..
هات من قلبك سره
وليعم قلبى بميلاد المسره
واسالى العصفور هل تسكت موسيقاه ان جاوز عمره
وضياء الشمس هل يلبث عاما بعد عام ؟



نشات المصرى
من ديوانه الجديد
شرائح اللهب

قصة

اللوحة

● شوقي فرج ●

كان الصمت يخيم على المكان الا من دقات الساعة الرتيبة المتتابعة المنبعثة من فوق الحائط .. جلس قبالتها يتأمل جسدها البض المتفجر بالانوثة ، لكنها ما لبثت أن غادرت المكان مستأذنة .

وتساءل : هذه المرأة في حد ذاتها لوحة رائعة .. ترى هل هي وراء تلك الضجة التي اثيرت حول أعمال « ممدوح » الفنية .. وهل من اجلها أصبح اسمه يتردد على كل لسان ؟ .. ربما . هذا مجرد احتمال.. لقد كان فنانا مغمورا يعرض لوحاته في كل مكان . ولم يعرها احد أي اهتمام .. فجأة اختفى «ممدوح» — هل وراء اختفائه شيء متفق عليه بينه وبين هذه المرأة ؟ ! .

هو يعرف « ممدوح » جيدا .. كان يشجعه ويتعاطف مع كل أعماله الفنية .. كان يرى في لوحاته الواقعية المجردة البعيدة عن العري ، معزوفة فنية تنبض بالاحساس العميق.. كان يرى لوحاته عن مصر الاسلامية بمآذنها وقبابها العالية ، مصر باحيائها الشعبية وحواريها .. وعندما اختفى تولت هذه المرأة عرض لوحاته وسرعان ما تجاوب الناس معها ، وراح اسم « ممدوح » يتردد على كل لسان : فنان .. عبقري .. موهوب .

هذه المرأة ذات الوجه المستدير المشرب بالحمرة .. عيناها العسليتان ، شعرها الاسود المتهدل فوق كتفيها ، صدرها الناهد جسدها الرائع الذي لا تخفي مفاتنه تلك الغلالة الحمراء التي ترتديها.. هل يكون لها تأثير في تلك الضجة ؟. انه يشك في ذلك .. « ممدوح » أكبر من هذه المهاترات التي تدور في رأسه .. حقا انه يعرف جيدا كم لاقى « ممدوح » من النكران . ويعلم جيدا ان هناك أعمالا هزيلة لقيت من النجاح الكثير .. « ممدوح » هرب بعدما حاول الكثير لكي تعيش أعماله بين الناس .. وعندما فشل وجد نفسه في متاهات ، فضل الهروب — وهذا أيضا مجرد احتمال ! ..

قطعت شريط افكاره عندما جاءت تختال وفي يديها اقداح الشاي .. اي امرأة أنت .. الشيب أصبح في فودي ظاهرة لا يمكن اخفاؤها ، ولن استطيع مجاراتك كأنثى ، اي انثى أنت .. كيف تركك هذا الفنان التعس .. ان كل الذين جاءوا الى هذا المرسم لا يفهمون فن « ممدوح » ولا يفهمون أيضا في الفن .. انما جاءوا ليروا لوحة رائعة — هي أنت .. انت اللوحة الام التي شيدت أعماله جميعا !

مدت يدها بقدح الشاي فتناوله دون أن يرفع عينيه اليها ، فلقد أحس أن عينيها ترقبان كل بادرة تبدر منه ..

قال وهو يحاول ان يطرد عن ذهنه هذه الخواطر التي تدور في رأسه :

— انت تعلمين جيدا لماذا جئت الى هذا المرسم

قالت وهي تبتسم :

— أجل أعرف .. لقد جاء من قبلك رجال كثيرون ، وكلهم يسأل نفس السؤال المتكرر الممل .. أين اختفى « ممدوح » ؟ !

حك أسفل ذقنه وهو يحاول أن يغالب في كلماته :

— « ممدوح » فنان يستحق كل احترام وتقدير .. بل ويستحق الخلود !

اجابت وقد ندت عنها دهشة :

— الخلود ؟. « ممدوح » كان لا يؤمن بالخلود ويعتبر مجرد الكلام عنه سخافة لا تغتفر .. كان يؤمن بان عجلة الزمن تدور وفي طياتها كل جديد .. غريب منك هذا .. يبدو لي انك تعرف الكثير .. أنت غير اولئك الذين جاءوا الى هذا المرسم .. هل أنت فنان ؟ هل ترسم ؟

قال وقد غض بصره :

— كنت فيما مضى أرسم .. ذلك كان في فجر الشباب ، ولكن دون جدوى .. ولست أعرف لماذا ؟ ربما كانت أعمالي رديئة . وربما لاني لم أعثر على امرأة مخلصة مثلك تتبنى أعمالي وكان يجب أن اختار : ان أعيش للفن أو أعيش من أجل العيش.. طبعا اخترت ان أعيش وأنزوي ولقد كلفني ذلك الكثير ، معاناتي من الحرمان من فني !. ما علينا .. دعيني أسألك نفس السؤال المتكرر الممل : أين اختفى « ممدوح » ، ولماذا هرب — هل غضب منك ؟

قالت وقد سرحت ببصرها بعيدا :

— « ممدوح » هرب من الزيف شأنه كشأن ابناء جيله ، فنان لا ارض له ، فنان ضائع لا يملك شيئا.. كان يرى بعينيه الاعمال الهزيلة تصفق لها الايدي فيملؤه الأسى .. اما ان يغضب مني فهذا شيء لا أتصوره !.. لقد كان يحبني ويعتبرني عزاءه الوحيد في محنة النكران .. كان يقول لي : انت اجمل من « ماري انطوانيت » .. وعدني ان يرسم لي لوحة تضارع « الجيوكنده » التي رسمها ليوناردو دافنشي .. كان يحبني حبا عظيما .. وهل رايت انت أعمال «ممدوح» ؟

قال في مرارة :

ـ لقد رأيت معظم أعماله .. لكن هل تعرف ان هناك من يرسم لوحات تضارع اعمال «ممدوح» وتفوقها عمقا ؟ !

اجابت وكأنه امر عادي :

ـ طبعا أعرف ذلك .. والا .. كيف أصبحوا مشاهير ؟

قال وفي صوته نبرة غريبة :

ـ يقولون أن العمل الجيد يفرض نفسه . هذا امر غريب .. انا لا أتحدث عن المشاهير ، وانما حدثك عن فنانين تفوقوا على « ممدوح » ومع ذلك لايعرف الناس عنهم شيئا ويعيشون في جب العدم ! . واحد منهم مات تحت عجلات و هربا من ثمن التذكرة ! . أخشى أن يكون « روح » اختفى بعد ما حاول وسلك جميع السبل لكي تعيش أعماله بين الناس ، وعندما فشل أصابه اليأس والقنوط .. هذه ظاهرة طبيعية لكل فنان ـ الرؤية عنده تزدهر حين يرى انه تعيش بين الناس .

قالت بتأثر شديد :

ـ « روح » أيضا كان يعاني الكثير .. كان يمضي من الصباح حتى غروب الشمس داخل المرسم ، اغلقه على نفسه . كانت حالته النفسية سيئة .. آه لو رأيته في أيامه الاخيرة قبل أن يختفي .. كان غائر العينين ، التجاعيد ظهرت على وجهه . كانت له نظرات غريبة ومخيفة . يتحولقه الاسباب . واذا ثار حطم كل شيء حوله مرة اردت أن اهدىء من ثورته، ضربني وركلني . بعدها ظل يبكي وقد أغلق مرسمه علي ..

قال وهو يحاول ان يغير من مجرى الحديث عن ثورة « ممدوح » :

ـ هل رسمك « روح » وانت عارية ؟

اجابت في فخر واعتزاز :

ـ نعم . رسمني لوحة رائعة . تصور عندما وضع اللمسات الاخيرة لها اراد أن يحطمها لولا انني رجوته الا يفعل ذلك . هل تحب ان تراها ؟

قال : ان كان ذلك لا يضايقك .

نهضت من مكانها وقادته الى ممر ضيق ، ومنه الى المرسم وتبعها وهو مشدود البصر الى جسدها الرائع .. أي بناء هذا امرأة ، انت اذن اللوحة التي بهرت الناس جميعا وجعلتهم يتحدثون عن الفنان العبقري « ممدوح » .

وقف في المرسم امام احدى اللوحات . كانت اللوحة لها وهي عارية . يا له من مشهد رائع وساقاها باهرتين وهي متكئة على مقعد جلست عليه . كانت متألقة تماما في غير بداية سفر تأهبت منطلقة ، ووجهه حنون رقيق ..

قالت : ما رأيك .. أتستطيع أن ترسم لوحة مثل هذه اذا وقفت أمامك عارية ؟

قال في تخابث : لا .. لأنني سأمنعها أن أرسم !

قالت : هذا هو الفرق بينكم وبين « روح » .. الشكل عندكم ، اما المضمون فلا . تصور فنانا مثل « ممدوح » في أيامه الاخيرة كان يشرب كثيرا ، وعندما أسأله لماذا يشرب وما الذي يدفعه الى ذلك .. يجيبني بانه لا يعرف

قال : أكان يرسم اذن وهو ثمل ؟

قالت : ابدا « ممدوح » كان يقدس فنه ويحترمه .. اعتقد أنه كان يشرب كي ينسى هذه .. كان يهرب من ذاته .. عندما يشرب لا يقترب نحو المرسم ، وكأنه معبد لا يدخله سكير .

قال وهو يحملق فيها :

ـ هل تعرفين أن ترسمي ؟

اجابت في سذاجة طفل متحمس :

ـ أجل .. لقد رسمت لوحة عن مملكة النحل آلاف الذكور يجرون وراء أنثى النحل وهي الملكة .. يتساقطون الواحد بعد الاخر . وعندما لايبقى الا الذكر الوحيد يلتقي بها وهي سعيدة ويموت الذكر بعد ذلك اللقاء .

قال في سخرية : مساكين ..

قالت : من ؟

قال : هؤلاء الذكور التعساء .. نصيحة مني اليك ، اعرضي لوحاتك ، ربما ساوت على النطاق المحلي أعمال ليوناردو دافنشي ، وبيكاسو وفان جوخ ..

قالت وقد تجهم وجهها :

ـ ماذا تقصد ؟

قال وعيناه على ساعته :

ـ صدقيني !

دق جرس الباب فهرولت لترى من القادم وذهب هو ليجلس مكانه ، وراح في تساؤلات العمل الجيد لا يفرض نفسه .. « ممدوح » ليس معجزة زمانه .. علام هذه الضجة ؟ رباه « ممدوح » « ممدوح » أكذوبة أم حقيقة ؟

جاءت وهي تحمل في يديها لوحة ثم قالت وهي تمدها اليه :

ـ جاء رجل يقول ان « ممدوح » اعطاه هذه اللوحة ليوصلها لي .. حاولت أن أعرف منه أين هو فتركني دون أن ينبس بكلمة !

قال : ازيحي عنها هذا الغطاء لنرى ما رسم فيها .

ازاحت الغطاء عن اللوحة ثم قالت وهي تنظر اليها مندهشة :

ـ ما هذا .. قردة لها رأس بشر ، وانسان له رأس قرد .. لابد وأن وراء هذه اللوحة شيئا !

قال وقد اشار باصبعه :

ـ ولكنه رسم صورة انسان كامل ، وقرد كامل ..

قالت : أيريد أن يثبت نظرية داروين في أن الانسان أصله قرد ؟

ـ في اعتقادي أنه لا يعرف اصلا لكليهما .. وهذه بعيدة كل البعد عن نظرية داروين .. القردة والبشر .. هذا شيء غريب .. كنت فيما مضى أرى في لوحاته النابضة أشياء كثيرة .. أما عن هذه اللوحة فلا اجد فيها غير سطحية الفكر وسذاجته .

قالت : أؤكد لك اني سأجعل منها لوحة الموسم .

قال : هذا أمر واضح .

قالت : انت لا تفهمني .

ابتسم وهو ينهض من مكانه واتجه ينظر الى عينيها في تحد .. غاص بكيانه فيهما . وقرأ كل ما يجول بخاطرها . ثم مد يده وقال وهو يضغط على كلماته :

ـ بل أفهمك جيدا ! .

قالت : اذن ماذا تسمي هذه اللوحة ؟

قال : سميها ماشئت .. ما دمت قد فهمتك .

قالت وهي تبتسم :

ـ ما رأيك في أن يكون اسمها ..

« أين الاصل ... وأين الصورة » .

قال وهو يغادر المكان :

ـ بل .. « أين الحقيقة » !.

لكل شهر عربي قصة

شهر شعبان

● شعبان هو الشهر الثامن من شهور السنة الهجرية ، وقد سمي بهذا الاسم - كما يقول علماء اللغة - لتشعب او انشعاب القبائل فيه ، اى تفرق العرب من مظانها او فى الغارات التى كانت محرمة عليهم فى رجب لانه احد الاشهر الحرم التى حرم الله فيها القتال والتزمت العرب بهذا التحريم مئات السنين قبل ظهور الاسلام .

وقيل سمى شعبان بذلك الاسم لانه شعب أى ظهر بين شهرى راجب ورمضان . وكان يسمى فى الجاهلية « عاذلا او عادلا » ومن العرب من كان يسميه « وعلا » ، كما كان يسمى « العجلان » ايضا

ولشعبان عند المسلمين مكانة خاصة فهم ينظرون اليه نظرة اجلال وتقدير ولا غرابة فى ذلك فهو يقع بين رجب احد الاشهر الاربعة الحرم ، ورمضان، الذى انزل الله تعالى فيه القرآن كما فرض صيامه .

ولهذا لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم اكثر ايامه ،وقد روى عن عائشة ، رضى الله عنها ، انهما قالت :

« مارايت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان ، وما رايته فى شهر اكثر منه صياما فى شعبان » .

والحكمة فى اختصاص الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، شعبان بهذه العناية تتجلى فيما روى عن اسامة بن زيد انه سال الرسول الكريم :

- لم اراك تصوم من شعبان ؟

فاجابه الرسول :

- ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين ، فاحب ان يرفع عملى وانا صائم » .

ولاشك ان فى صيام شعبان تدريب على صيام رمضان ، فكان الرسول الكريم اراد ان يقوم بما يقوم به كبار الربين من التمهيد للقيام بالواجب بمقدمة تدريبية تعويدا للنفس على المشاق وتمرينا لها على صوم رمضان الواجب الفرضى ، ليعتاد المسلمون بصيام رمضان حلاوته ولذته ، فيبدأون صيامه بقوة ونشاط ، لا بمشقة وكلفة . لذلك اعتبر شعبان مقدمة لرمضان ومن ثم شرع فيه ما يشرع فى رمضان من الصيام وقراءة القرآن .

وقد روى عن انس رضى الله عنه انه قال : « كان المسلمون اذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقراوها واخرجوا زكاة اموالهم ، تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان » .

ليلة النصف من شعبان

وهى احدى الليالى المعظمة ، وتعرف كذلك بليلة الصك ويستحب صيام نهارها ، كما يستحب فيها الاكثار من الدعاء والاستغفار .

عن تحويل القبلة

وفى شعبان جرى تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وكان ذلك فى السنة الثانية للهجرة وفى منتصف شعبان وقيل فى السابع عشر منه . وكان ذلك التحول مظهر قوة للمسلمين مما اشعل فى قلوب اليهود نارا حامية من الحقد الدفين والحسد الكمين ، نتقاولوا فيما بينهم **«ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ »** فرد عليهم العليم الحكيم بقوله : **« ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله »** .

عن يوم الشك

وقد اشتهر آخر يوم من شعبان باسم يوم الشك وقد اختلف العلماء فى صومه .

الغزوات والسرايا فى شعبان

وقد جرت فى شعبان غزوات وسرايا اولاها فى السنة الثانية للهجرة وهى غزوة « بدر الموعد » وتسمى أيضا بدر « الاخرة او الثالثة » وقد قادها النبى صلى الله عليه وسلم ضد قريش لقهرها واظهار قوة المسلمين للمشركين واليهود ، وكان زعيم قريش يومها « ابا سفيان » غير انه لم يحدث قتال لعودة المشركين الى مكة قبل وصولهم الى المدينة .

وفى السنة الخامسة قاد النبى الكريم صلى الله عليه وسلم غزوة « المريسيع » وكان هدفها القضاء على تجمعات بنى المصطلق لغزو المدينة وقد قهر المسلمون عدوهم وكثر اسراهم وعظمت غنائمهم .

وفى السنة السادسة كانت سرية « دومة الجندل » بقيادة عبد الرحمن ابن عوف وفيها انتصر المسلمون واستسلم الاعداء واسلم عدد كبير منهم ، كما غزا على بن ابى طالب بنى سعد فى « فدك » لرغبتهم فى مساعدة اليهود ضد المسلمين وانتهت السرية بالانتصار لعلى دون حرب لهروب الاعداء وتركهم لكل ما كان معهم .

وفى السنة السابعة كانت سرية «ترية» التى قادها عمر بن الخطاب لتاديب بعض قبائل هوازن لاعتدائهم على بعض المسلمين ، ولكنهم فروا دون قتال . كما قاد بشير بن سعد الانصارى سرية اخرى لتاديب بنى مرة ، غير ان قلة عدد المسلمين مكنت الاعداء من قتلهم جميعا باستثناء قائدهم ولذلك وجه الرسول صلى الله عليه وسلم سرية اخرى انتقمت لهؤلاء الشهداء

وفى السنة الثامنة كانت سرية « الغابة » التى وجهت الى « بنى جشم » لقتل رفاعة بن قيس لتحريضه على قتال المسلمين وقد نجحت السرية فى قتله .

وفى السنة التاسعة كانت غزوة تبوك التى قادها النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — وكانت آخر غزواته — وفيها قصد الى تبديد جمع غسان والروم جنوبى الشام ، ولكن المعركة انتهت بانسحاب الروم واتباعهم دون قتال .

اما الاحداث الهامة الاخرى ففى طليعتها مولد عبدالله بن الزبير فى المدينة فى السنة الثانية للهجرة ، وكان اليهود قد اشاعوا ان المسلمين قد عقموا ولن يولد لهم احد فى المدينة ، لذلك كان مولده مصدر سرور للمسلمين وقهر لليهود .

وفى السنة الرابعة كان مولد الحسين ابن على . وفى السنة ٦١ دخلت السيدة زينب مصر واستقرت بها . وفى سنة ٩٣ ولد الليث بن سعد

اما اشهر من توفوا فى الشهر فهم العلامة ابن حزم الاندلسى عام ٤٥٦ والسيد / عبد الرحيم القنائى عام ٥٢٩ وابن جبير الرحالة المشهور عام ٦١٤ وابن مالك صاحب الالفية عام ٦٧٢ .

ولصلاح الدين الايوبى معارك وانتصارات اهمها ما وقع فى هذا الشهر ، من ذلك دخوله بيت المقدس وصلاته الجمعة بها بعد تطهيرها من الصليبيين عام ٥٨٣ ثم افتتاحه عكا والاستيلاء عليها سنة ٥٨٥ ، واخيرا عقده الصلح مع ملك انجلترا ريتشارد « قلب الاسد » فى ٥٨٨ .

ومن الاحداث التى تتصل بتاريخ مصر واعلامها مولد احمد باشا تيمور العلامة المعروف عام ١٢٨٨ ومولد المغفور لها كوكب الشرق السيدة ام كلثوم ١٣١٦

قصة لا تصدق امــرأة!

● غبريال وهبه ●

كان سكان حي الروضة يثقون جميعا بالأسطى نجيب ، ميكانيكي السيارات ، ويثنون على امانته ثناء مستطابا . انهم يخلعون عليه لقب « الباشمهندس » ، وهو لم يكمل نصف دينه بعد ، رغم انه أشرف على الخمسين . ان عمله يدر عليه ربحا تضاعف بعد ان رحل منافسه الاسطى حسين الى السعودية .

صحيح ان الاسطى نجيب كان رجلا طيبا حفي باحترام زبائنه ، ومع ذلك لم تكن امانته فوق الشبهات !

منذ عشرين عاما نزل الاسطى نجيب ضيفا على سجن ابو زعبل بعد أن أدين في حادث سرقة . ولكنه نجح بعد فترة وجيزة في ان يستحوذ على حب الجميع من أول المأمور الى أصغر شرطي ، وحاول الجميع ان يعاونوه ليستأنف حياته خارج الليمان بطريقة شريفة .

كره الاسطى نجيب السجن رغم ما أحاطوه به من عطف هناك ، ما اثقل وطأة القضبان التي فقد وراءها حريته عشرة أعوام خسرها من عمره . كان نجيب من هواة التحف واللوحات الفنية والكتب النادرة ، وعندما ما دعاه الى النظر كل بضعة شهور على [illegible] الشخصيات المرموقة . وكثيرا ما [illegible] ضروريات الحياة الى بيع بعضها .

مرت ثلاثة شهور على آخر سرقة [illegible]

وها هو ذا يتجول [illegible] ويتسكع في طرقات [illegible] أسبوعين يراقب فيلا [illegible] الدكتور موريس [illegible] على النيل ، والقى [illegible] حجراتها ، ودار حول [illegible] وسائلها وفي هذا المساء شاهد صاحب الفيلا يغادرها . التقطت اذناه صوت الطبيب وهو يأمر سائقه بالاسراع الى حلوان للحاق بحالة وضع مستعجلة . رغم تلبد أضواء الفيلا أن أطفئت ، رغم ذلك ظهور ثلاثة اشباح في الحديقة ، لابد انهم التومرجي والمرضة والطاهية العجوز . وتظاهر نجيب بالرياء وهم يقودون السير الى الخارج حتى ابتلعهم الظلام . خرج من مكمنه في الحديقة وقد انعقدت قبضة يده على حقيبته .

ان الدكتور موريس طبيب امراض نساء نال من الشهرة ما جلب لزوجته مرجريت مجوهرات داخل خزانته تقدر بما لا يقل عن عشرة آلاف من الجنيهات ، ذلك ما باحها واحدة الى الاخرى ضمن عيشنا رغدا عدة سنوات .

***

ارتدى نجيب قفازا من المطاط ، وراح يعالج فتح الباب الى ان افلح في ذلك . انه يحرص اشد الحرص على عدم ترك آثار بصمات أصابعه .

كان هناك كلب صغير قابع في المطبخ ، نهض من مكانه واقبل نحوه وهو يزوم .

— تعال يا « لاسي » !

ربت نجيب على رأسه وظهره ملاطفا ، فلعق « لاسي » يد اللص شاكرا ، وطفق يهز ذيله بطريقة مشربة بالود . ان خير طريقة لإخضاع الكلاب وجعلها تهدأ وتسكن هي ان تناديها باسمائها ، ان تظهر لها الحب ، وتسبغ عليها العطف والحنان .

كانت الخزانة مثبتة في احد جدران حجرة المكتب خلف لوحة فنية ثمينة لأحد كبار الرسامين . حار نجيب ... ايستولي على اللوحة ايضا ام يقنع من الغنيمة بالمجوهرات ؟ لم يتردد كثيرا ، فقد فضل أن يفوز بالأخيرة هذه المرة ، ولاسيما ان اللوحة كبيرة الحجم .

ان الدكتور موريس يحب الزهور ، وتحرص زوجته على وضع آنية للزهور يوميا فوق مكتبه . ولكن نجيب شعر بدغدغة في انفه .. فهو يعاني حساسية خاصة من رائحة الزهور ، وما يتطاير منها من حبوب اللقاح . اسابته نوبة عطس ، فوضع حقيبته على الارض ، وأسرع [illegible] الزهور في المطبخ . وعندما عاود [illegible] من الرائحة قبل أوبة الطبيب ، فالولادة تستغرق وقتا قد يمتد حتى الصباح ، فضلا عن بعد الشقة بين الزمالك وحلوان .

[illegible] الخزانة ، فلابد بخبرة [illegible] الأبواب والأقفال المغلقة [illegible] الى المطبخ ليشرب [illegible] العطش تعاوده أشد [illegible] انتابت رائحة الزهور انفه للمرة الثانية .

تمتم نجيب لنفسه قائلا : « ما اشد غباء الأزواج عندما يركبهم جنون العظمة ويستولى عليهم حب التظاهر ! » . لا ريب أن الطبيب قد دفع مئات الجنيهات لاحدى المجلات لتنشر مقال تناول فيه الكاتب كيف يمضي الطبيب الكبير مع زوجته ، ووصف فيه « فيلته » بالتفصيل حجرة حجرة ، واشاد باللوحة الخالدة « الرحيل الى جزيرة الحب » التي ابدعها في القرن الثامن عشر الفنان الشهير جان انطوان فاتو الذي يعد أعجوبة في الفن الفرنسي . لم ينس الكاتب مشكورا أن يذكر أن اللوحة تخفي وراءها خزانة الجوهرات ! .. كما لم يغفل ذكر أن الطبيب لم يرزق بالبنين ، وان زوجته تحب كلبها لاسي !

ان رائحة الزهور مازالت تعبق جو الحجرة ، فغطى نجيب انفه بمنديل كبير خشية أن تعاوده العطس لحوته من العمل ، ماهذا ؟ ! لقد سمع صوتا آتيا من وراء الباب !

ـ ماذا هناك ؟ اتشكو من البرد ام ضــد ... حساسية ؟

اندفع نجيب يجيب دون تفكير :

ـ حساسية !

وبدا يعطس من جديد .

طرق الصوت الناعم مسامعه مرة اخرى :

ـ انك تحتاج الى علاج حتى لا تعوقك تلك الحساسية عن مزاولة عملك . لقد سمعتك وانا في الطابق العلوى !

ياله من صوت هادىء عطوف ، ولكنه لايخلو من رنة حزم . لمح نجيب سيدة تقف بجوار باب الحجرة ، وكان « لاسى » يتمسح في أرجلهــا العاجية . كانت شابة حسناء مليحة الوجه تتدثر برداء سماوى ، وخاطبت الكلب قائلة :

ـ لاسى ! تقهقر ناحية !

ثم اردفت : حمدا لله انى جئت في الوقت المناسب ، ولو انه لم يخطر ببالى انى سأتشرف بمقابلة لص !

راود نجيب بعض الأمل حيث خيل اليه أنها مسرورة لرآه، وانه يستطيع ان يتجنب ما لا تحمد عقباه اذا مانجح في معاملتها بلباقة .

قال لها : لم أكن اتوقع ان اقابل احــدا من افراد الاسرة !

هزت رأسها وقالت :

ـ نعم .. فانى ارى المأزق الذى وقعت فيه عندما تسللت ، ماذا ستفعل الآن ؟!

فاجابها نجيب :

ـ ان اول فكرة خطــرت لى هى ان الوذ بالفرار .

ـ بالطبع يمكنك ان تفعل ذلك ، ولكنك نسيت انى سأستدعى لك شرطة النجدة على محل ، وسوف يقبضون عليك متلبسا !

ـ ولكنى سأقطع اسلاك التليفون ، ثم ..

توقف برهة عن الحديث مترددا ، ثم ابتسم قائلا :

ـ كما انى سأفعل مايجعلنى آمن جانبك .

نظرت اليه الحسناء شزرا :

ـ اوتقصد قتلى ؟

سكت هنيهة ثم قال :

ـ يغلب على ظنى انى كنت احاول ان اخيفك عندما قلت لك ذلك .

ـ انك واهم .. فلا انت ولا عشرة من امثالك تستطيع ان تخيفنى .

ـ من الأوفق ان تنسى تماما انك رأيتنى .. دعينى امضى .

فاذا بصوتها يعلو فجأة وهى تقول في غضب :

ـ او اتركك تمضى وقد جئت تسرقنى ؟! انى اذا اخليت سبيلك ستسرق غيرى ، ويجب حماية المجتمع من امثالك !

ابتسم نجيب قائلا :

ـ لست بالرجل الذى يهدد المجتمع . انى لا اسرق الا من علية القوم فقط ، ولاســباب فنية ! وانت لا ترغبين لى السجن .

قهقهت عاليا وهى تقول ساخرة :

ـ باللص المتحذلق !.. اول مرة اســمع فيها عن سرقة لاسباب فنية !

قال مستعطفا وقد ظن انه كسب الجولة ونجح في اقناعها واستمالتها :

ـ في الواقع ليس لى حق في ان اسالك شيئا ، ولكنى يائس ، دعينى انصرف الى حال سبيلى ، واعدك ان اقلع عن ارتكاب ما اقترفته اليوم ، صدقينى انى اعنى ما اقول .

ظلت صامتة تتفحصه بعينيها ثم تكلمت اخيرا :

ـ انت خائف حقا من دخول السجن ؟

ثم اقبلت نحوه وهى تهز رأسها قائلة :

ـ لطالما اعجبنى ذلك الصنف غير المألوف من الناس .

اخرجت علبة سجائرها المستوردة وتناولت منها واحدة ، وجدها نجيب فرصة لارضائها بعد ان بدا منها مايبشر انها رقت لحاله ، أسرع بخلع قفازه ، واخرج علبة ثقاب من جيبه ، واشعل لها سيجارتها وهو يقول لها :

ـ أو ستدعينى اذهب ؟

ـ نعم ولكن بعد ان تؤدى لى خدمة .

ـ مرى ... فانى رهن اشارتك وطوع امرك !

ـ لقد وعدت زوجى بانى سأودع المجوهرات في البنك ، ولكنى تركتها هنا في الخزانة ، اريد ان اتزين بها الليلة ، فانا مدعوة لحفل ساهر ، وسيلحق بى زوجى هناك اذا سمحت له الظروف .

ابتسم نجيب قائلا :

ـ الكن معشر النساء كثيرا ماتنسون الارقام التى تفتح بها الخزائن المغلقة ، أليس كذلك ؟

ـ [illegible]

ـ اذن دعيها لى فانا كفيل بها .. ستكون المجوهرات [illegible] فيها لاتتجاوز ساعة من الزمان ، [illegible] انى [illegible] الا سأضطر الى تحطيم الخزانة .

ـ لا [illegible] كما [illegible] زوجى سيسافر الليلة في مهمة [illegible] شهرا ، وهذا مادعانى لأن اقول لك ان زوجى [illegible] بى في الحفل اذا سمحت الظروف ، وهكذا ساجد وقتا كافيا لاصلاحها قبل عودته .

انقضت خمسون دقيقة اقلع بعدها نجيب في فتح الخزانة ، وناول المجوهرات للسيدة وانطلق سعيدا ناجيا بجلده .

وفي صــبيحة اليوم الرابع عاد يفكر في تعويض تلك الليلة التى لم يفز فيها من الغنيمة الا بالاياب ، ولكنه لم يجد تلك الفرصة ابدا .. فقد القى رجال المباحث القبض عليه متهمــا بسرقة مجوهرات « فيلا » الزمالك !

كانت بصماته تملأ كل ركن في حجرة المكتب ، اذ انه فتح الخزانة بدون القفاز . لم يصدقه أحد عندما افهمهم انزوجة الطبيب صاحب «الفيلا» هى التى كلفته بذلك . فها هى ذى الزوجــة بنفسها .. عجوز سليطة اللســان في الثانية والستين من عمرها ، تقول لوكيل النيابة ان القصة محض اختلاق !.

صدر الحكم على نجيب بالسجن ، ولم تبرح صورة الشابة الحسناء ان تبرح ذاكرته .. فهيهات ان ينسى زميلة مهنته الذكية التى احتالت عليــه وخدعته . ولم يعــد يغضبه شىء قــدر ان يســمع شخصا يتحدث عن « شرف اللصوص »!

الخريف الضاحك..

● فتحية النميري ●

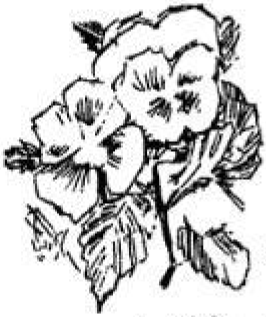
سافرتُ في دنيا الشباب وجدتها
صخبا يهدهدُ بسمةَ الأيامِ
ردهاتها شوكٌ على طول المدى
ورهادُها ضرب من الأوهامِ

***

والليلُ ساقية تغنّت بالهوى
وتنوحُ غائبة عن الوجدانِ
مازلتُ أذكر ياربيعَ ربيعنا ...
رغمَ الشذا ماكانَ من أشجان
وأهيمُ في روض كانَ ظلالهُ
تهبُ سرى في خضرةِ الأغصانِ
لمَ ياربيع العمرِ غلفكَ الأسى
وحشرتَ بين الزيفِ والبهتانِ

***

... ومضى القطارُ مدويا في رحلتي
حتى تهادى في رُبا الوديانِ
وتمهّل الركبُ المغنّى باسما
بعد المشقه ، ساكن الوجدان
وتلوحُ الأقدارُ تعلنُ صفوها
وكأنها ذاكَ السرابُ الدانى ..
وإذا الخريفُ هناك يقبل ضاحكا
عبر الحدائق شاحب الألوانِ !



عاشقة البنفسج

• محمد على عبد العال •

مَنْ قال أشبهت البَنفسج أعزل
ألقى السِّلاح أخيرُهم والأولُ ..!
والكل حارُوا أنْ يقولوا قولتى
إذْ قلت فيها إنَّ حسنك أجملُ

قد شاهدوا لونَ الزهور وما دَروا
فى كُنْهِها أين الرحيق الأكملُ
فهناكَ فى الأعماقِ سر كامن ..
مفتاحُها قلبى إليها يدخلُ
قد نلْتُ هذا السر بعدَ مشقة
هل بعد أن يَرسوا فؤادى .. يرحَلُ؟!

***

يا كَمْ فتنتْ بفكرها ونضالها
ولكم ظَلَلْت بروضها أتأملُ ..
بستانها فى غـابة مسحورة
من حامَ حول الرَّوض مثلى ينهلُ !

***

بعيونها فكر تحدَّى من هنا
فيه الرموش جنوده والمقِلُ
هى تُطلق اللَّحظ المصيب شعاعهُ
من فكرها ، فيحار لب يَعقِلُ
فهناك فى الأعماقِ سر كامنٌ
مفتاحُها قلبى إليها يدخل

محمد على عبد العال
من ديوانه الجديد
الحب والسلام



رسم .. و كلمات

● يس الفيل ●

اذا عدت يوما مع العـــائدين
واسدل دهرك ستر الحنـــين
وغيبنا الدهر بعـــد اللقـــاء
وبعثرنا فى دروب الحنــــين
فذلك رسمى يصون الهـــوى
لديك . . . وينطق فى كل حين
فما نحن يا صاحبى فى الحيـاة
سوى ذكريات ، وود امـــين
وما نحن الا شـــعاع ضئيل
ينير العالم للســـــــائرين
وما صورتى فى ليالى الفـــراق
ســـوى اللحن يعزف للذاكرين
فصن صورتى... فهى رمز اللقاء
اذا ضمنا موكب الراحلـــين
ولا تنس انا بهـــدى الحيـــاة
نمر ، لنلحـــــــق بالآخرين
وخـــير لنـــا .. ذكريات تدوم
ويحملها الدهر للقـــــادمين
فصن صورتى يا رفيـق المـــدى
فقد يعصف الدهر بالآمنـــين
وقد لا ترانى . . . ولكن بهـــا
ترانى .. فهى الرسول الامين

زهرات من رياض العرب

بقلم محسن فهمي

● ودع ●

شكا رجل الامام على بن أبي طالب الى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ وكان الامام جالسا ، فالتفت اليه عمر وقال :

ـ قم يا ابا الحسن فاجلس مع خصمك .

فقام الامام فجلس معه وتناظرا ، ثم انصرف الرجل ورجع الامام الى مكانه الاول ، فتبين عمر التغير فى وجهه ، فقال :

ـ يا ابا الحسن ، مالى اراك متغيرا ؟ .. اكرهت ما كان ؟

قال : نعم ... قال عمر : وما ذاك ؟

قال : كنيتنى بحضرة خصمى ! .. والواجب ان تقول : قم يا على فاجلس مع خصمك !

فاعتنق عمر عليا ، وجعل يقبل وجهه ويقول : بابى انتم ، بكم هدانا الله ، وبكم اخرجنا من الظلمة الى النور !

● نعم الزوجة ●

أراد عربى عظيم الحسب ، عريق النسب ، كثير المال ، أن يتزوج ، لكنه كان سيىء الخلق ، غليظ الطبع ، سريع الغضب ، فنفرت منه النساء . وذكرت له امراة ذات جمال وحسب وخلق ودين ، فذهب يخطبها ، فقال لها : انى كما تعلمين فى المال والاصل العريق ، ولكنى سيىء الخلق ، سريع الغضب .

فقالت : اسوامنك خلقا من احوجك ان تكون سيىء الخلق سريع الغضب !

فصاح بها : انت اذن زوجتى !

● حلم المامون ●

قال عبد الله بن طاهر : كنت يوما عند الخليفة المامون ، فنادى بالخادم : يا غلام ، فلم يجبه احد ، فنادى مرة ثانية وصاح : يا غلام ، فدخل غلام فارسى وهو يقول : ما ينبغى للغلام ان ياكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك صحت : يا غلام ، يا غلام !

فنكس المامون راسه طويلا ، فما شككت أنه يامرنى بضرب عنقه ، ولكنه رفع راسه ونظر الى قائلا : يا عبدالله ،



ان الرجل اذا حسنت اخلاقه ساءت اخلاق خدمه ، واذا ساءت اخلاقه حسنت اخلاق خدمه ، وانا لا نستطيع أن نسيء اخلاقنا ، لتحسن اخلاق خدمنا !

● احسن الناس ●

قال رجل للحسن : ما بال المتهجدين من احسن الناس وجوها ؟

فاجاب الحسن : انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره ...

● دعاء ●

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة امرى ، واصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، واصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر » .

نتيجة مسابقة

عدد فبراير ١٩٨٠

هذه هي نتيجة المسابقة الخامسة : ((اقرأ الهلال واكسب جائزة)) ـ عدد فبراير ١٩٨٠ ـ ومسابقات الهلال فى الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ثم يكسب شيئا رمزيا اذا شاء الحظ وكان من الفائزين ..

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقراها ويبدى رأيه فيها ، وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المسابقات ، أما الكسب المادى ، فرمزى فحسب..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة واجريت القرعة بينها ..

وفيما يلى اسماء الفائزين فى مسابقة شهر فبراير ١٩٨٠ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقات أعدادنا القادمة ..

الجوائز

● الجائزة الاولى وقدرها خمسة جنيهات : محمد فكرى عبد الجليل ـ البنك الاهلى المصرى ، ببورسعيد

● الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة جنيهات : فوزية محمد عياد ـ كفر سنباط ـ مركز زفتى ـ محافظة الغربية .

● الجائزة الثالثة وقدرها جنيهان : نفاد عبد الفتاح عمر زناتى ـ ٥ شارع ابو طويلة ، بمحافظة اسيوط .

● الجائزة الرابعة وقيمتها اشتراك لمدة سنة فى مجلة الهلال : خالد صلاح الدين ـ قطر ـ الدوحة ص.ب١٤١٤ .

● الجائز الخامسة وقيمتها اشتراك لمدة سنة فى مجله الهلال : طمطم محمد ـ المركز التربوى الجهوى ـ آسفى ـ المملكة المغربية .

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر أبريل ١٩٨٠

هل قرات هذا العدد الذى بين يديك من « الهلال » ؟ ..

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من « الهلال » يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز ..

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا

اذكر اسم القائل ، وعنوان المقال الموجود به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز .. : الأولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان ـ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

وستعلن نتيجة هذه المسابقة فى عدد يونيو ١٩٨٠

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من مايو ١٩٨٠

● الاسئلة ●

س ١ ـ من مؤلف كتاب « حديث عيسى بن هشام » ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . .)

س ٢ ـ لماذا يفخر الأدب الفرنسى بمونتانى ؟
جـ ـ . . . . (مقال . . . .)
غربية فى بلادنا ..
س ٣ ـ متى انشأ مصطفى كامل جريدة اللواء ؟

اقرأ الهلال واكسب جائزة

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ٤ - أي الخلفاء الراشدين عهد الى امرأة بالرقابة على البيع والشراء ومراعاة الأخلاق ؟

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ٥ - من وصف المنفلوطي بانه من اشياخ البيان ؟

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ٦ - ما المشكلة الاساسية في السينما ؟

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ٧ - في أي سنة هجرية وقعت غزوة تبوك ؟

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ٨ - اين قضى الخديو عباس بقية حياته بعد عزله ؟

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ٩ - الى ماذا ترمز كلمتا « ماجارا والفل » ؟

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

س ١٠ - تعلمنا كيف نستورد ، كيف نزرع بايدينا فروعا لشجرات غربية في بلادنا ..

جـ - . . . . (مقال . . . . .)

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد أبريل ١٩٨٠

الاسم: ------------ السن: ---------

العنوان: ------------------------

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام
الشلال

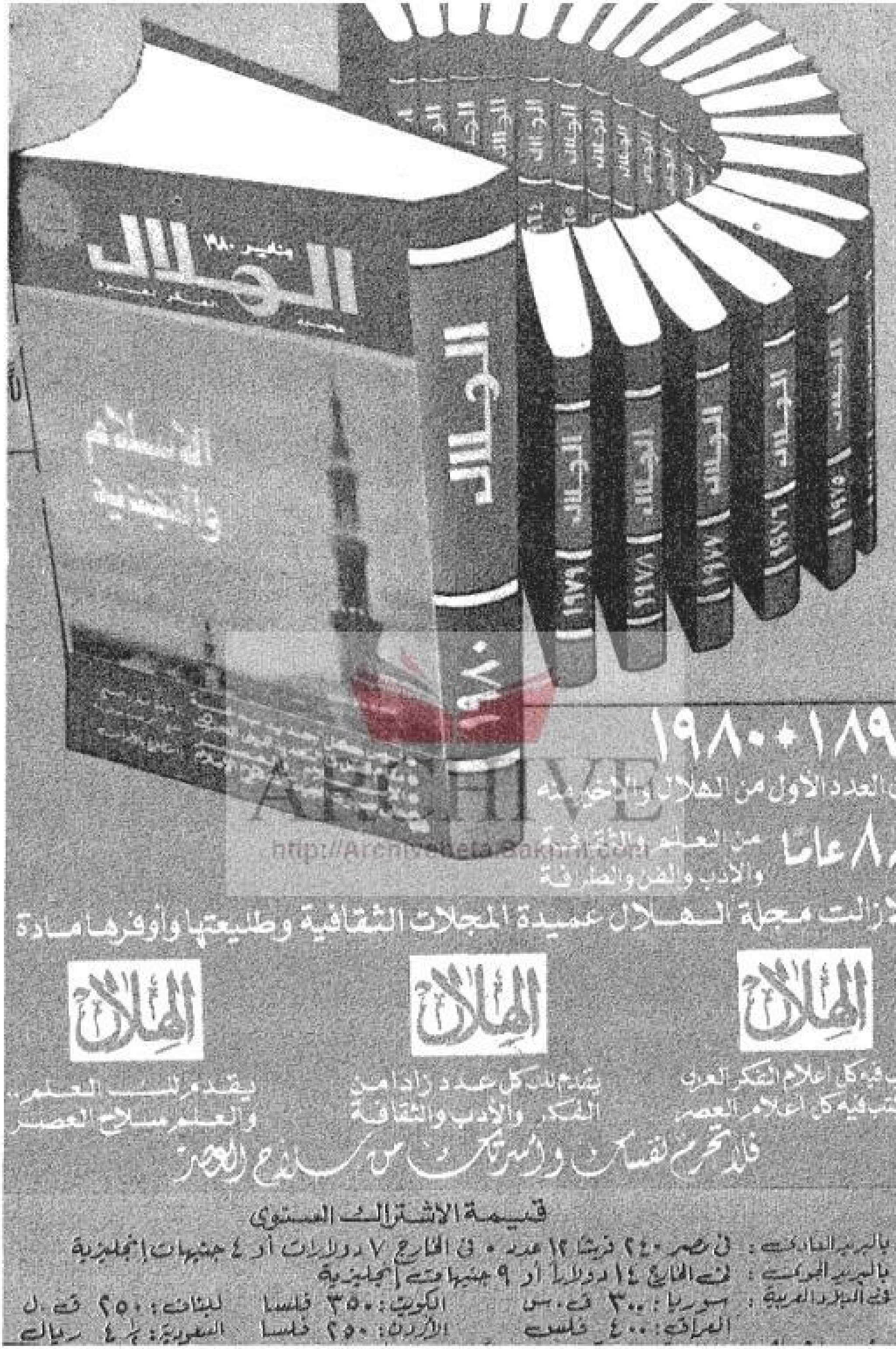
● للشاعر السويسرى : يوليوس كروس ●
● ترجمة : احمد مصطفى حافظ ●

أيهـا الشلالُ من أقصى الدهور
دائما تجرى .. إلى هذى البحورْ
نائحا تبدو .. بليـل أو نهار
رغم أقـواس غـزار بالإزارْ
« قزح » يزجيكها إثر انحـدار
والعصـافيرُ تغنّى بانبهـار
وتظل الدهر تشـكو وتثورْ
وطوالَ الوقتِ .. تغدو للمصير
حيثُ تهوى فى تضاعيفِ البحورْ
مثلما يهوى البرايا .. فى القبور!

الحب فى عينيها

● للشاعر الانجليزى : ابراهام كاولى ●

يا لسحرٍ بشمسِ العينين
يمرحُ الحبُّ فيهمـا ويغنى !
يصْطَلى الدفء ، ثم يسرى بغنْ
فى متاهات شعرِها .. بتـأنْ
ثم يهفو لتينك الشفـتين
بالغَ الوجدِ .. رانيـا بانعطافِ
باذرا حاصِـدا .. بطرفة عينِ
قبُلات .. تعـدُّ بالآلاف !
كم يُرى الحب يانعا ، ممتـدا
يتبدّى .. بظـاهر القسمات ..
يتراءى .. وليس ينفـذ أبدا
لصميمِ الفـؤادِ والخلجات !


١٩٨٠ • ١٨٩
من العلم والثقافة
والأدب والفن والطرافة
لازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها مادة
الهلال
الهلال
الهلال
يكتب فيه كل أعلام العصر
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
يقدم لك العلم..
والعلم سلاح العصر
قيمة الاشتراك السنوي
بالبريد العادي : في مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عددا • في الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية
بالبريد الجوي : في الخارج ١٤ دولارا أو ٩ جنيهات إنجليزية
في البلاد العربية : سوريا : ٣٠٠ ق.س الكويت : ٣٥٠ فلسا لبنان : ٢٥٠ ق.ل
العراق : ٤٠٠ فلس الأردن : ٢٥٠ فلسا السعودية : ٤½ ريال

الهلال

مايو ١٩٨٠

مجلة




٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

٢٦ مواطناً جديداً فى الثانية

هذه الزيادة فى السكان رهيبة ، وهى دون شك تقضى على كل جهد نقوم به للتقدم ونشر الرفاهية ..

فاننا لا نكاد ندبر طعاما لواحد حتى يصلنا عشرة ، وما نكاد نفتح مدرسة لألف تلميذ حتى يأتى ثلاثة آلاف !

وهكذا يضيع جهدنا كله ونقف مكاننا ، بل نتراجع ، لأن ناسا منا يبلغ بهم الجهل والقسوة معا ان يغرقوا السفينة بمن فيها !

ونحن اليوم نقوم بمجهود ضخم للتوعية ..

ولكن التوعية وحدها لا تكفى ، لأن الناس تعودوا عندنا الا يسمعوا لنصيحة او يتدبروا حقيقة تعرض عليهم : والجهل فى عصرنا هذا مرض قاتل . والجاهل لا يعالج بالكلام بل لابد فى رأينا من شىء من الضغط . لابد أن تلجأ الدولة الى اجراء رادع ..

لا نقصد التعقيم الجبرى ، فهو قسوة لا معنى لها ، واسلوب غير انسانى .. ولكننا نستطيع مثلا ان نقصر فرص التعليم والرعاية على الولد الثالث والباقى يتحمله الوالدان ..

ولكن الأهم من ذلك كله هو أن نبتكر نوعا جديدا من تكوين الانسان المصرى علميا وفنيا بحيث يستطيع كل مولود أن يتعلم حرفة يكسب بها رزقه او يهاجر بها الى بلد آخر ، لأن نظام التعليم اليوم يؤدى قطعا الى زيادة العاطلين حتى لو تراخت نسبة زيادة السكان .

فالمشكلة ليست فى الزيادة بقدر ما هى فى الزيادة التى لا تنفع . فاليابان مثلا يزيد فيها السكان ولكنهم يعلمون كل مواطن حرفة تنفع البلد ، وهذه البضائع التى تغطى اسواق الدنيا يصنعها ملايين اليابانيين فى مصانع صغيرة يقضون يومهم كله فيها يعملون فى صبر ونظام .

أما نحن فلا نستطيع ان نرغم مواطنا واحدا على أن يعمل فى شىء الا برضاه ومزاجه !

لابد فى رأينا من شىء من الحزم .

ومن حق الدولة أن تلجأ الى الحزم والعنف لمواجهة خطر قومى كهذا ..

حقا ان التوعية ضرورية ..

ولكن كم من الناس يتعلم بالذوق ؟

كم من الناس تكفيه العبارة الطيبة ..

تستطيع ان تسألنى انا فقد عملت فى التدريس عمرى وعرفت ان الخيزرانة عند المدرس ذات فائدة كبرى ، سواء استعملها ام لم يستعملها .. المهم ان يعلم الطلاب أن المدرس يستطيع ان يستخدمها عند اللزوم ، ولنذكر بيت ابى الطيب :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما
فليقس احيانا على من يرحم !

المحرر

في هلال
هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

جمادى الاخرة ١٤٠٠ هـ
مـايـو ١٩٨٠ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال ـ اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة الثامنة والثمانون ـ اول مايو ١٩٨٠ ـ ١٦ جمادى الاخرة سنة ١٤٠٠

● صورة الغلاف ●

... من وحى الربيع الجميل، موسم الماء والخضرة والوجه الحسن ـ تتحدث هذه الباقة البديعة من الزهور على غلاف هذا العدد من « الهلال » ، يطل عليك منها وجه مشرق وابتسامة تحكيان لك من سر الربيع وسحره أن الحياة الحب والحب الحياة ! ..

الإشراف الفنى
أحمد الوردجى

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ جـ . ك تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
الادارة : دار الهلال ـ ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

من الهلال

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التى يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، ويبذل الجهد ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهى لا ترد ، نشرت ام لم تنشر .

أزمة النشر والقراءة

أزمة قومية حضارية لابد من حلها

حتى تتفتح أبواب المستقبل الذى نرجوه

بقلم : رئيس التحرير

● من شهرين كتبنا هنا عن معرض القاهرة الدولى للكتاب .. وقلنا أن المعرض لم يضم الا طائفة قليلة جدا من الكتب الجديدة الجيدة والباقى كله بواق من مطبوعات السنوات الماضية واعادة طبع وما الى ذلك وما كاد المقال ينشر حتى أتانى الكثيرون من المؤلفين وكل منهم معه أكثر من كتاب جدير بالنشر . منهم أدباء وعلماء وأطباء وأساتذة وكلهم يؤكد أن لديه كتبا أخرى غير تلك . ولكن أين الناشرون ؟

واستدعيت نفرا من الناشرين ، ممن أعرف أنهم قادرون على النشر والتوزيع وعرضت عليهم بعض هذه الكتب ، فقالوا كلاما كثيرا خلاصته انهم مستعدون للنشر ، ولكن أين القراء ؟

وقال واحد منهم :

ـ ان الناس فى أيامنا هذه لا يقرأون . من عشرين سنة ، وكان المتعلمون فى هذا البلد أقل مما هم اليوم بكثير كان الناس يقرأون .. كنا نطبع من الكتاب الفين ثلاثة نبيعها فى شهور ، وكنا نصدر الى الخارج كتبا كثيرة جدا ... كنا نبيع فى الخارج أضعاف ما نبيعه فى مصر واليوم أين التوزيع فى الخارج ؟ اننا نعيش اليوم على الكتب الجامعية والمدرسية .. ثم أن تكاليف النشر زادت زيادة كبيرة دون أن نلقى من الدولة أى معاونة . الكتاب الذى كنا نبيعه بخمسين قرشا يتكلف طبعه اليوم جنيهين ولابد لنا أن نبيعه بثلاثة لاننا نعطى خصما للمكتبات يصل الى أربعين فى المائة من ثمن الكتاب .. والقارىء لا يستطيع ان يدفع ثلاثة جنيهات فى الكتاب الا اذا كان مضطرا للشراء ، والوحيد المضطر لشراء الكتاب هو الطالب الجامعى أو غير الجامعى ، لهذا نحن نفضل نشر الكتب الجامعية لكى نضمن اننا نستطيع بيعها ، أما كتب الثقافة والآداب والعلوم فأين من يقرأها ..

● إن أزمة النشر جزء من أزمة فكرية حضارية عامة نعيشها في عالمنا العربي ، فان القارئ الجيد يطلب الكتاب الجيد ، وما دمنا لا نجد كتبا جيدة فلن نجد القارئ الجيد وبالتالي لن نجد الناشر الذي يغامر بماله في نشر كتب لا تباع ..

وقال أحد الناشرين :

انني لا ادرى ماذا جرى فى الدنيا ·· قبل عشرين سنة مثلا كنت استقبل في مكتبي اطباء ومهندسين وقضاة ومحامين يأتون للبحث عن كتب قيمة يقرأونها ، أما اليوم فلا ارى من هؤلاء أحدا ·· وعندى حالة واضحة جدا توضح لك موقف الناس اليوم من القراءة ·· اذهب اليوم الى دار الكتب واجلس فى قاعة المطالعة وانظر كم قارئا حولك ·· ستجد أن العدد لا يتخطى أصابع يديك ، وهؤلاء جميعا طلبة جامعيين يعدون رسائل ماجستير ودكتوراه ·· انني أذكر عندما كنت صغيرا كنت ادخل قاعة المطالعة فى دار الكتب فى باب الخلق فلا أجد موضعا أجلس فيه ·· هذه حالة تبين لك أن المسألة ليست مسألة مالية فقط بل ان هناك عزوفا عاما عن القراءة حتى ولو كانت بالمجان ـ هناك عقدة تكونت عند الناس ضد القراءة ولابد أن تعرف هذه العقدة وصدقني أنك لو أرخصت ثمن الكتاب الى النصف او الى الربع فان ذلك لن يغرى الناس بالقراءة ، ولهذا فنحن معذورون جدا فى مسألة النشر ، وماذا أعمل اذا أنا وضعت ما عندى من رأس مال ضئيل فى كتب تظل فى المخازن سنوات ··

وفى ذات مرة أنهيت درسى فى الجامعة ، ثم استبقيت الطلاب دقائق لاناقش معهم مسألة القراءة وسألت نحو ثلاثين منهم عما قرأوا او يقرأون فخرجت بنتيجة مؤسفة جدا ، هؤلاء الطلاب جميعا لا يقرأون لا كتبا عربية ولا مترجمة · وبطبيعة الحال لم أجد واحدا منهم يقرأ كتابا غير عربى ·

وعندما سألت عن الاسباب سمعت أجابات شتى غير مقنعة ، فبعضهم يقول انه لا يملك المال والبعض الآخر لا يملك الوقت والبقية لا تفكر اطلاقا فى القراءة · وبعد هذه الندوة القصيرة مضيت الى مكتبة الجامعة ، فوجدت فى قاعة المطالعة عددا لا بأس به من الطلاب يقرأون ، لكن كل قراءاتهم بلا استثناء كانت تتصل بدراستهم الجامعية · كانوا يقرأون كتبا عادية كى يوفروا على أنفسهم عناء شرائها ، وكان هناك ثلاثة او أربعة يعدون رسائل جامعية ورأيت ثلاث طالبات يقرأن كتبا دينية ،

وادركت اننا بالفعل امام مشكلة خطيرة بالنسبة لمستقبل هذا البلد ، فاننا فى عصر العلم ، والصراع بين الأمم اليوم صراع علم ، وسيكون هذا الصراع فى

المستقبل اشد ، فاذا لم تكن لدينا حصيلة ضخمة من العلم فان نتيجة الصراع لن تكون لصالحنا ، ومن هنا فان الموضوع يحتاج الى أكثر من مقالات فى موضوع الفقر الثقافى تنشر فى هذه المجلة وفى مثيلاتها ، ان الموضوع ينبغى ان يثار على مستوى عال ويناقش كما يناقش موضوع الامن الغذائى أو الأمن القومى ٠٠ لاننا نعيش اليوم ــ ثقافيا ــ على حصيلة علم عند الشيوخ وبعض الكهول ، أما الشباب فلا يقرأون ، ومن هنا فانهم لن يستطيعوا الثبات فى صراع الأمم فى الغد ، وعلينا منذ الآن أن ندرس الموضوع دراسة جادة لأن هذا الشباب لابد أن يقرأ ، لابد ان يتثقف ، لأن مستقبله ومستقبل ذلك البلد متوقف على مقدار ما يقسم لهذا الشباب من ثقافة ٠

وقد بدا لى أكثر من مرة اننا غير متنبهين بما فيه الكفاية الى خطورة موضوع الثقافة هذا حاسبين انه موضوع كمالى وان جامعاتنا ما دامت تغص بالجامعيين فان مستقبلنا بخير ، واحب ان اقول ان كثرة الجامعيين هذه سبب من أسباب متاعبنا الثقافية والحضارية ، وامامك مثل واضح تستطيع ان تلمسه بيدك ، فنحن اليوم فى عصر انفتاح وانشاء ، وهذا العصر يتطلب منا اقامة منشآت معمارية وآلية تتناسب مع مطالب هذه الطفرة وتلاحظ معى أن كل جهات الاختصاص عندنا تلجأ الى بيوت الخبرة الاجنبية لاقامة المنشآت الجديدة ونحن نرى اليوم فى القاهرة أشكالا جديدة من المنشآت المعمارية لم نعهدها من قبل فهناك العمائر الادارية وادارات المصارف ومبانى المستشفيات الحديثة ، وهناك عمائر تبنى كلها من الحديد ، وأخرى تحتاج الى منشآت تحت الأرض ، وفى كل مبنى من هذه نجد أن التصميمات والاعمال الفنية كلها تقوم بها بيوت أجنبية ، فما السبب فى ذلك ؟

هل كليات الهندسة عندنا لا تحسن تعليم الشبان ؟ هل مناهج الدراسة عندنا ناقصة أو قاصرة ؟ هل الاساتذة غير اكفاء ؟ بالعكس ، فان المناهج مثقلة بالمادة والاساتذة أكفاء ولكن الذى ينقص هنا هو الثقافة الهندسية اقصد لأن كل فنون الهندسة الجديدة وكل المستحدثات فى أساليب البناء ومواده لا توجد فى الكتب التقليدية ، أى فى الكتب التى تدرس فى الجامعات ، وانما هى توجد فى المجلات العلمية وفى الكتب الجديدة التى تصدر بالعشرات ، والمهندس المثقف هو الذى يطلع على ذلك كله ويجارى الزمن فيعرف أن الزمن يتطور والعلم يتقدم ولكل عصر مطالبه ، فالمهندس الذى يقتصر عمله على ما درسه فى كلية الهندسة مهندس غير مثقف ، مهندس تقليدى لا يجارى العصر ومثل هذا الرجل لا يسد مطالبنا الهندسية اليوم ، وهو طبعا عاجز عن أن يسد مطالبنا فى الغد ، فاذا اعتمدنا عليه لم نصل الى المستوى المطلوب قط ، ولو أن المهندسين عندنا يقرأون ما يصدر من الكتب الجديدة أو لو أنهم يطلعون على المجلات العلمية التى تصدر فى فروع الهندسة بالعشرات لعرفوا كيف يسايرون العصر ، أن الذى ينقصهم اليوم هو الثقافة الهندسية ٠ ولقد جرى لقاء بينى وبين مهندس من اليابانيين الذين صمموا فندق السلام فى مصر الجديدة ، فأهدانى كتابا مليئا بالصور عن فن بناء الفنادق الحديثة فتصفحته وقرأت عنه ما تيسر ، ثم اعرته لمهندس صديق لى على امل ان يهتم به ، ثم مررت به بعد شهرين فاذا الكتاب على مكتبه لم يتحرك ، فاخذته وأنا متحسر ، لانني

عرفت أن مثل هذا المهندس مهندس متأخر لا يعرف شيئا عن عالم الهندسة اليوم ، مشكلته انه مهندس غير مثقف ـ انه متعلم ولكنه غير مثقف ،والمتعلمون عندنا كثيرون جدا ، ولكن الذين ينقصوننا هم المثقفون •

ولعلك تسمع كل يوم عن مواطنينا الذين يذهبون الى الخارج للعلاج ، وربما يقع فى الظن أن السبب فى ذلك هو أن الأطباء عندنا أقل علماً من الأطباء هناك وهذا غير صحيح ، فأطباؤنا عندهم الكفاية من العلم التقليدى الذى فى الكتب التى درسوها فى الجامعة ، ولكن الطب يسابق الريح اليوم فى تقدمه ، وفى كل يوم يجد جديد ، وهذا الجديد هو الذى يذهب لالتماسه أولئك المواطنون الذين يذهبون للعلاج فى الخارج لأنه غير موجود عندنا ، وقل لى والله متى يستطيع طبيب عندنا أن يقرأ وهو قائم فى عيادته الى منتصف الليل يستقبل مريضا بعد مريض ؟

لقد قرأت فى مجلة المانية مقالا عن طبيب انجليزى نجح أخيرا فى أن يصنع عدسة زجاجية توضع داخل العين عندما يصاب الانسان بما يسمى بالماء الابيض ويحتاج الى أن تجرى له عملية الكتاراكتا فتزال العدسة الضامرة وتعوض بعدسة نظارة •

ومن المعروف أن العين او أى عضو من أعضاء الجسد لا تقبل عنصرا غريبا عنها ، وقد حاول نفر من الاطباء أن يبتكر مادة لاتلفظها العين ليصنع منها هذه العدسة ، حتى لاحظ مرة أن الذين يأتون بشظايا زجاجية داخل العين فى حوادث السيارات لا تتسبب تلك الشظايا فى احداث التهابات فى العين ، وفى بعض الحالات عندما تستقر الشظية فى موضع لا تؤمن معه الجراحة لاستخراجها فانها تظل مكانها ولا تلفظها العين ، فقال فى نفسه : هذه هى المادة التى أبحث عنها • ثم بدأ يجرى دراسات وتجارب على شتى أصناف زجاج السيكوريت واتصل بالشركات المنتجة له وعمل فى مصنع منها بضع سنوات حتى توصل فى النهاية الى نوع من الزجاج لا تلفظه العين قط • فصنع منه العدسة المطلوبة وجرب مرة بعد أخرى حتى نجح فى ذلك ، وعن قريب سيستطيع المريض بالماء الابيض أن يعوض عدسة عينه بعدسة زجاجية •

هذه العملية تجرى اليوم فى اوروبا ، ولكنها لن تجرى فى مصر الا بعد سنوات ، لأن غالبية اطبائنا الرمديين لن يعلموا بخبر هذا الكشف الا بعد سنوات ، لانه الآن ثقافة ، ولكنه سيصبح علما يطبقونه هم بعد هذه السنوات والى ان يطبقوه يكون اهل الغرب قد اكتشفوا شيئا آخر ، وسنظل نذهب اليهم للعلاج لأنهم مثقفون ونحن غير مثقفين ، لأن الطبيب هناك يقرأ الكتاب والمجلة العلمية ويحرص على تثقيف نفسه ، وصراع الدنيا اليوم صراع ثقافة أو ما يسمى بالالمانية Kueltu rkampf والالمان هم الذين ابتكروا هذا المصطلح

فالذين يستهينون بالثقافة يستهينون أو يجهلون حقيقة الصراع فى عصرنا هذا ، ونحن عندما نقول اننا لابد أن نتثقف لنكسب معركتنا نتفلسف ، وما نحن بمتفلسفين ولا مطالبين بكمال ، انما نحن نطالب بالضرورى وهو الثقافة •

***

ولكن ، أين توجد الثقافة اذا لم تكن هناك كتب ؟

هكذا نعود مرة أخرى الى موضوع الكتب والنشر والناشرين انه عقدة العقد

ازمة النشر والقراءة .. ازمة قومية حضارية لابد من حلها

وأساس مستقبلنا كله ، فاذا نحن لم نعالج موضوع النشر ولم نفلح فى نشر الكتاب العلمى والمجلة العلمية فاننا سنظل حيث نحن مهما فعلنا ، ومن غريب ما أذكر انني سمعت وقرأت كثيرا عن ساعات الكوارتز، ثم لقيت صديقا لى استاذا فى كلية هندسة وله صلة بالبصريات ، فسألته فى موضوع ساعة الكوارتز وقلت له : اشرح الأمر أرجوك ، فضحك وقال : هذه اشياء يبتكرونها ليبيعوا .. هذه كلها دعاية وتهويش ..

ـ ليكن دعاية وتهويشا ولكنى سألتك سؤالا محددا : ما هى الساعة الكوارتز ، ففكر لحظات ثم قال : دعنى أبحث ثم أجيبك ..

ويبدو لى ان حل ازمة النشر ينبغي أن يسبقها حل ازمة القراءة .. اى اننا ينبغى ان نوجد القارىء حتى يجد الناشر من يشترى الكتب التى سينشرها ،لان الناشر تاجر قبل كل شىء وليس من المعقول ان نطالب بانفاق ماله فى كتب لا تباع او تباع فى بطء شديد يضيع معه كسب ، وانما المعقول هو أن نجد سبيلا يؤمن على رأس ماله . وانا لا اريد ان اكلف الدولة جهدا او مالا فان الدولة مرهقة بالمطالب ، وليس من المعقول أن نطالب الدولة بكل شىء ..

نستطيع أن نجعل المواطن يحس بأن الثقافة ضرورة وأنها مطلب ضرورى لصالحه ، فاننا نستطيع مثلا أن نجعل بين مواد الدراسة فى المدرسة الثانوية وفى الجامعة مادة تسمى الثقافة العامة .مادة لاتلقى فيها محاضرات ولا تخصص لها دروس ، وانما يكون فى المدرسة او الكلية رجل يسمى بالموجه الثقافى ، ونستطيع أن نحدد لكل سنة من سنوات التعليم الثانوى والجامعى خمسة كتب من الكتب العامة التى تنشر ما بين روايات وكتب علمية ودراسات ، وندع الطالب يقرأها تحت اشراف الموجه ، ثم نختبر الطالب فيما قرأ من هذه الكتب عند امتحان الثانوية العامة وعند امتحانه فى الليسانس أو البكالوريوس ، والدرجة التى يحصل عليها التلميذ أو الطالب فى مادة الثقافة يكون لها دخل فى استجابتنا أو عدم استجابتنا لادخاله هذه الكلية أو تلك ، وبالنسبة الحاصلين على الليسانس أو البكالوريوس يكون التعيين ـ بعد النجاح ـ بنسبة ما يحصل عليه الطالب فى مادة الثقافة العامة وخاصة فيما يتعلق بالتعيين بأوامر التكليف ، فيكون التفوق فى الثقافة أساس التعيين ، وبدون ثقافة لا تعيين .

اقول ذلك لأننى أعرف أننا نعرف من تجاربنا أن غالبية الناس عندنا لا يقرأون الا اذا كانت القراءة ضرورة ، فالطالب الجامعى لا يشترى الا الكتاب المقرر ، ولا يشترى قط كتابا لا دخل له بالامتحان ـ كلامى هنا على الغالبية ، فما زالت هناك اعداد قليلة من الطلاب الذين يقرأون . وما دام الناس لا يقرأون «بالذوق» فلا بأس من أن نجعلهم يقرأون « بالعافية » ، ومصلحة الوطن تبيح لنا ذلك .

نستطيع كذلك ان نجعل القراءة شرطا من شروط الترقيات أيا كانت ، فلا ينال موظفا ترقية الا اذا قرأ عددا من الكتب يختارها من قائمة رسمية ننشرها ، لأنه من غير المعقول ان يترقى الناس فى الوظائف على الاسلوب الحالى ، ولقد عرفت وكلاء وزارة كثيرين لم يقرأوا فى حياتهم كتابا ، واستطيع ان اؤكد لك انهم وكلاء وزارة من النوع السيىء بسبب قلة الثقافة . انهم لا يعرفون الأمور المكتبية الادارية ، والواحد منهم يحفظ عشرات اللوائح ومئات الاسماء ، وكلما

● إن تدخل الدولة فى عملية النشر لم ينفع الناشر ولا المؤلف، لأن التأليف عملية فكرية، والنشر عملية تجارية وكلاهما لابد أن يترك حرًا كما هو الحال فى غير العالم العربى أما تدخل الدولة فقد هبط بالتأليف لأنه أضعف الناشرين أولاً ثم تبنيها كتبًا لا تستحق ..

زادت قراءته للوائح وحفظه لاسماء الموظفين ازداد جهلا وبعدا عن الحياة ، فماذا لو ارغمنا مثل هذا الرجل على أن يوسع فى ذهنه مكانا للثقافة حتى يصير أكثر انسانية ويعرف أن الحياة ليست لوائح وان العمل ليس روتينـــا وان الناس ليسوا أرقاما على جداول ؟

لقد تثقفنا نحن وتعلمنا حب الكتب بنفس الطريقة أى بالقوة ، فقد كان آباؤنا يلزموننا بالقراءة الزاما ، اذكر أن والدى كان يفرض علينا اثناء الاجازات أن نحفظ كل شهر ثلاث صفحات من القرآن الكريم ، وكان يفرض علينا أن نقرأ كل شهر مقامة من مقامات الحريرى ، وكان يمتحننا فى القـــرآن وفى المقامات وكنا نذهب الى مصيف رأس البر اذ ذاك فى شهر سبتمبر ، فمن حفظ واجبه من القرآن الكريم وقرأ المقرر عليه من مقامات ابى القاسم الحـــريرى ذهب الى المصيف ، ومن لم يحفظ بقى وحده فى البيت شهرا كاملا ..

ان أزمة عدم القراءة عندنا ازمة قومية وحضارية ، وهى مسئولة الى حد كبير عما نقاسيه من صعوبات فى سبيل التقدم ، فان التقدم مستحيل دون اطلاع وثقافة ، وانه لمن الغريب ان تجد الشباب عندنا يدفع فى الكاسيت ثلاثة جنيهات ليحصل على أغان غثة مريضة ولا يدفع نصف هذا المبلغ فى كتاب ينفعه ..

وما دامت الأزمة غير طبيعية وغير معقولة فهى لا تعالج بأساليب طبيعيـــة او معقولة ...

لابد من استعمال شىء من الضغط حتى يعرف الناس ان القراءة ثروة لهم وللوطن . لابد ان يعرف الوالد ان ابنـــه ينبغى ان يقرا كما ينبغى أن ياكل ويشرب ، وفى عصرنا هذا لا يعيش الناس بالخبز فقط بل بالثقافة ، والعلم .

وقد يتعجب بعض القراء من مناداتى باستعمال الضغط والقوة لارغام الناس على القراءة ، ولكن قل لى : ماذا تعمل مع شاب وشابة ينفقان آلاف الجنيهات فى تاثيث ما يسميانه ببيت الزوجية ، ولا يفكر واحد منهما فى ان ينفق عشرة جنيهات فى كتب تزين البيت وتدل الناس على ان سكانه ناس لهم عقول .. لا بطون فقط ولا اجساد فقط .. وانما هناك أيضا عقول تقرأ وتفهم ..

وبالعقل يصبح الانسان انسانا ..

فاذا لم يرد أن يكون انسانا فاى ضرر فى ان نرغمه بالقوة على ان يكونه ؟

د . حسين مؤنس

على أبواب العيد الخمسيني لمجمع الخالدين

انطباعات

حول مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السادسة والأربعين

● محمد عبد الغني حسن ●

شهدت من مؤتمرات مجمع اللغة العربية مؤتمرين قبل مؤتمر هذا العام للدورة السادسة والأربعين ، وكنت في هذه المؤتمرات الثلاثة عضوا عاملا بالمجمع ، لا ضيفا مدعوا اليه كما كان ذلك من حظي في بعض السنين ..

وكان حفل الافتتاح في القاعة الكبرى « بجامعة الدول العربية » مشهدا رائعا يتكرر كل عام ، على الرغم مما بين كل مؤتمر ومؤتمر من ملابسات وكلمات تختلف من عام الى عام ، باختلاف الظروف والمناسبات ..

ولقد أنست ـ كعادتي كل عام ـ بلقاء بعض اخواننا العرب الذين تجشموا مشقة الرحلة على الرغم مما أحاط بها من ملابسات .. واذا كانت بعض الظروف لم تسعدنا باجتماع الشمل كاملا ، كما كان الشأن فيما مضى من الأعوام ، فان الآية الكريمة المنقوشة على جدار القاعة ـ في مواجهة الأعضاء والضيوف ، وفوق رءوس الجالسين على المنصة ، من وزير الثقافة ، ورئيس المجمع ، والأمين العام للجامعة العربية ، والأمين العام للمجمع ـ تذكرنا دائما بالاعتصام بحبل الله والبعد عن التفرق ..

وقد كان وقع الآية الكريمة في نفسي ونفس كل مشاهد في الحفل ومشارك فيه أكثر الآيات القرآنية مناسبة في هذا العام ‥ وكم وقعت عيوننا على هذه الآية الكريمة كل عام ، ولكن وقعها في نفوسنا لهذه الدورة كان اعظم وابلغ وأنفذ الى القلوب ‥

وتذكرت مؤتمر الدورة الرابعة والأربعين الذى كانت تدور أبحاثه حول (العامية والفصحى) ، ومؤتمر الدورة الخامسة والأربعين الذى اتخذ من (قضايا اللغة العربية ومشكلاتها في العصر الحديث) موضوعا لأبحاثه • على حين اتخذ مؤتمر عامنا الحاضر موضوع « الأدب العربي المعاصر » مجالا تدور حوله بحوث هذا العام ‥

وحين وقف وزير الثقافة الأستاذ منصور حسن يلقي كلمته – بصوته الهادىء الرصين المميز – لم يفته أن يسوق من تائية شاعر النيل « حافظ ابراهيم » على لسان اللغة العربية أبياتا للاستشهاد • وكانت اشارته المنصفة الى جهود المجمعيين – منذ انشاء المجمع سنة ١٩٣٢ الى اليوم – شهادة تقدير يعتز بها المجمعيون الذين يعملون في صمت وفي تضحية لا يبتغون على عملهم المضنى جزاء ولا شكورا ‥

ولقد سمعت في مؤتمرين سابقين وزيرين من وزراء الثقافة أو التعليم هما الأستاذ عبد المنعم الصاوى ، والدكتور حسن اسماعيل ، فعرفت في كل مرة أن الفضل لا يعرفه من الناس الا ذووه ‥

اما رئيسنا الدكتور ابراهيم بيومي مدكور فانه كان في كلمته الرقيقة الواعية متفائلا كعادته ، طموحا متطلعا كشأنه في أمره كله في المجمع ، ميسرا لتناول (الأدب) حتى يستطيع أن يخاطب الناس عامة وينفذ الى قلوب الجماهير •

والحق أن الدكتور « مدكور » بطبعه منذ استاذيته في الجامعة – ينفر من الأرستقراطية في الأدب ، ولكنه لا يهوى به الى الأدب الرخيص المتملق • المنحرف ، حين يريد له الديمقراطية • فليست الديمقراطية انحرافا ولا هبوطا ، ولكنها تيسير للفكر والثقافة واللغة على اوسع القواعد الشعبية •

أما (البيان) الذى عودنا الزميل الدكتور مهدى علام أن يعرض فيه صورة عامة لملامح النشاط المجمعي بين مؤتمرين ، فقد كان شائقا كالعادة ، دقيقا كالعادة منصفا ومراعيا كل الاعتبارات ، ومسجلا كل صغيرة وكبيرة ، وفاء بالحق لأهله ، فلا يفوته ملمح ، ولا يخطئه في الملاحظة والتقييد مشهد ، استكمالا للصورة المجمعية في خلال عام كامل •

***

ولم يفت الزميل والأستاذ د • مهدى علام أن يبرز في بيانه الدقيق قرارات المؤتمر السابق وتوصياته ، وأعمال مجلس المجمع ولجانه ، ومسابقة المجمع الأدبية السنوية ، ومسابقة احياء التراث ، ومطبوعات المجمع ، وصلاته الثقافية مع المجامع والهيئات الثقافية العربية والاسلامية والدولية • كما لم يفته أن يشير الى لجنة الاعداد للعيد الخمسيني للمجمع ، وهو العيد الذى سيقام في عام ١٩٨٢ احتفالا بمرور خمسين عاما على انشاء مجمع الخالدين ‥

ومن الطريف ان زميلنا البحاثة الأستاذ محمد شوقى أمين سمع اسمه يخرج من بين شفتى الدكتور مهدى علام ، وفاته سماع المناسبة .. فسألنى : لماذا ذكر الدكتور مهدى اسمى فى بيانه ؟ فقلت له : أنسيت أنك والأستاذ بدر الدين ابو غازى – وزير الثقافة الأسبق – والدكتور مجدى وهبه ، ومحمد عبد الغنى حسن أعضاء لجنة الاعداد لعيد المجمع الخمسينى ؟

***

واذا كان بكاء الحمائم يهيج البكاء للعشاق والمحبين ، فان الذكريات دائما تثير الذكريات .. وهل بعد (شوقى) عن الصدق حين قال : والذكريات صدى السنين الحاكى ؟

لقد ذكرت فى مؤتمر هذا العام – ونحن مغمورون بأشجاننا العربية – ما ألقيته فى مؤتمر العام الماضى من شعر أنوه فيه بفضل اللغة العربية وما صنعته من قديم الأزمان فى توحيد القلوب ، وربط الشعوب . وأستأذن القارى الكريم أن أروى هنا بعض أبيات قصيدة المؤتمر فى العام الماضى ، ففيها من المشابهة بين حالينا فى عامين ما لايجوز اغفاله ونحن فى معرض الذكريات .. حيث قلت :

جمع الله شملنا بعد عام حافل بالأفراح والأشجان
شغلتنا الجراح فى قلب (صنعاء) وداس الجراح فى (لبنان)
اى خطب دهى العروبة حتى أصبحت لوحة بلا ألوان ؟
نصل اللون فى الورود ، وغابت رقرقات العبير فى البستان
ذهبت كل روعة للموازين وأمسحت شعرا بلا أوزان ...
لا تقولوا : أوهام شيخ يؤوس قد أقام الدعوى بلا برهان
ما بلغنا يأسنا ، ولكن نفثنا رب نفث أراح صدر العانى
لست أخشى على العروبة صدعا فهى صرح موطد البنيان
كل خلف سينتهى لوفاق كل خوف سينتهى لأمان
لا يضير النفوس ان هى شفت كل ما ثار بينها من دخان ...

واللغة العربية – أو لغة الضاد – دائما هى مدار الحديث والمناقشات والمحاضرات فى مؤتمرات مجمع اللغة العربية . فالمجمعيون دائما يدورون حولها ويطوفون بها ، وهل ننسى ما قاله الوزير عبد المنعم الصاوى فى مؤتمر سنة ١٩٧٨ خاصا بالعربية والدور العظيم الذى يقوم به مجمعنا للحفاظ على سلامتها متطورة ، تلاحق العصر ، وتستوعب كل جديد أو طريف أو مستحدث ؟

وهل ننسى ما قاله الوزير العالم الدكتور حسن اسماعيل فى مؤتمر سنة ١٩٧٩ حين خاطب المؤتمرين فى حفل الافتتاح قائلا : (أنتم أطباء اللغة تفحصون أدواءها ، وتضعون دواءها ، فاذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من علل ، أو يعتريها من ضعف ، واذا بها تنهض وافرة الصحة والسلامة والعافية

لتؤدى رسالتها الخالدة فى كل مجالات الأدب والعلم والفن) ؟

وهل يفوتنا أن نسجل هنا ما قاله الوزير المثقف منصـــور حسن فى مؤتمر عامنا هذا : (وهكذا كرم الله الأمة العـــربية بلغتها ، وكرم لغتها بأن جعلهـا لسان كتابه الكريم ، ثم كرمكم أنتم أيها الخالدون بأن جعلكم سدنة هذه الأمانة الأمناء عليها ، الحرصاء على أن تواصل أمجادها بالتعبير عن الحضـــارة فى مختلف جوانبها ، وفى تطويرها وتجددها على مدى الأزمان . فما تضيق لغتنا بمعنى وان جل ، ولا تعجز عن مسمى وان دق ، ولا تتباطأ خطاها عن مواكبـة العصر بمستحدثاته ومخترعاته)

لقد ذكرتنى هذه اللفتات اللماحة نحو اللغة العربية بما قلته فى مؤتمر العام الماضى من تصوير للغة الضاد : ـ

لغة تجمــع القلــوب على الحب … فتمضى ســـوية فى العنـــان
رزقـت دقـــة الاداء ... فادت … كل ما فى الضمير والوجـــدان
دخلت كـل مسرب للمعـــانى … ســـلكت كل مسلك للبيـــان
فهى ســـيان أن تمثـل فيهـا … آبد الوحش ، أو « صريع الغوانى »
واذا شــئت فهى طوق قيــون … واذا شــئت فهى عزف قيـــان
كـــل معنى له على القــد لفظ … فهما فى الســـواء يلتقيـــان
كل حرف يلتف حــول اخيــه … مثلما التف فى الهوى عاشقان ..
لغة يلتقى بهـــا الهمس بالجهـ … ـر ، ولطف الاسرار بالاعـــلان
ولكل مواطن ... لم تجـــاوز … ما يريـد المكـــان من امكـــان
حسـبها انهـــا تبين ، وتجلـو … ما تريد الحيـــاة من تبيـــان
تنقل الفكر فى بيـــان دقيـق … رب فكر يضـــيق بالكتمـــان

وفى المجمع لجان كثيرة ، ولعل أقربها اتصالا بمنفعة الجماهير ، واشـــاعة التيسير لجان ألفاظ الحضارة ، والألفاظ والأساليب ، ولجنة اللهجات ، وقـــد كانت حصيلتها لمؤتمر هذا العام زادا وافرا . فقد عمدت (لجنة اللهجات) الى توثيق أكثر من مائة لفظ ، يتوهم أنها عامية غير فصيحة ، ولكنها وثيقة الصلة بالفصحى ، فلا وجه لاغفالها أو الترفع عنها فى لغة الكتـــابة ولغة الكتـــاب . ولا شك أن هذه محاولة للتقريب بين الفصحى والعـــامية بعد أن باعد الزمن بينهما مباعدة طويلة .

أما « لجنة الألفاظ والأساليب » فقد فتحت باب التيسير واسعا ، وأجازت بعض ألفاظ وأساليب كان يتشدد المتشددون فى قبولها ويحكمون عليها بالخطأ لعدم ورودها فى المعاجم اللغوية ، أو لمخالفتها للمشهور من قواعد اللغة ، كألفاظ (المعلن اليه) ، و (التطويع) و (الانضباط) و « اشهار المزاد » و « تصفية المشكلات » . وكأساليب مثل : (ما هى الأسباب) و (ما هو رأيك) و (من هو مؤسس مصر الحديثة) ، وما شاع حديثا من ايقاع كلمات مواقع الظرفية المكانية ، مثل : طى ـ ضمن ـ أعلاه ـ أدناه ـ رفق هذا مذكرة ..

وقد وافق المؤتمر على هذه الالفاظ والاساليب، بعد أن أجازها مجلس المجمع بعد أن درست في لجانه .. ومن هنا لم يعد المجمع ذلك الشيخ المتزمت الجامد المخيف ، وانما أصبح وسيلة مقنعة للتيسير والتسهيل . وقد يقال ان فتح هذا الباب هو تمكين للخطأ من الانتشار واقرار له . ولكن الحق أن لجان المجمع لا تصدر في ذلك الا عن مناقشة ومحاورة وجدال طويل وروية طويلة ممعنة .

ولقد عرض على مؤتمر هذا العام كثير من الألفاظ والمصطلحات في مجال السينما والمسرح ، وهما وجهان من وجوه الحياة الاجتماعية والتسلية والتثقيف في واقعنا العربي المعاصر ، بعد ما استقر لهما من شأن في العالم الأجنبي . وقد لوحظت على اللغة التي عرفت بها مصطلحات هذين الفنين أنها لغة أدبية راقية مع التزام الدقة والفهم العميق لأصول هذين المجالين . ولا غرو ، فخبير هذين الفنين هما الأستاذ انور أحمد للمسرح ، والأستاذ أحمد كامل مرسي للسينما ، ولكل منهما في ميدانه سعي مشكور ..

***

ولقد عاد مؤتمر مجمعنا هذا العام الى نظام المحاضرات العامة في جلسات علنية مفتوحة للجماهير ، بالاضافة الى البحوث التي تلقى على الأعضاء لا غير في قاعة المجمع نفسه . ومن مآثر الزميل الدكتور سليمان حزين رئيس الجمعية الجغرافية وعضو المجمع أنه قدم قاعة المحاضرات بالجمعية للجلسات العلنية ، بل زاد الى الفضل فضلا وكرما ، فقدم مائدة حافلة بالشاي الشهي وتوابعه لعدد كبير من المدعوين والمستمعين ! وبهذا اجتمع زاد الفكر وزاد المعدة في ملتقيات الأفكار !

وكانت محاضرة الزميل الدكتور شوقي ضيف عن (لغة المسرح بين العامية والفصحى) مثارا لكثير من المناقشات والتعليقات ، واستدرت كثيرا من الاهتمام الذي يثيره باحثنا العظيم بموضوعيته ، وعمق دراسته . أما المحاضرة الأخرى عن « قضايا حول الشعر العربي » فقد تناولت فيها قضيتين لا غير : قضية الخطأ في الشعر واضطراب وزنه عند القدامى والمحدثين ، وقضية الاضطراب في نسبة الشعر في القديم والحديث الى أصحابه الأصليين ، وكانت الشواهد التي سقتها مما ارتاح له السامعون .. ولم أتعرض لقضية الشعر الجديد تفصيلا اكتفاء بما حكم به عليه نقاد ذوو بصر وبصيرة من أمثال عزيز اباظة وعباس محمود العقاد ، ومحمد بهجت الأثري ، وايثارا للسلامة والعافية !!

وكأن الله أراد أن يعوضنا هذا العام من دفء زملائنا واخواننا العرب الذين حالت الظروف دون التقائنا بهم ، فرأينا وسائل الاعلام والصحافة تضاعف الاهتمام بمؤتمرنا هذا العام . وهي مشكورة على هذا الموقف الذي يزيد ما بيننا أحكاما ووثوقا .

وهل يتصور أحد أن تفتر العلاقة بين « مجمع » حي متطور متجدد ، وبين

وسائل الاعلام ، وهو يمدها من حين الى حين بكل جديد وطريف وصحيح من المستحدثات والالفاظ والاساليب ؟ ولا أدري لماذا لم يكن للشعر مجاله الرحيب في مؤتمر هذا العام ؟ لقد أمتعنا الزميل الطبيب الدكتور حسن ابراهيم ـ العميد الأسبق لطب القاهرة ـ بقصيدة عالية في وقفة له خاشعة أمام قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما أمتعنا الزميل الفلسطيني الباحث العالم المحقق الدكتور اسحاق موسى الحسيني بأبيات ثلاثة رقيقة ارتجلها في آخر جلسات المؤتمر .

ولم يتغير المجمع عن سنته كل عام في أيام المؤتمر ، حيث يلتقي الزملاء المؤتمرون في أنشطة من الرحلات والسهرات المسارح ، وزيارة المعالم في القاهرة وخارجها ... ترويحا عن الأعضاء في خلال عملهم المتصل خلال فترة المؤتمر . وقد كانت الرحلة الى القناطر الخيرية من نصيبنا يوما كاملا اتخذنا النيل الخالد لها مسارا ممتعا . كما كانت الرحلة الى « مرسى مطروح » نصيبنا يومين آخرين وكان طريقنا الى « مطروح » طويلا مشبعا بريح عاصف مغبر .. ولكنا حمدنا السرى عند الأصيل ، فكان مشهد البحر الصافي الهادىء ولون مائه اللازوردي شيئا رائعا لا ينسى . ووجدنا في رحاب المحافظ أحد أبطال العبور ، اللواء « فؤاد نصار » كرما بالغا ، وأنسا آنسا أنسيانا مشقة الطريق ..

وهنا لم يستطع الشعر أن يتخلف عن وصف هذه الرحلة ، فقلت من وحي اللحظة الحاضرة :

ليت شعري متى تعود ليالي ... مصر روضا مخضوضرا معطارا
ان « مطروح » لا تعز طريقا ... لمحب ، ولا تشط مزارا
ذكرتنا رمالها رمل « نجد » ... فشممنا قيصومها والعرارا
ورأينا في بحرها كل معنى ... من جمال يحير الافكارا
فوقفنا من الجمال نشاوى ... وغدونا من الذهول حيارى !
قد وجدنا في بحر (مطروح) شيئا ... لم نصادفه حين خضنا البحارا
شاطئا حانيا ، وموجا رقيقا ... لا يرى صاخبا ، ولا هدارا
يأمن الطفل غدره وهو غال ... حين تلهو بنا قلوب العذارى !

ولولا قلم زميل السوري ورفيقي في الرحلة الدكتور عدنان الخطيب لما استطعت تدوين هذه الأبيات .. !!

لقد احتشد مؤتمر المجمع هذا العام بذكريات وانطباعات ، وقد اتخذت فيه قرارات وتوصيات لخدمة اللغة العربية وتيسيرها وتطويعها لتطورات العصر الحديث . وانا لنرجو أن يكون يوم مجمع اللغة العربية خيرا من أمسه ، وغده خيرا من يومه ، وأن يتحقق فيه للضاد ، ما نرجوه لها من آفاق وأمجاد ..

عن التراجم الغيرية

ماهي ؟

د. محمد أحمد العزب

— ١ —

« التراجم الغيرية » مصطلح قد تختلف حوله الآراء او تتفق ، وقد يصل به ذلك الى نوع من التحديد العلمي او الى نوع من التجميد في قاعدة ، ولكننا مع هذا المصطلح مضطرون للوصول به الى لون من الوان الانتماء :

هل هو مصطلح تاريخي بحت ؟

هل هو مصطلح ادبي صرف ؟

هل هو مزاج من التاريخية والادبية ؟

اسئلة صميمة تطرح نفسها في هذا المجال ، ولسنا نستطيع ان نمضي قبل ان نتصدى لها جميعا ، لانه من خلالها يتحدد المصطلح ، وبتحدد المصطلح تتحدد القضية ، وبتحدد القضية يتاح لخطواتنا ان تكون راشدة الى مدى موائم بعض الشيء ..

— ٢ —

هل التراجم الغيرية مصطلح تاريخي بحت ؟

ان كل التراجم — غيرية .. وذاتية .. ادبية .. وتاريخية — تتحرك في مجال تاريخي ، لان التاريخ — بما هو مساحة الوجود والفعل الماديين للذات — هو عصب كل التراجم لا يمكن ان تكون ترجمة بلا تاريخ ...

اننا نترجم للذات التاريخية — اذا صح ان يقال — بمعنى اننا نضع عيوننا منذ البدء في حركة الترجمة على الذات المترجم لها من حيث هي ذات اولا .. ثم من حيث هي ذات لها تجربتها التاريخية ثانيا .. ثم من حيث هي ذات تتحرك بتجربتها التاريخية في اطار التاريخ الموضوعي آخر الأمر !

ومن هنا فقد نستطيع أن نقول ان « التراجم الغيرية » مصطلح تاريخي اساسا ، بكل ما يحمله التاريخ من ثقل في هذا المجال ، ولكن هذه « التاريخية » ليست مطلقة بلا حدود .. فقد يتناول الفنان التاريخ فيصبح في يديه هوية نابضة بكل انفعالات اللحظة الراهنة .. اي ان التاريخ هنا لا يصبح تاريخا وحسب ، وانما يصبح تاريخا أدبيا جاشا برؤية فنانه الخالق ، وطبيعة المرحلة التي يعيشها فنانه الخالق ، ومعطيات ثقافة العصر التي يمكن ان تكون ثقافة فنانه الخالق.

التاريخ اذن هو الارضية الطبيعية لكل تحرك على مستوى التراجم الغيرية ، وهو يبقى تاريخا في يد المؤرخ ، ولكنه يستحيل الى خلق ادبي في يد الفنان المنشود لكتابة التراجم الغيرية . وقد يوجد المؤرخ الرائع الذي

يمتلك حس الخلق والفن ، فيهيج عواطف البشر وعقولهم جميعا من خلال رؤيته الثاقبة للتاريخ ، بما هو فنان الى جوار كونه مؤرخا ... ان المؤرخ البحت يتناول حياة من الحيوات ، فيعطينا عنها كل ما يمكن ان تكون قد واجهت فى حياتها من مصائر واقدار ، كل ذلك فى سياق تاريخى يوشك ان يكون احصائيا ... وربما نتعاطف نحن مع هذه الحياة وربما لا نتعاطف ، ولكن تعاطفنا اوحيدتنا يتمان على مستوى ذاتى غير خاضع لاى من الإثارات الخارجية او الغيرية .. وقد يجىء الفنان الى نفس هذه الحياة بنفس هذه المصائر ونفس هذه الأقدار ، فينفخ فيها من روحه ، ويعمق فيها الحركة ، ويؤهب كل طاقاتها لعمليتى الأخذ والعطاء ، فاذا نحن مسوقون الى التعاطف أو اللا تعاطف جميعا من خلال تجاوبنا الصميمى مع ما أثار فينا هذا الفنان من حس، وما جيش فينا من انفعال، وهذا يسلمنا بالضرورة الى تأكيد ان التاريخ هو خلفية التراجم الغيرية فى الأدب ، ولكنه ليس التراجم الأدبية على وجه اليقين .

« .. وليس المترجم بالمؤرخ ، أجل ان الرجال يخلقون التاريخ ، ولكننا لا نستطيع أن ندرس الفرد بالطريقة عينها التى ندرس بها انتاج نشاط رجال عديدين » (١)

وهكذا نستطيع ان نقول أن دراسة الحركات التاريخية غير دراسة الشخصية التاريخية ... (فان أمثل الطرق للبحث فى) حركة « الاصلاح الدينى » ليست أمثلها لدراسة شخصية « لوثر » ، ومن يترجم « للورد » ترجمة وافية قل أن يصلح لتاريخ « الثورة الانجليزية » فى ذلك العهد تاريخا وافيا ، بل انه كلما ازداد تأهيل الكاتب للعمل الأول قل تأهيله للعمل الثانى ، لأن معالجة الترجمة تختلف تمام الاختلاف عن معالجة التاريخ ، وكثرة التدريب على الترجمة لا تزيد المهارة فى كتابة التاريخ الا بمقدار ما ينفع التدريب على عزف البيانو فى اتقان العزف على الارغن(٢) .

(.. وهكذا نطمئن الى ان الترجمة على اختلاف الوانها لابد ان تقوم على اساس راسخ من الواقع التاريخى لحياة المترجم له ، راسيا ذلك الاساس على ارض صلبة من المنهج التاريخى السليم المستفيد من كل تجدد وتطور لهذا المنهج على ضوء المعرفة الانسانية لحياة الفرد والمجتمع ونواميسها (٣)

— ٢ —

هل التراجم الغيرية اذن مصطلح أدبى صرف ؟

اذا كان الواقع التاريخى — كما أسلفنا — وليس الواقع الخيالى هو محور تحرك التراجم الغيرية فى الأدب من لحظة البدء الى لحظة الختام ، فبديهى اذن أن يقال : ان التراجم الغيرية لا يمكن أن تكون مصطلحا أدبيا صرفا ، بمعنى أنها لا يمكن ان تكون خلقا فنيا متخيلا أو نابعا من حلم فنان ، والا لاستحالت على الفور الى عمل قصصى «او روائى» أو مسرحى، نابع من ممالك الخيال ومنته الى ممالك الخيال ، وما الى هذا اللون من الوان الابداع الفنى — على روعته — نقصد فى هذه الدراسة ، اننا نقصد اساسا الى التراجم الغيرية المنطلقة من واقع تاريخى بصيغة الفن ، وعلى يد الفنان.

(١) هاللوك اليس — مقال الى كتاب التراجم — من كتاب : اعلام من العصر الحديث — محمود محمود ص ٣٥٦ »
(٢) نفس المصدر السابق
(٣) امين الخولى — مالك تجارب حياة ص ٣٠

هى مادة تاريخية الذن تضير فى يد الفنان الى عمل ابداعى يطوعها لامكانية ان تصبح مصطلحا ادبيا، بماهى صائرة بالضرورة الى رؤيا فنية لخاصة لفنان خاص متعين بالذات !

وهنا تلوح قضية التفريق بين الترجمة التاريخية من جهة – اذا سلمنا « جدلا » بان هنالك تراجم تاريخية وبين الترجمة الادبية من جهة اخرى قضية صميمة بلا حدود ، مع الاعتراف الاولى بان الحس التاريخى والوقائع التاريخية جميعا هى القاسم المشترك بين هذين اللونين من الوان التراجم الغيرية .

ان جوهر الفرق بين التراجم الادبية من جهة ، والتراجم التاريخية العلمية من جهة اخرى – « انما يتجسم فى الجانب الفنى عند التعبير ، اذ يتسمح منه فى الترجمة الادبية بما لا يتسمح به كله فى الترجمة التاريخية، أما حق التاريخ فيلزم الوفاء به ، وان تفاوتت الدقة فى الترجمة التاريخية بعض الشيء عن الترجمة الأدبية» (٤)

واذا تأكد الخلاف بين هذين اللونين على هذا النحو فيبقى فى النهاية هناك ما يشبه الصلة الحميمة بينهما، لان (الترجمة الادبية – على اختلافها – تقوم على الاساس التاريخى فى عامة أمرها – على ما اسلفنا – وهو قابل لكل تجدد وتغير ، فالعمل الفنى القولى له تبع وبه متأثر .. والرقى الفنى ودقة الحساسية الوجدانية كافية وحدها لان تستشف فى الشخصية مشاعر وملامح تعرض بها تلك الشخصية عرضا ادبيا متجددا كل التجدد، مختلفا كل الاختلاف عما الف واشتهر) (٥) .

ولعلنا – فى هذا الصدد – نلاحظ ان بعض الباحثين ركز فى التفرقة بين التراجم التاريخية والتراجم الادبية على الاطار . . (فكلما كانت الترجمة فى قسميها – الذاتى والغيرى – أكثر أناقة وعناية بالثوب البلاغى الذى تلف فيه . كانت اقرب الى الأدب منها الى التاريخ ، الا أن الأسراف فى الصورة الأدبية التى يعرضها المترجم ، والمبالغة فى الفن الأدبى – والروائى الذى يضفيه المترجم على الشخصية التى يترجم لها. قد يبعده كثيرا عن الحقيقة والواقع الذى يجب ان يهدف اليه . والذى يجب الا يضيع لأعتبار يتعلق بزخرفة العبارة أكثر مما يتصل بلب الموضوع) (٦) .

ولعل البعض الاخر ركز فى هذه التفرقة على الحس الدرامى . . لان الترجمة كما يراها ، هى البحث عن الحقيقة فى حياة المترجم له من خلال الواقع الفنى أو هكذا يراد للتراجم – فى هذه المرحلة – أن تكون، فقد (ظلت السيرة حتى العصر الحديث عرضا اخباريا فى اغلب الاحيان ليس فيها وحدة البناء ولا الاحساس الكامل **بالتطور الزمنى من حيث تتبع مراحل النمو والتغيير فى الشخصية . او بمعنى آخر بقيت السيرة دون شكل عام وبدون محتوى تام ايضا . وكانت تعتبر فرعا من التاريخ العام ، ولكن الحركة الرومانتيكية فى اهتمامها الشديد بالفرد ، ركزت على المشاعر والعواطف ، ومن هنا بدا ان مجال السيرة متباعد عن مجال التاريخ ويقترب من مجال الفن ، ومع بداية القرن العشرين كانت السيرة قد اتخذت لها اطارا فنيا خالصا واصبح كاتب السيرة فنانا بعد ان كان مؤرخا، فهو يستخدم نفس ادوات كاتب القصة .. او كاتب المسرحية .**

من هنا يتضح الى حد بعيد ان التراجم التاريخية – فى عرف الدارسين – هى ما يعكس حياة المترجم

(٤) امين الخولى – مالك تجارب حياة ص ٢٩ – ٣٠ .
(٥) امين الخولى – مالك تجارب حياة – ص ٣٠
(٦) محمد عبد الغنى حسن . التراجم والسير ص ٩ .

هكسا موضوعيا وعلميا لا يتيح لصاحبه ان يقول كلمته ، ولا ان يعدل من مسار الحياة المادية لشخوصه سلبا او ايجابا وانما يقتصر دوره على صياغة تاريخ الحياة ، او قل على اقتطاع تاريخ خاص من مساحة التاريخ العام ، جاعلا همه الاول هو محاولة تتبع المسار الحيوي لبطله من لحظة المولد حتى لحظة الموت مستعينا في ذلك باستقصاء تاريخي شامل ، وببصيرة نافذة فيما يعج به هذا التاريخ من عوامل بيئية ، واقتصادية ، وسياسية ، واضعا كل القرائن الدالة ، والظواهر الشاهدة والحوادث الملموسة في كفة المترجم له، على مستوى المعية او الضدية يهم!

اما التراجم الادبية فخلق آخر ـ شكلا ، ومضمونا ـ من وجهة شكلية يستطيع الفنان ان يترجم لبطله ترجمة استقرافية او ترجمة جانبية،اوترجمة على شكل صورة قلمية او ماشاء لها ان تكون ، قصصية او روائية ، او مسرحية او حوارية ..

ومن وجهة مضمونية يستطيع الفنان ان يمارس حريته الابداعية القادرة ، ان حرية الكاتب في هذا الصدد ، ورؤيته الذاتية في هذا المجال ، واسقاطاته المستمرة من العصر وعلى العصر ، وايغاله المترفق في مسالك الخيال ، ورجعه الدائم الى التواريخ ومن التاريخ ، كل اولئك يحدد بالضرورة نوع الحرية الفنية ـ التي يمارسها الفنان ويحدد نوع المفهوم الذي يعطي للتراجم الادبية ، ويجعل من هذه التراجم ليس قسيما للتراجم التاريخية ، وانما يجعلها هي وحدها التراجم بحيث ينصرف الذهن الى « التراجم الادبية » كلما اطلق مصطلح التراجم هكذا عاريا من التحديد .

ومن لم ينصرف الذهن الى « تاريخ الحياة » كلما اطلق اي من المصطلحات التي يراد منها رصد الواقع التاريخي لذات من الذوات ، او حتى لشيء من الاشياء ، لانه اذا كان الواقع التاريخي هو مادة التراجم الادبية الاولية ،وهو بالضرورة مادة التاريخ العلمي ، فكيف نستطيع نحن ان نقول ان هناك تراجم ادبية وتراجم تاريخية ؟ ان هذا العزل اللا منطقي يوحي بان التراجم الادبية ليس لها اساس من الواقع التاريخي بماهي المقابل الاخر للتراجم التاريخية والتي هي بالضرورة اندفاع من المنطلق التاريخي وهذا غير مبرر على الاطلاق .. لان التاريخ ـ كما اسلفنا ـ هو خلفية كل من النمطين على السواء .

ان الاهدى هنا ان يقال : ان هناك تراجم ادبية من جهة،وتواريخ اشخاص او تواريخ حيوات من جهة اخرى .. بمعنى ان التراجم الادبية هي ما تبين فيه بالضرورة رؤية الكاتب وخياله وحريته واسقاطاته ـ مع شرط الحفاظ على روح الصورة العامة للمترجم له ، وتواريخ الاشخاص هي ما يبين فيها الواقع التاريخي بميلاده واحداثه ، ووقائعه مضافا الى ذلك كله حركة الكاتب في ربط الاحداث بعضها ببعض ، وتسلسل بعضها من بعض ، وانتهائها جميعا الى كل يشكل محض الحياة ، وهذا وحده هو ما يعطي كل واحد من هذه المصطلحات منطقه الطبيعي والعلمي وينأى به عن ان يكون ذائبا في غيره ، او غير قادر على التعامل مع غيره بمنطق الاستقلال الذاتي الاصيل ... وربما كان في هذا الاستطراد وفاء بما المحنا اليه مسبقا من ان مصطلح « التراجم التاريخية » غير وارد في نسق الدراسة التقييمية او هكذا ينبغي ان يكون !

---

(٢) د. ماهر حسن فهمي : السيرة تاريخ وفن ص ٧٣ .

رحلة حياة وصحافة وحرية مع

مصطفى أمين



● أجرى الحوار ●
● عاطف فرج ●

لا يهم الزمان ..

لا يهم المكان ..

عندما تجلس الى مصطفى امين ، فهو قادر ، ان يحلق بك الى آفاق بعيدة . فى ساحة زمنية قدرها نصف قرن او يزيد .. يريك من نفسه بواطن الألم . وبقاع الامل ، عوائق الاحباط ، وممرات النهوض ..

واذا كانت الصحافة هى مهنة البحث عن المتاعب ، فان المتاعب نفسها ضجت من مصطفى امين ، من كثرة ما ألقت بنفسها عليه .. فوجدته أيوب الصحافة المصرية وعملاقها فى نفس الوقت ..

واذا كان الفيلسوف الفرنسى الكبير فولتير قد قال يوماً :

« اننى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لان تبدى رايك » فقد طبق مصطفى امين على نفسه هذا القول عملا وفعلا ..

هو يقول كلمته ولا يمضى بعيدا عنها بل يقف مدافعا فى بسالة فرسان القرون الوسطى ، ونبلهم وشجاعتهم فالكلمة الحرة ـ كما يقول مصطفى أمين:

« لا تكتبها يد مرتعشة ، ولا يخطها قلم واجف .. ويد مصطفى أمين لم تكن فى يوم ما مرتعشة ، ولا كان قلمه هيابا ، مما جر عليه من البلاء ما ذاق وفاض . وعرض قلمه للتقصف مرات ومرات ..

فهو رجل جريمته فى كل مرة الحرية حمل مشعلها فأحرقت أصابعه وملابسه وكوت جسده .

وليس هذا مستغربا أن يفعله مصطفى امين أو غريبا عنه .. فلقد اهل نفسه لذلك ، ووطنها على تحمل العذاب ..

يقول :

« لقد تربيت فى بيت الأمة ، فى

كنف سعد زغلول ، زعيم الوطنية المصرية ، وقائد ثورة ١٩ ، فلقد كان خال والدتي ، على يديه تعلمت معنى الحرية ، عرفت قدسيتها وتقديسها ..

لقد ولدت في جيل لا يعرف معنى الخوف ، جيل أنجب العمالقة طه حسين العقاد ، المازني ، لطفى السيد ، حسين هيكل ، وغيرهم وغيرهم من فطاحل مصر

هذا الشيخ الذى بلغ الستين ـ يقصد سعد زغلول ـ لم يخش الموت بل اندفع لملاقاته بكل عزم واصرار ، وطالب باستقلال مصر عن أكبر دولة في ذلك الوقت بريطانيا العظمى ..

فكان جزاؤه النفى خارج البلاد .. هو الذى علمنى معنى ان أكون حرا ، وان أقول الكلمة الحرة في أى وقت ..

فلقد كان بيت الأمة ملتقى الأفكار ، وقبلة السياسيين ، حيث المناقشات الدائمة والحوادث المستمرة .. »

● عصرين .. ام ثلاثة .. عصور ●

امتدت تجربة مصطفى أمين كصحفى .. وهو يصر على هذه الصفة ويفضلها عن غيرها من الألقاب .. وكانت خلال مرحلتين : ما قبل الثورة ، وما بعد الثورة ..

يقول: « هى ثلاثة عصور ، وليست عصرين او مرحلتين .. العصر الملكى ، وعصر عبد الناصر ، وعصر السادات .. في مرحلة ما قبل الثورة ، كانت الاحزاب السياسية موجودة ، ولكل حزب سياسى جريدته المعبرة عنه .

« وكنا نكتب بكامل ارادتنا ، نقول رأينا بصراحة ، ونعبر عنه بوضوح ..

هاجمت الوصى على العرش الامير محمد على ، واتهمته بالغفلة والسفه ، وحكم على بالسجن مدة ستة شهور مع ايقاف التنفيذ ..

كذلك قدمت للمحاكمة ٢٦ مرة خلال سنة واحدة ، أى « بمعدل مرة كل ١٥ يوما » . وفى كل مرة كانت تبرئنى ساحة القضاء ..

وكانت اقصى عقوبة هى غلق المجلة اداريا ، فى ذلك الوقت ، كنت لا اسمح



الاهتمام بالموضوع لا بالعنوان

بأن تشطب لى كلمة واحدة في مقال واذا حدث كنت أعتبره اعتداء صارخا على الحريات ، لأن الحرية من المقدسات المصونة ، يجب الا تمس .. »

« النحاس نفسه وقد كان رئيسا للوزارة سمح لنا أن ننتقده بعد أن تولى بنفسه مهمة الرقيب التى فشل فيها كل من أرسلهم لأنه كان يؤمن بحق المعارضة فى أن تقول كلمتها .. »

● قصتى معه .. ●

« أما في مرحلة ما بعد الثورة ، وفى عهد عبد الناصر ، فقد كان لا يكتفى بشطب المقالة كاملة ، بل يفعل ما هو أكثر من ذلك . القاء كاتبها فى السجن ! ..

واذا كانت كل مشكلتنا فى عهد ما قبل الثورة ، أننا كنا نطالب بمزيد من الحريات للصحافة ، فاننا فى ذلك العهد فقدنا أبسط ما كان فى أيدينا منها !

● ٩ سنوات فى السجن ●

من المعروف ان مصطفى امين تغنى ٩ سنوات فى السجن ، الى أن أفرج عنه الرئيس السادات .. فسألته عن حقيقة

التهمة التى وجهت اليه ـ قال :

« اذا كنت تريد « نبش » الماضى ، فليكن .. فى سنة ١٩٥٦ ، القت احدى الطائرات المعادية منشورات ، كان مكتوبا فيها وكانها على لسان المصريين ..

ـ كان مصطفى امين يعد على اصابعه : ـ

« نريد حرية .. »

« نريد ديمقراطية .. »

« نريد تشكيل وزارة » من اسماء .. معينة .. »

فاتهم ان معظم اصحاب هذه الاسماء قد مالوا ، لكن هذا ما جاء فى المنشور ،

وكتبت انا حقيقة هذا المنشور فى الأخبار ، وفى سنة ١٩٦٥ جاءنى صحفى امريكى ، وطلب منى حديثا ،عن الصحافة سجلت له فى الشريط ما جاء فى هذا المنشور ، كحكاية عادية ..

لكن الأمور لم تقف عند هذا الحد بل تصاعدت دراميا كما يقولون لتصبت المخابرات ـ وقتذاك ـ الشريط المسجل ، واكتفت بما جاء فيه من البنود الثلاثة ، وقدمته لعبد الناصر .

« وقدمت أنا للمحاكمة ، وفى المحكمة اردت أن اقدم لهم ما نشرته فى مقال من قبل حول حقيقة هذا المنشور .. وارسلت سكرتيرتى لاحضار المقال لكن للأسف كانت سخريات القدر مسيطرة ، ففصلوها من العمل ..

ويضحك مصطفى أمين وهو يحكى هذه الواقعة .. والقى بى فى السجن ،

● تليفزيون .. وثلاجة ●

يسالنى مصطفى أمين ، هل تعرف ، ان فى السجن تليفزيون وثلاجة ، قلت له لم اسمع بذلك .. ـ قال :

« التليفزيون هذه الأيام اراد ان يصور الزنزانة التى كنت ملقى فيها ، ولم يكن بجوارى غير دلو اغسل وجهى فيه واستعمله بقية اليوم كدورة مياه ... وانام على الأسفلت .. تصور يريدون .. لكى تظهر الصورة جميلة ،أن يضعوا فى الزنزانة تليفزيونا وثلاجة وسريرا ، وجاءوا يطلبون رأيى فى ذلك ... أليست هذه من المفارقات الدامية !؟ »

***

قلت : وماذا عن العصر الثالث ، عصر السادات ..

قال : اننى اعتبره عصر العبور ، والديمقراطية الحقة ،فلقد عادت الأحزاب السياسية ، وأصبح من الممكن أن تعبر عن رأيك ..

فلقد كتبت فى مقالى السياسى ، عندما كان السادات يستقبل شاه ايران فى اسوان ـ عن أخطاء الشاه العشرة ..

« وقبل ذلك .. كتبت عن ثورة ايران ، وانها سوف تنجح ، فى الوقت الذى كان لا يزال فيه الشاه على قمة السلطة .. ولم يغضب احد .. »

وكان فى ذهنى سؤال .. قبل ان اطرحه .. اكمل مصطفى أمين حديثه .. :

« .. فى احدى المرات ، وفى اجتماع مع رؤساء التحرير ، قال السادات انه عاتب على الصحافة لانها تكتب .. عن السلبيات دون الايجابيات ، تتكلم عن مشاكل الصابون ، وكانها مشكلة ازلية ..

وقلت .. وقلت اننى اشكر الرئيس السادات .. فعندما يعاتب الصحافة ، فهو يقدرها .. لأن العتاب دائما يكون بين صديق وصديق .. واذا كان يعاتبنا فمن حقنا ان ننتقد الحكومة ..

● لو لم اكن .. ●

كتب مصطفى أمين العديد من القصص والروايات ، فهل يعتبر نفسه صحفيا أم أديبا .. يقول :

« لو لم اكن صحافيا لوددت ان اكون كذلك .. » كلمات على نمط كلمات الزعيم مصطفى كامل .. فقلت له : لماذا !؟ ..

قال : كنت جالسا مع الزعيم سعد زغلول ، وجاء عبد القادر حمزة صاحب

جريدة البلاغ ، وعبد الخالق ثروت وزير الخارجية ورئيس وزراء سابقا فاستقبل عبد القادر حمزة أولا .. ثم استقبل عبد الخالق ثروت بعد ذلك .. وعندما سألته — سعد زغلول — عن ذلك ، قال :

ان عبد القادر حمزة صاحب جلالة . أما ثروت فمن أصحاب المعالى .

و « صاحب الجلالة » أسبق من صاحب المعالى ! .. وضحك مصطفى أمين ، وهو يكمل :

لهذا الحد كان سعد زغلول يقدس الصحافة ويحترمها ويجلها ..

قلت للاستاذ مصطفى أمين .. اتهمك خصومك بأنك أصدرت الأخبار للدفاع عن القصر ..

قال : هذه اشاعة أطلقها المغرضون فلقد هاجمت القصر وكانت صحف الأخبار صاحبة أكبر نصيب بما شنته على الملك من تسببه فى صفقة الاسلحة الفاسدة ..

أيضا ، عندما جاءت الثورة ، وفتحت كشوف الأرقام السرية التى كان يدفع منها لرؤساء التحرير وللجرائد الأخرى .. لم يكن فيها أو بينها نصيبا للأخبار .. ولرئيس تحريرها ، ولو مليما واحدا

قلت له : لكن على ما أذكر أنك دافعت عن الملك ..

قال : حدث عندما وقف هو — يقصد الملك — فى وجه الانجليز .. فكان لابد ان أعضد هذا الاتجاه ، لاننا كلنا كنا نرمى ونهدف الى اخراج الانجليز من البلد ..

قلت له : ما أحب اعمالك الى نفسك؟

قال : اصدار اخبار اليوم ، ومن الاعمال الادبية قصة « لا » لانها كانت بمثابة منشورات أدفع بها خارج السجن ..

قلت له : بماذا خرجت من حياتك الصحفية ؟

قال : تقديس العمل واحترامه ، وأن تقول الصحافة فى الحق للحاكم لا ..

● كتابات اليسار ●

مصطفى أمين يؤمن بصراع الافكار الفكرة تدحضها فكرة ثانية حتى تظهر فكرة ثالثة — فقلت له بعد ذلك ..

لماذا لا يسمح بكتابات اليسار فى الأخبار ؟

قال : أنا اؤمن بأن يكون للشيوعيين حزب وأن يعملوا فى وضح النهار ،وأن تكون لهم جرائدهم التى تعبر عن أفكارهم واتجاهاتهم .. ولان الاخبار واسعة الانتشار ، فأنا لا أفضل أن يحتقروا بكتاباتهم فيها هذا الانتشار الواسع .

● مدرسة الاثارة ●

من المعروف أن مصطفى أمين صاحب مدرسة متميزة فى الصحافة ، هى مدرسة الاثارة الصحفية — قلت له :

هل صحيح أن مدرسة الاثارة الصحفية لاتكتب مثلا عن : « الانسان عضه الكلب» ولكن .. تكتب مثلا : « الكلب عض الانسان » .

قال ، وهو يرجع بمقعده الى الخلف

« لا .. مدرسة الاثارة التى تبنيتها تقوم على الاهتمام بالموضوع ،لابالعنوان .. خذ مثلا :

تعيين وزير انجليزى فى الوزارة الانجليزية يهم الشعب البريطانى أم الشعب المصرى .. ؟

قلت له : الشعب البريطانى ..

اذن محل هذا الموضوع الصفحات الداخلية للجريدة .

أما ارتفاع سعر سلعة ما — ضرب مصطفى أمين المثل على الفاصوليا — فانه يهم الشعب المصرى ، لذا فان محل هذا الخبر الصفحة الأولى من الجريدة .

وهذا ما استحدثناه فى اخبار اليوم . بعد أن كان يحدث العكس ، وحذت حذونا كل الجرائد المصرية بعد ذلك .

وبعد ، فان مصطفى أمين لا يرد صحفيا عن بابه ، فليس على بابه « لمبة » حمراء ، وهو دائما يرحب ، ويشجع .

وفى النهاية يقف مودعا ، وكان بينكما صداقة عمرها عمر الرجل نفسه .. مصطفى أمين . ●

الثقافة والتربية بين الدين والعلمانية

● د . محمد كمال جعفر ●

● يلاحظ المؤرخون للثقافة والحضارة والتربية انه كلما برزت عوامل الفزع من اية ازمة معاصرة لجيل ما ، حن الجميع الى العودة الى حظيرة الدين . وفى الماضى القريب على وجه الخصوص ، لوحظ الاهتمام البالغ بالدين بالنسبة لعلاقته بالتربية العامة ، لفقدان الثقة فى الحضارة والتربية المادية التى تبالغ فى تحسين وتطوير التكنولوجيا على حساب القيم والمثل الروحية .

واذكر انه فى مؤتمر «البيت الابيض» الامريكى عن الاطفال فى ظل الديمقراطية فى الاربعينات اجمع اعضاء المؤتمر على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم على ان الضعف الموجود فى الثقافة والتربية انما يتمثل فى مواطن القيم والمثل والبواعث ، وأن التربية يجب أن تعنى عناية كافية بالدين . وقد توج ذلك قول رئيس الولايات المتحدة آنذاك بالنسبة للاطفال « نحن نهتم بهؤلاء الاطفال الذين يوجدون خارج نطاق التأثيرات الدينية ، الذين حرموا اية مساعدة فى الحصول على الايمان بعالم منظم هادف ، والايمان برب راع مدبر »

لقد بلغ أعضاء هذا المؤتمر الذى عقد فى ١٩٤٠ ، ١٩٤١ أكثر من ستمائة عضو منهم الدكاترة ، وعلماء النفس ، ورجال التربية ، وعلماء الاجتماع ، والقضاة والمشرعون ، والوزراء ، ورجال الدين . وغيرهم .. ومن أهم ما ورد فى هذا التقرير : « يجب أن تتخلل الخطوات العملية لجعل مصادر الثروة الدينية فى متناول الطفل والشاب من خلال ثقافته التربوية كعامل مهم فى دعم الطريقة الديمقراطية فى الحياة ، وفى تطوير الشخصية والحفاظ على وحدة وتماسك الأمة » .

● السؤال الخطير ●

وقد اتفق كثير من العلماء ورجال الدين — على السواء — على أن البلاء الحاضر والأزمة الحالية مردها الى

الاعتداء والتمرد على القيم الانسانية والروحية ، كما اتفقوا على الا امل فى الوصول الى عالم يسوده الأمن والاستقرار والعدل الا اذا تغير قلب المجتمع وطهرت نفسه ، وبرئت نياته من وسائل الظلم والانغلاق ..

لكن السؤال الخطير الذى يفرض نفسه فى هذا المقام هو كيف السبيل الى تحقيق هذا الهدف من التغيير والتطهير والاصلاح الشامل ؟

والجواب فى نظرنا لا يخرج عما انتهى اليه المؤتمر المشار اليه ، وعما انتهت اليه اللجنة التى كلفها الرئيس الامريكى السابق هوفر ـ وهو اعداد زاد ثقافى ونظام تربوى تتساوى فيه القيم الدينية والروحية مع كافة المواقف وأوجه النشاط فى الحياة . وذلك يتأسس على نقطتين احداهما تنطق بطبيعة الدين وعلاقته الوظيفية بالخبرة والتجربة ، والأخرى تتعلق بطبيعة وغايات التربية ..

وسنعنى فى هذا المقال بالنظرة الصحيحة التى ينبغى أن نتبناها ونرعاها بالنسبة للدين . ان كنا حقا نود أن ننتفع بمحصلاته وأن نسعد بثمراته .

اننا نرى ان الدين لا يظهر على حقيقته الطبيعية الا عندما تنتشر قيم محددة عقلية أو اقتصادية او اجتماعية او فنية او أخلاقية ترتفع فى جلالها وسموها الى الدرجة التى تمنح الحياة معنى وقيمة من حيث علاقتها المسئولة بالله جل جلاله .

كما نرى ان الرجل يكون متدينا بقدر ما يفسر الأشياء ويحكم عليها وعلى أنماط السلوك ، وبقدر ما ينفذ اعماله فى ضوء المركز الحيوى للقيم النابعة من الاحساس بالمسئولية امام الله سبحانه .

ويكون الرجل غير متدين بقدر ما يجرى وراء أى اهتمام خاص أو أنانى دون رجوع الى هذه القيم ، وربما من خلال تحطيمها والتمرد عليها .

ولذا نرى . أن الدين يفقد معناه الحقيقى ، وخاصيته الأساسية ، عندما يترك مركزه كمنظم للتجربة الانسانية ليصبح مجرد نشاط ذهنى على هامش الحياة ، بحيث ينكمش الى مجرد معرض للتشريعات أو النظريات أو مجموعة من الشعائر تجعله مجرد حقل آخر من حقول التخصص الذى ينقلب بدوره ـ كتخصص فقط ـ الى غاية فى ذاته .

ان الدين الحق الذى يمكنه الاسهام ايجابيا فى بناء الانسان الجديد من خلال التربية والثقافة ، هو الدين الذى ترتبط وظيفته وفاعليته بتجربة البالغين الذين يواجهون مشاكلهم اليومية فى عالم حقيقى معاصر ،بحيث تكون هذه المواجهة مواجهة حيوية مستضيئة بالقيم الروحية المكتسبة .

ولكى نقدر الدور الذى يمكن ان يؤديه الدين فى اعادة بناء الانسان ، والكسب الذى يمكن ان تحوزه الأمة ، فلابد من ان ندرك أن للدين وظيفة مزدوجة على جانب خطير من الاهمية : فهو ـ من ناحية ـ يوحد التجربة الفردية والاجتماعية من خلال تنظيم قيمه الفعالة لشتى مجالات النشاط ،وجعلها موزونة بميزان دقيق من هذه القيم الأصيلة ، ومن ناحية أخرى فهو يسلط عينا من النقد الايجابى على كل اهتمام أو نشاط ليضمن سلامة بنائه ووفائه بالمقومات الدينية الأصيلة .

فالوظيفة الاولى توحيدية تنسيقية تركيبية تحقق تماسك الأفراد والمجتمع، والأخرى انتقائية أو نقدية تسهم فى اصلاح صياغة أوجه النشاط على الوجه الذى يدعو اليه .

ومن هنا يختلف الدين عن الفلسفة ، حيث تهتم الأخيرة بالقيم من حيث كونها افكارا أو مثلا مجردة ، على حين يهتم بها الدين من حيث فاعليتها وحيويتها العملية الواقعية .

وقد يندفع بعض العجلين الداعين الى

العلمانية الصرفة فيقولون ولم لا نجعل ثقافتنا ونظمنا التربوية محددة الأطراف بالاطار العلماني الذي يكفل لنا التقدم التكنولوجي والسيطرة على ازمة الحياة المادية ، ففي ذلك الغناء كل الغناء ؟

وعلى هؤلاء وأمثالهم تتوالى ردود أهل الثقافة والتربية والحضارة العلمانية انفسهم الذين لاحظوا وجود الفراغ والنقص المشين في هذه الأنماط نتيجة لطبيعة هذه العلمانية ذاتها .

ان الثقافة الدنيوية البحتة ، والاتجاه الى العلمانية الصرفة يجعل الحياة مقطعة الأوصال ، متدابرة الميادين ، مختلة الانتظام ، بحيث يقصد الانسان كل ميدان وكل نشاط على حدة باعتباره غاية في ذاته ، ومن هنا يزول الاحساس بالحياة ككل منسجم ، وتمحي النظرة الشاملة للوجود ، وتنحط النظرة الانسانية التي ستحكمها الانانية والرغبة والحرص والتعصب ، وبالتالي لا يمكن ان يتحقق الأمن او السلام او الاستقرار .

ويمكن تقريب ذلك بهذا المثال المحسوس المستمد من عالم الفن : ان الرسام الذي تتعدد الألوان في لوحته لو انصرف اهتمامه الى لون واحد من هذه الألوان - دون تقدير لتناسبه مع سائر الألوان - لا يلبث أن يخرج بلوحته معانية هذا الشذوذ او عدم الانسجام بين الألوان ، وبذلك تفقد وزنها الجمالي .

ويخطيء هؤلاء الذين يظنون ان مصادر التوحيد والتنسيق والتماسك يمكن ان تتلمس في الفلسفة او الفن او العلاقة المتبادلة بين المسارات الطبيعية كما كشف عنها العلم ، فانه وان كان من الصحيح ان بعض عوامل التجمع والتوحيد يمكن ان توجد في هذه الميادين ، الا ان قيمة الحياة ذاتها باعتبارها هبة ممن سيسالنا عن كيفية أدائها - هذه القيمة لا يمكن أن نزرعها في أعماقنا هذه الميادين ، ومعان الاحساس العميق بهذه القيمة يعتبر الركيزة الحقيقية لضمان صلاح الانسان وايجابيته الهادفة الواثقة البصيرة .

● ثراء التجربة الدينية وفاعليتها ●

من أجل ذلك نرى لزاما علينا ان ننقد هذا النمط الكمي من التربية الذي يعنى بنقل أكداس من المعرفة عن التقاليد العظيمة التي تشكل معظم المواد المقدمة في المدارس والجامعات .

ان هذا النوع من التربية يحقق الجانب السلبي ، وقد ينمي المقدرة على الحفظ والاستيعاب بالنسبة للشاب ، غير ان نظرته الى الماضي وتأكيده على السوابق يوجه انظار المتعلمين من الأجيال القادمة في المجتمع الى الماضي بالالحاح عليه بدلا من النظر الى المستقبل من حيث الامكانيات او الاحتمالات البديلة للتجربة الجارية

فهذا النوع من التربية يشد الانسان الى الماضي ويدير ظهره الى الحاضر والمستقبل . وهذا من الخطورة بمكان ، لان تجاهل الحاضر والمستقبل - وهما في الحقيقة لحظات صنع التاريخ - يفقد الانسان قيمته الحقيقية في عصره وفي حياته كلها .

لهذا نرى أن تكون نقطة الانطلاق لتربيتنا وثقافتنا الحاضرة من المشكلات والموضوعات الحية في المواقف الخاصة المحددة التي نجد فيها انفسنا ، وليس من قواعد المنطق المستمد من المادة العلمية او الفلسفية او الفنية . صحيح اننا في معالجة هذه المواقف نلجأ الى المدخر من تجربة الماضي ، ولكن هذه التجربة تكتسب معنى

جديدا واهمية طريفة من حيث عونها على اضاءة وتوجيه التربية الحاضرة ، وهـذا ما يدل عـلى ثراء التجـربة الدينية من حيث اسهامها الفعال فى منح النظرة الشاملة والسامية الى الكون ، تلك النظرة التى تشـكل الاطار العام الذى يرجع اليه كلما لزم الامر .

انه بغير هذه النظرة المتماسكة السامية ، وبغير هذه الرؤية المنتظمة للحقيقة ، يستحيل على الناضجين من الشباب والكبار بناء فلسفة كاملة للحياة ، او تحصيل احساس دائم بقيمتها وجدارتها بالمواصلة والاستمرار

ان نفس الانسان تذهب حسرات على كونها حملا مضاعا فى عالم ذرى آلى تتقاذفه القوى اللاعقلية حينا ، واللا اخلاقية احيانا ، وبذلك ينجرف الانسان فى تيار من الحوادث والمواقف المبتورة التى يضيع فيها معنى الحياة

ان الحياة الانسانية تنكمش وتنحسر ساحتها لتبدو ضربا من الاغراض المرضية ذات النسب المختلفة اذا حبست فى تصور لكون بارد غير مكترث من الآلية المطلقة .

والدين وحده هو الذى يعطى النفس الانسانية نمطا عقليا واخلاقيا يرتبط ارتباطا وثيقا بابداع ورعاية القيم الخالدة التى تحفظ على الحياة معناها وقيمتها ، ومن ثم يدفع الانسان الى المشاركة البناءة ، لما يرى من مبررات وحوافز تشجعه فى هذا السبيل .

● ارض مشتركة لجميع البشر ●

ان العقلية الدينية المتفتحة التى ترى هذا الكون ثمرة لابداع الخالق ، تدرك فى نفس الوقت أن هناك هدفا متوخيا من هذا الخلق ، وغاية جليلة من ابرازه الى الوجود ، وهذا الهدف وتلك الغاية مما يمكن للعقل ان يدركه ، وللاخلاق ان ترعاها وتستجيب له ، لان هذه الاستجابة هى فى الواقع استجابة للنداء الالهي وللغاية الالهية ، وبذلك يكتسب جهاد الانسان وبلاؤه فى دفع عجلة الحياة وتطويرها معنى كريما وشرفا عظيما مستمدا من جلال وشرف الخالق ـ جل شانه .

ان ادق واجل نقطة فى الدين ونظامه التربوى هى التركيز على قيمة الفرد الانسانى داخل الجماعة ، ولذا يقف الدين بالمرصاد لكل نظام ينال من كرامة هذا الانسان ، او يعرض كرامته وعزته للخطر . ومن المهم ان ندرك ان تاكيد الدين لقيمة الفرد الآدمى ليس تاكيدا يدعو الى عزلة الفرد عن بنى جنسه ، بل انه تاكيد نوعى يسرى على كل فرد بمقدار ما يسهم مع اخوته فى صنع وفى تقدم الحياة ، وهذا ما يميز النظرة الدينية الحكيمة التى لا تميع شخصية الفرد فى المجموع ، ولا تؤلهها لتعلى على هذا المجموع .

وهذا الموقف الفريد للنظرة الدينية هو الذى جعل الدين يشرع للانسان ضرورة مراجعة نفسه بين آونة واخرى ليرى ما اذا كان قد جار عليها أو على بنى جنسه . فان كان قد وقع منه ذلك فعليه ان يحاول تعديل سلوكه وتكرار محاولته لاحداث التوازن الدقيق بين مطالبه ورغائبه ، وبين القيم التى أعلنها الدين كأرض مشتركة لجميع البشر . فأبواب التوبة والاستغفار ، ومحاولة الاصلاح ، والكفارات والنذور والقرابين لم تفتح الا لاستدامة اصلاح الانسان لنفسه ، والوصول بها الى الكمال الذى يكفل جمال الحياة وثراءها وأحقيتها بالرعاية والحماية والاستمرار .

ان التربية الدينية تدرك جيدا

صعوبة المواقف ووعورة المسالك التى سيتعرض لها الانسان ، ولذا لا يغفل الدين عن امداده فى صميم معترك الحياة ، وتشابك الاحداث وصخبها بما يرد اليه عقله ، والاحساس بذاته ، والتذكر للغاية النبيلة الخالدة التى تنتهى الى الله جل جلاله .

فكان الدين يمد الانسان بالشىء الثابت فى غضون وصميم المتغير ، وبالباقى فى اثناء الحائل الفانى ، وبالهادىء المكين فى معترك الصاخب المتزعزع ، ومن هنا كان الغذاء والتربية الدينية المادة الوحيدة التى تكفل ثبات النفس الانسانية واستقرارها ، وامنها وطمانينتها ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

ومن هنا ايضا كانت اماكن العبادة — وهى بيوت الله اصلا — ساحات امن واستقرار وسكينة وهدوء للناس ما صحت نفوسهم ولعل هذا هو ما يشير اليه القرآن الكريم بقوله « ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا » فهو بيت وضع للناس ولصالحهم وأمنهم وهدوئهم وراحتهم ، ولم يقل القرآن « وضع لله » .

ولعله — وهو الكتاب الخاتم — اراد أن يلفت نظر الناس بأنهم موضع رعاية الله ومناط عنايته ، ولم تكن النبوات والديانات المتعددة الا برهانا ملحا ومجددا على هذه الرعاية ،وتلك العناية

● الثمرة الفريدة والجليلة ●

ومن هنا كذلك يمكننا أن ندرك أن الرجل المتدين — أى الذى يحيا قيم دينه ، ويعايش مبادئه ، ويلتزم بآدابه ويتوخى وصاياه — هذا المتدين — يحس فى اعماقه بانه ينتمى الى مجموعة عزيزة ، ومجتمع نفيس متماسك يشاركه توترات الحياة ووعثائها ، مما يقوى عزيمته ، ويضاعف ثقته فى محاولاته لتكميل نفسه ، فاذا نجح ، تضاعفت ثقته ، وازداد تفاؤله وصفت حياته ، وان فشل ، لم يقتله اليأس الذى يقتل هؤلاء الذين يحسون بالغربة والانسلاخ والضياع عند زوال مابه تعلقوا ، لأن ما تعلقوا به لم يمدد بسبب الى السماء .

ان رعاية الفرد فى ظل المجتمع ، ورعاية المجتمع الذى يحمى الفرد ويقدره هى الثمرة الفريدة والجليلة التى يجنيها الانسان من النظرة الدينية للتربية والثقافة ، لانها نظرة اجتماعية تكرم الفرد الى أبعد مدى يمكن أن تصل اليه القرائح البشرية والنظم الوضعية .

والدليل الحاسم على ذلك انه لا يوجد فى النظم الوضعية والتشريعات الانسانية ما يكفل وحدة الفرد النفسية او تماسكه وما يهيىء له تمركز مجالات نشاطه واهتمامه حول قيمة ثابته تتجاوز الحدود الارضية ، لكى تشمل سائر البشر ، فهى اما تشريعات تحابى الفرد فى بعض المواضع ، لتحرمه فى مواضع اخرى ، أو تحابى المجتمع فى كثير من الاحوال على حساب الفرد لدرجة تفقد الفرد وحدة نفسه واحساسه بقيمته .

وفى ضوء ما سلف لا يسعنا الا أن ندعو الى ثقافة متسجمة العناصر ، متكاملة الأطراف ، بحيث تصلح غذاء لصيانة وحدة الفرد وتماسك قواه ، ولابد أن ترعاها تربية موحدة ،وموحدة لا ينقصها عنصر من عناصر بناء أو رعاية الشخصية الانسانية على أساس ينتهى الى القيم الثابتة الأصيلة التى يجود بها الدين .

● الدوافع الحيوية القيمة ●

لكن يجب أن يكون واضحا أن هذا اللون من التربية لا يفرض بالقهر او

القسر أو الاقتصار على الشرح والتفسير والمحاورات والمناقشات العقلية المجردة، وانما يتم بصورة أكمل وأروع عن طريق تمكين القيم الدينية من أداء دورها من داخل الفرد والمجتمع ، وذلك بأسلوب القدوة والريادة الموضحة للفكر وللوجدان وللسلوك .

ان الدين يمتلك نبعا ثرا للوسائل والأساليب التي تجعل القيم امرا واضحا لسائر المستويات العقلية ، في الوقت الذي يفشل اي نظام عقلي في تحقيق ذلك ، لان هذا النظام العقلي . ان أرضى قوما تتلاءم عقليتهم معه ، فانه لن يرضى سائر القوم الذين يهبطون عقليا دونه ، او يرتفعون ذهنيا فوقه ، اما الدين ففيه ما يصلح نقاط انطلاق للممتازين عقليا وما يشبع مجال المتوسطين ، وما يغمر سائر من دونهم ، لانه لا يقصد الى العقل وحده ، وانما يسلك الى الوجدان ، والى مناط النزوع والارادة والسلوك كل سبيل ، فهو يشبع سائر الكفايات والطاقات الانسانية ، ويعين في الوقت نفسه على تحقيق وحدة الفرد ، ووحدة المجتمع ، ووحدة الثقافة ووحدة التربية .

● شابك الأهواء والمطامع ●

لقد خدع كثير من المربين والمثقفين حين ظنوا أنهم يستطيعون حمل الناس على ما ينبغي ان يعقل عن طريق الحوافز الخارجية المادية سواء كانت مكافآت او عقوبات كالضغط والقهر الاجتماعي كأمور تدفع الى التعلم والتعليم والحقيقة أنهم بهذا عكسوا الوضع الصحيح حيث جعلوا التعلم والتثقيف وسيلة من وسائل الكسب المادي أو اتقاء عواقب الضغوط ، وبهذا فقدت التربية وفقدت الثقافة مصدرها الحقيقي للابداع والفعالية والانبثاق من داخل النفس الانسانية . فان مثل هذه الانجازات لا توجد الا في التربية الدينية والثقافية الدينية .

ان الثقافة والتربية التي تخلو من عنصر الدين تحمل بحكم طبيعتها عوامل التفسخ والانفصال بين التعلم والهدف او الغاية ، على حين تكون الثقافة التي تتضمن القيم والمبادىء والمثل الدينية التي يمكن الاستعانة بها في مواقف الحياة – تكون هذه الثقافة وهذه التربية .. حاملة في جوهرها البذور التي تنبت بذاتها دوافعها الداخلية الحيوية القيمة .

وربما كان العيب الخطير الذي تشكو منه النظم الوضعية في التربية والثقافة هو نقص هذا العنصر . وهذا النقص هو المسئول عما يعانيه العصر الحاضر من توتر وقلق وتوزع أغراض ، وتشابك أهواء ومطامع لا يقر لها قرار ، ولا يهدأ في ظلها فرد أو مجتمع .

وربما كان هذا هو السبب الذي من أجله تبدو الشيوعية مولعة باثارة القلاقل والصراعات ، ولا يرضيها أن يعيش مجتمع ما آمنا في ظل رعاية القيم والمبادىء السماوية الثابتة. والشيوعية تخلط بين مفهوم الثبات للقيم ،ومفهوم الجحود الذي يصاب به مجتمع معين . بدعوى ان جحود هذا المجتمع او ذاك انما هو لاتباعه هذه القيم الثابتة ، والواقع ان جحود هذا المجتمع راجع الى أن هذه القيم الثابتة لا توجد في سلوك افراده ، وانما قنع بالتشدق بالمثل والتباهي بها دون أن يدخلها في بناء كيانه الفعل الواقعي . ودون أن ينتفع بمحصلات الدفع لتطور الحياة والانتفاع بها من منطلق الامر الالهي بتسخير كل ما وقع عليه بصر الانسان للانسان . ●●

الحب الخالد

● د . مختار الوكيل ●

الحب حي خالد لا يموتْ ..
الحب وحي من إله السماءْ
الحب عمري ، وهو ري وقوت ..
من دونه تغدو حياتي هباءْ
دُمْ شامخا ياحب فوق المِحَنْ
حتى وأدرجَ جسمي الكفنْ
عشتُ مع الحُسن حليف السرور
عِشتُ زمانا هو رُوح الزمان
لا تنكروا عِشقي ابتسام الثغورْ
ولا افتتاني بالعُيون الحِسَان
أنفقت عمري ناعما بالمِنَن :
ماء ، وبُستان ، ووجه حَسَن !
يا مُسعداتي بالهوى الخالِد
أنتنْ سَلْوى الزمن الجاحِد
لقد تركت المال
وعشتُ عيشَ الشاعرِ الزاهد
إلاَّ من الحبِّ ، فكان الثمَن
لعاشق لم يَدْرِ قط الحزن
أعيشُ للحبِّ وللذكريات
أعيش تياها بماض وآتْ
إنْ كنت تهوى أنت جمْع الفتات
فإنني أُولعت بالفاتنات
في غربتي ، أو في ربوعِ الوطنْ
وجدتُ فيهن لقلبي السكَنْ !

آدم يجد نفسه ..!



● عبد العليم القباني ●

آدم عاشَ في رحَاب الجنّه ... دمية .. في ظِلالها مستكنّه
فهْو لا يعرفُ الحياةَ ـ وإن عاشَ ـ ... كمَا تجهل الحيَاةَ الأجنّهْ
ليله ، لا يحسّه .. وضحا ... موغِلٍ في الجفافِ ضحلُ المظنّهْ
وإذا كانت الحياةُ سكونا ... كان وأدُ الحياةِ فضلا ومِنّهْ
لا يحس الوجودُ إلا ضجيجا ... إنّه النور في حَواشي الدجنّهْ
ومشَى آدم .. يفتّش فيها ... في دُروب الملائِك المطمئنّهْ
عن فحيح الكيَان ، عن لفحة الشوق ... وعن صرخة الحنين المرنّهْ
وعجيب تفتّوسنا : تحسّب الراحة ... عبثا .. وتحسِب السعيَ مِنّهْ
وإذا بالسّبات غلّف عينيهِ ... وبعضُ السّبات أمن وجنّهْ
واستراحتْ هواجسُ النفْس فيه ... كل إحساسه الكئيب تسنّهْ (١)
ثم رنّت في مسمعيهِ الأغاني ... نغمة إثرَ بحّة إثر غنّهْ
وتهادى الصّباحُ مؤتلقَ الحُسن ... بهيجَ الشّعاعِ سمحَ الأعنّهْ
أقبلي يا مواكب الحبّ : غطّي ... ربَواتِ الفردوس سحرا وفتنهْ
وارقصي يا زنابق الخُلد بِشرا ... أيها الحور ! آدم هدّ سجنه
ما تروْنَ التي على ساعديه ؟ ... تلكَ حواءَ .. إنّها أمهنّهْ !

(١) تسنه = تغير .

التجسس

من الفضاء

● لواء مهندس : سعد شعبان ●

● في عام ١٩٦٢ لعب الرئيس الامريكى الراحل كينيدى مع الزعيم السوفييتى خروشوف لعبة استراتيجية خطرة وضعت العالم على حافة الحرب العالمية الثالثة .. وكانه كان كلاعب « شطرنج » ماهر وضع خصمه فى احرج المواقف ،وراح يهدده « كش ملك » . ولم يجد خروشوف سبيلا امامه بعد ان اعاد حسابات موقفه الا ان « يكش » فعلا !

ونعود بالذاكرة الى ان رقعة هذه اللعبة او مسرحها على خريطة العالم ، كانت « جزر كوبا » التى تحولت آنذاك الى المعسكر الماركسى وكان هدف السوفييت تحويلها الى « شوكة » فى ظهر الولايات المتحدة ..

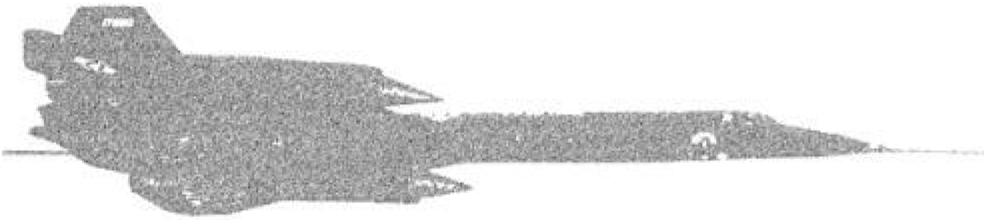
وكان الفضل فى وضع الحركات الاولى لهذه اللعبة ، التطور المذهل الذى وصل اليه الامريكيون آنذاك فى « الاستطلاع الجوى » . لكن الحدث الهام الذى فضحته وسائل الاستطلاع الجوى ، هو وجود عديد من الصواريخ السوفييتية « أرض - أرض » فوق ربوع جزيرة كوبا المحدودة المساحة . والتى لايفصلها من سواحل امريكا غير بضع عشرات من الكيلو مترات .

لقد كشفت وسائل الاستطلاع الجوى آنذاك - عن كل موقع صاروخى فوق رؤوس الجبال او فى باطنها او تحت ظلال اشجار الغابات ، او وسط كثبان الرمال .. ووقتئذ كان الاعتماد على القائمين على الاخفاء والتمويه سمة مميزة للتقدم الهندسى ، وتستخدم فيه وسائل ذكية لتقليد الطبيعة المحيطة بكل موقع ، بالاضافة الى استعمال بعض شباك التمويه التى تضلل الصور الجوية وتساعد على اخفاء اية معالم يمكن ان تدل على وجود الموقع .

غير ان الامر قد اوضح ان السوفييت لم تكن لديهم دراية عن مدى ماوصل اليه فن الاستطلاع الجوى فى الطيران الامريكى آنذاك ، والذى بلغ درجة غاية فى الدقة باستخدام العديد من الوسائل العلمية المستحدثة التى لاتعتمد على التصوير الجوى بالاشعة المرئية فحسب ، بل يمتد ايضا الى استخدام الاشعة تحت الحمراء غير المرئية . ومن ثم فقد امكن الكشف عن مواقع الصواريخ السوفييتية فوق الاراضى الكوبية بلا مشقة . وحددت مواقعها خلال ساعات ، وانتهت « اللعبة » الى سحب السوفييت لها ، فوق اسطول بحرى اسرع الى نقلها ..

الطائرة « يو - ٢ »

ويرجع ثقل تقدم فن الاستطلاع الجوى بواسطة الامريكيين ، الى التصميم الفريد الذى انفردت به طائرة التجسس الاستراتيجى البعيد المدى التى اطلق عليها اسم « يو - ٢ »



طائرة الاستطلاع الاستراتيجية

2 ـ U » والتى صممها الامريكيون لكى تحلق فوق الاتحاد السوفييتى على ارتفاعات شاهقة ..

وهذه الطائرة التى تشبه الطائرة الشراعية صممها عام ١٩٥٣ مهندسو شركة لوكهيد لجمع بيانات اكيده عن التقديرات العسكرية السوفييتية . وكانت مهمة الطائرة أن تحلق متجاوزة مدى اى طائرة اعتراضية نفاثة أو اى صاروخ مضاد للطائرات معروف آنذاك ، ذلك بالتقاط المعلومات الالكترونية واخذ الصور الفوتوغرافية اللازمة لاجراء تقديرات عسكرية دقيقة باستخدام أجهزة اليكترونية دقيقة ، ومعدات تصوير حساسة لم تكن متوفرة فى اى طائرة أخرى حتى ذلك الحين .

وتميزت الطائرة « يو ـ ٢ » بشكل غريب لكى تكون على مستوى المهام الموكولة اليها . من اهمها انها ذات اجنحة طويلة جدا ، ومستودعات وقود كبيرة تضمها هذه الاجنحة ، ومن ثم كانت قادرة على الاقلاع من قواعد فى تركيا وباكستان لتجوب اجواء الاتحاد السوفييتى لتهبط فى قواعد فى النرويج والسويد ..

وظلت رحلات الاستطلاع الجوى الامريكية فوق الاتحاد السوفييتى من سنة ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٠ . ورغم ان الكرملين كان يعرف بهذه الطلعات التجسسية ، الا انه لم يصدر اية احتجاجات علنية ، ادراكا منه بان ذلك سيرقى الى حد الاعتراف المحرج بعجز السوفييت عن حماية مجاله الجوى .

ونتيجة لذلك ، ظلت الطائرة « يو ـ ٢ » مطلقة العنان فى القيام باستكشافات اثرت تاثيرا قويا على السياسة الاستراتيجية الامريكية لعدة سنوات . فالصورة التى التقطت عام ١٩٥٦ للقاذفات النفاثة السوفييتية « م ـ ٤ » التى كانت تصطف فى مطار واحد ، قد كشفت بالفعل عن كل الانتاج السوفييتى من هذه الطائرات. ولم يكن هناك سوى عدد قليل آخر منها فى مطارات اخرى اكتشفته ايضا طائرات « يو ـ ٢ » . وقد ادى ذلك الى اقناع البنتاجون بان الفجوة التى كان يخشى وجودها بين الدولتين فى مجال القاذفات هى فجوة وهمية .

وبعد ذلك بثلاثة اعوام ، استمدت الولايات المتحدة بعض مشاعر الطمأنينة التى كانت فى حاجة اليها من الصور الرأسية التى التقطت لموقع «تيوراتام» حيث كانت كافة الصواريخ السوفييتية تختبر آنذاك . اذ انه عندما تيقن خبراء قراءة الصور أن فتحة « دفع الصاروخ » فوق منصة الاطلاق يبلغ قطرها ١٥ مترا خلصوا الى نتيجة مؤداها أن السوفييت ما زالوا

يستخدمون للذلك تمثيل بقوة دفع صواريخ محاولة ملبقة حول جسم الصاروخ الرئيسي . ونظرا لان هذا النظام ينطوي على تعقيدات كثيرة ، لقد خلص المخططون الاستراتيجيون الامريكيون الى استنتاج مقدار التخلف في صناعة الصواريخ السوفيتية .

كما اظهرت صورة أخرى ملتقطة لاسطول الغواصات السوفيتي في بحر الشمال انها قوة دفاعية الى حد كبير . ذلك ان الغواصات الراسية التي ظهرت في الصورة تبين انهما من طراز مصمم لمواجهة سفن السطح وليس لاطلاق قذائف نووية .

واصبح الطيار جاسوسا

غير ان طلعات الطائرة « يو - ٢ » فوق الاتحاد السوفيتي توقفت بعد اسقاط طائرة « جاري باورز » في مايو سنة ١٩٦٠ بواسطة الصاروخ السوفيتي (سام ٢) الذي كان حديث الانتاج آنذاك . فقد سقط باورز وعومل كجاسوس ، وظل في السجن عدة سنوات ، ثم قامت طائرات « يو - ٢ » بدور اساسي في الاستخبارات التي قامت بها امريكا عن كوبا ابان ازمة الصواريخ عام ١٩٦٢ . ولكن رغما من ذلك فقد ظلت امريكا تستخدم الطائرة

« يو - ٢ » في الحرب الفيتنامية بنجاح .

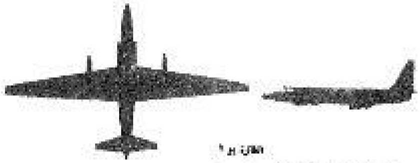
لقد سجلت احدى الصور التي التقطت فوق هانوي عام ١٩٦٧ لحظة مفزعة في الحرب الفيتنامية لصاروخ (سام ٢) سوفيتي متفجر بعد اصابة ثلاثة لطائرة فانتوم استطلاعية امريكية تحول الى كتلة من اللهب . وهناك صور أخرى تشبه سن المنشار لكنه يتبين من الفحص الاكثر دقة انهما تشكيلة من الالاف قنابل في مطار مرئي للدلالة في الاتحاد السوفيتي .

كذلك اوضحت صور أخرى التقطت من ارتفاعات عن السواحل ، وارض فضاء واسعة شبيهة بسطح القمر هي في الواقع موقع لاختبار القنابل الهيدروجينية السوفيتية .

اقمار التجسس

ولكن لم تمض غير سنوات حتى اتخذ الاستطلاع الجوي ابعادا جديدة ، لم يصبح الدور الاول فيها للطائرات بل للاقمار الصناعية ، التي اطلق عليها في لغة عصر الفضاء اسم اقمار « الاقمار البكر » .

وتتعدد الاغراض العسكرية التي تستخدم فيها الاقمار الصناعية ، من اهمها الاتصالات اللاسلكية السلكية



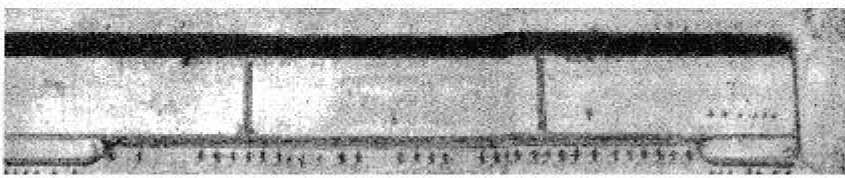
الطائرة يو ٢

التشويش ؛ والتقاط الصور الجوية الدقيقة . ويطلق العسكريون على ذلك اطلاقا سهلا يخفي حقيقة المهمة نفسها . المسميات الشائعة هي « الاستطلاع » أو « الاقمار البكر » الذي هو في حقيقته تجسس . ويعتمد في التجسس الحديث بالاقمار الصناعية على التقاط الصور اساسا . ويقف وراء ذلك تكنولوجيا التكبير ، وصناعة العدسات الدقيقة ذات الانواع المتعددة مثل العدسات البانورامية ؛ والتليفزيونية . كما تلعب عملية التصوير بالاشعة تحت الحمراء في الظلام دورا هاما في هذا المجال .

والحقيقة انه اصبح متعذرا اخفاء توزيع قواعد الصواريخ والقيادات والقطعات الحربية عن اعين الاستطلاع الهائلة لكل بشر . فقد اصبح التصوير من الفضاء لنا محتماليا يستطيع توضيح كل التفاصيل وخاصة الفعلية بفضل وسائل تكبير الصور .

والى جانب ذلك اصبح ميسورا التقاط التفجيرات الذرية والنووية التي تجريها الدولتان الكبيرتان في المناطق النائية من الاراضي او المحيطات سواء فوق الارض او في الجو او تحت الارض . ذلك انه من العسير اخفاء موجات الاعراق ، والاشعاعات التي تصاحبها ، والتي من اليسير على الاقمار الصناعية تسجيلها .

واليوم تقوم هذه الاقمار بتصوير كل رقعة من الكرة الارضية . وكترجم ماتصبح هذه الصور الى موجات الكترونية يمكن ان توضع تسوق شرائط مغناطيسية . ويمكن ان توضع التفاصيل وعناصر مدلول هذه الصور



مطار سوفيتي تبدو فيه قاذفات القنابل

فى حواسب اليكترونية صغيرة فوق متن كل قمر ، ليترجمها بدوره الى الموجات اليكترونية ترسل الى محطات المتابعة الارضية فتتحول الى صور يمكن للمفسرين العسكريين تحليلها واستنباط ما يشاؤون من معلوماتها .

تغير استراتيجية الدول الكبرى

وبسبب التجسس العسكرى بالاقمار الصناعية،غيرت الدول الكبرى استراتيجيتها فى توزيع قواعد الصواريخ والمطارات فوق رقعتها .

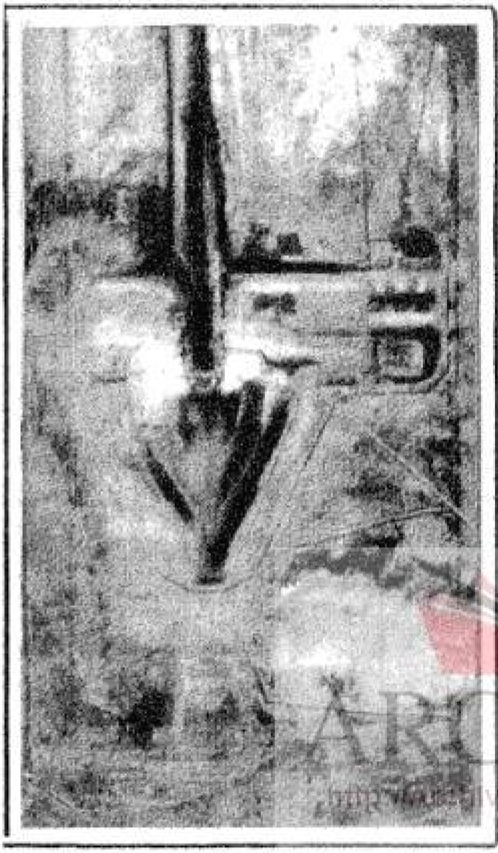
وقد عمدت الدولتان الكبيرتان الى اخفاء صواريخها تحت الارض : فى آبار خرسانية محصنة ، كما عمدت ايضا الى اخفاء بعض صواريخها فى الغواصات الذرية كما هو الحال بالنسبة لصواريخ بولاريس وبوسيدون الامريكية .

وتستخدم امريكا وسيلة فى تحريك بعض صواريخها من طراز « منيوتمان » فوق شبكة سكة حديد المناطق غير المأهولة فى شمالها الغربى . وتعج السماء حاليا ، بالعديد من الاقمار الصناعية التى تقوم بالتجسس الاستراتيجى على دول العالم اجمع ، دون أن يمنعها أحد ، أو يستطيع ان يعوق أداءها أحد .

انواع اقمار التجسس

ولقد برز من هذه الانواع اقمار «فيلا» الامريكية للكشف عن التفجيرات النووية ، واقمار « ساموس » و « ميداس » وغيرها . ومن البديهى أن هناك أنواعا سوفييتية غير معلن عن اسمائها .

ولقد كشفت الاحداث الدولية الاخيرة ، عن الدور الهام الذى تقوم به بعض هذه الاقمار . لقد كشفت حادثة سفينة التجسس الامريكية « ليبرتى » التى أصابها الاسرائيليون بغير قصد وهى تتجسس قرب الساحل الشمالى لسيناء فى أعقاب

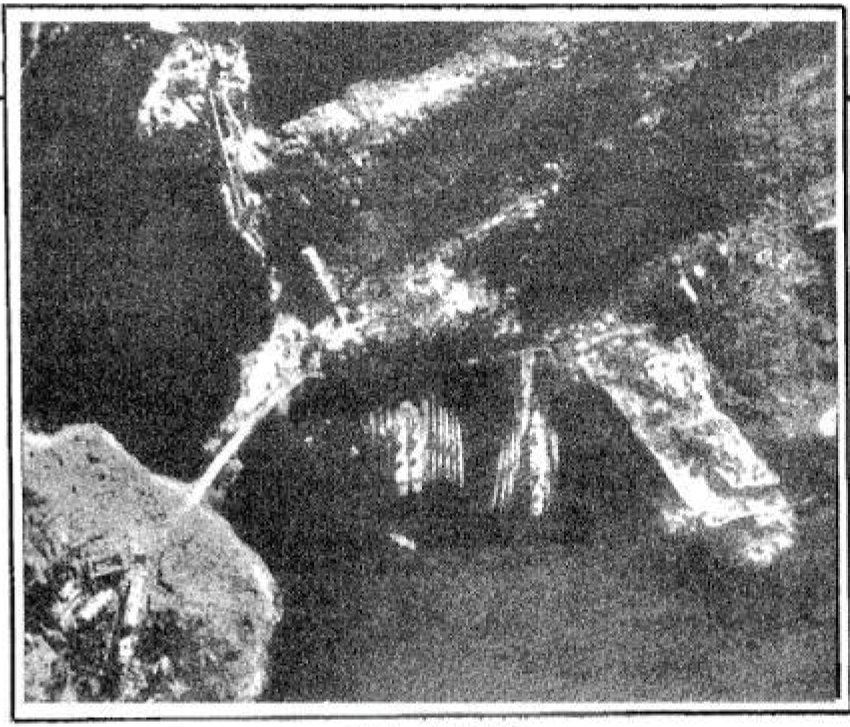


قاعدة اطلاق صواريخ سوفييتية

يونيو ١٩٦٧ ، عن علاقتها فى توجيه الاقمار فوق الاراضى المصرية ، ابان العدوان وبعده .

كما تكرر نفس الامر بالنسبة للسفينة الامريكية « بيوبلو » التى أسرتها سلطات كوريا الشمالية ، وهى تقوم بعمل مماثل لخدمة الحرب فى فيتنام ومنطقة جنوب شرقى آسيا .

واليوم ، يقوم بالقسط الاكبر من عملية التجسس اقمار صناعية كبيرة مثل القمر « بيج بيرد » الذى يزن ١٢



قاعدة غواصات سوفيتية

طنا وعشرات من الاقمار الاخرى. ولكن ما زال لطائرات الاستطلاع الاستراتيجي دور وخاصة بالنسبة للطائرات الاستطلاعية الأمريكية ، والتي تستطيع ان تحلق على ارتفاعات شاهقة والمعروفة باسم (س ر- ٧١) وهذه الطائرة تطير بالقرب من حدود الاراضي السوفييتة وليس فوقها ، ولكن بسرعة مذهلة تزيد عن ثلاثة امثال سرعة الصوت (٣ ماخ) . وتستطيع ان تلتقط باجهزتها الاليكترونية الدقيقة وبعدسات التصوير ما بداخل الاراضي السوفييتية من تحركات ونشاطات عسكرية . وربما تكون الطائرة (س.ر - ٧١) قد ضربت رقما قياسيا . فحتى الآن استطاعت بنجاح أن تفلت من نحو ٩٠٠ محاولة قام بها السوفييت وحلفاؤهم لاسقاطها دون جدوى .

ومنذ عام ١٩٧٢ بدأ اطلاق انواع مستحدثة من اقمار الاستطلاع الفضائي تستطيع أن تكشف ليس فقط عن كل ما فوق الأرض من انشاءات وتحركات، بل أيضا توضح بمدلولات تقرب من التأكيد كثيرا مما تحت التربة او في باطن الارض سواء كان رواسب معدنية أو مياها جوفية او آبارا بترولية ، أو آثارا قديمة . لانها تستطيع أن تنفذ باستخدام الاشعة تحت الحمراء الى معرفة ما تخبؤه الارض تحت قشرتها حتى اعماق قريبة ومن ثم اصبحت الانشاءات العسكرية التي تحت القلاع المحصنة . او تحت شباك التمويه ، أو حتى في جوف الارض ، مهتوكة السر ، مفتوحة لعدسات اقمار التجسس . ومن ثم تبخرت هندسة الاخفاء والتمويه .. واصبحت الاسرار كلها معلومة بقدر كبير بفضل تقدم تكنولوجيا الفضاء وقد واكب ذلك ايضا تقدم مذهل في تكنولوجيا الاتصالات الالكترونية بحيث أصبح ممكنا قياس اى حركة او صوت بواسطة اجهزة الاستشعار الدقيقة التي تحويها محطات الانذار المبكر الارضية واجهزة الاستشعار من بعد التي تضمها الاقمار الصناعية .

ترى اى عالم مفضوح نعيش فيه الآن ؟ ..

صورة

هي .. وحبات الفول السوداني

للكاتبة الاوغندية : الفاليا لاموكاوايا زيريمو

● ترجمة : سليم الاسيوطي ●

المؤلفة : ولدت قرب مدينة عنتيب « العاصمة القديمة لاوغندا وتقع على بحيرة فكتوريا » - في عام ١٩٢٨، وتعلمت الانجليزية في العاشرة من عمرها ، والتحقت بجامعة ميكريري ، حيث تأهلت لمهنة التدريس ، ثم سافرت الى بريطانيا وحصلت من جامعة لهدز على درجة الليسانس بمرتبة الشرف في اللغة الانجليزية وادابها

● لقد بذلت امي غاية الجهد والعناية لتعلمني فن الطهو التقليدي البالغ قمة الاتقان والكمال في وقت مبكر من حياتي ... وحينما بلغت الثالثة عشرة من حياتي كان باستطاعتي اعداد وجبة تليق بان توضع امام اي زعيم ... ولقد كان من مألوف عادة قس الابرشية ، كلما اراد ان يقوم بجولة في الحي الذي نقطنه ان يجيء ويمكث بين ظهرانينا لبضعة ايام قليلة ، ويخرج في زيارته للبيوت الاخرى من جيراننا برفقة ابي ، وبينما كان يقيم معنا في احدى هذه الزيارات تركتني امي لاعداد وجبة المساء والعناية بالاطفال ، اذ كانت بصدد الذهاب لزيارة صديقة لها كانت قد رزقت بطفل لتوها .

لقد اخرجت كل شيء بالمقادير الصحيحة ، لانني على الرغم من مهارتي في الطهو ، كنت عرضة لان استعمل كميات تزيد كثيرا من الحاجة او تنقص كثيرا من كل شيء ... اما بخصوص الفول السوداني الذي يستعمل في صنع مرق التوابل (الصلصة) ، فقد اخرجت لي امي القدر الذي احتاجه كالعادة .

واغلقت مخزن المؤن جيدا حتى تأمن عليه من اعتداء الدجاجات والاطفال الذين يتحينون فرصة الدخول ليلتهموا اكبر قدر من الفول في اقل فترة ممكنة !

●

وبعد مغادرة امي للبيت ، انصرفت لاداء واجباتي ، وانا اغني لنفسي ، واستشعر اهميتي في الاسرة ... وبمساعدة الصغار استخرجت حبات الفول من قشورها ، والطعام يتصاعد بخاره على نيران من الخشب المتوهجة وسرعان ما رحت اناجي نفسي باني اسير سيرا حثيثا في عملي ، وهنا وسوس لي الشيطان فقد ترامت الى سمعي اصوات اخوتي ، يتضاحكون مرحين وهم يلعبون الورق مع اطفال الجيران فوق العشب امام منزلنا ...

كانت اللعبة قد بدات لطيفة هادئة ، ولكنها باتت تثيرني الآن ، بعد تصاعد الصيحات العالية والضحكات الصاخبة ...

كنت بمفردي . وطفت على نفسي موجة من الرثاء لنفسي . لماذا الاولاد يلعبون ويفرحون ويستمتعون بالحياة وابقى انا وحيدة اكد وانصب لاشباع رغباتهم الشرهة ؟ .. ليس هذا من

العـــدل فى شىء . فلماذا لا يوكل اليهم بعض العمل ، حتى يتســـاح لى بعض المتعة ؟ ! .

وقطعت على سلسلة افكارى موجـة ثانية من الضحك ترامت الى سـمعى اكثر ارتفاعا واشد صخبا من الاولى . فمـــا كان منى الا ان تركت كل شىء واندفعت اعدو الى الخارج .

اذكرتنى نرقات (١) الدجـاجـات المتراقصة حول المطبخ وهى تلتقط بقايا الوليمة العظيمة ، بحبات الفـــــول السودانى ! نعم ... لقد اختفت كل حبة من هذه الحبات ! ..

لـكم كنت غبية اذ تركتهـا عارية ، وباب المطبخ مفتوح على مداه ...

وتملـكنى غيظ اعمانى ، وتلبستنى رغبة عارمة لعقاب الدجاجات الشرهات المتوحشات ... وانا اقف بالباب ، افكر فى افضل طريقة تمكننى من شن هجـوم على الدجاجات فى المرة القادمة وهى غافلة لاهيـة عن نفسها تنبش الارض باظافرها هنـــا وهناك بحثا من حبة فول متناثرة ؟ .

قبضت على يد الهاون ورفعته عاليا فــــوق رأسى . واذ ذاك رأتنى الدجاجات ، وتطايرت فى فوضى فى كل انحاء المطبخ . وتســاقطت على بعضها البعض فى مدخل البـــاب . فالقيت بسلاحى القـوى فى الوقت المناسب ليصيب الدجاجة الاخيرة منها ، فى أم رأسها مباشرة ...

لقد اصبتهـــا ! .. كانت انشط الدجاجات فى القطيع كله ، ومن ثمة فهى الد اعدائى ... وتنفست لاهثـة بالانتصار بينما هى تغرق بالالم ... وقلت : « لقد اصبتك فى هذه المرة ! .

ولكن اغنية الانتصـــــار لم تستمر طويلا ، لان الدجاجة المسكينة فى لحظة واحدة راحت تتخبط بجنون فى جميع ارجاء المطبخ . وخمدت حركتها بعـــد برهة وجيزة ، وسقطت فاقدة الحيـاة تماما بجوار النار الموقدة ! .

ووثبت لانقـــاذها من اللهب ... حملتها ، وهززتهـــا ، وفحصتها ، ثم حاولت فتح عينيها المغمضتين باصبعى . ولكنها لم تبد حراكا !

اسرعت بها الى المنزل ، واخـذت شيئا من فازلين الاطفـال ، ومســـحته بالجرح . ولكن الطـائر لا يستجيب . فوضعتها على الارض محاولة حملهـــا على السير ولكنها اطلقت صوتا واهنـا وســـقطت على الارض ! .. وحملت الدجاجة الى ركن هادىء بالحديقة وانا اهدهدها كطفل رضيع . فلما رأيت ان هذا كله لا يجدى ، وضعت الدجاجة على الارض وجعلت اروح لها بورقة من شجر الموز ! .

كنت طوال ذلك الوقت اخشى ما قد ينزله بى ابى من عقاب . طبعا ، لقـد كانت الدجاجة شـــقية . واستحقت ما نزل بها من عقاب ، هكـذا اقنعت نفسى ... ان امى سوف تغضب منى الانى قد اضعت حبات الفول التى كنت سأعد بهـــا مرق التوابل للعشاء ... وبالاختصار فانى سوف اثير ضـــــدى غضب امى ، واسوأ ما فى الامر ،غضب ابى أيضا ... وبعد خمس دقائق من الترويح بقوة وشدة دون ظهور علامات التحسن على الطائر خطرت لى فـكرة جديدة . فاسرعت الى المطبخ وعـدت حاملة ملء طست ماء ، فغمست فيـه الطائر المســكين . وسواء أكان هذا السلوك غير متوقع منى أم لا . بعـد فترة طويلة من تظاهر الدجاجة بالتماوت او الاغماء ، حقا ، فانى لا أستطيع أن اقطع برأى فى هذا الصدد ...

نعم، ولكن المؤمن يثاب رغم انفه فان الدجاجة بعد أن شربت بعض المـاء ، عادت الى حالتهـــــا الطبيعية ، على الرغم مما اظهـــرت نحوى من اشمئزاز واستياء لســلوكى الشائن نحوها ، وخاصة لما نالها من بلل دون شفقة او رحمة ! .

قالت امى فى صباح اليوم التالى : « انى استطيع ان اقسم ان مرق التوابل بالامس لم يحو اية حبات من الفـول السودانى ! .. كان طعم الطمـــاطم والباذنجان واضحا فيه كل الوضوح . ولكن لم يكن لمذاق الفول اى اثر فيه ! . وللت بالصمت ، ولم انبس ببنت شــفة ! .

●
●●

(١) صوت الدجاج

ثوبها السرابي!

طلعت من برعم الحلم عبيرا
ترتدي الأزهار فستانا .. قصيرا

في رذاذ تنسج النور به
ثوبها المائي سلسالا نميرا ...

حدثتني بالضحى أطيافه
وحكت عن نشوة الخصر كثيرا

من رواء الصيف فيه وهج
والأغاريد ينثرن حريرا !

كلما غنى به منعطف
رق حتى صار للوهم عصيرا !

بالإيقاع التماويج به
والتباريح المثيرات شعورا !

نقلة من قدم وارتعشت
دفق هالات تتابعن بدورا !

تعزف الساقان في تمتمة
فتحيل الصمت موسيقا ونورا

كل خطو رشة في خافقي
وصداح مر في بالي غديرا

أيها الثوب السرابي الرؤى
يا أصاديح العصافير بكورا ؟

أنت نهر يمحي ثم يثرى
ويعرى ذاته — يغدو أثيرا ؟

خبريني .. واختفت في حلم
ذاب عني فغدا ظلا ودورا ؟

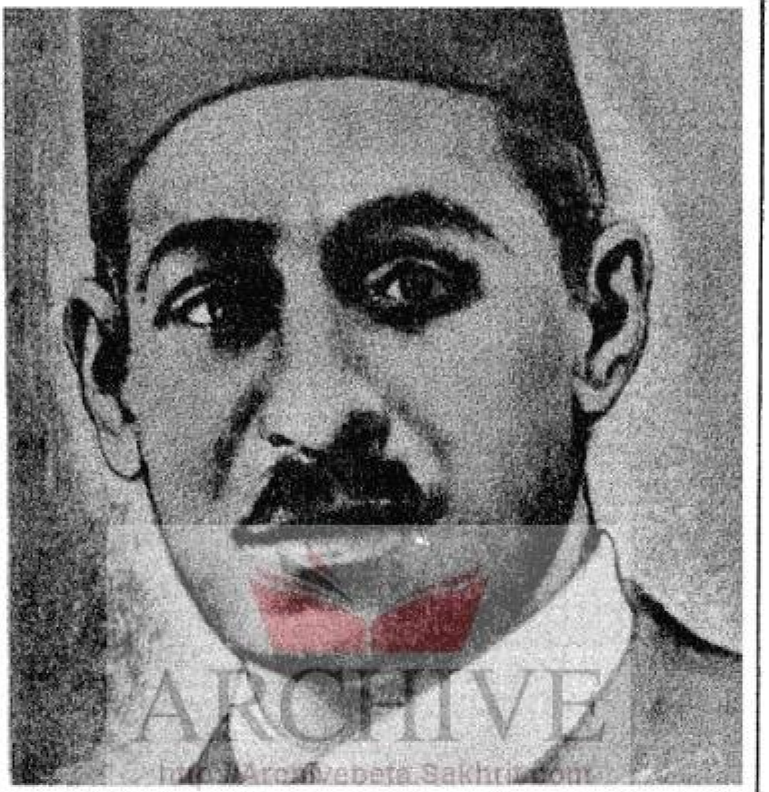
أنا والصمت حوار دونها
ونزاع خلته طال دهورا

إغلقي الأبواب في وجه الضحى
سوف يلقاك على الدرب أخيرا !

أم درمان — السودان ● يوسف محمد يوسف السلامي ●

شخصية الشهر

مصطفى صادق الرافعي



كان مصطفى صادق الرافعي اديبا فريدا في طرازه • كان يكتب في القرن العشرين ، ولكنك كنت تحس وانت تقرؤه وكأنك مع ابي حيان التوحيدي في فصل منسي من فصول الامتاع والمؤانسة •

كان اديبا بالغ التمكن من لغة العرب وادب العرب ، وكان يكتب على اسلوب القدماء ، اسلوب التامل والانشاء البليغ وتكلف اللفظ الغريب والمعنى الغريب والبحث عن كل ما يتصل بالادب العربي بمفهومه التقليدي القديم •

ولقد عاش الرافعي زاهدا منصرفا لادبه وكتاباته ، ولم ياذن قط لاحد بان يجعله يغير اتجاهه في الكتابة واسلوبه في التفكير ، ومن هنا فقد وقف وحده في عالم تدافع فيه عمالقة كتاب النهضة في اتجاه التجديد ، تجديد شباب الادب العربي ، وثارت المعارك بينه وبين العقاد وبينه وبين عبد القادر المازني فما تحرك ولا اهتم ، وانما مضى في طريقه صامدا كالطود تاركا مسألة الدفاع عنه لمن احبوه واعجبوا به من امثال الاستاذ سعيد العريان •

والهلال هذا الشهر يحتفل بمصطفى صادق الرافعي ويدعو شباب هذا الجيل الى التفكير فيه وفي ادبه •

الرافعي

عبقرية متحدية

● د . احمد متولي مسلم ●

ولد مصطفى صادق الرافعي سنة ١٨٨٠ ، والده الشيخ عبد الرازق الرافعي ، واسرته عريقة في التدين والصلاح ، تولى منصب القضاء فيها اربعون قاضيا . حفظ القرآن في الكتاب ، ودخل المدرسة الابتدائية وسنه ثلاث عشرة سنة ، ونال الشهادة الابتدائية سنة ١٨٩٧ . وفي نفس العام مرض بحمى التيفود التي اضعفت سمعه حتى فقده تماما وهو في سن الثلاثين . وكان هذا المرض سببا في عدم اتمام دراسته في المدارس . واثر المرض على احباله الصوتية ايضا فجعل صوته كصراخ الطفل ..

وعكف على القراءة والاطلاع في مكتبة والده الحافلة بكتب الدين واللغة والادب، واشترى مزيدا من الكتب حتى كون لنفسه مكتبة ضخمة في شتى نواحي المعرفة . وكان يقرا كل يوم ثماني ساعات متواصلة .. وعين كاتبا بمحكمة طلخا الشرعية عام ١٨٩٩ بمرتب اربعة جنيهات ، ثم نقل الى محكمة ايتاى البارود فمحكمة طنطا . واستمرت اقامته بطنطا وعمله بالمحكمة الى آخر حياته سنة ١٩٣٧ . وكان دقيقا في عمله الرسمي ، ومهمته تحديد رسوم القضايا . وكانت معاملاته وعلاقاته مع زملائه مبنية على النبل وكرم الخلق والتفاهم والمروءة .

تزوج الرافعي سنة ١٩٠٤ شقيقة لاحد اصدقائه ، وتفرغت زوجته لشئون بيتها وابنائها العشرة ، وتفرغ هو للقراءة ودراسة الادب ، وكان جو البيت يسوده الحب والعطف والنظام والاحترام .

وكان شغوفا بالرياضة لا سيما المشي والسباحة ، واولع بالرحلات ، ونشر مقالات عن الرياضة في الصحف .

وكتب في النقد الادبي بدءا من سنة ١٩٠٥ واصدر ديوانا شعريا «النظرات» (١٩٠٨) والف كتاب تاريخ آداب العرب (١٩١١) ثم كتب كتاب « حديث القمر » (١٩١٢) في فتاة لبنانية جامعية ، استمد من سماحتها ورقتها معاني الحب التي تملأ النفس بافراح الحياة . ثم كتاب المساكين (١٩١٧) وهو مجموعة آراء ،



مصطفى صادق الرافعى

ثم ديوان الرافعى (١٩١٩) ·

ثم سمع عن الاديبة اللبنانية « مى زيادة » وقرأ لها ما تفردت به من قصص ومقالات تدعو الى تحرير المرأة ، فسعى الى التعرف عليها سنة ١٩٢٣ · وكان لها صالون يحضره الادباء والشعراء والمثقفون يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، ومنهم لطفى السيد ومصطفى عبد الرازق وطه حسين، والعقاد ومنصورفهمى واسماعيل صبرى، وولى الدين يكن · وكان يسافر من طنطا الى القاهرة كل أسبوع لحضور ندوتها · ولم يكن الرافعى يحاورها ، لفقد السمع، وكانت ترد عليه بلطف وأدب ·

فكان يحاورها بالرسائل الغرامية ، وشغف حبا بجمالها وشبابها وذكائها· وعرضت « مى » رسائل الرافعى على الحاضرين من زوارها ومنهم خصمه اللدود « العقاد » ··· ثم تغير ترحيبها بالرافعى الى صد وبرود ، فصدمت نفسه الرقيقة ، وكتب « رسائل الاحزان » (١٩٢٤) فى فلسفة الحب والجمال ، ثم كتاب « السحاب الاحمر » فى نفس العام، فى الغضب والكراهية والميل الى الانتقام ·

ونقد العقاد وطه حسين كتاب « رسائل الاحزان » فى الصحف نقدا لاذعا ، وانضمت اليهما « مى » فى الحملة · ووقف له العقاد وطه حسين بالمرصاد ، ينقدانه كلما الف كتابا ، فيرد عليهما ويتحداهما أن يأتيا بمثله ·

ونشر طه حسين كتاب « الشعر الجاهلى » وفيه يشك أن الشعر الجاهلى من وضع الشعراء فى العصر الاسلامى ، فرد عليه الرافعى بكتاب « تحت راية القرآن » (١٩٢٦) ، وبمقالات عديدة فى الصحف هيجت عليه الرأى العام · وكتب كتاب « على السفود » (١٩٣٠) نقدا لشخصية العقاد وأدبه · وكان ردا على هجوم العقاد على كتابه « اعجاز القرآن »

وهو الجزء الثاني من « تاريخ آداب العرب » .

ثم كتب كتاب «أوراق الورد» (١٩٣١) وهو رسائل متبادلة بينه وبين شخص جرده من نفسه . ويقول عنه الرافعي : « هو أحسن ما كتبت . انى لم أتعب فى شيء مثل تعبى فيه . والغرض الاول من الكتاب اعطاء اللغة العربية هذا الكنز الذى ليس فيها » .

ثم اتفق مع « الزيات » صاحب مجلة « الرسالة » أن يكتب مقالا للمجلة كل اسبوع ، فسلس أسلوبه نوعا ، وقرأه كثير من القراء فى مصر والعالم العربى ، وراسله كثيرون يناقشونه ويسالونه ، ونشرت مقالات « الرسالة » فى كتاب « وحى القلم » من جزئين سنة ١٩٣٦ ثم من ثلاثة أجزاء سنة ١٩٤١ بعد وفاته .

والآن نناقش التحديات الثلاثة التى واجهها الرافعى :

(١) العاهة :

عندما يصاب الشخص بنقص جسمانى مبكر ، فهو يقع فى مأزق حقيقى ، فالنقص يظل محل صراع فى نفسه بسبب وجوده الدائم ، وأثره فى الكيان الشخصى والعلاقات الاجتماعية ، فهو دائما جزء من صورة الشخص فى نظر نفسه ، ومن تصوراته وعملياته الرمزية ، ويؤدى الى الاستغراق فى الخيالات ، ويزيد التوترات والمخاوف والعدوان والرغبة فى الانتقام ، أى أنه ينعكس على الشخصية ، والضمير ، والسلوك .

وفى الموهوبين تتحول الرغبة فى التعويض فى اتجاه الابداع . فاحساس الرافعى بالنقص بسبب صممه الذى عزله عن التخاطب مع الناس ، كان عاملا بناء بالنسبة له ، فقد أحد شعوره بالوجود ، ودفعه الى تحقيق ذاته ، وأطلق قدرته على التفكير والرمز والخيال والشعور ، الى آفاق لا يطولها الأصحاء .. لكان النفس — فى الحصار الذى فرض عليها — تغوص فى طبقات النشاط النفسى الاعمق ، لتصل الى المحتويات المكبوتة ، فيشكلها الأديب بقدرته ، ويفرغ فيها شحنة عدوانه .. يوحد بين المتناقضات ، ويبدع المعانى الجديدة ، ويشعر بالزهو والاعتزاز ، اذ يثبت لنفسه وللناس أنه قادر على تخطى عاهته ، وعلى خلق نفسه فى صورة كاملة .

كانت عاهته تزوده بالوجهة الثابتة ، وبالعزلة والتأمل والانسحاب من دنيا الناس ، وبالاستغراق فى الأفكار والخطط ، وبالمشاكل التى يفترع لها الحلول ، وبالاختصار ، كانت تؤجج نشاطه الخلاق .

والرافعى لم يتمكن من مواصلة تعليمه بسبب عاهته ، الا أنه ظل نهما الى المعرفة ، عن طريق القراءة والدراسة ، والتأمل والكتابة ، ليتفوق على ابناء جيله من حملة الشهادات . كانت له شهرته المدوية فى الدفاع عن اللغة العربية ، وكانت له مواقف وآراء ، وقرظ سعد زغلول كتابه « اعجاز القرآن » بجمله سارت مسار الامثال : « بيان كانه تنزيل من التنزيل ، او قبس من نور الذكر الحكيم » !

كانت مقالاته تتميز بالتعبير الرشيق المنمق ، والميل الى ازدواج الجمل ، والكلمات ، والمطابقة ، والنكتة المبتكرة . وبعض مقالاته أقرب الى الشعر المنثور ، ويكرر فى أواخر المقطوعات جملة ملتهبة شديدة الايقاع ، على شاكلة : « يالحوم البحر ، سلخك من ثيابك جزار » !

وكان يتميز بقدرته الفريدة على ان يعيش بخياله فى كل عصر من عصور

التاريخ ، يحس احساس أهله ، ويتكلم بلسانهم .

وكان كبير الحرص على اللغة ، شديد الغيرة على الدين ، يدفع عنه الفتنة والضلال ، ولا يسمع لقائل أن يقول فيه قولا حتى يرده الى صوابه أو يسكته .

وكان يدعو الى الاخاء العربي ، والى الكفاح المشترك ، لتثبيت أركان الامة العربية،وكان بسبب هذه الآراء السابقة لأوانها ، يتعرض للنقد من المجددين والمحافظين على السواء . وقد وقعت خصومات أدبية حامية بينه وبين كبار الأدباء والمثقفين ، خصومات فى النقد الأدبى ، وخصومات بسبب الدفاع عن الاسلام . وكان شديد الطموح عظيم الاجتهاد ، وفرض طموحه على أبنائه ، فكان يقول لهم : « أنا لا يرضينى النجاح، وانما يرضينى التفوق فى النجاح » .

(٢) الصومعة :

يقول « منصور جاب الله » : سألت الرافعى ، وهو يصطاف فى الاسكندرية سنة ١٩٣٥ : لماذا لاتغادر طنطا بعد أن لمع اسمك واصبحت من أشهر الكتاب العرب فى العالم ؟

فأجاب الرافعى : كيف تريدنى أن أترك المدينة التى تضم رفات والدى ووالدتى ؟ .. أنا لا أغادر طنطا ولو وضعوا بين يدى مال قارون ! .. ان المال لا يمكن أن يعوض الذكريات الجميلة . انها هى الزاد الذى نقتات به فى حياتنا المعنوية » .

كانت طنطا صومعة الرافعى . قنع بحياته المتواضعة فيها ، وبوظيفة « باشكاتب » المحكمة ، ولم يتجاوز مرتبه سبعة عشر جنيها . وكان رزقه من ممارسة الأدب والكتابة فى الصحف محدودا ، لكنه اكتفى بالحد الادنى والاشعاع الروحى الذى حققه من اعماله . ولو انتقل الى العاصمة لزاد حظه من الشهرة والمال .

والواقع ان جيل الأدباء فى مطلع هذا القرن ، أمثال هيكل ، وسلامة موسى، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وزكى مبارك ، ويحيى حقى ، وزكى نجيب محمود ، والزيات ، وأحمد أمين ، والمازنى وشكرى ، والرافعى — كانوا جيلا فاضلا وكريما بمعنى الكلمة . هؤلاء الادباء والمفكرون العظام اعطوا المجتمع الذى عاشوا فيه اضعاف ماأخذوا منه . وقد طرح « سلامة موسى » فى العشرينات من هذا القرن استفتاء لكبار الكتاب هو :هل يستطيع الكاتب أن يعيش بقلمه ؟فكانت اجابات الجميع بالنفى .

ومن الكلمات التى عاشت قول المازنى :

« أستاذى الاول هو الفقر .. الذى آتانى القوة والقدرة على الكفاح ، وعلمنى التسامح والرفق والعطف ، وايثار الحسنى ، وضبط النفس وتوخى الاتزان . جنبنى العنف والقسوة والفظاظة . وحبب الى الفقراء . وفتح عينى على القيم الحقيقية للناس والاشياء والحوادث . ودربنى على تشمم الخبر من وراء المظهر . وجنبنى ان احترم المال لذاته . وعلمنى أن اقدس الفضل والحق ».

وقول زكى مبارك :

اساهر فى ليلى كتابى ، ولا ارى لنفسى حظ الساهرين على النرد

كان الأدباء فى الفقر سواء ، لكن شعورهم بالوطنية والعزة القومية والانتماء الى الامة ، كان أقوى من كل شىء ..

وبهذه النظرة القانعة الراضية ، ظل الرافعى مقيما فى طنطا ، عاكفا على القرآن والسنة ، وكتب التراث ، لم ينفتح على حضارة الغرب كما فعل العقاد ، ولم يسافر الى أوروبا كما فعل طه حسين ، وبذلك احتفظ بموقفه

السلفي المحافظ ، وكان ينظر بترجس الى الحضارة الغربية ، وما تأتي به من قيم واخلاق .

(٣) المرأة :

يتناوب الناس مزاجان متناقضان : مزاج يتصل بالغرائز ويسعى لاشباعها ، ويتصل بالاخلاق ويسعى للسمو بالنفس وبالناس . والمزاجان ينفصلان احيانا ، فهذه ساعة للقلب ، وهذه ساعة للرب ، وقد يقترن الباعثان في العمل الواحد .

وأصحاب الخلق يقاومون غواية الغريزة ، ويتسامون بها ليرجحوا كفة الاخلاق والمعاني ، لانهم — بفطرتهم — يفضلون المنفعة الخالدة على المنفعة العاجلة .

ونحن نرى في ادب الرافعي ميلا شديدا الى المرأة ، والعواطف التي كثيرها والدليل على ذلك أنه الف فيها اربعة كتب هي : حديث القمر ، والسحاب الاحمر ، ورسائل الاحزان ، وأوراق الورد ، بالاضافة الى كثير من مقالات « وحي القلم » . والدليل الثاني انه حين يكتب عن المرأة تبدو صورة حيية مشبوبة جياشة بالعواطف والاشواق .

والدليل الثالث ان الكتابة لم تشبع طاقته ، فسعى الى التعرف على الادبية اللبنانية « مي زيادة » التي كانت تقرب الادباء اليها وتكسب عواطفهم ، دون ان يكسبوا منها شيئا . كانت تستميلهم ، فاذا دنا احدهم منها وجد هوة سحيقة بينه وبينها . وكان الجميع يتغزلون فيها ، لكن بينهم وبين انفسهم اما الرافعي فقد « افتتن بها حتى اخذت منه كل مأخذ ، فملأت نفسه باشياء ، وملأت عينه من اشياء . فكان يقول لها في نجواه : اني ارى الزمن قد انتسخ مما بيني وبينك ، فانما نحن بالحب في زمن من نفسينا العاشقتين ، لايسمى الوقت ، ولكن يسمى السرور . وانما نعيش في ايام قلبية لاتدل على اوقاتها الساعة بدقائقها وثوانيها ، ولكن السعادة بحقائقها ولذاتها . وتحابا ذلك الحب الفوار في الدم ، كان فيه من دورته طبيعة الفراق والتلاقي ، بغير تلاق ولا فراق ، فيكونان معا في مجلسهما الغزلي ، جنبه الى جنبها ، وفمها الى فيه ، وكأنما هربت ثم ادركها ، وكأنما فسرت ثم امسكها ، وبين القبلة والقبلة هجران وصلح ، وبين اللفتة واللفتة غضب ورضى . »

« وهذا ضرب من الحب يكون في بعض الطبائع الشاذة المترفة ، التي افرطت عليها الحياة افراطها ، فيلف الحيوانية بالانسانية ويجعل الرجل والمرأة كبعض الاحماض الكيماوية مع بعضها ، لاتلتقي الا لتتمازج ، ولاتتمازج الا لتتحد ، ولا تتحد الا ليبتلع وجود هذا وجود ذاك »

والعبارات من اعتراف الرافعي نفسه في مقالة « الاجنبية » بالجزء الاول من « وحي القلم » .

ويعلق « حسنين مخلوف » على حب الرافعي بقوله :

« ليس عجيبا أن يحب الرافعي أو غير الرافعي .. انما العجيب ان أن يعيش الانسان حياة مثالية ، في اسرة دينية ، يتزوج مبكرا ، ويرزق البنين والبنات ، ويكون له مؤلفات تدعو الى الدين والفضيلة ، ويشغل بالامة الاسلامية حاضرها ومستقبلها ثم هو قلق من متاعب حياته ، وبعد كل ذلك متعلق بالمرأة يفكر في جمالها وأنوثتها ، ويتحدث عن ذلك في مجالسه

ويقول : « الحب فالق قلبي » ! ثم يكتب ليصور معاني الحب ، ويفلسف انوثة المرأة وجمالها الى معان اشراقية في النفس ، والى حياة عائلية كريمة ، والى سلوك قرآني كريم ، وتنثال الافكار الخيالية على قلمه فينطق بالحكمة ويضرب الامثال في اسلوب عربي بليغ » .

وتفسير اللغز الذي حير حسنين مخلوف ان الرافعي لم تشبع عاطفته باكملها في حياته الزوجية ، فهو دائم الشوق الى المرأة ، يحلم دائما ان يصادف احدى الحسان ، فتتركه محبا ، « فلا تكون الام الحب وآماله في باطنه تعبيرا نفسيا كأنه على ذلك انما يهدم ويبني »

ولم يتحقق حلمه هذا ، فعاش في الحرمان ، يلهج باسم الحب ، ويكثر الحديث من المرأة ، « فترك لنا ادبا باقيا في معاني الحب الطاهر المبرأ من العيوب في اسلوب بليغ اقرب الى التحليل النفسي منه الى الوصف الجسدي » .

ويرى « فرويد » ان التسامي بالغريزة الجنسية هو الاساس الذي تقوم عليه عمليات الابداع الفني، اي ان الفنان يستبدل باهدافه القريبة اهدافا اخرى تمتاز عنها بانها غير جنسية ، وبانها ارفع قيمة من الناحية الاجتماعية . ونرى هذا المعنى في قول الرافعي : « يتحول الحب الى ملكة سامية في ادراك معنى الجمال ، فيكون الوجه المشرق مصدر وحي للنفس العاشقة ، وبهذا الوحي والاستمداد منه ينزل المحب من المحبوب منزلة من يرتفع بالادمية الى الملائكية ، ليتلقى النور لنا بعد فن ، والفرح معنى بعد معنى ، والحزن السماوي فضيلة بعد فضيلة .

فهذا الحب هو طريقة نفسية لاتساع بعض العقول ، المهيئة للالهام كي يحتفظ بافراح الحياة واحزانها ، فتبدع للدنيا صورة من صور التعبير الجميلة التي تثير اشواق النفس » .

ونلاحظ ان حبيبته الاولى التي اوحت اليه « حديث القمر » كانت اديبة صحفية لبنانية قابلها عندما سافر الى لبنان للاستجمام سنة ١٩١٢، وان حبيبته الثانية كانت الاديبة اللبنانية « مي زيادة » ، وانه في سن الرابعة والخمسين حوالي استئناف التاليف في الحب ، نهفت نفسه الى فتاة سورية جميلة كانت تعلم الموسيقى في المدارس بطنطا اسمها «ماري» ايضا فاسماها « ماري الثالثة » واهدى اليها نسخة من « اوراق الورد » .

والقاسم المشترك في « المأربات » الثلاث ان كلا منهن اجنبية او متمصرة اديبة ومتعلمة ، وجميلة سافرة

ويبدو ان هذا هو النوع الذي كانت تهفو له نفس الرافعي ، ويوحي اليه بالشعر والغزل . ومع ذلك يكتب الى ابنه في فرنسا حين هم بالزواج من اجنبية : « اياكم اياكم ان تفتروا بمعاني المرأة ، تحسبونها معاني الزوجة ، وفرقوا بين الزوجة بخصائصها ، وبين المرأة بمعانيها ، فان في كل زوجة امرأة ولكن ليس في كل امرأة زوجة .

« لا تتزوجوا يا اخواني المصريين باجنبية . ان اجنبية بتزوج بها مصري ، هي مسدس جرائم فيه ست قذائف .. »

ويمضي يفصل القذائف الست في مقالته « الاجنبية » .

والمغزى : هذه نقرة وهذه نقرة ، من تصلح للحب لا تصلح للزواج ،

من هذه الثنائية عانى الرافعي طول حياته

الرافعي
شاعر الحسن

● علي غريب بهيج ●

« ما أريد من الحب الا الفن فان جاء من الهجر فن فهو الحب »
«ان النابغة في الأدب لا يتم تمامه الا اذا احب وعشق»
« ان ملكة الفلسفة في الشاعر من ملكة الحب »
« المراة للشاعر كحواء لآدم : هي وحدها تعطيه بحبها جديدا لم يكن فيه »

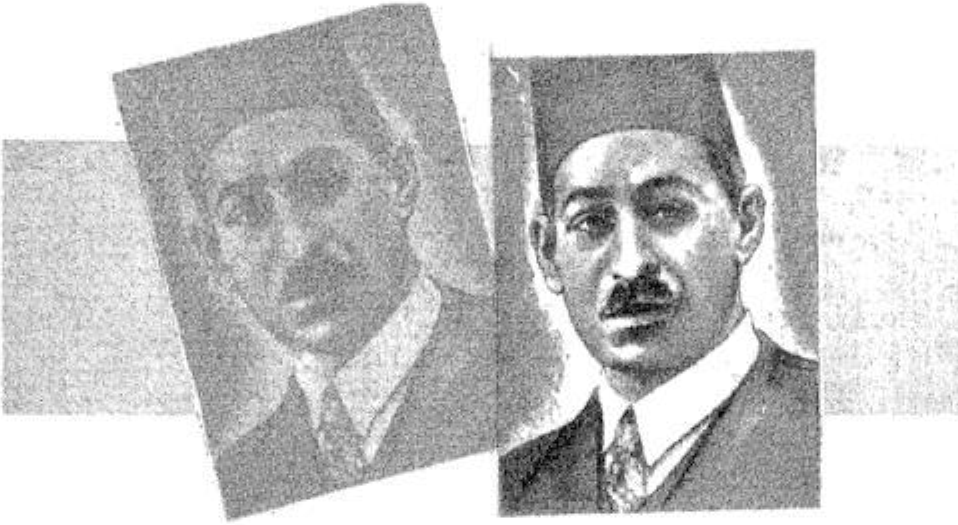
● مصطفى صادق الرافعي ●

« حديث القمر » ــ « رسائل الأحزان » ــ « السحاب الأحمر » ــ «أوراق الورد » ــ هذه الكتب الأربعة قدم بها الأديب والكاتب والناقد والشاعر مصطفى صادق الرافعي لونا جديدا من الأدب الذي يتخذ من فلسفة الحب والجمال موضوعا له قيمة فنية عالية متفردة ·

والقيمة الحقيقية لهذه الكتب الاربعة تتركز حول الصور التعبيرية ، والغوص وراء الأفكار العميقة ، وهو أسلوب انفرد به وتميز الرافعي ··

وميزة أخرى انفرد بها الرافعي في كتبه هذه ، وهي المزاوجة بين الشعر والنثر · ونحن نقول النثر على أساس التفرقة النوعية وان كانت هذه الكتب ذات أسلوب شعري خالص وان تنوعت الأساليب الشعرية ، فشعر على النسق التقليدي للقصيدة ، ثم شعر يمكن نسبته دون مبالغة الى أحدث أنماط القصيدة الحديثة ، ان لم يكن يتفوق عليها في بعض الأفكار والصور ·

وعلى الرغم من أن الرافعي قد اشتهر في عصرنا ككاتب وناقد أكثر منه شاعرا ، الا أن شعره ــ وبخاصة في الحب والجمال والوطنيات ــ له قيمة فنية تضارع قيمة شعر كثير من شعراء العصر الحديث · وسوف نتناول ملامح خاطفة عن الرافعي الشاعر ·



مصطفى صادق الرافعي

●● الرافعي شاعر الحسن :

بدأ الرافعي حياته الأدبية شاعرا يحاول أن يشق طريقه الى شعراء الصف الأول من أمثال البارودي وحافظ والكاظمي ، ولا نقول شوقي ، لأن الرافعي كان يعده من شعراء الطبقة الثانية ــ بعده وبعد هؤلاء !

وللرافعي شعر جيد ولكن أعظم شعره قيمة هو أناشيده الوطنية ، ثم شعر الحب والجمال الذى سوف نتناول شذرات منه ، ومن أناشيده الوطنية نشيد :

اسلمي يا مصر اننى الفدا ذى يدى ان مدت الدنيا يدا

الا أن الرافعي كان قد حدد لنفسه مجالا معينا لشعره ، هو مجال الجمال والحب ، ولذلك أطلق على نفسه « شاعر الحسن » . وتأمل معى قوله :

الحسن ألوان يمازج بعضها
بعضا لتصوير الهوى الفتان
وأرى الجوى والسحر والايمان قد
مزجت فمنها هذه العينان

وهو القائل : « ألم تر الى شعراء الدنيا وهم أنبياء الجمال الذين لا تتصل ملائكته بغيرهم ، ولا يفهم غيرهم ما يفهمونه منها ، كيف يشبهون الحسن الرائع بكل ما فى الخليقة من مظاهر الروعة .. ويجمعون ذلك ثم يفيضون فى أوصاف الجميلة وجمالها حتى لكأنها ذلك السر الذى قام به حسن الخليقة ، وحتى كأن الله لم يخلقها الا ليكون كل شىء فيها تفسيرا لشىء ما فى آية من آياته . »

ويقول : « الجمال على مقدار ما يحسن الانسان أن يفهم منه ، ثم على مقدار

ما يؤثر فيه من هذا الفهم ، ثم على مقدار ما يثبت من هذا التأثير ٠٠ »

وعن الجمال يقول شعرا فى قصيدة بعنوان « حيلة مرآتها » :

حسناء خالقها أتم جمالها
سألته معجزة الهوى فأتالها
لما حباها الله جل جلاله
بالحسن منفردا أجل جلالها
تغنى المحب كأنما أجفانها
ألقت عليه فتورها وملالها
هيفاء لو حسب النسيم قوامها
غصنا فإن خطر النسيم أمالها
طلبوا لها شبها يفىء ضياؤها
لهوى النواظر أو يدل دلالها
هم يطلبون مثالها فليرقبوا
مرآتها يجدوا هناك مثالها
لما عجزنا أن نفصل وصفها
جمعت لنا مرآتها أجمالها
وكأنما المرآة من أفق السما
وكأنها ملك يلوح خلالها

وعندما يعجزه المعنى شعرا يلجأ الى النثر ، استمع الى رأيه فى جمال المرأة : « الجمال هبة الله لنفس لا مرأة فيه عمل ، ولكن العجيب أن اكثر ما يكون من عمل المرأة انما يكون فى افساد هذه الموهبة ، كأنما الجمال غريب حتى عن صاحبته ، تفسدها بالجهل ان كانت جاهلة ، وتفسدها بالعلم اذا كانت عالمة وتفسدها بلا شيء اذا كانت هى لا شيء ٠٠ »

●● الحب فى حياة الرافعى :

يقال ان الرافعى عرف الحب منذ شبابه الباكر ، وكان غرامه الأول بفتاة يقال لها « عصفورة » وفيها يقول :

عصافير يحسبن القلوب من الحب
فمن لى بها عصفورة لقطت قلبى

ورغم أن الرافعى تزوج فى شبابه الباكر ، وكانت زوجته من أسرة كريمة على خلق عظيم ، الا أن نزوع الرافعى الى الجمال والحب قد لازماه كلون من العواطف السامية التى كان يراها لازمة للفنان وللشاعر بصفة خاصة ٠ وهكذا كان غرامه الثانى بفتاة « لبنان » ، التى ألف فيها ومن الهامها كتابه الأول فى فلسفة الحب والجمال وهو كتاب « حديث القمر » ، ذلك الكتاب الذى يتسم

بالفلسفة الهادئة الباسمة في الجمال والحب بعكس كتبه الثلاثة الأخرى يقول الرافعى فى « حديث القمر » :

« فمن احب رأى حبيبته من فرط اجلاله اياها كأنها خيال ملك يتمثل له فى حلم من أحلام الجنة ، ورأى فى عينيها صفاء الشريعة السماوية ، وفى خديها توقد الفكر الالهى العظيم ، وعلى شـــفتيها احمرار الشفق الذى يخيل للعاشق دائما أن شمس روحه تكاد تمس ، ورآها فى جملة الجمال تمثال الفن الآلهى الخالد الذى يدرس بالفكر والتأمل لا بالحس والتلمس ، فذلك الذى يشـــعر بحقيقة الحب ، ويفهم معناه السماوى » .

وله قصيدة بعنوان « أيام لبنان » يقول فى مطلعها :

فجر الهوى من ثغرها البســـام
متطاير اللمحـــات فوق ظـــلامى
رفت على ظـــلاله وتنفســـت
بندى الشـــباب على فؤادى الظامى
ذهبت هموم حرت فى اســـمائها
وأتت همـــوم ما لهـــن اســـامى
فى حبهـــا والحب فى باســـاته
امنـــا لأهليـــه من الانعـــام
حســـناء صورها الهوى فى صورة
كادت تعيد عبـــادة الاصـــنام
فى منظـــر الأبصـــار الح وجهـــا
وتحس فى لمس النســـيم غرامى

●● الرافعى ومى :

غير ان اهم قصص الحب فى حياة الرافعى هى قصه حبه للاديبه الشـــاعرة « مى زيادة » التى قدمت من لبنان لتعيش فى مصر وهى فى نحـو العشرين من عمرها ، وماتت فى مصر ودفنت فى ثراها عام ١٩٤١ وهى فى سن الخمسين او ما يزيد عن ذلك بقليل (ولدت فى عام ١٨٩٠ وتوفيت فى عام ١٩٤١) .

كانت « مى » ــ على ما يقولون ــ تجيد عدة لغات وكانت تكتب للشـــعر بالفرنسـية ، والقصة بالانجليزية . وقد جعلت من بيتها « صالونا » ادبيا تقام فيه كل يوم ثلاثاء ندوة ادبية تجمع اعلام الفكر والادب فى عصرها ، من امثال احمد لطفى السيد ، وطه حسين ، والعقاد ، وولى الدين يكن ، والرافعى وكثير غير هؤلاء من الكتاب والشعراء .

وقد احبها كثير من مشاهير العصر مثل جبران خليل جبران والعقاد ويكن شاعرنا الرافعى وغيرهم . وهناك كتابات كثيرة من « مى » والحب فى حياتها وعلاقة المشاهير بها فى عصرها . كما لقيت قصة حب الرافعى لى وحبها له

نقدنا كثيرا من الكتاب الذين حاولوا نفي حب «مي» للرافعي ،ولكن هذا لا يعنينا هنا فنحن ، نعرض لأثر الظاهرة ـ الحب ـ في حياة الرافعي وأدبه بصفة عامة وشعره بصفة أخص ، ولا يعنينا استقصاء الحقائق حول صحة الواقعة أو بطلانها • ذلك أن الرافعي نفسه أغنانا عن ذلك في كتبه الثلاثة التى الهمه حبه لي اياها وهي : « رسائل الأحزان » ، و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد » فهو يقول في رسائل الأحزان :

« حسوت كأس الحب فدارت في دمي ، وانحدرت الى قلبي ، وصعدت الى راسي وهذه الرسائل هي الحقيقة التى كانت في خمرها قطرت من القلم كلاما ومعاني » •

« ومنذ اليوم سافصل العقل بيني وبين تلك الكاس فلا اراها ألا جنونا ملونا ومرضا مزخرفا ، ثم لا اراها الا حلما خمريا زاهيا ان حسن بالنائم أن يستغرق فيه ، لا يحسن بالمتيقظ ان يلم به •• »

ويقول أيضا في رسائل الأحزان :

« اضطرمت النار فأكل بعضها بعضا ، وهذه الرسائل هي صوت الماء الذى صب عليها ليطفئها •• »

ويقول مصورا ذلك الوهم الكبير الذى عاش فيه ردحا من الزمان :

« ان اعجابي المجنون اخرج لي من الحقيقة الصغيرة على الأرض خيالا في قدر السماء يتلألأ في عين الشمس على أجنحة الملائكة ، وكذلك الجهل •• »
ويقول كذلك في نفس المعنى :

« ان ساعة من ساعات هذا الضعف الانساني الذى نسميه (الحب) تنكيء للقلب تاريخا طويلا من العذاب ! » •

أما شعره فيها فهو جميل عذب ، وان كان لا يرقى الى مستوى نثره الذى ارتفع الى الذروة

كم أسأل الدر عن معناك باسمة
والورد عن لفظه قد اطبقت فاك !
لا الدر يدرى ولا في الورد لي خبر
ارويه عن شفتيك أو ثناياك !
يا نجمة انا في افلاكها قمر •••
من جذبها لي قد اضللت افلاكي !

ويقول عن الشعر : « وما الشعر الا أول المعاني المبهمة والدرجة الأولى من سلم السماء الذاهبة الى عرش الله • وهو كذلك أول ما في الانسان من انسانية » ..

ويقول : « واها لك يا شعر الشعراء ، أنت النقص كله مع لذات الدنيا ، وأنت الكمال كله مع آلامها »

وفى الرسالة الثالثة من رسائل الأحزان ـ يقول :

وادى هواك كان مطلع شمسه
يلقى على يأسى شعاع امانى
وكان هذا البدر فى ظلماته
يد راحم مسحت على احزانى !

وفى « رسالة ابتسامة » يقول :

يهدم الحب على قلبه
كأنه فى نفسه يتهدم
برجفة حاملها لم يزل
ممزقا فى القلب لا يلتئم
زلازل البركان لما دعت
أن سئمت بركانها المحتدم
أجابها الله الطفى وارجعى
من شفتى محبوبة تبتسم !

والحقيقة ان كتب الرافعى الثلاثة التى قالها من وحى « مى » تعتبر من أروع كتب الحب والجمال فى الأدب العربى كله ، وهى شعر ونثر ، ولكن النثر فيها أروع من الشعر ، وهو فى معظمه شعر منثور ، وكثير منه يصلح أن يكون شعرا حديثا بمعنى الكلمة ، انظر الى قوله :

فيك المعانى التى تقول أين كلماتى ؟
وفى انا الكلمات التى تقول : انت معانى !
فى نفسى عالم احلام من خلق عينيك الذابلتين
وفى نفسك عالم اسرار من خلق افكارى المعذبة
كيف تجدين مافى وانك لتعلمين انك فى ؟
اما انا فاجد كل مافيك حلوا
حلوا لان طعمه حلو فى قلبى !

ولا يتسع المقام لعرض نماذج من شعر الرافعى ونثره فى الحب والجمال والتى قالها من الهام «مى» ، وعلى من يريد أن يتزود من هذا المعين أن يرجع الى كتبه الثلاثة التى أشرنا اليها • ونختتم المقال بهذين البيتين اللذين اختتم بهما الرافعى رسائل الأحزان :

آه من الدنيا ومن
قدر على الدنيا حكم
البغض شىء مؤلم
والحب شىء كالألم !

مصطفى صادق الرافعى

سيرة وذكرى

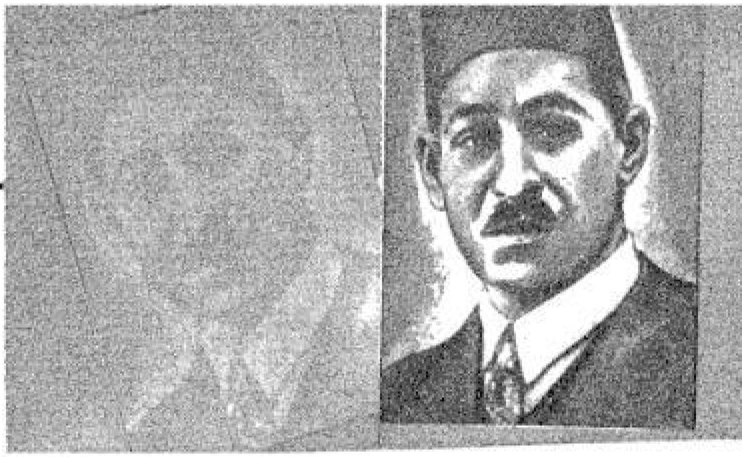
● مصطفى الشهابى ●

هو من اسرة عربية ، عريقة فى عروبتها ، توشجت فروعها فى مصر والشام واشتغل اغلب افرادها بالدين وتولوا مناصب القضاء ولذا اشتهروا بالتمسك بالتقاليد الاسلامية والصلاح والتقوى ، ولا غرو فهى اسرة يرجع نسبها الى عمر بن الخطاب

ولد الرافعى فى يناير سنة ١٨٨٠ فى بلدة بهتيم ، احدى قرى محافظة القليوبية ، فى بيت جده لابيه الشيخ الطوخى ووالده الشيخ عبد الرازق الرافعى كان رئيسا للمحاكم الشرعية فى كثير من البلاد المصرية ، وهو واحدمن احد عشر اخا اشتغلوا جميعا بالقضاء الشرعى . وقد اجتمع من آل الرافعى فى زمن واحد أربعون قاضيا فى محاكم مصر وسائر البلاد العثمانية . ولذلك نشأ الرافعى نشأة اسلامية خالصة ، جعلته يقضى حياته كلها فى خدمة الاسلام وكتابه الكريم .

درس الرافعى الخط والاملاء والانشاء وحفظ اجزاء كثيرة من القرآن الكريم على يدى والده ، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بدمنهور ، وانتقل بعدها الى المدرسة الابتدائية بالمنصورة عندما عين والده قاضيا بها، وحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٨٩٧

وفى صغره أصيب بحمى اورثته حبسة فى صوته وثقلا فى سمعه ، مما حال دون اتمام دراسته ، ثم شفى من المرض الاول وخلف المرض الثانى ضعفا فى السمع ، ومع ذلك لم ييأس ، بل اتخذ من ضعفه هذا قوة فثابر على الاطلاع وعكف على قراءة الكتب التى زخرت بها مكتبة والده . وتزايد ضعف سمعه حتى فقده تماما ، وبذلك اصبح الرافعى يعيش فى دنيا تموج حوله بأناسها وحوادثها وتضطرب حواليه أمانيها ونوازعها ، دون أن يتأثر بها ،



مصطفى صادق الرافعى

لا يسمع الا همسات روحه ، ولايحس الا خلجات قلبه ، ولا يرى سوى الهدف الذى يسعى لتحقيقه ، ومضى فى طريقه لا يلقى باله الى شىء مما حوله ، وعوضه الله عن حاسة السمع ملكة ادبية وعزيمة قوية ، واصبح اديبا وهو دون الخامسة والعشرين .

وقد عمل الرافعى وهو ابن التاسعة عشرة من عمره فى وظيفة بسيطة بالمحكمة الشرعية فى طلخا ، ثم انتقل الى محكمة ايتاى البارود الشرعية ، ثم الى محكمة طنطا الشرعية ايضا ، واخيرا استقر به المقام فى محكمة طنطا الاهلية التى ظل فيها حتى انتقل الى جوار ربه .

فى خدمة الاسلام والعروبة

واذا كانت لكل كاتب كبير كالرافعى رسالة فى الحياة ، فقد كانت رسالة الرافعى المنافحة عن اللغة العربية والدفاع عن اعجاز القرآن الكريم واحياء الاخلاق الاسلامية لتسود بين المسلمين .

لذلك كان يثور اذا حاول احد ان ينال من القرآن الكريم او اللغة العربية ، فلا يكاد يقع على سقطة أو افتراء لكاتب فى احدى الصحف حتى تثور حميته ولا يغادر مكتبه حتى يرد عليها ويدحض مافيها من مفتريات

ادب الرافعى

ولعل الذين قراوا كتابات الرافعى أدركوا انه كان علما من اعلام الادب ولسانا عربيا مبينا ، فقد كان شديد العناية باختيار الالفاظ والدقة فى صياغة العبارات ، مما جعله يؤثر فى قرائه بشكل عجيب .

وادب الرافعى مشبع بالادب العربى القديم وهو خليط من ادب الجاحظ

وابن المقفع وابى الفرج الاصفهانى ولذلك لم يكن الرافعى يكتب تلك الكتابات الصحفية الخفيفة السريعة التى تلتمس ازجاء الفراغ ، بل كان يكتب ليضيف ثروة جديدة الى اللغة وينشىء ادبا يسمو بضمير الامة ، تسير به الى المجد والخلود .

لقد كان مذهبه فى الادب : الدين واللغة والقرآن والعروبة والاسلام ، ولها جميعا كان يجاهد ، وللرافعى حب اشرنا اليه ، وحتى فيما كتب عن الحب ، لم يحد الرافعى عن مذهبه واهدافه : للدين وللغة والقرآن .

وكتبه فى فلسفة الجمال والحب تربنا كيف تسمو روح العاشق على الشهوات البشرية ، وكيف اتخذ الرافعى اسلوبا جديدا فيه الفن العميق والتعبير الدقيق والاداء الواضح للتعبير عن اعمق ما تجيش به خفايا النفس الانسانية .

الرافعى الشاعر

انشد الرافعى الشعر واتخذ منه وسيلة للاصلاح والتهذيب وخدمة الاسلام والعروبة وله «ديوان الرافعى» فى ثلاثة اجزاء ، كما الف الكثير من الاناشيد الاسلامية والقومية ومنها نشيد الشبان المسلمين الذى كتبه عام ١٩٢٧ والذى يقول فيه :

رب بالاسلام قد هديتنى
رب من نورك قد آتيتنى
فعلى العهد ما احييتنى

احرس الكنز الذى وهبتنى
او اموت دونه موت البطل

ثابتا احيا بقلب من جبل
نيرا احيا بقلب من شعل
جاهدا احيا بجسم من عدل

الرافعى والشباب

واذا كان الشباب وسلوكه مشكلة كل زمان ومكان ، فلم يهمل الرافعى ايمانه بالشباب ، بل آمن به ورسم له فى الكثير من كتاباته طريقا قويما اساسه الاستقامة والاعتدال ، حتى يلج الشباب ابواب الحياة ومناهل العلم والمعرفة آمنا مطمئنا ، ومن ثم كان يدعو للزواج وبناء الاسر وصيانة المرأة وينهى عن السفه والمغالاة وحب الظهور والايمان بالقوة .

الرافعى والملك

وكان الرافعى شديد الولاء للملك فؤاد ، لذلك قام بينه وبين الشيخ عبد الله عفيفى تنافس على لقب « شاعر الملك » وكلما حانت ذكرى عيد ميلاد أو جلوس الملك فؤاد .. الخ ، طالعت الاهرام فى الصباح قراءها بقصيدة للشيخ عبد الله عفيفى ، وتنشر المقطم فى المساء قصيدة للرافعى ... لذلك فعندما الف الرافعى كتابه « اعجاز القرآن » قام الملك فؤاد بطبعه طبعة ثالثة على نفقته .

وعندما هاجم العقاد الملك فؤاد هجوما عنيفا بسبب اعتدائه على الدستور ، كانت النتيجة ان سجن العقاد عدة اشهر، ويومئذ اخذ الرافعى يكتب مقالات شديدة فى نقد العقاد . ثم جمعت تلك المقالات فى كتاب سماه « على السفود » .

واوفد الملك فؤاد احد ابناء الرافعى للدراسة بالخارج على نفقته .

على ان الرافعى نفسه ، بعد بضع سنوات ، اسف على مسلكه تجاه العقاد ، وصرح للمغفور له أحمد حسن الزيات ، فى حديث نشره فى « الرسالة » بان كتاب « على السفود » كان رجسا من عمل الشيطان !

الرافعى ومى :

وعندما أحب الرافعى الاديبة اللبنانية « مارى زيادة » والتى عرفها الادب العربى باسم « مى » ـ كتب عنها ثلاثة كتب كلها خطابات اليها .. الكتاب الاول سماه « اوراق الورد » ولم ترد عليه « مى » بكلمة واحدة ، فاشتد حبه وزاد حزنه ، فكتب خطابات سماها « رسائل الاحزان » ، ولكن «مى » لم ترد عليه ، فزاد جرحه واشتدالمه واصبحت خطاباته دما أحمر كما يقول هو ، ثم جمعها فى كتاب سماه « السحاب الاحمر » ، وقد ظل ذلك « السحاب الاحمر » يغشى حياته حتى مات .

من آثار الرافعى

ـ النظرات : ديوان شعر

ـ حديث القمر: وهو مقالات متنوعة

ـ المساكين: مجموعة آراء فى نواحى الحياة .

ـ ديوان الرافعى : وهو يضم مجموعة من اشعاره .

ـ اوراق الورد ، رسائل الاحزان ، السحاب الاحمر ، وقد اشرنا اليها فيما تقدم .

ـ تحت راية القرآن : وهى مجموعة مقالات كتبها فى المقتطف ردا على الدكتور طه حسين ، ودفاعا عن تراثنا العربى القديم .

ـ وحى القلم: وهى مجموعة مقالات نشرت فى الصحف والمجلات وخاصة مجلة الرسالة وفيها اوضح اخلاق الاسلام ممثلة فى ابطاله العظام

ـ تاريخ آداب العرب .

ـ واخيرا وليس آخرا كتابه الخالد « اعجاز القرآن » الذى قراه الزعيم سعد زغلول وبعث الى الرافعى خطابا جاءت فيه هذه العبارة الرائعة : « كانه تنزيل من التنزيل ، او قبس من نور الذكر الحكيم ! » وكتب عنه عبد العزيز البشرى : « قرات (اعجاز القرآن) فاذا هو ابلغ ما كتب مخلوق فى كلام الخالق . »

عاش الرافعى موظفا بسيطا فى القضاء ، مكافحا بقلمه فى الصحف والمجلات والكتب عما يؤمن به ، وخاض كثيرا من الخصومات الادبية والمساجلات مع ادباء عصره .

وصعدت روحه الى بارئها فى العاشر من مايو سنة ١٩٣٧ ، وهو اوفى ما يكون صحة واوسع ما يكون آمالا فى مضاعفة انتاجه الادبى ، بعد ان بلغ السابعة والخمسين .



الرافعي

في مرآة معاصريه

● احمد مصطفى حافظ ●

حبيب الى النفس في المهرجان الأدبي الكبير لذكرى الرافعي ، .. ان نزف الى القراء اقوال بعض كبار الأدباء عن المنزلة الرفيعة التي يحتلها في الأدب العربي المعاصر ، كواحد من افذاذه ، له طابعه الخاص ، وشخصيته المستقلة ..

فهو « واحد من أولئك الذين فرضوا انفسهم على تاريخنا الفكري ، فاصبح جزءا من هذا التاريخ » كما يقول صديقنا الدكتور محمد احمد العزب .

« وقد كان يوصف في حياته بانه حجة العرب » (والقول للمازني) ــ وهذا صحيح الى حد كبير ، وقد لا يكون خير الحجج وأبلغها ، ولكنه حجة قوية بايقة لاشك في ذلك » .

« وغير قليل من أدب الرافعي سيبقى على الأيام ، ما بقى للأدب ذكر ومقام »

« وأحسبنى لا أبالغ حين أقول ان له من آثاره مالا يرقى اليه قلم فى القديم أو الحديث ، وان له صفحات عديدة فى كل كتاب يبلغ فيها ذروة البلاغة وأحسب أن هذا شأنه كلما ارسل نفسه على السجية ، واجتنب التعمل واتقى الصنعة ، وكان عيبه أن سعة علمه تغريه وتغلبه » .

« وكان رأيى فيه دائما انه أعلم أهل العربية ، وأوسع أدبائها اطلاعا على علوم الدين ، ولكنه كان لا يجد غيرها ، ولا يستمد الا منها .. وانها لبحر زاخر ، ومحيط عظيم » .

وأحسب أن هذه السطور المضيئة تعتبر بمثابة « رد اعتبار » للرافعي وأدبه، بعد رحيله (١) ، وبعد ما أصابه من قلم العقاد فى كتاب (الديوان) ، الذى أصدره بالمشاركة مع المازنى فى العشرينات ..

وفى وصف (وحى القلم) للرافعي ، يقول الدكتور عبد الوهاب عزام فى ختام مقال له عنه بالرسالة « .. هذا وصف الروض فى كلمات ، لو كانت أزهارا ما مثلته ، ونعت البحر فى سطور ، لو كانت أمواجا أدركته .. فأما الروض فى بهجة جماله ، والبحر فى روعة جلاله ، فهما ما خطه الرافعي .. فان شئت فقل جنات فى صفحات ، وعباب فى كتاب .. وان شئت فقل انه العالم فى سطور قد انتظم ، ووحى الهى سماه الرافعي : وحى القلم » .

ولعل أبلغ وصف فى أسلوب الرافعي عامة ، هو قول الزعيم سعد زغلول فى كتاب الرافعي (اعجاز القرآن) : « بيان كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم .. »

وقبله تنبأ الزعيم مصطفى كامل بمستقبل الرافعي الأدبي فقال : « .. وسيأتى يوم اذا ذكر فيه الرافعي ، قال الناس : هو الحكمة العالية ، مصوغة فى أجمل قالب من البيان .. »

كما دعا له الامام محمد عبده بقوله : « أسأل الله أن يقيمك فى الأواخر ، مقام حسان فى الأوائل .. »

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » عام ١٩٣٧ .

وقد استجاب الله لدعائه ، وأصبح الرافعي أديب الأمة العربية جمعاء ، الذي وقف قلمه على الذود عن آدابها وسمو خصائصها وأخلاقياتها ..

***

وفي مقالته بافتتاحية جريدة المؤيد ، يقول أمير البيان شكيب أرسلان عن كتاب الرافعي (تاريخ آداب اللغة العربية) : « لو كان هذا الكتاب خطا محجوبا في بيت حرام اخراجه منه ، لاستحق أن يحج اليه ، ولو عكف على غير كتاب الله في نواشيء الأسحار ، لكان جديرا بأن يعكف عليه .. »

هذا ، وتأثر الرافعي في الأجيال التي تلت جيله ظاهر بعمق ووضوح ، في نتاج الصفوة ممن أخذوا عنه ، وأقروا بفضله ، كما نلمس ذلك في قول الدكتور عبده بدوي في ذكرى الرافعي :

لست أنسى .. وكيف أنسى وخطوى كان من روضك النضير انطلاقه
لست أنسى - ولم أزل بعد طفلا كيف حاولت في ذراك الطلاقة
كنت أفقا جمعت منه نجوما فاذا الليل .. غنوة .. رقراقة

الى أن يبدع هذه الصورة المعبرة ، بقوله :

أنت أذنت بالحروف فسيل خلفك الكون ساحبا أشواقه
كل حرف زرعته .. صار يعطي أملا في النفوس .. أو اشراقه

وقول محمود حسن اسماعيل مخاطبا (مصر) بعتاب حزين :

لم يطب للنبوغ فيك مقام لا عليك الغداة مني سلام !
المنارات تنطفى بين كفيك وترهو بشاطئيك الظلام

الى أن يقول :

أنت يا مصر واصطحي أن تعيست واشجاك من نشيدى الملام
قد رعيت الجميل في كل شيء غير ما أحسنت به الأقلام
.. لم يمت من طواه في قلبه الشرق وغنى بذكره الاسلام

ولعل في مبادرة الهلال بتكريم الرافعي في ذكراه الثالثة والأربعين ما يرضى روح الشاعر الراحل .. ويطيب لنا في ختام هذه الكلمة العجل أن نطرزها بما نقتطفه من أوابد الرافعي النثرية ، التي « لا يبلغ شأوها في دقة التعبير وابتكار جليل المعاني » كما يقول محب الدين الخطيب ..

يقول الرافعي في (أوراق الورد) مخاطبا العطر :

« أيها العطر ، كانت أزهارك فكرة من الحسن ، توثبت وطافت زمنا على مظاهر الكون الجميلة ، كي تعود آخرا فتكون فن الحب ، وفي ذلك مازجت الماء العذب ، ولامست أضواء القمر والنجوم ، وخالطت أشعة الشمس ، واغتسلت بمائة فجر ، منذ غرسها الى ازهارها .. لتصلح بعد ذلك أن يمس عطرها جسم الحبيبة ، ويكون رسالة حبى اليها ..

أيها العطر ! لقد خرجت من أزهار جميلة ، وستعلم حين تسكبك هي على جسمها الفاتن انك رجعت الى أجمل من أزهارك ، وأنك كالمؤمنين ، تركوا الدنيا ولكنهم نالوا الجنة ونعيمها .. »

ويقول في ذكرى صوت مقرىء ، كان قد استمع اليه في حداثته ، قبل أن يفقد حاسة السمع نهائيا ، بعد ذلك :

« وسمعنا القرآن غضا طريا ، كأول ما نزل به الوحي ، فكان هذا الصوت الجميل يدور في النفس كأنه بعض السر الذي يدور في نظام العالم ، وكان القلب وهو يتلقى الآيات ، كقلب الشجرة يتناول الماء ويكسوها منه .

واهتز المكان والزمان ، كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى في كلامه ، وبدا الفجر كأنه واقف يستأذن الله أن يظهر من هذا النور » .

إلهام مصر



صالح جودت

• د. محمد عبد المنعم خفاجى •

مهداة الى روح الشاعر : « صالح جودت » فى ذكراه الرابعة . . .

شعرُهُ سار فى ضمير الزمانِ
سار أنشودة بكل مكانْ
ردَّدَتْه دنيا العروبة ، لحناً
ثائرَ الروحِ عبقرىُّ المعانى
احتوى كلُّ خالدٍ وسَرِىٍّ
ورفيعٍ من بعثةِ الإيمانِ
من نِداء الوجدانِ من ثورة الحـ
ـبِّ سَنَاً ، من حرية الإنسانْ
صِيغَ من روحِ الشعب ، من تالِدِ المجـ
ـدِ ، تغنيه مصرُ والهرمانِ
وأبو الهول رابضٌ أسكرته
نشوة السِّحرِ من رحيق الدنانِ
كان لحناً للحبِّ ، للوطنيا
ت ، وللمجد ، ليس كالألحانِ
هو وحىُ الآلامِ والأمل البا
سمِ والنورِ والجَوى والحنانِ
هو من ذَوبِ مهجةٍ أحرقتها
فى هَوى الغيدِ لوعةُ الحرمانِ
كان أنشودة لمصرَ جميعا
فى انتصاراتها ، وفى الأحزانِ
صوَّرَتْ بنت رقةٍ شعر (شوقى)
و « زُهير » ، والسحرُ من « حسَّان »

ولموسيقاهُ حلاوةُ شعرِ « المتنبي »
و « مسلم » و « ابن هـانى »
فى أبوللو تألقَ الشاعرُ الحـرُّ
كما قد تألق الفـرقدان
أبدًا عاشَ وهو فى نفثةِ العصرِ
المجلّى ، وفارسَ الميـدان
جاد شعرا ، وجاد نثرا ونقدا
قصَبَ السّبق حازَ عند الرهان
صالح أنت لم تمت ، أنت حىٌّ
فى تَفير الشبابِ والعنفوان
شعرُكَ الرائعُ الجميلُ صداهُ
ليس يفنى على مدى الأزمانِ
فى الحمى ، فى الأردنّ ، فى السودان
فى الربى ، فى الحجاز ، فى لبنان
صالح ، أنتِ لم تمت ، أنت حىٌّ
فى ضمير الأجيال والأوطان
كل ما كتبته سوف يَحيا
بعدَنا خالدَ الرؤى والبيان
وبإلهام مصرَ عاشَ الذى قد
كتبته يراعةُ الفنان
شاعرٌ قد فقدناه بالأمس
وكم صال صال فى الميدان
فالأسى ملءُ كل قلب ودار
ليس تنعى مصر ابنها المتفانى
ابنها البرّ مَنْ مواقفه كانت
نِضالا مواقف الشجعان
ابنها من كانتْ بلاغته تحكى
جلالَ البيان من « سحبان »
صالح أنتَ لم تمتْ أنت حىٌّ
خالدُ الذكر فى ضمير الزمانِ
أنت فينا والخلدُ رفقة عمر
لسنا صاحبيْن ، بل أخوان

ناس وصور وحكايات

ماذا تفعل لو وقعت بك السيارة فى الماء؟

لا قدر الله !

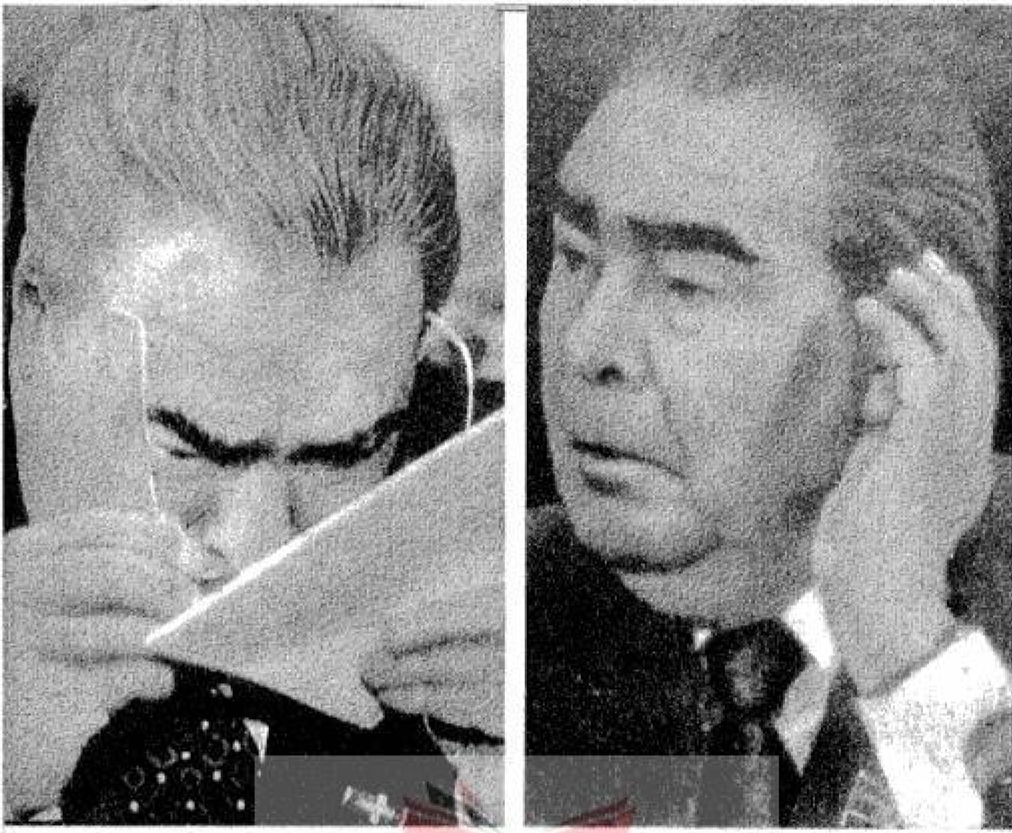
ولكن ذلك اذا حدث فلا تفعل فقط ما كانوا يقولونه لنا قبلا : اسرع باغلاق ابواب السيارة وزجاجها حتى لا يتسرب الماء . ثم يأتى الناس لانقاذك ..

هذه النصيحة لو اتبعتها كان فيها الموت المحتوم لأن السيارة اذا استقرت فى قاع الماء فلابد ان يتسرب الى داخلها . والى ان ينتشلوا السيارة بما فيها يكون كل من فى السيارة قد غادروا هذه الدنيا ..

انما الذى ينبغى ان تعمله هو ان تسرع بانزال الزجاج والخروج من نافذة السيارة قبل ان تصل الى القاع . وحتى لو غاصت فى الماء فان الخروج من النافذة ليس بالعسير .

واذا كنتما اثنين فلتخرجا فى وقت واحد وكل واحد منكما من جهة حتى لا يختل توازن السيارة وتميل على جنبها وينعدم الأمل فى الانقاذ .





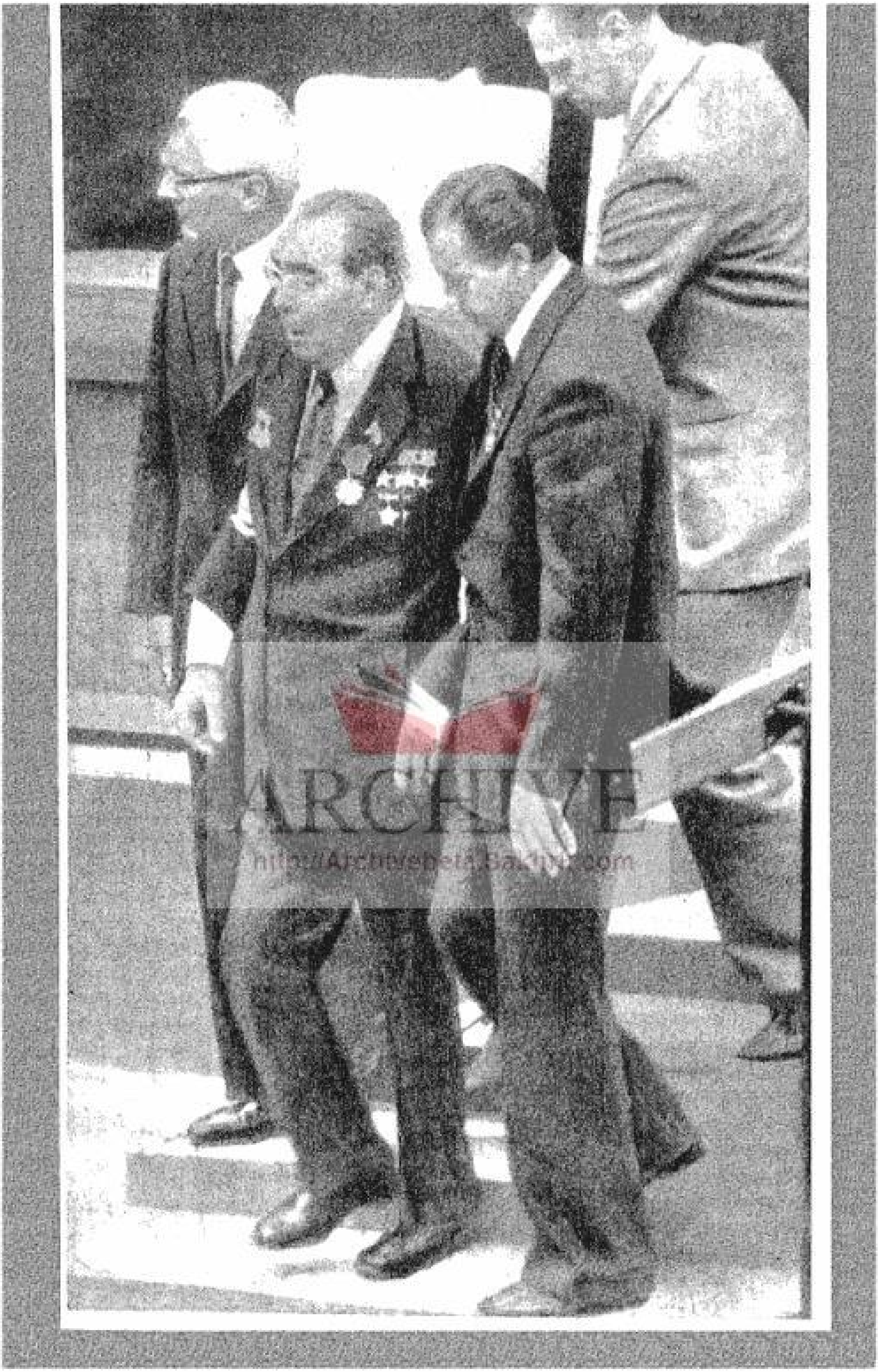
ومع ذلك يُدبر مذبحة أفغانستان !

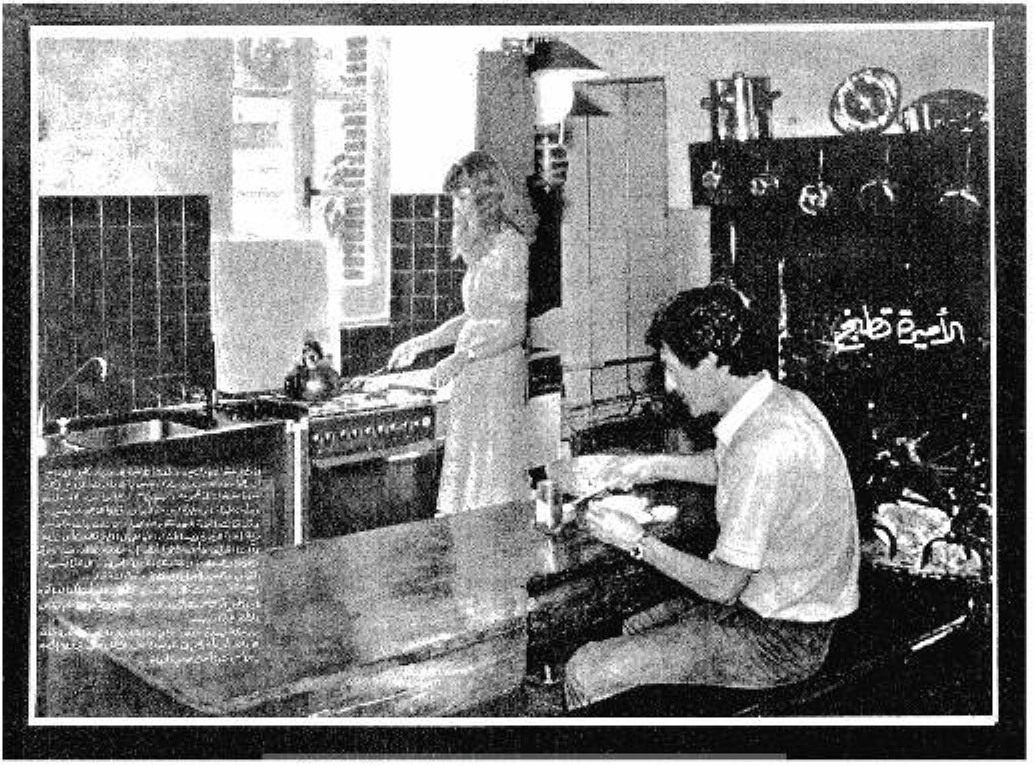
الصور التي تراها على جانبي الصفحتين تصوران قيصر روسيا ليونيد بريجنيف كما هو اليوم . رجل مريض لا يستطيع الوقوف على قدميه .

ومع ذلك ، وفي هذه الحالة الاسيفة يدير السيد بريجنيف مذبحة شعب كامل هو شعب افغانستان . يصدر الاوامر بقتل الالوف وتشريد الالوف ومحو شعب كامل من على الخريطة ..

حقا أن الشيوعية لا رحمة عندها ولا دين ..

ومع ذلك فلا يزال هناك من يؤمنون بها ويعتقدون ان فيها خيرا للانسانية ..



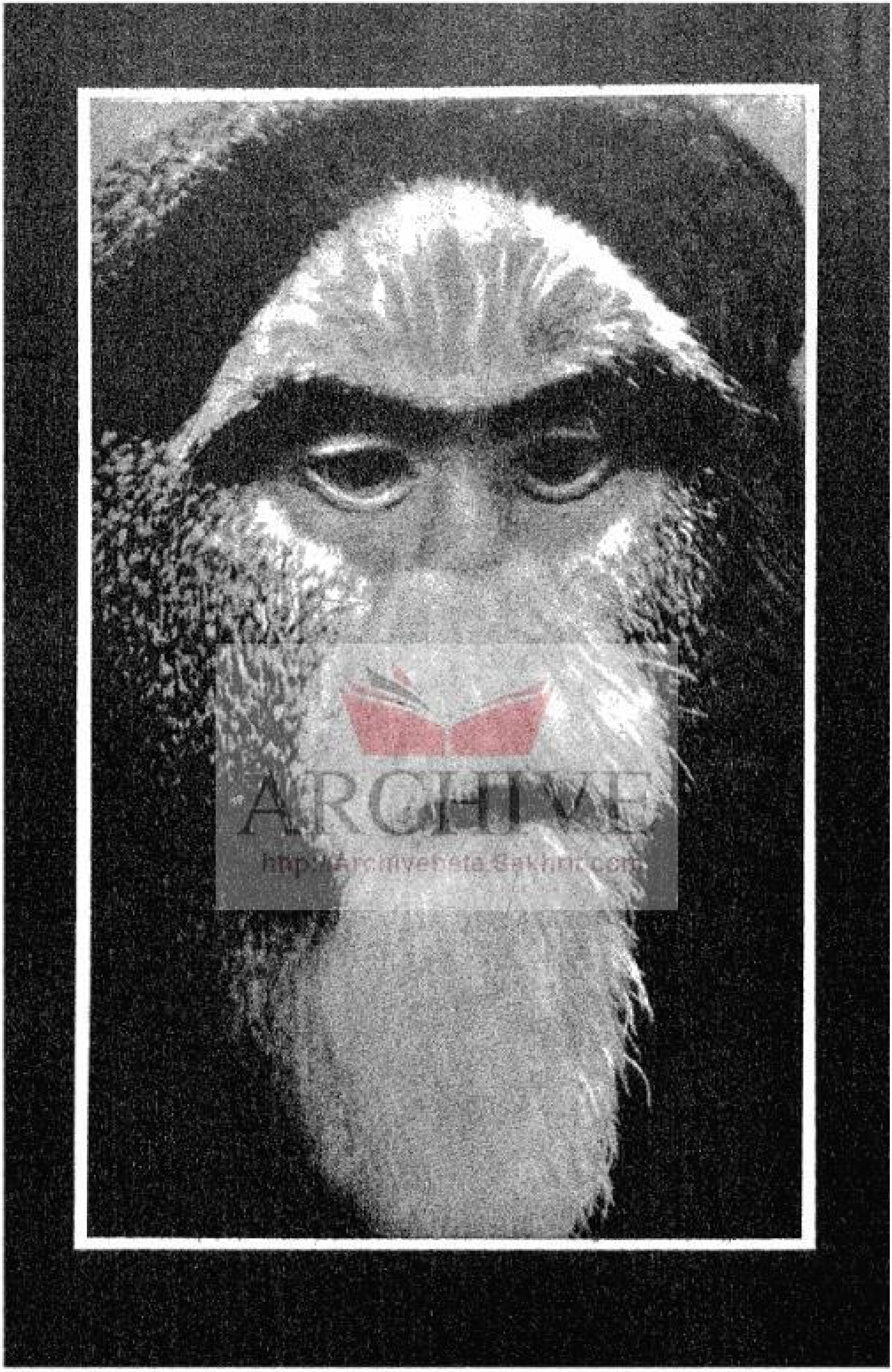

الأميرة تطبخ

يخلق من الشبه إثنين !!

هذه الصورة الا تذكرك بوجه تعرفه ..
ان هذا القرد يتساءل : ما هو الشيء الغريب فى وجهى الذى يجعل كل من يمر بى يطيل النظر الى ..
واظنك تعرف الجواب ..

فهذا الوجه يشبه وجه شخصية سياسية كبرى يتحدث عنها الناس جميعا الآن .. شخصية تهز الدنيا وتثير مشكلة من اكبر مشاكل العصر .. اتعرف من هو .. وما هى المشكلة .. !

وصاحب هذه الصورة قرد فى حديقة حيوانات ميونيخ ، وقد لاحظ الحراس ان زوار الحديقة يتزاحمون على قفص ذلك القرد ويتضاحكون . وعندما تأمل الحارس وجه القرد ملكته الدهشة من انه لم يتنبه الى ان ملامح ذلك القرد تشبه هذه الشخصية السياسية التى يرد ذكرها كل يوم فى الصحف فأبلغ ادارة الحديقة فلم يصدق المدير عينيه ، والتقطت للقرد هذه الصورة التى نشرت فى اكثر من صحيفة المانية . وقد نصح بعضهم بتشديد الحراسة على القرد المسكين مخافة ان يخطر ، بعض المهاوسر ويفكر فى الاعتداء على القرد انتقاما لما يحدث للرهائن الامريكيين .



قضايا !!

• محمد برهام •

ماتت الأسماك إلا ذكرا ... في دثار الخوف يمشي يتصبح
بنقر الحوض بأقصى جهده ... عل بابا لهروب يفتح
ترك الهم عليه مسحة ... بعد أنه كان سعيدا يمرح
مانعنا من دهشة أثوابه ... وهي ليست لحداد تصلح
يا رفيقي اقبل عزاء صادقا ... مدة في عمرك ربة يفسح
دمعة الحزن إذا ما أسبلت ... قيد الصبر برفق تمسح
إنني والأهل كنا أسرة ... قابع في « الركن » ، لماذا تنزح
عالم أنت ، وإني عالم ... بعضنا من بعضنا يستروح
لك أرنو ثم ترنو إن تضق ... صدر كل من بصيص يشرح
فرجة تسكن في طياتها ... فلسفات وقضايا تطرح !
قد حبسناك بحوض زينة ... إن حسنا فائقا قد يفضح
لونك الأرقط أغرى صائدا ... مثلما يغريه طير يصدح
لقمة للشكر جرت نقمة ... قد غدا الشاكر منها يرزح
إنني اخترتك تغدو سابحا ... في جواري ، وخيالي يسبح !
فكلانا يا رفيقي قصة ... من رؤاها يتغذى المسرح

مناجاة ..

• عبد المنعم الانصارى •

يا حبيبى أنا خلفَ الشوقِ واللهفةِ ساهرْ
لبِستْ نفسىَ من أجلكَ أثوابَ مسافر .
وبقلبى ظمأٌ يغلى ... كما البركانُ ثائرْ ...
فإذا ما ظهرتْ منكَ لعينىّ بشائر !!
فسأطوى نحوك البيدَ واجتازُ المخاطر ..!

***

وبوهج من تباريح ظنونى وهمومى ...
تهتدى مركبةُ اللهفةِ فى الليلِ البهيم .
بى إلى قصرِك فى ظلّ الدوالى والكروم .
وأناجى بابَك الفضىّ وافرحْ بقدومى !
كل ما حوْلى يا ويلى خرافى مثير ..

***

إيهِ ياعطرَ حبيبى ، إننى سوفَ أطير !
ويذوبُ القلبُ منى فى خضم من عبير
قدْ خطاىَ الآن يا عطرُ إلى البهْو الكبير
هأنا أقبلتُ من تِيهى ياحبّى الأخير ؟

***

حاملاً أشواقَ عمرى وحنينى فى يديه
ظمأَ القلبِ الذى يهفو للقياكَ وريّه !
أغنيات صنْعتها من فرحةِ اللقيا تحيّة :
وظللتُ العمرَ أشتاقُ لأن تصغى اليّه
وعلى عوْدىَ تبكى نغماتُ الأبديّه !

***

آه كم بت أصلّى لك كى تسمعَ منّى
ندما يصدحُ قيثارىَ بالشدو المُرن
غير أنى لم أكن أدركُ ما يقصيكَ عنّى
كن اللحظة جاءت ورأت نورَك عينى
فأنا بين يديك الآن يا حبّى أغنّى !

سيدات في بلاط صاحبة الجلالة .. الصحافة

● حافظ محمود ●

الهدايا اكثرها من الرجل ، واكثرها للمرأة .. ويبدو ان هذا امر طبيعي لان حواء كانت اولى هدايا الحياة لآدم ، فظل آدم وسيظل دائما يقدم الى المرأة الهدايا نظير هديتها ..

وانا اقدم قصة المرأة المصرية في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة هدية للمرأة المصرية التى قد لا تعلم انها سبقت الكثير من الرجال الى العمل في الصحافة ..

ان الصورة المتداولة عن العمل الصحفى فى مصر تشير الى ان الخطى الاولى فى مسار هذا العمل كانت للرجال فقط .. وهو رأى يبدو صحيحا اذا اخذنا الامور بظواهرها .. فالرجال هم الذين كانوا ينشئون الصحف ويحررونها ، وهم الذين نظموا العمل الصحفى سواء عن طريق نقابة الصحفيين او غيرها حتى ان السنة الاولى فى تاريخ النقابة لم تشهد انضمام امرأة واحدة الى جدول الصحفيين رغم وجود الصحفيات العاملات فى الاربعينات ، لكن هذه الصورة تحتاج الى تصحيح غير جذرى اذا رجعنا ثم راجعنا تاريخ الصحافة المصرية .

محررة من عهد الحريم

ان القصة تبدأ فى اواسط القرن التاسع عشر ولم تكن هناك صحافة مصرية لا للرجال ولا للنساء غير صحيفتين معروفتين (وانا هنا اتحدث عن الصحافة التى تنطق باللغة العربية)

● الجريدة الرسمية التى تصدرها الحكومة ، وهى جريدة « الوقائع المصرية » التى بدأ ظهورها فى سنة ١٨٢٨ .

● وجريدة « السلطنة » التى كانت تصدرها فى مصر ، من وراء ستار حكومة الخلافة العثمانية لتحاول بها ان تصد تيار الرغبة المصرية فى الاستقلال عن دولة الخلافة .. وقد بدأ ظهورها فى ١٨٥٨ .

ومع احترامى لآراء اصدقائى اساتذة الصحافة الا اننى اعتبر الصحافة « الرسمية » شيئا اضافيا على تاريخ الصحافة ،وان الصحافة اصلا هى صحافة الشعب .. وصحافة الشعب فى مصر قد بدأت وجودها بالاذن الصادر للاستاذ « عبد الله افندى ابو السعود » بان يصدر لحسابه بمدينة الاسكندرية جريدة « وادى النيل »

هذا الاذن قد صدر من الخديو اسماعيل فى سنة ١٨٦٦ ، وصدر العدد الاول من هذه الجريدة فى يوليو سنة ١٨٦٧ .. وهنا تبرز المفاجأة الصحفية المثيرة .

ففى سنة ١٨٦٥ اى قبل الخطوة الاولى للصحافة الاهلية فى مصر باكثر من سنة فكر الدكتور « محمد على البقلى باشا » كبير اطباء مصر اذ ذاك فى اصدار اول مجلة عربية متخصصة ، وكانت



امينة السعيد



هدى شعراوى



روزاليوسف

متخصصة بطبيعة الحال ، فى شئون الصحة والعلاج ، وقد اختار لها اسم « يعسوب الطب » .

لكن هذه ليست المفاجأة .. المفاجأة هى ان يدا واحدة قد امتدت لمعاونة الدكتور البقل فى تحرير هذه المجلة ، وكانت هذه اليد ليست يد رجل انما هى يد السيدة « جليلة تمرهان » .. وهذه هى هديتى للمرأة المصرية فى تاريخ الصحافة المصرية .

كيف كانت السيدة جليلة تمارس هذا العمل فى عصر كثر فيه اللغط حول تعليم البنات ؟

انني أذكر من أحاديث جدتى الكبيرة ان زوجها ، وهو جدى الاكبر ، أرسل احدى بناته لكى تدخل مدرسة البنات فى حى السيوفية مع عشرات اخر من بنات المسئولين فقط . وذات صباح قابلها أحد أصدقاء والدها وهى فى طريقها الى المدرسة محجبة يتبعها تابع من « الأغوات » فاذا به يردها بالقوة الى بيت أبيها ، ويقسم انه سوف يقاطعه اذا أصر على اعادة ابنته الى المدرسة فان تدخل سيدة فى هذا الجو ميدان الصحافة ، وتكتب باسمها المقالات كان شيئا فريدا فى نوعه .. شيئا جديرا باعتزاز المرأة المصرية بدورها فى تاريخنا الصحفى !

مقدمات صحافة نسائية

لم تتكرر قصة السيدة « جليلة تمرهان » سريعا ، لان الصحافة الاهلية فى مرحلتها الأولى كانت صحافة ثورة وحرب ومواقف كثيرة التصاخب الى أن استقرت الأمور بعض الشىء مع بداية تسعينات القرن الماضى .. فاذا بفتاة شجاعة أخرى تحاول أن تسهم مع المسهمين فى ميدان الكتابة الصحفية ، فلما لم تستطع أنشأت أول مجلة نسائية متخصصة ، هى مجلة « الفتاة » وكان ذلك فى سنة ١٨٩٢ .

وطبيعى أن هذه المجلة ، على قصر عهدها ، كانت مجلة مقفلة على النساء المتحجبات .. لكن ما كدنا نصل الى سنة ١٨٩٦ حتى تصدت لارادة التغيير سيدة أخرى من أنصار مجلة « الفتاة » فأنشأت مجلة أخرى تعلن الانفتاح الفكرى بين الجنسين .. هذه السيدة هى « الكسندرا افرينو » التى ساعدتها موهبتها على ذلك ، وقد سمت مجلتها باسم « أنيس الجليس » .

وللحقيقة العلمية أو التاريخية يتعين أن أقول بأن هذه الخطى النسائية الثلاث فى بلاط صاحبة الجلالة الصحافة كانت بمثابة المقدمات .. وان الصحافة النسائية المتكاملة فى مصر قد ظهرت بظهور مجلة « فتاة الشرق » التى أصدرتها السيدة « لبيبة هاشم » فى سنة ١٩٠٦ .

ثورة « فتاة الشرق »

لم تكن مجرد مجلة ، انما كانت ثورة فى مجلة ، فالسيدة لبيبة هاشم كانت فى الواقع هى خط الدفاع الأول عن « حقوق المرأة » بالقدر الذى كان يطيقه عصرها .

لقد ظهرت مجلة « فتاة الشرق » فى

أتون الصراع الذى كان محتدما بين قاسم امين الذى اشتهر بلقب « محرر المرأة » وبين خصومه فى الرأى .. ان هـذه السيدة كانت موفورة الذكاء ، فنقلت قضية المرأة من الجانب الذى يدور حوله الصراع ، جانب « السفور والحجاب » الى الجانب الذى رضيه المجتمع من قبل من رفاعه رافع الطهطـاوى حينما نادى بتعليم البنات .

كانت ندوة مجلة « فتاة الشرق » تدور كلها تقريبا حول حق المرأة فى التعليم والتثقيف . وشغل الوظائف التى تتصل بذلك . فنجحت ، وازداد نجاحها حين تبنت فكرة « التعليم الاهلى » وهى فكرة نادى بها عبد الله النديم من قبل بالنسبة للذكور ثم تاه نداؤه فى خضم احـداث الثورة العرابية وما تلاها ـ حتى ظهرت الفكرة من جديد على صـفحات مجلة « فتاة الشرق » وفى ندوتها ، لكن لتعليم الجنسين .

وقد استطاعت مجلة « فتاة الشرق » أن تكون لها رأيا عاما محدودا ،هو الرأى العام الذى ساعد الحركة النسـائية الشاملة التى فجرتهـا الزعيمة هـدى شعراوى فى أعقـاب ثورة سنة ١٩١٩ واقامت لها « الاتحاد النسائى » فى سنة ١٩٢٣ .

صحافة نسائية بالفرنسية

ويشـاء القدر الا تخلو النهضـة النسائية ، بزعامة هدى شـعراوى من جانب صحفى ، وقد كان شيئا تقدميا بالنسـبة لما قبل ستين عاما أن ينشىء الاتحاد النسـائى جهازا اعلاميا لحركته باصدار مجلة « المصرية » سـنة ١٩٢٥ التى أشرفت على انشائها وتحـريرها بالفرنسية والعربية الأسـتاذة سـيزا نبراوى التى نذكرها فى هذه المناسبة بما هى أهل له .. وقد ظلت هذه المجلة تصدر بانتظام زهاء خمسـة عشر عاما ، واعجب بهـذه المجلـة باحث جامعى من المانيـا ، فوضـع فيها كتابا أحـرز به درجة الدكتوراه فى الصحافة من جامعة برلين .

لقـد كانت مجلة « المصرية » وحيا يوحى لفتـاة مصرية ثائرة كانت تدرس القانون فى فرنسا ، وهى المرحومة منيرة ثابت،فما أن حصلت على درجة الليسانس فى سنة ١٩٢٧ حتى شرعت فى تحقيـق حلمها العريض بانشاء جريدتين « عربية وفرنسية » وقد صدرتا باسم « الأمل فى سنة ١٩٢٧ بمعاونة الصحفى الكبير عبد القـادر حمزة باشـا منشىء دار « البلاغ » وكان لهذه المعاونة اثرها فى التحول بالجريدة الفرنسية الى جريدة يومية سياسية .

لم تعش الجـريدة الفرنسـيـة «ليسبوار» طويلا ، أما زميلتها الاسبوعية العربية ، وهى جريدة « الأمـل » فقـد ظلت المرحومة منيرة ثابت تكافح كفاحا مريرا لاستمرار اصدارها فلم تتوقف الا بوفاة السـيدة منيرة فى منتصـف الستينات .

قصة روز اليوسف

كانت الصحافة النسائية فى مصر الى ذلك الحين صحافة رأى يدور حول قضايا المرأة وطنيا وسياسيا واجتماعيـا .. لكن هذا الوضـع تغير بدخول السيدة فاطمة يوسف «روز اليوسف» فى ميدان الصحافة سنة ١٩٢٥ بانشـائها مجلتها التى عاشت عاما على فن النقد فى مجالي الأدب والمسرح .. ثم تحولت بها الى مجلة من الطـراز الأول للخبر والكاريكاتير السياسى البحت ..

والسـيدة روز اليوسـف هى أول مصرية تنشىء دارا صـحفية تصـدر عنها المجلات والكتب ، وتتلمذ عليها فوج كبير من الصحفيين الجدد ، وفى مقدمتهم نجلها احسان عبد القدوس .

ان هذا الكلام يتردد كثيرا ،لكن الاهم منه فى نظرى أن روز اليوسـف كانت قصة كفاح نادرة المثـال .. يكفى أن صـحيفتها كانت أول صـحيفة ينعقد بسـببها حزب الأغلبية فى منتصـف الثلاثينات ليقرر انفصالها عنه ، ولقد كان الذى ينفصل عن هذه « الأغلبية » فى الماضى يكتب بيده شهادة وفاته سياسيا

لكن السيدة روز اليوسف استطاعت ان تصمد طويلا .

ولعل السيدة روزاليوسف هي أول وآخر صحفية من الجيل السابق دخلت السجن اربعة أيام في محاولة من السلطة لتغير رأيها ، لكنها لم تتغير .. وربما لم تكن هذه الأيام الاربعة في السجن هي الهول كله في حياتها الصحفية .. لقد رأت أهوالا أخرى أشد قسوة كالجوع والحرمان والافلاس .أفلست روزاليوسف الانسانة ماليا أكثر من مرة .. لكن صحيفتها لم تفلس يوما واحدا ، لأنها كانت تفضل صحافتها على احتياجاتها الخاصة

قصة كفاح امينة السعيد

وهنا لابد أن أنتقل من الصحفيات مالكات الصحف الى الصحفيات المحررات فاجدني وجها لوجه أمام الزميلة الجليلة الاستاذة أمينة السعيد .

كان شيئا عجيبا أن تدخل فتاة مصرية دارا صحفية لتعمل مع الصحفيين في مكاتبهم .. كان هذا شيئا عجيبا في منتصف الثلاثينات حينما تجرأت الفتاة أمينة السعيد طالبة كلية الآداب وخريجتها على العمل في جريدة « كوكب الشرق » كما تجرأت على العمل في الاذاعة المصرية على عهد نشأتها .. لكن هذه لم تكن الا احدى أولويات أمينة السعيد .

فهي أول « محررة »
وأول رئيسة تحرير ..
وأول رئيسة مجلس ادارة
وأول صحفية تصاحب رئيس الدولة في رحلاته الخارجية .
وأول صحفية تنتخب ، بما يشبه الاجماع ، عضـوا في مجلس نقابة الصحفيين ووكيلة لهذا المجلس ، وهي أولوية لم تسبقها اليها اية سيدة في المهن الأخرى .

فتحت السيدة أمينة كل هذه الأبواب للمرأة في الصحافة المصرية وفي مجالس النقابات المهنية والعمالية جميعا ..وهذه حقيقة فاخرة ينبغي أن يعرفها الصحفيون والصحفيات جميعا .



منيرة ثابت

دور آخر للمراة

الى هنا وأرى أن هذا البحث لن يتم الا اذا ذكرت للمرأة المصرية مواقفها ليس فقط في العمل الصحفي . بل في مساندة لوامع الصحفيين .

نعم ... الى هنا أحني رأسي تحية للسيدة التي شاركت قديس الصحافة أمين الرافعي جهاده الصحفي العظيم .. أمين الرافعي الذى توفي في سنة ١٩٢٧ هو الذي قال عنه الشاعر حافظ ابراهيم « لقد كان أطهرنا جميعـا » وقال عنه الشاعر خليل مطران « لقد كان طاهر الجيوب » وطاهر الجيوب هذا كان يملك دارا صحفية تهز رواسخ السياسة هزا ، ومع هذا فقد بحث يوما عن ستين قرشا فلم يجدها ، وعاد الى بيته ليجد فيه السيدة التي احتملت هذا كله . **والتي كانت من أجله ومن أجل الكفاح تعيش على وجبة واحدة كل يوم . !**

ولئن كانت قرينـة أمين الرافعي قد بلغت القمة والفداء في سبيل حرية الصحافة التي كانت كل شيء في حياة قرينها — فان هناك أخريات .. أمهات وزوجات وبنات كان لهن بعض هذا الفضل .

أنا أيضا مدين بالكثير في حياتي الصحفية لزوجتي التي فقدتها منذ شهور وتعلمت منها أن دور المرأة المصرية في الصحافة ليس مقصورا على ما عملته في دور الصحف فقط ، بل وأيضا فيما عملته كثيرات صامتات مؤمنات بالصحافة في بيوت الصحفيين .

المرأة الشاعرة

● د . احمد الحوفي ●

● كانت المرأة ـ وما زالت ـ ينبوع شعر ، ومشرق الهام ، ومجال فن حتى أن مئات من الادباء والفنانين اقترنت أسماؤهم بنساء غرسن في حياتهم ازهارا او اشواكا كامرىء القيس وعنيزة ، وعنترة وعبلة ، وعروة وعفراء وجميل وبثينة ، وقيس بن الملوح وليلى ، وقيس بن ذريح ولبنى وابن الرومي ووحيد ، والبحتري وعلوة ، وابن زيدون وولادة ، وجبران وسلمى كرامة ، والرافعي ومي ، والعقاد ومي ثم سارة ، وتبرارك ولورا ، وبوشكين وغراسيا وجيته وشرلوت ، ودانتي وبياتريس ، ولامرتين وجوليا .

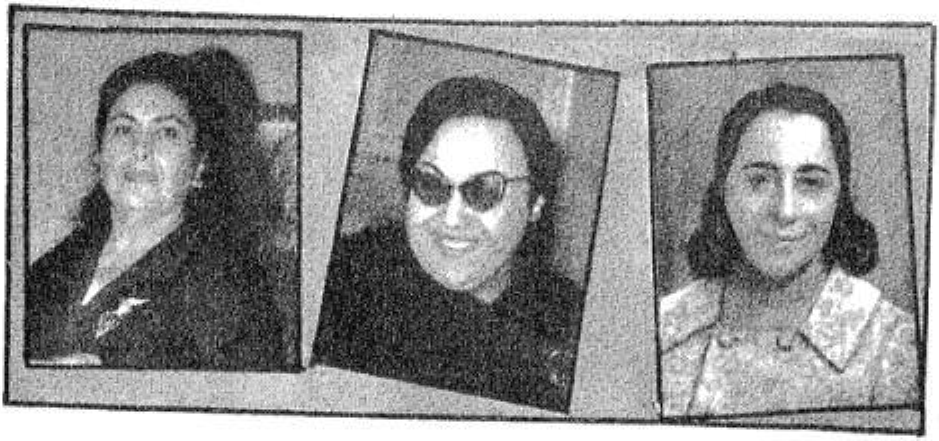
هذه المرأة التي الهمت واوحت ، واسعدت واشقت ، مارست الشعر والنثر منذ زمن قديم ، ومازالت تمارسهما الى اليوم في نطاق أوسع ، وتطور أسرع .

فما الميادين التي جالت فيها شاعرة ؟

وما ابرز السمات التي يمتاز بها شعرها ؟

من السهل علينا حينما نتتبع الموضوعات التي مارستها المرأة الشاعرة أن نذكر منها في الصدارة الرثاء ، والحنين الى الوطن ، والوصف ، والغزل ، والتهنئة ، والمدح ، والابتهال الى الله تعالى ، والتأمل في الاخلاق والحياة .

ثم يطالعنا منها في السنوات الاخيرة تمجيد الامومة ، والاكثار من الحنيات الاطفال ، والاشادة ببطولة المجاهدين ، والتنويه بمآثر الثورات العربية ، والتحميس على استرداد فلسطين ، والدعوة الى الوحدة العربية ، والابتهاج



نازك الملائكة — روحية القلليني — شريفة فتحي

بالاستقلال ، وامثال هذا مما يتصل بالاحداث المعاصرة التى انفعلن بها ، فعبرن عن انفعالاتهن فى شعر ..

***

أما السمات العامة التى يتسم بها شعرهن فهى كثيرة ، حسبنا منها ما يأتى :

١ ــ يتسم غزلهن بانه مزيج من التمويه والاضطراب والابهام والتخفى فى أزياء يسمينها الكبر تارة ، ويسمينها الدهاء تارة ، فيجئ أكثر غزلهن غامضا أو مكتوما لكنه يتفلت الى الظهور !

وقد يزعمن أن غزلهن من تدريب القريحة ، او من المعارضة ، او من الخيال المحض ، أو من التصوف .

من هذا قول نازك الملائكة :

لا تسلني عن سر ادمعي الحرى
فبعض السر يابى الوضوحا
بعضها يؤثر الحياة وراء الحسن لغزا
وان يكن مجروحا
لا تسلني لا تجرح السر فى نفسى
ولا تمح كبرياء سكوتى
لو تكلمت كان فى كل لفظ
قبر حلم وفجر جرح مميت
وتظل الحياة تخلق من وجهى
قناعا صلدا يفيض رياء
جامدا باردا أصما ويخفى

المــــرأة الشــاعرة



مي زيادة

بعض شيء سميته كبرياء !

***

لا شك أن كثيرا من شعرهن نابع من مشاعر صادقة ومن عواطف جياشة ، ولا سيما الشعر المتصل بالغزل والرثاء والامومة ، لانهن أبعـد من الرجال عن مضايق التورط والمجاملات والمناسبات التى قد تضطر الشعراء الى شعر زائف ، وان كان حرص الشواعر المعاصرات على شهود المجامع وعلى المشاركة فى المؤتمرات والندوات ، وتنافسهن فى الانتاج وذيوع الصيت يحمل بعضهن على أن يستقين من عواطف ناضبة ، ويستمددن من وشل أو من ينابيع جافة ..

● وشعرهن مقطعات لا قصائد ، لان القصيدة الطويلة تحتاج الى صبر وجهد وعزيمة ، وهن لا يطقن الصبر على هذه المعاناة كما يطيق الرجال .

● وتمتاز قصائدهن ومقطعاتهن بوحدة الموضوع ، وهذه محمدة لهن ، وربما كان مرجعها الى انهن يستغرقن فى الموضوع الواحد فلا يشغلهن اليه سواه ، أو الى انهن يسكبن مقدرتهن فى هذا الموضوع ثم لا يلبثن أن يشعرن بتخلف المقدرة وتعذر البيان ، فيكتفين بما قدمن وقلن .

● ويسهل على من يتملى شعر النسوة أن يجد به كثيرا من التعبيرات الانثوية ومن الصور المتصلة بالانوثة ، لان هذه وتلك صدى لحياتهن ولنفوسهن .

من هذا قول روحية القليني :

سـهرى يا نجم وجـد وحنين ونـواح
ووسـادى وحده يعلم اسرار الجـراح
قصتى بالدمع ارويها على سـمع الوسـاد
يكتـم السر امينـا حين يبـديه الوداد

● كما يجده حافلا بكلمات متصلة بتكوينهن وبمشاعرهن وبحياتهن وبتجاربهن أكثر من اتصالها بحياة الرجال ، مثل البكاء والدموع ، والانين والتأوه والجراح والصراخ والحنان والاسترحام والشفاء .

تقول شريفة فتحى ذاكرة البكاء والدمع :

وأنا التى أبكى برنة ضحكتى



حيام رمزى　　　　عاتكة الخزرجي　　　　عائشة التيمورية

فى عبرة تجرى وراء العبرة
فجعلت من دمعى مداد كتابتى

وتقول هيام رمزى ذاكرة الدمع :

كان شعرى دمعه كبرى　　　وقيثارا خصيب
دمعة تبكى على الاحـزان　　　والوطن السليب

وتقول نازك الملائكة ذاكرة الشفاه :

ورأيناها شفاها خوت　　　لم تعد تشتكى او تجوع
واكفا ذوت وانطـوت　　　لم يعد لأساها دموع

وتقول شريفة فتحى ذاكرة الشفاه :

يا زورقا ينساب فى بحر الغرام　　　مترنح الخطوات نشوان الهيام
شبهته بشـفاه ثغر حائرين　　　متردد بين البكاء والابتسام

أما الصراخ ففى قول نازك الملائكة :

تعذبنى حيرتى فى الوجود　　　واصرخ من الم من انا ؟

وأما الجرح والجراح ففى قول عاتكة الخزرجي :

اظــل أيا نخلة الشــاطئين　　　فــؤادى بأفيــائك الحــانية
ولا تنكئى ما بـه من جــراح　　　لئـلا تكــون بهـا القاضــية !

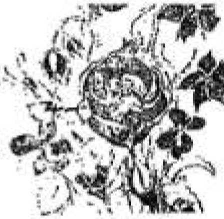
وأما الاهات والأنات والتوجع والخيبة وما شاكلها فهى كثيرة ، مثل قـول عاتكة :

ويا خيبتى بالناس حـين بلوتهم　　　فلله درس ما اشــد واقسى

● على أن شعرهن رقيق التعبير ، لين الاسلوب ، خال من العمق الفكرى ، ومن تفويف الخيال ، ومن توليد المعانى، ومن الحكمة التى اشتهر بها كثير من الشعراء فى القديم والحديث مثـل المتنبى وشوقى .

وان جنحت الخنساء احيانا الى الجزالة والاغراب ، وحاكت القدماء عائشـة التيمورية فى بعض قصيدها فمالت الى الفخامة والصناعة ، فتوارت أنوثتهـا خلف استار المحاكاة ..

زهرة التيوليب وخطوطها



● ماهر شفيق فريد ●

في مجلة « ايريل » الكندية الصادرة في ابريل الماضي كتب روبرت فوكنفليك ، مدرس الادب الانجليزى بجامعة كاليفورنيا، مقالة عن رواية«راسلاس» للدكتور صمويل جونسون ، وهي رواية لها ترجمتان عربيتان جيدتان ، احداهما بقلم الدكتور مجدى وهبة ، والاخرى بقلم الدكتور لويس عوض في سلسلة « اقرا » . وعنوان المقالة : « زهرة التيوليب وخطوطها » . وهي اشارة الى قول الدكتور جونسون في الرواية ان وظيفة الشاعر ليست هي ان يحصى عدد الخطوط على زهرة التيوليب وانما ان يصف لنا ما تشترك فيه مع غيرها من الازهار، يريد بذلك ان الشاعر احرى بان يركز اهتمامه على العموميات منه على الخصوصيات ، وهو ما يتسق مع مذهب الكلاسيين في القرن الثامن عشر .

ويقول فوكنفليك كاتب المقالة عندما اورد الناقد الانجليزى ليزلى ستيفن — والد الروائية فرجينيا وولف تلك القطعة من رواية « راسلاس» التى اسلفنا ملخصها ، وهى تقع في الفصل العاشر من الرواية ، دعاها « شذرة ربما كانت خاتمتها هى أشهر مقتطف من كتابات جونسون » .

وفي عصرنا دعا الناقد الامريكي و.ك ويمزات هذه القطعة واحدة من قطع جونسون التى لامفر من ايرادها عند الكلام عن ايمانه بالكليات لا الجزئيات.

ومن الافتراضات الكامنة وراء الاهمية التى تعلق على هذا الفصل من رواية « راسلاس » خلال القرنين الأخيرين ما يتجلى في سيرة جونسون التى كتبها سير جون هوكنز حيث يقول : « لقد اعطانا جونسون في هذه الحكاية التى مسرحها الحبشة مايدعوه اطروحة عن الشعر ، واعطانا فيها ما يلوح لى وصفة لصنع الشاعر تستطيع ان تستخلص منها ما ظنه العناصر اللازمة لذلك » .

ويضمر هذا الراى اعتقاداً مؤداه ان شخصية «املاك» في الرواية تنطق باسم جونسون ذاته ، وهو اعتقاد حاول بعض النقاد دحضه في السنوات الاخيرة ، ومصدر القلق الذى يثيره وجود «املاك» في هذا الفصل هو ان بداية الفصل الحادى عشر تقلل من اهمية « املاك » وتلقى بالظلال على سداد ما يعبر عنه من آراء ولهذا السبب عاد الناقد ولتر جاكسون بيت في كتابه المسمى « ما حققه صمويل جونسون » الى مخالفة آرائه الخاصة السابقة وعزا الى الفصل اهمية اقل من تلك التى سبق ان عزاها اليه في كتابه المسمى «من الكلاسيكى الى الرومانتيكى » .

ويبقى اخيرا ان نضيف ان الدكتور جونسون قد حظى باهتمام احد اساتذة الادب الانجليزى بجامعة القاهرة وهو الدكتور مجدى وهبة الذى اتخذ منه موضوعا لرسالته للدكتوراه واصدر عنه كتابا بالانجليزية ، كما نشرت عنه بضع مقالات بالانجليزية للدكتورة فاطمة موسى وآخرين في مجلة « الدراسات القاهرة » التى كانت تصدر بصفة غير منتظمة عن قسم اللغة الانجليزية بكلية الاداب ، جامعة القاهرة ، وانقطعت منذ سنوات عن الصدور. ●

كأنك لم تكن

● د . على الباز ●

كأنك لم تكن ...
يوما .. حبيبى !
ولم يك بيننا
يوما .. غرام !
أتلقانى ...
تلوح من بعيد .. !
وفى شفتيك ..
يصطنع ابتسام !
وكنت إذا لقيتك ..
بين صبح
وبين الليل
قلت : أمر عام !
وتخجل إن تسلم
بالأيادى ...
وكنا بالشفاه
لنا .. سلام !

● دكتور على الباز
من ديوانه الجديد
« دقات قلب »

كلما تقدم العلم أصبحت الخرافة تبدو أكثر معقولية مما كانت !

نحن وأمنا الأرض

● محمد الحديدي ●

● لم تعد لدى العلم - بوصفه وسيلة للملاحظة والتجربة واستنباط القوانين - لم تعد لديه « اجابات صحيحة » و « حقائق ثابتة » كما كان يظن ، وكما كان مأمولا عندما فرح الناس والعلماء باكتشافاته الاولى .. حتى علم الفيزياء ، الذى يتناول قطعا من المادة الصماء فى الحركة والسكون والتمدد بالحرارة والاصوات والأضواء ، دون الغوص فى أعماق الذرة والتفاعل الكيميائى واشعاع الالكترونات « او محذوفا منه هذا » أصبح يتعرض للشكوك..

وكم من معتقدات وقوانين « ثبتت » بالتجربة ثم اتضح أن قدرتنا على التجربة والاستنتاج كانت محدودة وأننا بنينا كل شىء على افتراضات غير صحيحة .. قوانين نيوتن فى الحركة ، سوف تصمد لأى تجربة ، وفى مجال الهندسة والتطبيقات العملية لاتزال اصلح من اى وقت مضى، ولكنها - كما اظهرت النسبية وغيرها من نظريات العلم والفلسفة - كانت قائمة على تصور الزمن المطلق والمكان المطلق ، والكتلة الثابتة، ونحن نعرف الآن أن الزمن والمكان لا يوجد احدهما منفصلا عن الآخر ، وانهما وجود نسبى ، ليست هناك « هوية » لأى زمن ولا مكان ، طبيعة الفراغ او الفضاء هى نفسها لغزمحير، قد لا يكون هناك شىء اسمه الخط المستقيم ولو كان يبدو لنا كذلك !

اما الكتلة ، وهى كمية المادة ، فليست هى الاخرى شيئا مطلقا او ثابتا بل تتغير بتغير السرعة ، والسرعة - ككل شىء - نسبية ، تختلف باختلاف مكان من يحاول قياسها ، الزمن لا يسير بمعدل

ثابت ، ولو ركبت صاروخا فضائيا يطير بسرعة هائلة ، فان عمرك سوف يطول ! لأن الزمن سيسير بمعدل ابطأ ، ولعل هذه من نعم الله على خلائقه الذين يريدون السفر الى ارجاء ملكه ، بشيء من التقدم في علوم الوراثة والتحكم في خصائصها ، قد يتسنى ابطاء الشيخوخة واطالة العمر — طبقا للقوانين التي وضعها الخالق — ثم بركوب الصواريخ قد يتسنى ابطاء الزمن . وهكذا يمكن — « للقادرين »على الأقل — ان يمضوا اجازاتهم في مصايف الكواكب الاخرى .

كل تطور جديد في صناعة الميكروسكوب ، يكشف عن تفاصيل جديدة ومثيرة في اشياء صغيرة لم يكن احد يتصور ان لها تفاصيل او انها تنقسم الى مكونات !.. انه يبدو كما لو انه كلما صغر الشيء كان عالما او كونا مستقلا بذاته يعادل كل ماحوله في تعقيده وتراكب اجزائه !.. كل تكبير جديد يتيحه نوع متطور من المناظير الفضائية يضيف الاف المجرات السماوية الى قائمة لا نهاية لها من هذه الاجسام اللامعة ، قائمة لم تعد تعني شيئا الا عند الرياضيين .

الاعماق لا نهائية . منذ خمسين سنة كان علماء الاحياء سعداء بانهم يعرفون ان الخفافيش تلتهم الهوام الصغيرة الطائرة .. ثم اكتشفوا ان الخفاش يصدر اصواتا لا يسمعها الانسان ، بواسطتها يحدد موضع فرائسه « رادار » على درجة عالية من الكفاءة .. ثم اتضح ان لدى الحشرات بدورها — وسيلة للاستماع الى الوحش المفترس وهو يقترب ثم الافلات منه بحيث لايجدها عندما يتلقى اصداء موجاته الصوتية .. بدات الخفافيش تستخدم اسلوب الطيران المتذبذب ، ولذلك تراها تتراقص في الهواء لكي ترتبك الحشرات ، ولكن الفرائس الصغيرة ما لبثت ان تزودت بوسائل التشويش على « الرادار » ، وهكذا .. ولا تزال الوطاويط تلتهم فرائسها الصغيرة ونحن نرقب ذلك دون ان ندرى ما يجرى وراء ستائر هذه « الدراما » المحيرة ! .

وهكذا ، كلما تقدم العلم اصبحت الخرافة تبدو اكثر معقولية مما كانت ، فمن يدرى ؟ .. اذا كانت الخرافة هي كل ما لا يتسنى تفسيره بما نعرفه الآن ، فلماذا لا تكون هي علم المستقبل ؟ .. واذا كانت آذاننا لاتسمع صيحة الوطواط وهو يلاحق فرائسه التي يلتهمها دون أن يستطيع ان يراها ، فما أكثر مايجرى مما يمكن أن يسمع ويرى ويلمس ، ونحن لا ندرى !

● شعرة في فرو ثعلب ●

هناك حياة على الارض ، وهي حياة واحدة ، تضم كل حيوان ونبات على ظهر هذا الكوكب . وقد قسمها الزمن الى عدة ملايين من الاجزاء ، ولكن كل جزء منها ليس الا عضوا في التكوين الكلي ، فالوردة وردة ، ولكنها ايضا ارنب وعصفور ، كلنا من مادة واحدة ، منصهرة في ذات البوتقة .

هناك اثنان وتسعون عنصرا من المادة توجد في الطبيعة ، كما نعرفها على الارض ، ولكن ستة عشر منها فقط هي التي يتكون منها الكائن الحي ، منها النتروجين والايدروجين والكربون ، وواحد منها ، الكربون — يلعب دورا اساسيا في الحياة لقدرته الفائقة على تكوين انواع عديدة من السلاسل والحلقات التي تنشأ عنها تراكيب كيميائية تبادلية كثيرة ، ولكن من بين آلاف التراكيب الممكنة ، فان البروتينات الحيوية كما نعرفها على الارض تتكون من عشرين حمضا امينيا فقط .. فانظر كم شكلا من اشكال الحياة يمكن ان يوجد بالاضافة لما يوجد !

الأدهى من ذلك ان انواع هذه البروتينات تأتي في موضعها المناسب ووقتها المناسب لتكون الاعضاء المختلفة واشكال الحياة المتباينة بناء على « برنامج » مسجل في شفرة ، هذه الشفرة يحملها جزيء ، وهناك اربعة جزيئات فقط هي التي تحمل هذه

الشفرة ، مهما كان نوع المركب الحيوى ، سواء كان ورقة شجرة أم شعرة فى فرو ثعلب .

● قدرة غاية فى الروعة ! ●

يتضح لنا من هذا ان صور واشكال الحياة — حتى بما نعرفه نحن —لها احتمالات كثيرة لم تحدث بعد ،اى ان فى جعبتها الكثير مما لم تخرج به وليس فى علمنا ما اذا كان هذا سيحدث — او حدث فى مكان آخر .

ومع ذلك فالحياة ، حالة استثنائية! .. الكون فى غاية الضخامة وفى حالة يبدو لنا انها لاترحب بوجود الحياة ، كما ان الترتيبات الوضعية التى يجب ان تتخذ او تحدث تتطلب درجة عالية من التنظيم لا تتفق مع ماحلا لها، واستمرار الحياة يتطلب المحافظة على أوضاع غير مستقرة ، وهى تستمد مكوناتها من البيئة المحيطة بها ، وهذه البيئة مليئة بالاحتمالات وتسودها الصدفة ، ومع ذلك فالكائن الحى يستمد منها الطاقة الغذائية ، والمعلومات اللازمة لاستمرار الحياة ، وهذه هى اكثر الظواهر عجبا ، استخراج « النظام » من الـ « لانظام»، ولكن الحياة تصل الى ذلك بقدرة فى غاية الروعة .

الكون مكان فى غاية الضجيج ، كل شىء فيه عرضة للقصف المستمر من ملايين الانواع من الموجات الكهرمغناطيسية والصوتية ، والحياة تحمى نفسها من هذا الجحيم بما هى مزودة به من صمامات هى أدوات الحس، ثقوب صغيرة تسمح بمرور ما هو مطلوب فقط ، وهو مدى صغير من الذبذبات ، ولكن هذه احيانا تكون اكثر مما هو مطلوب ، ولذلك يوجد وراءها جهاز عصبى يفرض مزيداً من « الرقابة » ...

وقد اجرى احد الفسيولوجيين تجربة على قطة بأن عرضها لدق مستمر من آلة كهربائية تحدث صوتا متميزا ، استرعى انتباهها هذا الصوت ولكنها ما لبثت ان اعتادته ولم تعد تلقى بالا اليه ، وعندما انقطع ، عادت فاهتمت بما يجرى .. وكذلك نحن ، انت تنام رغم وجود صوت مستمر من آلة قريبة او من السفينة التى تركبها، جهازك العصبى يعتاد هذا الصوت ويرفض ان يلقى بالا اليه، ولكنه عندما ينقطع فانك تصحو فى الحال !..

وقد تنام الأم فى غرفة بعيدة عن غرفة طفلها وهناك صوت رتيب يستمر طوال الليل وهى لاتدرى به فى نومها ولكن الطفل قد يصيح بصوت اخفض منه ، فتصحو فورا ..

الكائنات الحية اذن تتلقى المعلومات من البيئة المحيطة بها ، ثم « تعالجها » طبقا لبرنامج « وهو البرنامج الذى يحقق لها اعلى فرصة فى البقاء » ثم تخرج معطيات هى بدورها مصادر معلومات لأشكال اخرى من الحياة ، وهذا فى ذاته وصف دقيق لما يحدث فى « الكومبيوتر » ، ولذلك فانه ليس من المستغرب ان يكون لدينا فهم أعمق للحياة فى ذات الوقت الذى نتوصل فيه الى ابتداع « الكومبيوتر».

هذه « التصفية » او « الترشيح » للأصوات والعوامل الخارجية ، كان تكون شاردا تماما وهناك اسماء كثيرة تنادى وعبارات تقال ، ثم ينادى احد اسمك فينتزعك من شرودك مع انك لم تكن منصتا — تظهر كيف ان الحياة « تفرز » كل هذه الفوضى التى تعج بها البيئة التى نعيش فيها لتستخرج منها الأشياء غير المحتملة — مثلها ، فهى ذاتها نظام يتصادف ان يتكون فى قلب هذه الفوضى ، مجرد شىء غير محتمل.

● هذه المصادمات الكونية ●

وجود الحياة اذن احتمال ضئيل جدا فى وسط هذا الكون الذى لايدل منظره عليها ، واستمرارها احتمال اقل .. واضال،ويقل من ذلك احتمالا

الكون مكان في غاية الضجيج، كل شيء فيه عرضة للقصف المستمر من ملايين الأنواع من الموجات الكهرومغناطيسية والصوتية، والحياة تحمي نفسها من هذا الجحيم بما هي مزودة به من صمامات هي أدوات الحس، ثقوب صغيرة تسمح بمرور ما هو مطلوب فقط، وهو مدرك صغير من الذبذبات..

ماوقع فعلا على هذا الكوكب وهو وجود مليون صورة من صور الحياة، وهذه ليست الا قمة الهرم الذى يحوى اشكالا اكثر واكثر من التجارب المحبوبة التى لم تستطع البقاء.

من الصعب على المرء مهما كان ميكانيكيا فى تفكيره ـ ان يتصور ان كل هذا جاء بالصدفة! وهناك عالم فى الوراثة يقول ان هذا هو نوع الصدفة الذى يحدث عندما نظل نلقى بحجر بعد حجر املا فى ان تحدث الصدفة التى تؤدى الى تكوين منزل يصلح للسكنى! قد تكون الصدفة قد لعبت دورا فى الموضوع، ولكن لابد ايضا ان فى اعماق كل هذا الى «اللانظام» الكونى « برنامجا » هو الذى ساعد هذه الصدفة على الحدوث.

ولكى نوضح ما نقصده بـ « عدم النظام » فى الكون، سناخذ تعريفا لاحد الباحثين فى الموجات المخية، انه يقول ان « النظام » او « القالب »، هو ما تمكن مقارنته بانواع اخرى من نفس الشيء، يمكننا ان نقارن صورة بصورة اخرى، يمكننا ان نقارن وجه انسان بوجه انسان آخر، اما « الشخبطة » التى ياتى بها طفل صغير يعطى فرشاة الوان فانها لا يمكن ان تقارن حتى بشخبطة اخرى، اذ ليس لها « نظام » او « قالب ».

من الواضح ان الحياة شيء متميز فى وسط كل هذه الانفجارات والمصادمات الكونية!

● نحن وهذا الكوكب ●

هل كان يمكن ان نعيش على كوكب آخر؟

واذا وجد كوكب آخر، يماثل الارض فى كل شيء، فهل يمكن لانسان الارض أن ينتقل اليه؟

بعبارة اخرى: نظام حياتنا، وتكوين اجسامنا والاجهزة الكثيرة التى نعمل بها، هل هو مستقل بذاته؟ ام ان الارض التى تنبع منها والتى خلقنا من طينها، قد تركت بصماتها عليه؟

هذا هو السؤال، كما يقول شيكسبير..

لكى نصل الى ادراك اوضح للسؤال الذى نحن بصدده، سنتامل احدى محاولات الاجابة عنه، عالمة انجليزية، اجرت تجربة مشوقة، اصطحبت معها عددا من الطلبة الذين تطوعوا لاجراء

هذه التجربة ، اخلاتهم الى جزيرة منعزلة في شمال النرويج ذات صيف حيث يستمر النهار من مايو الى اغسطس ، فالمنطقة القطبية الشمالية تصبح امبراطورية لاتغرب عنها الشمس مدة شهور من الصيف ، كما هو معروف ، متوقفا طول هذه الفترة على خط العرض ، ويقابل ذلك شهور اخرى في الشتاء تصبح فيها للاجئة مظلمة تخيف المفاريت !

قسمت العالمة الفتيان الى قسمين يعيش كل منهما منعزلا تماما من الآخر ، اعضاء احدى المجموعتين يلبسون في معاصمهم ساعات تدور ابطأ من زمن الارض الحقيقي ، فهي تعد اربعا وعشرين ساعة عندما تكون سبع وعشرون قد انقضت فعلا ، بينما يظن اعضاء المجموعة الاخرى ان اربعا وعشرين ساعة قد مضت فعلا — طبقا للساعات التي يحملونها — والواقع ان الزمن المنصرم لايتعدى واحدة وعشرين ، وليست لدى اى من الفريقين وسيلة اخرى يشعر بها بحقيقة الزمن الذي مضى ، فالوقت نهار مستمر والشمس واطئة جدا ، فوق الافق بقليل وتلزمها شهور لكي تتحرك من موضعها بشكل يمكن ملاحظته .

مضى الفريقان في حياتهما ، ويختبر الفتيان ست مرات كل يوم ، وكانت الملاحظات كما يلي :

درجة حرارة الانسان تختلف على مدى اليوم الواحد ، وهي نادرا ماتكون ٣٧ درجة مئوية ، فهي واطئة عندما ننام ليلا ثم ترتفع مع ارتفاع الشمس وتستمر في الارتفاع مع تزايد النبض وانتاج البول ، الى ان يصل كل هذا الى قمته في بداية فترة المساء ، ثم تبدأ هذه الانشطة ومعها التمثيل الغذائي ، تهبط الى ادنى قيمة لها حوالى الرابعة صباحا ، هذا اذا لم نكن مستيقظين نذرع غرف النوم وندخن في عصبية ، لدواعي العمل ، او بسبب الحب !
وقد اوضحت بعض البحوث ايضا ان ثلثي حالات الولادة تتم اثناء الليل عندما تكون اجساد الامهات في حالة استرخاء تام .

هذه الدورة ، هل هي نتاج ظروف كوكب الارض ؟ وهل كان كل هذا يختلف لو اننا عشنا على ظهر كوكب يدور بسرعة اقل او اكثر من هذه ؟

لنرجع الى التجربة التي تجيب عن هذا السؤال : اظهرت القياسات ان ارتفاع وانخفاض درجة حرارة الجسم عند الفريقين تجاوبا بسرعة مع النظام الجديد ، ونظام المعيشة الجديد ، بصرف النظر عن كون اليوم ٢٧ او ٢٢ ساعة ، مما يدل على ان دورة درجة الحرارة تتبع نظام النوم واليقظة الذي يتبعه الانسان ، وكذلك دورة افراز البول ، توافقت مع النظام الجديد ولكن بعد فترة اطول ، بعد حوالي ثلاثة اسابيع كان اعضاء الفريقين يفرزون اكبر قدر من البول في ذات الوقت الذي تصل فيه درجة الحرارة الى اقصاها ، هذه كلها — فيما يبدو — امور لا دخل لها بضوء الشمس .

ولكن هناك وظائف اخرى ظلت تتبع نظام الاربع والعشرين ساعة ، منها مثلا تبادل الصوديوم مع البوتاسيوم عن طريق خلايا الجهاز العصبي ، وهي وظائف لانريد — ولا يعنينا — ان نخوض في تفاصيلها مكتفين بالقول بان بعض وظائف جسم الانسان والحيوانات والنباتات يبدو انها تتبع نظام الارض في دورانها حول نفسها وحول الشمس وان هذه خواص فيها لا يمكن تغييرها ، هناك « ميكانيزم » او « آلية » ثابتة تنظم هذا على اساس اننا خلقنا لنعيش في هذا المكان ، ولا شك ان بحوث الفضاء المستفيضة قد دلت على امور كثيرة من هذا النوع وهناك من قضوا شهورا في الفضاء .. ربما لو جاء يوم

ينتقل فيه انسان الارض ليعيش فى مكان آخر سوف يحدث التطور الداروينى اثره عليه ، الا انه لا يمكن لنا الآن ان نحدس ما اذا كان هذا سيحدث ، مهما كنا ميالين للقياس على ماسبق .

بل ان بعض العلماء يعتقدون ان الدورة السنوية — اى دورة الارض حول الشمس — لها هى الاخرى اثرها على حياة الانسان ووظائفه البيولوجية ، فهناك تغيرات فى الوزن وفى الحالة العصبية خصوصا عند المرضى بالعلل النفسية ، ولكن الاكثر وضوحا هو ظاهرة زيادة اعداد الذين يولدون فى مايو ويونية ، اى الذين تحمل بهم امهاتهم فى شهر اغسطس ، ومن السخف ان نتصور ان سبب ذلك يرجع لكون اغسطس هو شهر الاجازات ، فمن الواضح ان الحمل عند الانسان لا يتطلب معدلا عاليا من « التزاوج » بين الابوين ، اذا كان هذا التعبير مهذبا بما فيه الكفاية ، كما وجد ان الاطفال الذين يولدون فى مايو يكونون — فى المتوسط — اثقل وزنا بمقدار مائتى جرام تقريبا ، السبب الحقيقى هو ان هناك دورة هورمونية عند النساء تتبع ذبذبة لها علاقة بدورة الارض حول الشمس « تماما كما ان دورتهن الشهرية تتبع دورة القمر ، ومن العلماء من يوجد العلاقة بين المسألتين » — وهكذا فان الانسان ايضا له موسم للتزاوج . ومما يؤكد ذلك ان المسألة تنعكس فى نصف الكرة الجنوبى ، فتحدث الظاهرة فيما بين ديسمبر وفبراير وهى شهور الصيف هناك

وهناك ظواهر عديدة تدل على ان الحياة التى تكونت على الارض تتكون من خلايا تحمل كل منها فى طياتها مايدل على انها من انتاج الارض ، تماما مثل « ختم المصنع » او العلامة التجارية ، او يبدى احد علماء البيولوجيا عجبه لعملية خروج الذبابة من الشرنقة وكيف انها تتبع نظام الـ ٢٤ ساعة الارضى مع انها ليست مسألة اعتياد ، فهى تحدث مرة واحدة فى حياتها .

● شئنا ام لم نشأ ●

نحن نعيش على ظهر كرة منبعجة مفلطحة من فوق ومن تحت ، ومنتفخة فى احد نصفيها مما يعطيها شكلا يشبه الكمثرى ، وهى تدور من الغرب الى الشرق بحيث تتحرك الاجسام التى على سطحها بسرعة تقترب من الف وخمسمائة كيلو متر فى الساعة ، ولولا جاذبيتها الكبيرة لتناثرت هذه الاجسام بفعل قوة الطرد المركزية ، واما السرعة التى تأخذنا بها فى دورانها حول الشمس فتصل الى حوالى ثلاثين كيلو مترا فى الثانية الواحدة ، ولكن هذه السرعات مجرد قيم متوسطة ، فهى تزيد وتنقص بفعل الشكل غير المنتظم للارض ، واليوم ليس ٢٤ ساعة بالضبط فهو يتغير على مدار السنة ، كما ان قياس زمن اليوم الواحد سيختلف باختلاف موضع الذى يقيس ، فاذا اخذنا الشمس كنقطة ملاحظة فان متوسط اليوم يكون ٢٤ ساعة ، اما بالنسبة للقمر فهو ٢٤٫٨ ساعة ، وبالنسبة لنجم بعيد يصبح ٢٣٫٩ ساعة .

وشئنا ام لم نشأ ، حاولنا ام لم نحاول ، فهى تحملنا على ظهرها وتضع خاتمها علينا ، وهى بدورها تنطبع بطابع الكون الهائل الذى هى جزء صغير جدا منه ، وكما يقول الشاعر الانجليزى الكسندر بوب :

« نحن كلنا ، لسنا سوى اجزاء من الكل المذهل الذى جسدته الطبيعة .. » ●

هذا الصوت وآخرون



عبد العال الحمامصى

● محمد قطب

● ثمة علاقة غير منكورة بين الموضوع والابداع الفنى ، ذلك لان اختيار الكاتب لموضوعاته اختيار مقصود بحكم المعنى الذى يقف وراءها . والاختيار يحكمه الاطار الفكرى الذى ينطلق منه الأديب والفنان ..ومع تعاملنا مع العمل الفنى، نكتشف ـ فضلا عن الفكر ـ طبيعة الشخصية الفاعلة ، اننا نستطيع ان نتعرف على شخصية الفنان من اسلوبه فى اختيار الموضوعات . فالفنان لا يتناول موضوعه منسوخا من الواقع او مقتطعا منه . ولكنه يقدم لنا من خلاله واثناء تناوله فى شكله النسقى التعبيرى، معادلا حسيا للمعنى، والوجدان الذى ينطوى عليه العمل بالنسبة اليه كصانع للعمل وخالقه . ومن ثم يضحى التعبير الانسانى الكامن وراء العمل الفنى اقرب العناصر الابداعية الى النفس لما له من قدرة على نقل التاثير بلغة تضفى عليه وحدته وطابعه الخاص .

ومجموعة « هذا الصوت وآخرون » لعبد العال الحمامصى من هذا اللون القصصى المبدع الذى يكشف لنا بشفافية وايحاء الموضوع عن الشخصية الكامنة وراء العمل . فنحن نلمح هذا الاسقاط الذاتى للتجربة على الخارج كموضوع

ثم تمازجهما فى نسيج متشابك يبرز المعنى الانسانى الذى يقصده ويعبر عنه. وبداية فان البيئة التى ينطلق منها الكاتب هى بيئة الصعيد التى ينتمى اليها ، يحملها على كتفه بما تمثله من تجارب وخبرات ظلت كامنة فى الوعى ، ثم يلقيها فى أتون المدينة بكل ما تمثله من تطور وتناقض وفساد ، وكانما يتحاور بمحور الطهارة والفساد ليؤكد جدل الداخل والخارج فى ذات الانسان . وتظل مفردات البيئة وشخوصها عالقة فى حالة الاصطدام بين الحلم الدفين الذى يخفيه وبين جهامة الواقع وقسوته .ومن ثم نلمح على شخوص القصص ـ وهى شخوص تكشف شخصية الكاتب نفسه ـ هذه المعاناة والمكابدة وهذا التوق الجامح الى الغد الجميل .

***

فى قصة « البذور والتربة » كان المنطلق والمكان هو الصعيد ، ثم كان التجريب فى قلب المدينة مع احساس بالغربة قوى «زهقت من الغربة،أعادنى الشوق لبلدى .. » . . وبطل القصة يواجه بالرفض من كل الأطراف كما كان بطل قصة (الخلاص) رافضا ومرفوضة .. والشخصية فى « الخلاص » متمردا على سطوة العائلة وقسوتها وممارستها

للتهور • لقد وقع البطل فى وهم الفردية والاعلاء من قيمة الطبيعة والايمان بقدرة الانسان على تعديل الكون وصياغته من جديد •

والقصة يتنازعها خيطان يحددان الملمح الخاص بالشخصية ، فهو محب ، لكنه مرفوض فى حبه ، وانسحب الرفض من منطق التحدى الى الخارج فرفض الواقع فسقط فى تزيفه الداخل ، هذان الخيطان يمتزجان فى نسق تعبيرى واضح •

واذا كان الشر يستفحل على مستوى الواقع والامم فانه مبثوث بكثرة هائلة فى كثير من القصص بالمجموعة • ان هـذا لا يعنى ان يفقد الانسان الامل فى الخلاص من هذا الشر ، وليس الامل هو الالحاد ، وانما الالتجاء الى حمى الدين • لقد كان العجوز الاعمى شارة الضوء • التى انارت الطريق • ولان المعنى الكامن وراء العمل لم يكتمل بعد،فلقد أحكم الكاتب قبضته على الشخصية وحاصرها على تمردها وقلقها ، وضياعها •• حتى اكتمل له المعنى حين اكتشف سقطته الهائلة •

والبطل المهزوم المقهور ، النازف من الداخل ، ينكر الاديان ويتردد على بيوت الدعارة ، وهو فى كل الحالات هروب وانسلاخ • فى قصة « وسادة فوق القمر » نرى نفس الشخصية فى تجربة جديدة ، خلت من الاسقاطات السياسية، وأخلصت للتعبير عن الذات المحبطة •

فالبطل يحلم أيضا بان يكون زعيما ، يعمل « لتخليص الانسانية من تعاستها ويصنع للناس حياة جديدة » وهو المحب المحبط فى حبه ، « انها الان زوجة وأم ، وربما كانت سعيدة » وهو القادم من الصعيد « كنت فى الصعيد •• أمى مريضة » وهو المهزوم النازف الذى يبحث عمن يشابهه عله يجد لديه نوعا من المشاركة وبعضا من حنان « يا أختى المهزومة •• أنا أيضا تمزقنى الهزيمة » •

ولربما استهوت الغالية وجدان الفنان • فمن يبيع اللذة يموت بها حين لا تكون اللذة هى محور الفعل • ولقد لمسنا عطف الكاتب على هـذا النوع من الناس فى مجموعته الاولى « للكتاكيت اجنحة » كما نلمسه هنا •• اهى المزاوجة بين الذات المبدعة الفاعلة وبين الذات الخارجية كمفرد من مفردات الواقع الجهم ؟ •• اهو البحث عن المعادل الحسى المشابه ؟ •• ام انه الانثيال العاطفى ؟ فالوجدان فى جانب كبير منه تعبير انسانى ، والفنان يعيش هذا الوجدان بكل أبعاده وزواياه • والعالم الذى يبيع اللذة ويحصد القلوب لا يخلو من لمسة وجدان باقية تتغلغل فى النسيج الآدمى، وان غلفتها عربدة المكان وصراخ المادة • ومن ثم يكون الفقد قاسيا «انقبض قلبى •• جئت من اجلها •• ذابت فقاعات الشوق السابحة فوق سطح الرغبة •• وكانت تعطيها حيوية التوق •• ذابت »

والمرأة فى قصتى « الاخرس والدرويش » و « البذور والتربة » تشى بعبق التاريخ وخصوبته ، انها الامتداد للنيل والارض السمراء ، هى الثبات الدائم الابدى وغيرها زائل متحرك •• هى الأزمنة التى تعلو على من يقبلها ولو كان حبة قلبها ، لقد كرهت الغريب وزوجته راغمة ، وجاء من اهلها من تود لها لكنها كرهته فقد كان قاسيا الى ان جاء من أحبته فارتعشت رغم امتداد العمر تحمل بذرة الامل ـ انها الجوهر والحضن الدافىء •• انها مصر كما يريد الكاتب لها

وتتحول الشخصية فى تجسيدها المادى الى رمز أسطورى « مكتوب فى اللوح أن النبع لا يجف أبدا •• » هذا النبع الدفاق كان مدخله الى الرمز السياسى • « وجاء أبوك فقتله (أى الغريب) عشقنى فارتكب الجريمة ، ولم يجرؤ أحد على اتهامه ، فقد كانت الدنيا تركع لنفوذه •• » ويظل الأمل فى هذه العجوز قويا فقد تصدق ويخرج من رحمها الغلام الخارق الذى سيمحو كل عار الازمنة ، ويحقق للحالم الواهم فكرته عن العدل • ومن يقرأ الفقرة التالية يقف على الفرد على المعنى

الكامن وراءها .. فالرمز هنا مستخدم باقتدار وبحذر شديد .. حيث أضحى جزءا من التجربة لا ينفصل عنها .. انه يذوب فى تركيب الجمل .. واختيار اللفظ ، ومسرى الشخصية .

لكن الأمل الحلم لم يتحقق ولا يزال الرمز قائما فسيدة النعمة فى قصة « الأخرس والدرويش » وجدت مقتولة و « المصحف الصغير فى كفها والمسبحة اليسر تتدلى فوق صدرها .. » وهو نفس الوصف فى القصة السابقة والدرويش صوت النذير يقف ويحذر ويطلب العودة الى مرفأ الايمان .. الايمان هو الخلاص . يطالب الدرويش البلدة « ان تغتسل من النجاسة وان تصرع التنين ليأتى موكب الحسين القادم من كربلاء وقد تطهرت الطريق من الافاعى » .. وتكون الصدمة قوية فلقد كانت على مستوى الواقع والرمز نعمة وبركة وعطاء وفيضا « يا لضياعكم معشر الفقراء ، منذ اليوم أنتم اليتامى والمساكين بالروح » . انه الاحساس الذى لازم بطل « الخلاص » غربة الروح . ولقد سقط الزوج المهيب بسقوط المرأة القتيل .. فقد كان يبدو متماسكا ، وكان وجودها يضفى عليه شرفا ومنعة «فهى بنت الأسياد ،سليلة العراقة ،موغلة الأصول » ويأبى اليأس الا أن تنهزم المرأة العجوز ، وتجهض وليدها ، الأمل فى الخلاص ، وحلم الأجيال القادمة .

والقصتان تتحاوران ولا تمتزجان ، لتظل المفارقة قائمة ، ويظل البحث عن الخلاص واردا . ولأمر ما ــ كانت قصة « التراب » واضحة ومباشرة ، فلم يعد للرمز مجال ، وانسحب الايحاء وتوارى . فها هى مصر تستعيد كرامتها وتحصل على خلاصها . ولقد كان البناء رهيفا فى القصص الثلاث ــ يسير فى « سيمترية » واضحة ــ خيط الحدث الذاتى لا يطغى على الخيط الرمزى الكامن وراء التعبير ، حتى تساويا فى الوضوح فى قصة « التراب » .

***

ونلحظ على المجموعة صوتا آسيا حزينا ، صوتا يتوافق مع الذات ، ولا مع الزمن ، ولا مع الواقع .. ويظل عدم التوافق نغمة تسرى من القصة الأولى حتى الأخيرة ، وكأنها تنويعة على لحن واحد . يتضح ذلك فى صوره القصصية الثلاث « متعوس الزمان .. والمشاغبون .. ولحظة فى عيونهم .. وهذا الصوت وآخرون .. » ولقد اقتربت القصة فى بنائها من الصورة والتحقيق والمقامة . وربما كان ذلك مقصودا ، فلقد تناول موضوعاتها فى نفس واضح وكان الهدف هو ادانة المجتمع فى لهاثة صوب المادة ، وتحلله من كثير من القيم والأخلاق ولقد صدرت عن نغمة نقدية ساخرة ومرورة وهو يعقد مقارنة بين الفنان المؤمن بكلمته ورسالته وبين ظواهر اجتماعية جديدة تئد كل المعانى الجميلة فى الانسان .. حتى ليصرخ الكاتب ــ وهو نفسه شخصيات الصور القصصية ــ يندمه على مساره الذى ارتضاه فى عالم الفكر والفن . وفى هذه الصور نقف على كثير من حياة الكاتب الخاصة وهمومه المعيشية . ولقد غلب على الصور الواقعة النقدية التى تمثلت فى استخدامه لأسلوب المقامة مثلا كما فى قصة متعوس الزمان ، هذا الاستخدام الذى يسهل امكانية التلاعب باللفظ والنسق المقامى لاستدعاء السخرية والتضاد ..

والكاتب فى الصفحة الأخيرة من كتابه يوقفنا على المعنى الذى حاول أن يصوره فى أعماله كلها ، من المواجهة الحادة بين الانسان الفنان والواقع الجهم ، من

الحلم الذي رآه الغيلان « من ذا يشفيني من مرض عدم التوافق مع هذا الزمن » .

وفي قصصه الثلاث التي وضعت تحت عنوان « أغنيات حزن وحلم » يصل الابهار الفني الى درجة عالية فالعنوان وان كان ينسحب على القصص ككل الا انها تفردت بالتشكيل الجمالي الخاص بها حيث نلمح الاستخدام العصري للاسطورة فيصوغها صياغة جديدة مستغلا المغزى العام للاسطورة ، سواء كانت « قابيل » أو « سالومي والنبي يحيى » أو اسطورة الطوفان وسفينة نوح .. الخ وهو في كل يحاول الافادة من اشاعة الجو التاريخي الذي يلازمها في بناء تجربة وتشكيل موضوعه وابراز المعنى الكامن وراءها لاثراء المضمون .

وهو يتصرف في بناء الاسطورة ليستخرج دلالات جديدة ، واعيا تماما بالخيط الفاصل الذي يفصلها عن الواقع ومنطقه . والصياغة الجديدة لهذه العوالم التاريخية تتميز بميزات جمالية واضحة لا تخطئها العين الواعية أمام هذه القدرة الفاعلة في التشكيل ، فهناك الوحدة الخيالية التي ترصد كل المجازات الذهنية في ضفيرة فنية باهرة التوهج بالمعنى الرمزي الذي يستقطب العمل ويشع منه مع قدرة هائلة على الامساك بالفورة الانفعالية الجياشة التي يتحرك في داخلها الحدث والشخصية .. فيؤدي الى التماسك الداخلي للعمل الفني ومن ثم تتردد على سطحه ويتغلغل في داخله ايقاع الوحدة والتنوع فيفوح العمل بمزيد من الشعر والغنائية النابعة من صياغة الكلمات والتكرار اللفظي ودوران العبارة ، واصبح للكلمة دورها القوي فهي لا تصف تجربة وانما تنقل التجربة في صهدها ونفسها الحار ومن ثم تحدث الرجفة الفنية المتواصلة .. حين تقذف بالمتلقي في أتون العصر بتناقضاته وصورة ومشاكله وطموحاته

***

في « قابيل يخنق القمر » يتراوح التعبير بين ضمير المتكلم والغائب والمخاطب ليبين شمولية المعنى وبعثرته على زوايا الموقف والحدث . فالانسان المتحدث يتحول الى « هو » ليعطي التشابك بين الاثنين . وهي محاورة فنية ممتعة تمثلت فيها الجدة في البناء واللغة وتمازج اللفظ كبنية اساسية في العبارة مع مجرى الحدث ومسار الشخصية ، فاختيار لفظ « صابرة » يوحي بالدلالة الرمزية المصاحبة له يوضحها هذا التعبير الشمولي « انها تدخلني اغوار انوثتها ولكنها تلفظني الى السطح كلما حاولت الاستيلاء على روحها .. » ويظل للبطل في القصة ولعه الشديد بالعدل ومشاركته لآلام الآخرين مثله في ذلك مثل بقية ابطال القصص

ولا شك ان اختيار يوحنا « في قصة يوحنا يبشر في الحانة » ـ من بطن التاريخ يحمل دلالة المعنى المصاحب ، خاصة اذا علمنا انه مات مقتولا من أجل راقصة يهودية مترعة بالاثم والفجور .. وهي « كقابيل » تبدأ بالفعل الماضي كمدخل الى استيلاد التاريخ ومزاوجة بين القديم والحديث .. فالشر منذ القديم واحد لكنه يتزيا بازياء مختلفة .

ومع هذه الجهامة التي تواجه انسان العصر فقد تنبأ الكاتب بحتمية الخلاص وبقوة الارادة في مواجهة الشر وبقدرة الانسان على صياغة حياته وحمايتها وحين يصل الانسان الى نقطة البدء لينفتح امامه الطريق تسقط البومه، وتكف عن النعيق ويصدح الصوت بالغناء في لغة صوفية (في قصة الساعة ٢٥) : « طوبى للذين يطرقون ابواب الغد ويرصلون طريق الخلاص ، ويواصلون السير ويقتحمون المصير » .

في عالم الجوائز العالمية :

الروائية والرواية الفائزة بجائزة جونكور



• محمود قاسم •

عندما اعلنت اكاديمية جونكور الفرنسية عن فوز الروائية انطوانين مايية بجائزة جونكور لعام ١٩٧٩ عن روايتها « بيلاجي لاشاريت »لم يدهش لذلك احد في الأوساط الفرنسية .. فلقد تنبأ الكثير من النقاد ومحرري المجلات الادبية بهذا الفوز ، بعد ان نشرت هذه الرواية خلال ذلك العام..

وفرنسا ، تعتبر بحق في مقدمة الدول الشديدة الاهتمام بالجوائز الادبية ، فهناك العديد من الجوائز التي تمنح للعاملين في مجال الادب ، منها جائزة ميديتيس ، وجائزة فيمينا ، وجائزة رينودو – الا ان جائزة جونكور هي اكثر هذه الجوائز اهمية .

وقد اسس جائزة جونكور الاخوان ادمون وجول جونكور ، اللذان كانا يكتبان في الادب وبصفة خاصة في تاريخ الفن ، وفي نظريات الطبيعة . كما كانا يكتبان بعض الروايات الادبية في الصحيفة التي كانا يصدرانها باسم « جورنال » .. وعندما مات ادمون عام ١٨٧٠ اوصي – مثلما فعل الفريد نوبل من بعده – بأن تخصص ثروته جائزة سنوية للابداع الفني في الأدب .

وفي نهاية القرن الماضي ظهرت نواة اكاديمية جونكور، واهم أهدافها «العمل على تشجيع الابداع الادبي والابتكار والتجديد في الشكل والمضمون والتعبير الصادق عن معاناة الانسان المعاصر ازاء قضايا البشر .. وان تبتعد هذه الاعمال عن الصراعات السياسية والطائفية داخل فرنسا والعالم » .

وقد تطورت اكاديمية جونكور حتى أصبحت جائزتها تلي في الاهمية الاكاديمية الفرنسية .

وهي تضم الان في عضويتها اسماء لامعة في عالم الادب الفرنسي المعاصر، ومنهم ارمان لانو ، وارمان سالاكرو، وميشيل تورنيه – ويرأسها الروائي هيرفيه بازان منذ عدة سنوات ..

اما كيفية اختيار العمل الادبي الفائز فتتم عن طريق ترشيح مجموعة من الكتب التي ظهرت في فرنسا ابتداء من شهر اكتوبر الي اكتوبر الذي يليه ، دون محاباة او تحيز .. ويعقد اعضاء الاكاديمية اجتماعات منتظمة يوميا ابتداء من اول اكتوبر حتى الخامس عشر من نوفمبر لاجراء تصفية الكتب المختارة الي ثمانية أو ستة كتب .

وفي يوم الاقتراع يجلس اقدم عشرة اعضاء من الاكاديمية ويختار كل منهم الرواية التي يرشحها للفوز فيكتب اسمها في ورقة صغيرة قبل ان يقرأه على الاخرين .

ثم تعلن بعد ذلك فوز الرواية التى حصلت على اكثرية الاصوات ..

وفي هذا العام كانت انطونين مايية هي صاحبة اعلى الاصوات لترشيحات عام ١٩٧٩ .

وكما يحدث دائما بالنسبة للرواية الفائزة ، فقد اعادت الاكاديمية طبعها،

وكذلك طبع بعض روايات الاخوين جونكور ، ومنها « الفتاة اليزا » و « جوميني المتشرد » .

والاديبة الفائزة انطونين مايية ، هي احدى الاديبات الكنديات الاصل اللائي تنشر اعمالهن بفرنسا التي تعتبر البلد الام لمقاطعة الكويبك ، وخاصة منطقة الاكادية التي يتغنى بها الفرنسيون دائما على انها قطعة من فرنسا . وقد نشرت انطونين اربع عشرة رواية باللغة الفرنسية في بلادها ثم جاءت بروايتها « الزواج » لتنشرها في فرنسا عام ١٩٧٥ ، وفي عام ١٩٧٧ نشرت روايتها الثانية «اجبال من خشب» فلاقت شهرتها على المستوى الجماهيري ، ثم اكتمل انتصارها بفوز روايتها «بيلاجي لاشاريت» هذا العام بجائزة جونكور .

وانطونين تسكن في قرية كندية صغيرة تسمى بوكتوش ، عدد سكانها اربعة آلاف نسمة وتقع على هضبة مرتفعة امام جزيرة الامير ادوار – في منزل مطلي باللون الابيض ..

وهي تبدو اكبر بكثير من سنها الحقيقي (٤٧ عاما) وضحكاتها الدائمة ونشاطها الغريب واشتراكها في الالعاب الرياضية التي تنظمها جماعات القرية – لا تخفي اثر التجاعيد الكثيرة التي تعلو وجهها ..

والرواية الفائزة تدور احداثها عام ١٧٥٥ في نفس المنطقة التي نزل بها جد انطونين الاول في كندا ، وذلك من خلال حياة « بيلاجي » البيضاء التي اطلقوا عليها فيما بعد اسم « لاشاريت » او العربة ، نتيجة لاشتراكها في قيادة احدى عربات الحرب ضد السكان الحمر لتلك المنطقة .

الاحداث تبدا في الخامس من سبتمبر في ذلك العام حينما يتمكن السير لورانس من شراء عربة وثلاثة ازواج من الجياد البيضاء ، وتحاول « بيلاجي » ان تحذو حذوه بشراء عربة مثله . وبدات تدخر القروش حتى استطاعت ان تجمع هذا المبلغ بعد خمسة عشر عاما .. وخلال هذه السنوات بدات مشاعر الحنين للعودة الى فرنسا ارض الاجداد تراودها .. لكن هناك رحلة اخرى طويلة كانت تنتظرها طولها عشرة اعوام اخرى اجتازت خلالها بعربتها مستعمرات الشاطيء الشرقي حيث تندلع الحروب بين الفرنسيين والانجليز . وكلما طالت هذه الحرب طالت تنقلات « بيلاجي » الى أن تلتقي يوما بالكابتن بورسار الفرنسي الذي تطارده القوات الانجليزية .. ومن خلال أجواء الحروب والبحث عن الاستقرار تشعر بالحب نحو الكابتن وتستمر رحلتها بحثا عن ارض لها ، فلا هي تجد الارض .. ولا تفوز بالرجل الذي أحبته .. فتموت داخل عربتها عام ١٧٨٠ !.



انطونين مايية

والرواية تقع في ثلاثمائة وخمس عشرة صفحة .. وقد كتبتها انطونين في شكل روائي عادي ، بعيدا عن الاسلوب التجريبي الذي انتشر في الادب العالمي خلال الخمسين عاما الاخيرة وقد جعلتها تدور في اطار تاريخي كما فعل بعض الكتاب الكبار في الفترة الاخيرة مثل التوني بيرجيس ، وهنري ترويا ، في رواياتهما عن نابليون وحروب القرن التاسع عشر .

وانطونين لم تكتب حتى الآن سوى الرواية ، وقد نشرت اولى رواياتها وهي في العشرين من عمرها بكندا ومن علاقتها بالكتابة تقول « تنتابني الرغبة في الكتابة عندما اكتشف فجأة التي موجودة .. وانا اعرف ان هذا ليس بالشيء الطيب ، ولكنه يمثل لي امرا طبيعيا جدا » ..

الشيخ إدوار.. هام بمصر حبًا !

● عزت محمد ابراهيم ●

● من الحق ان يقال ان من المستشرقين من وقف من الشرق موقف العداء ، وافترى عليه الكذب ، وكال له التهم جزافا ، وكان عونا لا عدائه واستعبادا عليه ، وطليعة لجيوشه تعمل فيه تخريبا واستعبادا .

ذلك حق تدل عليه الشواهد، وتقوم على اثباته الوقائع والدراسات . ولكن من الحق كذلك ان من المستشرقين من احب الشرق ، وضحى في سبيله وكان عونا له على اعدائه ، ونصيرا له على ظالميه والمتجنين عليه ، وقد كان منهم « بلنت » صديق المصريين ومحامي العرابيين ، العظيم الاعجاب والتقدير للامام محمد عبده ومؤلف كتاب « التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر » .

ولكن لم يكن كمثل « ادوارد وليم لين » احد في حبه لمصر، بل في هيامه بها ، فانما قد وقفت حياته عليها وادخر جهده لها ، واختارها في الحياة رسالته التي لا رسالة له في الحياة سواها .

وقد عرفته اول ما عرفته - في اولى سنوات الطلب والتحصيل - من بعض كتابات احمد امين عنه في «فيض الخاطر» ، وقد كان شديد الاعزاز له ، عظيم التقدير لجهده ،يبادله وفاء بوفاء ، حتى لقد اطلق عليه لقب « الشيخ ادوارد » لما كان له من جهد وعناية باللغة العربية ، ولما وضعه من قاموس عربي انجليزي ، ولما كان فيه من ميل للاسلام ، حتى لقد ظن فيه اضماره له وايمانه به خفية يمنعه من الجهر به اعتبارات .

وحسبنا في تقدير جهده في قاموسه - « عربي - انجليزى » - ان نعرف انه قد توفر عليه مدى اربعة وثلاثين عاما ، فكان جديرا حقا بما كلل هامته من غار المجد ، وبما رفعه اليه من ذرى الاستشراق ، فكان حجة في مسائل اللغة العربية ، وموضعا لثقة علماء عصره فيها .

اما دلالة حبه لمصر وهيامه بها فهو كتابه « المصريون المحدثون : شمائلهم وعاداتهم في القرن التاسع عشر » ، وقد ترجمه الى اللغة العربية عدلى طاهر نور ، واضاف الى ذلك تاليف كتاب عنه لخص فيه تلخيصا وافيا سائر كتبه التي لم تنقل الى العربية ، وقد صور « لين » في كتابه مصر في هذه الاونة تصويرا دقيقا بقلمه وريشته معا ، وقد قاربت رسومه واشكاله المائة رسم ، تمثل كل واحدة منها زيا من ازياء ذلك الزمان، او عادة من عاداته ، او طريقة من طرائق الحياة فيه ، على نحو بالغ الدقة ، لايكاد يفوته فيها شيء ، ولو استقلت وحدها بكتاب لكان فيها الكثير من الغنى والدلالة ،وكانت وحدها متحفا مصورا على ورق ، وحسبنا من دقة ملاحظته ان نجد رسما لعين مكحلة ، او قدم مخضبة بالحناء ، او غطاء لرأس ، او زفة لختان وحسبنا من قيمة هذا الكتاب ان يقرن في قرن واحد مع كتب التاريخ الاجتماعي التي كتبها المقريزى، وابن تغرى بردى ، والجبرتي ، فهو حلقه مكملة لحلقاتها ، ودرة غالية من دررها ،وما اجدره بالحرص والاهتمام شان النفائس التي لا يجوز فيها التفريط او اهمال ..

ولعلى لم احرص على شيء في مكتبتي حرصى على كتابين احدهما كتاب « لين » في طبعته الاولى ، ينتقل معي حيثما رحلت وحللت ، فكانما احمل بين دفتيه وطني ، اما الاخر فقد كان كتاب «هز القحوف في شرح قصيدة

ابى شادوف » للشيخ يوسف الشربينى ، فى طبعة قديمة نادرة ، لاحمد أمين — كذلك — فضل التعريف به ، وسبق الاشادة بمكانته ، وما أكثر افضاله .

***

وما كان يتيسر لا دوارد لين ان يكتب ماكتب عن مصر وان يصور ماصور من معالمها لولا ماتهيأ له من الاقامة فيها ومخالطة لاهلها واتقان للغتها ، ثم اولا وآخرا حبه لها ، ولقد رحل الى مصر ثلاث مرات واقام فيها سنوات ، وتنقل بين مدنها وركب نيلها واعتلى قمة هرمها ، واستمع الى البحارة فى اغانيهم وساعات لهوهم وسرورهم فكتب كل ذلك وصوره فاحسن فيه واجاد ، وافاد وامتع .

ولقد صعد الى قمة الهرم الاكبر على نحو لايقدم عليه الا شاعر أو فنان ، وليس — فحسب — بمغامر مقدام ، وقد اختار لذلك هدأة الليل وسكونه ، فكانما يريد ان يظفر بمتعة لا يشاركه فيها مشارك ، أو كانما لايريد ان يفسد عليه احد متعته ..

وهبت الريح وقتئذ عاتية تصطفق بجوانب الهرم اصطفاقا فتحدث دويا فكانها شلال يهدر وبزغ القمر وارسل الى الجانب الشرقى للهرم الثانى ضوءه فاكسبه منظرا ساحرا ..

واشرقت الشمس فارسلت اشعتها على السهل الممتد اسفل الهرم فاظهرته فى أحلى صورة له وابهاها ، واحس هو انه قد رأى مالم يره سواه ، وان ماقد تجشمه من تعب لم يذهب سدى .. كان مارآه من أعجب وأروع ماتقع عليه عينا انسان فى هذا العالم الفسيح ، على كثرة ما فيه مما يروع ويعجب .

ولا غرابة بعد ذلك فى أن يتوفر على دراسة الآثار المصرية ويوليها اهتمامه وعنايته ، ثم لا يغفل مع ذلك من تاريخ الحقبة التى عاش فيها ، ليتحدث عن « الكتاتيب » وما كان يتلقاه فيها الصبية من دروس ، ويخص الازهر وعلماءه بالكثير من اهتمامه ..

وقد التقى بالشيخ حسن العطار — رائد النهضة الادبية فى مصر الحديثة واستاذ رفاعة الطهطاوى — وذكره مثنيا عليه ، وذكر الجبرتى واشاد بتاريخه العظيم ، وود لو أن كان قد التقى به ، ولكن لم يتح له به لقاء ، فقد مات الجبرتى عقب قدوم « لين » الى القاهرة لاول مرة ..

وقد التقى بالشيخ محمد شهاب الدين ، وكان من الشعراء المعدودين فى زمانه وامتدت له به صحبة ، وائتلفت روحاهما ، فكان يأنس لحديثه ويشغف بسماعه ، وشهد له بالفطنة والذكاء ، واشاد بجودة ادبه ورقة شعره .

ويضاف الى كتاب « المصريون المحدثون » كتاب « وصف مصر » بالانجليزية وقد تناول فيه صورا طريفة لرؤية هلال رمضان وهلال شوال ويوم العيد ، وقد مضى عليها مائة وخمسون عاما ولا زالت حية فى نفوسنا ، وان كان قد اعتراها تغيير فهو التغيير الطفيف الذى لايمس الجوهر ، والذى كان نتيجة لاختلاف العصر وظهور المخترعات والمستحدثات ..

يقول : « اعلنت مدافع القلعة عصر ذلك اليوم بعد رؤية الهلال انتهاء الصيام بانتهاء اليوم ، وأعيد اطلاقها فى المساء ، وبدأنا العيد بغروب الشمس وعمت الفرحة افراد الشعب ، واقيمت الاراجيح بانواعها المختلفة فى انحاء المدينة وضواحيها وانتشر القصاصون والشعراء يجمعون المستمعين حولهم فى الاماكن المختلفة » .

ولا تزال المدافع تطلق والاراجيح تقام والفرحة تعم ، اما القصاصون والشعراء فلا حاجة لان يجتمع الناس حولهم فى الاماكن المختلفة ، فحسبهم ان يجتمعوا حول المذياع والرناة يسمعون ويشاهدون !.

وبعد ، فليست هذه دراسة ل « ادوارد وليم لين » وليست تحليلا لمؤلفاته ، ولكنها — فحسب — تحية له .. أو ليس من حقه علينا ان نبادله حبا واعزازا بحب وأعزاز ؟! ..

في عمق الشعاب المرجانية



المرجان رائعة من روائع الخالق سبحانه ، انه حيوان وليس حيوانا ، ونبات وليس نباتا ، ولكنه خلق عجيب بالغ الجمال والدقة ينبعث ويعيش في أعماق بعض البحار ، وتعيش فيه وعليه مئات الاسماك ومخلوقات البحر ، ثم هو بعد ذلك جوهر جميل تصنع منه الجواهر والعقود والتحف الفائقة .



جزر الباهاما ..
هذه القرون تمثل « الشعاب المرجانية» والسمكة الصفراء المخططة هى « سمكة الفاخر» .. ان الضوء الساقط على السمكة من الامام وعلى الشعاب المرجانية من الجانب الايسر العلوى اعطت تفاعلا للون والعمق فى هذه الصورة التحت مائية

كيف تبدأ الغوص؟

يعتبر الغوص رياضة جذابة تعطيك فرصة رائعة للاسترخاء والاستمتاع بمشاهد الجمال الآسر في حياة المرجان والاسماك المختلفة الاشكال والالوان ..

كيف تبدأ الغوص ؟

ان الجزء الاعظم من تجربة « زيارة » الشعب المرجانية وما يكتنفها من الوان الكائنات يبدأ الاستمتاع بها من خلال السباحة على سطح الماء مع وضع قناع للوجه على هيئة « نظارة زجاجية » مثبتة بالكاوتشوك الذي يغطي الانف ويمنع تسرب المياه للعينين والانف ، ويمكن التنفس عن طريق الفم بواسطة انبوب قصير من البلاستيك يوضع طرفه المعقوف في الفم المقفل ، والطرف الآخر يبرز فوق سطح الماء ...

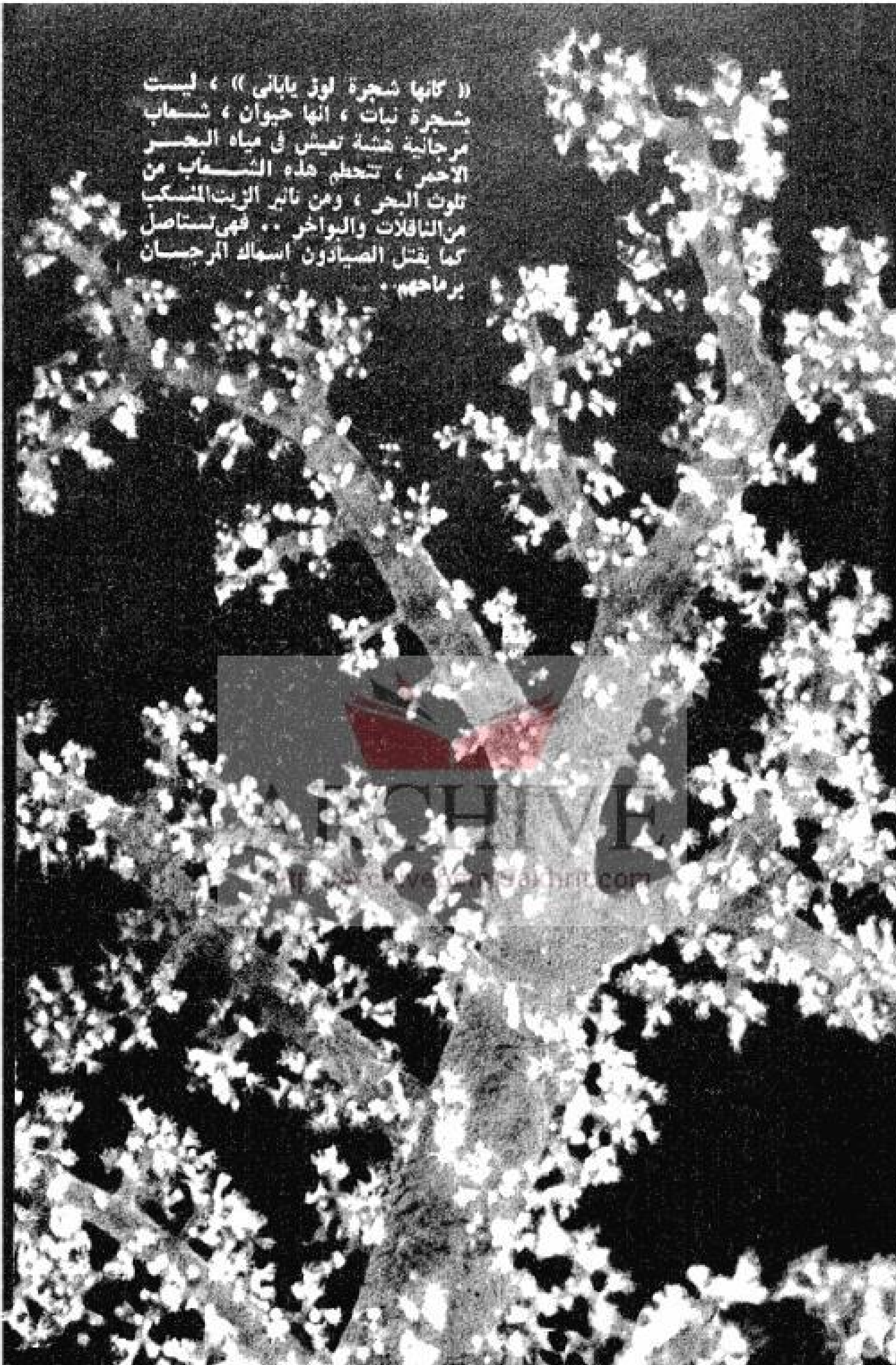
كذلك يستحسن لبس قفازين وحذاء مثل ذلك المستخدم في لعبة « التنس » ليحفظ الاقدام من خشونة الشعاب التي قد تسبب جروحا قاطعة قد يسممها ويهيجها الافرازات السامة لبعض المرجانيات .

اما الغوص العميق فله استعدادات خاصة اهمها أجهزة التنفس تحت الماء التي استحدث منها مقاسات مختلفة حسب العمق والوقت الذي سيستغرق في الغوص .

ولقد درس العلماء في الوقت الحاضر فسيولوجية الغوص دراسة دقيقة ووضعوا قواعد وجداول خاصة للغوص ، تحدد المدة التي يستطيع الغواص ان يمكثها على كل عمق من الاعماق المختلفة حتى اذا ما تعداها اصبح مهددا بالخطر .

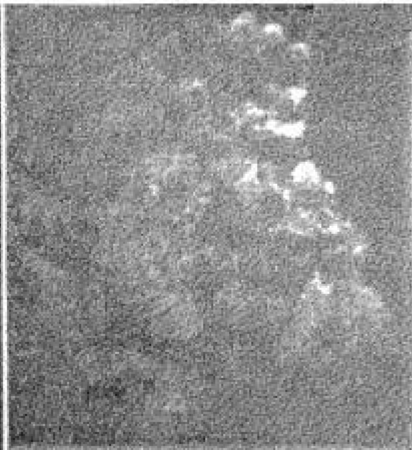
مستعمرات المرجان

الشعب المرجانية ... عبارة عن صخور من كربانونات الكلسيوم ، لكنها من صنع احياء ، وهي احياء حيوانية حية ما بقيت في الماء وهي احياء صغيرة وعندما تنظر الى هذا الجسم فتجده شيئا كالكيس لا فتحة له الا في اعلاه ، هي فمه وفوق الفم زوائد متحركة ، تعرف باللامس ، عددها ست من المرجانيات الاصلة تحمل الطعام الى جوف الكيس ، وبهذه اللامس خلايا تفرز السم تحمله منها الى الضحية الصغيرة الطافية في البحر شعيرات تخرج من هذه اللامس قبل ان تلتهمها . وبذلك نجد ان الجزر المرجانية والشعب المرجانية تبنيها كائنات دقيقة لا تكاد ترى بالعين المجردة من فرط دقتها وبسبب صغر هذه الاحياء ودقتها وبسبب استقرارها وعدم انتقالها ، بسبب كل هذا لا ترى عين الرجل العادي في هذه الصخور ما يشعره بوجود حياة ، الا ان يجد له مظهر النبت المجتمع فيحسبه نباتا ، ففيه الجذوع ، وفيه ما يشبه الاوراق والازهار وهي عنده صخور ملونة أجمل تلوين وهو يحسب ان اللون جاء من البحر ، وما جاء اللون الا من حياة هذه الاحياء ، فهي التي صنعته ، وهذه

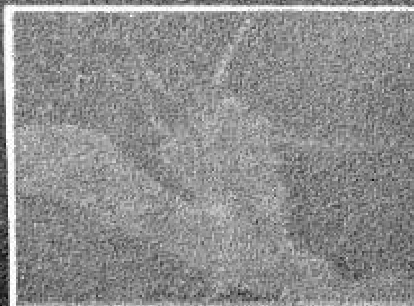


« كأنها شجرة لوز يابانى » ، ليست بشجرة نبات ، انها حيوان ، شعاب مرجانية هشة تعيش فى مياه البحر الاحمر ، تتحطم هذه الشعاب من تلوث البحر ، ومن تأثير الزيت المنسكب من الناقلات والبواخر .. فهى تستاصل كما يقتل الصيادون اسماك المرجان برماحهم .

المرجان



راس لسمكة العقرب



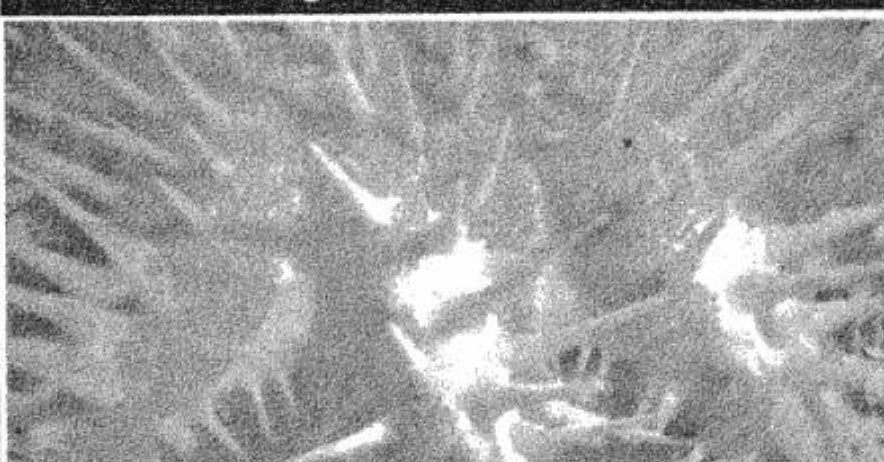
مرجان يلتهم نجمة البحر



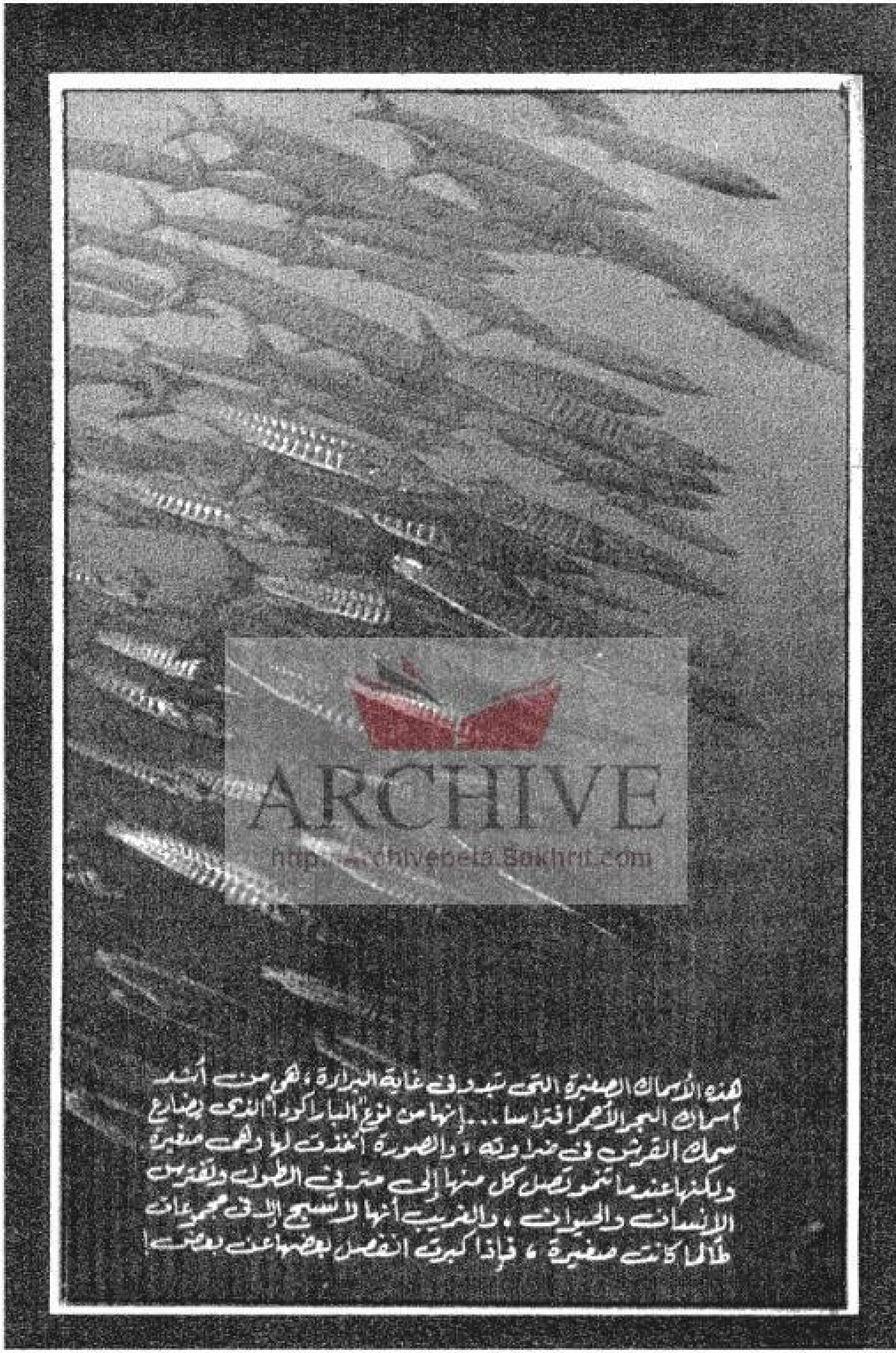
اسفنج احمر نجيبات ريشية



المرجان الاسود الذى تصنع منه العقود



مرجان جورجينيا وعليه اسفنج



هذه الأسماك الصغيرة التي تبدو في غاية البراءة، هي من أشد أسماك البحر الأحمر افتراسا... إنها من نوع "الباراكودا" الذي يضارع سمك القرش في ضراوته، والصورة أخذت لها وهي صغيرة ولكنها عندما تنمو تصل كل منها إلى متر في الطول وتفترس الإنسان والحيوان. والغريب أنها لا تسبح إلا في مجموعات طالما كانت صغيرة، فإذا كبرت انفصل بعضها عن بعض!

ألق الرمح بعيداً.. فالتصوير أجمل بكثير



الغواص يحمل « كاميرا سينمائية »

سمكة الجروبر Grouper fish من الانواع التي تؤكل

اثنان من سمكة البلبانتس

مرجان شقائق النعمان

الاحياء المرجانية صنوف ولكن صنف منها لون مختار ، وتخرج الصخور من [illegible] تذهب الاكثر لونا ، وتعيش هذه الحيوانات في تكوين صخرية على سطح التكوين المرجاني ، ويطلق عليها مجتمعة اســـــم المتحجرة المرجانية .

وتقوم هذه الحيوانات ، بعضها الى بعض ، بلايين بلايين ، لتكون المستعمرات ولموت هذه الاجسـاد ، [illegible] ثم غيرها - وبهذا تتكون الشعب المرجانية في البحـار ، على الاجيال والقرون . ولـقد تحيا هذه الوحدات من هـذه الحيوانات حياة متكافلة فتقوم بينها قنوات تحمـل الغذاء من حي الى حي ! فكل يعيد ؛ وكل يتغذى ، على كل حال هذا وصف خاطف ؛ لا يحمل كل مايقال من صفات المرجانيات وفوائدها واختلافها صنوفا. ولهذه الكائنات اهداب تعمل في حركة دائبة لترشيح غذائها من ماء البحـر الذي يحتوي على مواد عضوية وكائنات دقيقة تنجذب لتهيئ حيوانات المرجان القابعة في تجويفها او بيوتها .

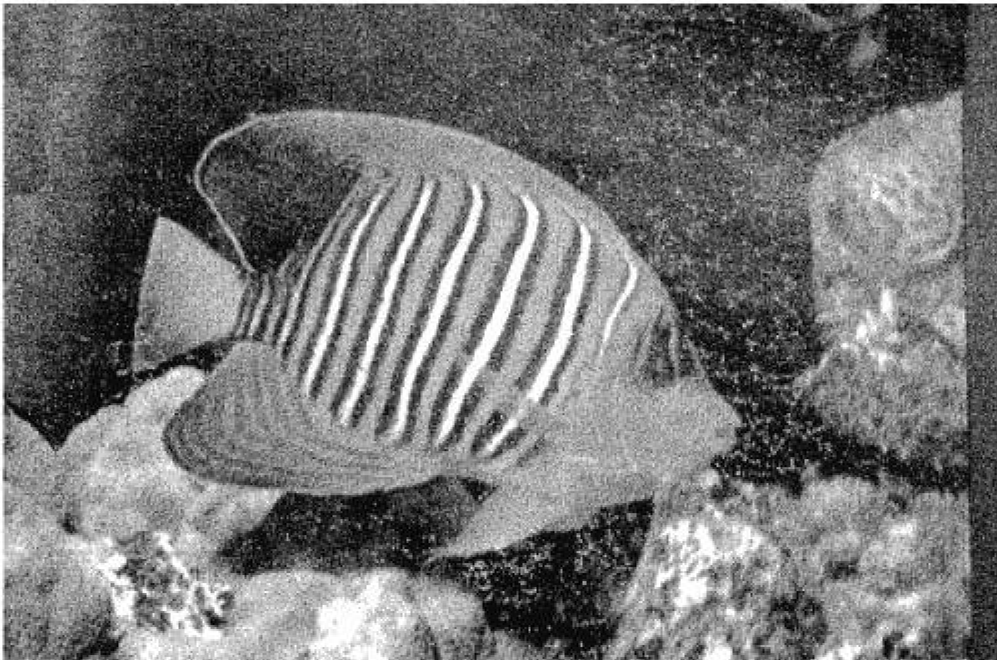
ولهذه الحيوانات قدرة مدهشة على امتصاص املاح الكالسيوم الذائبة في ماء البحر ثم تفرزها لتبني بها بيوتها او هياكل المرجان في هندسة رائعة يحار الفن البشري حيالها الا ما تنكر في طريقة عملها ! ..

ان افراد هذه الـكائنات الدقيقة لا تحظى ابدا في تشييد المواقع التي المستعمرة ، والافراد المتحجرة تلد افرادا جديدة داخل التجويف ، وبذلك تمتد وتعلو ترابيها وترابيـها ، حيث تتكون الاعضاء الجنسية لتحيون في الادوار [illegible] ، كما تجرى الافراد [illegible] ذائبة التماثل [illegible] الماء [illegible] في مراحل نموه .

وتنتشر هذه المستعمرات في المناطق الدافئة لاحتياجها الى درجة مرتفعة من الحرارة وقسط مناسب من الضوء ، وحركة دائبة للماء بفعـل الامواج والتيارات .

والمرجانيات الطرية لا تكون هيكلا صلبا ، وانما تحاكي الازهار الرخصة في اشكالها وتباين الوانها ، وذلك شكل النوع المعروف باسم « زهور البحر » الذي يعيش ملتصقا بالصـخور وعلى القواقع وقد ينمو احيانا على السرطانات « ابو جلمبو » فتحمله على ظهرها اثناء تجوالها من مكان الى مكان وقاع البحر. فتحاكي البستاني الذي يحمل باقة من الأزهار الزاهية الناضرة يطوف بها ارجاء الحديقة في زهو وابتهاج ! .

واذا كان هذا من ظاهر الامر فان انه يختلف [illegible] البحري ينقل من هذه الباقة المتلونة على الجهد [illegible] من [illegible] الاجداد وتختفي احيانا حين تنتقل من مكان الى مكان ـــــــ وراء زرقة وهو آمن



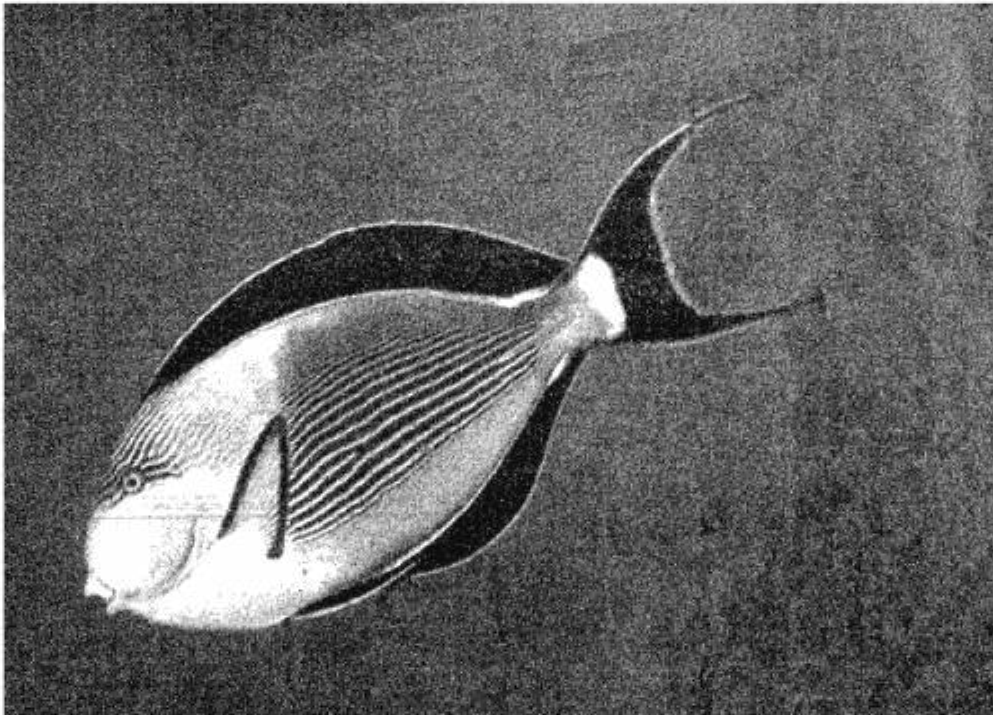
« الفن شيء جميل » انها « سمكة قيصر » الطاووسية التى صورت تحت مياه المحيط الهندى



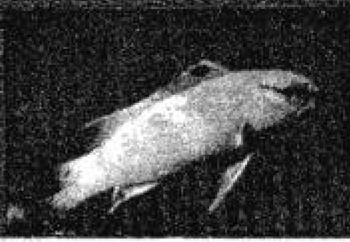


« كأنه طبق من الكريستال الشفاف » انه حيوان رخو يعيش فى مياه جزيرة بيتر بالبحر الكاريبى ، يبلغ طول قطره حوالى عشرون سنتيمتراً .

انه قوقع صغير ذو اربعة الوان ، يتغذى على الطحالب ، وفى الصورة يزحف فوق سنتبس احمر ارجوانى من اسفنج البحر الاحمر .



• كأنها رسم ملون » انها صورة لسمكة البحر الاحمر ، السمكة طولها ثلاثون سنتيمترا وتم تصويرها بالســاحل السوداني للبحر الاحمر .. ماذا يستمد محترفو بطولة رياضة الصيد قتل مثــل هذه السمكة ؟ هل هم بهذا العجز حتى يحتاجوا للرمح ليبرهنوا على بطولاتهم ؟ كان الاجدر بهم ان يصطادوا صــورة جميلة كهذه بدلا من قتل هذه الاحياء





« قطعة زينة من أعماق المحيــط الهندى » انها سمكة القــرم الحمــراء ، مزينة بنقط ملونة زاهية ، وطولها حوالى ستون

سمكة الكنجزجــراما التى تمرق بسرعة فى مياه البحر الكاريبى ، والخط الاسود على العين يستخدم فى الاستخفاء .

مطمئن ! .. فكثير من اعدائه يخشون القرب من زهور البحر ذات الخلايا اللاسعة التي تنفث السم في الأجسام فتخدرها ...

وهناك المرجانيات الصخرية التي تعيش متحدة مع بعضها البعض في مستعمرات كبيرة تضم الواحدة منها الافا عديدة الافراد ، وكل فرد منها يبني لنفسه هيكلا متناسقا من المادة الجيرية التي تستخلصها خلاياه الحية من ماء البحر ، وبتضافر هذه الهياكل مع بعضها البعض تتخذ المستعمرة المرجانية شكلها المعروف .

● ذات افنان وروعة وبهاء ●

فاذا ما اتيح لك أن تغوص على شعب من هذه الشعب الصخرية وترى بعينى راسك عجائب هذه المخلوقات في بيئتها الطبيعية نامية تحت الماء،لافتتنك جمال الوانها وبريقها الزاهي ومزيجها الغريب من كل الوان الطيف المعروفة التي تختلف بين الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر والبنفسجي ، مع ما ينجم من تداخل بعض هذه الالوان مع البعض الآخر من نغمات لونية قد لا تستطيع انامل الفنانين المبدعين ان تحاكيها ...

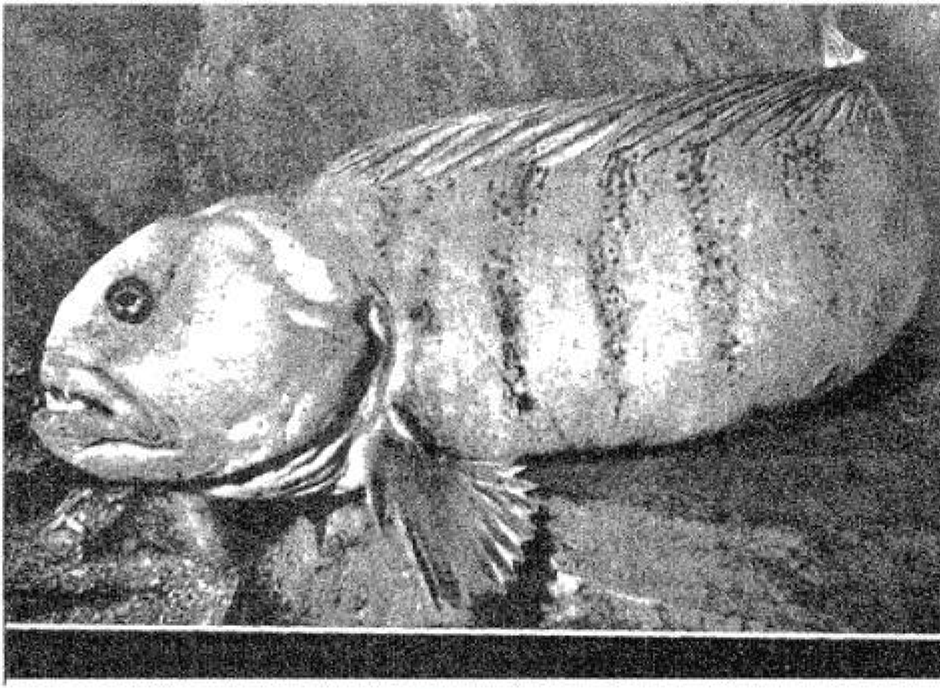
فكانك في حديقة زاهرة باسقة ذات افنان وروعة وبهاء فيهـا انواع من الأسماك العجيبة الشكل واللون تتنقل بين الشعاب بحركات مختلفة السرعة والبطء كما تتنقل الفراشات الزاهية بين الأزهار والرياحين ...

وهذه الأسماك تتحرك اما فرادى او قطعانا يبدو لك جمعها وكأنها تتماوج كحركة السحاب ! ..

وعندما تتكسر الشعب المرجانية وتتعكر القاع تحت اقدام الغواص ، فانه يرى زحفا من قوافل هذه الاسماك التي يبدو أنها ستهاجم الغواص ، ولكن الواقع انها تبحث عن الكائنات الدقيقة التي ستتناثر بسبب تقلقل قطع المرجان المكسورة أو بسبب اهتزاز رواسب القاع حيث أن ذلك يسهل عملية تناص الغذاء لهذه الأسماك .

ولو قطعت قطعة صغيرة من هذه الشعاب وخرجت بها الى السطح ووضعتها على يدك حتى يسيل ماؤها فسترى العديد من الكائنات الحية المختلفة تنفرط خارجة من شقوق وفجوات الشعاب بحثا عن الماء الذي سال ... انه حقا عالم عجيب غريب ! .

وبعض « المراجين » ضخم باسق كالأشجار والبعض الآخر يحاكي قرون الوعول العملاقة ، في حين أن ثمة مستعمرات كروية الشكل عليها تلافيف تشبه تلافيف المخ ولذا سميت « بمراجين المخ » التي قد تبلغ حجما كبيرا ...



ان ثعلب البحر من اسماك القساع المفترسة واكثرها كآبة . وهو يستطيع بقوة فكيه تحطيم اصلب المحارات . وقد اضفى عليه كبر الحجم - اذ يصل الى مترين - والشكل الرهيب مظهرا مهولا . واذا ما جلبته الشباك اخذ يتخبط كالمجنون عاضا مسرعا . ومع ذلك يصطاده صيادو الشواطئ الاسكتلندية . ويعرض للبيع للاكل في الاسواق

وهناك مستعمرات ضخمة تنبعث من القاع فيما يشبه المظلة او نبات « عش الغراب » ، حتى اذا ما اقترب المرء من حافة الشعب المرجانية حيث المياه متجددة والتيارات المائية محسوسة فانه يجد ما يشبه الاسواط الضخمة تهتز مع حركة الماء كانما هي حيات تسعى ، وهذه هي الاخرى نوع من انواع « المراجين » الطرية .

بيد أن الحياة في عالم الشعب المرجانية تحت الماء لا تخلو هي الاخرى من صور مضحكة . فكثيرا ما يشاهد الغواص في وقت الظهيرة نوعا من حيوان الجمبرى الاحمر ينبرى من جحره ويقف مزهوا فوق حافة مرجانية ويحرك شواربه كانما هو يعلن عن وجوده . وسرعان ما تسعى اليه بعض الاسماك وتصطف طابورا كانما كل واحدة منها تنتظر دورها ، فيتولى صاحبنا التقاط براغيث الماء والطفيليات التى علقت بجسمها واحدة بعد الاخرى ، ولا تفكر احداها في الحاق الاذى به .

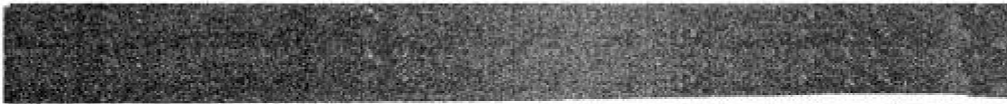
ويشبه العلماء هذا الجمبرى بالحجام او بصاحب « صالون الحلاقة » وهو يتقاضى اجره وجبات سمينة مما علق بجسم زبائنه . وهكذا تضرب لنا هذه الكائنات مثلا حيا على التعايش السلمى .

● ترجمة : د . محمود الجميلى ●



حركة نشطة لمجموعتين من الأسماك الكبيرة المنقطة والأسماك الرقيقة الحمراء كلها تموج بين الشعاب المرجانية

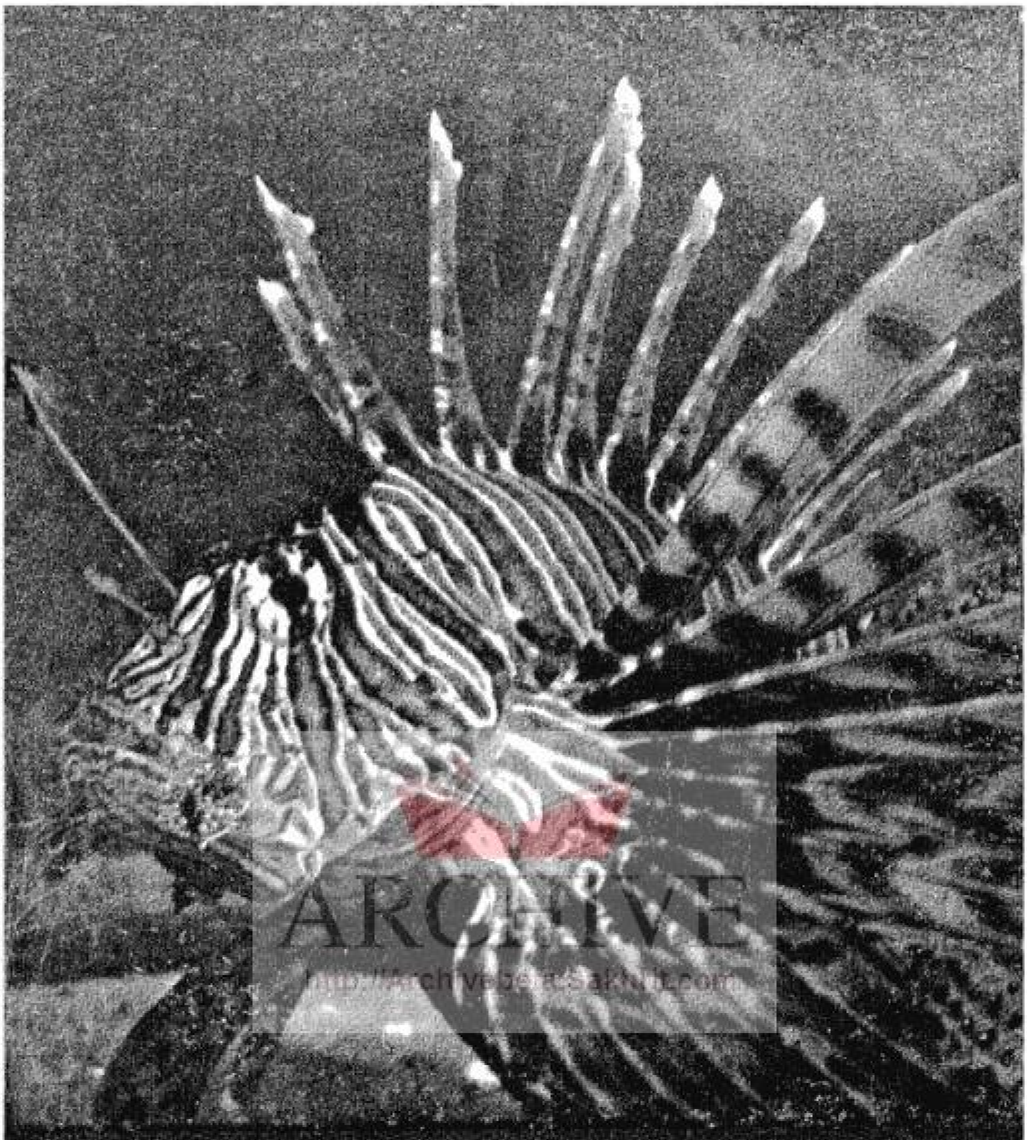






▲ هذه السمكة الجميلة تعيش بين الشعاب المرجانية . لونها الاصفر سلاحها لانه يخيف بقية الاسماك، وهي تتغذى على شعاب المرجان، شعاب المرجان في اساسها حجر جيرى تتراكم عليها مواد عضوية . تلك السمكة وامثالها تقضم الشعاب المرجانية وتبتلعهـا فتهضم المواد العضوية وتخرج الحجر الجيرى ترابا، انها لاتؤكل ولكنها تفي تحت الماء ..

◀ هذا هو المنظر العادى للشعب المرجانية هذه الاصابع التي تراها مكونة من حجر جيرى مغطى باحياء هي التي تعطى الشعب المرجانية هيئة الاحياء ،وبين هذه الاصابع تعيش الاسماك والاحياء البحرية الاخرى وتتغذى بها .



سيظل عالم المياه بما يخفيه من اسرار غريبا موحشا على الانسان الذى يتنفس بالرئتين . فحيث يخفت تلل الضوء، تتربص فى لجى البحر اخطار تحيق الموت بكل كائن حى ينفذ الى ملك الاسماك السامة المفترسة .. وكذا ثعالب البحر وضباعه التى تعيش هناك . ومنذ سالف العصور ومازالت الاسرار والمخاوف تحيط بالاسماك السامة . واكثر الوانها المتالق ببهاء ولها اشواك تحمل غددا سامة كالثعابين . وبينما استطاع الطب الحديث تحويل سم الثعابين القاتل الى دواء شاف ، فلم يتمكن الطب حتى الان من استخدام سم الاسماك فى العلاج . وهذا الضرب من السمك قادر على حمل السم الزعاف فى الجلد او فى الدم ، فى اللحم او فى الكبد ، كما لا يندر وجوده فى البيض الذى يحمله فى بطنه - وتبين الصورة سمكة Pterois Volitans الزاهية الالوان والتى تشتهر باسم « السمكة النارية الحمراء » وهى تطعن فريستها بالاشعة الزعنفية الموجودة بزعنفة الظهر

قصة

الوصية

● محمد عطا ●

- ١ -

● حينما جلسنا حوله ، طوانا الصمت برهة ، اقتربنا منه أكثر ، سألناه :

ـ كيف حالك ؟

هز رأسه ، ابتسم ساخرا ، غمغم :ـ دعونى اكتب وصيتى !

حملقنا في وجوه بعضنا البعض ،فغرنا افواهنا ، ندت منا همهمة ... :

ـ انها المرة العاشرة التى يكتب فيها وصيته !

- ٢ -

تفرقنا من حوله،آثرنا أن نتركه وحيدا للوصية قدسيتها ، أعيننا ترمقه بحذر ، كل منا يحجب أعماقه بابتسامة باهتة. وحينما أشار لنا، أفلتت فرحتنا،طفحت من عيوننا .. هرولنا اليه ، تأملنا وجهه الشاحب ، عينيه الغائرتين ، حدقات عيوننا تركزت عليه ... عبثا أن نقرأ ما بداخله ؟ تساءلنا فى صمت وشوق:

ـ هل يوصى لنا بكفنه الحريرى ؟

- ٣ -

تأملنا واحدا واحدا ، همس بصوت ثابت :

ـ اقرأ افكاركم !

انكمشنا في جلستنا ، ابتسم ، ابتسمنا ... تحسس وجوهنا باصابعه النحيلة، لم نشعر بلمسانها ، غمغم بكلام بلا معنى ، ردد حروفا مبهمة ... تحسرنا عليه ، اطلقنا لدموعنا العنان ، واسينا بعضنا بعضا ...

كفنه سبع طبقات من حرير وشاش، تشممنا رائحته النفاذة . تحسسناه خلسة .راقبنا في سكون، ضحك ضحكة مكتومة ، التزمنا الصمت .

- ٤ -

قذف الينا بوصيته ، تناولناها بلهفة، قرأناها ،اعدنا القراءة، لم نفهم شيئا .. وحينما سألناه ان يفسر لنا ما كتب ،قهقه ساخرا ...

ـ وصيتى لا تقرأ!

صبرنا نفد ، زمجرنا فى غضب صحنا :

ـ اذن فكيف نرثك ؟

جلجلت ضحكاته ، مزقت آذاننا ، أثارت غيظنا ...

تناقشنا في امره ، قررنا الا ندعه يكتب ثانية ، أن نسلبه كفنه الحريرى.. وحينما هجمنا عليه ، سقطت عنا أكفاننا تبعثرت عظامنا ، وهو يضحك ويضحك ، ويكتب وصية اخرى !

مرآة الفكر العربي

الأسس النفسية والفسيولوجية للسلوك

● تأليف : د . عباس محمود عوض ●

● اعداد : عادل عبد الصمد ●

● يتناول علم النفس النشاط السيكلوجي للناس موضحا اوجه الشبه والاختلاف في الادراك والتعلم والتفكير والتذكر والاستعدادات والميول والذكاء ، حيث ان الناس لا يكونون بقدر متساو في كل تصرفاتهم او خصائصهم السيكلوجية ، فالتجارب في ميدان القياس النفسي اظهرت ان الافراد يختلفون في قدراتهم وسماتهم ، وكذلك الفرد الواحد ، تختلف قدراته وسماته بعضها عن بعض ، من حيث القوة والضعف ـ وهذه الفروق ترجع الى الوراثة والبيئة او الى الاثنين معا .

وقد تناول كثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين النفس الانسانية وعلاقتها بالبدن والسلوك البشري بالدراسة والتحليل ، محاولين التحكم في النشاط السلوكي للناس ، وكيف أن اى تغيير يجرى في الجسم يكون له صداه في النفس ، وعلى ذلك نجد كتاب « الاسس النفسية والفسيولوجية للسلوك » يستعرض طبيعة العلاقة بين الجسم والنفس ، ثم اهمية علم النفس من ناحية انه علم تجريبي يبحث في السلوك بطريقة موضوعية .

لذا فقد تضمنت صفحات الكتاب الكثير من الحقائق العلمية والمستمدة من التجريب والتى تؤكد ان الانسان انما هو وحدة جسمية نفسية .

وقد حاول المؤلف اثبات ان علم النفس هو العلم الذى ينظر الى الانسان نظرة ، علمية ، الغرض منها الوصول الى القوانين الاساسية التى تنظم سلوك الانسان ، اى الى اوجه نشاط الفرد ، وهذه اما ان تكون سلوكا ظاهرا ، كالمشي والاكل والبكاء ، او نشاطا داخليا مستترا كالتفكير والتصور والتخيل ، اى يتناول السلوك الذاتي ، والسلوك الموضوعي ..

وبذلك فقد يتحدد هدف علم النفس في فهم السلوك وتفسيره ومحاولة التنبؤ بحدوثه وان امكن فضبطه والتحكم فيه .

وسلوك الفرد بهذا المعنى يكون استجابة لمنبهات أو مثيرات في بيئة الفرد سواء البيئة الواقعية او البيئة النفسية والمنبه على ذلك اما عامل خارجي او داخلي يثير نشاط الكائن الحي أو عضو من اعضائه .. حيث ان نشاط الانسان الفرد في بيئته ، انما يصدر عنه كله ، فالانسان عندما يفكر في موضوع معين ، فان هذا السلوك العقلي ، يصحبه تغيرات جسمية وحالات وجدانية ، وتوترات عضلية ، وتغيرات في التنفس والنبض ، ونشاط في الحواس .

وبذلك لا يوجد نشاط نفسي للانسان فقط ، ولا نشاط عقلي فقط ، انما هو نشاط نفسي جسمي ، وهذا مما يدل

على ان الانسان وحدة نفسية جسمية.

والكتاب يحوى سرا لتاريخ علم النفس ومناهج البحث فيه فيبدأ من افلاطون وآثاره على تاريخ علم النفس، اذ ان افلاطون يعد من رواد علم النفس التربوى حيث وضع نظاما تربويا فى « جمهوريته » يهدف الى تربية النفس وكشف النقاب عن طبيعة النفس المسيطرة بين افراد « جمهوريته » .

والنفس عند افلاطون ذات طبيعة روحية ، وهى تختلف عن الجسم من حيث انها وجدت قبل الجسم ، وكان مقرها عالم المثل وهى خالدة بعد فنائه .

اما ارسطو فيعتبر بحق المعلم الاول لعلم النفس والمؤسس له ، فكان منهجه العلمى يقوم على الاستقرار والملاحظة الخارجية ووسيلته فى هذا الاحساس والادراك الحسى ، وذلك لانهما من وسائل المعرفة .

والنفس والجسم عند ارسطو كل واحد لايتجزأ ، وقد ساهم ارسطو كثيرا فى وضع علم النفس الاجتماعى .

اما دور العرب فيتمثل فى آراء الفارابى باعتباره عالم نفس الى جانب كونه فيلسوفا ورجل دين ، فقد تناول الفارابى قدرات النفس التى توصل الانسان الى المعرفة وتناول الفارابى نواح من السلوك هى مصدر اهتمام علم النفس الحديث .

ولكن ابن سينا يقول بوحدة النفس وبتعداد وظائفها وبتفاعل العمليات النفسية واعتماد بعضها على بعض .

اما الغزالى فهو اكثر مفكرى الفكر الفلسفى قربا الى علم النفس بمفهومه الحديث فالسلوك عنده له نواح ثلاث : ناحية ادراكية ، ناحية وجدانية، ناحية نزوعية . وهناك سلوك جزئى وكلى ، وهناك سلوك اضطرارى ، وسلوك ارادى . وكذلك اهتم الغزالى بطريقة التعلم واكتساب العادات الصالحة ، والعادات عنده حركية وخلقية وعقلية ومنهج الغزالى فى ذلك منهج التأمل الباطنى الدقيق والملاحظة الخارجية لسلوك الناس ونشاطهم ، وكان هدفه فهم طبيعة البشر ثم العمل على اصلاح امرهم .

ثم يتكلم المؤلف عن دور ديكارت حيث يعد المؤسس الثانى لعلم النفس، فقد استخدم الاكتشافات العلمية التى قامت فى علم الفسيولوجيا وعلم الطبيعة فى الدراسات النفسية .

ثم ظهرت المدرسة الانجليزية الترابطية التى قام على تأسيسها جون لوك ومن انصارها هارتلى ؟ وهيوم وسبنسر ، تلك المدرسة التى لها اثر بالغ فى توجيه الدراسات النفسية فى نهاية القرن التاسع عشر .

ثم عرض المؤلف ايضا لمدارس علم النفس والدوافع والحاجات النفسية الاساسية للفرد ، وكيفية تحقق النمو النفسى والبيولوجى ومظاهر طفولته الى نموه الاجتماعى ، وكيف يمكن ان يتحقق للفرد توافقه مع نفسه ومع بيئته الاجتماعية والعوامل الديناميسية فى عملية التوافق ، وكيف له ان يتجنب الوقوع فريسة الامراض النفسية او العقلية ثم يعرض بعد هذا لاسلوب قياس الشخصية ولنظرياتها المختلفة .

وهنا يتضح لنا من تلك الدراسة ان المعالم الجوهرية فى حياة الانسان البالغ الراشد تقوم على خواص طفولته المبكرة ففيها يتكون الضمير او الوازع الخلقى من علاقة الطفل بابيه او بمن يقوم مقام الاب وفيها تتكون اغلب الاتجاهات النفسية التى تهيمن بعد ذلك على الانا او الذات الشعورية ، وفيها يتكيف الفرد مع بيئته تكيفا عميقا ، يستمر ويؤثر فى مقومات حياته من الطفولة الى الشيخوخة .

وبذلك كان الطفل محورا لكثير من فروع المعرفة . حيث كان ميدانا خصبا لابحاث تتقاسمها علوم مختلفة . ثم تطورت هذه الدراسة حتى انتج عنها علما قائما بذاته هو «سيكولوجية الطفل» الذى اتخذ من التجريب اسلوبا حتى اضحى هذا العلم علما تجريبيا . وبهذا المعنى يشتمل على ميادين ثلاثة : سيكولوجية الطفل ، سيكولوجية المراهقة ، وسيكولوجية الرشد .

باب إلى الشمس

د . عبد الحميد محمود

اخفيت خلف بشاشتى ياسى ... ومخاوفا فى هوة النفس
مازلت ادفعها وتدفعنى ... فتزيدنى ياسا على ياس
واخذت كاس الوهم زاهية ... على ارى الامال فى كاسى
لكنما كاسى مموهة ... مملوءة بالضعف والياس
فاذا افقت وقعت منحطما ... وسقطت من يومى الى امسى !

•••

اسرعت فى خطوى بلا هدف ... وعلى المدى ما اشرقت شمسى
اسرعت لكن الخطى ابدا ... ما غيرت من ظلمة الحس
ماتت طيور الحب من زمن ... وتخلفت تفتيحة الغرس
وكانما فى افقنا وئدت ... فى مهدها انشودة العرس !

•••

يارب ان نداك ياسرنى ... بطهارة الاصداء والجرس
اقبل على عبد بلا هدف ... فتحت له الاوهام كالرمس
لجلال بابك جاء مضطربا ... مترددا متحشرج الهمس
فى عينه للفجر نافذة ... وبقلبه باب الى الشمس !

استئصال الطحال

كنا معا ، طبيب شاب وانا ، نتحدث عن استئصال الطحال ، وقال لى ان هذه العملية سهلة للغاية ... وقال ايضا : وانا شخصيا اجريت هذه العملية بنفسى وانا ما ازال بعد طبيب امتياز :

قالها بمنتهى الثقة فى النفس ، ووجهه منشرح .

وبعد أن جاء شاهايران السابق الى مصر ، واتجهت انظار العالم الى مصر ، واذاع كبار الاطباء ان الشاه السابق مريض بالسرطان ،وان هذا السرطان امتد الى الطحال ـ اصبح الامر يستدعى اجراء عملية له لاستئصال الطحال .

وعندنا فى مصر اطباء اكفاء .. بل لقد وصلت براعة اطباء مصر الى ارفع المستويات العالمية .. واكدت ما اذيع ومانشر من كتب ودراسات تقول انمنبع الطب هو مصر فقد عرفته مصر منذ ٧٠٠٠ سنة .. كما ان قصر العينى يعتبر مدرسة طبية عريقة حققت اعظم الانجازات فى التعليم والتدريس والبحث الطبى ..

وعندما قيل لنا ان قصر العينى القديم سيهدم ليقام فى مكانه قصر اكبر واحدث ، يكون ارقى وارفع مستوى للمستشفيات فى العالم ـ غمرت الاحلام العظيمة قلوب شباب الاطباء والواهب المصرية الطبية الكبيرة ..

ولقد دهش الكثيرون عندما عرفوا ان طبيبا امريكيا كبيرا قد حضر لاجراء هذه العملية ..

ولقد ابتسمت وانا اتذكر حديثى الذى بدات به هذا المقال .. فلقد كنا معا ، طبيب شاب وانا ، نتحدث عن عملية استئصال الطحال ، فقال انها عملية سهلة و ... و .. واقرا هذا المقال من الاول !

دكتور ص . ح . م

قصـــة

عين .. العفريت

● نبيل عبد الحميد ●

● اطفىء انوار السيارة فتتكاثف العتمة على الزجاج ، امامى ومن حولى .. اخرج ، واحاول ان اعبر بركة المياه وانا اشد « بنطلونى » الى اعلى . لم يكن الشارع هكذا من قبل . هل اخطأت الطريق ؟ ولكن الباب والرقم . اتحسس جيبى المتنفخ بمظروف الاوراق . وجيبى المنتفخ بالمسدس . لن اتركه يفلت هذه المرة ! ...

اقف على عتبة الباب وانظر الى كتلة الظلام وهى تملأ الدهليز . أمد يدى ناحية الحائط واتحسس . احرك مفتاح النور عدة مرات ، لا فائدة . أشعل العود وارفع يدى واتقدم خطوة ، خطوة الظلال تتداخل وتتكسر على السقف والجدران الكالحة . رائحة رطبة تفوح من الارض . وارى عينيه تلتمعان وتتسعان ، ويستطيل عنقه وهو يزوم بصوت مشروخ . لا تخف ... مجرد كلب . ينتفض واقفا ويندفع ناحيتى ، يتوقف قريبا جدا امامى ويظل ينبح . الهواء يهتز من حولى وتتدافع دقات قلبى وترتعد فى اذنى . هل اجرى . ؟ كيف والى اين . ؟

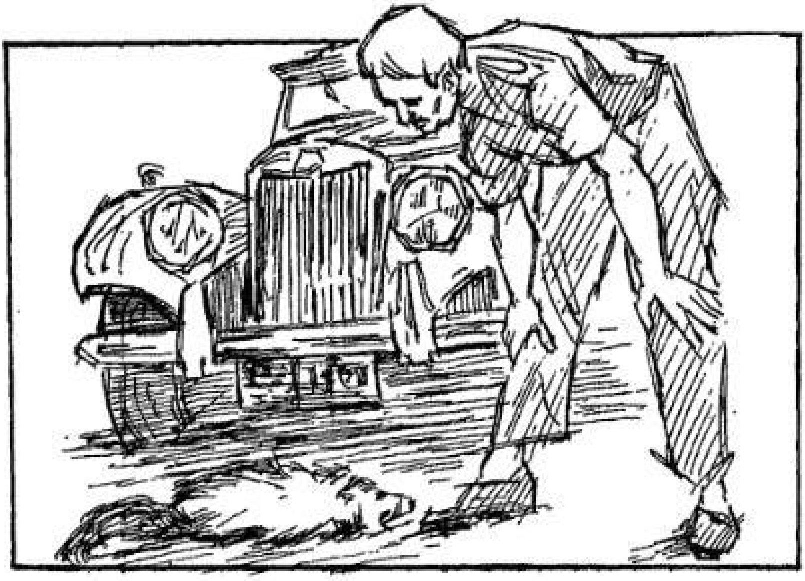
احاول ان اتقدم ناحية السلم . يتراجع، ويندفع ، وتظهر انيابه البيضاء. هل اجلس على الارض . ؟ النار تلسعنى فاترك العود يسقط وانا انادى .. جوفى مفرغ تماما من كل صوت . نباحه المشحوذ يتصادم بالجدران وبالسقف وبالارض . اتراجع الى الوراء خطوة .. وخطوة ، استدير واجرى . الطين يتطاير من حولى ويرتطم بوجهى. اين مفتاح العربة . ؟

اين ثقب الباب . ؟

سترتى تنجذب الى الخلف وبتمزق طرفها ، اشعر برءوس الانياب تقترب من لحمى . انزع سترتى وارتمى على المقعد واغلق الباب . دقات قلبى تنتفض فى عينى وفى انفى وفى اذنى. اراه من خلف الزجاج ينهش السترة بانيابه ثم يطيح بها بعيدا ..

لم يكن عندهم كلب . اذن فقد اتى به لكى يخيفنى ....

انفاسى تهدأ .. يقف امام السيارة ،



يدفع التراب بخلفيتيه ويرفع انفه الى اعلى وينبح. اطفىء الانوار وادير المحرك .. يقفز على مقدمة السيارة ، اتراجع واشهق . مخالبه المسنونة تخمش الزجاج في عناد ، اللعاب يتساقط من فمه ، عيناه تتسعان وتلتصقان بالزجاج ، شرستان قبيحتان

حسنا أيها الكلب .. لنر من منا يأكل الآخر . الـ .. اتراجع بالسيارة الى الخلف دفعة واحدة فتنزلق اقدامه ويسقط في الضوء ... ولنر من منا يسحق الآخر !!

اندفع بالسيارة الى الأمام ، يحاول ان ينهض وان يقفز ، صوت ارتطام بين العجلات ، اتراجع الى الخلف .. صوت اشياء يابسة تتحطم ...

اندفع الى الأمام .. صوت اشياء لينة تختلج وتنزف .

اتوقف .. آثار مخالبه عالقة بالزجاج .. العرق البارد ينزلق من رقبتي الى اسفل ... لابد أن اقابله الليلة . لن اترك له الفرصة ابدا . لا شك انهم ينتظرون عودتي ، يجترون همهمات السخرية بافواههم القذرة . ومن انت لكي تتمكن من « صاحب الكرامات » ؟!

اذا اردت حقا أن تجعله يوقع على الأوراق فلابد ان تستعين بسيدنا سليمان ! ..

والمس لوحة المسدس .

حسنا ، ساجعلكم تبتلعون همهماتكم هذه المرة .

انظر الى الخارج وامد يدي ناحية الباب . لابد انه يترقبني من اعلى البيت ، يظن انه سيرعبني بالظلام وبالكلب .. لا احب ان ارى بقايا الكلب ... اخرج ولا انظر الى اسفل السيارة .. ابحث واعثر على سترتي ، الحمد لله ، الأوراق في الجيب كما هي . ماذا كنت افعل لو .. ؟ ابتسم .. اهذا كلام . ؟ اسمع أنينا خافتا يتسرب من بين العجلات . التقط مسدسي واتراجع الى الخلف . الصمت وصوت انفاسي . اأخاف من كلب ميت . ؟ اخطو العتبة واشق كتلة الظلام .. خطوة .. خطوة انفاس ساخنة تلفح ساقي . اهو .. ؟ اشعل العود ، ارى عينيه تلتمعان وتتسعان وتنزفان ، بياضا واحمرارا . ينطلق من نفس المكان . اتراجع . اتادى بلا صوت .. اين مسدسي . ؟ ازلق واترنح ، اسقط على الارض .

أمهات فى الأربعين وأزواج تحت الثلاثين!

● مارى غضبان ●

●● ظاهرة غريبة نوعا ما ، تلك التى تبدو هذه الأيام فى قصص الحب التى تربط نساء أكبر سنا بشبان أقل منهن فى العمر والخبرة والتجارب .. الأمثلة عديدة نراها فى الواقع كما نشاهدها مصورة فى السينما والتليفزيون ، وكما نراها فى سطور أعمال أدبيه وروائية .

وعلى عكس ما شاهدناه من خلال القصة الشهيرة (الملاك الازرق) قصة هاينريش مان التى قدمتها السينما أكثر من مرة ، والتى تدور حول علاقة حب بين أستاذ متقدم فى العمر وفتاة شابة تعمل فى الفن ، ويحرص على الاقتران بها ويتزوجها فيفقد وضعه ومركزه الأدبى وراء نزوات وعواطف حبه ..

قدمت هذه القصة لأول مرة فى الفيلم الذى مثلته مارلين ديتريش فى الثلاثينات ، ثم قدمتها السينما الامريكية فى عام ١٩٥٩ فى فيلم (الملاك الأزرق) بطولة ماى بريت ، ومن اخراج ادوارد ديمتريك ثم قدمتها للمرة الثالثة تحت اسم (لوليتا) الفيلم الذى لعب فيه جيمس ماسون شخصية الاستاذ المسن الذى يهيم بحب تلميذته الصغيرة الجميلة

وعلى العكس من هذا التناول السينمائى فى فهم قصة « لوليتا » ارى نفس الفكرة تستبدل موقع المرأة بموقع الرجل ، وبدلا من الرجل الناضج الأكبر سنا ، نرى المرأة الناضجة الأكبر سنا فى مواجهة شاب صغير خارج من سنوات المراهقة ، بمعنى أن هذا الشاب يماثل التعبير المذكر من سلوكيات وواقع الانثى الصغيرة لوليتا .

هذا الشكل لا نراه فقط من أشكال العلاقات فى الأعمال الفنية ، ولكننا نراه بيننا فى واقع الحياة .. مثلا النجمة الامريكية الشهيرة الإيطالية الأصل التونسية المولد كلوديا كاردينالى متزوجة من شاب يصغرها سنا ، هو المخرج الشاب باسكوال سكوتيرى الذى يقترب عمره من عمر أكبر ابنائها . وهى تبدو شابة جميلة برغم تجاوزها سن الأربعين ..

نفس الحال فى قصة الحب التى تربط الممثلة العالمية السويسرية الجنسية أرسولا أندرس ، التى تعرفت بالممثل الانجليزى الناشىء هارى هاملين (٢٧ سنة) وأحبته وهى المرأة التى تجاوزت الأربعين ، ولأول مرة تتخلى عن موانع الحمل لتصبح حاملا تنتظر طفلا من



ترافولتا وليل توملين فى فيلم « لحظة بلحظة »

زوجها الشاب ،وكل مخاوفها الآن الا يتم الانجاب بسلامة ، لانها الآن فى سن الثالثة والاربعين وهى سن صعبة لن تحمل وتلد لأول مرة .

وهذا الواقع يبدأ ايضا من احداث فى الحياة اليومية تتصاعد لينشغل بها الرأى العام الفرنسى بمسألة الاستاذة جبرائيل روسييه التى ارتبطت بقصة حب مع أحد تلامذتها من المراهقين الصغار وقد شغل هذا الموضوع الرأى العام فى فرنسا وخارجها ، وصورت السينما الفرنسية فى فيلم (الموت حبا) ومثلت فيه آنى جيراردو قصة جبرايبل روسييه التى أدان المجتمع الفرنسى قصة حبها من البداية .

***

وقصة « فيدرا الآثمة » ليست بعيدة عن الأذهان فهى قصة المرأة التى أحبت ابن زوجها « ايبوليت » ولكن الشاب يرفض هذا السلوك فتلجأ الى والده تحرضه عليه ، ويأكل الندم فيدرا فتنهى حياتها بالانتحار .. انها القصة التى صاغها شعرا ا . رابيه ، وسيناك فى مسرحية شعرية ، وتناولها بعد ذلك الكاتب المسرحى الفرنسى راسين . ثم قدمها المخرج اليونانى العالمى كاكويانيس فى فيلم مثلته ميلينا ميركورى تحت نفس الاسم (فيدرا الآثمة) .

وهو نفس المضمون الذى أخذت منه السينما العربية نفس الخط فى اول فيلم تمثله نجمة السينما العربية شادية من اخراج المخرج الشاب اشرف فهمى (امرأة عاشقة) سيناريو مصطفى محرم وفيه لعبت شادية دور المرأة العاشقة لابن زوجها أمام محمود مرسى (الزوج) وحسين فهمى (الابن) ونالت عن الفيلم واحدة من جوائز التمثيل السينمائى

***

واحدث افلام هذا اللون من التناول



ارسولا اندرسون

السينمائى يبدو فى الفيلم الامريكى (لحظة .. بلحظة) او لحظة حب الذى اخرجه وكتب قصته جان واجنر ،ولعبت بطولته ممثلة المسرح الامريكية ليل توملين امام النجم المطرب المغنى الراقص جون ترافولتا ، وموضوع الفيلم قريب الى حد كبير من قصة فيلم (الاستاذة) التى مثلتها سيمون سينوريه امام النجم الامريكى والن بيتى .. وفيلم (لحظة .. بلحظة) يروى قصة حب بين اثنين ينتميان الى شريحة مختلفة فى المجتمع وكل منهما يعيش حياة مغايرة تماما لحياة الآخر ؛ فالمرأة تريشا سيدة ثرية ارستقراطية تعدت الأربعين (ليل توملين) زوجة وأم ، تتعرف على شباب صغير وترتبط معه بقصة حب غير عادية تنتهى نهاية غير طبيعية ..

وهو موضوع عايشه بطل الفيلم جون ترافولتا فى حياته حيث ارتبط بقصة حب عنيفة مع الممثلة الراحلة دايان هيلد التى ماتت قبل أن تشهد انتشاره وشهرته الصاروخية ، وكانت هى أحد الأسباب التى عاونته فى طريق النجاح والشهرة ، لكنها ماتت بمرض خطير ليس له علاج قبل أن يقترن حبهما بالزواج وقبل أن يصل ترافولتا الى طريق النجومية .

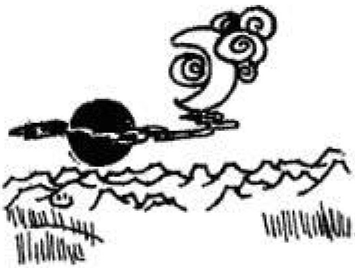
***

وفى نفس الاتجاه تهتم السينما العالميه بابراز هذا اللون من العلاقات ـما هى السينما تعود من خلال فيلم عالمى من انتاج كندا الى الأسطورة اليونانية (أوديب) لتقدمها فى معالجة عصرية من خلال تناول مختلف من فيلم لعبت بطولته صوفيا لورين من اخراج موريس سيجال .. الفيلم هو (أنجيلا) الذى اختاروا له اسم (الساقطة) عند عرضه فى مصر ، وهو يحكى قصة حب بين امرأة تعدت الاربعين وشاب فى العشرين ، من خلال قسوة الأحداث السينمائية لتقديم الاسطورة اليونانية (أوديب) . وفى هذا الدور قدمت صوفيا لورين دورا من افضل أدوارها ، نفس الدرجة من الاجادة تفوق الممثل الشاب الذى مثل دور الابن جين .

وهذا الموضوع تناولته معظم وسائل التعبير الأدبية والفنية .. قدمته خشبة المسرح وشاشة السينما والشاشة الصغيرة .. وما هو يطرح نفسه من جديد من خلال نساء شهيرات فى الغرب يعشقن برجال شباب يصغرهن فى العمر ، مثلما نرى فى قصص الحب التى تربط ارسولا أندرس بوالد طفلها القادم ، وكلوديا كاردينال ووالد طفلها الذى جاء مؤخرا ، وبريجيت باردو وحبيبها الشاب . وهذه حالات يعيشها الرأى العام هناك من خلال متابعة أجهزة الاعلام الفنية عندهم .. وما أكثر هذه الحالات فى الحياة العادية الأوروبية الأمريكية وأكثرها يعيش فى ظلال الهدوء الاجتماعى والانسانى بعيدا عما يثير اهتمام اجهزة الاعلام الفنيه وغيرها من أدوات التقديم الفنى والثقافى .

●●

شمس و قمر



● تاج الدين نوفل ●

تاج القداسة والجلال   وعرائس الحسن الغوال
وكواكب الشرف الرفيع   تسلق ابراج الكمال
والمال لا يحصى لديهـا   والجمال ذرا الجمال
والعز ملك يمينهـا   وجميع ما تبغى تنال
والطهر تاج جميلة   تثرى به عرش الجلال
والعقل يستبق النهى   برزانة تزن الجبال
والرأى سهم صائب   بالحق فى الأمر العضال
والكل يسعى خاطبا   ود العفيفه فى ابتهال
لكن بنت خويلد   تسمو الى خير الرجال

***

رات النجوم ببيتها   والشمس تعتنق الهلال
هـذا محمد الأمين   تـراه فى عين الخيال
زوجا به تسمو الحياة   ويزدهى عقد الكمال
قد شاقها منه اكتمال   فى المقال وفى الفعال
ويدق قلب خديجة   والحب يستبق المحال
فاذا ذكرت محاسنا   فيها المحاسن لا جدال

***

يا يوم أن جاء النبى   الغار فى قمم الجبال
واتـاه جبريل الأمين   الوحى من رب الجلال
ويهزه هزا شديدا   وهو يدعو فى ابتهال
ودعا خديجة زملونى   انهـا آى ثقال
ويقص قصة بعثه   والزوج تسبح فى الخيال
وتقول لا والله لا   يخزيك ربك ذو الجلال
انت النبى المرتجى   يمحو الاله بك الضلال

***

يا سعدها من زوجة   سبقت بوالعها الخيال
قد صدقته باصغريها   حين كذبه الرجال
فاحبها حبا تزول   له الجبال ولا يزال
فالشمس تشرق كل يوم   ثم تغرب لا محال
لكن شمس خديجة   تابى الغروب او الزوال

من ديوانه الجديد
• اللؤلؤ والمرجان

قصة:

العزيزة

● محمد صدقى ●

متعة مشاهدة الزهور الفواحة العطر وهى تستقبل طلوع الشمس ، زاهية الالوان ، نضرة ريانة بالصبا .. بهجة للنفس ، لا تعادلها متعة عند من يزرع الزهور ويرعاها ، يفرح بازدهارها وانتشار أريج عطرها

مثل هذه المتعة البهيجة التى تزيل من كل قلب أى هم يثقله ، تشرح الصدر ، تمنح النفس مع استقبال النهار الجديد قدرة الرضا باحتمال الحياة أيا كانت مصاعبها ..

يعرف كل ذلك ، يلهمه ، تعود أن يحس به « أبو الوفا » البستانى العجوز ، لكنه ذلك الصباح وهو يخطو أولى خطواته داخل حديقته اصابه حزن بالغ أسيف عندما اقترب من حوض ازهار حديقته الاوسط ليسعد برؤية احدى زهوره الاثيرة عنده لا يتنسم عطرها المسكى الفواح ..

الحزن البالغ الأسيف حرك قلب أبى الوفا وهو يميل على زهرته الاثيرة عنده ، ماذا بها تستدير عنه بتاج اوراقها الياقوتية القطيفية المتألقة بالتماعات الزغب الحريرى فى انكسار حزين ناحية الارض ..

تأمل أبو الوفا زهرته مضطربا مندهشا :

تساءل متأسيا بقلة أنامله التى بدأت برفق تلمسها :

ــ مالها « العزيزة » .. لماذا تستدير بوجهها عنه ؟!

والحنو بلمسات الانامل الدربة يقرب أوراقها القطيفية بحنان من شفتيه يرشفها ، يتنسم عطرها بلهفة الاشفاق الحزين

لكن الزهرة مرة أخرى لحت تاج كأسها ، مالت به ناحية الظل من الجانب الآخر ..

قال البستانى « أبو الوفا » يحدث نفسه

ــ عجيب أمر هذه الزهرة .. منذ عثرت على بصيلتها زهرة برية بين الصخور لا وأنا اعرف انها من نوع كريم نادر ، نوع كما علمتنى خبرتى رائع الرأس دائما ، زهرته فواحة برائحة المسك ، جلالها فى رائحتها ولونها وسموق ساقها بالتاج الياقوتى المتلألىء .. اليس اسمها « العزيزة » .. الزهرة التى تعيش طويلا ، ولا تموت الا رائعة كأس تاجها لا مهما واجهتها ظروف صعبة معاكسة .. قد تذبل ، تضمحل صلابة ساقها ، يخبو تلألؤ اوراقها ، يتكدر لونها الى البنى حتى تتحول محترقة بالجفاف ، غير قادرة على امتصاص غذاء التربة ، وتجف ، تجف ، حتى تموت .. لكنها تظل رائعة الرأس ، تلوى الرياح المكسبة باوراقها الجافة ، لكن .. تظل ساقها متماسكة ، عودا من حطب جاف صامد للريح ، كما تموت الاشجار الكبيرة العتيقة رائقة ..

لكن .. مالها الان هذه العزيزة التى حلمت ، تمنيت ، بحثت طويلا حتى عثرت عليها ، تخذلنى ؟!

وتفحص « أبو الوفا » بأناة خاشعة شغوفة أوراق زهرته النضرة التى يعشقها منذ وضع بصيلتها فى ذلك الحوض ورعاها بمثابة الشوق والحب للزهور الكريمة .. تأملها .. فكر فى حالتها الغريبة من خبرته لا لفحصها بيقظة العجب المطوف متسائلا :

ــ ماذا حدث للعزيزة .. كيف اصابها هذا المكروه الذى اجهله ؟.

كان يحب فيها دلالا حجبها الصغير ، المتكاسات بلألأ اللمعان الياقوتى بين أوراقها ، ساقها النحيلة السامقة الكبرياء ، كما لو كانت بين الزهور ترفع بجلال لوليات اوراقها الفواحة بالعطر المسكر الذى تعودان يتنفسه شذاه صدره كل صباح مع طلوع الشمس وغمرة الاحساس الطروب بأن هذه هى زهرته « العزيزة » .. حاله الذى يعيش من اجله ، سره الخاص فى بستان عمره ..

لكن .. مالها العزيزة اليوم تنأى عنه بتاجها الياقوتى منكسرة حزينة ؟!



ببراعة البستاني وحذقه وصبره الودود في مهنته راح أبو الوفا يدير أنامله الخبيرة في تربة العزيزة ، يحفر حول ساقها ، يذير لها حبيبات التربة السمراء بتربة أخرى في مخصبة تحت وهج الهجير أياما ، أجتلبها من حول أقوى زهور الحديقة ريعانا ليساعد بخصبها على عودة النمو لزهرته العزيزة كي تقوى على الوقوف قادرة على مواجهة أعاصير الريح وآفات التربة

يرواها بقطرات الماء على فترات في دقة ..

أسند ساقها بعود جاف غرسه الى جوارها، ثم ربطهما بخيط رفيع الى زهرة عباد شمس فتية لتنتعش في ظل ترسها الكبير ..

صنع من أجل العزيزة كل شيء استطاعه .. اقتلع جذور زهور بديعة عزيزة عليه من حولها، ليفسح لها غذاء التربة من حولها ..

فعل كل شيء استطاعه ، لكن العزيزة مالت برأسها أكثر ناحيـــة الأرض .. ومالت .. ومالت ..

كانت كل يوم تميل برأسها أكثر دون أن تجدي معها كل محاولات « أبو الوفا » الحزين، حتى مالت أكثر وأكثر .. حتى اقتربت بتاجها المحترق من تراب الحديقة ، أوشكت أن تدفن تاجها الى جوار ساقها في الطين

أتكون يا أبا الوفا قد فقدت خبرتك في رعاية « العزيزة » .. قصرت في العناية بها .. أم .. ماذا ؟ !

عندما مر أبو الوفا ذات صباح صــدفة في الحديقة أبصر بالعزيزة جثة هامدة ترقد منصرفة العنق بين تشققات الطين الجافة

بقلب حزين من راحة يده مرتجفة الأصابع .. وباحساس الوفاء للزهرة التي كان يشتم تنسم رائحتها الفواحة بعطر المسك كل صباح حفر حفرة صغيرة الى جوار ساق العزيزة الجاف .. وكما يدفن الأب ابنه الصغير الوحيد بكل الحزن الذي يكسر القلب ، وارى « أبو الوفا » زهرته العزيزة لحدها .. ثم غطاها بالتراب في رفق حزين ، ومشى خارجا من الحديقة لا يرى شيئا مما حوله ، لا يسمع تغريدا لعصفور بالحديقة . لا تضيء الشمس أمام ناظريه ، لا ترطب نسمات الصباح في الحــديقة بروائحها الزكية صدره ..

مكتئبا .. مشى حتى جلس عند سور حديقته الى جوار شجرة السنط المصري التي كان قد اقتلعها بعيدا من وسط الحديقة بين الزهور ، محددا مكانها الصحيح الى جوار أشجار الموسج ليكمل بها فراغا في سور الحديقة

وتمر الأيام .. تمر الأيام الصعبة الذكريات بأبي الوفا وحديقته التي أهملها ..

كان قد تعود الحزن والجلوس وحيدا قرب باب الحديقة وسور الموسج يتأمل .. حتى حدث يوما أن قام يمشي شاردا بعد منتصف السروال وسط الحديقة تميل اليه وهو يمر مكتئبا بمكان زهرته القديمة — مرقدها الذي كان قد دفنها فيه — انه يسمع بخبرته العميقة كبستاني ماهر رفيفا ناعما .. كالهمس .. ورائحة مسكية تولد في منتصف الفراق بعطر ناعم الرائحة فاروزة ذكريات صدره

تلفت « أبو الوفا » حوله ..

تلمس بعينين شغوفتين سطح التربة أمامه ليرى زهرة صغيرة ، ياقوتية الأوراق الرقيقـــة تسمق فوق ساق خضراء نحيلة ، رافعة الرأس، لم تفرس بعصيلتها أصابعه ..

أبصر أبو الوفا ارتجاف أوراق الزهرة الياقوتية الصغيرة منشعة متلألئة ، ترتجف بين نسمات الصباح الهنية اللينة .. وكأنها تهمس له .. تحدثه ، وثغره يفتر عن ابتسامة فرح طفولي غامر ..

— أبا الوفا .. أبا الوفا .. يا أبا الوفا .. لماذا حزنت طويلا من أجلي .. ناسيا أن بذرتي أن تغني وفي الأرض تربة .. وحولي في الحديقـــة زهور أخرى ؟؟ !

وشاية



● عبد الهادى النجار ●

انبئت ان صديقتى
شغلت بغيرى - فى جنون !
ان صح ذاك فاننى
من بعدها عيشى يهون
تلك التى كتمتها
بمحبتى لو يعلمون !
يا كرهها الراحتها
لن تفترق : انى يكون
لا ، لا . . . فان صديقتى
تهوى الفضيلة : لن تخون
فالم تحسدك ماتما
حتى تبيع الياسمين !
●●●
ودنت معطرة الوفا
ء تبوح بالسر الدفين ؟
هتفت الهجر كوكبا
انسامه تسبى العيون
انت الذى غمر الوجو
د ببسمة الروح الامين !
انت الذى علمتنا
الا تغالبنا الشجون !
فى كل آن كنت لى
يا زورقى . . . همس الجفون !
يا اسرى ، مهما تنا
وينا فلن ينأى الحنين
فدع الوشاة مكاننا
انا تجاوزنا الظنون !



حدثيني بما مضى

● احمد عبد الحفيظ سلام

حدثيني بما مضى فلقد   هاج لحن الشباب وانتحبا
ان تكن نزوة الصبا ذهبت   فالغرام الاصيل ما ذهبا !
انت يا فتنتي هواه به   فاض كاس الحنين وانسكبا
انا احيا له كما وقفت   وردة مال عودها طربا !

***

الذكرى جنة وانت بها   خمرة كاللهيب في قدحي !
كم شربنا سلاف نشوتنا   وانطلقنا باجنح المرح !
وانتشينا فصار مرتعنا   مسرحا في محافل الفرح ..
ومضى يومنا وقد ضحكت   شمسه بالضياء والوضح !

***

كم تركنا الزمان جانبنا   فهو قيد بمشرق وغروب
نحن لا نعرف الحدود ولا   تنتهي شمس يومنا بمغيب
عمرنا سرحة وما دخلت   لحظة في سجله المكتوب !
سارت الارض في ملاحمها   وكلانا في حلمه الموهوب !

***

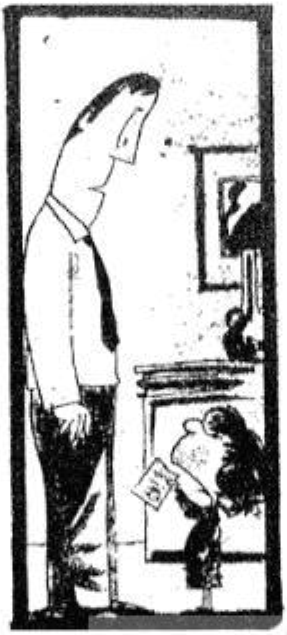
وكان الخلود يتركنا ...   في ظلال مظلولة وحياه
ما عرفنا الذهاب او خطرت   نغمة من ندائه وصداه
غير انا نعيش ساعتنا   نجمع الدهر كله ومداه
مثل طفلين ظل صبحهما   يتهادى بفجره وضياه !

***

حدثيني فما نسيت وما   غاب روض الشباب عن خلدي
انا في ظله وان عصفت   اسياتي بلحنه الفرد ..
قد جعلت الذي مضى مددا   لصباحي ومغربي وغدي ..
انت يا سلوتي على زمني   حدثيني به الى الابد !

كاريكاتير

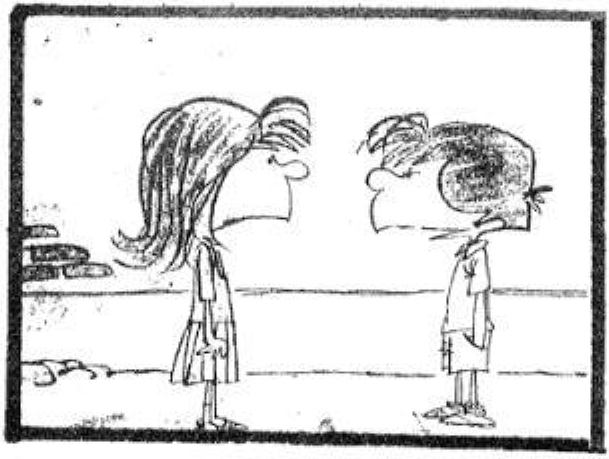
جيل جديد جداً..!



الولد لأبيه : أنا معاك يابابا أن الشهادة بتاعتي السنة دي مش قد كده .. لكن انت لك برضه نصيبك من المسئولية ! .. والا يعني نسيت انك كنت بتساعدني وتحل لي الواجب؟ !



الولد لأمه : باركي لنا ياماما .. خلاص أنا وهي أعلنا خطبتنا ! .. شدوا حيلكم بقى يالا وجهزوا لنا الشقة!



الولد لصديقته : تأكدي انك عاجباني لدرجة الخطبة وعقد القران .. لكن اللي مش عاجبني ابدا ماماكي وباباكي ! . . اتصرفي بقى ودبري لنا الحل السعيد !



الرجل لصاحبه : عجيبة جدا انك عاوز تصلح التليفزيون بعد ابنك مالعب فيه وعطله ! لاء لا ياراجل .. اعقل ، احمد ربنا وشوف للولد مكافأة مجزية !

الإســـتـــشـــارة ..

• رفقى بدوى •

— ١ —

● هكذا تكون الايام ، علقها امتصه صباحا ومساء ، ولقمة الاستشارة تحاصرنى فى كل مكان،للذلك، تعودت ان اجلس مفكرا فى اشياء بعيدة كل البعد عن الموضوع الذى يثيرنى ، افكر فى الاعلانات وانا منحشر حشرا وسط الجمهور الملتصق التصـــــاقا فى « الاتوبيس » ، افكر ما معناها ...

دخان السجائر يخنقنى والنوافذ،كل النوافذ ، مغلقة ، خوفا من برد الشتاء اللعين ، كانت ســـيجارة الملتصق بى تلسعنى وتحرق قفاى ، لكنه تاسف .. قرضت اظـــافرى قرضا ، وابتسمت هكذا ، تعودت الا استثار بعد ان ضربت مرة فى « الاتوبيس » لاننى حاولت ان اعنف احد المدخنين،لانه حرق،بسيجارته قميصى .

— ٢ —

كمســـــئول ادارة يجب ان اكون متماسكا ، وان اكون حازما ، لـــكنى اتعجب لشباب هذه الايام ، فلقد اقسم الملعون بشرف امه اذا اعطيته تقريرا اقل من ممتاز ليضربنى ويعلمنى الادب .

قلت له مرارا يا استاذ سالم لا تعلم الزملاء التسيب وتجعلهم يوقعون لك بالحضور والانصراف ، يا استاذ سالم انت لا تعلم مدى ما اتحمله من اجلكم لدى المدير العام ، لكن الملعون سالم نفذ ما وعد وصفعنى امام كافة الموظفين ، فنقرت باصـــابع يدى مكتبى وقضمت اظافر يدى الاخرى واعتذرت له ..!

— ٣ —

عنفتنى زوجتى مرارا ، وقالت انها قد خطبت لمن هم افضل منى ، ولولا قدرها السيىء لكانت اليوم مثل زوجـة جارنا الميكانيكى او زوجة النقاش الذى يسكن فوقنا .

قالت ذلك ثم لعنت الشـــهادات الجامعية واليـوم الذى عرفتنى فيه ، وقالت اننى ضـــحكت عليهـــا ببعض الـكلمات التى لا تنفع ولا تشفع ، فانقر المائدة ، باصابع يدى واقضم الاظـــافر



اصابع اليد الاخرى ثم انسل انسلالا ملكرا فى معنى كلمة مارس او امشير او ربيع اول .

— ٤ —

كانت السينما ممتلئة ، فيوم الاحد عطلة لصبية الورش والمحلات ، وبعض التلاميذ الهاربين من المدرسة .

كنت ارتدى ملابسى القديمة كى لا اظهر بمظهرى الرسمى كمدير ادارة واكون شاذا فى صالة العرض ، فالافلام الثلاثة المعروضة فى برنامج واحد لدى القبضة الحديدية ، قاهر الشيطان .

كنت قد تعودت الا اذهب للعمل يوم الاحد ، وادخل حفلة السينما الصباحية وكنت اشعر بالضيق الشديد فى نهاية الاسبوع ، وانتظر يوم الاحد بفارغ الصبر ، حيث أن زوجتى ذات الحسب والنسب والرنعسة سليطة اللسان ... وكانت طفلتى التى انجبتها مؤخرا بعد زواج دام ثلاث سنوات تجعلنى حين انظر فى عينيها اشعر بان كل شىء يهون ، وبضرورة استمرار هذا الرباط لنهاية العمر .

كنت اصفر لها وارقص ، ترتمى علىّ فاقبلها ... وكان لسان زوجتى الحاضر دائما ، والحامل دائما لكلمات السخرية منى ومن عائلتى ، يجعلنى انتظر يوم الاحد بصبر نافد .

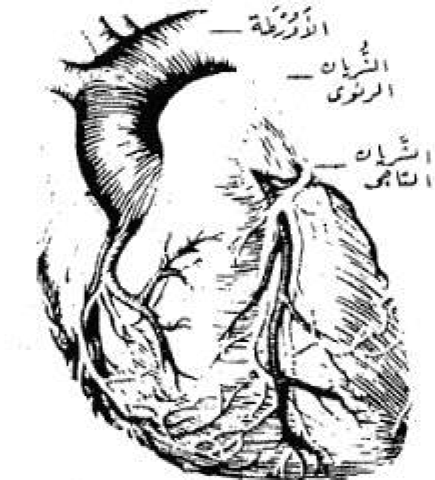
كثيرا ما احاول ان امسك بكرسى والقيه فى وجهها ، وافتح فمى عن آخره لاطلق قسم الطلاق ، لكن فمى الملعون ينغلق بمفرده ، لان عينى طفلتى الجميلتين حين تنظران الى وتبتسم تجعلنى اؤجل اى شىء لاسبح فى هاتين العينين الصافيتين البريئتين ، فانقر باصابع يدى على المائدة واقضم اظافر اليد الاخرى ، وابتسم ! .

كنت افضل الجلوس فى «الترسو» او الصالة لكى اختفى وسط الصبية ، وكنت حال دخولى صالة العرض انسى اننى احمل شهادة عليا ، ومدير ادارة ، وانسى ايضا اننى انسان مختلف منهم ، بل اجاهد فى ان اكون مثلهم ، ناقير لغتى وطبيعتى وادخن السجائر الرديئة .

يبدا العرض السينمائى ، فيرتفع صوتى عاليا مشجعا البطل على قتل خصمه ، ونتيجة لما احدثه من هرج ترتفع كلمات من اركان الصالة تطالب البطل ايضا بان يقتل خصمه .. وعندما يحدث ما انتظره وينقطع الشريط السينمائى نجاة — ودائما يحدث ذلك وتصبح الصالة مظلمة ، ارفع صوتى لاعنا ماكينة العرض والسينما . فتحدث الجلبة والصفير من جميع المواقع .

اشعر ان شيئا ثقيلا قد ازيح عن صدرى ، واننى حين عودتى بعد مشاهدة العرض اكون اكثر استعدادا على تحمل اهانات زوجتى ، واكثر طواعية لاوامرها ، واحس بان قامتى التى كانت ممتدة ومرفوعة ، وقوتى التى كانت كقوة بطل الفيلم — حين كنت ادق كراسى السينما عند انقطاع الشريط السينمائى — قد اصبحت كقوة فار ، وقامتى قصيرة مرنة وقابلة للانحناء اكثر من اى وقت مضى ! ....

سلامة قلبك



القلب منظور من أمام

قلب الانسان هو العضو الاساسى في الجسم . فهو الذى يمده بالدم والحياة ... والقلب في حجم قبضة اليد ، وهو عضو عضلى وظيفته ضخ الدم الى جميع اجزاء الجسم ...

ويتكون القلب من اربع « حجرات » اثنتان علويتان تستقبلان الدم القادم في الاوردة ، واخريان سفليتان تضخان الدم في الشرايين ... فاذا وضعت يدك على صدرك واحسست بدقات قلبك فاعلم انك تضع يدك على « الحجرة » السفلى من الناحية اليسرى التي تضخ الدم لجميع أجزاء الجسم ، أما جارتها اليمنى فتضخ الدم الى الرئتين ..

ويضخ القلب في الدقيقة الواحدة كمية من الدم تعادل جالونا وربع جالون، وهذا الدم يتسرب الى شبكة طويلة من الاوعية الدموية داخل الجسم ، وتحمل الشرايين الدم من القلب بينما تقوم الأوردة بحمله الى القلب ، ويحتوى الدم الذى يدخل الجانب الايمن من القلب على ثانى اكسيد الكربون ، وهذه المادة يطردها الجسم في هواء الزفير مستبدلا الاكسجين ويتم ذلك عبر جدران حويصلات الرئتين بحيث يصبح الدم عند وصوله الى الجانب الايسر من القلب . قد تمت تنقيته واحتوى على الاوكسجين ليساعد على تزويد الجسم بالطاقة التي يتطلبها ...

والقلب نفسه بحاجة الى تغذية ينالها بواسطة الشرايين التاجية .

ولكى تطمئن على سلامة هذا الجزء الهام من الجسم ولكى تعرف ما اذا كنت ــ لا قدر الله ــ معرضا للاصابة بمرض القلب فقد أعد لك الدكتور محمد شرف رئيس قسم العلاج الطبيعى بمستشفى الساحل جدولا يساعدك،وحتى لا ينتابك الخوف على قلبك ... وقد راجع هذا الجدول الدكتور ضياء ابو شقه اخصائى القلب .

بعد ان تقرأ هذا الجدول ...

اعط نفسك الرقم الذى ينطبق عليك في كل خانة .

ثم اجمع هذه الارقام لتعرف في أى مجموعة تقع من حيث احتمال الاصابة بمرض القلب ...

اذا وجدت انك معرض فلا تخف واستشر طبيبك

ولاحظ في الجدول ما يلى .

- **وزنك يجب ان يكون تحت المعدل الطبيعى**
- **حركتك يجب ان تكون بمعدل صحى ، فابدأ في ممارسة شىء من الرياضة او على الاقل المشى**
- **تجنب او قلل الدهون في طعامك ما استطعت ...**

اعداد : موريس عزيز

الجنس	ضغط الدم القراءة العليا	نسبة الدهون في غذائك	الحركة	التدخين	الوزن	الوراثة	السن
أنثى تحت الأربعين ١	١٠٠ ١	لا يحتوي على دهون ١	عمل بدون تمارين رياضية ٢	لا يدخن صفر	أقل من الطبيعي بـ ٣ كيلو فأكثر صفر	عائلة بدون مرض قلب ١	١٠ - ٢٠ سنة ١
أنثى من ٤٠ - ٥٠ سنة ٢	١٢٠ ٢	تحتوي ١٠٪ دهون وزيوت ٢	عمل نصف يدوي وتمارين الرياضة أحيانا ٢	سيجار أو غليون ١	طبيعي ١	قريب واحد ٢	٢١ - ٣٠ سنة ٢
أنثى فوق الخمسين ٣	١٤٠ ٣	تحتوي على ٢٠٪ ٣	عمل مكتبي وتمارين الرياضة بشدة ٣	١٠ سجاير ٢	١ - ٥ كجم أكثر من الطبيعي ٢	٢ أقارب بعد سن الستين ٣	٣١ - ٤٠ سنة ٣
ذكر ٥	١٦٠ ٤	تحتوي على ٣٠٪ ٤	عمل مكتبي وتمارين الرياضة أحيانا ٥	٢٠ سيجارة ٤	٥ - ١٠ كجم أكثر من الطبيعي ٣	قريب واحد تحت الستين ٤	٤١ - ٥٠ سنة ٤
ذكر متوسط التوتر ٦	١٨٠ ٦	تحتوي على ٤٠٪ ٥	عمل مكتبي ورياضة قليلة ٦	٣٠ سيجارة ٦	١٠ - ٢٠ كجم أكثر من الطبيعي ٥	٢ أقارب فوق الستين ٦	٥١ - ٦٠ سنة ٥
ذكر قلق ٧	أكثر من ٢٠٠ ٨	تحتوي على ٥٠٪ ٧	عمل مكتبي ولا تمارين الرياضة ٨	٤٠ سيجارة فأكثر ١٠	أكثر من ٢٠ كجم أكثر من الطبيعي ٧	٣ أقارب تحت الستين ٧	٦١ - ٧٠ سنة ٨

٦ - ١١ غير معرض   ١٢ - ١٧ احتمال الإصابة قليل   ١٨ - ٢٤ احتمال طبيعي   ٢٥ - ٣١ احتمال وارد أو متوسط

٣٢ - ٤٠ خطر   ٤١ - ٦٣ اذهب إلى طبيب القلب فورا

جدول يساعد أن تطمئن على قلبك

قصـــة

معزوفة من عمق الزمن!

● مراد صبحي متى ●

● في صغرى عاد ابي في تلك الليلة مبكرا ، ولا تزال آثار « البودرة » فوق وجهه على الفور ادركنا أن لديه عملا ... انتعل حذاءه الاسود اللامع . ارتدى جلبابه الابيض الحريري المخصص للحفلات ، تحت معطفه الحالك السواد . اصبح على « سنجة عشرة » . طال الوقت عليه . وراح يسرى عن نفسه بتدليك طبلته براحة يده ، في انتظار من يصحبه ، الى « الفرح » المنشود ...

اخيرا لم يجد بدا من السماح لي باصطحابه ـ لاول مرة ... لم اصدق اذني ، كدت اطير فرحا ... لست اذكر الآن ، كيف وصلنا الى حيث الاضواء الباهرة ، والضحكات الطليقة والزغاريد العالية ....

دخل اعضاء الفرقة الموسيقية مع ابي في نقاش حاد طويل عريض وهم يتهمونه بالتأخر البالغ عن الموعد ، وهو يجلس الى جوارهم أمام المدعوين فوق نصب مرتفع ـ اشبه بخشبة المسرح ـ بينما اندست وسط الحاضرين ، وانا اعيد نظري ، واقاوم رغبتي الجارفة في أن أميل فوق آذان جيراني ، لاخبرهم انني ابن « توفيق » هذا الطبال .. المعروف !..

وبدأ الحفل بتقديم « عشرة بلدى » من راقصة الفرقة ومطربتها الاولى ـ حيث راحت تتثنى وتتلوى ، على النغم الموسيقي ، ثم تبادل معها افراد الفرقة فقرات البرنامج التالية ، وابي يسهم فيه بنصيب الاسد ، فلا غنى عن أصابعه الحساسة ، وضرباتها البارعة فوق طبلته المتيدة ، تصحبها اهتزازات جسمه المتتابعة . الى اعلى واسفل ، ويمنة ويسرة ، وخلفا وأماما ، تبعا لما تتطلبه « اصول الصنعة » والايقاع المطلوب !..

امتدت السهرة الحافلة بألوان المسرات ، وامتدت ، لتتخللها لحظات « النقطة » ـ بين الحين والحين ـ تهبط خلالها الراقصة الى صفوف المدعوين ، تتمايل بجسمها اللدن فوق كتف هذا أو ذاك لتتلقى الاوراق المتفاوتة القيمة ـ فوق جبينها ، أو داخل فتحة صدرها المتسعة ، لتنفلت برشاقة ودلال ، لتقبل « النقطة » مرددة كلمات صاحبها في « تحية العريس ، وأهل العريس ، والعروس .. وأهل العروس ، والضيوف و ... انا وانت ، الف مرة ، وكمان الف مرة !.. » ..

وتعزف الموسيقى جزءا من السلام الوطنى قد يطول او يقصر قليلا ، حسب قيمة « النقطة ... »

.. مضت الساعات ، حافلة بالمتعة ، وانا أقاوم رغبتي القاهرة في النعاس ، حتى الظهر أمام والدي بمظهر الذي يعتمد عليه : فجأة .. تصاعدت اصوات عابثة ، من شلة شباب ثمل ، تردد بصوت منغم رتيب : « ليفه ، ليفه ، ليفه »

اذا بى اجد ابى يقف مترددا ، ليقابل بعاصفة من التهريج والصفير ، ليتغنى « منولوجا » فكاهيا ، وهـو يهتز بجسمه الضئيل القصير ، على نغمات الموسيقى هزات متتالية ، فـوبلت بالضحكات المتوالية التى أثارت فى قلبى الصغير ، كوامن من الالم والمرارة !

.. ثم ، اذا به فى حركاته العشوائية يقترب من حافة النصب المرتفع ، دون أن يشعر ، لتزل قدمه ، ويتهاوى الى الارض على حين غرة ، لولا أن أسرع القريبون منه الى نجدته ، فلم يصب الا بعرج ظهر أثره بوضوح وهو يعود الى مقعده ، مادا ذراعيه المرتجفتين الى الامام يتحسس بهما الطـريق ووجهه ينطق بالألم الفادح المكبوت، فى أعماقه ، وعيناه الغائرتان المظلمتـان تحدقان فى .. لا شىء !! ...

كاد قلبى يسـقط بين ضلوعى ، وتموص الغزيرة تنهمر فوق وجنتى.. يا لابى الضرير المسكين ! .. يحدث له كل هذا ، وأجده يكبت آلامه ومشاعره بشجاعة نادرة ، ويستأنف عمله فى الحال ، فى سبيل لقمة العيش له.. ولى .. ولوالدتى المريضة ، ولاخوانى واخوتى الكثيرين !..



اشـاهد أحد المدعوين بسرق الى الريس « حميدو » ـ رئيس الفريق ـ شيئا ، دفعه الى الغمز بعينيه الى زملائه ، حيث كفوا فورا عن العزف دفعة واحـدة ، وما لبث ابى أن أدرك باذنيه المرهفتين حقيقة المؤامرة، فكف بدوره ... وعادوا الى العـزف ، فاستأنف ايقاعه . وعندما توقفـوا ثانية ، توقف معهم هذه المرة فى آن واحد . فلم يتمالك المستمعون الا أن انطلقوا فى تصفيق حاد طويل ، تخللته عبارات الاستحسان الصادقة لاول مرة!!

وضع صـاحب المؤامرة فى كف ابى ورقه ماليه تقديرا له. رفضها والدى فى اباء وشمم . عندما اصر الرجـل ، واقسم بالطلاق ، تناولها ليدسها فى يد «الريس حميدو» فى كبرياء، ليعاود الناس التصفيق ! ..

هنا امتلأت فخرا واكبـارا لموقف والدى الشرف ، ولم اتوان عن الاندفاع صوبه، متخطيا الصفوف بلا تردد .. وبكل مافى من عاطفة القيت بنفسى بين احضانه ، أقبله بحرارة ، هاتفا من أعماق فؤادى : ـ « ابويا .. ابويا.» تدحرجت العبرات من عينى فوق وجهه فضمنى الى صدره بحنان دافق . . . وقدته الى الخـارج مرفوع الراس ، وسط عاصـفه من التصـفيق . . . ●

مناجاة فى صبح الربيع



● ابراهيم صالح ●

وقادتنى خطاى الى شغاف نام فى احضانها الظل
وسبح فوقها الطل
ونور صباحها طفل
وحول الجدول الرقراق صل التوت والصفصاف والنخل

***

وقفت هنيهة وبروحى الظماى تمشت نشوة كبرى
تموج باعيش سحرا
وتجرى فى دمى شعرا
وتهتك كل ستر لف هذا الكون يخفى خلفه سرا !

***

سمعت هتاف اعماقى تردده لهاة الطائر المراح
على الأغصان والأدواح :
تعالى فالق الاصباح
تعالى من يفجر من كهوف الليل آيات السنا اللماح

***

واطرق خاطرى النشوان فيض عبقرى من رؤى الاشراق
رعته مليكة الآفاق
وحيا رسمها الاحداق
وعبت من كراها صحوة تحيى الربيع الزاهر الالاق !

***

وغنى للحياة نشيدها الأزلى ركب زاحف للنور
على درب البقاء يسير
وفى فلك الوجود يدور
فيصحو ان صحت شبابة الحادى ويغفو ان غفا الديجور

***

وطافت روحى السكرى تزف الركب تحلو فى المسير خطاه
وترفع للسما شكواه
دعاء ضارعا وصلاه
ولكنا يسحر الدنيا ويشجى مسمع الايام رجع صداه ؟ ●●

شمس تضيء أو شمعة تحترق

● درية عبد الله ●

للانسان في علمه اربعة احوال ، كحاله في اقتناء الاموال: اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا .. وحال ادخار لما اكتسبه ، فيكون به غنيا عن السؤال .. وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا .. وحال بذله لغيره فيكون به سخيا متفضلا — وهو اشرف احوال المال .

فكذلك العلم ، يقتنى كما يقتنى المال ، فله حال طلب واكتساب ، وحال تحصيل يغني عن السؤال ، وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به ، وحال تبصير — وهو اشرف الاحوال ..

فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما ، ويصبح كالشمس التي تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها .. اما الذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال من العلم ، والمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع ، والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، والشمعة التي تضيء لغيرها وهي تحترق ..

ويجب على المعلم ان يقتصر بطالب العلم على قدر فهمه ، فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره ، اقتداء بذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((نحن معاشر الانبياء امرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم)) .

وقال علي رضي الله عنه ، مشيرا الى صدره : ((ان هاهنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة — وصدق رضي الله عنه ، فان قلوب الابرار قبور الاسرار . فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلم الى كل احد .

وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير، فان الحكمة خير من الجوهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير .

ولذلك قيل : كل لكل عبد بمقدار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك .

وسأل شخص احد العلماء عن شيء فلم يجب ، فقال السائل : اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار)) .!

فقال العالم : اترك اللجام واذهب ، فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني .. فقد قال الله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم) تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى ، وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق .

وان يكون المعلم عاملا بعلمه ، فلا يكذب قوله فعله ، لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار ... وارباب الابصار أكثر من ارباب البصائر .

ومثل المعلم المرشد من المسترشدين كمثل الظل من العود ، فكيف يستوي الظل والعود أعوج !.

وقال الله تعالى : (اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم) .

ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكبر من وزر الجاهل ، اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ايضا .. من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها .

ولذلك قال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان :

عالم متهتك ، وجاهل متنسك ، فالجاهل يغر الناس بتنسكه ، والعالم يغرهم بتهتكه .

قصة :

أبي والزمن !

● محمد مصطفى الجمل ●

حملت ديوانا من الشعر في حقيبتي كالعـادة ، وانا ذاهب لزيارة أبي . كنت اشعـر بانني سعيـد .. اسعد الناس وانا اقرأ له القصـائد التي يحبها .. ادخل السرور على قلبه . اجعله يحتمل ايامه الثقيلة هذه ، فارتاح عندما يطرب وتشي ملامح وجهه بالرضا والحماس

منذ زمن وهو لا يستطيع قراءة الأشعـار بنفسه ، وكان اذا حاول فان ذلك يجهده ، ويضيق صدره العجول فيلقي بالكتاب في مكان لا تستطيع ذاكرته الضعيفة أن تسترجعه .. ثم اصبح بعـد ذلك يسترجع في وجودي ما بقي في ذاكرته من بقايا قصائد ، ويجهد عقله كثيرا ليسترجع اكثر من بيت ، ويهجو الزمن اذا ما سقطت من وعيه شطرة بيت .. ويقول في حسرة :

ـ اسوا ما في حياة الانسان ، أن تفنى ذاكرته قبل فنائه !

ثم لم تعد ذاكرته تستطيع الاسـترجاع ، فرغبت من طبيب خاطر ان السموم بعود ذاكرته الضعيفة ، ولم اكن قد يئست تماما من جدائل القناة التي توصلني بقلبه وروحه . فما زال يستوعب الى حد ما .. وحتى عندما لا يستوعب أشعر بانه قد تحرك في داخله اصداء انفعال قديم واطراف خيال منسحب .. انفعالات وخيالات استخرجها من قلبه بما اثاره له من احداث غابت ومناسبات غاصت تحت ركام سنينه الثمانين

كنت اماني واجاهد ، لا امل التكرار والاعادة ، اشرح وافسر حتى يقول لي ساخرا وهو يضحك :
ـ هل تعلمني ياولد ؟ ! والله عال .. انقلبت الايام !

كان يرفض ان تكون الايام قد انقلبت بحق ، وانه يعيش بلا زمن ، لانه لا احداث في حياته تجعله يحس بان هناك ما يسمى بالزمن . لا يتصور انه يعيش زمنا لم يعد له بداية ، لم يعد له نهاية ـ لم يعد له معنى ..

وشعرت في هذه المرحلة من عمره بان لي دورا وان هناك دينا واجب السداد . لم اكن اشعر بعناء وانا اقوم بهذا الدور ، فقد عشقت الشعر على يديه الى حد انني اخترت ان اكون مدرسا مثله ـ للغة العربية .

وقلت لنفسي :

ـ علي أن اسعده وهو عجوز ، كما اسعدني وانا صغير !

وقد كانت لسعادتي هذه جذور في الماضي . كنت احب الابناء الى قلبه ، ودائما ما يسعد بوجودي الى جواره وهو يستمع الى القصائد الشجية التي يغنيها عبد الوهاب او تشدو بها ام كلثوم . وكلما اخذت هدنة من الاستذكار ينتهزها ليسمعني ابياتا من الشعر ، ويسالني عن معناها ، فاجيبه باجابات ساذجة بسيطة ، فيضحك من اعماقه ، ثم يشرح لي هذه الابيات وهو منتش فاحس بانني فهمت وانفعلت وغمرتني سعادة طاغية ، وارقن أن أبي مدرس بارع لا يشق له غبار .. وحلمت لو انني اصبحت مدرسا في مثل براعته !

كنت أقترب من المنزل ـ هـذه المرة ـ وانا مشغول مهموم ، فقد جدت عليه في الايام الاخيرة ظاهرة جديدة ، جعلتني اشك في عدم قدرتي على مواصلة قراءة الاشعار له .. تقترب مهمتي في تسليته واسعاده من حالة التوقف . بدات ذاكرته تضعف اكثر . تهوي بسرعة . تغـور في اعماق الخواء .. منذ فترة وهو يتابعني بصعوبة وعناء . يطرق مني . يسقط في هاوية حصاد رحلة الثمانين عاما

ضغطت على جرس الشقة ، ارتد الصوت الى اذني كانه جرس نهاية يوم دراسي طويل . وقلت في نفسي :

ـ ماذا لو ان ما اتوقعه قد حدث .. لو ان ذاكرته قد سافرت الى بعيد !

فتحت امي الباب ، دخلت عليه ، حياني بضحكته الصاخبة التي تخفي وحشته .. نفس ضحكته في ايامه الزاهرة . ومع ذلك شتان بين هذه وتلك .. سلمت عليه وقبلته في جبهته . تبادلنا التحية والترحيب . ما زال هذا في الامكان . غسلت امي التين الذي احضرته معي ووضعته امامه . واخذت اتامله بقلق وقد بدا كان على صفحة وجهه رماد احساس قديم الظلال جمرته .. اصابعه نفس اصابعي . شعر راسينا ينحسر من نفس المكان .. نفس الملامح تقريبا . نفس العمر



بالتأكيد .. انا امتداده الذى مازال حياً الى حين ..

ثم اخرجت الديوان من حقيبتي وقلت له بسماحة ورقة :

ــ هل اقرأ لك بعض الاشعار ؟

رد بإيماءة واهنة لأنني بأنه راغب فى ذلك، ولا توحي بأنه يرفض . تناول ثمرة تين .. اخذ يمضغها ببطء وهو سعيد . اخذت اقرأ ببطء . لم اشعر بأنه معي .. اخذت اعيد ما قرأت من أبيات قليلة ، لم اشعر بأنه استجاب لي. انا اعرف من ملامحه متى يستجيب ومتى لايستجيب. فظلت اعيد القراءة على امل ان اصل للحظة الاستجابة ، ألتي تعودت آن تأتي بطيئة بطيئة متلكئة .. وعبثاً احاول ان اقرأ ايضاً ، واعيد القراءة ، واذكره ببعض المناسبات .. هذه القصيدة غنتها أم كلثوم . هذه القصيدة غناها عبد الوهاب ، ثم اخرى .. نسخت هذه الابيات وعلقتها فى حجرتك بمنزلك الريفي . ثم أخرى .. هذه الأبيات معلقة خلف ظهرك الآن .وهذا البيت هجوت به أمي ذات مساء . ثم هذا البيت‌افتخرت به ذات مرة على صديقك عبد الهادي ، ثم هذه القصيدة أسعدتك لأنني حفظتها على يديك

فظلت اعيد دون ان افوز حتى يرجع الصدى. وقلت اخيراً ، استطرد فى انشاد قصيدة جاهلية قديمة كان لايمل القاءها على مسامعي . فلعل بعض ابياتها تحرك فى داخله اصداء الانفعال القديم . فظلت اواصل الانشاد الى ان وصلت الى البيت الذى يقول :

فانك كالليـــــل الذى هو مدركي

وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وبلا مقدمات اجهش بالبكاء . اخفى وجهه بكفيه . تساوها بدموعه . تساقط بعضها فوق صدر جلبابه . صدره يرتجف وانفاسه تتهدج ــ توقفت فجأة ، ثم يتوقف هو عن البكاء . قبلته فى جبهته واخذت اربت على ظهره وأنا اسأله بتوسل :

ــ لماذا تبكي يا ابي ؟

استعاد كبرياءه ورد بعناد :

ــ انا لا أبكي يا ولد

ــ هل طربت لهذا البيت ؟

رد بلا تردد وبثقة العاشق :

ــ نعم !

غمرتني الفرحة وقلت لنفسي ان ذاكرته بدأت تستجيب من جديد . ومن شدة فرحي اردت ان اطمئن الى ذلك فعدت اسأله :

ــ هل ادركت ما قصد اليه الشاعر ؟

بعد صمت وتردد قال بكلمات متقطعة :

ــ هو يتحدث عن الموت .. أليس كذلك ؟

فوجئت برده ، لم يكن الشاعر حقيقة يتحدث عن الموت ، كان يمدح بخشي احد الملوك .

اردت ان اخفف عنه ، ان ابعد عن ذهنه فكرة الموت البغيضة فقلت بالكار :

ــ الشاعر لا يقصد الى ذلك

ــ اى شاعر ؟ .

ــ الذى قال هذا البيت

ــ أى بيت ؟

ــ الذى قرأته الآن .

ــ هل قرأت شيئاً ؟

لم اتمالك انفعالي .. انحدرت من عيني دمعتان ساخنتان وانا اراه يغرق فى صمته .. يسقط فى بحر ذهوله . ينفصل عن عالم الواعين.. وكان زمنه قد استحال الى زمن ابدى .

ليس له بداية ، ليس له نهاية . .

ليس له معنى !

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمي ●

● المساواة الاسلامية ●

اختصم ابى بن كعب وعمر بن الخطاب ـ وهو امير المؤمنين ـ فقال عمر لابى: اجعل بينى وبينك حكما ..

فاختـــار ابى ، زيد بن حارثة ، فذهب اليه مع امير المؤمنين ، فقـال عمر لزيد اتيناك لتحكم بيننا ..

فوسع زيد عن صدر فراشه لعمر ، وقال : ههنا يا امير المؤمنين !

فقال عمر : هذا أول جور فى حكمك ! ولكن اجلس مع خصمى .

فجلسا معـا بين يدى زيد ، وادعى ابى وانكر عمر ، فقـال زيد : اعف امير المؤمنين من اليمين ..

فغضب عمر ، وحلف ، ثم قال لزيد لن تكون قاضيا عادلا حتى يستوى عندك عمر وعامة الناس !

● العقل والغنى ●

قال رجل اعرابى لفتى ، ايها الفتى أيسرك ان يكون لك مئـة الف درهم وانت احمق ؟.



فقال الفتى : والله لا يسرنى ذلك .. لانى اخاف ان يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى، ويبقى على حمقى فاصبح وانا عاطل من فضيلتى العقل والغنى !.

● احتمال البلاء بالهمة ●

قال الصوفى ابو الحسن الثورى :

رأيت شيخا ضعيفا قد احاط به جماعة من العسكر ، واخذوا يضربونه بالسياط ، وهو صامت صابر ، فلما جلدوه دفعوه الى السجن ، وهو يمشى بينهم مرفوع الراس ! فمضيت اليـه فى سجنه ، وسألته كيف احتملت الم السياط ، وانت شيخ ضعيف ؟



فقال : يابنى ، ان احتمال البـلاء يكون بالهمة ، ولا يكون بالبدن !

قلت : وما الصبر عندك ؟

فقال : ان يكون حالك عنـد نزول البلاء كحالك عند زواله !

● الزهد بين كلمتين ●

قال الامام على ، كرم الله وجهه :

الزهد كله بين كلمتين من القـرآن الكريم .

قال الله تعالى : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » فمن لم يأس على الماضى ، ولم يفرح بالآتى، فقد أخذ الزهد بطرفيه .

● دعوة مستجابة ●

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعوة المظلوم مستجابة ، وان كـان فاجرا ففجوره على نفسه » .

الحب !

● عبد الرحمن عبد المولى ●

كل شيء يتغير ..
يتغير !
انها حبك .. أخضر
في دمائي جد أخضر
كل شيء يتغير
ودمائي تتغير
انها حبك .. مابي ؟ كلما اقصيت .. يكبر !
هو كالبذرة .. في صدري اذا ما زدت بعدا ،
كلما اربى وازهر !

***

لا تكوني في سبيل ، لا تكوني
انني اخشى على حبي من تفريط طرفي ..
فتواري عن عيوني
وامنحيني وردة الوهم ، امنحيني
كل لقيا بيننا .. سيف على عنق ظنوني !

***

انني ابغيك شيئا لا ينال
لا ينال .
انما الحب أمل
شفة تحيا ، وتفنى .. بالقبل

***

انت .. لو كنت بدربي ـ لا اكون
انني بعض ظنون
وحياتي ..
وحياتي في التمني
لا تقولي الحب يا عصفورتي .. بعض لقاء
كل ما قيل عن الحب ـ هراء ..
انما الحب عناق لخيال
وارتقاب .. لمحال !

***

إنت لا تدرين .. ما معنى الهوى
هو طيف ليس الا ..
ان رأى النور ـ تولى
هل ترى الفلة جفنيها .. ليلقى كل قيس مشتهاه
فتناءى وتناءى ..
تقترب مني الحياة

نتيجة مسابقة

شهر مارس سنة ١٩٨٠

هذه هى نتيجة مسابقة عدد مارس ١٩٨٠ : «اقرأ الهلال واكسب جائزة ومسابقة «الهلال» فى الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا ، اذا شاء الحظ وكان من الفائزين ..

فان «الهلال» حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقرأها ، ويبدى رأيه فيها . وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من وراء هذه المسابقات اما الكسب المادى فرمزى فحسب ..

وقد توالت اجتماعات لجنة التحكيم فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة ، واجريت القرعة بينها..

وفيما يلى اسماء الفائزين فى مسابقة شهر مارس ١٩٨٠ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقات اعدادنا القادمة ..

الجوائز وأسماء الفائزين

الجائزة الاولى ، وقدرها خمسة جنيهات : احمد ابراهيم احمد درويش بمحافظة المنيا ـ سمالوط مأمورية لضرائب العقارية ـ منزل محمود مناع بشارع عمر بن الخطاب ـ منطقة الحميات ـ بريد بنى سويف الجديدة .

الجائزة الثانية ، وقدرها ثلاثة جنيهات : محمد محمد بندارى ـ كفر سنباط مركز زفتى ـ غربية .

الجائزة الثالثة ، وقدرها جنيهان مصريان : منير عبد العزيز قنديل

الجائزة الرابعة ، اشتراك سنة فى الهلال : ابراهيم المزوغى ـ المدرسة الابتدائية عين سلطان ولاية باجة الجمهورية التونسية .

الجائزة الخامسة : اشتراك سنة فى الهلال : آيت وارهام محمد ـ ص . ب ٩٦١) مراكش ـ المدينة المغرب .

اقرأ الهلال واكسب جائزة

مسابقة شهر مايو ١٩٨٠

هل قرأت هذا العدد الذى بين يديك من الهلال ؟

تجد فيما يلى عشرة اسئلة ، فاذا طالعت هذا العدد من الهلال يمكنك الاجابة عنها اجابة صحيحة تتيح لك الفوز باحدى الجوائز . . .

اكتب الاجابة على هذه الورقة وارسلها الينا ، اذكر إسم القائل، وعنوان المقال الموجودة به الاجابة عن السؤال .

● شروط المسابقة والجوائز ●

سيمنح الفائزون خمس جوائز : الاولى خمسة جنيهات ـ والثانية ثلاثة جنيهات ـ والثالثة جنيهان ـ والرابعة والخامسة لكل منهما اشتراك لمدة سنة فى « الهلال »

وستعلن نتائج هذه المسابقة فى عدد يوليو ١٩٨٠

آخر موعد لتسلم الردود ٢٠ من يونيو ١٩٨٠

● الاسئلة : ●

س ١ ـ كيف تتكون الجزر والشعب المرجانية ؟

ج ـ ... ...(مقال ... ...)

س ٢ ـ ماذا تعرف عن مدينة عنتيب ؟

ج ـ ... ...(مقال ... ...)

س ٣ ـ ماهى مهنة البحث عن المتاعب ؟

ج ـ ... ...(مقال ... ...)

س ٤ ـ من الكاتب المصرى الذى قال: استاذى الأول هو الفقر ؟

اقرأ الهلال واكسب جائزة

جـ ـ ... ...(مقال ... ...)

س ٥ ـ من من شاعرات مصر حاكت القدماء في بعض قصيده فتوارت انوثتها ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٦ ـ كم يبلغ محصول السمك اليومى فى اليابان ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٧ ـ من مؤلف النشيد الوطنى الذى مطلعه : اسلمى يامصر اننى الفدا.

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٨ ـ ماهو عصب التراجم ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ٩ ـ متى يظهر الدين على حقيقته ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

س ١٠ ـ من مؤلف قصة « الهلال الازرق » ؟

جـ ـ ... ...(مقال ... ...

كوبون مسابقة: اقرأ الهلال واكسب جائزة

عدد مايو ١٩٨٠

الاسم: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ السن: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

العنوان: ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ
ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٧ لسنة ١٩٨٠

من مجموعة "كنوز الشعر"

بغيرك لا..

• للشاعر الانجليزى : هنرى ديمونت •

• ترجمة : حسن حسين شكرى •

بغَيْرِكَ ، يا حبيبى ، لا يُرى نورُ الصَّباحْ
ونجمُ اللّيلِ ، يأفلُ فى مجاليه الفِسَاحْ
وزهرُ الرّوضِ ، يأبى أن يكونَ لهُ مَراحْ
وورْدُ الحبِّ ، يذبلُ ، تاركا شوكَ الجِراحْ !

***

بغيركَ ، ياحَبيبى ، كمْ خَبا نجم الرَّجاءْ
بغيركَ شمسُ آمالى يُجَلّلها المساء !
ومجدُ الكونِ ، فى قلبى ، وفى عينى هَباءْ !
واظمأ فى هجير ولا إخال له انتهاءْ !
بغيرك ، لا أكون ، ولا يطيبُ لى البَقاءْ !



قيمة الاشتراك السنوي

بالبريد العادي : في مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عدد • في الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية
بالبريد الجوي : في الخارج ١٤ دولارا أو ٩ جنيهات إنجليزية

في البلاد العربية :	سوريا : ٣٠٠ ق.س	الكويت : ٣٥٠ فلسا	لبنان : ٢٥٠ ق.ل
	العراق : ٤٠٠ فلس	الأردن : ٢٥٠ فلسا	السعودية : ٤ ½ ريال

الهلال

يونية ١٩٨٠



البراكين نعمة ونقمة

سلامة أعصابك (استطلاعان بالألوان)

- شخصية الشهر: الزيات رجل الأسلوب المنمق
- كيف ترجم العقاد لابن الرومي؟
- من القلب مع .. محسن محمد
- رحلة حياة وفن وتصوف د. مصطفى محمود
- الأب الصينية .. تحت مجهر العالم


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٢٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

عباقرة العصر

●●

في الخامس من هذا الشهر ، مايو ١٩٨٠ - توفى الماريشال جوزيف بروز تيتو . فقدت يوغوسلافيا بطلا ، وفقدنا نحن صديقا ، وفقد العالم واحدا من بناة القرن العشرين .

وهذا بالضبط ما قلناه يوم توفى ديجول ، ويوم توفى نهرو ، ويوم توفى عبد الناصر ، ويوم توفى تشرشل ، ويوم توفى ماوتسي تونج ، كلهم كانوا عظماء وعباقرة ، كلهم تشاركوا فى صناعة هذا العصر الذى نعيش فيه ..

فلننظر الى هذا العصر ، لننظر الى العالم الذى صنعه اولئك العباقرة .

هل يعجبنا ؟

ان الحروب تمزق العالم . القارات الاربع مشتعلة نارا : فى اوروبا صراع الكتلتين الصامت على اشده ، والشيوعيون يستعيدون خمس بلاد اوروبية ويهددون الباقى .

وآسيا اكلتها الشيوعية ، والهند الصينية غارقة فى الدماء ، والروس يفترسون افغانستان . وايران سقطت فى بحر من الفوضى بلا ساحل ، والهند غاضبة لان الامريكيين يسلحون باكستان والبوارج وحاملات الطائرات تسد مدخل الخليج ، واى شرارة يمكن ان تشعل نارا لا تبقى ولا تذر ..

وافريقيا لا تفرغ ابدا من المآسى والمذابح . بالامس القريب قتل رئيس جمهورية ليبيريا واعقب ذلك مذبحة . وفى تشاد معركة اهلكت البلاد من سنوات لان فرنسا تريد ان تظل صاحبة الكلمة النافذة فى بلد تقول هى انها منحته الحرية ، وفى اوغندا رئيس طريد هو ملتون اوبوتى يشعل الدنيا لكى يعود الى الرياسة . خلف ذلك كله تقف اوروبا . وفى جنوب القارة لا زالت جنوب افريقية تستعبد السود ولا زالت تسرق بلدا كاملا هو ناميبيا .

وعالم العرب تائه لا يدرى الى اين تلقى به المقادير ، واسرائيل لا زالت تحلم بابادة شعب فلسطين والدنيا كلها تتفرج ، وفى كوبا شعب سئم الحياة فى ظل طاغية يقال انه هو ايضا عبقرى ..

هذا هو العالم الاسيف المحزن الذى نعيش فيه .

هذا هو العالم الذى صنعه لنا اولئك العباقرة .

ترى كيف كان حالنا يكون لو لم يكن صناع عصرنا عباقرة ؟ ..

المحرر

●●

في هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي
رجب ١٤٠٠ هـ
يونية ١٩٨٠ م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة الثامنة والثمانون ـ اول يونية سنة ١٩٨٠ ـ ١٧ من رجب سنة ١٤٠٠

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر، ويبذل اقصى ما يستطيع لنشر الصالح منها . . ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت ام لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

في قلب كل شاعر او مفكر او اديب امرأة تحركه وتلهمه وتدفعه الى الابداع ، وقد خصصنا في هذا العدد قسما لذلك الموضوع الطريف وغلافنا هذه المرة نافذة يطل منها اجمل ما في المرأة عيناها مصدر الفتنة والالهام

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم – قيمة الاشتراك السنوي ١٢٠ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات او ٤ ج . ؛ تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

لكيلا تكون واحداً من القطيع !

بقلم : رئيس التحرير

ليس اسهل على الانسان من أن يكون واحدا من القطيع ، وليس أخطر على حضارة الامة من روح القطيع وكل انسان يستطيع ان يخرج من القطيع اذا اراد ، ولكن معظم الناس يفضلون أن يظلوا في القطيع : بلا ملامح ، بلا شخصية ، وبلا مسئولية تبعا لذلك ، ولأنه واحد من القطيع فهو مخرب وقوى وهادم للحضارات

ان اكبر من يفيد من مهنة التعليم هوالمعلم نفسه . ان وظيفته الرئيسية هى ان يعلم ، ولكنه فى نفس الوقت يتعلم ،والمعلم الذى لا يتعلم من مهنتـه ومـن تلاميذه لا يمكن قط ان يكون معلما صالحا .

وخلال السنوات الطويلة التى قضيتها فى هذه المهنة الشريفة المجهدة كان حرصى على أن اعلم نفسى لا يقل بحال عن حرصى على أن اعلم تلاميذى ، ومازلت الى يومى هذا اتعلم من تلاميذى بقدر ما يتعلمون منى ، فانا انصت اليهم اكثر مما ينصتون الى ، وافكر فيهم اكثر مما يفكرون فى . ولا يضايقنى شىء مثل الطالب الذى لا يريد ان يتعلم . انه يريد ان ينجح دون ان يتعلم . أنا بالنسبة له مجرد واحد من حملة الاختام التى لابد أن توضع على ورقته ليصبح حامـل ليسانس وباالليسانس يهرول الى حيث يكسب لقمة العيش . هذا ليس طالبى ولا أنا اعرفه ..

وأنا أحاول دائما أن أختار من الطلاب افرادا لا ينظرون هـذه النظرة او يتجهون هذا الاتجاه ، وفى معظم الاحيان لا أوفق ، لان الغالبية العظمى من هؤلاء الطلاب يريدون أن يكونوا أفرادا من القطيع ، لا يريد الواحـد منهم أن يتميز بشىء أو ينفرد بخاصة تفتح أمامه طريقا جديدا فى الحياة ..

حتى الذين يحصلون على درجات عالية منهم ويواصـلون الدراسات العليا ليحصلوا على الماجستير فالدكتوراه يعملون ذلك بعقلية القطيع : ان الواحد منهم

● معظم من تلقاهم من الشباب يقولون لك إنهم يريدون أن يكونوا فى مستقبل حياتهم رجالاً متميزين يحملون المسئوليات الكبار ، ولكنهم فى أعماق نفوسهم يريدون أن يكونوا أفراداً من القطيع ، لأن الامتياز يتطلب عملاً وموهبة والمسئولية لها تكاليف ، وهؤلاء لا يحبون العمل ويجتهدون فى التهرب من المسئوليات

يريد مني ان أختار له الموضوع وان أكتب له المذكرة الخاصة بأسباب اختياره اياه واضع له الفصول والأبواب وما الى ذلك ، وفى أحيان كثيرة عندما يجد اننى لا أريده أن يكون واحدا من القطيع يتركنى الى غيرى ممن هم أيسر وأسلس واكرم فى منح الألقاب العلمية ، هؤلاء فى العادة أساتذة طيبون يدعون الطالب يدرس يكتب كما يريد ، ولا يكادون يعطونه ساعة من وقتهم فى الشهر ، ثم يحصل الطالب على أيديهم على الدرجة بمرتبة الشرف الأولى ، ويظلّ الطالب برغم ذلك واحدا من القطيع ..

وليس أسهل فى الدنيا من أن يكون الانسان واحدا من القطيـــــع ، فيزج نفسه فى التيار ويسير به التيار ، فلا هو يخالف مرة أو يناقش مرة ، انما هو يهمل مع المهملين • انك لا تســـمع صوته وحده أبدا لأنه دائما مختبيء وراء الآخرين وصوته جزء من صوت المجموعة أو « الكورس » •

وهذا الطراز من الناس لا يعرف الطموح بل يعرف الطمع • انه لا يطمح قط الى ما هو احسن ، بل يطمع فيما فى ايدى الناس • انه يريد أن يحصـــل على كل شيء بدون عمل ، يريد المال والغنى والمراكز العالية دون أن يبذل مجهودا، هو يكره الذين يحصلون على المال والغنى والصيت والمراكز العليا لأنهم يحققون مالا يستطيع تحقيقه هو ، وينكر عليهم استحقاق ما ادركوه ويقع فيهم بلسانه لأنهم ليسوا من القطيع •

وهذا الطراز من الناس ثقيل جدا ومتعب جدا ، لأن خاصيـــته الكبرى هى الطمع ، والطمع لا حدود له فى حين أن الطموح له حدود ، فأنا استطيع التفاهم مع الشاب الطموح لأننى اعرف ما يريد ولأننى اعرف ما يريد فاننى أســتطيع ان أعاونه أو أتعاون معه ••• أما الواحد من القطيع فلا يمكن أن اتفــاهم معه أبدا لأننى لا أعرف ما يريد ، وأنا أعرف ما يريد لأنه يريد كل شيء ، ويريده بدون مجهود • وهو مستعد دائما للانقلاب عليك وانكار كل فضيلة فيك لأنك رفضت له طلبا أو اعتذرت له عن شيء ••

وليس هناك اصعب من الخروج من القطيع ، لأن ذلك يقتضى من الانسان ان يجتهد ويتعب ويفكر ويبحث ويجرب ويغامر ، وهذه كلها مطالب عسيرة • وقد واجه خطر الضياع فى القطيع نفر كبير جدا من العظماء ، فعندما بدأ برناردشو يكتب احس ان أحدا لا ينتبه الى ما يكتب ، ووجد نفسه شيئا فشيئا يتحول الى صحفى صغير من القطيع ، فاعاد النظر فى نفسه وطريقته فى الحياة ، وصنع نفسه صناعة جديدة ، فقرأ فى مجال واسع جدا ، واخذ يبحث لنفسه عن طريق جديد ، وبالفعل استطاع بذكائه واجتهاده أن يجد اسلوبا جديدا فى الكتابة

لكيلا تكون واحداً من القطيع

وفلسفة جديدة في الحياة ، بل وجد طريقة جديدة ليلفت النظر الى نفسه ، فصار نخطب في هايدبارك ، وصار يكتب المقال ثم يرد على نفسه ويسفه رأى نفسه ، ثم يكتب مدافعاً عن نفسه .. وشيئا فشيئا تنبه أصحاب الصحف الى هذه الزوابع التي يثيرها هذا الشاب الايرلندى طويل الوجه النحيف الأعجف ، فقرأوا ما يكتب فراقهم واحسوا فيه بالجديد ، فأوسعوا له الطريق ، فمضى الى الأمام، وهكذا « شق طريقه » حرفيا ، وخرج عن القطيع وأصبح مع الزمن برنارد شو وفي يوم من الأيام كان يصعد سلم « الديلى تلجراف » وفي يده مقال ، وكانت عادته أن يصعد السلم عدوا ، فلقي واحدا من زملائه القدامى أيام كان واحدا من القطيع ، فدعاه هذا الزميل الى فنجان قهوة في غرفة واسعة يجلس فيها عشرات صغار الصحفيين ، وبينما كان يتحدث الى صاحبه تلفت حوله وتأمل القطيع فأصابه رعب ونهض يجرى وأكمل صعود السلم ولقى رئيس التحرير وسلمه مقاله ، ولاحظ الرجل ان برنارد شو ممتعض فسأله عما يقلقه فقال كلمة لا ينساها قط من يسمعها : ان القطيع فظيع ، ولكن المخيف هو أن تكون أنت واحدا منه !

ومثل هذا حدث لبابلو بيكاسو اشهر المصورين في العصر الحديث ، فقد وجد نفسه في أول الطريق واحدا من القطيع ، قال : وأحسست انني إذا مضيت على هذه الوتيرة فسأجد نفسي عما قريب واحدا من الفنانين الطيبين الذين ضاعوا في طريقي وخرجت من « الكومة » و « الكومة » .. هي الكلمة الاسبانية التي ينتظرون من يشتريها منهم بملاليم ، وشيئا فشيئا يصبحون متسولين . وقد آنفت نفسي من ذلك ، فمضيت أبحث لنفسي عن طريق ، وذهبت الى باريس ، وهناك ازدادت نفسي رعبا من منظر القطيع ، وجدتهم في ضياع والكثيرون منهم ينتحرون . فذهبت الى برشلونة ثم الى مدريد ثم الى باريس ومضيت أرسم كالمجنون ، وازور المتاحف في حمى حتى رسمت لوحة « عازف القيثار العجوز » ورآها الناس وأحسوا ان عندى شيئا جديدا أقوله ، وتنبه لى النقاد ، وسرت في طريقي وخرجت من « الكومة » و « الكومة » .. هي الكلمة الاسبانية التي تقابل هنا لفظ القطيع ، فيقولون على الشخص الذى لا يتميز بشيء : هذا واحد من الكومة .

واعجب محاولات الخروج من القطيع ما فعله سلفادور دالى الرسام الاسباني القطلوني المشهور ، فهذا رجل موهوب . بدأ حياته الفنية في باريس بعد الدراسة الطويلة ، وكان يرسم أول الأمر رسما كلاسيا اى تقليديا ، وكان يخرج قطعا رائعة ، ولكنها لم تستلفت نظر أحد لان البيوت حافلة بأمثالها ، فاتجه الى تيار السوريالية ، واخذ يرسم ، وتمكن من استلفات النظر الى نفسه، ولكنه ظل مكانه سنوات طويلة ، وأحس انه يكاد يصبح واحدا من القطيع ، فذهب الى نيويورك ، وعاونته سيدة ثرية على أن يقيم معرضا ، ولم يذهب الى المعرض الا عدد قليل من الناس ، فاخترعت السيدة الثرية ان توضع احدى لوحاته في « فاترينة » محل تجارى كبير لتلفت النظر ، ولكن مدير المحل

● ليس أخطر على حضارة الأمة من أن تسود فيها روح القطيع ويكون كل الواحد من أفرادها أن يختفي في زحمة القطيع لأن ذلك يعفيه من المسئولية ليس في القطيع إلا شخص واحد يحمل مشاكل القطيع هو من يخرج من القطيع

تامل اللوحة ثم اعتذر عن عدم امكان وضعها في « الفاترينة » لانها لم تكن شيئا في نظره • وغضب دالى وقرر في نفسه شيئا ..

وفي اليوم التالى حمل كرسيا ومضى الى ذلك المتجر في الشارع الخامس أو « الفيفث افينيو » وحطم الفاترينة بالكرسى ، وقبض عليه البوليس ، ونشرت الصحف الخبر وقالت ان دالى فعل ذلك احتجاجا على اهمـال الناس اياه رغم امتيازه وقال انه يتحدى النقاد ويطلب اليهم أن يزوروا معرضه ، وذهبوا ووجدوا في لوحاته شيئا جديرا بالتنويه ، واقبل الناس على المعرض وبيعت كل لوحاته ومن ثمن اللوحات دفع الغرامة التى حكمت عليه بها المحكمة ، ومن ذلـك الحين اصبح في طليعة الرسامين .. خرج من القطيع !

ومن الغريب ان معظم الناس يفضلون أن يكونوا في القطيع لان ذلك لا يكلفهم جهدا ويرفع عنهم المسئولية ، فهم مستريحون جدا ، لا يتعرضون لمتاعب او مواجهات ، ويظلون طول عمرهم كالفيران التى لا تخرج الا في الظلام وتأكل في الظلام ، وهى بهذا الأسلوب تعيش دون أن تتعرض لخطر ، ولكنها خطـر على الآخرين ، وهل هناك أخطر من الفار الذى يقـرض كل شيء حتى الخشـب والحديد ، وينجب مئات الفيران التى تفسد كل شيء لمجرد انها فيران ؟ ..

كذلك القطيع انه خطر جدا • ورجل القطيع كما قلت لك رجل حاقد غاضب يستكثر الخير على كل الناس الا على نفسه ، وهو مخرب ، وشعوره بأنه واحد من القطيع واحساسه بالا أحد يراه أو يلتفت اليه يجعله يخرب أكثر • ولقد جلست أول ما تخرجت في غرفة واحدة مع عدد من موظفى القطيع ، فوجدت ان السنتهم لا تعفى أحدا من النقد اللاذع ، ووجدتهم يقولون في الناس مالا يرضى اى ضمير ، واحسست وانا بينهم ان فيران المكاتب هؤلاء اخطر على البلـد من الاحتلال البريطانى ، فتركت العمل هناك ودخلت في مسابقة أعلن عنها بنـك التسليف ـ وكان بنكا دوليا اذ ذاك ـ يطلب مترجما ، وحصـلت على الوظيفة وخرجت من القطيع بعض الخروج ، واتجهت الى الصـحافة وبدات من تحت الصفر في « اللطائف المصورة » وشيئا فشيئا خرجت من وحشية القطيع وسرت في الطريق ..

واذا نحن نظرنا في تاريخ الفكر العربى نجد انه لايزال بخير ما دام العاملون فيه والقائمون بأمره خارج عقلية القطيع ، وانظر مثلا كيف كان يكتب الجاحظ وكيف كان يفكر واصل بن عطاء ، وكيف كان يقول الشعر أبو نواس • هنـا تشعر انك أمام رجال لا يمكن أن يكونوا من القطيع • رجال لهم وجوه وملامح

لكيلا تكون واحداً من القطيع

وخصائص وصفات ، ولايزال الفكر العربي في صعود ما دامت هذه الشخصيات فيه ...

ثم وصلنا الى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وبدأ رجل الفكر يتحول الى واحد من القطيع : وضع نفسه في ظل سلطان أو أمير أو حتى واحد من الاثرياء ، ومضى يأكل من فتاته كما يأكل الفأر في الظلام ، وأعوزتهم العبقرية فلجأوا الى السجع يغطون به العجز ، والى شعر المديح الزائف يلتمسون به الرزق . وكتبوا ونظموا وألفوا الكتب للامراء وسادة الناس حتى ثقلت بهم سفينة الفكر العربي وأخذت تهبط في الماء حتى لم يبق منها الا السطح طافيا على وجه الماء ، وهذا ما نسميه عصر الركود ، وانقضت القرون ونحن في الركود حتى جاء العصر الحديث وأفقنا من النوم وظهر الرجال الذين رفضوا أن يكونوا من القطيع وأولهم محمود سامى البارودى ، ودبت الحياة في كيان الفكر العربي ، فأخذ ينهض حتى بلغ الشأو الذى بلغه فيما بين الثلاثينات والاربعينات .

والميزة الاولى لرجال مثل طه حسين والمازنى والعقاد انهم رجال رفضوا أن يكونوا من القطيع ، وثاروا على عقلية القطيع ، حتى احمد شوقى كان أول امره يريد أن يكون مداحا من شعراء القصور ، فشتموه واخافوه ، فتنبه الى عبقرية نفسه وخرج من شعر المديح الى شعر الفن والحياة ، وخرج من القطيع ، وهنا فقط أصبح احمد شوقى .

والذى الاحظه ، وهذا بيت القصيد من هذا المقال ، اننا نعود شيئا فشيئا الى روح القطيع ، فهناك مئات يكتبون ، وتنظر فيما يتقدمون به فتحس انك قرأت هذا الكلام قبلا ، والحقيقة انك لم تقرؤه ، ولكن كاتبه قلد فيه كاتبا تعرفه ، لانه ليست له شخصية فانتحل شخصية غيره وتقدم بها اليك ومضى في سعيه بطريقة الفأر الذى يعيش في الظلام ولكنه يأكل الحديد ، فحيثما تلفت وجدته ، وقد يصنع لنفسه اسما ، ولكنه يظل اسما في القطيع ، وحذار من هذا الطراز من أفراد القطيع ، لانه قد يأكلك انت نفسك في الطريق ...

ذلك لأن القطعان مخربة دائما . والبقرة في ذاتها حيوان خير كله نعمة وبركة ، ولكنها تصبح نقمة اذا صارت في القطيع ، وقطيع البقر اذا انطلق في طريقه داس كل شيء وحطم كل شيء . ومن هنا فان القطيع في جملته قوة هائلة ، ولكنها قوة تخريب . ومن أخطر الاشياء على كيان الامة أن تغلب عليها روح القطيع فتخرب نفسها بنفسها ، واذا أردت أن تأخذ صورة حية عن القطيع وكيف يخرب حضارة امته فخذ أي جزء من اجزاء « تجارب الأمم لمسكوية واقرأ فيه .. هذا الكتاب تاريخ لبغداد والدولة العباسية في عصر التدهور ، وهو كتاب حزين مقبض للنفس ، ولكنه يشرح للقارىء الذكي كيف تحولت أمة العرب من أمة رجال ذوى شخصيات ووجود وملامح الى قطيع نتيجة للظلم والهوان وسوء الحكم ، والقطيع هو الذى خرب بغداد وقضى على الدولة العباسية ، وفى النهاية أوقف مسيرة الحضارة العربية ..

فانت اذ تقرأ صفحات « تجارب الامم » ترى كيف تحولت بغداد الى ساحة قتال بين الشيعة والحنابلة ، وانت تشعر ان الشيعة الذين تقرأ أخبار أعمالهم

● إن القطيع خطر ومخرب . والفرد منه يدوس كل شيء ولا يهتم إلا بنفسه وفي سبيلها يخرب كل شيء بما في ذلك الوطن نفسه . إنه يعيش بلا وجه أو شخصية أو ملامح ولا يعرف الطموح . ومفتاح حياته كلها هو الطمع ... وواجبك الأول لكي تفهم معنى الحياة هو أن تخرج من القطيع .

ليسوا شيعة ، ولا الحنابلة حنابلة ، انما هم قطيعان سوداوان يخربان بلدهما تحت لواء مكذوب ، ففي كل يوم هيصة وصدام وقتل وتخريب ، وفي كل يوم يقتل انسان طيب مفيد من مثل فقيه كبير او طبيب ماهر او شاعر في مطالع نهوضه ، هؤلاء قضت عليهم القطعان وداستهم أقدام البقر الهائج .

انني انسان يحب الناس ، ولكنني لا احب الناس الذين لا يريدون ان يكونوا ناسا ، اي الناس الذين يحركهم الطمع لا الطموح والمطالب المادية العاجلة لا المطالب الانسانية التي تحتاج الى وقت لكي تدرك . ولا تحسب ان رجل القطيع لابد ان يكون فقيرا او لابد أن يكون من الغوغاء ، بل قد يكون من سراة الناس واصحاب القوة والمال ، بل قد يكون من اهل العلم ، ولكنه في اعماق نفسه رجل قطيع ، فهو يدوس غيره ويحطم القانون ويرتكب المظالم في الناس لكي يصل الى المال الكثير ، ولانه رجل قطيع فهو رجل طمع ، والطمع لا حدود له ، ومن ثم فهو كلما اثرى زاد طمعا وزاد تخريبا وشرا ، فتجده صاحب اموال وعمائر ولكن طريقته في الحياة هي طريقة الفار الذى يقرض كل شيء في الظلام حتى الحديد يقرضه ويهضمه !

اما رجل القطيع من اهل العلم فامامك غثاء السيل الذى تمتلىء به بعض معاهد العلم الكبرى ، من رجال كل ما حصلوا عليه من العلم هو ما كتبوا به رسالة الدكتوراه ، ولا يكاد الواحد منهم يدخل هيئة التدريس حتى ينطلق يدوس الدنيا ليجمع المال او ليصل الى الوظائف العليا : فهو يعطي دروسا خاصة دون حساب ، وهو يسرق من الكتب ليؤلف من المسروقات كتبا باسمه ، وهو يتزلف ويتقرب ويصعد ، وفي يوم من الأيام تجده في المراكز الكبيرة وانت تدهش كيف وصل على قلة بضاعته ، والجواب انه في طريقه الى هذا المركز داس الزملاء وداس الطلاب وداس القانون وداس كل شيء ، وفي النهاية تقضي على الجامعة التي يعمل فيها شأن جماهير الثورة الفرنسية التي كادت تأكل الثورة الفرنسية ، وشأن الفار الذى يقرض الحديد ، وشأن قطيع الماشية الذى يدوس كل شيء ويخرب كل شيء ..

روح القطيع هذه قتلت عالما عظيما مجاهدا هو ابن تيمية ، رغم علمه الغزير وايمانه الغلاب وجهاده النبيل في سبيل السنة ادخله القطيع في السجن ثلاث مرات مات في آخرها .. قتله القطيع الذى قضى على حضارتنا من عشرة قرون وحبسها وراء القضبان الف سنة او تزيد .

د . حسين مؤنس

كلمة الأريسيين في كتاب النبي إلى هرقل

● د . احمد الحوفي ●

بعث النبي عليه الصلاة والسلام رسائل الى الملوك والامراء ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، منها رسالة الى هرقل امبراطور الروم « الامبراطورية البيزنطية » جاءت فيها كلمة «الاريسيين»

وقد اتفق مدونو السيرة النبوية وكتاب التاريخ ومؤلفو المعاجم اللغوية على النطق بهذه الكلمة ، ولكنهم اختلفوا في معناها ، فرأيت أن اجعلها موضوع هذا البحث .

واقتضى هذا ان يتقدم نص كتاب النبي الى هرقل ، وكيف نطق السابقون بكلمة « إريسيين » ؟ وبم شرحوها ؟. ثم اعقب عليهم بكلمة ممهدة للكشف عن الصواب في نطق الكلمة وفي معناها ، ثم يجيء الرأى الذى لعلنى اهتديت اليه ..

رسالة النبي الى هرقل

اما رسالة النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل فهي «٢» :

« من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم .

« سلام على من اتبع الهدى .

« أما بعد ، فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله اجرك مرتين .

«فان توليت فعليك اثم «الاريسيين

« يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم»الا نعبد الا الله ، ولانشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا: اشهدوا بانا مسلمون » . (٣)

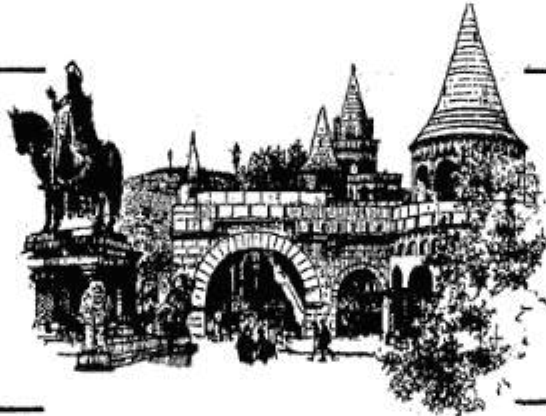
لكن كلمة الاكارين او كلمة الفلاحين وردت في بعض الروايات بدلا من كلمة « الاريسيين » (٤)

(١) كان هذا سنة ٩ هـ « ٦٣٠ م » وقيل سنة ٨ هـ وقيل سنة ٦ هـ «تاريخ الطبرى ٨٩/٣ وتاريخ الكامل لابن الاثير ٢ — ٨٠ والاستيعاب في معرفة الاصحاب ١ — ٤٦١ ، والاصابة في تمييز الصحابة ٢ — ٢٨٥ .

(٢) صحيح البخارى ٤٤/٤ ، ٤٧ وصحيح مسلم ١٣٩٦/٣ ، وانسان العيون المعروف بالسيرة الحلبية ٢٨٣/٣ ، وصبح الاعشى ٣٧٦/٦ ومجموعة الوثائق النبوية في العهد النبوى ٢٩ للدكتور محمد حميد الله الحيدر ابادي .

(٣) سورة آل عمران ٦٤ .

(٤) تاريخ الطبرى ٨٧/٣ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ٨٠/٢ ، وصبح الاعشى ٣٧٧/٦ .



ولم أجد فى سيرة ابن هشام نصا لاية رسالة من رسائل النبى الى الملوك والامراء ، واكتفى ابن هشام بالاشارة الى الرسائل . (٥)

وارجح أن كلمة « الاريسيين » هى الاصيلة فى كتاب النبى عليه الصلاة والسلام،وان كلمة الاكارين او الفلاحين رواية بالمعنى ، كما حدث فى كثير من النصوص .

١ ـ فكيف نطق القدماء كلمة « الاريسيين » ؟ لقد نطقوها هكذا : « الاريسيين » بفتح الهمزة وكسر الراء الممدودة وكسر السين وبعدها ياء مشددة ممدودة . (٦)

وجاء فى شرح صحيح مسلم اربع روايات فى ضبط الكلمة .

اشهرها فى روايات الحديث وفى كتب اهل اللغة هو الضبط السابق .

وثانيها مثله ، ولكن بعد السين ياء واحدة .

وثالثها بكسر الهمزة وتشديد الراء وبعدها ياء واحدة وسين ممدودة ..

ورابعها هكذا «اليرسيين»بياءمفتوحة وراء ساكنة وسين مكسورة بعدها ياء مشددة ممدودة .

٢ ـ وبماذا فسروها ؟

جاء فى السيرة الحلبية وفى شرح صحيح مسلم أن المراد الفلاحون ، واشار أصحاب هذا التفسير الى ان كلمة الاكارين أو كلمة الفلاحين وردت فى بعض روايات الرسالة بدلا من كلمة « اريسيين » ، وقالوا ان الاكار هو الفلاح لان اهل السواد ومن والاهم اهل فلاحة ، والمراد عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك ، وينقادون لامرك ، وخص هؤلاء بالذكر ، لأنهم أسرع انقيادا من غيرهم ، اذ الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين . (٧)

وقال القلقشندى ـ بعد ان اورد صورة ثانية للرسالة من كتاب الاموال لابى عبيدة جاء فيها قول النبى لهرقل: « فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام ان يدخلوا فيه » ان ابا عبيدة قال : اراد بالفلاحين اهل مملكته ، لان العجم عند العرب كلهم فلاحون ، واهل زرع وحرث . (٨)

وفى شرح صحيح مسلم ان المراد اليهود والنصارى ، او اتباع رجل اسمه عبد الله بن اريس .

وفى المعاجم الثلاثة : لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس : (٩) الاريسى ، والاريس على وزن جليس ، والاريس على وزن سكيت : الخادم ،

---

(٥) سيرة ابن هشام ٢٥٤/٤ .
(٦) المراجع السابقة .
(٧) انسان العيون ٢٨٣/٣ .
(٨) صبح الاعشى ٣٧٧/٦ .
(٩) مادة أرس .

والاكار ، وفلاح السواد الذى لا كتاب له .

وقيل آن « الاريسيين » قوم من المجوس لا يعبدون النار ، ويزعمون انهم على دين ابراهيم ، ويعبدون الله تعالى ، ويحرمون الزنا ، وصناعتهم الحراثة .

وقيل انهم الأمراء وكبراء القوم الذين يمتثل الناس امرهم ، ويطيعونهم فهم فى الكتاب النبوى القادرون على هداية قومهم ولم يهدوهم ، وانت اريسيهم الذى يطيعونك ، ويجيبون دعوتك ؛ ويمتثلون أمرك ، واذا دعوتهم الى امر اطاعوك ، فلو دعوتهم الى الاسلام لاجابوك ، فعليك اثمهم .

وقيل ان فى اتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالاروسية ، فجاءت كلمة « الاريسيين » على النسب اليهم .

او هم عبدة النار من الفرس ، لانهم كانوا يفلحون الارض بالشام ، اذ انهم زراع ، واهل الشام صناع .

وقيل انهم اتباع عبد الله بن ارس ، وهو رجل كان فى الزمن الاول ، وقد قتلوا نبيا بعثه الله اليهم .

اما اريسى فجمعه اريسيون ، واما اريس فجمعه أريسون ، واارارسة ، واراريس ، واارارس .

والفعل ارس يارس من باب ضرب ، وارس يؤرس تاريسا .

وفى كتاب من معاوية الى ملك الروم ، وقد بلغه أنه يقصد بلاد الشام ايام صفين : لأردنك اريسا من الارارسة ترعى الدوابل (١٠) .

وفى حديث آخر : فعليك اثم « الاريسيين » .

٢ – لكن هذا التفسير يقتضى التعقيب :

٣ – فهو لا يتفق على معنى كلمة (اريسيين) ، لانهم الفلاحون ، او الخدم ، أو الفلاحون الذين لاكتاب لهم ، او قوم من المجوس يعبدون الله ولا يعبدون النار ، او الأمراء والكبراء .

ب – وانى استبعد من المناقشة الزعم بانهم اتباع رجل اسمه عبد الله ابن ارس او ابن اريس لأن هذا كلام لا اصل له ، ولا سند ، ولو فرضنا انه شبه صحيح لجاء النسب الى ارس على هذه الصورة ارسيون .

كما استبعد انهم جماعة من المجوس يعبدون الله تعالى ، ولا يعبدون النار ، لأن المجوس كلهم منذ كانوا عبدة للنار ، وليست فيهم طائفة تعبد الله ، والا ما كانوا مجوسا .

وليس من الصواب فى شىء ان نفسر الكلمة بانها تعنى الأمراء والكبراء والقادرين على هداية الناس ، فانه لا مسوغ لهذا التفسير .

ومن الميسور دحضه بعدة اعتراضات :
لماذا أختص النبى الأمراء والكبراء بالذكر ؟

وهل كان الامراء والكبراء فى اى بلد وفى اى عصر سباقين الى اتباع المذاهب الجديدة ؟

الم يكونوا حراصا اشد الحرص على مناصبهم ومنافعهم ونفوذهم ؟

وهل كانوا يطمئنون الى ان الدين الجديد سيكفل لهم ما يتمتعون به ؟.

لا ، فانهم كانوا يتخوفون من الدين الجديد ان يسلبهم ما ليس لهم بحق ، فلابد ان يعارضوه وان يصدوا الناس عنه .

وقد حدث فيما بعد ما يؤكد هذا ، اذ تصدى كثير من كبراء الشام للدعوة الاسلامية ، وحاربوها حينما بلغتهم ، حتى نصر الله دينه فى خلافة ابى بكر وعمر .

ولم يكن النبى عليه الصلاة والسلام ليحمل هرقل اوزارهم ، وهم ليسوا اسرع تقبلا للاسلام من غيرهم ، ولم يكن النبى ليختصهم ويهمل ذكر الشعب وهم الاكثرية ، وهم الاقربون قبولا

---

(١٠) الدوابل جمع دوبل وهو الخنزير

للاسلام .

ومما ذكروه فى معنى الكلمة انهم الفلاحون .

وهذا تفسير بعيد ، لان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يذكر فى كتبه الاخرى الى الملوك والولاة صنفا من الناس ذوى حرفة، فمثلا فى كتابه الى المقوقس عظيم مصر قال : فان توليت فانما عليك اثم القبط ، (١١)

ولم يقل : فعليك اثم الاكارين او الفلاحين .

وانذر كسرى بانه ان تولى فعليه اثم المجوس (١٢) ، واوعد النجاشى انه ان صد عن الاسلام فعليه اثم النصارى من قومه . (١٣)

فلماذا اختص الفلاحين فى كتابه الى هرقل ؟

اما القول بانهم سكان السواد فانه واضح البطلان ، لان السواد جزء من العراق الخاضع لفارس فى ذلك الوقت ، لا جزء من الشام .

وكانما حاول القائل به ان يسوغه فقال ان سكان السواد من ابناء الفرس كانوا يفلحون الارض بالشام اذ ان اهل الشام صناع لايجيدون الفلاحة، واهل فارس زراع لا يحسنون الصناعة .

وهذا تأويل لاسند له من تاريخ الامتين .

ثم انه ليس من المعقول ان يلقى النبى على كاهل هرقل ملك الروم وزر قلة ضئيلة من مجوس الفرس مقيمين فى ملكه ، ويخليه من اوزار اكثر قومه. وهم نصارى اقرب من المجوس الى تعاليم الاسلام والى تقبله .

وليس من الصواب الزعم بان العجم كلهم فى نظر العرب اهل زرع وحرث، وانه ليدحض هذا الرأى ان كتب النبى الاخرى الى العجم الاخرين لم ترد فيها كلمة الفلاحين .

ومن مجافاة الصواب القول بان الاريسيين هم اليهود والنصارى ، لان هذه الكلمة لم تستخدم للدلالة عليهم فى اى عصر وفى اى وطن .

وقد جرى القرآن الكريم على اطلاق « اهل الكتاب» على اليهود تارة وعلى اليهود والنصارى تارة ، على حين انه اذا اراد اليهود وحدهم كان يسميهم احيانا اليهود واحيانا بنى اسرائيل ، واذا اراد النصارى وحدهم كان يطلق عليهم كلمة النصارى .

واذا مارجعنا الى كتب النبى التى بعثها الى الملوك نجده ذكر كلمة النصارى فى كتابه الى النجاشى والمقوقس ؛ فمن غير المعقول ان يعبر عن اليهود والنصارى معا بكلمة الاريسيين فى كتابه الى هرقل .

اما الزعم بأن اليهود والنصارى اتبعوا ذلك الشخص المسمى بعبد الله ابن ارس او اريس (١٤) فهو زعم يجمل بطلانه لانهم لم يجتمعوا فى عهدما على عقيدة ، ولم يلتقوا يوما ما حول داعية . اذ ان بينهم من العداء والاختلاف ما لا تنطفىء ناره . وذلك الاسم المزعوم لا يعدو ان يكون اسطورة ..

اما قول الزبيدى : وقيل ان فى اتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالاروسية، فجاءت كلمة «الاريسيين» على النسب اليهم ، فهو اقرب الى الصواب مما عداه .

ولكن النسب الى الاروسية كان ينبغى ان يكون اروسيين لا اريسيين كما وردت الكلمة فى الروايات المعتمدة.

●« للبحث بقية » ●

(١١) تاريخ الطبرى ٨٥/٣ وانسان العيون ٢٩٥/٣ ومجموعة الوثائق النبوية ٥٠ وصبح الاعشى ٣٧٨/٦

(١٢) تاريخ الطبرى ٩٠/٣ وصبح الاعشى ٣٧٨/٦ وانسان العيون ٢٩١/٣ ومجموعة الوثائق النبوية ٥٤ وتاريخ الكامل لابن الاثير ٨١/٢ .

(١٣) تاريخ الطبرى ٨٩/٣ ومجموعة الوثائق ٣٦ .

(١٤) كما جاء فى شرح مسلم ، او ابن ارس كما جاء فى تاج العروس

كيف ترجم العقاد لابن الرومي

● د . محمد أحمد العزب ●

● على الرغم من كثرة المحاذير آثرنا الوقوف عند هذه الترجمة التي تصادفنا في هذا السبيل ، لاننا ننظر الى هذه المحاذير نفسها نظرة مختلفة تماما ، فهي في رأينا علامة جودة لا علامة احباط وهي دليل استقلال وليست دليل تبعية ، ثم هي بعد مناط اخذ ورد مما يجعل لوقفتنا عندها عائدا فكريا يثرى حركة البحث ، ولا يمر به مجرد مرور على سطوح المساحات .. ثم هي اخيرا بمنهجها في التاليف ، وبمنظورها المعاصر ، وبالقيم الفكرية والفنية التي تعطيها وتثيرها معا ، يمكن ان تكون اعون تمثيل واصدقه لما نريد التمثيل به وله في هذا المجال ..

من الوجهة العامة :

نستطيع ان نقول ان العقاد في ترجمته لابن الرومي قد استطاع ان يسير على منهجية واضحة : ثمن تمهيد يعالج فيه الكاتب اشتاتا من القضايا الضميمية .. الى فصل اول عن عصر ابن الرومي يرصد فيه الكاتب ما يموج به هذا العصر من تيارات ومذاهب واتجاهات .. الى فصل ثان عن أخبار ابن الرومي نستبين فيه ملامح تاثيرات العصر في الرجل والرجل في العصر ، وتاثيرات النشاة والبيئة والخطوب في تكوين الشاعر المترجم له .. الى فصل ثالث عن حياة ابن الرومي ، كما تؤخذ من معارضة اخباره على شعره ، يحاول فيه الكاتب ان يستقرىء من الملامح الفنية ارتالا من الملامح الوجودية في اطار من استلهام انماط معينة من شعر ابن الرومي لايتعداها الى غيرها من الانماط ..

.. الى فصل رابع عن عبقرية ابن الرومي يوشك العقاد من خلاله ان يجعل من الكائن الانسان كائنا شاعراً بما هو غاضب على الفصل الجائر بين ان يكون الشاعر « موجودا » وبين ان يكون « فنانا » وفي هذا الفصل نستبين ملامح المكونات الطبيعية والفنية التي كونت عبقرية ابن الرومي ..

الى فصل خامس عن فلسفة ابن الرومي يضع فيه العقاد ما يشبه ان يكون حجر الأساس في حركة الابداع الفني على مستوى شعرى ، بحيث لا يجوز لشاعر كبير ان يكون شاعرا ولا كبيرا الااذاكانت له فلسفة تستوعب الحياة وتدرك الدنيا كلها ادراكا متفردا وممتازا .. الى فصل سادس عن صناعة ابن الرومي ، يتحدث فيه المؤلف عن السمات البارزة في قصائد ابن الرومي ، من حيث الشكل ومن حيث المحتوى جميعا .. الى خاتمة جديرة بالتامل والدرس ، بماهي محاولة لترسيخ فهم معين لمسار الحركة الشعرية كيف هي ، وكيف ينبغي ان تكون ..

هذا هو الاطار العام الذى تحركت فيه منهجية هذه الترجمة الادبية ، وهو كما نرى اطار يتحرك فيه العقاد من العام الى الخاص ، الى الاخص ، بمعنى انه بدأ من العصر ، وانتهى الى صناعة الشاعر ، مرورا باخباره وحياته .. وليس — كما نرى في تراجم كثيرين غيره مجرد خبط عشوائى كل همه حشد نقول تاريخية عن حياة الرجل واخباره غير مرتبط ذلك كله بعصر الرجل ولا بنوعية ميوله وابداعاته .

استطاع العقاد أن يعرض أعمال ابن الرومى وأن يضفي الاحترام عليه، وأن يعقد أوشج الأواصر بين الفن والرجل والحياة الطبيعية والعطاء الفنى على امتداد العصور ..

ومن الوجهة الخاصة :

نستطيع أن نقول ان العقاد فى ترجمته لابن الرومى لم يقف على مشارف العمل المنهجى مكتفيا فى ذلك بمجرد البناء ، ولكنه فى كل خطوة من خطواته على طريق هذا العمل استطاع بحق ان يثير عديدا من القضايا الصميمية والتطبيقية ، وان يضع مقولات على مستوى الحداثة والابداع وان يفجر جدلا حول عديد من المواضعات التى كانت مستقرة وقائمة، وان يقول من خلال ذلك كله كلماته هو، وبصوته هو ، بلا محاولة للهروب فى أردية غيره من الاغيار ..

ففى التمهيد يعالج العقاد مفهوم التراجم ونوعية ما تتصدى له ترجمته لابن الرومى بين هذه المفاهيم ... ثم يرقى من ذلك الى معالجة مفهوم الشاعرية ، ومدى ارتباطها الحميم والعضوى بما يسميه العقاد « الطبيعة الفنية » . ثم يمضى التمهيد ليعالج قضية الفن والحياة ..

والعقاد هنا يؤكد ان الفن ينبغى ان يكون موضوع حياة الشاعر ، وأن حياة الشاعر ينبغى ان تكون موضوع فنه بلا فصام ... ويمضى التمهيد بعد ذلك ليعالج موقف ابن الرومى بين المجددين غائصا على المعانى ، ومستقصيا لجوانب الحس ، وجائشة اعماقه بروافد الوهب والعطاء ..

ان الحس التحليلى يستبين فى هذا التمهيد حتى من أول صفحات هذه الترجمة ، الى جوار ميله القاهم الى ان تكون الترجمة ترجمة حقيقية لممالك الذات الداخلية بما هى المستودع الحقيقى والأمين لوقائع الخارج المادى.

ان المتامل لهذا التمهيد يستطيع على الفور أن يؤكد انه أمام صفحات جادة ورائقة ، فاقتحام تراجم الاغيار فى الادب العربى ينبغى بالفعل ان يبدأ من هذه النقطة ، من نقطة ان نفهم كل المقولات التى يمكن أن تتصدى لها الترجمة .

ان التمهيد هنا لا يعنى « تقريظا » هابطا ولا متشنجا لعمل الكاتب ، ولا ينحنى على ادعاءات كاذبة موعود بها على وجه ما يلى من صفحات الكتاب، ولا يهرب من كونه الخاص ــ بما هو تمهيد ليحيل على اكوان اخرى او يستجدى من اكوان اخرى من فصول الترجمة وأبوابها على السواء.

.. ان التمهيد هنا يعنى « فعلا فنيا» بحجم الفعل والفن . يعنى حجرا فى أساس بناء وليس مجرد ظل لبناء !

هو عصر المتناقضات ..

وفى الفصل الاول «عصر ابن الرومى» او القرن الثالث للهجرة » يقف العقاد من هذا العصر على المستويين الزمانى والمكانى موقف الباحث الرائع المزود بحاسة الكشف واحتياز عنصر الشمول ، ففى الكلمات الاولى ــ فى مفتتح الفصل ــ تلك التى استعارها العقاد من « ديكنز » تتلخص روح هذا العصر ، وتتجمع خوافيه وبواديه . فهو عصر المتناقضات بحق، حين نرى فيه ذروة التصعيد العلمى الى جوار وهدة التدلى الخلقى .. وهو عصر الاضطراب بحق ، حين نرى فيه ثمانية من الخلفاء يعاصرهم الشاعر وينتهى أمرهم جميعا الى **القتل والخلع واستصفاء الاموال ..**

كيف ترجم العقاد لابن الرومى

وهو عصر الفتن بحق ، حين نرى اشتاتا من دعاة التمرد على كل مستوى من المستويات . وهو عصر فقدان المحور بحق ، حين نرى الى مثل هذه التمردات الهائلة تفتقد فى اساسها العنصر العقائدى ..

وهو عصر الانحطاط الخلقى والدينى والسياسى والاجتماعى بحق ، حين نرى ما يمـوج فى جنباته من صراعات واحتدامات .. ثم هو عصر العلم بحق حين تتكامل فيه المذاهب الاربعة، وينبغ فيه من اقطاب الحديث والرواية والنحو واللغة والأدب والتاريخ والجغرافية والفلسفة ارتال هائلة من عباقرة مفكرى العربية الذين يحتلون حتى اليوم اروع مناطق الريادة فى هذه العلوم ..

ثم هو عصر الشعر كذلك بحق ، وعصر علم الشعر الى جوار ذلك بحق ايضا : حين تكاملت لهم نظرة فى الشعر وحين ماجت المرحلة بأولئك الرائعين من شعراء العربية الأفذاذ ...

ان العقاد هنا لا يعطى مسحا تاريخيا للمرحلة غير موشوج الاواصر بشاعره المترجم له ، انه يركز عينيه أولا على الحركة الفكرية المتحمسة بالضرورة بغيرها من حركات السياسة والاجتماع والاخلاق والدين ؛ ليس لمجرد الحشد التراكمى الذى يضيف الى مؤلفاتنا فى هذه الالوان مؤلفا جديدا ، ولكنه يفعل ذلك بحثا عن روافد الفكر التى يمكن ان تكون قد شكلت ملامح شاعره الصميمية ، وانطلاقا من قاعدة أن الشاعر ليس ظاهرة خارقة نبتت من الفراغ وهى سائرة الى الفراغ وانما ظاهرة خارقة نبتت من لحم الواقع الوجودى بكل ماله وما عليه ، ولن يجدى الباحث ان يتجاهل حقيقة هذا الواقع الوجودى او حقيقة الوجود بتق اطارها الزمانى .. على النقيض ، فان البحث عن الجدوى مع تجاهل هذه الحقائق ليس سوى أحلام تائهة او سراب خادع بلا جدوى على الاطلاق .

وهو على توهجه ما يزال ...

وفى الفصل الثانى « اخبار ابن الرومى » يؤكد العقاد على هذه الحقيقة ويرفض أن يكون الشاعر نبتا بلا جذور ويرفض كذلك ان يعطى للعصر كل طاقة التشكيل فى رسم ملامح شاعره ، فان التطرف الجاهل هنا اوهناك غير مامون العثار على اى من الاحتمالات .. ان الوسطية فى هذا الصدد قد تفيد بلا حدود ، فالعصر والشاعر معا يقومان بعملية معاطاة من لون فريد .. ولا يريد العقاد لشاعره ان يكون هنـا شاعر عصره وحده ، بمعنى أنه لا يريد لشاعره ان يكون لولا هذا العصر لما كان شاعرا ، فهو شاعر حتى ولو لم يولد فى هذا العصر وولد فى غيره من العصور، فالشاعرية هنا ليست مجرد وصف.. لاحق بمجرد رجل وانما هى كينونة هذا الرجل ومجاله معا .

واذا كانت « الدعاية » من جهة ، والتكوينات النفسية للشاعر من جهة اخرى ، قد اخملت الرجل والشاعر حينا من الدهر ، فقد استطاع الشاعر فيه ان ينفض عنه كل الغبار ،وان يحرك كل الجذوات تحت كل الرماد، وان يتوهج عبر آماد التاريخ الشعرى وهو على توهجه لايزال ..

ويستقصى العقاد فى منهجية اخبار شاعره المادية ، ولكن حصاد هـذا الاستقصاء لا يقيم امام الباحث هيكلا لشاعر رجل ، ولا صورة متكاملة لانسان حتى فى مرحلة من المراحل ، كل الذى تعطيه هذه الاشتات من الاخبار أن شاعرنا كان رجلا محاصرا بحس التطير ، وانهم رووا عنه فى ذلك الكثير !

وفى الفصل الثالث « حياة ابن الرومى ـ كما تؤخذ من معارضة اخباره على شعره » ـ يقول العقاد من اول الامر أن هذه الاخبار التى عثر عليها لا يمكن أن تعطى صورة متكاملة لشاعر ولا لانسان .. انها اخبار عاجزة عن امدادنا بمادة ترجمة متوازنة

لزيادتها المفرطة فى موضع ، ونقصانها الشائه فى موضع آخر، ومن هنا كان لجوء العقاد الى محاولة استقراء ديوانه الشعرى ..

وقد نبه هنا الى حقيقة اشتجر ويشتجر حولها الخلاف حتى الآن ، وهى مدى صلاحية الشعر ليكون مصدرا من مصادر عمل كاتب التراجم الغيرية، فان بعض الباحثين ياخذ على العقاد اتجاهه الى هذا المنطلق ويزعم ان اشد الضلال يكمن فى هذا العنوان «حياته من شعره» كما فعل العقاد فى كتابه عن ابن الرومى ، ويكاد يقترب شيئاً من الانصاف حين يقول : « والخطأ عند العقاد فى العنوان لافى الكتاب ، **نهو** قد قام بحق التاريخ حين جمع الأخبار الممكنة عن الشاعر ثم حاول أن يجدل الشعر صورة لشخص ابن الرومى؟(1)

ومهما يكن من صوابية بعض الرؤى المعترضة فى هذا المجال ، فان العقاد لم يأخذ حياة شاعره من شعره ، وانما أخذها من وقائع حياته المادية اولا ، وحين لم يسعف الكم الوجودى من وقائع هذه الحياة باستغراق حياة شاعره ، لجأ الى لون من الوان الاستقراء ، تنفى أن يلجأ الى أكثره بما هو احزان شاعر وافراح انسان من خلال تصاعده الى مواطف انسانية عامة تدل دلالة اكيدة على تفردها وامتيازها من غيرها بلا حدود ... ولكنه لجأ الى لون من الشعر « الاحصائى » كما قلت ، بمعنى أن الجانب الشعرى من شعر ابن الرومى والذى استعان به العقاد كان جانبا نصيا ووثائقيا يعطى بالأرقام والأحجام حقائق من حياة شاعره ، وليس مجرد بوح وتجريد لايعطى تفردا بالذات !!

عبقرية عربية خالقة ..

وقد تلاحظ كذلك ان قول العقاد ان رصد حياة هذا الشاعر من شعره ممكنة حيث لا يمكن ذلك مع شاعر آخر ، يوحى بأن هذا المنهج لو كان منهجه الأساسى لطبقه على كل من درس من الشعراء ، وهو لم يفعل على وجه التأكيد ــ فقد افنته حوادث الحياة من استنطاق الشعر ، واذا اقتدر فى هذا الصدد واعطى مثل هذه الترجمة فليس ذلك عيبه وانما هو مجده ..

وقد يوجد الباحث الذى يعثر على الحلقات المفقودة من حياة ابن الرومى من بطون الكتب . ويترجم له على هذا الأساس ، ومرة اخرى لا يمكن ان يكون ذلك لو حدث مطعنا موجها للعقاد بما هو باحث قد بذل وسعه ، وتكاملت لديه حقائق لم تف بترجمة متكاملة ، فلجأ الى شعر هذا الشاعر المترجم له، واستخلص لنا من الشعر ووقائع الحياة مثل هذه الترجمة الرائعة ، ان محاكمته ينبغى ان تكون على ضوء مالديه بالفعل من امكانيات الواقع المادى ، وهى شحيحة بلا جدال؟ !

وتسلمنا هذه القضية هنا الى قضايا اخرى لا يقف عندها العقاد وقفة متسرعة عن الفنان فى ابن الرومى، وعن مزاجه ، وطباعه ، واطواره ، ومفتاح شخصيته ، والحق ان هذا الفصل سياحة من اروع سياحات الفكر العربى المعاصر فى ممالك الذات ... لقد استطاع العقاد ان يعرى اعماق الرجل، وان يدافع ضد هضمه والافتراء عليه، وان يعقد اوشج الأواصر بين الفن والرجل والحياة الطبيعية والمعطى الثقافى على امتداد العصور ..

ان هذا الحس التحليلى الشامل الذى يتقافز عبر كل صفحات الترجمة يؤكد ان العقاد قد ضرب ضربته الرائعة فى مجال التراجم ، وليس ــ كما زعموا ــ قد احبط فى لون اراده علامة تبريز وتفرد وامتياز .

وفى الفصل الرابع « عبقرية ابن الرومى » يشير العقاد الى أن الفصول السابقة قد انجزت مهمة الحديث عن

---

(1) د/ احسان عباس ــ فن السيرة ــ ص ٨٦ .

حياة ابن الرومى ، وقد بقى للفصول التالية ان تنجز مهمة الحديث عن عبقريته . ويستدرك فى ذكاء ووعى ، بان حائطا ما لا ينبغى ان يقوم – فى التراجم – بين حديثنا عن عبقرية الشاعر وحياته ، فلولا هذه العبقرية لما انتضى كاتب واحد قلمه ليعانى فى رصد حياة هذا الشاعر او قل هذا الانسان ...

وقد يلجأ العقاد الى شيء من الاعتساف حين يصف عبقرية الرومى بانها عبقرية يونانية ، حتى ولو اقام حكمه هذا على كثير من الركائز الانسانية ، فليست العبقرية اليونانية وحدها هى القادرة على عبادة الحياة وعشق الطبيعة ، واقتناص الصور والاشكال ، وتشخيص المعانى ، وايثار الجمال على الخير ، والنظر الى الدنيا كمعرض منصوب للتملى لا كحصن مغلق او صومعة موحشة ... فان العبقرية « المثقفة » قدرت وتقدر وهى قادرة ابدا على العطاء فى كل هذه المجالات

ولست أعتقد أن ابن الرومى يمكن ان يكون عبقرية من اى لون غير أن يكون عبقرية عربية مثقفة وخالقة ...

وربما نتوقف مع تقسيمات عقادية اخرى كفصله بين العاشق والمحب واسقاط هذا الفهم على شاعره ، ولكننا لا نريد هنا ، فكل ما نرجوه فى هذه الدراسة ان نؤكد على قضية أن العقاد فى كتابه عن ابن الرومى قد خطا بالترجمة الغيرية فى الأدب العربى الحديث خطوة بارزة ، وأن منهجه القاصد فى هذه الترجمة بالذات ، ومع هذا الشاعر بالذات ، لا تزال على المستوى الفنى من أروع ابداعاتنا الحديثة فى هذا الصدد ..

موقف لا يميل مع الهوى ..

وفى الفصل الخامس « فلسفة ابن الرومى » يقرر العقاد أنه لابد لكل شاعر كبير من فلسفة للحياة ، ويفرق بين الشاعر الكبير والشاعر الصغير بنوعية ما يرتكز عليه من هذه الفلسفة واوشك ان أؤكد أن هذه القضية التى تثار على هذا النحو فى ترجمة ادبية كهذه تساوى أن نحنى لها رءوسنا بلا ملال ...

ان شعرنا العربى – حتى الحديث منه – يعانى من جدب تنظيرى بلا حدود ، ولست أعنى بذلك اننى اطالب بان يقول الشعر العربى نظرية ما ، ولكنى اعنى بالضرورة ان هذا الشعر مطالب بان يصدر عن شاعر له « فلسفة حياة » ثم لا يهم بعد ذلك ان يضرب هذا الشعر فى كل اتجاه : غزلا ، او وصفا ، او تمردا ، او عتابيات ... لابد اساسا لهذا الشعر ان يقول كلمة ما .. كلمة نابعة من موقف وجودى لا يميل مع الهوى ، ولا يتلكأ فى دروب التسيب المريض ، كلمة تشكل حجم فلسفة شاعرها وان لم تزعق بمقولات هذه الفلسفة المؤطرة بكثير من الاقيسة والحدود والمواضعات .. لقد كان المعرى شاعرا فيلسوفا ، ولكنه لم يكن فيلسوفا شاعرا ... وهذا ما نقصد اليه بالوقوف عند حدود هذه القضية التى اثارها العقاد.

وفى الفصل السادس : صناعة ابن الرومى » يقف العقاد من شاعره وقفة الدارس لناحية القولية والابداعية والذوقية ، فيعطيه ماله ، ويحاسبه على ما قصر فيه ، ويأتى « الخاتمة » بما يمكن ان يسمى نظرية فى الشعر ، واذا كنت تخالف العقاد فى بعض من مقولاتها ، فانك لا يمكن الا ان تحترم وجهة نظره ، وطريقته فى عكس هذه الوجهة فى اسلوبه الواثق المتسلسل العظيم .

فاذا خلصنا من ذلك الى ان العقاد قد أعطى صورة ممتازة عن شاعره ، بادئا من العام ومنتهيا الى الخاص ، ومتكرسا فى ملامح العصر ، والرجل والحياة ، ونوعية العبقرية ، وهوية الفلسفة ، وصناعة الشاعر – لادركنا على الفور اننا امام ترجمة كاملة مضيئة ، يعرف صاحبها – أو قل يتهدى بحدسه الصادق – كيف يعالج هذا اللون من الابداع بكل هذه الفنية ، وبكل هذا الاقتدار ...

الإنسان والطائر

ابراهيم عيسى

الفجرُ فى مهْدِ الأفقْ .. يحبو ويلهو بالألق
ويبعثر الضوءَ الشذيَّ على الوجود فينطلق
وتثاءبت حتى البراعمُ ... فالشذا قلب خفق
وصحَت على غصن الحياةِ مثى ترقرق فى الحدَق
وترِف أجنحةُ الضياءِ على الربى والمنحنى
والطيرُ تسخو بالغناءِ لمن أساءَ وأحسنا
وتهيمُ فى تسبيحها وتعودُ تلتقط الجنى
صلواتها تغريدة سجدَتْ بمحرابِ السّنا
وتمَلْمَلَ الانسانُ فى خطوٍ يَدِب على الثرى
يلقى أخاه ببسمة بيضاء تخفى الخنجرا
ويمد كفًا للسلام حوَتْ عداء مضمرا
ويجر ذيلَ الكبرياء منمّقا ومعطّرا
آثامُه ليلٌ ينوح ويرتمى كالجدولِ
ويداه كم خنَقت مثى عاشت بصدرِ البلبل
وكأنه ملك الزمانَ وهمّ بالمستقبلِ
ويقول فى جبروتِه : المُلك لى ... المُلك لى
حتى إذا أرخَى المساءُ على الوجودِ ستائرَه
والنجمُ أيقظ جفنَه .. والليلُ حلّ ضفائرَه
ضمّ الوجودُ جناحَه .. وطوى الفؤادُ سرائره
وغفا السّنا .. والكونُ مدّ إلى الصباحِ نواظرَه
والطيرُ عادتْ للعشاش تجرّ أستارَ الحلَك
تغفو على تسبيحةِ التغريدِ تشكر من ملَك
ورَبابها ترنيمه : يا ربّنا ما أكملك
وتقول فى تغريدها : المُلكُ لك .. المُلكُ لك

سحر الإبر الصينية

- العلاج بالإبر الصينية .. حقيقة أم وهم ...
- علماً أنه فلسفة نشأت واستغلت
- هل يرى لها عالم الطب من مستقبل ؟!

● د . عبد المحسن صالح ●

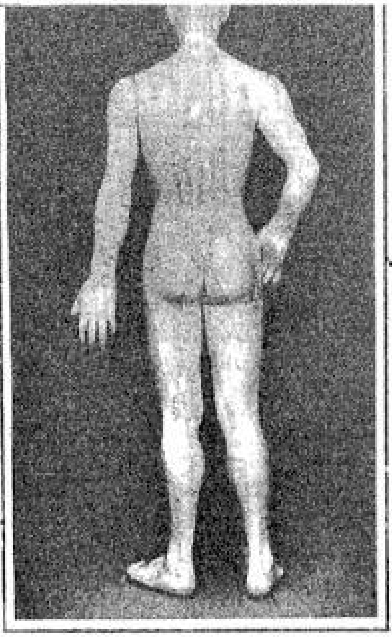
زارني صديق مصاب بارتفاع في ضغط الدم ، واخبرني انه قادم لتوه من عيادة خاصة تعالج شتى الامراض بالابر الصينية ، وانه توجه اليها بعد أن سمع وقرأ عن « معجزاتها » ـ « هكذا ؟ » ـ الشيء الكثير ، وكانت هذه جلسته الرابعة ، ولقد تلقى عددا من الابر التى تغرس فى مواضع محددة ، وتبقى مغروسة فيها ربما لعشرين او ثلاثين دقيقة ، وبعدها تنزع ، على ان يعود بعد يومين او اكثر حسبما تقتضيه الحالة ، وهو يأمل ان يشفى تماما من ضغط الدم الذى يسبب له اعراضا مزعجة !

ولم اشأ ان اقطع عليه خط الرجعة او أن احطم له آماله ، نزولا على أحكام قول مأثور يقول « لو ان احدكم اعتقد فى حجر لشفاه » اذ ليست العبرة فى الحجر ، انما العبرة تنبع من النفس وما اعتقدت ، فكم من امراض تظهر لاضطراب فى النفس ، وكم من امراض تزول لطمأنينة حلت بها ؛ فالانسان وما يعتقد ، والعقيدة فى شيء، خير من لاشيء ، وهذا ركن من الاركان الهامة التى يقوم عليها علم الطب النفسى فان توحى لنفسك بخير ، تجد خيرا ، ومن أوحى لها بعكس ذلك ، فلن يجد الا ما سعى .. وهو ماعبر عنه الشاعر « كن جميلا ترى الوجود جميلا » !

وتقابلت مع الصديق صدفة بعد شهر ، وسألته عن حاله ، وعن حال ابره التى كان « يتعاطاها » فى جسده، فأخبرنى « أنها لم ترد الضغط الا ضغطا ويبدو أنهم قد ضحكوا على ، ولكنه التشبث بالامل يا صاح » !

وهذا صحيح .. والصحيح ايضا ان الابر الصينية لا تفعل المعجزات كما يظن الناس ، لكن الناس معذورون لانهم يتقبلون معلوماتهم من بعض الكتاب الذين ينشرون عن طريق اجهزة الاعلام كل ما يثير الناس ، ويجلب انتباههم ، وعادة ما يكتب هؤلاء الكتاب عن غير علم لم انهم يتحيزون لما يكتبون ، فيوهمون الناس بقوى خفية تكمن فى الابر الصينية او غيرها ، ويجعلونهم ينطلقون وراء امل كاذب ، وكان صاحبنا ـ الذى قدمناه ـ ضحية لما قرأ ، وما اكثر ضحايا القراءات الخادعة !

لكن ذلك لا يعنى اننا ننكر فكرة الابر الصينية من اساسها ، بل نقصد



النموذج يوضح جسم الانسان، وكانما هو مزود بقنوات .. ومن خلال هذه القنوات يتم تعادل العنصر السالب والموجب (اى الين واليانج في تصور الاساطير الصينية) وعند التعادل يتم الشفاء .

انها ليست البلسم والعلاج من كل الامراض ، بما في ذلك مثلا السكر والضغط والسرطان والحصوات والشلل والجنون .. الخ .. فالواقع ان مجال الابر محدود ، لكن قبل ان تقدم حدودها ، كان لزاما علينا ان نعرض الفكرة القديمة التي نشأت منها ، فلقد تاسست على فلسفة خاصة آمن بها حكماء الصين منذ الاف السنين !

***

بنيت فكرة الابر الصينية على اعتقاد صيني قديم ، يفترض ان الانسان ليس الا صورة مصغرة للكون الكبير ، ولهذا يتأثر الجسد بالقوانين الكونية التي تسري على الاجرام السماوية ، ويعتقد حكماء الصين ان قوانين الكون تنبع منها قوتان هما : « ين » و « يانج » .

و « ين » تمثل العنصر الانثوى ، وتتميز بصفات سلبية ، في حين « يانج » يمثل العنصر الذكرى ، وذو صفات ايجابية ، وهاتان القوتان الكونيتان تمتزجان في كل من الذكر والانثى ، والغريب ان هذا المفهوم ليس بعيدا تماما عن الحقيقة التي يعرفها علماء الغدد الصماء ، فتحت كل جلد ذكر هرمونات انثوية ، وتحت جلد كل انثى هرمونات ذكرية ، ايهما يتغلب في المخلوق ، يؤثر فيه ، ويحدد جنسه ، لكن هذا ليس بيت القصيد ، « الين » « واليانج » الكونيين قد تنقلا الى الجسم البشري — على حد اعتقادهم — خلال ١٢ قناة اوبرجا ، ومن كل قناة يتفرع ٣٠ فرعا ، ولهذا تصور الصينيون القدماء وجود ٣٦٠ موقعا محددا في جميع اجزاء الجسم صالحة لغرس الابر .. والابر — في عرفهم تساعد على اعادة التوازن بين «الين» « واليانج » ، أى بين القوة السالبة والموجبة ، فكل الامراض التي تحل بالجسم ترجع الى اختلال الموازين بين « الين » و « اليانج » ، ولا يهم ان توضع الابر في الموقع الذى حل به المرض ، لان كل القنوات تؤدى الى بعضها ، وهذا من شأنه ان يصلح الخلل !

الغريب ان هذه الفكرة قد نشأت ايضا عند قدماء المصريين وعرب الجاهلية والاشوريين والبابليين ، ومن جاء بعدهم من اليونانيين والرومان القدامى

لكن الفكرة قد اتخذت فلسفة اخرى لا تقوم على غرس الابر ، بل قامت على ربط حظ الانسان في الحياة ببروج السماء الاثنتى عشرة ، والاغرب من ذلك ان هذه الفكرة القديمة لاتزال سارية بيننا حتى الان فيما نسميه بطالع البروج او « انت وبختك » .. او « حظك هذا الاسبوع » .. الخ !

وايا كانت الامور ، فان فكرة الابر الصينية قد نشأت من أسطورة تقول ان جنديا صينيا كان يعيش هناك منذ ثلاثة الاف عام ، ثم أصيب بسهم واستقر في جسده ، فلاحظ ان دخول السهم في منطقة ، قد احدث ما يشبه التخدير او فقدان الحس في منطقة اخرى .

ومرت هذه الحادثة دون ان يعيرها احد اهتماما ، وتمر مئات السنين ، ويجيء احد الحكماء ويسمع القصة ، ويحاول ان يأخذها مأخذ التجربة والجد ، فيجربها بالابر هذه المرة ، لا بالسهام ، ويقال انها اشتغلت ، وتطورت ، واصبحت وسيلة من وسائل العلاج التى انتقلت عبر الاجيال منذ حوالى الفى عام !

***

والان .. ما هى مهمة هذه الابر بالضبط ؟

مهمتها تخفيف اوقتل الالام ،وليس شفاء الامراض ، فمعظم العمليات الجراحية التى تتم الان في الصين تستخدم هذه الابر في عمليات التخدير والهيئات الطبية والعملية التيتوجهت من الدول الغربية الى الصين لتدرس هذا الامر ، وتراه رؤية العين ، قد اعترفت صراحة بان الابر وسيلة فعالة في طمس نبضات الالم اثناء العمليات الجراحية ، او فى الالام الناشئة عن الحروق او الاورام او ما شابه ذلك .

وكيف تطمس الابر الالم ؟

هذا — صراحة — ماحيراطباءالغرب وعلماءهم ، كما ان اطباءالصين انفسهم لا يعرفون كذلك كيف تشتغل الابر فى طمس الالم ، كل ما عرفوه ان التجربة المتوارثة من الاجداد الى الابناء تؤكد ذلك !

ولحيرة الشرق والغرب ما يبررها لان السيطرة على الالام تخضع لقوانين الجسم ونظمه والابر قد اطاحت صراحة بهذه القوانين ، فللالم شبكة عصبية هائلة تنتشر — على الاخص — تحت بشرتنا وجلودنا ، ففى طرف الاصبع منها الالاف ، ثم تتجمع الالاف مع الاف اخرى من المناطق او الاصابع المجاورة ، وتسير مع بعضها في حزم ، وتتجمع الحزم مع الحزم من كل أنحاء الجسم ، لتصبح حزمة هائلة فيها ملايين فوق ملايين من هذه الاعصاب الناقلة للاحاسيس ، وكل هذه تصب في المخ ، والمخ « يرشح » المعلومات ويصنفها ، ويوجهها الى مراكزها الخاصة بها . فنحس بالعالم الذى حولنا ، ونعرف لسعة النار ، من برودة الثلج ، من وخز الابر ، من طعم السكر والحنظل الخ .. اى أن كل شيء في اجسامنا يسير وفق نظام متقن ، لا خلل فيه ولا فوضى !

والعلم الحديث المؤسس على الملاحظة والتجربة ، ثم اعتماده على حصيلة النتائج المتجمعة والتى يمكن نسجها في نظريات وقوانين ، لتساير نظم اجسامنا ، هذا العلم يدخل فى السيطرة على الالام من الابواب الامامية ، لا الخلفية .. بمعنى انه يأتيها من حيث يتطلب نظام الجسم ذلك ، والوسائل الحديثة في استنباط قائمة طويلة وعريضة من المسكنات والمواد المهدئة والمنومة التى تقتل الالام ، ثم الاجهزة الاليكترونية التى تستخدم فى ذلك ، كل هذا يشير الى ان علماء الغرب ينهجون النهج القويم .. صحيح انهم لم يصلوا فى ذلك الى حد المثالية او الاتقان ، لكن المتطلع الى تاريخ الطب والعلم يشهد بحق أن كل شيء يتطور



مواقع غرز الابر الصينية فى التصور الصينى القديم ..

الى الاحسن والاتقن فى زمن قياسى قصير !

***

ان ما حير علماء الغرب « والعلماء « المودرن » عموما ان الابر الصينية تغرس فى مواضع لا شان لها بالشبكة العصبية الناقلة للالام ، ولا شان لها ايضا بتلك التصورات القديمة التى ترجع الامراض الى قوى سالبة وموجبة تتمثل فى « الين » و « اليانج » ، وهذا التصور الغريب لا يقره علماء الصين كذلك .

صحيح ان علماء الشرق مبهورون بما حققه الغرب من انجازات فى قتل الالام .. هذه الانجازات التى تتمثل لنا فى ملايين من حالات الالم التى يتعرض لها سكان هذا الكوكب كل يوم ، ولكل الم وسيلة خاصة يطمس بها ، فهناك العمليات الجراحية التى تزيل مسببات الالم ، وهناك عمليات قطع العصب الموصل بين الجزء الذى ينبض بالالم وبين ما يستقبل هذا الالم « اى المخ » . وهناك آلاف الادوية المسكنة والمخدرة التى تتدخل مع الجهاز العصبى المركزى وتغير أو تحور فى نبضات الالم ، وهناك الاجهزة الاليكترونية الحديثة التى « تشوش » على الحزم أو « الكابلات » العصبية الحية الناقلة للالم قبل دخولها الى المخ ، وهناك مؤثرات كثيرة تشتغل على مراكز محددة فى المخ ذاته .. هذه المؤثرات قد تكون كهربية او كيميائية أو من طريق الايحاء النفسى آو التنويم .. الخ ..

لكن الابر الصينية لا شان لها بهذا النظام على الاطلاق ، وهذا مادعا علماء الغرب الى الشك والريبة ، واعتقد بعضهم ان فى الامر خدعة ، بمعنى ان المريض قد يتقبل المخدر قبل العملية خلسة ، ثم تأتى الابر بعد ذلك لتجعل للطب الصينى سحرا وغموضا ، فيحير به الصينيون اهل المهنة فى الدول الغربية الراسمالية .

وعندما اعلن الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون زيارته للصين فى فبراير عام ١٩٧٢ ، كان فى صحبته اثنان من اطبائه هما : دكتور كينيث ويلاند ، ودكتور وولتر تكاش ، ولقد طلب منهما زملاؤهم جمع بعض التحريات الصحيحة عن حقيقة العلاج والتخدير بالابر الصينية ، ولم يكذب الطبيبان الخبر ، وعندما وصلا ورأيا مايجرى فى احدى المستشفيات الحديثة دهشا ، وكأنما هما لا يصدقان عينيهما !

« كنت منذ عدة شهور اسمع عن التخدير بالابر الصينية ، وكنت لا آخذ ذلك على محمل الجد ، خاصة وان المواقع التى تغرس فيها تلك الابر لاعلاقة

لها بالجهاز العصبي للانسان ، ومع ذلك تراهم يؤيدون ان المريض لا يحس بأية آلام اثناء اجراء عمليات كبيرة في صدره او مخه ، أو اخرى معقدة في بطنه ، ثم ان المريض يستطيع ان يتحدث مع من حوله وهو في كامل وعيه ، او انه يشعر بدنياه المحيطة به ، في حين انه لا يحس بما يجرى له من جراحة خطيرة ، وطبيعى ان اى طبيب غربي ، أو اى طبيب آخر تقبل العلوم الطبية الحديثة ـ لا يستطيع ان يصدق شيئاً من ذلك . »

« ولما رأيت صدقت .. ومع ذلك لم استطع ان ادرك السر » ـ كما يقول طبيب نيكسون الخاص !

دعنا الآن نختار حالة من تلك الحالات التى رآها دكتور تكاش بصحبة الطبيب الصينى « وو » الذى اعترف صراحة انه لا يعرف كيف تقوم هذه الابر بالتخدير ، لكن الذى يعرفه حقاً انها تشتغل ، وتؤدى عملها بكفاءة ، وذكر للامريكى آن بحوثا طويلة قد اجريت منذ عام ١٩٥٧ حتى الآن ، لكن احدا لم يستطع ان يتوصل الى نظرية معقولة يوضح بها سر هذه الابر ؟

والآن .. الى صالة العمليات ، ولندخل الى الحجرة رقم « ٣ » ، وعلى منضدة الجراحة تستلقى سيدة تبلغ من العمر ٣٧ عاما ، وفى اذنيها وذقنها ورقبتها .. الخ ، غرست عدة ابر رفيعة من الصلب ، وانتظرت طبيبتان صينيتان حوالى ثلث ساعة ، حتى يظهر اثر التخدير بالابر ، ولقد كانت المريضة طوال الوقت فى كامل وعيها ، وبدأت احدى الجراحتين فى عملية شق البطن حتى وصلت الى احد المبيضين ، حيث يكمن فيه ورم فى حجم ليمونة كبيرة ، واستؤصل الورم بالفعل ، وامسكته الطبيبة الجراحة بملقط ، ثم وضعته امام عينى المريضة لتراه ، وابتسمت المريضه وشكرت الطبيبه ، فلنتذكر انها كانت فى كامل وعيها ، ورغم ذلك لا تحس بما يجرى فى بطنها .

« وبعد ان انتهت العملية ، وربط الجرح بضمادات معقمة ، وارتدت المريضة ملابسها ، قامت وسارت بضع خطوات ، ثم التفتت الينا « والكلام



احدى العمليات الجراحية التى تجرى تحت تخدير باستخدام الابر الصينية وحدها (راجع المقال) ..



هكذا تغرز الابر الصينية في وجه هذه السيدة الصينية وطبيعي ان ذلك ليس بقصد العلاج من الامراض ، بقدر ماهو ايحاء لتخفيف الالام !

على لسان الطبيب الامريكي »، ولوحت لنا بيدها محيية ، ثم حيت الطبيبتين ومدير المستشفى دكتور ماو الذي كان يرافقنا ، وعندما شاهدنا كل ذلك ظهرت الدهشة على وجهينا ، اذ لم يكن الامر يحتمل اية خدعة ، ولو كان فيه خدعة او سر دفين ، فلا شك انه اعظم من يمكن أن يستعين به الطب ، فالمريضة لا تحس بأية الام ، كما انها على اتصال دائم بمن حولها ، وتستطيع ان تتخاطب معهم ، وفوق كل هذا تقوم وتخطو امامنا دون أن يظهر عليها ما ينم على انها كانت في عملية جراحية كبيرة منذ دقائق » !

ويعلق دكتور تكاش على الكثير مما شاهده ويقول : ومع انني رايت كل ما رايت بعيني اللتين في راسي ، الا انني اعلم ان كثيراً من الاطباء الامريكيين لن يصدقوا مارايت ، لان التخدير بالابر لا يقوم على اي منطق طبي ، خاصة وان تلك الابر لا تمس عصبا ولا وعاء دمويا ، ولا اي ممر من ممرات الالم او مسبباته » !

***

هل هو سحر ؟ .. ام ان من ورائه قوى خفية تضع العلماء في حيص بيص؟ واذا عجزت الهيئات الطبية والعلمية عن اكتشاف السر ، فماذا يعني هذا حقا ؟ .. هل يعني ان القدماء كانوا اكثر علما ، واعظم تقدما من انسان القرن العشرين ؟

الواقع ان المشاهدات الفردية قد لا تعني في مجال العلوم الطبية او التطبيقية شيئا يمكن ان نؤسس عليه رايا او نظرية او مبدأ او حتى قانونا، فالكلام في هذا الموضوع كثير ، وفيه مبالغات ، والعلم لا يقوم على الكلام ، ولا المبالغات ، ولا الحكايات والروايات، والعلم دائما يحترم نفسه ، ومن هنا ظهرت اصالته .. ثم انه يتعامل غالبا مع ما خلق الله ، او يشيد بناءه وصرحه على نظم الكون والحياة ، وفي كليهما ابداع واتقان وروعة لا تتجلى الا لقوم يعلمون ، والذين يعلمون حريصون على ما يقولون .. فمازالت هناك متاهات ما نريد ان نصل اليه ، ان ما يتردد بين الناس عن معجزات الابر الصينية وسحرها ، ثم عجز العلماء عن فهم

وتقييم هـــذا اللغز الكبير ، ليس له الآن ما يبرره ، لان الامر يحتـــاج الى دراسة وافية ومقنعة ، مع اخذنا في الاعتبار كل العوامل التي يمكن ان تؤثر في النفس البشرية ، فتجعلهـــا تستجيب او لا تستجيب .

خذ لذلك مثلا ومثلا .. فهناك حالات من المرض أو الالم الوهمي ، وفيه يطلب المريض دواء معينا يعتقد انه الـــدواء الوحيد الذي يريحه من الامه ، ويحقن بالدواء ، ويؤكد ان كل شيء قد زال ، وانه لا يشعر بآلام المرض على الاطلاق .. لكنه في الحقيقة لم يأخذ الا دواء وهميا .. فلم يكن في الحقنة الا محلول معقم من ملح او سكر لا يضر ولا ينفع ، وهذا ينبئك بطبيعة النفس البشرية ، وما جبلت عليه من أوهام في بعض الاحيان

من الناس مثلا من يعتقد في قـدرة القديسين والاولياء والمشايخ على شفاء الامراض ، وازالة الالام ، فمجرد لمسة من رجل يدعي الولاية والصلاح ، قد تزيل بعض المتاعب عند بعض النـاس .. لكن ليس كل الناس ، اذ لا يمكن لرجل عاقل أن يلجأ الى ما يلجأ اليـه الدراويش واتباع الدراويش ، ومـع ذلك فانت لا تستطيع ان تحـول بين الناس وبين ما يعتقدون ، فاذا اعتقدت في شيء ، فربما تتأثر به النفس ، وله تستجيب ، وقد يظهر ذلك على هيئة مرض أو شفاء .. وليس للطـب او العلم شأن بعقيدة الناس ، لكن شأنه ان يأخذ هذه العوامل في الاعتبار عند تقييمه لمسألة الابر الصينية ، فربمـا كانت هناك علاقة « روحية » او علاقة عقيـــدة وثقة بين المريض الصيني والطبيب الصيني ، وان هذه العلاقة قد تؤدي الى نوع من التخــدير او التنويم الذي قد يطمس الالم !

والعلم يقول هنا : دعنا نأخـذ في الاعتبار عينات من اهل الصين ، ومن اهل اوربا وامريكا وافريقيا .. الخ ، ولنجرب عليهم الابر الصـينية ، ونرى النتائج ، ثم نضع النتائج في تحليـل احصائي ، ومن هذا التحليل سنعرف ان كان التخدير يتم بعامل نفسي في المقام الاول او بالابر في المقام الاول . ايهما ارجح ، يكون الحكم له أو عليه ، فليس كل الناس متساوين في الادراك والايحاء والاستجابة وتحمـــل الالم والعوامل البيولوجية الاخرى ..اضف الى ذلك ان كل الناس ايضا ليســوا متساويين في قبولهم للتنويم ، او في ممارستهم لتمرينات اليوجا « وهــذا بدورها تحتوي على عناصر من التقويم الذاتي »

لكن ..ليس معنى هذا اننا ننكر التخدير بالابر ، بل ان انكارنا ينصب على انها قد صارت وسيلة للعلاج من الامراض ، وكأننا نحن نعود الى ممارسة الطب الصيني بالطريقة التي مضى عليها اكثر من الفي عام ، فلم يتخذ الصــينيون القدامى هذه الوسيلة لكي يخدروا بها مرضاهم ، ويجروا عليهم العمليــات الجراحية ، بل كانوا يوحون للناس على انها طريقة عقلية للعلاج بمعادلة « الين » و « اليانج » في الجسد ، ولا احــد يستطيع أن يبلغ الآن هـذه الفكرة ، حتى ولو كان اطباء الصين انفســهم فهم يعترفون صراحة انها للتخـدير ، وليست للعلاج ، ولاشك ان سـعى الانسان من قديم الزمن ، كان ينصب اساسا على تخفيف الالم ، والابر الصينية احدى هذه الوسائل .. لكن هل هي التي تقوم بتخفيف الالم حقيقة أم ان في الامر ما يشبه التنـويم او الايحاء .. ؟

اننا لن نقفز الى الاستنتاج قفزا كما يحلو لكثير من الناس ان يفعل ذلك ، فلقد علمنا العلم ان النتيجة مربوطـة بالارقام والاحصائيات والتجـارب ، وعلى نطاق واسع ، وهذا مالم يقم به احد بعد في هذا المجال ؟

ويبقى القول الفصل معلقا ، ليبالغ بعض الكتاب فيما يكتبون ، وما اكثر ما يبالغون فيخدعون .. وعليهم وزر ماكتبوا فخدعوا !

الـوقـوف في الممنوع !!

• ابراهيم صبرى •

ووقفت « في الممنوع » .. أنتظر   والشوق في عيني يستعر
والناس .. كل الناس .. ترقبني   وكأنني عجب ... وهم بشر
يتساءلون بكل ما ملكوا   من دهشة : ما الأمر ! ما الخبر ؟
وأتى أمين الدرب ينبئني   أن ليس لي في الدرب منتظر
قلت استمع لي .. قال وأسفا   إن المقام هنا لمن بكروا
قلت استمحتك يا أخي عذرا   فلقد صبرت وطال بي السفر
وأتيت درب الحب ملتمسا   بربوعه .. ما أخبر القدر
إن الهوى بالأمس واعدني   وأخاله ما زال ينتظر !
بش الأمين .. ورغم بسمته   أدركت أن القلب ينفطر
قال استمعت إليك فاسمع لي   واحذر فيما ترغب الخطر
أخلفت موعدك الذي وتقي   وأتيت بالأقدار تعتذر
أنت الذي أهدرت موعدها   وتخال أن الوقت يدخر
ولقد علمت بأن ما يمضي   في دورة الأفلاك مندثر
وأراك بالمقطوع في ولع   وبسكة الممنوع تشتهر !
قلت الذي أرجوه ليس له   زمن يحدده وينحصر
وفوارق الأزمان ما برحت   في حومة الأشواق تنصهر
ولقد أتيت الدرب يحملني   شوق إلى من شئت مستعر
غنيت أشعاري له نغما   تشدو به الأطيار والشجر
والناس كل الناس ترمقني   وكأنني عجب ... وهم بشر !
يتساءلون بكل ما ملكوا   من دهشة .. ما الأمر ؟ ما الخبر ؟
وأكاد أن أمضي بمركبتي   لأريح من عجبوا ومن نظروا
لكن صوتا جاء ينبئهم :   يا كل من سمعوا ومن بصروا :
إن الهوى لا عمر يحكمه   أبدا .. ولكن الهوى العمر !

حوار مع "من القلب" محسن محمد

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

● على باب مكتبه استقبلني بقامته العملاقة .. وابتسامته العريضة .. البداية مشجعة حول فنجان قهوة كانت دردشة الحوار ... احسست بعدها انه رجل داس الغرور ، ورفع التواضع الى قمة هامته ، فتسع قلبه « للهلال » وتحدث بصراحة .

● صورة بالقلم ●

قال وهو يقرأ من سطور محفورة فى الذاكرة لكي يرسم الصورة التى طلبتها :

« .. اشتغلت بالصحافة بالثانوية العامة ، اول ما كتبت ثلاثة اسطر تحت عنوان رسالة الى عزيزى القارىء .. نشرت فى مجلة « الاسبوع » التى كان يصدرها الاستاذ جلال الحمامصى فى ذلك الوقت ..

« منتهى الفرحة والسعادة عندما نشرت لى هذه السطور رغم انها لاتحمل توقيعي ..

فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٧ اشتغلت فى « الزمان » من مكتبها فى الاسكندرية « ــ محسن اسكندرانى ــ » وكنت مندوبا متعدد الاختصاصات . حوادث اقتصاد . جمارك . اخبار الوزراء عندما ينقلون نشاطهم الى مدينة الثغر استاذى كمندوب صحفى . محمد رشاد السيد مدير تحرير « جورنال دى جيبت » .

بعد ذلك فى الاخبار . اخبار اليوم . وكالة انباء الشرق الاوسط ثم الجمهورية »

جاء محسن محمد مضطرا الى القاهرة بعد أن قررت الاخبار نقله من الاسكندرية كان عندى شقة على الكورنيش لو احتفظت بها لتقاضيت أكثر مما كسبته فى حياتى الصحفية .. يضحك من اعماقه « لكن هذا يعاقب عليه القانون » .

● صحفى بلا هوية ●

فى بلاط صاحبة الجلالة تكثر المتاعب .. من رئيس تحرير الى السجن ، من مدير تحرير الى الشارع .. محسن محمد أحد الذين تعرضوا لهذه المتاعب .. « لا أريد أن انسج حول نفسى بطولة » ــ هكذا قال عندما سألته عن هذه الفترة . وعندما لمح اصرارى قال :

« المتاعب الصحفية كثيرة . لكنها تهون عندما تكون فى بلدك بين اهلك واصدقائك لكنها تكون مريرة قاسية على النفس عندما تكون فى بلد غريب .. فلقد كنت صحفيا



بلا هوية فى الكونغو ايام « لومومبا » . والانفصال الذى قام به «الشومبى » « سحبوا جواز سفرى فاحسست بالضياع . لا احد يشعر بك او بوجودك تبحث عن الحقيقة وانت فى حاجة الى من يبحث عنك . منتهى القسوة والمرارة والشعور بالوحدة .. فى بلد مليء بالصراعات .. الخوف يشل تفكيرك فى كل لحظة تمر عليك . لن يمد اليك احد يد المعاونة او المساعدة ..

ماذا تنتظر بعد ذلك .. »

قلت له : اجابة السؤال التالى .

● جنون بالتاريخ ●

هواية وصلت بصاحبها الى درجة العشق الكامل لتاريخ مصر ، فقدكان محسن محمد فى صحبته توت عنخ امون فى رحلتــه الى انجلترا عام ١٩٧٢ ، بعدها كمايقول محسن «اصابنى جنون بالتاريخ » .

كتب محسن محمد تحمل هــذه الدلالة ! « تاريخ للبيع » ، « التاريخ السرى لمصر » ، ـ «عندما يموت الملك» ـ سنة من عمر مصر ـ الشعب والحرب ـ « أصول الحكم » ـ ثمانية عشر عاما من التــوقف من عام ١٩٥٤ بعد اول كتاب له « حكايات صحفية » ولم يكن قد مضى عليه اكثر من سبع سنوات على الاشتغال بالصحافة ، الى أن جاء عام ١٩٧٢ والرحلة المباركة مع الملــك توت ، ثم السيل المنهمر من الكتابات التاريخية . فما السر ..؟!

يقول محسن محمد :

« .. فترة التوقف هذه .. كانت نابعة عن مبدأ ـ أن الذى يحتــرف الصحافة عليه ان يتفرغ لها بالكامل .. فى هذه الفترة ايضا واصلت الدراسة فى الجامعة . وحصلت على ليسانس الاداب قسم انجليــزى ثم الماجستير ، والصحافة غير التاليف ، ولكن هذه الكتب التى تقصدها اخذتها من الزاوية الصحفية البحتة ..

«فعندما كشفت الخارجية البريطانية عن الوثائق السرية التى مضى عليهاثلاثون عاما كان من بينهـا حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ . اعتبرته خبرا لكن جاء متأخرا ثلاثون سنة « لا يعرفه أحــد . من هذا المنطلق كان كتاب « تاريخ للبيع » وماتلاه من كتابات سياسية تاريخيــة صحفية . »

● المراة فى ادبه ●

رغم أن محسن محمد يصر عــلى كونه صحفيا فقط فله كتاب فى ادب الرحلات عن الصين : « ولا عجيـــب الا الصين » ، فى هذا الكتــاب اعلى من قدر المراة عموما .. « المــراة التى بهرتنى هى المراة الصينية » هكذ

قال لى محسن محمد فى حديثه .. لماذا ؟!

« .. فى هذا البلد الذى يصل تعداد سكانه الى الف مليون نسمة - كانت المراة هى العنصر الاساسى فى تنظيم النسل ، جعلوها تؤخر سن الزواج وافقت . وان تتنازل عن كل ادوات التجميل حنت راسها طواعية . اقنعوها بالعدول عن لبس الفستان الابيض فى الزفاف رضيت .. قالوا لها انه يرمز الى الموت قالت لا اريده. المراة - ياسيدى - هى الساق الثانية فى المجتمع .. الرجل من غير المراة لا يساوى شيئا .. »

● الصفحة الادبية ●

اختفاء الصفحة الادبية من معظم الجرائد له تعليل عند محسن محمد يعترف به « نحن على راس المهملين فى ذلك . كما انه انتهى عصر الكاتب الواحد . فقد كان هناك طه حسين والدكتور هيكل فى السياسة، والدكتور مندور فى الوفد المصرى ، والعقاد فى البلاغ .. اليوم الجريدة تهتم كمهنسة بالصحافة

« .. اولا .. لم ياتى الاهتمام بالادب .. ايضا ربما لضيق المساحة ، ربما لتغير اهتمامات الناس . او القطاعات التى تخدمها الجريدة . »

قاطعته : ترى هل اصبح الادب نوعا من الترف الفكرى يجب أن تعزف عنه الى ما هو اهم منه ؟؟

قال :

« الادب جزء من حياتنا ، وان كان عهد سيطرة الادباء على الصحافة قد انتهى . فلم يعد هناك مثل العقاد كاتبا اول ، او مندور مثلا . وان كان العقاد له منطق ومندور له منطق آخر . اليوم اصبح اصدار الصحف صناعة . والصحف المصرية فى طريقها لان تقترب من صحافة الغرب . رئيس التحرير اليوم هو الكاتب السياسى الاول ، وسوف يكون بجانبه كتاب ادب جدد .

فى جريدة «لندن تايمز »او«نيويورك تايمز » كتاب الافتتاحية كتاب مجهولون وان كانوا ادباء وسياسيين ايضا .

ولان مصر عاشت فى مشاكل خلال الثلاثين سنة الاخيرة تغير فيها تركيب المجتمع .. هذا التغير جعل الادب يتوارى وليس معنى ذلك انه سيختفى. فقط هناك نوع من الانحسار الثقافى نظرا لظهور طبقة الحرفيين،وهى الطبقة التى تملك القوة الشرائية حاليا

● الراى والراى الآخر ●

تركنى محسن محمد أرتب افكارى وسحب سجادة واستاذن فى صلاة المغرب .. قبل أن يدخل عليه وقت صلاة العشاء .

وفى الصحافة دائما قضية الراى والراى الاخر ..

« حرية الراى خطرة جدا ، ومن يقل غير ذلك فهومخطىء.. وايضا هى

« .. صمام الامن الوحيد .. والذين يقولون بحرية الراى يتصورون حريتهم فقط . ولكن الفكرة كما يقال يخدمها انصارها ويخدمها خصومها فانا مع الحرية الى اخر المدى وبدونها لا يمكن ان يحقق المجتمع اى تقدم . »

كان هذا كلام محسن محمد « وقد قاله « بدون الدخول فى مناقشات فلسفية »

● سارتر يقول ●

قلت له حول الحرية يقول سارتر « انا حر حتى فى اختيار الحرية» فما مدى انطباق ذلك مع الواقع العملى ؟

قال محسن محمد :

« انا مع الحرية الى اخر مدى ولا يمكن ان يحدث تقدم بدون الحرية ، الفكرة أن الثورة مثلا كان يتربص بها قوات الاحتلال فى الداخل وتريد الثورة ان تقى نفسها شر هؤلاء الخصوم،لكنها لاتحمى نفسها من نفسها فتكون النتيجة أن تنحرف الثورة . تضع قيودا على حرية الراى او محاكمة الصحفيين بعد فترة ليس فيها دستور ولا برلمان ، فتكون النتيجة حرية الخطأ والانحراف لان كل واحد يعتقد أن تقارير الاجهزة احكام نهائية ، عندما تكون الصحف الخاصة ممنوعة تصبح مهمة الصحف القومية خطيرة ، وعليها ان تضمن حرية الراى حتى النهاية معادلة صعبة وانا متفائل دائما »

● التفاؤل والتشاؤم ●

قلت للاستاذ محسن محمد .. هل يعني هذا انك كاتب متفائل .. ولماذا؟

قال بحماس شديد :

«انا كاتب متفائل جدا وذلك لاسباب

اولا والدى توفى وانا عندى من العمر ستة اشهر فقط لم يترك لنا شيئا ابدا ، ولو عاش لما بقيت كاتبا او رئيس تحرير او خلافه ، لكن ربنا بيساعد وانت بتساعد والشعب كله بيساعد . فنحن شعب متضامن فى المأساة وغير متضامن فى الافراح .

ثانيا : الظروف ساعدتنى جدا فكثير من الناس ساعدونى متطوعين منهم مثلا محمدرشاد السيد ،و جلال الحمامصى، ومصطفى امين

ثالثا : بالنسبة للمرأة ، عندما مات والدى لم تتزوج أمى وعاشت لكى تربينى ، فانا مؤمن بالمرأة لاننى مؤمن بأمى فوالدتى وهبت حياتها لكى تساعدنى .

ولذلك فتفاؤلى بلا حدود

● تفسير ●

وتذكرت ما كتبه محسن محمد فى عموده اليومى : « احتفظ بالنصيحة لنفسك،فانت أحوج اليها من الاخرين»

هل يعد نوعا من الانانية أن يحجب الانسان نصائحه عمن يطلبها ؟ ..

قال وهو يبتسم : « ابدا ، ابدا .. انا لم اقصد ذلك ، فقط نحن نتبادل النصائح ولا نتبادل العمل »

« .. وحقيقة انا احوج الناس الى النصيحة .. وتصدى من ذلك قبل ان تنصح الاخرين انصح نفسك .. »

● نصيحة ●

قلت له : قبل ان انهى حديثى .. ما هى نصيحتك للادباء الشبان وكذلك للصحفيين الشبان ؟ ..

قال : النصيحة الخالدة .. على الاديب ان يظل ينحت الصخر باظافره .. وعلى الصحفى ان يقرأ ويقرأ ويقرأ الى ان يصبح مثل دائرة معارف ..

وعندما قام ليودعنى ادركت قيمة ما قاله الدكتور مؤنس ان محسن محمد محبوب من جميع الناس - وفى المقال سر هذا الحب ..

●



أدمع الذكرى

• محمود المتريس •

شآبيبُ دمع ... عَسَلٌ قلبي بها يَبْرَا
ويسلو غراما .. ضَلَّ في تيهِهِ عُمْرا

غرام شقى .. عاشَ في روضةِ المُنى
فروّع في أفيائها الطيرَ والزّهرا

خمائلُ كانت تلهمُ الطيرِ شدوَه
وينفثُ فيها الزّهر من عرْفهِ سِحْرا

أتاها ... وفيها اللّحن والعِطْر والشّدى
وخلّفها ــ من طول ما روّعت ــ قفْرا

غرامٌ ... تغشّى القلبَ في ليلة لها
على الدّهرِ ذكرى .. لا يمل لها ذِكْرا

وإنّي ، وإنْ عاتَبْتُ .. لم أنسَ وقفتي
أمام جَمال نارُه تشْعِل الصّخرا

جمال تنزّى بالصّبابات والصّبا
وعربد نَشْوانا بأيّامه السّكرى

على حبه ــ ياقلبُ ــ فارقتُ صحبتي
وأوغلت في وهم .. تجبرَ واستشرى

وبت شباب العُمْر في ربقة الهوى
وكم باتَ رهْن العِشق قبلك من أسرى

وكم كانَ ليل الأسر .. حلوا زمانه
بصحبة حسناء .. توشحت الفجرا

وحتى .. ولما أطلقتك يد الأسى
وددتَ إلى أحضانِه .. عودة أخرى

غرام ... طواهُ العمْر في ميعةِ الصبا
وكان نصيب القلب من أمره خسْرا

ومن عجب مازال يَهْتف لطَيفه
فيرقبُه سرا ، وينكِره جهْرا

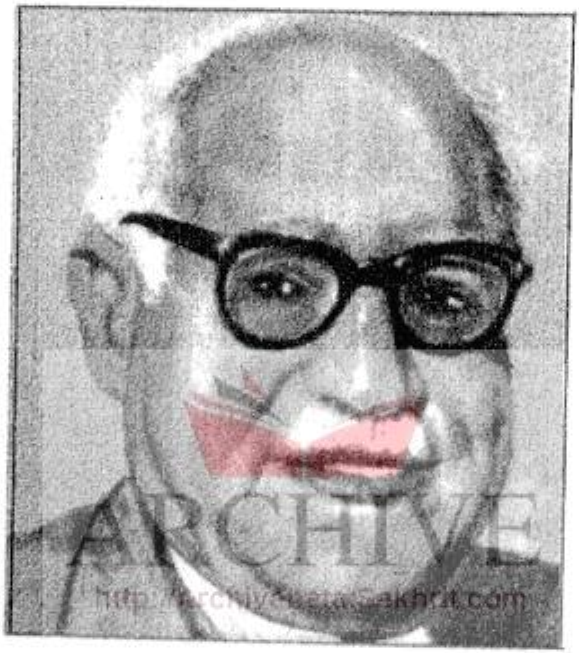
يكادُ من الوَجْد العتيّ ... يقودُ لي
إلى قدَر في الحبّ .. لا يرحم القدرا!

حنانيكَ قلبى ... ما لهاتيكَ عودة
ولو زدْت صبرَ اليائسينَ بها صَبْرا

فهاكَ دموعي .. علّها تطفىء الجوى
وتمسح من صفحات أشجاننا سطرا!

شخصية الشهر

أحمد حسن الزيات



الميدان الادبي ابتداء من عشرينات هذا القرن ، يذكرك بميداني الادب والشعر في البصرة وبغداد خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين : صراع عنيف بين عدد كبير من الموهوبين · كل منهم يبحث لنفسه عن مكان في عالم الادب

وكما كان الصراع في الماضي يدور بين عبد الحميد الكاتب وعمرو بن سعده وابي نواس وابي العتاهية ، ومسلم بن الوليد - كان يدور في قاهرة العشرينات والثلاثينات بين طه حسين والعقاد والمازني والزيات وسلامه موسى وشوقي وحافظ ، وكل منهم يبحث عن احسن ما عنده ليصل به الى احسن ما يستطيع ··

وسط هؤلاء اختار الزيات الاسلوب الانيق المنمق ··

فهو دائما في بحث عن الكلمة والجملة والسجعة والايقاع · من كل محاسن لغة العرب اختار طريق الحلاوة ، فكان يكتب وكانه يعزف ويؤلف الكتاب وكانه يصنع « مشربية »

أحمد حسن الزيات

صاحب أسلوب

● محمد عبد الغنى حسن ●

قبل ان نمضى فى الحديث عن صاحب « الرسالة » احمد حسن الزيات كاتبا ناثرا ذا « اسلوب » نعتقد ان الحق والمنطق يقضيان علينا ان نعرف رايه فى « الأسلوب » جملة ، وعلاقة الأسلوب بالبيان خاصة ، او بالبلاغة على وجه العموم ..

ولم يحوجنا الصديق احمد حسن الزيات الى أن نلم رايه فى الأسلوب من فصوله المتفرقة ، او مقالاته المتنوعة . فقد اشتمل كتابه المشهور : « دفاع عن البلاغة » على فصل جيد عن «الأسلوب» فيه الغناء عن كل ما قد نتلمسه عنده من الراى فى هذه القضية التى ستفضى بنا الى التعرف على اسلوبه البيانى من خلال بحثه ، كما تعرفنا على الأسلوب عنده من خلال كتاباته ومأثوراته وروائع مقالاته .

وبلغ فصل « الأسلوب » فى كتاب : « دفاع عن البلاغة » للزيات سبعين صفحة كاملة ، وهو فصل طويل جدا اذا قيس بصفحات الكتاب كلها وتبلغ قرابة الثمانين ومائة من الصفحات .

والحق ان الزيات حين كتب عن « الأسلوب » فى دفاعه عن البلاغة انما كان يقصد ان يحدد معالم اسلوبه هو وكان يقصد الدفاع عن مذهبه البلاغى .. ولعله احس — وهو الذكى الهادىء الطبع — ان بعض الناس لم يكن راضيا عن طريقته فى « الأسلوب » ، ولا عن مذهبه فى الكتابة ، وانهم اتهموه بتغليب اللفظ ، وايثار الصنعة ، وترجيح البيان ، فاراد ان يرد عليهم من طريق غير مباشر ، وان يقول لهم : ان الأسلوب الذى اتخذته فى هذا العصر — الذى افسدته السرعة ، وجنت عليه الصحافة ، وابتلاه التطفل — هو الأسلوب العربى المبين ، الذى حام البيانيون والنقاد القدامى حوله ولم يوضحوه ، والموا به خفافا سراعا ولم يحددوه .. الى ان جاء مؤرخنا العبقرى ، وعالمنا الألمعى « ابن خلدون » ، فتحدث فى « مقدمته » المشهورة عن « الأسلوب » حديثا لم يحط به البلاغيون واهل البيان ، فى القرون السبعة التالية للاسلام ..

ولقد تميز فى عصر « الزيات » وقبيل اشتهاره بسنين ، عدد من الكتاب النابهين . فظهر الأستاذ الامام محمد



أحمد حسن الزيات

عبده في لغته التي تحررت من أثقال الكتابة في القرن الماضي ، وظهر محمد المويلحي في نثره المتانق ، وظهر الأمير شكيب ارسلان في بيانه المرسل ، وسلكه المفصل ، وظهر السيد رشيد رضا في ترسله المبين ، وظهر الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد في حرارة بيانه ، وطلاقة لسانه ، وظهر مصطفى لطفي المنفلوطي في أسلوبه الجديد الفريد الذي تفزعت له أسماع الزيات نفسه ، وطه حسين ، ومحمود حسن زناتي وهم لا يزالون شداة علم في الأزهر ، فكانوا يترقبون صحيفة « المؤيد » كل خميس « ليقرأوا مقال المنفلوطي خماس وسداس وسباع ، وطه مرهف أذنيه ، وزناتي مسبل عينيه ، والزيات مأخوذ بروعة الأسلوب ، فلا ينبس ولا يطرف ، وكلهم يودون لو يفقدون أسبابهم بهذا المنفلوطي الذي اصطفاه الله لرسالة هذا الأدب البكر ..» كما يقول الزيات ..

***

وهكذا نرى « الزيات » منذ شبابه الباكر يشغل نفسه بالأساليب ،ويتذوق الجمال في كل جميل منها ، ويصطفى لنفسه و « لرسالته » الخالدة من الكتاب الأصلاء من يرى فيهم فضل بيان ، وفضيلة لسان ، وتفردا في الميدان ..

فيعجب بمصطفى صادق الرافعي منذ ارتفع للرافعي بين العرب صوت ،ويقول عنه في تقدير سليم ووزن حكيم :«رحم الله الرافعي ! لقد كان في الكتاب طريقة وحده ، وحسب الكاتب مزية أن لا يكون لأسلوبه ضريع في الأدب كله . فاذا قيل لك ان الرافعي قديم الأسلوب في التفكير والتعبير ، فاحمل ذلك على الحسد الذي لا حيلة فيه ، او على الجهل الذي لا حكم معه .. أسلوب الرافعي يمتاز بالسلامة والسلاسة والايجاز والعمق . وهذه المزايا نتائج حتمية لاكتمال عدته ، وغزارة مادته ، وصفاء ذوقه ، وذكاء فهمه ... والرافعي كان يقتصد في أسلوبه ، لأنه ينفق عليه من جهده ومن ذوقه ومن فنه ما يجعله أشبه بومضات الروح ، ونبضات القلب ، ونفحات العافية . فهو يفصل اللفظ على قدر المعنى تفصيل « الموضة » الفاشية اليوم ، يقصر ولا يطول ، ويضيق ولا يتسع ، ولكنه — على ضيقه وقصره — يظهر الجسم الجميل على أتم ما يكون حسنا وأناقة . وهو بعد ذلك أسلوب جيد التقسيم ، سليم المنطق الا أنه بعيد الاشارة ، يستسر جماله على القارىء العجلان ، والفهم البطيء . فاذا روى فيه الناقد المتذوق انكشف له في كل كلمة سر ، وطالعته في كل فقرة آية ..

أحمد حسن الزيات
صاحب أسلوب

ويقف الزيات وقفة أخرى مع أسلوب العقاد في « سارة » — وإن كان هو أسلوب العقاد في كل كتاباته — فيقول: « أما أسلوب « سارة » فهو أسلوب العقاد: صريح لا رغوة فيه، جلي لا غبار عليه، مستقيم لا التواء به، يتصل فيه اللسان بالعقل فلا يلغو، ويعتمد فيه القلم على القريحة فلا يهن، على أن العقاد في سارة قد احتفل لأسلوبه، واحتشد لفنه، فجاء من النمط العالي، لا تجد خللا في سبكه، ولا قلقا في اطراده، ولا هنا في منطقه، ولا سقطا في ألفاظه ولا شططا في معانيه .. »

***

وأسلوب أحمد حسن الزيات في مترجماته هو أسلوبه في محرراته وموضوعاته. فالطابع العام للأسلوب المتميز المتفرد هو واحد في الحالين: التأليف والترجمة، الا ما تقضي به ضرورات الترجمة مما يقيد المترجم بالأصل، ويربط المعرب بالنص.

وحين ترجم الزيات في سنة ١٩٤٠ قصائد وأقاصيص « من الأدب الفرنسي » مضى في العمل من أوله الى آخره لم يكشف لنا عن منهجه، ولم يوضح لنا أسلوبه في الترجمة. ولكنه حين أعاد نشر ذلك الكتاب في سلسلة « كتاب الهلال » مارس سنة ١٩٦٢ تحت عنوان جديد هو: « ضوء القمر وقصص أخرى » صنع للكتاب مقدمة أبان فيها عن مذهبه وأسلوبه في الترجمة، الذي جمع فيه بين مذهب يوحنا بن البطريق من ناحية، ومذهب حنين بن اسحاق من ناحية أخرى، فقال ان المذهب الذي اتبعه هو توفيق بين المذهبين: « فأنا أنقل النص الأجنبي الى العربية نقلا حرفيا، على حسب نظمه في لغته، ثم أعود فأجريه على الأسلوب العربي الأصيل، فأقدم وأؤخر دون أن أنقص أو أزيد، ثم أعود ثالثة فأفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم، والمجاز المطابق والنسق المنتظم. فلا أخرج من هذه المراحل الثلاث، الا وأنا على يقين جازم بأن المؤلف لو كان كتب قصته أو قصيدته باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة .. »

وحديث الزيات عن « الأسلوب » لا يرجع الى اللفظ وحده، أو الجمل وحدها، ولكنه يرجع — كما عبر ابن خلدون في المقدمة ونقله الزيات في دفاعه عن البلاغة — الى « صورة ذهنية للتراكيب » .. « وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب، باعتبار الاعراب والبيان، فيرصها فيه رصا، كما يفعل البناء في القالب، والنساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة .. »

ومن هنا كان الاسلوب عند « الزيات » فكرة وصورة ذهنية معا، وليس هو — كما توهم المتوهمون — سرد ألفاظ لاتسفر عن معنى، وحشد أسجاع لا تؤدي الى غرض: أو هو — كما وضحه بعد قليل من ايراده كلام ابن خلدون — طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الالفاظ، وتأليف الكلام. وهذه الطريقة قد تختلف عند كاتب أو شاعر، كما تختلف عند الشاعر أو الكاتب نفسه باختلاف الفن من القول الذي يعالجه، والموضوع الذي يتناوله، والشخص الذي ينطق بلسانه .. أو

● كان الزيات منذ شبابه الباكر يشغل نفسه بالأساليب، ويتفوق ويتذوق الجمال في كل جميل منها، ويصطفي لنفسه ولرسالته الخالدة من الكتاب الأصلاء من يرى فيهم فضل بيان، وفضيلة لسان، وتفردًا في البيان

ينطق منه .

***

واذا كان « الأسلوبيون » العرب قد غالوا فى تغليب الجانب اللفظى حتى كادوا يهملون « الفكرة » أو ينقصون من قدرها فى تكوين قوام الأسلوب ، فان « الزيات » قد جمع بين اللفظ والمعنى جمعا لا مفر منه ، وأوضح ان العلاقة بينهما كالعلاقة بين الروح والجسد ، فلا وجود لأحدهما بغير صاحبه ، لأن الأسلوب ـ كما يرى الزيات ـ هو الهندسة الروحية لملكة البلاغة ، والبلاغة التى يعنيها « الزيات » هى التى لا تفصل بين العقل والذوق ، أو بين الفكرة والكلمة ، او بين المضمون والشكل ، وهل يجوز الفصل بين الروح والجسد ؟

وما أصدق « الجرجانى » فى دلائل اعجازه وهو يقول : « فاذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا ، او يستجيد نثرا ، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق ، وحسن انيق ، وعذب سائغ ، وخلوب رائع ، فاعلم انه ليس ينبئك عن احوال ترجع الى اجراس الحروف ، والى ظاهر الوضع اللغوى ، بل الى امر يقع من المرء فى فؤاده ، وفضل يقتدحه العقل من زناده .. »

واحتفال الزيات باللفظ ، ومبالغته فى التأنق ، واسرافه فى حلية الشكل هو مظهر من مظاهر مفهومه للاسلوب على انه « فكرة وصورة » . فهو يحاول فى كل ما يكتبه أن يبرز الجانب اللفظى للبيان دون اغفال للجانب المعنوى ..

ويتضح ذلك فى بحوثه ودراساته الأدبية والنقدية ، مثلما يتضح فى مقالاته وخطراته . فاقرأ له كتابه فى تاريخ الأدب العربى ـ وهو كتاب دراسة وبحث مثل كتاب جرجى زيدان فى آداب اللغة ، وكتاب الشيخ الاسكندرى وزميله وعنوانه « الوسيط » فى الأدب العربى وتاريخه وغيرهما من كتب التاريخ الأدبى ـ فانك تجد فيه أسلوب الزيات واضحا متميزا . واقرأ له كتابه : « فى أصول الأدب » ـ وهو محاضرات ومقالات فى الأدب العربى ـ تجد احتفاله بالأسلوب هنا كاحتفاله بالأسلوب فى مقالاته الأسبوعية بالرسالة ، وكاحتفاله بالترجمة والتعريب لجوته فى « آلام فرتر » ولجى دى موباسان فى « ضوء القمر » وغيرها ، ولألفونس دوديه فى « النجوم » وللامارتين فى « البحيرة » و « المساء » و « الوادى » وغيرها ، ولشاتو بريان فى « مغرب الشمس فى البحر » ..

***

وقد بلغ من احتفال الزيات بالفاظه وجمله فى كتاباته ومترجماته أنه كان يستجلب الألفاظ المعجمية الفصيحة ذات الرنين الخاص والبنية الخاصة ، ويضعها موضع الألفاظ المألوفة الجارية

على الألسنة ، حتى ليخيل اليك أنه يتفصح ويكاثر بحصيلته اللفظية ،وحتى ليضطر فى كثير من الاحيان الى أن يشرح هذه الألفاظ المجتلبة فى هوامش كتبه ، دون أن تدعو حاجة اليها • أو تقوم ضرورة لها •• وقد احتشدت رواية « آلام فرتر » ــ وهى مترجمة ــ بعشرات وعشرات من الألفاظ الغريبة غير الدائرة على الألسن ، والمودعة بطون المعاجم اللغوية • واضطر هو الى تفسيرها فى الهوامش مثل : مركوم ، نزية أى جدة ، يتصافقون ــ أى يتبايعون ، المندية أى المخجلة ، رجل أصحر القلب أى ظاهر السريرة ، عرسوا بالمكان أى اقاموا به ، السورة أى الحمية ، العيش الرفيغ ــ بالغين المعجمة ــ أى الواسع الطيب ، فتاة موقورة الأذن أى ثقيلة السمع •••

وما اليها ، من مئات الكلمات التى تبدو غريبة على الأسماع ، غير مالوفة فى الاستعمال ، ومجافية لمقتضيات البلاغة من محاولة الافهام ••

وعذر الزيات فى ذلك الميل اللغوى، والتجه اللفظى أن العصر الذى ترجمت فيه « آلام فرتر » وصدرت فيه فى ربيع سنة ١٩٢٠ كان عصر التفاخر والتكاثر بالمحصول اللغوى المعجمى ، وعصر تنادر بكل غريب من الألفاظ •• فالشيخ عبد العزيز البشرى ، ومحمد صادق عنبر ، والرافعى ، والأمير شكيب ارسلان ، والشيخ حمزة فتح الله ، والشاعر محمد حافظ ابراهيم يصنعون ذلك ، ويرصعون به مقالاتهم أو كتبهم ، ولا يجدون فيه حرجا ، بل يرون فيه احياء للدفين ، واستعادة للمكنون •

وتصادفنا عند حافظ ابراهيم فى ترجمته «للبؤساء» كثرة من تلك الالفاظ الغريبة التى اخذ بعض الكتاب يتحررون منها بعد ذلك •• بل وجدنا « الزيات » نفسه ــ فى مقالاته ومترجماته المتاخرة ــ يلفظها من معجمه ، ويضع مكانها الفاظا مانوسة مالوفة ••

وقد آثر الزيات فى أسلوبه طريقة المزاوجة فى الجمل ، والازدواج فى الفواصل ، فى غير سجع تارة ، وفى سجع غير متكلف ولا متصنع تارات ، وقد يختم السجعات المتتالية بفاصلة غير مسجوعة ، فيحس القارىء انها فاصلة مقطوعة ، كقوله فى مقال كيف نعالج الفقر : (انهم ان يفعلوا ذلك لا يجدوا فى البيوت عائلا ، ولا فى الطريق سائلا، ولا فى السجون قاتلا ، ولا فى المواخير ساقطة !) •

وكقوله فى مقال الأمل : « فبين روح الله المؤاسى ، ومدد الرجاء الآسى ،تندمل الجفون القريحة ، وتلتئم القلوب الجريحة ،وتنتعش الجدود العاثرة » • فانت تحس أن الفاصلتين : « ساقطة » و « العاثرة » قد نبا بهما الموضع عما قبلهما من سجعات ••

وللزيات عذره حين يسجع فيما يؤلفه من الكلام ، ولكن ما عذره حين يترجم قصيدة أو قصة فيلجا الى السجع أليس ذلك أثرا من آثار تاثره بمذهبه فى البلاغة ، ومنهجه فى الاسلوب سواء أكان مؤلفا أو مترجما ؟!

❀❀❀

ويعتمد احمد حسن الزيات فى اسلوبه الأنيق الرشيق على الاثارة والتاثير والتصوير ، سواء أكان فى احدا المواقف، أم احد العواطف •• فاذا تحدث عن عطل مجتمعاتنا من الانس بحضور المراة ، اثارك بقوله من مقالة « العيد » ــ • « فاذا لم تصبح المراة فى البهو عطر المجلس ، وعلى الطعام زهر المائدة ، وفى الندى روح الحديث ، وفى الحفل مجمع الافئدة ، فهيهات ان يكون لنا عيد صحيح ، ومجتمع مهذب ، وحياة طيبة ، واسرة سعيدة •• » •

واذا تحدث عن حزنه ولوعته بفقد ولده « رجاء » فى ربيع ١٩٣٦ اثار

● احتفال الزيات باللفظ ، ومبالغته في التأنق وإسرافه في حلية الشكل - هو مظهر من مظاهر مفهومه للأسلوب على أنه "فكرة وصورة" يحاول في كل ما يكتبه أن يبرز الجانب اللفظي للبيان دون إغفال للجانب المعنوي.

احزانك معه بقوله : « يا جبار السموات والارض رحماك ! الى مثل خفقة الوسنان تبدل الدنيا غير الدنيا ، فيعود النعيم شقاء ، والملاء خلاء ، والأمل ذكرى ؟! الى مثل تحية العجلان يصمت الروض الغرد ، ويسكن البيت اللاعب ، ويقبح الوجود الجميل ؟ »

والوجازة هي هدف الزيات حين يكتب وغايته حين يسترسل ... ففقراته وجيزة لا يملها طول ، ومقالاته وجيزة لا يعيبها سرف ، وحتى رسائله الخاصة تبلغ في القصر حدا لا يدانى · وكذلك حديثه في الندوة كحسوة الطير لا يطول ولا يمل ..

وأذكر من رسائله ما بعث به الى في آخر سنة ١٩٤٩ : « صديقي محمد عبد الغني حسن ! سيصدر عدد الرسالة الممتاز في أول يناير ١٩٥٠ ، فارجو ان يزدان صدره بقصيدتك المعتادة · والله يحفظ على مودتك ، وييسر لي رؤيتك » ، وما بعث به الى قبل ذلك بعام يقول : « صديقي .. أرجو الا تحرم قراءك من كلمة تنشر في عدد الرسالة الممتاز الذى سيصدر في أول يناير سنة ١٩٤٩ · ولك التحية الخالصة ، والمودة الصادقة »

وأذكر ان مكاتبات كثيرة دارت بيني وبين كثير من أدباء مصر والعالم العربي من امثال أنطون الجميل ، وعزيز أباظة ، وعلى الجارم ، وجورج صيدح ، وجعفر الخليل ، والعلامة عبد الحسين الأميني ، وسيد قطب ، وعبد الرزاق الهلالي ، واحمد زكي أبو شادى ، ووحيد الدين بهاء الدين ، وزكي مبارك ، ومصطفى عبد الرازق ، وعيسى الناعورى ، ووديع فلسطين ، فما وجدت أكثر من صديقي الزيات وجازة في الكلام كادت تكون ضنا .. !

***

وللزيات أسلوب في النقد ناعم لا يجرح ، رقيق لا يدمى · أراد مرة في مقال له أن ينقد المهندسين لتقاعس فيهم فقال : « ولكن مهندسينا كسائر اهل الفكر فينا ، لا يعملون الا للعيش ! فاذا ضمنوه هدهدوا كسلهم الرخي اللذيذ على كرسى العمل الدوار في المكتب ، او على كرسى الهضم الهزاز في المنزل » ·

وأراد مرة أن يكتب عن كتاب «عبقرية محمد» للعقاد ، وان ينقد فيه سهوا حدث من كاتبنا العبقرى ، فقال : «ولولا ان العقاد أدركه نسيان الانسان ، فأراد غار ثور ، وكتب غار حراء ، لقلت ان كتابه قبس من الوحى نزل عليه من السماء .. »

وقد ميز الزيات اسلوبه بترصيع كتاباته ومقالاته بنوادر أدبية ، وطرف تاريخية ، تأتى في كلامه كأنها ارتداد الى الأصل القديم الذى كان يعتز به صديقنا الراحل متحدثا معنا تحت ظلال الكافورة .. في مدينة المنصورة على شاطىء النيل من فرع دمياط ، او مؤنسا لنا في ندوة صديقنا الكبير « محمد توحيد السلحدار » التي كان يتردد عليها معنا الأساتذة الشيخ حلمى طمارة والشيخ زناتي ، والوزير محمد حلمى عيسى ، والدكتوران عثمان امين وفؤاد الأهواني رحمهم الله ، والأصدقاء احمد رمزى السفير المؤرخ ، واحمد بدوى الزميل المجمعي ،وعلى أدهم الأديب الناقد أطال الله حياتهم ، ونفع بهم على القرب والنأى ، وعلى الحل والمرتحل ..

الزيات

مذهبه فى الأدب

• د. محمد عبد المنعم خفاجى •

– ١ –

فى صباح الخميس الثالث عشر من يونيو عام ١٩٦٨ ،والسابع عشر من ربيع الاول عام ١٣٨٨ هـ ، اى منذ اثنى عشر عاما ، وعن ثلاث وثمانين سنة ، – توفى الزيات ، احد رواد الادب الحديث واعلامه . وكان ميلاده عام ١٨٨٥ فى قرية كفر دميرة القديم مركز طلخا بمحافظة الدقهلية ، وبين المنصورة وطلخا ودمياط عاش الفتى الصغير يطلب العلم ويجلس الى حلقات العلماء ، وقدم القاهرة ، ودرس فى الأزهر ، وتتلمذ على سيد بن على المرصفى ، كما تتلمذ عليه طه حسين وزكى مبارك وغيرهما من اعلام العصر .

وقد وجهه المرصفى صوب الأدب وأغراه بقراءة كتب التراث ، وحبب اليه قراءة نهج البلاغة ومقامات البديع والحريرى ، والتزود بادب ابن المقفع والجاحظ وابن عبد ربه والمبرد وغيرهم من أئمة الادب ، وطبعه كذلك حفظه للقرآن الكريم منذ صغره على الأسلوب العربى البليغ ، وكان هو وطه حسين والزناتى أصدقاء الشباب والثقافة والادب فى الأزهر وخارج اروقة الأزهر .

أخذ يتصل بالبيئات الادبية خارج الأزهر ، فعكف على قراءة المنفلوطى وتأثر بمذهبه فى الادب والبيان تأثرا كبيرا ، كما قرأ لغيره من أدباء العرب والمهجر الأمريكى ، ولكن تأثره الشديد كان بمصطفى لطفى المنفلوطى ، الذى كان يشبهه فى النشأة الادبية الى حد كبير .

ومن مصطفى لطفى المنفلوطى أخذ الزيات العناية الشديدة بأسلوبه ، والحرص الشديد على أن يكون طابع أدبه رومانتيكيا ، وأن تكون نزعته فى الأدب رومانسية المذهب والأسلوب ، ثم تعلم الفرنسية ، وطالت قراءاته لأدبها وأدبائها ، فزادت نزعته الرومانسية وضوحا وجلاء ، وظهر هذا الطابع فى كتاباته فى كتاب « تاريخ الأدب العربى » الذى أصدره عام ١٩١٦ وفى ترجمته لكتاب آلام فرتر لجوته (١٩١٩) ثم لكتاب رفائيل للامرتين بعد ذلك ..

ويسأله غير واحد : لماذا ترجمت « آلام فرتر » ويجيبهم عن هذا السؤال فيقول فى وصف نفسه : « شاب طرير حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية ، وطبيعة المجتمع فى دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده ، واحساس مشبوب يتوقد بالجمال ، وقلب غريب يتحرق ظمأ الى الحب ، فالطبيعة فى خيال شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ،



احمد حسن الزيات

وكان فهمى لكل شىء ، وحكمى على كل شخص ، يصدران عن منطق السد اليسته الخيال ، وتزور نتائجه المثل الأعلى . ثم فجر هذه الحال التى وصفت هوى دخيل ، فسبحت منه فى فيض سماوى من النشوة واللذة ، واحسست ان وجودى الخيالى قد امتلأ ، وقلبى الصادى قد ارتوى ، وحس الشاعر قد سكن . ورحت أسلك هذا الطريق السحرى محمولا على جناح الهوى ،حتى ذكرنى الزمن الغافل ، فاقام فيه عقبة اصطدم الخيال بالواقع . فلما قرات « آلام فرتر » سمعت نواحا غير ذلك النواح ، ورايت روحا غير هاتيك الأرواح واحسست حالا غير تلك الحال .

●●●

وفى الوظيفة كان عمل الزيات فى مدارس الفرير بالخرنفش يصله بالادب الفرنسى ، وكان محببا اليه أن يقرأ اعلام الأدباء الفرنسيين من ذوى الميول الرومانسية ، وترجم حكيم لامرتين شعرا ،ونال الليسانس من كلية الحقوق جامعة باريس عام ١٩٢٥ وسافر الى بغداد عدة أعوام أستاذا فى دار المعلمين العليا ،ثم عاد ليعمل فى الجامعة الامريكية فى القاهرة ، واصدر كتابه دفى أصول الأدب ، واخذ يفكر فى اصدار مجلة الرسالة ..

وفى الخامس عشر من يناير ١٩٣٣ تحقق الحلم وصدرت الرسالة ، وكتب فيها كبار الكتاب والادباء والشعراء والنقاد والعلماء ، ولم تلبث أن اصبحت مدرسة ادبية كبيرة ، يلتف حولها شيوخ الادباء ، كما يلتف حولها الشباب وكانت الرسالة بمثابة حلم جميل ينساب شعرا وسحرا فى أخيلة الشباب ، وكنا ننتظر يوم الاثنين من كل أسبوع ، على أحر من الجمر ، لنتلقف الرسالة ولنقرا لكتابها وكنا نبعث اليها بآرائنا فى الأدب والشعر والنقد فتنشرها وتنوه بها ..

وكان كذلك للرسالة صداها العميق البعيد فى مختلف أنحاء الوطن العربى ، وتلاقى شباب الأمة العربية وشيوخها على صفحاتها على كلمة سواء اخوانا متحابين ، وقد استمرت الرسالة فى الصدور عشرين عاما ، ثم احتجبت عن القراء فى الخامس عشر من فبراير عام ١٩٥٣ ، ورثاها الزيات فى أهرام ٢٣ من فبراير عام ١٩٥٣ بمقال عنوانه « الرسالة تحتجب » ، وفى ٢٥ من يوليو ١٩٦٣ عادت الرسالة الى الصدور من جديد باشراف الزيات وكانت فى هذه المرة تصدر من قبل وزارة الثقافة ولكنها احتجبت بعد قليل .

الزيات .. مذهبه فى الأدب

– ٢ –

جمعت مقالات الزيات في صدر الرسالة فى كتاب بعنوان « وحى الرسالة » نال عليه جائزة من الدولة عام ١٩٥٣ ، لما تضمنه من مذهب ادبى جديد يقوم على :

١ – تطعيم الفكر العربى الحديث بآثار الفكر الغربى .

٢ – العودة بالبلاغة العربية الى طابعها العربى الاصيل الاول الذى يتمثل فى نهج البلاغة ورسائل ابن المقفع والجاحظ واضرابهم ، ويتحلى بالايجاز ، ورصانة الفواصل وقصرها ، وجمال اللفظ ووقع موسيقاه الساحر .

وقد نال عام ١٩٤٨ عضوية المجمع اللغوى فى القاهرة ، بجانب عضويته فى المجمع العلمى العراقى ببغداد ، والمجمع العلمى العربى فى دمشق ، وعضويته فى المجلس الأعلى للفنون والآداب فى القاهرة ونال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٢ فى الآداب ، وصدر له بعد ذلك بعام كتابه « فى ضوء الرسالة » .

لقد كانت الرسالة مدرسة أدبية متميزة ذات مذهب أدبى واضح ، يعمل على وصل الجديد بالقديم والشرق بالغرب ، والاصالة بالتجديد ، وعلى بعث الفكر الاسلامى بعثا جديدا ، وعلى العناية بالاسلوب وجعله صورة للذوق الرفيع ، والطبع الساحر . وكان الزيات ينشر فيها بين الحين والحين مقالات عاصفة ، من مثل مقالته « يا رياح الخريف هبى » (عدد اكتوبر ١٩٥١) ، ومقالته : « ثوروا على القصر قبل أن يثور » ، ومقالته « فلاحون وأمراء » التى نقد فيها الطغيان السياسى نقدا لاذعا ، ومقالته « عهد وأى عهد » (عدد ٢٦ من نوفمبر ١٩٣٤) .

ويروى الزيات فى بعض مقالاته ثلاث قصص من حياته : قصة حبه لزميلته الفرنسية فرناند ، وقصة حبه للحسناء المصرية التى تزوجها بعد ، وقصة حبه للفتاة العراقية لورا .

وكان الزيات أحد معالم المنصورة فهو يسافر اليها كل اسبوع ، ويجلس على شاطىء البحر الصغير فى مقهى جميل ، ومعه اصدقاؤه من الادباء والشعراء والنقاد وكان هذا المجلس المتميز يثير قضايا الفكر والادب والنقد المتجددة التى تحملها الرسالة كل اسبوع ...

وكم تحدث الزيات عن الحب والجمال والطبيعة فى المنصورة ، ومن قصصه القصيرة قصته « رجلان وامرأة » التى نشرت فى مجلة الرواية التى كان يصدرها الى جانب مجلته « الرسالة » ، وكانت مدرسة فى فن القصة ، وبخاصة القصة القصيرة ، ومن قصصه فيها : قصة « الحب الأول » التى صور فيها حبا قديما له وهو صبى فى الريف .

●●●

وكان الزيات بحكم طابعه الرومانسى يحب الطبيعة حبا كبيرا ، ويحب من أجلها الريف ، وكم كتب عن الريف بكل أحلامه وآلامه ، ومن قصصه التى كان ينشرها فى « الرواية » قصص تموج بصور الريف وبالحياة فيه بأحزانها وأشواقها ، وبطبائع الريف وعواطف الريفيين ونفسياتهم ، ومن بينها قصة « جلاد الشيطان » حيث نرى بطل القصة ينتظر حبيبته على أحر من الجمر ، ويقنع ان لم يرها برؤية اى شئ يتصل بها بسبب ، ككلبها الرابض على عتبة الباب او حمارها الذى يتمرغ فى التراب ... وفى بؤس الريفيين فى ظلال الاقطاع كتب مقالاته عن الثالوث الرهيب : المرض والفقر والجهل ..

ومن « وحى الرسالة » فى اجزائه الاربعة ، الى « دفاع عن البلاغة » كان الزيات موصول الفكر بالمنفلوطى وببديع الزمان الهمدانى وبالحريرى .

وعاد الى رصانته الأسلوبية من جديد فى مقالاته فى صدر مجلة الأزهر التى



تولى رياسة تحريرها بعد قيام ثورة يوليو بأعوام قصار .

ومذهب الزيات فى البلاغة والبيان مذهب الصائغ الماهر ، الذى يتخير لكلامه ما شاء له ذوقه ان يتخيره من لفظ رفيع ، وخيال بديع ، وتصوير بليغ . ويكاد يرجع بأسلوبه البيانى الى مدرسة البديع ، فجعله موقعة ومصبوغة بأصباغ كثيرة من الحلى الجمالية البارعة .

والصدق فى الفن هو سر بلاغته عند الزيات ، وهو فى الادب وضع اللفظ فى موضعه ، ووصف الشيء بصفته ، ومطابقة الكلام لمقامه ..

والجمال عند الزيات يرتبط بالذكاء والقوة والوفرة ، والذكاء عند الزيات مرادف للحرية عند العقاد ، لكل منهما يرى فى الجمال الطبيعى نظاما دقيقا محكما يعبر عن تلاؤم وسائل الحياة مع غاياتها . وهو كذلك يربط جمال الطبيعة بانطلاقها وحريتها كما فعل العقاد .

والجمال الصناعى لابد له عند الزيات من القيود ، وعلى الفنان العمل على اخفاء تلك القيود ، حتى تظهر فى اعماله السمة الدالة على الطبع والالهام الحر ، ومن ثم رفض نظرية التقليد او المحاكاة فى الفن لان الجمال الفنى عنده اسمى من الجمال الطبيعى .

- ٣ -

ومذهب الزيات فى الحياة له اثره الكبير فى مذهبه فى الادب ، ويقول الزيات من مقال له نشر فى « مجلة الوعى الباكستانية » : عام ١٩٦٠ لكل انسان مذهب فى الحياة ، يبتدىء بأمله ، وينتهى بأجله ، كل نفس من انفاسه خطوة عليه ، وكل دور من عمره مرحلة فيه ، فالمذاهب تختلف باختلاف الناس فى الطينة والبنية والوراثة والبيئة ، ومن الخير للبادئين الناشئين من الشباب ان يطيلوا النظر فى مذاهب المنتهين من الشيوخ ..

ويقول : ان مذهبه فى الحياة يتميز بالاستقامة والوضوح ، وانه قد الزمه هذا المذهب طبعه الحر المسالم ، لانه منذ حمل نصيبه من اعباء الحياة حاول ان يستقل فى عمله من ارادة الغير ، واستغنى بقدرته عن معاونة الناس . ومن مذهبه : الايثار ، وكراهية الظهور .

ويقول : انه نال شرف الجهاد الوطنى فى الثورتين المصريتين : فكان فى الاولى جنديا مجهولا يكتب المنشورات الثورة السرية للطلبة وهو مدرس فى المدرسة الاعدادية ، وكان فى الاخرى وطنيا معروفا ، يوقظ الوعى القومى ، ويلهب الشعور الوطنى ، ويتحدى ارادة القوى بصلابة الضعيف ..

وكان الزيات يجعل الجمال سبيلا الى الخير ، ودليلا على الحق ، ويسعى فى الحياة بقلب فياض بالشعور وصدر مفتوح الى حب الخير ، وعقل ينبض بالذكاء والقريحة والموهبة .

وتألقت فى شخصية الزيات عبقرية الخلق والابداع الادبى ، تألق عصره بأعلام الادباء والنقاد والشعراء والكتاب وبمواهب العباقرة من لداته واصدقائه من أمثال طه حسين والعقاد وزكى مبارك واحمد امين وعبد الوهاب عزام وأمين الخولى واحمد محرم وعلى محمود طه وابراهيم ناجى وسواهم من الرواد والخالدين

رحمه ورحمهم الله اجمعين ●●



الزيات..

أدى الرسالة كاتبًا ومربيًا

● د. احمد متولى مسلم ●

عندما اصدر احمد حسن الزيات مجلة « الرسالة » كان يهدف الى تجميع وبلورة الفكر العربى ، من خلال جميع اقلام مفكرى العروبة وكان فى ذلك متأثرا بآراء الافغانى ، ومحمد عبده . وصدر عددها الاول فى ١٥ من يناير سنة ١٩٣٣ .

ونشرت « الرسالة » الادب العربى، والظهرت الادباء عشرين عاما متصلة ، ودعت الى التحرر ، وكان منهجها تقريب وجهات النظر ، ورعاية القديم وبعثه ، وتقبل الجديد بعد دراسته ، ومقاومة طغيان السياسة بصقل الطبع وبهرج الادب بتثقيف الذوق ، وحيرة الامة بتوضيح الطريق ، وهاجمت « الرسالة » كل دعوة تنال من العروبة والاسلام ، وحولت التيارات الغريبة الجريئة الى تيارات معتدلة، واوضحت الدين على اصح وجه ، وجددت اللغة وطورت الادب ، ووجهت الاصلاح .. وتوقفت الرسالة فى ٢٥ من فبراير سنة ٥٣ وبعد عشر سنوات عادت الى الظهور ولم تستمر طويلا ، توقفت بعد سنتين

وقد اصدر الزيات الى جانب « الرسالة » مجلة « الرواية » ،وكانت مدرسة فى فن القصة القصيرة .

وقد تزوج الزيات مرتين ، ونال جائزة الدولة سنة ٥٣ ، والجائزة التقديرية سنة ٦٢ . وكان عضو المجمع اللغوى ، ورئيس تحرير مجلة « الازهر » ..

وتوفى الزيات سنة١٩٦٨ وترك ثمانية كتب هى : آلام فرتر — روفائيل — تاريخ الادب العربى — فى اصول الادب — دفاع عن البلاغة — مختارات من الادب الفرنسى — فى ضوء الرسالة وحى الرسالة فى اربعة اجزاء .

● صفاته من كتاباته ●

كان الزيات هادئا وقورا .. لم يكن عنيفا كالعقاد ، ولا ثائرا كطه حسين، وكان ادبه صورة لطبيعته:بلاغة ازهرية وثقافة فرنسية ، واسلوب انيق منمق، الكلمة فيه توزن بجوار الكلمة، والجملة ترص بعناية بعد الجملة ، والمعنى يؤدى باقتصاد مهذب ، مع المحافظة على موسيقى الايقاع .

وسنلقى نظرة على ادبه ، فى محاولة لادراك صفاته ، وتكوين شخصيته .

يقول الزيات فى كتابه « فى اصول الادب » سنة ٢٨ ان اسباب نجاحه فى التدريس خمسة :

١ — مواصلة الدرس وادمان النظر: فلم اترك كتابا فى المواد التى ادرسها حتى تقصيته او المت به ، واستفدت

منه ، وكان جدوى ذلك على وثوق الطلبة بما اقول . وظهور التجديد فيما اعمل ، ولن تجد اشفع للمدرس من سعة اطلاعه وغزارة مادته .

٢ ــ أعداد الدرس واداؤه : وكان يعنيني على الاخص ربطه بالدروس السابقة ، والسير فيه مع الطلاب خطوة خطوة على الطريقة الاستنتاجية ثم تلخيصه بطريق الاسئلة ، فكان من حسن اعداده ان ملات الوقت كله به، فلم يعد فيه فراغ لعبث عابث، ولاتجنى سفيه ، وحررت اليه اذهان الطلاب بالتشويق والتطبيق والسؤال ، فلم يصبهم سأم ولا ضيق .

٣ ــ مسايرة الترقى : فلم اتشبث بالقديم ، ولم أتعصب للكتاب ، ولم امن الا بما له قيمة عملية، فالموضوعات منتزعة من حياة التلميذ ، وحال المجتمع ، والامثلة مستنبطة من اساليب العصر ، والبحث حر فى حدود المنطق، يقوم على اساس التحليل والنقد والموازنة . وفى تشابه الفكرة والنزعة والغاية توثيق الصلة بين المعلم والمتعلم .

٤ ــ حسن الخلق : ولعمرى ما يؤتى المعلم الا من اغفاله هذه الجهة ، فالادعاء والتظاهر ، والكبرياء والتفاخر ، والكذب والتحيز ، والكسل والتدليس ، آفات العلم ، وبلايا المعلم وما استعبد النفس الشابة الحرة كالخلق الكريم ، ولا يسر تعليمها وتقويمها كالقدوة الحسنة .

٥ ــ قوة الحزم : فكنت الين فى غير ضعف ، واشتد فى غير عسف ، واسير بالطالب الى الواجب عن طريق ضميره وحسه لا عن طريق تأنيبه وحبسه ، واجعل رضاى منه غاية ثوابه ، وسخطى عليه غاية عقابه .

وهذا النص يوضح طريقة الزيات فى سبك الالفاظ والجمل، وفى نفس الوقت يدل على قوة الشعور الدينى ، والاتجاه الخلقى ، والميل الى التجديد ، نتيجة لقوة الضمير ، والشعور بالمسئولية ، ونقد النفس ويرجع كل ذلك الى الوراثة والتربيه فى الاسره ، والدراسه فى الازهر ، ثم الجامعه ، والانفتاح على ثقافة الغرب .

***

فاذا عدنا الى حياته الباكرة ، نجده يصف نفسه فى مقدمة ((آلام فرتر)) سنة ١٩ بقوله :

« لماذا ترجمت فرتر » ؟ شباب طرير حصره الحياءوالانقباض والدرس ونمط التربية ، وطبيعة المجتمع ، فى دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده، واحساس مشبوب يتوقد بالجمال ، وقلب غريب يتحرق ظما الى الحب ، فالطبيعة فى خيالى شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ، وكان فهمى لكل شىء ، وحكمى على كل شخص ، يصدران عن منطق افسد اقيسته الخيال ، وزور نتائجه المثل الاعلى . ثم فجر هذه الحال التى وصفت هوى دخيل هادىء ولكنه ملح، فسبحت منه فى فيض سماوى من النشوة واللذة ، واحسست ان وجودى الخالى قد امتلأ ، وقلبى الصادى قد ارتوى . حتى ذكرنى الزمن الغافل ، فاصطدم الخيال بالواقع ، والحبيب بالخاطب ، والعاطفة بالنقمة . فلما قرأت ((آلام فرتر » كنت اقرأ ولا ارى فى الحادثة سواى ، واشعر ولا اشعر الا بهواى ، واندب ولا اندب الا بلواى))

وهذا النص يكشف عن نفس مرهفة الاحساس ، مشبوبة العاطفة ، مشبوبة بالجمال ، تكبتها التقاليد السائدة ، والحياء الشديد .

نعم لم يكن الزيات ــ لشدة حيائه ــ يصرح بحبه لمن يحب ، لكنه يصرح بعواطفه ، ويكشف عن حبه المكبوت على صفحات ادبه وهو فى ذلك يتأثر بالمدرسة الرومانسية الفرنسية المشبعة بالعاطفة والخيال .

شدة حياء .. وموهبة ضخمة .. ودافع قوى الى التعبير وتحقيق الذات كل ذلك زهده فى الوظائف بعد عودته من العراق ، ودفعه الى اقتحام مجال الصحافة واصدار مجلة الرسالة . ولولا ذلك لظلت موهبته فى الظل محجوبة عن الناس .

وعلى قدر ما كان هيوبا فى مواجهة الناس ، كان يفتح قلبه لقرائه ، ويطلعهم

على اسراره ، لم يخف عنهم صبواته الى الجمال ، بل حكى فى مقالاته قصة حبه لزميلته الفرنسية « فرناند » . وقصة حبه للفتاة المصرية التى تزوجها وقصة حبه للحسناء العراقية « لورا » وفى مجلة « الرواية » كتب قصة « الحب الاول » صور فيها اول حب له وهو صبى فى الريف ، وصارح قراءه بأحزانه ايضا . فعندما توفى ابنه الطفل الذى رزق به فى الكبر ، أحس بصدمة شديدة ، ورثاه رثاء موجعا فى « الرسالة » ..

وبسبب صراحته فى الكتابة ، كان يعيب على الكتاب ميلهم الى الرمزية

***

والادب يكشف عن مدى انسانية صاحبه وايمانه ، وقد ضرب الزيات فى كل ذلك مثلا رفيعا . فقد هاجم الاقطاع بعدما لمس بشاعاته فى قريته ، وهاجم الفنى الفاحش ، وطالب بتعليم الشعب ، وسن القوانين لحماية العمال والفلاحين وطالب بتمصير البنوك والمتاجر والمصانع والشركات ليحل فيها المصريون محل الاجانب .

ولم يكتف بالمطالبة بحقوق الفلاح المشروعة، بل دعا الى اشعاره بانسانيته وآدميته ، فالفلاح لا يصلحه تنظيم قريته ، ولاتجميل داره بقدر مايصلحه تربية ذوقه وارهاف حسه .

وقد تميز عصر الزيات بالمعارك الادبية . كان الاديب يصول ويجول ، ويدعو زملاءه الادباء الى المبارزة،ليطير صيته فى الافاق ، لكن الزيات المهذب لم يكن ليلجأ الى هذا الاسلوب،بسبب خلقه اولا ، ولان « الرسالة » حققت له من الشهرة والانتشار ما كان يحلم به . فى كل البلاد العربية وبلاد المهجر، كانت الرسالة تمثل واقع الناس وتطلعاتهم . كانوا يهتدون باشعاعها، ويرتفعون الى مستواها ، وكانت تثار فيها القضية او المناقشة ، فيدور الموضوع على الالسنة والصحف ، فى جميع ارجاء الوطن العربى .

حقا لقد ادى الزيات رسالته على اكمل وجه : كاتبا ، وصحفيا ،ومربيا ومؤرخا لادب العرب .

● حدود الشخصية السوية ●

لو تأملنا شخصية الزيات نجد انها تتصف بالعواطف الجياشة ، وشدة التدين ، والمثالية ، وتحكيم الارادة والمنطق فى الحدس والشعور .. والميل الى التأمل ، والتعمد ، والدقة، والنظام والتأنق ، والحرص على الوقت ، والاقتصاد فى الصحة والمال ، والثبات على المبدأ والهدف .. وتعويض النقص فى المضامين المبتكرة بزيادة المحسنات فى الاسلوب .

وهذا النمط من الشخصية ينطبق على ما يسمى فى الطب النفسى بالشخصية الوسواسية ، وهى لاتخرج عن حدود الشخصية السوية ، بل بالعكس ، هى ميزة كبيرة لاصحابها ، والمجتمع يدين بالكثير من تقدمه ورقيه للشخصيات الوسواسية .. فالرجل منهم يشعر كأنما نذر حياته للقضية التى يخدمها . فاذا اخذ نفسه بأى عمل ، فهو يهتم به . ويضحى من اجله ويصرف فيه جهد طاقته . وتبدو ملامح الشخصية منذ سن مبكرة ، وتستمر طول العمل ، اسلوبا مميزا للحياة ..

ويبدو ذلك بوضوح فى الزيات . عندما طلب العلم سعى اليه فى كل مكان : فى الازهر ، وحلقات المساجد ، فى الجامعة الاهلية ، وفى مدرسة الحقوق ، وفى جامعة باريس .. فى كتب التراث الاسلامية ، وفى الادب الفرنسى . واستقاء بالافغانى ومحمد عبده . ورسمت كل هذه المشاعل طريقه.

وعندما بدأ يكتب كان موسوسا فى اختيار الالفاظ ، وسبك الجمل ،

وتعويض ضعف المعنى حيث يسكون بحلاوة الاسلوب .

وعندما فكر في اصدار « الرسالة » لم يجد تشجيعا من صديقه طه حسين «فزاده ذلك عنادا واصرارا». واستمر عشرين عاما يكافح في سبيل العروبة والاسلام ، وتجديد اللغة ، وتطوير الادب ، وتوجيه الاصلاح . وعن طريق « الرسالة » انشأ جيلا من الادباء تزعم النهضة الفكرية ، وأثار النفوس على الفساد والاستبداد والتخلف ، وارسى معاني الحرية والديموقراطية، والعدالة والقومية ..

وعندما كتب تاريخ الادب العربي في اكثر من خمسمائة صفحة ، ضمنه تاريخ الادب من العصر الجاهلي الى العصر الحديث ، واستوعب فيه أهم من عرفت العربية من كتاب وشعراء ، وصف اعمالهم ، وقومها ، واختار نماذج منها ، وبلغ الغاية في تحضير المادة ، وتنظيم البحث ، وتوخي الدقة، وتحري الصواب .

واحتجبت « الرسالة » من قرائها في فبراير ٥٣ ، غابت عشر سنوات ، وعاد الزيات في الرابعة والسبعين من عمره يجدد العهد لقرائه المخلصين ان تكون « الرسالة » في هذا العهد كما كانت في عهد الاقطاع البائد ، مستقلة الرأى ، حرة الكلمة ، لا تستعين بغير الله ، ولا تستلهم غير الحق ، ولا تمالق شهوات العامة ، ولا تمالىء نزوات الخاصة ، ولا تميل عن مكانها الوسط، لا يمنة ولا يسرة ، فان اليمين والشمال مضلة ، والطريق الوسطى هي الجادة، عليها باقي الكتاب ، وآثار النبوة ...

وفي الحق كان الزيات ــ شخصيته وادبه وعلمه ــ من اعظم قادة الفكر في الوطن العربي في القرن العشرين .

امنية ليتها تتحقق

منذ سبعة عشر عاما قرأ الزيات خبر وفاته في صحيفة « البلاد السعودية ». قال الخبر : « نفقد العالم هذا الشهر ، يوليه ٦٣ ، اديبين كبيرين . هما ارنست همنجواى ، وأحمد حسن الزيات . وقرأ مرثية كتبها احد الشعراء في نفس الصحيفة يقول في مطلعها :

لم يكن ما ينشر الزيات شعرا
كان فوق السحر والشعر .. كان حياة !

وظن اصدقاؤه انه سيتشاءم من الخبر الا ان الزيات ارسل برقية شكر للجرائد التي نشرت خبر الوفاة في صفحتها الاولى ، ثم عادت فنشرت تكذيبا للخبر وعلق الزيات على الموضوع : ما اجمل ان يعرف الانسان ــ وهو على قيد الحياة ــ ان الناس تقدره بعد وفاته !

هل تحققت امنية الزيات ؟
اين الكتب التي كتبت عنه ؟

انك لتقرأ الكتاب الضخم في الادب المعاصر فلا تجد عن الزيات الا سطورا قليلة ، لا تفي حق رائد كبير من رواد الفكر ، فتح الابواب ، وكشف المجاهل وتخرج على يده جيل كبير من الكتاب والشعراء ، لا من مصر وحدها ، بل من الوطن العربي كله ، واسهم في خلق رأى عام عربي يحتفظ بالتراث ويحتضن الجديد ..

وتفتح « الموسوعة الثقافية » التي تقع في أكثر من الف صفحة ، فلا تعثر على كلمة واحدة عنه .

وليس الذنب ذنب المؤسسة التي اصدرت الموسوعة ، بل ذنب الاساتذة المصريين الذين اختارتهم لتاليفها ، واذا بهم لم يسمعوا عن مدرسة « الزيات » التي لا يقل تلامذتها عن تلامذة المدارس الضخمة التي كانت للفحول الكتاب ، امثال ابن المقفع ، والجاحظ وابن العميد ..

ياليت امنية الزيات تتحقق !

الزيات واللغة

• محمد شوقى امين •

١ ــ اعرض فى هذا الفصل صوت فقيد اللغة والأدب الاستاذ • « احمد حسن الزيات » احد الخالدين اعضاء مجمع اللغة العربية المصرى ، حول اللغة المعاصرة • و « الخالدون » لقب اطلق منذ قرون على اعضاء المجمع اللغوى الفرنسى ، وفيما قرات ــ أو سمعت ــ ان ليس المقصود باطلاقه خلود اصحابه، بل المقصود خلود كراسيهم التى لا يشغر منها كرسى الا امتلأ بخلف ممن كان يحل فيه •• ولعل « الزيات » نفسه كان يلمح الى هذا المعنى حين قال فى تأبين زميل مجمعى له : « ان المجمعيين كالانواء فى السماء ، كلما سقط نجم منها فى الغرب ، طلع بحياله نجم آخر فى الشرق فلا يزال العالم الادبى منهم فى ضوء مستمر ، وغيث متصل » •

عرفنا « الزيات » كاتبا ــ كما وصفه الدكتور « محمد مهدى علام » ــ : « رصين الأسلوب ، يعرف للألفاظ حقها ويضن بالفكرة الا تكتسى الثوب التعبيرى الدقيق الذى يليق بها » • فهو من تلك الصفوة التى ازدان بها العصر الحديث أمثال « محمد المويلحى » و «المنفلوطى» و « الرافعى » و « صادق عنبر » و « حسن القاياتى » و « طه حسين » أولئك الذين حرصوا كل الحرص على سلامة اللفظ ، وجودة التركيب ، وأعادوا الى البيان العربى ما كان له فى عصر ازدهار الفصحى من صفاء وروعة •

ولقد كان ذلك بعض ما حدانى سنة ١٩٣٨ ــ وسامحنى الله ــ على أن أتصدى « للزيات » فى احدى فواتحه بمجلته « الرسالة » وكانت تحمل ــ فيما أذكر ــ عنوان : « الطفولة المعذبة » • فنشرت نبذة فى صحيفة « البلاغ » عنوانها « زيف البيان » ، أوردت فيها عشر كلمات عددتها مآخذ لغوية تجرى بها أقلام الكتاب ، وكان من بينها ــ اظن ــ كلمة « التكاتف » بمعنى التعاون والتناصر ، وكنت لذلك العهد متأثرا فى تحرير الألفاظ بما أفاض فيه النقاد المتزمتون من أمثال « ابن قتيبة » و « الزبيدى » و « الحريرى » قديما ، و « ابراهيم اليازجى » و « أسعد داغر » و « محمد على الدسوقى » حديثا ، يطيب لى أن ألبه فى الصحف على ما ينشأ من الصيغ والعبارات مخالفا للمألوف من القواعد والمأثور فى المعجمات ، موصوما بأنه من أوهام الخواص أو من لحن العوام !

٢ ــ وتعاقبت سنون بعد سنين •• ودخل « الزيات » عضوا فى « مجمع اللغة العربية » سنة ١٩٤٩ ، وأنا قعيد

« المجمع » منذ ولد ، فتلاقينا على شوق، وكأنما كان دخوله في المجمع موعدا ضربه لاثارة قضية « اللغة المعاصرة » وموقف النقاد منها • ولم تكن هذه القضية جديدة على المجمع ، فانه في عامه الاول قرر ان مما يطلق عليه اسم «المولد» ما استعمله المولدون على غير استعمال العرب ، جاريا على اقيسة كلام العرب ، من مجاز واشتقاق ونحوهما ، وحكمه انه عربي سائغ ، وبعد اثنى عشر عاما اضاف المجمع الى قراره هذا ايجاب تتبع الالفاظ والاساليب الشائعة ، ان في الصحف والمجلات او في المسرح والاذاعة ، او في الرسائل والكتب ، واتخاذ قرارات فيها • ولكن « الزيات » لم يجد في ذلك مقنعا ، اذ كان يهدف الى ما هو أبعد عمقا ، واوسع افقا ، فقدم الى « المجمع » بحثا عنوانه : « الوضع اللغوى ، وهل للمحدثين حق فيه ؟ » مقترحا فتح باب الوضع على مصراعيه ، بوسائله المعروفة ، وهى الارتجال والاشتقاق والتجوز وكذلك رد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمة ، وكذلك اطلاق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه، فان توقف القياس على السماع يبطل معناه ، وكذلك اطلاق القياس من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع ، كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم •

ومع أن « المجمع » سبق له أن عرض لقضية القياس في اللغة ، عقب بحث للاستاذ « احمد أمين » عضو المجمع ، وقرر الأخذ بمبدأ القياس فى اللغة ، وجواز الإجتهاد فيما أقر من قواعد متى توافرت شرائطه ـ فان « المجمع » عبر عن مدى استجابته لدعوة « الزيات » الجريئة والجهيرة فى قرار لا يخلو من ضيق ، وهو أن تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على السنة الناس ، على ان يراعى فى هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ،ولم يعرف لها مرادف عربى سابق صالح للاستعمال • وشفع قراره هذا بما يعززه ، فقرر قبول السماع من المحدثين ، بشرط أن تدرس كل كلمة على حدتها ، قبل اقرارها •

وفى السنة التى عرضت فيها هذه القضية ،قدم الأستاذ «ابراهيم مصطفى» عضو المجمع بحثه « فى أصول النحو » مقترحا فيه أن ينظر فى آثار ادبائنا من الكتاب والشعراء ، وربما حسن ان يقتصر على من مضى به التاريخ مدة لا تجعل للمودة او غيرها شبهة الأثر فى الحكم ، فمن راى المجمع صحة اسلوبه واستقامة عربيته ، وثقه ، وجعل قوله مددا للغة وحجة فيها •

وابى « الزيات » الا أن يتابع جهوده ـ او على الأصح : جهاده ـ فى اصابة غرضه على أوسع نطاق ، فقدم الى مؤتمر المجمع بحثا عنوانه : « المجمع واللغة العامة » وفيه يقترح أن يهيىء المجمع قواه او أكثرها لجمع ألفاظ الحضارة الموضوعة والمسموعة والمنقولة من الفئات المصرية والأقطار العربية ، فيسأل كل ذى سلعة وكل ذى صنعة وكل ذى آلة عن اسمها العام واسم كل جزء من

اجزائها وكل نوع من انواعها ، ويقدم كل أولئك للجان المختصة ، فتصنفه وتغربله وتعرفه . والحق أن ما طلبه « الزيات » انما كان بسطا وتوسعة او تأييدا لقرار مجمعي صدر قبل ذلك بسنوات ، وهو ينص على العناية بجمع المصطلحات الفنية التي يستخدمها العمال في مصانعهم والتجار في متاجرهم وأسواقهم والزراع في مزارعهم ، حتى اذا اجتمعت طائفة منها نظر في وضعها في المعجم بعد صياغتها وفق الأوزان العربية !

٣ ــ على أن هذا كله كان محصورا في مجال النظر ، فلم يقف « الزيات » بدعوته الخاصة « باللغة المعاصرة » عند حدود المبادىء والقرارات والمناهج ... لقد واجه «المجمع» بعشرات من الالفاظ المسموعة عن المحدثين ، على خلاف ماسمع عن العرب الاولين في الصيغة والدلالة، فناقشها مجلس المجمع ومؤتمره ، واقر منها الكثير .

٤ ــ وفي البحث الذي خص به « الزيات » موقف المجمع من اللغة العامة سنة ١٩٥٢ اشار الى أن «المعجم الوسيط» الذي يزمع المجمع طبعه بعد الفراغ من اعداده سيجيء على غير ما ينتظر الناس، فان جمهرة المثقفين ينتظرون من معجم ينشره المجمع بعد ثماني عشرة سنة قضاها في الوضع والتعريب أن يكون فيه لكل معنى اسم ، ولكل مصطلح لفظ ، ولكنهم سيجدون « المعجم الوسيط » اقرب ما يكون الى المعاجم المنشودة في الاقتصاد على الموادالقديمة، والنفور من الالفاظ الجديدة ، كان ذلك ما خشيه « الزيات » وندد به في بحثه ولكن المجمع كان معنيا بان يحتوى المعجم على أمهات المصطلحات العلمية والفاظ الحضارة ، وحدث بعد ذلك ان القيت اصول المعجم الى لجنة رباعية من بينها « الزيات » و « ابراهيم مصطفى » فانفسحت الفرصة امام اللجنة لاضافة ما رات اضافته من محدث الاستعمال ، وذلك ما دعا اللجنة الى ان تنص في مقدمة المعجم على انها وضعت كلمة (محدثة) بجانب ما حوى المجمع من لفظ استعمله المحدثون في العصر الحديث ، وشاع في لغة الحياة العامة ، وغني عن البيان ان اللجنة الرباعية لم تاذن للكلمات المحدثة في أن تدخل المعجم الا بعد ان اطمانت الى سلامة تخريجها ، او ضرورة قبولها .

٥ ــ واذا كان « الزيات » قد طابت نفسه في حياته بأنه أسهم في ارساء الدعائم لقضية اللغة المعاصرة ،بما أصدر المجمع من قرارات ، وبما أجاز من كلمات ، وبما حوى « المعجم الوسيط » من الفاظ حضارية واستعمالات عصرية ــ فان هناك مسألتين ،لهما صفة العموم حاول « الزيات » اقناع المجمع برأيه فيهما ، ولكنه قضى نحبه قبل أن يقضي منهما اربه .

أما المسألة الاولى ، فهي قول الناس : الثلاثة كتب ، والمائة صفحة ، والقاعدة في تعريف العدد المضاف باول أن تدخل ال على المضاف اليه ، ويجيز الكوفيون دخولها على المضاف اليه معا ، فيقال : ثلاثة الكتب ، او الثلاثة الكتب ، ومائة الصفحة أو المائة الصفحة ، وقد طلب « الزيات » الى المجمع اجازة ما يستعمله الناس ، استنادا الى ورود مثله في الحديث النبوي مرتين : « فاتى بالالف دينار » و « قرا العشر آيات » ، كما ورد في « طبقات الشعراء » لابن سلام، اذ قال : « وجعلنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشر طبقات » . ولم ير المجمع يومئذ اجازة ذلك .

ولكني بعد ذلك بسنين طوال رايت ان أتابع البحث ، اذ ان استخدام المعاصرين لهذا الوضع استخدام محكم ، والمطالبة بتغييره مطالبة بما ليس في المكنة ، ومن أمثلته : مشروع الالف كتاب ، ومشروع الالف مسكن ، وبلد المليون شهيد ، فقدمت الى المجمع ما استند اليه في تخريج هذا الوضع ،

واوضحت أن « ابن مالك » لم ينكره ، بل عالج تعليله ، ومن النحاة كأبي حيان وابن عصفور من اشاروا الى اجازته .

وكان ان اقر المجلس والمؤتمر منذ سنوات قصار ما انتهيت اليه ، وسيسجل التاريخ « للزيات » فضله في هذا التيسير . ومما لا يكاد ينقضي العجب منه أن وزارات التربية في العالم العربي ما زالت تعرض على طلابها الناشئين في احكام العدد ما يوحي اليهم ان من يقول: الألف كتاب والألف مسكن والمليون شهيد لا يعرف من العربية ما يعرفه الناشئون من المتعلمين !

واما المسألة الاخرى ، فهي الوقوف بالسكون على الاعلام المتتابعة ، دون فصل بينها بكلمة « ابن » ، وهو النمط المصري السائد في نسق الاعلام ، فيقال : سافر محمد على حسن ، اي سافر محمد بن على بن حسن . وقد طلب « الزيات » الى المجمع سنة ١٩٥٥ اقرار هذا النمط ، واجازة التسكين من باب التخفيف ، او من قبيل التنظير بين ذلك وبين تسكين اعلام الحروف في فواتح السور من القرآن الكريم ، اذ يقال : الف لام ميم ، و : حاميم ، او : كاف ، ها ، يا ، عين ، صاد . فان لم يجز التسكين ، فليكن الاعراب على حسب العوامل ، او بالاضافة .. ولم يطمئن المجمع الى رأي ما هو معروض ، على الرغم من استحثاث « الزيات » له ، وقوله مداعبا : اخشى أن يكون « محمد على حسن » قد سافر الى غير رجعة !

واعاد المجمع النظر في الموضوع بعد ذلك باعوام ، بناء على ما عرضته لجنة الاصول من اجازة التسكين مع حذف « ابن » تيسيرا على القراء والكتاب ، وتخلصا من صعوبة الاعراب . ولكن مؤتمر المجمع سنة ١٩٦٥ رأى التاجيل وفي سنة ١٩٧٤ حين استقبلني المجمع عضوا فيه ، قلت في حفل الاستقبال :

« يودي ان اقول للمجمع انك وقفت ببابك موضوع الاعلام ، فلم تجز ان يقال : محمد على حسن . وحتى متى تظل اسماؤنا مواليد غير شرعية في النسب اللغوي الصريح ، وفي اللغة منادح للاجازة ، اما على أن الوقف جائز في لغة تميم باطلاق ، واما على الوصل هنا بنية الوقف ، او على اعطائه حكمه ، أو على اجرائه مجراه ، بحسب اختلاف تعبير النحاة ــ والحق ان الاسماء الان ليس من غرضها التنسيب الذي يتوضح بذكر كلمة « ابن » ، وانما يسمى المرء باسمه المؤلف من كلمتين أو ثلاث او اكثر : ولو نقص الاسم كلمة لما تعرف ، وعندي ــ ان كان لي « عند » ــ ان الذين ينتظرون الرجوع الى نسق الاعلام على الوضع المأثور ، سيبلغون مناهم اذا شاب الغراب أو اذا القارظ العنزي آب .. »

ذلك مارفعت به صوتي ، والمجمع يستقبلني عضوا ، وفيما بعد ذلك استطعنا في « لجنة الاصول » و « لجنة اللهجات » أن ننتهي الى اجازة نسق الاعلام موقوفة متتابعة ، تعويلا على ان ظاهرة الاسكان في الفصحى غير منكورة ، فهي واردة في القراءات السبع للقرآن ، وهي لغة في بني تميم وبني اسد وبعض نجد ، وهي واقعة في شواهد من الشعر الفصيح ، ومن النحاة من اجازوها في النثر على الصحيح ، وفي الاختيار دون اختصاص بحال الضرورة ، افلا يجيز لنا ذلك استعمال هذه الرخصة في نمط جزئي لا مندوحة عنه ، هو نسق الاعلام ؟ .

وبناء على هذا اقر المجمع ذلك ، واكتسبت اعلام العرب في مختلف اوطان العرب الشرعية اللغوية ، ذاكرة للزيات ، نصير اللغة المعاصرة ما كان له من فضل السبق الى البحث والتوجيه .



الزيات في مرآة معاصريه

● احمد مصطفى حافظ ●

لا شك ان وجداننا الادبى يزداد يقظة وتألقا ، بهذا الدأب من الهلال على الاحتفاء بذكرى روادنا الاعلام ..

والاستاذ الزيات ، رحمه الله ، يعد فى الطليعة من اساطيننا .

حيث اصدر استاذنا الزيات مجلته المشهورة « الرسالة » فى فترة اعقبت توقف مجلة « ابوللو » عن الصدور ، فملأت الفراغ الكبير فى مجالات الفكر والادب ، واستمرت لمدة تزيد عن عشرين عاما ، بمؤازرة اقلام اعلام الفكر والادب بمصر والامة العربية جمعاء ، حتى اصبحت ،كما وصفها بحق ، سجل الادب ، وديوان العرب المشترك .. ومن افتتاحيات الرسالة طيلة فترة اصدارها ، توفر للزيات نتاج كبير ضخم ، ضمن كتابه « وحى الرسالة » باجزائه الاربعة .. وفى هذا الكتاب الشامخ ، يقول « العقاد » :

« ان به سلاسة تطوع العصى، وتملك الزمام فى الوعر والسهل على السواء» .

اما توفيق الحكيم ، فيقول عنه انه « مجموعة دراسات عميقة ناضجة للمجتمع ، وتصوير بارع للتطورات الخلقية والنفسية ، واشارات دقيقة، وجولات موفقة فى الادب والحياة .. »

ويصفه « الدكاترة » زكى مبارك بانه «يمتاز بميزة اصيلة ،هى تصويره لاكثر ما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ، ومعضلات ذوقية . »

ويعقد الدكتور اسماعيل احمد ادهم مقارنة بين الزيات والرافعى ، ينتهى فيها الى ان « ذهن الزيات يختلف عن ذهن صاحبه « اى الرافعى » من جهة الصفاء وعدم انقطاع الصلة بينه وبين عقل الناس ، فمعانيه مفهومه ، وهى ذات اصل دقيق من الفكر .. »

وفكر الزيات ملتقى العقلين: العربى والغربى ، العربى فى روعته ، والغربى فى عظمته وترتيبه ، وانتظامه ودقته ..

***

ومن روائع ما قدم الزيات للادب العربى فى حقل الترجمة ، قصة « رفائيل » عن الشاعر الفرنسى

الكبير لامرتين ، التى يصف أديب كبير كالدكتور عبد الوهاب عزام تأثيرها عليه ، وجدانيا ، بقوله :

« حاولت جهدى ان اسكن جاشى . او اكفكف دمعى .. ما تعمدت البكاء ولا رجوته ، ولا خلت ان انتهى اليه .. ولكنه كان وحيا من الحزن والدمع ، لا اعرف من اين هبط ، بل ثورة من هموم راكدة ، واحزان كامنة ، كانت قصة رفائيل لها كقدحة الزند ، او كضربة مسجاة على نبع يدافع الثرى لينفجر .. كذلك انتهت لى قصة رفائيل ، وكذلك ابكى لا مرتين بعد مائة سنة ، رجلا مجهولا يشبه لا مرتين طبعا مكتئبا ، وقلبا منقبضا ، ونفسا ملتهبة .. وكذلك فعلت بى قصة رفائيل .. فلما افقت لم ادر اساء الى لامرتين أم أحسن ، ولم ادر احمد صديقى الزيات .. ام الجاه ؟! »

***

كما ترجم الزيات رائعة الشاعر الالمانى الخالد « جيته : آلام فرتر » باسلوب اخاذ ، وهى تصور وفاء المحبين .

وفى اسلوب الزيات يقول الاستاذ محمد عبد الحليم ابو زيد : « استطاع النثر الفنى على يد الاستاذ الزيات ان يرتقى ويصفو ، ويشف .. الى ما تنقطع دونه فنية كثير من الآثار الشعرية ، فهو نغم رائع ، وموسيقى عذبة ، وعمق ، وجودة سبك ، وسلامة فكر ، وشفافية خيال ..

ان آياته النثرية تحطم الحواجز بين الشعر والنثر الفنى وهذا ما تكاد تتلاقى عليه المذاهب ، وتتوالى عنده الآراء .. »

وقد قدم الزيات للمكتبة العربية كتابه الجامع المانع ـ كما يقولون .. « تاريخ الادب العربى » فى شتى عصوره ، وذيله بقاموس يشرح ما غمض من الالفاظ والعبارات .. كما قدم كتابيه « اصول الادب » و « دفاع عن البلاغة » .. وبذل فيهما من الجهد ما استحق عليه ثناء الادباء والدارسين عامة .. فكانتا « انتقى من روضة مونقة الربيع ازهارا ، ذات اريج خاص فى باقة واحدة ، علم رغبة الناس فى تنسم عبيرها فيسر عليهم سبيل اقتنائها وتشممها ، والافادة بما يستروحون من عبقها ، دون كبير سعى أو عظيم جهد .. » ـ كما يقول الاستاذ مصطفى الصباحى فى جريدة الدستور .

وخير ما يصف كتابات الزيات عامة انها : « تصيب المنحى الحسن ، والتنسيق المطرد ، ثم اللفظ المتخير ، والسبك المحكم الى جانب التبصر .. واسلوب الاستاذ الزيات الترسل فى بسط العبارة ، والترفق فى تدوين الفكرة .. » كما يقول الدكتور بشر فارس فى جريدة المقطم ..

وكما يقرر شاعر القطرين خليل مطران ان اسلوبه « وحى رسالة ، وما اربى بذلك الى محاولة بديعية استمد منها وسيلة سهلة التفريغ ، بل ارمى ، الى غرض ابعد واسمى .. »

ويطيب لنا فى ختام هذه الكلمة المجلى ان اقطف هذه العبارة البديعة التى بقيت بالذاكرة لاكثر من ربع قرن من الزمان ، من تعبير الزيات فى وصف مظاهر الحياة الروحية فى رمضان ، بقوله :

« فالمآذن الحالية بالمصابيح ، الشادية بالتسابيح ، ترسل فى عمق الوجود نور الله وحكمته .. »

يرحمه الله

●●

أحمد حسن الزيات

سيرة وتحية

● مصطفى الشهابي ●

كانوا فتية ثلاثة جمعهم صحن الازهر القديم ، ولكن حب الأدب وطد اواصر المودة بينهم حتى كادوا أن ينصرفوا عن دراسة علوم الدين ، فانجذبوا الى الشيخ المرصفى ، رائد دراسة الأدب بالأزهر يومئذ ، وقضوا اغلب وقتهم فى قراءة دواوين الشعر العربى القديم وامهات كتب الأدب ، واخذوا يجهرون بأن كتب القدماء افضل من كتب شيوخهم فى الأزهر القديم .

وشاع نبأ الفتية الثلاثة بين الطلاب والشيوخ ، وعرف عنهم الاهتمام بما يسمى «الأدب» وهو «النثر والشعر الذى ينظم فى اغراض دنيوية » ، فتجمعت حولهم العواصف ، وتفاقم الأمر حتى انتهى الى شطب اسمائهم من الأزهر ، وتوسط لهم احمد لطفى السيد فلم ينفذ قرار الفصل وعاد الجميع الى الأزهر .

وهكذا انتهت الأزمة ، ولكن طموح طه حسين دفعه الى التفكير فى الانتساب للجامعة المصرية المنشأة حديثا ولكن الفقر كاد يحول بينه وبين الانتساب اليها من جهة ومعارضة أخيه الأكبر من جهة أخرى وامتناعه عن ان يدفع له رسم الالتحاق ـ وكان جنيها واحدا ، فتولاه اليأس وانتابته الكآبة .

وعندما روى طه للزيات ما يشكو منه فضحك الزيات وقال :

تحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسك هكذا ، من أجل جنيه !

فقال طه : لأني لا أملك هذا الجنيه وليس لى أدنى أمل فى الحصول عليه !

فأجاب الزيات : سأقرضك الجنيه ، ولا ترده الى الا اذا تيسرت أحوالك ، بعد سنة ، بعد سنتين ، بعد عشر سنوات !

وأعطاه الزيات الجنيه وفى اليوم التالى ذهب الى الجامعة ودفع الرسم وأصبح طالبا جامعيا ، ومن الطريف أن ذلك الجنيه لم يسدده طه حسين للزيات حتى وفاته ! ولكنه لم يقطع صلته بالأزهر وواصل الدراسة فى الجامعتين أما زميلا طه حسين ، وهما المغفور لهما احمد حسن الزيات ومحمود زناتى . فلم يستكملا الدراسة بالأزهر خشية أن يلحقهما ما لحق به .

وانصرف الزيات الى دراسة اللغة الفرنسية فبرع فيها واجادها واشتغل بالتدريس فى المدارس الاهلية . وفى نفس الوقت التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس ، وعين عقب عودته بقليل فى الجامعة الامريكية بالقاهرة ثم انتدبته حكومة العراق لتدريس الأدب العربى بدار المعلمين العالية فى بغداد ، فظل هناك ثلاث سنوات من ١٩٢٩ ـ ١٩٣٢ .

قال الزيات عن تلك الفترة انها كانت خير أيام حياته ، اذ عرف فيها أشهر رجالات العراق والتى خلالها عدة



محاضرات كان لها دوى في المحيط الأدبي ، فاشتهر اسمه وعلا ذكره

وكان طه حسين ، قبل رحيل الزيات للعراق يعمل على تعيينه للتدريس بكلية الآداب بالاتفاق مع احمد لطفي السيد مدير الجامعة ولكن المرتب الذي كان سيتقاضاه كان اقل بكثير مما كان يتقاضاه من الجامعة الأمريكية ، ولذلك ارجىء التعيين حتى يعود من بغداد ويشغل درجة استاذ استنادا الى ماضيه في التعليم .

وعاد الزيات الى مصر واذا به يجد ان طه حسين قد فصل من الجامعة وان لطفى السيد قد استقال ، واصبح من العسير على نفسه ان يعود للجامعة الامريكية بعد ان تركها على الرغم منهما

الرسالة ثم الرواية

وبعد عودته من العراق جالت بخاطره فكرة اصدار مجلة للأدب الرفيع ، فبادر الى زيارة صديقه الدكتور طه حسين في نوفمبر عام ١٩٣٣ وصارحه بما فكر فيه .

وبعد نقاش طويل قال طه حسين

ــ أنت وشأنك .. أما شأني فهو المقال الذى اكتبه والرأى الذى أراه .

وعندما فاتح الزيات أخلص اصدقائه من اعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر أيدوا فكرته وظاهروه على تفاؤله، مما دفعه الى اصدار « الرسالة » في اواخر عام ١٩٣٣ ، يعاونه كوكبة من ارباب الاقلام وأهل الفكر ..

ثم انصرف عن الكتابة في الرسالة بعض أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وانتهى بهؤلاء الأمر الى اصدار مجلة « الثقافة » ، ولكن الرسالة لقيت الاقبال والرواج وابتسم لها الحظ فعاشت عشرين عاما متجاوزه عمر أغلب المجلات المصرية وقتذاك وبعد أن كانت الرسالة تطبع في المطابع الخاصة ، اشترى صاحبها لها مطبعة ، بل ورفع باسمها عمارة احتلت المطبعة فيها الدور الاول فيها وشغلت مكاتبها الدور الثاني وكان الدور الثالث بيتا للزيات ليكون مع مطبعته ومكتبه في مكان واحد .

وكان الزيات شديد العناية بالرسالة يراجع كل ما ينشر بها ، حتى أنه كان يعيد صياغة الأسلوب اذا تعثر الكاتب وقد ربت مدرسة الرسالة جيلا من الادباء والكتاب بل والشعراء .

ولم يقتصر كتابها وشعراؤها على ابناء مصر ، بل أسهم معهم عدد غير قليل من ادباء وشعراء الدول العربية الشقيقة .

وافسحت الرسالة لقلم المرأة مكانا على صفحاتها .

وللرسالة الفضل الأكبر في اعلان المولد الادبي للكاتب الكبير الاستاذ توفيق الحكيم ، فعلى صفحاتها ظهر كتاب « اهل الكهف » ، وكتب الحكيم ماكتب تحت عنوان « من برجنا العاجي » ، وكان لهذه المقالات من الشهرة والتقدير ما جعل الادباء والقراء يلقبون الحكيم بصاحب « البرج العاجي » .

أحمد حسن الزيات سيرة وتحية

وفى صباح يوم ٢٣ من فبراير سنة ١٩٥٣ اعلن صاحب الرسالة احتجابها فى مقال نشره بجريدة الأهرام ..

وبعد احتجاب الرسالة بأكثر من عشرة أعوام عادت للصدور فى عام ١٩٦٣ تحت اشراف وزارة الثقافة والارشاد القومى ولكنها لم تلبث أكثر من بضعة أعوام .

وجدير بالذكر أن الزيات تولى ادارة ورئاسة تحرير مجلة الأزهر عدة سنوات قبل أن يعود للرسالة عندما أصدرتها وزارة الثقافة وبذلك ظهرت الرسالة على صفحات مجلة الأزهر فترة من الزمن

والى جانب الرسالة أصدر الزيات مجلة « الرواية » فى عام ١٩٣٧ وكانت تنشر مختارات من الأدب العالمى والاقاصيص وروايات عربية ، وكانت نصف شهرية وقد توقفت عن الصدور عام ١٩٥٣ أيضا بعد أن قامت بدور كبير فى دعم فن القصة العربى فى الأدب الحديث .

وقد اختار الزيات مما نشره على صفحات الرسالة مقالاته فى الأدب والنقد والاجتماع والسياسة والتاريخ وصدرت فى كتابين الأول هو « وحى الرسالة » والثانى « فى ضوء الرسالة » .

فى المجمع والجائزة

وفى عام ١٩٤٩ اختير عضوا بمجمع اللغة العربية وقد عمل منذ اختياره على تحقيق الأهداف التى من أجلها انشىء المجمع ، وقد اشترك فى عدد كبير من لجانه .

وكان ترشيح الزيات لجائزة الدولة التقديرية مصدره عدة هيئات أولاها مجمع اللغة العربية الذى قال عنه انه « فى مقدمة كتابنا الذين اسهموا فى حركة البعث الأدبى الحديث وشاركوا فى معركة التجديد » ، وقد ظفر بهذه الجائزة عام ١٩٦١ .

من آثار الزيات

– مؤلفاته : الخلاصة الوفية فى تاريخ أدب اللغة العربية ، وهو كتاب موجز الفه فى شبابه .

– تاريخ الأدب العربى ويعتبر من أهم الكتب التى صدرت عن الأدب العربى . نال عليه جائزة الدولة عام ١٩٥٣ .

– دفاع عن البلاغة ، وهو كتاب قيم دافع فيه عن الالفاظ البليغة ذات التعبير الدقيق الذى يليق بالافكار الرفيعة ،وفيه يقول « الكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة ، اذا وضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة ، والا ظلت جامدة ، وللكلمات أرواح كما قال موباسان » .

– فى أصول الأدب ، وهو مجموعة محاضرات ومقالات فى الأدب العربى القى بعضها فى بغداد عندما كان يحاضرها والبعض الآخر فى الجامعة الامريكية بالقاهرة ، أما المقالات فنشر بعضها بالسياسة الاسبوعية وبمجلة التربية الحديثة وبالرسالة .

ومن ترجمات الزيات :

– آلام فرتر – لجوته .

– رفائيل – للامرتين .

– واشترك فى ترجمة كتاب «محاضرات فى الفلسفة » لاندريه لالاند .

– واشترك كذلك فى ترجمة كتاب « مختارات من الأدب الفرنسى » .

– « من الأدب الفرنسى ، قصائد واقاصيص » مجموعة قصائد واقاصيص ونشرها فى كتاب .

– وترجم أيضا مختارات من الأدب الحديث نشرت فى سلسلة كتاب الهلال تحت عنوان « ضوء القمر وقصص أخرى » .

العاصفة

د. انس داود

عرفت الحكاية ! ..
أتتنى الرسائل عنك ،
بأن وراء العيون العميقات الف رواية
وحشدا من العاشقين .. ضحايا
وأنت ابتسامة ثغر رقيق
وهمسة صوت مشوق
ورفة هدب ..
واشياء اخرى تفتح فى مرح انثوى
مروج الغواية !

●●●

وجاءت الى الرسائل ،
أن لا امر بدرب الجنون
واهرب من قدر العاصفة
وانسج حول خيوط السكون
وآوى الى جبل من جليد اليقين
وادفن فى القلب أحلامه الوارفة
وأبعد عنك
كما يبعد الخصب عن غيمة عاطرة
وأرحل عنك ...
كما يرحل الطير عن روضة عاطرة
واحرم فيك
كما يحرم العاشقان لقاء على ليلة
مقمرة ؟
وكيف تذود الرسائل
قلبى عن النار
عن ظمأ لا يمل الى شعلة غامرة !
الى ان تفجر عيناك بركان شعر
بكونى
تغير خارطة العمر
حين تكونين انت .. وجودى وأمنى
على مرفأ الخطر المستثار
بفيضى وظنى ..
وراء هبوب العواصف
مع اشتعال البروق
وابع مسى !



مع الطبيب الأديب المفكر المتصوف

الدكتور مصطفى محمود

● اجرى الحوار : عادل عبد الصمد ●

فى اكثر مواقف الحوار معه ، تأخذك جاذبية الحديث المتدفق من فكر عالم ، وقلب مؤمن ..

ان اللقاء والحوار مع الدكتور مصطفى محمود لقاء وحوار مع عالم ، وفنـــــان ، واديب ، ومتصوف فى وقت واحد معا ..

وحتى عندما يشغلك الحديث الممتع عن سؤال خطـــر لك ان تسأله ، فان ادلة الحــوار ــ فى عالم مصطفى محمود ، ستتيح لك فوق ما يخطر لك ! ..

من حيث المولد فكان شـبين الكوم منـــوفية فى ديسمبر عام ١٩٢٠ ، ثم تركناها الى طنطا ، وعشت نصف عمرى فى رحاب السيد البدوى .. وفى مرحلة التعليم الابتدائى أصابنى الاضطراب والخوف بسبب طبيعة المدرسين المتشددة حيث كانوا يتبعون اسلوب العنف والضرب والتخـويف ، فكانت سنوات الدراسة الاولى صراعا مــع الخوف واستغراقا فى الحلم والخيـال والاسطورة وميلا الى الانطواء ...

ولكن مع مرور الوقت ومضى السنين بدأت اصارع هذا الخوف ، واستطعت أن استأنف دراستى الابتدائية وقضيت على الفشل الذى كان يمكن ان ينتابنى

وفى هذه المرحلة كانت تستهوينى علوم الكيمياء والفلك والطبيعة ، وعملت فى بيتنا معملا صغيرا ، كنت اقضى وقتى فيه لاصنع الروائح العطرية والصابون ودوائر السلك ، وكان ذلك نتيجة لحبى الشديد للخيال العلمى ، الى جـانب حبى للموسيقى ، فتعلمت العزف على الناى ثم العود ، وحاولت كتابة الزجل والشعر .



الدكتور مصطفى محمود

واستطيع ان اقول ان عناصر شخصيتي تبلورت فى هذه المرحلة التى تدور كلها حول حب العلم والفن والادب .

اما مرحلة الدراسة الثانوية فقد برز فيها حبى للعلوم واضحا للدرجة التى تمنيت معها دخول كلية العلوم بعد حصولى على الثانوية ، ولكن اخى الاكبر رفض والحقنى بكلية الطب ، فوجدت الدراسة بها هوى فى نفسى لانى وجدت نفسى لأول مرة مع الانسان وجها لوجه ..

ومع البلوغ جاءت موجة التمرد والرفض فى قضية الاديان ، فاصبحت رافضا لكل شيء حولى مناقشا كل شيء هدفى اعادة تقييم كل شيء، وبذلك تبلور الخط الاخير الذى قدر لى ان يحكم حياتى كلها فيما بعد وهوالرفض او القبول

ولقد استمر الرفض ربع قرن تقريبا .. كانت شخصيتي تنمو فى كل هذه الخطوط فى وقت واحد ...

وكنت في نفس الوقت اشتغل مع كامل الشناوى فى الجريدة المسائية ثم مع اسرة مجلة التحرير فى بداية انشائها الى ان تخرجت طبيب امتياز عام ١٩٥٢ فكنت فى حالة عجيبة احمل عودا ، ونايا ، وقلما ، وسماعة ، ورأسا مليئا بالاحلام والشكوك والتفلسف ...

وهنا توقف الدكتور مصطفى محمود فى الحديث فقلت له : ولكن ... لماذا احببت الدراسة فى كلية الطب برغم انها لم تكن على هواك فى البداية

قال : الشيء الذى جعلنى احب هذه المهنة انها مهنة تعقد علاقة مستمرة بين صاحبها وبين الانسان . . . فالطبيب يلتقى بكل طبقات المجتمع ، وهو بذلك يتصل بقلب المجتمع وروحه ، وهو الوحيد الذى يحضر لحظة الموت ولحظة الميلاد ، وهما من اللحظات التي يقف امامها الفيلسوف حائرا !

ومن هذه اللحظات — لحظات الموت ولحظات الميلاد — كانت بداية التفكير والتأمل فى حياتى ، وبداية الغاز لانهاية لها ...

وعدت اسأله فقلت : كيف كانت

مع الطبيب الأديب المفكر المتصوف
الدكتور مصطفى محمود

رحلتك من الشك الى الايمان ؟

قال وهو يتأمل بعمق كعادته :

اذكر انى بدأت اصلى فى طفولتى وفى سن ست سنوات فكنت اصلى دون اكراه من احد ، حتى وصلت الى سن المراهقة فبدأت اتمرد على كل شىء ، ثورة فى الفكر وفى الحياة باكملها ، فناقشت كل ما يعترضنى ثم كان وتوقف بعد ذلك امام الجسم الميت فى كلية الطب فاطلعنى على محتويات جسم الانسان والمخ والاعصاب ، فوقفت حائرا امام الموت .. فكان السؤال الذى حيرنى من اين والى اين ؟

كما كانت فى البداية محاولتى الاولى للاجابة من خلال الكيمياء والطبيعة والعلوم من اين والى اين ! ماذا يستطيع العلم ان يقول ؟

فلم اجد عند العلم اجابة عن قضية من اين والى اين .

فطلبت الاجابة فى كتب الفلسفة من سقراط الى افلاطون الى ارسطو الى كانت الى شوبنهور الى نيتشه ، الى الفلاسفة المحدثين امثال كارل ماركس ووليم جيمس وجورج سانتانا ... فلم اجد اجابة شافية ، ورأيت كل فيلسوف يبنى مذهبا يهدم به مذهب الذين سبقوه ، ثم يأتى من بعده فيلسوف آخر يهدمه وهكذا ... فلم أجد اجابة شافية فى الفلسفة

ولكن السؤال اصبح الف سؤال ، وهو كما قال البعض « الفلسفة تعكر ولا تصطاد » .

وحاولت اطلب الاجابة فى الدين ، فبدأت رحلة الاديان من الفيديات الهندية والبوذية واليوجا والزرادشتية الى اليهودية والمسيحية ، وانتهيت الى شواطىء القرآن فوجدت الاجابة ؟ فى بحر التصوف الاسلامى الذى تصب فيه جميع الجداول ...

● **الاسلام الكامل علم وعمل** ●

وكان طبيعيا ان يكون السؤال التالى عن التصوف من وجهة نظر الدكتور مصطفى محمود :

قال : التصوف هو المعرفة الالهية عقلا وقلبا وعبادة وسلوكا .

وليس كلاما فقط .. بل لابد ان يصحبه خلق وعمل ، وهذا هو الاسلام الكامل الذى يلزم بالعلم والعمل .

واذا كان هذا هو التصوف ، فماذا عن الصوفى ..

يقول الدكتور مصطفى : الصوفى قد أحب الحق وتحققه ، لانه أحب الله الذى هو الحق الاعلى ، وأحب الخير وحققه لانه أحب الله الذى هو الخير الاسمى .وأحب الجمال وتذوقه لانه أحب الله الذى هو الجمال الاسمى .. وهو فى حبه لله وحبه لكل شىء بالله وفى الله ، فقد عرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات سواء ما كان متصلا فيها مع ربه أو بحياته مع نفسه ومع الآخرين وهذا الانسان الكامل هو الذى نجد صورته المثلى فى التصوف السنى الاسلامى .

● وعندما اسأل عن الحب الالهى وترتيب درجات هذا الحب ..

يبدأ الدكتور مصطفى محمود ترتيب درجات الحب ، وشرح كيف ان الحب الجنسى هو ادناها جميعا ، لانه يلتصق بصورة واحدة من مظاهر الكون وبالتصاق المحب بهذا المظهر الواحد يحجب عما وراءه من حقائق الكون ، ولذلك فان الحب الطبيعى أعلى من الحب الجنسى ، لأنه يتوجه الى جميع الصور الجميلة من نساء وفراشات وزهور . وأعلى منه الحب الروحانى لانه يحب الموضوع فى ذاته ولجوهره دون قصد لذة واعلى منه الحب الالهى الذى يتوجه الشوق منه الى أصل كل شىء ، وصورة جميع الصور فيما خلق الله تبارك وتعالى .

ويقول الدكتور مصطفى محمود : ان التراث الصوفى بحر عميق فيه اللؤلؤ والصدف ولكنه فيه أيضا التماسيح والحيتان ، وعلى ذلك فالقراءة فى

رغم مرحلة النقل التي نعيش فيها ، ورغم أننا أخذنا من الأدب الغربي قالب القصة والمسرح ، إلا أننا وضعنا في هذه القوالب تراثنا وشخصيتنا .. فأنت تقرأ فيما يكتبه نجيب محفوظ ، وتوفيق الحكيم ، وطه حسين ، والعقاد ، ويوسف أدريس ، تقرأ مصر ، وتجد مصر ..

التصوف أشبه بالملاحة في بحار الظلمات بقارب شراعي ، وما أكثر ما تنكسر الدفة . ويفقد السالك اتجاهه ... وبذلك كان النور الهادي هو نور الكتاب والسنة .

● **بالعقل والمنطق معا** ●

قلت للاديب والعالم : أنت توظف العلم لخدمة الدين وأنت متصوف وعالم أيضا ... أيهما أكثر فائدة للآخر التصوف للعالم أم العالم للمتصوف ؟

قال : في نظري ليس هناك فرق بين العالم والمتصوف ، وان التصوف الاسلامي يشترط العلم ، والله لا يسعد الا بالعلم وليس بالجهل ، والعلم مطلوب ومأمور به ، والعلم لا يعني علم القرآن فقط ولكنه كل العلم المتاح للانسان وكل على قدر ما يستطيع أن يحصل .

ويستطرد الدكتور مصطفى محمود : وفي الاسلام نحن نعتمد على جميع القنوات التي توصل الى المعرفة ،فهناك قنوات العقل والمنطق والتأمل وأيضا الاستبطان والاستبصار والوجدان الكشفي ، كل هذه القنوات تسخر لفهم حكمة الاشياء ، وهذا هو الفرق بيننا وبين الغرب لانهم يتعاملون بالمنطق الرياضي الجاف ، انما نحن نصل الى الله مسلمين بالعقل والمنطق معا .

وأسأل الدكتور مصطفى محمود عن الايمان فيقول :

أن أدرك اني لست وحدي في هذه الدنيا وانها لم تخلق عبثا ولا سهوا ، فان احساس قلبي هو أقوى درجات الايمان ... والحب مكابدة قلبية لا تتم عن طريق العقل وحده وهو مدرك عقلي وقلبي ، وهذا أقوى انواع الايمان ، على عكس الايمان العقلي المثبت بالبراهين .

● **الاخذ والعطاء يتداول بين الامم** ●

فأقول له : والآن ما رأى د . مصطفى محمود في الرأي القائل باننا مقلدون ، ونفتقد الى العنصر الابداعي الابتكاري ، ومن هنا جاءنا التخلف ؟

ويقول : ينطبق هذا الكلام الى حد ما على المائة سنة الاخيرة التي ساد فيها الاستعمار الوطن العربي ، فنحن الآن نأخذ القطار والدبابة ، والسيارة والتليفزيون ، والمفاعل الذري — من الغرب ، ولا نخترع شيئا . كما اننا نأخذ قالب القصة والمسرح من الغرب ، واساليب البناء أيضا غربية .

وهذا امر طبيعي ، ففي العصور الوسطى صنع الغرب ما نصنع الآن ، فكان يعيش مرحلة ظلمات ، وكان ينقل حضارته عنا ، فاخذ الكيمياء والطبيعة والرياضيات والفلسفة منا نحن وكان يترجم عن ابن سينا ، وابن رشد والرازي وابن الهيثم وابن حيان — الى

مع الطبيب الأديب المفكر المتصوف
الدكتور مصطفى محمود

لغته ، وهكذا كان الاخذ والعطاء يتداول بين الامم ..

ولكن رغم مرحلة النقل التي نعيش فيها ، ورغم اننا اخذنا من الادب الغربي قالب القصة والمسرح الا اننا وضعنا في هذه القوالب تراثنا وشخصيتنا ، فانت تقرأ فيما يكتبه نجيب محفوظ ،وتوفيق الحكيم ، وطه حسين ، والعقاد ،ويوسف ادريس - تقرأ مصر ، وتجد مصر ، برغم ان القوالب اجنبية . وتلك بداية ولعلنا لكون مقبلين على عصر نهضة نعطي فيه الغرب كما اخذنا منه .

ويمتد الحوار الى دور الكاتب في المجتمع فيقول الدكتور مصطفى محمود ان الكاتب هو مصلح اجتماعي ومقنن لنظريات وفلسفات ذات منهج ورؤية ، وهو المصور للواقع مع المزج بالخيال - هو كل هذه الاشياء ، فيقدم الواقع مع الحلم والحاضر والمستقبل ، ويقدم المشكلة والرؤية والحل .

ثم يتعجب كاتبنا مما يدور الآن في الساحة الثقافية وما يقال عن ركود الثقافة وعن توقف المسيرة الادبية فيقول:

ان الكلام عن توقف المسيرة الادبية غير صحيح ، فالادب لم يتوقف بتوقف طه حسين والعقاد وانما على العكس سار بخطى اوسع وبمنظور مستقبل أشمل وما نقرأه لكتاب اليوم من قصة قصيرة ، ورواية طويلة ،ومسرحية - أعمق وأجمل واشمل في الرؤية مما كتبه العقاد وطه حسين .

ولكن - هل يستطيع الناقد أن يخلق الكاتب الجيد ، أو أن الكاتب الجيد هو الذي يطور المنهج النقدي ويخلق الناقد المتمكن ؟

ويجيب الدكتور مصطفى فيقول : لا يستطيع احد أن يخلق احدا ... كل ما يفعله الأدب الجيد ان يقدم مادة ملائمة للنظر والتحليل ،فاذا كانت هناك الموهبة الناقدة ظهر الناقد ، فاذا لم تكن هناك الموهبة لم يستطع الاديب أن يخلق ناقدا والعكس صحيح .

ثم يصل بنا الحوار الى ما يقال عن الاختلاف بين علم النفس وتقاليد الدين في علاج الأمراض النفسية .

فيقول : هناك اختلاف كامل بين الدين وعلم النفس فالدين اشراق واستنارة باطنية ، بينما علم النفس نوع من التحليل العقل . وحاليا علم النفس يعالج بالاقراص والمسكنات ، وبالمناسبة ، انتهت مدرسة التحليل الفرويدي تماما من المدرسة النفسية .

يبقى أمر هام لابد أن يأخذ دوره في الحوار ان التقدم العلمي قد جاء أساسا ليخدم الانسان ، ولكن اثبت العكس ، ففي ظل العلم فقد الانسان السيطرة على نفسه وزاد القلق وفقدنا عنصر الامان .

ويعلق الدكتور مصطفى بالموجز المفيد فيقول :

هذا صحيح ، ولكنه يرجع الى عدم الايمان وضمور الرحمة في نفس الانسان ، والانحلال الخلقي ، وغلبة القسوة هي التي جعلت من العلم مصنعا للرعب والقنابل ولم تجعل منه نورا وامنا للناس ..

نعود الى العلم مع الشمس والطاقة وخسوف الشمس ..

يقول العالم والمفكر صاحب الاهتمامات العلمية والدينية في شاغله الاوحد :

ان العلماء يحاولون تقليد العمليات التي تجرى داخل الشمس .. فارادوا عمل شمس صغيرة على الارض مثل « بطارية » تولد طاقة ، فواجهتهم مشاكل عديدة أهمها تسخين العناصر الى غازات عالية ، تصل الى ملايين الدرجات مثل الحرارة العالية في باطن الشمس ، وكيفية تقليد الضغوط العالية الحاصلة داخل الشمس ..

وترى العلماء في أمريكا والمانيا يتعاونون من أجل اطلاق منظار فلكي يذهب الى الشمس ،يتابع ويصور وينقل الينا كل نبضة تجرى داخل هذا النجم الخطير ..

وفي الواقع ما زالت أعز لحظة عند العلماء هي لحظة متابعة وتصوير الشمس عند خسوفها وما يسمونه ساعة

الصفر فى خسوف الشمس لدرجة ان العلماء يستعدون لهذه اللحظة استعدادا تاما بكل الاجهزة التى تلزم ذلك • وهذا الاستعداد يسبق تلك اللحظة بسنين •

كل هذا لتسجيل الخسوف الكلى ، ولتصوير هذه اللحظة الصغيرة ، وعادة لا تزيد عن دقائق ، ثم تظهر الشمس مرة أخرى ..

وهنا يتبادر السؤال التالى •

ماذا يحدث عند خسوف الشمس ؟

فى هذه الحالة نجد ان القمر اثناء دورانه حول الارض ياخذ وضعا بين الشمس والارض ويخفى وجه الشمس ، فتاتى لحظة يغطى فيها وجه الشمس بالتمام ، وفى نفس الوقت فان الشمس تلقى ظل القمر على الأرض فى مخروط فى منطقة ما ،من يقف فيها يرى الشمس محجوبة تماما فيما يسمى بساعة الصفر فى الخسوف الشمسى •

وهنا فى هذه اللحظة يرى الواقف فى هذه المنطقة قرص الشمس محجوبا تماما ولاول مرة يرى الاكليل الشمسى أو الهالة الشمسية مكشوفة تماما ، وهذه مسالة تهم العلماء جدا لانهم يريدون ان يرصدوا الاكليل الشمسى او الهالة الشمسية ، ويكشفوا الغازها ، فان من عجائب هذه الهالة الشمسية ان درجة حرارتها تصل لمليون مع ان سطح الشمس درجة حرارته ستة الاف •

وهنا نلاحظ سرا عجيبا جدا وهو أن قرص الشمس عندما يحجب اثناء الخسوف الكلى ، فاننا نجد الدنيا تظلم اثناء النهار ، ولاول مرة نرى الكواكب فى وقت الظهيرة نتيجة الاظلام - فماذا يعنى ذلك ؟

يقول الدكتور مصطفى انه يتضح لنا شىء خطير وهو ان الكواكب ظهرت فى غير مكانها المحسوب ، بعكس قوانين الفلك ، حيث ان الفلك كما نعلم علم دقيق يعرف حركة الكواكب ومتى توجد وكيف وأين بالدرجة والثانية والدقيقة فمحسوب فى الجداول انه اذا أمكن رؤية الكواكب بالنهار نتيجة احتجاب الشمس ؛ فانه سيكون مكانها كذا ..

وفى نهاية الرحلة مع المفكر والعالم والفيلسوف والمتصوف - اردت ان أتعرف كيف يقضى الدكتور مصطفى محمود يومه ، وما هى أسعد أيامه ؟

قال : اسعد أيامى هو مابدأ بصلاة الفجر ، فهذه الدقائق القليلة التى اقفها بين يدى الله ؛ وهداة الليل والسكون هى احيانا تكون أثمن من جميع ساعات العمر ، لحظات يتجرد فيها الانسان من كل شىء ، يتجرد من همومه وشهواته وشواغله يتجرد من عمله ونفسه واسمه ، ويقف فى العراء التام كأنه نقطة عدم بين يدى الوجود الاعظم الله ، لحظة ضعف واعتراف وشكر •

وأجمل الايام عندى هو مابدأ بتلك اللحظات ، وعادة يتلو هذه اللحظات ساعة تأمل مع النفس أو استماع لبعض القرآن الكريم ، ثم تعقب ذلك غفوة قد تطول ، اصحو بعدها على شمس النهار لابدأ حياتى وعملى ..

وهكذا حتى ياتى وقت الظهيرة والاسترخاء ثم يبدأ المساء ، **وانا اقضى اغلب الامسيات فى بيتى بين كتبى اقرأ والكر واتأمل نجوم الليل من خلال « تلسكوب » او أتابع خلية حجمها واحد على الالف من المليمتر من خلال ميكروسكوب .. او تجدنى غارقا فى صمت تام لا صوت ولا حركة كانى فى حالة عطل تام .. والحقيقة ان الحركة تكون قد انتقلت الى داخل كما تحول الصمت الى حوار بينى وبين نفسى ، قد تكون هذه المرة بداية لمقالة او لكتاب جديد .. او تجدنى امضى بعض الليل فى الاستديو الخامس بالتليفزيون بين الكاميرات والديكورات اسجل حلقة جديدة لبرنامج « العلم والايمان »**

ويحلو لى فى اوقات الفراغ وفى شمس الشتاء ان اخرج الى صحراء الهرم ، او اتردد على شاطىء بحيرة قارون فى الفيوم او على شاطىء البحر ، ثم بعد الواحدة صباحا يبدأ ختام اليوم لاصحو على اسعد لقاء مع الفجر الجديد•

●●



حيوان أم لعبة؟

الباندا فصيلة من الدببة لا توجد الا فى الصين •

وهى دببة تأكل اللحم • ولها اظافر فيها قوة ولكنها تتميز بكسل شديد ، ولهذا فهى لا تكلف نفسها عناء الصراع للحصول على فرائسها ، ومن هنا فهى مسالمة جدا ، ولا يخشى انسان او حيوان بأسها • ولكى تريح نفسها من متاعب الآخرين فهى تعيش على الاشجار ،فتجد الباندا وزوجته متخذين مكانهما فى اعلى شجرة معظم الوقت ، ولا ينزلان الى الارض الا اذا اشتد بهما الجوع، هنا ينشطان بعض الشىء حتى تقع لهما فريسة صغيرة مثل ارنب او اى نوع من الاعناز ، وبعد ان يأتيا على الفريسة يعودان الى الشجرة ويخلدان للنوم •

والطف ما فى الباندا هو لون فرائها ،فهو ابيض اسود لا يتغير كما ترى فى الصور المنشورة مع هذا الكلام ، وهذا الفراء هو الذى يجذب اليها الانظار ، فان شكلها لطيف جدا كأنها لعبة اطفال ، ولا يمكن ان يمر بقفصها احد فى حدائق الحيوان الا استلفتت نظره ووقف عندها ، وخاصة الاطفال ••

ثم ان الباندا رغم كسلها البالغ حيوانات ذات دعابة ، فهى تلعب بعضها مع بعض دائما ، وتأتى بحركات غاية فى الطرافة ،والدببة كلها على اى حال تأتى بحركات لطيفة جدا ، فهى رغم ضخامة حجمها بهلوانات فتسير على قدميها الخلفيتين وتتشقلب وتأتى بحركات هى الغاية فى الطرافة ••



ولكن الباندا حيوانات نادرة ، ولا يزيد الموجود منها في العالم على مائتين ، ومعظم حدائق الحيوان في العالم خالية منها ، ولهذا فان الصين تعنى بها عناية شديدة ، وتهدى منها للدول بحساب دقيق ، ويتولى موضوع الاهداء رئيس جمهورية الصين نفسه ، لان هدية زوج من الباندا تعتبر تحفة نادرة ، والى الآن اعطى الرئيس ماوتسى تونج وهو فقط اربعة ازواج هي : الى كوريا الشمالية والولايات

ناس وصور وحكايات

حيوان .. أم لعبة ؟

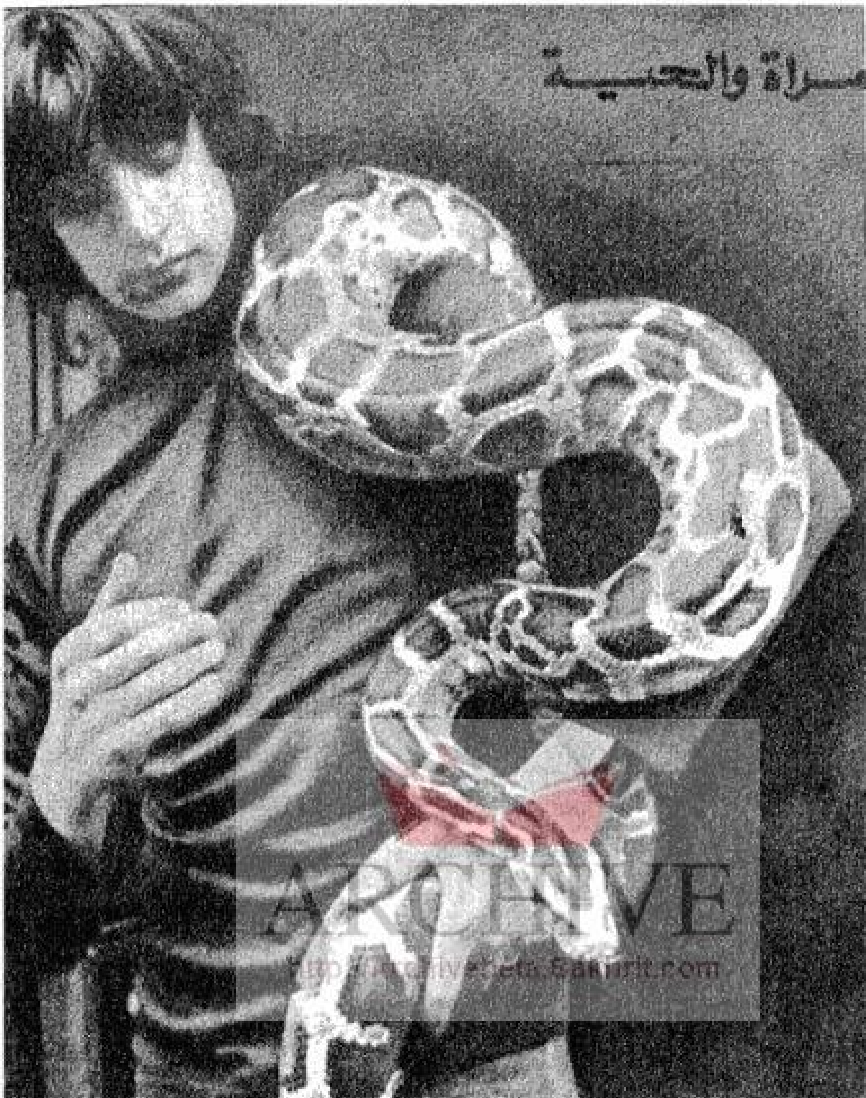
المتحدة واليابان والمانيا الغربية ، وقد كان وصول زوج الباندا الى المانيا حدثا كتبت فيه الصحف ، وما زال المستشار شميت يفكر : الى اى حديقة حيوانات المانية يعطيها ؟ فان فى المانيا الغربية نحو عشرين حديقة حيوان ، وكل منهما طامعة فى تلك الطرفة الجميلة وعندما زار نيكسون الصين زيارته المشهورة التى فتحت الابواب بين الصين والولايات المتحدة عاد بزوج من الباندا ، واعتبر الناس ذلك من جلائل أعماله ..

والسر فى ندرة الباندا هو انها قليلة الانجاب جدا ، ويعلل الباحثون ذلك بكسلها الشديد ، فقد يمر موسم اللقاح دون ان يقترب الباندا من رفيقته ! واذا حدث ذلك فنادرا ما تحصل ، واذا حملت اتت بدب واحد ، ولابد من انتظار عامين أو ثلاثة حتى تاتى بالثانى . ولكن الانثى شديدة الحنان على والدها ، وهى ما تفتا طول اليوم تهدهده وتلاعبه ولا تطيق ان يبتعد عنها شبرا ..

ويطلق رجال حدائق الحيوان على أزواج الباندا أسماء ذات طابع صينى ، فالزوج الذى فى اليابان يسمى الذكر كان - كان والانثى لان - لان . وانثى الزوج الموجود فى حديقة حيوان لندن تسمى تشى - تشى ، وذكر الزوج الموجود فى موسكو آن - آن . وقد فقد كل منهما اليفه من سنوات ويعيش عزبا . وقد نقلوا تشى - تشى مرة الى آن - آن لتحمل وتلد ولكنها لم تحمل رغم تكاليف النقل بالطائرة فعادوا وحملوا آن - آن من لندن الى موسكو بالطائرة ، وهناك حصل اللقاح والحمل أخيرا ، وقد عقد اتفاق دبلوماسى بين الدولتين على أن يكون المولود الأول لروسيا والثانى اذا حدث فى المستقبل - لانجلترا ..

وهكذا ترى أن لهذه الحيوانات دورا فى الدبلوماسية ، وبالفعل تعتبر هدايا الباندا هدايا دبلوماسية ، فلا تهديها الصين الا للبلاد الصديقة جدا .

المـــرأة والحيـــة



العلاقه بين المراة والحية قديمة معروفة ، فكلنا نعرف دور الحية فى اغراء حواء واخراجها - هى وزوجها آدم عليه السلام من الجنة ..

وفى جنوبى سويسرا ، فى مقاطعة التسين سيدة تسـمى الويزا باخ تحب الحيات الضخمة وتربيها فى بيتها بعد أن تنزع منها غدة السم وتكسر طرفى النابين اللذين ينفثان السم .

وقد شكا الجيران من ذلك وحاول البوليس ان يستولى على الحيات ليعدمها استجابة لمطالب الجيران ولكن السيدة تتمسك بحياتها ولا سبيل للقانون اليها .



الحقيقة ..
وظل الحقيقة

يقولون ان ظل كل شيء يطابق اصله فكما يكون الاصل يكون الظل ، ولكن المصور الذى التقط هذه الصورة اراد ان يثبت العكس ، فتحرى ان يصور لاعب تنس فى لحظة اشبه فيها ظلـــه شكل قرد متعلق بذيله فى شجرة. وقد استوقف نظره هذا الظل الغريب، فنقل بالكاميرا الى جانب اللاعب حتى حانت الفرصة فكانت هذه الصورة الطريفة .

أول قمر صناعي ترسله ألمانيا إلى الفضاء

كانت الاقمار الصناعية الى حين قريب اختصاصا امريكيا روسيا ، وذلك بسبب ثقل تكاليفها وصعوبة اطلاقها ووضعها في مواضعها المحددة لها .

ثم دخلت الميدان انجلترا ، فصنعت قمرا ولكنها لم توفق الى اطلاقه ، وصنع الفرنسيون عددا صغيرا من الاقمار . والآن جاء دور الالمان ، وقد نجحوا في أول محاولة واثبت قمرهم الصناعي انه لا يقل كفاءة عن الامريكي والروسي .

وكلمة قمر صناعي مضللة فالحقيقة ان هذه الاجهزة التي تطلق في الفضاء ليست اقمارا في شيء ، انما هي تسمى في الغرب توابع .. (ساتليت) وهي عبارة عن اجهزة تتلقى الموجات الصوتية والضوئية وتعيدها الى الارض في المواضع المحددة لها ، وسبب صنعها والاعتماد عليها هو ان الموجات الصوتية والضوئية لا تسير الا في خطوط مستقيمة ، وحيث ان سطح الارض منحن فان الموجات المرسلة لا يمكن ان تصل الى المكان المطلوب الا اذا اطلقت في الجو ثم ارتدت الى الارض مرة اخرى في خطين مستقيمين :

١ ـ جهاز توجيه التابع الكترونيا من الارض ليسير في المسار المقرر ويستقر في الموقع المطلوب .

٢ ـ غرفة صغيرة لقائد التابع اذا ارادوا ان يستعمل مركبة فضائية ، وفي هذه الحالة يذهب القائد ومن معه بالتابع كانه صاروخ فضائي ، فيحدد المكان والمسافة ثم يعود الى الارض . ويطلقون بعد ذلك توابع تثبيت في الهواء .

٣ ـ جهاز رادار .

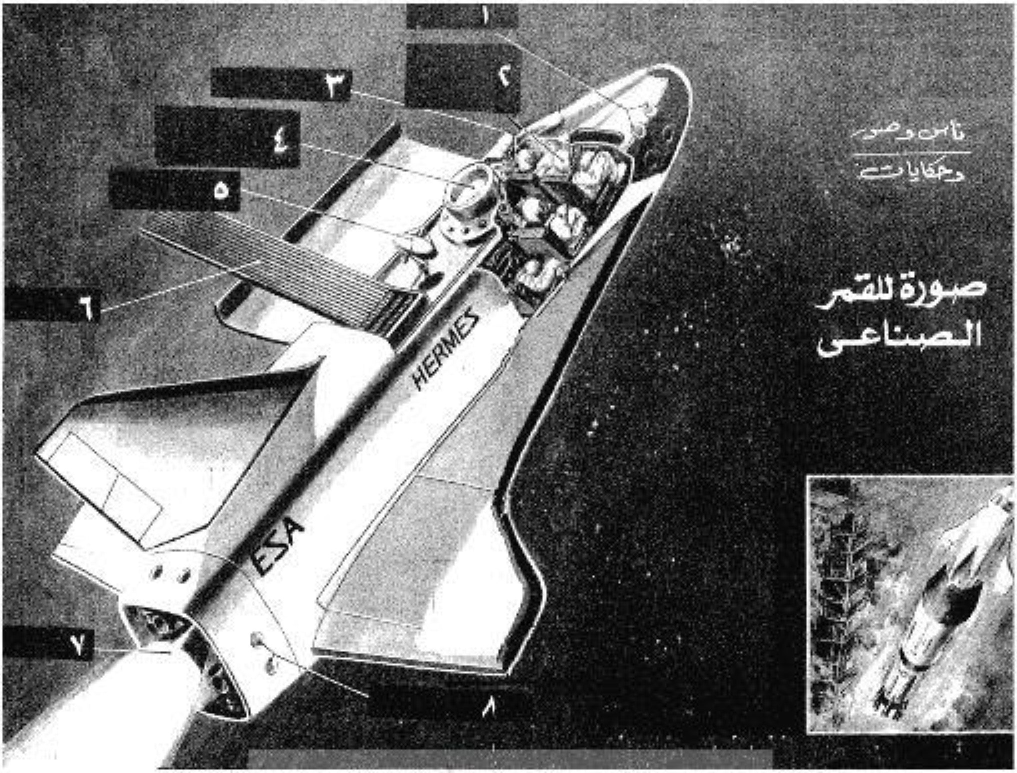
٤ ـ جهاز خاص لكشف الاقمار الصناعية او التوابع الاخرى ، والجهاز الالماني يستطيع « سرقة » الصور التي ترسلها الاقمار الروسية الى الارض ، فهو جاسوس على الجواسيس .

٥ ـ جهاز للاتصال بالارض .

٦ ـ الهوائي العاكس ، انه اشبه بجناح طائرة ، ولكنه لوحة عاكسة . هذا الهوائي اهم ما في التابع .

٧ ـ جهاز قذف الصاروخ أو التابع .

٨ ـ جهاز لتوجيه الصاروخ .


ناس وصور
وحكايات
صورة للقمر
الصناعى
HERMES
ESA
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨

شخصيات ومواقف

ابن سبعين

● ليلى : بنت الشهباء ●

● هو واحد من اولئك الذين ساروا في طريق الله ، بالله ، ولله .. وترقوا في معارج الكمال ، بلا اقتدار بانموذج الكمال ، فاختلفت الالسن فيه .. وقد اتفقت كلمة المؤرخين على ان : « اغراض الناس فيه متباينة ، بعيدة عن الاعتدال ، فمنهم المرهق المكفر . ومنهم المقلد المعظم الموقر ، وحصل بهذين الطرفين من الشهرة والانتقاد ما لم يقع لغيره ، والله تعالى اعلم بحقيقة أمره » .

عبد الحق بن سبعين ابو محمد عبدالحق بن ابراهيم بن محمد بن محمد ابن سبعين المقدسي الرقوطي الاندلسي — ولد سنة اربع عشرة وستمائة (٦١٤) هـ . ينتهي نسبه الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم درس العربية والآداب في الاندلس ، وانتقل الى سبتة ، وانتحل التصوف ، وعكف برهة . على مطالعة كتبه والتكلم على معانيها . ثم رحل الى الشرق بعد ان اخرجه ابن خلاص حاكم سبتة ، وذلك على اثر وشاية الحاسدين من فقهاء عصره الذين ضاق صدرهم من اقبال الناس عليه ، واعتقادهم به .

ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء ، كثر عليه التأويل ، ووجهت لالفاظه المعاريض ، وقلبت موضوعاته . وتعاورته الوحشة ، وجرت بينه وبين كثير من اعلام المشرق والمغرب خطوب يطول ذكرها . ولما تلاحقت انفاس تاريخ مشرق في جسد الاندلس ، وبدا المخاض في رحم فكرها وادبها ، وتسابق كبار فلاسفة وعلماء ليمتطوا شمس ادب وفكر يجوبون رحاب الاندلس ، فما من معضلة فلسفية او علمية تفاقم غموضها في ليل علماء العصر آنذاك ، الا وكان وهج شمس المعرفة عند علماء الاندلس كاشفا لقمة غموضها ، مضيئا اعماق حقيقتها ..

ولما وجه ملك النورمانديين الامبراطور فردريك الثاني المسائل الصقلية تبكيتا للمسلمين وافحاما لهم ، كما يذكر صاحب « النفح » — ارسل بمسائله هذه الى المشرق ، ومصر والعراق ، والشام ، واليمن .. فجاءته الاجوبة بما لا يقنع او يرضي .. وتبقى حقيقة الاشياء قابعة في الاعماق تنتظر رجل ما وراء الاعماق ليكشف سترها ، ولم يكن سواه .. عبد الحق بن سبعين .

ولهذا نرى ان الكمال على مسرح الفكر عند رجل ما ، سرعان ما يجمع حوله الانوار ، وتتبعه الابصار .. فما من حركة ولا سكنة في الفكر الا ولها متأسون ، وبها مقتدون ، وعليها ناقدون ولها متخرصون ، فيختلط المدح بالقدح ، والحق بالباطل ، وتلتبس الحقيقة عند غير اهلها ، فهم فيها حائرون ..

لذلك كله آثرت ان اتخذ التوثيق معيارا للتحقيق ، وان اضع كل كلمة قيلت فيه او نسبت اليه في ميزان النقد العلمي ، فلا اقبل الا ما صحت نسبته وبان قصده .

ولاتخذن من وصيته لاصحابه نموذجا تتعرف به على عقيدة الرجل ومنهجه . يقول ابن سبعين :

(سلام عليكم ، حفظكم الله .. حافظوا على الصلوات ، وجاهدوا النفوس في اتباع الشهوات ، وكونوا عباد الله اوابين ، توابين ، واستعينوا على الخيرات بمكارم الاخلاق واعملوا على نيل الدرجات السنية ، ولا تغفلوا عن الاحكام السنية ، وذوقوا مفصل اللذات الروحانية : ولازموا المودة في الله بينكم) .

انه يدعو اصحابه الى التزام الشريعة ، واجتناب نواهيها ، وتربية النفس والتوبة الى الله على الدوام ، والتزام

مكارم الاخلاق : فالتصوف اخلاق ، ومن زاد عليك فى الاخلاق زاد عليك فى التصوف ، ثم بعد ذلك همة عالية تدفع صاحبها الى طلب المعالى والبعد عن السفاسف ، وملاحظة المودة فى الله (فان أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله) .

ويتابع وصيته : (وعليكم بالاستقامة على الطريقة ، وقدموا فرض الشريعة على الحقيقة ، ولاتفرقوا بينهما فانهما من الاسماء المترادفة) والاستقامة اعلى ما يتطلبه المؤمن فى حياته ، فمن استقام فقد افلح (جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال . يا رسول الله : قل لى فى الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا . قال : قل آمنت بالله ثم استقم) . فمن استقام التزم الشريعة بحقيقة ، فاذا خالفت الحقيقة الشريعة رفضها وقدم الشريعة . فالشريعة خبر ، والحقيقة شهود الخبر ، والشريعة ايمان والحقيقة احسان ..

الشريعة امر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية .. فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصولة . فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة انباء عن تصريف الحق ، فالشريعة ان تعبده ، والحقيقة ان تشهده ، والشريعة قيام بما امر ، والحقيقة شهود لما قضى ، وقدر ، واخفى واظهر) .

بعد ذلك يتابع ابن سبعين وصيته ليهاجم دعاة التحقق فى زمنه فيقول: (واكفروا بالحقيقة التى فى زمانكم هذا ، وقولوا عليها وعلى اهلها لعنة الله فانها حقيقة كما سمى اللديغ سليما ، واهلها يهملون حد الحلال والحرام ويستحقون باشهر الحج والصوم ، والاشهر الحرم ، قاتلهم الله انى يؤفكون وانقلبت عليهم احكام الجهل ، واكثروا من جميع الاعراض للولد والاهل ، وحرموا مزية الرحمة والعفو ، واسعفوا بسيرة ابى جهل وفرعون) .

فهو فى هذه الاسطر يؤكد على التزام جانب الشرع وحدوده ، وان الناس قد اغفلوا ذلك وبعدوا عنه ، فهو يرى كما يرى سابقه ابن عربى ـ رحمه الله فى مصارج القدس ان الحقيقة اهلها قليل ، وادعياؤها كثير

يقول بعد ذلك :

(واعلموا ان القريب الى منكم من لا يخالف سنة أهل السنة ؛ ويوافق طاعة من له العزة والمنة ، ويؤمن بالحشر والنار والجنة ، ويفضل الرؤية على كل نعمة ؛ ويعلم بعدها ان المرجو ان يصل لكل رحمة ، ويطلب الذات بعد الادب مع الصفات والافعال ، ويضبط نفسه بالمشاهدة فى القوم ، والروح فى كامل الاحوال ، وكل مخالف بان منه التخلف والفساد ، وان كان من اخوانكم فاهجروه فى الله ، ولا تلتفتوا اليه ، ولا تسلموا له فى شىء ولا تسلموا عليه ، حتى يستغفر الله العظيم بحضور الكل منكم ، ويرضى عن نفسه وحاله وعنكم ، ويخرج عن صفاته المذمومة ، ويترك نظام دعوته المحرومة ، وانا اشهد الله انى قد خرجت من كل مخالف سخيف العقل واللسان ، ولا نسبة بينى وبينه فى الدنيا ولا فى الاخرة ، فمن زل قدمه يستغفر الله ولا يخدعه قدمه ... واغتبطوا بما انتم عليه ، فما فى العمر يصل اليه . والقوى الذنب منكم لا تقبلوا له توبة الا بحلق الراس ولبس الصوف ، والوقوف من المقرب الى المشاء الاخرة والصمت ، ومن يسمع منكم من يتكلم القبيح فى التحقيق ، فازجروه واهجروه : وبخوه وذموه ، وتغافلوا عنه ، ولا تقبلوا بعد ذلك منه) .

بعد ذلك يختتم ابن سبعين وصيته لاصحابه ببيان مقامه واحواله فيقول: (واعلموا انه لا حاجة لى فى السموات ، ولا فى الارض ولا فى الدنيا ولا فى الاخرة ، ولا فى الامل المقدر ولا فى الكون المكون ، ولا فى النظام القديم ولا فى التعلق الصرف ، ولا فى الشان المشار اليه ولا فى الجسوم المقيدة ، ولا فى الذوات المجردة ، ولا فى الاعراض المعددة ، ولا فى الكمالات الممتدة ، ولا فى الحروف المقتنة ـ الا فى ذات الله ... وفى المعددة ذات من صحبنى من اجله . والسلام على من صلحت نسبته واستقامت سنته ورحمة الله تعالى وبركاته) .

ولابن سبعين مصنفات فى علوم

عصره ، يلغز فيها تارة ويفصح اخرى.. منها كتاب (يد العارف) قيل انه الفه وهو فى الخامسة عشرة من عمره . وكتاب (البدو) وكتاب (ما لابد للعارف فيه) . وكتاب (الاحاطة) ؛ وكتاب الحروف الوضعية فى الصور الفلكية وشرح كتاب (آدريس عليه السلام) ، والذى وضعه فى علم الحرف) .

(ابن سبعين ونقد الناقدين)

ولا أعسر على الباحث المحقق من ان يجد نفسه امام اقوال متنافرة وأضداد متغايرة لا تستند فى توثيقها ولا تجريها على أسس الجرح والتعديل .. فمحب مادح ، ومبغض قادح . فاذا جاز لنا ان تقبل التوثيق مبهما غير مفسر ، فلا يصح بحال أن تعتمد النقل غير موثق والجرح غير مفسر . .

قالوا فى كيفية وفاة ابن سبعين انه فصد يديه وترك الدم يخرج حتى توفى ...

ونحن لا نعتمد هذه الرواية ولا نقبلها فهى بعيدة عن الحس الايمانى بعد الارض عن السماء ، فضلا عن هلهلة النقل وضعفه .

ومما اخذ على ابن سبعين سلاطة لسانه فى نفر من الأسلة الاسلام ومفكريه . كامام الحرمين (الجوينى عبدالملك وتلميذه حجة الاسلام الغزالى). فقد نقل ابن العماد الحنبلى فى الشذرات انه - اى ابن سبعين قال فى الغزالى: (ادراكه فى العلوم اضعف من خيط العنكبوت) !..

ثم يعقب ابن العماد على ذلك بقوله: (فان صحت نسبة ذلك اليه فهو من اعداء الشريعة المطهرة بلا ريب) ...

ولا شك فى ان للغزالى مكانته العظيمة فى قلوب علماء الاسلام ، غير ان هذه المكانة لا تمنع وجود مخالف او ناقد (فما منا الا رد ورد عليه) .

وابن سبعين اندلسى مغربى ، وحدة الطبع عن بعض المغاربة أمر معروف حتى قيل فى ابن حزم ان لسانه وسيف الحجاج شقيقان !.

على ان ابن سبعين حينما ذكر ماذكر فى الامام الغزالى ، قد عقب بعد ذلك بقوله : (وينبغى ان يعذر ويشكر لكونه من علماء الاسلام على اعتقاد الجمهور ، ولكونه عظم التصوف ، وحال اليه بالجملة ، ومات عليه) .

الا ترى بعد ذلك ان قول ابن العماد (فان صحت نسبة ذلك اليه فهو من اعداء الشريعة المطهرة بلا ريب) - الا ترى أن غيرة وحمية ، بلغت حدتها خارج حدود المعقول والمقبول سيما وانتقاد المتعاصرين او المتقاربين ، امر فطرى ، غريزى ، جرى عليه السلف وتبعهم على ذلك الخلف ، حتى قيل : (لا عبرة لقول المعاصر فى معاصره) ..

فابن سبعين لا يتهم الغزالى فى دينه ولا فى خلقه ، انما يرى قصر باعه فى العلوم العقلية ، ويرى ان الغزالى متأثر بفلسفة اخوان الصفا ، وهذا ما يراه الشيخ مصطفى صبرى فى كتابه (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين) .

والحقيقة ان الغزالي - رحمه الله - تبرأ من كل ما كتب فى علوم الفلسفة بعد ان سلك طريق القوم ، ونهج منهجهم والف كتابه (احياء علوم الدين) .

ومما رمى به عبد الحق بن سبعين ما نسب اليه زورا وبهتانا من قوله انه يعتقد أن النبوة مكتسبة .

ولست أدرى اين عثر المخالف على هذه العبارة فى كلام ابن سبعين ومن نقلها عنه أو سمعها منه .

فبالعودة الى مصادر التاريخ التى ترجمت لابن سبعين . نرى ان كل من نقل هذه العبارة عنه ، عزاها الى الامام الذهبى : وكلهم شاكون فى صحة نسبتها

---

(١) ابن شاكر (الوفيات)

الى ابن سبعين ، فصاحب النفح يقول: (ويرمى بأمور الله تعالى اعلم بحقيقتها) ويقول فى موطن آخر (والله تعالى اعلم بحقيقة امره) وقال فى درة الاسلاك ما سبق نقله (ولما توفرت دواعى النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ، ووجهت لالفاظه المعاريض وقلبت موضوعاته وتعاورته الوحشة) .

وقال ابن شاكر بعد ان ذكر قول ابن سبعين نقلا عن الحافظ الذهبى قال ـ اى الذهبى ـ : « أن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الاسلام » .

بعد هذا الشك الذى رايت ، من اين جاءت تلك المقولة ؟. ومن نسبها اليه ؟. اين هى فى كلامه ، من سمعها منه ؟.

كلهم يعزونها الى الذهبى ، والذهبى نفسه شاك فى صحتها لا يعزوها لاحد ولا يرويها عن ثقة .. انما يقول: (واشتهر عنه انه قال) ـ فمن اين جاءت تلك الشهرة يا ترى ؟.

على السنة العامة ؟ ومن اين للعامة بذلك ؟!.

امن الحاسدين الناقمين ام من فقهاء بلده الذين جرت بينه وبينهم خطوب لما نال من المكانة الرفيعة والمنزلة العالية ..

وبعدها . ليقل واحد انى سمعتها منه أو قرات ذلك له ..

فالحافظ الذهبى وهو من اكبر المنكرين لطائفة الصوفية ، بعد أن ذكر العبارة قال : « ان كان ابن سبعين قال هذا ... » ـ شك وتردد . فمثل هذا النقل ينبغى الا يعتمد عليه والا يقبل والا نحسن الظن بنقل الاخرين الى حد اتهام وتكفير الاخرين ... كما فعل شكيب ارسلان فى حلله وكما فعل ابن كثير فى البداية فى ترجمة ابن سبعين.

بعد هذا ماذا بقى من تهم وجهت لابن سبعين ؟..

قالوا انه لم يزر النبى صلى اللهعليه وسلم .. وتأول المغرضون حول عدم الزيارة ، ونكتفى هاهنا بجواب لسان الدين بن الخطيب فى الاحاطة ؛ من ان ابن سبعين عاقه خوفه من امير المدينة عن القدوم اليها ، فعظم عليه بذلك الحمل وقبحت الاحدوثة .

بقى ان نذكر ما ذكره ابن شاكر فى الفوات نقلا عن الشيخ شمس الدين الذهبى ان فقيرا صالحا اخبره ، انه صحب فقراء من السبعينية ـ وهم اتباع ابن سبعين ـ وكانوا يهونون له ترك الصلاة وغير ذلك . وقد راينا نقيض كل ذلك فى وصيته لاصحابه والتى اظهرت منهج ابن سبعين وطريقه وموقفه من المخالفين للشريعة .

بقى بعد ذلك شىء واحد : ذلك ان ابن سبعين من القائلين بوحدة الوجود وهذه حقيقة لا شك فى نسبتها اليه.

وعيرنى الواشون انى احبها
وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

غير أن وحدة الوجود ليست كما يفهمها الكثيرون من أن الله عين كل شىء ، بل هو عين وجود كل شىء ، وليس كل شىء عينا لوجوده .

فهو عين الأشياء جملة لا عين كل شىء ، وما بين القصدين مفاوز تنقطع دونها اعناق الرجال .

وفى الحقيقة أن وحدة الوجود كما قال الشريف الجرجانى (امر ذوقى لا يدرك بالكلام) .

فهى لا تعنى حلولا ولا اتحادا ولا تشبيهاولا تمثيلا ولا تعطيلا اذا التشبيه بعين ، والتنزيه عين : وما ثم الا هو ..

لذلك ارى الحديث عن وحدةالوجود ، امر لا يصل الانسان اليه بالعلمالمجرد ، بل هو حالة وجدانية التعبير عنها من الدقة بمكان بحيث لو وضعت كلمةمكان كلمة ، او حرف مكان حرف لاقتضى احتمال الاتحاد والكفر والتشبيه ، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

لذا اقول وانا اعنى ما اقول : سيبقى ابن سبعينتواما لقضية الوجود على الدوام .. ●

الأميرة التي ليس لها اسم في التاريخ

● د . طه وادى ●

هذه ليست قصة كما تظن .. وانما هى « ترجمة » لورقة بردى عثر عليها بالقرب من الاهرام ... لذلك نعتذر عن غـرابة الاسلوب ، وضياع بعض السطور منها ، كما ان نهايتها توحى بانه كانت هنـــاك ورقة مكملة لم نعثر عليها ... واذا كان فى اسلوبها بعض غـرابة فالسر فى ذلك يرجع الى محاولة ان تكون الترجمة صادقة مع طبيعة النص الاصل ..



- ١ -

الموقف الاول : خارج اطار الزمان والمكان ..

الشخصيات : امرأة تبدو فى عفة مريم ، وجمـــال نفرتيتى ، وروعـة افروديت ، وبعد نظر زرقاء اليمامة .. تلبس ثوبا فيه ألوان الطيف ، وعمرها يصعب تحديده ..

وهناك رجل فى ملابس الرعاة ، جسده عملاق مثل رمسيس ، جمع بين وسامة يوسف ، وحكمة سليمان ، وشجاعة أخيـــل ، وان لم يتطهر أحيانا من حيرة « هاملت » ...

ـ أى هذا الراعى امينانوس ... قص على ما رأيته من أحداث فى قريتك خلال ذلك الاسبوع الذى لم أرك فيه ؟

ـ وما فائدة الكلام يا مولاتى ... انت تسألين ، دائما ، عن الكلام ، وأنا أفضل الحديث عن الفعل ... نعم يا مولاتى الفعل حقيقة ، والكلمة طائر ضال !

(عنزة صغيرة تقترب من الراعى ، فيأخذها بحنان وكأنها ذات بشرية)

ـ لم هذه الثنائية ، وهذا الفصل التعسفى يا ايها الراعى امينـــانوس ... الكلمة بنت الفعل ، فلا فرق بينهما !

ـ ولكن الفعل يتجدد ويتغير دوما ، فهل تقدر الكلمات على ان تعدل الدلالة وتغير الطبيعة بنفس السرعة التى يتغير بها الفعل البشرى ؟!

الاميرة تتامل الافق البعيد وترنو الى شمس الاصيل ، غطت الوادى باشعة لا شرقية ولا غربية ... الذهب فى السماء ، النار فى الشمس ، وعـلى الارض الانام والاغنام ، وفى الصحراء لا نبات ولا ثمر ، مع انه يوجد الشمس والقمر .. تعطل ارادة البشر اين المفر .. والكلمة سهلة والفعل مات ان هذا لشىء عجاب » .

(الراعي يقول لنفسه : لماذا أيها الرب جمعت بيني وبين هذه الاميرة الحالمة ··· التي حقا لا أزور معبدك الا يوم الموسم ، ولا اقرأ أورادك الا نادرا ، ومع هذا فانا لست ممن يعدون في العصاة الاشرار ، الذين لن تلتقي روحهم بجسدهم بعد الرحيل ·· وسوف آخذ الى قبرى كثيرا من الحنطة ، ولبن الماعز ، ولحم الضأن، لم اذن كل هذا أيها الاله آمون ··· هذه الغزالة الشاردة الناعمة الرقيقة ··

أنه كان يوما ليس يمكن أن ينسى ، طارت عنزتها حين سمعت صوت الغناء ، وجرت ومعها الوصيفة تريدان أن تعيدا العنزة الشاردة ·· هي تلك الاميرة تفتخر على بان بعلها الذى يعمل في قصر الأمير قد اشترى لها هذه العنزة من السودان في احدى رحلاته اليها ، ولكن عنزتي مصرية · حتى العنز اصبح له جنسية ، ولو انه هو – اى العنز – لا يقول شيئا ، ونحن الذين نتقول عليه ، وهي – اى الاميرة تريد مني ان اقول ، وتنسى انه في البدء كان الفعل ···)

– ٢ –

الراعي بنفسه يجلس الان في كوخه مع زوجته وأطفاله الثلاثة ، الكل يتناولون الطعام : حنطة مع لبن ، وبيض مشوى على النار ·

والراعي صامت،والزوجة تتابع اطعام الاطفال،والولد الكبير هادئ، مثل أبيه والطفل الصغير شقي جدا لا يأكل ولا يبقى على الطعام ، غالبا يوقع طاجنه الفخارى ، لذلك تراقبه الام في لهفة ··· البنت تجلس بجوار الام ، كأنما هي – اى البنت – تريد أن تتعلم منها مبكرا سر مهنة الامومة ··· الام مظلومة ، والبنت مظلومة ، ولكن من الظالم في هذه الحياة ؟ ··

– ٣ –

(العائلة – اى عائلتك يا اميناتوس – صارت تأكل كثيرا ، ولها احتياجات كثيرة واسعة · ولا أحد يعمل الا انت ··· لكن لمن تشكو أى هذا الراعي الفقير اميناتوس ؟ ·· تعيش في بلد يزرع الحنطة والارز والكتان ، ويربى الماشية والحيوان ، والنيل يستخرج منه الاسماك والحيتان ، ولكن رزقك محدود ، وطريقك مسدود ، واملك في قصر مرصود ! ولكن لابد لكل بدء بد ، والاميرة تريد ان اتكلم ··· ما أريده هو الفعل ، الفعل فصل والفعل نصل ، والنصل نصر ! ··

(١) معللتي بالوصل والموت دونه   اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر !
(ابو فراس الحمداني)

(ب) اذا كانت الارزاق تجرى على الحجا   هلكن اذن من جهلهن البهائم !
(أبو الطيب المتنبي)

(ج) وتعطلت لغة الكلام وخاطبت   عيني في لغة الهوى عيناك !
(احمد شوقي)

– ٤ –

الاميرة تمشط شعرها بعد أن أكملت ارتداء ملابسها ··· نظرت في المرآة التى جاءتها هدية من مدينة منف – وها هي تنظر الان اليها في قريتها سقارة · الاميرة في المرآة صارت طائرا ··· خرجت من اطار المرآة ··· جمع الزمان في لحظة : الامس والغد ، واليوم ··

كان ابوها أحد الكهنة ، ولدت في قصر ، وتزوجت أحد رجال الحاشية •
ـ حاشية قصر فرعون ••• اعطاها كل شيء • ولكن حياة البلاط جعلت نظرتة الى الحياة فيها استعلاء على البشر ، وشك مريض في الانثى •
ولكن الرب اعطاها روحا طاهرة وعقلا متفتحا ، تريد أن توقع في كتاب الكون •• تشتاق الى أن تقوم بدور في الحياة ، تريد أن تقرأ اسفار التـــاريخ وكتب الفلسفة ولوحات الفنون • تتمنى أن تشكل قصيدة ••• في قلبها حب شديد للبشر • وفي راسها عقل مفتوح ••
الحياة ••• الانسان ، يا اى هذا الانسان ، انت ـ وليس الملائكة ـ الذى علمه الرب ••• الاسماء كلها ••• انت الحرية ، انت العلم ، انت العمل •

ـ ٥ ـ

انت الامل ـ ياللقسوة • وانت أيضا النار •• الليل •• الظلم !

(ا) ـ اعطني حريتي اطلق يدى انني اعطيت ما استبقيت شيئا
آه من قيـــدك ادمى معصمي لم ابقيه ، وما ابقى عـــلى ؟
(ابراهيم ناجي)

(ب) ـ « الى الذين يؤرقهم الشوق الى العدل ، والى الذين يؤرقهم الخوف من العدل ، الى الذين يجدون ما لا ينفقون ، والى الذين لا يجدون ما ينفقون ـ الى اولئك وهؤلاء جميعا اسوق هذا الحديث » •
(المعذبون في الارض ـ طه حسين)

« انا ولدك حوريس ، جئت اعيد اليك الحياة ، لم يزل لك قلبك الحقيقى •• قلبك الماضى » •
(كتاب الموتى)

ـ ٦ ـ

ـ اريد يا اميرتى ، واعرف جيدا ما اريد ••
(الاميرة ملاك الرحمة •• قديسة لابسة طارحة ، ملكة عليها التاج •
أم تحمل الوليد ••• اخت تشد حبال الخيمة •• صديقة تعرف معنى الصديق ••• عالمة وعلمى مثل علمها ! •• الاميرة لا هذا ولا ذاك ، تعيش لكى تبنى • وتبنى من أجل أن تعيش • تعيشى يا مصر ، يا أم الكوخ والقصر) •
ـ أيها الراعى الحكيم امينانوس •• أتعرف سر حيرتك ، غربتك ••• لا تحزن
ـ لقد علمك رعى الاغنام الحكمة الخرساء والصمت الميت ••
صرت كانك شاة في القطيع • أو لست تعرف انني لا أدرى معنى هذا البكاء النبيل الذى يصدره نايك الحزين ؟ •• الصمت موت ، والكلمة صوت ، تكلم تجد نفسك ويأتى فعلك ••
ـ لكنى كلمت نفسى كثيرا •••
ـ الكلمة لا تؤثر الا اذا سمعت •• الفكرة الحبيسة جنين مجهول حتى تولد الكلمة الفاعلة كالطفل الشرعى يعرف أبويه •
ـ فيك شبه من أمى النبيلة ••
ـ لا ، ليس كثيرا •• أمك طيبة ، ولكن ليست طاهرة •
ـ يا لقسوتك !
(كان يريد أن يقول يالا نافيتك وظلمك)

ـ امك لم تعرف غير أبيك ، ومن يدرى ماذا كان الحال تصبح هي عليه اذا وجدت رجلا أفضل منه ، بل أى رجل والسلام ٠

ـ ماذا تريدين ؟

ـ اعرف من الرجال أكثر مما تعرف انت من الغنم ، واعرف عنكم الكثير ٠٠ ولكن الخيوط لا تتشابك والخطوط لا تتداخل ٠

ـ يعنى ماذا ؟

ـ لا احب الشرح ٠٠ فاللغة عاجزة والفعل واضح !

ـ ٧ ـ

(آ) ـ يموت الهوى منى اذا ما لقيتها ويحيا اذا فارقتها فيعـــود !

(جميل بن معمر)

(ب) ـ « ان السيف قاطع حقا للالسنة والرؤوس ، ولكنه ليس بقـــاطع فى المشاكل والمسائل » ٠ (توفيق الحكيم ـ السلطان الحائر)

ـ ٨ ـ

اول ما نبدى اليوم نصل عل النبى نبى عربى سيد ولد عدنان ٠٠ وبعد الثناء عل طه الرسول ، أنشا الراوى يقول :

بعد أن طال الحوار بين الراعى والاميرة أدرك انه لابد له ان يفكر ـ بصوت عال ـ فى مصيره ٠٠٠ ان دوام الحال من المحال ٠ وفى الامكان تغيير كل ما كان ٠٠٠ لقد أدرك أن الفعل أساس الفكر ، وان اليد لا تقدر ان تصفق وحدها ،فبدا يعيد أغنامه الى أصحابها ٠ ولم يكن له الا خروف وشاة تركهما لاسرته ، ثم مضى يعد للامر عدته ٠٠ وقبل أن تشرق عليه شمس عهد جديد ـ قال للاميرة مودعا

ـ رغم ما بيننا من حواجز وسدود ـ احترمها واجلها ـ الا انني اراك اقرب انسان لى ٠٠ لقد عرفت لغتى بلاغتها منك ، واستمدت ارادتى قدرتها بك ٠٠٠ إيتها السيدة العقلية ، عاهدينى على ان اناقش معك كل ما يجد فى طريقى ، وان التمس منك الدافع والامل ، فانت الثورة والوطن ، وانت الحمى والسكن ٠٠

(نظرت اليه فى كبرياء الواثق وجرأة النبيل وحياء الكريم)

ـ بشرط ان تعود ظافرا ٠٠٠ او لا تعد !

ـ ٩ ـ

(آ) ـ اذا فهمت جملة فان هذا يعنى
انك قد فهمت لغة !
واذا فهمت لغة فذلك يعنى :
انك قد أصبحت خبيرا فى التكنيك ٠٠ (وين ستاين)

(ب) ـ أنا ان قدر الاله مماتى لا ترى الشرق يرفع الراس بعدى
(حافظ ابراهيم)

(ج) ـ منين اجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه !
(موال شعبى آدهم الشرقاوى)

ـ ١٠ ـ

ولبست الاميرة أحلى ثيابها ٠٠
وكان ان طلعت الشمس فى موعدها !

الكلمات

جان بول سارتر

● ترجمة د : سليم الأسيوطى ●

كان بجان بول سارتر ١٩٠٥ ـ ١٩٨٠ ـ المعروف بأبى الوجودية ـ فيلسوفا وكاتبا روائيا ومؤلفا مسرحيا وناقدا .. كتب العديد الكثير من كل هذه ، ولعل أبرز وأحدث كتاباته هو سيرته الذاتية التى ظل يخطط لهـا لسنوات كثيرة ..

وقد مرت به سنوات كثيرة ولم يتقدم فى كتابتها الى ما بعد الكتاب الأول فى هذه السيرة والقصيرة جدا ، الكلمات ، الذى يصور طفولته وصلته بالثقافة وعلاقته باللغة ، ربما كان هذا الكتاب أجمل مؤلفاته وأكملها من الناحية الفنية والأدبية واللغوية ـ ونورد هنا مقتطفات من « الكلمات » ..

« ان كل ما يحرزه الكاتب من الرفعة والقاب الشرف يعرض قراءة للصفوف التى اعتقد أنها ليست رغبة أحد .. ، فالأمر ليس سيان اذا ما وقعت كتابات جان بول سارتر ـ فقط ـ او جان بول سارتر الحائز على جائزة نوبل » ! (١)

« لقد أعددت نفسى من سن مبكرة على أن أرى فى مهنة التعليم عمل الراهب والى الأدب بوصفه حبا وهياما .. كانت الكتب لدى طيورى وأعشاشها ، وحيواناتى المدللة حظيرة ماشيتى ، وقريتى .. وكانت مكتبتى صورة العالم فى المرآة .. »

***

« لست متشائما ؟ كما قيل عنى ، انى شخص يجد فى أن يجعل الناس .. أكثر وضوحا ، يواجهون بعضهم بعضا ـ وهذا ما يجعلهم يكرهوننى .. انى اخيف الناس ، لقد كانوا دائما يخشون التفكير .. كتب « ستندال » فى عصره يقول :

« ان الناس يعادون كل تفكير سليم » ـ وما زال هذا يصدق علينا الى حد بعيد جدا .

« انى لا أرى سببا يدعو لأن تستمر الاسرة على هذا الوضع .. ان الآباء فى المستقبل سوف لا يهيمنون ولن تكون النساء محرومات من المساواة كالمعهود بهن حتى الآن .. فالمهم الا تضار العلاقة بين الآباء والأبناء »

(١) فى عام ١٩٦٤ ، والفيلسوف فى التاسعة والخمسين من عمره ، رفض قبول جائزة نوبل فى الادب



جان بول سارتر

« لا يوجد اب صـــالح ، هـذه هى القاعدة ، فلا تنزلوا باللائمة على الرجال ، ولكـن رباط الاسرة الذى انفـرط .. ان انجاب الأطفال افضل ما فى الوجود ، ولكن « امتلاكهم » ظلم وجود »

« لقـــد كنت فى عينى أمى طفلا فى الشهر العاشر من عمرى .. « أنضجتنى » الحياة أكثر من غيرى ، وطلتنى بمادة زجاجية أكثر منهم ، فاصبحت هشاشة أكثر منهم بسبب بقائى « فى القرن » فترة أطول ! »

« لقد رايت فارقا عظيما بين سيمون دو بوفوار وجيل حينما كنا طلابا ومن هم فى سن العشرين اليوم ، لقد كنـا ضعاف العقـــول ، ينقصـــنا الوعى ، مترددين لا نحسم امرا ، اما اليوم فهم أكثر تسلحا للحياة ، عما كنا ، الى حد بعيد .

انهم اكثر تفتحا ، ويعرفون اشياء كثيرة كنا نجهلها . »

« انى أمتدح ارادة الترحيب بالاشياء كلها ... ان عنف المصــــادفة وترتيب الاسباب التى تتهددنا فجاة ، تفقد قناعها فاذا ما كان الانسان يميل الى المفاجآت لقد وجب عليه أن يميـــل أيضـــا الى الومضات النادرة التى تكشف للطيبين ان الارض لم تخلق لهم . »

« لم يحدث قط فى حياتى ان اصدرت امرا الا وضحكت من نفسى واضحكت الآخرين منى .. وما ذلك الا لان آفة السـلطة لم تهزمنى بعد انى لم اتعلم الطاعة ولم اعتدها .. »

« ان ديجول طويل جدا ، وأنا قصير جدا .. ونحن لا نتساوى طولا ، ولا فى غير الطول مهما كنا نتشابه . »

« انى لا اهتم بما اذا كان ابناء وطنى سينسوننى غداة يواروننى تحت اطبـاق الثرى .. فما داموا على قيد الحيـاة ، فانى سوف اخامرهم كالشبح ، مجردا من الأسم والادراك .. سوف أمثل فى كل واحد منهم ،تماما كما يمثل البلايين من الموتى المجهولين منى الذين يشلون منى واحول دونهم والفناء ..

جحود..

كأنكَ بالأمس ، لا ... لم تحبِّى
ولم تذكرى أنْ عيْنيك .. حسبى !

ولمْ ترفلى فى نعيم مُقيم
خلال ضلوعى .. وفى ركن قلبى !

ولمْ تقصديني .. ولم تسبعيني
ولم تقرأى فى الهوى ، كلَّ كتبى !

ولم تخضعى أن أشار بنانى
إليكِ ... ولم تهرعى كىْ تلبِّى !

كأنك تنسين يومَ التقينا
متى .. ولماذا .. وكيفَ .. وأينَ ؟!

ويوم التقينا معا فى عناق
يذيب الضبابة فى مهجتينا

فكمْ مجلس ضمّنا واحتوانا
سكون .. وأسدلَ ليل علينا !

فلسنا نغيب ولسنا نفيقَ
فأرواحنا فى الهوى بينَ ... بين !

غدا .. حيث قد لا يفيدُ الندمْ
وحيثُ ظلام الشتاء يعم

... ولا أيُّ عطف ولا أيُّ كفّ
ولا ساعد يحتوى أو يضم

ستبحث عيناك عنى كثيرا
وتسفح فيضَ دموع ودم !

وهيهات أن ترجعى ... أو أعودَ
وإن كان حبك ... للآن ـ لم !!

• عبد الجواد طايل •
من ديوانه الجديد « ولكنى أحبك »

المرأة .. فى أدبهم



المراة هى روح الاديب شاعرا كان ام ناثرا ..

ايا كان موقفه من الحياة واسلوبه فى التعبير الفنى فان المراة محرك اساسى لذهنه وقلمه . حتى اولئك الذين تخطوا سن الاستجابة لدواعى الحب والغزل تظل المراة الملهمة الكبرى لهم فى كل ما يلهمون .

فى بلاد الغرب يكشف الشعراء والكتاب عن موقفهم من المراة وعلاقاتهم بها ، اما عندنا فلا زال هذا الطراز من الحياء المفتعل والاتجاه الى استرضاء عامة الناس والارتباط الشديد بالتقاليد كل هذا تسدل سترا من الضباب على تلك الناحية من فكر ادبائنا ..

وهذه الصفحات محاولة للرؤية من خلال الضباب من خلال فرجة صغيرة بين السطور ..

● اعداد : موريس عزيز ●

المرأة .. فى أدبهم

ليست ملاكاً ولا شيطاناً ولا أفعى .. ولكن ..



● محمد زكى عبد القادر ●

ان رايى فى المراة هو رايى فى الانسان عموما ... ولا فرق فى الحقيقة بين المراة والرجل . وانما ظهر الفرق لبعض من لا ياخذون الامور بعمق واعتقدوا وقرروا بان المراة غير الرجل وان لها خصائص وصفات حسنة او سيئة مخالفة لصفات الرجل سواء ان كانت حسنة او سيئة .

والسبب فى وجود هذا الفرق الظاهرى بين المراة والرجل يرجع الى الظروف والقيود التى عاشت فيها المراة فى الاجيال الماضية حيث كان الرجل هو صاحب السلطان وصاحب التشريع والمسيطر على المجتمع بصفة عامة ، لكان صوته الاقوى ورايه الانفذ والاصح .

واما القول حول وصف المراة بانها لغز او ملاك او شيطان اوافعى الخ .. هو محصلة الوضع الذى عاشت فيه المراة واشرت اليه فيما سبق : فهى ليست لغزا على الاطلاق ولا ملاكا على الاطلاق ولا شيطانا على الاطلاق ولا افعى ، انها فى عبارة موجزة انسان مثل الرجل تماما لها عيوبه وفضائله ولها عيوبها وفضائلها مع فرق بسيط نتيجة اختلاف الجنس .

وقد صورت المراة فى ادبى كما ذكرت ولم اشعر ايضا بانها ملاك او انها شيطان ، فيها الملاك فى بعض الحالات وفيها الشيطان فى بعض الحالات الاخرى .

وربما اختلفت عن الرجل فى بعض التفاصيل ولكنها تتفق معه فى الخطوط العامة مع ملاحظة اختلاف الجنس بطبيعتها .

ويوم ان تمارس المراة حقوقها وواجباتها كما يمارسها الرجل ويوم ينظر المجتمع اليها كما ينظر الى الرجل يعطيها من الحقوق ما يعطى الرجل ويفرض عليها من الواجبات ما يفرض على الرجل — تنتفى الفكرة الشائعة الآن من حيث تقسيم المجتمع الى امراة ورجل .

وبطبيعة الحال ، وهذا رايى ، لا اعتقد ان لى مواقف معينة مع المراة تختلف عن المواقف المشابهة وفى الظروف المشابهة مع الرجل . ●●



هى النصف الذى لانصف غيره

● ثروت اباظة ●

المراة لاينبغى ان تنفصل فى السؤال عن الانسان .. فالمراة هى النصف الاخر من الحياة ، وبغيرها لا حياة . فهذه التفرقة التى اجدها تزداد اتساعا كل يوم بين المراة والرجل، شىءمضحك لانه لا وجود لرجل بغير امراة ولا وجود لامراة بغير رجل ... والسؤال عن النصف تقصير ، فالمرأة هى النصف الذى لا نصف غيره للرجل ...

ثم ان المراة تمثل فى حياتنا الام والزوجة والابنة والاخت والخالةوالعمة والحبيبة الامل .

والمراة تمثل فى تصورى اللطف الذى ارفقه الله تعالى بكارثة نزول آدم من الجنة ، فهى بطبيعة تكوينها لا بطبيعة وجودها هى النسمة التى صحبت آدم من الجنة لتجعل الحياة بالنسبة له مطاقة ومحتملة .

تلك هى المراة فى حنانها وفى حبها وفى عطفها فى الفائها للتفكير المتعقل المشاعر نسمة الصيف ودفء الشتاء ، ولكن الله سبحانه وتعالى كما جعل منها هذه النسمة وهذا الدفء جعل منها الريح والنار .

وهناك امراة تحرق وهناك امراة تقتلع الجذور حتى يصبح الرجل بلا جذور ! والحقيقة انه عندما اكتب لا أضع اطارا لما اكتبه عن المراة ..

انها الشخصية هى التى تحدد معالم نفسها داخل الرواية ويبقى على النقاد ان يصنفوا ما يكتبه الكاتب ، وهم وحدهم يستطيعون ان يتحدثوا عن المراة فى ادبه .

وخاصة ان كتبى الان اصبحت من الكثرة بحيث لا استطيع ان احكم عليها حكما مطلقا .

وقد يحدثك عنها الدكتور احمد يونس وهو معنا الان فيقول الدكتور احمد . ان المراة فى رواية « شىء من الخوف » كانت رمزا للمقاومة والارادة والنزوع الى فرض الحياة على الموت..

ويستطرد الاستاذ ثروت مكملا حديثه :

ان المراة فى احدى رواياتى تمثل الدمار وفى رواية اخرى .. وهى هارب من الايام ـ تمثل الثقة ... وهكذا فى كل رواية لها مواقف تتشكل مع الاحداث ، اما عن مواقفى مع المراة . فلا يمكن أن يكون لى موقف مع المراة ككل . فانا احب امى واكبرها وكان زواجنا بنـاء على حب ، واحب ابنتى واكبرها وارجو ان تسمو بمكانة امها وجدتها ..

ولكنى اكره المراة المسيطرة واكره المراة المتفلسفة ، واحس انها نوع من الانسان لا هو من الرجال ولا النساء ، وكانها تكون جنسا ثالثا .

والمراة المتفلسفة فى اغلب آرائها ليست على قدر من العلم الكبير ، فالسيدة المثقفة تعرف كيف تكون امراة ومثقفة ، اما السيدة التى تكتفى بالقشور لاتستطيع ان تظهر الاالقشور، والقشور وما اعنيه بالفلسفة او التفلسف اى التظاهر بالعلم .

وهن فى هذه الحالة عالمات بكل شىء ولا يقتصر علمهن على جانب من الحياة اكره الى ما يكون . واكره المراة الانانية والجشعة واكره ايضا الرجال من يماثل هؤلاء النسوة ●●



إذا كانت لغزاً .. فهى كألغاز الكلمات المتقاطعة !

● يوسف جوهر ●

النساء لسن معلبات موضوعة على رفوف بقال تفتح علبة فتجد ملاكا واخرى فتجد شيطانا .. واحسب ان المراة فى تركيب طبعها تجمع خصال الملاك والشيطان ، وكل ما هنالك ان النسبة هى التى تختلف بين واحدة وواحدة ، وان هناك امراة معظمها ملاك ، واخرى اغلبها شيطان ، واخرى بين بين ، مثلها فى ذلك مثل الرجل سواء بسواء .. لم اصادف فى حياتى نساء أسوأ من الرجال او رجالا اسوأ من النساء وكلنا بشر صاغنا خالقنا من نور ووهج ومن تراب وطين ...

ولا احسب ان المراة لغز الا بقدر ما فى الغاز الكلمات المتقاطعة من صعوبة وتعقيد ، يتصدى لها الخبير فيصل الى الحل فى خمس دقائق ، والغشيم فيصل اليه فى سنة أ .. و « الخيبة » يقف مبهوتا امام اللغز ، ويعود من حيث بدأ ولا يصل الى نتيجة .

وليس بالضرورة أن وراء كل عظيم امراة .. فكم من عظماء مشوا وحدهم فى طريق المجد ... وليس كل فاشل مستطيعا أن يمسح فشله فى امراة ... والناس يتناولون هذا المثل الان بطريقة تجرى مجرى النكتة ، وقد يسالونك : « والمراة العظيمة هل وراءها رجل ؟! »

وقد يسرفون فى السخرية ويقولون لك ، مثلا ، ان وراء كل مرتش عظيم امراة تنتظره فى ملهى او محل ازياء . ووراء كل سفاح سياسى أو اقتصادى امراة .

ثم ما هو مقياس العظمة وتعريفها ومواصفاتها فى زمن تنقلب فيه المقاييس راسا على عقب ... افهم ان يقال ان وراء كل رجل سعيد امراة تملا حياته بالتفاؤل والاقدام ، ووراء كل رجل تعس امراة تقلب حياته جحيما ... وان تكوين اسرة سعيدة عمل عظيم ، وان الوطن العظيم هو الذى يضم اكبر مجموعة من الاسر السعيدة .

وقد صورت المراة فى ادبى .

كما اسلفت القول بان المراة ليست ملاكا صرفا ولا شيطانا صرفا .. وهى بنت بيئتها ونشاتها وظروفها ومجتمعها

وليست لى مواقف ضد المراة .. فى وسعى ان كانت سيئة ان ارحمها والتمس لها الاعذار والظروف المخففة

ولكن لى موقفا معها فان المراة أمى .. ومن هنا يحلو لى الابتهال والركوع فى محرابها المقدس ، وعندما اكتب قصة عن الامومة احس انى اعزف على اعذب وتر فى نفسى .

●●



المرأة فى رأيى وفى أدبى جميلة فى كل حالاتها

● حسين القبانى ●

المراة فى رايى وفى راى كل رجل ايضا ـ كما اعتقد ـ هى الحياة بكل ما فيها من مباهج ومتاعب بالنسبة للرجل ... ولا اتصور ان تكون هناك حياة بغير المراة .

وقد اكون جريئا اكثر من غيرى حين اصرح بان المراة ومحاولة ارضائها واغرائها هى وراء كل مجهود يبذله الرجل لكى يصل الى الثروة او الشهرة او المركز الرفيع ... تلك هى الحقيقة فى رايى ولو حاول الكثيرون ان ينكروها .

انا لا اتفق مع القائلين بان المراة لغز او ملاك او شيطان او افعى الى آخر الصفات التى يحاول بعض الفلاسفة والكتاب بان يصفوا بها المراة ...

لان المراة هى الجزء المتمم للرجل ، ولا اعتقد ان هناك رجلا يقبل ان يكون لغزا او ملاكا او شيطانا او ثعبانا .

انما المراة هى فى الواقع مخلوق آدمى كرمه الله اكثر مما كرم الرجل : فهى الوعاء الذى يحفظ الجنس البشرى ، وهى الام التى تربى وتضحى ، وهى الاخت التى تحنو وتعطف ، وهى الزوجة التى تقف بجانب زوجها فى مواجهة الحياة بكل جوانبها ، وهى الابنة التى تسعد كل اب اكثر مما يسعد الابن .

ومن هذا يتبين ان المراة ليست لغزا كما يتصورها بعض الكتاب انما هى انسانة رقيقة وهادئة ومسالمة ومتعاونة اذا وجدت الرجل الذى يفهمها ويقدرها ويحترمها .

والمراة هى السبب الاساسى فيما وصل اليه كل انسان حتى ولو ابى ان يعترف بهذه الحقيقة ، وليس من الضرورى ان تكون هذه المراة زوجة قد تكون صديقة او حبيبة او زميلة او المراة بوجه عام . وليس من الضرورى ايضا ان تكون متعاونة مع الرجل حتى يصل الى المركز الرفيع ..

فقد وصل نابليون الى مجده المبكر بسبب رغبته القوية فى ان يثبت عظمته امام جوزفين التى كانت تستخف به وتبحث عن غيره ليحيط بها ، واراد ان يثبت لها انه اعظم الرجال ..

وحتى سقراط المعروف تاريخيا انه كان يعانى الكثير من سوء اخلاق زوجته ، فقد اراد ان يثبت لها بطريق غير مباشر انه ليس الرجل البشع الكريه الذى تراه امامها انما هو رجل عظيم رغم كل ما تظن فيه .

وانى لم احاول فى ادبى الا ان اضع المراة فى مكانة خاصة او مميزة ، كما كنت اتناولها دائما كشريكة للحياة سواء ان كانت زوجة او صديقة او ملهمة ، ولا اذكر اننى كتبت قصة او موضوع لم يكن فيه للمراة السدود الاساسى لانها فى الواقع تملا حياتى وتفكيرى وتشعرنى دائما بان الحياة بدونها لا تستحق ان يحياها الرجل .

وكل مواقفى فى كتاباتى كانت مع المراة حتى فى المواقف التى هاجمت فيها طائفة منهن فى كتاب « من ليالى قصر العينى »

اما فيما عدا هذا فان مواقفى مع المراة دائما هو موقف الكاتب الذى يحب المراة فى كل صورها وفى كل حالاتها والذى يراها دائما جميلة ان لم تكن شكلا فهى جميلة موضوعا .. ●●

المرأة..
فى القصة المصرية

• د. سيد حامد النساج •

كيف صورت المرأة فى ادبك ؟

لست مبدعا ، ولكنى ناقد ودارس وباحث . ولما كنت حريصا فى دراساتى على ان اكشف - دائما - عن صورة المجتمع فيما يبدعه المبدعون من الكتاب فانى - بالتالى - اهتم بمعرفة صورة المرأة ، ودورها ، ووجودها ، وتأثيرها فى العمل الفنى وفى المجتمع على السواء .

اما كيف صورت المرأة فى القصة المصرية ، فمن المهم التأكيد على ان اختفاء المرأة من الحياة المصرية فى اوائل القرن ، ادى الى عدم ظهورها فى القصة المصرية بشكل واقعى . على عكس ماكان عليه وضعها فى انجلترا - مثلا - حيث ادى ظهورها : عاملة وقارئة ، الى ازدهار فن القصة والرواية

وفى البداية ، صورت المرأة فى شكل خيالى رومانسى خالص ، عندما لم يكن لها وجود حقيقى ومؤثر اى عندما كانت قعيدة بيتها ، وسجينة فكر جدتها ، ورهينة عادات وتقاليد تشل حركتها

ولما خرجت الى الحياة العامة ، وشاركت الرجل : التعليم ، والثقافة ، والعمل ، والشارع والحافلة والمشكلات اليومية ، والقضايا الاجتماعية والانسانية ، تباينت صورتها لدى الكتاب ، وتنوعت النظرة اليها واختلفت أساليب التعبير عنها .

ومع ذلك فان القصة المصرية ، طويلة وقصيرة ، لم تترك حالة من حالات المرأة النفسية ، او وضعا من اوضاعها الاجتماعية ، او موقفا من موقفها الانسانية ، او غريزة من غرائزها ، الا وصورتها ، ووقفت عندها . اذ اصبحت جزءا من اجزاء المجتمع ، وغدت - بالتالى - شخصية من الشخصيات التى تحفل بها القصة .



نراها عند عيسى عبيد وشحاتة عبيد ، شخصية متقدمة ناضجة تشترك فى الثورة وتتمرد على الاوضاع المتخلفة وينظر اليها كل من احمد خيرى سعيد ومحمود طاهر لاشين ويحيى حقى نظرة اكثر واقعية . ويصورون المراة المكافحة التى تنهشها ظروف قاسية ، اعظمها اقتصادى .. ويحاول محمود تيمور ان يعطف عليها ـ عطفه على الانسان بشكل عام ـ فيقدمها فى صور شتى : سوية ، محبوبة ، عاشقة متفانية ، مضحية ، متطلعة .

وينحاز محمد عبد الحليم عبدالله الى مرحلة معينة من عمر المراة الام ، ويختار مواقفها التى تشرفها وهى ام تسعى من اجل ابنائها ، وتتحمل العذاب فى سبيلهم ، وتتصدى لعوامل مدمرة عنيفة . والمراة التى تنتمى الى البيئات الشعبية ، بكل ماتتسم به من دلال وخفة وحركات ، ورغبات صريحة تجد ظلها فى قصص امين يوسف غراب .

اما ابراهيم المصرى ، فانه يركز على المراة « البورجوازية » فى خريف عمرها ، حين تشعر بانهيار قوتها وتملك غريزتها لها وتحكمها فيها ، لدرجة محطمة . وكانه يرى ان ذلك جزء من انهيار هذه الطبقة .

ولا تختفى المراة فى قصة من قصص محمود البدوى . صعيدية . فلاحة . اوروبية . مدنية . فى الاربعين من عمرها . تختلف زاوية النظر اليها من قصة الى قصة . وتتباين طريقة المعالجة وفقا لذلك . مما يدعونا الى دراسة « المراة » فى قصصه التى ظلت قائمة فيها منذ نصف قرن

وتسقط المراة عند يوسف ادريس نتيجة لسقوط المجتمع نفسه . وتتردى فيما خلقه لها المجتمع ، ووصفها به عندما اوقعها فيه . نتيجة تناقضاته وشراسته ، فى « الحرام » و « العيب » و « النداهة » وغيرها .

وتبدو مواقف المراة اشبه بمايتخذه الرجال فى القرية عند عبد الرحمن الشرقاوى . وهى عند ثروت اباظة محتفظة بكثير من القيم الاخلاقية . اما نجيب محفوظ فانه كشف من داخل المراة ، وانعكاس هذا على سلوكها الخارجى ، وارتباط الاثنين معا بالطبقة التى تنتمى اليها المراة وهى الطبقة المتوسطة الصغيرة ساكنة الاحياء الوطنية من المدينة .

والسؤال الان

هل لك موقف معين من المراة ؟

والجواب انى مع المراة عندما تكون صادقة واعية متقدمة فى فكرها ايجابية نقية فى سلوكها . غير مستاسدة ولا كاذبة . غير وصولية . متفانية . امينة عادلة فى حكمها على نفسها وعلى الاخرين وانا ضد المراة عندما لا تكون كذلك

المكتبات فى العصر الإسلامى

● محمد قنديل البقلى ●

● الغرام بجمع الكتب قديم ، منذ ان تهيأت الحياة العربية للحضارة ، ومنذ ان كان اخذ واعطاء فى التعليم .. وعلى الرغم من ان الطباعة لم تكن عرفت فى ذلك العهد البعيد الا ان النسخ اغنى عن ذلك شيئا فكان طالب العلم والراغب فى كتاب بذاته يتولى نسخه بيده ، او يحيل ذلك الى ناسخ من النساخ الذين انتشروا فى ذلك العهد انتشارا واسعا ...

وهذه المخطوطات الكثيرة التى جمعت لنا ذلك التراث الحافل فى العلوم والآداب والفنون ، ان هى الا ثمرة من ثمرات هذه الجهود التى لم تكن تعرف الطباعة وانما كان اعتمادها كله على ما تنتجه الأيدى الناسخة ، ولقد استمر النسخ الى ما بعد ان عرفت الطباعة ولكنه كان شيئا قليلا الى جانب حصيلتنا من الطباعة .

والمكتبات التى شغف بجمعها العلماء والدارسون فى القديم كانت لا شك كلها او كل كتبها على الاصح خطية، منها ما كان يكتب بيدى صاحب المكتبة ، هذا اذا كان ممن يجودون الخط اوكان ذا يسار محدود ، ولكن الكثرة من تلك الكتب التى كانت تضمها المكتبات الخاصة او مكتبات المساجد اوالمكتبات العامة فيما بعد ، كانت كثرتها او جلها من المخطوطات .

ولقد شهدت العصور الأولى مكتبات عامة كانت تفرد لها امكنة خاصة او تضم الى المساجد يستفيد منها المختلفون الى تلك المساجد ، هذا الى مكتبات كانت تضم الى المدارس مثل ما كان فى المدرسة النظامية فى بغداد.

وكانت هذه المكتبات خاصها وعامها تكاد تكون مباحة لجميع المختلفين اليها يفيدون منها مستعيرين تارة او جاعلين من اوقاتهم ساعات يجلسون فيها فى تلك المكتبات يطالعون ويقرأون.

هذا ماعهدته الحياة العربية منذ ان كان لها علم وفن وادب وكان لها فى هذا كله تاليف ، وامتدت العصور ولم تتخلف الحياة العربية عن هذا شيئا ، وتكاد نشهده فى العصر الأيوبى على نطاق اوسع ومدى ابعد ، فلم تكن المدرسة تعليما ومكتبة ولا المسجد درسا ومكتبة، المصدرين الوحيدين للثقافة والعلم فى ذلك العصر الأيوبى ، بل شاركتهما فى ذلك المكتبة العامة والخاصة تفتح المكتبة العامة ابوابها للراغبين والمفيدين سواء فى ذلك من كان على صلة بصاحب المكتبة او كان طالب علم فحسب .

وتحدثنا كتب التاريخ عن اصحاب المكتبات الخاصة كانوا اسخى مايكونون على الوافدين الى مكتباتهم يخصونهم برعايتهم وعنايتهم ، وكثيرا ما كانوا يعيرونهم مايطلبون وان كانت الغيبة غير مأمونة فى كثير من الاحيان ..

ولقد شهد العصر الأيوبى عناية فائقة باقتناء الكتب وحفظها ، وكانت ثمة دور للكتب فى قصور الخلفاء والسلاطين والأمراء ثم الاعيان يتنافس بعضهم بعضا فى جمع الكتب ولاسيما ما كان منها نادرا أو نفيسا ، واشتهر من تلك المكتبات فى مصر مكتبة القصر الفاطمى ، وكم تحدث عنها المؤرخون ولهجت بها السنة العلماء وسار ذكرها شرقا وغربا .

يقول ابو شامة فى كتابه الروضتين «٢٦٨/١» عن هذه المكتبة ـ اى مكتبة القصر الفاطمى ـ : «وكانت من عجائب الدنيا ، لأنه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من الدار التى بالقاهرة فى القصر » ـ اى القصر الفاطمى .

ويقول ابو شامة ايضا عن تلك المكتبة: «ومن عجائبها انه كان بها ١٢٢٠ نسخة من تاريخ الطبرى »

فانظر الى اى مدى كان حرص الأيوبيين على ان يمكنوا الناس من القراءة وييسروا لهم النسخ الكثيرة من الكتاب الواحد ، واننا لو قارنا بين ما نحن عليه اليوم وما كان عليه العصر الأيوبى قديما لوجدنا الفرق بين جهدنا وجهدهم عظيما ، فلقد كانوا حقا اعرف منا بحاجة القراء .

ثم يقول ابو شامة ايضا عن المكتبة : « انها كانت تحتوى على الف ألف كتاب » ـ وهذا كثير اذا قيس بما عليه مكتباتنا اليوم

ثم يقول: «وكان فيها من المخطوطات المنسوبة ـ اى المعزوة الى اصحابها ـ شىء كثير »

ويقول العماد الإصفهانى عن هذه المكتبة ايضا : « ان بها من الكتب المنتخبة بالخطوط المنسوبة والخطوط الجيدة نحو مائة الف مجلد ، وكانت فى مختلف العلوم والفنون ، فى الأدب والشرع والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية والهندسية والتاريخ والتفسير » .

ويزيدنا العماد الأصفهانى عن هذه المكتبة فيقول : « انها كانت تحوى من الكتب الكبار وتواريخ الامصار ومصنفات الاخبار مما يشتمل كل كتاب على خمسين او ستين جزءا مجلدا » .

ويحدثنا العماد ايضا عن نظام هذه المكتبة فيقول : « وكانت الكتب داخلها محفوظة فى خزائن مقسمة » .

ويزيد العماد : « وكانت الخزائن فى القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالحروف »

ومما يؤسف له ان هذه المكتبة العظيمة انتهى بها الأمر الى أن بيعت بالمزاد فصار بعضها الى القاضى الفاضل، وصار بعضها الآخر الى العماد الاصفهانى ، وكان القاضى الفاضل كما كان العماد ممن يعنون بجمع الكتب وحفظها عناية كبيرة وكانت لكل منهما مكتبته الخاصة التى كانت مضرب المثل .

وكما كانت الحال فى القاهرة من العناية بالمكتبات عامة وخاصة كانت العناية فى غيرها بالحواضر الاسلامية الاخرى ، فلقد كان فى بغداد دار للكتب ملحقة بالمدرسة النظامية وقد تعاقب على تولى امرها جماعة من العلماء

الأجلاء والأدباء الفضلاء منهم أبو يوسف الاسفراييني وكان اديبا شاعرا وكانت وفاته سنة ٤٩٨ هـ، ثم محمد بن احمد الابيوردي الشاعر الأديب .

ولقد كانت ببغداد دار كتب اخرى في ذلك العصر — اعني العصر الايوبي — تعرف برباط المأمونية .

وكان بآمد دار كتب عظيمة تحوي نحو الف الف واربعين الف كتاب ، ويقال ان القاضي الفاضل استولى على نفائس هذه المكتبة بعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على آمد ، ويقال ان الذي حصل عليه منها كان حمل سبعين بعيرا

وكذلك كانت بأصبهان دار كتب كبيرة في ذلك العصر الأيوبي ، وكانت بجوار جامعها ، ويقال ان تاج الملك هو الذي بناها .

ومما يروى من حب العلماء في ذلك العصر للكتب وكثرة جمعهم اياها ان مكتبة القاضي الفاضل ، الذي عرفت عن غرامه بالكتب ما قدمت لك قبل، كانت تضم مائة الف كتاب ((مرآة الزمان : ٨ / ٤٧٢)) كما كان القاضي القفطي يجمع من الكتب ما لا يوصف، ويقال انه كان يرحل هنا وهناك طلبا لكتاب يسمع عنه وكان لا يحب من دنياه سوى جمع الكتب ، ولقد قدرت مكتبته بخمسين الف دينار

ويروي ابن شاكر الكتبي في كتابه فوات الوفيات « ٢ : ١٩٢ » حكايات غريبة عن غرام القفطي بالكتب وكذا يروي ياقوت الحموي عنه في كتابه «ارشاد الأريب» (٥ : ١٢١) مثل هذا الحديث فيقول : « وكان — اي القفطي — جماعا للكتب حريصا عليها ، ولم أر مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماما منه بها ولا اكثر حرصا منه على اقتنائها وحصل منها ما لم يحصل لأحد »

ويروى عن حب المسلمين للكتب ان حمدون الكاتب عندما تقاعد به الدهر وبطل من العمل اخرج كتبه ليبيعها وعيناه تذرفان الدمع كالمفارق لعزيز عليه من اهله .

هكذا كان شأن السلف من حب الكتب وتفان في جمعها ، وهكذا كانت الدولة تعنى بالكتب هذه العناية الفائقة وتيسر للقراء من الكتاب الواحد نسخا كثيرة ، ولقد كانت للكتب مع تلك العهود وفي الحواضر الكبرى أسواق تباع فيها الكتب وتشترى ويتنافس فيها المتنافسون ، ويقال ان قرطبة تقدمت على حواضر الاسلام كلها في تجارة الكتب ، وكان اعيانها يتنافسون في شراء الكتب الثمينة ويرخصون في سبيلها كل غال .

هذه الحال هي التي هيأت المسلمين الى ان يكونوا على دراية واسعة وعلى ان يكونوا أصحاب تلك التواليف الكثيرة ننعم بالافادة منها اليوم ونعيش على ما فيها .

علمينى



• فريد قرني •

علّمينى كيفَ لا أشكو إذا حطّمْتُ كأسى
كيف أقتـــاتُ بأوهامى إذا عزّ التـأسّى
وأريق الآهَ والواهَ على مـــذْبح يأسى
وأذيبُ الدمعَ فى لحن أعزّى فيـه نفسى
وإذا ما أظلمتْ دنيـاى من يأسى وبؤسى
وحجبْتِ النورعن فجْرى وعن رُوحى وحسى
علّمينى كيف لا أنسى ، فشأن الدهر ينسى
ثم لا أبكى على أمسى إذا ما ضاع أمسى !
علمينى .. !!

علّمينى كيف أجتنِى اللون من عينيكِ سحرا
علمنينى كيفَ أحتسُو الجمر من خدّيك خمرا
وأحسُّ الليل فى شعْرِك يجلو الحسن فجرا
وأشمُّ الفتنة الحمراء من ثغْرك عِطـــرا
وأصوغ الهمسَ من جفنيك ألحانا وفِكْرا
وأصبُّ الحبَّ من قلبىَ فى قلبكَ شِعرا
لا تقولى أنتَ بالحب وبالأحبـــاب أدرى
أنا طفل ليسَ يدرى من كتاب الحب سطرا !
علمينى .. !!

قصـــة



رذاذ الليمون ..!

• فتحي سلامة •

● نصعد التل خلف الحمير ، تتقارب ارجلها الخلفية ، وتتقوس ذيولها الى الداخل ، تتثاقل ارجلها الامامية فى وثبات ضيقة ، تتقوس ظهورها ، يرتفع صهد الحر وتراب المزلقان ، فاذا اعتلت الحمير ظهر المزلقان تمتثل فى خطوها ، وتتلكأ وهى تنظر الى لمعان قضبان السكة الحديد ، ثم تطاطىء رءوسها متشممة ، يخبط حافر احداها جسم القضيب ، تنوى الغبطة فى رنين ...

نلهث ونحن ننادى عليها لكى تمضى ، تتوقف الحمير ناظرة الى منحدر التل ، تظهر الترعة وكدبره المزلقان ، تطلق الحمير ارجلها الامامية مفرودة فى استقامة ، تندك الارجل بينما تتقوس ظهورها مع اقتراب ارجلها الخلفية من الامامية منحرفة الى اليسار ، تضطرب ظهورها وتكاد تسقط حمولتها من اغبطة السباخ ، يلكز كل منا حماره بعصا التوت ، نستحثها المضى ، الحمير تخاف الانزلاق ، رءوسها ترتفع وتنخفض فى توتر ، ترتفع اصواتنا مهددة ، بينما أيادينا تدفعها من الخلف ، يرتفع صوت ابى المكارم محذرا :

ـ اصبر ياولد :

تستدير رءوسنا جهته ، تلمع ازيار الماء فى ضوء الشمس ، التوتة تغربل اشعة الشمس ، تنسل سهام الضوء من بين الافرع والاوراق ، نترك امر الحمير ونسرع نحو الازيار ، نتخاطف الكوز ، من يشرب اولا يكون ابن ملك ... كلنا نود ان نصبح ملوكا او على الاقل ابناء ملوك . يحسمها ابو المكارم.

الازيار والمزلقان والكوبرى، والطريق نفسه ... كل الاشياء هنا تسمى باسم ابى المكارم ، زيرعم ابو المكارم ، ومزلقان عم ابو المكارم ، وكوبرى عم ابو المكارم .. ابو المكارم هو الملك ، والملك من حقه ان يعطى الكوز الى من يشاء ....

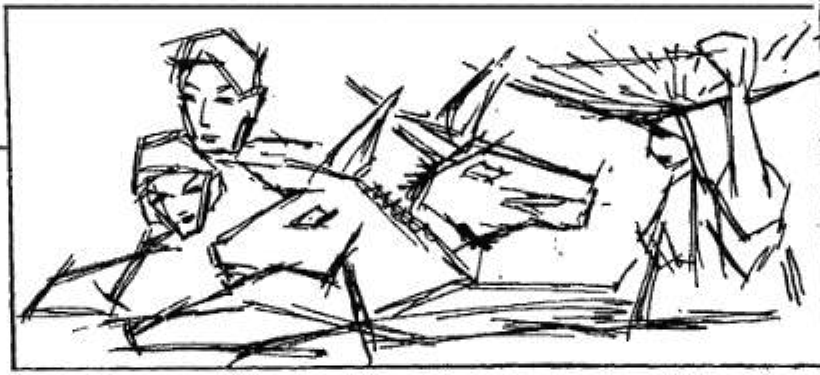
نقف فى لهفة والكوز فى يده ، ينظر الينا وهو يبتسم، ترتفع ايدينا نحوه.. الحمير اجتازت مهبط المزلقان ، من ينقلب غبيط حماره عليه ان يعيد ملاه واعادته الى ظهر الحمار ، .. عيوننا تروح وتجىء بين الكوز وغبيط الحمار، قال :

ـ من يشرب اولا يقع غبيطه اولا .

نتراجع ، وتنكمش الرغبة ، يهتز الكوز ، تنهد ايدينا فى استسلام تزداد، ابتسامة ابى المكارم ، قال :

ـ الماء لا يمر على عطشان !

نشربه فى لهفة ، من يرتوى يجرى



وهو يصيح على حماره ، .. ماءالازيار بارد ، ومذاقه حلو ؛ نتقافز خلف الحمير ، تتقاسم السور الحديدى الكوبرى ، نمشى على طواره الاسفلتى وعصا التوت فى الايدى تدق على السور ، جلبة الرنين فى ضحى القرية، دوامات الصدى ، المياه اسفل الكوبرى تدور فى دوامة والشمس تبرق فوقها، يعلو الضجيج ، ابو المكارم يصيح :

ــ يا ولد !

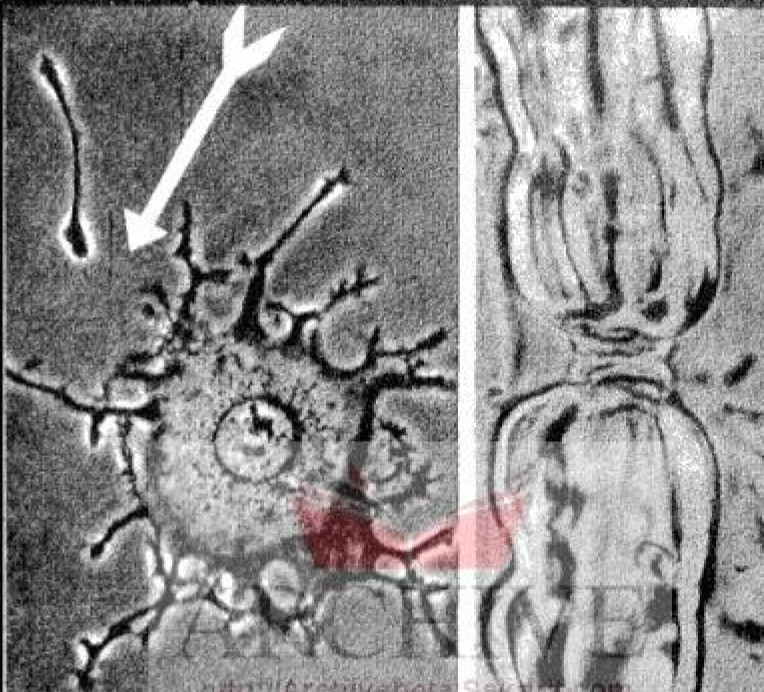
تسبقنا الحمير وهى تدب على الدرب الترابى بجوار جنينة صلاح ابو كريم حبات الليمون على الافرع الرقيقة تتمايل تحت ضوء الشمس ، تبرق فى لونها الاصفر ، رائحة الليمون تضفى الامان على الطريق ، صلاح ابو كريم لا يحب من يسرق الليمون من على الشجر ، من يريد عليه ان يدخل الى ارض الحديقة ويأخذ من المفروس على الارض ، اى عدد يشاء ، حتى ولو ملا مقطفا من الليمون ، ولكن لا ينزع ليمونة واحدة من على الشجرة ، فالشجرة روح تتالم ، وصلاح ابو كريم شقيق العمدة والسارق جزاؤه الضرب والحبس فى محل الادب بدوار العمدة .

ندلف من تحت اسلاك السور نجمع الليمون ونملأ الجيوب ، نقفز الى الخارج الشمس تكرره التراب ، ونحن نقضم حبات الليمون ، يملأ رذاذ الليمون حلوقنا ...

نسمع نهيق حمار ، نتنبه ، نتخلص من بقايا الليمون المقضوم ، النهيق علامة سيئة ، نجرى ، كل منا يحجل خلف حماره ، تتوقف الحمير تتشمم الهواء فى نهم ، نضربها فى قسوة ، تتحطم عصا التوت ، على ورك الحمار وهو لا يتحرك ، يرفع وجهه الى اعلى مادا رقبته ، يقلب شفته العليا حتى تلمس حافة انفه ، تتدلى شفته السفلى ، تلمع اسنانه الامامية متراصة فى انتظام ، يهز راسه وتتشنج الاذان ، تنفرج اسنانه الامامية ويظهر اللسان ، ينفتح الفم كشق فى حائط مرسلا بداية النهيق صوتا اجشا طويلا ومستمرا ثم ينقطع فجأة ، يمد الحمار رقبته اكثر يتقلص الفم يعود النهيق ولكن فى مقاطع سريعة يتصلب جسد الحمار ، ترتعش الاذنان ، يعود النهيق المتواصل ، ايدينا تدفعه الى الامام ، لم يعد يهتم ، فتحتا انفه مستديرتان فى تكور عصبى ، يرتفع النهيق من كل الحمير ، يتجاوب مع صوت نهيق من مكان آخر ، تقف الحمير مع نهاية سور جنينة الليمون فى مظاهرة ونهيقها يثير اعصابنا ...

نضربها فى عنف ، نركلها فى غيظ ، ندور حولها نسبها ، ندفعها من الخلف ، نجذبها الى الامام نضربها على وجوهها ، ابدا لا تكف عن النهيق ، نزيد من حركتنا حولها ، بدات عيوننا تدمع نخشى سقوط الاغبطة ، تنفجر فى البكاء مع اول غبيط يقع ، ترتفع ايدينا بالضرب على راس اول حمار يفلت من حمله وهو يبرطع خارجا من الدائرة ، تضطرب الافئدة مع تساقط الاغبطة ، يعود الينا الصبر والجلد ونحن نتاهب لاعادة تحميل السباخ .

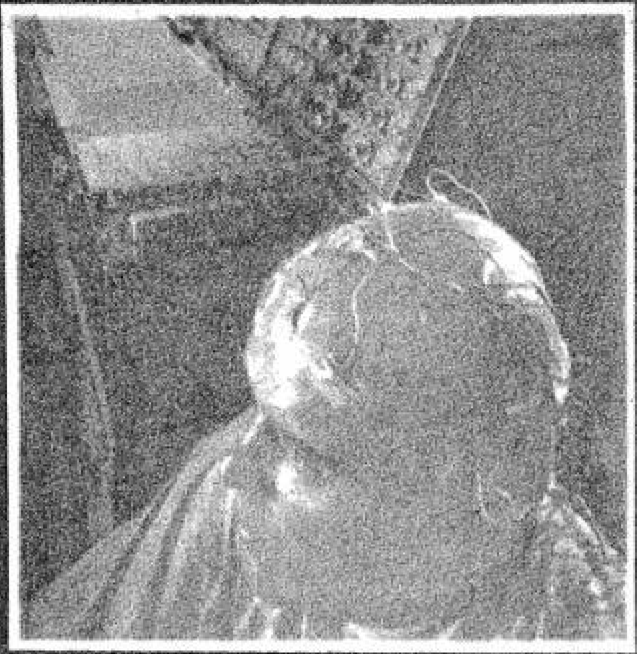
سلامة أعصابك



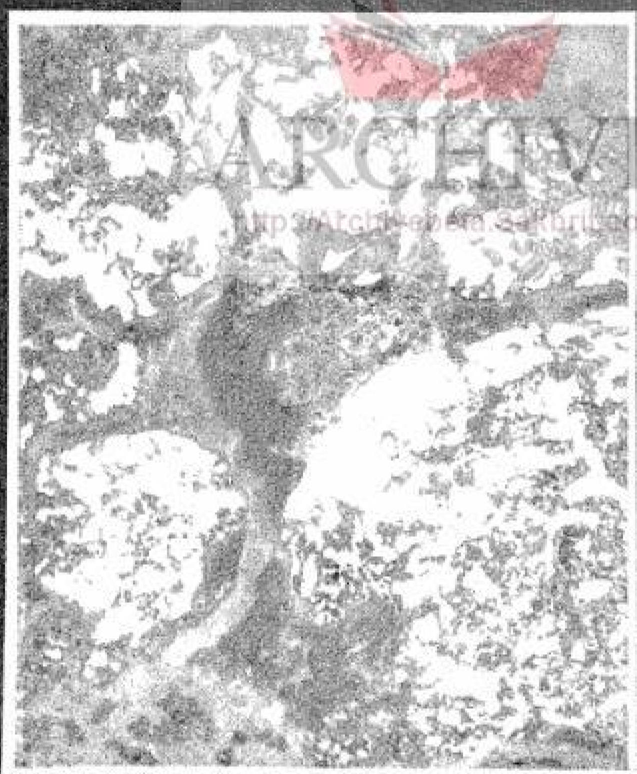
للمرة الاولى امكن بواسطة اشعة ليزر تصوير خلية من خلايا الجهاز العصبي صورة واضحة منفصلة عن غيرها والسهم تشير الى السائل المحيط بالخلية .

صورة للاربطة التى تربط حزم الخيوط العصبية بعضها الى بعض . هذه الاربطة تبعد الواحدة عن الاخرى ٥ر١ مليمتر .

كل مافى خلق الانسان معجزات للخالق ، ولكن الجهاز العصبي واتصاله بالمخ وطريقة عمله تعد على رأس ذلك الاعجاز ، ورغم مابذل العلماء من جهود فى دراسة الجهاز العصبي فان الطب لايزال فى المراحل الاولى من معرفته بحقيقة الجهاز العصبي وكيف يعمل .
اقرا هذا المقال وتامل الصور لتعرف السبب



في المخ يوجد حوالي 15 مليار خلية عصبية تحكم كل احساسات الانسان وحركته الارادية وغير الارادية وهذه الخلايا منقسمة الى مجموعات ، لكل مجموعة وظيفة وعمل محدد . لكي يدرس العلماء عمل هذه المجموعات يضعون خلايا الكترونية موصوله باسلاك دقيقة باجهزة متطورة ـ رسام المخ «مسند» الكهربائي «اليكترو انسيفا لوجرام» «الصورة اعلاه» والصورة اسفل الكلام اخذت لمجموعة من هذه الخلايا ، وهي مكبرة ١٠٠٠ مرة ، ونظرة واحدة عليها تريك مقدار تعقيدها وصعوبة فهم طريقة عملها .



انت جالس تقرأ جريدة او كتابا ، على المنضدة الى جوارك فنجان قهوة ، دون شعور منك تمد يدك لتاخذ الفنجان وترشف منه رشفه انه لا يزال شديد الحرارة . لا تكاد اصابعك تمس الفنجان حتى تنقبض وتبتعد ، فى نفس الوقت يدق جرس الباب . تسرع بوضع الجريدة والفنجان ثم تسرع لتفتح الباب. فى نفس الوقت يسرى فى كيانك شعور من الترقب وربما الخوف ،ربما تسارعت دقات قلبك ترى من الطارق فى هذه الساعة من الليل ؟ ..

ـ هذه كلها أشياء عادية جدا ، وانت تحس بها أو تعملها تلقائيا دون أن تشعر بها أو تفكر فيها : ذهنك يفكر فيها تقرأ الرغبة فى ارتشاف القهوة من الفنجان. لذعة الحرارة وابعاد الفنجان . سماعك طرق الباب . تخوفك وتساؤلك عن الطارق . تسارع دقات قلبك ... كل هذه أشياء تجرى داخل كيانك وانت لا تكاد تشعر بها ، وهى مع ذلك أبسط ما يمكن ان يحدث ..

ولكنك اذا فكرت فى كيفية حدوثها وما يجرى داخل ذهنك وجسمك لكى تحس بذلك وتتحرك تبعا له يملكك العجب .. فذلك كله من عمل جهازك العصبى : أدق واعجب أجهزة الجسم كله .. فشبكة الاعصاب التى تنتشر فى مخك وفى جسدك كله لو قيست لبلغ طولها ما بين الارض والقمر ! وفى هذا الجهاز نحو ١٥٠٠٠٠٠٠٠٠ خلية لكل منها عملها الخاص الدقيق ولابد أن تقوم به على الوجه الأكمل فى جزء على عشرة أو عشرين من الثانية ، ولابد أن يتناسق عمل كل خلية مع الخلية الاخرى والا لما استطعت التحرك بنظام وهدوء ودقة ..

ولابد أنك رأيت مرة انسانا مثلك يسير فى الطريق فى بطء شديد : يحرك قدميه بصعوبة ، أو انسانا آخر يتعلثم فى كلامه أو لا يسمع طرق الباب ... هنا فقط تفهم معنى ما قلت لك من عجيبة ذلك الجهاز العصبى وطريقته فى العمل ..

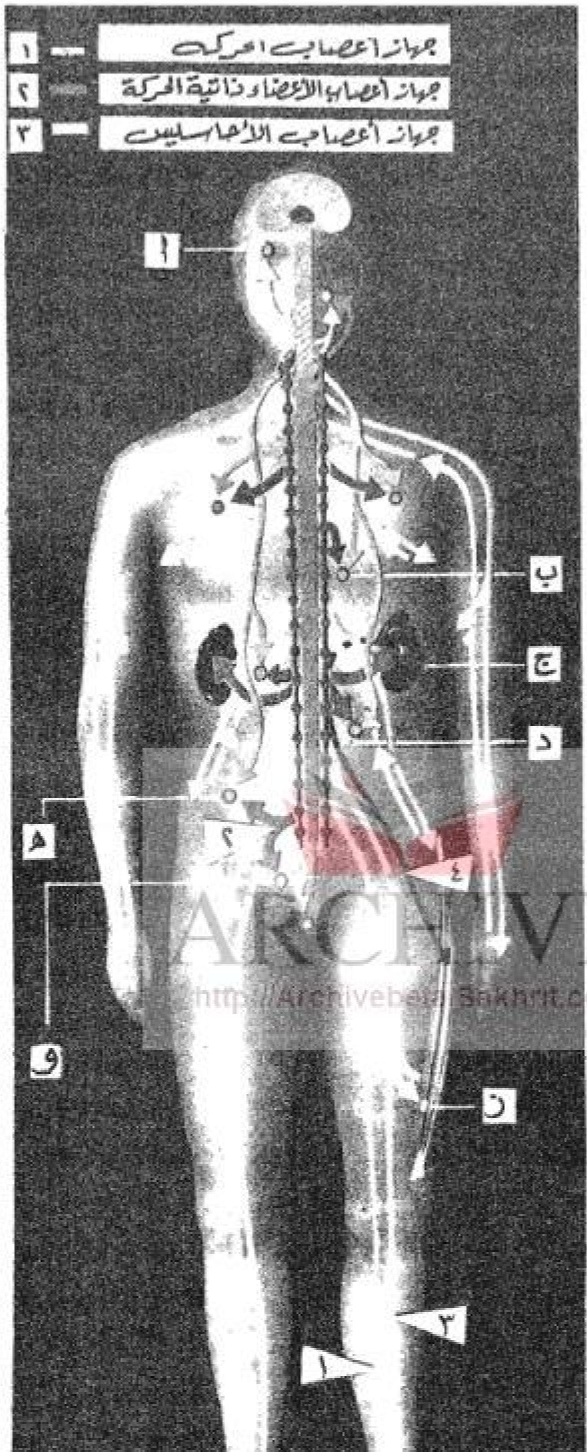
وهذا الجهاز العصبى المعجز ينقسم الى ثلاثة اجهزة تعمل فى انسجام تام بينها ، وهى :

١ ـ جهاز أعصاب الحركة ، وهو الذى يسيطر على العضلات سيطرة تامة دقيقة حتى تتحرك القدم مثلا ـ بكل عضلاتها ـ الحركة الدقيقة المناسبة عندما يصدر لها الامر بذلك ..

٢ ـ جهاز أعصاب الحس ، وهو الذى يجعلك تحس بانك تضع يدك ـ مثلا ـ على شىء ساخن فيصدر الامر الى جهاز أعصاب الحركة لكى تسرع بابعاد يدك عن الشىء الساخن ..

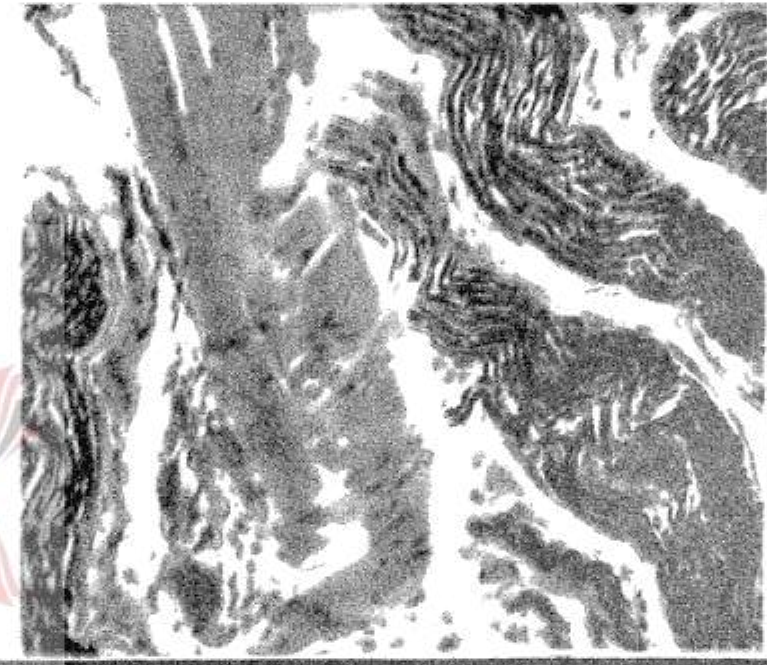
٣ ـ جهاز أعصاب الوظائف العضوية وهو الذى يجعل القلب يسرع فى ضرباته ساعة الخوف ويجعلك تحس بالجوع أو بالامتلاء ، ويجعل الكلى تعمل فى نظام تام .

وكل جهاز من هذه مكون من بلايين الخلايا ، ولكل خلية أو مجموعة من الخلايا وظيفة محددة تقوم بها ، وهى فى المخ تنتظم فى صورة مجموعات وخيوط أعصاب ، وفى الجسم كله تنتشر فى شبكة هائلة من خيوط الاعصاب



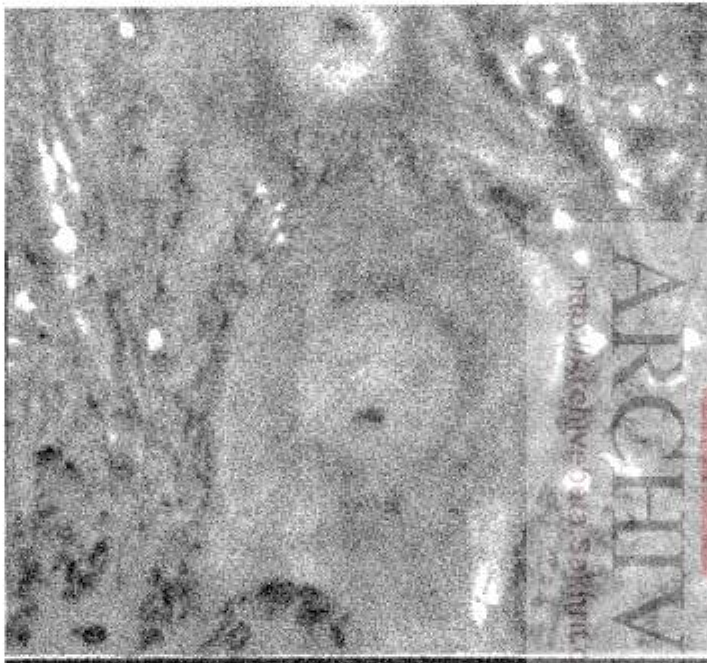
الجهاز العصبي المركزي باجزائه الثلاثة . وقد جعلت كل جهاز بلون كما هو مبين في الرسم فجهاز أعصاب الحركة ملون باللون الاحمر وجهاز الحركة الطبيعية باللون الأخضر اما جهاز اعصاب الاحساس فلونه اصفر ، والاسهم تشير الى مسار الاشارات التي تعطيها خلايا كل جهاز وتبين كيف ان خلايا المخ هي التي تقوم بتنسيق العمل بين بعضها وبعض . وهذه الاجهزة متصلة بكل اجزاء الجسد وفي الصورة ترى باللون الازرق :

ا ـ عصب العين
ب ـ اعصاب القلب
ح ـ اعصاب الكلى
ء ـ اعصاب المعدة
هـ ـ اعصاب غدد الجهاز التناسلي
و ـ اعصاب العضلات
ز ـ نهايات اعصاب العضلات



جهاز اعصاب الحركة جمعت كل منبها في حزمة عصبية مكبرة ٨٣٠ مرة ،وكل حزمة تنتهي الى عضلة من العضلات انظر الى الصورة رقم ٣ . وفي الصورة الصغيرة ترى شبانا يراقصون شابات والجهاز العصبي هو الذي يضبط كل الحركة والاحساسات .

يقوم الجهاز العصبي العضوي بضبط حركة كل الاعضاء ، ولكن المخ يتحكم فيها . الصورة تمثل خلايا هذا الجهاز في مساحة جزء من ١٠,٠٠٠ المليمتر ، والصورة الصغيرة تمثل اطفالا ونساء في حالة خوف وهذه الخلايا هي التي تتحكم في عمل قلب كل انسان



مجموعة من خلايا اعصاب جهاز الاحساس وهي موجودة في العين والاذن ومنتشرة على الجلد ومتصلة بمركز الاحساس العصبي في المخ . الصورة لمجموعة من هذه الخلايا في المخ مكبرة ١٠٠٠٠مرة وفي الصورة الصغرى طبيب يكشف على مريضه وبمجرد لمس اذنه لجلدها ينتقل الاحساس الى المخ



تتوزع فى الجسم كله ، وتصل الى أدق جزء منه • وهذه الشبكة الهائلة هى التى تجعلك تشعر بكيانك ووجودك وتجعلك تتحرك وتعمل وتأكل وتشرب وتنام ••

والى سنوات قلائل كان العلماء لا يعرفون الا الخطوط العريضة لتركيب هذا الجهاز ، ولكن العلم دخل من سنوات فى مرحلة جديدة من دراسة الجهاز العصبى بأقسامه الثلاثة ، مرحلة تعتمد على الميكروسكوبات الكهربائية والاجهزة الالكترونية والاجهزة الحاسبة هذا بالاضافة الى المعامل والمختبرات التى تجرى ابحاثا وتجارب فى غاية الغرابة والتنوع •••

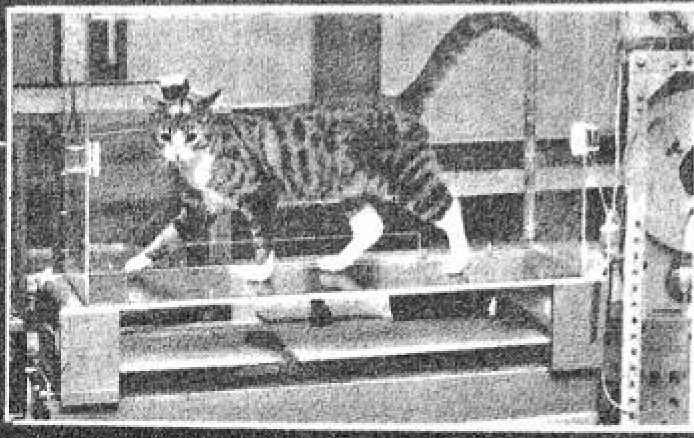
فهناك مثلا مختبر فى احدى الجامعات الامريكية يجرى تجارب منذ سنوات على حركة القطة وكيف تسير وكيف تتناسق حركة رجليها الاربعة بهذا الشكل المعجز والهدف الاخير من هذه الابحاث هو معرفة : كيف يتحرك جسم الانسان وكيف يقوم جهاز الحركة بتنسيق حركات العضلات •

ان هناك اليوم باحثين فى الطب يقولون أن أساس الامراض كلها فى الجهاز العصبى ، أو أن الامراض انما هى مظاهر لحالات ضغط واصابات فى الجهاز العصبى ، فاذا شكوت صداعا مثلا فانك اليوم تأخذ قرصا مسكنا ، ولكن هذا ليس بعلاج ، لأن هذا الصداع فى الحقيقة مظهر لمرض عصبى أو لشىء يشكو منه الجهاز العصبى • وفى بعض المستشفيات الامريكية لا يعطون المريض قرصا مسكنا اذا شعر بالصداع وانما يقولون له : تم هادئا وحاول أن تحصر الهموم التى تشغلك أو الافكار التى تؤرق راحتك فستجد انها سبب صداعك واذا أنت عرفتها زال الصداع • بل انهم يقولون أن السرطان نفسه ليس مرضا هو مظهر لمرض أو اضطراب فى الجهاز العصبى •

لهذا يركزون اليوم تركيزا عظيما على دراسة خلايا الجهاز العصبى فى المخ والاحبال العصبية والخلايا العصبية فى الجسم كله ، لأن خلايا الاعصاب هى التى تهيمن على كل شىء ، وامراض خلايا الجهاز العصبى ليست أمراضا وانما هى اضطرابات أو اختلالات فى الاستقبال والارسال ، أو هى اختلال فى السوائل الداخلة فى تركيب الخلية. فقد يكون سبب الروماتيزم مثلا نقصا فى المغنيسيوم أو الكالسيوم فى داخل الخلايا العصبية •

لقد أصدر عالم فرنسى أخيرا دراسة كبرى عن الخلايا والخلايا العصبية بالذات قال فيه أن الامراض كلها توجد فى خلايا الجهاز العصبى ، فقد تشكو ألما فى ساقك ، ومصدر الالم فى خلايا عصبية فى المخ أو نخاع العظام ، فاذا عالجت هذه الخلايا امتنع الالم ، وقد نشرت مجلة بارى ماتش موجزا لنظريات هذا الطبيب الفرنسى وختمتها بعبارة له يقول فيها : اننا الآن على أبواب عصر جديد فى الطب والعلاج ، عصر الخلية ، فهى أساس كل جسد الكائن الحى،فيها الصحة وفيها المرض •

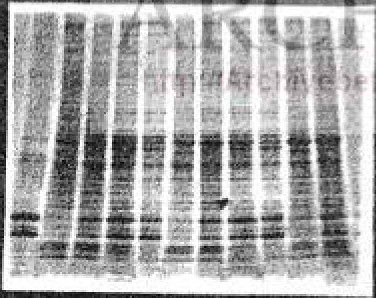
والصور المرافقة تلقى ضوءا على حقيقة هذا الجهاز الغريب وطريقة عمله ••



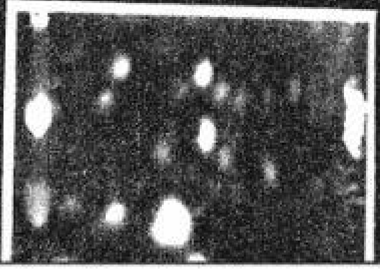


تجربة تجرى على جهاز اعصاب الحركة فى القطة لكى يعرف العلماء كيف يتم التنسيق - عن طريق المخ والجهاز العصبى بين حركة اقدام القطة الاربع .

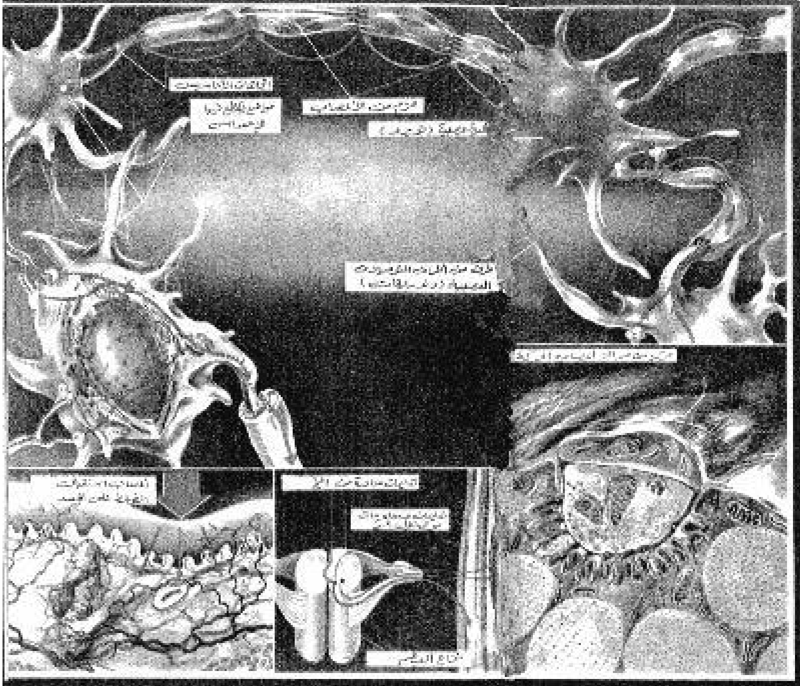
عالمان من علماء الاعصاب هما الدكتور نويهوف (الى اليمين) والدكتور ج . لين اللذان يعملان فى شركة ماكس بلانك لادوية الاعصاب يتناقشان فى موضوع تنسيق حركة العضلات .



هكذا تبدو صورة خلايا بياض البيضة على جهاز التحليل الضوئى . وكل خط راسى هنا يمثل خلايا بياض البيضة الذى يشبه فى تركيبه تمام المشابهة تركيب عصب الابصار عند الارنب .



الكثير من خلايا الاعصاب يشبه فى صورته الضوئية خلايا بياض البيضة (وهو يتكون من الاحماض الامينية) وهذه البقع البيضاء فى الصورة تمثل بعض خلايا بياض البيضة الموجودة فى الجهاز العصبى .



هذا الرسم المنقول عن صور أخذت بالميكروسكوب الالكتروني يصور لنا كيف تقوم أجهزة الجهاز العصبي المركزي بنقل الأوامر والأحاسيس من خارج الجسم الى المخ ومن المخ الى الأعضاء عن طريق شبكة الأعصاب . ففي الصورة الكبيرة (في أعلى الرسم) ترى مجموعات من خلايا الأعصاب مكبرة حوالي ٤٠٠٠ مرة . وبينما تخرج الرسوم من اليمين (أعلى) حيث ترى الأسهم الحمراء ان احاسيس وصلت من الخارج الى أطراف الأعصاب عن الجلد أو في العين أو الأذن وما الى ذلك ، فترى أن الاحساس وصل الى مركز عصبي (نقطة بيضاء) ثم سار في خيوط الأعصاب ليصل الى مراكز أعصاب أخرى (نقطة بيضاء أخرى) وتتركز في مجموعة خلايا عصبية مركزية أو ما يسمى بالنوبرو ثم تصل بعد ذلك الى حزمة أعصاب أو ما يسمى بالاكسون وهذه تنقلها الى مركز تجميع احساسات ثم تصل في النهاية الى مركز الاحساس الخاص بها في المخ (أعلى اليسار) فتصدر أوامر المخ وتسير أولا في الخلايا العصبية في النخاع لتوصل أوامر الحركة الى العضلات .

والصور الثلاث أسفل تبين من اليمين الى اليسار : أ - نهاية مجموعة من أعصاب الحركة ب - الأوامر الصادرة من المخ وسيرها في النخاع ومن النخاع الى العضلات (الأسهم الحمراء والزرقاء) ج - خيوط الأعصاب تحت الجلد وهي تنقل أي لمس خارجي على الجلد (السهم الأحمر) الى أعصاب الاحساس

البراكين نعمة ونقمة!

البراكين أوصمات من الجحيم تنفتح في الأرض وتقذف اللهب والحمم والغازات السامة والأبخرة الخانقة وتنشر الدمار .. ولكن ذلك كله يتحول بعد أن يهدأ البركان إلى نعم كبرى .. إن البراكين نعمة في ثوب نقمة ..

فالحمم والمواد التي تقذفها البراكين عندما تبرد تتحول إلى تربة من أخصب ما يعرف الناس وأراضي البراكين هي أراضي المحاصيل الممتازة الوفيرة ... ثم إن حرارة البراكين ستصبح في القريب مصدرا كبيرا من مصادر الطاقة .



هذه القرية التي كانت قائمة قريبا من البركان غطتها « الحمم » إلى قرب أسقف البيوت - والتراب الذي تراه جاء من الغازات التي تحولت إلى رماد وهبطت إلى الأرض . وبعد سنة من هذا الموت ستتفجر الحياة في نفس هذه القرية بصورة تدعو إلى العجب لأن هذه هي أخصب تربة في الدنيا .



فوهة بركان بعد أن بدأت الثورة تخمد ! توقف اللهب الآن ولكن الغازات تحيط بالموقع كله . هذا العالم استطاع أن يقترب إلى مسافة عشرين مترا ثم مد هذا القضيب المعدني ليأخذ شيئا من المواد المنصهرة لكي يحللها وهي لا تزال مشتعلة . هذا القضيب مصنوع من معدن جديد صنع خصيصا لهذه الغاية . والغرض منه أن يصلوا إلى نوع من المعادن لا ينصهر في جحيم البركان . ومن هذه المعادن ستعمل الأجهزة التي تحول الحرارة إلى كهرباء

فى البداية كانت الارض بركانا واحدا . كانت كتلة من النار تدور فى الفضاء . شيئا فشيئا بدات النار تخمد وبرد سطح الارض بعض الشيء واخذ يجمد وتكونت القشرة الارضية . ولكنها كانت مغطاة بالبراكين كما تغطى بقع الحصبة جلد الطفل المصاب بها ، ثم اخذت القشرة تزداد سمكا وقل عدد البراكين حتى انحصرت اليوم فى نحو مائتى بركان حى نشيط .

ومنذ القديم كره الناس البراكين لانها فى الحقيقة تلحق بهم شرا لا يوصف، فان البركان عندما يثور يقضى على كل ما حوله لمسافات بعيدة ، فالى جانب حمم « اللافا » والغازات الملتهبة تنفث البراكين غازات سامة تملأ الجو لمساحات بعيدة ، فعندما ثار بركان سانتورين سنة ١٥٠٠ ميلادية فى جزيرة تقع على بعد ١٠٠ كيلومتر شمال كريت ،ماتت كل الكائنات الحية فى دائرة قطرها مائة كيلو متر بل ماتت الحياة على جزيرة كريت نفسها ..

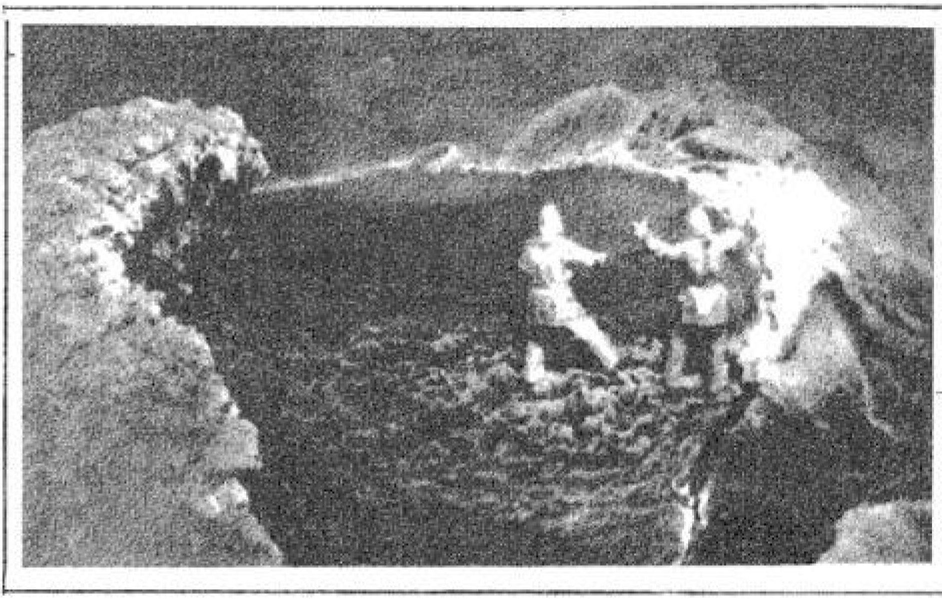
ولكن هذا الموت الذى تنشره البراكين يتحول الى حياة فيما بعد ، لأن المواد التى تتكون منها « اللافا » ثم الغازات التى يمتصها الجو والارض كل ذلك يجعل التربة من أخصب ما يمكن . ولا تكاد الارض تبرد حتى تندفع الحياة فى قوة وغزارة لا توصف ، ولعلك تذكر الخضرة البديعة التى تغطى جزر المحيط الهادى ، وكلها جزر بركانية .

ولكن العلماء يفكرون اليوم فى شيء آخر : هو الاستفادة من حرارة البراكين فى الحصول على الطاقة ، فان الحرارة التى تنبعث من البركان عند انفجاره تعادل ١٥٠٠ قنبلة ذرية ، واذا استطعنا الافادة من جزء يسير من هذه الحرارة لحصلنا من البركان الواحد على ما يعادل مائة بليون طن من البترول ! ..

ولكن كيف ؟ .. تلك هى المشكلة . ان الاستفادة من الطاقة البركانية لا يتيسر الا اذا أخذنا هذه الحرارة فى وقت انفجار البركان . وفى وقت الانفجار لا يستطيع احد الاقتراب من مخروط البركان . انهم يبتكرون ملابس خاصة وقناعات تقى من التسمم ونظارات تحمى العيون . انهم يعملون اشياء اخطر بكثير مما يتعرض له الذين يقومون برحلة نحو القمر .

وفى مصر بالذات نحن أحوج ما نكون الى الاستفادة من هذه الحرارة الطبيعية، حقا أن بلادنا ليس فيها براكين ،ولكن نفس الاجهزة التى تستخدم للاستفادة من حرارة جوف الارض هى التى تستعمل للاستفادة من الطاقة الشمسية ، ومن المعروف أن حرارة باطن الارض هى نفس حرارة الشمس ولكنها مختزنة فى باطن الارض، فاذا نحن وثقنا صلاتنا بالهيئات العلمية الغربية التى تدرس وسائل الافادة من حرارة البراكين استطعنا أن نقتبس الوسائل التكنولوجية التى تمكننا من الافادة من حرارة الشمس على نطاق واسع .

لقد دخلنا بالفعل فى عصر استخدام الحرارة الشمسية فى مصر ،ولكن التقدم فى هذا المجال لا زال بطيئا جدا ، واذا كانوا فى بلد مثل فرنسا يفيدون بالفعل من حرارة الشمس مع ان الشمس لا تطلع هناك الا نحو ثلث العام ، واذا طلعت كانت حرارتها قليلة لا تقاس بما عندنا ، فلماذا لانطور نحن وسائل استخدام حرارة الشمس حتى تكون



هذان العالمان دخلا قرب فوهة البركان ودرجة الحرارة تصل فى الفوهة الى ١٠٠٠ مليون درجة • انهما يجوسان خلال رماد البركان الذى برد ويحاولان ان يجدا وسيلة لوضع اجهزة تحيل الحرارة الى كهرباء ثم يمدان سلوكا الى مسافات بعيدة من البركان للاستفادة من الكهرباء أو لتحويلها مرة اخرى الى حرارة •

المصدر الاساسى للطاقة عندنا فى كل استخدامات البيوت ، فلا نستخدم الوقود الا للمصانع •

حقا انه لا يعلم أسرار الكون الا خالقه فمن ذا يصدق اننا نعيش على كوكب باطنه بركان هائل يغلى بحرارة تصهر الصخور حتى تصير بالماء ؟ ان حجر البازلت الاسود والبنى الذى تعرفه ، وهو حجر صلب تتكسر عليه أقوى المعاول ، ولكنه عندما يخرج من باطن الارض فى ثورة البركان يكون بخارا ثم يتكثف سائلا ثم يصبح حجرا صلدا فأى حرارة هذه ! وكيف لا نستطيع الافادة منها ، انهم يفكرون اليوم فى عمل براكين صناعية ، أى يحفرون القشرة الارضية حتى يصلوا بواسطة أنابيب معدنية الى باطن الارض الملتهب فتندفع الحمم والغازات فيستطيعوا استخدامها • وأول محاولة من هذا النوع تجرى اليوم فى وادى الكولورادو فى الولايات المتحدة • فلماذا لا نجرب نحن شيئا مثل ذلك فى صحارينا الواسعة ؟ لقد ثبت ان الحفر اذا وصل الى عمق عشرين كيلو مترا وصلنا الى طبقة حرارية تصل الى نصف مليون سنتيجراد ، وعند هذا العمل تتفجر الحرارة الباطنية فتندفع فى الانبوب وينشأ عنها بركان صناعى يمكن استخدام حراراته • هذه اليوم مجرد أفكار ومشروعات وموضوع تجارب : ولكن التاريخ علمنا ان أحلام الامس ومستحيلاته انما هى حقائق الغد وممكناته ، ومن مثلا كان يتصور الصعود الى الفضاء والاقمار الصناعية ستصبح فى يوم من الايام حقائق كما هو الحال اليوم •

ترجمة • ح • م



صورة قريبة لفوهة البركان والحمم تتصاعد منها ، والفوهة نفسها كأنها بحر من سوائل الصخور المنصهرة • أخذت الصورة من طائرة هيلوكوبتر • وقد حسب العلماء مقدار الطاقة الحرارية التى تفجرت من هـذا البركان بما يعادل ١٥٠٠ قنبلة هيدروجينية •



اخذت تلك الصورة من مسافة خمسة كيلو مترات من فوهة البركان الملتهب ، وقد التقطت من هيلوكوبتر ، فاصل تيار حمم اللافا الملتهبة والسنة اللهب المشتعل ، وسحب الغازات غير القابلة للاشتعال ولكنها ستتحول الى رماد • كل هذه خيرات ومصادر للطاقة والحياة ولكن بعد ان تخمد ثورة البركان • والمطلوب الآن كيف نستفيد من الحرارة اثناء ثورة البركان •

وشوشات



● احمد السمرة ●

يا عــذبة الإينـاس إن ترتفي ... عادت بشاشات الزمان الرضي
أهدت جـديب الروح طهرا جرت ... خيلا لغير النـور لم تـركض
تمـايلت تحت الندى برعصـا ... غضا بغير الحسـن لم ينبض
وطوقت قيثـارة . شـوقها ... عهد .. وفاء . بعـد لم ينقض

***

المرقص . الصنج . البيان . الخطى ... دنيا تهادت وفق ما تـرتقي
والليل أرسى البدر في راحنـا ... وقال : عما قـاتك استعوضي
عودي رؤى الأفراح تنـداحة ... هذا التداني وصـله يقتضي
خذي لدفء العمر من دفتـه ... لا ترفضي التكليف أو تخفضي
فاللحن أزكى السحر في معرض ... عن شدو بدع الشعر لا ينقضي

***

هذا قطاف الحب حلو الجنـى ... عن غصـنه المطلول لن تعرضي
والليل كأس عتقته المـنى ... روح الهوى من خمـره الأبيض
يارقة تحدو مسـير الشذى ... من عنف أشواك النوى روضي
هذي يدي بالخصر مزهـوة ... ياراحة الأرواح هيـا انهضي
لي رقصـة مهموسة فاسمحي ... سعادتي تنهـار . لا ترفضي
دوري بنا دوري ففي مهجـتي ... جفن لعين الحب لم يغمـض

البحث عن بندقية وثقب فى جدار الخوف

● محمود العزب ●

هناك مقياس جوهرى لكل عمل ادبى لا يختلف عليه اثنان ، هو مدى صدق ذلك العمل فى التعبير عن التجربة الانسانية ، تلك التى يتناولها الكاتب من خلال رؤية معينة ، تمكنه من ان يغوص فى اعماق التجربة ، ويتعرف بدقة على جوانبها ودقائقها ، وتنوعها وثرائها ، وقيمها ومعاييرها .

ورواية «البحث عن بندقية» للاستاذ عبد الستار خليف ، تخطو على الطريق الجاد من خلال الالتصاق بالانسان فى لحظات قوته ، وضعفه ، وخطئه وصوابه واوهامه واحلامه ، ونوازعه وآماله ، وتهفو الى توكيد كرامة الانسان وهو يواجه مصيره التعس ، تحت وقع الضغوط الاجتماعية القاتلة .

احداث الرواية تدور فى الريف ابان الحرب العالمية الثانية ، وفى عالم الريف الذى يسوده التخلف والجهل والاستعباد ، تقع الجريمة ، وتتكرر ، وفى معظم الروايات التى تتناول الريف ـ ابتداء من « يوميات نائب فى الارياف » يكون الحدث الرئيسى وقوع جريمة مادية ، تشد الخيوط حولها ، وبطل رواية « البحث عن بندقية » الذى اصبح شابا فتيا ، تخبره أمه العمياء ذات صباح مبكر بحقيقة مقتل والده من أجل الارض ، ويخرج من بيته ملتاعا هائما على وجهه مخترقا العزبة الى الحقول والساقية ، حيث ارض ابيه ، التى ضمها اليه الحاج ناجى اغتصابا محتميا بسلطانه وجبروته .. وتجرى أمه خلفه ، وتصل اليه عند الساقية بصحبة ومساعدة « بدرية » حلمه الغالى فى الزواج والحياة الهانئة .. وتتوالى التفاصيل ، فيعرف كيف قتل والده ، وكيف اغتصبت الارض ، واصاب العمى أمه ، وتتكشف لنا ملامح العزبة ، وظروفها وخفاياها ، وشخوصها ، ثم نتعرف على جوانب شخصية البطل ومكانته الوضيعة فى مجتمع العزبة المستسلم الخاضع اللامبالى ، ونخطو الى عالمه الداخلى ، وافعاله وردود افعاله ، وبخاصة صلته السابقة بشخصية « شكرى افندى » المتعلم الذى اجبر على مغادرة العزبة الى الاسكندرية لانه يبث افكارا جديدة أو غير مألوفة ، ويثير احلاما لا قبل



لاهل القرية بتصديقها ، ويتاثر بهـا البطل «سيد» بعض التاثر، ويستجيب للاحلام استجابات غامضة ، ويزلزل كيانه مقتل ابيه ، وضياع ارضـه ، ويتحول الى انسان آخر يفكر ويبحث عن وسيلة للانتقام ، وفي عالم تحكمه القوة لابد من استخدام وسيلة القوة: بندقية

ويدور باحثا عن واحدة ، وتفشل محاولاته ، والبندقية التى تمناهـا ليست فى مقدرة بندقية « رضوان الاعـور » الاتوماتيكية حامى حمى الحـاج ناجى ، ويضيق به الحال الى ان يظهر الحل من خلال حديثه مع عم « عرباوى » .. بندقية الحاج ناجى نفسه المعلقة فى حجرته ، يسرقها ويستخدمها فى القضاء عليه ، وحين جرت المحاولة بالفشل ، اهتزت العزبة كلها «بالفعلة » الجريئة ، من سيد

وعكر صوت الطلقة مجرى الاستسلام والعجز والخوف ، وتناقلت الافـواه الخبر فى دهشة جسور ، والحـاج ناجى نفسه بان اضطرابه للعيون برغم عدم اصابته هو ، واختفى الشـاب الجريح فى عشة دسوقى ، لكن الجرح يتلوث وتتضاعف خطورته ، فيعـود الى منزل حبيبته «بدرية» فتاة الاحلام واليقظة ، ورمز الامل والمستقبل ،لكن الخبر يتسرب فيقبض عليه ويسـاق الى معتقل الطور .

الشاب الذى « فعلها » مجرد شـاب فقير شبه عاطل ، يضطر احيانا ان يسرق بيضة أو فرخة او برتقالة ، ومجتمـع القرية يزدريه ، وينظر اليه بغيـر احترام ، ولا يكاد يجد عملا منتظما ، وتكشـف تجربة حياته ، واحتكاكه بشخصيات مختلفة كنعمان ورضوان ، وعوض افندى وعم عرباوى ، وشكرى افندى تكشف عن رومانسيته وواقعيته معا .

وتبدلت نظرة اهـل العزبة اليه تدريجيا ، وتعكس ذاكرة العـزبة صـورا اخـرى سـبقته فى الجراة امثـال « حسن بن نبوية ، والبراوى .. » والتى نالت عقاباً رادعا صوره الكاتب بمهارة واقتدار ، هـذا وتتنفس الرواية صرخة احتجاج انسانة

على الظلم ، الذى يعانيه الانسان .. الفلاح ، وتعكس نشيدا حزينا يتعلق بالانسان والارض ، وتجسيدا للقهر والطغيان فى ريف الاربعينات ، وابناء العزبةعلى سلبيتهم واذلالهم وخضوعهم ولا مبالاتهم ، يعانون المرارة والهوان، فى صمت وخنوع ، الا ان ذلك لم يمنع من ان يجمعهم لحن واحد حزين تعزفه الصدور فى خفية ، وتنفثه الزفرات فى مرارة ، يظهر ذلك ــ وان كان قليلا او مبهما او طائشا ــ فى لحظات الغضب العاجز المؤقت ، او لحظات البوح والتنفيس العابر ، أو لحظات انفلات حبل الصبر فى غياب ــ واه ــ لرادع الخوف الموروث .

وعندما فعلها ((سيد)) الذى كان يطلق عليه ((الدودة)) هزلا وهزؤا ــ دخل اللحن ايقاع جديد ، وانشق ثقب دقيق فى جدار الخوف ، لم تستطع ان تحجبه عين الحاج ناجى الحانقة المتوعدة .

***

هذه الرواية تختلف عن رواية الارض ــ مثلا ــ فى عنصر فنى جوهرى : هو اتخاذها بطلا واحدا محورا لعملهــا وارتكازها ، فى حين أن ((الارض)) أستخدمت محاور ثلاثة فى درجــة واحدة من الاهمية .. دارت حولهــا الاحداث الى النهاية ، هذه المحــاور هى :

١ ــ الارض ــ ارض اهــل القــرية بقطعها الصغيرة .

٢ ــ مقاومة الاهالى الجمــاعية او شبه الجماعية .

٣ ــ الاقطاع واستخدامه لسلطة الحكومة بالقهر المباشر لاهل القرية .

وفى البحث عن بندقية يمكن تقــديم تقسيم ــ نظرى ــ كما يلى :

١ ــ فئة محــدودة العدد حاولت مقاومة الاستغلال وسلطته .

٢ ــ فئة سلبية هم معظم اهــل العزبة ، تعودت الخضوع والخنــوع وتؤثر السلامة .

٣ ــ فئة انتهازية فى خدمة الاقطاع، وفى خدمة مصالحها الشخصية .

وفى تقديرى ان المؤلف صور الفئة الاولى ومعظم الثانية بكثير من المهــارة والدقة ورصد حركاتهم واقوالهــم ، وتصرفاتهم ، وحوارهم ، واحلامهــم وهمومهم ، وهذه احدى الميزات الهامة فى هذه الرواية ، وفى الوقت نفسه نجدان جزءا من الفئة الثانية مع الثالثة لا ينموان ولا يتطوران بالقدر المناسب فنيا ، بل يحافظان على نوع من نمطية جامدة طوال الرواية ،وهذا مما اضعف من رصد حالاتهم النفسية والسلوكية، وقلل من دورهم فى الصراع سواء اكان سلبا أو ايجابا ، وجعلهم بمعــزل ــ أو شبه معزل ــ عن الاحداث ، بقعــة باهتة فى الصورة ، برغم أن الصــورة صورتهم وتخصــهم فى المقام الاول ، وبرغم ــ كذلك ــ اختلاف المصالح ، وتضارب المنافع ، ولا اعنى بهذا هــو مجرد بعدهم عن الاحداث ــ فهــم برضاهم وبرغمهم متواجدون فيها ــ بل أعنى أنهم اصطبغوا بصبغة شابها الجمود والركود ، ليس بحكم طبيعتها وملامحها الذاتية ومزاجها وسلوكها ــ بل بمــا فرضه عليها المؤلف نفســه ــ وليس نابعا من دورها .

***

والشخصية الرئيسية تنفــــرد بخاصــيتها الفنية ، فاقتحمت عالمنا دون تباطؤ أو انتظار ، لنرى نوازعها وهمومها وخطوات مصيرهــا بعد أن

تكالفت وتعقدت وتشابكت الى ان نصل فى نهاية الرواية ، برغم المسحة الرومانسية - الى نتائج حتمية بعيدة عن الافتعال خلال الحقبة التاريخية التى تتناولها الرواية كاشفة عن جو الريف المثقل بالمظالم والعبودية النفسية والاقتصادية .

والرواية فى عمومها يمكن تقسيمها الى قسمين :

قسم سعى بكثير من المهارة الى سبر اغوار الشخصية ، وتحديد ملامحها وقسماتها النفسية والاجتماعية ، وعرض توتراتها ومشاعرها ومشكلاتها الداخلية تجاه الاحداث ، بحيث نجح الكاتب الى حد بعيد فى رصد مختلف الاهتزازات والاضطرابات والانفعالات التى صاحبت البطل فى مسيرة حياته ، يحيط ذلك كله باطار الريف وبيئته المحلية ، وهو لم ينس استغلال البيئة جيدا ، وجعلها تشكل نسيجا هاما فى رسم الاحداث.

« يمثل هذا القسم بوضوح غالب: فصل : الارض ، وفصل : البندقية »

وقسم آخر ابتعد كثيرا عن العالم الداخلى سواء بالنسبة للبطل او من اتصل بهم او عاش معهم ، وهدا التسجيله للتوترات ، والافعال وردود الافعال ، واهتم بالاطار الخارجى ، وسجل البيئة من ظاهرها دون دمجها وتداخلها ، وجريان الاحداث كان قريبا من « الريبورتاج» فى بعضها ، على الاقل مبتعدا عن التعمق الذى ساد القسم الاول « يمثل هذا القسم : فصل البلدة وفصل الام »

هذه رواية ريفية ، تستقبلك رائحة الريف قادمة من البيوت ، والحارات ، والازقة ، والدكاكين ، والحقول ، والاشجار ، والاحواض الزراعية ، وتهب عليك الرائحة من الوجوه ، والسلوك ، والمعاملات ، والخفايا والاسرار والانحلال المستتر.

وتقف هذه الرواية فى صف الروايات التى تعكس الصراع بين الظالمين والمظلومين ، وتصور البؤس الانسانى ، من خلال الوضع الاجتماعى القائم حيث الفقر قسمة الفلاح ، فيقوم بأشق الاعمال لكسب ادنى حد من الرزق ، واستغلال اصحاب الارض ومالكيها لتعب الناس وجهودهم .
وبرغم كل الظروف نقد تحول تدريجيا موقف اهل العزبة من «سيد» وخف الاحتقار والازدراء ، وحل محلهما شعور بالرضا والاكبار ، فاصبح « سيد » .. - « الدودة » - كما كانوا يصفونه .. السيد بحق وحقيق .

هذا ولم تخل هذه الرواية من اخطاء وهنات ، منها كثرة الوصف لمجرد الولع به وبغير ضرورة فنية ، ومنها استخدام جمل طويلة يضيق القارىء بطولها ، ومثل : ارتفاع صوت المؤلف احيانا على صوت الشخصية ، ومنها :

كيفية استغلاله لحكاية الزناتى خليفة ومنها ، بضعة سطور هنا او هناك ، زائدة كان يحسن هجرها ، ومنها : سطور نهاية الرواية عند قوله : يا امى ص ٢٨٤ زيادة مقحمة ، ومنها : بضعة اخطاء لغوية ومطبعة ، ومنها : استخدام كلمة : الرياح .. ونحن فى بؤونة - عز الصيف .

لكن برغم ذلك فان هذا العمل يبشر بروائى واعد

فى لندن وسنغافورة



لقاء مع الأديب السنغافورى الدكتور تواسو بونج

فى طريق عودته من لندن الى وطنه سنغافورة ، امضى الأديب السنغافورى المسرحى « تواسوبونج » اياما فى القاهرة عقد خلالها لقاءات مع المخرجين ونجوم المسرح المصرى وتابع باهتمام احدث العروض المسرحية .

وفى لقاء معه ، سألته عن اهم ماقدم للمسرح من أعمال .. فقال تواسوبونج: فى سنغافورة ، وطنى ، قدمت أعمالا مسرحية للتليفزيون سنغافورة عام ١٩٦٩ حيث كتبت واخرجت نحو عشرين مسرحية ، منها : « الفنان الشاب وهى كوميدية ـ ثم « زهور الصداقة » . وهى مسرحية طويلة من ثلاثة فصول .. ثم « الام ايضا تخطىء » وهى للأطفال ..

ومن اهم مسرحياتى « الهدية غير المتوقعة » وقد فازت بجائزة عام ١٩٧٨ فى مسابقة وزارة الثقافة هناك ، وهى تحكى قصة شابين أراد كل منهما ان يقدم هدية للآخر فى مناسبة قومية ، ولكن الخطأ وسوء الحظ كانا حليفهما اذ وصلت هدايا مفاجئة ومختلفة تماما ..

والاديب السنغافورى تواسوبونج يحمل درجة الدكتوراه من لندن فى علم الاجتماع والاجناس ، ويعمل استاذا فى جامعة سنغافورة مدرسا لعلم الاجناس باللغة الانجليزية .. ولكنه يقدم مسرحياته باللغة الصينية التى حصل فيها على البكالوريوس من جامعة سنغافورة ثم واصل دراساته فى جلاسجو ولندن وبلفاست .

وعدت أسأله : لقد شاهدت الكثير من المسرحيات فى بريطانيا خلال اقامتك هناك .. ما رأيك فيها ؟ قال : لقد كنت أراسل أكبر الصحف السنغافورية اثناء اقامتى فى لندن واكتب لها عن المسرح البريطانى ، وقد شاهدت فى خلال اقامتى هناك حوالى أربعمائة مسرحية انجليزية فى لندن او مانشستر او بلفاست وغيرها ، والتقيت بالكثير من مخرجى وممثلى ومؤلفى المسرحيات التى شاهدتها ، خاصة واننى كنت وما زلت امارس الاخراج والتأليف المسرحى الى جانب عملى كأستاذ فى الجامعة .

ورأيى ان الدراما فى بريطانيا بلغت الان مستوى عاليا لاسباب كثيرة ، منها ان الدراما لها تاريخ طويل هناك ، فمنذ القرن السادس عشر حتى الان ، تتوالى اجيال مجيدة من كتاب الدراما والمسرح ومترجمى الاعمال المسرحية الجيدة .

ومنها ان المسرح فى بريطانيا يتمتع بحب تقليدى متجدد من الجمهور ، وبذلك تتحقق له موارد كافية .. ولان التليفزيون والاذاعة هناك يقدمان اعمالا مسرحية جيدة ، فان المسرح الانجليزى يحاول دائما ان يرفع من مستواه ليكون منافسا قويا لهما ..

كما ان عندهم عددا كبيرا من مدارس ومعاهد الدراما ، بعضها حكومى وبعضها اهلى ، وكثير من مشاهير الفنانين المسرحيين يعطون دروسا فى تلك المعاهد ، مما يرفع المستوى المسرحى هناك ..



اوبرا تاريخية صينية عرضت
فى سنغافورة فى مهرجان فنى

بالاضافة الى ذلك فهناك هيئات متخصصة في المسرح مثل «الاولدفيك» و «المسرح القـومى » ، و « المسرح الملكى » فى مانشستر ، و « المسرح المـدنى » فى جلاسجو ــ وهى مسارح تقدم اعمـالا كلاسيكية لشيكسبير ، وابسن وغيرهما .. الى جانب مسارح الهواة ، والمسارح التجارية التى تقدم اعمـالا سريعـة للسواح .. وكل هذا يرفع من مستوى المسرح والحياة المسرحية في تلك البلاد.

قلت له : وماذا عن المسرح فى بلادك واهم اعماله وفنانيه ؟.

قال : عندنا فى سنغافورة حـوالى عشرين فرقة دراميـة مسرحيـة تقـدم اعمالها بأربع لغات ، بعضها يقـدم مسرحياته بالصينية وبعضها بالملاوية وبعضها بالانجليزية ثم باللغة الهندية .. وجميع الفنانين من الهواة اى ان لكل منهم وظيفة يؤديها فى الصباح ، ثم فى المساء يعمل بالتمثيل او الاخراج حسب ميوله واستعداده .. اى ان الفن فى سنغافورة ليس حرفة يتعيش منها ، ومعظم العاملين فى هذا الحقل الفنى من الشباب ، اذ ان المسرح السنغافورى لم يظهر الى الوجود الا مع بداية حركة الاستقلال منذ عشرين عاما او اكثر قليلا ، فقبل ذلك كانت المسارح انجليزية ، وكانت هناك بعض الفرق الصينية . ومازال للمسرح الانجليزى آثاره فى سـنغافورة من اهمها « نادى المسرح » الذى يرجع تاريخه الى اكثر من ثلاثين عاما .. واهم المسارح التى تقدم باللغة الصينيـة الان « مسرح الشباب » ويقدم اعمالا فى المسرح وللاذاعة والتليفزيون ، ويقدم اعمال الفنانين والمخرجين والمؤلفـين الشبان .

وكثير من الاعمال المسرحية تترجم من لغة الى اخرى مثلا بعض المسرحيات الصينية تترجم الى المـلاوية وغيرها وهكذا ..

واسـتطرد الاديب والمسرحى السنغافورى تواسوبونج يقول :

ــ ان جميع المبانى المسرحية عندنا ملك الدولة ، وكل الفنانين والمخرجين من الاهالى ولا يحصلون على مرتبات من الدولة ، فالحكومة تنفق فقط على الاداريين الذين يقـومون برعاية المسرح ومبانيه وما الى ذلك ، وهـذا من اختصاص وزارة الثقافة بالذات .

وتقوم الحكومة بتشجيع الفنـانين باقامة مباريات ومسابقات فى التـأليف المسرحى والاخراج والتمثيـل ، وتقدم للفائزين جوائز مالية مختلفـة ، الى جانب ما تقدم من شهادات التقدير ، والميداليات فى جميع الوان الفنون من تأليف واخراج وتمثيل وغيرها من الفنون .

قصة

محاورة

● وفية خيرى ●

.. ليلة عيد الميلاد .. كتلة الاجساد البشرية تتمايل لتشدو بحلول العام الجديد .. التقت عيناي بعينيه .. اشاح عني بوجهه ، اندمج في الحديث مع مجموعة من الاصدقاء وسط الضجيج ومع ذلك احسست بنظراته تخترق ظهري ، مع تمنيات الاصدقاء لي في العام الجديد ـ رغم انشغاله بالحديث ...

قابلته لاول مرة عندما قدمه لي احد زملاء المكتب

ـ آنسة منى .. اقدم لك الاستاذ محمود

ـ اهلا وسهلا .

ـ الآنسة منى رغم اننا كنا زملاء دراسة ، وخريجي دفعة واحدة ، الا انها اصبحت الكل في الكل هنا ، بينما لا ازال انا ـ محلك سر ! .

ـ تشرفنا يا آنسة منى

ـ الاستاذ محمود جار وصديق قديم .. لطالما لهونا ولعبنا سويا بالكرة الشراب ونحن اطفال .. اروك هو بأسما !

ـ كان يسير مختالا ببنطلونه الطويل عندما كنت انا لا ازال اتعثر في البنطلون القصير !!

تصغرني اذن ـ ما دمت تصغر زميل دراستي ... فهمنا الاشارة والتلميح ـ لا بأس . ثم ماذا ـ تريد مني خدمة ـ سأقضيها لك على اى حال فهذه مهنتي ووظيفتي التى اتقاضى عليها مرتبي قدم الطلب مشفوعا بالمستندات وسوف ننظر فيه ـ مكتبنا تخصص لذلك . لتقديم الطلبات والمستندات ولم يشترط من بينها جدالة السن والقشرة وقوة العضلات .

ومع ذلك ورغم هذه المقابلة التى اتسمت بالزهو والخيلاء من جانبه ، احسست التى سأراه مرة ثانية وثالثة ، وانه سيكون بيننا اشياء

ـ لا ادرى كيف ـ اقول لكم الحقيقة ، ربما لانني اردت ذلك ، من صميم قلبي اردته ـ ربما عملا بالمثل القائل والقط يحب خناقة ، ربما لانى عندما تسممت رائحة التحدى في لهجته تفتحت شهيتى للدخول معه في محاورة لنرى من منا المنتصر ومن المهزوم ...

ولقد صدق ظني ـ لقد سعى الى مرة اخرى ـ جاء لمكتبنا يسأل عن مصير الطلب . لاحظت انه قد انتقى ملابسه بعناية ، وانه يبتسم كثيرا ، ويتحدث في مرح وحماس . وحاولت ان اداري ارتباكي .. انشغلت بالبحث له عن مصير الطلب . اديرت له ظهري وفتحت درج الملفات .. سمعته يهمس ورائي في صوت حالم :

ـ ماذا تفعلين مساء اليوم ؟ ان لم يكن هناك ما يشغلك فانا ادعوك ...

التفت اليه فجأة بهذه السرعة تكون الامور ؟ وفي مكان عمل تطلبني للمقابلة !

بهت لصمتي وتحديقي فيه ...

ـ آسف ، لم اقصد الاهانة ..

مددت له يدي بالطلب :

ـ ما هو طلبك ـ مرفوض !

امسك بالطلب ... قرأ التأشيرة عليه في اندهاش .

ـ مرفوض ؟! هكذا ، دون ابداء الاسباب والمبررات ..

ـ اى خدمات اخرى ؟

ـ اريد تفسيرا لما حدث ...

ـ عندنا لا نفسر لعملائنا اسباب الرفض والقبول ! ..

انتم بهذا تفقدون العملاء !..

رفعت راسي اليه وسددت اليه نظرة وضعت فيها كل لؤدي عليه ممزوجة بمشاعر التحدى التى بدأت تملأ نفسي نحو هذا المحاور الجديد .

بهت للنظرة .. شكرني واستعد للانصراف .

ولكن فجأة وهو خارج من الباب اصطدم برئيسي مدير الشركة ، داخلا الحجرة وهو يحمل في يده زجاجتي مرطبات واحدة له وواحدة لي كعادته كل صباح .

تعالت بينهما كلمات الترحيب ..

ـ هذا انت يامحمود ؟ .. كيف تجيء للشركة دون ان تمر بي .

ـ لي زمن لم اراك يا همام بك .

غادر الاثنان الغرفة وقد تشابكت ايديهما ، بعد ان ترك المدير زجاجتي المرطبات على مكتبي دون ان يلقي على تحية الصباح .

صديق اذن هو للمدير ـ ومع ذلك جاءني انا ـ ادعى انه مجرد عميل من العملاء ممن لا وساطة لهم ، وهؤلاء غالبا ما نرفض لهم الطلبات ـ مكتبنا يرفض كل طلب ما لم يكن مشفوعا بتوصية من شخص من الشخصيات التى تجرى بيننا وبينها المعاملات .

لماذا فعل ذلك ؟..

وفي اليوم التالي كنت اتلهف شوقا الى رؤيته ... لا بد سيأتي للشركة مرة اخرى ، على الاقل لمقابلة المدير .. كنت احدق في وجوه القادمين والرائحين ... لم يأت ولم اره بعد ذلك لمدة شهور ... ثم فجأة ، وانا اعبر الميدان توقفت سيارة صغيرة امامي وسمعت صوتا مألوفا يأتيني عبر الباب المفتوح :

ـ لقد قبل مشروعي ... اعترفي . قبله المدير ! ضحكت فيه ساخرة وضجيج الشارع يحول بيني وبين استيعاب ما يقول :

ـ انها عبارة تقليدية يستخدمونها للمساومة .

ـ انا لا افهم ما تقول !

ـ بل تفهمين ، اقصد عبارة « مرفوض » يقصدون بها المساومة ... هذا شأنهم دائما ، يطلبون مقابلا لما يقدمون لك من خدمات ... لقد عرفت ما يريدون فاعطيتهم ما يريدون ـ ماذا اسميه : « بقشيش » ! ..

تريدين ان اوصلك الى مكان ما ؟

صرحت بالتكارى بعيدا :

ـ شكرا ... لا اريد « بقشيش » !

استدركت :

ـ بيتى على بعد خطوات من هنا ، مجرد ان اعبر الطريق ! ...

تركته وسرت فى طريقى وبركان من الثــورة والغضب يهز كيانى ... هزمت فى الجولة الاولى، ولكن لا بأس فستكون بيننا جولات أخرى ـ لايمكن أن تنتهى المحاورة بيننا بمثل هذا الاسلوب .

وانشغلت بعد ذلك بحياتى وعملى وانا احاول جهدى ان اطرده من ذهنى ـ ان الهزيمة شىء حقير ـ تعودت دائما على الانتصار ـ كيف يهزمنى هــذا المغرور .. ولاول مرة اشعر ان شيئا ما قد انكسر بداخلى ..

كنت اصحو فى الصباح فاشعر التى لا اود ان انهض من الفراش ـ فجأة ، كرهت عملى ، كرهت المدير ـلم اعد اقبل دعوته لى على فنجان قهوة او زجاجة مرطبات كعادته كل صــباح ـ كرهت العملاء ذوى الكروش والساعات الفاخرة والنظارات ذات الاطر الذهبية فليذهبوا جميعا الى الجحيم !

اريد أن أخلو لنفسى ـ أفكر فى مســتقبل ـ بلغت الخامسة والثلاثين دون زواج ، الجميــع يقولون انني الكل فى الكل هنا ـ هراء ! .. ـ مجرد واجهة براقة نظيفة لرائع حقير ـ الخــدمة مقابل الخدمة ـ المساومات تجرى جهارا نهارا ـ يساومون على كل شىء حتى على المقدسات .

ولكن هو ـ ماذا يحاورنى ـ ماذا يريد ؟

ووجدتنى أســعى الى الزميــل الذى عرفنى به ـ انتهزت مناسبة عيد الميلاد لكى أتمنى له ســهرة طيبة بين الاسرة والاولاد .

رحب بى ـ جلست أمامه احتسى فنجان القهوة الذى قدمه لى :

ـ هــذا شرف عظيم ان تخصينى أنا بالزيارة دون بقية الموظفين رغم انى لست على مســتوى المديرين .

تغاضيت عن العتاب والتلميح ـ حاولت ادارة الحديث نحو الوجهة التى اريدها .

ـ آه تقصدين محمود ، جارى العزيز القديم ـ لا تصدقى انى اكبره ، هو يكبرنى بعامين ـ أراد مداعبتك عندما عرف انك كنت زميلة دراستى .

ذكرت اسمى يا زميل مسبوقا بلقب آنسة ، آنسة فى الخامسة والثلاثين يلقبونها بالكل فى الكل هنا ـ لا بأس من هزة بسيطة تهز هذا الكيان المتماسك المتين ـ

ـ قبل المدير طلبه بعد ان رفضته ادارتى ..

ـ هراء ... المدير لم يقبل المشروع ـ الطلبات لا تعرض على مجلس الادارة اذا كان مؤشرا عليها من ادارتك بالقبول .

ـ تعنى ...

ـ أعنى ان الطلب سيعاد اليك مرة اخــرى للتأشير عليه .

ـ لن اقبل !

ـ جاءت معركتكما اذن بعكس ما كنت أتوقع..

ـ وهل توقعت ان اقع فى غرامه فاقبل ما سبق ان رفضته ادارتى ؟!

ـ تصورت أنك ستعملين خاطرا لى .

ـ تعرف اننى لا اجامل أبدا فى العمل !

ـ ولا فى العلاقات ، وربما كان هذا هو السبب فى بقائك حتى الان ... دون زواج ... أهــذا ما أردت ان تقرئه يا زميل العزيز ؟!

نهضت دون كلمة ، وغادرت المكان ...

وكما توقع زميلى تمــاما ـ جاءنى الطلب مرة اخرى مشفوعا ببطاقة توصــية من المدير ، كنت امزقه ... كيف تصور اننى يمكن ان اغير رأيى فى قرار اتخذته بعدم القبول .

وهذا المدير ـ منذ متى وهو يحافظ على الظاهر ويلتزم بالاصول ... انه يقبل ما يريد أن يقبل دون حاجة لهذه الرسميات .

اخذت الطلب وسرت متجهة نحو مكتب المدير ـ ولكن فجأة وجدته أمامى يبتسم لى :

ـ آنسة منى ...

ـ هذا طلبك ، كنت ذاهبة به الى المدير ..

ـ ان المدير يعرف عنه كل شىء .

ـ سبق لى ان رفضت الطلب ، ولكنك تصر على احراج موقفى .

ـ اعادة النظر فى الاشــياء كثيرا ما يفيــد . والوساطة ايضا امر غير مرفوض خاصة اذا كان الدافع نبيلا ...

اختلطت فى ذهنى الاشياء ـ اصبحت وانا اعيد قراءة المشروع اسرح بخيال فى شخصية محمــود ـ احقا دافعه نبيل ـ ماذا يريد منى ـ ان البله، هو ام قبل المشروع ... ولحيرتى وتشتت افكارى، قررت ان اركن الموضوع ... تاركة لعامل الزمن اظهار حقيقة الموقف بيننا ، فلو كان المدير حقــا يريد مجاملة صديقه لما اكتفى ببطاقة التوصية ، ولحدثنى بنفسه فى الموضوع .

والآن ، ونحن نحتفل بالعام الجديد ، وشرائط الورق الملون تتــدلى من الســقف وتختــلط « بالطراطير » على الرءوس ، وكرات من الــورق الزاهى يتقاذفها الاصدقاء فى مرح وجنون ـ أراه منشغلا عنى بالحديث ـ ولا زالت المحاورة بيننا قائمة تتبادل حوارها بلغة العيون .

وفجأة ، وكما توقعت تماما ، استدار وواجهنى بعينين دهشتين كعيون الاطفال ، وكأنه يرانى لاول مرة :

ـ آنسة منى ... أنت هنا ـ يالحظ السعيد !

وقبل أن أرد تحيته اردف وسط الضجيج .

ـ اما آن الاوان لتغيرى من طريقتك فى المعاملة ... شكى لى بعضهم من ان معاملتك مع العملاء سوف تؤدى بشركتكم الى خراب أكيد !

سكت ، ولم اجبه ... اسألنى هو بصوت متردد خجول :

ـ هل لى ان أعرف مصير الطلب ؟

هكذا تتصــور انك بهذه الطريقة ـ بهــذا الاستفزاز والتحدى سوف تدفعنى الى ما تريد ـ « حسنة وانا سيدك » اسلوب لا يخيب ، ولــكن معى أنا الحال مختلف :

ـ طلبك مرفوض ، للمرة الثانية مرفوض ، برغم وساطة المدير .

وقبل أن يسترسل فى استيضاح الموضــوع ـ اردفت :

ـ وضعت المدير فى خيار ما بين قبول استقالتى او قبول المشروع... رفض استقالتى فانا بالنسبة له اهم من صداقتك بكثير .

وفى اليوم التالى جاء المدير الى مكتبى لتهنئتى بالعام الجديد ، وشربنا القهوة وتضاحكنا وتحادثنا فيما نتحدث فيه من أمور .

انا لا اجامل ابدا فى العمــل ـ ولا اقبــل الوساطة ـ ولا حتى من المدير .

لم اصل لهذا المركز اعتباطا ـ وصــلت اليــه بالجد والكفاح ومعرفة « بواطن الامور » ـ فامرأة مثلى اذا وضعت استقالتها فى جانب ـ وفى الجانب الاخر قبول مشروع اوصى عليه المدير ، واختــار المدير الاحتفاظ بها على حساب مجاملة الصديق ، فلا بد انها حقا امرأة جادة صلبة لا تجامل ابدا فى عملها .

ولكن لا بد انها احيانا تجامل المدير ! . ●●

صـوت شعـرى معاصـر

● ماهر شفيق فريد ●

د.ج. انرايت واحد من ابرز الشعراء الانجليز المعاصرين ، كتب عنه بليك موريسون دراسة عنوانها « حكايات فى جنة عدن » وذلك فى عدد من « ملحق التايمز الادبى » بمناسبة صدور ديوان جديد لانرايت عنوانه «الفردوس محلى بالصور» .

يقول بليك موريسون : ان كلمة « لا ادرى » هى الصفة التى كثيرا ما كان يوصف بها مجموعة « شعراء الحركة » : فليب لاركن وكنجزلى ايمس ودونالد ديفى ، وغيرهم ممن اسهموا فى مجموعة شعرية عنوانها « ابيات جديدة » او – ان شئت – « خطوط جديدة » ، وقد ارتبط انرايت بتلك المجموعة من الشعراء وبدا شعره يظهر معها فى الخمسينات . قيل ان هؤلاء الكتاب يتسمون بالحذر والشك وقلة القابلية للانخداع ، وهاهو ذا انرايت يأتى لكى يعيد كتابة قصة سقوط آدم وحواء كما وردت فى التوراة .

ان انرايت – بطبيعة الحال – خليق ان يستهجن الزج بتلك البطاقة القديمة – بطاقة « شعراء الحركة » – فى معرض الحديث عن ديوانه . فقد ظل دائما رجلا مستقلا . وان الصفات التى خلعها النقاد عليه عبر السنين : « هو ذو اصالة ، فطن ، متهكم » – قد وجهت الانتباه دائما على التقريب الى الصفات التى تنفرد بها موهبته ، ففى الشعر كما فى السياسة كان الدور الذى يستمتع به اكثر من غيره هو دور الحاد اللسان ، الذى لا يكبحه شىء ، الساخر من الشعارات الفارغة . لقد كان دائما بعيدا عن النظر الى الاشياء بعين التوقير ، وهذا ما يضفى على ديوانه الجديد تشويقا خاصا .

***

وقصيدة « الفردوس محلى بالصور» التى يحمل الديوان عنوانها تشغل نحو ثلثيه وتتكون من سلسلة من الحكايات القصيرة عن جنة عدن ، مرورا بذكر التفاحة المحرمة ، الى موت آدم فى سن التسعمائة والثلاثين ..

وفى هذه الجنة كما يذكر الشاعر انرايت من الكماليات اكثر مما يحتاج اليه المرء : مرطبات ، وماء ساخن ، ونقود.. وهى مفارقة يستكشفها انرايت حين يقول : « اذا احتجت الى مال ، فان المال ينمو على الاشجار ، ولكن ما عساك صانعا بالمال ! »

وعلى هذا النحو ايضا يصور غواية الثعبان لحواء – بلغة السبعينات .. ان الحيلة التى يلجأ اليها الثعبان هى انه يخبر حواء بأنها ضحية لتعصب آدم لجنسه من الذكور ، فيقول لها : «انها مؤامرة بطبيعة الحال . والهدف منها هو ابقاؤك فى مكان التابع .. انه لايريد الا ان تظلى بكماء » .

ليس ثمة ماهو جديد بصورة خاصة فى هذا الاضفاء للطابع المعاصر على مادة التوراة ..

ففى ديوان « كرو » او « الغراب » فعل تدهيوز نفس الشىء ، وهذه

الحيلة يمكن ان تغدو مملة بسرعة .. بيد ان اترايت ـ على الاقل ـ لايحمل عصريته على محمل الجد ويرفض ان يعظ عن مدنيتنا ، ان التوريات والنكات هي الشيء الرائج في ايامنا . وآدم المتقدم في السن يقول لورثته : « لقد كانت الامور مختلفة في ايامي .. فقد كان الناس يعيشون الى الابد انذاك » . وهذا الفردوس الحافل بالمزح والالعاب يقف على النقيض من جنة ملتون الجادة في قصيدة «الفردوس المفقود» . خليق بنا ان نتذكر ان الناقد الراحل ف.ر ليفيز قد اخذ على ملتون اسلوبه الجليل وموسيقاه المسكرة .

واترايت الذى كان ذات يوم تلميذا لليفيز في الجامعة يضمر نقدا مشابها لملتون عندما يلمح في ثنايا كتابه الى البيت التاسع والثمانين من الكتاب التاسع من قصيدة «الفردوس المفقود» .

وفي احيان اخرى يلمح اترايت الى بليك ويبدو انه يحاكيه محاكاة ساخرة بيد ان الاهداف التي يسدد اليها سهامه اكبر من ذلك فان اكثر خيوط « الفردوس محلى بالصور » الحاحا هو ان الادب باكمله بل واللغة ذاتها نتيجة للسقوط . ان التشبيه والبلاغة هما « أداتا الشيطان » واللغة اداة تدمير : « اننا نثرثر حتى الموت بعدة اصوات » على حين ان « الصمت هو لسان البقاء »

والمفارقة التى ينطوى عليها هذا الموقف هى ان اترايت ذاته ثرثار كبير يؤثر « شعر المناسبات » . فكثير من قصائده تبدا كرد على شخص ما او شيء ما ، بدلا من الصنعة المنمقة بعناية وانبثاقات البصيرة . وكثير من القصائد في الجزء الاخير من «الفردوس محلى بالصور» تلقائية على نحو يدعو للاعجاب احيانا وموحية بانها قد ارتجلت على عجل في احيان اخرى .. وفي هذه القصائد يلعب اترايت دور الانسان الذى انجابت عنه الاوهام .. انه اكثر ازدراء لآلهة العصر الحديث: التحليل النفسى ، والتكنولوجيا ، ودولة الرخاء ، والمساواة ، والادب ـ منه للآلهة القديمة . وهنا يصبح سلاح اترايت هو المحاكاة الساخرة . وفي هذا العصر الذى يجتمع فيه الشعراء الى نظم الصور لا الافكار ، في سلاسل قد تضعف شعبية اترايت ، ولكنه في خير قصائده يظل يستخدم على نحو ناجح في ازالة الوهم من نظرتنا الى الاشياء .

في العدد القادم

نتيجة مسابقة

إقرأ الهلال واكسب جائزة

قصة اليد المقطوعة

● محمد كمال محمد ●

في أعماق عينيه حدقت ، وأنا أحادثه دون أن يجيب : لا أصدق أنه ولدى بذاته ..

ـ سيسقط البيت .. لابد أن نتركه توا !

رددتها ثانية ليفتح فمه المطبق بكلمة ترد لهفتى .. ظل واقفا مثلما وقفت بعد أن قدم لى مقعدا نحيته بيدى ..

ـ لن تجد بيتا عندما تجىء لزيارتنا .. لقد حددت لى الموعد ولم تأت !

كنت خلفت ورائى الدهليز الممتد وعنابر المرضى على الجانبين ، حتى مسكن الأطباء أبحث عنه بعد أن تهرب منى أياما .. وكان خارج غرفته جالسا مع أخته الصبية التى سبقتنى لزيارته يلعب الورق !

كان اليأس حادا بداخلى .. ربما لن يطلع علينا نهار نتنفس هواءه .. وليس ثمة نجاة بغير أن تمتد لنا يده ..

هدرت فى وجهه ، عندما لم أجد سوى كلمات تعثرت على شفتيه :

ـ منذ اللحظة لاحق لك أن تعرفنى !

انخطف لون أخته التى كانت تنظر نحونا ممسكة بالورق حتى ينتهى الموقف لتواصل اللعب .. حملقت فى وجهى المرتعد ممزقة بالدهشة والأسى .. صحت فيها لتنهض ، فألقت الورق واختلست الى أخيها نظرة منخفضة وقامت متباطئة ..

كنت ارتجف بالصدمة والالم ... وكانت عيناى مظلمتين ، كأنما أطبقتا دون أن أمى ..

دقت الأنى لشجة ابنتى لتهرلها :

ـ تبكين ! أنه لا يستحق !

كانت الأرض الأسمنتية القائمة مبللة بالماء والصابون .. وكنت أخطو محاذرا بين النساء المنحنيات يمسحن فى تباطؤ .

رفعت ابنتى الى وجهها ..

ـ أين نذهب لو سقط البيت ؟؟

ارتعدت يدها فى يدى ..

فى خفوت قلت :

ـ من أجل ذلك أرسلتك اليه ..

حدقت أمامى : فى مدخل الشقة التى بقيت بسكانها فى البيت وحدها ، كان الأثاث مكوما . وكانت زوجتى مع البنتين الكبيرتين يقبعن فى جوار ، لا يجسرن على التحرك ، والخطر الداهم يتربص ..

ـ لم أفهم عندما قال لا نقود معى للشقة التى تريدونها .. قولى هذا لأبيك !

مسحت دموعها المتساقطة وسألت :

ـ الن نراه ثانية ؟!

كانت ثمة عتمة فى نهاية الدهليز تغلف ميتا يحملونه على محفة ..

أطبقت عينى على الظلام :

ـ الجاحد !

بصوت عال رددتها لنفسى ..

ثارت فى عينى الدموع ، وأنا أدلف من بوابة المستشفى الى زحام الشارع تصلبت يدى حول اليد الصغيرة .. كانت الوجوه تمرق من جانبى شوهاء وبعضها الآخر بلا ملامح ● ●●



الإنسان والحياة.. والجمال

● عمر عمران احمد طه ●

تمتع بالجمال ولا تدعه ...
فما نبض الحياة سوى الجمال !
وكيف تقول فى الدنيا شقاء
وانت ترى اعاجيب الخيال ...
وكيف تحس اغلالا وهما ...
وانت تعيش اشواق الوصال
وما عمر الفتى الا ثوان
مع الأحلام والسحر الحلال
بنفسك ان ترى الأيام حسنا
وتغفى للخطوب وللنصال
وفى جنبيك اشواق تغنى ...
الى الفجر السنى الى المعالى
وانت تحيك الواب الأمانى
وتصنع فى الورى ابهى اللآل !

●●●

تمتع بالحياة وجب هواها
وروحك مفعق علب الغلال
تحيى طلعة الاصباح حبا
وتلك للنسائم فى التبجال
وقف بالروضة الغناء والطف
شذى الأزهار فى فيح التلال
وتجرى الشمس كى تحبوك دفئا
ويسطع بالمنى قمر الليالى
اذا ابتسم الحبيب ورق ثغرا
ولوما بالرضا حلو الدلال
واشعل فى الفؤاد لهيب حب
وأجج لهفة برؤى الوصال
فهذا الكون عند خطاك يلهو
وانت بساحه رحب المجال
وفى قرب الاله رياض أمن
وفى الايمان واحات الظلال
وكل الخلق يسبح فى انبهار
يكبر للمهيمن ذى الجلال ...
لمن خلقت افانين الجمال
لمن يا قوم هاتيك المجالى !.

قصة

الملاك ينسحب



● مرفت مصطفى عابدين ●

● سيدتي الفاضلة .. اسمحي لي ان أكتب لك هذه الرسالة بعد ان خرجت من المصحة العقلية وتم شفائي .. اسمحي لي ان آخذ من وقتك لحظات تكفي لمجرد قراءة رسالتي ، ولو اني اعرف انه ليس عندك وقت فراغ ولو لبضع دقائق – ومن خلال رسالتي .. هناك سؤال اوجهه لك ايضا ولا أطمع في الاجابة عنه ..

عندما كنت شابا في الثامنة عشرة رسبت في اختبار الثانوية العامة ، ولقبت بالفاشل ، وقررت الانتحار لفشلي في التعليم ولفقر والدي الشديد .. يومها برزت لي فتاة رائعة الحسن والجمال ، أشبه بملائكة السماء وبنات الحور ، كانت ابنة أغنى رجل في المنطقة مدت لي يد المساعدة والعون ، ولامتني كثيرا على رغبتي في الانتحار ، وأثنتني عن عزمي ، وقالت فيما قالت « ان شبابك خسارة ، وان الحياة جهاد .. وان الطريق ليس صعبا .. وعليك ان تواصل المسيرة وتعيد الكرة ، وسيكون النجاح حليفك ان شاء الله ..

فتحت لي بهذا الكلام باب الأمل من جديد .. وكانت ترقب نجاحي ، وتفرح لانها صانعة هذا النجاح .. وكانت تحفزني وتدفع بي الى التقدم ، وتعطف على وعلى عائلتي وتمدنا بما يسترنا ..

واحببتها كل الحب ، ولم تغلق الباب في وجهي لكيلا اتمادى في حبي لها وتعلقي بها .. حقا انني لم أصرح لها بحبي ، لكنها كانت تشعر به .. حقا انني لم اتغزل في جمالها الفاتن ولا في سحر عينيها لانها كانت تفوق جمال البشر ، وتسمو وتعلو الى حد الغنى عن كل قول أو مدح أو حتى شعر يقال فيها .. كانت نظراتي لها حبا وطاعتي لها حبا ، واصبحت طوع يدها تدفع بي كما تشاء ..

ونجحت بفضلها نجاحا باهرا ، هز وجداني ، ورد لي كرامتي امام أهلي وأهل الحي ، وتحول كسلي الى نجاح ويأسي الى آمال .. ولأني كنت رهن اشارتها أفعل كل ما تأمر به دون جدل ، فقد دخلت الجامعة وحصلت على شهادتي كما أمرت هي ، وتهيأت لحياة كريمة كما قالت لي ..

●●●

وصارحت أمي بحبي للفتاة الملاك ، وبرغبتي الشديدة في الزواج بها فثارت أمي ثورتها وقالت لي : « أجننت ؟ .. اتفكر في الزواج بها وهي في السماء ونحن في الأرض » .. فقلت لأمي يومها انها هي حدثتني كثيرا « ان الرجل بعمله واخلاقه ، ليس بماله وحسبه ونسبه » .. فما كان

وهكذا وافقتني أمي ولكنها طلبت مني تأجيل المسألة الى ان أؤدي فترة الخدمة العسكرية واتسلم عملي بعدها ، واستعد بمهر مناسب ..

ووعدتني كذلك أن تذهب الى والدتها لتمهد للموضوع .. وهكذا ايضا عشت بالأمل فترة تجنيدي ، وكنت أحلم بالعمل والربح لكي أحقق رغبتي وأمل عمري ..

وعندما انتهت تلك الفترة وخرجت الى الحياة العملية ، وسألت أمي عن ملاكي – ردت علي قائلة : « انها تزوجت ! .. »

وماجت الدنيا ودارت بي .. كيف ؟ الم تذهبي الى والدتها كما وعدتيني يا أمي ؟! »

فبكت أمي وقالت لي : ذهبت يا بني ولكني لم أقو على مفاتحة والدتها لأن



العين لا تعلو عن الحاجب ، ولأن هذه الطبقة خلقت من مسك وعنبر ، ونحن خلقنا من طين .. ومن الحكمة أن نعرف قدرنا ولا نتطفل عليهم بسخافات ربما تضحكهم منا ، وربما تجلب سخطهم علينا .. وأنا فضلت الصمت ، والله يساعدك على نسيان هذا الحب غير المتكافىء ! »

ولم أسمع بقية حديث أمي .. وفقدت صوابي ، وخلعت نصف شعر رأسي بيدي ، ولم يستطيعوا اسكاتي أو تهدئتي يومها أبدا ..

ضربني أبي وعنفني ولكن لم تخمد ثورتي بل زادت .. ثم لم أعرف ماذا حدث بعدها ، كل الذي أعنيه أنني دخلت مصحة عقلية .. نعم ، جننت بسبب الصدمة ..

***

ومرت الأيام حتى شفيت تماما وخرجت للحياة سليما معافى .. وكانت رغبتي شديدة في أن أرى ملاكي ولو مرة واحدة من بعيد ، يكفيني أن أراها فقط ، لأن حبها ما زال يسيطر على كل حواسي .. ولم تستطع كل هذه الأعوام أن تنسى القلب حبه ، لأن القلب هو التعبير الوحيد لحياة الانسان ووجوده وما يشعر به هو الصدق الذي لا تستطيع الهروب منه ..

والححت على والدتي لكي أعرف منها عنوان ملاكي ، وعرفته ..

وتلصصت عدة أيام بجوار مسكنها لعلي أراها ، وعندما رأيتها تهلل وجهي فرحا ، وكاد قلبي يقفز من بين ضلوعي بهجة .. ولكنها للأسف نظرت لي نظرة عابرة ولم تعرفني لأن الزمن غير من ملامحي وأضاف على قسمات وجهي سطورا لم تكن هناك من قبل ..

ومرت من أمامي وتجاوزتني وسارت في طريقها مرفوعة الرأس ، شامخة عظيمة كما عهدتها دائما ، وجمالها لم تنل منه الأيام بل زادته ..

وفتحت باب سيارتها وألقت بنفسها داخلها وفي ثبات انطلقت في طريقها .. وأنا واقف كالمذهول من هول الموقف ووقعه على نفسي .. لقد نسيتني تماما ، وكان عقلها الذكي المفكر لم يعد يذكر هذا الانسان الذي أنقذته من الموت يوما ما .. ولا هذا الانسان الذي صنعته ودفعت به الى القمة بارادتها وعطفها ..

ان مشاغل حياتها لا تترك لها فرصة للتفكير في أي شيء غير يومها الذي تعيشه ، ومستقبلها ومستقبل أولادها الذي ترسمه وفق خطة منظمة تحكم تنفيذها .. أما أنا فبالنسبة لها فمجرد ماض لا تستطيع أن تتوقف لكي تتذكره

وأنا تائه في صحراء الحياة من أجل هذا الحب الذي كان ، والذي ضاع ..

وليس بيدي ان افعل شيئا اي شيء • كل ما استطيعه هو الاحتفاظ بهذا الحب الى ان يأذن الله وتنتهي حياتي ..

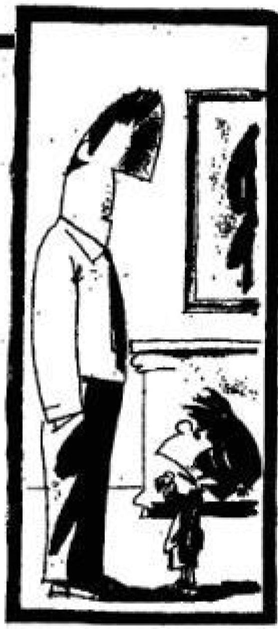
والآن اتقدم واشكر ملاكي .. اشكر « صانعتي » يوم ابعدتني عن الانتحار واعادت الى امل في الحياة .. يوم ان عطفت على وساعدتني وساعدت اسرتي .. ولا الومها ابدا او اعتب ، فقد سبق ان قلت انها ليست من البشر بل هي من الملائكة الذين يسطرون الخير بحروف من نور ، ويكونون سببا في سعادة البشر ..

انني الآن وبعد ان تم شفائي من الجنون – مرض العصر – اتقدم لصانعتي بالشكر ، واعود اسالها : لم انقذتني من الانتحار ، وساعدتني لمواصلة السير .. ثم انسحبت من طريقي ، وتركتني اتوه في بيداء الحياة ؟! ..

ان هذا الملاك المنقذ هو انت يا سيدتي ..

كاريكاتير

جيل جديد جداً !



الولد لابيه : وباعتبارنا دلوقت رجاله زى بعض ، لازم نحدد الاختصاصات بيننا ، ونتعامل على مستوى راجل لراجل ! .



الولد « ينادى اخته » : ياناديه .. الاستاذ الخطيب جه ، معاه الورد والـذى منه .. ايه رايك ، نخرج نقله يروح يشوف واحده غيرك . والا احسن يستنى واستلم منه الهدايا !!



الاب للام : انا خـلاص ضهرى ح يتكسر ! ... ياالا انتى بقى شويةاعملى له نفسك حصان ! .



الولد لابيه : وقدامك دلوقت فرصة مدهشة.. مزاجى النهارده اخر حكنة .. يعنى تقدر تنتهز الفرصـة وتشتمنى زى ما انت عاوز ! ..

الولدلابيه : لما لقيـت الجرسون مش عاوز ييجى لنا ، قلت اعمل فيه كده علشان ييجى يشتكى لك منى ، تقوم تنتهز الفرصة وتقول له على طلبك ! .



القصة الإنسانية البسيطة وراء الفوز بكل هذه الجوائز!

• ماري غضبان •

●● في النصف الثاني من ابريل الماضي اعلنت جوائز مسابقة « الاوسكار » للافلام السينمائية ، وفـــاز الفيلم الامريكي « كرامر ضد كرامر » على اكبر عـــدد من الجوائز ..
فقد حصل الفيلم على جائزة احسن فيلم لعام ١٩٨٠ وحصل مخرجه روبرت بنتـون على جائزة احســـن مخرج وحصل النجم داستين هوفمان على جـــائزة احسن ممثل في نفس الفيلم ، وحصلت الممثلة الشابة ميريل ستريب عن دورها فيه ، على جائزة احســـن ممثلة مساعدة .. كما حصل ايضــا كاتب السيناريو المخرج روبرت بنتون على جائزة احسن سيناريو ..

● وكل هذه الجوائز فاز بها الفيلم الذي كتب قصته الروائي ايفري كورمان الذي وضع قصة بسيطة تلمس اوتار النفس البشرية من خلال موضـــــوع انساني عالجه برقة وحذر ونعـومة ، جعلت اتحاد النقاد الامريكيين يمنحونه ايضا وقبل ان يصل الفيلم الى جوائز الاوسكار ــ جائزة احسن تصـــوير ، وجائزة احسن تمثيـــــل للدور الاول وللدور المساعد ، وجائزة احســـــن سيناريو ..

والقصة البســـــيطة التي نجحت في ان تقدم هذا الفيلم السينمائي الناجح قصة تحدث كثيرا في الحياة الاجتماعية للرجل والمرأة من خلال العـــــلاقات الشخصية ، فقد عاد الزوج « داســـتين هوفمان » الى بيته وهو في قمة السعادة عندما اخبره رئيسه في العمـــــل انه يستحق المكافأة والترقية نتيجة جهوده الخارقة ..

وعندما يصل الزوج الى منـــــزله يفاجأ بزوجته « ميريل ستريب » تثير امامه ازمة غير متوقعة تضيع من نفسه ملامح السعادة والفرحة لقد واجهتـه زوجته برغبتها في الانفصــــــال عنه متصورة ان حياتهما اصـــــبحت مستحيلة ..

تتحصر المشكلة بعد هجر الزوجة لزوجها فى ابنهما الوحيد .. كيف يكون حال الطفل « جاستين هنرى » الذى بقى مع والده وهو طفل فى السادسة من عمره..هل يمكن لوالده ان يحسن تربيته ؟ ...

ويجد الاب نفسه فى مواجهة المسئولية عن ابنه فيقوم برعايته ونظافته وتعليمه . ويتعلق الابن بالاب ويتعلق الاب بابنه ولا يتصور احدهما ان يبتعد عن الاخر .

لكن الاحداث تتراكم عليهما اذ ترفع الام قضية تطالب فيها بحضانة الطفل فى وقت يكتشف فيه الزوج انه لايزال يحمل لزوجته كل الحب والعواطف الطيبة . ولا يعرف لماذا طرأ على حياتها هذا السلوك المفاجىء فى رغبتها فى الانفصال .. وكانت هى ايضا تفكر على البعد فى ذكرياتها مع زوجها واشتياقها لوحيدها الطفل ، حتى يلتقيان فى المحكمة ، ويدرك محامى كل طرف ان مشاعر الحب مازالت دافئة بينهما ، وينشغل كل محام من حيثيات القضية بمحاولة جمع شمل الاب والام مع طفلهما الجميل فى عودة لعش الحب يجمع بينهما .

● واحداث القصة تدور حول زوجين من الطبقة المتوسطة حياتهما عادية بسيطة وجدا نفسيهما فجأة فى مواجهة مع حياة زائفة . وارادا ان يتعلما من جديد معنى وجودهما الانسانى .. العواطف والاحاسيس التى يعكسها هذا الشعور تبدو واضحة فى هذا الفيلم خلال اكثر من عنصر : القصة البسيطة التى يدور حولها الكتاب المأخوذ عنه الفيلم .. ثم هذه المعالجة السينمائية فى السيناريو الرقيق ، يضاف اليهما عنصر التمثيل والتعبير بصدق عن الادوار ، **بداية من الادوار الرئيسية حتى الادوار الفرعية والثانوية ..**

لقد وصفت ناقدة مجلة «نيوزويك» قصة الفيلم بانها جيدة الى الحد الذى يجعلها قابلة للتصديق .

وهذا الذكاء فى التناول والحساسية فى المعالجة من ابرز اسباب تميز هذا العمل السينمائى الذى خرج بقصة عادية من الاف القصص التى تتكرر فى الحياة العادية ، لكى تصبح نموذجا للتأثير على مشاعر واحاسيس البشر .

هذه المشاعر المتضاربة بين السعادة والحزن .. الابتسامة والبكاء .. المشاركة الوجدانية والسخرية تبدو للمتفرج وهو يتابع « تيد » بطل القصة (داستين هوفمان) وهو يقوم بدور مزدوج فى الحياة لابنه الوحيد ، فهو الاب ، وهو الام ، وهو كل العناصر المشكلة للاسرة السعيدة بالنسبة لوجوده الوحيد فى حياة ابنه .



مشاعر الاب الحانية
« داستين هوفمان »

ولايستطيع الانسان ان يمنع نفسه من التأثر بمشاهد الحياة المستمرة للاب مع ابنه وهما ينتقلان من ازمة الى اخرى فى حياتهما ، خاصة وان الطفل الصغير ازاء ارتباطه بوالده يخرج عن هذا الارتباط احيانا لكى يتحدى سلطة الاب ، مما يوجد معنى اخر للتفاهم الاعمق بين الاب وصغيره الوحيد .

والعالم حولنا بما فيه من متناقضات وامور بعيدة عن الرقة والانسانية ومن عوامل الاثارة والعنف والكراهية ـ هذا العالم اصبح مرفوضا من اكثر البشر ، وفجأة وجد الناس هذا المشهد الرقيق الانسانى بين الاب وابنه فى مواجهة غابات الاثارة والعنف .. هذا « المذاق الجديد » من مشاعر الحب والاحاسيس الانسانية ، تنقل الناس من عالمهم المرفوض الى عالم آخر يبحثون عنه .

ورغم بساطة هذا الحب وتنوع وسائل التعبير عنه ، لم يقع مخرج الفيلم وكاتب السيناريو فى شباك « الميلودراما » والمعالجة المغرقة فى الاثارة الرخيصة .

● والعلاقة بين الرجل والمراة التى تتشابك احداثها فى هذا الفيلم بين مشاعر زوج جريح وزوجة ثائرة على حياتها ، يعالجها الفيلم بموضوعية وتعقل وحياد دون ان يأخذ جانب طرف ضد آخر .. ويبدو هذا بشكل اوضح فى الفترة التى اعتبرها الزوجان المنفصلان « هدنة » يعيدان فيها تقييم امور حياتهما ، لعندما انفصلا وصار كل منهما يطالب بحضانة الطفل ، كانت المشاعر الودية تنمو من جديد لكى تقرب كل منهما للآخر .



ميريل ستريب مثلت دور الام فى الفيلم

هذا التناول «المحايد» الموضوعى للقصة البسيطة المستمرة استمرار للعلاقات الانسانية يبدو فى جملة حوارات محددة يقولها « تيد » بطل الفيلم وهو يخاطب نفسه فى صراع داخل يعرف فيه انه لم يكن المخطىء ولكنه فى ذات الوقت لم يكن يعرف الكيفية التى يتحسس بها مشاعر زوجته وكيف يقترب من عمق شعورها لكى يعرف هل هى سعيدة او العكس ..

يقول تيد كرامر « داستين هوفمان » فى حواره مع نفسه : ولانى سعيد تصورت ان معنى هذا انها ايضا كانت سعيدة » !! ●

اللسان

أعصى الأعضاء على الإنسان

● درية عبد الله ●

من نعم الله العظيمة على الانســـان، ومن لطائف صنعه الغريبة ـ اللسان.. اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان.. ثم انه ما من موجود او معدوم ، خالق او مخلوق ، متخيـــل او معلوم ، الا واللسان متناول له ويتعرض له بالبات او بنفي . وهذه خاصية لا توجـــد في سائر اعضاء الجسم..

فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور .. والاذان لا تصل الى غير الاصوات .. واليد لا تصل الى غير الاجسام ، وكذا سائر الاعضاء ..

اما اللسان فمجاله رحب الميـــدان ولا لمجاله حد او منتهى ..

له في الخير مجال ، وله ايضا في الشر مجال . واعلم أن اعصى الاعضاء على الانسان : اللسان ، لانه لا تعب في اطلاقه، وكلنا يعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت ..

يقول صلى الله عليه وسلم : « من صمت نجا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه . ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به .. »

وعن البراء بن عازب قال : جـــاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « دلني على عمل يدخلني الجنـــة » .. قال : « اطعم الجائع ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعـــروف وانه عن المنكر ، فان لم تطق فكف لسانك الا من خير .. »

وقال صلى الله عليه وسلم : «اخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان . » وفي الحـــديث الشريف قوله صلى الله عليه وســـلم : « ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه . »

وقال عيسى عليه السلام : « العبادة عشرة اجزاء ، تسعة منها في الصمت، وجزء في الفرار من الناس . »

وقيل لعيسى عليه السلام : دلناعلى عمل ندخل به الجنة قال : « لاتنطقوا أبدا » فقالوا : لا نستطيع ذلك . فقال فلا تنطقوا الا بخير » .

● وقال عبد الله بن مسعود :«والله الذي لا اله الا هو ، ماشيء أحوج الى طول سجن من لسان ! »

● وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار : « يا ابا يحيى ، حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدينـــار والدرهم ! »

● وروى ابو بكر بن عبـــاس قال : اجتمع اربعة ملوك :

ملك الهند ، وملك الصـــين ، وكسرى وقيصر .

فقال الاول : انا اندم على ما قلت، ولا اندم على ما لم اقل !

وقال الثاني : اني اذا تكلمت بكلمـة ملكتني ولم املكها ، واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني !

وقال الثالث : عجبت للمتـــكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته ، وان لم ترجع لم تنفعه ! .

وقال الرابع : انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت !

قصة: حروف من نور

● عبد العزيز الشناوى ●

● افسح الخطو .. لماذا لم تعلن عن اعتراضك .. رفضك امس؟ مازال القرار فى يدك .

لابد ان تصل اليوم الى حل .. لا ضرورة للمقدمات . لكن ، هل سيمكنك وكيل الوزارة من ان توضح له هذا الاحساس الذى يحتويك ؟..

« لم انم طوال الليل . ظللت اتقلب على الحصير كالمحموم .. لو اراد منك ايضاحا ، ماذا تقول له ؟ كلمات قليلة .. تفيض بالتوسل و .. هل سيقتنع ؟؟ »

انكمشت خطواته . ماذا تفعل لو علمت امك ، وأهل القرية ؟ لابد من سبب وجيه لكى تبرد ! .. شاعر القرية لا يسليها ، أهل القرية يريدون يأملون ..

المرء لا يستطيع ان يرضي سائر البشر ، لكن طبيب الوحدة المجمعة والشرف الزراعى من ابناء القرية ، يعملان بها ..

عاد يراجع فى ذهنه الكلمات التى يحسن ان يبدأ بها الحديث مع وكيل الوزارة .. لا داعى لان تذكر له الحقيقة بطريق مباشر .. فعندما تسلمت خطاب التعيين . شد على يدك ؟

— مبروك .. حظك من السماء .تم تعيينك مدرسا فى قريتك .. سوف يغنيك ذلك من البحث عن شقة ، عن متاعب المواصلات و..

وقبل أن أصل الى القرية حاصرتنى نوبة من الضيق . القلق . والحيرة . هناك فارق كبير بين ابن الامس الذى كان يعمل فى حقول القرية ، يذهب الى المدرسة يحمل كتبه فى كيس من القماش ، يرتدى بنطلونا قديما وحذاء ممزقا .. ومدرس اليوم !

خطواتى تتنحر .. مازالت تحت ضغط افكارى ؟ هل لاحظت امى قلقى واضطراب نومى ؟ عندما وضعت راسها على الوسادة لم تستيقظ الا مع شروق الشمس .. لاول مرة ادرك ان الليل طويل .. لن اتراجع .. قررت وضع حد لهذه الحيرة .. لقد فعلت خيرا عندما اخفيت امر تعيينى فى القرية عن امى امس ! .. ساخبرها بعد عودتى اليوم و ..

« بقى هذا الحلم فى قلبى كالارض الخضراء »

واذا بلغها انك .. فسوف تسالك:

« كيف أقدمت على ذلك العمل الطائش ؟ »

— « اتريدين ان اصبح معرة اهل القرية ؟ »

— « لماذا .. ؟ هل فعلت منكرا ؟ ان صندوقى هذا بما يحتويه من حمص وفول سودانى و .. انفق عليك حتى تخرجت فى الجامعة ؟»

توقف .. لماذا لم تمر حمل عرضحالجى » القرية ؟ الذى عودنى ان اكون صديقا . لماذا لم احك له حكايتى ؟ . عرضت عليه الامر كله؟ كان سيجد طريقة لانقاذى من مستنقع حيرتى ! .

ارتطم بصره باحدى الصور المعلقة على الجدران . ماذا تفعل لو دخلت احد الفصول ، ورسم تلميذ شقى على السبورة صورة أمراة تجلس امام باب مدرسة تبيع الحمص والفول السودانى و .. ؟!

اطل وجه امه فى ذهنه .

— « مرمان ماينسون .. »

— « تقولين .. ينسون ؟ هذه أوهام من وحي طيبة قلبك ! »

واصل السير .. « عرضحالجى » القرية دائما يصرخ فى وجهه :

— انت تخلق اوهاما لا اساس لها الايام تأكل المشاكل .. تطوى الذكريات .. تضمد الجروح ؟

تذكر ايام كان يذهب مع اطفال القرية يجمع لطع دودة ورق القطن .. يحصد القمح و... لماذا استيقظت في أعماقك كل الايام الماضية .. الان؟ لماذا تبدو قريبة كل القرب ؟!

مد يده في جيبه . التقط خطاب التعيين .. لو كانت قرية اخرى غير قريتي ؟

تطلع الى المبنى الكبير . كيف اشق طريقي بين هذه الاجساد الواقفة امام الباب ؟ .. يوم ان نجحت في الثانوية العامة بتفوق ، اقبل اهل القرية على امي ، شدوا على يدها مهنئين .

اعاد الخطاب الى جيبه . ما هذه الاوراق المعلقة داخل اللوحة الزجاجية؟ اسماء المدرسين الذين اعتمدت اماكن تعيينهم .. لو قرا احد من اهل القرية اسمي . حمل النبا الى امي..

ـ « كيف اذهب الى المدرسة ، وانت .. ؟ »

ـ « طول عمري على هذا الحال ، هل .. ؟ »

ـ « كم تربحين كل شهر ؟ ثلاثة جنيهات ؟ خمسة ؟ ساعطيك ستة جنيهات على شرط الا تجلسي امام المدرسة و .. »

ـ « انتي .. »

ـ « ساحطم هذا الصندوق الخشبي اذا حملته و .. ؟ »

ـ « ما يصعب الامور ويعقدها الاهتمام باشياء ليس لها وجود الا في رءوسنا »

ارتفع صوت البواب :

ـ لن يدخل احد .. السيد وكيل الوزارة مشغول

ماهذا الذي يدب في عروقي ؟ قدرة على التحدي ؟ لابد ان اقابله باي ثمن .. اطلب منه نقلي الى اى مكان بعيد عن قريتي .. انا موافق على الذهاب الى اخر الدنيا !

صنع الواقفون طريقا ، تقدمت احدى الفتيات نحو باب وكيل الوزارة ...

كان اهل القرية ينظرون الى باحترام بالغ . المح في عيونهم ظلال التقدير عندما كنت احمل الصندوق الخشبي المملوء بالفول السوداني والحمص واجلس بجانب والدتي امام باب المدرسة .. ماذا سيحدث بعد ان لا؟ سيحل الاحتقار مكان الاعزاز و ..؟

راى المشرف الزراعي وطبيب الوحدة المجمعة يقفان امام اللوحة الزجاجية ماذا يفعلان ؟ يبحثان عن اسم احد اقاربهما ؟ كلاهما من ابناء القرية . يعملان فيها منذ سنوات .. لخدمة القرية : سيحملان الخبر اليها ، يهرعان الى امك .. لايهمني .. لقد اتخذت قرارا . لن اقبل العمل في مدرسة تجلس امي امام بابها تبيع الفول السوداني و ..

فتح باب وكيل الوزارة . هب البواب واقفا . برزت الفتاة تحمل في يدها ملفا . اطل وجه وكيل الوزارة . اين يذهب ؟ سيغادر مكتبه! لماذا لا اندفع نحوه و .. ؟

اغلق الباب . اقبل المشرف الزراعي نحوه ، شد على يده :

ـ الف مبروك !

اضاف طبيب الوحدة المجمعة .

ـ غمرتني السعادة ، خاصة عندما قرات تعيينك في القرية ..

ماذا اقول لهما ؟ اخبرهما بما عزمت على تنفيذه ؟

وضع المشرف الزراعي يده على كتف طبيب الوحدة المجمعة :

ـ لم لا يكون الانسان صادقا مع نفسه ؟

هل انت المقصود بهذا القول ؟ كيف عرف انك .. ؟ اقرا مايدور براسك ؟

لماذا اقتحمت هذه العبارة اهتمامك؟ سمعت هذه الكلمات كثيرا . لكن هذه المرة لها طعم اخر ، سحر خاص .. حركت في أعماقك اشياء جديدة! برقت عيناه ، ابتسم . لماذا لا تستاجر امه دكان « عرضحالجي » القرية المجاور للمدرسة ؟ تملاه بالحلوى ، الفول السوداني ، الحمص .. ؟ تقف فيه امك ، بدلا من ان تحمل صندوقا خشبيا ، تجلس به امام باب المدرسة . استدار .. زادت ابتسامته اتساعا ..

●●

روح عن نفسك

اولا : لغز شعرى : ماهو ؟

اسم من هويته　　　اربع فى حروفه
فاذا زال ربعه　　　زال باقى حروفه

ثانيا : مسالة حسابية :

ضع الارقام الناقصة فى عملية الضرب التالية :

×١×
٢×٣
———
×٣×
×٢×٣
×٢×٥
———
٣٠×٨×١

ثالثا : اختبر ذكاءك :

١ ــ قام احدهم بتجربة لمعرفة سرعة سقوط الاشياء ، فالقى من نافذة مسكنه بالدور العاشر باحدى العمارات ، ليمونة وقالب طوب عادى ، فايهما يصل الى ارض الشارع اولا ؟

٢ ــ ما الشىء الذى يشبه نصف القمر تماما ؟

٣ ــ كيف تجعل شمعة واحدة تضىء كشمعتين ؟

٤ ــ دخل شخصان مطعما وكان احدهما ابن الاخر فى حين ان الاخر لم يكن اباه .. فمن يكون ؟

٥ ــ كيف تستطيع أن تحصل على كيلو جرام من الارز من كيس به عشرة كيلو جرامات اذا لم يكن لديك سوى قطعة تزن كيلو جرامين ؟

رابعا : اختبر معلوماتك ٠

١ ــ ايهما اكبر ، البحر الاحمر ام البحر الاسود ؟

٢ ــ أختلطت ثلاث بيضات مسلوقة مع ثلاث بيضات اخرى نيئة ، فكيف تميزها من بعضها البعض دون أن تكسرها ؟

٣ ــ اى المدن المصرية اشتهرت بصناعة القلل والاوانى الفخارية ؟

٤ ــ اى هذه المعادن اثقل وزنا : الحديد ، الرصاص ، الزئبق ، النحاس أم الذهب ؟

٥ ــ ما اكبر طير فى العالم ؟

٦ ـ من ابتكر شخصية « ميكى ماوس » ؟
٧ ـ ماذا يوضع فوق ظهر كل من الحيوانات الآتية ليتسنى ركـــوبه : الجمل ، الحمار ، الحصان ؟
٨ ـ هل لمصارين بعض الحيوانات فائدة ، عدا اكلها محشوة ؟
٩ ـ مم تصنع المستردة ؟
١٠ ـ ماذا يسمى ارتفاع مياه البحار والمحيطات فى اوقات معينة ، وما فائدته وما الذى يقابله ؟

الإجابات

اولا : لغز بالشعر : غزال
ثانيا : مسألة حسابية :

٤١٥
٢٨٢
―――
٨٣٠
٣٣٢٠
١٢٤٥
―――
١٥٨٥٣٠

ثالثا : اختبر ذكاءك :
١ ـ يصلان فى وقت واحد !
٢ ـ نصفه الآخر !
٣ ـ ضع الشمعة امام مرآة !
٤ ـ امه . .
٥ ـ تقوم بوزن كيلو جرامين ثم توزعهما على كفتى الميزان حتى تتعادلا .
رابعا : اختبر معلوماتك :
١ ـ البحر الاحمر
٢ ـ تدير كل بيضة حول طرفها المدبب فالبيض المسلوق يدور بسهولة، فى حين أن البيض غير المسلوق لا يدور.
٣ ـ قنا ، ولعلك سمعت الغنية القلل القناوى !
٤ ـ الذهب .
٥ ـ النعام
٦ ـ والت ديزنى
٧ ـ الهودج للجمل ، والبردعة للحمار ، والسرج للحصان .
٨ ـ تصنع من مصارين بعضها الأوتار الموسيقية وأوتار مضارب الكرة، وكانت تصنع منها خيوط العمليات الجراحية .
٩ ـ من الخردل .
١٠ ـ المد ويساعد السفن على دخول الموانى والخروج منها وعكسه الجزر .

زهرات من رياض العرب

• محسن فهمى •

• الآباء والابناء •

غضب معاوية بن ابى سفيان يوما على ابنه يزيد ، فأرسل الى الاحنف بن قيس – وكان معروفا بالحلم وسداد الرأى – فسأله عن رأيه فى البنين، فقال: يا امير المؤمنين ، انهم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا ، وهم الخلف من بعدنا ، فكن لهم ارضا ذليلة ، وسماء ظليلة ، ان سألوك فاعطهم ، وان استعتبوك فاعتبهم، ولا تمنعهم رفدك يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا، فيملوا حياتك ، ويستعجلوا موتك !.

فقال معاوية : لله درك يا ابا بحر !. لقد دخلت على وانى لمملوء غضبا على يزيد .. فسللته من قلبى !.

• صفة الحجاج •

سأل عبدالملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفى عن عيبه، فتلكأ عليه، فأبى الا ان يخبره ، فقال : انا حسود ، حقود ، لجوج ، ذو قسوة . فقال عبد الملك : والله ما فى الشيطان شر مما ذكرت !.

• الرجال ثلاثة •

قال سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنهما : الرجال ثلاثة، فرجل رجل ، ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل ..

أما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة ، وأما الرجل نصف الرجل فذو الرأى الذى لا يشاور .. وأما الرجل الذى ليس برجل فالذى لا رأى له ولا يشاور !.

• الناس رجلان •

قال المسيح – عليه السلام – يعظ الحواريين : لا تنظروا فى اعمال الناس كأنكم ارباب ، وانظروا فى اعمالكم كأنكم عبيد ، فانما الناس رجلان : مبتلى ومعاف ، فارحموا اهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

• ذروة الكمال •

سئل اديب عالم : متى يبلغ الرجل ذروة الكمال ؟ .

فأجاب : اذا اتقى من خلقه ، وجاد بما رزقه ، واختار من القول أصدقه ، وحسن فى كل الاحوال خلقه ، فذاك الذى نهج الى الكمال طرقه !.



• اطب مطعمك •

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : تليت هذه الآية عند النبى صلى الله عليه وسلم : « يا ايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا » .

فقال سعد بن أبى وقاص ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة . فقال : ياسعد ، اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة . والذى نفس محمد بيده ، ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وايما عبد نبت لحمه من السحت والربا ، فالنار أولى به .

هند

● محمد عادل سليمان ●

صدقيني .. اتحدى الزمنا
ان يكن غير منك الاعينا
نهر عينيك حليب .. موجه
عسل . يختال فيه سفا
لون عينيك .. انا اعرفه
منذ ان كنا صغيرين هنا
وجهك السوسن .. دنياى التى
عشت فيها .. فعشقت السوسنا

●

صوتك الناغم .. يادفء الضحى
يا جنوني .. كم عشقت الارغنا
كم همسنا .. فانسكبنا نغما
راعش الضوء .. يضوى ليلنا
كلما هيجت قلبى وترا
ـ ياكنارى ـ صرت كلى اذنا
طائر الصمت على اعيننا
مد بالسحر جناحا .. وانثنى
وفرسنا فى مساء نجمة
فزرعنا .. وقطفنا حبنا
لا تقولى .. والثلاثون التى
فرقتنا .. او تنسى الزمنا ؟..
والمسافات التى نعرفها
وزعت فى كل درب خطونا

●

لا تقولى .. فانا والحب .. لا
نعرف الايام سورا بيننا
وجهك السوسن فى قلبى انا
وهو فى عينى المرايا والسنا
هو يغزونى .. انا اغزو به
زمن الغربة .. والبعد .. انا
ان نكن عشنا غريبين .. فلم
نقترب الا جناحا .. يدنا
ثم عدنا .. طائرين التقينا
بعد ما طفنا بحارا .. مدنا
آه يا هند .. وعدنا ، انت لى
منذ ان كنا صغيرين هنا ..
بيتنا ظل رمادى .. متى
يرحل الظل .. وتخضر المنى ؟!.

(١٨)

سباحة الليالى الطويلة فى خمائل الألغام !

● نصر الدين عبد اللطيف ●

فى قصر الرمال ..
هو ـ السلطان ـ يعبر بهو الثريات حتى يتوقف فترفع له الأستار عن ركن الأركان ...
هى ـ رائعة الحنان ـ هناك يستغرقها بين يديها كتاب حتى تلتفت ، فتلتقى بعينيه فى ابتسام واهتمام !

هى : ـ مولاى ؟! نعمك الله مساء !
السلطان : ـ ونعمك يا « هى » ..
هى : ـ لم استشعر مقدمك .. عفوا ! .. شغلنى ما كنت اقرا !
السلطان : ـ لا عتب ! فلقد راقنى ما كنت ارى !
هى : ـ انك يروقك دائما ما ترى هنا .. : الصحف والكتابات والكتب !
السلطان : ـ والليله يزيد هنا ما يروق ويبهج !
هى : ـ ربما لان ...
السلطان : ـ لان هنا ايضا امراة جميلة تقرا كتابا !
هى : ـ آه .. قلت لى يوما ان ذلك فى الناس والعصر منظر جميل !
السلطان : ـ جميل ، و .. قليل !
هى : ـ الله ! .. جميل ، وقليل .. اهذا شىء من الشعر ؟!
السلطان : ـ لا .. ولعله شىء يغرى بالشعر !
هى : ـ الذ ، فبماذا يغريك الآن ، او يوحى اليك هذا المنظر ؟ ..

السلطان : ـ منظرك ؟ .. : امرأة جميلة تقرأ كتابا ؟!
هى : ـ ... امرأة جميلة تقرأ كتابا ! ..
السلطان : ـ يوحى الى أن ذلك بمناسبة معرض القاهرة الدولى للكتاب !
هى : ـ هاها ... ولو أنى لم ازر المعرض هذا العام فى الشهر الماضى ...
السلطان : ـ خسارة أن فاتتك زيارة هذا الـ .. بازار !
هى : ـ الـ .. بازار ؟!
السلطان : ـ نعم ، والبازار كلمة فى الفارسية والانجليزية تعنى « السوق » ... وهى تبدو فى أطراف استعمالاتها حين تجىء عربية ايطالية !
هى : ـ وكيف ... كيف تجىء ؟ ..
السلطان : ـ فى محاورات كثيرة ومناسبات ... مثلا ، حين تلفتنى حقيبة يدك اللطيفة هذه فاسألك : اشتريتها من « سوق الكانتو » ؟!
هى : ـ الله يسامحك يا مولاى ! .. ولكن ، هاها ... لماذا تقول عن معرض الكتاب : ـ « البازار » ؟!
السلطان : ـ لست أنا الذى يقول ! .. الم تقرأى خلال الشهر الماضى (١) ؟
هى : ـ تذكرت الآن ... آه ، كتب الدكتور مؤنس عن معرض القاهرة للكتاب ، فقال عنه بازار الكتاب !
السلطان : ـ لم يعجبه شىء
هى : ـ ولكن أنت ...
السلطان : ـ لم يعجبنى بالطبع انه لم يعجبه شىء !
هى : أهذه بداية حلقات جديدة تكتبها بعنوان « نقد النقد » ؟!
السلطان : ـ لا ، ليس بعد !
هى : ـ والذى قلت الآن انه لم يعجبك و ......
السلطان : ـ ذلك مجرد رأى فى رأى !
هى : ـ يبقى أن نعرف ..
السلطان : ـ يبقى ان أعرف الليلة من أنت ؟!
هى : ـ من أنا ؟ .. الا ترى أننى هى ، رائعة الحنان ؟!
السلطان ـ لا أظن ! .. رائعة الحنان وتسرح بى فى حقل الأسئلة المحشوة بالألغام ؟!

هى : ـ أما ... من تظننى اذن ؟
السلطان : ـ أنت .. أنت متأكدة انك الليلة لست ، « هى » .. المقررة علينا كل يوم وكل ليلة ؟!

● فى طريقه الى المكتبة ●
● يقبل عليه تابعه احمس (٢) ...

احمس : ـ مولاى ؟!
السلطان : ـ أينك يا احمس والى أين ؟
احمس : ـ فى خدمتك ، والى طاعتك !

(١) كان الامل ان تنشر هذه الحلقة من الناس والعصر فى خلال الشهر الاسبق ، ولكن ... ظهر هذا الامل الصغير كبذبان كبير .. !
(٢) أحمس ، واحد من واحد وستين اسـما للشجاعة والشجاع فى لغتنا العظيمة !

السلطان : ـ اذن ، حسبك الآن من طاعتي ان تنظر من ببابنا الليلة من الشعراء والنقدة !

احمس : ـ ولكن الليلة يا مولاى ككل الليالى ـ لا أحد ! ...

: ـ ما يزالون بعد تشغلهم المعايش ؟

: ـ وتحديات غلاء المعيشة !

: ـ كنت والله احب آن يجيئونا ، فنسمر فكرا وشعرا ، ونطرب فنبذل العطايا ، ونبذر البدور !

: ـ البدور ، والبدرات جمع بدره .. آه ، والبدرة كيس فخيم حشوه عشرة آلاف درهم !

: ـ ومالى ذلك ؟

: ـ أبدا يا مولاى ... ولكن خطر لى ان احسبها اليوم بسعر العملات الصعبة !

: ـ الاسترلينى مثلا او بالدولار ؟ ..

: ـ نعم يا مولاى ، وبالسعر التشجيعى !

: ـ ولكن ، لم ترهق رأسك الآن فى الدوران بين الدراهم والدولار ؟!

: ـ لعلها مناسبة يا مولاى أن أتفقه حسابات فروق تحويل العملة !

: ـ وفيم ينفعك فقهك بهذا ..

: ـ ربما يخطر لى أن أعرف ، مثلا ، كم ينال صديقنا صبرى العسكرى ،لو انه سمر معنا ليلة وتسلم البدرة آخر السهرة !

: ـ ولكن صبرى العسكرى لا يقول ، أعنى لا يقرض ، شعرا !

: ـ وهل « البدرات » عندك يا مولاى جوائز فقط للشعر والشعراء ؟!

: ـ .. انما هى لكل سابق مبدع فى كل ميدان فكر وأدب !

: ـ وصبرى كاتب قاص روائى ، وهو صاحب « الملهى الليل »

: ـ اذن ، فاجعل لنا موعدا معه ، نسمر ليلة فى « الملهى الليل » ، علنا نرد عليه بعض ما ..

: ـ افعل يا مولاى ، لو انك خففت على زحمة بريدك هذا الاعجمى ! ...

: ـ الاعجمى ما ليس بعربى ! .. وانت تقصد هذا البريد الاوربى .

: ـ أهو بريد ادب ؟

: ـ أكثره عن القصة والرواية والروائيين هناك ..

: ـ ومن هناك نمد لنا من موائدهم فنسهر ، ونسمر ، .. ولا « نبذر »

: ـ الليلة اذن لن يعنيك حساب فروق العملة وتحويلاتها !

: ـ والليلة أيضا ، يا مولاى ، يهنيك أن تمسك عليك خزائنك ! ..

● بعد لحظات ●

: ـ أهذا هنا مفتتح البريد يا مولاى ؟

: ـ .. والمفتتح كما يبدو سوف يعجبك !

: ـ وفيم يعجب ، اعنى ...

: ـ ربما لأن فيه ما يهم اهتمامك بالعملات حرة أو صعبة !

: ـ آه!! •• كيف يا مولاى ، و •• اين ؟

: ـ أنظر •• هذه أحسن رواية انجليزية لهذا الموسم ـ ١٩٨٠/٧٩ ـ اسمها « اوفشور » ، يعنى قريبا من الشاطىء ، أو بعيدا ، أو •••

: ـ أو كما قال المؤلف ••

: ـ لا ، المؤلفة ، وهى بينيلوب فيتزجرالد ، انجليزية ، أم لثلاثة أولاد ، تعيش فى وحدة سكنية بالمجمعات العائمة على طرف نهر التيمس •••

: ـ ولكن •• أين فى ذلك يا مولاى العملات و •••

: ـ فى الجائزة التى فازت بها « اوفشور » هذا العام ـ جائزة بوكر !

: ـ ومن بوكر ؟

: ـ بوكر ماكونيل ، مؤسسة فى لندن ، تجارية دولية ـ تمول ـ باسمها ـ هذه الجائزة لأحسن رواية تكتب بالانجليزية فى بريطانيا والكومنولث وايرلندا وباكستان ••

: ـ المهم الآن الجائزة ، اعنى قيمتها ••

: ـ قيمتها تضاعفت الآن ، وبعد عشر سنوات من تاسيس هذه الجائزة •• وهى الآن اقل قليلا من جائزة نوبل السويدية ، واقــرب كثيرا من جونكــور الفرنسية !

: ـ آه يا مولاى •• لو اننى الآن اعطيت منك الأمان !

: ـ اذن ؟

: ـ اذن لقلت انك الآن تتعمد اغاظتى مع سبق الاصرار والترصد !

: ـ الأنى أفتح لك شرفات العصر •• واقرأ عليك ما لم تكن تقرأ ؟!

: ـ لا •• وانما لأنك تبخل على بما تعرف انى اريد أن أعرف !

: ـ وأين ـ حاها •• اين موضع البخل هنا ؟

: ـ الجائزة و •••

: ـ الم أقل لك انها ـ الجائزة ـ تضاعفت قيمتها ؟

: ـ حصل يا مولاى ••

: ـ تريد اذن أن تعرف أحكامها وضماناتها و ••

: ـ أريد ، وأمرى الى الله !

: ـ حسنا ، ان مؤسسة بوكر تضع ادارة هذه الجائزة تحت اشراف رابطة الكتاب فى بريطانيا •• الا يعجبك ذلك ؟

: ـ يعجب !

: ـ وفى كل سنة تؤلف لها لجنة تضم ناشرين واصحاب مكتبات • وهيئة تحكيم من كبار النقاد والمجمعيين والأدباء ، راسها هذه السنة اللورد آســا بريجز ••

: ـ طبعا لمجرد انه لورد ••

: ـ لا ، ولكن لأنه لورد آسابريجز الكاتب المعروف ، والمؤرخ ، والمذيــع ، وعميد كلية ورستر فى اوكسفورد !

: ـ آه ، اغفر لى يا مولاى ظن السوء فى اللورد و ..
: ـ والذين معه .. : مايكل وتكليف ، كبير مراجعى الكتب فى التيمس ـ وبلى جرين ، الكاتب والاذاعى والناقد ـ وهيلارى سبيرلينج الناقدة والمؤلفة ـ وبول تيرو ، الكاتب والمراجع ..
: ـ نعم النخبة !
: ـ قرأوا ، وقوموا بالأناة وحسن الرأى ، سبعين رواية ، صدرت كلها ـ بالانجليزية عام ١٩٧٩ ..
: ـ .. وأحرزت قصب الفوز تلك التى اسمها « عند الشاطىء » أو قريبا منه ...
: ـ « أوفشور » ! .. قال عنها اللورد رئيس هيئة التحكيم : كان الاختيار صعبا ، ولكننا انتهينا الى رأى جامع .. فهذه الرواية وثيقة وأصيلة .. ليس فيها أى أثر من الاقتباس عن الآخرين .. وهى على جاذبيتها وأسرها ، خلو من التزويق . وكل لفظة فى موضعها الأفضل والأجمل ! »
: ـ شهادة ليس كمثلها !
: ـ وليس بعدها ، الا موضوعها !
: ـ آه ، موضوعنا يا مولاى !
: ـ بالطبع موضوع الرواية .. والحق ان « أوفشور » تجسد ، بعمق واقتدار ، مرحلة مثيرة من الحياة فى زورق قديم ، عمره مائة عام ، على نهر التيمس ، عاشتها المؤلفة طوال سنوات ثلاث ، غرق فيها الزورق بها وابنتيها الاثنتين ـ مرتين !
: ـ آه ، ولبعضهن رصيد من ارواح القطط !
: ـ حرام عليك !
: ـ قصدت فقط أن أقول : مكتوب لها أن تعيش ، لتكتب و ... تكسب !
: ـ تكسب المجد ، والتكريم ، والـ ..
: ـ الأهم .. : الجائزة !
: ـ الجائزة ! أما تزال تحوم حولها ؟!
: ـ ولماذا يا مولاى تذودنى عنها ؟!
: ـ ما دامت ليست لك ، فما يهمك منها ؟!
: ـ لأنى تهمنى ، تسعدنى ، فى عالم الأدب ـ أخبار الفلوس وحسابات فروق العملة !
: ـ سوف يسعدك اذن ان جائزة بوكر قيمتها عشرة آلاف جنيه استرلينى سنويا !
: ـ سنويا ! .. وبالاسترلينى ! .. آه ..
: ـ مالك ؟ .. لماذا لا تبدو سعيدا ؟!
: ـ آه ، سأحاول .. بعد أن أجفف دمعتيى !
: ـ دمعتيك ؟!
: ـ ... دمعة على حالى ... ودمعة على شباب مؤلفى القصة والرواية عندنا ! ..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام

براءة



● د . احمد بديع ●

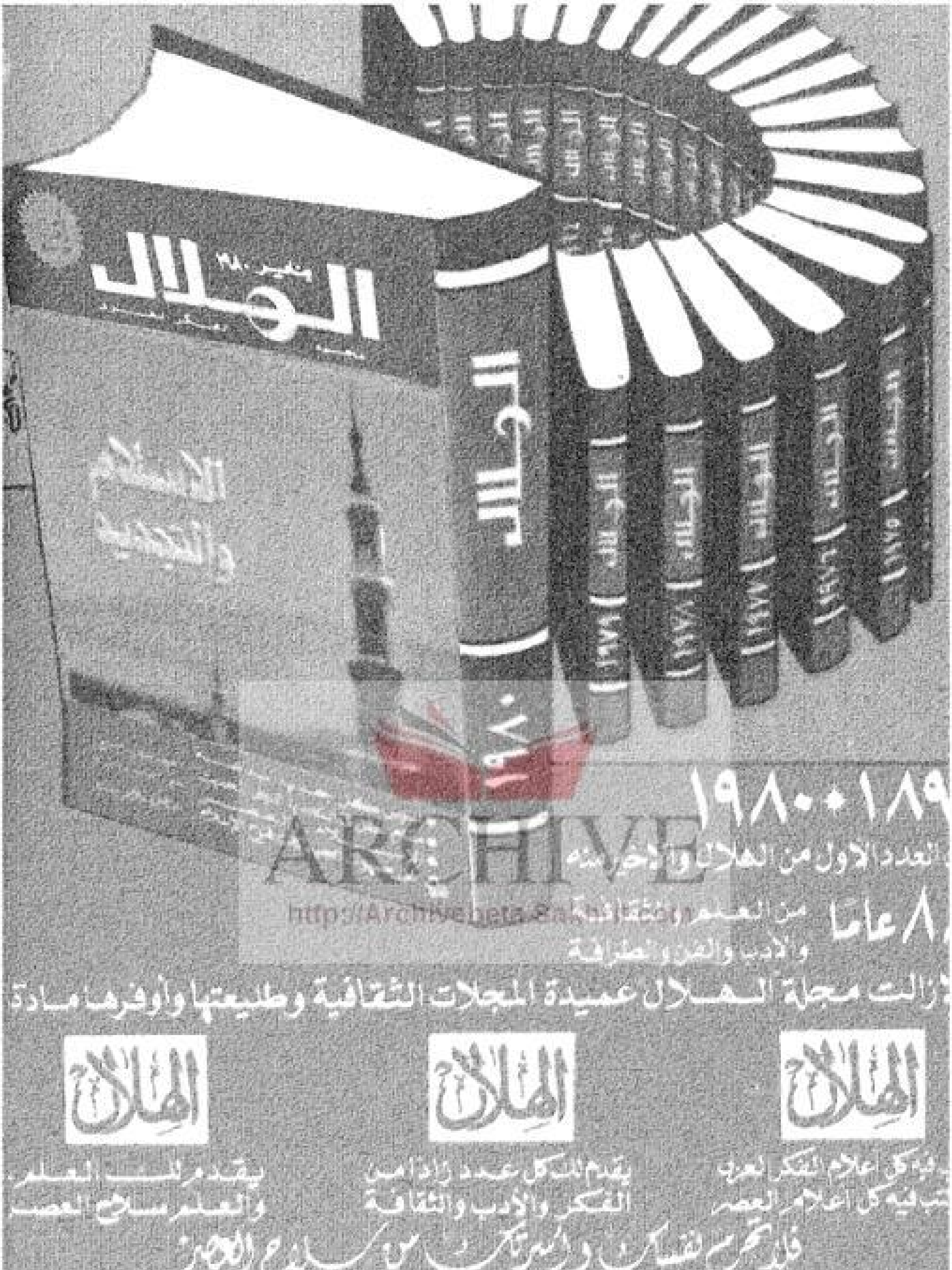
خدعتني كأنها لا تبالي
حرقة الوجد او لهيب الليالي !
نسيت اننا شقيقان في الرو
ح وصنوان في الرؤى والمآل !
انا احيا بها وتحيا بحبي
لبقاء بلا هوى - كالزوال !

***

قد عرفنا الهوى وكان جنينا
زانه الحسن رائقا والتعالي
حلفته الضلوع حلف وليد
في مهاد من السنا والجلال
ورعيناه حين شب قويا
يأسر اللب بالصبا والجمال

***

سكن القلب مثلما تسكن الاصدا
ف مكنونة ارق اللآلي
لم اخن عهدها وقد طال عهدي
والمحاذير كم تمر حيالي
فاذا لم يكن لاخلاص قلبي
من صدى غير عابثات الخلال
واذا انت لم تبالي فاني
قد برئت ... ولم اعد لابالي !



قيمة الاشتراك السنوي

بالبريد العادي : في مصر ٢٤٠ قرشا ١٢ عدد ٠ في الخارج ٧ دولارات أو ٤ جنيهات إنجليزية
بالبريد الجوي : في الخارج ١٤ دولارا أو ٩ جنيهات إنجليزية
في البلاد العربية : سوريا : ٣٠٠ ق.س — الكويت : ٣٥٠ فلسا — لبنان : ٢٥٠ ق.ل
العراق : ٤٠٠ فلس — الأردن : ٢٥٠ فلسا — السعودية : ٤ ½ ريال

الهلال

يولية ١٩٨٠

مجلة الفكر العربي



...رأة..

...مسرحيات الحكيم
...وايات نجيب محفوظ

التفسير العلمي
...تصال بالجن

كيف نبني
...صري الجديد؟

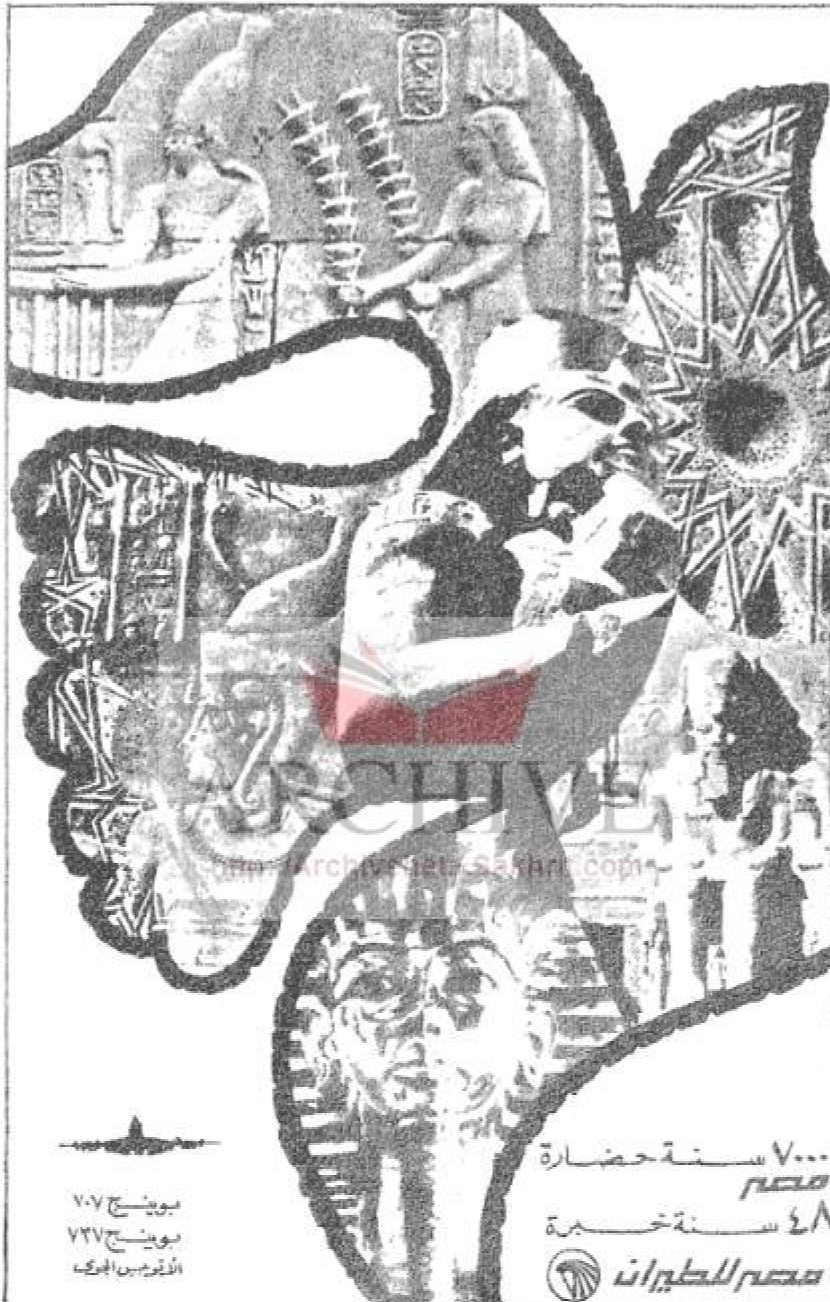
...مل جديد
...رضى الكلى

...خصية الشهر
... المسرح الشعري:

...زيز أباظة

...راع البقاء
...ي مستنقع

استطلاع بالألوان


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

ميداليات أوليمبيا .. أم دماء الأحرار؟

النداء الى مقاطعة العاب موسكو الاوليمبية نداء انساني ، انه تعبير متواضع عن استنكار الدنيا لعدوان القوى على الضعيف ، انه مظهر بسيط لرفض الانسانية القضاء على حرية شعب باسل لتحقيق مطامع الشيوعيين ..

ولكن خمسا وثمانين لجنة اوليمبية فى اوروبا وافريقية قررت رغم ذلك ان تقوم بهذه التضحية المتواضعة ، تضحية فترة من اللعب والفرجة فى سبيل شعب مسكين يناضل اهله فى سبيل حريتهم ..

وماذا فى اوليمبيا ؟ ما هى الألعاب الاوليمبية فى النهاية ؟

هناك حقيقة قليلون من الرياضيين يجهدون انفسهم ويعملون فى حماس للفوز بالميداليات ولكن الى جانب هؤلاء هناك المئات من الرياضيين لا تهمهم الميداليات فى شىء ، انما هم يلهبون للعب والمتعة والسهرات والنزهات واللقاءات والخمر والنساء ..

وهناك مئات من الاداريين وأعضاء اللجان الاوليمبية الذين يذهبون بحجة ادارة الفرق والاشراف على اللاعبين ، ويتقاضون الى جانب ذلك بدلات السفر الكبيرة وينعمون بشهر من اللعب والعبث والمسرات ..

وهؤلاء واولئك هم الذين يجتمعون فى لجنة اوليمبية بعد اخرى ويقررون الذهاب الى موسكو ولتحترق افغانستان وحرية افغانستان ..

كنت أود أن اسمع قرارات هذه اللجان الاوربية لو ان العدوان وقع على بلد اوروبى ! .. هنا كانت الانسانية تتحرك وروح التضحية تعلو وصوت الاحرار يصم الآذان .. وتقف المهزلة الاوليمبية ..

ولكن الدماء هنا افغانية ، والذين يموتون فى ميدان الشرف لا يهمون السادة الاجلاء أعضاء اللجان الاوليمبية وعددا كثيرا من اللاعبين .. ومن أسف ان بعض بلاد هذه اللجان كانت الى الامس مستعمرات ، وكان رؤساؤها الحاليون مشردين فى آفاق الارض يتعقبهم الطواغيت ..

لقد نسوا ذلك كله عندما نالوا الحرية بفضل كفاح اخوانهم ومنهم ابطال افغانستان ، لان الافغانيين لم يقهرهم غاصب ابدا ، ولكنهم وقفوا دائما الى جوار الاحرار ..

واليوم وقد احتاجوا الى من يعينهم يتخلى عنهم الكثيرون ، ومنهم فرنسا مثلا التى يرمز علمها للحرية والاخاء والمساواة .. لقد كانت اولى من حطم قرار المقاطعة ..

حقا .. هناك دماء ، ودماء ..

وما اقل الاحرار حقا فى عالم اليوم •

المحرر

في هلالك هذا الشهر

الهلال

مجلة الفكر العربي

شعبان ١٤٠٠ هـ
يوليه ١٩٨٠ م

مجلة شهرية تصدرها دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة الثامنة والثمانون – اول يولية سنة ١٩٨٠ – ١٨ من شعبان سنة ١٤٠٠

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر مايتفضل به الكتاب واهل الفكر، ويبذل الغي ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد اليه من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

خصصنا جزءا من هذا العدد للسحر والجن والمسائل الروحية، وفيه أيضا مقالات عن الجمال بشتى أشكاله .

ولهذا جعلنا الغلاف رمزا على هذين الموضوعين ، فهذا وجه جميل وهذه مسبحات تدعو الى الايمان .

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٢٠ قرشا وتسدد مقدما للاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ١٠ دولارات او ٤ ج . او تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

كيف نبنى المصرى الجديد؟

نظرية وتطبيقها

بقلم : رئيس التحرير

● المراد باعادة بناء الانسان المصرى ، فيما اعتقد ، اعادة بناء تكوينه العقلى والخلقى والعاطفى ، واعطاؤه فكرة جديدة عن نفسه ، وعلاقته بالمجتمع من حوله ، وعلاقته بالوطن جملة ، واعطاؤه احساسا صحيحا بواجباته نحو نفسه ونحو مجتمعه ووطنه ، ليفهم ان هذا الوطن به وله ، وانه لن يكون له الا اذا قام هو بواجبه نحوه .

ان المواطن ليس مجرد فم مفتوح ليأكل ، بل رأس يفكر ، ونفس تحس ، ويد تعمل ، وجهد ينتج ..

بهذا وحده يصبح المواطن مواطنا له الحق فى حقوق المواطنة . بدون ذلك يصبح عالة وعبئا ، لاننا اذا كنا نشكو من تزايد السكان فاننا لا نشكو من تزايد العدد فى ذاته ، فان الاعداد لا تخيف ، ولكن الذى يخيف هى الاعداد التى تستهلك اكثر مما تنتج ، فهى على هذا خسارة للوطن ..

وليس هناك انسان تعجز - اذا

● العصر الجديد الذي ندخله الآن له مطالب ومسئوليات جديدة لابد أن نعد المواطن المصري لتحملها ، وهذا الإعداد هو المراد بعملية إعادة البناء . وهي عملية طويلة وشاقة ولكن لابد من البدء بها الآن على أساس أنها عملية شاملة تشمل المواطنين جميعًا .

اردنا ـ عن جعله ينتج اكثر مما يستهلك لان الحيوان الاعجم نفسه يعيش معنا ، او نسمح نحن له بأن يعيش معنا ، لانه ينتج اكثر مما يستهلك ..

والفلاح يحب الجاموسة والبقرة والحمار لانها كلها تعطيه اكثر مما تاخذ لهذا فهو يعتبرها ثروة له .

والمواشي في بلدنا تتكاثر كما يتكاثر الناس ، ولكننا لا نشكو قط من زيادة اعداد الجاموس . بل ان الفلاح لايشكو قط من تزايد اعداد الارانب عنده وهي اعداد هائلة ، ولكن الارانب تنفعه وتعطيه اكثر مما تاخذ ، ولو كانت تاكل اكثر مما تعطى لاباده . وفي استراليا يبيدون الارانب لانها تستهلك اكثر مما تعطى .

فالمراد باعادة بناء الانسان المصري الآن هو تحويله ـ عقليا وخلقيا ونفسيا وعاطفيا ـ من انسان يستهلك اكثر مما ينتج ، الى انسان ينتج اكثر مما يستهلك .. عملية التحويل هذه تكون في حقيقتها من مجموعة واسعة النطاق من التغييرات الفكرية والاخلاقية لابد ان تدخل على التكوين الداخلي للكبار ، وهذا امر بالغ العسر ، ولابد من البدء بتنشئة الصغار على هذا التكوين الجديد ، وهذه مهمة ايسر ، لان البناء على أرض فراغ اسهل من اصلاح مبنى قائم آيل للسقوط ..

● عبر من تجارب تاريخ المصري القديم ●

وتفكيرنا في اعادة تكوين المواطن المصري الكبير وتنشئة المواطن الصغير على الصورة المطلوبة لمواجهة مطالب اليوم والغد ، فيه تأكيد لثقتنا في المصري وايماننا بسلامة عنصره وامكان مساعدته ليستطيع ان يمر في عملية التحويل ويخرج منها بالنتيجة المطلوبة ، ولنفعها خيره وخير الوطن كله كذلك .

والحقيقة ان المصري بطبعه فيه ملكات وخصال كثيرة تمكنه من ان يحقق اعمالا عظيمة . فهذا الانسان نفسه

هو الذى بنى امجاد مصر القديمة من مرة . لان تاريخ مصر القديمة ، مصر ما قبل الاسرات سنة ٤٠٠٠ ، الميلاد الى الغزوة الفارسية المخربة « بقيادة قمبيز » سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ليس بتاريخ دولة واحدة قامت وتلاشت ، وليس تاريخ حضارة واحدة قامت ثم تدهورت ، بل هو سلسلة من الدول والحضارات اقامها المصرى القديم مرة بعد اخرى ، وكلما هوت دولة وتدهورت حضارة استطاع ان يجمع نفسه ويعود للبناء من جديد ، ويحقق اكثر مما تهدم وتلاشى ..

فالدولة المصرية القديمة تختلف تماما عن الدولة الوسطى فى البناء الادارى والفكرى والروحى ، وهذه بدورها تختلف فى نفس العناصر عن الدولة الحديثة ، وحضارة عصر الاهرامات غير حضارة عصر الفيوم والدولة الوسطى . وهذه غير حضارة طيبة والدولة الحديثة والزعامة والامبراطورية . ولكن بانى هذه الدول وتلك الحضارات واحد ، هو الانسان المصرى ، وهو لم يبنها مصادفة او اقتباسا من مواد خارجية ، بل بناها على اساس تجارب وتقاليد حضارية مختزنة فى نفسه ، وهذه التجارب والتقاليد تقوم على اساس تكوين خلقى ونفسى وروحى داخل فى بنية الشخصية المصرية او هو الشخصية المصرية نفسها ، فهذا التكوين بناء على ذلك عنصر دائم غير متغير

والتغير هى الظروف من حوله وما يعترى المصرى فى احيان كثيرة من عجز عن السيطرة عليها والدليل على ذلك ، هو انه فى كل مناسبة اتيحت لهذه الشخصية المصرية ان تعبر عن نفسها على النحو الصادق الرائع الذى ظهر فى تجارب تاريخ مصر القديمة استطاعت بالفعل ان تعمل وتعبر تعبيرا يدعو الى الدهشة .

● مجد مصر البطلمية ●

ففى العصر البطلمى ، ورغم التخريب الفارسى وما تلاه من موجات تخريب اسيوية سيئة ، تألق اسم مصر من جديد ، وقامت حضارة الاسكندرية ، تحمل اسماء واشكال يونانية . ولكنها مصرية فى صميمها ، واذا كان الاغريق هم الذين صنعوا حضارة عصر الاسكندرية ، فلماذا كانت الاسكندرية فى نفس هذا العصر اعظم من اثينا او اسبرطة او اتيكا وهى بلاد يونانية صرفة ؟ ..

● مجد مصر القبطية ●

وفى العصر القبطى قادت مصر صراع العقيدة المسيحية ، او كانت على الاقل طرفا قويا جدا فى هذا الصراع ، وفى مرحلة من مراحله انتصرت كنيسة الاسكندرية على كنيستى القسطنطينية وروما حتى اضطرتا الى الاتحاد عليها.

ومن صميم البنية المصرية خرج بطارقة عظام من امثال كيرلس الاسكندرى واثناسيوس وديوسقوروس ممن هزوا عالم القرن الرابع المسيحى هزا عنيفا حتى رحب كهنة القسطنطينية عندما جاء البطريق بوتيخيوس بعد ديوسقوروس اثناسيوس وديوسقوروس

وقالوا : فرعون خلف فرعونا ..

المصرى بطبيعته الخصبة ومواهبه الكثيرة وصل بعد صبر طويل الى زعامة عالم الاسلام

وتكرر الامر اكثر من مرة خلال تاريخ مصر الاسلامية . ومصر التى بدات تاريخها الاسلامى ولاية تابعة لدولة الخلافة ، اصبحت بعد اربعة قرون من التاريخ الاسلامى ، وبعد ان تم تحول المصرى الى انسان عربى مسلم ــ اصبحت قائدة العالم الاسلامى

كله وموئل حضارته ، بل أصبحت هي الخلافة نفسها ... وقد بذل المصري للوصول الى هذه الغاية جهدا بالغا قام به في تؤدة وصبر ، وتحمل في سبيله تضحيات كبرى .

● في العصر الحديث ●

وفي العصر الحديث، ونتيجة لاستقلال الشخصية الذي حققه المصريون في عصر محمد علي اصبحت مصر أقوى من الدولة العثمانية نفسها . ودون ان ننكر فضل محمد علي نستطيع ان نقول ونحن مطمئنون ان مصر في النهاية هي التي صنعت محمد علي ، والا فان الدولة العثمانية وبلادها كانت مليئة بالاتراك ، فلماذا محمد علي بالذات أصبح شخصية فائدة وشخصية حضارية تنشيء دولة وتقيم مشروعات عمرانية مثل القناطر الخيرية وميناء الاسكندرية في عصر كان الاتراك فيه هدامين مخربين ؟ .

● المصريون صنعوا محمد علي ●

لقد دهش محمد علي نفسه مما حقق المصريون ، لقد فاقوه هو نفسه ... والمصري الذي اصيب برعب عندما بدأ محمد علي بتجنيده وتدريبه عسكريا باشارة الكولونيل سيف وحاول الهروب من الجندية ، أصبح بعد اقل من عشر سنوات جنديا باسلا يهزم الاتراك وهم سادة الحروب ..

وعندما دخل الجيش المصري ازمير بعد اكتساحه الجيش التركي عند ممر جيلون واخذ يستعد للسير الى بروسة ، ادخل الجرحى في مستشفى ازمير ، وسارت بقية الجيش نحو بروسة وعسكرت جنوبها، وهنا توجه ابراهيم باشا بالجرحى الذين خلفهم في مستشفى ازمير يلحقون به رغم جراحهم ، ويقولون انهم لا يمكنهم ان يظلوا في الاسرة بينما اخوانهم سيدخلون استامبول .

وهذا الخبر رواه الكولونيل سيف أو سليمان الفرنساوي . وقد ابتهج ابراهيم باشا بذلك ولكن والده محمد علي ابتأس به ، لانه أحس ان المصريين سبقوه ، بل خاف منهم على الاتراك ، لانه تركي في اعماق نفسه ، ولم يستطع رغم حياته في مصر ان يتحول الى مصري ، ولو استطاع لفعل اضعاف مافعل ...

ومالي اذهب بعيدا وامامي حرب اكتوبر ، وهي مجد مصري عظيم حققه نفس المصري الذي دارت عليه مأساة يونيو ١٩٦٧ .

والذي حدث ان هذا المصري نفسه وجد ابتداء من ١٩٦٧ قائدا جديدا يفهمه ويحبه ، ويثق فيه ، ويعرف انه يستطيع ان يحقق النصر ، فاحب هذا القائد — وهو الرئيس « السادات » — وسار خلفه ، ووضع نفسه تحت تصرفه . وفي ضوء قام الرئيس بعملية البناء من جديد ، بناء الجندي المصري، فأعاد تكوينه الخلقي والعاطفي والنفسي والعلمي ، واعاد اليه الثقة في نفسه ، ووثق الجندي المصري بقائده ، فكان هذا النصر الهائل .. .

ومن هذه النقطة، نقطة بناء الجندي المصري الجديد التي اختتم بها هذه الفترة من تلك الدراسة ، أبدأ في عرض نظريتي في اعادة بناء المصري وطريقة تحقيقها ، لان النظريات في ذاتها كثيرة ولا قيمة لها بدون تطبيق ....

● حقيقة الشخصية المصرية ●

في هذه الفترة الثانية سأحاول النظر في داخل المصري لارى على وجه الدقة ماله وماليس فيه . ماله وما عليه . لنعرف الايجابيات في شخصيته لنغني

بها ، والسلبيات لكي نقضي عليهــــا ونحميه منها ، وفي حمايته منها حماية الوطن كله ..

الاوهام التي تحيط بشخصية المصري كثيرة بعضها صنعها هو عن نفســه ، وبعضها صنعها الاخرون.. كلا النوعين من الاوهام لا يخدم قضية المصري ولا ينفعه ...

اوهامه عن نفسه تقول انه انســان طيب خير وصالح وتقي وصاحب ضمير حي .. احيانا يدفع الحماس بعضنـا فنقول مثلا ان العامل المصري من امهر عمال الدنيا ، ومعظمنا يقول ان الفلاح المصري احسن فلاح في العالم ، وقـد كررنا هذه الاقاويل وامثـالها حتى اصبحنا نؤمن بانها حقائق . وهــذا الايمان جعلنا نحس اننا عملنا ما علينا والباقي على الله وعلى الاخرين، وقعدنا حيث نحن . والايام تمضي ، والناس تتقدم ، ونحن قعود ينطبق علينا قول الشاعر :

الهى بني تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثـوم

وهل هناك اغرب من ان المصري يتعلم الان فنون الزراعة من غيره وهو فيمـا يقول اعظم فلاح في الدنيا اما الاوهام التي احاطنا بها الغير فمعظمها ليس من صالحنا وفيه تحامل وظلم لنا . ونحن المسـئولون عن ذلك لان لدينا موهبة عجيبة في اننا نظهر للناس باسوأ مافينا ، ولا بد للغــريب عنا من ان يبحث طويلا حتى يصل الى العناصر الطيبة فينا ، وهي كثيرة .. وهذا داء قديم جدا فينا ، ولهذا فشــهادات افلاطون وهيرودوت وديودور الصقلي وبلينيوس فينا ســيئة .. كذلك شهادات ابن هرقل القدسي ،والمقدسي، وابن جبير ، وابن خلدون، وبقية رحالة العرب وجغرافييهم كلها لا تسر ،ثم يجيء المقريزي وهو مؤرخ مصري فيوردبانا بما قاله اولئك الاجانب في حقنـــا .

ولا نزال الى اليوم نظهر للناس اسـوأ ما عندنا ينزل الغريب من الطائرة يرى اشياء لا تسرنا نحن : الفوضى والتزاحم وانعدام النظافة . يخرج من المطـار يرى اسوأ اشكال في مصر : اكثر سائقي التاكسي والحمالين يتزاحمون عليــه وينهبونه اذا استطاعوا .

● الحقيقة والصورة وكيف نعيده الى حقيقة نفسه السليمة ●

هذه قطعا ليست الصورة الحقيقية للمصريين ، ولكنها هي الصـورة التي يراها الغريب .

ويحســب انها حقيقتنا . في بريد الصحف المصرية التي تصدر بالفرنسية والانجليزية في القاهرة ينشرون رسائل يرسلها اليهم بعض زوار مصر وكلهـا تشكو من الاهمال والفوضى والقـذارة وقلة الضبط والاتجاه الى اسـتغلال الضيف استغلالا غير مقبول . هؤلاء لا يتجنون علينا كثيراً ، وعندما نذهب الى الاهرامات نتأكد من ذلك ، لانـك تجد نفسك وغيرك من الزوار تتعامل مــع ناس من اهل قرية مجـاورة للاهرامات تعيش على استغلال زوار الاهرامات . مجد الاهرامات تفســد روعته اسراب اولئــك النـاس كمـا يفسد الذباب مائدة جميلة .

هذا الذباب الذي يشوه جمال مصر ويحجب محاسن الشخصية المصرية ، يلحق بنا ابلغ الضرر . في اهم شوارع القاهرة تعطل حركة المرور عربة يجرها حصان هزيل ، وعلى العربة ثلاثة صفوف من الطوب ورجل نصف نائم . وفي كل شـارع ركام من البائعين على عربات يذكرونك بالذباب الذي يفسد المائدة . نحن ندعمهم لاننا نقول انهم يرتزقون او

● نقطة البداية في اعادة البناء هي تكوين الصغار، وشباب الغد ورجاله على أساس يختلف كل الاختلاف عن نظام التكوين الذي تجري عليه الآن. إننا نعلم الصغار ولا نربيهم والمطلوب الآن أن نربيهم ونحن نعلمهم والتعليم نفسه ينبغي أن يكون تربية وتدريبا على الحياة.

يسترزقون كما نقول ولكنهم يسببون لنا خسائر فادحة ماديا ومعنويا . فمن حقهم ان يعيشوا . ولكن اكرم لنا ولهم ان نعطيهم ما يسترزقونه بتلك الصورة المزرية ويظلون بعيدا عن الصورة .

وعلى شاطىء النيل ناس يشوون الذرة ويبيعونها ، هؤلاء ايضا يسترزقون ولكن الواحد منهم لكى يسترزق يقلع بلاط الشارع ويحرق ويترك المكان من خلفه مزبلة . لكى نصلح بلاط الشارع ونزيل ما يخلفه هذا البائع تنفق اضعاف ما كسب . لكى يعيش بائع الذرة حياة التعاسة تنفق الدولة اضعاف مايكسب . ونسمى ذلك رحمة وطيبة قلب ، وهى فى الواقع نسيان محزن لمصر وحقها علينا .

فى الماضى كان الحال هكذا . معظم رحالة العرب يقولون ان جامع عمرو بن العاص اقل مساجد الاسلام الكبرى نظافة ووقارا . الى جانب شيخ جليل يعتبر مجدا من امجاد مصر يقرأ العلم على تلاميذه يجلس بائع يصيح على بضاعته فى الجامع او متسكع يستعمل الجامع بينما يعيش فيه ، ويرفع حصير المسجد ويبصق ثم يضع الحصير. هذا ما ذكره ابن حوقل، وهو ليس متحاملا، ولكن المصرى هو المسئول ، فهو يسىء الى نفسه ، وبلده بمثل هذه التصرفات

وقد بلغ من سوء استعمالنا لجامع عمرو اننا هدمناه وبنيناه اكثر من مرة حتى ضاع رسمه الاصلى ونحن نبنى اليوم جامع عمرو جديد لا صلة له بعمارة القديم . بينما جامع دمشق الاموى وجامع عقبة بن نافع بل جامع فاس وقرطبة باقية على رسمها الاصلى نظيفة تحمل كل جلالها .

ان صورة المصرى لا تعجبنا « ولهذا نريد ان نضع غيرها الآن » وهى لا تعجب غيرنا ، ولكن الذى يطمئننا هو ان هذه الصورة غير صحيحة ، ومن حسن الحظ انها الصورة فقط ، لان حقيقة المصرى كما نعرفها احسن من ذلك بكثير . ونحن الذين نعرفه نعرف انه يستحق الكثير ويستطيع الكثير . ان هذه الصورة هى الصدا الذى يعلو المعدن نتيجة للاهمال ، وفى اعتقادى ان نقل المسئولية المدنية اليه وتحميله اياها سيؤدى الى زوال الصدا وظهور المعدن الاصلى .

وهذا لا يمنع من القول باننا لابد ان

كيف نبنى المصرى الجديد

نعمل اليوم على اعادة تكوينه الخلقى والنفسى والعاطفى . ومساعدته على اعادة بناء نفسه من عناصره الاصيلة لانها فى ذاتها طيبة سليمة ، ولكننا اهملناها واسأنا استخدامها ، اوبتعبير آخر تركنا المصرى يسىء استخدام نفسه لاننا اهملنا تربيته القومية ، وعودناه عادات سيئة بالتساهل الدائم والتماس الاعذار له عما يبدر منه من خطأ . وتصورنا اننا نعطف عليه ونظهر محبتنا له اذا قدمنا له كل شىء وحملنا عنه مسئوليات كان ينبغى أن يحملها هو ، وتركناه يعمل ما يريد كما يريد ...

وأسوأ من ذلك أننا بعد أن عودناه الاعتماد على الدولة فى كل شىء وعلمناه التراخى وقلنا له اننا سنقوم له بكل شىء ، لم نستطيع أن نعمل له الكثير ، ففقد ثقته فينا علينا بعد أن فقد عزيمته على العمل واتكل علينا واهمل نفسه ، وكل هذه حقائق نراها ونشكو منها ، ونحاول اصلاحها ، لاننا نشعر بمسئوليتنا عن الكثير منها . وكان ينبغى الا نعد الا بما نستطيع ان نعمل وان نضع المواطن امام مسئولياته ...

وآباء جيلنا الذين كانوا يعرفون انهم ينبغى ان يتحملوا مسئولية تربية أولادهم وتعليمهم عرفوا كيف يعلموهم ، اما آباء ابناء الجيل الحاضر فمعذورون ، لاننا قلنا لهم اننا سنعلم لهم أبناءهم وسنوظفهم جميعا ، فاتكلوا علينا ، ولم نستطع القيام بكل ما وعدنا واوقعنا الناس فى مآسى الدروس الخصوصية ، وفى النهاية وقف المصرى مكانه أمام مشاكل متزايده فى عصر يتطلب تكوينا عقليا وتقنيا جديدا من الانسان لكى يعيش فيه بقسط من الراحة والامان . والامان .

● الايجابيات والسلبيات فى الشخصية المصرية ●

والحقيقة كما نعرفها ان الايجابيات فى طبيعة المصرى اكثر من السلبيات ، فلا يزال رغم معاناته التاريخية انسانا سليم الشخصية بعيدا عن الفساد والتحلل ، قادرا على النهوض بالمسئوليات اذا وضع امامها وترك ليحلها بنفسه بتوجيه اساسى قليل .. ثم انه رجل متحضر يعرف كل مقومات الحضارة من نظام ونظافة وقواعد اخلاقية للمعاملات ، وهو رب اسرة مخلص ويحب وطنه مصر . ولكننا لم نتركه يعبر عن حبه لها على طريقته ، بل زعمنا دائما اننا نستطيع التعبير عن حبه بطريقة احسن . وقد تعود ان يتبع فى حياته قيادات ونماذج نابعة من صميم مجتمعه ، فازلناها وتصدينا نحن للقيادة . وافترضنا دائما اننا نعرف مصلحته اكثر مما يعرف هو .

ولكن الذى لا يعرفه هذا المصرى فعلا فى غالبيته العظمى — هو ان الزمن تغير ، وانه يعيش فى عصر يتطلب الى جانب الاخلاقيات التقليدية واساليب العيش والعمل قيما واخلاقيات واساليب عمل جديدة ، وان زمان القيادات القديمة مثل الاسطوات والعلمين والاولياء وشيوخ القرى قد انتهى الى غير رجعة ، وان قيادة اليوم معقودة للعلم والاتقان والمال ، وانه لابد ان يقود نفسه بنفسه .. وهو يجهل — متعلما كان او غير متعلم — أن الوحدة الاجتماعية التى يعيش الانسان فيها فى عالم اليوم ويخدمها وتخدمه ويحميها وتحميه ويؤمنها وتؤمنه ويتعامل معها ، لم تعد مقتصرة على الاسرة والقرية بل اصبحت تشمل الوطن كله . وهو لهذا لا يعرف كيف يحدد علاقاته بالوطن . وذلك سبب اساسى من اسباب متاعبه هو ومتاعبنا معه كما سنرى فيما بعد.

● العصر ومفهوماته ومتطلباته ●

ولا يزال عامة الناس عندنا يعتقدون ان الانسان اذا تزوج فقد اصبح رب اسرةوانه صاحب الكلمة الاولى والاخيرة فى شئونها ، فيطلق امراته اذا شاء وليس عليه فى هذه الحالة الا مايفرضه القانون من نفقة شرعية، وله الحرية فى ان ينجب الاولاد ما شاء لان هذا حق له بحكم القانون .

ولكن الحقيقة ان الامر اختلف اليوم. اساس الاسرة لم يعد عقد زواج بين رجل وامرأة ، بل اصبح عقدا بين ثلاثة اطراف الزوج والزوجة والامة كلها ممثلة فى الحكومة ، فلا يجوز للزوج والزوجة ان يتصرفا فى شئون الاسرة بمعزل عن الطرف الثالث وهو الامة . لانهما اذا كانا ينجبان الاطفال فان الدولة هى التى تعلم وتعالج ثم تدبر الوظائف وتقوم بالتامين الاجتماعى ، وتدبر المواصلات، وتدعم المواد التموينية الاساسية ، بل هى مطالبة بالترفيه « التليفزيون والاذاعة والفرق المسرحية وما الى ذلك» واذا نحن حسبنا تكاليف الاولاد اليوم وجدنا ان الدولة تتحمل اكثر من النصف .. فكيف يقال الان وفى هذا العصر ان مسئولية الاسرة يتحملها الزوج والزوجة ، وان من حق الرجل ان يطلق امراته متى شاء لان هذا حقه .. انه لا يكون حقه الا اذا تنازل عن كل الخدمات التى تقدمها له الامة كلها ممثلة فى الدولة ،وهذا مستحيل فعلا لانه لا يتفق مع روح العصر ، والان فلابد ان يتغير تفكيرنا فى نظام الاسرة وحقوق الرجال فيها . .

لابد من مفهوم جديد للعمل

ولعل اكبر مصدر من مصادر التاعب والتخلف العام هو تلاشى مفهوم العمل على انه اساس كل رخاء وتقدم، لقد انعدمت تقريبا الصلة بين العمل والمرتب الذى يعطى فى مقابله ، واصبح المرتب فى نظر الغالبية حقا للعامل ــ فى كل مستويات العمل ــ يأخذه ــ من مال الدولة ولا علاقة له بالعمل ، فهو يهمل ويتراخى ويتغيب وينتج انتاجا سيئا دون عقوبة تقريبا ولكنه لايتساهل فى مليم من الاجر او الراتب ، بل يطالب بالزيادة المستمرة فى حين أن عمله وانتاجه يتناقص ويسوء نوعه . بل يبلغ الان ان العاملين فى بعض المؤسسات يطالبون بمكافات تشجيعية فى حين ان مؤسساتهم تخسر . ومن هنا جاءت مشكلة ــ او ماساة ــ الانتاج عندنا ، فان مستوى العمال فى هبوط واجورهم فى زيادة، والمفروض اننا نصنع كل شىء من الدبوس الى السيارة ، ولكننا نصنعه صناعة سيئة دون مستوى العصر ونصنعه بكميات قليلة وتكاليف عالية ، ومعنى ذلك ان انتاجنا بوضعه الحالى انتاج خاسر ويطول الامر لو مضينا نذكر العيوب والسلبيات والمفهومات الخاطئة او المتخلفة فهى كثيرة ولم يكن لنا مفر من الوقوف طويلا عند هذه الاخيرة كلها لان الذى يهمنا فى مبحث كهذا هو ان نحصر النواحى التى لا ترضينا فى تكوين المصرى الحالى ــ مجتمعنا كله فى نقط محددة لكى نستطيع بعد ذلك ان ننتقل الى العلاج . .

« للبحث بقية »

● د . ح . م ●

نتابع الحديث فى المقال التالى ونعرض منهجنا الذى نقترحه لبناء المصرى الجديد

المرأة فى مسرحيات

توفيق الحكيم

زوجة أو أم

● احب ان ابدا حديثى ببيان المبدا الاساسى الذى اقيم عليه كل احكامى عن قضية المراة من حيث حقوقها وما ينبغى ان تكون عليه تلك الحقوق ازاء الرجل وازاء المجتمع بصفة عامة

وذلك المبدا الاساسى يتلخص فى ان القسمة بين رجل وامراة فى المجتمع الواحد يحيط بها غموض فكرى هو الذى ادى بنا فى نهاية الامر الى كثير من الخلط والخطا .. ذلك ان هذه القسمة لا يكون لها اثر الا داخل الاسرة،

فلى الاسرة زوج وزوجة قام بينهما اتفاق له حدوده ومسائله ، ولذن فكل شريك منهما له حقوق وواجبات تفرعت عن الرابطة الزوجية كما اتفق عليهما فى ضوء الشريعة والقانون معا ..

واما خارج حدود الاسرة فينبغى ان يكون هنالك امام الناس « انسان » ليس من شانهم — اى الناس — ان يكون ذلك الانسان رجل ام امراة ، لانه عندئذ بالفعل لا يكون هنالك فارق بين مواطن ومواطنة فى الحقوق والواجبات التى يقتضيها انتماؤهما الى امة واحدة والى انسانية واحدة ..

واعتقد ان ذلك نفسه هو الموقف الذى يترتب على العقيدة الاسلامية ، لان تلك العقيدة لا تجعل فرقا فى التبعات امام الله سبحانه وتعالى يوم الحساب بين رجل وامراة فكل منهما مسئول مسئولية خلقية مما قدمت يداه ..

واذا كان الامر كذلك فمن اين جاء تسلط الرجل على المراة خارج الاسرة بحيث اضطرت المراة اخر الامر ان تطالب بحقوقها المهضومة ؟.

واضح ان مثل هذه التفرقة قد انشاتها ظروف اقتصادية مثلا ، جعلت الرجل يتصدى للعمل خارج البيت دون المراة .. ومن ثم يكون هو كاسب المال وبالتالى يكون صاحب الامر .. لكن هذه الظروف الاقتصادية نفسها لم تدم على صورة واحدة حتى نجعل نتائجها تدوم بدورها على صورة واحدة كذلك

خلاصة ما اريد ان اقوله اننى اؤمن اشد الايمان بانه لا صلاح لمجتمع الا اذا غض النظر خارج حدود الاسرة عن كل ما يفرق بين رجل وامراة .. بحيث لا يبقى امام الناس كما قلت « الا الانسان » ..

***

ومن العجيب أن هنالك من يريدون ان يكرسوا التفرقة المزعومة بين

وقصص **نجيب محفوظ**

أوحبيبة ولا أكثر !

● د . زكى نجيب محمود ●

الجنسين ؛ بان يزعموا ان التاريخ نفسه قد شهد للرجل بالتفوق فى مجالات العلم والفن والحرب وغيرها من مجالات الحياة بشطريها العقلى والمادى ، على حين ان المراة لم تثبت مكانتها لا فى علم ولا فى فن ولا فى قتال ولا فى اى مجال الا مجال البيت ..

واذا كان امرها كذلك « فى راى هؤلاء الزاعمين » فكيف يتاح للمراة ان تطالب بالمساواة التى تطالب بها ؟

والجواب على ذلك واضح وهو ان الظروف المؤقتة التى جعلت الرجل هو كاسب الرزق وصاحب الامر هى نفسها التى لم تتح للمراة ان تعبر عن طبيعتها تعبيراً كاملاً ، ولست اشك فى انه كلما ظفرت المراة بمزيد من حقوقها الطبيعية فى الحياة ،ظهرت مواهبها من حيث هى انسانة لها كل مواهب الانسان ولقد بدانا بالفعل نرى منهن صاحبات العلم والفن وهنا قد يشار الى « قوامة » الرجال على النساء . وتفسير ذلك هو أن تلك القوامة هى فى داخل الاسرة وليس فى المجتمع ككل ، وقد اسلفنا القول بوجوب التفرقة وما لا يجوز خارج حدودها . على ضوء هذا المبدا الاساسى الذى اصدر عنه فى تصورى لموقف المراة وموقف الرجل اقول انه على الرغم من ان الاسلام قد اعطى للمراة المكانة التى نريدها لها حين كلفها بالواجبات الدينية كلها والقى على عاتقها التبعات الدينية كلها كذلك ،لكل الفروض الدينية تكليف للمراة وتكليف للرجل على حد سواء ، والذى لما قد حدث من انتقاص لفرديتها وحريتها ومكانتها انما هى نتائج ترتبت عن الاوضاع التاريخية العابرة والزائلة التى اشرت اليها فيما سبق من الحديث ولا يجوز أن يؤخذ على انها هى الحجة القائمة على المراة ، وانه لمن المؤسف ان نرى المراة الغربية فى ظل حضارة العصر الراهن تنعم بالحقوق التى كان الاسلام قد أرادها للمسلمة حيث تمتعها بحقوقها والتزامها بواجباتها كالرجل سواء بسواء ..

أننى لا اعرف بحثا علميا واحدا فى مجالات علم النفس ، أو علم الاجتماع او فى مجالات علم وظائف

المرأة في مسرحيات الحكيم وقصص نجيب محفوظ..

الاعضاء « فسيولوجيا » او غير ذلك من علوم ، اقول انني لا اعرف بحثا علميا واحدا يقرر على اساس علمي بوجود التفاوت العقلي بين رجل وامرأة فحتى لو كان لكل منهما اهتمامات تتفرع من جنسه الخاص كان يتجه اهتمام المرأة في المقام الاول نحو تربية الاطفال وان يتجه اهتمام الرجل في المقام الاول نحو العمل خارج البيت وفي القتال وما الى ذلك ..

اقول انه حتى لو كان لكل من الجنسين بعض الاهتمامات التي يتميز بها دون الجنس الاخر ، فذلك لا يتعارض مع تساويهما في اسس الكيان الانساني الا وهي القدرة العقلية من جهة والقدرة الابداعية من جهة بكل صنوفها .. وماذا يكون الانسان اذا لم يكن هو العقل وما يبدعه والوجدان وما ينتج عنه ؟ فاذا تساوى الجنسان عقلا ووجدانا كان حتما عليهما ان يتساويا من حيث هما منتميان لنوع بشري واحد ..

ويجدر بنا في هذا الموضوع من الحديث أن نشير الى بعض ما يعترض به المنكرون ، ومن ذلك قولهم أحيانا ان المرأة قد نالت ما نالته من حقوق، فماذا صنعت بها الا ان تكون قد خسرت اكثر مما كسبت ، فقد خسرت امنها لتعرضها لمخاطر العمل .. وخسرت اطفالها بقلة العناية بهم نتيجة لانشغالها خارج المنزل ، بل وربما خسرت شيئا من مكانتها عند الزوج نفسه لانها لم تعد تستطيع ان تؤدي دورها داخل الأسرة كما كان مفروضا عليها ان تؤديه ..

واجيب عن مثل هذا الاعتراض بنقطتين :

النقطة الاولى : هي انها لاتزال حرة أن تقبل او لا تقبل هذه الحياة الجديدة ، اذ الاحساس في كل الحقوق ان يكون صاحبها في موضع يمكنه التمتع بها حيثما شاء ، وليس التمتع بها الزاما والا اصبحت واجبات ولم تعد حقوقها ، فليس للرجل ان يعترض بمثل هذا الاعتراض ، ولندع المرأة نفسها هي التي تقدم او تحجم كيفما شاءت ..

والنقطة الثانية والاهم هي ان المرأة في مجتمعنا وكما اراها لم تظفر بشيء ذي بال من حقوقها التي اتصورها لها، ويكفي ان حياتها الاسرية نفسها ليست كلها مرهونة بارادتها هي ، وانما هي الى حد كبير مرهونة بارادة الرجل .. قد يحطمها على راسها في اي لحظة تشاء.. واذا كان امرها كذلك فكل حقوقها بعد ذلك امور سطحية لاتسمن ولا تغني من جوع ؟

ومن المؤسف أن صورة المرأة في أدبنا العربي المعاصر انما هي امتداد لصورتها في الادب العربي القديم كله واعني انها قلما تصور الا على انها معشوقة او عاشقة او مغنية او تابعة باي وجه من الوجوه

وقلما نرى في قصصنا الحديث او في مسرحياتنا الحديثة شخصية المرأة وهي في مجالات العلم والفن والطب والقضاء والاقتصاد والسياسة وغير ذلك مما هو جزء من الواقع ..

.. خذ المرأة في قصص نجيب محفوظ كلها ، او في مسرحيات توفيق الحكيم كلها – فاي امرأة تجد ؟ تجد الزوجة أو المعشوقة أو الخادمة او الام ، ولكن لا اظنك واجدا أستاذة جامعية او رئيسة نشاط اقتصادي او نائبة برلمانية أو غير ذلك ..

على حين انا نقرأ القصص والمسرحيات في الغرب فنصادف صنوفا من المرأة

● صورة المرأة فى أدبنا العربي المعاصر إنما هى امتداد لصورتها فى الأدب العربي القديم كله..

تمثل تماما اوجه النشاط المختلفة التى تؤديها المراة بالفعل فى المجتمع الحديث

ولست اريد ان اترك هذه النقطة قبل ان اوجه شيئا من اللوم للمراة الادبية نفسها فى مجتمعنا ، فكثيرا مالاحظت فى ادب المراة ان كانت كاتبة قصة او شاعرة او كاتبة مسرحية ، ميلا نحو ابراز جانب المراة من حيث هى تابعة ، وقلما وجدتها فى ادبها تحاول سد الثغرة التى يتركها الرجل فى ادبه فكم من شعر لشاعرة عربية حديثة قرأته — فوجدت الشاعرة لا تريد ان تجعل من نفسها الا امراة لرجل ، وقلما وجدتها تعبر عن نفسها انسانة كسائر الاناس من سائر الرجال والنساء على السواء .

●●●

وما دمنا نتحدث عن المراة فى الادب ومن ادب المراة ، أود اقول انه بناء على المبدأ الاساسى الذى ذكرته فى اول الحديث هو ان لا فرق خارج حدود الاسرة بين رجل وامراة — اقول اننى لا اريد ان اقول للمراة ادبا غير ادب الرجل، ولا لناظير فى الرجل ، لانه مادامت أديبة فهى مطالبة بتصوير «الانسان» رجلا كان او امراة .

ذلك عن المراة فى الادب ، امـا فى الفلسفة المعاصرة فصحيح ليست هناك المراة الفيلسوفة اذ هى كما ذكرنا قبل ذلك لاتزال فى طريقها الى اكتساب الحياة الكاملة ، وعندئذ فقط نتوقع منها النشاط الذهنى الكامل .. على انها ان لم تكن فيلسوفة فهى دارسة للفلسفة كالرجل سـواء بسواء . وباعتبارى استاذا للفلسفة اعترف باننى لم الاحظ قط تفاوتا فى القدرة على تقبل الافكار الفلسفية وتفهمها بين طالب وطالبة ، فالمتفوق كثيرا ما يكون طالبة لا طالبا

امابالنسبة لى فاننى لم اتناول موضوع المراة وحقوقها وواجباتها تناولا مباشرا على نطاق واسع فيما كتبته .

ولكننى فى المناسبات القليلة التى تعرضت فيها للموضوع ، لم اتردد فى عرض وجهة نظرى على صورة شرحها فى هذا الحديث ، بل اننى كثيرا ما اضفت الى ذلك اعتبارى بان مثل هذه الوقفة من المراة وحبها المؤثر الذى يبين مدى تحضر المجتمع وتخلفه الحضارى ، وفى هذا الصدد اشير الى ما قلته من ذلك فى الفصول الاولى من تجديد الفكر العربى لاننى عندئذ وضعته شرطا من شروط اساسية لا يستحيل أن يتجدد الفكر العربى بالدرجة المطلوبة الا ان يتغير الراى فى منزلة المراة تغيرا جوهريا ●

أمينة السعيد

وجه متألق في الصحافة المصرية

بالعزيمة والإيمان والعمل وصلت أمينة السعيد إلى قمة المسئولية في عالم الصحافة المصرية

● بقلم الكاتبة الصحفية ●
● اليزابيث شتايتر ●

خمس وثلاثون سنة من الكفاح العنيف والصراع اليومي ، لكي تحقق ذاتها ولتفرض ارادتها ، وتحقق أهدافها الرفيعة بخصالها المتميزة ..

وبعد هذه السنوات الطويلة تجلس هذه السيدة على رأس أكبر دار تصدر المجلات في العالم العربي ، وتديرها بكفاية وحزم ، ولقد قالت لي ببساطتها الاخاذة اذا كنت هنا في هذا الموقع ، فلابد انني استحقة لانه ليس من السهل على امرأة أن تصل الى مثل هذه المسئولية في مثل ظروفنا ..

عندما يتخطى الانسان عتبة « دار الهلال » في القاهرة يشعر في الحال، ان هنا رئيسا حازما ، فليس هناك تسامح في النظام ولا تسيب قط ، ابتداء من مكتب الاستعلامات في مدخل الدار الى أن تصل مكتب امينة السعيد .

ان امينة السعيد تجلس في غرفة واسعة مقفلة النوافذ بسبب الحر في جو هادىء منعش وهي على مكتبها تدير عملها الضخم بهدوء ودون تكلف ، بينما كانت تتحدث الي .

وامينة السعيد في هيئتها الهادئة هذه تتخذ كل القرارات الكبيرة منهاوالصغيرة وهي تنصت في اهتمام الى كل ما يلقى



السيدة امينة السعيد

اليها من حديث ، وتلهم ما يريد مخاطبها فى لحظات ، وتتخذ القرار الصائب دون تردد •

ان امينة السعيد تذكرنى بايامى الأولى فى الصحافة •

● كنت سعيدة الحظ فى زواجى ●

قالت عندما جلست اليها استمع حديثها عن بعض ملامح حياتها الحافلة :

— كان أبى فخورا جدا ببناته الأربع وعندما علم أن هناك مدرسة ثانوية فتحت خاصة للبنات فى القاهرة ، قرر فى الحال أن يغلق عيادته كطبيب فى « أسيوط » وينتقل بنا الى القاهرة لكى نفيد من تلك الفرصة ونلتحق بالمدرسة الثانوية لنواصل التعليم الى مداه •• فقد كان تعليم البنات قبل ذلك ينتهى بنهاية المدرسة الابتدائية

ودخلنا المدرسة ومضينا فى الدراسة وقبل ان ينتقل أبى الى رحمة الله — أخذ علينا عهدا — أنا واخواتى — بالا نتزوج الا بعد ان نفرغ من تعليمنا الجامعى • ووعدناه وبررنا بوعدنا نحن البنات الأربع ••

لقد ظلت طيلة السنوات الأربع للدراسة الجامعية مخطوبة ، فلم أتزوج الا بعد تخرجى ، لكى ابر بوعدى لوالدى هذا على الرغم من أننى كنت فى حاجة الى زوج يقف الى جانبى لأن والدتى لم تكن ترتاح كثيرا الى فكرة عملى بالصحافة ، وكان خطيبى الذى أصبح زوجى فيما بعد يقف الى جانبى ويشجعنى ، بل كنت أذهب الى « دار الهلال » عندما بدأت خطواتى الأولى فى الصحافة ، وأنا بعد طالبة فى الجامعة عام ١٩٣٢ — كنت أذهب فى سيارة خطيبى ، وكان يأتى بسيارته ليأخذنى من « دار الهلال » الى بيتنا بعد

أمينة السعيد
وجه متألق فى الصحافة المصرية

الفراغ من العمل .

ولم أكن أجد فى ذلك مخالفة لتعليمات والدتى ، لقد كانت تأذن لى أن أذهب الى السينما معه ، فاذا كانت تسمح بذلك فلا ضير على ما أظن — فى أن أستعمل هذا السماح فى الذهاب الى العمل . وهو أهم من السينما ..

ثم استرسلت تقول لى :

— تصورى أن أصحاب « دار الهلال » فى وقت ما — وكان ذلك من سنوات طويلة — لاحظوا أننى لا أعمل بالجد الذى كانوا يتوقعونه منى بعد تعيينى محررة ، ففصلونى .. وكان خطيبى هو الذى دعانى الى اعادة التفكير فى أسلوب عملى فقال لى :

— لايكفى للنجاح فى العمل ان يحصل الانسان على اجازة جامعية ، بل لابد من أن تستمرى فى تعليم نفسك وتكوين شخصيتك فى العمل بالشكل الذى يطلبه أصحاب العمل .

واقنعنى دائرة معارفه .. وبعد ثلاث سنوات ، اى فى سنة ١٩٣٧ ، شعرت بالثقة بنفسى تملأ كيانى ، وبدأت القى احاديث فى الاذاعة واشتهر اسمى ، وهنا احس أصحاب « دار الهلال » بقدرى فطلبونى للعمل من جديد ، وقد رفضت أولا ، لأننى كنت غضبى من تصرفهم الأول معى ، ولكنهم أصروا ، وزادوا فى عروضهم ، وأخيرا قبلت ، وعدت الى « دار الهلال » ،وعملت بجد حتى وصلت الى ما وصلت اليه الآن ..

● لم يهدنى احد شيئا ●

● كل شىء كسبته بجهدى ●

واستطردت تقول :

— أصارحك القول أننى كنت محظوظة فى عملى ، فقد كانوا رغم كل شىء يعاملوننى معاملة خاصة لأننى امرأة ،ولكن ذلك لم يكن له اى أثر فى موقفى من العمل وطريقتى فى أدائه ، بل مضيت فى عملى بجد واجتهاد ..

وقد أراد أصحاب العمل أن يحددوا نشاطى ويقصروا جهدى على الموضوعات النسائية ،ولكننى لم أقبل ومضيت أكتب فى كل الموضوعات وخاصة فى السياسة وكان على أن أعمل أكثر من كل زملائى الرجال حتى لا يأخذ على أحد شيئا .

وفى تلك الأيام كان على كل امرأة تدخل ميدان العمل ان تشق طريقها بنفسها وعلى مسئوليتها ، فلم تكن هناك القوانين الحالية التى تحمى المرأة العاملة وتمنحها امتيازات .

كنت اريد أن ارى كل نساء مصر متعلمات وعاملات فى جد ..

واذا كانت بعض النساء المتعلمات من بنات جيلى قد نجحن فى السير فى الطريق ووصلن الى مراكز رئيسية ، فتصورى ما كان يمكن أن تصل اليه مصر اذا اتيحت الفرصة لكل نسائها الموهوبات ليحققن أنفسهن ويسرن فى الشوط الى نهايته .

ويخيل الى ان القوانين التى اعطت المرأة حقوق العمل ، وبعض الامتيازات قد طامنت الى حد كبير من حماس بنات الجيل الجديد فى العمل بالجد المطلوب .

وفى كل المجلات التى تصدر عن هذه الدار أبذل أقصى جهدى حتى تعرف النساء العاملات معنا حقوقهن وواجباتهن لكى تكون بالفعل مساواة حقيقية بين الجنسين فى الفرص والواجبات والحقوق ..

اننى أنشر هذه الأيام مذكرات هدى



السيدة أمينة السعيد اثبتت ان المرأة تستطيع القيام بنفس الاعمال التى يقوم بهـا الرجل وتحمـل بنجاح نفس المسئوليات ، الى جانب قيامها بشئون البيت فى الاسرة ...

شعراوى فى مجلتى « حواء » وهـدى شعراوى كانت أكبر زعيمات الحـركة النسـوية فى مصر ، وقد عملت كثيرا ، وحققت الكثير للمرأة العربية ، ولكننى اليوم غير مطمئنة على مسـار الحـركة النسوية ، فان هناك من يضعون العقبات لقد عملت فى الاتحاد النسائى المصرى حتى وفاة هدى شـعراوى ، لقد كانت امرأة تدعو الى الاعجاب ، ولقد عرفتها من أيام كنت تلميذة بمدرسة شبرا الثانوية للبنات ، وكانت تديرها السيدة الجليلة انصاف سرى زوجة الفيلسوف الكبير الدكتور منصور فهمى .

وكانت هدى شعراوى – وهى واحدة من مؤسسات مدرسة شبرا الثـانوية للبنـات – تبحث عن بنتين مصريتين تستطيعان التحدث بالعربية بفصـاحة ودون أخطاء لكى تقوما بدورين فى لوحة مسرحية حية فى حفـل كانت تعد له السيدة هدى شعراوى .

وكان المشهد يتلخص فى تصـوير الصحافة المصرية عن طريق حوار مكتوب بين جريدتى مصر الكبرى فى ذلك الحين الأهرام ، والبلاغ .. وهذا الأخير كان لسان حال حزب الوفد ، وكان هذا هو الدور الذى اختارتنى له هدى شعراوى وأذكر أننى قمت به فى ذلك الحفل متدثرة بثوب من القماش الأخضر عليه الهلال والنجوم الثـلاث التى تمثل علم مصر فى ذلك الحين .

ولقـد نجحت فى الدور ، وبلـغ من اعجاب هدى شعراوى بى أنها صـارت بعد ذلك تسند الى مهمة القاء خطبها فى الحفلات العامة لأن هدى شـعراوى لم تكن تلقى خطبها بنفسها .

أمينة السعيد

وجه متألق في الصحافة المصرية

● درس في الشجاعة ●

وقد اختارتني هدى شعراوي بعد ذلك لكي أكون واحدة من أربع فتيات ينشئن جمعية صغيرة لنصيرات الحركة النسائية وكانت معنا سهير القلماوي ، وهي اليوم عضوة في مجلس الشعب وهي رئيسة اللجنة النسائية في الحزب الوطني الديمقراطي ، وكانت معنا أيضا نعيمة الأيوبي وهي أول محامية في مصر .

ولقد استفدت كثيرا من اجتماعاتنا ومن اتصالي بهدى شعراوي التي كانت لا تتنازل عما تؤمن به قط ، وتثبت في مكانها حتى أمام الملك . لقد تعلمت منه ذلك الدرس .

ومنذ سنوات قلائل كان القذافي يحلم بأن يكون رئيس مصر فكتبت أواجهه في « حواء » وفي « المصور » وقلت « ان مصر وليبيا تختلف احداهما عن الاخرى كل الاختلاف .. وأبسط وجوه الاختلاف هو أن القذافي يعامل نساء ليبيا باحتقار ، وهذا لا تقبله نساء مصر ولا يقبلن من القذافي شيئا من ذلك ، وان ما يتصوره من أنه بماله يستطيع أن يشترينا هو اهانة لنا .

وقلت في مقال أننا نساء مصر لسنا للبيع .

وقد غضب القذافي من كلامي غضبا بالغا وهدد بقتلي ، واتهمني بأنني الخالف الاسلام ، ولكنني لم اهتم بتهديده . لقد تعلمت درس الشجاعة من هدى شعراوي ، ولو انني كنت رجلا لاعتقد بأنني كنت ساصبح في عداد الثوار دائما بسبب مزاجي الذي لا يرضى الا عن كل ما هو جيد وصحيح وسليم . ولكن من حسن الحظ انني امرأة ، ولقد انفقت جهدي كله في الصحافة ووصلت الى ما ترين ، واعترف ان مزاجي فيه شيء من العنف ، ولكنني اوازن ذلك بضبط النفس ، واذكر ان زوجي صب على رأسي ذات يوم ماء مثلجا ليهدىء من عنفي - كما قال !

وعندما تتحدث أمينة السعيد عن زوجها تدب الحرارة في صوتها ، وتترا في عينيها تقديرها لزوجها ، وهي تقول:

— لقد ضحيت كثيرا ، واجهدت نفسي في العمل ، لأنني أردت أن اثبت ان المرأة تستطيع في نفس الوقت أن تقوم بعمل الرجل دون أن تقصر في دورها كزوجة وربة بيت .

وخلال سنوات طويلة لم أكن انا ولا زوجي نجد وقتا نلتقي فيه الا في نهاية يوم العمل الطويل الشاق هنا ، وعندما يهبط الليل وينتهي كفاح العمل كنا نستطيع أن نتحدث بهدوء ، أن كلا منا يقضي يومه في عمل شاق ، وكان علينا الى جانب ذلك أن نرعى اولادنا ونقوم بواجبنا نحوهم ، وفي بعض الأحيان كنت أهرب مع زوجي من متاعب العمل والبيت ونمضي معا الى النادي على الاقدام .

انني اليوم على رأس مؤسسة يعمل فيها ٢٠٠٠ رجل من بينهم مائة امرأة . انني امرأة عنيدة ولا زلت أسير في طريقي بنفس الشجاعة . ومن خمس سنوات كتبت انتقد ما يسمى بالزى الاسلامي وسميته « زى الفاشلات » وقلت : « ان كل امرأة تدخل في ذلك الزى ينبغي ان تذهب الى طبيب نفسي »



وبعد مقالاتي تلك هاجمني الشيوخ في المساجد وشتموني في خطب الجمعة ولكن ذلك كله لم يثنني عن عزمي ، فكنت اجادلهم كلمة بكلمة في مقالاتي ، وبعد شهور تعبوا مني وتركوني .

وانني أعتقد أن هذا الزى الحاص بالنساء جاءنا بعد هزيمة ١٩٦٧ ، فكما لبست البنات هذا الزى أطلق الشبان لحاهم . كانت تلك نكسة الى الوراء . لان الشباب أحس في ذلك الحين بمرارة الهزيمة فكانوا يعبرون باللحى أو بالزى النسائي المحجب – يعبرون عن شعورهم بتأنيب الضمير عن تقصيرهم في حق وطنهم . وتفكيري هذا ناشيء عن اهتمامي الشديد بالمشاكل النفسية ، وأنا لست من المتأثرات تأثرا عميقا بآراء فرويد الذى يريد أن يرد كل شيء الى عوامل جنسية ، وهذا خطأ وغباء ، وأنا لا أسير في ذلك الطريق ، وانما أرد كل شيء الى العوامل الانسانية .

وأحيانا أنشر في المجلات دراسات عن حالات نفسية وقصصا واقعية لنساء ورجال يعانون مصاعب نفسية ، وأحاول أن ألتمس في تعليقي الأسباب الانسانية التي تدفع ببعض النساء الى الخروج عن الطريق أو الانحراف .

وفي حالة من الحالات تبينت عندما درست ما ذكرته احدى هؤلاء النساء عن نفسها – أن سبب ضياعها هو أنهم علموها في بيتها أن تجتهد في ارضاء الجميع ولا تغضب أحدا !

انني أوصي كذلك بترجمة بعض الكتب التي تتناول تلك المسائل وأقوم بنشرها اما في مجلتي أو في مجلات الدار الأخرى .

انني اريد أن أثبت أن النساء يستطعن القيام بنفس الاعمال التي يقوم بها الرجال ويحملن بنجاح نفس المسئوليات الى جانب قيامهن بشئون البيت .

وأحب أن تنشر مجلات الدار نصائح مبسطة ومركزة للسيدات والفتيات ، وأحرص دائما على أن أوجه القارئات في شئون البيت وحسن مظهره وترتيبه وزينته وخاصة اذا كانت ربة البيت امرأة عاملة ، لانني اكره أن يقال عن بيت مهمل أن سبب الاهمال هو ان المرأة تعمل !

واطبق في بيتي ما انادي به في مقالاتي ، فقد ساويت بين ابنائي وبناتي في كل شيء ..

.. وعندما انتهت مقابلتي مع امينة السعيد ، ومضيت اهبط السلم خارجة من الدار ، فكرت في هذه السيدة القديرة الواثقة الثابتة العزم التي تثير بكلامها نفسي وعواطفي لانها عرفت كيف تحتل مكانها الكبير في عالم الرجال وتظل بعد ذلك امرأة جميلة وربة بيت وزوجة ناجحة !

كلمة الأرْيُسِيِّين مفتاح للكشف

(٢)

● د . احمد الحوفى ●

فى تاريخ المسيحية داعية كبير عظيم الشأن ، اسمه اريوس (١) – دعا فى مصر الى التوحيد الخالص ،وانكر ماجاء فىالاناجيل بوهم الوهية المسيح عليه السلام » ، وقال ان الاب وحده هو الله ، وان المسيح مخلوق مصنوع ، وقد كان الاب اذ لم يكن الابن ، وبهذا عارض ما كانت تذيعه كنيسة الاسكندرية من الوهية المسيح . «(٢)»

وذاعت تعاليم اريوس ، وصار له كثير من الاشياع ، فدانت بهـا كنيسة اسيوط ، واعتنق مذاهبة كثير من الاتباع الاقوياء فى الاسكندرية نفسها ، وفىمقدونية وفلسطين والقسطنطينية.

واراد بطريك الاسكندرية ان يقضى على تعاليم اريوس ، لكنه خشى اناعتمد على المحاجة والمناقشة ان ينتصر هؤيه اريوس ، فعمد الى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة ، واعتمد فى هذه العقوبة على انه راى فى المنام ان المسيح يتبرأ من اريوس ويلعنه .

لكن آراء اريوس لم تزل قويةمنتشرة فلما تولى امر كنيسةالاسكندرية البطريرك اسكندر لجأ الى الاناة والدهاء ، فكتب الى اريوس وكبار أنصاره يدعوهم الىالخضوع لتعاليم كنيسة الاسكندرية فلم يستجيبوا له ، فعقد مجمعا بكنيسة الاسكندرية ،حكم على اريوس بالحرمان ، فلم يرهب آريوس ، ولم يخضع،وغادر الاسكندرية الىفلسطين، وشجعه عل اصراره ان كثيرا من الاساقفة يدينون كانوا بما يدين به ، مثل اسقاف

(١) ولد حوالى ٢٥٦ وتوفى سنة ٣٢٥ بالقسطنطينية .

(٢) كتب آريوس تعاليمه فى رسالته ثاليا ولم تصل الينا منها الا مقتبسات فيما كتبه اثناسيوس .

فلسطين واسقف مقدونية واسقف نيقوميدية ، وكنيسة اسيوط .

فلما تفاقم الخلاف تدخل قسطنطين الاول امبراطور الروم ، فارسل كتابا الى اريوس اسقف الاسكندرية يدعوهما الى الوفاق ، ثم جمع بينهما فلم يتفقا ، فدعا الى عقد مجمع كنسى عام فى مدينة نيقية « ازنيك الحالية فى اسيا الصغرى » سنة ٣٢٥ م .

اجتمع فى هذا المجمع الثلاث وثمانية واربعون اسقفا من مذاهب متعددة فى شان السيد المسيح وامه السيدة مريم

وكان راى بولس الرسول ان المسيح اله ، وتبعه فى هذا الراى ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا ، وخالفه الباقون، وجنح الامبراطور قسطنطين الاول الى هذا الراى الذى دانت به الاقلية،وعقد مجلسا خاصا لهؤلاء ، وجلس فى وسطهم ، وانتهى الى فرض اعتقاد الوهية المسيح بالقسوة والسيف ، واحراق الكتب المخالفة لها ، وتحريم قراءتها ، والحكم على تعاليم اريوس بانها بدعة والحاد ، وتقرر نفيه .

لم يغرب راى اريوس ، على الرغم من قوة الامبراطور وقرار مجمع نيقية، بل ظل قويا بانصاره والدعاة اليه ،ومن مظاهر قوته انه فى المجمع الاقليمى بمدينة صور احتدم الجدال بين اوسابيوس اسقف مدينة نيقوميدية والفريق الشايع له ــ وهم يدينون بمذهب اريوس ــ وبين رئيس كنيسة الاسكندرية ، حتى انهم ضربوه ،وكادوا يقتلونه

كذلك من مظاهر قوة تعاليم اريوس انها فى عهد قسطنطين الثانى ابن قسطنطين الاول سادت فى القسطنطينية وبيت المقدس وانطاكية وبابل والاسكندرية واسيوط ، حتى ان ابن البطريق قال ان اكثر سكان مصر والاسكندرية كانوا على مذهب اريوس

وقد غلبوا على الكنائس ، ووثبـوا على أثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه، فهرب واختفى .

كانت القوة الحاكمة تصادر مذهب أريوس ، ولكنه كان أقوى منها بالدعاة اليه ، مثل مقدونيوس ، اذ جاهر بان الروح القدس ليس الها ، بل هو مخلوق مصنوع ، فاجتمع في القسطنطينية مائة أسقف وخمسون ، واختاروا اسقف القسطنطينية رئيسا عليهم . وقرروا لعن مقدونيوس ومن يقول بمقالته .

وظهر بعد ذلك من اتباع تعاليم اريوس داعية اخر اسمه نسطور ،دان بان المسيح انسان مملوء بالبركة والنعمة ، وانه رسول من الله وملهم وموحى اليه ، وكان لنسطور اتباع هم النساطرة .

فاجتمع مجمع أفسس الاول سنة ٤٣١ م ومجمع افسس الثاني سنة ٤٤٩ م ، وصدر من كل منهما قرار ببطلان راى نسطور ، ولعنه ، ونفيه الى مصر .

ثم كان مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م لتاييد قرار مجمع افسس الثاني .. لكن المذهب بقي له اثار في العراق والموصل والفرات والجزيرة . ثم ظهر يعقوب البراذعي – وهو ما اشاع مذهب اريوس – فجعل يذيع في حماسة وقوة حجة واقناع مذهب التوحيد في البلاد الرومية وفي مصر، ورسم تسعة وثمانين اسقفا والوفا من الكهنة والقساوسة ، وكان ذلك في القرن السادس الميلادى .

ويعنينا في هذا المقام ان تعاليم اريوس كانت ذائعة وقوية في الشرق منذ عصره الى القرن السابع الميلادى.

وقد كانت رسالة النبي الى هرقل في سنة ٦٣٠ م اى في الثلث الاول من هذا القرن .

راى جديد

بعد هذا التطواف آمل ان اكون قد عثرت على المفتاح الذى استفتح به الخزانة المغلقة التي كنزت النطق الصحيح والمعنى الصواب لكلمة اريسيين هذا الزمان الطويل

والذى ارجحه ان الكلمة منسوبة الى أريوس ، على هذه الصورة «اريسى» وجاء جمعها على هذه الصورة «اريسيون»

فهي تعني اتباع أريوس ، لانهم يدينون بالتوحيد الخالص الذى جاء به الاسلام ، واكده القران الكريم والحديث النبوى الشريف .

وقد اختصهم النبي بالذكر ، لانهم سيرحبون بالاسلام ، ويعتنقونه ويذيعونه حينما تبلغهم دعوته القائمة

على التوحيد الخالص ، وعلى التصديق بالرسالات السابقة والكتب المنزلة الماضية ، وعلى الاعتقاد بان عيسى عليه السلام انسان ولدته امه السيدة مريم العذراء من غير اب .

فعلى هرقل ان يفسح الطريق لابلاغهم هذه الدعوة ، ليكون له اجران اجر على نصرانيته ، واجر على اسلامه اذا اسلم .

فان اعرض عن الاسلام ، وصد عن الدعوة اليه ، كان عليه وزر هذه الفرقة المسيحية الموحدة التى ستتلقى الاسلام اذا بلغها بهشاشة وتاييد .

وانه ليعزز هذا ان كلمة اريوس تنطق هكذا « اريس » بغير مد الياء ، فالنسب اليها اريسى وجمعه اريسيون

فهل اتضح النطق الصحيح للكلمة التى وردت فى كتاب النبى ، نعم ، ان الصواب النطق بها فى التعبير هكذا : فعليك اثم الاريسيين (بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الياء وكسر السين وبعدها ياء مشددة مكسورة ممدودة .

وليس من الصواب النطق بها هكذا: اريسيين (بفتح الهمزة وكسر الراء الممدودة وكسر السين وبعدها ياء مشددة مكسورة ممدودة) كما نجد فى المصادر القديمة كلها .

ويعزز هذا ان رسم الكلمة واحد فى النطقين ، فالتبس النطق الصحيح على المدونين ، فاختلفوا فى معناها كما تقدم .

وبعد ...

فاننى ارجو ان يكون قد تكشف النطق الصائب والتفسير الصحيح للكلمة .

اغلب ظنى ان كلامنهما قد اتضح واستبان ، والله الموفق والمستعان . ●●

● محمد زكي عبد القادر ●

الفكر القومي المصري خلال نصف قرن

● كان جيلا سخي العطاء ، عبقري التعبير بالكلمة والتصميد ، فاستحق أن يكون بحق ، جيل الرواد ..

منذ اوائل القرن العشرين، بدا الفكر المصري يتطور بسبب احتكاك المصريين بالثقافة الغربية التي جاءت الى البلاد عن طريق الثورة الفرنسية ومن بعدها غزو نابليون لمصر ، وبعدها متشمتا بدات البعثات العلمية الى الغرب ايام محمد علي، الى جانب استجلابه للعلماء الفرنسيين في مجالات الهندسة والطب والفنون الحربية وغيرها .

هذا كان بداية النهضة والتفتح في الشرق كله .. منذ ذلك الوقت بدا النظر في هذه الحضارة ومدى أثرها على المجتمع ، وظهرت الاثار على افكار جمال الدين الافغاني الذي دعا الى نهضة اسلامية وجامعة اسلامية ..

ومن بعده جاء محمد عبده ليحمل منار الفكر الاسلامي، ورفاعة الطهطاوي الذي انبهر بحضارة الغرب ودعا الى الاخذ منها وتفهمها وعدم رفضها كلية رفضا باتا قاطعا ...

ولم يكن تأثر مصر والشرق العربي عامة بالحضارة الغربية متصورا على الجانب الاجتماعي والاخلاقي ، ولكنه تجاوزهما الى الجانب السياسي .

ويمكن أن نعزو ما عم مصر والشرق العربي من حركات وثورات سياسية تتعلق بالحكم والديموقراطية وحقوق الشعب في جانب منها الى تأثير الثورة الفرنسية والغزو الفرنسي للشرق ، بل يمكن أن نعزو ما شمل هذه البلاد من تغير كبير في المفاهيم عامة الى هذين العاملين .

فاذا نظرنا الى مصر وجدنا أن ثورة ١٩١٩ كانت تتجه فضلا عن التخلص من الاحتلال البريطاني الى اعطاء المراة حقوقها والنظر اليها نظرة جديدة بحسبانه انسانة تتساوى مع الرجل في



محمد زكى عبد القادر

الحقوق والواجبات ، وساعد على ذلك أن الشريعة الاسلامية كانت تنطوى على مثل هذا الاتجاه فقد اعطت المرأة كيانا كاملا فى الحقوق المالية وعدتها مساوية للرجل ، بينما كانت المرأة فى أوروبا حتى ذلك الوقت ، على الرغم مما حصلت عليه من حقوق تابعا للرجل لا تنفصل ذمتها المالية من ذمته . وكانت بعض المجامع الكنسية تبحث فيما اذا كانت للمرأة روح مستقلة عن الرجل !

وفيما يتعلق بالناحية السياسية فان ثورة ١٩١٩ التى كانت رائدة فى الشرق بصفة عامة واثرت فى بلاد أخرى منه ـ كانوا كما قدمنا لا تتجه فقط الى تخليص البلاد من الاحتلال البريطانى ، ولكن الى تغيير المجتمع عامة .

وبدأ فى ذلك الوقت وفى مضامين ثورة ١٩١٩ الحديث عن الدستور وحق الشعب فى الاقتراع العام وتقييد سلطة الحاكم ، وكان فى ذلك الوقت هو السلطان فؤاد الذى اصبح بعد ذلك الملك فؤاد الاول ..

ومما ساعد على ذيوع هذه الآراء والاتجاهات ان الشريعة الاسلامية اقرت حق الشورى ، فكانت الدعامة التى اكدت فكرة الدستور وحق الشعب فى اختيار الحكام .

واقترن بهذا وذك حق المرأة فى المساواة كما قدمنا وفى التعليم ، وحق الشعب فى ان يحصل على تعليم مجانى فى المراحل الاولى « التعليم الالزامى » ـ وبدأت الى جانب الاستقلال السياسى فكرة الاستقلال الاقتصادى بحسبانه أساسا لابد منه للاستقلال السياسى .

وانطلق الكتاب والمؤلفون والخطباء والشعراء فمجدوا الحركة الوطنية والثورة والاستقلال بكافة أنواعه ومتطلباته ، مما اثر على الأدب والفن وجعلهما يواكبان الحركة السياسية والاقتصادية .

وبهذه الثورة ظهرت زعامة مصر فى العالم العربى وفى الشرق عامة واصبحت مثالا يحتذى ويؤخذ منه .. والمعروف ان الزعيم الهندى غاندى قد اعترف بثورة مصر ، وذكر أنها ثورة رائدة وانه استفاد منها فى كفاحه من أجل استقلال الهند .

وكانت الاحزاب قائمة فى مصر قبل ثورة ١٩١٩ ، ولكن مصر لم تعرف الحياة الحزبية الحقيقية الابعد الثورة وبعد قيام الدستور ـ «دستور ١٩٢٣» الذى قرر حقوقا للشعب وحقوقا لتنظيم العلاقة بينه وبين السلطة الحاكمة لا تقل عن الحقوق التى كانت

خلال نصف قرن..

مقررة فى دساتير اوروبا فى هذه الفترة

وانفتح المجال أكثر ، او بتعبير ادق، انفتحت الابواب بين مصر والحضارة الغربية وجرى ذكرها على الالسنة بصورة اعم واشد تأثيرا ، وكان مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهما من زعماء الحزب الوطنى قبل ثورة ١٩١٩ قد ركزوا بالذات على فكرة الاستقلال السياسى ـ وكان اتصالهم بالغرب قائما اكثر ما يكون على هذه الفكرة .

ومن الظواهر الملحوظة فى تاريخ مصر فى هذه الفترة أن الحزب الوطنى حزب « مصطفى كامل » ـ وكان قد اضمحل عقب الحرب العالمية الاولى ـ عاد فانتعش بعد قيام ثورة ١٩١٩، الا أن الكثرة الغالبة ، اخذهم تيار الثورة فانضم اليها . وشمل مصر فى هذه المرحلة تيار شعبي قوي ، جسد الحركة الوطنية والمطالبة بالاستقلال السياسى وجمع اكثر رجاله المشتغلين بالفكر السياسى تحت لواء زعامة ثورة سنة ١٩١٩ .

ولما صدر الدستور واجريت الانتخابات حصل الوفد على اغلبية كبرى ، وحصل عدد محدود من انصار الحزب الوطنى على مقاعد فى المجلس النيابى الجديد ، وتحددت معالم الحياة السياسية المصرية فى حزب قوى غالب وحزب قديم له تراث فى الجهاد الوطنى قبل ثورة ١٩١٩ ، وحزب الاحرار الدستوريين الذى نشأ بعد الثورة فى عام ١٩٢٢ .

والواقع أن المجتمع المصرى شهد فى هذه الفترة يقظة عامة شملت الجانب السياسى والاجتماعى والاقتصادى ، وايقظت تيارات متعددة من الفكر حمل لواءها وعبر عنها عدد من كبار الرجال فى هذا العصر ، واهمهم الى جانب الزعماء السياسيين كتاب ومفكرون . منهم عباس العقاد ولطفى السيد وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل وابراهيم عبد القادر المازنى ، والشيخ عبد العزيز البشرى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ على عبد الرازق ، وعزيز ميرهم ، وسلامة موسى، ومحمود عزمى ..

ويلاحظ أن كل هؤلاء الكتاب والمفكرين اختلطت لديهم السياسة بالفكر والمنهج السياسى بالمنهج الاجتماعى ... وعلى الجملة يمكن القول أن كل الافكار والاتجاهات الحديثة وجدت من يمثلها ويدعو اليها بين هؤلاء الكتاب والمفكرين، نعرفت مصر منذ هذا الحين الفكر اليسارى والفكر اليمينى ، والفكر الدينى ، والفكر الليبرالى ، وساعد على هذا الازدهار الحرية السياسية والديمقراطية ـ وكانتا بعض اهداف ثورة ١٩١٩ ـ وساعد عليها ايضا الانفتاح على الفكر الاوروبى الحديث ووجود كثيرين من المصريين ممن تعلموا فى الخارج أو نقلوا الثقافة الاوروبية سواء بالترجمة أو الامتصاص أو التشبع ..

وترتب على ذلك نشوء تيارين رئيسيين سيطرا على الحياة الفكرية فى مصر : التيار الذى يدعو الى نقل الثقافة الاوروبية بمفهومها واتجاهاتها ومدلولاتها الى الحياة المصرية .. وتيار آخر يدعو الى الحذر من هذه الثقافة والنظر اليها نظرة فيها الريبة والتشكك والخوف على الدين والمعتقدات الدينية والتقاليد .

ونشا بينهما تيار يدعو الى الاخذ من الحضارة الغربية بما لا يتعارض مع التقاليد والعادات والمعتقدات المصرية ، واعتبر هذا تيارا وسطا .

ومن هذا المنطلق نشات دعوات الى تطوير التعليم عامة والى تطوير التعليم فى الازهر بصفة خاصة، والى المساواة بين المراة والرجل فى الحقوق والواجبات ومنحها حق التصويت ، والاشتراك فى الحياة السياسية والاختلاط بالرجل فى ميادين العمل والدراسة .

وفى هذه الفترة انطلق المؤلفون المصريون والمترجمون الى طرق كافة الموضوعات دون تحرج أو احتياط، وامكنهم ان ينقلوا الى العربية الكثير من الكتب والمؤلفات الادبية والعلمية والاجتماعية بوازع شخصى وبتشجيع من هيئات أهلية وخاصة، فنشرت كتب سواء مترجمة او موضوعة وعالجت قضايا الفكر المعاصر على اختلاف انواعها واتجاهاتها ، واستطاع المجتمع المصرى ان يتنفس بحرية . وليس أدل على ذلك من الكتاب الذى الفه الشيخ على عبد الرازق عن الاسلام واصول الحكم وذهب فيه الى ان الخلافة ليست أصلا من اصول الاسلامية، واثار هذا الرى ضجة كبيرة فى البرلمان والصحافة وبين كافة المثقفين ، وبدا فى هذا الاهتمام الانقسام الذى اشرت اليه آنفا وهو الانقسام بين دعاة الحرية فى الراى من غير قيد ، وبين القائلين او المتمسكين بالقيود التى تحافظ فى نظرهم على أسس الحياة المصرية القديمة ...

وانما سقت هذا المثل كدليل على حرية الفكر والى اى مدى بلغت .. وظهر فى هذه الفترة كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين وتناول فيه مسائل اعتبرت فى هذا الوقت خروجا على الدين ، وانقسم اعضاء البرلمان كما انقسم الراى العام المثقف فى مصر الى فريقين — فريق ذهب الى تاييد طه حسين ليس فى فكرة ولا آرائه وانما فى حقه أن يقول ما يعتقد ، وفريق انكر عليه ان يتعرض لما يخالف ما يراه المتزمتون .

وفى الادب والشعر والفن وجدت المدارس الحديثة التى عالجت القصة والمسرحية والقصيدة بالمنهج الاوروبى تقليدا او انشاء ، وكذلك وجدت فى الشعر مدارس مختلفة منها الحديث ومنها الذى آثر التمسك بالقديم ، وكذلك فى الموضوعات التى يتناولها الشعر ، فتركت الاغراض القديمة القائمة على المدح والذم والتكسب بالشعر ومدح ذوى السلطان وغيرها ، واصبح الشعر تعبيراً عن خوالج النفس ...

وظهرت — وهذا شىء طبيعى — الندوات ، ولا نقول ظهرت لهذا التعبير يشعر بانها لم تكن موجودة من قبل ، والصحيح انها انتعشت فقد عرف العرب عموما الندوات والمهرجانات الشعرية من قديم — واذا كانت السياسة قد افرزت عددا كبيرا من الرجال الذين اثروا فى مسارها فكذلك فعل الشعر والادب فافرز عددا من كبار الشعراء فى العربية فى كل العصور منهم شوقى ، وحافظ ومطران وبعدهم الجارم ، وعزيز اباظة ، وناجى ، وعلى محمود طه وغيرهم ...

ان هذا الجيل فيه الكثير مما يقال ، وهو فى كلمة موجزة كان جيلا سخيا فى العطاء ، عبقريا فى التعبير بالكلمة والقصيدة ، فاستحق أن يكون جيل الرواد ..

● اعداد : امانى فريد ●

تدوين السيرة العطرة (١) من جديد

● د . أحمد شلبي ●

سعدت بالكتابة الى قراء «الهلال» فى موضوع مهم هو تصحيح أخطاء فى تدوين التاريخ الاسلامى ، واليوم سنعمد لكتابة سيرة الرسول صلوات الله عليه من جديد ، فقد راعنى ان تدوين السيرة على مر التاريخ ابتداء من ابن هشام حتى الدراسات التى كتبت فى العهد الحاضر ، اغفلت جوانب كبيرة الاهمية من حياة الرسول الكريم ، بعد الهجرة .

فمن الطبيعى ان حياة الرسول بالمدينة كانت حافلة بجلائل الاعمال ، بنى فيها الرسول الفرد المسلم ، وبنى المجتمع الاسلامى ، وكانت له مواقف رائعة مع اسرته تعتبر نموذجا لكل اب ، ومواقف رائعة مع اصحابه تعتبر قدوة لكل رفيق ، وفى هذه الفترة اسس الرسول اخلاقا ، ووضع أسباب العلاقات بين الفرد والفرد ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الفرد وخالقه ، كما وضع أساس العلاقات الدينية والدولية بين المسلمين من جانب وغير المسلمين من جانب آخر ، وقام بالدعوة للاسلام فى المدينة ، وفى الجزيرة العربية وخارج الجزيرة العربية مبينا وسائل الدعوة هنا وهناك ، وغير ذلك من الاعمال التى حفلت بها الحياة اليومية للرسول صلوات الله عليه .

ماذا نرى فى كتب السيرة ؟.

اننا للأسف نرى تركيزا قويا على الغزوات ، فما ان يتم حديث كتاب السيرة عن الهجرة حتى تتجه جهودهم للغزوات ، فيتحدثون من غزوة بدر الكبرى فى العام الثانى للهجرة ، وغزو أحد فى العام الثالث ، والصراع ضد بنى

النضير فى العام الرابع ، وغزوة الخندق فى العام الخامس ، والحديبية فى العام السادس ، وخيبر فى العام السابع ، وفتح مكة وغزوة مؤتة فى العام الثامن وتبوك فى العام التاسع .

يالله !. كأن حياة الرسول كانت حروبا متصلة ، وكأن الاسلام دين دماء. وذلك ما يخالف الواقع ، ويتضح هذا لو لاحظنا أن حروب ذلك الزمان كانت بالسيوف والحراب . وكانت لقاء لا يطول مداه تنتصر فيه جماعة وتهزم اخرى بعد جولة او عدة جولات ، فكان مدى المعركة اياما قليلة . وكان اطولها غزوة الخندق، ولكنها ايضا استغرقت اسابيع محدودة فماذا كان يفعل الرسول خلال باقى ايام العام ؟.

وبعض الغزوات كانت بقيادة بعض الابطال من المسلمين مثل غزوة مؤتة ، وكان الرسول مقيما بالمدينة يزاول المهام الاسلامية الواسعة ، ومثل هذا كان يحدث عندما كان الرسول يرسل السرايا. وتدلنا احداث التاريخ أن الرسول خلال السفر للغزوات كان ايضا يباشر تربية الفرد وتربية المجتمع ، وغرس اخلاق الاسلام والدعوة له ..

فلماذا اغفل كتاب السيرة هذه الانشطة المهمة ، وركزوا اهتمامهم على الغزوات والحروب ؟.

❋❋❋

ان الاجابة عن هذا السؤال الخطير ترينا سبب هذه الغلطة ، وبالتالى تفتح امامنا الابواب لتصحح هذا الوضع وتتدارك ما فات السابقين .

ان الاجابة تكمن فى اقدم كتاب فى ايدينا عن سيرة الرسول ، وذلك هو ما كتبه ابن اسحاق (٨٥ - ١٥١ هـ) الذى تلقى عن التابعين وتابعيهم ، وجاء بعده ابن هشام (٢١٣ هـ) الذى جمع كلام ابن اسحاق وهذبه فنسب له ، وأصبح معروفا بسيرة ابن هشام .

ماذا فيما كتبه ابن اسحاق مما سبب هذا الخطأ الذى نحاول ان نفتح الباب لاصلاحه ؟.

الاجابة ان ابن اسحاق كتب كتابين يتصلان بالسيرة العطرة ، احدهما هو « كتاب المبتدأ » أو « كتاب المبتدأ وقصص الأنبياء » وهو كتاب يتحدث عن تاريخ الأنبياء ويمتد حتى الهجرة الى المدينة ، والكتاب الثانى « كتاب المغازى» ويتحدث فيه عن غزوات الرسول .

وعمل ابن اسحاق لا غبار عليه ، فهو قد اختار موضوعا وكتب فيه ، ولكن المشكلة تبدأ من ابن هشام الذى اقتبس من « كتاب المبدأ » الجزء الخاص بسيرة الرسول حتى الهجرة ، واضاف اليه كتاب ابن اسحاق الثانى « كتاب المغازى » وكون بذلك كتابا سماه السيرة النبوية واعتبر هذا الكتاب اساسا لكتاب السيرة عبر العصور . لنتج من هذا ما يلى :

أولا - دونت السيرة المنسوبة لابن هشام تفاصيل دقيقة لحياة الرسول فى مكة حتى تمام الهجرة ، اذ كان ابن اسحاق قد دون ذلك بتفصيل واسع..

ثانيا - حفلت الغزوات بتفاصيل دقيقة عن خطواتها واحداثها ونتائجها لان ابن اسحاق كان قد عنى بذلك ايضا

ثالثا - لم تنل مواقف الرسول بالمدينة فى غير الغزوات اى اهتمام لان ذلك لم يدخل ضمن الاطار الذى وضعه ابن اسحاق لدراسته ، ولان ابن هشام ومن جاء بعده غفلوا عن ذلك فاكتفوا - سهوا - بما ذكره ابن اسحاق ، مع ان دراسة ابن اسحاق عن الرسول بعد

الهجرة كانت مرتبطة بالغزوات فقط ، وما قد اتصل بالغزوات من أحداث ..

والعجيب أن أكثر المؤلفين المحدثين ساروا في هذا الطريق ، ولعل من أشهر هؤلاء المعاصرين الدكتور محمد حسين هيكل وهو رجل واسع الثقافة ، ولكنه سلك نفس الطريق عندما كتب « حياة محمد » ، فما أن انتهى من الحديث عن أول العهد بيثرب في الفصل الحادي عشر حتى اتجه للغزوات ابتداء من الفصل التالي فعقد الفصل الثاني عشر للحديث عن السرايا والمناوشات الأولى ، والفصل الثالث عشر عن غزوة بدر الكبرى وهكذا استمر بعدد الفصول مع الغزوات.

وقد كتب الأستاذ العقاد « عبقرية محمد » وللأستاذ العقاد روحه ونهجه الرائع في العبقريات ، ولكنه حدد عمله حين قال : « ان هذا الكتاب ليس كتاب سيرة نبوية جديدة ، وان المحاولة فيه اتجهت لتبرئة المقام المحمدي من الاقاويل التي يلغط بها الاغرار والجهلاء ، ولهذا كان اطول فصوله الفصلان الخاصان بالحرب وبالحياة الزوجية » .

وكتبت أنا عن صدر الاسلام الجزء الأول من موسوعة التاريخ الاسلامي ، ولكني لم أعد أقنع بما كتبت بعد ان خطر ببالي التصحيح الذي شرحته فيما سبق ..

انني أستعين بالله وأفتح هذا الباب ليس لأحاوله وحدي ، وانما أدعو كل المفكرين المسلمين الى محاولته كل بقدر استطاعته ، لنعيد تدوين السيرة من جديد كما ينبغي أن تكون ، ولنضع صورة أقرب الى الواقع للرسول عليه السلام الذي جعله الله قدوة للمسلمين، قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » « سورة الاحزاب الآية ٢١ » .

ولا شك أننا عندما ندون تاريخ الرسول وفق هذا الاتجاه الذي شرحناه نصحح خطأ طال مداه ، ثم نبرز حياة الرسول للناس ليروا ما بها من أفانين في مختلف شئون الحياة ، ليستطيعوا ان يتمثلوا هذه الحياة وينتفعوا بها في تربية أنفسهم وفي تصرفاتهم في مختلف الشئون ومن الواضح أن تصرفات الرسول كانت تطبيقا لتوجيهات القرآن الكريم ، فسيرة الرسول كانت تنفيذا للقرآن وشرحا له وتبيانا .

واعتقادي أن احاديث الرسول تقدم المرجع الرئيسي لدراساتنا عن السيرة ، واني مستعينا بالله اجمع حولي طائفة مهمة من كتب الصحاح لأبدأ هذا الجهد ومن الله نستلهم التوفيق ، وسنسير في تدوين السيرة النبوية في عهد المدينة متحدثين عن الموضوعات التالية :

- الرسول نفسه هو واضع التاريخ الهجري .
- الرسول في أسرته
- الرسول بين أصحابه
- تكوين الفرد المسلم
- تكوين المجتمع الاسلامي
- اخلاق اسلامية يغرسها الرسول
- الدعوة للاسلام بالمدينة
- الدعوة للاسلام بالجزيرة العربية
- الدعوة للاسلام خارج الجزيرة العربية
- توجيهات تشريعية
- غير المسلمين في المجتمع الاسلامي.
- الرسول يضع أساس العلاقات الدولية
- الرسول يربي العمال والولاة
- الرسول وتعدد الزوجات
- الرسول واليهود بالمدينة
- الاسلام والقتال

وربما جدت موضوعات اخرى خلال البحث فسيكون لنا شرف اضافتها لهذه الخطة التي أرجو من الله لها التوفيق .

د. أحمد شلبي
استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الضحى والليل



● محمود العتريس ●

أذنبىَ .. أننى لم أغتنم ذَنْبا ؟! !
ولِى قلب يحب الليلَ ، والأمطار ، والا
حكايتنا ــ ضحى ــ لم تَنْسَهَا الأث
فمَا برِحَتْ أريكتنا تحس بدفء جسمينا
وهذى صفحةَ المرآة ، رقشَها لَدَى أنفاسنا الحمراء
ولو تستَنطق الجدران ...
لتبَاحت بالذى لم تكتحم من مثلِه عِيانَ
وأسألُ : هل نسينا ، أم تناسينا
وهل تَخْبَو ــ برغم وقودِها ــ النيران ؟!
فَيصرخُ هاتفُ الأصداءِ
بأنَّ الحبُّ لم يَنْبض بقلبينْا
وما قد كان ...
كان مسيرَة ــ عَبْرَ الضحَى ــ عَشْوَاء !
ترانى ، رغم ما قد كان ، حتى الآن ، لمّا أقتل الحبَّا
ولما أعتصر من كرْمه العاتى ، سِوى قطرات
وذَنْبىَ .. أننى لم أغتنم ذَنْبا ؟! !

أبي .. عزيز أباظة



● عفاف عزيز اباظة ●

لا استطيع ان اعبر عن السعادة التي اشعر بها كلما قابلت في الحياة اناسا اراهم لاول مرة ، ثم يسألونني ان كنت ابنة عــزيز اباظة .. وعندما اجيب بالايجـاب اسمع ما يملأ قلبي بهجة وفخرا ، فكل منهم له معه حادثة لطيفة او قصة طريفة ، او لعله سمع منه كلمة حلوة لا يزال يذكرها ، او لقى منه معروفا لا ينساه ..

هذا ان كانوا قد عرفوه شخصيا ، اما الذين لم يروه فانهم يكلمونني عن شعره وعن مسرحياته ، وخصوصا عن الديوان الذى كتبه في رثاء والدتي ..

وكلهم يذكره بحب وبتقدير ، فقد كان محبوبا قريبا الى القلوب .. تتسابق الكلمات الحلوة الى لسانه دون ان يبحث عنها .. وتبدو الابتسامة المطمئنة على شفتيه دون أن يفتعلها ..

كان يحب الناس بعيوبهم ، ويقدر ان للبشر حدودا لا يطـالبهم بالتفوق عليها ، وهذا في تقديرى هو سر حب الناس له ..

كان أبي مهيب الطلعة ، فارع الطول ، أنيق الملبس والحركة ، على وجهه جمال وجلال ، وكان شاعرا حتى في خصاله ، وكان حانيا لكن في كبرياء ، لم اسمعه في حياتي ينطق بكلمات تجافي الذوق او تجرح الـسمع ، فاذا مجت اذني بعض الالفاظ التي تجرى على الســنة بعض الناس بسهولة اتهمني زوجي بالتطرف . ولكن عذرى انني نشأت في بيت شاعر عف اللسان رشيق اللفظ رحيم القول .

وكان أبي عندما يكتب الشـعر يحب ان يكون بيننا يجلس بملابس البيت في مكانه الخاص به والى جانبه منضـدة عليها اقلامه ، وعلى الأرض كتبه ومراجعه وخصوصا ديوان البحترى الذى كان لا يفارقه أبدا .. وكان يضـع كراسته على ركبته ويكتب ، ولا يكتب على مكتبه ، ويطلب الينا أن نتحدث وان نكـون على سجيتنا ، بل كان يتدخل أحيـانا في الحديث حتى يشعرنا انه مهتم بما نقول وهو في الواقع بعيـد كل البعـد عن عالمنا ..

أما عزيز اباظة الزوج ، فقد احترم المرأة وقدرها واعطاها حقها من الحرية وعاملها معاملة النـد للنـد رغم انه من مواليـد ١٨٩٨ ، ولم اره مـع امى الا والاحترام قائم بينهما والحب يشع من حولهما ..

ورأيته يقدر زوجته الثانية ويجلهـا ويحمل لها أصفى الود واصدقه ، فقد رعته ورعت اولاده وجمعت شمل بيته بعد ان كان قد تصدع . ولذ احببناها لانها اختارت ان تكون اما لنا . واختارت راضية ما يجبر عليه الأمهات اجبارا ..

ابى عزيز اباظة .. اشـــهد الله انه غمرنا نحن ابناؤه : اخى واختى وانا ـ بحبه وبرحمته وظل يســـاندنا بقلبه وبروحه وبماله الى آخر لحظة في حياته .

واليوم وبعد سنوات سبع غاب فيها .. اذا امتحنتني وزوجي واخوتي الايام تلفتنا باحثين عن القلب الحاني والرأى الصائب ، والحنان المتـدفق ، والاذن الصـاغية .. والمنقذ المغيث والموئل الأمين ، فلا نجده .. وليس بعد الأب من سميع ، ولا بعده من مجيب .

شخصية الشهر

عزيز أباظة



كان عزيز اباظة انسانا شاعريا ، او انسانا من شعر . كان رجلا رقيقا مرهف الحس موهوبا فى ميدان النظم مقبلا على كل ماهو جميل . ولقد وصل فى المناصب الى درجة عليا ثم ترك كل ذلك وتخصص فى الشعر ، وابدع فى المسرحية الشعرية خاصة حتى اصبح امير المسرح الشعرى ..

شخصية الشهر

عزيز أباظة والتاريخ

● ثروت اباظة ●

لعل الشعر هو اصعب الفنون الادبية فان لم يكن الشاعر سامقا قوى الديباجة حلو الجرس ، يصل شعره الى قلوب مستقبليه فيهزها فتخفق بخفقه وتتناغم بنغمه — ان لم يكن ، فهو ليس بشاعر ..

ولذلك نجد الناظمين كثيرين — ولكن الشعراء قلة .

وعزيز اباظه من هؤلاء الشعراء الذين استطاعوا ان يحتفظوا للشعر العربى الاصيل برونقه الاخاذ فى لفظ شريف مختار جميل ، وفى صياغة عربية رفيعة ، وفى جرس فنى غنى .. فقصائده كانها مواكب من الفن الادبى ومن الاحساس الشاعرى .

هو من مواليد ١٨٩٨ بمدينة الزقازيق ، وقد تخرج فى مدرسة الحقوق عام ١٩٢٣ وقد عمل وكيلا للنائب العام فمديرا لتحقيق الشخصية فوكيلا للمديرية ، فمديرا بعدة مديريات كان آخرها مديرية اسيوط ، كما انتخب عدة مرات عضوا بمجلس النواب ومجلس الشيوخ .

وعزيز اباظة قال الشعر وهو طفل، ولكنه كان يقوله همسا لا يفضى به الا الى الخاصة المقربين ، فلم يكن احد يعرف عنه انه شاعر الا اقرباؤه واصدقاؤه المقربون . وكانت حياة الوظيفة والحياة السياسية تشغل معظم وقته . فالشعر عنده ظل لفترة طويلة من حياته متعته التى يلجا اليها من متاعب الحياة .

حتى كانت الفاجعة التى اصابه بها الدهر فى يونية سنة ١٩٤٢ حين انتقلت الى رحمة الله زوجته وابنة عمه وام أولاده ، وحب حياته جميعها منذ هما طفلان على ضفاف مويس فى «الربعماية» حتى اصبح هو مديرا ، واصبحت هى ام ابنتيه وابنه .

حينئذ وجد عزيز اباظه انه لا ملجأ

● عزيز أباظة من أكثر الفنانين تفهما لضعف الإنسان، فخبرته تربت دائما كتف المخطئ في حنان وبر، ونفس شاعرية صافية ... والعجيب أنه جعل لهذا التعاطف يتساوى مع شعور دفين عميق يملأ عليه جوانب نفسه ...

له الا شعره ، فاذا هو يفاجىء الناس بديوانه « انات حائرة » يفرده لزوجته ـ فيصبح الديوان الاول من نوعه فى الشعر العربي .

وفى غمار هذه الاحزان يجد عزيز اباظة ان الشعر انقذه من نفسه ، فيلقى اليه نفسه ، وينظر الى الطريق الذى قطعه شوقى فى الرواية الشعرية فيجد الطريق مهجورا خار عنه عزاره، وجفاه رواده فى المسرح الشعرى فهو خاو تقوضت اركانه واسدل عليه الستار وبقى الاساس الذى ارساه شوقى ..

فكتب عزيز اباظه مسرحيته الاولى « قيس ولبنى » ولقيت نجاحا هائلامن النقاد والمشاهدين على السواء ، فسار طريقه واكمل مابداه شوقى ، وشيد الصرح على الاساس فكانت رواياته « العباسة ـ الناصر ـ شجرة الدر ـ غروب الاندلس ـ شهريار ـ اوراق الخريف ـ قافلة النور ـ قيصر ـ زهرة » .

وان كان شوقى لم يستطع ان يتخلص من الشاعر فيه وهو يكتب مسرحياته، فان عزيز استطاع ان يتذكر دائما انه يكتب للمسرح .. فنحن لا نرى مثلا القصائد الطويلة التى كان يكتبها شوقى فى مسرحياته حتى ليظل الممثلون واقفين فترات طويلة ساعتين لينتهى الممثل المنشد من القاء قصيدته الرائعة ولكن الطويلة ايضا ..

ولاشك اننا نلتمس العذر لشوقى فان المسرح عنده كان فى الدرجة الثانية وكان المهم عنده هو الشعر .. وقد كان الاستطراد الشعرى يستهويه ، فهو يوغل فيه غير ملتفت الى مقتضيات المسرح ..

اما عزيز اباظة فقد استطاع ان يكبح جماح الشاعر فى نفسه ويجعل المسرح مسرحا ، وفى نفس الوقت استطاع ان يحافظ على الصياغة الشعرية السامقة والجرس العربى الانيق ..

كما استطاع عزيز اباظة ان يتعمق فى البناء المسرحى ، فمسرحياته ان تخلى

منها الشعر ظلت مسرحيات رائعة تستطيع ان تقوم بموضوعها وبنائها وافكارها كاعظم المسرحيات فى الادب العربى ..

***

وقد استوحى عزيز اباظة التاريخ فى اغلب مسرحياته لم هو يضفى على هذا التاريخ افكاره السياسية وآراءه ، فالتاريخ عنده وسيلة يلقى بها مايريد ان يقول .

وقد رآد عزيز اباظة بالمسرحية الشعرية ميدانا جديدا ، فهو يكتب مسرحيبه : أوراق الخريف ، وزهرة ـ تدور احداث كلتيهما فى الزمن الذى نعيش فيه ، وقد طوع شعره المعروف بالعذوبة والجرس اللفظى الضخم لمقتضيات الزمن الذى تدور فيه احداث الروايتين ، فاذا هو شعر سهل سلس يكاد يكون حديثا يجرى فى الصالونات مع رنين التليفون « وكلاكس » السيارات .

واحداث رواية « زهرة » تعتمد فى اساسها على فكرة « فيدرا » وان كان عزيز اباظة قد خلق لها شخصيات مصرية ، واجرى احداثها فى البيت المصرى .

كما قام بمحاولة شعرية اخرى لم يسبقه اليها احد فى المسرح الشعرى العربى ، فقد كتب مسرحيته « قيصر » ناظرا الى مسرحية شيكسبير جامعا فيها بين الترجمة والخلق .

وقد اهتم عزيز اباظة غاية الاهتمام بالانسان فى مسرحياته فهو يتعمقه فى دراية واسعة به وفى تعاطف عظيم مع ضعفه وآماله وآلامه .

ولعل عزيز اباظة من اكثر الفنانين تفهما لضعف الانسان ، فنجد يده تربت دائما كتف المخطىء فى حنان وبر ونفس شاعرية صافية .. والعجيب انه جعل هذا التعاطف يتساوق مع شعور دينى عميق يملأ عليه جوانب نفسه . فالله عنده هو الرحيم الغفور الودود الرحمن والدين عنده هو هذه الاشراقة السمحة التى تغتفر للبشرية وتقدرعذاب الانسان فى معايشة الحياة .





عزيز اباظة سجل مرحلة ابداع جديد في المسرح الشعري العربي ، وكتب مسرحيته « قيصر » ناظرا الى مسرحية شكسبير ، جامعا فيها بين الترجمة والخلق ...

*

استوحى عزيز اباظة التاريخ في اغلب مسرحياته ، ولكنه اضفى على هذا التاريخ من افكاره ومن فنه ..



وعزيز آباظة من هؤلاء الفنانين الذين يعيشون حياتهم بكل ما فيها من خلجات فهو يتعمق اللحظات في حس مرهف وطبيعة مواتية وملاحظة دقيقة لكل تأملات البشرية التي تمر به . وهو بعد ذلك ذو ذاكرة واعية ، فانت تجد اثر هذا جميعه في شعره المسرحي وفي تحليله لشخصياته التي يقدمها اليك .

ولم يكتف عزيز أباظة بالرواية المسرحية وديوانه الفريد ، بل هو يعيش حياة بلاده ، فلا تمر مناسبة سياسية الا واجهها عزيز اباظة بفنه ، كما لا تمر مناسبة اجتماعية كبرى الا تصدى لها ، فهو يعيش عصره بكل جوانب هذا العصر .

وهو مع حفاظه على القيم الثابته في التراث الانساني ، شديد التحرر ، مستجيب لكل جديد يرى فيه تطورا يؤدي الى الاحسن ، واسع الافق في هذا التطور سعة لا نكاد نعرفها الا في الندرة النادرة من ابناء جيله .

خليفة
شوق

أمير المسرح الشعري عزيز أباظة

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

-١-

● ما زلت أذكره : فارع الطول ، ابيض الوجه ، مشربا بحمرة الشباب ، على وجهه ابتسامة دائمة ، تحمل معنى الاطمئنان والثقة والأمل ..
● وفي أيام المحن كانت هذه الابتسامة تعلوها مسحة التفكير العميق ، والتصدى للأحداث والتحلى للخطوب .

كنت في أسيوط ابان عام ١٩٤٦ ، وكنا نعقد الندوات الثقافية بجمعية الشبان المسلمين فيها ، وكان مدير ـ محافظة أسيوط آنذاك هو الشاعر الكبير عزيز اباظة ، وكان يحضر بنفسه ندواتنا ، ويشارك فيها بالرأى والتوجيه والحوار ، وماكان احد من حكام الأقاليم الكبار يفعل ذلك ، ولا يتصوره في يوم من الأيام !

وفي مطبعة مصر ، وكان عزيز اباظة (باشا) رئيسا لادارتها ، كنت ازوره في مكتبه فيها ، فاشعر بانه قد خلق شاعرا قبل ان يكون اى شيء آخر ... وفي منزله في الزمالك ، وفي فندق عمر الخيام في أول هذه الضاحية الجميلة قابلته مرات ومرات ، حيث كنت اجد فيه روح الشاعر الانسان قبل أن المس



عزيز اباظة

هذه روح الرجل العظيم ، الذى يحمل على كاهله لعباء المجد والشاعرية والشعراء ...

ودعوناه ليحاضر فى رابطة الأدب الحديث ، فى أمسية من أمسيات الثلاثاء ، فلبى الدعوة ، وحضر وجلس طويلا ، يتحدث ويطيل الحديث ... ويدور جو الحوار حول المسرح الشعرى بين أمسه وحاضره ، وهو لا يمل الجلسة أبدا .

عزيز أباظة الرجل الانسان ، الشاعر المحلق ، والأديب الكبير ... شخصية فريدة فى تاريخنا الأدبى المعاصر ، وقل أن يجود بمثلها الزمان ..

بالأمس كنت أقرأ كتاب « أبى عزيز أباظة » تأليف ابنته عفاف عزيز أباظة ، فراعنى بساطة أسلوبه ، وروعة ما احتوى عليه من صدق ودقة فى تحليل شخصية الرجل ، وعرض سيرته عرضا جميلا جذابا مؤثرا ...

وما أجدر عزيز أباظة بان تخرج عنه مئات الدراسات ، فعبقرية هذا الرجل وشاعريته لا يفى بحقها قلم ، ولا يجحد عظمتها انسان ..

— ٢ —

ولد عزيز أباظة فى قرية « الربعماية » بالشرقية فى ١٣ من اغسطس عام ١٨٩٨ م ، وتلقى ثقافته الاولى فى القرية ، ثم فى مدارس الشرقية والقاهرة ، وظهرت موهبته فى الأدب والشعر منذ صغره ، وعكف على كتب التراث يتزود منها بقسط موفور من الثقافة الأدبية ..

وشاهد حركة مصطفى كامل ، وثورة ١٩١٩ التى تزعمها سعد زغلول ، وشاهد كل الأحداث التى مر بها وطنه فى القرن العشرين حتى وفاته ...

وفى عام ١٩٣٦ انتخب عضوا فى مجلس النواب ، وبعد قليل أختير مديرا للقليوبية ، فللمنيا ، وبورسعيد ، واسيوط ... ثم لم يلبث أن انتخب مرة غرى لمجلس النواب ، فمجلس الشيوخ ، ثم اختير رئيسا لادارة مطبعة مصر، فعضوا فى كثير من الشركات والمؤسسات ، ومقررا للجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ...

وظل كذلك يجوب البلاد ، ويقوم بالرحلات الى الخارج ، حتى استأثرت به

رحمة الله في الحادي عشر من شهر يوليو عام ١٩٧٣ ، فخسرت مصر وخسر العالم العربي ، وخسرت دولة القريض علما من أكبر اعلامها ، وشاعرا من أعظم الشعراء ، الذين دعموا نهضة الشعر والأدب ، واسدوا للحركة الشعرية المعاصرة كل ما تعتز به من ازدهار وشموخ وجلال .

— ٣ —

خلف عزيز أباظة خمسة دواوين شعرية ، هي :

١ ـ أنات حائرة .
٢ ـ من الشرق والغرب .
٣ ـ تسابيح قلب .
٤ ـ في موكب الحياة .
٥ ـ في موكب الخالدين .

وترك عشر مسرحيات شعرية ، هي :

١ ـ قيس ولبنى ، وقد نظمها في المنيا عام ١٩٤٢ ، وكان شوقي قد كانه بكتابتها قبل وفاته ، وقد قدم لها الاستاذ عباس محمود العقاد .

٢ ـ العباسة ، وقد قدم لها د . محمد حسين هيكل ، ومثلت لأول مرة عى مسرح الأوبرا في القاهرة في ٣ من نوفمبر عام ١٩٤٥ .

٣ ـ مسرحية الناصر ، وقد قدم لها الأستاذ أحمد حسن الزيات ..

٤ ـ مسرحيةشجرة الدر ، وقد مثلت في مسرح الأوبرا في أول نوفمبر عام ١٩٤٧ .

٥ ـ غروب الأندلس ، وقد قدم لها د . طه حسين ، ومثلت لأول مرة عى مسرح الأوبرا في القاهرة في ١٥ من نوفمبر ١٩٥٢ ..

٦ ـ شهريار ، وقد قدم لها عزيز أباظة نفسه ، ومثلت لأول مرة عل مسرح دار الأوبرا في ٣ من نوفمبر عام ١٩٥٥ وقد عاونه في اعداد هـذه المسرحية عبد الله البشير ...

٧ ـ أوراق الخريف كتبها عام ١٩٥٧ ..
٨ ـ قافلة النور ، نظمها عام ١٩٥٨ ..
٩ ـ مسرحية قيصر ، نظمها عام ١٩٦٣ ..

١٠ ـ مسرحية زهرة ، وقد كتبها عام ١٩٦٨ ..
ولم تمثل هذه المسرحيات الأربع الأخيرة ..

وقد درس د . عبد المحسن عاطف سلام المسرح الشعري عند شاعرنا الكبير في كتابه « مسرحيات عزيز أباظة » ..

وللشاعر أباظة ملحمة شعرية رائعة في السيرة النبوية بعنوان « من اشراقات

السيرة الزكية وقد نشرت عام ١٩٧١ ، وقدم لها الأستاذ أحمد حسن الباقوري .

― ٤ ―

والمسرح الشعري عند عزيز اباظة مسرح جد غنى بالشاعرية والموهبة والصراع والحوار الشعرى الجميل ..

وفى مسرحياته ، الست الأولى يتناول الشاعر احداثا تاريخية ، وكذلك يتجه الى التاريخ فى مسرحيتيه : قافلة النور ، وقيصر ..

اما مسرحيتاه الاخريان : اوراق الخريف ، وزهرة فيتجه فيهما الى الموضوعات الاجتماعية المعاصرة ، وان كان قد تأثر فى مسرحية « زهرة » بمسرحية الشاعر المسرحي الاغريقى القديم يوريبيدس ، كانت بطلتها هى « فيدرا » ، التى كتب عنها أيضا الشاعر الرومانى الفيلسوف « سنكا » ، والشاعر الفرنسى « راسين » ..

وفى المسرحيتين الاجتماعيتين بسط شاعرنا الكبير عزيز اباظة لغته حتى صارت اقرب الى اللغة اليومية ، دون أن يتخلى عن فصاحة لغته وجمالها ..

والمسرح الشعرى عند عزيز أباظة حافل وغنى بالحوار والصراع وبالشخصيات المسرحية .. ويدافع عزيز أباظة عن اتخاذ الشعر لغة للمسرح فى العصر الحديث ، بينما يعارض الدكتور طه حسين ذلك ..

وحين يرى طه حسين أن التمثيل شب عن طوق الشعر وتحرر على أوزانه وقوافيه ـ (ص ٦٤٧ مسرح الشعر ـ ج ١ ـ عزيز أباظة) ،يرى الشاعر الأباظى أن الشعر أنسب للغة الحوار على المسرح من النثر (ص ٨١٥ مسرح الشعر ـ أباظة ـ المجلد الأول) ..

ولقد كان أرسطو يعتبر المسرحية قسما من أقسام الشعر ، ويرى أن المأساة أرقى أنواع التعبير الشعرى ، فهى أرقى ضروب الشعر جميعها ..

والمسرحيات الاغريقية والرومانية القديمة كانت كلها شعرا ، من مثل مسرحيات : اسخيلوس ، وسوفوكليس ، يوريبيدس ، ارستوفان ، متاندر

سنكا ، بلوتس ..

وفى عصر النهضة وازدهار الكلاسيكية فى العصر الكلاسيكى ظلت المسرحية تكتب شعرا ، كما نراها عند أمثال : شكسبير ، كورنى ، راسين وأضرابهم .

وفى تيار الرومانسية ، وتيار الواقعية كتب المسرحيون مسرحياتهم نثرا ، مخالفين بذلك الأصول الكلاسيكية ..

وان كان بعض الكتاب المسرحيين ظلوا يكتبون مسرحياتهم شعرا ، من مثل : اليوت فى امريكا ، كريستوفر فراى فى انجلترا ، وأندرسون فى امريكا أيضا ، ولوركا فى اسبانيا ، وييتس فى ايرلندا .

ويقول سومرست موم : ان المسرحية النثرية التي وقفت عليها حياتي كلها سوف تموت عما قريب ، وقد بدأ الجمهور المثقف يسعى الى المسرحية الشعرية ويفتح صدره وذراعيه لها • وقد نقلت مسرحيات الغرب الى العربية شعرا ونثرا ••

والمسرح الشعرى العربى بداه أحمد شوقى أمير الشعراء بمسرحياته الخوالد، من أمثال : كليوباترا ، مجنون ليلى ، عنترة ، وغيرها ••

وقد خلف عزيز اباظة امير الشعراء احمد شوقي في امارة المسرح الشعري ، بما قدم من اعمال مسرحية خالدة باقية على امتداد الأيام ، وحمل لواء الشعر المسرحي بعد شوقي سنوات طوالا تبلغ الأربعين ••

وفي الشعر الغنائي يعد الشاعر الكبير عزيز أباظة من رواد الشعر الكلاسيكي الكبار ، ومن أعلام نهضته بعد شوقي رحمه الله •

ويقول العقاد عنه : عزيز أباظة شاعر من شعراء الطبقة الأولى في اللسان العربى ، ومؤلف من مؤلفي القصص التمثيل المعدودين في هذا الزمان (ص ٢١ المجلد الأول من مسرح الشعر لعزيز أباظة) ••

وشهرة ديوان أباظة « أنات حائرة » في الشعر الحديث شهرة فائقة ، فقد وقفه على رثاء زوجته وابنة عمه التي توفيت في التاسع عشر من يونيو عام ١٩٤٢ ، وضمنه أحر العواطف وأنبلها وأسماها •

يحل يوم ميلاد الشاعر ، فيذكر رفيقة حياته التي ودعت الحياة ، ويقول :

الوف والقلب في اضلاعه شرق   بالدمع لاعدت لي يا يوم ميلادي

ويقول من قصيدته من « اطياف الماضي » التي نظمها بعد وفاتها بنحو شهرين :

طوفت بالبيت الحزين مسلما   فبكى واوشك ان يرد سلامي
وجعلت أسأله فلو ملك البكا   واسطاعه لبكى بدمع هام
أعرفتني يا دار ام أنكرتني ؟   نهب الأسى والبث والآلام
يا دار قد مال الزمان بأنسنا   وهوى بموثق شملنا الملتام
يا اخت آمال الصبا ومراحه   والضاحك النشوان من احلامي
ان تبعدى فانا المقيم بلا عجى   ومودتي حتى يحين حمامي
ويقال لي : اصبر ، ما لذلك حيلة   والنار بين ترائبي وعظامي

وقصيدته « ليلة وليلة » لا نظير لها في الشعر العربي ، وقد نظمها الشاعر في الذكرى الأولى لوفاة زوجه ، وفيها يقول :

يا ليلة جمعتنا بعد طول نوى   ذكراك هاجت لنا الأشجان الوانا
ذكرت ما كان من عرس جلوت به   على أكرم خلق الله انسانا
بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقا   والروض متسقا ، والبان ريانا
بتنا تفىء ظلام الليل بسمتنا   وتستثير شجون الليل نجوانا

قالت وقلت ، فلم تفرغ مقالتنا   الى الصباح ، ولم تهدأ شكاوانا
وحولنا الليل يطوى فى غلائله   وتحت اعطافه نشوى ونشوانا
ونحسب الكون عش اثنين يجمعنا   والماء صهباء والانسام الحانا
لم نعتنق وذهول العرس يغمرنا   وكم تعانق روحانا وقلبانا
ثم افترقنا وما زال الغليل لظى   والوجد محتدما ، والشوق ظمآنا

أما روائعه فى الوطنية والقومية فكثيرة لا تحصى ، ومنها قصائده : وحى الجلاء — حريق القاهرة — من وحى النكبة — أم كلثوم الى الشباب — ذكريات المقرن — روما وشوقى — أشواق — ليلة فى زحلة — الأميرة تحفة •

ويطول بنا الحديث عن هذه القصائد وأمثالها من قصائد الاباظى العصماوات وأوابده الخالدات •

ولا أنسى شعره الاسلامى فى ملحمته الخالدة : « من اشراقات السيرة الذكية » التى نظم فيها السيرة النبوية شعرا •

وفى قصيدته دنيا القرآن يقول فى كتاب الله الحكيم :

أناف على العقول فقيل : شعر   وعز على الفحول ، فقيل : سحر
تعالى الله احكمه كتابا   فليس لعاقل الا فصل عذر
مطالع حكمة ، وعيون هدى   وبحر مع فيه الدر در
تحدى ، وهى من ألف ولام   فواصله ، وأعجز وهو نثر

ويقول فى الأزهر ، وهو يرثى شيخا أزهريا هو « العلامة الشيخ محمد على النجار عضو المجمع اللغوى » :

منبر فى ثرى الكنانة قدسى   تتمنى لو انه حوته الثريا
ما ارتقى المصلحون اعرق منه   شرفا سامقا وعتقا سنيا
انه الأزهر الشريف اجد الله   به فى صحنه السنا العربيا
فى حمى الازهر الرحيب وفى الله   يا له العانيات عشنا مليا
يا ابا الجامعات فى الشرق والغرب   ويا شيخها الوقور الفتيا
كم بنيت الأفلاذ فكرا وعلما   عبقرى منهم على عبقريا

وعن الفيلسوف الاسلامى المصلح الشاعر محمد اقبال يقول الاباظى :

فى جلال الهداة من انبيائه   وسنى الخالدين من شعرائه
حمل الشرق مشعل الفكر فى البحر   وشع الجمال فى ارجائه
ايه اقبال انت من لمع اللـ   ـه — على خلقه ، ومن آلائه

ومن حكمه فى خواطره « قال صفوان » يقول شاعرنا الكبير :

واجعل الحكم حكم شورى فان   البغى ادنى الى حكومة فرد
ليس رأيان فى الأمور كرأى   واختلاف الآراء ينجى ويهدى
لست احجو رأيا من الرسل   المعصوم حتى تقول العلم وحدى
انما تسفر الحقائق كالصبح   بالخد من الخواد ورد
قد سمعنا عن الطغاة وعسف   اوقعوه فلم يقف عند حد
حكم فرد حتى وان كان عدلا   غير مجد فى ملتى ، غير مجدى

وشعر عزيز أباظة بموسيقاه الحلوة التى تأثر فيها بأستاذه أمير الشعراء احمد شوقى رحمه الله ، وبالفاظه الجميلة ، وباسلوبه البليغ الرائع ، وبمضامينه الانسانية النبيلة فى شتى اغراض الحياة ، وبكل خصائص الموهبة والملكة والمقدرة الشعرية ، حرى بالحفاوة ، جدير بالاكبار والتقدير ، قمين بأن يرفع صاحبه الى ذروة المجد ، وقمة الخلود ••

الاستجابة والتحدي في

« على الفنان ان يتنبأ للقراء ، لابان يخبرهم سلفا بما سيحصل ، ولكن بان يفضي اليهم باسرار قلوبهم رغم مالقد يثيره فيهم من استياء .. ان مهمة الفنان ان يجهر بخبيئة صدره ، غير ان ما يفصح به لن يكون هو اسراره الخاصة كما تريدنا النظرية الذاتية في الفن ان نؤمن انما الاسرار التي يجلوها يجب ان تكون اسرار مجتمعه لانه هو المتحدث بلسان ذلك المجتمع ، وما من مجتمع يعرف خبايا قلبه جميعها، ومن ثم فانه في حاجة الى الشاعر . واذا ما قصر مجتمع في هذه المعرفة فانه يخدع نفسه في أمر يعد الجهل بهصنوا للموت . أن الشاعر ، لا يصف علاجا للشر الناجم عن هذا الجهل ، لانهيكون قد قدم ذلك العلاج على شكل قصيدة فالفن هو دواء المجتمع من شر امراض العقل »

ــ على حد تعبير « كولينجود » .

وعلى حد تعبير عزيز اباظة حينما يقول « في دار شكسبير » :

« غرف ثلاث شع نور الفكر فيها والحصاة ....
ضاقت بملهمها فسلسل روحه في الكائنـــات
كانت حراء الشعر ذات رفعة شتى اللغات
كشفت عن النفس الغشاوة للاساة والهداة
في البينات المحكمات من القوافي الرسلات
والنفس واحدة الخلاق في متنوعة الجهات
والشعر ان صدقت روافده فانفاس الحياة

وهنا يكشف عزيز اباظة عن وظيفة الشاعر والشعر في رؤياه الابداعية ، فالشاعر لابد من ان يصدع بالنبوءة.. لا بان يخبر قراءه سلفا بما سيحدث ، ولكن كما قال « كولينجود » بان يفضي اليهم باسرار قلوبهم رغم ما قد يثيره فيهم من استياء ..

يقول عزيز اباظة مؤكدا هذا المعنى لوظيفة الشاعر :

يا كاشف الانسان والانسان لغز لا يحل
هو خسة وسماحة ، وهوى وعارفة وجهل
للشر في اعراقه ... رحب والحسنى مطل
كيف انطلقت للهمه سبلا فلم تفلك سبل
وحققت ما اخفت طبيعته كانك كنت تسلو
تلك النبوة والحجا الجبار والفوق الاجل

وتلك وظيفة الشعر عند عزيز اباظة حينما يكتبه غنائيا وحينما يكتبــه

شعر عزيز أباظة



عزيز أباظة

● د . عبد العزيز شرف ●

مسرحيا ولذلك لا نجد تناقضا على الاطلاق بين عزيز اباظة الشاعر المسرحي وعزيز اباظة الشاعر الغنائي، ذلك أنه في الحالتين يصدر عن عناصر للاصالة ،ويعنى بمظاهر التجديد ، فالمسرحية الشعرية لديه تؤكد اصالته في الشعر الغنائي ، وشعره الغنائي يضم في اعطافه مظاهر درامية .. وهو — كما قال عنه المرحوم العقاد :

« شاعر من شعراء الطبقة الاولى في اللسان العربي ، ومؤلف من مؤلفي القصص التمثيلي المعدودين في هذا الزمان » .

وقد لاحظ العقاد ان المسرحية الشعرية في ادب عزيز اباظة تجمع عشرات القصائد وقد تجمع المئات منها في آمادها الطوال ، ومنها شعر الوصف وشعر الغزل وشعر الحكمة وشعر الخطاب والحوار وشعر الحماسة وشعر الواحد وشعر الجماعة ، وكلها تنظم في شتى الاوزان وتصلح للتلاوة والمناجاة كما تصلح للالقاء والانشاد .

« وربما كان للوظيفة حكمها في هذا الانطواء الفني مدى تلك السنين التي تقدم بها الشاعر في اطوار الاستعداد والمراجعة ، فان المدير او الحاكم قلما يناسبه ان يطالع الناس بنجوى فؤاده كل يوم في الصحف السيارة ، ولكن لاحرج عليه أن يرفع الستار حينا بعد حين ليتحدث اليهم بالسنة الممثلين وابطال الفن والتاريخ » .

ولعل في ذلك ما يفسر تأخر صدور ديوان عزيز اباظة الغنائي عن صدور مسرحياته الشعرية ، فلم يصدر الديوان الا بعد وفاته متضمنا شعره الغنائي الذي لم يسبق نشره في كتاب ..

ويكتسب صدور هذا الديوان اهمية خاصة ، ذلك انه يكشف عن عزيز اباظة الشاعر الغنائي ، الذي لم يعرف عند الكثيرين الا رائدا من رواد الشعر المسرحي ، ولكن هذا الديوان الكبير الذي يتضمن اربعة أجزاء في مجلد واحد ، يكشف عما نريد ان نلمسه في هذا المقال من مفهوم « الاستجابة والتحدي » ، في شعر عزيز اباظة الغنائي ، بل وفي شعره المسرحي كذلك بحيث نجد عزيزا هو هو الذي رآه العقاد « من هؤلاء النخبة الذين رزقوا حظ البديهة وحظ الرياضة . فالكلمة الملهمة عنده تسانقها اليد الصناع وذلك الذي يؤمنه ان يهبط فيعثر ، فانفارق عباده لم يفارقها هويا من حالق ، بل كان له درجة السوى يتصل اعلاه بادناه » .

الإستجابة والتحدي في شعر عزيز أباظة..

وعصر عزيز اباظة هو العصر الذى واجهت فيه الثقافة العربية هذا الاشكال مواجهة حادة ، فقد أولد عزيز اباظة فى ١٣ من اغسطس سنة ١٨٩٨ بقرية « الربعماية » مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية ، وهو ينتمى الى قبيلة عربية الاصل ، وقامت ثورة ١٩١٩ وهو طالب بمدرسة الحقوق ، فكتب بعض القصائد الوطنية ، وكانت ثقافته الاولى عربية اسلامية خالصة فتأثر بالبحترى شاعره المفضل واستاذه الاول على حد تعبيره ، احب فى شعره المعنى واللفظ والموسيقى ، ذلك ان الموسيقى فى رؤيا عزيز اباظة الابداعية عنصر من أهم العناصر التى تجعل للشعر قيمة ، وهو لذلك تأثر **بالشريف الرضى** الذى يعتبر اسلوبه امتدادا لاسلوب البحترى ، كما وجد عند « **ابى نواس** » ما وجده عند البحترى مع صياغة اقرب لصياغة الامويين ، و« حين تبتعد عن خمرياته تجد رصانة تمثل اصدق تمثيل العصر العباسى الاول ، فاذا انتقلت الى خمرياته وغزله ومجونه فستجده من شعراء اليوم فهو شاعر باق على الزمن » .

وقد اتخذ عزيز اباظة هذا الموقف التراثى تعبيرا عن « التحدى » فى فترة شهدت عمق التطور فى المجتمع المصرى كما شهدت المعركة بين القديم فى اصالته والجديد فى حيويته وكان على عزيز اباظة كذلك ان يتخذ الى جانب « التحدى » موقف الاستجابة » لسنة التطور والانطلاق ، فالامم التى جمدت امام التحدى الذى يقع عليها ولم تستجب له تطحنها عجلة التحدى **فلا تبقى منها شيئا** ، ولقد اتسم شعر عزيز اباظة بما اتسمت به الشخصية المصرية من القدرة الفذة على الاستجابة ، وتمثل الجديد وصهره فى قديمها ليكون النتاج قوة جديدة تواجه تحديات المستقبل .

ولذلك حرص عزيز اباظة على : نقد القديم والاختيار من الجديد ، فتعهد الجديد بالبقاء من عناصر الاصالة ، واتجه الى التجديد فى الشعر العربى لانه يؤمن بالتطور والاستحالة ، فهو يقف على اداب العربية وقوفا صحيحا ، ويحيط ما استطاع بعلوم عصره وادابه فى اللغات المختلفة ، الامر الذى يسر له التعبير عما فى الحياة والوجود من الحق والجمال ، وتوصيله لمتلقى فى صورة اقرب الى الكمال .

ويتضح مفهوم الاستجابة والتحدى فى رؤيا عزيز اباظة الابداعية من موقفه تجاه شوقى من جهة ، والعقاد من جهة اخرى .. فشوقى فى راى عزيز اباظة خلاصة شعراء متعددين وضعوا فى بوتقة وانصهروا فاصبحوا هذا الشاعر العظيم « شوقى » ، ففيه لمحات واضحة من البحترى والمتنبى وابى نواس والشريف الرضى وغيرهم من كبار الشعراء ، اخذ من كل منهم بطرف واضاف الى ذلك ما زودته به المعلومات الحديثة والمدنية المعاصرة ، على اساس حضارى متوارث

ويبين موقفه من العقاد من اعجابه بمفهوم الشعر عند « هازليت » الذى كان له اثره فى المدرسة العقادية ، ولعل هذا الاتفاق بين عزيز اباظة والعقاد فى الاتجاه التجديدى ، ان يكشف كذلك عن الاتفاق بينهما فى « الاتجاه » نحو التجارب التالية والتى جعلتهما يرفضان خلو الشعر من الوزن والنظم

يقول عزيز اباظة « لقد تساهلنا جدا فيما يتعلق بالقافية واصبح من حق الشاعر ان يتنقل من قافية الى اخرى كيفما يشاء .. ولكنى ارفض ان يكون الشعر بلا وزن ، والتفعيلة لا تحدث موسيقيتها الا بانضمامها الى تفعيلات



اخرى يضمها « بحر » ، وهو موقف يشترك مع موقف العقاد من الشعر الحر والذى اطلق عليه اسم « الشعر السايب »

ولا شك ان عزيز اباظة قد تمثل التراث العربى فى مفهومه للشعر ، وأن مسيرته الشعرية كانت بحثا عن القيم الاصيلة فى التراث ، وحسبك أن تقرأ فى ديوانه قصائد : « بغداد » و « شهيد كربلاء » و « قرطبة البيضـــــاء » لتتعرف على مفهومه للاصالة والتجديد

هكذا استطاع عزيز اباظة أن يحـل المعادلة الصعبة بين الاصالة والتجديد بالاستجابة والتحدى ، الى درجة يبدو معها الا تناقض بينهما

وقد استطاع تحقيق ذلك فى مسرحه الشعرى وشعره الغنائى على السواء، فى « أنات حائرة » وفى ديوانه الاخير ،حيث تمكن من تطويع الشـعر العربى للثقافة الحديثة مع الاحتفاظ للديباجة بقيمتها البلاغية ، معتمدا فى ذلك على سليقته العربية من ناحية، وعلى تذوقه العصرى من ناحية اخرى ، ولعل فى ذلك ما يفسر حرصه حين تسلم جائزة الدولة عام ١٩٦٦ على ان يكشف « جماعات ليست كثيرة العدد .. ولكنها كثيرة المدد لعلها ترى ان الخير لا يقوم الا على انقاض هدم الجليـــل من مأثوراتنا ، مأثورات امتنا العربية .. تلك المأثورات التى لم يزدها مر السنـــين الا توثقا واستقرارا ونماء وازدهارا »

وعند عزيز اباظة وعند جمهرة هـذه الامة « ان الغض من هـــذه المأثورات كبيرة من الكبائر ، فكيف اذا كان هذا المأثور هو لغة القرآن الكريم .. كتاب الاعجاز الخالد الذى يقول الله سبحانه وتعالى فيه « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون »

وفى ديوان عزيز اباظة الغنائى ، نجد تأكيدا لهذا التمثل للاصالة ، حين يقول فى قصيدة جعل عنوانها : « دنيـــا القرآن » :

تألق على العقول فقيــل شعر ... وعز على الفحول فقيـل سحـر
تعالى اللــه احكمه كتـابا ... فليس لعاقل ان ضــل عذر
ذخيـرة خلقه ان عز ذخر ... وتهـذيب وتسديد وذكـر
مطالع حكمة ومعين هدى ... وبحر مج فيــه الدر در
ونور خالد اللمـع اللواكى ... فما يأتى عليه الدهر دهر
تحـــدى وهى من الف ولام ... فواصله . . واعجز وهو نثر
اذا ما زدته نظـــرا تجلى ... سرى من روائعه وبكر
سمـــا بالفكر ان هداه فكر ... وبعض الهـدى ينبو عنه فكر
هفوت اليه « احمد » تاليه ... وتجلوه فخف عليك اصر
ومن ينزل باى اللــه جارا ... هـداه سبيله منهن فجر
وذل له العسيـــر وراوحته ... نوالـح طاقـة الافاق غمر

وهكذا توضح الرؤيا الابداعية فى شعر عزيز اباظة انها تقوم على مصادر الاصالة وعناصر التجديد ، وانها تتسم فى محملها بالاستجابة والتحدى ، على النحو الذى تتسم به الشخصية المصرية العريقة فى اطار من وحدة الشعور والاصالة الدينية ، ومازلنا نذكر دفاع الشاعر عن عناصر الاصالة فى ادبنا العربى ، وعن لغة القرآن بخاصة ، كما نذكر ما اثاره دفاعه من جدل ومناقشة ومن هجوم عليه ، غير منصف كذلك.. فهل تنصف اليوم عزيز اباظة تجاه خصومه الذين ناصبوه العداء فى حياته؟!

شاعر الإنسانية والمجد والحب

عزيز أباظة

● مصطفى عبد الرحمن ●

شاعر ملأ شعره مسمع الدنيا ، وخفقت له القلوب ، رد الى الشعر العربي رونقه ، وتردد شعره العالى مع شوقى وحافظ ومطران فى اذان امة العرب غناء موحيا ونشيدا خالدا ، تغنى بعظمتها وبأمجادها وما قدمته للانسانية من خير .

حافظ على رونق الشعر العربى فى جزالته وسموقه وأصالته فى وعى ، وعاش رسول تحرر ، وباعث ثقافة ، ورائد جمال .

ذلكم هو عزيز أباظة رابع أربعة فى العصر الحديث صوروا فى صدق ، وأمانة أحاسيس أمة العرب .

شوقى ومطران وعزيز أوتار سماوية اهتجت الشرق العربى من محيطه الى خليجه بأعذب ، وأحلى بيان .

وهو عزيز أباظة الذى مثل القمة الثانية فى المسرحية الشعرية بعد عملاقها (شوقى) وأضاف الى تراثنـــا الأدبى تسع مسرحيـــات هى (قيس ولبنى) و « العباسة » و « الناصر » و و « شجرة الدر » و (غـــروب الاندلس) و « شهريار » و « أوراق الخـــريف » و « قافلة النـــور » و (قيصر) وهى مسرحيات خالدة تنوعت مادتها بين الدين والواقعية والتاريخ .

وعزيز أباظة هو الشاعر الذى شغل الناس وبهر وأثار الاعجاب بديوانه الأول (أنات حائرة) ، فقد طرق فيه بابا من الشعر لم يطرقه غير قلة قليلة من شعراء العربية فى مقدمتهم الشريف الرضى ، وجرير ، والطغرائى ، والبارودى . ذلك الباب هو رثاء الزوجات الذى خصه عزيز بديوان كامل فى وحدة الموضوع ليس له من نظير فى مكتبتنا العربية .

فلئن هز شاعرنا رثاء الطغرائى لزوجته حيث يقول فى حرقه بالغة :

أعينى جـــودا بالبكاء واسعـــدا
فقد جل قدر الرزء عن عبرة تجرى
بنفسى من غاليت فيهـــا بمهجتى
وجاهى وما حازت يداى من الوفر



عزيز اباظة وزوجتـــه
الإبداعية في الفـن والشعر

وغـايظت فيهـا اهل بيتي فكلهم
بعيد الرضا يطوى الضلوع على غمري
وفــزت بها بين ياس وخيبـة
كما استخرج الغواص لؤلؤة البحر
فجاءت كما شاء المنى واشتهى الهوى
كمالا ونبلا في عفاف وفي سـتر
فنافسني المقدور فيهـا فلم يدع
سوى مقلة مطروفة ويد صفر

لئن هزت مشاعرنا هذه النفحة وغيرها من النفحات في رثاء الزوجات والتي اوحت بها تلك العشرة الطيبة التي تقوم بين الازواج (مودة ورحمة) كما وصفها كتاب الله العزيز ، فهذه العشرة الودود التي جمعت بين عزيز وزوجته والتي انفصمت بالموت ، الهمته ديوانا من عيون الشعر العربي اختلطت فيه مشاعره الدينية بذكرياته العزيزة معها ·

لقد استطاع الشاعر أن يلمس بصدق أحاسيسه شغاف القلوب وأن يصل الى اعماق النفوس بأناته التي أثارت كوامن الشجون ، ودامي الذكريات استمع اليه وقد اشعلت بنفسه الذكريات فأرسلها من أعماق أعماقه ·

يا ليلة شبت الذكرى بعــودتها
في ثورة الصـلم ماذا هجت لي الانا
قد كنت فيما مضى انسا تطيب به
نفسا فامسيت أوصابا واشــجانا
اضنيت اســوان ما ترقا مدامعه
وعجت فوق حشايا السهد سهرانا
يبيت يودع ســمع الليل عاطفة
ضاق النهـار بها سترا وكتمانا

شاعر الإنسانية والمجد والحب

ويرسل الشجو فى سر الدجى حرقا
لو الدجى قد من صخر له لانا
وادمعا من حنايا القلب ساكبة
قد يدمع القلب دون العين احيانا

فاذا وقف بقبر خديجة « أم المؤمنين » متغنيا :

هذا الجلال له وهذا الرونق
وهو المسوى بالصعيد الملصق
قبر تراه فلا تكاد وربما
صوى الفتى وهو الاعز الاعرق
جمع الخلائق فى سمو طرازها
وفريده هذا الحفير الضيق
يكفيه من عليا المنازل انه
يسنى بام المؤمنين ويسمق

ثم يفضى به القول الى ذكرى أعز من فقد فيقول :

ذكرتنى « بالريعماية » مضجعا
بخديجة الاخرى يرف ويعبق
فيها مشابه من خديجة جمة
والقدوة العليا ترام فتلحق
فضل ، وايثار ، وتضحية واحتسا
ب ومعروف يصوب فيغدق
وتمسك بالعروة الوثقى على
علم بها وتجمل وترفق

وحين اجتاز الشاعر المحنة وخفق قلبه للحب من جديد غنى للحياة اناشيد يتسع فيها الخيال ويعمق الفكر منسقة فى الفاظ تخالها زهرات من الجنة نسقتها يد صناع مبدع مقتدر :

تعالى الى الوادى الظليل نلذ به
ونطرح أسانا فى خمائله الخضر
تعالى فذا كافوره شاقه الهوى
فمال على الصفصاف فى ذهب العصر
اذا سرت الارواح امسك بعضه
باعطاف بعض واهتدى الثغر للثغر
ورفه صدر عند صدر هومه
وشف الفتى خصرا فمال على خصر



عزيز اباظة

بربك غض الطرف عنهـا لعلهـا
تلذ بهذا الوصل فى غفـوة الدهر
تعـال فان الليـل جن وهـدأه
مراشـفه ظماى الى قبل الفجر
ويا ليل هلش منية النفس اسمحت
فهات الحلال العذب من سحرك الطهر

بهذه الموسيقى الرقيقة غنى عزيز اباظة احلى واعذب هتفات القلب •
وكما غنى عزيز للحب غنى للمجد ، غنى للحرية غنى للوفاء فى شموخ وعزة وكبرياء :

ارفعى راسك يا مصر ولا
تطرقى اطراقة المستضعفين
واصمدى الشرف ينهل سنى
حوله عيناك لماح الجبين
كنت يا مصر اذا جلت على
ألسن العالم فى ماضى السنين
ذكروا دائر مجد سـابق
عن فراعين سباك الغابرين
قيل كانت ! ان كانت سبة
ان طوى الاخر جهد الاولين
ليس ما احرز من مجد مضى
شرفا للوارثين الكـابرين
كنت فى امسك بنت الخالدين
فاستويت اليوم ام الخالدين

ذلكم هو عزيز اباظة

الشاعر الذى انسالت اليه عرائس الشعر سلسة القياد فغنى للمجد وغنى للانسانية هذه الآيات البينات الباقيات •

الصدق والجمال في شعر..

عزيز أباظة

● د . احمد متولى مسلم ●

فى الاربعينات كانت « دار الاوبرا» المصرية على قيد الحياة ..

وعرضت – فيما عرضت – روائع « عزيز اباظه » المسرحيه مثل : « قيس ولبنى » ، « والعباسة » ..

وكان الحوار بالشعر العمودى الموزون المقفى ، وباسلوب جزل رصين، وكانت القاعة تغص بالرجال والسيدات، حتى آخر مقعد فى أعلى الشرفات .

ومن بين المشاهدين كان العقاد الذى قال ، تعليقا على « قيس ولبنى » :

« لو قضى الاستاذ عزيز اباظة مؤلف « قيس ولبنى » عشرين سنة فى السعى الى المكانة الأدبية التى يعرفها له الادب العربى الآن ، لما كان ذلك بالكثير على تلك المكانة ، لانه – باتفاق الجلة من العارفين – شاعر من شعراء الطبقة الاولى فى اللسان العربى ، ومؤلف من مؤلفى القصص التمثيلى المعدودين فى هذا الزمان .»

والحقيقة الثانية التى جلتها رواية « قيس ولبنى » فهى صلاح العربية الفصحى للمسرح الحديث، واستطاعة النظارة من جميع الطبقات أن يفقهوا معناها، ويشربوا مزاجها ، وينتقلوا الى جوها، ويستجيبوا لعباراتها فى مواقف الجد والدعابة ، وفى معارض اللهو والاسى .

وسمعنا الضحك فى مواقف الضحك، من الشرفات العليا ، كما سمعناه من المقاصير الفاخرة .

وسمعنا التشنيج فى مواقف التشنيج من هؤلاء ، كما سمعناه من هؤلاء ...

ولم يكن النشيج من جوانب السيدات والاوانس ، ولا كان كله من جوانب المثاليين والخياليين الذين يؤمنون بالعاطفة على هوى العشاق الملذعين ، بل بدرت الدموع الى عيون فتيان العصر وفتياته ، وانهم لاول من يسخر بالوفاء العذرى القديم ، لولا غالب من سحر الاسلوب وسحر البيئة التى احتوتهم .

وقد كان جمهورنا على صلة بالمسرحيات التى تدور باللغة العربية ، منذ انشأ « اسكندر فرح » جوقه المسرحى فى شارع عبد العزيز بالقاهرة، سنة ١٨٩٧، ومثل على مسرحه « الشيخ سلامة حجازى » ولحن وغنى ، وكانت عامة التمثيليات بالعربية الفصحى ، سواء ما الف منها وما ترجم . وكان هذا غريبا فى ذلك العهد ، لان نسبة التعليم كانت ضئيلة ، لكن الروح السائدة فى تلك الحقبة كانت احياء الفصحى ، لذلك لم تتخذ العامية اداة تعبير فكرى او فنى . وكانت جماهير الشعب تباهى بمعرفة كلمة فصيحة ، وتتطلع الى الثقافة والتعليم ، وكانت وطنية الشعب تملى عليه أن يعيد مجد الامة العربية ، وازدهار اللغة والحضارة، فلم يصدر بالعامية فى ادب الشعب الا الزجل وبعض الاغنيات المرحة . .

ولم يعرف العرب القدماء المسرح ولا الادب التمثيلى .

وعندما ذهب « شوقى » يدرس الحقوق فى فرنسا ويطلع على آدابها ، تردد كثيرا على مسرح « الكوميدى فرانسيز » فى باريس ، وشاهد روائع مسرحيات « راسين » و « كورنى »، وشغف بهذا الفن ، وحاول محاكاته، فوضع مشروع مسرحية «على بك الكبير» ثم تركها ، وعاد اليها فى اخريات حياته، فاخرجها بشكلها النهائى، والف «مصرع كليو باترة » ، ومجنون ليلى ، وعنترة وقمبيز ، وامير الاندلس نثرا ، وقد

استقى موضوعاته من تاريخ مصر والعرب .. وفي السنة الاخيرة من عمره كتب « الست هدى » ملهاة بسيطة اللغة ، تقع احداثها في « الحنفي » احد الاحياء الشعبية ..

ويبدأ مسرح « عزيز اباظة » من حيث انتهى مسرح شوقي .

شوقي هو الرائد الاستاذ ، وعزيز هو السائر على الدرب بثقة واقتدار ، فمسرحه احفل بالحركة والتحليل ، واقرب الى الروح الدرامي ، من مسرح شوقي . وغزله أصدق شعوراً . وشعره لاتلمع فيه مالق شوقي من تقليد الاولين .

فاذا انتقلنا من المسرح لنلقى نظرة مقارنة على الشاعرين ، نجد ان شوقي بحر خضم يزخر بالشاعرية والعبقرية ، وقد جاء بعد عشرة قرون من الركاكة الشعرية ، مرت من تاريخ العرب بعد المتنبي ، لم يظهر فيها شاعر موهوب .. وكان التعويض ضخما ، فتدفق شوقي في غنائية جزلة تجمع بين الموسيقى واللفظ والمثل والحكمة .لم يكن يجهد فكره في معنى او مبنى ، ومع ذلك يفيض بالمعنى المبتكر فيضانا يغرق فيه الذهن ، فلا يصل الى قاع ، ولا يرسى الى ساحل. ولم تكن عبقريته في معانيه بقدر ما كانت في انتقاء اللفظ وحلاوة الجرس ، وعذوبة الروح ...
ولم يظفر وادي النيل في تاريخه القديم والحديث ، بمثل المكانة الادبية التي أحله اياها شاعره العظيم شوقي ، وقد اجتمع شعراء البلاد جميعاً ، وبايعوه على امارة الشعر ، فلم يشذ منهم أحد .

بهذه العبقرية ، وهذا التوقيت ، كان شوقي كعصا موسى التي ابتلعت ما قبلها وما بعدها :

ولد عزيز اباظة في سنة ١٨٩٨ في قرية الربعمائة مركز منيا القمح ، في قصر والده الكبير ، وتعلم في كتاب القرية ، فمدرسة الناصرية الابتدائية بالقاهرة ، ودخل مدرسة الحقوق وتخرج فيها سنه ١٩٢٢ .



عزيز اباظة

وفي سنة ٦٥ منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، لابداعه في الشعر الغنائي والمسرحي .

تم ظهوره المفاجيء كشاعر كبير عقب وفاة زوجته ورثائه اياها بديوان « أنات حائرة » . وقبل الديوان كانت له محاولات في كتابة الشعر ، وهو بعد في المدرسة الابتدائية ، ونشره في مجلة « النشأة الاباظية » التي كان يصدرها شباب الاسرة الاباظية ، التي اشتهرت بحب الفن والفكر والادب .

فعندما صدم بوفاة زوجته ، شعر بالغربة والوحدة ، وكأنه فقد بعض نفسه . صار لا يرى الاشياء كما كان يراها من قبل .. اختلت العلاقات بينه وبين من يحيطون به ، وبين افكاره الخاصة بعضها وبعض .. ولكي يعيد الاتزان الى نفسه ، لملم خواطره الموزعة المشتتة ، وركزها في الابداع الفني ، يبحث فيه عن رفيقه عمره التي فقدها

.. هذا البحث الداخلى عن المحبوبة الراحلة هو القوة اللاشعورية ، وراء اعماله الفنية ، وهو خطوة البداية فى اتجاه الخلق الفنى عند عزيز اباظة .

الشاعر الحقيقى يخلق نفسه خلقا جديدا ، واحدى فضائل الفن الكبرى انها تجعل الرجل يتسامى ويشفى فى فنه ، فيتناسى احزانه الخاصة ، ويتحول من الاثرة الى الايثار ..

والرجل السعيد حقا فى غير حاجة الى الكتابة .

جميع الكتاب تقريبا لم يكونوا سعداء .. وكان الفن بالنسبة لهم تعويضا عما يشعرون به من نقص وغربة ، وثورة على الواقع الانسانى ، وحاجة ملحة الى التعبير عن المختزن فى اللاشعور .

وعزيز اباظة : كان مرهف الحس ، مشبوب الحب ، والمسرح هو فن التعبير عن العواطف البشرية ، فكانت عواطفه الجياشة مدخله الى النجاح .

وقد تتلمذ على شوقى فارشده ، وعلى حافظ فشجعه . وكان الشاعران الكبيران يزوران الاسرة الاباظية كثيرا ، فكتب محاولات كثيرة ، وطواها ، لانه آمن ان شوقى لم يترك من بعده الا فتات مائدة — وهذا تعبير عزيز اباظة نفسه ، وكم فيه من صدق !

وسليقته الشاعرية جعلته يلتفت الى الشعر من سن باكرة ، والشعراء يجالسونه ، ويقدمون اليه القدوة والاسوة ، فلا عجب ان يتجه الى الشعر يعبر به عن خوالجه ، ويلقى القصائد فى المناسبات العائلية ، منافسا فكرى اباظة وعبد الله فكرى اباظة . وكان مثله الاعلى قمة العصر شوقى . وقد يكون اتجاهه الى المسرح مجاراة لشوقى ، واعجابا به .

وفى يوم جلس فى المسرح مع شوقى يشاهدان « مجنون ليلى » فسأله عزيز اباظة لماذا لم يختر « قيس ولبنى » التى تحتوى صراعا دراميا اقوى مما فى المجنون ؟ واستمر السؤال يلح عليه حتى كتب « قيس ولبنى » واستوفى فيها عنصر الصراع الدرامى الذى لم يستوفه شوقى فى مسرحيته .

وعبقرية عزيز عبقرية مركبة ، فيها الشاعرية ، وتذوق جمال الكلمة ، والذوق الراقى ، وانتقاء الحدث الدرامى ، وخلق المواقف التى تتصاعد بالحدث ، وتكشف عن خوالج الشخصيات وصراعاتها . بل ان عبقريته تحتوى ايضا القدرة على التمثيل المسرحى ، فقد اشترك مع فريق تمثيل الاسرة الاباظية ، ومثل بعض الادوار ، وكان يحضر تجارب تمثيل مسرحياته ، ويبدى ملاحظات يقدرها الممثلون والمخرجون .

والمؤلف المسرحى يختلف عن المؤلف القصصى .

المؤلف القصصى حر الخيال ، فسيح المجال ، بشرط ان يمتع الناس بكتاباته ، اما كاتب المسرح فهو محروم من هذه الحرية ، خاضع لقواعد ثابتة ، فهو مطالب بان يشد اليه النظارة ، وان يعمد الى التركيز ويتفادى الاسهاب ، وان ينطوى حواره على الصدق ، وان يعمل فى مساحة صغيرة من الزمان والمكان .

والمتعة التى نتذوقها فى المسرح تختلف عن متعتنا فى السينما .

المتعة المسرحية ثقافة انسانية ، فرؤية الممثلين شخصيا ، وتعبيرات وجوههم ، وحرارة حياتهم ، شىء آخر غير رؤية صور السينما المتتابعة ، وفى المسرح نستشرف نصا ادبيا ، على عكس الفيلم الذى لا يحتمل النصوص ، فمشاهد التاريخ ، ومآسيه الكبرى ، تعبرها السينما عبورا ، اما المسرح فهو يعالجها معالجة صريحة كاملة . المسرح يجمع التاريخ ، والانسانية ، والفن ، والشعر ، فهو احدى الصور الرفيعة لنهضتنا الادبية ، وحضارتنا الراهنة . ويجب ان نهتم به ، وان نجتلب حوله العرب من كل مكان ، بشكل يوازى مسارحنا الشعبية الناطقة بالعامية ، والتى لا يفهمها ولا يسيغها الا المصريون ، لان لكل شعب من الشعوب العربية

لغته الدارجة التي لا يفهمها سواه .

وكانت ملكة عزيز اباظة المسرحية تتجلى حتى في قصائده التي يلقيها في المحافل : فهو يستقصي المواقف والمناظر بالوصف الدقيق ، ثم ينتقل منها الى سواها دون أن تفقد القصيدة وحدتها وتماسكها . وكان ذوقه الرفيع في انتقاء الالفاظ المطابقة للمعنى جزءا صميما من عبقريته .

وبفضل عبقريته المركبة ، لم يقتصر على نوع بعينه من الشعر ، فقد كتب قصائد الرثاء ، والغزل ، والوصف ، والمدح .. ومسرحيات تاريخية عديدة، ومسرحيات لا تعتمد على التاريخ ، ونظم السيرة النبوية شعرا ملبارتيقا.

وشعره صورة من نفسه ، لذلك يتميز بالفطنة ، ورهافة الاحساس ، وسعة الخيال ، والاسلوب الموشى ، واللفظ الرقيق ، وكثيرا ما تحدث عن الحياء والحلم والوقار ، لانها كانت من ابرز صفاته .

وكان يغذي شاعريته بكثرة قراءة الاشعار : قرأ البحتري والشريف الرضي ومهيار الديلمي ، والمتنبي ، وابا تمام، وقرأ « الاغاني » ، وكتب التاريخ ، وقام بالرحلات الكثيرة لا سيما الى الاندلس ، التي شغف بها ، حتى اوحت اليه بمسرحية « غروب الاندلس » التي تعتبر من روائعه .

وبحثه اللاشعوري عن حبيبته الضائعة ، صبغ شعره بحنين جارف الى المرأة . اسمع اليه وهو يعتذر عن اشواقه الى الحب ، التي لا ترتوي :

كلما غازله داعي الصبا
فصبا ، هب حياء فنهاه
وبنيات تخطرن على
رونق العمر وموشى صباه
قلن : ما خطب ابينا بعدما
هصرت بين تراميه مناه
فبكاها وبكاها ومضى
مثلا يضرب في العمر وفاه
يا بنياتي انا القلب صبا
وهن العزم، وخارت قدماه
فاذا هو ثب في صبوته
لج فيها .. هكذا الله براه
ويح هذا القلب كم جرعه
عنت الدهر شقاء ، وسقاه
جف حتى سلسل الله له
عفوه السمح ومخضل رضاه

لقد وجد عزاءه في الشعر ، والفن ، وهما فضل الله الذي انقذه من لوعته واساه . ويقول في قصيدة « يوم ميلادي » من ديوان « تسابيح قلب » :

من خالق فقد انه خلق الردى
حوليه يخطر هابطا او صاعدا
ويبيت يثني نفسه ، لا سائلا
يرجى ولا تحت الصفائح راقدا
هو كالغريب القائم بين معالم
جهلوه ، فاعتدوه كمالقدا

والجهد الذي بذله كان ضخما متصلا ، لا يتحمله الا الفنان الصادق الهمة والارادة والعزم والتصميم . وهذه البواعث مكنته من الصمود الجسمي ، ومقاومة الضعف والوهن ، وتخطي الذبحة الصدرية التي اصابت قلبه سنة ٥٨ ، وزودته برؤية ممتدة للعمل والانتاج، حالت بينه وبين اليأس والتراخي ، الى آخر لحظة في حياته .

ولا يؤخذ على « عزيز اباظة » انه اختار موضوعات تاريخية بعيدة عن اللون المحلي ، وباسلوب يعلو على مستوى القراء والشاهدين ..

« راسين » ايضا في فرنسا صور بالشعر مآسي الاغريق وابطالهم ، ولم ينكر عليه احد خلو مسرحياته من اللون المحلي . فعندما يكون الموضوع عاليا رفيعا ، يقوم على تحليل نفوس ممتازة وتصوير عواطف انسانية سامية مشتركة ، يحق للمؤلف ان يكتب مسرحياته بالاسلوب الشعري البليغ ، ولا نطلب منه ان يتدنى الى عقول العوام ليفهموه ، بل نطلب من انفسنا ان نرتفع الى سمائه .

—

ويكفيه فخرا ما اشاع في نفوسنا من صدق ، وسمو ، وجمال .

عزيز أباظة سيرة وتحية

● مصطفى الشوابى ●

دوت الزغاريد صباح يوم ٣ اغسطس سنة ١٨٦٩ فى انحاء قرية « الربعماية » من قرى ريف مصر الجميل ـ ابتهاجا بمولد الطفل « محمد عزيز » لوالده المرحوم محمد عثمان اباظة ، عمدة « الربعماية » احدى قرى مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية ، والذى كان عضوا فى مجلس شورى القوانين وفى الجمعية التشريعية ثم فى مجلس النواب سنة ١٩٢٥ .

وكان « لعزيز » عدد كبير من الاعمام والاقارب فى قريته وفى القرى المجاورة لها ، وقد ساهم بعضهم فى الحياة السياسية وفى طليعة هؤلاء المغفور له اسماعيل باشا اباظة حامل لواء المعارضة لتجديد مدة امتياز شركة قناة السويس ، كما تولى بعضهم مناصب ادارية مرموقة كان من بين هؤلاء افراد ولعوا بالشعر وروايته وصحبة الشعراء والكتاب

ولما شب عزيز من الطوق التحق بكتاب القرية ثم غادر القرية الى القاهرة حيث اقام مع اعمام له وبالقاهرة تلقى تعليمه الابتدائى بمدرسة الناصرية والثانوى بمدرسة التوفيقية ثم بالسعيدية .

وانتهى به المطاف فى ميدان التعليم الى مدرسة الحقوق حيث تخرج عام ١٩٢٣

● وقد اتاحت له الظروف العائلية ، بعد قدومه الى القاهرة ـ أن يعرف العديد من الكتاب والشعراء والادباء ، الذين كانوا يتحلقون فى بيت اعمامه ، ومن هؤلاء المغفور لهم حافظ ابراهيم ومحمد السباعى وعبد العزيز البشرى وغيرهم ، فكان يحضر اجتماعاتهم ويستمع الى احاديثهم ومناقشاتهم وما يتبادلونه من اراء فى الشعر والادب والكتب الحديثة .

وقد استفاد عزيز من وجود هؤلاء ، فكان يقرأ على بعضهم ما استطاع من امهات كتب الادب ، فقرأ على البشرى جانبا من اشهر كتب الجاحظ وقرأ على حافظ ابراهيم ديوان الحماسة لابى تمام وديوان البحترى

● واتاحت له الظروف الاتصال بشوقى لسكناه الى جوار احد اقاربه ، وكان يعرض عليه ما تجود به قريحته فكان شوقى ينقد ويصحح ويشجعه على المثابرة على الكتابة ، وكان شوقى اكثر الشعراء تأثيرا فى حياته اذ صحبه عزيز صحبة التلميذ للاستاذ ثم اصبح قارئا لمسرحياته وشعره مرارا .

اول ما قال من الشعر :

وكان عمره عندما نظم اول شعر له ، عشر سنوات ، فقد اهداه ابوه « قاربا » فبعث اليه يشكره بهذين البيتين :

انى لاشكر والدى ...
واعــزه واجــلـه
فقد اشترى لى قاربا
ما فى البرية مثــله !

وعرف عزيز الحب فقد احب ابنة عمه حبا جما وكان اغلب شعره موجها اليها ، وشب المحبان وتزوجا وانجبا .

وتوالت خطوات عزيز بعد تخرجه فى كلية الحقوق ، فعمل بالمحاماة ، ثم التحق بالنيابة العمومية ، واخيرا رشح نفسه لعضوية مجلس النواب وفاز بها ، ثم حل المجلس فعمل مفتشا فى مصلحة التجارة والصناعة وانتخب مرة اخرى فى مجلس النواب وظل عضوا به حتى عام ١٩٣٤ .

ثم عمل مفتشا بوزارة الداخلية ، فمديرا لمصلحة تحقيق الشخصية فوكيلا لمديرية البحيرة فالجيزة ثم انتخب عضوا للنواب عام ١٩٣٦ وبعدئذ



عزيز اباظة

عين مديرا للقليوبية فالفيوم فالمنيـــا فاسيوط .

وفى أواخر عام ١٩٤٦ استقال من العمل بالحكومة لاختياره عضوا بمجلس الشيوخ ، ثم اتجه الى النـــواحى الاقتصـــادية فكان عضوا فى مجالس ادارات عدة شركات كبيرة ، كما اختير عضوا بمجمع اللغة العربية سنة١٩٥٩، وكان كذلك رئيسا للجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب وقد عرف عنه رفضه للشعر الخالى من الوزن والنظم .

● وظل عزيز يقرض الشعر وينشر بعضه حتى فكر فى كتابة المسرحيات، وكانت اول محاولة هى مسرحية«قيس ولبنى » التى اتمها ولكنه لم ينشرها بل اخذ ينقح فيها ويغير .

وفى عـام ١٩٤٢ فجع عزيز بوفاة قرينته التى احبها حبـا جما فاحس الشاعر انه قد اصيب بكارثة اصابت كيانه فى الصميم ، وكان شعره خير عزاء له ، فاخذ يوقع الحان نفســه ونغماتها فى قصائد عدة جمعها كتاب «انات حائرة » وهو ديــوان فريد فى الشعر العربى وظاهرة جديدة فيه ..

وعاد عزيز لاستكمال مسرحيتـــه « قيس ولبنى » ثم بدات مسرحيـــاته الاخرى فى الظهور واحدة تلو الاخرى.

وعزيز اول من كتب المسرحيـــة الشعرية بعد امير الشعراء احمد شوقى وتعتبر مسرحياته من الشكل والدراما المسرحية اكمل المسرحيات الشعرية ، وهو صاحب الفضل الاول فى توطيـد اركان هذا الفن الادبى فى ادبنا العربى الحديث .

وقد رشح عزيز اباظة لجائزة الدولة التقديرية اكثر من مرة وظفر بها عـام ١٩٦٥ ، وقد جاء فى خطاب الترشيح ، الذى قدمته لجان الشعر والنثر والترجمة بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب وجامعة القاهرة ومجمع اللغة العربية واتحاد جمعيات الادباء ، جاء ما ياتى :

« أن الشاعر عزيز اباظة يستحق نيـل جائزة الدولة التقـديرية لانه « يمتاز فى انتاجه الادبى بما وفق اليه من الخلق الفنى ، فالى جانب ماانتجه من الشعر الغنائى الرفيع وفى طليعتـه ديوانه « انات حائرة » .. من مؤلفاته :

١ ـ ديوان « انات حائرة » وقـد صدر عام ١٩٤٣

٢ ـ مسرحيـة « قيس ولبنى » وصدرت اواخر عام ١٩٤٣

٣ ـ مسرحية « العباسة » وصدرت عام ١٩٤٧

٤ ـ مسرحية «شـجرة الدر » صدرت عام ١٩٥١

٦ ـ مسرحية « غروب الاندلس » وصدرت عام ١٩٥٩

٧ ـ مسرحية « شهريار » وصدرت عام ١٩٥٤

٨ ـ مسرحية « اوراق الخريف » وصدرت عام ١٩٥٧

٩ ـ مسرحية « قافلة النـور » وصدرت عام ١٩٥٩

١٠ ـ مسرحية « زهرة » وصدرت عام ١٩٦٨

١١ ـ مسرحية «قيصر » وصدرت عام ١٩٦١

وكان ختام كتبه قبل وفاته « من اشراقات السيرة النبوية » وفيها يحكى حياة النبى صلى الله عليه وسلم من قبل مولده وحتى وفاته .

كان عزيز قد سافر الى الكويت قبل وفاته فى ١٠ يوليو سنة ١٩٧٣ بنحو شهر ونصف وهناك سجل بصوته للاذاعة قراءات من كتابه « من اشراقات السيرة النبوية » ، لم دهمتـه ازمة قلبية ادخلته المستشفى عدة ايام ثم عاد الى القاهرة ولبث بها حتى انتقل الى رحمة مولاه .

ناس وصور
وحكايات

منتهى سوء الحظ

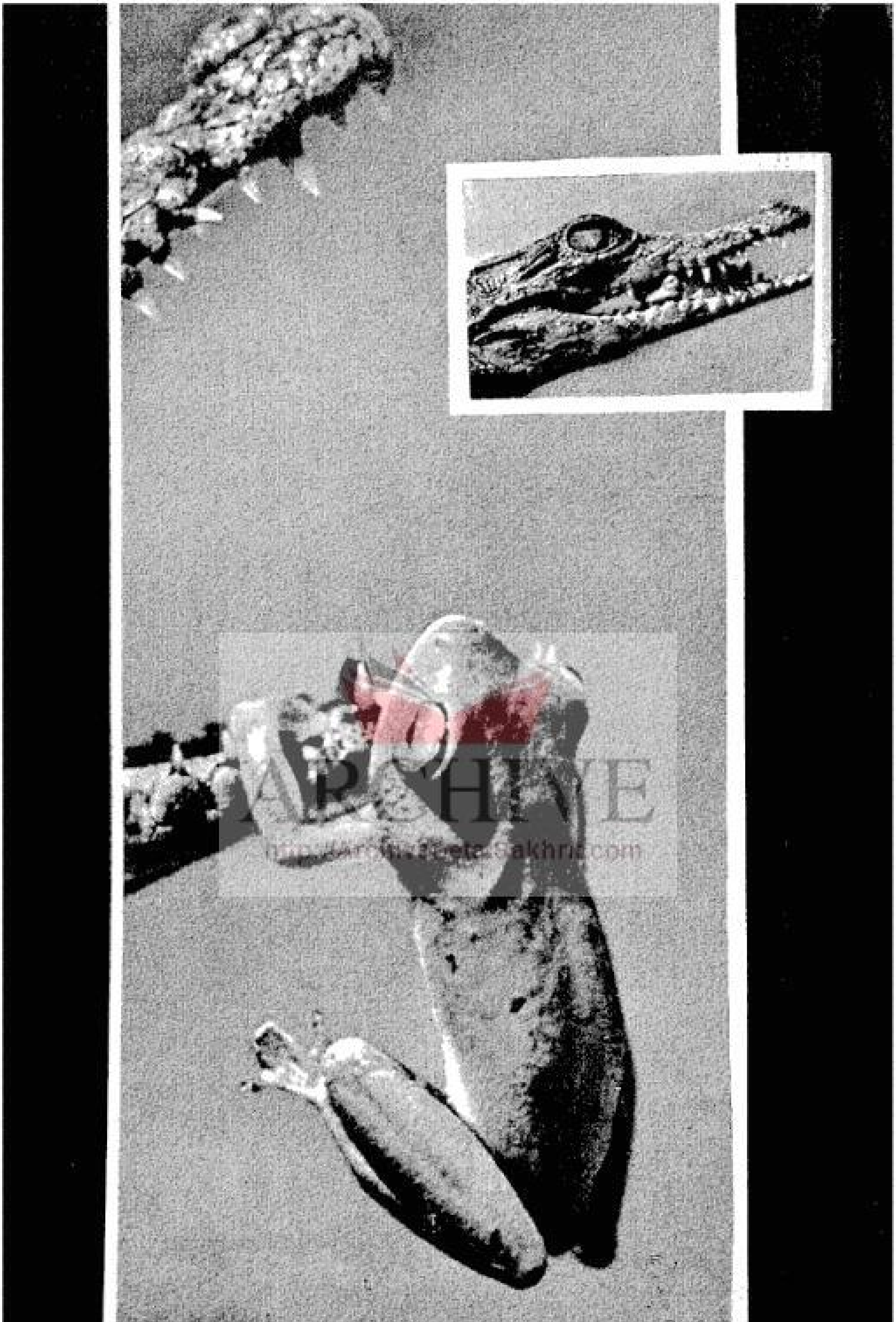
كانت الضفدع الصغيرة تلهو وتقفز فرحا من الماء الى شاطىء الغدير ، ومن شاطىء الغدير الى الماء .

وفى ذات مرة رأت جذع شجرة مطلا على الماء ، فقفزت من الشاطىء لتتعلق به . .

وتعلقت به فعلا ، ولكن يا للهول ! لم يكن جذع شجرة ، انما كان الفك الاسفل لتمساح . .

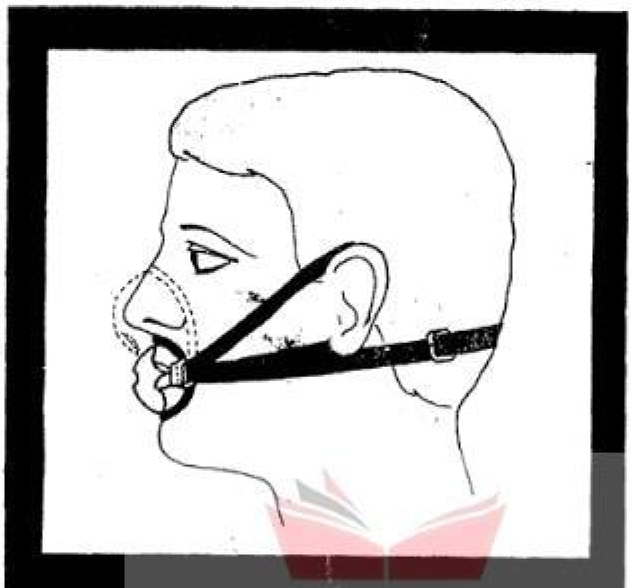
وقبل أن تفكر المسكينة فى المصيبة التى وقعت فيها كان التمساح قد اغلق فمه ليستمتع بهذه اللقمة اللذيذة التى ساقها القدر الى حتفها بين فكيه .

حقا ان الاعمار بيد الله ، فهذه الضفدع المسكينة قضت أربعة شهور لتصل الى هذا الحجم وكان امامها بعد ذلك نحو خمس سنوات من الحياة السعيدة الحافلة بالمغامرات والاولاد ، فيريد لها القدر وهى فى زهرة العمر أن تقفز بنفسها الى الموت !



ناس.. وصور.. وحكايات

هل هناك علاج للشخير ؟!





الغطيط شيء مزعج حقا ..

فان الغارق فى النوم الذى يرسل الاصوات المزعجة ينعم بنوم عميق ، ولكن الذين الى جواره يعانون ..

وهناك زوجات وازواج يعانون من غطيط الزوج او الزوجة وهـذه ـ فى الصورة ـ احداهن تكاد تجن لانها لا تستطيع ان تنام ..

وقد لوحظ ان الغطيط لا يسمع او يشتهر الا اذا كان النائم مستلقيا على ظهره فتتدلى فى بداية القصبة الهوائية دوال تضيق ممر الهواء فيحدث هذا الصوت .

ولهذا يكفى احيانا ان يوقظ النائم ويطلب اليه ان ينام على جنبه .

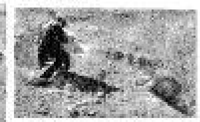
وقد درس بعض العلماء مسألة الغطيط واخترعوا اجهزة مختلفة يلبسها المصابون بداء الغطيط : الاول يركب على الفم : يدخل منه الهواء ولا يخرج ، فيضطر النائم الى اخراج الزفير عن طريق الانف وينقطع الغطيط .

والثانى عبارة عن مسند للذقن . لا يسمح للراس بأن يميل على الصدر والقصبة الهوائية بدرجة تعوق سير الهواء فينقطع الغطيط ..







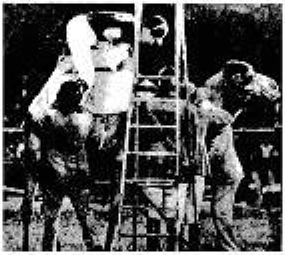


الموت للخونة

في افغانستان تدور معركة الحياة والموت .
شعب باسل يقف وحده تقريبا أمام أعتى قوى الأرض . ما أكثر ما نتحدث عن افغانستان . ولكن ما أقل ما نقدم للمجاهدين في ذلك البلد الإسلامي الحر ..
انهم هناك يخوضون معركتهم وحدهم . وكل ما يحصلون عليه من العون هو . السلاح . فالمجاهدون يتجاوزون الحدود هربا من السوفييت لكي يتسلحوا ويعودوا للحرب من جديد .

هذا الصراع الذي لابد أن ينتهي بهزيمة الروس يضطر بعض الرجال أحيانا ويطيعون أوامر العدو الشيوعي الكافر .. ثم يقعون في أيدي الثوار فيحاكمونهم بالإعدام وينفذ الحكم في الحال .
الصور عن هاتين الصفحتين أبلغ من كل مقال . اثنان من الخونة وقعا في أيدي الأحرار . وصدر الحكم بإعدامهما . في الصورة الأولى - أعلى اليمين - ضابط الأحرار يحكي الخبر للصحفيين والمصورين . في الثانية تحتها الاثنان يقفان مكتوفي الأيدي أمام الجنود الذين سيقومون بتنفيذ العقوبة . وفي الصورة الثالثة (الكبيرة الى اليسار) واحد من الخونة لقي جزاءه وفي الصورة الأخيرة النهر الثوار من أمر العالمين .





يركب الجمل بسلم ..!

لو رأى عربي بدوي هذا المنظر لأغرق في الضحك .. انه منظر الأمير شارلس ولي عهد بريطانيا يركب جملا ، ولكي يستطيع أن يصل الى ظهر الجمل ويمتطيه وضعوا له سلما صعد عليه واقتعد صهوة الجمل !

ان البدو اذكى من سمو الأمير ! انهم يركبون الجمل وهو قاعد لم ينهض بهم ..

أمل كبير لمرضى الكلى

كلية صناعية .. غسالة دم "نقالى" صغيرة وقليلة التكاليف ... وثمنها معقول

● الكلية الصناعية اختراع شائع معروف .

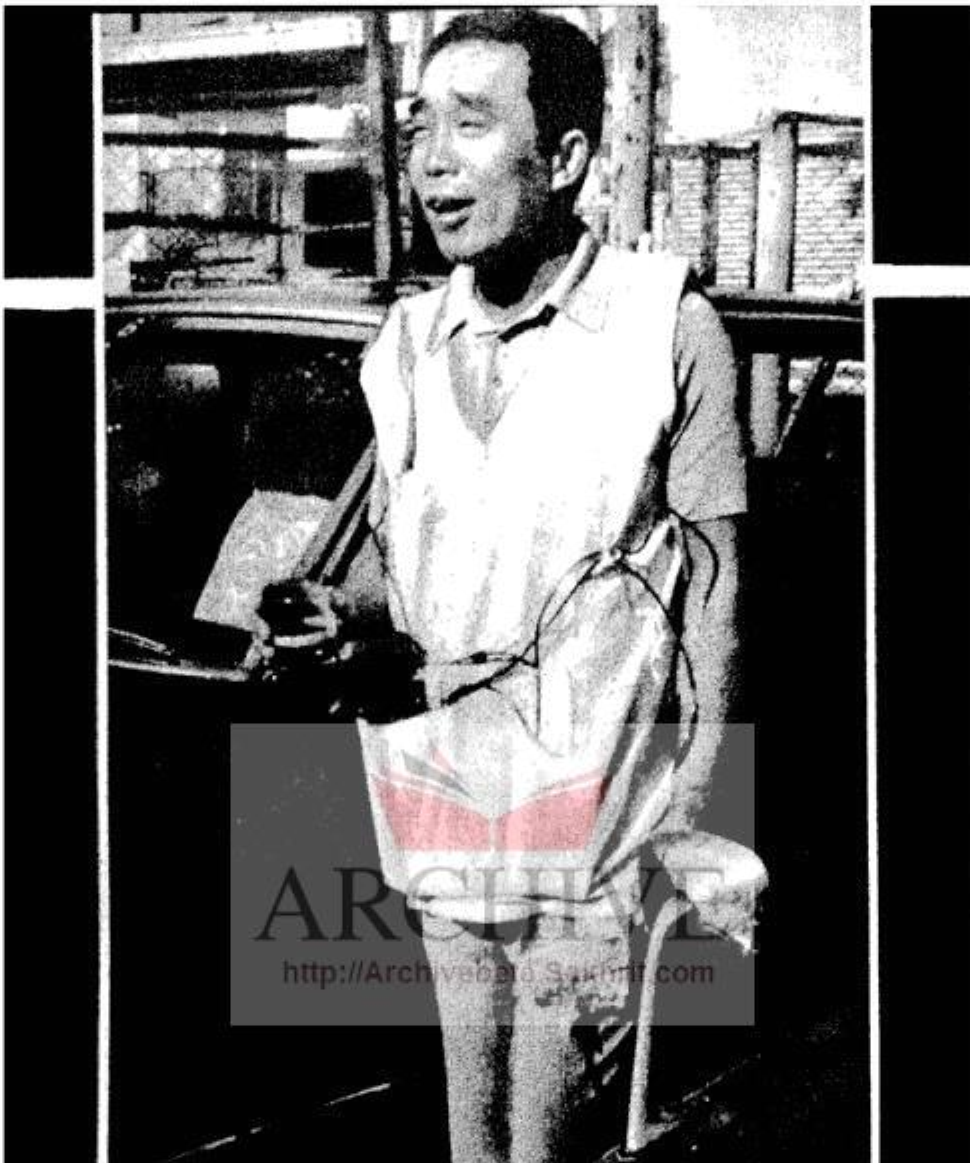
وهي عبارة عن جهاز ضخم فيه موتور كهربائى واوعية توضع فيها محاليل كيميائية تمر فيها تيارات كهربائية ، وتوضع ابرة او اكثر فى احد الاوردة والابرة متصلة بخرطوم ينقل الدم بواسطة طلمبة الى الاوعية ليمر الدم فى المحاليل التى تقوم بتنقيته واذابة المواد التى ينبغى أن يتخلص منها الجسم وكذلك الماء الزائد . ثم يخرج الدم نقيا ليعاد الى الجسم عن طريق ابرة اخرى توضع فى احد الشرايين .

والجهاز كبير معقد ، لان الدم ينبغى أن يمر في الخراطيم والاوعية مرة بعد مرة ، لان المواد السامة التى ينبغى تنقيته منها كثيرة ، وهى لا تخرج من الدم مرة واحدة ، بل فى كل مرة ينقى الدم بنسبة معينة ؛ ثم يمر مرة أخرى فى هذا الجهاز كله ومرة ثالثة وهكذا حتى تؤكد المؤشرات الكهربائية والكيمائية الى ان الدم قد تنقى تماما .

هنا تخرج الابر من مواضعها ، ويخرج المريض من الجهاز ليعود اليه بعد اسبوع أو ثلاثة أيام أو يومين بحسب درجة تعطل الكلى فى الحالات التى تكون الكلى فيها معطلة عن العمل تماما فيضطر المريض ان ينام على سرير الى جوار هذا الجهاز كل ثالث يوم ، ويقضى ثمان ساعات متوالية داخل الجهاز ، ثم يخرج منه ليعود بعد يومين .

وجدير بالذكر أن المريض فى هذه الحالة لا يتبول ابدا ؛ لان الكلى التى تصفى الدم وترسله الى المثانة متعطلة .

وعيوب الكلى الصناعية التى وصفناها كثيرة . أقلها هو الوقت الطويل الذى ينبغى أن يقضيه المريض فيها ، واخطرها هو ضرورة غسل الجهاز كله وكل قطعة



مريض يابانى كلوه معطلة عن العمل يستخدم واحدا من اجهزة غسل الدم الصغيرة .. انه يقوم بغسل دمه بنفسه فى العيادة حيث يقضى ساعة كل يوم فيضع الاجهزة الالكترونية فى جيب جاكتته وتوضع ابرة امتصاص الدم فى الوريد والابرة الاخرى فى شريان وعلى يساره ترى الحقيبة الحاوية للمواد الكيميائية والاجهزة الالكترونية الصغيرة التى تقوم بعمل الطلمبة . وفى يد المريض ساعة خاصة ترد نسبة تنقية دمه. وعندما يصل المؤشر الى رقم معين يوقف الاجهزة وينزع الابر وتتسلمها الممرضات ويمضى لشأنه .



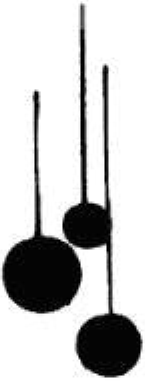
عمليه غسـل الدم وكيف تتم اليـوم • الاجهزة الضخمة الى جانب السرير، والابر توضع فى شرايينه واوردته ثم تدار الالة ويظل المريض هكذا من ساعتين الى ثماني ساعات كل يومين او ثلاثة بحسب درجة اصابته • والجهـاز يتكلف عشرات الالوف من الجنيهـات لانه يشغل غرفة كاملة •

فيه وتعقيمه تعقيما تاما كل مرة ... وهذا غير متيسر الا فى المستشفيات ذات المستوى العالى ، ولهذا السـبب نجد ان هنـاك مستشفيات خاصـة بالكلى الصناعية فى اوروبا وامريكا ، فى هذه العيادات تجد من عشر الى ثلاثين كلية صناعية ، وهى تنظف وتعقم وتغير كل موادها بانتظام ، ويشرف عليها اطبـاء وفنيون متخصصون وممرضـون على مستوى رفيع • ومن هنا فان التكاليف مرتفعة جدا • وكل شركات التامين الطبى على العمال ومحدودى الدخل فى الغرب تتقاضى معونات مالية وفنية كبرى من الدولة لتستطيع تقديم هـذه الخدمة الحيوية للمرضى الذين لا يسـتطيعون تحمل التكاليف •

***

ونتيجة للتقدم التكنولوجي العظيم فى اليابان ، ونتيجـة كذلك للاختراعات المتوالية فى مسائل الالكترونيات عكف نفر من علماء اليابان على دراسة تركيب هذه الاجهزة الغبية الضـخمة وأخذوا يجربون أن يصنعوا أجهزة أبسط وأصغر للقيام بعملية غسل هذه دون أن يضطر المريض الى الرقاد فى السرير سـاعات كل فترة معينة حتى تتم تنقية دمه •

وكما تم عمل الترانزيستور الصـغير ليحل محل جهاز الراديو الضخم القديم أمكن اخيرا بواسطة اسـتخدام الدوائر الكهربائيـة المقفلة او ما يسـمى فى المصطلح العلمى باسم Claced circuits او C.C أمكن عمل جهاز صـغير لغسل الدم بصـورة مسـتمرة يحمله المريض معه ويسير ويتنقل به فى البيت او المكتب ، وتستمر عملية غسل الدم ساعتين او ثلاث كل يوم والمريض يعمل او يقرأ او يتمشى فى الغرفة •





بعض الاجهزة الالكترونية الصغيرة تستخدمها غسالة الدم او الكلية الصناعية الجديدة · ان تكاليفها معقولة ونفقات اصلاحها قليلة ، واستعمالها لا يمنع المريض من العمل او التمشي ، والعملية تتم يوميا ، فيقضي المريض ساعة او ساعة ونصفا ثم يمضي الى عمله ·

لان الدوائر المقفلة تكفي في تشغيلها البطاريات الصغيرة ·

***

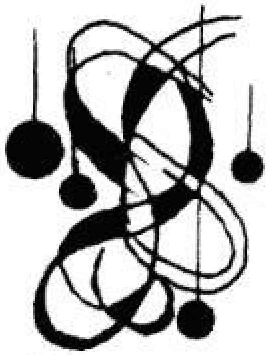
وقد صنع اليابانيون جاكتة خاصة يلبسها المريض فوق ملابسه ، وفي جيب واسع في الصدر توضع الاجهزة الالكترونية التي تقوم بعمليات الطلمبة الكبيرة ، وبعض هذه الاجهزة يقوم باكسدة بعض المواد السامة وتحترق وتصفى في الحال ، اما المحاليل الكثيرة فتوضع في حقيبة صغيرة تسير على عجلات ويدفعها المريض معه اذا سار او يتمشى الى جانبها ·

وقد جربت هذه الاجهزة الصغيرة مرة بعد اخرى ونقلها علماء يابانيون الى المانيا حيث فحصت وجربت وتبين انها تقوم بالفعل بعملها كاملا ·

وتقوم المصانع اليابانية اليوم باتتاج هذه الاجهزة على نطاق واسع · وهناك مرضى كثيرون يشترونها وآخرون يؤجرونها ، وهي تقوم اليوم بالعمل بصورة ادق مما تقوم به الاجهزة الكبيرة ويتلقى المرضى الذين يشترون الاجهزة دروسا في كيفية استعمالها وتنظيفها وتعقيمها وكذلك في اصلاح اي عطل في الاجزاء الصغيرة التي يتكون منها الجهاز ·

هذه بشرى نزفها الى مرضى الكلى في العالم العربي فان الجمعيات الطبية في اليابان لديها المعلومات الوافية عن هذه الاجهزة ، ومن الممكن ان يتصل من يعنيهم الامر بهذه الجمعيات او شركات الادوات الطبية للحصول على المعلومات الضرورية لاستقدام هذه الاجهزة الى بلادنا حيث يكثر مرضى الكلى وتمس حاجتهم الى مثل هذه الاجهزة ·

● د · ح · م ●



رحلة حياة وتربية وعلم نفس

مع الدكتور عبد العزيز القوصى

● حوار أجراه : عادل عبد الصمد ●

عن التجربة العريضة والخصبة في حياته الحافلة كفاحا ونجاحا يحدثني الأستاذ الدكتور عبد العزيز القوصى ـ فيقول :

منذ النشأة الأولى ، وجدت نفسي في بيئة لها أصول تربوية وعلمية غرزت في نفسي كل القيم والعادات التي تميزت بها الشخصية المصرية ..

كان أبي مدرس لغة عربية بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية باسيوط حيث كانت اسرتي تقيم .. وكان مدرسا من الطراز الأول ، وخطاطا وشاعرا .. وكان يجمع بين الحزم والشدة مع اللين والعطف الابوى ، وبذلك كانت رعايته العلمية لاولاده جميعا تنبع من قيم اصيلة فكان دقيقا جدا في امور التعليم والمسائل الخلقية واحترام الكبار والتقاليد والعادات التي كانت منتشرة في تلك الأيام ..

وهنا أروى ثلاثة مواقف مع الأب اليقظ لشعور أولاده ـ مما ترك في نفسي تأثيرا كبيرا على حياتي فيما بعد .

أولا : ذهب أبي لصلاة الجمعة ، وعندما رجع من الصلاة وجدني في المنزل فسألني هل أديت صلاة الجمعة ؟ .. فارتعشت وخفت من الضرب ، ولكني تماسكت وقلت : « لا .. » فقال « لماذا » .. وانت تعلم ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ..

فقلت له انى أعرف جارا لنا يصلى الأوقات كلها في ميعادها ، ولكن يشاع عنه انه يشرب الخمر ، فلم تنهه الصلاة عن الفحشاء والمنكر .

ودهش أبي للاجابة ، وربت على كتفي وقال : « طالما أنت تفكر بنفس المستوى ، فانت مسئول عن نفسك من اليوم .. »

● ثانيا : كان مقررا علينا في المدرسة الابتدائية ، وهي الجمعية الخيرية الاسلامية تفسير جزء عام للشيخ محمد عبده وكان عندي ١١ عاما في ذلك الوقت وكان أبي هو الذي سيمتحن تلاميذ الفصل الذي أنا تلميذ فيه ، فكان لي غاية الاحراج من ذلك ، ولكنه تصرف بكياسة وذكاء ..

سأل كل تلميذ سؤالا أو سؤالين ، وعندما جاء دوري طلب من التلاميذ أن يوجه كل تلميذ منهم سؤالا لي .

وهكذا أجبت على عشرين سؤالا بتلك الطريقة .. وطلب من التلاميذ أن يقرروا بعد ذلك الدرجة التي استحقها . وفعلا قرروا انني استحق الدرجة النهائية !

● ثالثا : في المدرسة الثانوية في أسيوط كان مدرس اللغة الانجليزية انجليزي الاصل ، وفي اثناء المناقشة ذات يوم وجه الينا هذا السؤال: ما اسعد يوم في حياة كل واحد منكم ؟

فاجبت على السؤال بقولي : عندما تستقل مصر استقلالا تاما ..

فطردني من الفصل ، ثم أعادني مرة أخرى ، وكرر نفس السؤال .. ولكنني كررت نفس الاجابة ! ..

فطردني ، وابلغ الناظر بمعاقبتي حيث كنا في القسم الداخلي ، فقد تقرر ان آكل « العيش الحاف فقط » وبلغ ابي بذلك ، ولكنه لم يغضب ، بل سر من ذلك الموقف الشجاع ..

❁❁❁

وبداية التعليم بالنسبة لي كانت كعادة ابناء القرى ــ في كتاب الشيخ عويس ، قريب من مسجد سيدي جلال بأسيوط . وفي مدة ثلاث سنوات بالكتاب حفظت أربعة اجزاء من القرآن الكريم علاوة على اني تعلمت القراءة والكتابة والحساب .

وفي سن السابعة دخلت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية في اسيوط والدراسة بها خمس سنوات ، وانهيتها بتفوق ، وانتقلت بعد ذلك في نفس المدرسة الى اولى ثانوي وهنا يتحكم القدر لرسم خط حياتي في طريقة تعليمي فيخيرني أبي بين طريقين .

أولا : انه من الممكن ادخل امتحان الابتدائية من منازلهم ، وبذلك استطيع ان ادخل المدرسة الثانوية مجانا .

ثانيا : من الممكن ان انتقل الى ثانية ثانوي في الجمعية الخيرية ، واحصل على الكفاءة وبذلك ينتهي تعليمي عند هذا الحد لانه ليس في استطاعة أبي ان يكمل تعليمي .

وبذلك أخذت بالاقتراح الأول وأديت امتحان الابتدائية وحصلت على أكبر مجموع في ذلك الوقت ، ثم تقدمت للمدرسة الثانوية فقبلت مجانا ، حيث كتبت تعهدا على نفسي انه بعد الانتهاء من الثانوية العامة أدخل مدرسة المعلمين العليا وأصبح معلما .

وعندما حصلت على البكالوريا ، كنت الأول على القطر المصري ، وعلى حسب التعهد السابق دخلت مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٤ ، وكان مقررا في ذلك الوقت لكل طالب جنيهان ، وبذلك حصلت على الجنيهين ، بالاضافة الى ثلاثة جنيهات مصروف من والدي ، وكان هذا المبلغ خمسة جنيهات ــ مصروفي الشهري أنا وأخي الذي كان يدرس بكلية الطب .

❁❁❁

يرجع سفري الى الخارج في بعثة علمية ، الى حكاية طريفة .. فقد اشيع ان الذي سيسافر في تلك البعثة هو الاستاذ أحمد زكي محمد ، وكان مدرسا في دار العلوم وسبقنا بسنة ولكن كان من المقرر أن أكون أنا المرشح لتلك البعثة لتفوقي وهذا التفوق والثقة بالله وبنفسي ــ دفعني الى أن أذهب الى ادارة

البعثات لاناقش السيد ابراهيم رمزى المسئول عن الترشيحات .

قلت له انه من المفروض أن أكون أنا الذى سيقع عليه الاختيار فى تلك البعثة لانى حصلت على المركز الاول فى امتحان الدبلوم وهذا من حقى وقد سمعت أن أحمد زكى وقع عليه الاختيار بدلا منى لأن والده يشغل مركزا كبيرا فى الوزارة

فقال لى ابراهيم رمزى اطمئن انك ستسافر فى تلك البعثة ، وفعلا قد سافرت مع أحمد زكى على باخرة واحدة من شامبليون الى انجلترا - وكنا فى غاية الصداقة والاخوة الحقة الى أن توفى من بضع سنوات - رحمه الله .

قبلتنا جامعة برمنجهان لندرس بها ، وهناك أعفينا من سنة دراسية كاملة نظير دراستنا أربع سنوات المعلمين ، وبذلك وفى هذه الجامعة درسنا علم النفس بكل فروعه المختلفة والفلسفة والطبيعة والرياضيات .

حصلنا على البكالوريوس سنة ١٩٣١ وفى هذه السنة كان لابد لنا من عمل دراسة للماجستير وتأدية امتحان صعب جدا فى علم النفس .

واتذكر انه فى امتحان الماجستير كان مطلوب الاجابة على اربعة اسئلة ولكن الوقت لم يسعفني فاجبت على سؤالين وكتبت فى ورقة الاجابة انقضى الوقت فى اجابة سؤالين ، ولكن لو كان عندى وقت لاجبت على باقى الاسئلة بالطريقة الاتية .. : وكتبت ملخصا لتلك الاجابة .. ادهشني بعد ذلك ان الاستاذ اعطانى ٩٥٪ مقابل انه تأكد انى متمكن من الموضوع وقال لابد ان اعطيك حقك ..

وبالنسبة للرسالة كان على الطالب ان يقدم الموضوع الذى سيبدأ فيه للمشرف ، فقدمت ٤٥ موضوعا ... فدهش الاستاذ من ذلك وكان من موضوعاتي موضوع عن علم الفروق بين الجنسين البنين والبنات فى بعض القدرات العقلية .

ثم قدم لى المشرف بحثا قد ظهر فى امريكا يرتبط بهذا الموضوع يقع فى حوالى ٤٠٠ صفحة ، فاستفدت منه ، ثم اضفت عليه بعض الاختبارات الجديدة ، واعتمدت على نفسى اعتمادا كاملا ، وبدأت فى عمل التجارب العلمية على دراستي ..

وكان المشرف مشغولا جدا لدرجة انه لم يقابلنى الا مرة واحدة فى السنة ، وسألنى عن الرسالة فاخبرته بانى كتبتها وقدمتها للمسجل فى الكلية .

وفى نفس الوقت علمت بانى رشحت أن استعد للدكتوراه بعد الماجستير مباشرة .

ثم بدأت بعد ذلك فى خطوات الدكتوراه وقابلت استاذ علم النفس فى جامعة لندن ، وابلغته بانى أريد أن اسجل عندهم موضوع « القدرة الميكانيكية » فدهش لذلك ، وبدأ فى مناقشتى كيف توصلت الى تحديد بحث بهذه الطريقة وبعد المناقشة سمح لى بعمل البحث ، فاكتشفت لاول مرة فى تاريخ علم النفس وجود قدرة خاصة للتعامل بالعلاقات المكانية وعندما انتهيت من هذا البحث طبعته جمعية علم النفس بانجلترا .

ومع ان البحث فى ٧٠ صفحة الا ان قيمته العلمية تفوق المجلدات وبه أصبح اسم القوصى مشهورا .

وفى هذا البحث تعرضت لنظرية جديدة وهى أن كل عمل عقلى له ثلاثة

أبعاد ، بعد خاص بالشكل ، بعد خاص بالموضوع ، بعد خاص بالوظيفة العقلية.

بعد حصول على الدكتوراه رجعت الى مصر ، واشتغلت بمعهد التربية ، واخذت جدول التربية العملية لأنها تعطيني فرصة للذهاب الى المدارس والدخول في الميدان العمل والعملية التعليمية .

وهنا تأتي مرحلة جديدة وهي ان معهد التربية كانت ملحقة به مدرسة تدريبية ويديرها الاستاذ اسماعيل القباني الذي قال لي عندنا حالات كثيرة تحتاج لدراستها ولمعالجتها ، فبدأنا ننفذ فكرة انشاء العيادة النفسية ، وكان غرضنا نأخذ الحالات الخفيفة اولا ، مثل الكذب الذكاء المتأخر في الدراسة ، الشقاوة المشاغبة - فهي كلها حالات عادية يومية، ولم نقصد التعمق في الحالات الشاذة جدا .

تكونت العيادة من أطباء ونفسانيين واخصائيين اجتماعيين .

ومع هذا الطريق بدأنا ندرس الحالات المعروضة علينا ونجتمع كل اسبوع للمناقشة . وبالفعل تمكنا من اصلاح وعلاج عدد كبير من هذه الحالات المدرسية ، وبعد ذلك أخذت العيادة شكل أوسع ، وانتشرت واشتهرت ..
واصبح يعرض عليها حالات اكثر تعقيدا مثل المخاوف والسيكوباتية وطبعا تعبنا في هذه الحالات وأخذنا نغوص أكثر في الجوانب اللاشعورية والنفسية

وتفتح أمامنا مجال آخر،وهو استخدام علم النفس بطريقة تختلف عن علم النفس في ذلك الوقت،واجرينا بعض الاختبارات على الاطفال في اللغة والمحصول اللفظي ومن هنا نشأت بحوث جديدة القيت في محاضرات تحت عنوان « اللغة والفكر في « الاربعينات » ..
ولفت نظرنا أن الطفل في سن الخمس سنوات - لو ركز نظره على الحروف يستطيع أن يقرأ ..

ومع اهتمامي بالتعليم اكتشفت الطريقة الكلية ، وهي طريقة « شرشر » وفي هذا الوقت كان الدكتور حسين هيكل وزيرا وعمل لجنة اسمها تبسيط تدريس اللغة العربية ، مكونة من عبد العزيز القوصي ، وسعيد خضري - سمية فهمي - عزيزة السعيد - جاد المولى .

واخذنا نجرب هذه الطريقة الكلية على التلاميذ في المدارس ، وعملنا مقارنة بين فصلين على هذه الطريقة فاثبتت نجاحها في القراءة والفهم ، وأخذنا بعد ذلك في اعداد كتب تخص تلك الطريقة ، تضم الصورة وتحتها الشرح والاسماء .

ثم ارادت محاكم الاحداث الاستفادة من علم النفس ، وانتدبوني لدراسة الحالات الموجودة عندهم ..

وفي سنة ١٩٥٥ عينت مستشارا للتعليم في الوزارة ومكثت بالوزارة خمس سنوات وفي خريف سنة ١٩٦٠ تركت الوزارة الى باريس . حيث عينت سفيرا في منظمة اليونسكو كمندوب دائم .

وحفزني عملي كمندوب دائم في باريس وفي مكان يعج بالبحوث والدراسات الى نشاط مضاعف فقمت باتصالات كثيرة لهيئات علمية عديدة ومراكز ومعاهد ، وكان لي دور في أروقة اليونسكو لدرجة ان مدير اليونسكو كلفني بانشاء مركز تخطيط التعليم للدول العربية في بيروت واختارني مديرا له ، وقد أنشأت ذلك المركز من الصفر حتى أخذ دوره وفعاليته واتم رسالته بنجاح كبير ، واصبح يطلق على مركز بيروت مركز القوصي .

وبعد ثلاث سنوات أخذنا قطعة ارض

من الحكومة اللبنانية ، واقيم عليها بناء خاص للمركز ، وكانت ذلك بتدعيم مالى من الدول العربية ، وهكذا ظهر المشروع فى قصر عظيم ببيروت .

وفى سنة ١٩٧١ خرجت على المعاش لبلوغى سن الخامسة والستين ، فانتهى عملى فى المركز ، واصبحت زميل شرف فى الجمعية البريطانية لعلم النفس ، وحاليا كأستاذ متفرغ فى كلية التربية جامعة عين شمس ، وكأستاذ غير متفرغ فى جامعة الازهر ، وعضـوا بالمجلس القومى وفى المدة الاخيرة انشغلت مع نادى روما فى شئون التربية ..

والآن وبعد هذه الرحلة فى حيـاة الدكتور القـوصى ، ما رأيـه فى دور الثقافة فى بناء الكيان الاجتماعى للانسان المصرى الجديد .

يقول الدكتور القوصى :

التعليم أحد العوامل التى تشترك فى كيان الانسان الى جانب عامل الاسرة .. واذا كان التنظيم الاجتماعى الذى يعيش فيه الانسان يتطلب صفات معينة ، فهو الذى يترك بصماته على الانسان ..

والمدرسة تنعكس منها الصـفات الموجودة فى المجتمع ، ولكن يندر جـدا ان يكون للمدرسة تأثير واضـح على المجتمع ، الا اذا كان على المدى البعيد ، وعلى أسـاس سياسة ثابتة مستقرة

● .. وما الرأى فى مظاهر الركـود الثقافى الآن .. وهل صحيح أن السبب يعود الى ما نشكو منه فى مراحل ونظم التعليم عندنا ؟

يجيب الدكتور القوصى بقوله :

ـ ان أسـباب تلك الازمة الثقافية ترجع الى الاهمية الكبيرة التى يعطيهـا المجتمع للشهادة ، والشخص هنا عندما يحصل على شهادة يبشـر ان الدولة ملزمة ان توجد له عمل ، وعند حصـول الفرد على شهادة تعطى له مكانة اجتماعية وطمأنينة ، وتعطى له حقوق فى الترقى الوظيفى .. ولذلك اتجه المجتمع بكـل قواه للحصول على الشهادة ، واصـبح الحصول على الشهادة هو الهدف ،وبذلك ليس التعليم هو الهدف ..

وكثير من الناس يتجهون للحصـول على الشهادة سواء تعلموا أم لم يتعلموا واصبح الغش احيانا والحفظ وسـائل يتبعها البعض للحصول على الشهادة .

ولابد من وضع استراتيجيـة يترتب عليها الاقلال من قيمة الشهادة والاكثار من قيمة العمل والانتـاج والسـلوك والخلق ..

واذا اتفقنا عـلى هذا امكن ان نعيـد النظر فى التعليم بكل صوره واشكاله بدءا من التربية الأسرية ومرورا بالتربية الاجتماعية والاعلامية والمدرسية لتكوين الخلق ، ومن هنا يمكن للقيم الثقـافية الحقيقية الداخله فى بنية الانسان ان يكون لها اهمية خصـوصا اذا ارتبطت بالسلوك والخلق القويم وبالعمـل لخير المجتمع .

● هنا ننتقل الى مشـكلة التعليم عندنا ، وما هى أسلم الطرق لتطـوير التعليم ووضعه فى صورته الصحيحة !

يقول الدكتور عبد العـزيز القوصى وهو صاحب تجـارب كبيرة فى هـذا الميدان :

التعليم فى مصر يحتاج الى جهـود جبارة ، ويلاحظ ان الاهتمام بالتعليم العالى أكثر من الاهتمـام بالثـانوى . والاهتمام بالثانوى اكثر من الاهتمـام بالابتدائى ، والاهتمام بالابتـدائى اكثر من الاهتمام مما يسبق ذلك ..

ونحن نريد ان يكون الاهتمام الاول بالتعليم الابتـدائى والتربية الاسرية ، فاذا دعم التعليم الابتدائى وجوده السدت منابع الاميه ، وبذلك تنتهى الاميه .

وهناك أيضا الاهتمام بجانب واحـد

من جوانب الانسان وهو التذكر فالتعليم يقوم على التلقين والتحفيظ ولا يقوم على اثارة الفكر والابداع وحسن التصرف وما اسميه « الينبوعية ».

المآخذ الثالث : الفصل بين عمليات التقويم وعمليات التعليم فالمقصود بعمليات التقويم تصحيح مسار العملية التعليمية ، والمقصود تشخيص ما يمكن أن يعمله التلميذ ، والوقوف على ما يمكن أن يتعلمه التلميذ ..

أما التقويم لمعرفة ما حصله التلميذ فلا يمثل الا جانبا ضئيلا من عمليات التقويم .. وتأجيل التقويم الى آخر العام يجعل التلميذ يؤجل الاستذكار والحفظ الى آخر العام ، ويجعل التلميذ يتنقل من العام الدراسى ليتفرغ للاستذكار ، وبين التقويم والتعليم علاقة تؤخذ فى الاعتبار عند اصلاح التعليم .

المآخذ الرابع : ان هناك لدى المجتمع تفرقة بين تعليم وتعليم ، فالتعليم الفنى ليس كالتعليم النظرى مع أنه أهم منه فائدة للمجتمع ..

وتعليم الفتاة ليس كتعليم الفتى . وتعليم الامور الفنية والامور البدنية اقل أهمية من تعليم العلوم العقلية ، وهكذا علما بأن تعليم البدن واليد والحواس والعقل ـ كلها جهود متعاونة بعضها مع بعض .

المآخذ الخامس : حشو أدمغة التلاميذ بأمور مجردة لا يمكن الاحتفاظ بها الا عن طريق التكرار لا عن طريق الاستخدام

● ثم القول للدكتور القوصى نحن امام واقع فكرى محير .. فنحن نعيش حياتين فى حياتنا الواحدة حياة باطنية تقوم فى جملتها على اسس تقليدية تبدو فى كثير من مظاهر سلوكنا .. وحياة اخرى خارجية تضم فى اطارها العام منجزات حضارة العصر الحديث ، فهى بمثابة الزينة التى تغلف هيكل حياتنا القديمة المتوارثة ، وليس فى طبيعة البشر ان يحملوا فى أنفسهم حياتين بهذه الطريقة دون أن يحدث ارتباكا للنفس ويحدث صدام بين هذين النوعين من الوان الحياة ..

ويعلق الدكتور القوصى على ذلك بقوله :

ان المدنية الغربية تغزو العالم النامى عن طريق وسائل الاعلام ، فوسائل الاعلام الكبرى فى العالم تسيطر على عمليات الارسال ، وهى ترسل المادة المراد ارسالها بعد أن تلونها بلونها الخاص .

وهناك شعور فى الدول النامية بأن « التحديث » هو نقل القيم والانماط والنماذج من الدول الاوروبية أو الغربية . فعندما تنقل هذه الانماط والاساليب الينا ونبهر بها ، فاننا نأخذها فى يدنا دون أن يكون لها مقابل فى داخلنا .. وكما قلت أنت هذا هو مصدر الصراع ، والناس ينقسمون أقساما مختلفة ازاء هذا فبعضهم يمعن فى تقليديته ويتطرف فيها ، رافضا كل ما هو غربى .وبعضهم يمعن فى غربته متلفا نفسه من جذوره ومن تقاليده .. ويعيش بعضهم فى صراع بين الاثنين ويعيش البعض الآخر وهو قليل فى ملاءمة وتوفيق وتنسيق بين الاثنين ..

ومن المهم أن يكون الانسان واضحا أمام نفسه فيما يستبقى من عاداته وتقاليده ، وفيما يتبنى من الانماط الخارجية وهذا التمييز يحتاج الى حوار مع هذه الاتجاهات والى بصيرة واعية من الاجهزة الاعلامية والاجهزة التعليميةومن النظم القائمة فى البلد ..

ويجب الا تنفتح الثقافة على الثقافة الاخرى الا اذا كانت تبنى نفسها وتعرف هويتها وتحدد ابعادها وبذلك تطمئن عند الاختلاط بالثقافات الاخرى اختلاطا يقوم على الاحترام المتبادل والتقدير المتبادل ، مع ولاء كل طرف لهويته ولشخصيته وذاته .

الجانب الآخر
من المهرجان الكبير

● ماري غضبان ●

●● يعتبر مهرجان « كان » السينمائي الدولي الذي يقام سنويا مع بشائر الصيف على الساحل الفرنسي ـ اكبر مهرجان سينمائي عالمي من ناحية عدد الدول والوفود المشتركة في المهرجان ، وحجم الافلام المشتركة داخل وخارج المسابقة ، وعدد الزوار والضيوف من الفنانين والصحفيين والادباء والمشاركين في النشاطات السينمائية ..

● من المهم ان تعرف ان نسبة خمسين في المائة من حجم الانتاج السينمائي العالمي يتم بيعها وشراؤها اثناء هذا اللقاء الدولي الذي يعقد كل عام .. ويعطي مهرجان « كان » الفرصة للمواهب الشابة والوجوه الجديدة التي تسعى للنجومية والشهرة من خلال التعارف مع اصحاب النفوذ في مجال السينما العالمية .

مثلا في المهرجان الاخير كانت المفاجاة من الممثلة ايزابيل هوبير الحسناء الجميلة القادمة من بودابست ومن على ضفاف الدانوب المجري وعمرها لا يتجاوز الخامسة والعشرين ..

لقد مثلت ايزابيل عدة افلام قليلة عرض منها في المهرجان « الورثات » اخراج مارتا ميزاروش و « احترس » اخراج جان لوي جودار ، و « لولو » اخراج موريس بيالا .. الفيلم الاول انتاج وطنها المجر .. الفيلم الثاني انتاج سويسرا والفيلم الثالث انتاج فرنسا .

ـ هذه الممثلة اقتحمت مجال العالمية من خلال وجودها في افلام مشتركة في المهرجان برغم عدم حضورها الشخصي لانشغالها بتصوير فيلم جديد يجري تصويره في العاصمة الايطالية.

وكانت الشابة المجرية قد حصلت على جائزة احسن ممثلة في فيلم « فيوليت نوزير» منذ عامين ـ الفلم من اخراج كلود شابرول ، ومنذ ذلك الوقت والصحافة العالمية تهتم بها والسينما في كل مكان ترحب بقيامها ببطولة الكثير من الافلام .

وايزابيل هوبير تتميز بمسحة هادئة من الجمال الراقي وبتعبير صامت



ايزابيل هوبير فى مشهد من فيلم «لولو» — اخراج « موريس بيـــالا » .

يبدو في الملامح ، فهي لا تمتلك الجمال الصارخ او الانوثة الطاغية ، لكنهـــا تستحوذ على قلوب متابعيها بهـــذه الرقةالمتمثلة فى نظرتها الهادئة البسيطة

وجائزة احسن ممثلـة فى مهرجان عالمى من طراز مهرجان « كان » لاتضيف شيئا لممثلة كبيرة من طراز اينوكايمبه لكنها تفيد بعض الطموحات مثل ايزابيل هوبير .

ومهرجان « كان » يفيد ايضا بعض الجديدات من ملكات الجمال .. مثلا فرح فاوست التى عملت فى التليفزيون وارادت ان تجرب حظها فى السينمـا فسافرت الى مهرجـــان كان املا فى الحصول على عقد وبطولة فيلــم سينمائى حتى بعد فشلها فى تجربتهـا السينمائية الاولى — وبدلا من ان تنهال عليها عروض التمثيل فى السينما — وصلتها عقود الاعلانات من شركة لانتاج العطور ومستحضرات التجميل !

وهذا العام ايضا احاطت الاضـــواء بالممثلةالجميلة بابيتالتى تشبه الممثلتين جين مانسفيلد فى تقاطيع الجســم وبريجيت باردو فى ملامح الوجه .. والضجة التى اثارتها انها كانت تحضر الحفلات واللقاءات وهى شبه عارية . وقد صورها الصحفيون بصحبة عمـدة مدينة نيس « جاك مايتسان » وهىفى ملابس تكاد لا تخفى اى شىء من ملامحها الجسدية .

ومن بين الوجوه التى تحدث ضجة سنوية من مهرجان « كان » ليس فقط على مستوى الفن السينمائى ، ولكــن على مستوى العلاقات الشـــخصية ، المخرج رومان بولانسكى الذى قتلت زوجته الممثلة شارون تيت فى جريمة الهيبيز المعروفة فى الولايات المتحـدة الامريكية ...

وهذا العام احاطت الجميلاتبالمخرج بولانسكى املا فى ان يقع الاختيـــار على واحدة منهن لكى تمثل بطـــولة فيلمه الجديد الذى اعلن انه سيصوره فى اوربا .

وهذه الحكايات الجانبية فىمهرجان « كان » السينمائى لا تخفى جانبـــا آخرهما يدور حولبعض الفنانين الملتزمين بالقيم الاجتماعية والعائلية ، ومــن هؤلاء رئيس هيئة تحكيم افلام مهرجان « كان » النجم الامريكى كيرك دوجلاس المتزوج من فرنسية تعرف عليهـا فى مهرجان « كان » عام ١٩٥٣ وتزوجهـا وانجب منها ولدين احدهما الممثـــل مايكل دوجلاس الذى شـارك جـين فوندا بطولة فيلم « الاعراضالصينية »

وقد تعود كيرك دوجلاس الحضور الى كـــان كل عام بصحبة اسرته الروسية الاصل الامريكية الجنسيـة .. ولكى يتجنب كيرك دوجلاس الزحام والابتعاد باسرته عن مضايقات الحياة الخاصة ، قرر ان يقيم فى مدينـة انتيب التى تبتعد عن « كان » بقرابة عشرين كيلو تقريبا .

السنديانة

● سالم حقى ●



وَخط الشيبُ شعرَها من قديم
وتَعرّت من حاليات الشبابِ
جذعها السامقُ الأبى ... تداعَى
مُثقلا بالسنين .. صوبَ التراب
هجر الطيرُ عشَّه .. وتولَّى
عن ذراها المنكسات .. الخراب !
وهى تهفو صَبابة لجميل
هو عشقُ الحقول ..أُنس الروابى
زلزل الحب قلبَها .. واستباهَ
فهى تحيَا فى سورة من شَرا
كلما أسفر الصباح .. تراها
تلبس الوَشىَ والشذا والتصابى
فاذا أقبَل الدجى .. فهى تَغفو
بين همْس المُنى .. وفيض الرغا
تَبتنى فى الخَيال قصرا منيفا
عامرًا بالحنان .. فوقَ السحاب
إيه ياسندياتى ! ... أى وهْم
أنتِ عاقرتِه ... وأى سراب ؟ !
تنشدين الخلودَ والحب والحسـ
ـن .. ودفء الهوى وسحر الإهاب
تزرعين الآمالَ فى صَدرك العا
قر .. شوكا مُضيَّعا فى اليباب !
تغزلين الأحلامَ .. ليس تَملّين
... نجوما .. مخنوقة فى الضباب
تعشَقين الحياةَ .. عِشقا عتيّا
بينما الفأسُ .. فى يد الحطّاب

يا أنيق اللفظ !

● علية الجعار ●

يا فتى الأحلام يا أمسى الذى
ضاع منى ... يا نهارى المرتقب
جئتنى والعمر يغشاه الدجى
فاذا النور على العمر انسكب !
أنتَ ملءُ السمع والعين معا
إنْ أسرتَ القلب منى ـ لا عجبْ !
يا أنيق اللفظ ... يا سيده
يا رقيقَ اللحظ .. ياجمُ الأدبْ !
الهوى كالنور ، أغرقنا به ...
قدَرٌ فى صفحة الغيب كتب !
ربّ لا تحرمْ فؤادى وِرْدَه
فبأعماقى من الشوق لهبْ !
إننى أهوى بعقل ما غوى
وفؤاد فى هواه ـ ما كذب ؟

لا تقلق

والله أحبك ... لا تقلق
دع شكك يسقط ياأحمق !
حبى شلال جبار
فى عمق شعورى يتدفق !
لا يوقفه عمر يجرى
أو تجر فى شعرك أشرق !
أهواك ، وحبى يتسامى
عن كل غرام ... يتفوقْ !
لن تعرفَ أخلص من قلبى
فى حبك ما عشتَ ، وأصدقْ !
ملكتكَ روحى وحياتى
فلغيركَ وحدك لم أخلقْ !

فى لغة الجن

● محمد شوقى امين ●

١ ـ صدق القول المأثور : من لغاتهم تعرفونهم . ولعله يصدق أكثر ما يصدق على اللغة ، فهى مستودع المجتمع وذخيرته ، فيها يحتشد فكره وخياله ، حقائقه واوهامه ، مرئياته وغيبياته .. وبقدر شيوع الكلمة وتعدد مرادفاتها وما يتعلق بها ، يستبين مدى مدلولها عند أهل اللغة ، ومبلغ استفاضة هذا المدلول فى حياتهم العامة .

والباحث عن الجن وما اليه فى لغة العرب ، تهوله وفرة الكلمات الدالة عليه دلالة مباشرة او غير مباشرة ، فثمة أسماء للجن خاصة ، على الحقيقة او على المجاز ، وأسماء لاقترانهم بالانس عامة ، والفاظ لايقاعهم بالانس واتصالهم بهم ، وما هو من عملهم من الحيوان والاشياء ، وهناك اعلام للجن ، وللأرض التى يحلون بها . ولا يكاد الباحث يستتم ذلك الا بجهد التقرى والتحرى والاستقصاء ، ان كاد !

ولا غرو أن يكون ذلك حظ الجن فى لغة العرب ، فقد آمنوا بوجودها وقدرتها على الخوارق ، وعدوها أصنافا ومراتب ، وفرقوا بين الأخيار منها والأشرار ، ونسبوا اليها كل عجيب وكل مجهول معمى . فزعموا أنها هى التى تصيب العقل بالجنون على تباين مراتبه ودرجاته وعزوا اليها الهام الشعراء وأصحاب الغناء ، وجعلوها سبب ما يصيب الأغذية المكشوفة آنيتها من التلوث ، وقالوا انها تعلم الناس السحر ، وتلقن بعض النساء الطب ، وأسندوا اليها ما يتراءى لهم من أحداث الطبيعة فى جو السماء ، وادعوا أنهم لقوها ، أو أنهم راوها عيانا ، فى صور شتى منها الحية والهرة ، أو أنهم لاح لهم خيالها ، أو أحسوا وجودها ، أو سمعوا عزيفها ، وبلغت بهم مزاعمهم أن منهم من تزوج اناثها ، وان بعض الجن يستهوى المرء ليستفحلوه ، فاما ابقوه زمنا وردوه الى أهله واما قتلوه ،وتوهموا أن بعض الحيوان من نسل الجن ، وبعض الأدوات من صنعها ، وبعض الأبنية من عملها .

***

وفى هذه العجالة نعرض ما راج لنا من الكلمات الجنية ، فى اشارات خاطفة لا يتسع لغيرها المقام .

٢ ـ أما من حيث الأسماء ، فرأس الكلمات فى هذا الباب كلمة : الجن واللغة تقول : جن الشىء : ستره . فهل سمى الجن بذلك لأنه عالم مستتر ؟ أو أن الجن بمعنى الستر هو المأخوذ من

كلمة الجن ؟ أيهما في اللغة أسبق ؟

ومن علماء اللغات من يردون اسم الجن الى اصل اجنبي ، والجزم يراى مثار نزاع . وفى اللغة يفسرون المجنون بأنه من غطى على عقله ، مأخوذ من الجن بمعنى الستر .

والمألوف عندى – ان جاز لمثل ان يكون له عند – ان المجنون انما اخذ من الجن ، اى ركبته الجن ، وقد رتب اللغويون درجات الجنون ، فكان منها المس والوسوسة واللمم ، وكلها موصولة بالجن ، وفقهاء اللغة يجمعون بين الجن والجنون فى فصل او فصلين متتاليين .

● وقالت اللغة : الحن ، بالحاء : حى من الجن ، والمحنون : المصروع والمجنون . وقيل : خلق بين الجن والانس . ويعدون من الحن : الكلاب السود البهم .

● وقالوا : الشيطان ، وهو عارم الجن . وقالوا : الشيطنة ، وهى انثى من الجن ، ترى فى الفيافى ، اذا ظفرت بانسان جعلت ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفأر .

● وقالوا : الغول ، وهو الذكر أو الأنثى من الجن ، وقيل : ساحرة الجن ، وقيل : كل شيء يعرض للمسافرين ويتلون فى مختلف الصور والثياب بالليل . فاسم الغول مشتق من التغول وهو التلون والتشكل

ويبدو أن قولهم : غاله واغتاله بمعنى أهلكه مأخوذ من الغول ، لا أن الغول مأخوذ من الاغتيال ، وقيل : الغول : دابة مهولة ذات أنياب ظفربها « تأبط شرا » فقتلها .

● وقالوا السعلاة ، وهى أنثى الغول ، تتراءى للناس بالنهار وهى ساحرة لها تلبيس وتخييل ، تعرض لتفتك أو تفزع انسانا جميلا فتغير عمه فتداخله . ويقال : ان عمرو بن يربوع تزوج سعلاة . وتوصف بالسعلاة : المرأة الحديدة الطرف والذهن ، أو المرأة الصخابة الخبيثة ، وجمع السعلاة : السعالى .

● وقالوا : الرئى ، كالولى : جنى يتعرض للرجل يريه كهانة أو طبا ، او يلهمه شعرا . واشتقاقه من الرؤية أو من الرأى ، ولذلك قيل : رئى القوم : صاحب رأيهم ،وزعموا أن لبعض الشعراء رئيا . والحية يسمونها الرئى ، لزعمهم أن الحيات من مسخ الجن .

● وقالوا : التوابع والزوابع ،فالتابع والتابعة : الجنى والجنية يكونان مع الانسان يتبعانه فى صورة طائر او نحوه . وقيل : التابع جنى يتبع المرأة يحبها،والتابعة جنيةتتبع الرجل تحبه. وقيل : التاء فى التابعة للمبالغة . فاما الزوابع فجمع زوبعة ، بمعنى الشيطان المارد ، او رئيس الجن . وقد سمى الاعصار زوبعة لدورانه وارتفاعه ساطعا . ولابن شهيد الأندلسى مقامة

« التوابع والزوابع » .

● وقالوا : الخوافي ، وهي الجن ، وقيل :البشر ناس ونسناس ،والخوافي: جن وحن . وارض خافية : بها جن ، واصابه ريح من الخافي .

● وقالوا : الخبل ، والخابس ، يعنون الجن . وسمي المرض المؤثر في العقل والفكر خبلا ، وهنا تبرز قضية التناسل او التوالد اللغوى ، فهل الخبل لفساد العقل مأخوذ من اسم الجن ، أو العكس ؟

***

● وقالوا : العفريت من الجن :العارم الخبيث ، وقد استعمل في الانسان ، فقيل : عفريت نفريت ، وقد تعفرت .

● وقالوا : المارد ، والمريد ، في وصف الشيطان ، واشتهرت كلمة المارد في عصرنا المشهود اسما للواحد من الجن .

● وقالوا : القرين : المصاحب للانسان من ملك أو شيطان ، وأحسب ان ذلك له شبيه عند غير العرب ، فيما يسمونه : الشبين ، أو الاشبين .

● وقالوا : السروع ، وهي من طوائف الشياطين .

● وقالوا : الملائكة ، وتنازعوا في دلالة الجن عليهم ، وفي تفسير ذلك قيل: ان الروحانيين المستورين عن الحواس أصناف ، أخيار ، وهم الملائكة ، وأشرار وهم الشياطين ، وأوساط بين أخيار وأشرار وهم الجن . وفيما نقله « الجاحظ » أن الجنى اذا نقى ونظف وطهر فهو ملك .

***

٣ ـ وأما من حيث الصفات القائمة مقام الأسماء ، أو الموصولة بها ، فأولها: الوسواس ، وهو الشيطان يوسوس في الصدور ، ومرض يختلط معه الذهن ، وهكذا يقترن اسم الشيطان ووصفه دائما باختلال العقول !

● وقالوا : الهاتف ، يعنون به الجنى ، وكان الأعراب وأشباه الأعراب لا يتحاشون من الايمان به ، وذلك أن تسمع صوتا ولا ترى شخصا .

● وقالوا : الهاجس ، وهو صفة غلبت على الشيطان ، والجمع هواجس كالوساوس ، ويعنون بها ما يقع في خلدك ، او ما تسمعه ولا تفهمه .

● وقالوا : الطائف ، يعنون به طائف الجن .

● وقالوا : الطيف ، يعنون به ماعنوا بطائف الجن .

● وقالوا : اللمم ، وفسروه بأنه الطائف الجنى .

● وقالوا : ظل الشيطان ، يريدون ما يلوح لهم منه .

***

٤ ـ وفي تسمية جموع الجن بصفة عامة :

● قالوا : العمار ، والأرواح ، والروحانيون ، ومرادهم : جماعة الجن ممن يعمرون الديار أو يطيفون بها ، لا يتراءون ، وقد تعاطى المؤلفون موضوع الروحانيين ، ولهم في شأنهم كتب .

***

٥ ـ وفي اقتران الجن والانس :

● قالوا :الثقلان ، أى الجن والانس ، والثقل فيهما هو فضيلة التمييز على سائر الحيوان .

● وقالوا : الأجران ، بتشديد الراء إلى الجنة والناس ، ويقال : جاءبجيش الأجرين ، أى بجيش من الجن والانس .

٦ ـ وفي مجال اتصال الجن بالانس أو ايقاعهم به :

● قالوا : رجل مخدوم ، يذهبون الى انه اذا عزم على الشياطين والأرواح والعمار : أجابوه وأطاعوه ، وقد أطلقوا على عبد الله بن هلال الحميرى لقب : صديق ابليس .

● وقالوا : لبن محضور ، ومحتضر ، أى كثير الآفة تحضره الجن والدواب وغيرها من أهل الأرض . وكذلك قالوا : الكنف ، وهي مرافق المياه ، محضورة ومن ثم كانت النصيحة بتغطية اللبن ، حماية له من احتضار الجن اياه

● وقالوا : رجل منظور ، وبه نظرة ، أى أصابته عين من الجن ، تحدث له

غشية او لوثة ، وكانوا يعالجون النظرة بالرقية • والحق أن هذه « النظرة » تعيش حتى عصرنا الحاضر لفظا وموضوعا !

● وقالوا : الطاعون ، وهو الوباء ، يعدونه من وخز الشيطان ، ويسمونه : رماح الجن •

● وقالوا : النزغ ، وتنسبوه الى الشيطان ، بمعنى الافساد والوسوسة

● وقالوا : الاستهواء ، أى أن الجن تستهوى الانسان فتقتله ، أو تستبقيه عندها زمنا ، ثم ترجعه الى أهله •

● وقالوا : الريح ، ومن عباراتهم : اصابه ريح من الخوافق ، وهى الجن .

●●●

● وقالوا : الخبط ، ومن عباراتهم : خبطه الشيطان وتخبطه ، اى أصابه بالصرع او الجنون •

● وقالوا : المس ، ومن عباراتهم : مسه الشيطان ، اى جن •

● وقالوا : الخطرة ، ومن عباراتهم : به خطرة من الجن ، اى مس •

● وقالوا : السفعة ، ومن عباراتهم: سفعته من الشيطان سفعة ، كأنه اخذ بناصيته •

٧ — وفى تسمية ما نسب الى الجن من الدواب والأشياء :

● قالوا : الابل الحوشية ، وهى نسل ابل ضربت فيها فحول ابل الجن •

●وقالوا : السيوف المأثورة ، وهى التى يقال انها من عمل الجن والشياطين لسليمان •

●●●

٨ — وجعلوا للجن ومن اليهم أعلاما كأعلام الأشخاص او أعلام الأجناس :

● فقالوا : ابليس : علم جنس للشيطان ، او هو أصل الجن •

● وقالوا : قزح ، حين سموا قوس المطر ، أو قوس السحاب الذى يرى الوانا هى الوان الطيف فى الافق :قوس قزح وهو اسم الشيطان ، ويسمى : قوس المزن ، وجاء فى الأثر : قوس الله •

● وقالوا : الشق اسم لجنس من الجن ، على نصف صورة الانسان ، فله يد ورجل وعين •

● وقالوا : جهنام ، اسم تابعة « الأعشى » اى شيطانه •

● وقالوا : عمرو : اسم شيطان « الفرزدق » • وكنيته : ابو لبينى •

● وقالوا : شنقناق : شيطان « بشار » •

● وقالوا : خنزب : شيطان موكل بحفظة القرآن ، ينسيهم اياه •

● وقالوا : المذهب ، بضم الميم وفتح الهاء ، اسم شيطان موكل بالضعفاء من النساك ، يفتنهم ، لما يريهم من العجب ، ومن عباراتهم : به مذهب ،اى وسوسة•

● وقالوا : غدار ، وسموا به جنيا •

● وقالوا : دلهاف ، وهو اسم جنى •

٩ — وأما تسمية ما للجن من أماكن ومكامن :

● فقالوا : عبقر : قرية تسكنها الجن ، وفى المثل : كأنهم جن عبقر ، وليس يدرى أحد أين تقع ، ولا متى كانت ، ويطلقون وصف العبقرى ، على كل شىء يعظم فى نفسه ، أو يدق عمله ، تعجبا من حذق صنعته وجودته ، حتى قالوا : ظلمه ظلما عبقريا !

● وقالوا : وبار ، أرض لسكنى الجن • ويقال : ان أرض وبار خصبة شجراء مثمرة ، ان دنا منها انسان حثوا فى وجهه التراب ، فان أبى الرجوع خبلوه ، وربما قتلوه •

● وقالوا : سواج ، أرض للجن فى أحد الجبال •

●●●

١٠ — وبعد ، ففى هذا الحشد من الحصاد اللغوى حول الجن ،على اجماله، وعلى انه ليس من قبيل الحصر — يتبين ما كان للجن من اثر عميق فى حياة العرب ، حتى نضحت به لغتهم معبرة فى معظم ما عبرت به عن اشباح من اوهام ومزاعم وتكاذيب •



التفسير العلمى لظاهرة الاتصال بالجن

● د . عادل صادق ●

يعجب البعض من انسان القرن العشرين الذى شهد بنفسه التطورات الخطيرة فى مجال العلم ، وقفز بفضل تفكيره العلمى والمنطقى قفزات حضارية هائلة ، انه ما زال يؤمن بالخرافة ، او على الاقل يؤمن بغيبيات لا تقع فى مجال حواسه ولا يمكن اخضاعها للتجريب العلمى ..

التطور الحضارى الذى نعيش فى ظله الان مبنى على التجربة العلمية التى يمكن اعادتها تحت ظروف مختلفة ونخلص منها بحقائق ثابتة لا مجال للشك فيها .. ويسمى هذا بالمنهج التجريبى الذى بدأ فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وواجه مقاومة شديدة فى البداية وتعرض رواده من العلماء الى الهجوم من رجال الدين القدامى الذين انحرف بعضهم ، كما تعرض البعض من هؤلاء الرواد الى العقاب والى الموت احيانا واتهموا بالزندقة والالحاد

ورغم هذا القهر فان المنهج العلمى التجريبى ثبت اقدامه مع بداية القرن التاسع عشر واحرز تقدما هائلا ، واضاء البشرية بنور الكهرباء ، وسهل اتصالات البشر باستخدام الموجات الاثيرية وحقق انتصارات فى اكتشاف الجراثيم التى تهاجم الانسان ، وعرف الكثير من كيمياء الجسد البشرى ، وبذلك تعرف على امراض هذا الجسد وكيفية استخلاص المواد الكيميائية التى تعيد السلامة والاتزان لهذا الجسد ..

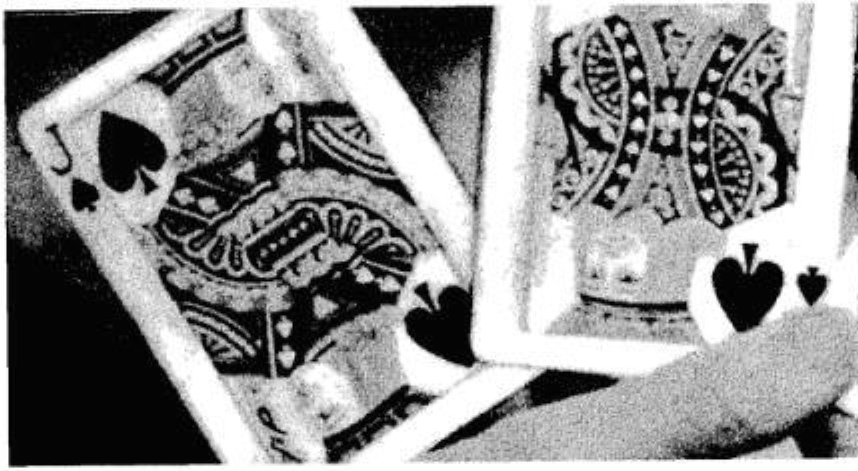
قضية حسمها الدين

وفى النصف الاول من القرن العشرين حقق العلم اعظم انتصاراته بتفجير وتفتيت الذرة وفى النصف الثانى بصعوده الى القمر وامكان سيطرته على الفضاء

فى ظل هذا التطور المذهل مازال البعض يؤمن بما نسميه الخرافات .. والخرافة فى نظر العلم هى كل ما يعتقد فيه الانسان من افكار لا يمكن اثباتها عن طريق التجربة العلمية . وبذا تصبح مجرد اوهام او خرافات ! .

ومن الخرافات التى يعتقد فيها بعض الناس والتى عاشت معه منذ القديم ، خرافة امكانية الاتصال بالجن وتسخيره واستخدامه ! .

وقضية وجود الجن اساسا حسمها الدين حين اشار الى وجود مخلوقات يطلق عليها اسم الجن .. ونحن لا نعلم اين توجد ، وما شكلها ودورها فى الكون ولكنه بالقطع لم يشر الى



امكانية حدوث اتصال بينها وبين البشر .. ولهذا فانه من الناحية الدينية رغم أن هذا ليس تخصصي — فاننا لانعرف اطلاقا اى تفاصيل عن عالم الجن ، كما انه لا يوجد اي شكل من اشكال الاتصال بين الجن والانس ..

وباستخدام التفكير المنطقى فانه بالقطع لا يوجد مثل هذا الاتصال ، والا لحدثتنا عنه الكتب السماوية لتوضيح العلاقة بين الانس والجن ولحذرت الانسان من اضرار هذا الاتصال ..

ولكن من خلال الكتب السماوية ومن خلال الواقع العلمى ، فانه لا يوجد ثمة اتصال بعالم الجن كما اننا لانعرف عنه شيئا لانه لا صلة لنا به ولانعرف صلة له بنا ..

وكما قلت فان ادعاء هذا الاتصال من قبل البعض ليس حديثا ، وفى حدود ما نعرف فان الاعتقاد بامكانية الاتصال بالجن ومدى تأثيره على حياتنا ، وكذا الايمان بالسحر قد وصل الى حد أقلق الكنيسة فى أوربا وامريكا حتى انه فى انجلترا صدر قانون عام ١٥٤٢ يحرم السحر والشعوذة وادعاء الاتصال بالجن وتسخيره ، ويقضى بالاعدام على كل من يدان بهذه التهمة ..

عبر الاف الاجداد

وفى رايى ان الانسان سيظل حتى نهاية الحياة يؤمن بهذه الخرافات .. ويبدو انها وجدت منذ ان وجد الانسان .. فمنذ أن نزل الانسان على الارض والشيء الوحيد الذى لا يعلم عنه ، هو غده أى المستقبل .

وحين يأتى هذا المستقبل فانه قد يحمل معه خيرا أو شرا .. ومن هنا تعلم الانسان القلق ، القلق من اجل المستقبل .. وتعلم ايضا الشعور بالخوف .. ولهذا فهو يحاول دائما استقراء هذا الغد ، ولكن هيهات ان يعلم عنه شيئا ، فهذه حكمة الخالق .. فهذا القلق هو الذى يدفع الانسان الى العمل والى الحذر .. واذا انكشف لنا الحجاب عن المستقبل لتوقف الانسان ولانتهت حياته منذ زمن بعيد

والايمان بالخرافة أحد المكونات الاساسية فى شخصية الانسان . هذا هو راى عالم النفس الشهير « يونج » . وهو — الانسان — يرث هذا الاستعداد من اجداده الذين عاشوا منذ الاف السنين . فالموروثات وما تحمله لنا من صفات نفسية وجسدية لا تأتى الينا من الابوين المباشرين ، ولكنها تأتى الينا عبر الاف الاجداد ..

ولهذا فمن الظلم ان نقصر الايمان بالخرافة على غير المتعلمين وابناء الشعوب المتخلفة فقط ، ولكن هذه

الظاهرة موجودة ايضا بين المثقفين وبين ابناء الشعوب المتحضرة التى اتسمت حضارتها بالمادية المطلقة : واتسم التفكير السائد لديها بالمنطق العلمى الذى يؤمن بالتجربة العملية والشواهد المادية .. ولكن دون شك يزداد انتشار هذه الظواهر بين غير المتعلمين وفى الشعوب المتخلفة، فقلقهم من اجل المستقبل اعظم ، لعدم قدرتهم على السيطرة على هذا المستقبل من خلال الحسابات العلمية ..

وكان من مصلحة الاستعمار الاجنبى الذى سيطر على هذه الشعوب ان يغذى هذه الخرافات لديهم ليعيشوا فى الوهم وليبتعدوا من التطور العلمى العالمى ، وبذلك تستمر السيطرة عليهم واستنزافهم لمدة اطول .. وهذا يمثل البعد السياسى فى ظاهرة انتشار الخرافات فى الشعوب البدائية والمتخلفة ..

وقلق الانسان قد يتحول الى يأس حين يواجه بمشكلة فى حاضره يعجز عن حلها وخاصة المشاكل المرضية والتى يعجز معها العلم الحديث ..

هنا لا يكون أمامه غير اللجوء الى عالم السحر والجن رغم ان هذا الانسان بالتحديد لم يكن يؤمن بمثل هذه الاشياء .. ولكن كما قلنا فان هناك بعض الايمان موجود فى عقله الباطن اى اللاشعور والذى ورثه من أجداده القدامى ..

هنا يقفز هذا الايمان من اللاشعور الى الشعور تحت ضغط الحاجة وتحت الاحساس باليأس لفشل العلم المادى فى مساعدته للتخلص من مرضه او مرض احبائه . هنا يقول : ربما .. ربما يكون هناك من يملكون مساعدتى .. ويستعيد فى ذاكرته كل ما سمعه من « قدراتهم » و « امكانياتهم » ، وقدرات بعض البشر فى الاستعانة بهم .. وكما قلت فانه فى وقت مضى كان يهزأ بهذه القصص ولكنه الان اكثر استعدادا للتصديق !

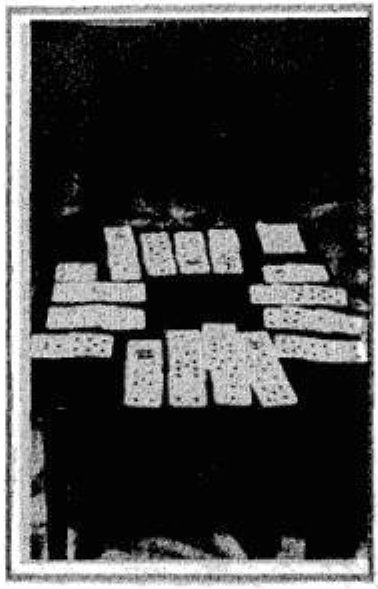
التشنجات فى حلقات الزار

وعلى المستوى المرضى فى الطب النفسى فان ظاهرة الايمان بالجن وما شابه ذلك من خرافات تكون اكثر انتشارا بين المرضى النفسيين والعقليين وذويهم بل ان بعض الشخصيات يكون لديها دائما الاستعداد للايمان بمثل هذه الاشياء ..

واشهر الشخصيات المرضية المعروفة هى الشخصية الهستيرية ، وهى شخصية غير ناضجة انفعاليا ، تتميز بالسطحية فى التفكير والوجدان والميل الى المبالغة والتهويل مع الاستعداد للايحاء .. والقصص التى نسمعها عن الجن والمتصلين بالجن ، يرجع الفضل فى انتشارها بالطريقة التى نسمعها بها الى اصحاب الشخصيات الهستيرية الذين لديهم الاستعداد لتصديق كل شىء وترويجه بصورة مبالغ فيها ..

والشخصية الهستيرية معرضة لمرض معروف باسم « الهستريا » ، ويحدث هنا انفصال وتحلل فى الشخصية مع حدوث اعراض جسدية وهمية، كالتوقف عن الكلام او الرؤية او توقف حركة احد اعضاء الجسم ، او اعراض اخرى مثل الصداع والقىء والام فى اجزاء مختلفة من الجسم ..





وقد تصاب مريضة الهستيريا بحالات تفقد فيها الوعي وقد تتحدث أثناءها بصوت طفل او عجوز او بلغة غريبة .. ومن الاقوال الشائعة عن هذه الحالة انها متصلة بالجن او متزوجة من جن ، أو ان الجن هو المسئول عن حالتها المرضية ..

وبالطبع أصحاب الشخصية الهستيرية والمصابات بمرض الهستيريا هن من المريدات المنتظمات في حلقات الزار ومن الزبونات الدائمات لدى السحرة والمتصلين بالجان

وفي مجال الامراض العقلية يوجد مرض اسمه الفصام « الشيزوفرينيا » وهو في الحقيقة اكثر من مرض او هو يأتي في صور متعددة للغاية ..

احدى هذه الصور هي « الهلاوس » وهي ان يرى المريض او يسمع اشياء لا وجود لها .. وفي المجتمعات البدائية وبالذات في القرى يعتقد الناس ان هذا المريض تسيطر عليه روح شريرة او انه تحت سيطرة الجان او ان ما يراه وما يسمعه اشياء حقيقية من عالم الجن أو الارواح

عندما يستبد بهم القلق

وقد تسيطر على المريض فكرة انه على اتصال بالجن او الارواح . وقد يصدقه بعض الناس .

وفي بعض المجتمعات يعامل هؤلاء المرضى معاملة خاصة على ان لهم قدرات غير عادية ، او انهم من اصحاب « الكرامات » بينما هم في الحقيقة من المرضى العقليين .

ولا شك ان بعض المنحرفين ممن يسميهم الطب النفسي « السيكوباتيين » يلجأون الى هذا الادعاء وهو قدرتهم على الاتصال بالجن وشفاء المرضى ، **من أجل القيام بعمليات النصب والارتزاق غير الشريف .. وهم يمثلون الغالبية ممن يمتهنون هذه الاعمال ، وخاصة في مجتمعنا ، وهم بلاشك يتمتعون بذكاء وقدرة على التأثير والاقناع وخاصة ان زوارهم من المرضى ومحدودي الذكاء وممن لديهم قابلية مرتفعة للايحاء ..**

وقد يقول البعض ان بعض مرضاهم يشفون .. وهذه حقيقة ، لانهم ليسوا مرضى حقيقيين ولكنهم مرضى بالوهم وبأعراض هستيرية مؤقتة قابلة للشفاء تحت تأثير الايحاء

وقد وصل الطب الى هذه الحقيقة باختراع نوعية معينة من العقاقير لهؤلاء المرضى .. عقاقير ليست مؤثرة او فعالة ويسمى هذا العقار بالعقار المموه او التعمية ، وحين يتعاطاه المريض يشفى من امراضه رغم انه عقار غير فعال . وهذا دليل على قابلية المريض الشديدة للايحاء ..

ولسوف يظل عدد غير قليل من الناس يؤمنون بالجن وبامكانية الاتصال به وبمدى تأثيره على عالم البشر ، وذلك حين يستبد الخوف والقلق بالانسان من اجل غده ، وحين ييأس من مساعدة العلم له للتخلص من آلامه وامراضه .. وايضا لوجود نوعية معينة من الشخصيات ومن الامراض التي تتميز اعراضها بالايحاء ويوجد هلاوس وضلالات تفسر على انها ظواهر مصدرها عالم الجن !.

الجن في الأدب الإنجليزي



ماهر شفيق فريد

للجن – كما للشياطين ، والملائكة ، والساحرات ، وحوريات البحر والغابات – مكان في الادب الانجليزي ركين ، ذلك ان الجن يسكنون تلك المنطقة المجهولة من مناطق وجودنا الانساني : منطقة اللقاء بين عالم الطبيعة وما وراء الطبيعة ، حيث تلتقي الحقائق والاوهام ، وتذوب الفواصل بينهما في نور شفقي يمتزج فيه الخيط الابيض بالخيط الاسود ..

لا عجب اذن ان راينا الشعراء والكتاب الانجليز يفسحون للجن مكانا رحيبا في اعمالهم النثرية والشعرية وكذلك تميل المالوفات الشعبية وقصص الاطفال في سائر الاداب – هانز كرستيان اندرسن ، والاخوة جريم ، وغيرهم .. الى ادخال العنصر الخارق للطبيعة ، على سبيل اثارة التشويق ، وشحذ الخيال ، وجلب الانتباه ، وصياغة العبرة الخلقية او الدرس المعنوي .

وقد كان الجن في بريطانيا – كما يقول كرستوفر جيلي – كائنات لا هي بالخيرة ولا بالشريرة ، وانما يغلب عليها العبث وحب الدعابة .. ويظن ان الايمان بوجودها من بقايا الايمان السابق للمسيحية بان للطبيعة ارواحا وهي تدخل احيانا في الاساطير الافريقية وفي تراث الرومانس الوسيط : اي

قصص المغامرة والعاطفة فى العصور الوسطى .. وعلى الرغم من ان الساحرات يظهرن احيانا فى قصص الجن ، فان السحر - كما يتجلى فى معتقدات القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وفى مسرحية «مكبث» لشكسبير - يختلف عن عالم الجن فى انه اشد جدية ، واكثر انذارا بالشؤم

ويبدو أن الايمان - او نصف الايمان - بوجود الجنيات كان امرا شائعا بين كافة الطبقات فى انجلترا حتى القرن السابع عشر ، وان اخذ فى التضاؤل على نحو مطرد ، منذ ذلك الحين ،حتى بين اهل الريف . وقد ظل هذا الايمان باقيا ، اكثر ما بقى ، فى اقليم ويلز ، وفى شمال غربى اسكتلندا ، وفى جنوب غربى انجلترا ، خاصة فى ايرلندا ،ومن ثم كان الدور الكبير الذى يسنده الشاعر الايرلندى و . ب . ييتس للجنيات فى بعض اعماله ..

ومن بين المعتقدات الشائعة عن الجن او الجنى مايلى : انه ضئيل الحجم ، ومن ثم كان يدعى احيانا « الناس صغار الحجم » ، وانه يخلف آثاره على الارض ، كان ترسم اقدامه حلقات على العشب ، بعد رقصه فى منتصف الليل ، وانه يتنبىء بحظوظ الاطفال ، وانه يسرق المواليد الرضع ويستبدل بهم اطفالا من الجن يسمون « البدائل » !

ومن بين الادباء الانجليز الذين قدموا الجن فى أعمالهم نشير الى ثلاثة : ادموند سبنسر « ١٥٥٢ - ١٥٩٩ » ووليم شكسبير « ١٥٦٤ - ١٦١٦ » . وجون ملتون « ١٦٠٨ - ١٦٧٤ » .

كتب سبنسر قصيدة طويلة عنوانها « ملكة الجن » او بترجمة الدكتور لويس عوض : « الملكة الحورية » . ويلاحظ جون هولاندر وفرانك كرمود فى كتابهما « ادب عصر النهضة فى انجلترا » ان القصيدة ، على الرغم من طابعها الحالم وجوها الاسطورى ، ابنة عصرها ، فهى احتفال بقوة انجلترا وسلطاتها الامبراطورى ، وتبرير لسياستها اللاهوتية والسياسية والعسكرية . فملكة الجن فيها هى الملكة اليصابات : تلك العاهلة العظيمة، صعبة المراس ، التى شهد عصرها اعدام مارى ملكة الاسكتلنديين فى ١٥٨٧ وهزيمة الارمادا الاسبانية فى ١٥٨٨ .

وملكة الجن - كما يصورها سبنسر - رمز للعذرية والنقاء . فمن المعروف ان اليصابات لم تتزوج ولم تعقب ولدا وهى ايضا حامية الدين والايمان القويم، بعد صراعات المذهب الكاثوليكى والمذهب البروتستانتى ، وينحاز سبنسر الى جانب كنيسة انجلترا ضد بابا روما ، كما يعمل على التأليف بين المتناقضات الماضى والحاضر ، الوفاق والشقاق ، الخير والشر ، الزمن والابدية ، النور والظلمة ، مستخدما منهج النص الرمزى ، ومستوحيا العديد من المصادر الادبية : تحولات اوفيد الاسطورية ، ومواصفات الشعر البطولى ، والرومانسية ..

ان قصيدته تدور فى ارض عبقر ، وتتراوح - كما هو الشان فى عالم الاحلام - بين الغموض والوضوح ،بين الابهام والتحدد . لا عجب اذن ان دعى سبنسر ،بنسيجه الشعرى البالغ الثراء ، « شاعر الشعراء » . فهو استاذ فى التقنية ، منه تعلم ملتون ، وتوماس جراى ، وشلى ، وكيتس ، وغيرهم .

فاذا انتقلنا الى شكسبير ، وجدنا انفسنا ازاء اكمل معالجة لعالم الجن فى الادب الانجليزى .

لم يكن شكسبير ، كما رأينا ، هو أول من ادخل الجن فى اعماله .. فثمة - كما يلاحظ ف . ا . هاليداى - جن فى مسرحيتى معاصره جون ليلى «جالاثيا» و « اندميون » ، ومسرحية روبرت جرين « هنرى الرابع » يقدمها « اوبرام .. ملك الجن » ... كذلك كان الجن شائعا فى ضرب من المسرحيات يعرف بـ « التسالى » ويقدم امام الملكة اليصابات : ففى عرض قدم فى ودستوك عام ١٥٧٥ كان ثمة ملكة للجن، ومعها ستة أطفال ، فى عربة ملكية . وفى الفثام عام ١٥٩١ قدم عرض يمثل جنيات يرقصن ،اقودهن ملكتهن اوربولا

ولابد ان شكسبير كان ، منذ طفولته ، على وعى بجنيات الموروث

الشعبى فى مقاطعة وركشير ، وهو وعى انعكس على ثلاث من مسرحياته «روميو وجوليت » « نقلها الى العربية د. مؤنس طه حسين » و « حلم ليلة صيف » (نقلها الى العربية حسن محمود) و « العاصفة » (نقلها الى العربية نظما عامر بحيرى) .

ففى مسرحية « روميو وجولييت » يدور هذا الحوار :

مركوشيو : آه لقد فهمت عنك فقد زارتك الملكة ماب .

بنفوليو : الملكة ماب ومن تكون ؟

مركوشيو : انها قابلة الجنيات ، وهى تأتى فى صورة ليست اكبر من فص خاتم ، فى الاصبع السبابة من كف عمدة ، تأتى فى عربة تجرها كائنات دقاق تتداعب انوف الناس وهم نائمون . قد اتخذت قوائم عجلاتها من سوق العناكب الطوال ، واتخذت من اجنحة الجنادب غطاءها ، اما عنانها فمن رقيق خيط العنكبوت ، واما الجامها فمن عظم الصرصار مقبضه ولكن فمن عظم الصرصار مقبضة ولكن جلداه من غشاوة ، واما سائق عربتها فلبابة صغيرة قد لبست معطفا رماديا لا يزيد حجمها على نصف دودة ضئيلة قد انتزعت من اصبع صبية كسلة ـ « اشارة الى مثل انجليزى يقول بأن الايدى الكسلانة تنمو فيها الديدان » اما اطار عربتها فبندقة فارغة فرغها سنجاب حاد الاسنان او حشرة عجوز ، وكلتاهما كانت تصنع مراكب الجنيات منذ الزمان الاول .

اما مسرحية « حلم ليلة صيف » « ويختلف الشراح فى ترجمة اسمها الكامل : اهو « حلم منتصف ليلة صيف » ام « حلم ليلة فى منتصف الصيف » فتكاد ان تكون كلها وقفا على عالم الجن ، حيث نلتقى باوبيرون ملك الجن ، وتيتانيا ملكتهن ، وبك او روبين الطيب ، وزهر البسلة ، ونسيج العنكبوت ، وفراشة ، وحب الخردل وكلهم من الجن ، فضلا عن حاشية جنية من اتباع الملك والملكة .

ويوقفنا « بك » على بعض افاعيل الجن حين يقول :

« سأتبعكم : سأراقصكم فى حلقة فى الوحل وفى وسط الغدير وفى الادغال ، وفى الماء الضحل ، والاعشاب ، سأتخذ شكل الجواد تارة ، وشكل كلب الصيد تارة اخرى . وسأكون خنزيرا او دبا بلا راس ، او نارا ، وساصهل ، وانبح واقبع ، وازار ، واحترق ، واتبعكم فى كل جانب كالجواد ، والكلب والخنزير والدب والنار » .

ومسرحية « العاصفة » ـ اخر ما كتب شكسبير ، فى ظن بعض الدارسين ـ تقدم جنيا لا ينسى هو : اريل ، ذلك الروح الهوائى اللطيف ، باعتباره مناقضا لكاليبان ، ذلك الوحش الفظ . وحين تحاول عصبة الشر التى غصبت بروسبرو ، دوق ميلانو الشرعى عرشه ـ الونزو وسباستيان وانطونيو ـ ان تشهر سيوفها فى وجه اريل يجيبهم اريل بهذه الكلمات التى تكشف من قدرة الجن ، واستعصائهم على شر البشر .

يأيها الحمقى ، انا
وعصابتى ضد السماء
لو كان فى مقدوركم
ان تجرحوا وجه الفضاء
او تطعنوا بالسيف مو
ج البحر ، وهو رقيق ماء
فلتنزعوا ريش انا
ولتسلبوا ثوب البهاء
لا ، لن تمسونى ، وصحبى
مسة عند اللقاء !
هيا اذا للحرب ، هيا ،
هاجموا يا اغبياء ؟ ..

اشتهر ملتون ، اكثر ما اشتهر ، بملحمتى « الفردوس المفقود » و « الفردوس المستعاد » فضلا عن قصيدة « شمشون فى نزاله » . ولكن له ايضا قصيدة طويلة عنوانها « كومس » يحلها العارفون بفضله محلا رفيعا من انجازه الشعرى واللحنى . ربما لم تكن كلمة « القصيدة » هى الكلمة المضبوطة لوصف هذا العمل ، فهى

« ماسك » او مسرحية تجمع بين الكلام والغناء والرقص ، قدمت في قلعة لدلو عام ١٦٣٤ امام ايرل بردجون ، حاكم ويلز .

واسم كومس – كما يقول بول هارفي – هو اسم جني او آله وثني ، ابتكره ملتون ، وجعله ابنا لباخوس والساحرة كيركي ، يعترض طريق المسافرين ، ويغريهم بتجرع شراب سحري يمسخهم في صور حيوانات . ولا تلبث سيدة وشقيقاها أن يضلوا طريقهم في غابة ، واذا تجد السيدة نفسها بمفردها ، تنجذب الى القصف الذي يحدثه كومس متنكرا في زي راع ، يعرض عليها ان ياويها في كوخه ، ويمضي بها بعيدا عن رفاقها . ويظهر الاخوان ، بعد ان روت لهما روح حارسة طيبة ، تتزيا بزي الراعي ثيرسس – ما حدث .. وتحذرهما الروح من سحر كومس ، وتقدم لهما جذر نبات من شأنه ابطال هذا السحر .

ويتغير المشهد فنرى كومس ، ومن حوله اتباعه ، يلح على السيدة ان تتجرع شرابه ، بينما ترفض هي – لنقائها وعفتها – ان تنصاع لاغرائه . ويقتحم الاخان المكان فيشتتان الجمع ، ولكنه قد غاب عنهما – لسوء الحظ – ان ينتزعا عصا كومس السحرية ، ومن ثم لا يتمكنان من تحرير اختهما من كرسي القى عليه كومس سحره ، وشدت اليه . وهنا يهيب ثيرسس بسابرينا ، ربة نهر سفرن المجاور ، فتاتي محفوفة بحاشيتها من حوريات الماء وتطلق سراح الفتاة . وبعد ترنيمة شكر لسابرينا ، تعود السيدة واخواها سالمين الى قلعة لدلو .

وننتهي من هذا العرض الخاطف لدور الجن في اعمال ثلاثة شعراء كبار الى ان لهم اكثر من وظيفة : فهم (اولا) يعينون على خلق عالم تخيلي وثيق الصلة بمنابع الفكر والاسطورة ، وهي مهاد كل ادب عظيم . وهم (ثانيا) يتيحون لنا . فرصة النظر الى عالمنا



البشري – بما يموج به من اهواء وصراعات واتجاهات – من زاوية غير مألوفة : اذ ان الجن الطيب يستثل السخائم من نفوس البشر ، ويحفزهم على تنمية الجانب الطيب من طبيعتهم بينما يعمل الجن الخبيث على استخراج اسوا مافيهم ، ويدفعهم الى مقارفة الاثم .

واخيرا نلاحظ ان الجن جزء من ذلك العالم الذي لا تني الفلسفات والفنون تحاول استكشافه : عالم المجهول ، حيث تنتهي المعرفة اليقينية ، ويقف العقل الانساني على التخوم ، يتساءل ويحدس ويفكر ، اذ يواجه بتعبير هملت – تلك الارض التي لا يعود منها احد !



عالم الجن وعالم الأرواح

● د . رءوف عبيد ●

في لقاء مع الاستاذ الدكتور رءوف عبيد

كان اول سؤال يخطر بالبال في موضوع الجان هو :

● هل للجان دراسات علمية ؟

واجاب الدكتور رءوف عبيد يقول :

– الدراسة تدور بصفة اساسية حول دراسة جميع الظواهر غير المألوفة وهذا موضوع « الباراسيكولوجي » .

وقد انتشرت الآن دراسة « الباراسيكولوجي » في جميع انحاء العالم ، والهدف من دراستها هو تسجيل الظواهر غير المألوفة باسلوب علمي ومنهج علمي ، وتوسيع رقعة البحث فيها لاستخلاص العنصر الثابت فيها . .

ويمكن القول بان « الباراسيكولوجي » قد قطع الآن مرحلة كبيرة في ابحاثه وان مسالة دوام الحياة الانسانية بعد موت الجسد المادى اصبح حقيقة علمية مقررة

اما من ناحية وجود كائنات اخرى غير منظورة وهي التى اطلق عليها الجان او القرين » او الشيطان » الى غير ذلك – فهى قضية لم يحسمها العالم لمواصفاته التجريبية .

وكل ما يمكنني ان اقوله انه متى يثبت وجود حياة في مستوى اهتزازى مرتفع لا تخضع لحواسنا ، فمن المتصور علميا احتمال وجود حياة اخرى تختلف من المستوى المادى للوجود يمكن ان تقطنها كائنات غير منظورة ، بمعنى انها كائنات تختلف عن البشر بكثير

● هل يوجد في الخارج علماء معنيون بدراسة عالم الجان ؟

الدكتور رءوف عبيد، استاذ :وكيل كلية الحقوق بجامعة عين شمس .. وصاحب مؤلفات قيمة ودراسات في عالم الروح وعضو في جمعيات دولية للبحث الروحى

● الاتصال بالجن قديما وحديثا ● في العدد القادم ●

ـ لا اعتقد هذا ، ولكن الموضوع نفسه وهو موضوع الظواهر غير المألوفة ـ متشعب النقاط ، وتعليل هذه الظواهر لايزال خاضعا لمدارس كثيرة وقد لاحظت فى الخارج انهم يعنون كثيرا بدراسة عالم ما بعد الموت والظواهر الروحية .

اما هنا فى الشرق فقد تعود عديد من الكتاب على الحديث عن عالم الجن كما لو كانت نسبة الظواهر غير المألوفة الى الجان ، يمكن ان تحول دون نسبتها الى الارواح .. وبعبارة اخرى انه كلما تحدثنا عن الروح تحدثنا عن الجان كمعارض للروح ... مع انه بدون ريب توجد ظواهر روحية وحياة بعد الموت

وانا شخصيا لا استبعد وجود عالم اخر لكائنات غير منظورة يصح ان يطلق عليه عالم الجن او الشياطين ولكن الدراسات الروحية فى جميع الجهات المعنية تكاد تحصر اهتمامها فى دراسة الظواهر الروحية الخالصة فى انها ظواهر متشعبة واسعة النطاق وخطيرة فى دلالاتها ، ولا تزال بحاجة الى مزيد من العناية بها .

● هل هناك من يملكون قدرة العلاج بغير الطرق الطبية المألوفة ؟ ..

وهذه نقطة مقطوع بصحتها علميا حتى فى الاتحاد السوفييتى حيث يوجد معهد متخصص « الباراسيكولوجى » فى موسكو حيث يعمل به حوالى ٣٠٠ من الخبراء والاداريين ، وقد قطع هذا المعهد بوجود سبل للعلاج تختلف عن السبل المادية ، ووجود اشخاص يمكنهم تناولت هذا الموضوع ببعض التفصيلات ومعتمداً على بعض التجارب الحديثة فى كتاب أقوم حاليا بترجمته يسمى « الاتصال بين عالمين » وقد اضفت الى الاصل الانجليزى اجزاء جديدة كثيرة متصلة بهذا الموضوع ، واعتقد انها جديرة باهتمام جميع المعنيين ، وتكفى ان تعلم انه فى انجلترا اعترفوا رسميا بشرعية الوساطة الروحية والعلاج الروحى ، ويوجد حاليا فى انجلترا اتحاد يسمى الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين يضم حوالى ٦٠٠٠ معالج روحى ، وانه يوجد خارج هذا الاتحاد ...) معالج اخر ، ويوجد فى انجلترا الان اكثر من ٥٠٠ مستشفى تسمح للمعالجة الروحية بالدخول الى المستشفيات لممارسة العلاج الروحى متى طلب المروحين او اهله ذلك .

وايضا توجد مستشفيات متخصصة الان للعلاج الروحى ففى البرازيل فى بلدة برتو الجرحيث توجد مستشفى واحدة بها اكثر من ٤٥٠ مريضا ومخصصة لهذا الغرض . ويوجد مثله فى ايرلندا .

وارجو واناشد المسئولين فى بلادنا بضرورة المبادرة بادخال بحوث « الباراسيكولجى » وياحبذا لو امكن انشاء معهد متخصص فى هذه الامور اسوة بما يجرى الان فى جميع دول الحضارة .. ●

● اعداد : موريس عزيز ●

الحياة في مستنقع



تحت سطح المستنقع الساكن وفوق مياهه عالم لا يصدم من الحياة والصراع من اجل البقاء . آلاف من الاحياء تتصارع في سكون رهيب . هنا يعيش كل كائن حي اخر ، والبقاء للاقوى والاذكى وربما للاصغر الذي لاتدركه عيون اعدائه .. في هذه الصفحات ترى وتقرأ عن عجائب عالم الموت والحياة ..

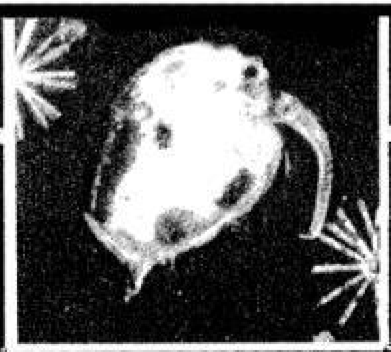




هذا المنظر تمر به أنت ولا تراه . لابد أن تجلس على حافة المستنقع وتطيل النظر والتأمل ، ربما بعدسة مكبرة ، ولابد لك من الحذر البالغ لأن الشرائط البلورية التى تراها هى قرون التحسس لحيوان بحرى معروف هو الهيدرا ، وشعيرات التحسس هنا فيها مادة سامة تفرزها بمجرد ملامستها لأى جسم غريب ، والسم الذى فيها يقوم بتخدير الحيوان الذى يلمسها . بعد لحظات يهبط بقربها وتحس به وتقدم لتأكله .. انها لا تبتلعه بل تخرج معدتها وتهضمه خارجا ثم تمتص الخلاصة ! وتحتها ترى بيضتين من بيوضاتها ستفقس قريبا ، وحولها أحياء صغيرة وأعشاب كل واحدة منها عجيبة فى ذاتها . عليك أن تلبس القناع الزجاجى وتدخل رأسك فى الماء وتظل تتأمل ساعات ..

الحياة في مستنقع

هذا المستنقع الراكد المياه الذى تنظر فى مائه فلا ترى شيئا ، ميدان صراع رهيب بين ملايين الاحياء التى تعيش فيه لانها تعيش بعضها على بعض ، وفى هذا الاستطلاع وصوره ترى على الطبيعة صورا من تلك المعركة الرهيبة التى لا تسكن لا بالليل او النهار ..



فى هذا العالم الحافل بالحياة المتدفقة تعيش أحياء لا يصدق الانسان انها احياء مثل هذه التى تراها هنا ، واسمها فراجيلاريا دياتوم وطولها مليمتران وعرضها مليمتر وشكلها مثل مقطع جذع شجرة وهى تعيش من امتصاص عصارات الاحياء التى تلتصق بها .

الكثير من بلادنا ـ مثل مصر والعراق غنية بالبرك والمستنقعات .

وفى جنوب العراق خاصة منطقة واسعة كلها برك ومستنقعات هى منطقة الأهوار وتمتد حول موضع التقاء دجلة والفرات، وهذه أغرب منطقة مستنقعات فى العالم العربى لأنها منطقة واسعة من البحيرات والمساحات المائية يعيش فيها أناس كثيرون تعتمد حياتهم كلها على تلك المساحات من الماء الضحل .

وفى السودان مناطق مستنقعات وبرك كثيرة أكبرها منطقة بحر العرب وبحر الغزال . هنا تمتد المستنقعات الوف الكيلو مترات المربعة وتسكنها أنواع من الأحياء النباتية والحيوانية لا يحصيها الا خالقها ، ولكن دراستها شاقة وخطرة بسبب أسراب البعوض والهوام السامة والزواحف الخطرة التى تعيش فيها .

اما فى روسيا والولايات المتحدة فانهم عرفوا كيف يخلصوا البرك والمستنقعات من كل ما يضايق الناس منها واكبرها البعوض والهوام والأحياء السامة والتعفن الذى ينشا عن موت الاحياء ومخلفاتها كما نرى حول بركة قارون فى محافظة الفيوم التى تفقد جمالها وجاذبيتها يوما بعد يوم نتيجة لعدم التفكير الجدى فى تخليصها من كل ما يمنع الناس من الاستمتاع بها والافادة منها ..

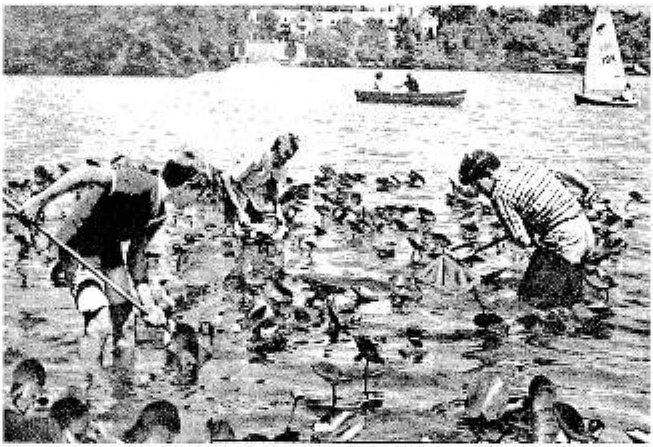


وهذا المخلوق العجيب الذى يشبه قارورة . انه خنفساء بلا ارجل ولكن لها زعنفتين تتحرك بهما فى مؤخرة جسدها وبيضها يخرج من فتحتين فى رقبتها ويتركم البيض فى عنقودين صغيرين الى جانب العنق .

وهذا الاستطلاع الذى ننشره عن بركة توكسون تاون ، فى ولاية ديلاوير

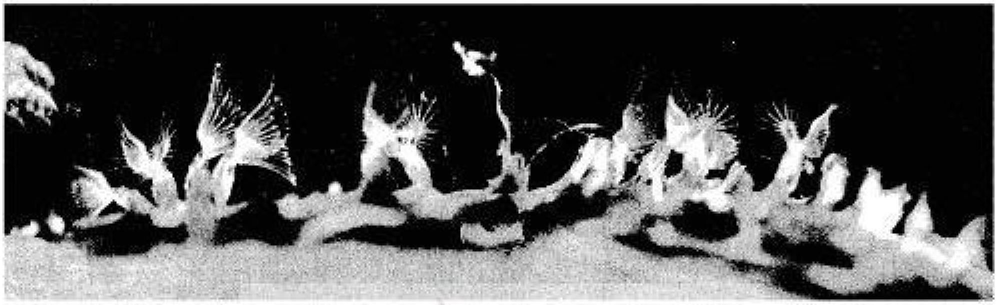


نماذج من احياء البركة : الى اليسار أحياء ميكروسكوبية تسمى النجيمات ، لا تزيد مساحة الواحدة منها على مليمتر ، ولكنها ملايين كثيرة تعطى الماء أحيانا لونا أصفر ، وتعيش معها فى نفس المكان أحياء أخرى فى غاية الصغر وكلها تتغذى على البلانكتون وهى مادة بروتينية توجد فى ماء البحر وتتربى على الاعشاب المائية • والى اليمين (أعلى) ترى مخلوقا يشبه مقطع شجرة وطوله لا يزيد على خمس بوصة • وفي أسفل ذلك (الى اليمين) ترى حيا مائيا فى هيئة البيضة يخرج بيضها فى شكل عنقودين الى جانبى ذيلها • هذه البيضات تخرج ٤٠ حيوانا •

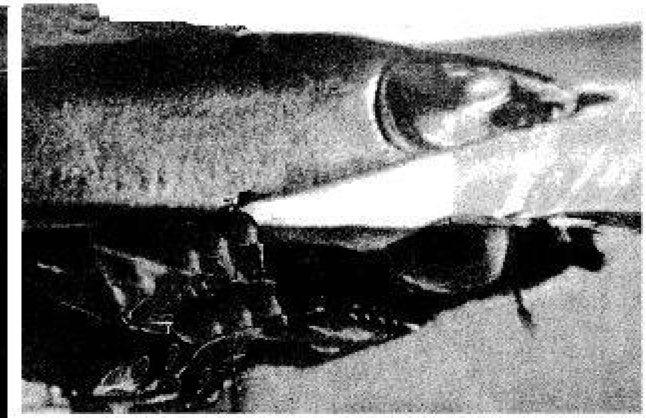


◄ بركة توكسون داون التي تعتبر معمل تجارب الاحياء المائية ملحق بمدرسة للاحياء تسمى مدرسة الفروز الثانوية لجوينة دياتوير . انها كما ترى بحيرة جميلة صافية المياه بفضل الضفادع التي تتغذى على البعوض وبعض احياء مائية اخرى تعيش على الحشرات الضارة . في الصورة ترى تلاميذ المدرسة يستخرجون عينات من النباتات والاحياء المائية للدراسة . انهم كذلك يحافظون على الاحياء المائية في صحة جيدة ويبعدون عنها كل ما يضرها ويؤذيها . لقد تحولت البركة الى مكان نزهة بالقوارب .

ملايين من هذه الحشرات المائية توجد على سطح المستنقع . انها تسمى السيتا ولونها واجنحتها فضية وهي تعيش على احياء اصغر منها او على ما يطلق في الماء من مواد بروتوزوية تسمى البريولوا . والسيتا تعيش على البعوض ويرقاته . وهي تلتهمها بسرعة البرق ولهذا فهي من الحشرات النافعة . انها تحمي المستنقع وما حوله من البعوض . وهي لا تفارق الماء رغم ان لها اجنحة صغيرة . وهي تحوم بها دائما على السطح .







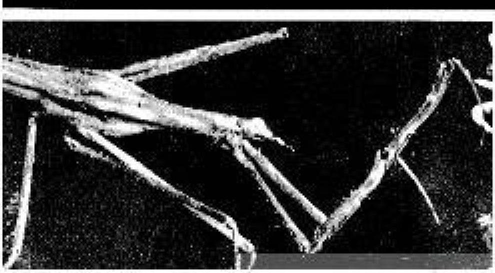
هذا الشيء الذي يخيل اليك انه يحمل ثيابا انه اكثر من ذلك يكون انه رأس عقرب ماء - تعيش دائما قرب سطح الماء لانها تتنفس الهواء . ترى تيار هواء تنفسها خارجا من انبوب صغير يصل الى السطح وله غطاء يمنع يجعله مفتوحا دائما .

وهذه الصورة هي بقية جسد عقرب الماء بذيلها الطويل الذي يعمل الحماية أو الإبرة وأرجلها الكثيرة الطويلة - طولها يصل الى نحو ١٠ سنتيمترا وهي في نفس خطورة عقرب الارض . هناك أجسام مائية صغيرة تعيش على جسد العقرب وأرجلها وذيلها .



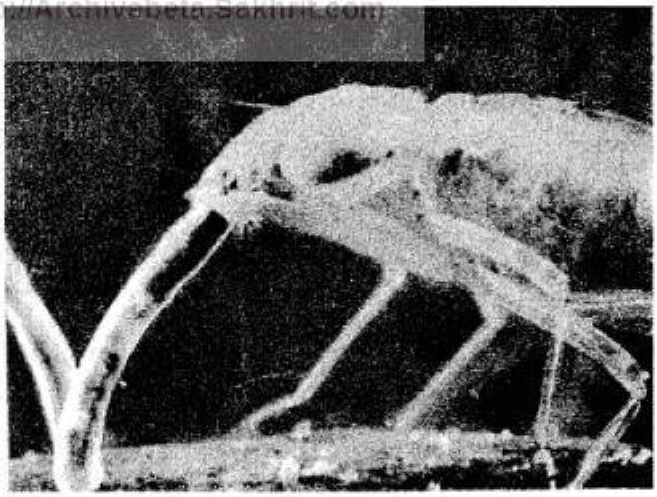
احدى خنافس المستنقع - انها تعيش معلقة تحت سطح الماء لانها تعيش على الحشرات والذباب وكل ما يسقط فوق سطح الماء - واحيانا تخرج من الماء وتظل بقية جسدها داخله . وفي الصورة ترى اثنين من هذه الخنافس .

واحيانا تهبط هذه الخنفسة الى القاع وفي هذه الحالة تخرج من فمها فقاعة مليئة بالهواء . وتكون هذه الفقاعة كبيرة هي ليستطيع دقائق تحت الماء لم تعود مرة أخرى . انها تجد في القاع احياء اخرى تلتهمها وهي ضرورية لحصولها لتشعر اقتناعها بالبروتين .

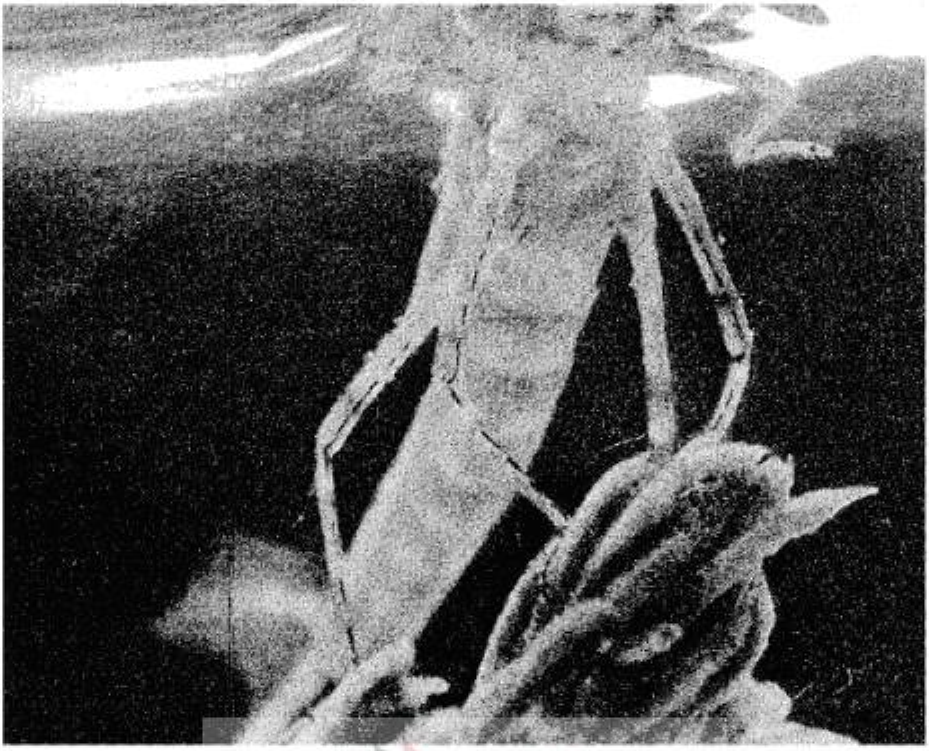


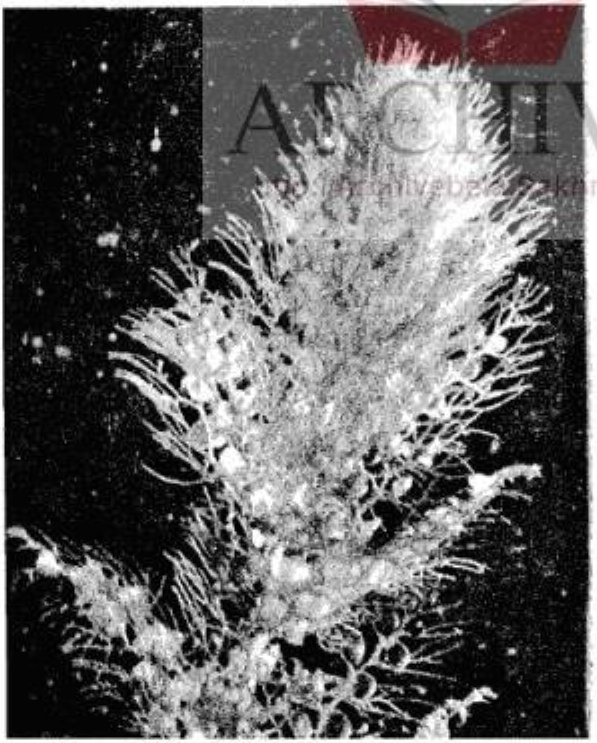


هـذا المخلوق الذى يشبه الجنبرى نـوع دود الماء يسمى الميدج وهو يعيش فى قاع المستنقع حيث يقل الاوكسوجين • قلة الاوكسوجين تجعل السائل فى بطن هذه الدودة يأخذ لونا احمر او اصفر او اخضر او بنيا • وعندما يطول مكثها تحت الماء تصعد الى السطح لتأخذ شيئا من الهواء وتعود شفافة بلا لون •



ذبابة الدارجون: مخلوق صغير جدا ولكنه رهيب فى قدرته على الالتهام• انها تعيش فى قاع المستنقع وتعيش على دود الماء • وفى الصورة تراها تفترس دودة • انها تبتلعها رويدا رويدا حتى تأتى عليها كلها وهذه العملية تستغرق دقيقة واحدة • انها تفترس فى اليوم الواحد أكثر من ١٠٠ دودة •





هذه الخنفسة المائية من عجائب المخلوقات حقا . فان نصف عينها مهيأ للرؤية خارج الماء ونصفها الآخر مهيأ للنظر داخل الماء ، انها حشرة مفترسة تلتهم كل ما يقع في ايديها الطويلة وهي تبدأ باعطائه حقنة مخدرة ، ثم تنتظر قليلا ثم تبدأ في التهامه على مهل .

هذا النبات الذي تراه ليس نباتا ، انه كائن حي متحرك ولكنه يثبت نفسه في قاع الماء وينشر نفسه على هذه الصورة ، ان شعيراته التي تراها تضم نوعا من السم الذي يشل حركة اي مخلوق حي يمر بها لكي تمتص ما فيه . اذا مسها الانسان احس بلذعة يحدث عنها تورم والتهاب .

الحياة في مستنقع

الامريكية يرينا كيف يستفيد الناس من البرك والمستنقعات كحقول لدراسات علم الاحياء • فقد كانت هذه البركة في أول أمرها مستنقعا قريبا من بلدة ميدلتاون في ولاية ديلاوير على الشاطيء الشرقي للولايات المتحدة الامريكية ، فاهتم بأمره رجل من علماء الطبيعيات يسمى توماس توكسون وأنشأ الى جواره كلية لدراسة الاحياء تابعة اليوم لجامعة بنسلفانيا ، وهذه المدرسة تعتبر البركة متحفا ومركز دراسة للاحياء على الطبيعة، ولهذا فهي تعتبر أهم كلية للاحياء في الولايات المتحدة •

ومن المعروف أن أكثر ما يضايق الناس في البرك والمستنقعات هو البعوض الذي يتكاثر فيها ، ثم العفن الذي يتراكم على شواطئها،وهم يعرفون انهم لا يستطيعون استعمال المبيدات الحشرية لان ذلك يضر بالاحياء التي يدرسونها في المستنقع • ولهذا فقد بحثوا حتى اهتدوا الى نوع نادر من الضفادع يلتهم البعوض ويرقاته وبيضه بشره عظيم ، فربوه في برك خاصة حتى تكاثر ثم القوا به من البرك وفي بحر أسابيع كانت هذه الضفادع قد أبادت البعوض منها ••

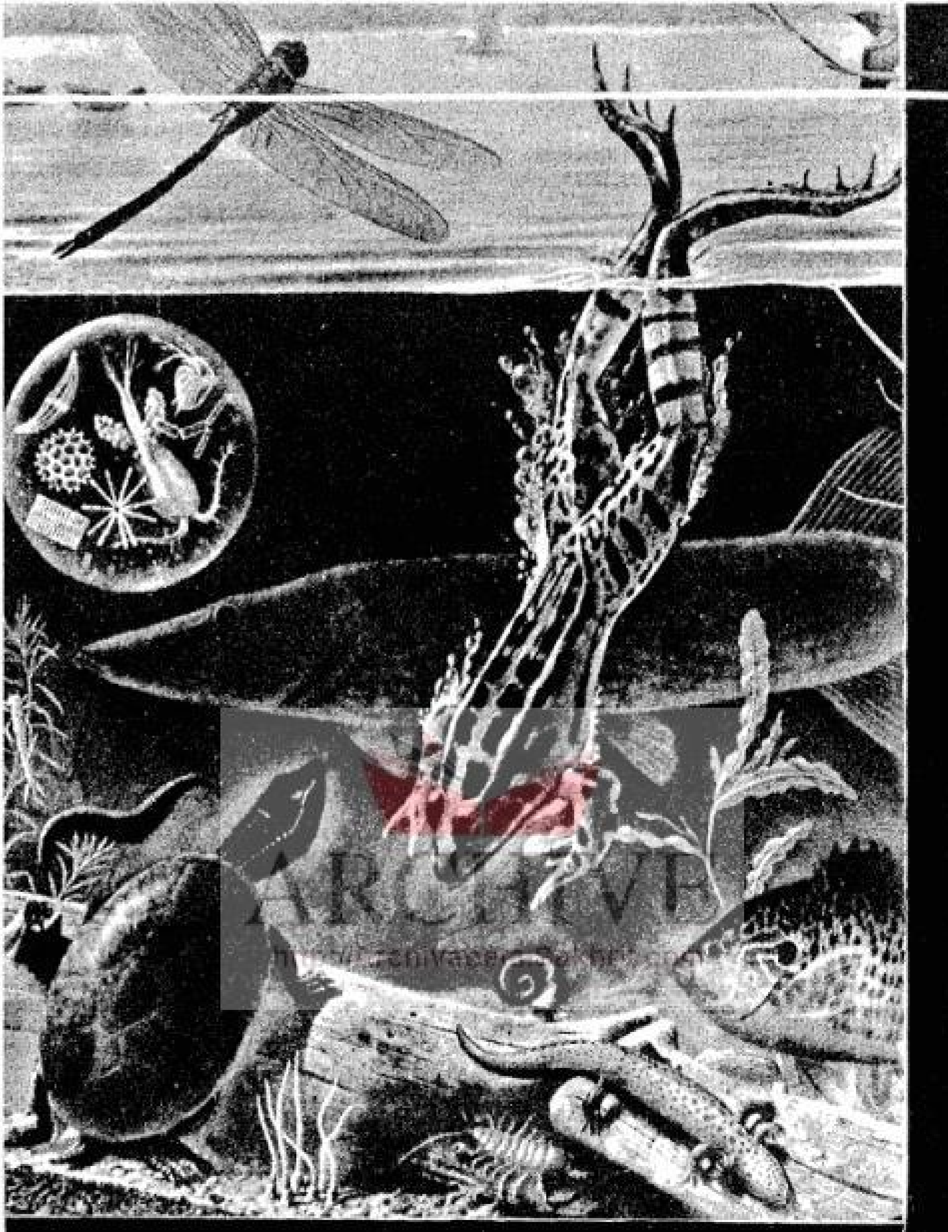
وأما العفن فهو بكتيريا تتكاثر على ضفاف البرك وفي قيعانها ، فبحثوا عن أنواع من البكتريا تتغذى على بكتيريا العفن ، فقامت هذه أيضا بتنقية مياه البرك وشواطئها وقيعانها من العفن ، وبذلك أصبح مستنقع « توكسون » بركة من الماء الصافي تعيش فيها الوف الاحياء ويدرس الاساتذة هذه الاحياء كيف يشاءون ••

والعبرة من وراء العناية بهذه البرك وأحيائها هي أن الاحياء تعيش فيها على طبيعتها ويدور بينها صراع الحياة كما يدور في واقع الحياة ، فاذا كان هناك ثعبان مائي استطاع العلماء أن يدرسوا كيف يعيش هذا الثعبان وكيف يبيض وكيف يفقس البيض وتخرج منه الثعابين لتخوض معركة الحياة ••

ومن المعروف أن أحياء المستنقعات مثل أحياء البحار يعيش بعضها على بعض فهذا يفترس ذاك وذاك يفترس حيوانا أو نباتا ثالثا ، وهكذا تجد المستنقع دنيا قائمة بذاتها تدور فيها الحياة دورتها الطبيعية كما قدر الله لها أن تدور • وهم لهذا لا يحمون حيا من حي ، ولا يقفون في طريق التطور الطبيعي لحي من الاحياء ولو كان بالغ الوحشية والنهم ، فيراقبونه ويدرسونه ويرون على أي أنواع يقضي ، وكل ذلك مفيد علميا وعمليا ••

وفي الصفحات المصورة المرافقة لهذا المقال صور من صراع الحياة في مستنقع أو بركة « توكسون » في ولاية ديلاوير في الولايات المتحدة ، والصور تعطيك فكرة واضحة عن طبيعة الحياة والصراع في المستنقع ، لان العلماء لا يكتفون بالمراقبة بل يغوصون في مياه المستنقع وفي أيديهم الكاميرات ومصابيح الاضاءة ويقضون الساعات وهم يراقبون ويصورون ويقيسون درجات الحرارة وقوة الضوء وذبذبات الصوت وكل ما يستحق التسجيل في المستنقع •

وجدير بالذكر انه توجد في الولايات المتحدة وبعض بلاد أوروبا برك ومستنقعات صناعية • أي أنهم يحفرون البركة ويعدونها اعدادا طبيعيا • ثم يتركونها فلا تلبث أن تمتلأ بالاحياء ؟ فمن أين تأتي ؟ تحملها الرياح والطيور والحشرات التي تعيش على حافات المستنقعات ، بل أن الطيور المائية مثل البط البري عندما يحط على وجه البركة يحمل في رجليه عشرات الاحياء الصغيرة التي تتوالد في المستنقع ، ومن أكبر ما يعمر البركة بالاحياء الضفادع التي تقفز الى البر وتعود وفي أقدامها ويديها عشرات الاحياء •



منظر آخر من نفس الرسم يكمل الصورة عن الاحيـاء التي تعيش داخل المستنقع وعلى شواطئه وعلى سطحه • هذه الاحياء كلها يعيش بعضها على بعض فهى فى صراع وافتراس دائمين ، فكل حيوان من هذه يسعى لالتهام غيره ،وغيره يسعى لالتهامه • انه عالم رهيب من الافتراس والـخداع والمآسى ، لان تلك المخلوقات الصغيرة ماهرة جدا فى نصب الشراك لبقية الاحياء وشراكها احيـانا لا تصدق •

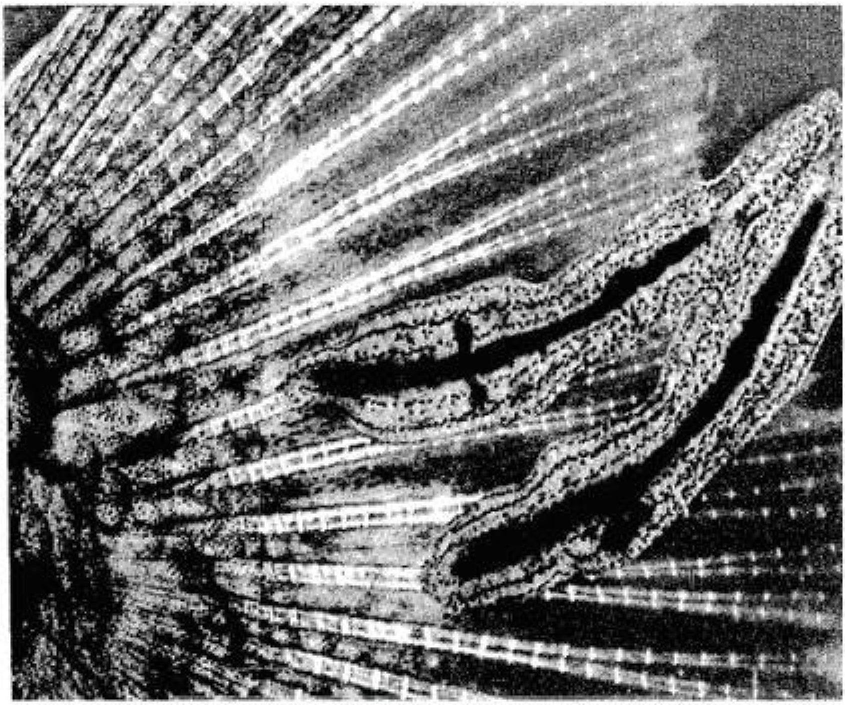




تعتبر حياة الضفدعة عجيبة من عجائب الخلق ، فهى تخرج من البيضة فى هيئة اسماك صغيرة جدا تسبح بسرعة خاطفة فى الماء ، كما ترى فى الصوره الى اليسار ..

وبعد أيام تتحول كل سمكة الى يرقة فى شكل بيضة ذات ذيل طويل . فى الصورة ، أعلاه الى اليمين ترى تلك البيضة وجزءا من ذيلها . انها شفافة تستطيع العين أن ترى بداخلها الطعام الذى من فمها الصغير (اعلى الصورة) مع الماء حيث يهضم ، وبعد ذلك تتحول البيضة الى ضفدعة : البيضة تتحول الى رأس وصدر ، وتبرز منها اليدان والرجلان ، والذيل يضمر فى حين ان الاقدام تطول . فى بحر ثلاثة اسابيع تجد امامك الضفدعة كاملة الخلق وقد تحولت الخياشيم الى رئة لكى تعيش على البر وفى الماء .







الطفيليات مخلوقات ضارة على الحيـــاة ، لانها تعيش على غيرها وتمتص دمها ، ولا يوجد فى البركة سمكة او ثعبان مائى او ضـــفدع الا تعيش عليها طفيليات تلتصق بجسده وتغرس فيه انيابها الماصة وتعيش عليه كما ترى فى الصورة على اليمين حيث ترى ســمكة على جلــدها الوف من الفطـــريات الطفيلية . وعلى اليمين ترى زعانف سمكة كانها اذرع نجمة تعلقت بها طفيليات تمتص دمها .

بقى أن نقول أن البركة غير البحيرة والفارق هو العمق والمساحة وجريان الماء ، فمعظم البحيرات تتغذى أما من حيوان أو فروع انهار ، ولهذا فان الحياة فيها متجددة ومتنوعة جدا أما البركة فضحلة الماء لا يزيد عمقها على مترين او ثلاثة على الاكثر ومياهها تتغذى بمياه الامطار فقط . فاذا لم تكن هناك أمطار كافية فلا تعيش البركة كثيرا

وعندنا فى بلادنا برك ومستنقعات بلا حدود ، ومن الممكن تحويلها كلها اما الى مزارع سمكية أو الى مراكز دراسية للاحياء المائية .

وهذا لا ينطبق على المستنقعات الضحلة جدا التى لا يمكن الاستفاء منها باى صورة ، فهذه لابد من ردمها او تعميقها وتحويلها الى برك تصلح لتربية الاسماك .

لابد أن نعرف أنواع الاحياء المائية التى يستخدمونها هناك للقضاء على البعوض وكل الهوام اللاذعة التى تعيش على سطح الماء ، لاننا اذا عرفنا هذه الاحياء ـ ومعظمها من نوع الضفادع استطعنا ان نتخلص من آفة المستنقعات الكبرى وهى البعوض . وقد قرانا فى المجلة الجغرافية الامريكية دراسة عن نوع من المبيدات الحشرية يرش على وجه المستنقع ويترك لمدة اسبوعين فيقضى ذلك المبيد الكيميائى على كل البعوض دون أن يؤذى الاحياء التى تعيش داخل المستنقع

ومن الملاحظ عندنا أن الفلاحين يتركون المستنقعات تأسن ويفسد ماؤها دون أن يحاولوا التخلص منها للاستفادة من مساحاتها . وربما كانوا معذورين فى ذلك ، فهم محتاجون دائما الى قيادات علمية توجههم فى هذه العمليات ، ولا ندرى لماذا الى الآن لم نحاول قط أن ندخل المفهوم العلمى فى عقول الفلاحين أو على الاقل فى عقول المسئولين عن الزراعة فى القرى ، ومن الغريب أن لدينا نحو عشر كليات زراعية ونحو عشرة معاهد زراعية منتشرة فى كل ناحية ـ من نواحى البلاد ، ومع ذلك فان اهتمامات الكليات والمعاهد لا تتجه قط الى البيئة المحلية لاصلاحها والاستفادة منها ، والمفروض مثلا أن تقوم كلية الزراعة بجامعة الفيوم بالعناية ببحيرة قارون وهى بركة كبيرة وببحر يوسف وبكل أعمال تنظيم سير المياه من بحيرة قارون الى نهر النيل ، مع ان المصريين القدماء كانت لهم عناية كبيرة ببحيرة قارون وكل ما يتصل بها . ومن عشرين سنة فقط كان ما حول بحيرة قارون منتزهات ، وكانت البحيرة نفسها غاية فى النظافة والجمال ،فتدهور أمرها الآن وأصبح يحيط ببحيرة قارون نطاق من الأرض المتعفنة .

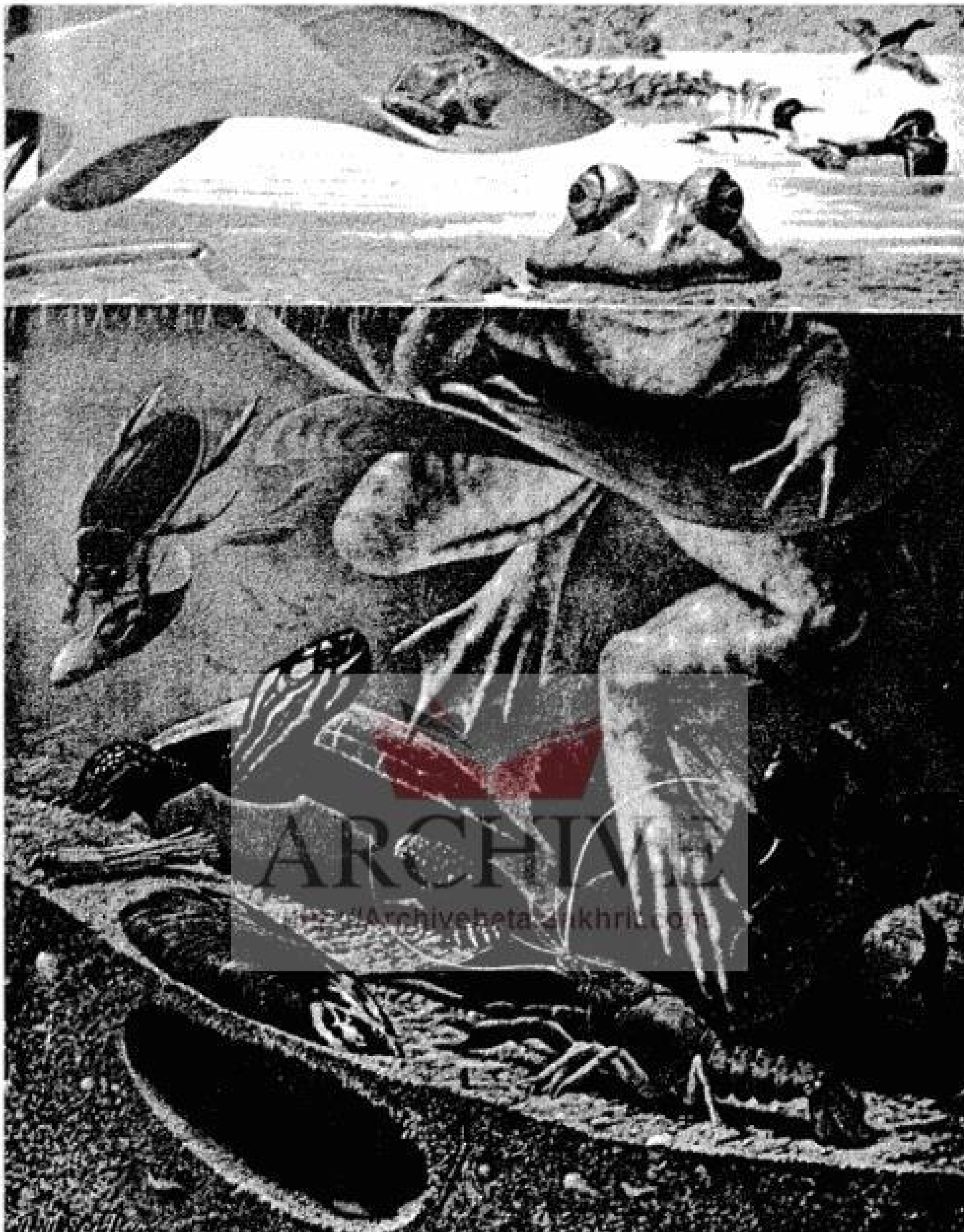
لقد جاء الوقت لكى تدخل العلم فى كل ناحية من نواحى حياتنا . وان الانسان ليتعجب من اننا ننشىء جامعة فى الزقازيق وظيفتها تعلم أبناء الشرقية لكى يغادروا الشرقية ولا يعودون اليها ، مع أن الاساس هو أن جامعة الزقازيق لا تنشأ لمساعدة عدد محدود من الشبان على الحصول على أجازات جامعية ، بل انها تنشأ لتحويل الشرقية كلها الى قطر علمى تسير شئونه كلها على أساس العلم فكلية التجارة هناك ينبغى أن تكون وظيفتها علاج مشاكل الشرقية الاقتصادية وانشاء البنوك أو فروعها والنهوض بالاقتصاد المحلى ..

ولنكن قد قدمنا البداية هنا العناية بالبرك والمستنقعات .

د . ح . م



هذه الاسماك الجميلة من اخطر اسماك المستنقع • انها من فصيلة سمك القرش ولكنها صغيرة الحجم ورغم ذلك فهي تلتهم مقادير هائلة من الاحياء الاخرى • واسفل الصورة ترى خنافس مائية واحياء اخرى عجيبة الاشكال ، منها واحد كانه شجرة ولكنه ليس نباتا بل حيوان مفترس •



رسم قام بعمله رسام خاص للاحياء ترى فيه منظر البركة ظاهرا وباطنا . على السطح ترى البط البرى والطيور المائية تطير فوق الماء باحثة عن الغذاء . هنا أيضا ضفدعة ظلة تقف على ورقة شجرة ورأس ضفدعة طاف على وجه الماء وبقيته غاطس . تأمل الاحياء البحرية حول الضفدعة ..

الذين ينكرون الجن ينكرون القرآن



● احمد حسن الباقورى ●

لا يجرؤ على انكار الجـان الا من لا يبالى تجهم الايمان والاعراض عن كل ما يأثره ثقات الاثرين من كتـب الله المقدسة على السنة الانبياء والمرسلين.. فقد جاء الحديث عن ابليس فى كتب الله المقدسة جميعا . وابليس لم يكن الا من الجن ، على ما يقول الله ـ جل ثناؤه ـ « واذ قلنـا للملائكة اسجـدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه »

فالذين ينكرون الجن ينكرون القرآن، الذى انزله الله ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه. ثم هم ينكرون ان يكون وراء هذا العالم المادى عـالم روحانى ، له خصائص يؤيدها العـلم الحديث ، تاييدا صريحا لا يتنكر له الا جاهل او جاحد.

وقد فتح الله ـ تعالى ـ لأولئـك الجاحدين عالم الروح نافذتين ، لا يجرؤ على انكارهما والاعراض عنهما ، الا من يجرؤ على انكار الشمس فى يوم قائظ ، فى رائعة النهار ..

وهاتان النافذتان اللتان تفضل الله بهما على المؤمنين والطامحـين الى الايمان ، هما : التنويم المغنـاطيسى ، واستحضار الارواح ، وقد اصبحا من العلوم المسلمة ذوات القواعد والأصول، ولها مؤمنون بها ومعاهد لدراستها فى امم مادية فى اوربا وامريكا

●●●

وقد يستسيغ المرء من الملحد ان ينكر الجن وان يبالغ فى الانكار ، ولكن داهية الدواهى ان ترى منتسبا الى الدين ، ينكر الجن والشيطان فينـكر القاعدة الوحيدة التى ينتظم بها امر دينه وامر دنياه .

وربما وجدت من الناس من ينـكر معالجة بعض الامراض ، من طريق هذا السر الخفى فى العالم الروحانى ، الذى له مميزات وخصائص لا يحيط بها الا آحاد قليلون فى دنيا الناس .

وقد يكون من الحق على ، **ان اقرر ـ لله ثم التاريخ ـ ما كان قد انبانى به رجل كبير** مقدور ، من انه **شهد بنفسه مريضا** أعيى الاطباء علاجه ، **ولم يظفر بنعمة العافية الا من طريق العلاج بهذا الاسلوب الروحانى الشريف .**

وليس بعيب هذه الصورة من صور الحياة الكريمة ، ان يزاولها دجالون او مستغلون، والا كان علينا ان نقاوم الدين نفسه ، اذ كان فيه دجالون ومستغلون وربما بلغ استغلالهم ان يستحلوا به ما حرم الله من الانفس والاموال

ان العالم الروحانى حق لا يرقى اليه الريب ، ومن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، وان يكن من الحق علينا ان نمسك عن القول فيما لا امل فى ان تبلغه المعارف ، وهو عند غـيرنا من امم الحضارة ، يكاد يرقى الى يقين العقائد ووضوح البديهيات . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ●●

عبد العزيز الأهواني

● د . محمود على مكى ●

لم تكن ندرى عشية ذلك الاربعاء «١٢ مارس ١٩٨٠» اننا كنا نلتقى به لآخر مرة .. كان كالعهد به بشوش الوجه ، ضاحك الاسارير ، على شفتيه تلك الابتسامة الحلوة التى تكشف عن طيبة القلب وسكينة النفس وحب الخير للجميع .

لم يكن من عادته السهر ، ولكنه سهر فى تلك الليلة وافرط ، وكان القدر الذى تمسك يده بخيوط الحياة ومسالكها الخفية اراد ان ينزع الى شىء من الرفق باحبائه واصدقائه ، لقاء ما سيوقع بهم من فجيعة ، فأتاح لاكثرهم فرصة رؤيته والاجتماع به والاستماع اليه ، دون ان يقدر احد منهم ان ذلك اللقاء انما كان الوداع الاخير ! ...

لم تمض على انقضاء تلك الليلة ساعات حتى كنا مع مطلع الصباح نشيع جثمانه الى مثواه الأخير ، بوجوه ساهمة ، وقلوب محترقة ، وعيون باكية .. ثم وقفنا على قبره ، وانا استعيد ذكرى احد شعراء الاندلس وما كان اكثر ما يتصل بيننا الحديث حول هؤلاء الشعراء وتراثهم الباقى .. كان الشاعر هو عبد الجليل بن وهبون المرسى وهو ينشد على قبر استاذه الاعلم الشنتمرى :

> **واعجب لذاك الخط فى صفح الثرى ... ان حاز علما ماله احصاء**
> **انى وسعت وانت مضجع واحد ... من هذه الآفاق منه ملاء**
> **قسم الانام تراث علمك فاستوى ... فى نيله البعداء والقرباء**

وهكذا كان عبدالعزيز الاهوانى حقا : **كان يبذل من نفسه وعلمه وماله للجميع** وكان متصوفا فى سبيل العلم ، راهبا فى محرابه ، لم يتخذ زوجا ، ولم يرد ان يعقب ولدا ، ولكنه فجر جداول من معين اخوة صافية ومحبة صادقة ، جرت فى نفوس الكثيرين ماء عذبا ، وان كدرته فى النهاية غصة الموت ومرارة الفراق ..

لست الان فى معرض الحديث المفصل من سيرة عبد العزيز الاهوانى ومآثره انسانا وعالما ، وانما يكفى ان اجتزىء بكلمة موجزة حول اسهامه فى مجال

واحد من مجالات نشاطه الفكرى الكثيرة واعنى به ميدان الدراسات الاندلسية والاسبانية وما يتصل بها من ابحاث الادب المقارن . ولا اظننى مبالغا اذا قلت ان الاهوانى كان ممن وقفوا على رأس مرحلة جديدة فى تاريخ هذه الدراسات فى العالم العربى ، فقد كان العمل فيها قبله وقبل زميله وصاحبه الدكتور حسين مؤنس ومنذ اوائل هذا القرن لا يعدو اهتمام بعض الهواة ممن لم تجاوز مقروءاتهم صفحات من نفح الطيب للمقرى او تاريخ ابن خلدون فى طبعتيهما البولاقيتين القديمتين .

والواقع انه لم يكن قد نشر فى عالمنا العربى انذاك من التراث الاندلسى الا هذان الكتابان او ما يجاوزهما بقليل . ولهذا فقد اتت الدراسات الادبية الاندلسية التى نشرت حتى الاربعينيات من هذا القرن ناقصة قليلة الغناء بعيدة عن روح العلم .

وكان استاذنا العظيم الدكتور طه حسين - طيب الله ثراه - هو الذى احس بهذا النقص ، فاستقر عزمه على علاجه ، وكان يشاركه فى رأيه عدد من كبار اساتذتنا الراحلين من بينهم عبد الحميد العبادى واحمد امين وعبد الوهاب عزام . ورأى طه حسين انه لا سبيل لدراسة الادب الاندلسى دراسة جامعية بمعنى الكلمة الا اذا شرعت الجامعة نفسها فى نشر امهات هذا الادب . فوقع اختياره على كتاب «الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة» لابن بسام الشنتريني ، ولكى يكون باكورة عمل قسم اللغة العربية فى هذا الميدان .

وكان عبد العزيز الاهوانى - انذاك حديث عهد بالتخرج - من بين من اختارهم من شباب الخريجين لكى يضطلعوا بنشر « الذخيرة » ، ومعه بعض زملائه الذين اصبحت لهم اليوم مكانة مرموقة فى ميدان البحث العلمى منهم عبد القادر القط ، وعبده عزام وخليل عساكر وبخاطره الشافعى .وان كان هؤلاء جميعا قد انصرفوا بعد ذلك من ميدان الاندلسيات وفرغوا لمجالات اخرى . ولم يثبت منهم على ولائه لهذا



د. عبد العزيز الاهوانى

اللون من الدراسات الا عبد العزيز.

كان الاهوانى آنذاك فوق العشرين بقليل ، ومع ذلك فقد صدقت فراسة طه حسين فيه، فقد آتت جهوده وجهود زملائه ثمراتها . وفيما بين سنتى ١٩٣٩ - و ١٩٤٥ اصدر قسم اللغة العربية العربية بجامعة القاهرة المجلدات الثلاثة الاولى من « الذخيرة » . من اثار هذا العمل ان ارتبط مصير عبد العزيز الاهوانى بالدراسات الاندلسية الى اخر عمره ، بل اصبح له فضل الريادة فى هذا الميدان ..

والحق يقتضى ان اذكر ان منهجية الدراسة الجامعية للتراث الاندلسى لم تغب عن نظر عدد من شباب الاساتذة الجامعيين انذاك ممن كانوا يمثلون مع الاهوانى الجيل الرائد للدراسات الاندلسية والمغربية على اساس من التحقيق العلمى لبعض نصوصه الاساسية او البحث الجاد المسلح بالادوات العلمية اللازمة . واذكر فى مقدمة هؤلاء اثنين من اجل العلماء واعمقهم اثرا فى خدمة هذا الميدان :

اولهما الدكتور حسين مؤنس الذى اعد رسالته للدكتوراه عن « الفتح العربى للمغرب » (١٩٤٧) ثم قام بتحقيق كتاب « رياض النفوس للمالكى » فى

تراجم علماء افريقية وصلحائها ، فاخرج منه المجلد الاول « ١٩٥٠ » ، واضطلع فى هذه السنوات بنشر عديد من الابحاث حول التاريخ الاندلسى.. وكان من حظ الدراسات الاندلسية بعد ذلك ان كسبت هذا المؤرخ والعالم الجليل الذى اصبح مديرا للمعهد المصرى للدراسات الاسلامية خلال فترتين « ١٩٤٥ ثم ١٩٥٨ ـ ١٩٧٠ » كانتا اخصب فترات هذا المعهد واحفلهما بالنشاط العلمى والثقافى .

وثانيهما هو الدكتور شوقى ضيف الذى اولى جانبا من جهوده الضخمة لهذا الميدان الجديد تحقيقا وتاليفا .. « الرد على النحاة » لابن مضاء القرطبى « ١٩٤٧ ثم « نقط العروس » لابن حزم (١٩٥٠) ، واخيرا كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد الذى يعد من اثمن النصوص الادبية الاندلسية واحفلها بالفوائد « ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥ » ، هذا فضلا عن بعض الدراسات القيمة التى وجهت الابحاث الادبية فى هذا المجال فى الطريق العلمى السليم .

وكان طه حسين لا يكف عن التفكير فى حاجة الدراسات الاندلسية والمغربية الى جهود خاصة مكثفة لا ينهض بها الا معهد علمى ينشأ على تلك الارض ، وكان حسين مؤنس قد راى ضرورة انشاء معهد للدراسات الاسلامية فى اسبانيا وشجعه على ذلك استاذ المؤرخ الجليل شفيق غربال ، بعثه الى اسبانيا فى صيف ١٩٤٩ فذهب وكتب مذكرة عن امكانية تنفيذ المشروع وقدمها لشفيق غربال ومنه اخذها طه حسين ولم يكد يلى الوزارة فى سنة ١٩٥٠ حتى اقدم على تنفيذ مشروعه الجرىء ، فانشا اول معهد مصرى للدراسات الاسلامية خارج ارض مصر ، فى مدريد ، وقرر ان يوفد اليه عددا من شباب الباحثين كان لكاتب هذه السطور شرف الانتساب اليهم ولاشك فى انه قد كان للاهوانى دور كبير فى الاعداد لذلك المعهد تحت اشراف الدكتور سليمان حزين الذى وكل اليه الدكتور طه حسين كل ما يلزم من الصلات بالسلطات الاسبانية من اجل تقديم التسهيلات الخاصة بذلك .. وكان الاهوانى يقيم منذ سنة ١٩٤٧ فى اسبانيا . وفى دير الاسكوريال ، ذلك المكان الموحش البارد ، يعكف الاهوانى خلال تلك السنوات على المخطوطات العربية فى خلوة المتصوفة ، فيستصفى كل ما فيها من مادة ، حتى يصبح مرجعا لكل من يريدون التعرف على مخطوط عربى هناك ، سواء اكانوا من العرب أم من الاوربيين ، بل يلجأ اليه المسئولون عن القسم العربى هناك ، وما اكثر ما كان الاب « موراتا » امين خزانة الدير يرينا فى دفاتر المكتبة وسجلاتها مادونه الاهوانى بخطه من ملاحظات وتصويبات ، معتزا بها كل الاعتزاز .

ويعين الاهوانى اول وكيل للمعهد بعد افتتاحه ، ولو انه اراد لبقى فى مدريد ، غير ان عبد العزيز كان كالعهد به عزوفا من المناصب ، مؤثرا للعمل الصامت الهادىء ، فما ان راى انه قد جمع مادة بحثه وتمكن من الادوات التى كان يراها لازمة لعمله حتى آثر ان يعود الى القاهرة ، ليستكمل مسيرته العلمية فى جامعتها .. وفى خلال هذه السنوات التى لحقنا فيها بالاهوانى فى اسبانيا كان لنا نعم الموجه ، ونعم الاخ العطوف .. لم يكن احد منا يحتاج الى دعوة حتى يهرع لمعونته فى شهامة الريفى الاصيل وكرمه ودماثة اخلاقه . وهى السمات التى طبعت شخصيته بطابع لم يزايلها حتى نهاية حياته .

يعود الاهوانى الى مصر ، فينهى دراسته فى اناة ، ولكنه لا يمضى سنوات قليلة حتى يرشحه الدكتور حسين مؤنس ،

وكان مديرا عاما متفانيا - في ذلك الحين بمنصب المستشار الثقافي لمصر في الرباط ، ويقضي الاهواني قرابة سنتين هناك ، كانتا حافلتين بالعمل العامي والكتابة في مجلات المغرب العلمية ، وتنتقل ندوة الأهواني المشهورة الى برج حسان في الرباط ، ويتخرج على يديه فيها كثير من الباحثين المغاربة الذين يرون فيه قدوة واستاذا لهم في تاريخ ثقافتهم وفكرهم .

والى هذه السنوات يرجع عدد من اعمال الاهواني العلمية بنشرها ما بين مجلة المعهد المصري بمدريد ومجلات المغرب مثل « البنية » و « دعوة الحق ومجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية .. ولا تقتصر قيمة هذه الابحاث على ما تمثله من دقة العالم وذكاء الفكر ، وانما فضلها الاكبر في انها فتحت آفاقا جديدة لعدد كبير من الباحثين ، ورسمت معالم واضحة لطرق سلكها بعده تلاميذه والمتأثرون بفكره . فالاهواني كان على وعي عميق برسالة العالم الحقيقية ، وهي ان عمله ليس لنفسه ، وانما قيمته الكبرى فيما يثيره من قضايا ، وما يفتحه من آفاق فكرية ، وما يحث عليه ويخططه من مشروعات جديدة ، ثم لا يجد بأسا في ان يترك هذه المشروعات لتلاميذه او اصدقائه ، ولا يبخل عليهم حينما ينهضون بها بما يريدون من نصح وارشاد ، بل انه يؤثرهم على نفسه بما جمعه هو من مادة جشمته الكثير من الجهد والعمل .

ومن تلك الآفاق الجديدة التي فتحها قلم الاهواني دراسة الامثال الشعبية لقد بدأها بنشر مجموعة من الامثال لابن عاصم الغرناطي مع دراسة مقارنة بين هذه الامثال الاندلسية ومعاصرتها الاسبانية في مجموعة « الماركيز دي سانتيانا » . وكانت هذه الدراسة فتحا في ميدان الادب الشعبي وفي ميدان التأثير اللغوي والادبي المتبادل بين العربية والاسبانية . ومن جديد انطلق عدد من تلاميذ الاهواني في الطريق التي اختطها بدراسته ، فكان من أهم ثمراته بحث من اجل الابحاث التي كتبتها الدراسة الجامعية ، وهي رسالة دكتوراه أعدها تحت اشرافه تلميذه المغربي محمد بنشريفه الاستاذ الان بجامعة الرباط حول مجموعة الامثال العامية الاندلسية لابي يحيى الزجالي ، الى عديد من دراسات اخرى حول الموضوع يقوم بها الان فرسية غومس وعدد من تلاميذه في مدريد .

***

ومن ذلك أيضا بحثه في كتب لحن العامة في الاندلس ، وهو الذي انفرد فيه بالنشر الفاظا مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي . واثار بحث الاهواني الاهتمام بهذه الكتب التي كان منطلقه في الاهتمام بها هو تتبعه للفنون الشعبية الاندلسية ولا سيما الزجل . فأثمر لنا ذلك حركة خصبة شارك فيها من باحثينا المصريين لغويون مقتدرون من امثال الدكتور عبد العزيز مطر والدكتور رمضان عبد التواب الى عدد كبير من الباحثين في سائر انحاء البلاد العربية .

وفي خلال ذلك كله كان الاهواني لا يكف من توجيه الانظار الى ما لا يزال مخطوطا من التراث الاندلسي . ولعل اعظم اعماله في هذا الميدان هو نشره لجغرافية العذري في المعهد المصري بمدريد « سنة ١٩٦٥ » ، وهو كتاب حافل بالمعلومات التاريخية والجغرافية والادبية التي لم يعرف منها شيء من قبل . وقد كان تحقيقه لهذا الكتاب الصعب وما يكشف عنه من دراية عجيبة بالمصادر الاسبانية والاوروبية فتحا هائلا يكفي ان اذكر بشأنه ان هناك خمسة من المستشرقين الاسبان على الاقل عكف كل منهم على احد فصول الكتاب يترجمها ويستصفي مادتها ويقيم

دراسته على أساس تحقيقات الاهوانى وتعليقاته . وكلهم يعتبر عمله لاخدمة للثقافة الاندلسية فحسب ، بل ولتاريخ اسبانيا كله فى العصور الوسطى .

ومع جلالة هذه الافاق التى اشرت اليها فانى اثرت أن اترك الى النهاية الجهد الاكبر الذى يمثل اسهام الاهوانى فى ميدان التاليف والتحقيق معا ، وهو الذى كان منطلقه الاهتمام بديوان ازجال ابن قزمان الذى عكف عليه نحوا من ثلاثين سنة ، وكان اول ما اخرجه فى هذا المجال دراسته الشاملة من « الزجل فى الاندلس » التى تمتزج فيها دقة العالم وتثبته برهافة حس الفنان وشفافية روحه . ثم كان ان اخرج غرسيه غومس نشرته الاخيرة لديوان ابن قزمان سنة ١٩٧٢ ، وهو عمل لم يرد الاهوانى ابدا ان يدخل فى سباق مع المستشرق الاسبانى لكى يخرجه هو اولا ، وكان يستطيع ذلك لو اراد ، غير انه كان دائما يدين بالاناة والروية . وحينئذ دار بين العالمين حوار من اطرف ما شهده ميدان المساجلات العلمية الجادة واغزره مادة حتى انه اصبح حديث الباحثين فى السنوات الاخيرة من عرب ومستشرقين .

***

وعلى كل حال فان دراسة الاهوانى للازجال الاندلسية قد حفزت همم عديد من الباحثين من تلاميذ واخوانه ممن يشتغلون بالاندلسيات وبالادب الشعبى واللغويات الى هذا الميدان الفسيح على امتداد الوطن العربى كله

ولعل الاهوانى هو اول من شق فى عالمنا العربى ذلك الطريق الوعر فى الدراسات الادبية ، وهو طريق الادب المقارن ، متسلحا بما لا يتوفر فى العادة الا لقلة مختارة : التمكن من لغات وثقافات عديدة ، ورسوخ فى معرفة الادب العربى شرقية وغربية ، وسعة الافق وروح التسامح ، ثم قوة ملكة التخيل ولم يكن عمل الاهوانى كله فى دراساته الاندلسية الا حملات ناجحة مظفرة فى ميدان الادب المقارن ، انتفع منها كل من اشتغلوا بهذا اللون الطريف .

وقد نشر الاهوانى مؤخرا فى المجلة التى يصدرها المعهد الاسبانى العربى دراسة رائعة حول التصوف الاسبانى « سان خوان دى لاكروث » ومصادر فكره العربية . فقد كان التصوف ايضا من الميادين التى وجه اليها الاهوانى عددا من شباب تلاميذه ،

ولم يكن ذلك هو كل ما قدمه عبد العزيز الاهوانى ، بل علينا ان ننوه بفضله رائدا لترجمة امهات الادب الاسبانى بما يحمله من عناصر ومقومات فكرية ونفسية عربية واسلامية . فقد كان الاهوانى هو اول من اقدم على ترجمة اعظم اثر ادبى اسبانى فى كل العصور ، وهو « دون كيخوته دى لامانتشا » ، فاصدر القسم الاول منه فى سنة ١٩٥٨ ، وكان فى نيته اخراج قسمه الثانى فى مستقبل قريب

وقد ساء الاهوانى أن الرقابة فى تلك الايام حذفت من النص المترجم فصولا كاملة قيل انها تخدش الحياء . ومن اسف ان الدكتور طه حسين كان من المؤيدين لهذا الحذف

وبعد ، فان القلم ليجرى طلقا فى الحديث عن الاهوانى ، فالحديث عنه وعن فضله لا يكاد ينفد .. لقد عاش الاهوانى لغيره اكثر مما عاش لنفسه .. كان اشبه بتلك الشمعة التى تحدث عنها ابو اسحق الصابى حينما قال :

صرت كأنى ذبالة نصبت
تضىء للناس وهى تحترق

ولكن النور الذى بعثه سوف يستمر مشعا الدفء والحياة والخير ! ... عبد العزيز الاهوانى لم يمت ، لان ذكراه سوف تظل عالقة فى اذهان كل من عرفه ، واذا لم يعقب ولدا فاننا جميعا نحس بان الصلة التى جمعت بيننا وبينه لها قداسة العربى ..

المهجورة

د. عزت شندي موسى

اى ذكرى للهــوى يا ساقيه
قد روينا بالدموع الجــاريه
نبئيني عن لياليـنــــا التى
جمعتنا فى الســنين الخاليه
وافيضى بشـــــكاة مــرة
من تصاريف الزمان القاسيه
حدثيني عن ترانيم هــوى
طالمــا بت تغنيهــا ليه
وصفى لى لحظــات حـلوة
بين أنسام الحقـول الحانيه
لحظات كانت العمـــر الـذى
عطــرته امنيــاتى الزاهيه

***

ايه يا مجل الهوى ماذا دهى
فطـوى العمر واوهى العافيه
أن دهرا قد رماك ســـهمه
قد عدت منه علينــا عاديه
والذى اجــراك دمعا مشجيا
فجر الاشجان من اعطافيـه
فاسـمعى بثى وهاتى مثـله
فكلانا فى همــــوم عاتيه !

***

اين انغامك ؟ ضــاعت مثلمـا
ضاعت اللذات من ايامية ..
اين اشجارك ؟ جفت مثلمــا
جف عودى مذ ذوت آماليه ..
اين ما كان يروى سمعنــــا
من اغاريد الطيور الشـاديه
ما لتهدارك امسى خابيـــــا
مثلما امست حيــاتى خابيه
اين حلو العيش اين الملتقى
تحت صفصافاتك الفرحى بيه
كلها ولت ولم يبق لنـــــا
غير ذكــرى فى الحنـايا ثاويه
ومضت والعيش فى اعقابهــا
كبقايا من عظــــام باليــه

***

لهف نفسى اين ركن هــادىء
فى رحاب منك يشــفى مابيه
ونحيى الله فيمـــا حولنـــا
من جمـــال ومعـان ساميه
هل يعود العمر يا مغنى الصبا
ونرى تلك الليالى الماضيــه

الزرع والحصاد في موسيقانا العربية

● احمد شفيق ابو عوف ●

نقرا بين الحين والاخر الكثير من التحقيقات الصحفية وكتابات يقصد بها النقد ـ وليست نقدا ـ عن انشطتنا الموسيقية المختلفة في المعاهد والمحافل الموسيقية المختلفة .. والشيء الذى يؤسف له ان معظم ما يكتب في هذا الصدد لا يتعدى المعالجة السطحية التي تؤدى اكثر مما تفيد .. وهكذا فان اى اصلاح ننشده في الميدان الموسيقى سوف لايسير في دروب سليمة وذلك للافتقار الشديد لاصحاب الاقلام التي تكتب عن فهم ودرس ووعي وثقافة وايمان عميق بثقافتنا القومية .

وبهذه المناسبة فانني اشكر «الهلال» العريقة الغراء لانها تتيح الفرصة للاقلام القادرة ان تدلى بدلوها الفكرى على صفحاتها حتى يستقيم المسار الاصلاحى ليحقق اهدافه ، ويسمو بمشاعر واحاسيس وتصرفات الانسان المصرى والعربى على حد سواء .

بدأ الزرع والقاء البذار في السنوات الاولى للثورة وذلك بانشاء اللجنة الموسيقية العليا أول تنظيم تقيمه الثورة في ١٦ ديسمبر ١٩٥٢ للنهوض بموسيقانا العربية .

كانت اللجنة تضم كبار العاملين في الحقل الموسيقى في مصر ، وعلى رأسهم أم كلثوم ، وعبد الوهاب ، ومحمد حسن الشجاعى ، وعبد الحليم على ، وعبد الحميد عبد الرحمن ، والدكتور محمود الحفنى ، والدكتور ابو بكر خيرت ، والدكتور حسين فوزى ، وابراهيم شفيق ، ومحمد القصبجى وكاتب هذه السطور ..

نشطت اللجنة ، وكانت تجتمع اكثر من ثلاث مرات اسبوعيا . وقد انجزت الكثير من البحوث والدراسات والتوصيات والقرارات .. التنفيذ في حدود ميزانيتها ـ حتى بدأ مجلس الثورة ذاته يؤمن بالاصلاح الموسيقى ، وخاصة بعد أن اقمنا المهرجان الكبير وحفل الاوركسترا السيمفوني الذى انشأته اللجنة ، والذى اشترك فيه عازف البيانو العالمى « جوزى ايتوربى » ، بقاعة الحفلات بجامعة القاهرة ، وحضره كبار المفكرين والعاملين في الحقل الثقافى والاجتماعى ورجال الاعلام .. ومنذ ذلك اليوم التاريخى الهام بدأت الثورة تصدر القرارات تباعا للاصلاح الموسيقى ومنها انشاء المعهد القومى العالى للموسيقى « الكونسرفاتوار » ، وانشاء المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ، وانشاء مصلحة الفنون قبل ذلك ، ثم انشاء اوركسترا القاهرة السيمفونى والمسرح الغنائى

وبدأت البذور التى بذرتها اللجنة



فى الحقل الموسيقى تؤتى ثمارا يانعة مباركة .. وكان من اهم المشروعات التى قامت بها اللجنة الموسيقية العليا غير ذلك ، جمع وتحقيق وتدوين ونشر تراثنا الموسيقى والغنائى العربى لاول مرة فى تاريخ العرب .. وقد اصدرت اللجنة ستة اجزاء من سلسلة تراثنا الموسيقى « يرجع اليها الفضل فى ظهور وابراز انشطة اخرى فى ميدان الموسيقى العربية التقليدية ، مثل تقديم برنامج « مع الموسيقى العربية» الذى استمر ست سنوات فى التليفزيون العربى منذ انشائه حتى عام ١٩٦٧ – ثم انشاء فرقة الموسيقى العربية لتقديم الموسيقى التقليدية .. ثم قيام فرقة ام كلثوم الموسيقية والتخت العربى ، وغير ذلك من فرق لا تقدم سوى موسيقانا الاصيلة النابعة من اعماق ارضنا المباركة الطيبة

وترتب على كل ذلك حدوث تغيير جذرى فى الذوق العام ، خصوصا بين جيل الشباب الذى لم تتح له فرصة الاستماع الى هذه الانماط التقليدية .. وقد عبر مستمع شاب كان يجلس الى جوارى فى احدى حفلات الموسيقى العربية بقاعة سيد درويش ، قال بعد ان استمع الى الفاصل الاول « اننى اشعر ان روحى ردت الى جسدى بعد ان افتقدتها طويلا لغير ما سبب اعرفه ! »

انتقلت هذه التقاليد الموسيقية الى جميع ارجاء الامة العربية مصداقا لما قاله لى السيد منير بشير عازف العود العالمى ، ورئيس اللجنة الوطنية الموسيقية فى العراق .. فقد قال لى « ان اى تقليد موسيقى يظهر فى مصر يتبع على الفور فى جميع ارجاء الامة العربية » .

وقد حدث بالفعل ان قدمت التليفزيونات العربية برنامجا لاحياء التراث التقليدى عندها يشبه تماما برنامج مع الموسيقى العربية الذى قدمه التليفزيون العربى فى مصر – كما انشئت هناك فرق للموسيقى العربية التقليدية تشبه فرقنا تماما ..

وقد شاهدت فى تونس فرقة معهد الرشيدية تؤدى نفس الاعمال التى تقدمها فرقة الموسيقى العربية ، وتتبع نفس التقاليد فى القيادة وتوحيد الاقواس واسلوب وغير ذلك من امور اوجدتها فرقة الموسيقى العربية منذ اول انشائها عام ١٩٦٧

وما حدث فى تونس حدث فى سوريا والعراق والمغرب ، والجزائر ، والاردن ومعظم ارجاء الامة العربية .

● نحو العلمية الموسيقية ●

كان ذلك هو الزرع الطيب ، فماذا عن الحصاد ؟. لاشك ان نهضة موسيقية حدثت فى مصر منذ قيام ثورة يوليو وثورة التصحيح ، اتجهت نحو العلمية الموسيقية ، وادت الى زيادة الجرعة الموسيقية الثقافية للمواطن المصرى الذى ارتوى قبل ذلك من العطاء الموسيقى التلقائى الذى

تدمته العبقريات الفذة والتى تمثلت فى سيد درويش وعبد الوهاب وام كلثوم وزكريا احمد ومحمد القصبجى ورياض السنباطى .

واقصد بالعطاء التلقائى ، اى الذى قدم ذاتيا دون جهد من الدولة ، فقد تربعت على القمم رغم الافتقار الى معاهد التعليم الموسيقى مواهب شامخة ..

ومقاييس اى نهضة لا تقاس بظهور قلة من العمالقة الذين امسكوا بتلابيب العبقرية بناء على جهودهم الذاتية .. وقد ظهر فى مصر الخالدون محمد عبده واحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ،وطه حسين ، والعقاد ـ كل هؤلاء لحقوا بمرتادى القمم فى مجالاتهم ، ورغم ذلك فقد كانت بلادهم ـ مصر ـ تعانى سكرات الهوان تحت وطأة المستعمر الانجليزى الذى اظهر فى حادثة دنشواى مدى جبروته وسيطرته على مقدرات الشعب الذى يحتله ، يظهر من ذلك ان النهضة الحقيقية ترمى الى السمو بجميع افراد الشعب حتى يصل الى درجة حضارية وثقافية تؤهله لمكانة مرموقة على خريطة العالم المتمدين . فاذا امعنا النظر فى الحصاد الموسيقى بعد هذا الزرع الذى استمر سنوات طويلة ، فاننا نلاحظ ان المحصول ـ ان جاز التعبير ـ يقل كثيرا من تقديرات وتوقعات الخبراء والعلماء ،ونستعرض طبيعة هذا الحصاد واسباب هبوطه النسبى فى السطور التالية .

● **الحصاد الموسيقى المتخلف**

انشىء المعهد القومى العالى للموسيقى ـ الكونسرفاتوار ـ منذ اقل من ربع قرن ، ورغم ذلك فانه حتى الآن لم يشترك خريجوه فى اى من عشرات ومئات المسابقات الدولية التى تقام ويعلن عنها فى جميع انحاء العالم فى العزف على آلات البيان ، والكمان والات النفخ ، والتأليف الموسيقى ، وجميع العلوم التى تدرس فى هذا الكونسرفاتوار ..

وقد يكون من الدلالات الواضحة على ذلك ان الخريجين لم يصلوا الى المستوى الفنى الذى يؤهلهم للاشتراك فى هذه المسابقات الدولية .. وهنا التساؤل : متى يصلوا الى هذا المستوى بعد ربع قرن من التعليم ؟

والامر الاخر هو ان هذا الكونسرفتوار يحمل اسم « القومى » ومع ذلك لا تدرس فيه موسيقانا العربية اطلاقا .

اما التعليم الموسيقى فان الاموال التى تنفق عليه تذهب هباء او تلقى الى البحر . وهناك عشرات من الدراسات حول التعليم الموسيقى اصبح مآلها الان اكوام الملفات التى تحفظ فى دولاب حتى تغطيها الاتربة ونسيج العنكبوت .

والنقد الموسيقى معدوم تماما فى مصر .. وليست له دراسات فى اى معهد من معاهد الدولة او اى معهد موسيقى خاص .. ولست ادرى كيف تتحقق نهضة موسيقية دون التوجيه الواعى الذى يتمثل فى النقد الموسيقى.

اما البرامج الموسيقية فى الاذاعة والتليفزيون ، فانها تخضع لاجهزة التخطيط والتنفيذ الخاصة بهذه الاجهزة الاعلامية الكبيرة ، ولا تنسق جهودها مع اى هيئة اخرى للتخطيط « كلجنة » الموسيقى بالمجلس الاعلى للفنون والاداب .. ولست اناقش هنا صحة هذا الاتجاه ، وانما اجزم ان اى تخطيط للنشاط الموسيقى فى الدولة سوف يكون معدوم الفائدة دون اشتراك جهازى الاذاعة والتليفزيون بكل طاقاتها

وما دمنا نتحدث من التخطيط ـ فان هناك امثلة كثيرة تدور على السنة العاملين فى الحقل الموسيقى ويحيرهم الجواب ، ومن هذه الاسئلة ما يتصل بنشاط اللجان الموسيقية فى المجالس القومية المتخصصة ، ولماذا لم نسمع عن دراسة قامت بها هذه اللجان ..

ثم اللجنة الموسيقية بالمجلس الاعلى للفنون والاداب التى يرأسها الدكتور حسين فوزى — وانا عضو بها منذ اول تشكيل للمجلس عام ١٩٥٦ ، ان اللجنة لا تجتمع سوى مرة او مرتين فى العام لتوزيع جوائز الدولة التقديرية . واعضائها ، وغير ذلك : لا يفعل اى شىء » ..

اذن فالتخطيط الموسيقى فى الدولة يكاد يكون معدوما تماما ، وهذا وحده يجعل الحصاد الموسيقى ليس هابطا فحسب وانما من نوع متخلف

● الهدف الذى لم يتحقق ●

والتبادل الثقافى فى الميدان الموسيقى لا يقل سوءا عما سبق ذكره . فقد حرص بعض كبار العاملين فى الحقل الموسيقى على ان يستأثروا بالسفر للخارج لحضور المؤتمرات فأصبحت وقفا عليهم بل انهم تظاهروا انهم خبراء بالموسيقى العربية وهم من الناكرين الجاحدين لها ، ولكن ذلك لمجرد حضور المؤتمرات الدولية التى تقام خارج مصر لمناقشة بعض قضايا الموسيقى العربية .

وهذه الفئة تقيم العراقيل للحيلولة دون سفر اصحاب الكفاءات من المتخصصين الذين يتقنون اللغات الاجنبية لحضور المؤتمرات الدولية الخارجية .. ونتيجة لذلك فاننا لم نفد بعد من الالتحام الموسيقى فى الخارج لصالح قضايانا الموسيقية القومية ..

وعلاوة على ذلك فان المجاملات والخواطر اثرت تأثيرا كبيرا فى ترهل سياسة التبادل الثقافى حيث كانت العلاقات الشخصية اساسا للترشيح لحضور المؤتمرات الخارجية ، « الامثلة هنا كثيرة كثيرة »

وكانت النتيجة الحتمية لكل ذلك ان فقدنا تماما الفائدة المرجوة من الالتحام الثقافى والموسيقى مع دول العالم ، رغم ان الوزارة المعنية كانت تنفق الاموال المعتمدة فى ميزانيتها لتحقيق هذا الغرض الذى لم يتحقق بسبب المجاملات والخواطر

جاء فى معرض حديث السيد/منصور حسن عن اعادة تنظيم قطاع الثقافة عبارة «ديمقراطية الثقافة» . واعتقد ان هذه العبارة هى مفتاح كل اصلاح فى المستقبل للتقويم ولتحقيق الامال المرجوة من التخطيط والتنفيذ السليمين . . فاذا كانت سائر المشروعات — هذا الفكرية منها — تستطيع ان تقوم وتنهض بناء على تفكير رجل واحد ، الا ان كافة المشروعات والانجازات الفكرية تحتاج الى الراى الجماعى ، او بمعنى اصح القيادة الجماعية ، ذلك الشعار الذى طالما رددناه فى هذا المجال دون ان نعمل به . .

● كلمات بناءة ●

يتضح مما سبق ان الحصاد الذى اثمر من الزرع المبكر خلال السنوات الاولى للثورة لايزال بعيدا جدا من المعدلات المرجوة ، ويمكن التحديد ، انه حصاد دون المتوسط او على احسن تقدير فانه متوسط .. فاذا اردنا ان نعلو الى الجيد ثم الممتاز — وقد وصلنا من قبل بل فقناها منذ فجر البشرية — فان الطريق الى ذلك هو الذى عبر عنه وزير الثقافة والاعلام السيد منصور حسن . « ديمقراطية الثقافة »

وهذه عبارة بناءة ضخمة .. وارى انها قد تحقق كل الاهداف المأمولة بالاختيار الصحيح للقيادات الموسيقية .. ثم الغاء الخاطرية التى كنا نعبر عنها قديما بالمحسوبية ، ثم باتخاذ القرارات من خلال الراى الجماعى والقيادة الجماعية ..

بهذا — وبهذا وحده — يمكن ان نحقق نهضة كبرى لموسيقانا تسعد الانسان المصرى والعربى وانسان الاسرة البشرية حيثما كان .. ●●

قبل رحيل القطار!

● يوسف الشارونى ●

هذه هى المجموعة القصصية الاولى لمحمد الجمل ، تضم سبع عشرة اقصوصة ، والاقصوصة لانها اقصر من القصة القصيرة ، مجرد لقطة ، لكنها لقطة مختارة بعناية ، تجعلك فى النهاية تبتسم بعد ان تثير وجدانك ، فتواصل ما انتهت عنده اللقطة . تلك هى السمة الاولى لهذه المجموعة القصصية . « مطابع الزمان بالاسكندرية ، ١٩٧٩ »

السمة الثانية ان محور اللقطات لحظات فى علاقة بين زوج وزوجة او ابن وابيه او موظف ورئيسه او صديق بصديقه . وهى وان كانت تركز على لحظة من لحظات هذه العلاقة لكنها فى الواقع تكشف من خلال هذه اللحظة طبيعة العلاقة فى زمن اطول يرتد الى الماضى ويمتد الى المستقبل.

وهذا التركيز يؤدى الى اغفال اية تفصيلات اخرى قد تشتت الانتباه فى مقدمتها اسماء الشخصيات . وتلك هى السمة الثالثة فى هذه الاقاصيص، فنادرا ما نعثر على اسم لاحدى الشخصيات ، وحتى فى حالة وجود هذا الاسم فاننا لا نحس ان له وظيفته الفنية ، بمعنى ان وجود الاسم مثل عدم وجوده لا يقدم ولا يؤخر . لاننا كقراء نكون مشدودى الانتباه نحو اللحظة التى يحاول الكاتب ان يمسك بها ويقدمها لنا لتعطينا الانطباع الفنى دفعه الى اختيارها والى البحث عن الادوات الفنية التى تنقله الى متلقيه.

ولكن ما نوع هذه العلاقة التى يقع اختيار محمد الجمل عليها ؟ وما نوع اللحظات من هذه العلاقات التى يحرص على تقديمها لنا ؟ انها فى معظمها اما علاقات متوترة كما فى قصتى « طفل فى الستين » و « شرود » واما تتسم بغربة الطرفين من بعضهما البعض كما فى القصة الاولى « الشرفة » . وهذه القصة — وغيرها ايضا — توضح اين يركز الكاتب اضواءه ، او الى اين ينجذب قلم الكاتب . واى لحظة من لحظات العلاقة يختار ، فثمة اثنان من الازواج : زوج وزوجة يجلسان فى شرفة الكازينو المطلة على البحر وهما — فيما يبدو — فى خريف العمر ، قد انطفأت فيهما حيوية الشباب ، وآخران فى قارب فى عرض البحر وهما — فيما يبدو — فى ربيع العمر . والكاتب



يركز انظارنا على الجالسين فى شرفة الكازينو ، ومن خلالها ـ أو من خلال الزوجة اذا شئنا الدقة ـ نرى الاخرين يلهوان فى البحر ، بحيث لا تكون وظيفتهما الفنية الا مجرد اطار تبرز لنا منه مدى ما وصلت اليه علاقة الجالسين فى الشرفة من فتور والية .

ونحن نجد العلاقة الزوجية المحبطة فى قصص اخرى مثل « على مائدة العشاء » و « اللعبة » و « رحلة حياة وشرود » ففى قصة « على مائدة العشاء » نجد ان الزوجين يمضيان سهرة سعيدة ، غير ان السهرة تنتهى والزوج يدير ظهره لزوجته بعد ان ذكرته زوجته بشراء هدية لعرس ابنتهما ولابد من شراء هدية لابنتهما حتى لا تكون هناك تفرقة بينهما .

وفى قصة « اللعبة المفضلة » نجد العلاقة المبتورة بين زوجين فى خريف العمر ، فهو يفسد عليها لحظات خلوتها لتستمتع بلعبتها المفضلة : المشغة . فازات . ستائر . نجف . ورد صناعى » .. « كانت قد يئست تماما من ذلك الشىء الذى يسمونه الحب ، وتلك الرعشات التى تذهب بالوعى . كانت له أيضا كلمات قليلة يقولها .. كلمات بارده لا حياة فيها .. ليليات تملا فراغها » ـ « ص ١٠٥ ـ ١٠٦ » .

وفى قصة « رحلة حياة » نجد ان التحقق والسعادة ينتميان الى الماضى ، اما الحاضر فليس فيه سوى الاحباط « قديما كانت تحاول ان تضحك .. تتكلم . تتفاهم . تحس . تشعر .. تنفعل .. تفرح .. تغضب فى دلال . اما الان فان الصمت وحده يلف مجلسهما يلقى بظله الثقيل فوق موائد الطعام . الان انتهى الدور ، تحققت الرسالة وماذا الان يواجهان الفراغ مبللا بالصمت » ـ « ١٢٥ ـ ١٢٦ » .

والعلاقة الزوجية من النوع نفسه فى قصة « شرود » ، فالزوجان يجلسان فى سيارة الاجرة لا يحسان بالتلامس رغم انهما ملتصقان ، فكلاهما غائب فى عالمه الخاص بل انه يستحلب وحدته .

واذا كان هذا اللون المحبط من العلاقات الزوجية ـ او تلك اللحظات المحبطة من العلاقات الزوجية ـ هى التى يركز الكاتب انظارنا عليها ، فان علاقة الابناء بآبائهم ليست باحسن حظا ففى قصة « لقاء » نجد ان نبض الحياة المعاصرة لا يدع وقتا للقاء الابن مع ابيه فهو لقاء عاجل مبتور ، لعله يعبر عن فراق الاجيال اكثر مما يعبر عن لقائها يقول الابن لابيه « سامحنى يا ابى .. مشغول . منهك . كل شىء تقليع .. العمل . المديرون . الزوجة . الاولاد . الزحام . المواصلات . الخوف من السهر وسط الصراعات .. الاتياب وسط الابتسامات » « ص ٢٤ » ثم تصبح الاسباب اكثر تفاهة وبالتالى

اكثر سخرية « الطقس احيانا يمنعني .. المزالق .. البالوعات المسدودة . الطرق المزحلقة .. الهم الثقيل .. داء النسيان . ادوار القلق .. حالات السأم » « ص ٢٥ »

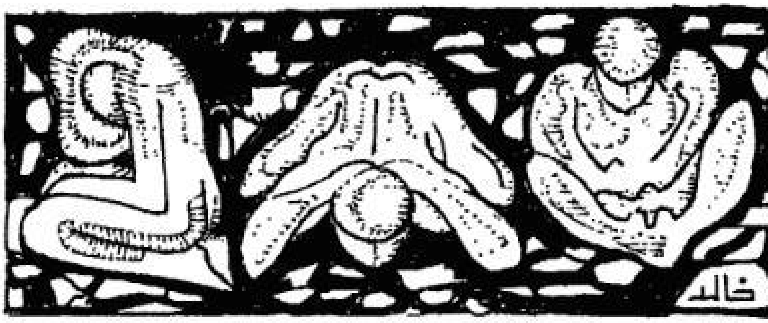
اما قصة « موعد » فانها تذكرنا بقصة العطسة لتشيكوف ، قصة ذلك الموظف الذى عطس فى قفا رئيسه وهما جالسان فى احدى القاعات اثناء حفلة ما ، فقام بعدة محاولات للاعتذار له دون ان تتاح له الفرصة حتى مات غما واكتئابا . فقصة الموعد قصة الموظف الذى كلفه رئيسه المشاركة فى الاحتفال بليلة الاسراء والمعراج ، والذى اصر على ان يرى رئيسه انه نفذ التكليف فشغل عن الاحتفال بهذه المحاولة حتى انتهى الحفل وغادره رئيسه دون ان يتاح له ان يحقق هدفه من الالتقاء به واثبات وجوده .

ونفس الاحباط فى قصة « وداع » « نلاحظ ان عنوان اكثر من قصة تدل على لحظة بين طرفين مثل : لقاء ، موعد ، وداع .. الخ . فاللحظة المختارة فى هذه القصة هى لحظة احتضار العلاقة مع انها كانت علاقة حية .. لكن الكاتب يقع اختياره على لحظة الاحتضار ولا يشير الى لحظات الحياة الا من بعيد « فيما مضى كان كل شيء حيا . القلوب تنبض .. الارواح ترفرف . الحديث لا ينقطع . ضحكات ترقص على اوتار الحناجر . اكف تدق بحرارة .. اقدام تقفز فوق الطرقات فى محبة .. » « ص ٤٧ » أليس هذا اشبه بذينك الفتى والفتاة اللذين كانا يجدفان فى القارب يمثلان بحاضرهما ماضى الزوج والزوجة اللذين يرقبانهما من الشرفة ؟ وكما ركز الكاتب انظارنا على الزوجين اللذين فتر كل شيء بينهما فانه يركز هنا انظارنا على فترة احتضار العلاقة بين الصديقين وليس على فترة حيويتها « اما الآن .. فقد حدث ذلك الشيء .. الانزلاق .. غاصت السيقان وسط مزيج لزج ، فشهقت الارواح ، ضاق التنفس ، امور كانت من قبل سهلة واضحة بسيطة لم تعد الآن كذلك .. » « ص ٤٨ » .

وهكذا نجد أن العلاقات فى صورها المختلفة ، الزوج بزوجه ، الابن بابيه ، الموظف برئيسه ، الصديق بصديقه .. الخ ، علاقات يسودها الاحباط ، مما يعنى ان الكاتب يدين مجتمعنا وعصرنا.

نفس الاحباط فى قصة « اللعبة » . فاللاعب يحاول عبثا مرة بعد اخرى ان يدفع المربع الحديدى فوق القضبان الصاعدة الى اعلى لتصطدم بالكبسولة فى نهايته . وتنتهى القصة بهذه الجملة « كان يتقيا روحه ، والمربع الحديدى الثقيل البارد يواصل صعوده على استحياء دون أن يعانق الكبسولة . وما لبث ان انحدر المربع كشهاب يهوى من الانق لتلقفه يد اللاعب التالى بحماس غريب . » ــ (ص ٤٣) .

ولا تختلف قصة « قبل رحيل القطار » التى اطلقت عنوانا على المجموعة فى تقديم هذه الصورة المحبطة فى العلاقات الانسانية . العلاقة هذه المرتعابرة بين غريبين على رصيف المحطة .. ولقد بدأ ــ فى لحظة ما ــ بصيص من التواصل بينهما ما لبث ان خبا بظهور رجل آخر مع السيدة . ولكن حتى هذا الرجل لم تكن علاقته بها احسن حظا . فبمجرد ظهوره « زاغ المرح ، غاصت الحيوية ، وبدت مستغرقة وهى تسمعه » ــ (ص ١٠١) وكما بدأت القصة بجو الرصيف المرهق ، انتهت كذلك به « الصخب والهدير .. العويل والطنطنة .. النعيق والصفير .. الباعة والميكروفون . الهرولة والطوابير » ــ (ص ١٠١) .



ونحن نلاحظ ان التعبير عن جو المدينة المعاصرة المحبط والتى تنبت فيه هذه العلاقات المبتورة يتم اسلوبيا بتلك الجمل القصيرة المكونة من مفردات لا تربطها حروف عطف ولا اسماء وصل كأنها طرقات معاول تطرق وجداننا فتشيع فيه كآبة وأسى . غير ان هذا الاحباط ما يلبث ان يتحول في ثلاث قصص هي « المكتب » و « القبقاب » و « في غرفة الانتظار » الى واقع كابوسى على نحو ما نجد في القصص التعبيرى . ففى « المكتب » نجد البطل يدخل مكتبه ويجلس فوق كرسيه ليتناول طرف الحزام المثبت بأحد جانبي الكرسى والمدلى على الارض ليلف الحزام فوق فخذيه « لبث طرفه في التوكة الموجودة على الجانب الاخر من الكرسى .. تحسس بقدميه الفتحتين اللتين تتوسطان قطعة الخشب الثاوية تحت المكتب ، دس قدميه داخلهما .. تناول حلقة معدنية مثبتة في المكتب بواسطة سلسلة .. هناك سلسلة اخرى مثبتة في الحلقة في طرفها قلم حبر جاف .. أدخل الحلقة في رسغه الأيمن وامسك القلم .. شرخ الصمت صوت اقدامه المضطربة داخل محارتها . اخرج من درج المكتب قناعا به فتحتان للانف .. ارتداه .. » ـ « ص ٧٠ » وهكذا يستبعد الكاتب ادوات التشبيه ، ليصبح التشبيه واقعا يعيشه بطل مكبل مقنع ينتهى به الامر الى ان يدهمه النعاس وهو يغمغم « الان فقط انتهيت .. الان ايضا يمكن ان ابدا » ـ « ص ٧٢ » .

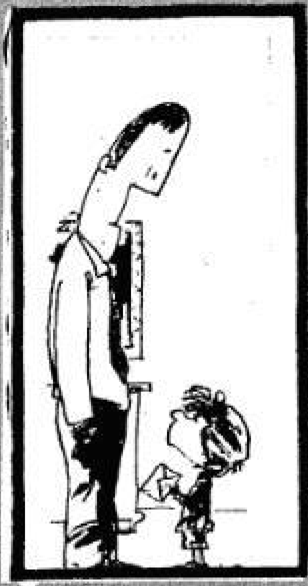
نفس المعالجة نجدها في قصة « القبقاب » حيث يتضخم ايقاع العصر السريع المزدحم بالاحباط ، فلا يتحرك البطل الا على قبقاب الزلاق يزعجه ان يحلم بفقده ، ولا يتحرك على مثل هذا القبقاب فليس لديه وقت لشيء ولا حتى لأولاده او زوجته . ان وقته اضيق من حجم مهامه فتكون النتيجة انه لا ينجز شيئا ويؤجل كل شيء .

واذا كانت عجلة الانسان المعاصر قد اتخذت قبقاب الانزلاق تعبيرا عنها في قصة القبقاب ، فان عزلة الانسان المعاصر وتقوقعه داخل ذاته قد اتخذت المحارة تعبيرا عنها في « غرفة الانتظار » ، يفتحها صاحبها بحذر فاذا احس بأقل خطر اسرع باغلاقها على نفسه .

انها رؤية تشاؤمية للانسان المعاصر قدمها لنا كاتبها بنجاح اسلوبا وموضوعا

كاريكاتير

جيل جديد جداً !



الولد لأبيه : ولو سمحت بقى خد الجواب ده سلمه لناظر المدرسة ! .. أنا مش مقتنع بنتيجة الامتحان ، ومقدم استقالتي !



الولد لأبيه : ما تزعلش نفسك يابابا ! .. أنا مش بازعق لك ، أنا باستعد للمستقبل .. باتمرن على دور الأب لما أكبر !



الولد لصديقته: بذمتك ... مش مكسوفة من نفسك ! .. تفاصحيني عشان لصاحبي واحد عجوز عنده من العمر ١٥ سنة!؟



الولد لصاحبه : ودلوقت يبقى بعد ما قضينا السنة في اللعب .. القدر الوكس ح تضيع الاجازة الدراسية في ايه !؟



الولد لابيه : .. بقى لله ٧ سنين نازل في تربية وتوجيه و .. الخ ! .. كفاية بقى لحد كده وخلينا حبايب ! ».

قصـــة

الحذاء

• عاطف سعودي •

سوء حظ ملازم ..

قدر ظالم مقيم

بخت اسود يرفض ماعـــداه من الالوان !

تلاشت هذه العبارات من ذاكرة جلال ومن تفكيره تماما على اثر ماوقع له منذ لحظات ..

جلس على افريز الشارع مادارجليه الى الامام يلتقط انفاسه . كان ينظر الى حذائه القديم المتهالك في اعجاب شديد كانه يراه لاول مرة . صحيح انه حذاء قديم متهرىءلكنه وفي رائع الوفاء !

وصحيح انه حالك اللـــون جريح البشرة لكنه لطيف الصـــحبة طيب العشرة .. ولاشك ان الثقوب التي في نعله لاتحد ما يسدها سوى اسفلت الشارع لكنه ثبت هذا الصباح انه اشد حرصا على قدمي صاحبه من امتن الاحذية واقواها .. كما انه الى ذلك كله حذاء ابكم لا تصدر عنه تلك الموسيقى التي تصدر عادة من الاحذية الجديدة ..

ولكن هذا الحذاء مقطوع اللســـان تكلم اليوم فاعطى صاحبه جلال درسا جلي المعنى واضح البيان :

فتحي .. فتحي زميله وصديقه في المدرسة الثانوية ؛ يغير كل شهر حذاءه في كل مناسبة ولاى مناسبة واحيـانا بلا مناسبة وهو حسرات عليه لاحسرة واحدة لا يستطيع ان يبتاع لنفســـه نعلا من اى صنف : اقل صنف ،ادنى صنف ..

انه لا يحسد فتحي ولا يبغضـــه فقلبه البكر لم يعرف ذلك بعد ، لـكن الذى يعانى منه هو ذلك الهـــاتف المؤرق الذى يلح عليه دائما بالسؤال :

اين عدالة السماء هل قصرت رحمتها دونه ؟! هل يغضب كرمها بارائه ؛ ام انه البخت : والقدر والحظ هو الذى يعطي ناسا بلا حساب ولا يعمل للاخرين اى حساب ؟!

واليوم كان فتحي وجلال في طريقهما الى المدرسة . كان فتحي منتعلا حذاء جديدا يلبسه لاول مرة ؛ اما جـــلال فكان كالعادة بحذائه القديم .

جنبا الى جنب كانا يسيران . قدما يقدم كتفا بكتف . تشابكت ايديهمـــا في ود طفولي بريء كانا يتحـــدثان يضحكان ، يصمتان .. وفي لحظـــة صمت الح على جلال ذلك الهـــاتف من جديد ، لكن لم تمض عـــلى ذلك لحظات حتى انشقت الارض فجاة عن كلب شارد كالمهر الوليد . بعثر الكلب المارة والتلاميذ .. والتلــميذات .. واندفع كالقطار صوب فتحي وجلال . طار الولدان طلبا للنجاة والـــكلب في اثرهما . الكلب يزار كان به مســـا والولدان يصرخان !

حذاء فتحي لا يساعده لقساوة جلده الجديد وصلابة نعله .. حذاء جلال من كثرة الاستعمال اصبح كالكاوتشوك يمضي به كالصاروخ .. حاول الولدان الانحراف فجاة الى شـــارع جانبي لتضليل الكلب ، فانزلقت قدم فتحي واختل توازنه . انكفا على وجهـــه واصيب انكشفت عنه ثيابه واصبح جسده هدفا سهلا لانياب الكلب !..

اقبل الكلب على فتحي وهم ان يفتك به لولا .. ان دوى عيار ناري في اللحظة الفاصلة .. امين الشرطة المكلف بالمنطقة اطلق مسدسه لانه من حسن الحظ كان يتابع الاحداث منذ هياج الكلب . ارتفع الحيوان عاليا في الهواء ثم سقط على الارض ساكنا كحجر .. و .. نجا جلال

لقاء الغرباء

● فاطمة عبد المقصود يوسف ●



ها نحن عل متن الريح ..
نتارجح فوق الاضواء
بطريق لا نرقب منه
الا .. قبسا ، واه ، ناء
والغربة تستنزف عمري
ما اقسى ليل الغرباء ..
فكلانا وهم وخيال
نتلاقى في غير لقاء
وكلانا حب مجروح
فالنفس تفاؤلك لشقائي
لا تدري كيف تساعدني
لا تعرف حلة اهوائي
والدرب امامي تقلقه
أوهام تمتص دمائي
أشتاق اليك .. ويمنعني
جرحي ، وعذابي ، وابائي
وبقلب الليل ، أتوق اليك ..
ولكن يعصمني حيائي
في ليل الغربة تتركني ..
وأتوه أنا في الظلماء !

تذكرة طبية

أنت وقلبك

● د . السيد الجميلى ●

« قلبي يا دكتور » – صرخة يطلقها المريض المكتئب نفسيا في بعض الاحايين شاكيا للطبيب من أوجاع قلبه ، وهو لا يدرى انه سليم تماما خال من اى مرض او عرض مرضى عضوى ..

ولما يفاجأ باجابة الدكتور بعد الفحص الاكلينيكى انه لا شىء غير طبيعى – فانه لا يكاد يصدق نفسه ولا طبيبه المعالج !؟..

اذ ان الالم يكون شاملا منطقة الصدر فوق المساحة القلبية تماما ، وهو معذور في ذلك لانه يشعر بالانقباض فعلا ، والاوجاع قد تكون بالغة العنف والحدة ، وهذه الحالة يسميها اخصائيو القلب بالكارديك نيوروزس

وعلاج القلب لا يكون بالمسعفات او المنشطات القلبية او الدورية ، انما بالمهدئات العصبية ومزيلات التوتر والاكتئاب النفسى .

● التيفود والباراتيفود ●

تزداد آصرة المودة بين بطون الناس وحمى التيفود والباراتيفود في فصل الصيف ، من جراء عدم النظافة في تناول المأكولات أو العناية بغسل الخضروات الطازجة ، أو اغذية الباعة الجائلين الملوثة بجراثيم التيفود عصوية الشكل مجهرية التجسيم .

وتبدأ أعراض التيفود وعلاماته في الاسبوع الاول بالامساك الشديد والتقلص المعوى وسط البطن وآلام العظام والصداع الحاد .. وفى هذه الاثناء ترتفع درجة الحرارة ببطء شديد شيئا فشيئا ويقل نبض المريض ويهبط ضغط الدم وتقل عافية المصاب بحيث يشعر بالانهاك الشديد .

ولما تزداد حدة التوكسيميا يتورم الكبد اذ تتأثر خلاياه وتتحلل ويتضخم الطحال تدريجيا .

واذا لم يسعف المريض بالعلاج المناسب بالكلورامفينكول والامبيسللين تحت اشراف الطبيب – توقعنا حدوث نزيف داخلى قد يودى بحياة المريض..

● خطورة المقويات والفيتامينات ●

عندما يشعر اى شخص باى ضعف في قواه الحيوية حتى ولو كان ضعفا مؤقتا نتيجة عادية لمجهود شاق ، فانه يسرع بتعاطى المقويات من الهرمونات والفيتامينات والمعادن والاملاح ، اذ يتسع ظنه الى ان هذه الاشياء تقوى البدن وترجع صباه ..

لكن ليعرف الجميع ان من الهرمون مايكون له تأثير سرطانى فى بعض الاحيان عند الشيوخ ، كما ان بعضا من الفيتامينات يؤذى المرء اذا ما تعاطاه بدون استشارة طبية وباسراف مدة طويلة ..

وليكن اشراف الطبيب على العلاج مباشرا ودوريا ، ويمنع تكرار ايا منها الا باوامر الطبيب .

أشهى عيون



بعينيك سر وكنز دفين
وأعذب نهر واشهى عيون
اذا النهر ايقظ امواجه
فالف سلام على العاشقين!
بعينيك يومض كل الدلال
ويختال في الليل نور الجمال
لعيناك ليل وسر عميق
والف جواب لكل سؤال !
بعينيك ايقظت في الغرام
واطعمت قلبي بعد الصيام
فلا لوم ان رق صوت الهوى
وغنى لعينيك احلى الكلام
وجفنيك بالله لا تسبل
لي الله من عاشق اعزل ..
اذوب اذا ما استقر الستار
واظما لو يختفي منهلي !.
يظلل عينيك سهم رشيق
فينساب عبر فؤاد مشوق
ويحضن عينيك الف شعاع
انيق ،فيكمل سحر الشروق
لعيناك سحر وكنز دفين
وأعذب نهر واصفى عيون
اذا النهر ايقظ امواجه
فالف سلام على العاشقين !

● ابراهيم خليل ابراهيم ●
● مرسي مطروح ●

تبرير علمي للتحريم

● اعداد : عاطف فرج ●

ان تكون نباتيا ، شيء جميل ...

ولكن الاجمل منه أن تعرف مدى ما يعانيه « اللحميون » ـ اذا صحت التسمية ـ وخصوصا آكلو لحم الخنزير ! ..

فالنباتي ، لا يقبل على أكل اللحوم ايا كان نوعها ، وايا كان مصدرها ... ويفضل عليها كل ماهو نباتي من بقوليات وخضروات طازجه وغير طازجة .

واذا كنا نحن المسلمين ، لا نأكل لحم الخنزير ، في حين نلتهم اللحوم الاخرى ، فلماذا يحدث ذلك ؟! ..

ان الاجابة تكمن فيما جاءت بها الآية الكريمة من تحريم أكله ... وذلك بنص القول القرآني : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به »

ولعل هناك من يسأل ، ليتهم : لماذا جاء التحريم منصبا على لحم الخنزير فقط دون غيره من لحوم الحيوانات الأخرى ، مثل البقر والجاموس والابل وغيرها ـ وكذلك الطيور والاسماك ؟! .

يقول الفقهاء ان لحم الخنزير ضار .. فهل تعرف لماذا هو ضار ؟! .

سوف نأتي بشهادة شاهد ، ممن سمح لهم بتناول لحم الخنزير . واحد الذين اعتادوا على أكله .

انه الدكتور « ركويج » الطبيب الالماني ؛ وصاحب نظرية التسمم البشري ... ففي مقال نشرته مجلة « انتجرال » الالمانية قال الدكتور « ركويج » :

انه لاحظ ابان الحرب العالمية الثانية .. وفي افريقيا على وجه الخصوص ان اعدادا كبيرة من الجنود الالمان قد اصيبوا بمرض القرحة الاستوائية ، والتي كانت تظهر على الساقين فيما بين مفصل الركبة وكعب القدم ، مما اعجز الجنود الالمان عن مواصلة القتال واقعدهم عن الحركة ، فكانوا يهربون من ميادين القتال الى المستشفيات العسكرية املا في ايجاد علاج لهم ...

ولم تفلح معهم جهود الاطباء على ما بذلوا من كثير ، فقد جربوا في معالجتهم جميع اصناف الادوية .. واستنفدوا طرق الجراحة ، وذهبت جهودهم ادراج الرياح .. ثم انتهوا الى انه قد يكون مصدر الضرر في فساد اطعمة الجيش هناك ، ولكنهم لم يجدوا في ذلك شيئا يمكن ان يعينهم على فهم طبيعة هذا المرض .. الا انهم لاحظوا ان سكان البلاد الاصليين لا يصابون بمثل هذه الامراض التي يصاب بها جنودهم ، فقرروا ان يطعموا جنودهم من نفس ما يأكل منه سكان هذه البلاد ، فحققوا نجاحا باهرا وشفى الجنود المرضى ...

لكن الدكتور « ركويج » لاحظ تغيرا بعد ذلك في فترة ما بعد الحرب : عندما قل الطعام واصاب الناس الجوع ، واختفى لحم الخنزير كما اختفت اللحوم الأخرى ... وكان ما يحصل عليه السكان من كميات الدهون والسكر قليلة جدا ، مما ادى بهم الى الاقبال على تناول البقوليات والخضروات الطازجة .

وكان ما ادهش الدكتور « ركويج » حقا ان امراضا كثيرة قد اختفت .. مثل امراض الزائدة وتصلب

الشرايين ، والمرارة ، والروماتيزم ، والجلطة وارتفاع ضغط الدم ...

وعندما استعادت الدولة الألمانية السيطرة على اقتصادها في سنة ١٩٤٨ ، عاد لحم الخنزير الى الظهور واقبل الناس على تناوله – عادت معه الى الظهور الامراض والعلل التى كانت قد اختفت ...

كما ظهرت الى جانب ذلك امراض الامراض السرطانية ، لكثير من السكان اصيبوا فجاة باضطرابات هضمية ، نتيجة لسرطان المرىء او المعدة او الامعاء ... والغريب انه كان من بينهم اناس ممن تتراوح اعمارهم بين الستين والسبعين ، ولم يكن قد اصيبوا من قبل باى مرض ..

كما ظهرت التهابات المفاصل والسيلان عند النساء ، وتعذر شفاء القروح المزمنة المتخلفة عن الجراح سواء تلك الناجمة عن الحروب او العمليات الجراحية ...

تجارب :

لم يعتمد الدكتور « ركويج » على الاحظة العادية ، بل بدا في اجراء تجارب على الفور مستخدما فئران التجارب البيضاء ، بان قدم لهما في غذائها لحم الخنزير ، ولم يمض على ذلك عدة شهور حتى لاحظ عليهما ، الميل العدوانى لان ياكل بعضهما البعض ، كما ظهرت عليهما الامراض الجلدية ، واصابها سرطان في الامعاء.

اما الفئران التى غذيت باغذيتهما المعتادة فلم يظهر عليهما شىء من ذلك ...

فبدأ بجمع المعلومات حول هذا الموضوع من مصادر اخرى وعن حيوانات اخرى .. فعلم ان الكلاب من فصيلة بوكر اذا ما تغذت بلحم الخنزير تظهر عليها الامراض الجلدية ، وتصاب بامراض خبيثة . وان نفس الشىء يحدث لحيوانات السيرك مثل الاسود والنمور حيث تصاب بسمنة ضارة تجعلها خاملة مع قابلية شديدة للنزيف الانفى بسبب الزيادة في ارتفاع الضغط ، كما انها قد تموت بعد ذلك ...

واغنى الاطعمة بالدهنيات .. لحم الخنزير فلحم الخنزير يختلف عن اللحوم الاخرى ، فى أنه يحتوى على كمية كبيرة جدا من الدهنيات ...

هذا من ناحية الدهنيات .. اما البروتينات .. فان لحم الخنزير من اغنى المصادر بها ، لذا فان تناول لحمه يساعد كثيرا على احتمال وقوع الاصابة بتصلب الشرايين ، والسكر ، واضطرابات الدورة الدموية ، وكذلك الاورام الخبيثة ، نظرا لاحتوائه بوفرة على هرمونات النمو التى تعمل على ظهور هذه الاورام ، وتساعد على تطور هذه الخلايا السرطانية مركب الكولسترول ، كما تنشطها مادة ال « بينزوبيرين » وليس هذا فحسب فلحم الخنزير يحتوى على مادة « الهستامين » والمركبات الاميدازولية وهذه وتلك تساعد على ظهور الدمامل والخراج ، والاكزيما والالتهابات الجلدية الناجمة على التهابات فى الاعصاب ..

والاخطر من ذلك كله ما يحتويه لحم الخنزير من فيروسات .. « الجريب » والتى تسبب النزلات الصدرية .. والزكام .. والانفلونزا وهى تختزن فى رئتى الحيوان .. ولا تختفى حتى بعد طهى لحومه او تعليبها .

والذى يتناول لحوم الخنزير يتناول بالتالى هذه الفيروسات فهى تنتقل الى النسيج الضام الرئتين فى الانسان .. وتظل فى حالة خمول الى ان تتوفر لها الظروف الملائمة لتطورها .. كنقص فى الفيتامينات او الاصابة بالزكام او قلة التعرض للشمس فتبدأ نشاطها لتقضى بعد ذلك على الانسان المصاب بها .

ويختتم الدكتور « ركويج » قوله ..

انه على رغم انتشار هذه الاوبئة فى اوروبا .. وغيرها من البلاد التى يقبل اهلها على تناول لحم الخنزير فانها تكون نادرة جدا فى البلاد الاسلامية التى تحرم شريعتها اكله ...

● عن رسالة بعث بها الى « الهلال » المركز الاسلامى فى غرناطة ●

الأميرة التى رأت السيارة لأول مرة فى حياة السيارة !

● سعد رضوان ●

فتحت باب السيارة ، وركبت آمنا مطمئنا ، وادخلت مفتاح الادارة فى مكانه ، ولويته فدار محرك السيارة فى ثوان ، ثم سارت ، وانطلقت متجهة الى الهدف المنشود ..

ولم احس بشىء غير عادى وانا افعل هذا ، فكلنا قد اعتاد ركوب السيارة ، سواء سيارة عامة ، او سيارة خاصة

ولكن هل كان هذا هو الوضع ايام الجدود .. طبعا لا !

وقد اثار انتباهى لهذا الموضوع ذكريات طريفة عن السيارة الاولى كتبتها اميرة تدعى مارى باريانتسكى نشر فى عام ١٩٣٠ فى زمن كانت السيارات لا تزال طرفة تستحق الكتابة عنها ، وان يسال الصحفيون والناشرون والمثقفون ، كبار القوم عن رايهم فيها ، وذكرياتهم عشية ركوبها ..

وتقول الاميرة انها رات السيارة لاول مرة فى حياتها عند زيارتها لباريس سنة ١٩٠١

اما جدتى فقد حكت لى انها كانت تركب العربة « الكوبل » و «الفيتون» وهى انواع من العربات المغلقة او المفتوحة التى يجرها الحصان .. اما جدى فقد كان له حمار خاص يذهب به الى عمله . وكان للحمير مواقف كمواقف السيارات الآن « وجراجات » مثلها تسمى «وكالات» ورجال يقودونها ويؤجرونها يسمون « المكارى » ، اى الذى يكرى ، او يدفع له اجر من استعمال حماره ..

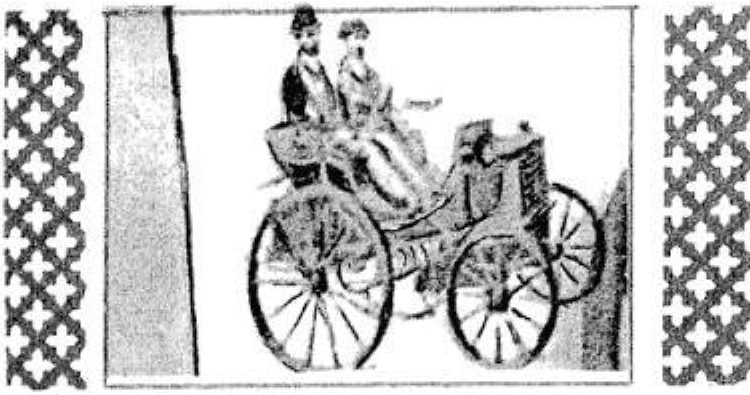
اما ابى فرغم انه كان أفقر حالا من جدى الا انه قد تمتع بركوب عدد انواع من المواصلات ..

فى بدء حياته كان يذهب الى عمله بميدان لاظوغلى بالقاهرة راكبا نوعا من الاتوبيس كانت تجره الخيل فى ذلك الوقت اسمه « سوارس » ، ثم ظهر نوع « جديد » وغريب ومثير يسير على شريط حديدى كالقطار ولكنه يسير بشىء اسمه الكهرباء وليس بالفحم كالقطار ، ويسمونه الترام ، وبعده ظهرت السيارات «الاوتوبيسات» الكبيرة التى تديرها شركة اسمها « تورنكرفت » ..

اما السيارات الخاصة : فكانت شيئا غريبا يتفرج عليه الناس ، وربما صفق له الاطفال اذا راوه ..

واصبح فى المدينة عدد من السيارات التى تسير وتزعج الناس وتخيفهم وقد تقتلهم او تصيبهم .. فاذا توقفت من المسير لعطل اصابها ، وكثيرا ما كانت تتعطل لقلة الخبراء فى ادارتها واصلاحها فانك كنت تسمع ضحكات سائقى العربات ، وسخرياتهم من هذا «الحمار» العنيد المستورد ، وان من ترك ماضيه ضاع منه حاضره ، الى غير ذلك مما يخطر على بالهم من سخريات مؤكدين لانفسهم القلقة على رزقهم ، ولغيرهم من الناس ركابا كانوا ام اصدقاء ، ان هذا الاختراع « بدعة » ككل البدع سوف تزول ! ..

والمهم ان السيارة ككل اختراع جديد وجدت من يعارضونها ، ويعادون



استعمالها ، وفي نفس الوقت وجد المتحمسون لهذه الآلة الجديدة ..

ولنعد الى ذكريات الاميرة ماريا عن سيارتها الاولى فهي تحكى عن رؤيتها للسيارة لاول مرة في حياتها بالشانزليزيه في باريس ، وكانت السيارة تصدر اصواتا ، وتحدث جلبة كبيرة فتخاف منها الخيل وتجفل ، وقد اخبرها اصدقاؤها من الفرنسيين ان هذه « الآلة » تتسبب في حوادث كثيرة سواء بطريق مباشر او بسبب ما يحدث لبعض الخيول التي تخاف منها فتجمح وتندفع بالشوارع والطرق خائفة ، دون ان يستطيع راكبها او سائق العربة التي تجرها التحكم في مقودها ..

وكان تركيب السيارة بدائيا ، اوليا جدا ، وشكلها يشبه الصندوق المربع ، ومحركها في مؤخرتها ..

واعجب زوج الاميرة ماريا بهذا الاختراع الجديد ، وقرر ان يشترى واحدة منها فورا ، فذهب الى احد المحلات هناك يطلبها ، ولكن المحل قرر انها تصنع بالطلب ، وان عليه ان ينتظر زمنا حتى يتم انتاج سيارة له ..

وتستمر الاميرة :

ولم يكن زوجي يريد الانتظار فقد اصابه التحمس والشوق لشرائها .. وفي يوم قال لي عند عودته الى الفندق بفخر :

ـ انا بارع ! . لقد استطعت ان اشترى سيارة جميلة وبثمن بسيط

فقلت : « بل انت مجنون تماما حتى تضيع نقودك في شراء آلة قديمة كهذه : الم يكن من الاحسن ان تنتظر لتتأكد ان السيارة التي اشتريتها بالبخس كما تقول لن تسير ، والا لما باعها صاحبها .. »

فصاح بي : « ماذا تقولين ! .. لقد جربتها في شارع الشانزليزيه فجرت متدحرجة كالبلية ، وعلى كل حال لقد قضي الامر واشتريتها ، وسترسل الينا في المعسكر بعد خمسة عشر يوما ، بعد اجراء بعض الاصلاحات البسيطة لها ، وتركيب مقعد خلفي لنا بناء على طلبي . »

وتقول الاميرة ماري ان الخمسة عشر يوما استمرت ثمانية شهور ، كما ان نفقات الاصلاحات الصغيرة بلغت ضعف ثمن سيارة جديدة ، ثم تطلب الامر ايجاد سائق لهذا « الشيء » الذي لم يكن يوجد في ذلك العصر غير اناس معدودين يعرفون قيادته !.

اخيرا تقدم احد الجنود مدعيا انه ميكانيكي بارع ..

وجاء اليوم العظيم الذي تقرر ان يجرى هذا الاستعراض العظيم المرتقب في الميدان العام الواقع امام الكتيبة التي يرأسها زوجها ، واجتمع كثير من الضباط حول الاميرة وزوجها لمشاهدة هذا العمل الفريد في نوعه ..

كان الكل يرجو ان يكون اول من

يجرب هذه المركبة المثيرة للحماس !
ولتستمر الاميرة :

وبعد الف اجراء واجراء تقرر بدء الرحلة .. وركب زوجي والسائق في المقدمة ، وجلس الملازم دافيدوف في المقعد الثالث الذي في المؤخرة بناء على طلب زوجي .

« ولا اكون مبالغة اذا استعملت لفظ « انطلق » فان المركبة اصدرت صوتا وضوضاء جهنمية ، ولكنها امتنعت عن التحرك باصرار ومكر كمكر حمار عنيد ، رغم كل الجهود التي بذلها السائق ! ..

ثم قام عدد من الجنود بدفعها بضعة امتار بناء على طلب قائدها .. وفجاة اخذت السيارة تسير .. وكان الطريق ممتدا غاية في الاعتدال ولا يحول شيء دون انسيابها فوقه ، ورغم هذا كانت السيارة تتلوى كرجل سكران ! ..

وبعد بضع دقائق من قيامها ، سمعنا صوتا مملوءا بالالم واليأس يصرخ : « قف .. قف ! » .. واندفعت السيارة حتى اصطدمت بشجرة ووقفت ! ..

كان الملازم المسكين هو الذي صرخ فان المقعد الذي جلس عليه قد ركب فوق الموتور الذي سخن وشوى الملازم حيا حتى كانه يجلس فوق فرن موقد لاعلى كرسي ! .

وعلى العموم فقد خرج الجميع من المغامرة سالمين غانمين .. ورغم عدم نجاح التجربة ، فان طبيب الفرقة الذي قام بعلاج ورعاية الملازم الذي اخذ يلح في ان يقوم هو ايضا بدورة صغيرة .

وقد قمنا بعمل احتياط لازم ، بان وضعنا فوق المقعد فوطتين كبيرتين حماية للجالس على المقعد من حرارة المحرك ، كما قام السائق بالكشف على المحرك ووضع بعض الشحم به ..

وكان من بواعث السرور ان المحرك دار « بالمانافيلا » ، وهي ذراع كان يوضع في فتحة خاصة بالسيارة وتدار باليد بسرعة فتجرى عملية الاشتعال اللازمة حيث لم يكن قد اخترع بعد التوصيل الذي يشعل به محرك السيارة اليوم ! .

والمهم ان السيارة دارت ، وكان زوجي يجلس بجوار السائق وطبيب الفرقة على الكرسي الخلفي فوق الفوطتين المبللتين ،وسمع ازيز المحرك، وسار كل شيء حسنا في هذه المرة .. وراقبت السيارة حتى اختفت بركابها الذين بدوا من بعيد كفريق خرج لرياضة ممتعة — وعدت الى المنزل ..

وبعد نصف ساعة ، وبينما انا جالسة في البلكون فوجئت بزوجي عائدا وعليه سيماء السخط والهياج والغضب ، وقد اسود لونه كمنظفي المداخن ..

وبعد ان تلف نفسه وغير ملابسه وهدات اعصابه استطاع ان يقص على ماحدث قائلا : « سار كل شيء سيرا حسنا لمدة عشر دقائق ، ونحن الثلاثة متحمسين مهللين مرحين ، وفجاة احاطت بنا سحابة من البخار ، ثم سمعنا انفجارا قاتلا ، ووجدت نفسي والسائق تجرى بنا السيارة وحدنا ، وقد طار الطبيب بالمقعد الخلفي واتقلب في منتصف الطريق .. »

وقد قاسى الطبيب من الحروق التي اصابته لفترة طويلة ، اقتضت علاجا كثيرا .. وقد قال الطبيب للاميرة بجدية تامة :

— لم ادرك قبل ماحدث لي ، او اصدق ، مقدار الالام ، التي يعانيها المصابون بالحروق — بعد هذه النزهة القصيرة اللعينة ! .

وبعد ، فالحمد لله انتا نركب الآن سياراتنا الحديثة ! .. ●●

الربيع ودموع شهرزاد

● مديحة ابو زيد ●

ويقبل الربيع ..
تغرد الطيور
وتنهض الزهور
تعطر النفوس
وترسم الافراح
مباهج الوجود !
وتعزف الالحان
انشودة الغرام
قد علت بالهناء
قد علت بالرواء
لتنثر الاضواء
وتبعث الوفاء !

***

في روضك الرطيب
دموع شهرزاد لا تجف
وقلبها جريح
يئن من عذاب الانتظار
فالشمس لا تخاطب الاميرة
والورود والزهور والشجر
فالفارس المغوار
يصارع الاوهام والظنون
يغور في متاهة الزمان
والليل والنهار والربيع والقمر

***

وتحلم الاميرة
بالطبيعة الجميلة
فبدرها المضيء
يراقص في انتشاء
نجوم السماء
وروضها الحبيب
يزف الربيع بالامال
بثوب منمق الدلال
ورسوم الجمال
والفارس المغوار
قد عاد في ابتهال
بعد رحلة الاهوال
فاردا فوق شط الامنيات
شراعا لا يعرف المحال
حاملا في الدروب
ورود الانتصار !



قصــــة

الحادث

● سعيد سالم ●

لانني ادركت تمــام الادراك ، الا طائل من وراء الاشـيـاء ، تلك التي يسمونها فى مجملها بالحيـاة ... لا طائل ، لا جدوى ، لا معنى ...

ولانني مللت لعبة الشاهعة والفهم والتامل ... لانني عجـزت تماما عن يقين . ولانني مشت حيالى منعمشا مبهورا لتكرار تكرار التكرار ....

لانني ايقنت بشاعة الناس وبؤس الناس حين يمارسون تلك الاشياء ، بحماس احيانا وبفتور فى بعض الاحيان، وايقنت تفاهة ان تمضى الايام وتكر الاعوام ... ولئلا احسبنفسى مقهورا على اللهاث فى رحلة لا ابغيهـا ، ولست اريد لنفسى قهرا . لان الغربة ليل والحزن سواد. ولان الاشياء كما يسمونها فى مجملها حياة ـ فانى قررت بوحى جوانى نبذ الاشـــياء ، كل الاشياء ....

❋❋❋

ـ هل كان القتيل على علم بتـلك العلاقة ؟

ـ اطلاقا !

ـ كيف تثبتين ذلك ؟

ـ لم تبـدر منه بادرة بالتصريح او التلميح تنم عن علمه ...

ـ اكان بينكما خلاف ؟

ـ ابدا . لقد كان يحبنى كثيرا !

ـ لماذا اذن ؟

ـ ....

ـ اكان يعلم انك حامل ؟

ـ لا ....

ـ لماذا لم تخبريه بعـد عودتك من عند الطبيب ؟

ـ كنت انوى أن افاجئه ، لكن ...

ـ أيمكنك تحديد نسب الجنين ؟

ـ اشك فى هذا ...

ـ اين كنت ليلة الحادث ؟

❋❋❋

لأن الكون نظام .. وأمـام اللغـــز سدود . فكيف يكون وجود ، وكيف يكون خلود ؟ ...

❋❋❋

ـ ما طبيعة علاقتك بها ؟

ـ لا تزيد عن تبادل اختيارى للمتعة.

ـ الا تعرف أنها متزوجة ؟



ـ اعرف ، لكنها كانت تزورنى فى بيتى
ـ اكان القتيل يعرفك ؟ .. صديقك مثلا ؟
ـ لو جالسته مرة واحدة، لابيت ان تكون بينى وبين زوجته علاقة ؟
ـ كنت تجهل ان زوجته هى الوريثة الوحيدة لثروته الطائلة ؟
ـ بالطبع .

***

ـ اسمك .. سنك .. اكنت تعمل مديرا لحسابات القتيل ؟
ـ نعم ...
ـ مارايك فى قول زوجة القتيل انه ضبطك متلبسا اكثر من مرة بالتزوير فى مستنداته المالية بغية السرقة ، ثم سامحك وصفح عنك ؟
ـ حصل ...
ـ فلماذا لم يطردك ؟
ـ رفض ذلك بالرغم من الحاح زوجته ...
ـ وما السبب فى تمسكه بك ؟
ـ كان انسانا رحيماطيبا.. يلتمس الاعذار .
ـ اين كنت ليلة الحادث ؟

***

لان الوعظ نشاز نغم ، ولان البشر ملول .. لان الدنيا حين ترام بغير حساب ، تعمى الافئدة وتعمى الابصار ... ولان الرحلة غدارة والوقت جهول ... فالامس غدا ، واليوم الامس .. وحساب الزمن من الاسرار ...

***

ـ اسمك . سنك .. والله العظيم .. و .. اين كنت ليلة الحادث ؟ .. ما صلتك بالقتيل ؟
ـ كنت له اكثر من اخ ...
ـ هل تعتقد انه مات منتحرا بذلك السم ، ام ان احدا قد دسه له فى طعام او شراب ؟
ـ يعلم الله يا سيدى ...
ـ كيف كانت حالته النفسية فى الاونة الاخيرة ؟
ـ كان واجما قليل الميل الى الكلام
ـ الم يفض اليك ببعض اسراره فى تلك الفترة ؟
ـ بلى ...
ـ اذن فقص علينا كل ما رواه لك جملة وتفصيلا .

***

لان العمر فصول .. فصول تاتى والروح فصول .. وحين تكون ربيعا تشعرنى بخريف . وحين تكون شتاء تاتينى بخريف . وحين يجىء الصيف يجىء ، ايذانا بخريف ... ولانى كما تلك ملول والانسان ملول، فلقد اسدلت ستارا كيما يحجب عنى النور . وحين يذوب زمانى تهدى الكلمات ، احب النور ... احب النور ! ...

***

« وقد جاء فى تقرير وكيل النيابة ان القتيل قد عمد الى الانتحار بتناول سم السيانيد ، كما اتضح من تقرير الطبيب الشرعى المختص ، وكما اتضح ايضا من مذكراته التى دونها بخط يده مقرا فيها بنيته المسبقة على ارتكاب هذا الفعل ، وكما اتضح ايضا من رواية صديقه المقرب انه كان على المام تام بتفاصيل كل ما كان يحدث من حوله فى الخفاء ومن اقرب الناس اليه» بالرغم من ادعائه لهم بغير ذلك .. و .. و .. الا ان .. وتقرر .. واقفل المحضر فى تمام الساعة ... بتاريخ ... » ●●

أوشكت أن أقول

● أحمد مصطفى عوض ●

ها اننذا اقبلت نحوكم رفاق محنتى
دخلت قاعة الحديث دونما سلام

لا شيء فى حقيبتى
فالنار يا رفاق
قد احرقت كل اللى حملته لكم !

اوشكت يا رفاق
ان اقتل الاشياء فى ضميرى الحزين
وان اذوب مثل الشمس ساعة المغيب

اوشكت ان امزق الثياب
وان اسير عاريا بلا ثياب
اوشكت أن أكلم الاشياء فى الطريق

وان احدث النجوم والقمر
اوشكت ان أقاسم الاحزان بهجتى
وان افرق الكلام والسكون

فكل شيء فى زماننا يهون
تجود بالالام
تجود بالالام
تضن بابتسامة الحنان
نحو الذين يكدحون فى حدائق الالم
وانتم على بساط الجدب نائمون
من منكم لا يعرف الظمأ ؟

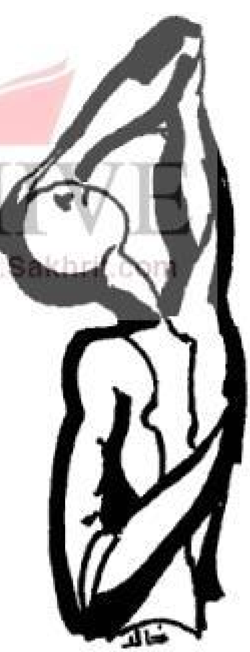
من منكم يمارس الحياة ؟
يا رفقاء تلك المحنة العنيدة
يا من غرستم فى فؤادى الطعين
عداوة الحياة

يا من حجبتم روعة اليقين
عن روحى التى تمزقت
كرهتكم
كرهت كذبكم . نفاقكم
يا من تمثلون مسرحية الحياة
كرهت مسرحية الحياة فوق ارضكم
كرهت ان تظل تلك الريح خامدة
وان يظل ماء البحر ساكنا

وان يظل موجه مستسلما وهادئا
كرهته ان لم يكن مناوئا
كرهت دارى التى تضمنى
وددت لو تشققت وصرت فى العراء

تلسعنى ثلجية الشتاء
تحرقنى براءة القمر
اطوف فى شوارع المدينة
لا اعرف السكينة

امارس الضياع كل يوم
اموت كل يوم
تعرفنى الحانات والاماكن المدنسة
من اجل لقمة طعينة



زهرات من

● محسن فهمی ●

● الصيد لمن صاده ●

خرج ابو دلامة مع المهدى وعلى ابن سليمان الى الصيد ، فعن لهم ظبى ، فرماه المهدى فاصابه .. ورمى على بن سليمان فاصاب كلب الصيد :

فضحك المهدى وقال لابى دلامة ، قل فى هذا شيئا فانشد :

قد رمى المهدى ظبيا
شك بالسهم فؤاده
وعلى بن سليما
ن رمى كلبا فصاده
فهنيئا لهما كل ..
امرىء يأكل زاده



● طمع اشعب ●

قيل لاشعب، ما بلغ من طمعك قال: ما رأيت عروسا تزف الا وظننتها لى ، ولا رأيت جنازة الا وظننت ان صاحبها اوصى لى بشىء .. ولقد اطاف بى مرة صبيان فنادوا « يا اشعب.. يااشعب» فاضجرونى ، فدفعتهم عنى بأن قلت لهم : دار فلان تهب فبادروا » فلما ولو ظننت اننى صادق » تبعتهم ،

● اربعة ●

قال عمرو بن العاص : اربعة لااملهم: جليسى مافهم عنى .. وثوبى ما سترنى .. ودابتى ما حملت رحلى .. وامرأتى ما احسنت عشرتى .



● وصية ●

قال بعض الحكماء يوصى ابنه :

يابنى ، اقبل وصيتى وعهدى ، ان سرعة ائتلاف قلوب الابرار كسرعة اختلاط قطر المطر بماء الانهار .. بعد قلوب الفجار من الائتلاف كبعد البهائم من التعاطف ، وان طال امتلافها على مذود واحد .. يابنى : بصالح الاخوان اغنى منك بكثرة عددهم ، فان اللؤلؤة خفيف محملها ، كثير ثمنها ، والحجر ثقيل حمله ، قليل غناؤه

● من ابواب الصدقة ●

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على كل مسلم صدقة ، فان لم يجد فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق .. فان لم يستطع فيعين ذا الحاجة الملهوف .. فان لم يفعل فيامر بالخير ، فان لم يفعل فيمسك عن الشر فانه له صدقة » .

نتيجة مسابقة
عدد أبريل ١٩٨٠

هذه هي نتيجة مسابقة « اقرأ الهلال واكسب جائزة » - عدد ابريل ١٩٨٠ ومسابقات الهلال فى الحقيقة دعوة للقارىء ليقرأ . ويستمتع ، ثم يكسب شيئا رمزيا اذا شاء الحظ وكان من الفائزين

فان الهلال حافل بالمقالات الممتعة ، ونحن نريد من القارىء ان يقرأها ويبدى رأيه فيها ، وهذه هى الغاية التى نرمى اليها من الكسب ا دى فرمز

وقد توالت اجتماعات لجنة محكمى فى المسابقة حتى تم فرز الاجابات الصحيحة واجريت بالقرعة بينهما وفيما يلى اسماء الفائزين فى مسابقة شهر ابريل ١٩٨٠ ، فنهنئهم بما فازوا به من تقدير ، ونرجو لهم ولبقية القراء حظا سعيدا فى مسابقة أعدادنا القادمة

الجائزة الاولى .. وقدرها خمسة جنيهات : حسن خليل مصطفى - مكتب التامينات الاجتماعية - العريش

الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة جنيهات احمد ابراهيم احمد درويش - حارة البان - منطقة الحميات - بريد بنى سويف الجديدة

الجائزة الثالثة ، وقدرها جنيهان : منير عبد العزيز قنديل - مامور الضرائب العقارية - سمالوط - محافظة المنيا

الجائزة الرابعة ، وقيمتها اشتراك لمدة سنة فى مجلة الهلال : محمد بن خجو شارع الخرازين رقم ١ شفشاون المملكة المغربية

الجائزة الخامسة وقيمتها اشتراك لمدة سنة فى مجلة الهلال : على محمد صالح - عطبرة - السكة الحديد ص ب ٤٤ - جمهورية السودان الديمقراطية

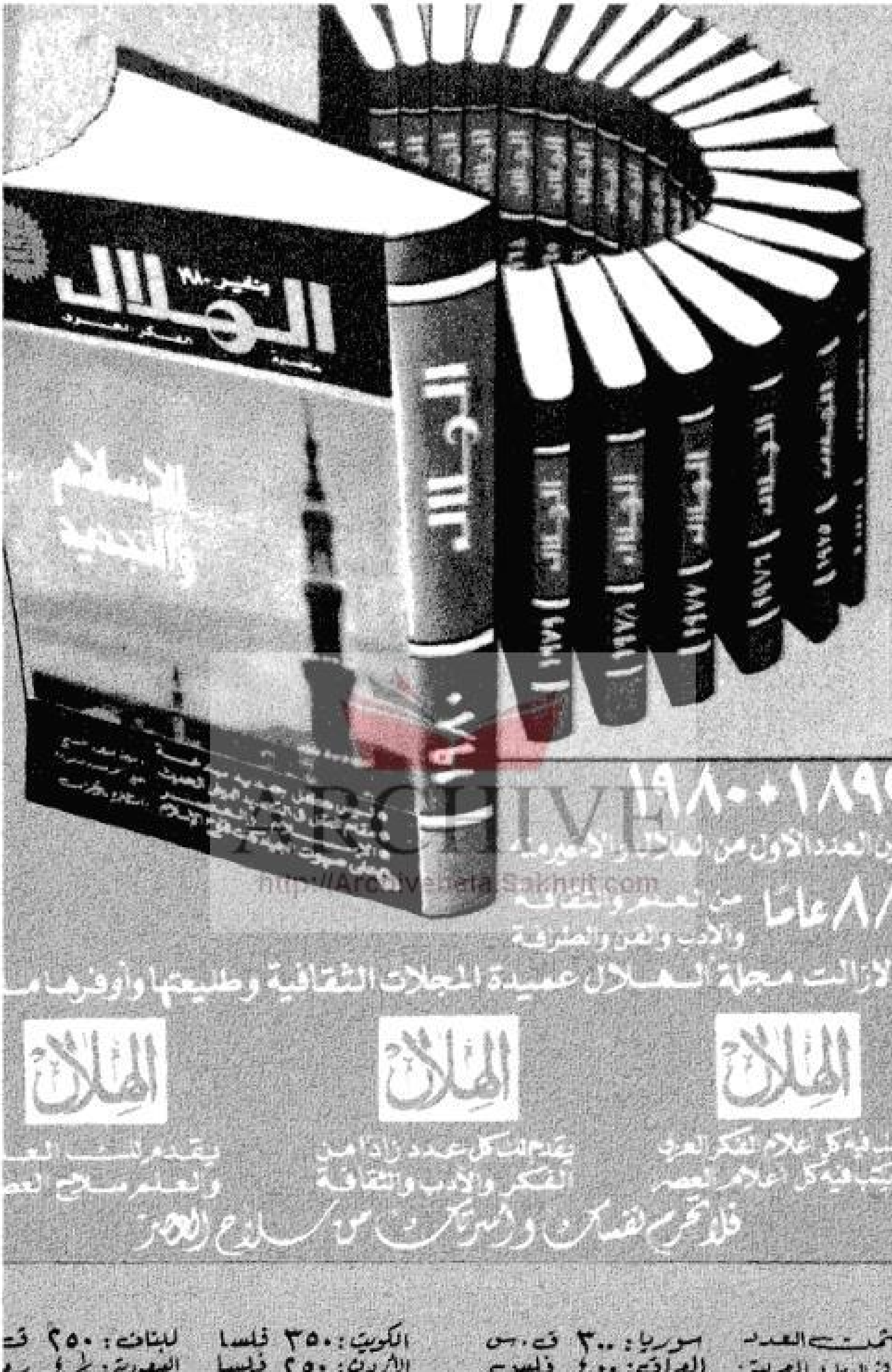
رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ختام سحر ..

◎ عزيز اباظة ◎

تعاليَ فانّ الليلَ جُن وهــذه
مراشفه ظمأى إلى قبَلِ البَدْرِ
وياليلُ ستر الله أنتَ وسـرّه
ومهد الهوى ياليل أنتَ فهل تدرى
وياليل ، هذى منية النفس أسمحت
فهات الغلال المغتب من سحرك الطهر
وياليلُ نادمنا .. وياليلُ غنّنـا
بأكرم ألحان الخلودِ من الشـعر
وقصّ علينا قصة الدهر واروهـا
وهلْ هى غير الحب والوصل والهجر
وبتْنا نشاوى ينفح المسك ثغرها
وتسكبُ عيناها فنونا من الخمر
وقمْنا نزيد الله حمـدا وطاعــة
ونحيى له بالتسبيح فى سجدة الفجر !!

عزيز اباظة
مختارات من ديوانه الكبير

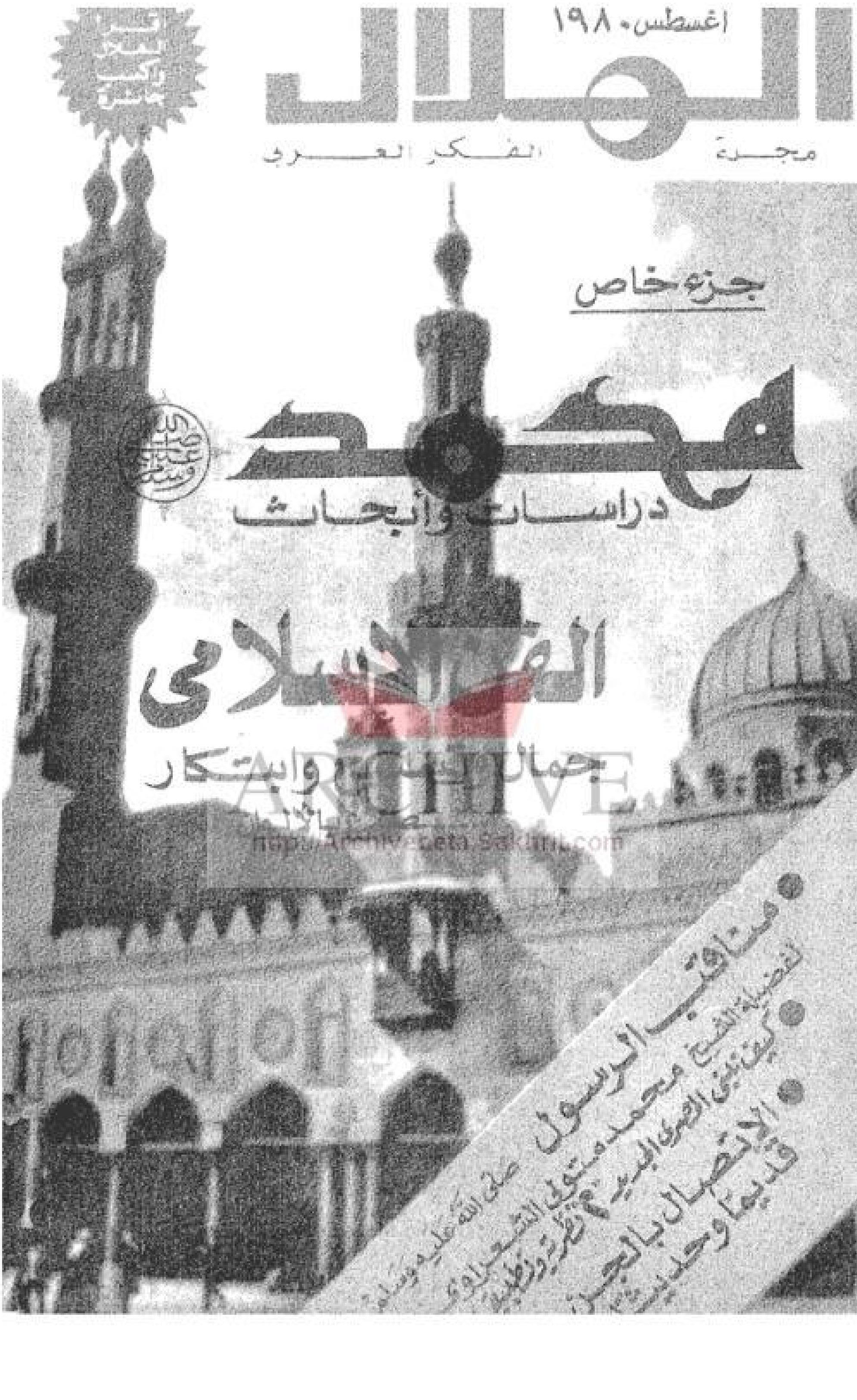


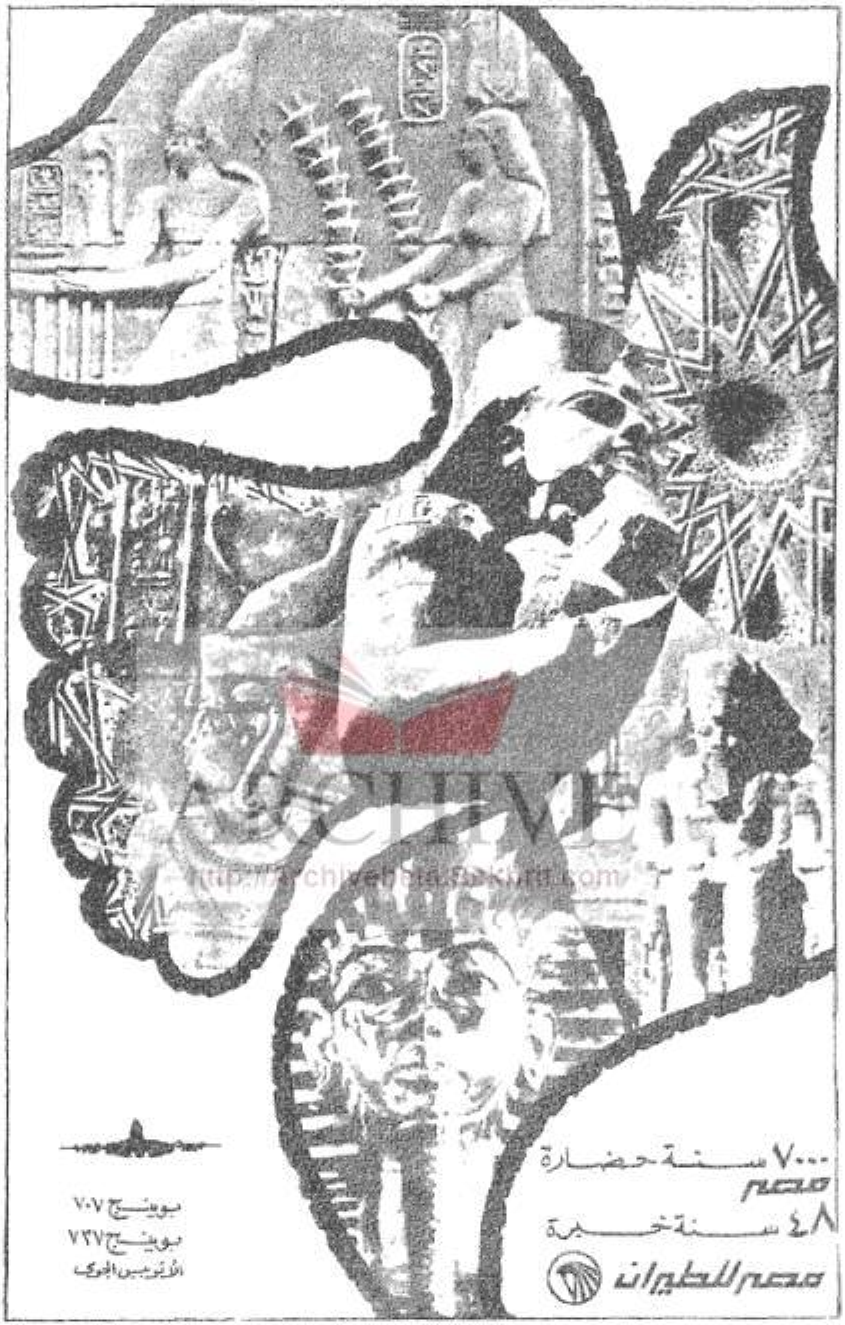
الهلال
الإسلام والتجديد
١٩٨٠
٨٨ عاما من الفكر والثقافة والأدب والفن والطرافة
لا زالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها وأوفرها
الهلال
الهلال
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من الفكر والأدب والثقافة
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد في البلاد العربية:
سوريا: ٣٠٠ ق.س
العراق: ٤٠٠ فلس
الكويت: ٣٥٠ فلسا
الأردن: ٢٥٠ فلسا
لبنان: ٢٥٠
السعودية: ٤ ½

اغسطس ١٩٨٠

الهلال

مجلة الفكر العربي




٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

* ادخلوها بسلام *

هذا شهر رمضان من آخر سنة من سنوات القرن الهجرى الرابع عشر قد اهل وطلعت أنواره ..

الف اهلا وسهلا بك يا شهر الله ، يا شهر الاسلام ، يا شهر العبادات والتقشف والتبتل والقرب من الله وابتغاء مرضاته بالطيبات الصالحات .

لقد استعد الناس عندنا لشهر رمضان بما لا يطلبه شهر رمضان ، استعدوا بالمزيد من الطعام وطرائف الموائد ، ونشطت محلات لطائف الطعام ، واكتنز الناس سكرا كثيرا لرمضان ، واختزن تجار كثيرون مقادير من السكر ومطالب التقاليد فى رمضان ليبيعوها بيعا غير حلال .

واعلنت محلات الكهرباء عن استعدادها لاقامة زينات النور بالليل ، ووضع التجار اجهزة مكبرات الصوت لكى تعلن للناس باعلى صوت انهم مؤمنون وانهم سعداء بشهر رمضان ، والى الفجر ستظل تلك الاجهزة تصيح وتصم الآذان واصحابها لا يدرون ان فى الناس مرضى وفيهم شيوخا يحبون الراحة لان الراحة حياتهم وفيها سلامهم .

وساعدناهم نحن فجلبنا المزيد من كل صنف من اصناف الطعام ووضعناه فى المجمعات والمحلات وقلنا للناس ، لقد اتيناكم بضعف ما تعودتم منها ، فكلوا واملأوا بطونكم ، وقد اهلنا لكم سهرات رمضان بكل تسلية لتسعدوا وتنعموا وتنسوا انكم فى شهر الوقار والعبادة والاعتكاف والصلاة الصافية والدعوة الصالحة والقلب المؤمن حتى يصدق علينا قوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » .

لقد قرات السيرة كما لم يقراها احد من اهل عصرى ، وقرات عصر النبوة والعصر الراشدى ، وقرات اخبار الصالحين والعباد والزهاد واهل الله فما رايت من هذا كله شيئا ، رايت رمضان شهر عبادة واعتكاف وتقشف ، وعرفت ان الامام الغزالى كان يعتكف فى المسجد خلال الشهر المفضل فاذا رفع اذان المغرب شرب شيئا من الماء وقام فصلى المغرب ، ويناوله احد اصحابه تمرتين فيقول : لا فى بيت الله ، لا فى بيت الله ..

وينهض الى بيته فيفطر على تمرات وتركه اصحابه لانهم يعرفون انه يريد ان يكون مع ربه ، فيصلى ما شاء ، ثم يعود الى المسجد ..

هذا كان من العابدين الصالحين ، هذا ممن سيساقون الى الجنة زمرا ويقال له ادخلها بسلام ، طبت ..

المحرر

مناقب محمد

صلى الله عليه وسلم

● لفضيلة الشيخ
محمد متولى
الشعراوى ●

● رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عند ربه بالمكان الذى نعرفه له ، وهو عند المؤمنين به بالمكان الذى يرضى الله عن وجوده فى نفوس من آمن به .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يتكلم المتصلون عن صفاته الخلقية ، انما يتكلمون عن مدى ما استمالتهم اليه صورته صلى الله عليه وسلم استمالة — كما يقول الادباء — كانت الهيد الناظر اليه . اى ان الناظر اليه صلى الله عليه وسلم كان يقيده كل حسن فيه وما ذلك الا لان الطاقة الحسية والطاقة القلبية لا تجعل لناظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معدى من استدامة النظر اليه، والنظر اليه كما عرفنا يعطى آشعاعات اليقين ويعطى اشعاعات الايمان . ومعنى ذلك ان للرؤية الذاتية تأثيرا فى كيان المؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكون الواصفين له يدققون الوصف له فى ادق الاشياء يدل على انهم لم يفتهم شىء من صفاته صلى الله عليه وسلم، وان اختلف الواصفون فى شىء فانما هو اختلاف اللقطات او اختلاف التعبير عن اللقطات ، فان آلات التصوير مثلا، حينما تصور انسانا فعلى قدر جودة الآلة وعلى قدر قدرة ومهارة من يستعمل هذه الآلة تخرج الصورة طبق الاصل ، ولكنهم فى الجملة يلتقون على اشياء ، هذه الاشياء تميزه صلى الله

● إن الطاقة الحسية والطاقة النفسية لا ترجع لناظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معركة عن استدامة النظر إليه والنظر إليه يعطي إشعاعات اليقين ويعطي إشعاعات الإيمان .

عليه وسلم بينية كاملة متكاملة بحيث يكون للقلب منه غذاء وللعين منه غذاء وللأذن منه غذاء ، بمعنى أن ادراكات المؤمن كلها يكون لها غذاء منه صلى الله عليه وسلم .

***

ونحن اذا نظرنا الى جملة ما وصف به صلى الله عليه وسلم نجد الجامع لذلك هو رواية سيدنا الحسن بن علي عن خاله هنـــد بن أبي هالة ، قال الحسن :

(سالت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم) والتعبير هنا بكلمة حلية رســول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، دليل على انه يلحظ ان كل وصف فيه حلو، فكان وصوله كانت حلية في ذلــك الكمال النبوى . (وانا ارجو ان يصف لي منهـــا شيئا ... اتعلــق به) .. يعنى حين يتصور ذاته الشريفة تحدث له صورة في نفســــه عن هذه الذات لينقلها الى المؤمنين به فتحـــدث لهم ايضا صورة نفسية عن هذه الذات .

وولع النفس المحبة بالصـــورة المادية الشكلية لمن تحب أمر نعرفه عند الكتاب وعند الادباء وعند الشعراء بل وعنـــد النبوة ايضا ... قال رسول اللهصلى الله عليه وسلم حينمـــــا عرج به الى السماء وتكلم عن سيدنا موسى وتكلم عن سيدنا عيسى ، وتكلم عن سيدنا ابراهيم سئل من اصحابه: ماكان شكل ابراهيم؟ .. ما كانت صفة موسى ؟ .. ما كان شكل عيسى ؟ ... فيقول صـــلى الله عليه وسلم (اماموسى فرجل ادم،طويل، كأنه من رجال ازد شنوءة)اعطى وصفا مقربا لسيدنا موسى بالأدمة فى لونه وبهذا الطول .. وحينما يتكلم عن ســـيدنا عيسى يقول : (كثير خيـــلان الوجه) ومعنى كثير خيلان الوجه فى عرفنـــا الحسنات التى تقول منها : فلان فى وجهه حسنة ، اى فى وجهـــه خالات كثيرة (يقطر وجهه) يعنى مندى دائما رطب ((كأنه يخرج من ديماس)) اى انك حين تراه كانك تراه خارجا من حمام وما يتبع ذلك من كثرة العرق المتصبب منه، وبعد ذلك يقول عنه عليه السلام: (اشبه اصحابكم به عروة بن مسعود الثقفى) فكان من يريد أن يتخيـــل صورة عيسى عليه السلام فعليـــه ان ينظر الى عروة .

وبعد ذلك يقول عن سيدنا ابراهيم (اما ابراهيم فاشبه الناس به صاحبكم هذا) يعنى ذاته الشريفة .

***

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك الا لأنه يعلم ان النفس المحبة تشتاق الى ان تاخذ فكرة ولو ضمنية عمن تحب.. حتى اذا ما تصورت المعانى تصورتها فى قـــالب يمكـــن للعـــين ان

●

تستوضحه ويمكن للنفس البشرية ان تأنس بذلك القالب ...

***

وحين يسأل الحسن خاله هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يعطى نفسه ذلك الزاد التصورى ، ويريد أن ينقل لنا ذلك الزاد التصورى ، والا فمن منا يتخيل كيف كان شكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. كيف كان طوله ؟ .. كيف كان لونه ؟ .. كيف كان شعره؟ .. كيف كانت مشيته ؟ ..

كل ذلك امر شغل الناس جميعا ، فلو لم تأت هذه المسألة فى سيرته صلى الله عليه وسلم لكان ذلك هو العجب .. فماذا قال هند بن ابى هالة فى حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما) ومعنى فخما مفخما ان العين لاتقتحمه . ساعة ينظر اليه الانسان يجد له فخامة .. يجد له عظمة .. يجد له هيبة .. اذن لا تقتحمه العين يعنى يعطى شيئا من الجلال وشيئا من المهابة وهذا امر يتطلبه موضعه من رسالة الله فى الارض ... فخما مفخما .. .

ثم ينتقل الى وجهه ليعطينا الصورة .. والوجه هو السمة الاصيلة فى تشخصات الاشخاص فيقول: (يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر)) .. وبعد ذلك يعطينا الفكرة عن قوامه صلى الله عليه وسلم فيقول : (هو أطول من المربوع واقصر من المشذب)) والمربوع الذى كما نقول فى عرفنا : انه مربع ، يعنى ، طوله اقرب من عرضه .. والمشذب هو الطويل البائن فى نحافة ..

الصورة اذن هى الصورة الكمالية التى توجد للطول .. هو اطول من المربوع واقصر من المشذب .. يعنى بين بين .. يعنى هو فى اوسط القوام .. وبعد ذلك يقول : (عظيم الهامة)ومعنى عظيم الهامة ان راسه وما يحمله من رقبة ، ساعة تراها ترى عظمة تستميل وتستلفت النظر . وبعد ذلك يقول عنه ((وكان رجل الشعر)) ، والرجل من الشعر هو الذى بين الجعودة والسبوطة يعنى (بعرفنا) ليس بالشعر الناعم او الشعر المجعد .. يعنى انه شعر متموج .. (اذا انفرقت عقيقته فرق والا فلا . يتجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره) ومعنى اذا هو وفره ان ذلك لم يكن حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما ... فلانه كان مثلا فى النسك يحلقه بالموسى .. اذن فحين يأتى امر نسكى يتطلب منه صلى الله عليه وسلم ان يحلقه ، يحلقه .. بالدليل القوى (اذا هو وفره) .. وكأنه كان يوفره مرة ولا يوفره مرة اخرى .. وبعد ذلك ينتقل من موضوع شعره فيتكلم عن شىء آخر .. يتكلم عن لحيته يقول : (كان كث اللحية) ..

***

وبعد ذلك ينتقل الى عينيه فيقول (ادعج) والادعج هو من كان سواد عينيه شديدا ... وبعد ذلك ينتقل الى شىء آخر فيقول (كان ضليع الفم) اى متسع .. وهذا امر تحمده العرب .. خصوصا فيمن كانت رسالته البيان ولذلك يقولون : مفوه .. اى يتكلم بالكلام ويأتى الصوت من كل جوانب فمه.

وبعد ذلك يقول : (شنب) ومعنى الشنب فى لغة العرب ان اسنانه

● ان للرؤية الذاتية تأثيراً في تباين آيات المولعين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكون الواصفين له يرقبون الوصف له في أدق الأشياء، يدل على أنهم لم يفتهم شيء من صفاته صلى الله عليه وسلم، وإن اختلف الواصفون في شيء فإنما هو اختلاف اللقطات أو اختلاف التعبير عن اللقطات.

رقيقة دقيقة .. فيها مائية تعطيه بريقا ... وبعد ذلك يقول (مفلج الاسنان) مفلج الاسنان يعني يوجد فضاء بين اسنانه، وذلك ادعى الى طيب الفم لأن بقايا الطعام لا تتخلل الفضاء بين اسنانه ..

وبعد ذلك يقول (معتدل البدن متماسك) ومعنى متماسك ان سمنته ليست مرهلة او كما تقول مضمر ، اى ان كان فيه شيء من السمنة فليس من السمنة المستلقية ... وبعد ذلك ينتقل نقلة اخرى فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس) ، وهي رءوس العظام .. ومعنى ضخم الكراديس انه منبسط يعنى ليس كالأحدب او المتجمع او المنقبض بل هو مفرود القوام .. وبعد ذلك يتكلم عنه صلى الله عليه وسلم فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم اشعر الذراعين » اى ذراعه بها شعر «..والمنكبين واعالي الصدر ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالفرط » يعنى انه دقيق شعرة متواترة وراء شعرة ...

وبعد ذلك يقول : (خمصون الاخمصين) أى ان وسط قدمه بالداخل لا يلتصق بالأرض ، والالتصاق عيب خصوصا فيمن يطلب منهم ان يكونوا عدائين او رياضيين بوجه عام ، وهو ما يسمى (فلات فوت) ومع ذلك كان يقول : (وكان مسيح القدمين) يعنى انه لا توجد تجاعيد في بشرته .. فاذا صببت عليهما الماء لا يحتجز منه شيء بل يسيل عنهما الماء ويتدحرج عليهما كأنهما من البلور .. وبعد ذلك ينتقل الى وصف آخر فيقول : «كان صلى الله عليه وسلم شثن الكفين والقدمين) ومعنى ذلك كما تقول في عرفنا : غير ظاهر العروق .. « وكان سائل الاطراف) يعنى أصابعه فيها شيء من الطول والاسترسال ...

وحينما يتكلم بعد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقل الى شيء آخر فيقول (وكان دائما خافض الطرف) وخافض الطرف يعنى مغمضا بعض الشيء .. (نظره الى الأرض اطول من نظره الى السماء، جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام) ومعنى يسوق اصحابه انه حينما كان يمشى دائما يكون اصحابه امامه ويكون هو صلى الله عليه وسلم خلفهم ... ولما سئل عن ذلك مرة قال : (خلوا ظهرى للملائكة ربى) ... ويبدأ من لقيه بالسلام ... وذلك شأن المتلطف . .

كل هذه الصفات .. ، الصفات الخلقية تعطينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استوقف انظار هؤلاء حتى استوعبوها هذا الاستيعاب لينقلوها الينا لتعطينا شيئا من راحة النفس حين نتصور كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم. ●

في هذا العدد / هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربى

رمضان ١٤٠٠
أغسطس ١٩٨٠

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. اسسها جرجى زيدان سنة ١٨٩٢ ـ السنة الثامنة والثمانون ـ اول اغسطس سنة ١٩٨٠ ـ ٢٠ من رمضان سنة ١٤٠٠

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفنى : موسى حميد

من «الهلال»

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر، ويبذل الجهد ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير «الهلال» غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب، وهي لا ترد، نشرت أم لم تنشر.

● صورة الغلاف ●

يلتقى قراؤنا الاعزاء بهذا العدد الجديد من «الهلال»، وقد انتصف شهر رمضان المبارك، ولاحت تباشير الختام، وليلة القدر، ومقدم للعيد .. ومع الدعوات الطيبات للمسلمين فى مشارق الارض ومغاربها بالنصر والتأييد يتقدم الهلال لقرائه بأجمل التحيات، فى غد مشرق باليمن، والتفوق والتوفيق ..

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : فى جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم - قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . فى الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . ا تسدد بشيك مصرفى لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

كيف نبنى المصرى الجديد؟
نظرية وتطبيقها (٢)

بقلم : رئيس التحرير

عرضنا فى مقالنا الماضى قضية بناء الانسان المصرى الجديد ، واعطينا صورته الحالية ومشاكله والعقبات التى تحول دونه وتحقيق ما يستطيع تحقيقه بملكاته ومواهبه ، لانه انسان صانع للحضارة مشارك فى بناء التاريخ ذو ملكات ومواهب اصيلة . وفى هذا المقال نقدم الحل والتطبيق ، لان طرح المشاكل مطلوب ولكن حلها هو المطلوب اكثر

اهم العيوب والسلبيات فى رأيى وبناء على هذا الخط من التفكير هى :

١ ـ اقتصار مجال اهتمام الفرد وشعوره بالمسئولية على شخصه وأسرته فحسب دون تفكير فى المجموع .

٢ ـ ضيق الافق فى النظر والتفكير فالمستقبل ، والوطن ككل ، والصالح العام ، وامثال هذه المفهومات الاساسية لا وجود حقيقى لها فى التفكير الجدى لغالبية من الناس . وهذا ناتج عن عدم فهم العصر ومطالبه .

٣ ـ التهرب من المسئوليات نتيجة للشعور بالعجز عن تحملها .

٤ ـ غياب فكرة « العمل » اساسا لحياة الفرد والجماعة والميل الى بذل اقل مجهود ممكن والمطالبة فى نفس الوقت باكبر كسب ممكن ..

٥ ـ جهل غالب بظروف العصر الراهن ومطالبه واخطاره .

٦ ـ تزعزع ميزان القيم فاشياء مثل الاختلاس والتزوير والغش وما اليها لم تعد تفزع الناس كثيرا ، بل شيئا فشيئا يتسرب الى النفوس شعور بأن هذه اشياء لابد منها للحياة فى الظروف الراهنة ..

● لاشك أن ضياع الخوف من العقاب وضياع هيبة الرؤساء جعل الأعمال تسير بلا توجيه ولا قيادة فعلية . ونحن الذين اشتغلنا بالتدريس نعرف أن الخوف أساس من أسس تربية التلاميذ تربية صحيحة ..

٧ ـ انعدام الخوف من السلطة فيما عدا ما يتصل بالسياسة والنظام العام والجرأة على القانون ، وتلاشي احترام الرؤساء ، لان رئيس اى عمل لم يعد قادرا فى الواقع على ايقاع اى عقاب بالمرءوس المخطيء حتى ولو كان ذلك العقاب منصوصا عليه فى القانون . والقائمة طويلة ولكنها فى مجموعها لا تخرج عن نطاق ما ذكرناه فى النقاط السابقة .

وذلك كله راجع الى ضعف تربية المواطن سواء اكان المقصود بالتربية التاديب بمفهومه التقليدى اى تنشئة الاولاد على الادب والنظافة والنظام ومكارم الاخلاق والنفور من العيب واحترام الوالدين والكبار ومراعاة آداب اللياقة وحسن المظهر ـ ام كان المقصود بالتربية تكوين المواطن الصالح القادر على حمل مسئولية هذا الوطن والنهوض به ..

ومن حسن الحظ انها كلها سلبيات سطحية تتعلق بالسلوك دون ان تمس كيان الانسان او طبيعته، ومن هنا فان تصحيحها ممكن اذا وضعنا لذلك خطة علمية. وسرنا عليها .

وضعف التربية هنا ناتج عن تلاشى الخوف. ومهما قلنافان الخوف واحدة من الغرائز الاساسية الخمس التى يقول العلماء انها ضرورية للبقاء وهى على الترتيب الخوف والصراع والهرب والجوع والجنس

والخوف هنا يراد به الخوف من الموت والجوع والالم والعقاب وما الى ذلك وبدون خوف لا تستقيم الحياة ..

ولا شك ان ضياع الخوف من العقاب وضياع هيبة الرؤساء جعل الاعمال تسير بلا توجيه ولا قيادة فعلية .ونحن الذين اشتغلنا بالتدريس نعرف ان الخوف اساس من اسس تربية التلاميذ تربية صحيحة .

والجانب الاكبر من الفضل فى اصلاح القوات المسلحة عندنا يرجع الى انه يحكمها نظام ثابت محترم من جميع العاملين فيها ، وهذا النظام يقوم على تطبيق القوانين العسكرية تطبيقا تاما بلا هوادة وايقاع العقوبة بالمخالفين او المتهاونين .

تلك هى العيوب ، وضعناها بكل وضوح لكى نستطيع اصلاحها وقد بدأنا هذا الموضوع بالقول بان اساس المصرى سليم وانه اذا احسن تربيته وقيادته يستطيع ان يحقق الآمال المعلقة عليه ويمكن من ان يبنى وطنا ناهضا متقدما متعلما واعيا قادرا على مواجهة مطالب العصر ومسئولياته .

واحب ان اقول اننى عندما افكر فى اعادة البناء فاننى تبينت من دراسة التاريخ ان اى تجزئة للهدف المطلوب تؤدى فى النهاية الى عدم الوصول اليه ، فليس فى عمليات الاصلاح ما يسمى بالخطوة خطوة ، لان الهدف المطلوب ينبغى ان يكون كاملا واضحا امامنا لنستطيع تحقيقه . فاذا اردنا ان ننشيء صناعة على مستوى العصر فلا

يجوز ان نقول اننا نريد ان نبدأ بصناعة ربع متقنة ثم نصف متقنة ثم ثلاثة ارباع متقنة ثم متقنة تماما . هذا التفكير لا يصل بنا الى شيء . انما نحن نضع امامنا الهدف المنشود كاملا ونصر على تحقيقه كاملا . ويكون التدرج بعد ذلك نتيجة طبيعية للممارسة . فالعامل المصري يزداد انتاجه جودة مع الزمن ، ولكننا لا ينبغي ان نتخلى عن التمسك بالعمل الكامل والغاية المطلوبة .

وملاحظة اخيرة قبل الاقلام في العلاج وهي ان القول بان ما يصلح لغيرنا لا يصلح لنا او اننا ينبغي ان نراعي تقاليدنا وظروفنا عند التطبيق ، قول غير سليم ، بل من شانه ان يفسد كل محاولة للاصلاح ، لان ما يصلح لغيرنا في هذا العصر يصلح لنا ، لاننا نريد ان نصبح مثل هذا الغير ، واختلاف ظروفنا عن ظروف اليابان مثلا لا يمنع من اننا نريد ان يكون الصانع المصري مثل الصانع الياباني تماما . او ان مدننا لابد ان تكون نظيفة مثل مدن اليابان . لان مطالب العصر حاسمة والصحة لا تقبل المساومة ، فاذا اردنا ان نصنع معلبات تباع في الخارج على نطاق واسع فلابد ان تكون على نفس المستوى الذي تصنع به المعلبات الهولندية او الفرنسية او الامريكية . والصانع الانجليزي يعيش ويعمل على نفس الاسلوب الذي يعيش ويعمل به كل الصناع الذين يخرجون انتاجا صالحا للعصر في العالم كله . لان مسائل العمل والانتاج والحضارة والبناء الاجتماعي لا يدخل في صلبها ما نستتر وراءه دائما من مراعاة ما نسميه بالتقاليد وظروفنا الخاصة وطبيعة البيئة وما الى ذلك ... وعندما تذهب امراة مريضة الى الطبيب فلابد ان يقوم بالكشف عليها كما لو كانت رجلا . ومن يريد علاج زوجته فليفهم ذلك ، والا فلا داعي للذهاب للطبيب اصلا . ونحن نعرف ان القانون الاخلاقي الذي يحكم مزاولة مهنة الطب واحد في كل بلاد الدنيا ..

بعد ذلك اقول ان الطريقة الممكنة لبناء المصري بناء جديدا هي ان ننقل المسئوليات العامة من الدولة الى الافراد . ولا تدخل في هذه المسئوليات المسئولية السياسية . فهذه يحددها الدستور وينظمها ، ثم ان الذين يمارسونها يفعلون ذلك بتفويض من الشعب ، ونحن هنا لا نتدخل في السياسة اطلاقا ، لان مفهوم السياسة في عصرنا قد تغير تماما ، فلم يعد السياسي هو من يتقن « اللعبة السياسية » كما كان يعمل ريشليو ، او مترنيخ ، او بسمارك ، او تشرشل ، او حتى معاوية بن ابي سفيان .

والمشاكل التي تواجه رجل السياسة اليوم لم تعد تتحمل اللعب الماهر الذكي الذي كان اولئك الناس يتقنونه ، ولم تعد كذلك تتحملها « شعرة معاوية » المشهورة ، بل اصبحت السياسة فن التنسيق بين جهود الامة في شتى الميادين وتيسير سبل العمل للعاملين في تلك الميادين حتى تخرج احسن انتاجها ، ويكون بين يدي رجل السياسة قدر صالح من الانتاج الصحيح الذي يستطيع به قيادة الامة كلها في الصراع الخطر في عالم اليوم .

وابدأ من البداية ، لان اعادة البناء ينبغي ان تكون عملية شاملة تتضمن اعادة بناء الصغار والكبار في نفس الوقت . والبداية تبدأ من المدرسة الابتدائية فنبدأ اولا بتربية التلميذ الصغير على تحمل المسئولية عن ملابسه ومظهره وكتبه ودفاتره اولا ، ثم عن التخته التي يجلس عليها ثانيا وعن الفصل الذي يدرس فيه .

من اول يوم لابد ان نخاطب التلميذ على انه مسئول عن نفسه . فاذا كانت ملابسه غير نظيفة او غير منسقة فهو المسئول عن ذلك . وعليه هو ان يقول لوالدته عندما يعود الى بيته ان المشرف (او المشرفة) على الفصل قالت له انه مسئول عن ملابسه ومظهره ونظافته .. ومعنى ذلك ان يصبح من واجب

• إن أساس المصري سليم وأنه إذا أحسن تربيته وقيادته يستطيع أن يحقق الآمال المعلقة عليه ويمكن من أن يبني وطنا ناهضا متقدما واعيا قادرا على مواجهة مطالب العصر ومسئولياته .

المشرف أن يعلم التلميذ كيف يعنى بمسائله الشخصية بنفسه ، واذا تبين المشرف ان اساس التقصير في البيت فهو يرسل خطابا الى والد التلميذ ووالدته بما يراه . وفي نفس الوقت لا يعفى التلميذ من المسئولية ، فالعقوبة ستقع عليه هو فلا يصح ان يأتي الى المدرسة بملابس غير نظيفة او غير منسقة وشيئا فشيئا سيعمل هذا التلميذ على ان ينال حقه من العناية بملابسه ونظافته وكتبه ودفاتره .

ومعنى ذلك اننا نبدا بالتربية ونرى انها مقدمة على العلم . ذلك يقتضي ان يكون لكل فصل مشرف على شئون التربية الشخصية والاجتماعية . هذا المشرف سيتصل بالاسرة ويتعاون معها على تربية الصغير تربية خلقية واجتماعية ، ولكنه سيعتبر التلميذ هو المسئول وسيخاطبه على انه هو المسئول .

ان الدولة – اى مجموع المواطنين تتحمل تكاليف التعليم عن الاسرة كاملة ، ولكن ذلك لا يعفى الاسرة من انها مسئولة قبل المدرسة عن تكوين هذا الصغير ليكون اولا ابنا صالحا ونافعا لنفسه واسرته ثم مواطنا صالحا بعد ذلك .

ولابد ان يفهم التلميذ من اول يوم انه مسئول عن التخته التى يجلس عليها بالاشتراك مع زميله . عليهما أن ينظفاها قبل الحصة الاولى ولا يغادرا المدرسة الا بعد ان يعيدا تنظيفها . واى كسر او ضرر يصيبها فهو وزميله مسئولان عنه . والاصلاح يتم على نفقة الاسرة بحسب ما يرى الاستاذ المشرف .

وهذا الكلام ليس مجرد أفكار بل هو واقع مطبق في المدارس الابتدائية فى سويسرا واليابان ، وقد رأيت ذلك بنفسي وقرات عنه . فمسئولية الانسان من الادوات التى يستخدمها مسئولية ينبغى أن تكون أساسا من اسس العمل ، او ينبغى أن يتربى عليها الانسان من الصغر . ومسئولية التلاميذ عن الفصل الدراسي وكل ما فيه مطبقة بالفعل فى مدارس الكثير من البلاد . والذى اعرفه ان مجموعة التلاميذ فى المدرسة الابتدائية في زيوريخ تدرس فى نفس الفصل اربع سنوات ، وفى كل سنة يراجع كل شىء فى الفصل ويصلح على نفقة آباء التلاميذ ..

وفى اليابان يعتبر العمال العاملين على آلة او جهاز مسئولين عن سلامته ، وكل عطل فيه يصلح على نفقتهم حتى يستوفى مدة صلاحيته للعمل المقررة له . وعليهم مشتركين نظافة العنبر او الحجرة التى يعملون فيها بأيديهم . وفى مدن سويسرا مثل بازل وزيوريخ يلزم السائق والمحصل لكل أوتوبيس أو ترام بالمجىء قبل ميعاد العمل بساعة كاملة لمراجعة السيارة او العربة مراجعة كاملة . ولا ينصرفان فى آخر فترة العمل الا بعد ساعة كاملة ينظفان فيها

الاوتوبيس او العربة ويراجعان الاجهزة مراجعة تامة ويبلغان عن الاعطال ، ويأتى الفنيون فى الجراج للنظر فى الاعطال او فى اى ضرر لحق بالسيارة او العربة لتحديد المسئولية واجراء الاصلاح اللازم خلال الليل ..

اما ان نعين كاتبا على الالة الكاتبة ونسلمه آلة ثمنها نحو مائتى جنيه وبعد اسبوع يقول انها تعطلت فنرسلها للاصلاح دون مساءلته فامر غير معقول. ومن غير المعقول ايضا ان يستعمل الموظف هذه الماكينة ليتعلم الكتابة عليها لم يستعملها لكتابة اعمال خارجية ليكسب مالا ، ثم تتعطل الماكينة فنتولى نحن اصلاحها بينما نحن نستطيع ان نقرر الا يعين كاتب الة كاتبة الا بعد اختبار قدرته على الكتابة وقدرته على المحافظة على الماكينة سليمة صالحة للاستعمال واعتباره مسئولا عن اى عطل يصيبها واصلاحها على حسابه .

فاذا كان هذا المبدأ مقبولا فينبغى ان يكون قاعدة تطبق على المدارس الثانوية والجامعة ، وطلاب كل فصل مسئولون عن نظافته وسلامته، وعليهم تحمل تكاليف اصلاح ادوات الفصل جميعها بما فى ذلك الجدران والارضية والشبابيك وزجاج الشبابيك والسبورة ، ويكفى اننا نبنى المدرسة او الكلية ونجهزها بكل ما يلزم ، اما المحافظة عليها فمسئولية من يستعملونها . هنا تربى روح المسئولية فى التلميذ والشاب ويفهم بصورة ملموسة معنى المال العام والصالح العام ، وفى نفس الوقت توفر الدولة نفقات الاصلاح الباهظة .

وكذلك العاملون فى اى مصلحة او على اى جهاز او المسئولون عن اى ادوات لابد ان نعتبرهم مسئولين مباشرة عما يسلم اليهم من ادوات. لقد رأيت منذ ايام العمال ينزلون تخت الامتحان من سيارة نقل ، فرأيتهم يلقون « بالتختة » على الارض من اعلى السيارة ، فى مثل هذه الحالة تتحطم معظم « التخت » لمجرد ان العامل غير مسئول عن سلامتها ، ولو عرف انه مسئول ما القاها من ارتفاع اربعة امتار ..

ومن المشاهد المألوفة عندنا عمال البوتاجاز وهم يلقون الانابيب على الارض بقاية الاهمال ، والانبوبة التى ينبغى ان تعمل دون اى خلل سنوات طويلة يفسد المنظم فيها فى شهور: هذا بجانب تحطيمها وتشوهها وقذارتها بل ان بعض العمال يلقيها على الارض ويدفعها بقدمه غير مدرك ان فيها سائلا مضغوطا لو انفجر لحطم شارعا باسره .. وقد حدث ذلك مراراً ، ولكن كيف يعرف هذا العامل ذلك اذا لم يكن هناك من يفهمه اياه ، واذا كان يعرف انه يستطيع ان يحطم الانبوبة دون ان يقال له حرف ، فلماذا يعنى بها .. هذا بالاضافة الى انه يبيع الانبوبة اليوم بجنيه ، وما تنفقه الدولة فى الدعم يستولى هو عليه ، ونحن فى النهاية المسئولون ، لاننا لم نربه على المسئولية ولم نعرفه بمسئوليته ، ثم اننا اوقفنا مسألة العقاب تماما فلا نستطيع ان نوقع عليه اى غرامة ، وفصلنا بين الاجر والعمل ، فهو يعمل كيف يشاء متى يشاء ولكن الاجر مستمر وتضاف اليه العلاوات والزيادات والمكافآت .

هذا يقتضى تغييرا شاملا فى نظام العمل فى وزارة التربية والتعليم ، فيكون العمل فيها تربية اولا ثم تعليما ثانيا ، ولابد ان تكون التربية العملية ساعات محددة والمشرف على الفصل سيتحمل مسئولية حتمية حقيقية فى مسألة التربية فلابد من تدريبه على هذا العمل ، ولابد ان يكون شكلا وموضوعا صالحا للقيام بهذه المهمة ، ومجلس المشرفين سيكون مجلسا رئيسيا فى المدرسة والكلية الجامعية ، فهو مسئول عن تربية كل طالب على المسئولية وروح التعاون والشعور بالجماعة ، وهو مسئول عن سلامة مبنى المدرسة وكل ادواتها ، ولهذا المجلس ان يقرر نفقات الاصلاح المطلوبة من كل طالب ، ولاينتقل

• إن الطريقة الممكنة لبناء المصري بناءً جديداً هي أن تنتقل المسئوليات العامة من الدولة إلى الأفراد والإدخال في هذه المسئوليات المسئولية السياسية ، فهي يحددها الدستور ديمقراطيا ..

الطالب من فصل لفصل الا اذا ادت اسرته المطلوب منها ، لان الاسرة ينبغى ان تعلم ان المدرسة ملك عام بنى من المال العام لصالح ابنائهم جيلا بعد جيل ، ويكفى ان الامة تبنى لابنائهم المدرسة وتعلمهم دون مقابل ، فمطالبتهم بالمحافظة على المدرسة وتحمل نفقات ذلك الاصلاح فيها عدالة وفيها تربية قومية لهم ولابنائهم ، وهذا جزء اساسى من اعادة البناء المطلوبة .

وهل نعرف مثلا أن التلميذ الذى لايستطيع شراء الكتاب المدرسى فى مدارس زيوريخ يمكنه ان يستعير الكتاب من المدرسة على ان يودع ثمنه أمانة لكى يعيده آخر السنة كما تسلمه . حتى الاشارات التى يكتبها بقلمه الرصاص ينبغى ان يمحوها ، ثم يعاد ترميم الكتاب خصما من المبلغ المودع ، ويرد اليه الباقى .

اليست هذه تربية قومية على المسئولية فيها من الفائدة والرحمة والرفق اكثر من توزيع الكتب بالمجان على التلاميذ لكى يبيعوها بقروش فى آخر السنة المدرسية . ان بعض التلاميذ يتسلم الاطلس الذى يتكلف اعداده جنيهين ويحتفظ به جديدا ليبيعه آخر السنة على سور الازبكية بثلاثين قرشا . فماذا كان يحدث لو كان هذا الاطلس وديعة عنده يستخدمه فى سنوات الدراسة ثم يعيده كما هو قبل ان يغادر المدرسة اليست هذه تربية له . وتعويداً له على المسئولية واحتراما للاطلس من الهوان ثم توفيرا لمال الدولة ؟.

وبالمثل ينبغى ان يعتبر الموظفون العاملون فى اى ادارة مسئولين عن الغرف التى يعملون فيها : مسئولين عن نظافتها ونظامها وسلامة مكاتبها . وكل كاتب على آلة كاتبة مسئول عن سلامتها. وموظفو الادارة جميعا مسئولون عن الادارة كلها ونظافتها وسلامتها من باب الدخول فى الشارع الى الادوار التى يعملون فيها ..

ان من اغرب ما نرى فى المكاتب ان الغرفة قد يكون فيها خمس او ست سيدات موظفات ، والغرفة فى غاية القذارة والفوضى . هل كان هذا يحدث لو اننا الزمنا الموظفين العاملين فى غرفة واحدة بالمحافظة على نظافتها وسلامتها وكل ما فيها . ان هذه المسئولية فى اعتبارهم مسئولية الفراش ولكن ماهو مفهوم هذا الفراش عن النظافة والنظام .. اليس من الواجب أن يعمل تحت اشراف الموظفين وان يقوموا هم اولا بالتنظيف ليتعلم منهم كيف تكون النظافة .. ثم ان عليهم مراقبة عمله مراقبة دقيقة بعد ذلك فلا تترك ذرة من تراب على مكتب ، و لاتترك لوح زجاج مكسور . الا يكفى أن الدولة تقدم له الغرفة بالمكتب والكرسى والراتب.

فماذا لو قاموا بالعناية بأمر مكتبهم واعتبروا مسئولين عنه ؟. اليس هذا هو الذى يحدث فى المكاتب فى الغرب ؟. اذهب الى اى بنك فى سويسرا الساعة السابعة تجد الموظفين ينظفون غرفهم ومكاتبهم ويلمعون النحاس وينظفون الزجاج بايديهم والبنك يقدم لهم معاونة مالية لادوات النظافة وعليهم الباقى ، فلا يبقى على الفراشين الا تنظيف القاعات الكبرى التى تستقبل الجماهير. ومع ذلك فان عملية تنظيف هذه القاعات الكبرى ، بل مسئولية نظافة القاعات العامة ومداخل البنك ، مسئولية شركات خاصة بتنظيف المنشآت العامة .

هذا عن تربية التلاميذ والطلاب على المسئولية الفردية والجماعية ، لان المسئولية هنا تنقسم قسمين : قسم خاص بالتلميذ نفسه وقسم خاص بالتلاميذ جماعة ، تلاميذ الفصل اولا ثم تلاميذ الطابق ثانيا ثم تلاميذ المدرسة كلها ، ونفس الشيء ينطبق على الكليات الجامعية والمعاهد العالية : تنتقل المسئولية عن المبنى وسلامته ونظافته من الدولة الى الشعب ، وهم هنا جماعة المستفيدين من المدرسة ، الى التلاميذ واسرهم .

انتقل الان من تربية التلاميذ والطلاب على المسئولية والقيام بها وتحمل تكاليفها الى نطاق آخر . نطاق مسئولية سكان البيت عن بيتهم وسكان الشارع عن شارعهم وسكان الحى عن حيهم ، والفكرة الاساسية هنا هى نقل المسئولية من كاهل الدولة الى الشعب وهو المستفيد الحقيقى من كل المنشآت .

لقد خفضت الدولة ايجارات المساكن مرة بعد اخرى حتى اصبح الايجار الذى يدفع فى معظم المساكن لا يمثل الا جزءا مما كان يدفع عند بناء المساكن نفسها او ايجارها الاول من عشرين او ثلاثين سنة .

فماذا كانت النتيجة ؟.

النتيجة ان حوالى ٨٠٠,٠٠٠ من بيوت مدينة القاهرة آيلة للسقوط . والسبب ؟. السبب اننا عندما خفضنا الايجار مرة بعد اخرى وجعلنا من حق الساكن ان يورث المسكن الى اقاربه الى الدرجة الرابعة بشروط معينة ، نقلنا الملكية الفعلية للبيت من المالك للساكن ولم نطالب الساكن باى مسئولية

وفى عملية النقل هذه ضاع البيت..

لان المالك اصبح يتقاضى اجرا هو فى الحقيقة اقل بكثير جدا مما ينبغى ، فهو لهذا لا يصلح ولا ينفق ، بل هو رفع يده من كل اصلاح . وفى نفس الوقت زدنا من اعبائه فجعلناه مسئولا عن التامين الاجتماعى للبواب او عامل الاسانسير ونور السلم وما الى ذلك

وبلغ الامر ان اصحاب البيوت يتمنون انهدامها لكى ينشئوا على الارض عمائر جديدة .

فى نفس الوقت نجد ان الساكن لايهتم بالبيت لانه ليس مالكه ، فهو لا يصلح الا الضرورى وقد لاحظت ان اكثر من تسعين فى المائة من المساكن فيها تسربات مياه لتلف الادوات الصحية وفى العادة لا يهتم الساكن بالاصلاح الا اذا بلغ الضرر مبلغا جسيما ..

وفى المساكن الشعبية نحن نسلم البيت للسكان تمليكا بثمن لايذكر، ومع ذلك فانك تمر على البيت بعد عام فتجد انه قد تهالك واصبح كل شيء فيه تالفا ..

لان الشقة لها مالك . ولكن البيت كله ليس له مالك .

ثم ان مالك الشقة يعاملها معاملته للشقة التى كان يسكنها قبلا ، لان روح المسئولية غير قائم فى نفسه ..

والعلاج ؟. ان كل بيت من البيوت سواء أكان مؤجرا ام مملوكا ينبغى ان تكون له لجنة ـ سكان او ملاك ، مسئولة مسئولية حقيقية ومالية عن سلامة كل شقة على حدة وعن البيت فى جملته..

ولابد أن يعتمد مبلغ للصيانة يدفعه كل ساكن او مالك ، ولابد أن توضع قواعد للصيانة فكل مرافق البيت ينبغى أن يحافظ عليها سليمة تماما والاجزاء المشتركة من المبنى كالمدخل

والسلم وبير السلم وانارته والمصعد ، ينبغى ان يحافظ عليها سليمة ، والاصلاح ينبغى ان يتم فى الحال. لان « لجنة البيت » لابد أن تجتمع مرة كل ثلاثة شهور على الاقل ولابد من ادخال الاصلاحات فى الحال ، ولا يمكن ان يدخل اى تعديل فى البيت الا بموافقة لجنة السكان أو الملاك . ولابد ان توضع قواعد لاستخدام مرافق البيت والمحافظة عليها سليمة ، ويتحمل سكان البيت كل هذه التكاليف. وفى هذه الحالة يكون صاحب البيت عضوا فى لجنة السكان له صوت واحد مثل صوتهم ، وهو يدفع نصيبه فى الاصلاح بقدر ما يدفعه ساكن لكيلا يتلاشى تماما الاحساس بالملكية .

واللجنة تتالف من رؤساء الاسر الساكنة او المالكة او من تنيبه هذه الاسر ليتحدث باسمها ... واللجنة لجنة رسمية تسجل فى دفتر خاص معد لهذا الغرض . وتثبت فيه حالة البيت كل عام ، ويدبر أمر بياض البيت من الخارج والداخل كل خمس سنوات (هذا مطبق فى انجلترا) . والجهة المشرفة على لجنة البيت هى لجنة الشارع وهى تتالف من ممثل عن كل بيت ، وفوق لجنة الشارع لجنة الحى ، وهذه اللجان كلها رسمية ومسئولة امام ادارة خاصة تنشا فى مجالس محلى البلد ، واعتقد انه ينبغى العودة الى فكرة بلدية القاهرة وبلديات المدن والقرى ، فان المدن فى التاريخ الحديث ارتفعت بمجالسها البلدية ، فاين بلدية القاهرة التى ستنتخب اعضاءها فى هذه الحالة من اعضاء لجان الاحياء حتى تتحدد المسئولية .

لجنة الشارع ستكون مسئولة عن نظافة الشارع ونظافة المرور فيه والمرافق الموجودة فيه بل من الاشجار المزروعة فى الشارع . والاساس ان مساحة الشارع ستقسم على البيوت بحسب امتدادها وكل بيت مسئول عن المساحة التى تخصه ويقوم بالتنسيق لجنة الشارع) وهذه ايضا لها اشتراكات ولها حقوق ايضا . فلا تسمح لبائع متجول بأن يحتل مكانا من الشارع ، ولا تسمح بالعيش فى الشارع لاحد . عن هذا الطريق تستطيع ضبط عملية الهجرة الخطرة الى المدن وخاصة القاهرة فكل بيت يبلغ عن السكان اللاجئين الى جواره وخلفه ، ولجنة الشارع تبلغ البلدية وهذه تعيدهم الى مواطنهم الاولى . او تدبر السلطات لهم حياة افضل . اما ان تمتلىء القاهرة بالوف من الناس كل منهم يعيش من قفصين ثلاثة . فاكهة اوخضرا اودجاجا او يقضى حياته كلها فى الشارع على ناصية واولاده وامراته يعيشون فى التراب وحاجاتهم يقضونها فى الشوارع ، فهذه ليست بحياة وواجبنا ان نحميهم من انفسهم ونحمى القاهرة منهم ، لان القاهرة اولا واخيرا عاصمة بلد كبير فهى مكان استقبال ومركز اعمال ولا يجوز لنا قط ان نتركها تتحول الى قرية يقتلها من نسميهم بالمرتزقة او المسترزقين

ومعظم ما تطرحه الدولة من مواد التموين المالة بما فى ذلك الدواجن يستولى عليها هؤلاء ليبيعوها فى السوق السوداء للقادر على الدفع ، فلا هى وصلت الى محدود الدخل الذى نريد ان نعاونه ولا هؤلاء القرويون الوسطاء انتفعوا بها فى غذائهم فهم مهما كسبوا يعيشون على الفول والطعمية . وهم يتكاثرون بسرعة مخيفة .

د . حسين مؤنس

الى هنا وتصل الى قرب نهاية هذا البحث ولا شك ان لك ايها القارىء آراء فيه ، ولهذا فنحن نؤثر ان تختمه انت بالاشتراك معنا فى العدد القادم ، لان الموضوع موضوع بناء المواطن المصرى بناء مصر ، وهو موضوعنا جميعا ...

المنهج العلمي في تدوين

الحديث النبوي

● احمد بن عبد العزيز آل مبارك ●

لا شك ان الكتابة قد انتشرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عما كانت عليه في الجاهلية ، لان القرآن قد حثهم على التعلم ، واهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم المسلمين الكتابة ، ولا يفوتنا ان نذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذن لاسرى بدر ان يعلم كل كاتب عشرة من صبيان المدينة، ويعتبر هذا فدية عن نفسه (١) .

ان الاسلام كان في حاجة الى القارئين والكاتبين، والقرآن يحتاج الى الكتابة، وامور الدولة من مواعيد ومواثيق تحتاج الى الكتابة ، حتى صار عدد الكتاب لا بأس به في عهد النبوة ، وقد ذكر بعض المؤرخين عدد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين (٢) وذكر بعضهم عدد كتاب الوحي زهاء اربعين كاتبا «٣» ناهيك عن كتاب الصدقات والرسائل والعهود .

كتابة الحديث في حياة الرسول

ومع وجود عدد من الكتاب في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، نحن نرى ان الحديث لم يدون كما دون القرآن الكريم في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وماعين كتبة يكتبونه كما اهتم بتعيين الكتاب للقرآن ، وهم يكتبون آياته عند نزولها ، وما ذلك الا لان القرآن وحي كله بالفاظه ومعانيه، ونزل به الروح الامين على قلبه . واما السنة فالفاظها من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان كانت السنة كلها من الله تعالى كما نص عليه القرآن :

وهذا هو السر لاهتمامه الكبير بكتابة القرآن دون السنة ، لان الفاظ القرآن ومعانيه من الله كلها ، فلا يجوز ابدال لفظ مكان لفظ آخر وان كان مرادفا له، واما الحديث فان معظم المقصود منه معرفة الحكم منه لا غير .

فلو دونت السنة كما دون القرآن الكريم وهي واسعة كثيرة النواحي شاملة لاعمال الرسول صلى الله عليه وسلم التشريعية واقواله منذ بدء رسالته الى ان لحق بربه — لتطلب ذلك اكبابهم على حفظ السنة مع حفظ القرآن ، وفيه من الحرج ما فيه عدا خوف اختلاط بعض اقوال النبي الموجزة الحكيمة بالقرآن سهوا من غير عمد ، ولو تم ذلك لكان فيه خطر على كتاب الله ، يفتح باب الشك فيه لاعداء الاسلام مما يتيح لهم ثغرة ينفذون منها الى المسلمين لحملهم على التحلل من احكامه والتفلت من سلطانه ، كل ذلك وغيره مما توسع العلماء في بيانه

---

(١) — طبقات ابن سعد ٢٢٢ واتباع الاسماع ص ١٠١ .
(٢) التنبيه والاشراف للمسعودي ص ٢٤٦ .
(٣) عيون الاثر لابن سيد الناس ٣١٥/١ —٣١٦.

من أسرار عدم تدوين السنة في عهد الرسول كما دون القرآن الكريم .

مع هذا نحن نرى من خلال الاثار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن تدوين الحديث مر بمراحل منتظمة حققت حفظه وصانته من العبث ، وقد تضامنت الذاكرة والاقلام وكانا جنبا بجنب في خدمة الحديث الشريف .

وقد وردت احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تنهى عن كتابة الحديث كما وردت احاديث تسمح بالكتابة .

احاديث النهي عن الكتابة

١ ـ لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه . وحدثوا عني ولا حرج ـ اخرجه مسلم (٤) من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٢ ـ قال ابو سعيد الخدري « جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم ان يأذن لنا في الكتاب فأبى (٥) .

٣ ـ حديث ابي هريرة رضي الله عنه خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الاحاديث فقال ما هذا الذي تكتبونه ؟ قلنا : احاديث نسمعها منك ، قال : كتاب غير كتاب الله ، اتدرون ؟ ماضل الامم قبلكم الا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى (٦) .

واصبح ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب حديث ابي سعيد الذي أخرجه مسلم في صحيحه .

احاديث السماح بالكتابة وهي كثيرة منها

١ ـ قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاومأ باصبعه الى فيه وقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه الا حق (٧) .

٢ ـ قال ابو هريرة رضي الله عنه: ما من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد اكثر حديثا عنه مني الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا اكتب (٨) .

٣ ـ حديث ابي هريرة : ان رجلا انصاريا شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم قلة حفظه ، فقال : استعن على حفظك بيمينك (٩) .

٤ ـ طلب رجل من اهل اليمن يوم فتح مكة من الصحابة ان يكتبوا له خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح ، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال : اكتبوا لابي شاه ـ (١٠) .

٥ ـ روى عن انس بن مالك انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيدوا العلم بالكتاب ـ (١١) .

٦ ـ روى عن رافع بن خديج رضي الله عنه انه قال : قلنا يا رسول الله انا نسمع منك اشياء افنكتبها ؟ قال : « اكتبوا ولا حرج » (٢١) .

٧ ـ كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقات والديات

---

(٤) صحيح مسلم ج ٧٨ ص ١٢٩ وجامع بيان العلم ج ١ ص ٦٢ وتقييد العلم ص ٣٢/٣١ .
(٥) تقييد العلم ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٦) تقييد العلم ص ٣٤ .
(٧) اخرجه الدارمي ج ١ ص ١٢٥ .
(٨) اخرجه البخاري ج ١ ص ٣٨ .
(٩) تقييد العلم ص ٦٥ ، ٦٦ . اخرجه الترمذي
(١٠) اخرجه احمد في مسنده ص ٢٣٢ ج ١٢ وتقييد العلم ص ٨٦
(١١) تقييد العلم ص ٦٩ وجامع بيان العلم وقد ذكره العلامة رشيد رضا في مجلة ... ج ١٠ ص ٧٦٣ وضعف الحديث لعبد الله بن المؤمل ولكن روى الحديث بطريق اسماعيل بن محمد انظر هامش تقييد العلم ص ٦٨ .
(١٢) تقييد العلم ص ٧٢ ، ٧٣ .

والفرائض والسنن لعمرو بن حزم — (١٣) .

٨ — قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه : ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده — (١٤) .

قد اختلف العلماء في التوفيق بين أحاديث النهي عن الكتابة ، وبين هذه الاحاديث التي تدل على الاذن بها ، والارجح عندي أن التعارض ليس تعارضا حقيقيا بين هذه الروايات اذا فهمنا النهي على انه نهي عن التدوين الرسمي كما كان يدون القرآن .. واما الاذن فهو سماح بتدوين نصوص من السنة لظروف وملابسات خاصة او سماح لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنة لانفسهم ، ويؤيد هذا الرأي ما رواه الخطيب عن الضحاك من قوله : لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف — (١٥) .

وذهب بعض العلماء — ورأيهم ينسجم مع ما ذكر آنفا — الى أن احاديث السماح بالكتابة نسخت أحاديث النهي عنها — (١٦) .

لقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم من كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن الكريم الذي لم يكن قد جمع بعد ، وكذلك خشية انشغال المسلمين بالحديث عن القرآن وهم حديثو عهد به ، فلما اطمأن الى عدم خلطه بالقرآن أذن اذنا عاما لكتابة الحديث .

كتابة الحديث في عصر الصحابة :

ان كتابة الحديث والسنن والاخبار قد بدىء بها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا قبل ذلك ، وقد ازدادت في عصر الصحابة .

وقد وعى الصحابة رضي الله عنهم — كل ما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو شاهدوه ، وكانوا حريصين على حفظه ونشره وتبليغه حرصا لم يعرف عن أمة نبي وأصحاب ديانة . فقد كانوا يكتبون الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ، ومنهم من كانت له مجموعة خاصة اشتهرت به ، فقد كان لعبد الله بن عمرو بن العاص مجموعة تسمى « الصادقة » وأثر عنه انه كان يقول : ما يرغبني في الحياة الا خصلتان : « الصادقة » و « الوهط » فأما الصادقة فصحيفة كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — (١٧) .

وكان لأنس صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس (١٨) .

ان هذه الصحف والمجاميع قد اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة ولكن اذا جمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الاحاديث لكونت العدد الاكبر من الاحاديث التي جمعت في الجوامع والمسانيد في القرن الثالث ، وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير لاكبر من الاحاديث سبق تدوينه وتسجيله — من غير نظام وترتيب —

(١٣) جامع بيان العلم وفضله ٧١/١
(١٤) اخرجه البخاري ج ١ ص ٢١٨ ومسلم ص ٢٥٧ و ١٢٥٩ ج ٣ .
(١٥) جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٢ .
(١٦) انظر تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٥ .
(١٧) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧٢ الوهط : بستان لعبد الله بن عمرو بن العاص بالطائف .
(١٨) الجامع الصحيح للبخاري / كتاب العلم.

في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم .
وربما يتعجب الانسان من هذا الرأي الذيقرأ في الكتب ضخامةعدد الاحاديث المروية ، فيقال ان احمد بن حنبل كان يحفظ اكثر من سبعمائه الف حديث ، وكذلك يقال عن ابي زرعة، ويروى عن الامام البخاري انه كان يحفظ مائتي الف من الاحاديث الضعيفة ، ومائة الف من الاحاديث الصحيحة ، ويروى عن الامام مسلم انه قال : جمعت كتابي هذا من ثلاثمائة الف حديث .
والحقيقة ان كثيرا من المتعلمين ــ فضلا عن عامة الناس ، لا يعرفون ان هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التي عني بها المحدثون ، فحديث « انما الاعمال بالنيات » مثلا يروى من سبعمائة طريق ، فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقي عدد قليل من الاحاديث ، فالجامع الصحيح للامام البخاري لا تزيد الاحاديث التي رويت بالسند الصحيح فيه على الفين وستمائة وحديثين ، واحاديث مسلم يبلغ عددها الى اربعة آلاف حديث وهذا لا يبلغ عدد الاحاديث المروية في كتب السنة خمسين الف حديث منها الصحيح ومنها السقيم ومنها المتفق عليه ومنها المتكلم فيه، وقد صرح الحاكم ابوعبد الله النيسابوري الذي يعد من المتساهلين في اخذ الحديث ــ ان الاحاديث التي في الدرجة الاولى لا تبلغ عشرة آلاف «١٩» .
فبعد هذا يمكن أن يقال : ما ثبت من الاحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون في عصر النبوة وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم ، قبل أن يدون الموطأ وصحاح السنة بكثير ...

كتابة الحديث في عصر التابعين :

ومن اعظم الخطأ في تاريخ تدوين الحديث دعوى بعض الناس انه بدأ بعد المائة، وذلك تبعا لخطئهم في تحديد زمن التابعين ، فانه لما بلغهم أن التدوين بدأ في عهد التابعين وهم يعلمون ان بعض الصحابة امتد العمر بهم الى اواخر المائة الاولى للهجرة ، ظنوا أن عهد التابعين يبدأ بعد انقضاء زمن الصحابة فذهبوا الى ان تدوين السنة بدأ بعد المائة ، وهذا كله خطأ ..
والحق أن لقب التابعين أطلق على الذين لم يدركوا النبي صلى الله عليه وسلم أو ولدوا في أواخر عهده فلم يروه ، وانما رأوا أصحابه ، او ولدوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم (ربيع الاول سنة ١١ هـ) ، كلهم داخلون في طبقة التابعين (٢٠) فاعمال التابعين ومنها البدء بتدوين الحديث ينبغي أن ينسب الى زمنهم الذي يبدأ من بعد سنة ١١ هـ التي انتقل فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى .
ان التابعين رضي الله عنهم جمعوا جميع المرويات في عهد الصحابة وكتبوا في حياتهم ما وصل الى علمهم من الأخبار والشئون وبذلوا فيه جهودهم وسافروا له وطرقوا أبواب العلماء والمحدثين حتى لقد كانوا يطوون لاجل الحديث الواحد مسافة طويلة وشقة بعيدة ..
هذا سعيد بن جبير (٩٥هـ) كان يقول : كنت اسير بين ابن عمرو وابن عباس ، فكنت أسمع الحديث منهما ، فاكتبه على واسطة الرحل حتى انزل فاكتبه«٢١» ،ورخص سعيدبن المسيب (ــ ٩٤ هـ) لعبد الرحمن بن حرملة

(١٩) انظر توجيه النظر ج / ص ٩٣ .
(٢٠) الرسالة المحمدية ص/٥٥ .
(٢١) تقييد العلم ص/١٠٢ ونحوه في جامع بيان العلم ج ١/ص ٧٢ .

بالكتابة حينما شكا اليه سوء حفظـــه «٢٢» . وترى عامر الشعبي يردد قوله: الكتاب قيد العلم «٢٣»وكان يحض على الكتابة ويقول : اذا سمعتم مني شيئا فاكتبوه ولو في حائط «٢٤» .

وقـــد انتشرت الكتب حتى قال الحسن البصري (١٠٠ هـ) ـ « اننا كتبا كنا نتعاهدها «٢٥» وكان مجاهد بن جبر (١٠٣ هـ) يسمح لبعض اصحابه ان يصعدوا الى غرفته فيخرج اليهم كتبه فينسخون منه «٢٦» .

امر عمر بن عبد العزيز بجمـــع السنـــن

وبالجملة مضى القــرن الاول ولم يدون الحديث كما دون القرآن ، ومن دون قائما كان يدون لنفســه . وليس من المعقول ان يترك الحـديث فوضى لا يدون في كتاب ، وان الاسلام قد عم البلاد ودخل فيه طوائف من الامم ومات معظم الصحابة وتفرق اصـــحابهم وتلاميذهم في البلدان . وقـد ذهب علر اختلاط القرآن بالحديث وكانت اشد حاجة ان تجمع السنن وتكتب في كتاب تحت اشراف الحكومة الاسلامية خوفا عليها من الضياع وصيانة لها من التزيد والنقصان ، فكان اول من فكر في الجمع والتدوين هو الامام العادل امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فكتب الى الافاق : (انظروا حديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه «٢٧» .

وكان فيما كتب الى اهل المدينة : (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه فانى خفت دروس العلم وذهاب اهله «٢٨» .

وقد كتب الى احـــد كبار علماء الحديث واوعية العلم في عصره ابى بكر ابن محمد بن حزم المتوفى (١١٧ هـ) (انظر ما كان من حديث رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فاكتبه فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء) «٢٩» .

قد توفى امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قبل ان يرى الكتب التي جمعها ابو بكر بن حزم كما يذكر ذلك بعض العلماء «٣٠» ولكن لم تفته اولى ثمار جهوده التي حققها ابن شهاب الزهري الذي يقول : (امرنا عمر بن عبـــد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا ، فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفترا) «٣١» ولذلك قال كثير من المؤرخين والعلماء : ان اول من دون الحديث ابن شهاب «٣٢» .

وقد اعتبر علماء الحـديث تدوين عمر بن عبد العزيز هـذا اول تدوين للحديث وذكروا في مؤلفاتهم هـــذه العبارة : (واما ابتداء تدوين الحديث فانه وقع على راس المائة في خلافة عمر ابن عبد العزيز) «٣٣» او نحوها .

فغرض هؤلاء العلماء بيان ان التدوين الرسمي كان في عهد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه اما تقييد الحديث وحفظه في الصحف والرقاع والعظام فقد مارسه الصحابة في عهد رسول الله صلى الله

---

(٢٢) تقييد العلم ص/٩٩ وجامع بيان العــلم ج ١/ص ٧٣ .
(٢٣) جامع بيان العلم ج ١ ص / ٧٥ .
(٢٤) تقييد العلم ص / ١٠٠ .
(٢٥) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص/٧٤ .
(٢٦) انظر سنن الدارمي ج ١ ص / ١٢٨ وتقييد العلم ص / ١٠٥ .
(٢٧) فتح الباري ج ١ ص / ١٣٦
(٢٨) سنن الدارمي ج ١ / ص ١٢٦
(٢٩) انظر سنن الدارمي ج ١ ص / ١٢٦ وتقييد العلم ص / ١٠٥ .
(٣٠) انظر : قواعد التحديث .
(٣١) جامع بيان العلم وفضله ج١ ص / ٧٦ .
(٣٢) حلية الاولياء ج ٣ ص / ٣٦٣ .
(٣٣) قواعد التحديث ص / ٤٦ وتدريب الراوي ص / ٤٠

عليه وسلم ، ولم ينقطع تقييد الحديث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بل بقى جنبا الى جنب مع الحفظ حتى قيض للحديث من جمعه فى المدونات الكبرى

ولم ينتصف القرن الثانى حتى نشطت حركة تدوين الحديث وكان من سبق اليها من رجال هذا القرن ابن جريج المكى « م ١٥٠ » هـ وابن اسحاق « م ١٥١ » ومعمر بن المثنى « م ١٥٣ هـ » وسعيد بن ابى عدوبة المدنى « م ١٥٦ » وربيع بن صبيح « م ١٦٠ » وسفيان الثورى « م ١٦١ » ومالك بن انس « م ١٧٩ هـ » والليث ابن سعد «١٧٥» وابن المبارك « م١٨١هـ » ثم تتابع الناس «٣٤».

ثم تلاهم كثير من اهل عصرهم فى النسج على منوالهم وقد كان هذا التصنيف بالنسبة الى جمع الابواب وضمها الى بعضها فى مؤلف او جامع، واما جمع الحديث الى مثله فى باب واحد فقد سبق اليه التابعى الجليل عامر الشعبى المتوفى ١٠٣ هـ «٣٥»

وكان معظم هذه المصنفات والمجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين كما يتجلى لنا هذا فى موطأ الامام مالك بن انس «٣٦».

ثم راى بعضهم ان تفرد احادث النبى صلى الله عليه وسلم فى مؤلفات خاصة ، فالفت المسانيدوهى كتب تضم احاديث النبى صلى الله عليه وسلم باسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين تجمع فيها احاديث كل صحابى — ولو كانت فى مواضيع مختلفة — تحت اسم سند فلان ، ومسند فلان وهكذا.

واول من الف المسانيد ابو داود سليمان بن الجارود الطيالسى المتوفى ٢٠٤ هـ — وتبعه آخرون .

ويعتبر مسند الامام احمد — وهو من اتباع التابعين — اوفى المسانيد واوسعها ، ان هذه المسانيد لم تقتصر على جمع الحديث الصحيح بل احتوت على الاحاديث الضعيفه ايضا ممايجعل من الصعوبة الافادة منها الا من قبل العلماء فى الحديث وعلومه وكذلك فان طريقة الترتيب تجعل من الصعوبة الوقوف على احاديث لحكم معين لانها لم ترتب على ابواب الفقه مما حدا بالامام محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى ٢٥٦ هـ الى تصنيف كتابه « الصحيح» الذى يقتصر على الاحاديث الصحيحة، دون ان يستوعبها جميعا وجرى على منواله الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى المتوفى ٢٦١ هـ فى صحيحه، وقد تابعها فى الترتيب على ابواب الفقه الامام ابو داود سليمان بن الاشعث ابن الاشعث المتوفى ٢٧٥ هـ فى السنن ، والامام ابن ماجه « محمد بن يزيد » المتوفى ٢٧٣هـ فى سننه ، والامام محمد بن عيسى الترمذى المتوفى ٢٧٩ هـ فى جامعه والامام ابو عبد الرحمن احمد بن على النسائى المتوفى ٣٠٣ هـ فى سننه .

وقد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج عليها من العلماء الذين جاءوا بعدهم .

احمد عبد العزيز آل مبارك
رئيس القضاء الشرعى
بدولة الامارات العربيه المتحدة .

« ٣٤ » تذكرة الحفاظ ج ١ ص / ٢٢٩ .
(٣٥) تدريب الراوى ص / ٤٠ .
(٣٦) فى موطا مالك ثلاثة آلاف مسالةوسبعمائة حديث ، انظر : الرسالة المستطرفة ص / ١١

السنة النبوية في مواجهة الاستشراق

● أنور الجندى ●

لقد جاءت الحملة الضارية على السنة النبوية كجزء من خطة واسعة من مخطط التغريب والغزو الفكرى الواسع المركز الذى يستهدف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والشريعة الاسلامية والقرآن الكريم ، والذى كشفت عنه مخططات التبشير والاستشراق منذ اكثر من قرن من الزمان .. وقد جند له عدد ضخم من خصوم الاسلام من المستشرقين ومن دعاة التغريب واتباع مدارس الارساليات فى المشرق فى محاولة يائسة لتدمير هذه المنابع الأصيلة من الفكر الاسلامى وخاصة فى مجال العقائد والقيم الاساسية التى قام عليها المجتمع الاسلامى .

« لقد جند الاستعمار بعض المستشرقين — كما يقول الدكتور مصطفى السباعى — لتسميم هذا المنبع الروحى ، فنصبوا الفخ باسم البحث العلمى والتفكير الحر ... وجاء نفر وقعوا فى الفخ ، وراحوا يروجون بضاعة الغزاة ، أما عن جهل بحقيقة التراث الاسلامى ، أو عن انخداع بالأسلوب العلمى المزعوم ، واما من رغبة فى الظهور بمظهر التحرر العقلى وشجاعة الرأى ، واما عن انحراف فكرى ووجدانى بتأثير الاستهواء » ...

ويشير الباحثون فى هذا المجال الى أن الحملة على السنة كانت قديمة ، وان الذين جددوها من المستشرقين ودعاة التغريب لم يزيدوا على ان اعادوا ترديد الشبهات القديمة التى رددتها المجوسية والشعوبية ودعاة التأويل والتشبيه والمتاجرون بالشبهات والمفتريات من قديم ...

أن هدف الغزو الفكرى وحركة التغريب هو هدم مفهوم الاسلام الصحيح الجامع المترابط من القرآن والسنة : بين النص القرآنى المنزل ، وبين السنة التى يتمثل فيها التطبيق العملى من حيث عمل الرسول وبيانه وتفصيل لما اجمل ، وتوضيح ما بلغ ، أو تقييد لمطلق ، أو تخصيص لعام : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » .

ولقد تعددت جوانب الشبهات المثارة حول الشريعة وحول سيرة الرسول ،

● لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين للناس القرآن عقيدة وشريعة وأخلاقاً على وجوه شتى ، وعلى أنحاء مختلفة ، وعلى أساليب متعددة ويبين لهم ذلك بسلوكه عملاً وقولاً ..

وحول القرآن ، وقد تولى علماء كثيرون دحض هذه الشبهات وكشف زيفها ، ثم جاءت في السنوات الاخيرة تلك الدعوى الزائفة التي تحاول ان تقول (ان القرآن وحده يكفي) . وقد داب قوم في السنوات الاخيرة الى توجيه الاتهامات الى مصادر السنة ورجالها .

وقد كتب هذه الاشياء مستشرقون لهم ولاء سياسي وولاء ديني معارض ومخالف للاسلام والمسلمين . وقد اعتمدوا في ذلك على خيوط جمعوها من فكر المعتزلة وغلاة الشيعة وحكايات الأدب التي كان مؤلفوها موضع الشبهة في أمرهم وتخريجهم للحقائق ... وكانت ابرز مقاتلهم هي الاعتماد على كتب النوادر والمحاضرات والحكايات التي لم تؤلف لتاريخ الرجال ولم تصنف للتحقيق العلمي والتي جمعت من المجالس وكانت مادة التفكهة والتسلية ... وهذه لا يمكن ان تؤخذ منها الأدلة والشواهد ، وقد صدق من قال : ان علم الحديث لا يؤخذ من كتب الفقه ، وعلم التفسير لا يؤخذ من كتب اللغة ، لأن لكل علم مصادره التي تعرف منها حقائقه وقضاياه ... اما الاعتماد على حياة الحيوان للدميري ، أو ثمار القلوب للثعالبي ، أو مقامات بديع الزمان — للفصل في قضايا السنة ، فذلك هو التزييف الشديد ...

● السنة جزء من القرآن ●

ولقد كانت ظاهرة تسجيل احاديث القصاص ونوادر المجالس من السموم الناقعات التي افسدت العلم الصحيح واعتمد عليها أهل الباطل حتى قال ابن الجوزي : انه ما أمات العلم الا القصاص ... وللسيوطي كتابه « تحذير الخواص من اكاذيب القصاص » وقد أورد منه فصلا في انكار العلماء على القصاص ما أوردوه من اباطيل .

وحين تراجع تلك الشبهات المثارة حول السنة فيما أورده محمود أبو ريه أو حول الشريعة الاسلامية فيما أورده علي عبد الرازق — تجد واضحا ان النصوص كلها المعتمد عليها مستمدة من كتب الروايات ، ونوادر المجالس ، لا من كتب السنة او الفقه . وذلك هو « المنهج العلمي » الذي قدمه المستشرقون واتباعهم لتزييف المفاهيم الأساسية والأصيلة بالاعتماد على كتب الف ليلة والأغاني وغيرها من كتب الشعوبيين واعتبارها مراجع لمضاهاة العلم الصحيح ، واثارة الشبهات في وجه الحقائق العلمية الأصيلة .

ونحن نجد ان كل الذين حملوا لواء الشبهات حول السنة النبوية قد اعتمدوا على مصدر اساسي هو كتاب جولد زيهر « العقيدة والشريعة في الاسلام) الذي ترجم وطبع .

ولا ريب أن مؤلفات كثيرة تحمل اهواء الاستشراق والغزو الفكري في محاولة انتقاص السنة النبوية ، الى جانب الشريعة والقرآن وتاريخ الرسول والفكر الاسلامي كله ، ولا ريب ان دعوتها الى اثارة الشبهات حول

السنة النبوية في مواجهة الاستشراق

الحديث النبوي والدعوة الى الاكتفاء بالنص القرآني عمل خطير ، هو محاولة للفصل بين النص والتطبيق ... والتطبيق في الاسلام اخطر الجوانب واهمها : هذا التطبيق المتمثل في الاسلوب الذي اتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في تنفيذ النص القرآني ، ومن هنا فان النص القرآني وحده لا يكفي المسلمين اليوم ، ولا يحقق لهم اسلاما حقيقيا ، هذا فضلا عن ان السنة جزء من القرآن بنص القرآن «وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم» **فهذا البيان الذي يفسر للناس ويطبق ، هو باقرار القرآن نفسه جزء اساسي .**

وحين يراجع الباحث كتابات المستشرقين يجد ان موقفهم من السنة هو جزء من موقفهم من القرآن وسيرة الرسول تماما ، فان السنة هي جزء من حياة الرسول ، وهي تفسير القرآن ، فلابد ان تنالها الشبهات وتصل اليها السموم وعوامل التزييف .

يقول العالم الفرنسي المسلم ، ايتان دينيه : انه من العسير ان يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول أو يدرسون سنته . وقد صرح في مقدمة كتابه (تاريخ حياة سيدنا محمد) . انه من المتعذر بل من المستحيل ان يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم المختلفة ، وانه من أجل ذلك قد بلغ تحريف بعضهم لسيرة محمد صلى الله عليه وسلم مبلغا غطى على الواقع واخفى الصورة الحقيقية ، وذلك بالرغم مما يزعمه المستشرقون من اتباعهم لاساليب النقد البريئة ولقوانين البحث العلمي المحايد ...

وقد عرض ايتان دينيه لكثير من اتهاماتهم للنبي ورد عليها واتخذ من « لا منس » مثالا واضحا على صحة ما ذهب اليه وحكم به .

● **اشبعوها بحثا وتمحيصا** ●

تتركز شكوك المستشرقين في السنة حول تاخر تدوين الحديث ، فهم يرون ان تاخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة قد اعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا في الحديث وفي وضع احاديث لخدمة اغراضهم . يردد هذا جولد زيهر ، ودوزي ، وسبرنجر ...

وقد شك « جولد زيهر » في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول ، راميا من وراء ذلك الى اضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور ، وهو يرمي ايضا الى وصم السنة (أو اغلبها) بالاختلاق والوضع على السنة المدونين . وهو يزعم ان هؤلاء المدونين لم يجمعوا من الاحاديث الا ما يوافق هواهم . ويرى « سبرنجر » في كتابه (الحديث عند العرب) أن الشروع في التدوين وقع في القرن الهجري الثاني ، وان السنة انتقلت بطريق المشافهة ، اما « دوزي » فهو ينكر نسبة (التركة المجهولة) كما يسميها من الاحاديث الى الرسول .

وقد رد عليهم كثير من الباحثين المسلمين داحضين هذه الاهواء الموغلة في الحقد والخصومة ، رد عليهم مصطفى السباعي ، وابو الحسن الندوي ، وصبحي الصالح ، وعشرات غيرهم ...

• **اولا — ما اورده الدكتور مصطفى السباعي حين قال :**

حرص الصحابة على حفظ حديث رسول الله ونقله ، وحرص رجال التابعين وتابعي التابعين من بعدهم على نقل هذا الحديث وجمعه وتنقيته من شوائب التحريف والتزيد . وما قام به علماء السنة من جهود جبارة في تتبع الكذابين والوضاعين وفضح نواياهم ودخائلهم ، وبيان ما زادوه في السنة من احاديث مكذوبة ، حتى جمعت السنة في كتب صحيحة ، واشبعها النقاد بحثا وتمحيصا ، ثم خرجوا من ذلك الى الاعتراف بصحتها والتسليم بها ... اذا امعنت النظر في ذلك كله ايقنت

ان هؤلاء المستشرقين يتخبطون في اودية الاوهام وانهم متأثرون باوهامهم وعبثهم بكثير من الحقائق وخضوعا الى الهوى والبغض .

ثانيا — ما اشـار اليـه السيد ابو الحسن الندوى من ان الصحابة بدأوا في تدوين الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت هناك مجموعات من الأحاديث لعدد من الصحابة منها الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان لعلي بن ابي طـالب صحيفة ، وكان لانس ولعبـد الله ابن عباس ، وعبد الله بن منصـور ، وجابر بن عبد الله — لكل منهم صحيفة

وهناك صحيفة همام بن منبه ، فاذا جمعت هذه الصحف والمجـاميع كونت العدد الاكبر من الاحاديث التى جمعت في الجوامع والمسانيد والسنن في القرن الثالث ، وقد تحقق أن المجموع الاكبر من الاحاديث سبق تدوينه ونسخه من غير نظام وترتيب في عصر الرسول وفي عصر الصحابة ، وقد شاع في النـاس حتى المثقفين والمؤلفين أن الحـديث لم يكتب ولم يسجل الا في القـرن الثالث الهجرى ، واحسنهم حالا من يرى انه كتب في القـرن الثاني .

وما نشاهد هذا الغلط الا عن طريقين :

الاول : ان عامة المؤرخين يضطرون الى ذكر مدوني الحـديث في القرن الثاني ولا يعنون بذكر هـذه الصحف والمجاميع التى كتبت في القرن الاول لان عامتها فقدت او ضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة .

الثاني : ان المحدثين يذكرون عـدد الأحاديث الضخم الهائل الذى لا يتصور ان يكون في هذه المجاميع الصغيرة التى كتبت في القرن الأول ، مع أن عـدد الاحاديث الصحاح غير المتكررة والمتحررة من المتابعات لا يزال قليلا ، لحـديث (انما الأعمال بالنيات) مثلا يروى من سبعمائة طريق ، فلو جردنا مجاميـع الأحاديث من هذه المتـابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الاحاديث ، فالجامع الصحيح للبخارى لا تزيد الاحاديث التى رويت بالسند الصحيح فيه على الفين وستمائة وحديثين ...

واحاديث مسلم يبلغ عددها اربعـة الاف حديث ، ومعظم هـذه الثروة الحديثية قد كتب ودون بأقـلام رواة العصر الاول ، وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا في العصر النبوى وفي عصر الصحابة على عشرة الاف حديث ، اذا جمعت صـحف ومجـاميع ابى هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وانس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وعلى ، وابن عباس .

وبذلك يمكن ان يقـال : ان ما ثبت من الاحاديث الصحاح وما احتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون في عصر الصحابة قبل أن يدون (الموطأ) و (الصحاح) بكثير .

● الصبر وقوة الذاكرة ●

وكانت الخطوة التـالية أن قام المحدثون فنقبوا في البلاد في البحث من الروايات المختلفـة والاسانيد الصحيحة ؟ وكان لهم في ذلك هيام وغرام لم يعرف عن أمة من الامم للعلم في التاريخ . يدل على ذلك بعض الدلالة ما يروى عن المحدثين من التجـول في البلاد والسفر في العالم الاسلامى من اقصاه الى أقصاه ... ولم يقتصروا على جمع الحديث وتدوينه ، بل تعدت عنايتهم الى الوسـائط التي وقعت في رواية الحـديث ، وهم الرواة الذين رووا هذه الاحاديث ، فعنوا بمعرفتهم ومعرفة اسمائهم واسماء آبائهم وحوادث حياتهم واخـلاقهم ومكانتهم في الامانة والصدق والحفظ ...

● هذا هو الخطر الكامن ●

ولقد عـرف عن هؤلاء المستشرقين طابع التحـامل الواضح وتزييف النصوص ، في محاولة دعم شبهاتهم ، ومن أقوى الامثلة على ذلك : ان « جولد زيهر » حرف عبارة الامام الزهرى « ان هؤلاء الأمراء اكرهونا على كتـابة

الأحاديث » الى لفظ (على كتابة احاديث » فضلا عن اتهامه الامام الزهرى بانه واضع حديث فضل المسجد الأقصى ارضاء لعبد الملك بن مروان ضد ابن الزبير ؛ مع ان الزهرى لم يلق عبد الملك الا بعد سبع سنوات من مقتل الزبير ...

اما القول الذى يتردد على السنة اصحاب الشبهات مثل قولهم :

« لنرجع الى القرآن الكريم ولكن يجب الا نجعل من انفسنا متعبدين للسنة » فان هذا القول ، كما يقول العلامة محمد اسد يكشف بكل بساطة عن جهل بالاسلام ، ان الذين يقولون هذا القول يشبهون رجلا يريد ان يدخل قطرا ولكنه لا يريد ان يستعمل المفتاح الاصلى الذى يستطيع به وحده ان يفتح الباب ، ويتساءل : هل هناك مبرر علمى لرفض الحديث على انه مصدر يستند اليه الشرع الاسلامى ؟ ...

ثم يجيب : انه على الرغم من جميع الجهود التى بذلت فى سبيل تحدى الحديث على انه نظام ما ، فان اولئك النقاد العصريين من الشرقيين والغربيين لم يستطيعوا ان يدعموا انتقادهم العاطفى الخالص بنتائج من البحث العلمى ، لان الجامعين لكتب الحديث الاول ، خصوصا الامام البخارى والامام مسلم ، قد قاموا بكل ما فى طاقة البشر عند عرض صحة كل حديث على قواعد التحديث عرضا اشد كثيرا من الذى يلجأ اليه المؤرخون الاوروبيون عادة عند النظر فى مصادر التاريخ القديم ، ويكفى أن نقول انه نشأ من ذلك « علم تام الفروع » غايته الوحيدة البحث فى معانى احاديث الرسول وشكلها وطريقة روايتها .

وان رفض الاحاديث الصحيحة جملة واحدة او اقساما ليس حتى اليوم الا قضية ذوق ، وان السبب الذى يحمل على مثل هذا الموقف من المعارضة بين كثيرين من المسلمين المعاصرين يمكن تتبعه الى مصدره ، ان السبب يرجع الى استحالة الجمع بين طريقة حياتنا وتفكيرنا الحاضرة المتقهقرة وبين روح الاسلام الصحيح ، ولكى يستطيع نقدة الحديث المزيفون ان يبرروا قصورهم وقصور بيئتهم ، فانهم يحاولون ان يزيلوا ضرورة اتباع السنة ، لأنهم اذا فعلوا ذلك كان بامكانهم حينئذ ان يتأولوا تعاليم القرآن الكريم كما يشاءون على اوجه من التفكير السطحى ، اى حسب ميول كل واحد منهم وطريقة تفكيره هو ...

● بيان ما اجمل القرآن ●

لا مشاحة ان السنة النبوية الشريفة هى المصدر الثانى للاسلام بعد القرآن باعتباره عقيدة وباعتباره تشريعا وباعتباره اخلاقا ، وقد اشار النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى فى قوله الشريف : (الا انى أوتيت القرآن ومثله معه ، الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله) .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين للناس القرآن عقيدة وشريعة واخلاقا على وجوه شتى وعلى انحاء مختلفة وعلى اساليب متعددة ، يبين لهم ذلك بسلوكه ، وبقوله ، وباقراراته ـ يقول : ما تركت شيئا مما امركم الله به الا وقد امرتكم به ، ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه الا وقد نهيتكم عنه .

وقد علم النبى الناس بثلاث طرق : تعليماته الشفهية التى هى أقواله ، وسلوكه الشخصى الذى هو اعماله ، وسكوته الذى يعنى موافقته الحكيمة على أفعال غيره من الناس .

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود : كان بيان رسول الله يشتمل على بيان ما اجمل فى كتاب الله ، اجمل القرآن الصلاة والزكاة والحج وفصلها رسول

● لامشاحة أن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن باعتباره عقيدة وباعتباره تشريعا وباعتباره أخلاقا .

الله . بين ما فرض من الصلوات ومواقيتها وسننها وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقيتها وكيف عمل الحج والعمرة ، كان يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله : صلوا كما رأيتموني أصلي ... وفي الحج : خذوا عني مناسككم .

وفرض الله سبحانه الزكاة ولم يبين مقاديرها ولم يذكر بالتفصيل الزروع والثمار والاموال التي تجب فيها ... وقد بينت السنة ان القاتل لا يرث ، وان الوصية لا تكون في اكثر من الثلث ، وان الدين يقوم على الوصية .

ومما يروى ان عمران بن حصين قال لرجل يريد ان يقتصر على القرآن دون السنة : انك امرؤ أحمق ، اتجد في كتاب الله الظهر اربعا لا تجهر فيهما بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ...

وقد أشار القرآن الى مكانة السنة والى مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفصيل ما اجمل القرآن وذلك في آيات بينات :

« وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى » .

« ما آتاكم الرسول فخذوه ،وما نهاكم عنه فانتهوا » .

« واطيعوا الله واطيعوا الرسول ».

« من يطع الرسول فقد اطاع الله ».

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

« الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم » .

ويقول الدكتور عبد الجليل شلبي : ان الآية الكريمة : « وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » تدل على ان من وظيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوضح للناس الأحكام التي نزلت اليهم في القرآن الكريم . وكان لابد أن يفعل رسول الله والا لم يكن مبلغا من عند الله . وقد كان هذا البيان بالقول والعمل معا . فالسنة اذن مرجع الشريعة الكامل وبيانها الوضح ، كما أن السنة جزء مكمل للقرآن وهي من الله تبارك وتعالى كما أن القرآن من عنده .

وقد اشار الائمة الاعلام الى انه لايرى قول لامام من ائمة المذاهب في القرنين الثاني والثالث الا وقد سبقه اليه صحابي او تابعي ، وان مكانة السنة النبوية والحديث من الشريعة الاسلامية لاتخفى ، واثرها في الفقه الاسلامي ثابت منذ عصر النبي والصحابة حتى عصور الاجتهاد واستقرار المذاهب ، وان من يطلع على القرآن والسنة يجد ان للسنة الاثر الاكبر في اتساع دائرة التشريع الاسلامي وعظمته وخلوده،هذا التشريع العظيم الذي بهر انظار علماء القانون في جميع انحاء العالم ، وهو ما حمل ويحمل أعداء الاسلام في الماضي والحاضر على مهاجمة السنة والتشكيك في صحتها ورواتها من اعلام الصحابة .

كتب السيرة النبوية في ميزان العلم والتاريخ

● د. تقي الدين الندوي ●

● ان سيرة محمد صلى الله عليه وسلم هي السيرة الكاملة الشاملة لجميع اطوار الحياة .. ولا يمكن ان تكون حياة احد كائنا من كان ، مثالا يقتدى ونموذجا يحتذى الا اذا توفر لها عنصران ، اولهما : الدقة والصحة في نقل تفاصيل تلك الحياة ، والاخر ان يكون صاحبها متصفا بالكمال في جميع جوانب حياته ..

وهذان الامران لم يتوفرا لاحد في التاريخ البشرى المدون كما توافرا لنبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم ..

« وحياة رسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم من ميلاده الى ساعة وفاته معلومة للذين عاصروه وشاهدوه . وحفظها التاريخ عنهم لمن بعدهم ومعلومة تفاصيل حياته صلى الله عليه وسلم ، ليلها كنهارها .

نحن معشر المسلمين ـ نؤمن بجميع الانبياء والمرسلين ، ونعظمهم بلا استثناء مع علمنا بانهم متفاضلون « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » (1) .

ولكن التدوين الكامل ما قدره الله الا لسيرة آخر المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، اما غيره من الانبياء فلم تكن سيرتهم خالدة ولا محفوظة لانهم قد ارسلوا الى امهم في عهدهم ، والذى سجل في القرآن والسنة من ذلك قليل من كثير .

● الحديث ، والسيرة ، والمغازى ●

ان كتب الحديث منها الصحاح

(1) البقرة ـ آية ٢٥٣

السنة والموطأ للامام مالك والمسند للامام احمد ،معروفة وموثوق بها لدى المسلمين . وكذلك توجد كتب كثيرة اخرى من كتب السنة ، ولكن المحدثين قد وضعوا قواعد دقيقة لمعرفة صحيحها من سقيمها والراجح منها من المرجوح . وقد تحرى علماء السنة في هذا الامر الحق وحده،وتمسكوا فيه بالمحجة البيضاء وكل ما يؤدى اليه الصدق ، فكان عملهم هذا من مفاخر الاسلام .

وعلى هذه القواعد يستطيع من تمكن وقويت معرفته ان يحكم بالصحة والضعف اذا لم يجد الحكم على الحديث في مصنفات ائمة الحديث المعتمدة المشهورة .

اما كتب السيرة والمغازى فانها تشتمل على الروايات الصحيحة والضعيفة والواهية ، كما قال الحافظ زين الدين العراقي المتوفى ٨٠٦ هـ :

وليعلم الطالب ان السيرا
تجمع ما صح وما قد انكرا

ولاشك ان هذه الكتب تحتاج الى بحث وتنقيح وتحقيق على القواعد التي وضعها علماء المسلمين لمعرفة الاخبار ، وان هذه القواعد يسرت لكل من شاء حتى في زماننا هذا وفي كل زمان ، ان يميز بها بين الصحيح والسقيم والراجح والمرجوح والقوى والضعيف .

***

ان كتب السيرة كثيرة . ولكن يعتبر من اهم المراجع مؤلفات ابن اسحاق والواقدى ، وابن سعد ، والطبرى،وكل من اتى بعد هؤلاء اقتبس من كتبهم اما ابن اسحاق فهو حسن الحديث عند احمد بن حنبل وغيره ووثقه المحدثون خاصة في المغازى .

واما الواقدى فقد انتقد عليه المحدثون ، قال النسائي ، كان يضع الحديث .

قلت ان الواقدى جمع في كتابه كل رطب ويابس ، مع ذلك لخص كتابه الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ويوجد لهذا المختصر مخطوط في دار الكتب بالقاهرة ٥ ـ ١٤٣ ((١)) .

ومكانة ابن حجر العسقلاني في الحديث والجرح والتعديل معروفة عند العلماء . ويرى ابراهيم الحربي ان الواقدى كان افضل عارف بالتاريخ الاسلامي ، ولكنه لم يكن يعلم شيئا عن الجاهلية ((٢)) .

ثم نحن نرى ان ابن سعد يعتمد اكثر كتابه في سيرة النبى صلى الله عليه وسلم على كتب الواقدى ، ولذلك لا نستطيع ان نرد كل ماروى الواقدى في السيرة ، بل نحن نرجع ـ لمعرفة روايات الواقدى ايضا ـ الى قواعد المحدثين ، ونحكم على ضوئها من صحيح وضعيف رواه والله أعلم بالصواب .

اما الطبرى وابن سعد فهما من الثقات عند المحدثين ، مع ذلك نحن نجد في مؤلفاتهم بعض الروايات الضعيفة والموضوعة .

كذلك كتاب ابن اسحاق ليس بموجود منفذا ولكن تلخيصه سيرة ابن هشام مطبوع ومعروف بين أهل العلم ..

كان ابن هشام اماما في اللغة والنحو كما كان راوية للشعر والاخبار ، وقد اتجه الى تهذيب سيرةابن اسحاق التي تلقاها من رجلين جليلين هما : زياد البكائي ، ويونس بن بكير ، وكان عمل ابن هشام في هذه السيرة ان هذبها واختصرها ويسر للناس الانتفاع بها . واصبحت هذه السيرة منذ عرفت بين الناس موضع التقدير والعناية ،واقبل عليها العلماء يشرحونها او يختصرونها

---

(١) تاريخ التراث العربي جـ١ص ٧٢
(٢) تهذيب التهذيب ٩/٣٦٥

او ينظمونها مما افادعلم السيرة النبوية فائدة جليلة ، وبقيت فيهـا بعض الروايات الضعيفة والواهية .

مع هذا وانت تجد لكل رواية اسنادا فلذا سهل على الباحث ان ينظر في السند ويتفقد الرواية .

وخلاصة القول يجب ان نختار طريقا وسطا في اخذ روايات كتب السيرة لا ينبغي ان نقبل كل ماورد فيها على الاطلاق .

كذلك ليس من المعقول ان نرمي جميع الروايات برمتها بسبب وجود الروايات الضعيفة فيها ونتغافى عن هذه الكتب كلها ، لان فيها خسارة علمية لاتعوض .

لم نحن نهتم بكتب التفاسير ونستفيد منها ونحقق الروايات الصحيحة من الضعيفة ولا غنى عن كتب التفاسير ابدا ، وكذلك يجب ان نختار هذه الخطة لكتب السيرة .

لقد انتقد بعض الناس على كتب السيرة وخاصة على سيرة ابن هشام . واراد ان يهدم هذا الصرح المعظم من كتب السيرة ويرى بذلك انه يخدم الاسلام .

أن كتاب ابن هشام كان موضـع تقدير في كل قرن حتى لخصه الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب ، ولاشك ان المؤرخين في السيرة قد تساهلوا في أخذ الروايات في السيرة ، حتى ان المحدثين أيضا كان اعتناؤهم بالاحاديث التي تستنبط منها الاحكام الفقهية اكثر من المغازي والفضائل ، قال ابن مهدي : اذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحرام والحلال والاحكام شددنا في الاسانيد وانتقدنا في الرجال . واذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الاسانيد وتسامحنا في الرجال .

قال احمد بن حنبل : ابن اسحاق رجل تكتب عنه هذه الاحاديث يعني المغازي ونحوها ، واذا جاء الحلال والحرام اردنا قوما هكذا — وقبض اصابع يديه الاربع (١) .

واما مانقل عن الامام أحمد انه قال: ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازي ، وفي رواية ثلاثة كتب لا أصل لها ، المغازي والملاحم والتفسير فالكلام من هذه العبارة من وجوه :

أولا : ان في النفس من صحتها شيئا ، فان الامام أحمد ذكر في مسنده احاديث كثيرة في التفسير والمغازي والملاحم ، فهذا يناقض قوله .

ثانيا : ان نفي الصحة لا يستلزم الوضع والضعف ، قال القاري في « تذكرة الموضوعات » لا يلزم من عدم الثبوت وجود الوضع ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الاذكار المسمى بنتائج الافكار » ثبت عن أحمد انه قال : لا أعلم في التسمية « أي في الوضوء » حديثا ثابتا ، قلت : لا يلزم من نفي العلم ثبوت العدم — وعلى التنزل لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف لاحتمال ان يراد بالثبوت الصحة فلاينتفي الحسن (٢) .

ثالثا : ان الامام أحمد لم يقل : انه لم يصح في التفسير شيء : انما قال : ثلاثة ليس لها اصل ، والظاهر انمراده نفي كتب خاصة بهذه العلوم الثلاثة كما ورد في رواية اخرى .

رابعا : ويحتمل ان يكون مراد الامام احمد ان ماصح من هذه العلوم الثلاثة قليل بالنسبة لما لايصح وعلى هذا المعنى حملها كثير من اهل العلم .

قال الزركشي في « البرهان » مراده ان الغالب ليس لها اسانيد صحاح متصلة والا صح من ذلك كثير (٣)

على كل حال ان كتب السيرة

(١) فتح المغيث جا ص ٢٦٧ .
(٢) انظر : الرفع والتكميل ص ٨٦ .
(٣) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ١٨٣ — ١٨٤ باختصار وتغيير يسير .

والمغازى بحاجة الى تنقيح وتحقيق رواتها ومتونها على قواعد المحدثين لمعرفة الاحاديث والاثار وهذا عمل عظيم لا يتحمله الا من كان متضلعا فى علوم الحديث والتاريخ الاسلامى مع الورع والتقوى .

● خلاصة من دراسة ●

ان خلاصة البحث فى دراسة كتب السيرة القديمة ومصادرها الاولى — يمكن اجمالها فى النقاط التالية :

١ — ان اكبر مصدر للسيرة النبوية هو القرآن الكريم ، ثم الاحاديث الصحيحة وعامة كتب السنة ، وبعد ذلك نرجع الى كتب السيرة .

٢ — ان المسلمين قد اهتموا بحفظ السيرة النبوية وتدوينها ، وعند دراسة التاريخ الاسلامى وجدنا كثيرا من المحدثين القدماء قبل الطبرى وابن اسحاق ، كانت لهم مؤلفات حول المغازى والسيرة . وذكرنا اسماءهم وتراجمهم ، واشرنا الى مكانتهم بين الرواة عند ائمة الجرح والتعديل .

٣ — قد اندمجت وذابت هذه الكتب فى كتب المتاخرين ، وبعض المراجع فى السيرة للمتاخرين تجمع المصادر القديمة فى السيرة والمغازى .

٤ — ان مصادر السيرة القديمة التى تعتبر كالاصول فى الموضوع هى مؤلفات ابن اسحاق ، والواقدى ، والطبرى ، وابن سعد ، ولمؤلفاتهم مكانتها عند العلماء .

٥ — لقد تسامح كثير من الائمة فى رواية اخبار السيرة النبوية الكريمة فجاء بعضها غريبا فى اسلوب فلا يثبته التحقيق، او لا يثبت هو على التمحيص ومن هنا احتاجت هذه السيرة النبوية الكريمة الى نظر دقيق وتحقيق علمى على قواعد المحدثين لمعرفة الصحيح من الضعيف والراجح من المرجوح .

٦ — ان علماء السيرة قد كتبوا كل ماورووا غير مميزين بين ما يصح وما لا يصح حتى دخلت فى كتب السيرة روايات موضوعة وواهية وشاعت بين الناس ، فيجب على العلماء المختصين فى الحديث والسيرة ان يحققوا هذه الروايات ويبينوا منزلتها ليتحرز الناس من الوقوع فى الخطا بسببها ، ولابد فى ذلك من الانصاف ومجانبة الهوى الذى نلمسه فى كتابة بعض الناس

● فى خدمة السيرة النبوية ●

وتحقيقا لما نرجو ان نسير فى تحقيقه من خدمة السيرة النبوية ،ارى واقترح مايلى :

١ — ان تعقد مجالس الدروس فى المساجد للسيرة ، ويجب الاعتناء بجانب اخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وعاداته وهديه باسلوب سهل جذاب ليؤثر فى السامعين .

٢ — وارى لزاما على المؤسسات الاسلامية فى العالم العربى والاسلامى ان تكلف علماء الحديث والسيرة باصدار بحوث حول السيرة على مختلف المستويات .

٣ — وكذلك ارى ان تقوم الجامعات الاسلامية فى العالم العربى والاسلامى بتكليف جامعة ندوة العلماء بالهند بالقيام بترجمة كتاب السيرة النبوية للعلامة السيد سليمان الندوى من اللغة الاردية الى اللغة العربية ، فانه كتاب فريد فى الموضوع ما له نظير فى المكتبة الاسلامية ، والذى طبع فى ستة مجلدات كبار فى اللغة الاردية فى الهند .

وكذلك كتاب رحمة العالمين للشيخ سليمان المنصور فورى الذى الفه بالاردية — وهو ايضا كتاب مهم جدا فى الموضوع وقد طبع فى ثلاثة مجلدات كبار فى الاردية ، وهو بحاجة الى نقله الى العربية

● د . تقى الدين الندوى ●
رئاسة القضاء الشرعى — ابو ظبى ●

صلى الله عليه وسلم

محمد

الرسول الداعية

● محمد كمال الدين ●

● الدعوة فى اللغة تعنى النداء والطلب والرغبة فى الابلاغ عن أمر والاحاطة به .. وهى فى الاسلام تعنى دعوة الناس الىالايمان بالله الواحد الاحد، وبالكتب المنزلة منذ آدم عليه السلام والى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالرسل جميعا ، وباليوم الاخر الذى لاريب فيه ، مع العمل بهذا الايمان عقيدة وسلوكا ..

وهى تعنى - بلغة العصر ، اىعصر - تعليم الناس بما يبصرهم بشئون دينهم ودنياهم ، وحثهم على عمل الخير ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتحذيرهم من عمل الشر او اقتراف المعاصى ، فهى تعنى الوعظ والارشاد والتحذير .. وهى فى دعوة رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ابلاغ الناس رسالة الاسلام والعمل على نشر مبادئه واقناع الناس بالايمان بها والالتفاف حولها ، والذود عنها ..

وهذه المعانى هى بالضبط مفاهيم الاعلام منذ نشأ علما قائما بذاته من قرن او يزيد والى يومنا هذا .. ان الدعوة فى أحد مفاهيمها هى الاعلام ، ويكاد العلماء المحدثون والمعاصرون يجمعون رايهم على ان الاعلام هو تزويد الناس بالاخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق المؤكدة الثابتة التى تساعد الناس على تكوين راى صائب فى حدث من الاحداث أو خبر من الاخبار او معلومة من المعلومات ...

والاعلام - كعلم - يدخل فى نطاق جميع نواحى الحياة ، يدخل فى السياسة والاقتصاد والعلوم والادب والفن والاجتماع ، وكذلك الدين ، ورجل الاعلام الصحيح - فى اى من هذه المجالات - هو العالم الداعى ، والمبلغ بكل جديد صادق فى مجال نشاطه أو تخصصه ، وبهذا المعنىيكون رجل السياسة ورجل الادب ، ورجل الدين من رجال الاعلام لانهم ينقلون الى غيرهم معلومات او اخبارا جديدة عليهم فى مجالات اختصاصهم ...

ولقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم داعية الى الله ومبلغا لرسالته : « يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (الاحزاب ٤٦) – ، (ولا يصدنك عن آيات الله اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين » – (القصص ٨٧) .

وحين يطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم الى دعوته ، ويعد بعض صحابته لتحمل عبء الرسالة والدعوة اليها معه ، تصبح الدعوة الاسلامية ملكا للناس جميعا ، ولمن يقدر منهم على تحمل المسئولية ، ويصبح توجيه الدعوة على مستوى الجميع ، « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (آل عمران ١٠٤) – « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » – (فصلت ٣٣) ، ذلك لانهم جميعا يدعون الى ما يدعو اليه الله سبحانه وتعالى « والله يدعو الى دار السلام» – (يونس ٢٥)

هكذا كان الرسول الداعية الأعظم منذ بعثته ، بل ومنذ مولده الكريم لقد كان مولده صلى الله عليه وسلم ايذانا ببدء دعوة اسلامية واعلامية كبرى تنادى بالتوحيد ونبذ عبادة الاصنام ، وكانت حياته قبل البعثة حربا على الشرك ومجتمعه الوثني بعاداته الجاهلية المعروفة مثل تعاطى الخمر ولعب الميسر واكل الميتة ووأد البنات .. – الى غير ذلك من ظواهر اجتماعية فاسدة جاء الاسلام بعد ذلك لمحاربتها واحلال عادات سليمة وجديدة محلها ، عادات تقوم على الخير والمحبة والامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والنهى عن الفحشاء والمنكر واكل مال اليتيم ..

ولاغرو فقد خرج الرسول من نسل شريف واصل يفخر به العرب جميعا ،

كان جده عبد المطلب معروفا باسم « الفيض » بين قبيلته وسائر القبائل المجاورة ، وذلك لكثرة جوده وكرمه ، وكان مطاعا فى قومه لحصافة رايه وبعد نظره وحكمته ، وكان اول من استن بعض السنن الاجتماعية القويمة مثل قطع يد السارق والنهى عن وأد البنات ، وتحريم الخمر والزنا ، والا يطوف بالبيت عريان ..

اما ابوه عبد الله فقد كان شبيها بجده فى آرائه ، وكان شعاره الذى التزم به « اما الحرام فالممات دونه » ، وكان العرب جميعا يعرفون فيه نسك ابيه ، ويكفى أن نعرف أن جبهته قد اشرقت بالنور السماوى يوم مولده صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول يقول فى ذلك « أنا دعوة ابراهيم ، وبشرى عيسى ، وصفوة تلك السلالة الطاهرة الطيبة» – : حديث رواه البخاري ومسلم) .

ويقول فى حديث آخر « ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فانا خيار من خيار من خيار » – (رواه ابو هريرة)

وعنه صلى الله عليه وسلم يقول الماوردى فى كتابه اعلام النبوة ص ١٣٢: لم يشركه من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ، ولتفرده بها آية ، فيزول عنه أن يشارك فيه ، ويماثل به ، فلذلك مات أبواه عنه فى صغره ، اذ مات أبوه وهو لما يزل جنينا ، وماتت أمه – آمنة بنت وهب – وهو ابن ست سنين ، والله جل شانه يقول فيه « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » – (الروم ٣٠) .

كانت هذه النشأة الشريفة للرسول الداعية مثار احترام قومه وتقديرهم ، ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم بينهم انسانا لا يميز نفسه بشيء عليهم، فهو بشر كباقي البشر ، تسري عليه مثلهم قوانين الحياة من مرض وصحة، وفقر وغنى ، وعمل وعبادة ، لا يستكبر ولا يستعلي ، يتواضع — ولا يتفاخر بحسبه ونسبه ، « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (آل عمران ١٦٤) — « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (الاحزاب ٤٠) .

وفضلا من ذلك فقد كان سلوكه في قومه يقوم على خصال وصفات انسانية كريمة ، هي نفسها صفات الداعية الحق ، والنموذج القدوة ، والمثل الصادق ، في كل زمان ومكان ، ومن اهمها :

١ — لم يكن فحاشا ولا عيابا ، فلم يحدث ان تطاول على احد او سبه او اغلظ عليه في القول ، لا يعيب احدا ولا يقبحه او يعيره بفقر او مرض او ضعف او غير ذلك .

٢ — كان رحيما بكل الناس، صغيرهم وكبيرهم ، ضعيفهم وقويهم ، وقد روى عنه حين كسرت رباعيته في موقعة احد، وقال له قومه : لو دعوت على اعدائك . روى انه قال : « اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة ، اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » ، وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب خادما له قط ، ولا ضرب امرأة قط ، ولا ضرب بيده شيئا قط ، الا ان يجاهد في سبيل الله ، ولا ينل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان يكون لله ، فاذا كان لله انتقم له » . وكان عليه الصلاة والسلام يقول « انما انا رحمة مهداة » ...

وصدق الله حيث يقول : وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء ١٠٧) .

٣ — كان ينتصر للحق ، فلا تغضبه الدنيا ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وما كان جهاده صلى الله عليه وسلم طوال دعوته في مكة لفترة امتدت ثلاث عشرة سنة ، ثم في المدينة لفترة امتدت عشر سنين ، الا انتصارا لرسالة الاسلام والسلام .

٤ — كان شجاعا مقداما ، ويكفي ان نذكر يوم حنين، يوم فروا من حوله من المعركة ، اما هو فقد جابه الاعداء بشجاعة نادرة ، وهو يقول لهم ، وفي مواجهتهم : « انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب » .

•••

هذه السمات في الرسول الداعية ، وغيرها كثير ، تجعل منه اسوة حسنة، وقدوة صالحة للدعاة اليوم من جيل العلماء ، حتى ينهضوا بأمور دعوتهم ، وقد وضحت امامهم الرؤى ، واستبان لهم الطريق « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » — (الاحزاب ٢١)

وقد اوجز يعقوب بن ابي سفيان النسوى الحافظ — في كتاب حياة الصحابة ، الجزء الاول ص ٢٣ ، ٢٤، المؤلفه محمد يوسف الكاندهلوي — اوجز سمات الرسول الداعية فيما ذكره عن الحسن بن علي فقال : « كان

دائم البشر ، ســـهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب (اى كثير الصياح) ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والاكثار ، وما لا يعنيه ... وترك من الناس ثلاثا : كان لايذم أحداً ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه .. اذا تكلم أطرق جلساؤه ، فكأنما على رءوســهم الطير ، فاذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده ، يضحك مما يضحكون منـه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصـبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، ولا يقبل الثناء الا من مكافىء ، ولايقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام .

وكان ســكوته على اربع : الحلـم ، والحذر ، والتقدير ،والتفكير ، امـــا تقديره ففى تسويته النظر والاستماع بين الناس ، واما تذكــره أو تفكــره ففيما يبقى ويفنى ، وجمع له الحــلم والصبر ، فكان لا يغضبـــه شىء ولا يستفزه » .

•••

ولعل صفة الداعية هى الســمة الكبرى التى جمعت بين كل ســمات الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقـد ارسل بدعوة الحق ، دعوة الاســلام ، «وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم » (المؤمنون ٧٣) .

ولقد قامت هذه الدعوة على اسس ثلاثة ، هى ايضا من سمات الداعية ، وقد ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى: « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » ـ (النحل ١٢٥) ، فالحكمة هى الفهم والعلم ، الفهم للرسالة والعلم بمطالبها وسبلها ، والموعظة الحسنة هى تذكير الناس بما يوجههم اليه الدين من ثواب الله وعقابه ، وتتضمن الحث على العدل بين الناس والاحسان اليهم ، وصـلة القربى ، والنهى عن الفحشاء والمنكـر والبغى ، « وذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر » . ـ (البقرة ٢٣٢) .

اما الجدال بالحسنى فتعنى المحاورة والتخاطب بطريقة الاستمالة والاقناع ، باســـلوب يتسم بالرفق واللين وحسن الخطاب .

كذلك قامت الدعوة الاسـلامية على مبادىء اخرى ، هى ايضا من ســمات الداعية ، وطريقة معاملته مع النـاس ، ذكرت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واســتغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » . ـ (آل عمران ١٥٩) .

ولقد تضمنت هذه الآية الكريمـة وحدها العديد من سمات الرســـول الداعية يمكن ان نوجز منها ما يلى :

ـ تأكيد جـــانب اللين فى المعاملة ، ولا يعنى اللين الضعف او التهـاون بل يعنى اظهار جانب اليسر والحياء وخفض الجناح « واخفض جناحك لمن اتبعـك من المؤمنين » (الشعراء ٢١٥)

ـ عدم الغلظة فى التعامل مع الناس او اخذهم بالشدة والقسوة ، لان ذلك ينفرهم من الدعوة او يصرفهم عنها .

ـ العفو عن المسىء اذا تاب واستغفر بعد رد الحقوق الى اصـــاحبها ، وهذا هو العفو او الصفح مع القدرة على العقاب وانزال القصاص ●●

القرآن

● د . محمد كمال جعفر ●

● لم يعد هناك موضع الآن للآراء الحادة العنيفة التى اذكتها روح التعصب والاستعلاء والتى سيطرت على كثير من معالجى الفكر الاسلامى فى النصف الاخير من هذا القرن .. لقد استنفد معظم هذه الاراء الاغراض التى من اجلها اذيعت ، والاهداف التى من اجلها روجت . ولا جدال فى ان وراء الاسباب التى اسهمت فى تخفيف الحيرة ، وخفض النغمة الاستعلائية التى كانت تشيع فى الغالب الاعم من هذه الدراسات ، ظهور جيل من ابناء الفكر الاسلامى نفسه ، ممن استوعبوا تراثهم ، وخبروا المناهج المختلفة التى طبقت فى معالجة هذا التراث . ومن هنا استطاع بعضهم بجدارة ان يصححوا كثيرا من الصور المشوهة التى سادت دراسات المستشرقين السابقة . كما انهم تمكنوا من عرض جوانب من هذا الفكر فى اقرب صورة الى الصدق والدقة .

وبالرغم من كافة الظروف والملابسات التى ادت الى تعديل الصورة المنقولة فى الغرب عن التراث والفكر الاسلامى، فان هناك اقلاما فى الشرق والغرب لا تزال تسدر فى ضلالها العلمى ، وتصدر فى احكامها العامة عن ضيق فى الافق ، وجمود فى خط التعصب ، واستماتة فى الاصرار على موقف النيل والاستخفاف بحصيلة هذا التراث والعجيب فى الامر ان نيل امثال هؤلاء من الطاقات والكفاءات العربية والاسلامية يستند الى بعض الادلة التى صبغوها بصبغة علمية مزيفة ، وكان على راس هذه الادلة فكرة « العقلية السامية او العقلية العربية » .. ولما لم يعد العلم يسمح الان بمثل هذه الفكرة اتجهوا الى ما هو اخطر من ذلك وهو توجيه الاتهام الى القرآن ذاته من حيث مسئوليته ـ كما يزعمون ـ عن تقييد الفكر وتأثيره فى جمود العقلية وصبها فى قالب تقليدى غير منتج .

وليس من خطتنا فى هذا البحث التعرض بالتفصيل لمناقشة ادلة هؤلاء واولئك وليس فى النية كذلك تناول الابعاد الفكرية الحقيقية التى يمتد اليها القرآن . ولكننا سنعنى بصفة رئيسية بشواهد دعم القرآن لمناهج الفكر ، وحثه على استعمال كافة الطاقات الانسانية ، ورسمه لكثير من المواقف الفكرية الهامة بما يستحث القارىء المتامل على اعمال فكره والتمتع بحصيلته ، كما سنعنى كذلك بعرض الاثار الفعلية التى بدت فى الواقع الاسلامى ، انبثاقا من القرآن ، او طوافا بما دار حوله .

ويلزم الباحث المنصف ان يعترف بان القرآن يجعل استعمال طاقات الفكر وادواته ووسائله امرا مفروضا ، وانه ينعى على هؤلاء الذين عطلوا ما اعطوا من قوى ولم يستعملوها الاستعمال الصحيح ، بل يذكر القرآن فى غير مواربة ان هؤلاء الذين لا ينتفعون

والفكر

بمصادر العلم وأوعيته هم كالبهائم بل « هم اضل سبيلا » .

وفى نفس الوقت يضفى القرآن ثناء مستطابا على هؤلاء « الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض » فى مواضع متفرقة « انظر آل عمران ـ ١٩٠ ، فصلت/ ٥٤، ق/ ٣٧، النازعات/ ٢٦، ـ والنحل / ٨٨ الخ الخ » ..

وليس هناك ابلغ من وصف القرآن لهؤلاء الذين حرموا انفسهم الانتفاع بنور الفكر والتعقل حيث يطلق عليهم الاوصاف «صم بكم عمى» . والقرآن بحق ملىء بالدعوة الى الفكر وشعابه ودروبه كما يتضح من المصطلحات التى تضمنها فى هذا الشأن كالتذكر والتعقل والتفقه والتدبر والتفكر والتبصرة والاعتبار .

***

والقرآن يسمو فى مجال حرية الفكر ونزاهته فيعرض آراء المخالفين بامانة ودقة ثم يتبعها بالرد الحاسم ، وكمثال لهذا المستوى الرفيع يمكن استعراض ما نقله القرآن عن الدهرية التى تنسب كل شىء الى الدهر وتنكر البعث ، مع العلم بأن رأى الدهرية هذا قد عرضه القرآن اكثر من مرة، واتبعه بالرد القوى المبنى على المنطق السليم والبسيط الذى لم يشبه انحراف أو التواء ..

ويعنينا من هذه الامثلة الكثيرة مثال واحد يذكر فيه القرآن قول هؤلاء الذين « .. قالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر» فانظر كيف عقب القرآن على ذلك ، لقد قال « .. مالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » « الجاثيه ٢٤/٩»

وفى هذا التعقيب يوجه القرآن نظرنا الى وجوب التفرقة بين اليقين ـ وسبيله العلم ـ ، والظن ـ وسبيله الوهم والتخيل . ثم يبين لنا القرآن فى آيات اخرى امكانية البعث بعد الموت ، ويعرض من الادلة العقلية القريبة ما يشير الى ان البعث والاعادة ينبغى تصورهما اقرب الى التحقق من الخلق بادىء ذى بدء . بل ويذهب القرآن الى ابعد من هذا حيث يقارن الوفاة بالنوم ، والبعث باليقظة ،وهى امثلة منتزعة من واقع الحياة ، وذلك تأكيد لاسس الفكر وجعله ينبثق من ارضية متينة .

وحين تعرض القرآن لفكرة العرب من « انوثة الملائكة » فى قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا .. » رد على هذا الزعم ردا مفحما اذ يقول « اشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسألون » فنعلم من هذه الآية ان المشاهدة والملاحظة من وسائل المعرفة الصحيحة فى الامور التى تواتيها الحس .

وكم عرض القرآن طرائق للاستدلال كما فى قصة ابراهيم عليه السلام مع ملكوت السموات والارض ، وكما فى الاستدلال على وحدانية الله بما تؤيده الشواهد والوقائع ، ولا احسب ان هذا المقال واضعافا مثله يكفى لتغطية هذا الجانب وحده ، ولكن حسبنا ان ننتهى الى النتيجة اليقينية المركزة وهى ان القرآن فى جملته وتفصيله مصدر الدعوة الصريحة والملزمة للتأمل الهادف الذى يملأ العقل والقلب ويدفع الى

تصحيح السلوك ، وانه لا يمكن ان يكون حجر عثرة في سبيل الفكر من حيث هو فكر .

ان روح القرآن ونصه تتطلبان من الفكر ان يكون مستقيما متسلسلا واضحا ، قابلا للتحقق ، هادفا وايجابيا . واذا تصفحنا انواع الفكر او طبيعة موضوعاته وجدناها تقع في قسمين كبيرين : اولهما ما سمى بالميتافيزيقا « او ما وراء الطبيعة ». والقسم الاخر يتصل بما هو خلاف ذلك من الطبيعة والوجه الظاهر من الانسان والكون .

وقد لوحظ منذ القدم أن العقل في القسم الاول يعتوره بعض القصور حيث يعجز بطبيعته عن أن يصل الى نتائج حاسمة فيه .. وتاريخ الفكر الانساني خير شاهد على ذلك . بل اننا لنذهب الى ان بعض الافكار الجيدة التي قد نلتقيها في حصيلة التراث البشري في هذا الصدد انما هي في الاصل دينية ، وقد اثبتنا ذلك في كثير من دراساتنا ، واليوم نزداد يقينا بما نجد من دراسات في الغرب من الاصول الدينية للفكر الفلسفي بما يدعم آراءنا بصورة اقوى واتم .

ان العقل الانساني اذا كان قد اخفق في قسم الميتافيزيقا بما وصل اليه من آراء ينقض بعضها بعضا ، فانه انتصر في ميادين أخرى اعتبر فيها اليفا يعتاد البيت واهله ، وذلك تصديق وتأييد عملي فعلي للتوجيه الاسلامي الذي يقضي بتوظيف الفكر فيما سوى الله سبحانه . ان انتصارات العقل الرائعة قد تمت بلا شك خارج هذا القسم الميتافيزيقي على حين انه لم ينتج في هذا القسم الا مذاهب وآراء متضاربة تورث حيرة وضلالا . لهذا فليس من المغالاة القول بان تكليف العقل بالخوض في هذا القسم بغير استرشاد بوسائل اخرى هو في الواقع تبديد لجهود وطاقات من الالزم توفيرها لشيء آخر هام وحيوي بالنسبة للانسان وتقدمه في هذا العالم . فلا غرو اذن أن يطرق القرآن هذه المشاكل الميتافيزيقية طرقا خفيفا موحيا الينا بالكلمة النهائية في بساطة مؤسسة على ما يشبه البديهيات المرضية للفطر السليمة . ولم يهدف القرآن بطرقه لهذه المشاكل الى اثارة الشكوك وبث الحيرة والارتياب ، وانما كان يقصد ان يشبع رغبة العقل بتقديم الأدلة المبسطة ورغبة القلب باثارة الروح واستغلال الايمان .

اما القسم الثاني من الفكر فهو الفكر في الكون او الفكر الموضوعي الذى يتخذ المخلوقات والظواهر موضوعا لعمليته . وهذا من القرآن مجاله ذو سعة امام الانسان لانه ميدان التطور والتقدم . صحيح ان القرآن يصرف عن البحث في الغيبيات الاولى باعتبار ذلك مما يتصل علمه بالخالق جل شانه الذى يعلم كل شيء وليس في صرفه عن البحث عن هذا حجر على العقل البشرى وانما هو حسن توجيه ، وداعية حكمة ورحمة حيث توجه طاقات الفكر الى اكتشاف خصائص الظواهر الكونية وحسن استغلالها لتحسين واقع الانسان في هذه الحياة ، ولتحقيق التقدم البشرى الخلاق .

ان عمل القرآن الرئيس هو ارضاء الكفايات الانسانية : كفاية العقل ، وكفاية القلب ، وكفاية الارادة والسلوك وبعد فهل في صرف الفكر عن « الكنه » او « الماهية » او « الجوهر » حجر على العقل وتضييق الخناق عليه ؟ والجواب قطعا بالنفي ، فان هنالك مجالا متسعا وميدانا فسيحا للفكر هو الكون بما ومن فيه . الا يكفي تخبط الفكر طيلة هذه الحقب السوالف جريا وراء هذه المشاكل الميتافيزيقيه ؟ ماذا قدمه الفكر بالنسبة لهذه المشاكل الميتافيزيقية وماذا يملك ازاء حلها ؟

ومن الادلة الحاسمة على ان القرآن لا يقف — ولم يقف فى سبيل الفكر — انه كان مركز الدائرة لكل باحث ، اليه يلجأ فى دعم آرائه مهما بلغت . اما عدم وجود مفكرين او فلاسفة فى العصر الاسلامى الاول او فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم او فى عهد الصحابة فهذا ما فرضته ظروف الدعوة الوليدة التى كانت آنذاك فى شغل شاغل بالدعم والنشر .

لقد اعتاد المسلمون فى حياة الرسول الكريم أن يتلقوا منه القرآن فور نزوله ، تلقى الواعى المؤمن الذى يمتلىء ثقة وحبا ويقينا بكل ما جاء به . وكانت حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم قولا وسلوكا شرحا كاملا لكل ما يعترض المؤمن من شبهات فى دينه وان لم تمس اصلا من اصول هذا الدين .

شغل المسلمون ابان هذه الفترة بحفظ القرآن وبتعلم شعائر الدين واجادتها والمحافظة عليها باخلاص يقلدوه سلوك الرسول . القائد الروحى والسياسى كما شغل المسلمون بالغزوات دفاعا عن الدعوة التى اراد لها نهار من الحق والعدل والسلام . وقد بدا الاسلام فعلا كأخطر حركة تهدد مصالح هؤلاء المستغلين الذين يتمتعون بالمراكز الممتازة ماليا وعسكريا وسياسيا .

وفى مثل هذه الظروف لا يعنى المسلم الا ان يستزيد تبصرا وامتلاء من مثل هذا الدين وآدابه مما يعينه فى حياته العسكرية والروحية . والطاقات الروحية المحمدية مشفوعة بحكمة القائد العملية ، تتفجر لتملأ هذه القلوب الطاهرة المتعطشة . وكانت بعض آيات القرآن تعالج مشاكل الساعة التى يحياها فعلا هؤلاء المسلمون ، ومن البديهى انه لم يكن ثمة حاجة الى مزيد استفسار . اللهم الا تبين لفظة يتجاوز غموضها حديث نبوى او قول صحابى ممن يلازم الرسول صلى الله عليه وسلم والى هذا الحد اعتبر القرآن ولا يزال المصدر الاسلامى الاول والاصل لامهات العقائد التى يعهد الى الرسول تبيانها . فالقرآن والرسول هما كل ما كان يملكه المسلمون الاوائل من مصادر للعقيدة والتشريع . ولم تكن هناك فرص لاتساع الخلافات لان حاسم الخلافات ومبدد الشبهات صلوات الله عليه لم يتأخر لحظة فى الايضاح والتفهيم والتأكيد فالرسول يترجم عن الله أوامره ونواهيه وكقائد اعلى للسلوك والتوعية .

راى الرسول الكريم ان اجل الحكمة وانفع العلم هو ما اكده السلوك العمل ، وثبته التنفيذ ، وايده التربية الروحية الدقيقة ، وهذا ما تطلبته فعلا هذه المرحلة الاولى للاسلام ان يخلق قادة تتمثل فيهم مكارم اخلاق القرآن ، وتتحدث جوارحهم — قبل ان تتحدث السنتهم عن آداب الاسلام ومبادئه السامية ، وبذلك بدت الناحية النظرية من معالجة العقيدة عن طريق التعمق فى الجدل والبرهنة غير مرغوب فيه ، لعدم جدواه فى هذه المرحلة ، ان لم يكن معوقا عن تغلغل العقيدة وانتشارها بنفس السرعة التى ارادها القدر .

ولكنه بالرغم من كل ذلك فقد جمعن الظروف المتشابكة المعقدة ما اتاح للخلاف ان يظهر فى مراحل متعددة تختلف نسبيا عمقا واتساعا .

وقد اثر عن بعض الصحابة والتابعين انه اذا عميت عليه لفظة فى آية او معنى آية ، فانه لا يتحرج فى ان يسأل عنها من يظن ان عنده علمها . وقد اشتهر عبد الله بن عباس ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم — بتمكنه من فهم القرآن . وقد لقب ببحر العلم ، وحبر هذه الامة ، وترجمان القرآن . وقد باركه الرسول : وتحدثنا كتب السير أن الخليفة عمر — رضى الله عنه قدمه وهو شاب على اقدم الصحابة وافضلهم « احياء ١/١٤٠ » ، وكان يرجع اليه الصحابة فى التفسير ..

« للبحث بقية »

ماذا أراد شوقي

● د. احمد الحوفي ●

لشوقي قصيدة تحتاج الى تحقيق وتامل وتمهل ، حتى نتعرف موضوعها والمراد منها ...

فقد نشرت له (الجريدة) في ١٩ مايو سنة ١٩١٠ قصيدة عنوانها (الـرق والحرية ، والضعف والقوة ، الى المكنونة الغالية تلك الباحثة بالبـــادية) والباحثة بالبادية هي السيدة ملك حفني ناصف ، وكان نشر القصيدة في اليوم التالي لصدور الحكم باعدام الورداني الـذى قتـــل بطرس غالي رئيس الوزراء والتذاك ...

كان عدد أبيات القصيدة سبعة وأربعين بيتا ، ثم نشرت بمجلة (الهداية) في يونيه سنة ١٩١٠ ، وبمجلة (الهلال) في يوليه التالي ·

ثم نشرت بالشوقيات تحت عنوان آخر هو (بين السفور والحجاب) في أربعة وخمسين بيتا ·

فلما نشرت (ديوان شوقي) وضعت للقصيدة عنوانا جـديدا هو (ملك الكنار) ·

ولقد شاع أن شوقي اراد بهذه القصيدة معارضة السفور ، كما شـاع أنه قصد بها الورداني ، أو قصد بها باحثة البادية ، وهذا كله خطأ ...

والحق أن شوقي اراد بالقصيدة مناجاة طائر حقيقي كان حبيســا في قفص بمنزل شوقي ، ولم يكن بعيدا عن خياله الورداني في بعض مظاهر ضيقه ، وان كان السفور بعيدا كل البعد عن خياله ، ولم تكن باحثةالبادية على باله ·

ومن الشطط ان يستنبط أحد من القصيدة رأى شوقي في السفور والحجاب ، أو يقضي بانه كان حائرا في قضية السفور والحجاب ، ولم يستقر فيها على رأى·

وليس من شك في ان العنوان الذى وضع للقصيدة بالشوقيات عنوان خاطىء ... ومن السهل أن نستنبط من القصيدة نفسها عدة ادلة على صحة ما نذهب اليه :

الاول أن بعض أبيات القصيدة يشير الى أن المراد سجين حقيقة لا مجـــازا ، مثل :

يا ليت شـــعرى يا اســـ ـــير شج فؤادك ام خلي ؟
وحليف سهد ام تنـــام الليـــل حتى ينجلي ؟
بالرغـــم مني ما تعـــا لج في النحـــاس المقفل !

فان المرأة المحجبة لم تكن مسهدة ، ولم تكن مصفدة حبيسة في سـجن مغلق بحديد او نحاس ...

والورداني كان حزينا مسهدا ، فليس بحاجة الى سؤال عن حاله أحزين هـو أم غير حزين ، ومؤرق أم غير مؤرق ·

الثاني : ان بعض الابيات يذكر ان المخاطب حى ، يقيم في مكان جميل بين من يكرمونه ويحتفون به ، ويسمعون صياحه المبشر بنهضة مصر ، يقيم في منزل شوقي نفسه حيث يحتفى به أبناؤه الثلاثة ، ولا علاقة للمرأة المحجـــبة ولا للورداني بهذا التصوير :

جاورت أندى روضـــة ·· وحللت أكـــرم منزل
بين الحفاوة من حســـ ـــين والحفاوة من عـــلي

وحنــان آمنـــة كـأمــ ــــك في صبــاك الاول
صح بالصـــباح وبشر الابنـــاء بالمســتقبل
واســـال لمصر عنـايـة تـأتي وتهبـط من عـل

الثالث : أن في القصيدة أبياتا تنبىء بأن المخاطب حي ، وبأن شـوقي لن يستطيع أن يفيه حقه من التكريم والاعزاز مهما يبذل من جهد ...

ومن وسائل التكريم التي ذكرها نعرف أنه يخاطب طائرا حقيقيا في قفص ، لانه يجد نفسه مقصرا في حق هذا الطائر حتى ان جعل قفصه ذهبا مبطنـــا بالحرير ، ودعا أجمل الطيور لزيارته وايناسه ، وقدم له الذ طعام وأعذب ماء .

وهذا التصوير بعيد أيما بعد عن المرأة المحجبة ، وعن الـورداني الذي كان قد أعدم :

انا ان جعلتك في نفــــا ر بالحــــرير مجـلل
ودعوت كل الحـــر في ملك الطيـــور محجل
فاتتــك بين مطـــارح ومجنـــد ومـــدلل
وامرت بابني فالتقـــا ك بوجهه المتهـــلل
بيمينـــه فالـــوذج لـم يهـد للمتـوكل
وزجاجة من فضــــة مملوءة من ســـلسل
ما كنت يا صداح عنـــ ـــدك بالكريم المفضل !

الدليل الرابع ، أن شوقي يعتذر للطائر عن حبسه في القفص بأنه حـريص عليه ، ضنين به ، وان كان يعلم أن الحبس رق وضيق وتعذيب ، وأن القيد لا يطاق وان كان من اغلى المعادن وأنفس الجواهر ، ولكنه يذكر للطائر الجميل أنه معرض لهذا بطبيعته ، وبأنه ان طار من دار شوقي افترسه نسر وصاده شخص آخر قاس لا يكرمه ...

وشتان ما بين هذا التصوير وحال المرأة المحجبة أو حالة الورداني :

حرصي عليك هوى ومن يحرز ثمينـــا يبخـــل
شـهد الحياة مشـوبة بالرق مثـل الحنظـل !
والقيد لو كان الجمـا ن منظما لم يحمـل ...
يا طير لولا أن يقـــو لوا : جن قلت : تعقـل
اسمع لرب مفصــــل لك لم يفتك كمجمـل ...
صبرا لما تشـــقى به أو ما بدا لك فافعـل !
انت ابن رأي للطبيــــ ـــعة فيك غير مبـدل .
أبدا مـروع بالاسـا ر مهدد بالمقتــــل ...
ان طرت عن كتفي وقعـ ـــت على النسور الجهل !

الدليل الخامس أن شوقي ختم القصيدة بنصح الطائر، وهو يقصد بهذا النصح مصر ، نصحها بأن تتقوى ، وحضها على التسـلح ، لان الحق الذي لا تسانده القوة مضيع مهضوم :

يا طير والامثـال تضـ ـــرب للبيب الامثـــل
دنياك من عاداتهـــا الا تكون لأعـــزل ...
او للغبي وان تعلــــ ـــل بالزمان المقبـــل
جعلت لكـــر يبتــــل في ذى الحياة ويبتـــل
يرمي ويرمي في جهــا د العيش غير معطــل
مســـتجمع كالليث ان يجهل عليه يجهـــل !

ثم ضرب المثل بالصراع الذي دار بين علي ومعاوية ، وبخديعة التحكيم .

فما الذي اسفرت عنه هذه القصيدة ؟

انها لم تسفر عن شيء يتصل بباحثة البادية او بالسفور والحجاب اوبالورداني فمن التعسف ان تستنبط منها راي شوقي في قضية السفور والحجاب التي شغلت المفكرين والكتاب ، واثارت جدلا عنيفا طال زمانه .



أرملة الدكتور عثمان أمين تروى قصتها

● محمد عبد الله الشفقى ●

● روت سوزان طه حسين ذكرياتها مع عميد الأدب العربى ، واختارت لتلك الذكريات ذلك العنوان العاطفى المؤثر : « معك » ... وكانت الذكريات تسرد حقا حكايتها معه : الرحلة – رحلة سوزان مع طه حسين ،رحلة فكر وفن، والسياحة تتم بين الجامعة وكرمة بن هانىء ، وبين دور العلم فى شتى انحاء العالم ، فى معابد الفن التشكيلى والموسيقى ، ووسط مشاهد الطبيعة ، وسط غابة او عند نهر او سفح جبل ثلجى ...

روت ارملة المرحوم الدكتور عثمان امين – الاسكتلندية الأصل – ذكرياتها ايضا..لكن الذكريات ليست(معه)بقدر ماهى مع مصر .. فمصر ، بشوارعها وناسها وقراها ، تحتل من صفحات مذكراتها اكثر مما يحتل عثمان امين .

هو غائب حاضر مثلما كان فى البيت غالبا وحاضرا احيانا ، جالسا فى غرفة مكتبه بينما هى فى الصالة تخيط بعض الثياب ، او فى المطبخ تعد الطعام ، او وسط الابنة منى والابن رمزى تحنو عليهما وتلتفت الى شئونهما ، او مع ام الدكتور عثمان امين تستمع الى دعائها وهى على سجادة الصلاة .

و « سبع سنوات فى الشمس » هو العنوان الذى اختارته لمذكراتها التى صدرت فى لندن بالانجليزية منذ فترة بعيدة – لكن الكتاب لا يمكن أن يعد قديما ، والذكريات فيه حية والحاجة ماسة الى تذكر الرجل الذى رحل عنا منذ فترة قريبة. والسنوات التى تشير اليها انما هى السنوات التى قضتها بالفعل فى مصر ، التى وفدت اليها قبل أن تتزوج عثمان امين ، ثم لازمته ومكثت أعواما، ثم غادرت مصر فى مارس

١٩٥٧ في اجازة . لكن ما كان اجازة استحال الى لا عودة ، وذهبت الى السودان لتعمل .

وشمس العنوان هي شمس مصر التي عاشت تحتها بين القاهرة وقرية مزغونة ، مسقط راس عثمان امين .

***

من هي الآن ؟

ولدت روضة جوردون امين كان اسمها عند المولد لينجارد) فى ادنبره ، اسكتلندا ، عام ١٩١٩ ، من ابوين اسكتلنديين . كانت العائلة من اصل اسكندناوى ، لكنها استقرت لثلاثة اجيال فى العاصمة الاسكتلندية .

الأب كان مهندسا ، والأم - قبل الزواج - مدرسة . قاد العمل الأب الى الصين . وذهبت روضة اليها وهى فى عامها الاول ، ثم عادت الى الجزيرة البريطانية وهى فى الرابعة عشرة من عمرها . هكذا قيض لها أن تتشرب « بالنظرة الدولية » منذ البداية ، فهى قد تعلمت فى شنغهاى فى مدرسة دولية

بعد الدراسة اشتغلت بالأعمال الادارية الكتابية فى البداية ، وكرهتها . وواصلت الدراسة فى المجال العلمى ، فحصلت على درجة جامعية فى الرياضة والفيزياء ، وصارت معيدة الفيزياء فى احدى كليات لندن . ولكن ثمة شىء كان يجذبها الى التدريس ، والكتابة . حصلت على دبلوم فى التربية بعد الحرب العالمية ..

ثم طلبت الحكومة المصرية مدرسين للغة الانجليزية فى مدارسها الثانوية . وتركب الطائرة الى القاهرة فى ٣ يناير ١٩٥٠ لتقوم بتدريس الانجليزية اول الأمر فى مدرسة الأميرة فوزية الثانوية للبنات ، التابعة لبولاق وروض الفرج وشبرا وباب الحديد . ثم قيض لها أن تنتقل منها الى حى آخر من صميم مصر ، مدرسة السنية الثانوية بالسيدة زينب .

وشاء الأقدار أن تلعب السياسة دورا فى مسار حياتها . لقد الغيت المعاهدة بين مصر وبريطانيا ، واستغنت الحكومة المصرية عن خدماتها ، وزملائها وزميلاتها .. وعادت الى انجلترا يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ - نفس اليوم الذى احترقت فيه القاهرة .

وتقوم الثورة . ويقيض لها ان تعود الى مصر من جديد لتدرس ، هذه المرة ، فى « المدرسة الانجليزية » بمصر الجديدة .

فى عام ١٩٥٣ تتزوج الدكتور عثمان امين .

***

و .. وتعتبر هذا الزواج زواجا تقليديا مرتبا ! كيف ؟

خلال عملها بالمدرسة الانجليزية بمصر الجديدة وجهت اليها زميلة لها دعوة لتناول الشاى فى البيت . هناك قابلت - وكأنه بالصدفة ! - من قدمته الزميلة على انه صديق زوجها ، قدمت عثمان امين . تعرف « روضة » بعد ذلك أن الدكتور عثمان كان قد أبدى للزميلة رغبة فى الزواج بانجليزية فاقترحت « روضة » .

بعد دعوة الشاى هذه المدبرة دعا عثمان الثلاثة الى شاى . بعده دعانى الى حفل موسيقى بالجامعة ، والى معرض فنى ؛ والى مسرحية كانت تمثل بالفرنسية ، ثم الى حديقة الحيوان . » كان ، على حد قولها ، زواجا مرتبا الآن . تقول : لكن الدكتور عثمان ، وبه مسحة من رومانسية ، يفضل ألا يراه كذلك . يقول لها محزونا « ألا تستطيع أن تقول اننا التقينا فى فرنسا ؟ نعم ، عندما ذهبت الى مسقط رأس ديكارت ربما ساقتك الأقدار الى حضور المحاضرة التى كنت ألقيها هناك . ربما كنت باجازة فى باريس مع أمك . »

« يلفت نظرها هذا التحفظ الشرقى ، ألا لا يريد ، عثمان امين أن يتصورها فتاة تسافر الى باريس وحدها ! »

خلال « سبع سنوات فى الشمس » تحكى روضة طرفا من نشأة الدكتور عثمان امين وحياته . ولد فى قرية مزغونه فى ٢٧ يناير من عام ١٩٠٥ . « يحكون لى انه كان ، فى صباه ، مستقلا بنفسه يلعب وحيدا بهدوء ورضا . » وقيض له ، فترة زواجهما ، ان يكون اكبر الاخوة الباقين على قيد الحياة . كان ابوه عمدة القرية . وكان للأسرة اراضى

ومطحن للدقيق . ثم يحدث فى يوم من الايام ان يتزوج ابوه باخرى صغيرة . لن ينسى عثمان ابدا ان اباه طلق أمه . وفى صباه « لم يكن ابى رحيما معى ابدا . كثيرا ما كان يضربنى . »

يدرس عثمان الثانوية في المدرسة السعيدية بالجيزة . ثم يتطلع الى دخول الجامعة ، لكن زوجة الأب تلح على ابيه ان يبقى عثمان فى القرية يشرف على الارض والمطحن . ويدب شجار ، ويغادر عثمان بيت ابيه ولا يعود الى القرية الا بعد اربع سنوات . ولكى يدخل الجامعة ويواصل العيش والدراسة باعت امه حليها ... ولكى يواصل العيش والدراسة عمل مصححا ، ومترجما ومدرسا خصوصيا . وكان آنذاك محاطا بطلاب اثرياء ظنوا ان اختفاءه الليلى انما هو سعى وراء متع النساء ، واحترموه بدافع من تصورهم انه (دون جوان) ، وتادر ايضا على الانفاق على النساء . وكانت الحقيقة أبعد من ذلك . لكنه لم يقل لهم الحقيقة : حماية لسمعة ابيه الذى أهمله وحتى لا يهبط فى نظر اقرانه .

ويتفوق . ثم ينجح فى امتحان مسابقة ، ويحصل على بعثة حكومية للدراسة فى باريس .

عشية السفر الى باريس يزور اباه!

وفى باريس يحصل على الليسانس ، ودكتوراه الأدب . والى جانب دراسة فلاسفة الغرب يتاح له ان يدرس الفلسفة الاسلامية مركزا بصفة خاصة على الشيخ محمد عبده . تقول روضة « نستطيع ان نعتبر عثمان تلميذا لمحمد عبده . »

وصورة الشيخ محمد عبده تطل عليهم من غرفة مكتب عثمان ، وترى فيها « عيونا صادقة فى وجه انسانى تعلوه عمامة . »

هل هناك صور اخرى فى البيت الذى اظلهما ؟ « عثمان ، استاذ الفلسفة ، يحب ان يطل عليه مفكرو العالم من فوق الجدران : ديكارت يشرف على عمله ، ماركوس أوريليوس يراقب تحركاتنا فى الصالة و .. غاندى يراقب المدخل المفضى الى المطبخ . »

وبعد الزواج تتفرغ الزوجة والام لبيتها ، تترك المدرسة الانجليزية بمصر الجديدة قبل ان تنجب منى ورمزى (اللذين اهدت اليهما الكتاب) وتحيا ما بين شقة امام الرئاسة وقرية مزغونه (خاصة خلال العدوان الثلاثى على مصر وضرب الاحياء المدنية والاظلام) وفيلا فى الحى الذى خصص يوما لاساتذة الجامعة .

تعيش كشريكة لعثمان ، تتابع اهتماماته ، وتقرا طرفا مما يقرا ، وتعجب معه بمحمد عبده ، بل وتشارك فى اعداد النصوص الانجليزية عنه ، كما تناقش مع زوجها المفكر شتى القضايا ، من قضايا الزواج والطلاق ووضع المرأة فى الاسلام الى قضايا الريف والقوانين التى يحيا اهل الريف فى ظلها ، ومن قضايا البناء فى معظم قيام الثورة الى عدوان فرنسا على الجزائر وعدوان بريطانيا على مصر فى ٥٦ ، مع فرنسا واسرائيل .

وهى تحكى من مكائد فى الجامعة للحيلولة دون حصوله على درجة استاذ . وتحكى من توزيع وثائق تشهير ، ومن استغلال كون زوجته بريطانية (خلال العدوان الثلاثى) . ويربك اصحاب المكائد حين تكتب صحيفة (الجمهورية) عنها ، ومن رسائلها المتعاطفة فى (المانشستر جارديان) حين كانت تحذر بريطانيا من وقوع الكارثة .

غير ان هذا كله ، كما سبق ان الحنا فى بداية المقال ، لا يشكل الا قدرا محدودا من ذكرياتها . فالذكريات فى معظمها انما تتلاحم مع الحياة المصرية فى شتى صورها . هى ذكريات تخرج الى الطريق ، وتسير فى الازقة ، وتصعد الترام ، وتخرج فى رحلة مع الطالبات ، وتستمع الى دعاء ام طيبة

على سجادة الصلاة ، وتغرق عقلها ووجدانها فى قضايا الزواج والطلاق والشرف والتحرير والغنى والفقر والذوق وفساد الذوق ...

ذكريات ترسم جزءا من الوحة بالوان مفرحة ـ حين تتحدث عن الايجابيات ـ وجزءا بالوان قاتمة حين يؤلها ما تعتبره سلبيات او تناقضا .

لعلها لخصت التجربة فى تلك العبارة: « كزوجة وام ، وانغمست فى الحياة المصرية .. »

***

اللغة

من واقع عملها فى البداية مدرسة للغة الانجليزية فى المدارس الثانوية بمصر ومن واقع كونها اجنبية ، تعلمت العربية وأحست انها بمرور الوقت قطعت فيها شوطا كبيرا ـ كان طبيعيا ان تعلق على قضية تعليم اللغات فى مصر . وهو تعليق لا يخلو من طرافة لاذعة ، لعل مبعثها هنا ما عرف عن الاسكتلنديين من دعابة لاذعة ..

لفت نظرها ذلك الخطأ الشائع فى نطق ال «P» فى المدارس ، اذ يميل مصريون كثيرون الى نطقها وكأنها باء «B» ويؤدى ذلك الى مفارقات تثير الضحك والدمع فى قاعات الدرس .. ان طالبة تتحدث عن «ماكبث» شيكسبير لتصف دخول « ليدى ماكبث حاملة خروفا » ! والواقع ان ليدى ماكبث لم تكن تحمل خروفا بالمرة وانما مصباحا، لكن الطالبة قالت . «Lamp» بدلا من «Lomb»

فى نفس الوقت بدات تحتك بالتعبيرات العربية التى اشعرتها بالدهشة والحرج فى البداية . فطالبة تقول لها ، خلال رحلة قامت بها المدرسة : « انتى النهاردة زى القمر» . وطالبة تقول: «انتى منوره الاوتوبيس.» ثم تعرف فيما بعد انك اذا قلت لانسان: « انت منور » وجب ان ترد : « الله ينور عليك . »

ولانها قطعت شوطا كبيرا فى العربية كان يضايقها ان يتحدث اليها الباعة ، خاصة باعة العاديات ، بالانجليزية . ولم يكن وجود زوجها معها ليمنعهم عن ذلك ، فلانه ابيض البشرة كانوا يظنونه اجنبيا ، وكانوا ينادونه احيانا : يا خواجه ! .. وكان هذا يضايقه فينفى هذا الوهم ويطالبهم بان يتحدثوا بالعربية .. كانت تطلب منهم ذلك ايضا .

ثم هالها ان بعض الباعة المصريين يتعطفون ان يتحدثوا اليها ب « عربية مكسرة » (على غرار بعض اليونانيين كما تقول) ، بدعوى ان ذلك سيجعلها تفهمهم . كان البائع يغريها بسلعة فيقول لها : « دى كويس كتير » .. فتغضب وتقول للبائع : « الكلم عربى كويس » !

ولك ان تتصور وقع التصحيح عليه !

كان طبيعيا ان يلفت نظرها وضع المراة فى مصر وان تعلق عليه . كان ذلك فى بداية الخمسينات . جن جنونها لما اعتبرته « حب الشرقى للتسلط ، واستعداد الشرقية للخضوع » .

ويهزها فى الشرق تبجيل المراة ، وتقديس قدرها كأم ، فتفرد فصلا : تختار له عنوان « الجنة تحت اقدام الامهات . » وبالنسبة لطقوس الامومة فانها تجد فى تلقائية الرضاعة عند البعض شيئا صحيا وخلابا . هاهى تجد فيه تطبيقا « مبكرا » لمدرسة تنادى الان فى الغرب بارضاع الطفل كلما احتاج ، بدلا من جدول صارم وعابس، وبدلا من الابتعاد عن صدر الام، فالطفل محتاج الى اللبن ، والى حنان الصدر ايضا .

فاذا كانت «روضه» قد وجدت بعض المصريات محجبات ، ووجدت البعض يتفادين استقبال الرجال (عندما تجلس ام الدكتور عثمان وشقيقته وروضه فى الصالة ويدق رجل على الباب تختفى الام والاخت وتجد روضه نفسها مضطرة احيانا الى الاختفاء معهما حتى لا يظن احد انها تخلو من الحياء!) فان هذا يقودها الى الحديث عن سوء

الفهم الــذى تتعــرض له تصرفات الغربية التى تتحــدث مع الرجل بكل بساطة ، قد تضحك وترقص وتبادله المزاح ولا يعنى هذا بالنسبة لها شيئا. غير ان الرجل الشرقى قد يظن من خلال هذه التصرفات انها يمكن ان تذهب معه الى ابعد مدى .

وهى تحكى فى هذا الصدد عن تجربة تعرضت لها قبل الزواج ، حين ذهبت فى رحلة مدرسية الى الاقصر واسوان، وهنــاك التقت بخطيب لزميلتهــا فى الرحلة ، وصديق له ، صديق سمته روفيه « السيد شــنب » لاعتزازه بشاربه ووسامته . فى نهاية يوم واحد من الحوار والاستجابة لدعوة عــلى طعام الغذاء فاجأها « السيد شنب » بالجملة الانجــليزية الوحيدة التى استطاع نطقها كاملة . والجملة تقــول لها : هل تأتين للمبيت معى ؟

● وهى تاســف لان « الشرف » يرتبط اساسا بالجنس، مع ان الشرف يتصل باشياء أخرى ايضا :الصدق ، نقاء الروح ، صفاء اللهن... ويغيظها ان تراقب فى الامتحانات فتجد بعض الطالبات يحاولن الغش ، فترى فى هذا منافاة للشرف . وترى انه مما ينافى الشرف ايضا ان فتى ذهب فى بعثة الى امريكا يزعم انه تفوق فى امتحان المسابقة الذى عقد لهذا الغرض ، مع انه ـ على حد قول استاذ جــامعى يعرفه « لا يمكن ان يتفوق حتى ولو كان الامتحان لمجموعة من الحمير ! »

لكنها مفتونة بحماتها. لفتت نظرها، وربما تسحرها ، طقوس الصــلاة ، وسؤال الحماة المستمر عن الساعة حتى تؤدى الصلاة فى مواعيدها .. يفتنها التوجه نحو الكعبة وتحريم المرور امام المصلى ، وانجذاب الاطفال ، الفريزى، الى مشاهدة الصلاة ...

انها ، فى موضع آخر ، تتحدث عن سهولة الصــلاة فى اى مكان ، وفى الاسواق ، بالنسبة للمسلم . فاذا اعوز المصلى السجادة فانه يصلى فوق قطعة من الورق .

ولا تفوتها مناجاة الحمــاة للرب وكأنها تحادثه « يارب ساعد مصر فى محنتها ... يارب خلى ابنى عثمــان (الدكتور عثمان امين) يبطــل شرب السجاير . »

وبالطبــــع « تخشى حماتى عين الحسود ، وتعترض على امتــداحى لصحة الاطفال ، وعرض اطفــالى على الناس يتفرجون عليهم ويعجبون بهم . هنا تلجا الى البخور والادعية وتوصينى بان اقول ما شاء الله .. اقول لهــا اننا لا نقول ما شاء الله فى انجلترا ولا يصيب الاطفال الاذى . . . لكــن يجب ان اعترف باننــا نقول : « امسك الخشب » ، وياله من تعبير وثنى ! »

وهى تتحدث ايضا عن جشع بعض تجار التذكارات فى صعيد مصر، تصف بالعا مثل دور الكريم فى البــداية : تقديم عطور واصرار على فنجان قهــوة .. ثم المغالاة فى اسعار السلع بعد ذلك .. يريها بفخر ما كتبه الاجانب من زوار متجره ، يحتفظ بذلك فى سجل انيق . من المؤكد انه لا يعرف الانجليــزية ، فالى جانب جمل المديح المكتوبة هنــاك جمل أخرى جاء فيها « ياله من وغد متمــرس ! » و « خـــذوا بالكم من جيوبكم ! »

وتتحدث عن كرم المصريين وحسن استقبالهم وكبريائهم، التحدث عن كثيرين رفضوا مقابلا لخدماتهم .

وبلفت نظرها حب اكثــر المصريين لحشد الاثاث فى بيوتهم ، على ان يكون ضخما الى اقصى حد ، خاصـــة (التسريحة) ، ودولاب غرفة النوم ، والستائر . وتجد فى هذه الضخامة ما يتنافى مع الذوق . وتجد ان الافتتان بالضخامة ينسحب على الهدايا ايضا . التقت يوما مبلغا كبيرا عــلى شراء

« برطمان » للمربى صغير ، من الكريستال وبغطاء من الفضة . ووضح ان الذين تلقوا الهدية لم يدركوا قيمتها ويعجبوا بها . وقالت لها صديقه : لقد اخطأت! .. كان بالامكان آن تنفقى مبلغا اقل بكثير ، تشترين به (اباجورة) ضخمة ترتكز على تمثال نحاسى !

رغم جوانب الظلال هذه فانها تحاول ان تكون منصفه . انها تخاطب اجنبيات متألمات من العيش فى مصر مع زوج مصرى قائلة : علينا أن تكون منصفين : نحن نشكو من ارتفاع أسعار الطعام المستورد، بينما نحن وسط انواع وانواع من الخضر المصرية الطازجة . ونحن نحن الى البقاع الانجليزية التى تختفى فيها مظللة فى شمس لا تغلى ، وننسى طوابير الانتظار ومشاق الرحلة الى جزيرة مزدحمة . ونحن نصرخ من الشمس المصرية وننسى الأمطار الانجليزية ، والانذار فى الراديو باعاصير فى الطريق . ونحن نشكو من كسل بعض الخدم فى مصر وننسى اننا فى انجلترا لصبح الخدم .

بريطانيا الدولة وبريطانيا الشعب .

عاشت « روضه » تلك الفترة العصيبة ، فترة العدوان الثلاثى على مصر ...

يالها من فترة حرجة بالنسبة لبريطانية تضرب حكومتها البلد الذى تعيش فيه ويعيش زوجها وابناؤها . وجدت فى العدوان مؤامرة مدبرة مع فرنسا واسرائيل . ووجدت فى الحجة التى انتحلتها بريطانيا للهجوم حجة واهية ، وتناولت باسهاب قضية تأميم القناة ، وشرعية هذا التأميم ، ثم هالها التصريحات البريطانية الرسمية آنذاك التى اخذت تنفى قيام بريطانيا بضرب الاهداف المدنية بينما هى تشهد بعينيها وتسمع باذنيها ضرب اهداف مدنية .

وتعيش « روضه » ايام الاظلام ، وتعيش بعضا منها فى قرية مرغونه ، ويبهرها المشاعر الطيبة التى ابداها مصريون كثيرون نحوها آنذاك . بل وحزن أم مصرية على شباب انجليزى يلقى حتفه فى معركة دفع اليها دفعا . وتقول الأم المصرية الحزونة : ان لهم امهات مثلنا .

بين الرومانسية والواقع .

لعلنا نختتم هذه الذكريات بتلك القضية التى مستها « روضه » صورة الشرق الرومانسية فى خيال بعض الغربيين ، وبعد هذه الصورة عن الواقع .. لقد لقد رأت فى تمسك غربيين بالصورة الرومانسية ضربا من الانانية .. كان يؤلمها ان تضبط نفسها معجبة بالازقة والبيوت القديمة ، بينما قد تعبر هذه الازقة والبيوت القديمة عن فقر ومعاناة وتخلف .

وشيئا فشيئا تخلصت من هذا المرض . لكنها ترجو ان تبقى فى الرومانسية اشرعة المراكب التى تتهادى على صفحة نيل مصر :

« ثمة شىء اتحدى من الماضى وآمل ان يظل . . انما اشير هنا الى الانسياب الواثق للاشرعة المنسة فوق مراكب النيل » فى رحلتها النيلية ... ما اكثر ما فرحت وهى تتجمع فى القاهرة تنتظر انفتاح الجسر ، وغابة من الصوارى تتدافع نحو السماء . واروع من هذا المنظر منظر شراع او شراعين فوق صفحة النيل الفضية قرب المعادى ، ذى ساكنة وسط ضباب الصباح ..

طوال سبع سنوات فى مصر انتقلت بسرعة من الرومانسية الى الواقعية ، ومن السياحة الى العيش فى الوطن ، وسط جو متغير ، لكن شعورى نحو مراكب النيل ظل ثابتا ثبوت اشرعتها، وانها لتسحرنى .. ان مهندس الجسر الصغير على الكورنيش بين القاهرة والمعادى قد جسد خطوطها فى القوس الصاعد لباطن الجسر . هكذا سلم المهندس ، كما سلمت انا ، بوقوعه اسير سحرها ! »

محمد عبد الله الشافعى
نارام . انجلترا

رواد مدرسة

شعراء الديوان

● د. محمد عبد المنعم خفاجي ●

ـ ١ ـ

جمعت زمالة العلم والشباب في مدرسة المعلمين العليا في القاهرة ، في أوائل القرن العشرين ، بين عبد الرحمن شكري وابراهيم عبد القادر المازني ، وكانا من انبغ الطلاب في هذه المدرسة ، وربطت بينهما هذه الزمالة بصلات وثيقة ، لم تلبث الحياة ووحدة الثقافة والاتجاه بينهما وبين زميـل ثالث لهما هو عباس محمود العقاد ...

وصار هؤلاء الثلاثة يمثلون فكرا أدبيا جديدا دعوا اليـه ، وكتبوا عنه ، وافاضوا فيه ، وداروا حوله ، ودخلوا معارك نقدية كثيرة من أجله .

كان بدء التعارف بين شكري والمازني الطالبين في المعلمين العليا ، هو مساء الخميس ٢٤ من سبتمبر عام ١٩٠٩ بعد التحاق المازني بالمدرسة بقليل . وكان المازني قد بدأ يتردد على جريدة الدستور التي يصدرها الاستاذ المفكر محمد فريد وجدي حيث رأى محررا نابغة من محرريها هو عباس محمود العقاد فتعرف اليه ، وتردد عليه ، وصارت بينهما صداقة ومودة وزمالة في الادب والشعر ...

وفي مساء يوم الجمعة ٣٠ من اكتوبر عام ١٩٠٩ دخل المازني على شكري في مسكنه يزوره ، وجلس المازني بين ترحيب شكري به وسؤاله له عن أخبـار الادب والشعر ... وبادر المازني صديقه الاكبر الذي لا يتجاوز العشرين ربيعا من العمر يقول له :

ـ أي صديقي شكري : لقد كنت بالامس في مجمع من الصفوة ، من الادباء والشعراء ، وكانت قصيدتك الجديدة « النغمات » موضع حديث الجميع واعجابهم وكان من اشد المعجبين بها صديقي الاديب الصحفي عباس محمود العقاد

ورد شكري : وأين هو ؟ ولماذا لم يات معك لزيارتي ؟

وأجابه المازني : ان صديقي الشاعر يجلس في مقهى قريبـة ، فان أحببت ذهبت فأتيت به معي .

وقال شكري : اذهب اليه ، وادعه باسمي ، ولعلك لا تطيل غيابك .

وأسرع المازني الى المقهى ، ودعا العقاد لزيارة شكري ، فلبى الدعوة ، ودخلا على صديقهما ، والمازني يقول : هذا هو عباس محمود العقاد حضر معي ...

ورحب به شكري ترحيبا حارا ، ودار بينهما حوار حول الجزء الاول من ديوان شكري ، وكان قد صدر منذ أسابيع قليلة ، وحول قصيدة « النغمات » بصفة

●



عباس محمود العقاد

خاصة ، وقرأها العقاد من ديوان شكرى :

اذا ترنــــم والآذان ظامئـــــــة
خلنـــا الـــروى على آذاننا اندفقـــا
لج من النغمـــات الغــر يحمدها
أن النفــوس تعــانى بينهـــا الغرقـــا
لو صورت فاقامت غير خاليــــة
كانت أجل الذى يســـتعبد الحـــدقا
كان شــيئا من الحب الـــذى غربت
به الخليقـــــة فى أثنائها انبثقـــا

❋❋❋

تقبـــل تلعـــل بالاحـــزان ما فعلت
أشـــعة القمـــر الوضــــاح بالغلس
تلوب فيها همــــوم النفس خاليــة
كما يلوب النــدى فى موقــع النفس
ينزو الهيــام بقلبى حــين أسـمعها
لعب الرياح بشــوب البســاتين التعس
كعصــفها حــين لجت فى تأويبهـــا
كلجة البحـــر تطفى شـــعلة القبس

الى آخر هذه القصيدة الجديدة فى تصورها ومعانيها وصورها الشعرية ...

ولم يمض شهر على ذلك اللقاء حتى أصبح هؤلاء الثلاثة لا يكادون يفترقون ، ولا يتركون كتابا قديما أو حديثا يقع لهما الا ويعكفــون على قراءته ...

وأخذ المازني والعقاد يستزيدان من اللغة الانجليزية على يدى صديقهما شكرى، ويتعمقان فى آداب الغرب والشرق وهما معجبان بعظمة ذلك الذهن الجبــار الذى منحه الله لشكرى

ولم يلبث هؤلاء الثلاثة ان أصبحوا مثالا رائعا للفكر المصرى فى أوائل القرن العشرين ، فهم يمثلون النزعات الجديدة فى الشــعر فى ذلك الحين ، وهــم يقرأون للشعراء الرومانسيين الانجليز من أمثال : وردزورث ، وشيللى وبيرون ، وكيتس ، وغيرهم ، ويتأثرون بهم فى منحاهم الرومانسى .

وكانت بأيدى الشباب المصرى آنذاك مجموعة شعرية مشهورة من الشــعر الانجليزى ، اسمها « مجموعة الكنز الذهبى » كانت تدرس فى مختلف مراحــل

الدراسة في المدارس المصرية ، التي يوجه الانجليز فيها سياسة التعليم ومناهجه الوجهة التي يريدونها . وقد اختارها وجمعها مشرف انجليزي في وزارةالمعارف المصرية حينئذ ، اسمه « بالجريف » ، وكان استاذ الشعر في اكسفورد ، وكانت هذه المجموعة رومانسية الطابع ، وقرأها شكري والمازني ، وتأثرا بطابعها . وكانت هذه المجموعة مادة شعرية لطيفة في أيدي ادبائنا من الشباب الثلاثة : شكري والمازني والعقاد ، الذين جمعت بينهم النزعة الادبية احبابا وأصدقاء ودعاة الى الجديد

***

وفي عام ١٩١٣ أصدر شكري الجزء الثاني من ديوانه ، وكان قد مضى على صدور الجزء الاول منه اربع سنين . وكتب العقاد مقدمة هذا الجزء ، واثنى فيها على شاعرية شكري ثناء حارا ، وعلى موهبته الفياضة ، وكتب المازني أيضا عدة مقالات في العام نفسه ، نشرها في جريدة عكاظ الاسبوعية ، يوازن فيهابين حافظ وشكري ، ويفضل صديقه شكري على حافظ . ومن اجل ذلك هاجم حافظ المازني ، وعاد المازني يكتب عن أخطاء حافظ الشعرية ...

وفي العام نفسه ــ عام ١٩١٣ ــ أصدر المازني الجزء الاول من ديوانه ،فكتب العقاد كذلك مقدمته ، يرفع فيها من شان الديوان ، ويرحب بظهوره ، وباتجاهه الرومانسي الغالب عليه . وكان هذا الاتجاه ــ الرومانسي ــ ذائعا في الادب المصري آنذاك بتأثير كتابات المنفلوطي ، وذيوع أدب لامرتين وهوجو وغيرهما من شعراء الغرب ، ومن بينهم شعراء البحيرة ، الانجليز وبتأثير مطران وشعره كذلك ...

وفي عام ١٩١٦ ظهر الجزء الاول من ديوان العقاد ، الذي سماه في الطبعات التالية « يقظة الصباح » ، وتميزت قصائده بما كان يسميه العقاد « الوحدة العضوية »

ــ ٢ ــ

واخذ الثلاثة يدعون الى مذهبهم الجديد في الادب والنقد والشعر ، وبدأوا يطعمون شعرهم بالاخيلة والمعاني والصور الغربية ، ويكتبون في وحدة القصيدة وفي التجربة الشعرية ، ويدعون الى الاصالة والصدق في العاطفة والشعور ،والى ظهور شخصية الشاعر الفنية ، واستلهام الشاعر للطبيعة ، وتناوله لشتى المعاني والموضوعات الانسانية ، ويحاربون التقليد وشعر المقلدين وشعر الصنعة والمناسبات الطارئة ،وخرجوا بنظرية جديدة سموها « شعر الوجدان » ،واتخذ شكري شعارا له وضعه على الجزء الاول من ديوانه الذي سماه « ضوء الفجر » هذا البيت من شعره :

ألا يا طائر الفردوس .. ان الشعر وجدان

ومن نظرية الوجدان عند هؤلاء الثلاثة ، انبثقت الدعوة الى أن يكون الشعر تعبيرا عن ذات الشاعر وشخصيته ، وأن يبعد عن المناسبات ، وأن يغلب عليه طابع الالم والانين وحب الطبيعة وتصويرها .

وادخل المازني في تعريف الشعر العاطفة والخيال ، واتجه العقاد الى شعر الفكرة ، واخذ المازني على شوقي وشعراء مدرسته تفكك الوحدة الموضوعية في شعرهم ، فضلا عن اغراقهم في شعر المناسبات ، وفي تقليدهم للقدماء ، وصور ذلك في مقدمة كتابه « شعر حافظ » الذي صدر عام ١٩١٥ ، ونقد فيه حافظا نقدا لاذعا ، ودعا المازني الى الرومانسية في كتابه « الشعر غاياته ووسائطه » الذي صدر عام ١٩١٥ أيضا .



ابراهيم عبد القادر المازني



عبد الرحمن شكري

ويقول المازني من مقال له نشره في جريدة البلاغ عدد اول سبتمبر ١٩٣٤ : كنا زميلين في المعلمين العليا ، وكان شكري ناضجا وكنت نيا ، وكان اديبا شاعرا واسع الاطلاع وكنت جاهلا ضعيف التحصيل ، قليل العقل ، فتناول يدي ، وشد عليها ، وأبت مروءته أن يتركني ضالا حائرا ، أنفق العمر سدى ، وأبعثر في العبث ما لعله كان في نفسي من الاستعداد ، وكنت أقرأ ابن الفارض والبهاء زهيرا ، والحماسة والشريف الرضي ، والبحتري والمعري وابن المعتز وأبا نواس وغيرهم ، وكانت مطالعتي في الانجليزية مقصورة على أمثال ماري كوريلي وغيرها من أضرابها • ففتح عيني على شيكسبير وبيرون ووردزورث وشيلي وميلتون وكوليردج ، وهازلت ، وكارليل ، وماكولي ، ولي هنت ، وجيوته ، وشيللر ، وموليير ، وراسين ، وروسو ، ومئات غيرهم من أعلام الادب الغربي، وصرفني عن المقلدين في أدب كل امة ، واغراني باصحاب المواهب والابتكار ، وصحح لي المقاييس ،واقام الموازين الدقيقة وفتح عيني على الدنيا وما فيها ،وكنت كالاعمى لا انظر ، واذا نظرت لا ارى ، وكان لفرط ادبه يتوخى معي سلوك الند ولا يتعالى تعالي الاستاذ على التلميذ

ويستطرد المازني في مقاله فيقول : ولو أردت أن أتقصى لما فرغت ، فأنا مدين له بكل ما أعان على ما صرت اليه ، أقول ذلك مباهيا شاكرا لفضل الله على أن لم يضيعني ، وأن كتب لي نعمة الاتصال بشكري ، واني لارجع البصر في حياتي ، وأتساءل : ماذا عساي كنت أكون لولاه ، فلا أجد عندي لهذا جوابا ، وأدير عيني في نفسي وأبحث عن نزعة لم يكن هو غارس بذرتها ، اذا لم يكن هو الموحي بها ، فلا إهتدي

***

وفي ٤ من سبتمبر ١٩٣٤كتب العقاد في صحيفة الجهاد يقول: ان صاحبيه هما اللذان غيرا منهجيهما في القراءة ، فالتفتا الى النقد العلمي والفلسفي ، بعد ان كانت قراءاتهما في النقد الادبي المحض على أسلوب ماكولي ومن اليه

وعاد المازني يكتب ويقول : كان شكري اول من اخذ بيدي ، وسدد خطاي ، ودلني على المحجة الواضحة

وكان الجزء الاول من ديوان شكري ، ويوميات العقاد ، بداية التحام المذهب الجديد في الادب ، وغاية الصراع بينه وبين المذهب القديم ، مذهب شوقي وحافظ وأضرابهما ، كما يقول المازني

– ٣ –

والمضمون الشعري عند هؤلاء الرواد الثلاثة لابد أن يتخذ في الشعر الغنائي

الطابع الوجداني ، سواء استمده الشاعر من الطبيعة الخارجية أم من ذات نفسه العاطفية أو الفكرية . والثلاثة يرجعــون الى هازليت ، وماكولي ، وارنولد ، وشاستري في النقد ... وكانت أغلب آراء العقاد النقدية تعود الى آراء وليـام هازليت ومحاضراته عن الشعراء الانجليز . ويشــبهه العقاد كثيرا في عنفـه النقدي ، مع ايثار المذهب النفسي في النقد ، وكان شكري يؤثره كذلك

وخاض الثلاثة معركة الجديد مع شوقي وحافظ والمنفلـوطي ... ثم عادت الايام ففرقت بينهم ، حيث انفصل شكري عن زميليه عام ١٩١٦ ، وهاجـم المازني ورماه بالسرقة من الشعراء الانجليز ، وبخاصة شعراء مجموعة « الـكنز الذهبي » .

وفي عام ٢٠ و ١٩٢١ أصدر العقاد والمازني جزءين من كتاب جديد لهمـا سمياه « الديوان » نقدا فيه شوقيا وحافظا وعبد الرحمن شكري : وباسـم الديوان اطلق على هذه المدرسة : « مدرسة شعراء الديوان »

وهكذا لم تلبث الايام أن فرقت بين هؤلاء الرواد الثلاثة فاخذ المازني ينقـد شكري ، وكتب شكري عام ١٩١٦ في الجزء الخامس من ديوانه ينقد المـازني ، ويعيب عليه سرقاته الشعرية من الشعر الغربي .

وتبادلا النقد على صفحات جريدة النظام ، ونقد شكري المازني والعقاد على صفحات عكاظ في مقالات نشرها عامي ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، ونقد المازني شـكري في كتاب الديوان وسماه « صنم الالاعيب » ، ورماه بالشعوذة والجنون ، ولـم يعد الصفاء بين الشاعرين الا عام ١٩٣٤ ، حيث كتب المازني من جديد ينـوه بشكري ويقر باستاذيته ، وظل طول حياته بعد ذلك وفيا له .

وكان العقاد حين اشتدت الخصومة بين شكري والمازني يعمـل على انهائها ، ولكن شكري واصل حملته على المازني في عكاظ الاسبوعية ، وقد أقحم شـكري العقاد في تلك الخصومة لظنه أن المازني انما كتب ما كتب على الثقة بأن العقـاد من ورائه يؤيده ويعاونه .

وقد هاجم العقاد في « الديوان » شعر شوقي هجوما شديدا ، وعده غير شاعر ويقول : ان الشعر يقاس بمقاييس ثلاثة :

أولها : أن الشعر قيمة انسانية قبل ان يكون قيمة لفظية أو صناعية ،فيحتفظ الشعر بقيمته الكبرى اذا ترجم الى جميع اللغات .

وثانيها : أن الشعر تعبير عن نفس صاحبه ، فالشاعر الذي لا يعبر عن نفسه صانع وليس ذا شخصية أدبية .

وثالثها : أن القصيدة بنية حية وليست أجزاء متناثرة يجمعها الوزن والقافية

وكان شوقي لا ينفك يغري بالعقاد صاحب جريدة عكاظ الشيخ فهيم قنديل، فكان لا يخلو عدد من أعدادها من نقد للعقاد ، أدخل في باب الهجاء منه في باب النقد الادبي

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بان الشعر يجب أن يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر وذاته وحياته الباطنية ، وصادرا عن نفس الشاعر وطبعه ، والشـعر عندهم تغلب عليه النزعة الوجدانية ، بينما تغلب عليه عند مطران ومدرسـته النزعة الوضوعية ، وأساس الحكم بعظمة شاعر عند شعراء الديوان هو ظهور شخصية الشاعر في شعره ، وصدقه في الاحساس والتعبير .

وكان شكري ــ كما قال العقاد ــ من أوائل من دعا الى وحدة القصيدة ،ونظم من الشعر المرسل ، وعدد صور القافية ، وجدد في بحور الشعر ، وألف القصة الشعرية العاطفية والاجتماعية والتاريخية ، ولم يحفل بشعر المناسبات ، وكان من أوائل من مهد لمذاهب النقد الحديثة في الادب العربي ، وسار على المـذهب

النفسى وطبقه فى دراساته للشعراء القدامى والمعاصرين
وفى جريدة السياسة عدد ٥ من ابريل ١٩٣٠ كتب المازنى مقالا بعنوان « التجديد فى الادب » يقول فيه : غبر زمن كان فيه شكرى محور النزاع بين القديم والجديد ، ذلك أنه كان فى طليعة المجددين ، اذا هو لم يكن الطليعة والسابق الى هذا الفضل ، فقد ظهر الجزء الاول من ديوانه وكنا يومئذ طالبين فى المعلمين العليا ، وكانت صلتى به وثيقة ، وكل منا يخلط صاحبه بنفسه ، ولم أكن يومئذ الا مبتدئا على حين كان هو قد انتهى الى مذهب معين فى الادب ، ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه • ومن اللؤم الذى اتجافى بنفسى عنه ان انكر انه أول من أخذ بيدى ، وسدد خطاى ، ودلنى على المحجة الواضحة ، وانه لولا عونه المستمر لكان الارجح ان اظل أتخبط اعواما أخرى ، ولكان من المحتمل جدا أن أضل الطريق

❃❃❃

ويذكر العقاد عام ١٩٥٩ بعض هذه الذكريات فيقول فى مقال له نشر فى « الاخبار » : عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحدا من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعا على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الانجليزية ، وكان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة حسن التخيل ، سريع التمييز بين الوان الكلام •

وكان فى العقاد حدس الشاعر ، ورهافة حسه ، وعمق الفيلسوف ودقة ملاحظة العالم وقدرته على التحليل والتعليل ••• وكان ذهنه اللماح يقطف خلاصة ما عند الشرق والغرب وما فى التراث من جديد ، ويتطلع الى الفكر العالمى والانسانى بكل حواسه ومشاعره ويفيد من كل ما وعته بصيرته ، واهتزت به قريحته وفطرته •

ويذكر العقاد فى كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » أن ثقافة شعراء هذه المدرسة تتناول كل الثقافات العالمية ، عن طريق الادب الانجليزى ، وأنهم استفادوا من النقد الانجليزى ، واتخذوا هازليت رائدا لهم ، وكان مرجعهم الاول كتاب « الكنز الذهبى » الذى كان يحتوى على مختارات من الشعر الانجليزى من شيكسبير الى نهاية القرن العشرين •

وفى عام ١٩٣٤ عاد الصفاء بينهم جميعا وكتب العقاد والمازنى عن شكرى الفصول الطويلة

وفى العاشر من اغسطس ١٩٤٩ توفى المازنى ، وفى الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٨ توفى شكرى ، وفى الثانى عشر من مارس ١٩٦٤ توفى العقاد •• رحمهم الله جميعا •

ولا ننسى أن نقول ان الجزء الثالث من ديوان شكرى « أناشيد الصبا » ظهر عام ١٩١٥ ، اما الرابع والخامس فظهرا عام ١٩١٦ ، والسادس عام ١٩١٨ ، والسابع « أزهار الخريف » عام ١٩١٩ ، وجمع ما نشر له من الشعر بعد عام ١٩١٩ فى الجزء الثامن

وقد طبع لشكرى من كتبه : الثمرات ـ حديث ابليس ـ الاعترافات ، وقد ظهرت جميعا عام ١٩١٦ ـ ثم صدر له الصحائف ، وقصة الحلاق المجنون عام ١٩١٩ بتوقيع ع • ش ـ وكتب المازنى والعقاد كثيرة

ولقد ترك الثلاثة أثرهم واضحا فى الشعر والادب والنقد المعاصر ، وكتبت عنهم مئات الدراسات والمقالات والبحوث ••

رحمهم الله

أحمد رشدى صالح

● عندما تلتقى بأخ كريم مثل احمد رشدى صالح تحس وكأن خلقة منك قد فارقت الحياة : لان الحقيقة هى اننا نعيش فى اصدقائنا ومنهم وبهم . وكان رشدى صالح اكثر من صديق : كان صنو النفس وتوام الروح لا لى وحدى وانما لكل من عرفوه ذلك انه ، الى جانب ملكاته الادبية والصحفية والفنية ، كان انسانا من طراز جديد ، فقد كان انسانا حقا ، كان مصريا صعيديا أصيلا . كانت فيه رصانة الاصل الكريم ، لا تصدر منه الهيبة ابدا ، كنت تقضى معه الساعات فى حديث عذب فلا يقع لسانه فى احد بكلمة تجرح او تسىء ، بل ما كان هذا الشر يخطر بباله ابدا ، لانه كان رجلا مجبولا على الخير اصلا ، لا يكره احدا ولا يسىء الظن فى أحد ، وانما هو يأخذ الناس بأحسن ما فيهم ويدع الباقى . وكنت أكون عنده ويدخل انسان فيلقى اليه بكلام لا ترضى عنه الحشمة فى حق غيره ، فلا يزال ينصحه ويوجهه ، فاذا قبل منه رضيت نفسه وشكره والا تركه لنفسه . أما ان يشاركه فى الاذى فلا .

وهذا هو الذى حبب الى رشدى صالح ، فقد كان يجمعنا اننا تخرجنا معا فى قسم التاريخ ، وكلانا يكتب ويؤرخ ، وكتابه عن ابن خلدون « رجل فى القاهرة » متعة ادبية علمية ، ولقد قرأته وناقشته فيه ، ودار الحديث عن الكتاب فى مجلس ادبى فى الكويت ، فتحدثت باسم رشدى صالح كانى مؤلف الكتاب ، ثم استاذننى احد الجالسين فى اعادة نشر الكتاب ، فقلت له : يا اخى الى هنا وينتهى حقى على اخى رشدى صالح ، والرجل موجود فى آخر ساعة وتستطيع أن تكتب اليه بما تريد ، فما ادرى ان كان قد اعطاه لغيره . وقد كتب اليه واظن انه اعاد نشر الكتاب

***

والتقيت برشدى صالح فى ميدان الفن الشعبى ، وازعم لنفسى اننى من رواده فى مصر ، فقد انشأت لجنة خاصة به فى المجلس الاعلى للفنون والاداب عندما كنت عضوا فيه سنة ١٩٥٦ ، وكونت لجنة داخل المجلس ، وكان فيها بيرم التونسى . و د . عبد الحميد يونس و د . عبد العزيز الاهوانى ، وقررنا انشاء معهد الفولكلور ، واذا برشدى صالح يفوقنا جميعا فى الميدان ، لينصرف الى الادب الشعبى المصرى ، ويقرأ فيه ويطلع ، ويعين مديرا للمعهد فيحسن الانشاء والتنظيم

ويقوم المعهد علما من معالم الفن فى مصر .. ورشدى صالح كعهده دائما يعمل فى هدوء وصبر ، لا تفارق الابتسامة



وجهه ابدا ، ولا تكاد تراه حتى تنفجر ضحكته الطروب الصادرة من القلب ، وكل شيء عند رشدي صالح كان صادرا من القلب ..

●●●

والتقى به في مدريد . اتى سنة ١٩٦٣ رئيسا لفرقة رقص شعبي اعدت برنامجا هو الغاية في الجمال ، واتعاون معه في تدبير الحفلات ، وتقيم الفرقة عرضا في مسرح الفارنويلا وهستنو يعادل مسرح الاوبرا ، ويبهر الناس بما يرون . ورشدي صالح يقود اولاده اعضاء الفرقة في ابوة وحزم وبعد نظر ، واسافر معهم الى قرطبة وغرناطة وقصر راش في غربي اسبانيا

ثم نعود الى مدريد حيث تقيم الفرقة عرضا بديعا في روض البلدية « البارکي سينديكال » في الهواء الطلق ، ويكون النجاح . وتتحدث الصحف ، ورشدي صالح على عهده دائما بسيط ضاحك لا يكاد يتحدث عن نفسه بحرف

ويترك رشدي صالح خدمة الدولة ويتفرغ للصحافة ويتولى رئاسة تحرير آخر ساعة ، ويسير العمل فيها في نظام وتوفيق ، وازوره في مكتبه حينا ونلتقي في مقهى في الجيزة حينا ، فاجد منه نفس الروح الكريم الطيب ، ونفس الغنى الادبي والفني ، ويهديني ما ينشر من اعمال بيرم التونسي وكتابه البديع في الفولكلور .

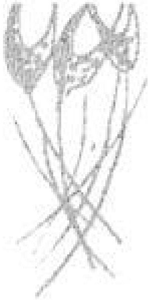
●●●

كان رشدي صالح شخصية فريدة في بابها . بين مؤرخي مصر ومفكري مصر واعلام الصحافة في عالم العرب . كان مؤرخا اديبا فنانا قصاصا روائيا ، وكان الى جانب ذلك انسانا واى انسان

والهلال — مجلة الفكر العربي والمفكرين العرب الذى نشر لرشدي صالح عددا من اجمل مقالاته يشعر انه فقد ركنا من اركان الفكر العربي وعضوا من افراد اسرته ، وهذه الكلمات تحية متواضعة وهي دموع في كلمات تذرفها العين على رجل كان اجمل ما فيه ضحكاته الصادرة من قرارة القلب . ●

د . حسين مؤنس

الطاووس



● جليلة رضا ●

وداعا .. إننى أهـــــوا   كَ فى بُعدى وفى قربى !
وداعا .. رغمَ هـذا النأ   ى ، سوف تعيشُ فى قلبى !
وداعا .. لستُ غاضبـة   فأنت زمانى الأكمـلُ !
وأنتَ اللحـنُ والقيثـا   رُ ، أنت الفيءُ والمنهـل !
أجلْ: أهـواك ، لـكننى   برمتُ بذلك الحـب ..

***

أجل أهـــواكَ لـكننى   أعافُ أكونُ صلصالا
لتصـنعنى كما تصـبُو   على كفيـك تمثـالا !
فلم تبزغْ يـد فجرى ولم تنبت يد غـرسى
ولم أينع من الأغصـان والقبلات والـكاس
فعندى كبرياء الخلـق .. أقـوالا وأفعـالا ..

***

أجل أهـواك لـكنى   أحب كرامتى ... أكثر
أحب البر فى الصحرا   ء لافى الروح والجوهر
وأهـوى ضـحكة الشبا   ك .. لا تقطيبة الكوثر
وأخلعُ كـلَّ أقنعـتى   أمامَ الـكلمة الحلـوة !
وتحت الشمـل لو راعيـ   تَ حقَّ مشاعرى ــ أعبرُ !

***

وداعا سـيّدى المغـرو   ر ! يا طـاووسى الزاهى !
وداعا يا انبهـارَ العيـ   ش .. يا إعجابىَ الواهى !
وداعا حيث لا أحيَـا   لـبى رغبـةَ الآمـر
وحيث البُعد يَحمى الشطء   من طـوفانك الغـامر
فإن الحـبُّ إعطـاء   وأخـذ .. دون إكراه !



البابا لا يصدق عينيه

سيرك تورني هو اكبر سيرك في ايطاليا ، ان مركزه روما ولكنه يقوم بجولات في نواحي ايطاليا ، ومن جولاته زيارة اسبوعية لمدينة الفاتيكان ، وهي جزء من روما كما هو معروف

ووجه السيرك دعوة الى البابا ليشاهد بعض عروضه ، والبابا يوحنا بولس الثاني رجل واسع الذهن قريب من الناس متصل بالجماهير ، فلم يشأ ان يرفض دعوة السيرك .

وامامه قامت المرأة الثعبان بحركاتها التي لا تصدق ، فهذه امرأة وكأن جسدها بلا عظام ، حتى تتلوى وتتحوى في اشكال لا تخطر على البال

وفي مجلسه الوقور جلس البابا يتامل هذه العجيبة وهو لا يصدق عينيه . .

الكلاب أحسن أحيانا



تخطت بريجيت باردو سن الاربعين

وعلى عتبات الاربعين تركت الجنون واللعب والعبث والسينما والجري مع الرجال

ولى شمعتها فريمان ترويز تعيش اليوم من ارباح مبالغها الكثيرة في المصارف ..

وبدلا من الرجال والنساء اشترت ١٥٠ كلبة من النسل والضخم الانواع . وهذه الكلاب تعيش معها ليل نهار ، تحلق حولها اذا جلست تقرأ وتخرج معها للنزهة في السيارة او على الاقدام او في القارب .

وبريجيت تقول : مع هؤلاء الاصدقاء لا تخشى المرأة شيئا ، انهم يحبونك ويطيعون لك ويحرسونك

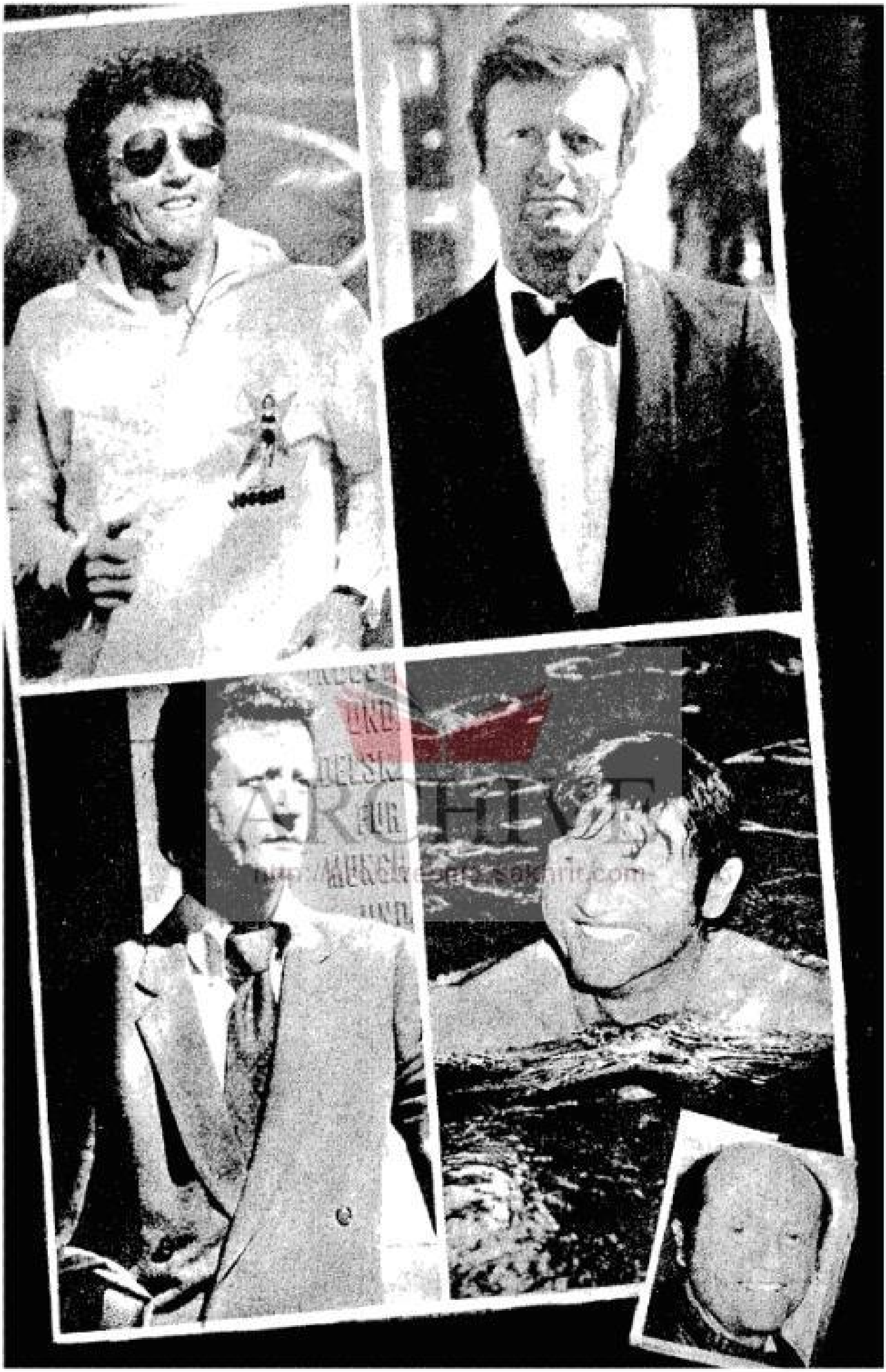
الوجه واحد..

والأشكال متعددة

لم يصبح الصلع مشكلة

لقد حلت « باروكات » الشعر المستعار تلك المشكلة، وابتكرت المصانع منها اشكالا شتى ، وبعضها لاتحس بها وهي ملصقة فى راسك ، بل تستطيع ان تنزل الماء ببعضها دون ان تخشى ان يخلعها الماء

وفى هذه الصور ترى رجلا اصلع اتخذ لنفسه مجموعة من باروكات الشعر المستعار ، يلبس كلا منها فى مناسبة ، فاصبح بذلك احسن ممن عندهم شعر طبيعى ، لان هؤلاء لهم شكل واحد ، وهذا يستطيع ان يصنع لنفسه اى شكل يريد .





والصغير أيضًا له همومه

سار الاب مع صديق له يتناقشان في مشكلة عويصة. وضعا ايديهما خلف ظهريهما ومضيا يتحدثان على مهل، وهيئتهما تدل على انشغال بال واستغراق في الفكر بعمق

وخلف الاب سار الابن، وهو طفل في السادسة، وشبك هو الآخر يديه خلف ظهره وسار في تؤدة يفكر في عمق واستغراق ..



وبه تحلو الحياة ..

● روحية القليني ●

عادَ للقلبِ الذي مازال يحييهِ هَواه
بعد ما أضناهُ بُعدي ، بعد أن ضلَّ وتاه
عاد يسترحم قلبي شارحا صدقَ جَواه
قائلا لي سامحي الماضي .. كفَى قلبي كفاه
واتركي الوهمَ فقلبي لك لا يَخبو لظاه
عالمي أنتِ وما في عالمي حبٌ سواه
فهَمَى دمعي على الخدين لم تنطق شفاه
فلكم حاولتُ أن أنسى فناداني هواه
ولكم حاولتُ أن أجفو فشدتني يداه
وجفوني ترجمتْ بالسحر ما ليلي جناه
لم أُذِعْ سرًا إذا ما قلت حبك لي حياه !
كل نبض في كياني قال بعد الآن ... آه !
إننا كنا ومازلنا على رغم الوشاه
أصدقَ اثنين أحبا ، عنهما يحكي الرواه
غيمة جاءتْ وراحَت ، ثم وافاني صفاه
عاد للمرفأ آمنا ، بعدَ أن ضلتْ خطاه
عاد للمطر الذي مافاته يوما شذاه
عادَ للنبع الذي من صفوه يوما رواه
عاد لي في بسمة الفجر الذي يحلو رؤاه
عادَ لي في لهفةٍ للأشواق ، ما أحلى لقاه
عادَ كالعصفور شدوا ، تسمع الدنيا لغاه
عاد للعش الذي كمْ شارك الدفء نداه
نادما ، عاد كطفل ، دمعتاه شاهداه
من حنين وحنان في ارتعاش عانقاه
ويدي بالشوق رفتْ فاحتوتها راحتاه
آه ، ما أحلى لقاه ... فبهِ تحلو الحياه

المحاكمة

لقاء وحوار

مع رشاد رشدى

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

الزمان : وقت الظهيرة .. فى يوم حار .

المكان : شقة فى الدور التاسع تطل على النيل ، كل ما فى المكان ينم من ذوق رفيع لفنان كبير ، ثلاث من القطط السيامية تتكور على احد المقاعد الدكتور يتطلع فى اعجاب وحب لصورة الكاتب الروسى انطون تشيكوف .. علاقة اعجاب تجاوزت الان ما يزيد على نصف قرن من الزمان ..

البصمات : للدكتور رشاد رشدى بصمات واضحة المعالم فى مجالات متعددة. ناقدا ومؤلفا . واستاذا للادب الانجليزى . ورئيسا لاكاديمية الفنون .. آراؤه فى مجالات النقد لا تقل اهمية فيما تثيره من ردود افعال عما تثيره مسرحياته من اخذ ورد .. تبادل كثيرا من « اللكمات » الادبية والفنية مع كبار الكتاب . آخرها مع الاستاذ توفيق الحكيم ، عندما قال « انه — رشاد — ولا توفيق الحكيم ولا نجيب محفوظ يستحقون جائزة نوبل » .

● انت تقول بان الفن ومن ثم الادب شىء مستقل بذاته . لا صلة له بالواقع بل علينا أن نكتبه ونفسره .

●● واجاب الدكتور رشاد رشدى :

الفن عندى ليس محاكاة للواقع او صورة فوتوغرافية له . وان كان يعتمد الى حد كبير على الحياة والواقع .. الفن عندما يخلق يجب ان يكون شيئا مستقلا بذاته . بحيث انه لا يفسر من ناحية التاريخ والحياة والمعنى الاخلاقى الذى يتضمنه .

الفن عندى مثل الكائن الحى . هو كما هو . وهذه نظرة النقد الحديث الى العمل الفنى فكلما كان العمل الفنى مجهول البيئة او حتى الهوية ، كان افضل .. فقراءة الشكسبيريات لاتعنى قراءة تاريخية لعصر الملكة « اليزابيث » وانما قراءة العمل الفنى فى حد ذاته . بمعنى صلاحيته للزمن الحالى والمكان . والذى يحكمنا فى ذلك كما قال ارسطو وافلاطون هو عنصر الجمال .. باعتباره المعيار الاول والاخير فى الحكم على العمل الفنى او الادبى ..

● ما وظيفة الفن الان ؟!

● وظيفة الفن كما نادى ارسطو.



هى التطهير الداخلى للنفس البشرية. أوكما نادى الناقد الانجليزى الاصل « ا . ريتشارد » ـ هاجر الى امريكا واحتفظ بجنسيته الانجليزية ـ بان الوظيفة الاساسية للفن احداث انسجام فى المشاعر البشرية وهو لايمكن ان يؤدى هذه الوظيفة .. الا اذا كان جميلا ..

● احد الذين تأثرت بهم هو الاديب الروسى « انطون تشيكوف » ما مدى هذا التأثر وما مساحة علاقة التأثير فى اعمالك الادبية ؟!

● تأثرت به فى سن مبكرة وانا فى سن الخامسة عشرة . فضلته بطريقة طبيعية من غير تفكير ـ عن غيره من الكتاب . كان يعطينى احساسا جميلا عندما يرى خلال الامور العادية للحياة ما لا يراه غيره ويخلق منها اشياء جديدة .

● ما أوجه الشبه والاختلاف بينك وبينه ؟!

● عندما اقارن بينى وبين تشيكوف ، وانظر الى اعماله بكل حب واحترام والى اعمالى بكل تواضع اجد انى متأثر به فى المزاج العام ..

فانا لا اميل للعنف . على عكس «تنسى وليامز» مثلا . لكن هناك اختلافا فى التفاصيل بينى وبين « تشيكوف » .

« تشيكوف » كان يبنى مسرحياته كما نقول فى الموسيقى تنويعات على نغم معين ، تنويعات رقيقة جدا ومتقاربة جدا. مثلا مسرحية « النورس او طائر البحر » مبنية على اربع تنويعات من الحب .

انا افعل نفس الشىء . ففى مسرحيتى « نور الظلام » مثلا التنويعة الاساسية وجود الجديد والقديم معا والصراع بينهما .. كذلك عندى تنويعات تتناول الحب وبعضها لا يتناوله .

● هل انت تقلده ؟!

● انا اكره ان اقلد «تشيكوف» لكن انا متأثر به .. فعندما اشعر بالضيق اهرب اليه لاقراه مئات المرات .

ان التى تأثرت به جدا لدرجة التقليد .. الكاتبة الانجليزية « كاترين مانسفيلد » .

● عطا الفندى والتاكسى ●

● انت تردد دائما قول ارسطو ان الطريق الى العالمية يبدأ بالمحلية وان الادب يصور ما يمكن ان يكون

والتاريخ يصور ما كان فقط . هل طبقت هذا في كتاباتك . وما هي اعمالك التي ترقى الى العالمية ؟!

● اعتقد الى حد كبير ، فلقد وجدت متعمدا أو غير متعمد .

لان الخلق الفني والابداع الفني يعتمد على اللاوعي اكثر مما يعتمد على العقل الواعي – مبتعدا عما هو محلي أو ما هو وقتي .. فمثلا حكاية عطا افندي والتاكسي التي كتبتها ، قصة تمثل القوة . وتحقيق ذات الانسان من طريق القوة قد يؤدي به الى هوس القوة وجنونها وعظمتها وبالتالي الى الهلاك . وهي تنطبق على اى حال واى انسان واى مكان .. وهو ما يمكن أن يحدث .. ولا يجب أن يفهم من قول ارسطو انه يدعو للتنبؤ ، وانما الى امكانية حدوث الشيء في اى زمان ومكان .

● **هل ترقى هذه الحكاية الى العالمية ؟ وما هي اعمالك الاخرى ؟ .**

● اعتقد . وانا لست صاحب الراى وانما الراى للنقاد . مثلا « رحلة خارج السور » ترجمت واجريت عليها ابحاث . وهم يقولون انها ترقى الى العالمية .

● **هل الترجمة مقياس لعالمية الادب او انه كما تقول .. نوع من التعرف على طبيعة الشعوب ؟!**

● انا لا اعتبر الترجمة مقياسا لعالمية العمل الفني .. وهو قد يترجم لغرض أو لآخر . ولقد قلت أن بعض النقاد او الباحثين يرون انها ترقى للعالمية – ولقد ترجمت لي اعمال كثيرة ولا اعتبر نفسي عالميا . ولا الوم الكتاب المصريين ، فبعض الاعمال عند بعض الكتاب هي عالمية او تصلح لان تكون عالمية . والخطأ عند الذين يقومون بالترجمة لانهم يترجموننا لكى يتعرفوا علينا .. ولقد تكلمت مع كثيرين منهم .. وقلت لهم اننا نكتب أدبا حديثا مثل الذى عندكم بل ويفوقه .

● **شو ليس كاتبا ●**

● **اثرت قضية في مجالات نقدك .. وهي الا يكون الكاتب ملتزما بايديولوجية معينة . حتى لا يصبح بوقا للدعاية لها . كيف يتحقق ذلك عمليا؟**

● لا اعنى بذلك فصل الكاتب عن فكره وانما فصله من فكر غيره .. فالمشاعر والفكر شيء واحد . فـاذا كان ملتزما بالوجودية مثلا فيجب الا يكون داعيا لها . لان الوجودية ليست من صنعه وانما من صنع غيره .. وانا لم اتأثر بتشيكوف فكرا وكان تشيكوف يقول في كتاباته « انا ليس لي فكر . انا فنان فقط » .

● **لو اخذنا برنارد شو كمثل لنا .. وهو اشتراكي فابي . كيف يمكن تطبيق هذا الكلام عليه ؟**

● برنارد شو تلقى الفابية ، واصبح بوقا للدعاية لها .. وهو بالمقاييس الفنية لا يعتبر كاتبا . ولقد كان يصر على كونه صحفيا . ولا يعتبر من رواد المسرح . لانه انتهى بسرعة وكذلك انتهت اعماله . فلو عرض له عمل مسرحي كما كتبه هو لن يذهب اليه احد ولن يشاهده انسان .

لكن شكسبير . لايزال حيا ولا تزال اعماله كذلك . لانه لم يكن ملتزما بفكر غيره وانما كان فنانا والفن يعيش ..

وعلى الانسان ان يتحرر من ارتباطه باى ايديولوجية ، لكن لا يتخلى من فكره .. لان الفكر جزء من تكوينه .. لان اى ايديولوجية تصبح جزءا من كيانه . وكان شو يعترف بانه بوق للاشتراكية الفابية . ومكسيم جوركى كان داعية للماركسية ..

● **عندما يكون شكسبير ديمومة ●**

● **طالبت مرارا ان يهرب الانسان من ذاته عندما يكتب والا يكون اسير**

هذه الذات لكى يعبر عن الحقيقة ، عن الواقع ، ومن ثم يعبر عن الانسان فى كل مكان وزمان .. كيف يهرب الكاتب من ذاته ؟!

● الهروب من الذات مهم جدا لكى تتسنى عملية الخلق . ويصبح الشيء الذى يخلقه او يحاول خلقه .. او هو الاندماج الى درجة التلاشى فى الشخصية التى يخلقها لدرجة الفناء .

ففى صفحة واحدة من مسرحية « عطيل » لشكسبير يكون هناك حوار على لسان « عطيل » مرة وعلى لسان « اياجو » مرة أخرى ومرة ثالثة على لسان « ديدمونة » . ففى كل مرة يجعل فيها شكسبير « اياجو » يتكلم يكون مختلفا عن شخصية « عطيل » و « ديدمونة » عندما تتكلم تتكلم كامراة لها وضعها وشخصيتها المعينة فى الرواية . لكى يفعل « شكسبير » هذا لابد أن يهرب من ذاته ويندمج فى الشخصية التى يكتب عنها . فيكون « ديدمونة » مرة و « اياجو » مرة ثانية . و « عطيل » مرة ثالثة .. ولو لم يهرب من ذاته لعبر عن نفسه فقط ولما أصبح كاتبا مبدعا ..

● **ادب الحدوتة** ●

● **اذا كان أدب الحدوتة سيظل محليا كما تقول . فما هو تصورك لشكل الادب الذى يصبح عالميا ؟!**

● ان نخرج عن الحدوتة الى ما وراء الحدوتة . بمعنى الا تصبح الحدوتة فى حد ذاتها هى ما يهم وانما الى جانب ذلك ما ترمز اليه الحدوتة . وانا من انصار الرمز .. لان الرمز هو المنفذ الوحيد للادب لكى يصبح عالميا .

● **لا يوجد ما يستحق النقد** ●

● **اختفاء النقاد من الساحة الادبية . هل سببه انه لا يوجد ما يستحق النقد ؟! وبالتالى انصراف الناس عن القراءة سببه انه لا يوجد ما يستحق القراءة ؟!**

● فعلا لا يوجد ما يستحق النقد ... ففى الخمس عشرة سنة الماضية لم يظهر فى مصر أكثر من سبعة أعمال تقريبا تستحق النقد .. اما اسباب انصراف الناس عن القراءة فهى عديدة منها مثلا ان الناس لم تتعلم حب القراءة ومرد ذلك الى التعليم فى حد ذاته الذى اثبت فشله فى هذا المجال .. ثم ارتفاع سعر الكتاب .. كما انه لا يوجد ما يجذب الناس لقراءته وان كان التراث مليئا باشياء جميلة ولا اعنى بهذا تراث ابن الرومى مثلا ولكن على الاقل التراث القريب مثل تراث المازنى ..

● **التلاشى فيمن نحب** ●

● **انت تتغنى دائما بالحب . فما مفهومك للحب الخاص والعام وما دور المراة فى أدبك ؟!**

● مفهومى للحب بمعناه العام والخاص ان اودع ذاتى فيمن أحب فاذا أسعدت من احب كنت سعيدا واذا اشقيته كنت .. شقيا .

.. وللمراة دور كبير فى حياتى الادبية .. وانا أرى أن المراة المصرية اكثر تقدما ونضجا من الرجل المصرى بما يقرب من مائة عام .

وسبب هذا المفهوم انى التقيت بمجموعة كبيرة من النساء ابتداء من أمى ، أعطيننى هذا الاحساس بجلال المراة وقدرتها على ان تكون نبعا فى الحياة لا مثيل له . وبعتبر هذا الى حد كبير من مصادر الهامى .

● **ابسن ابتدا واقعيا** ●

● **من آرائك النقدية يتضح انك تهاجم المدرسة الواقعية فالى اى مدرسة ينتمى الدكتور رشاد رشدى ؟.**

● **المدرسة الرمزية . ولقد التقطنا الخيط عندما تركه من يده « ابسن » وان كان هو قد ابتدا واقعيا ثم تحول بعد ذلك الى الرمزية .. وبكل تواضع انا اعتبر من روادها .**

على مائدة رمضان

طبق الفول

في اللغة، والأدب، والطب، والتاريخ

● محمد شوقي امين ●

١ ـ لطبق الفول في شهر «رمضان» صيت يعلو على صيته في كل آن ..

ان « الفول » هو الطعام السائغ الشهي ، وهو الغذاء المستجاد القوي في الفطور وفي السحور على السواء ، يتصدر موائد الصوام على اختلاف طبقاتهم وتفاوت حظوظهم من الغنى واليسار ومن الاقلال والكفاف .

والناس يتأنقون في اعداده ، ويتفننون في تجويده ، على انحاء شتى ، وكثيرا مايخلطونه بضروب من الاطعمة، ليكون مزاجا للون لآخر من الوان الطعام ، شهي المذاق .

٢ ـ ربما حسبت ـ كما كنا نحسب ـ ان اباحة الفول في شهر « رمضان » عادة مستحدثة ، وعرف جديد، ولكن التاريخ الادبي ـ وهو شاهد عدل ـ يسجل لنا أن شهرة الفول الرمضاني ترجع الى نحو الف من السنين ، أو تزيد .

كان هذا الفول معروفا باسم « الباقلاء » بتخفيف اللام مع المد ، أو « الباقلى » بتشديد اللام ، مع القصر.

وقد اثبت لنا « الباخرزي » في موسوعته الادبية « دمية القصر » هذين البيتين منسوبين الى « ابي العباس الغوزالي » من شعراء القرن الرابع الهجري ، يودع بهما « رمضان » . قال ـ سامحه الله :

اقول لشهر الصوم لما قضيته
عليك سلام الله بوركت راحلا
وقد كنت من «سحبان» افصح لهجة
فصيرني بالباقلاء « باقلا »

والشاعر يعني في بيته الثاني ان متابعته اكل الفول في شهر «رمضان» صيرته مثل « باقل » الذي يضربون المثل به في العي والعجز من الكلام ، على حين كان قبل ذلك يعلو على «سحبان» الذي تضرب بفصاحته الامثال .

وهكذا تتجلى في مرآة الشعر المأثور ظواهر العادات ودقائق الشئون التي تسود المجتمع ، فمن هذين البيتين نعرف كيف كان الفول طعام الصائمين المختار منذ عهد بعيد جد بعيد ، وكيف كان الاقدمون يرون اثره في الافهام .

٣ ـ والطريف ان هذه التهمة التي يلحقها الشاعر بالفول ، مابرحت تحيا بين الناس الى عصرنا المشهود، فالشائع حتى اليوم ان هذا الفول يكسر حدة العقل ، ويطفيء جذوة الفطنة ، والناس في هذا مثل مضروب .

ويبدو أن هذه التهمة لم تكن وهما من

اوهام العامة فى القديم او الحديث وانما كان لها سند من الطب منذ العصور الغوابر ، فان « ابن قتيبة » وهو بين القرن الثانى والثالث من التاريخ الهجرى ـ يثبت فى كتابه «عيون الاخبار » أن رجلا من قدامى الأطباء يقول : ان الفول اذا ادمن اكل البصر، واحال الأحلام اضغاثا ، ولا يجد عابر الرؤيا الى تأويلها سبيلا .

وكذلك ينقل « ابن عبد ربه » ـ وهو من أهل القرن الثالث الهجرى ـ فى كتابه « العقد الفريد » ان الفول من الاطعمة الغليظة ، لان اليبس فى طبيعته ، وهو يولد كيموسا غليظا . ولفظ « الكيموس » أسم للطعام اذا انهضم فى المعدة قبل ان ينصرف عنها ، ويصير دما .

وبعد ذلك يوضح الحكيم الفيلسوف « ابن رشد » ـ وهو من أهل القرن السادس الهجرى ـ فى كتابه « الكليات » أثر الفول ، فيقول : أن خاصته الاضرار بالفكر ، وأن من تمادى عليه لا يرى رؤيا صادقة .

ويزيد على ذلك « ابن الجوزى » ـ وهو من اهل القرن السادس الهجرى أيضا ـ فى كتابه « صيد الخاطر » ، ان من يأكل الفول تحدث له قراقر ، وهى فى اللغة جمع قرقرة ، وهى صوت البطن ، او صوت الأمعاء ، وقرقر : أحدث صوتا ، ومن ذلك قولهم : فلما وجد ريح الشواء قرقر بطنه !

٤ ـ ولا ريب فى أن علة تخلد الفول فى شهر « رمضان » هى انه طعام قوى ، وكان ذلك معروفا أيضا عند السالفين من الاطباء ، فان صاحب « العقد الفريد » يقول : « كل ما غلظ من الاطعمة اذا انهضم غذى غذاء كثيرا» وقد سبق لنا فيما نقلناه عنه انه يعد الفول من الاطعمة الغلاظ .

ولعل القارىء لاحظ أن « ابن عبد ربه » يفرق فى تعبيره بين الطعام والغذاء ولهذا التفريق توجيه طبى اشار اليه من الاطباء المعاصرين الدكتور « سليمان عزمى » فى كتابه « على هامش الطب » فقال : « يجب شرح الفرق بين لفظ الغذاء او الطعام ولفظ التغذية : فلفظ غذاء او طعام هو ما يتناوله المرء من المواد الغذائية ، ولفظ تغذية هو ما يستفيده المرء مما يأكل » . والحق انه لا فرق بين الغذاء والتغذية فى المعنى ، كما لا فرق بين الطعام والاطعام ، ولكن الفرق هو ما بين الطعام والغذاء ، فكل غذاء طعام ، وليس كل طعام غذاء . وذلك ما يقصده الدكتور « سليمان عزمى » عليه رحمة الله ، وما المع اليه صاحب « العقد الفريد » قبل الف من السنين .

٥ ـ وعلى اية حال ، يخلص لنا من هذا الذى سقناه ان الفول قديم فى كل ما يتعلق به :

- فى اعتقاد الناس انه على المعدة ثقيل .
- فى اتهامهم اياه بانه يطمس الفهم .
- فى اعتبارهم اياه انه من الاغذية القوية .
- فى اتخاذهم له اساسا للطعام على مائدة « رمضان » .

٦ ـ ومنذ زمن طويل تعرض للفول طبيب معاصر ، اتخذ له اسم « الدكتور ابقراط » ـ وهو فيما ارجح الدكتور « سعيد عبده » ـ فتطوع للدفاع عن هذا اللون من الطعام ، معلنا انهم « خدعونا فقالوا : ان اكل الفول يتلف العقول » . وهو يرى ان الفول طعام نفيس ، لان المادة البروتينية فيه لها الصدارة ، وهى تسهم فى بناء خلايا الانسان ، فضلا عما يحتوى الفول من الفيتامينات الوافية . ولا يمكن ان يكون الفول مع هذا كله الا خيرا وبركة على العقول ، فان العقل ليس الا مجموعة من المناشط قوامها اجزاء من المخ ، وليس المخ الا عضوا يجلوه الطعام الكامل الوافى ، فلا فرق عنده بين طعام وطعام الا بمقدار غنائه .

- واخيرا حسب الفول بعامة ، بل حسب الفول الرمضانى بخاصة ، انه طعام مجيد ، وانه عريق الثبت فى نسب العصور !

لكل شهر عربي قصة :

شَهرُ رَمَضَان

● مصطفى الشهابي ●

رمضان هو الشهر التاسع في ترتيب الشهور الهجرية ، وهو اسم شهر الصوم ، وقد سمي بهذا الاسم لأن العرب لما نقلوا اسماء الشهور من لغتهم القديمة الى لغتهم الجديدة ، سموها يومئذ بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق شهر ((ناتق)) احد اسماء الشهور القديمة والذى يقابل رمضان في الوضع الجديد ، انه كان في زمن الرمض والحر ، ومن ثم سمي ((رمضان)) ..

وقال بعض اللغويين ان منشأ تسميته باسم « رمضان » من رمض الصائم ، اى اشتداد حرارة جوفه ، أو لأن رمضان من شانه أن يرمض الذنوب اى يحرقها .

ولرمضان اسماء كثيرة انهوها الى ستين اسما واشهرها :

شهر الله ، وشهر القرآن ، وشهر النجاة ، وشهر الآلاء ... ويقول ابو جعفر الرؤاسي المتوفى سنة ١٩٠ هـ ، وكان استاذا للكسائي والفراء : «بلغني أنه اسم من أسماء الله جل وعز » .

وكان شهر رمضان معظما في الجاهلية عند كثير من قبائل قريش وخاصة الحنفاء ، بينما كانت مضر تعظم رجبا لانه شهر حرام ..

ويروى اهل السير ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتحنث شهرا من كل سنة في غار حراء ، وان ذلك الشهر كان شهر رمضان .

● رمضان شهر الأديان ●

ومما يذكر من فضل رمضان ان صحف ابراهيم انزلت اول ليلة من رمضان ، والتوراة لست مضين منه ، والانجيل لثلاث عشرة .

وفي رمضان اكتملت رسالات السماء يوم نزل جبريل عليه السلام ، على خاتم الانبياء وسيد المرسلين يهديه الى سبيل الواحد الأحد ، مؤكدا للناس ان الاسلام هو كلمة الله الأخيرة والنظام الكامل الذى ينظم شئون الدنيا والدين ..

● استقبال الرسول لرمضان ●

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستقبل هلال رمضان بهذا الدعاء ، ((اللهم اهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير))

كان فرض الصوم على الأمة الاسلامية في الثاني من شعبان من العام الثاني للهجرة ، اى ان اول رمضان صامه المسلمون توافق بدايته يوم ٢٦ من فبراير سنة ٦٢٤ . وفرض الصوم في رمضان ثابت بالكتاب والسنة ، فهو أحد اركان الاسلام الخمسة .

وقد شرع الصوم في الاسلام كما شرع في الأمم السابقة ، يؤيد ذلك قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » .

ورمضان هو الشهر الوحيد من شهور السنة الهجرية الذى يتسم بالاشتراكية الاسلامية السمحة ، فما شرع الصيام فيه الا ليشعر الصائم فيه بآلام الجوع والعطش ، ومن ثم يكون عطف الأغنياء على المحرومين من اخوانهم في الاسلام وفي الوطن والانسانية .

ولا يعرف شهر من الشهور وصف بالكريم والمبارك غير رمضان ، لما يبذله

القادرون من كرم وعطاء للمحتاجين ، فتحل بالآخرين بركته ، ويتوج المسلم الحق كرمه فى رمضان بالزكاة ، فهى طهر للصائم ومشاركة صادقة للنفس المؤمنة التى تعنى بالانفاق والجود بعد اتمام صوم رمضان .

ومن ابلغ ما كتب عن الصوم ، ماكتبه المغفور له أحمد شوقى ، امير الشعراء، فى كتابه « أسواق الذهب » عن الصوم، يقول :

« حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع . لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ، يستثير الشفقة ويحض على الصدقة . يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، حتى اذا جاع من الف الشبع ، وحرم المترف اسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع، والجوع كيف الله اذا لدغ »

● الاحتفال بشهر رمضان ●

وتكريما للشهر الذى بورك ببدء نزول القرآن فيه، احتفل المسلمون به وبصيامه حتى أصبح موسما سنويا ، وصارت لياليه أعظم ليالى العام بهجة وانسا واكثرها عبادة واجملها زينة وازهرها حركة ..

وقد حفظ التاريخ للفاطميين حفاوتهم بشهر رمضان ، حفاوة فاقت غيرهم من دول الاسلام ، وذلك لسببين :

١ ــ ان وصول المعز لدين الله للقاهرة كان فى الخامس من رمضان سنة ٣٦٢.

٢ ــ انهم اتخذوا من ايامه ولياليه دعاية ووسيلة لجمع القلوب حولهم بما ابتدعوه من عادات ومسرات وما كانوا يبذلونه فى اطعام الفقراء فى ليالى رمضان ، كما كان الخليفة والوزراء ورجال الجيش يشتركون فى السهر مع ابناء الشعب بالمساجد والقصور لسماع آى الذكر الحكيم واشعار المديح فى الرسول الكريم .

ومن التقاليد والعادات المأثورة عن الفاطميين موكب لرؤية هلال رمضان الذى يجرى مساء اليوم الذى يتوقع الصوم فى غده ، وكان ذلك الموكب يسير فى القاهرة وفى المدن الكبرى . وفى القاهرة كان يتقدمه قاضى القضاة ونقباء واصحاب الحرف المختلفة ، ومعهم الاعلام والطبول والدفوف . فاذا ما ثبتت رؤية الهلال ، طافت جماعات المنادين وهى تهتف : « يا امة خير الانام ، غدا صيام ، صيام» اما اذا لم تثبت رؤية الهلال فان النداء يكون : « يا امة خير الانام ، غدا افطار ولا صيام » او « غدا من شعبان يا امة القرآن »

ولا يزال هذا الموكب يجرى فى القاهرة وفى اغلب المدن المصرية بصورة لا تختلف كثيرا عن الماضى ، فاذا ما ثبتت الرؤية، اعلن المفتى ذلك فى سرادق يقام لهذا الغرض ، وجرت العادة ان يكون التحقق من الرؤية عن طريق شهود يستطلعون الهلال من اماكن معينة منها مرصد حلوان . وتنار مآذن المساجد نور الاعلان الذى يذاع على مختلف الموجات ، كما تطلق المدافع بعد صلاة العشاء ، ويقوم المفتى بنفس الاجراءات السابقة فى رؤية هلال العيد او هلال شعبان .

ويقترن تاريخ الأزهر بشهر رمضان فى مناسبات عدة ، منها أن جوهر الصقلى شرع فى بنائه فى ١٤ من رمضان سنة ٣٥٩ وأقيمت به أول صلاة يوم الجمعة ٦ من رمضان سنة ٣٦١ .

● بعض مظاهر رمضان ●

ولرمضان مظاهر خاصة به فى كل بلد اسلامى ، واهمها فى مصر المسحراتى الذى يطوف ليلا لايقاظ النائمين لتناول طعام السحور ، مستعملا طبلته ومنشدا بعض الاناشيد اللطيفة . واذا كان المسحراتى قد فقد اهميته فى المدن الكبرى فهو لا يزال فى القرى الوسيلة الاساسية فى الاستيقاظ للسحور .

ومنها فوانيس الأطفال التى يطوفون بها فى ليالى رمضان ومنها كذلك تلك الأطعمة الخاصة برمضان وفى مقدمتها الفول المدمس والزبادى وقمر الدين ، هذا عدا الكنافة والقطايف والياميش .

وجرت العادة فى القاهرة وكبرى المدن على اطلاق المدافع عند الافطار وعند الامساك ، وفى ايام عيد الفطر ، والمدفع الذى يسمع من محطة الاذاعة او يرى ويسمع فى التليفزيون ، يطلق فى القلعة.

صديق

● عبد العليم القبانى ●



كالقفر في انتفاضة المشوق   يستقبل الربيع
كذلك التقيت يا صديقي   بسمتك البديع
أتيت والشباب في لهاثي   كهولة تموت
تلفني ، تلف أمنياتي   خيوط عنكبوت
فلم تزل تفيض من حنان   وتلمس الجراح
وتبعث الحياة في أغان   ندية الجناح
حتى رأيت الروض في اشتهاء   يفوح بالعبير
والحقل إذ يجود في انتشاء   بتبره الوفير
وكان أنا جائما حقودا   في صدري الشقي
رأيته ... وقد مضى بعيدا   إلى مدى قصى
رأيته يمزق الإهابا   على ذرى السحاب
ثم انمحى في رعشة وذابا   كما إنمحى ضباب
صديقي الحبيب يا صديقي   يا فجري الجميل
أسعدتني ، أنرت لي طريقي   بحبك النبيل
جعلتني أحس .. بالأماني   في كل ما أراه
بنشوة الوجود في كياني   بنعمة الإله

المثل الرفيع

● محمد برهام ●

أنا سَوف أغنفل عن عيو
نك حين أطرى فى جمالِك
فلقد تكون عيـــون تا
سٍ فى حَلاوتها كذلكْ
سلِمتْ عيـــونك إنمّا
فى خاطِرى شئ هنَـــالك
يا ربّتى ، المثلُ الرفيـــعْ
لدىّ يَتَنبْعُ من خــلالكْ !
من خلقِك اعتلْ النسيمْ
ولا أرحّبُ باعتــلالكْ !
ولقد تبـدّى فى عطـــو
رِ الروض بعض من خِـلالك
ما لمسة لســـعادة
الا وقد خطـــرتْ ببــالكْ
وتقــدمين لىَ الهَـــدا
يا ، أى ذوق فى خيــالك !
إن غِبتْ كـــانت غيْبتى
عن ناظرٍ فوقَ احتمَــالكْ
وإذا قدِمتْ فرهنُ صَدر
كِ ، أو يمينك أو شمالكْ
وإذا تبادلْنـــا الحـــديث
ملَكْتنى ، ياخيْر مَــالك !
يا دوحَة من جنّـــــة
إنى أعيشُ على ظِــلالك
يا دعـــوة وتحققــتْ
أنا مِن دعَــائك وابتِهالك
إن باعدتْ يَومـــا النوى
لا تحرمينى مِن سُــؤالكْ
ما للهِلال سِـــوى السَّما
ء ، فلا تغيبى عن هِــلالكْ !

الاتصال بالجن قديماً وحديثاً

● عبد المنعم الجناوى ●

لو لم يكن الانسان ضعيفا .. ولو انه كان لا يقف أمام ما يعرض له من شئون الحياة وقفة بلهاء .. ؟ يأكله القلق .. تبطش به الحيرة .. يوشك ان يقضى عليه القهر – لولا ذلك ما فكر على الاطلاق فى « الجن » ، ولا الاستعانة « بالسحر » ! .. فالاصل فى كل هذا هو حاجته الى معجزة تخرجه من حيرته ، وتقف بجانبه حينما يواجه القهر ، ويفاجأ باحداث ليس فى استطاعته فهمها أو اجتيازها او الكشف عن أصولها ! ..

وأول الأحداث التى كانت ومازالت تشعره بالعجز والتفاهة : – هو المرض .. المرض الذى يفزعه ، ويروعه لانه يسلمه الى الموت ، ذلك اللغز الذى يخلع فؤاده ، يؤرقه ويشل تفكيره ... لانه لا يعرف لماذا يموت ؟ ولا كيف يموت ابنه ، مثلا ، فيكف عن ممارسة الحياة فجأة ، وهو بكامل اعضاء جسده ، ليس ذلك فحسب – بل انه يتحول الى جيفة بعد قليل !

من هذا الموقف المفزع ؛ راح الانسان يهرع الى قوة اكبر منه يستنجد بها ويستعين بها على المرض ، وفى ذلك ما يفسر لنا لماذا ظل الطب حقبة طويلة من عمر البشرية يرتبط بالسحر والكهانة ! ..

ويبقى بعد ذلك السؤال ، وهو : متى عرف البشر كلمة « الجن » ؟

والمراجع تقول ان الكتب المقدسة هى التى عرف منها البشر ان من بين مخلوقات الله صنفا يسمى « الجن » ، ونوعا آخر يسمى «الملائكة» ، وكلاهما لا يستطيع الآدمى رؤيته .. وذكرت الكتب والروايات والقصص عن قدرات «الجن» على اختراق الازمنة والامكنة، وهو الامر الذى لا تتيحه للانسان قدراته المحدودة .. من هنا بدأ الانسان يفكر فى الاتصال او لقاء هذه المخلوقات التى تملك من القدرات ما لا يملكه !

وعاشت مجموعات بشرية كاملة فى شوق الى هذا اللقاء ، تتمنى أن يتم ذلك الاتصال بشكل أو بآخر ، وفى سبيل ذلك سلكوا كل ما هو متاح لهم، وحاولوا مع الذى ليس متاحا ، لعلهم يصلون الى هدفهم !

فلما اعيتهم الحيل ، وقتلتهم الرغبة التى لا تريد أن تتحقق – بدأوا يحققونها من طرف واحد .. فقد ترسب فى أذهان العامة والخاصة ، ان



« الجن » يسكن الخالي من الوديان ، فى كل مكان لا تطؤه قدم الانس ؛ واخترعوا تحية يقولونها اذا نزلوا اهله الوديان ، واعتبروا ان اى « جن » يسكن فى واد هو صاحبه ، فاذا نزلوا فيه ، فهم فى جواره ، وعليه حمايتهم من الكوارث التى تحدث لهم

واخترعوا من عندهم الاسماء التى يطلقونها على كل صاحب واد ؛ فاذا أعوزهم الاسم ، اطلقوا اسما جماعيا ، هو « عمار المكان » وما زال حتى اليوم يستعمل اهل القرى فى ريف مصر هذا الاسم دون تفكير ..

وقد ذكر « ابن كثير » فى تفسير سورة « الجن » ، «قال ابن حاتم : حدثنا ابى ، حدثنا فروة بن ابى المغراء الكندى ، وحدثنا القاسم بن مالك — يعنى المزنى — عن عبد الرحمن ابن اسحاق ، عن ابيه عن كردم بن ابى السائب الانصارى — قال : خرجت مع ابى من المدينة فى حاجة ، وذلك قبل بعثة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم — بمكة ، فاوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل ، جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم ، فوثب الراعى فقال : « .. يا عامر الوادى — جارك ! .. » فنادى مناد لا نراه ، يقول : « ياسرحان ارسله ! . » فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمه ! »

و « كردم بن سائب الانصارى » يريد ان يؤكد ان صاحب الوادى غير المنظور نادى على الذئب . فاستمع الى ندائه الى حد انه اطلق الحمل بعد خطفه فعاد وهو ينتفض ، ودخل فى الغنم لم تصبه كدمه .. ويستدرك فيقول ان ذلك كان قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، لان الاسلام حرر الكثير من المسلمين من هذه المعتقدات ...

وقد روج لهذه الفكرة الشعراء الذين كانوا يعتقدون عن ايمان ان لكل منهم «شيطانا» يمده بالشعر ، فكانوا يخلعون عليهم الاسماء ، ويفاخرون بهم ، وقد رويت القصائد فى مناقبهم ... ومع حب الشعر ، راحت الفكرة تزداد عمقا ، وتاثيرا ، وترسيخا بين الادميين .

وكان لابد ان يستغل الاذكياء كل هذه التراكمات ، والاشواق ، والاستعداد النفسى الذى تحتشد به قلوب البشر .. فخرج بعضهم على الناس يزعمون انهم عثروا على الجسور الموصلة الى « الجن » ؛ وان الخطوط بينهم وبين هذه القوى الخفية اصبحت مفتوحة ! .

واعدوا لهذه « الاسطورة » عدتها ، فارتدوا ملابس معينة تبعث الفزع فى

القلوب ، واحاطوا انفسهم بكل انواع الغموض ، وسلحوا انفسهم بالاسلحة التى تكفل لهم خضوع البشر والانصياع لاوامرهم ، فلا يفكرون فى كيفية الاتصال ، بل لايدور فى اذهانهم انهم ضحية خداع ذكى ، لان مجرد ان يطوف هذا برءوسهم ، يعرضهم لاذى من ذلك الذى يأخذ من « الجن» ويعطى له !

والبشر اذ ذاك ، وحتى اليوم ... قد طال بهم الشوق ، واضناهم العجز فى انتظار هذه اللحظات التى ستجعلهم يقهرون المرض ، ويركبون المعوقات التى تصدهم عن تحقيق احلامهم .. وهكذا طار ذكر العرافين ، والمتنبئين، وبعضهم اقتحم ابواب التاريخ ، وسيطروا من خلال خزعبلاتهم على ملوك واباطرة ، بل لقد قيل ان بعض الخلفاء بعد الصدر الاول من الاسلام .. كان لهم من هؤلاء من يلازمونهم كقواد الجيوش، ورؤساء الشرطة ...

ورغم ان القرآن الكريم ـ جاء ليحرر الانسان ، ويعتقه من اى خضوع او ذل الا لله سبحانه وتعالى ـ الا ان بعض السذج مازالوا يصدقون ان مجرد ذكر « الجن والسحر » فى بعض آيات القرآن الكريم يمكن ان يتخذ دليلا على صدق المشعوذين ومدعى السحر والكهانة ، وان هؤلاء بجنهم، وسحرهم يمكن ان يصيبوا الانسان بخير او شر، ويضرونه او ينفعونه ! ..

ولو انهم قرأوا هذه الايات التى ذكرت « الجن » ، وتحدثت عن « السحر » ، وتدبروا معانيها لادركوا ان الله سبحانه وتعالى يعلى فيها من شأن الانسان على غيره من المخلوقات .. ويسخر من « الجن » ، والذين حاولوا أن يرفعوه الى مكانة ليست له .

وتتجلى سخرية القرآن الكريم من الجاهليين فى الاية السادسة من سورة «الجن » حيث يقول «وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » ـ اى أن هؤلاء الذين كانوا يركنون الى قوة الجن ، ويستجدونها ، ويبحثون منها ، وينسون قدرة الله الذى خلقهم ـ تركهم الله الى غفلتهم فما ازدادوا الا رهقا ، وتعبا ، وبعدا من آمالهم التى يريدون تحقيقها .. فضلا عن استعباد الاخرين لهم !

وهكذا لم يترك القرآن فرصة الا سخر من هذه الفكرة التى سيطرت على فئة من البشر ، بدلا من ان يعقلوا القرآن ، ويتدبروا ما جاء به .

وفى سورة « سبأ » الاية الرابعة عشرة يقول القرآن الكريم مندداً بهذه الفكرة الخاطئة « **فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » قمة السخرية ، والاستهزاء من** علم الجن بالغيب ، ومن الذين يودون لو استعانوا بهم ، أو الذين يزعمون ان « اخوتهم » او معاشريهم من «الجن» يقولون لهم ماذا فى الغيب !

كيف اذن يظل البعض منا ، نحن الذين نقرأ القرآن ، يجرى وراء فكرة الاتصال بالجن ، والاستعانة به ، رغم الامثال التى ضربها لنا القرآن العظيم، ورغم الحضارة التى تكتنف حياتنا ، والصواريخ عابرة القارات ، والوصول الى القمر ! ..

كيف بعد هذا كله يكون منا من يعلى من شان الدجل ، والشعوذة والخرافة ؟ !

لقد كان المفروض بعد أن بلغت البشرية ما بلغته من رشد ، أومايخيل الينا انه رشد ـ أن تتحرر من الخضوع للأوهام ، لكننا مازلنا نرى بعض الذين يحملون الشهادات العالية يجرى نحو أى «عراف » او « مشعوذ » ، أو من يدعى الاتصال بالجن .. كما كان يجرى



اى واحد فى الجاهلية .. قبل الاسلام بمائة عام !

الانسان الفرد ، الذى هو عالم وحده ، مليء بالتناقضات .. فالمرأة التى يقول لها الطب انها عقيم لن تلد ، لا تجد سبيلا امامها الا ان تلجأ الى عالم الجن المزعوم ... والرجل الذى يفاجأ بان اولاده يموتون اطفالا فى سن معينة ، يستنزف الطب والعلاج ماله، ويتكبد فوق ما يطيق من نفقات وتحليلات ينفد لها صبره ، ويهرع الى اى مدع من الذين يدعون الاتصال بالجن ! ..

واى رجل هجرته زوجته بسبب ما والمرأة التى يهجرها زوجها بعد سنين من زواجها فرارا من غباوتها اوثرثرتها او اسرافها ... هذه النماذج اكثرها لا يرى امامه من ملاذ سوى هذه الفئة من المشعوذين ، وهم بلا شك على درجة من الذكاء .. تتيح لهم ان يعيدوا الآمال فى قلوب اليائسين ، الذين يذهبون اليهم فى حالات استسلام كاملة ، وانفتاح نفسى لكل ما يجىء به المشعوذ انتظاراً لتلقى « المعجزة » ، واصطناعها أحيانا حفاظا على الامنيات المتهالكة ، وحتى لاتموت ! !

والذين يعلنون انهم ناموا ، وقاموا .. فاذا بالجن اختارهم اصدقائه ... هؤلاء انفسهم فى الاغلب الاعم يلجأون الى هذه « الكذبة » لحل مشكلة تأخذ بخناقهم ، ولاسبيل امامهم للخروج من هذه الورطة الا بهذا الادعاء .. ويلتصق ذهنهم من هذه « الكذبة » التى لا يعدمون من يصدقهم ، ومن يؤمن بها ، ويوما بعد يوم ، يزدادون ثقة بانفسهم، ويتقبلون بصفتهم الجديدة ، لانها قارب النجاة الوحيد الذى بقى لهم وسط الزوابع التى تجتاحهم ، والانواء التى تهاجمهم !

امرأة متوسطة الذكاء ، جاءت المدينة من الريف ، تزوجت من احد بلدياتها ، بعد سبع سنوات لم تنجب خلالها ؛ قال لها الأطباء الكلمة الرهيبة .. ليس لديك اى استعداد للانجاب .. ماتت والدتها خلال هذه السنوات، وكانت تعتمد عليها فى كل شيء، احست ان شقيقة زوجها تحرضه لكى يتزوج لينجب ، واسقط فى يدها .. احست انها فى قاع اليأس .. مطحونة تحت وطأة قهر مر وعجز دائم ، والكل ضدها وليس لها من قوة تواجه بها مأساتها والذين يتآمرون عليها ، وفجأة .. تهبط عليها فكرة الاستعانة « بالجن » ... لماذا لا تفتح بينها وبين القوى الخفية التى يهابها الناس طريقا ؟

والفكرة لم تلمع فى ذهنها من فراغ، سمعت من أمها انها عندما كانت صغيرة فى الثالثة ، تركتها والدتها نائمة فى غرفتها ليلا ، ذهبت الام لصديقة لها جارة لتثرثر معها .. عادت فوجدت الطفلة قد غادرت فراشها ... وبكت حتى شاء لها البكاء ، ثم غلبها النوم فنامت على « عتبة » الباب !

ولما كانت هى البنت الخامسة فى ترتيب اخواتها ، وكان والدها يريدها ولدا ، وكذلك امها ــ فقد اهملاها .. وكأى طفل يهمل ، لا يجد امامه الا ادعاء المرض لكى يلقى العناية التى ترضيه ..

وامام المرض المدعى ، وقصة نومها على « العتبة » ، وهى من الاشياء التى يتشاءم منها نساء القرى فى الريف ــ ذهبت بها أمها الى « مشعوذ » فى قرية قريبة وقصت عليه القصة ، وحوقل « المشعوذ » وبسمل ثم قال ان احدى « الجنيات » اللائى لا ينجبن كانت على وشك خطف الطفلة ، وحتى لا تعود الى خطفها لابد لها من تميمة تحملها ، يكتبها هو بمعرفته ، وتكلفهم خمسة

جنيهات ، ولما شكت اليه من ضيق ذات اليد .. اكتفى بجنيهين !

كانت الام دائبة على ترديد هذه القصة ، حتى ترسب ذلك فى ذهن الفتاة .. وفى ازمتها الجديدة ، رات ان خير منفذ لها هو أن تدعى ان « الجنية » عادت اليها وتبنتها ، وهى التى تحول بينها وبين الانجاب حتى لا تنشغل عنها باطفالها ! ..

واقنعت زوجها بذلك ، اذ ادعت انها تسمع اصواتا تدعوها الى غرفة اخرى، وذلك بعد منتصف الليل ... واخذته وهو يرتجف الى تلك الغرفة ، وفى الظلام راحت تتحدث الى شخصية موهومة ، وزعمت للزوج أن « الحاجة الجنية » لا يراها ولا يسمعها انسان غيرها ! .

وتولى الزوج اقناع اهله ، وتقاطر الناس عليها يطلبون معونة « الحاجة» التى تبنتها ، وتحولت المسألة الى « انفتاح » اقتصادى .. جعل الزوج يصرف النظر عن الزيجة الاخرى . . وخضع الجميع امام جبروت هذه « الحاجة » غير المنظورة .. وتعلقت هى بزورق نجاتها من المؤامرات، والغمزات !

لكنها لم تلبث ان سقطت فى جريمة قتل .. فقد لجات اليها فتاة حملت سفاحا لكى تجرى لها عملية اجهاض بواسطة « الحاجة » الجنية .

ورات هى بثاقب فكرها حلا : واقنعت الفتاة ان العملية لن تتم الا اذا اخذتها « الحاجة » تحت الارض. لكى تتم العملية هناك ثم تعيدها بعد دقائق، ولكن لا يجب أن تذهب حية ، بل عليها ان تقوم بشنق نفسها بحبل اولا !.

وبالفعل جاءت بالحبل ، وخنقت الفتاة ، وماتت المجنى عليها ، وهى تحلم بالعودة سالمة طاهرة من العار ، لكن جثة الفتاة ظلت فى بيتها الى ان تعفنت ، واضطرت أن تذهب الى قسم الشرطة لتبلغ عن الجريمة ، وحجتها ان « الجنية » خذلتها هذه المرة ! .

واذهلت كل رجال التحقيق بقصتها! .. فقد كانت ترويها وكانها اتت عملا مشروعا . ذلك لان الواقع اختلط فى عقلها بالخيال ، وتداخلت الاشياء فى بعضها .. وارسلت فعلا الى مستشفى المجاذيب ! .

اما الفلاح عبد العزيز ابو كف الذى اوشك ان يحوون قضاؤه عام ١٩٨٠ ، والذى حصل على حكم من محكمة ابتدائيه يقول « ان الرجل واقع تحت تاثير قوى حفية لا تدرى المحكمه سرها تامره فيعمل .. ولهذا فان المحكمه ترى انه غير مسئول عن الاعمال التى تصدر منه » ..

واستطاع ان يشخص امراض خمسة من النظاره فى المحكمه ، كانوا يسهدون محاكمته ، وصدقوا على اقواله ، مع انه لم يتعلم الطب ، وكل معلوماته انه فلاح من قرية تابعة لمركز « اشمون » ، التحق بالقوات المسلحه ، ثم اصيب فى حرب الاستنزاف، بكسر فى الحوض، والعمود الفقرى ، واربعة اضلاع ، ودخل المستشفى ، والاطباء فى ياس من شفائه .. لكنه شفى وخرج ـ وهنا السر !.

عاد الى القريه ، وارادت امه ان تكمل فرحتها بعودته ، وتزوجه ..هنا واجه ازمة حياته ـ فاصابته فى العمود الفقرى تعوق صلاحيته للزواج ، ولكنه لم يصارح والدته بذلك حتى لا تنتشر القصة على كل لسان فى القرية وتكون الفضيحة . !

ولمعت فى راسه فكرة زواجه من « الجن » واعتذر لوالدته ـ قائلا انه لم يكن يريد ان يخبرها لكنه امام اصرارها ، سوف يعترف .. فقد زارته « جنية » هى الاخرى « حاجة » فى المستشفى ، وهو بين الموت والحياة ، وعرضت عليه أن تعمل على شفائه



مقابل ان يرضى بزواج ابنتها .. وأمام رغبة الشفاء وحب الحياة قبل المرض، وهو الآن متزوج من ابنتهـا ، ويعيش معها ، لكن .. لا يراها الا هو ؟.

وانتشرت «الكذبة» فى القرية فى اليوم التالى ، وتقاطرت نساء القرية يسألنه أن تشفيهن « الحاجة » كما شفته .. وقفز دخله من لاشىء الى عشرين جنيها يوميا ، ولكى يتقن « الكذبة » امسك بمصحف لا يفارقه .. بل يزعم انه يستعمله فى تشخيص الأمراض ، فهو يطلب من المريض ان يضع يده عليه ، ثم يذكر اسمه ، واسم امه .. ثم يقول له الدواء ، بعد ان يشخص المرض من كلام المريض أو ما سمع من كلام اهله ..وقد قابلته فى قريته مقابلة صحفية، وطلبت منه أن يقرأ فى المصحف ، فلم يستطع ان يتلو آية واحدة بلغة سليمة ! .

فكيف كان يلتقى بأشخاص حصلوا على ارقى الشـهادات ، ويشغلون المناصب الكبيرة ومنهم رجال اعمال .

وقد القت الشرطة القبض عليه آخر الامر بتهمة النصب والاحتيال ، ولم تخرجه « الحاجة » ـ الجنية ـ من السجن !

وقد بلغ به الاغراق فى الخيال حد انه زعم لى انه ينزل تحت الارض كل عام خمسة عشر يوما ليعيش فى عالم « الجن » ، ولما سألته عن طريقة « سفره » الى تحت الارض ، هل تكون بالطائرة ؟. أم بالسيارة ؟. أم بالصاروخ رفض أن يجيب محتجا بأن هذه أسرار غير مصرح له بافشائها ، وهو الجواب الذى كان يتنصل به من كل سؤال تعجزه الاجابة منه ! .

وهكذا نجد ان العجز الانسانى هو الاصل فى الاستغاثة او الادعاء بالاستعانة بالجن ، سواء عند الخادع او المخدوع .. فكلاهما يصبح بعد فترة ضحية عجزه ، وقهره ، واستسلامه لظروفه القاهرة !.

وانى لاستطيع ان اروى مثل هذين النموذجين عشرات النماذج هنا وهناك والغريب فى الامر ان فى اهل اوروبا من هم اكثر جنونا من اهل الشرق ، ذلك لأن حجم عجز الانسان هناك اكبر، والحاجة الى الجن تزيد او تنقص بقدر حجم العجز ، والاحساس بأن الانسان يواجه وحده ظروفه التعسة التى ترغمه على طلب العون والمدد من قوة خفية !.

وهذه هى بعض أسرار اندفاع الجماهير الى كل ما هو غامض، ويتصل بأسرار لا يدركون كنهها ، ويجعلهم على استعداد لتصديق كل مجدف كذاب ، يلقون امام خزعبلاته عقولهم ، ويؤمنون بما ينقله اليهم من عالم الجن !.

وكان يجب أن يكون المسلمون ابعد الناس عن السقوط فى هذه الهوة ، لان المسلم الحق هو الذى يؤمن انه يواجه كل الظروف ، وهو يستند الى ذات وحدانية قادرة ، ذات الله صاحب الامر والنهى ، لا يشاركه فى ذلك جن ولا ملائكة ولا انس .

وذلك لن يتأتى الا اذا عمقنا مفاهيم الدين الصحيح فى نفوس اولادنا ، وخلعنا كل مفاهيم تقوم على خرافة او غموض او ابهام .. بذلك يفلت ابناء الاجيال القادمة من مصيدة الدجل والشعوذة ، ولا تعود بهم حاجة الى جن او سحر ، لانهم يدركون ان الله اقرب اليهم من حبل الوريد ! ●

مناقشة مقالات الهلال

حول موضوع الجان

● د . توفيق الطويل ●

صدرت مجلة « الهلال » في الشهر الماضي وهي تضم مجموعة من مقالات تدور حول مشكلة « الجان » في الدين واللغة والادب والعلم ، ومع تقديرنا لاصحاب هذه المقالات نريد ان نقف قليلا عند ماورد في بعضها من افكار نظن ان الصواب قد جانب اصحابها ، وعلينا ان نعرض لمناقشتها في هدوء ، ولنبدا بموقف الدين في الجان :

كتب فضيلة الاستاذ الشيخ احمد حسن الباقوري مقالا عن موقف الاسلام من الجان ، عنوانه « الذين ينكرون الجن ينكرون القرآن »وماأظن ان في اعتراف المسلم بوجود الجان اشكالا، ولكن الاشكال قائم في ادعاء الانسان امكان الاتصال بالجن وتسخيرهالتحقيق مآربه،ثم الادعاء باتصال الجنبالانسان وهيمنتهاعلىإرادته وتوجيههالتصرفاته، وذلك كله « خارج من نطاق الشريعة الاسلامية ذات القطع واليقين » فيما يقول الاستاذ الامام محمود شلتوت الشيخ الاسبق للجامع الازهر ، هذا هو مثار الاهتمام عند الناس وليس مجرد الاعتراف بوجود الجان .

ويتولانا العجب حين يستند الشيخ الباقوري فيتأييد دعواه في وجود الجن الى « نافذتين تفضل الله بهما على المؤمنين والطامحين الى الايمان ، هما التنويم المغناطيسي واستحضار الارواح» .. ولا ندرى ما علاقة التنويم المغناطيسي بالجن اما استحضار الارواح فان فضيلته يستشهد على صدقه بما انباه به رجل كبير مقدور شهد مريضا اعيا الاطباء علاجه ولم يظفر بنعمة العافية الا من طريق العلاج بهذا الاسلوب الروحاني الشريف » .

ونحن نؤثر ان نقف عند هذا قليلا عسانا ان نكشف عن خطأ تورط فيه فضيلة الاستاذ ! فان تحضير الارواح مرفوض في الدين بشهادة القرآن الكريم نفسه ، اذ أكد القرآن استحالة الاتصال بين الاحياء والموتى تحت اى ظرف كان ، فقد ورد في الآيتين ٩٩ و ١٠٠ من سورة المؤمنون : « حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون .. كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » .

واذا كان هذا يشير الى المشركين فان القرطبي يقول في تفسيره « الجامع لاحكام القرآن » ص ٤٥٤١-٢ في الجزء التاسع والاربعين من طبعة دار الشعب « ليس سؤال الرجعة مختصا بالكافر ، فقد يسالها المؤمن كما في آخر سورة (المنافقون) . واما عن « البرزخ » فيروى القرطبي عن الضحاك وغيره أن البرزخ هو الحاجز بين الدنيا والاخرة ، اى بين الاموات والاحياءحاجزا او سدا منيعا لا يحتاز

أحد ، فلا الاموات يستطيعون الاتصال بالاحياء ، ولا الاحياء يستطيعون الاتصال بالاموات .. وكفى بالقران الكريم شهيدا ، فماذا يقول فى ذلك الشيخ الباقورى ؟

واكبر الظن عندى ان مسألة تحضير الارواح سلعة مستوردة من الغرب ، شأنها شأن « موديلات » السيدات ، ولو صح تحضير الارواح فى الاسلام لحاول الصحابة استحضار روح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليستفتوه فيما اشكل عليهم من امور ..

ليتنا قصرنا جهودنا على نقل الجوانب البناءة فى حضارة الغربيين .

ويؤيد فضيلة الاستاذ دعواه بان رجلا كبيرا مقتدرا شهد مريضا اعيا الاطباء علاجه ، ولم يظفر بنعمة العافية الا من طريق العلاج بهذا الاسلوب الروحانى الشريف ، وهذا الذى يقوله الاستاذ مرفوض من وجهين ، اولهما ان مثل هذا المريض مريض بالوهم ، وهو قابل للشفاء تحت تاثير الايحاء ، وهذا شىء معروف فى علم النفس ، اما الوجه الاخر فان كلام فضيلة الاستاذ يغرى الدجالين — من امثال ابى كف — وعلمنا بقصته حديث عهد — بالمضى فى غيهم ، ومخادعة السذج منا — وما اكثرهم فى مجتمعنا !

***

ويقول فضيلة الاستاذ ان الذين ينكرون ان يكون وراء هذا العالم المادى عالم روحانى له خصائص يؤيدها العلم الحديث تأييدا صريحا لا يتنكر له الا جاهل او جاحد ، ونحن من جانبنا لا نشك فى ان فضيلته قد قصد بالعلم مجرد المعرفة ، والا فالعلم — ونقصد به الطبيعى مالم يحدد — لايؤيد العالم الروحى ولا ينفى وجوده ، انما يرى ان العالم الذى يقوم وراء عالمنا المحسوس لا يدخل فى نطاق دراساته ، فيترك دراسة هذا العالم الروحانى لاهل الاختصاص — من مفكرين وفلاسفة ورجال دين — لان العلم بمعناه الضيق لا يستقيم بغير استخدام المنهج التجريبى الذى يقوم على الملاحظة الحسية والتجربة العلمية — ان كانت ممكنة — وبالتالى لايتناول بالدراسة الا الوقائع الجزئية والظواهر الطبيعية فى عالمنا الواقعى ، وليس منه ذلك العالم الروحى ! .

والحديث عن مقال فضيلة الشيخ الباقورى يجرنا الى الوقوف عند مقال « عالم الجن وعالم الارواح » للاستاذ الدكتور رءوف عبيد ، لانه يجتر النغمة نفسها فيما يكتب او يذيع من احاديث ويقول فى مقاله بالهلال ان الهدف من دراسة الظواهر غير المالوفة فى جميع انحاء العالم هو تسجيل هذه الظواهر باسلوب علمى ومنهج علمى .. ونقول — ولا نمل تكرار ماقلناه — من ان العلم لاشان له بهذه الظواهر التى لاتخضع للادراك الحسى ولا تقاس بمقاييس العلم ولا توزن بموازينه ، فالحكم الذى اصدره الدكتور مرفوض علميا .

ويكرر الدكتور ما اشار اليه الشيخ الباقورى من علاج الامراض بغير الطرق الطبية المالوفة ، فهذه — فى نظره — نقطة مقطوع بصحتها علميا ! وقد اسلفنا القول بان مثل هؤلاء المرضى تنتابهم امراض هستيرية فيسقطون مرضى للوهم ، ويتم شفاؤهم بالايحاء الذى يحارب وهما بوهم ! .. اما القول بان الارواح تتدخل لشفاء المريض فقد رفضنا هذا التصور بالاستناد الى القرآن الكريم وقلنا ان تفسير القرطبى يقطع ببطلان ذلك .

ومن عجب ان يرفض الدكتور — فى حديث له — التعبير بتحضير الارواح ، لان فيه ما يوحى بهيمنة الانسان « عليها » .. وآثر التعبير عن ذلك بالفلسفة الروحية ! وشتان بين المعنيين فاصحاب الفلسفة الروحية وهى فى

حول موضوع الجان

الانجليزية Spiritualism هم الذين يفسرون الوجود والموجودات بالروح وحدها ، وينكرون الاعتراف بوجود المادة ! واكثرهم ينكرون امكان استحضار الارواح « وهو فى الانجليزية Spiritism ونحن نحذر من هذا الخلط .

ولا يعنينا بعد ذلك ان يقال ان تحضير الارواح معروف فى اوروبا وامريكا وان بعض المشتغلين به من اهل العلم الطبيعى ، فان هؤلاء يتخذونه تسلية فى اوقات فراغهم بعد الجهد العقلى الذى يبذلونه فى دراساتهم الجادة ، وتحضير الارواح عند الغربيين ترف يزاولونه للتلهى ، وهو عندنا تخريب للعقول وافساد لحياة الناس .

والدكتور رءوف عبيد يناشد المسئولين فى مقاله بأن يبادروا بانشاء معهد متخصص لهذه الدراسات وانا اهيب بالمسئولين ان يسقطوا هذه الدعوى من حسابهم ، لان لهذه المجازفة فى مجتمعنا اوخم العواقب ، وحسبنا ما نراه بين الحين والحين من امثال « ابو كف » المتهم بالنصب ، والذى كان يدعى انه يستعين بالقوى الخفية فى معالجة الامراض ، بغير ترخيص بمزاولة المهنة ، ولا دراسة لاى فرع من فروع الطب ، وامثاله فى مجتمعنا اكثر من ان يحصيهم العد .. وداهية الدواهى ، ان الذين يعتقدون فى دجله بين المتعلمين منا اكثر مما يتصور العقل !.

***

وانا على مقال الدكتور عادل صادق فى الهلال « التفسير العلمى لظاهرة الاتصال بالجن » بضع ملاحظات عابرة، منها ان الدكتور يقول ان المنهج التجريبى « العلمى » قد بدأ فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، والثابت تاريخيا أن أصول هذا المنهج قد وضعها فى اوروبا « فرنسيس بيكون» ١٦٢٦ م فيما سماه « بالاداة الجديدة » معارضا به منهج القياس عند أرسطو قديما ، بل قد يقال ان اصول هذا المنهج قد فطن اليها العرب فى العصور الوسطى ، وكان فى مقدمتهم الحسن بن الهيثم المتوفى عام ٩٢٩م اذا لم نقل ان جابر بن حيان « المتوفى عام ٨١٣ م » قد سبق الى ذلك ، تسليما منا بما يقوله المعاصرون من المستشرقين بأن جابر بن حيان شخصية خرافية لم توجد فى التاريخ ابدا !

اما مقال الاستاذ الاديب ماهر شفيق فريد فقد كان تحت عنوان : « الجن فى الادب الانجليزى » وحسب الاديب وعيا وفهما أن يقول فى مقدمته ان الشعراء وكتاب الانجليز قد افسحوا للجن مكانا رحيبا فى اعمالهم النثرية والشعرية ، كما تميل المأثورات الشعبية وقصص الاطفال فى سائر الآداب الى ادخال العنصر الخارق للطبيعة ، على سبيل اثارة التشويق وشحذ الخيال وجلب الانتباه وصياغة العبرة الخلقية او الدرس المعنوى ، وفى ضوء هذا الفهم الصادق احسن الاديب عرض موضوعه ، واستوفى ابعاده ـ دون أن يورط نفسه فى ابداء رأى ساذج مبتسر ـ كما فعل غيره من الكتاب !

وبعد ، فقد احسنت « الهلال » حين اثارت موضوعا له خطره فى حياتنا الاجتماعية ، فموضوع الجن يشيع فى عقول الاميين والمتعلمين منا خوفا ومرضا وصرعى الخرافات والاوهام فى مجتمعنا اكثر من ان يحصيهم العد ، ويتولانى القلق المقرون بالحزن ان يكون بعض المفكرين عندنا فى مقدمة هؤلاء الصرعى ! ●

نموذج من الأدب الشعبي المصري

من أدب السجون

● محمد قنديل البقلي ●

يا اهل العجب على بيت ضيفه بنشتم
يهينوه
من داخل السجن بيجلدوه يهينوه
السجن جبار واشجع الرجال يهينوه
فى دخلتى السجن قالوا : اهلا وسهلا
بايراد اليوم
نده الباشسجان ، وقال : يا سجانه

●●●

نده وقال : يا سجان ، خد الايراد حميه
واحلق له
ومن الحفر بدل مساجين طلع له

●●●

وعلى مكتب السجن ودونا
قلعونا ملابسنا وملابس من السجن
لبسونا
خدم اسامينا وع الميزان وزنونا

●●●

ادحنا دخلنا السجن وبقينا فى ادين
الحكام
فى الاصل مجنون ما تلهم باللى تعاقد
الحكام
انا اللى قعدت فى السجن شهرين عرفته
باللى فيه
انا اسال الله يكفينا شر السجن واللى
فيه

●●●

السجن تمان ادوار معدودة
وكل دور فية رجال معدودة
ياما شجعان من داخل السجن معدودة
اول من الدور اصله دور ملكية
لاسن هدومه يدخل له اليمك فى عمود
ملكية
تانى من الدور خواجه وحماية

من داخل السجن نايم على فرش ونابليه
مشط ومراية ومقص للشعر ونابليه
انا قلت اشمعنا الخواجه دره وهنا
مبسوط
وابن الوطن مسكين نايم على برش ماهش
مبسوط

●●●

تالت من الدور حداد وبراد وف صنعته
شغال

●●●

رابع من الدور نجار وسباك جنب الكور
ومخزن
تنظر تلالى العدس والفول فى القزانات
بتخزن

●●●

وخامس من الدور طباخ وفراش فى
السجن تابعتش
وكل عنبر طالع له قله وتابطش

●●●

وسادس من الدور قواربى ومهرب
آهو ده اللى بيهرب الحشيش وبلت
الافيون

●●●

ودور سبعه فيه النقاشين بتلمع
وانا من ضمن ماسك كهنة فى ايدى وبلمع
اصطبل للخيل كما بنور وملمع
وقال الباشسجان ؟ سمعنى باولد على
دا الدور
وانا اعطى جراية بمك قروان وملمع

●●●

اشيل بعشى الاتى اللى فى دور ثمانية
على عصا محنى
اقول له : فاضل لك قد ايه يا عم ؟

قال لى : خلاص روحتا بقى فاضل
سبع سنين من مدد
انا قلت : آهو ده اللى عدى الكبارى
وانحدف على مدد

***

من صغر سنى ياباشسجان،وانا بلعب
فى الورق حريف
الاس والدوه لما التريس حريف

***

مادام ضيعت حايحرق بنط ولا يسال

***

الفقر غلب الاونطة ياقشيم دبوس
لو على ينطك عنى لاعمل لك نمرة بالعبوس

***

السبعات التمنيات والتسعات لها حريف
الفقر لما يعاكس خشنى يقلب الحريف

***

اشيل بعينى الاقى البنت مع الولد
ماشيين
ريح فين يابنت ؟ ريح بيت الشايب باش
بايدى رقمت الولد من كتفه بالدبوس
راحت البنت سرخه وقالت ياباش
صبحت أنا فى الوقت دا محتار
النار من نار ولو كان ابن باش يهينوه

للسجن فى بلادنا ــ وفى بلاد اخرى كثيرة ــ رهبته وقسوته التى تقهر الرجال وتذلهم بما تحطم من كبريائهم، وترغم من أنوفهم . وأقسى ما يكون السجن على الذين ساقهم اليه سوء الحظ ساعة دخوله ، وهذا ما يعبر عنه شاعرنا الشعبى فى هذا الموال الذى سنقوم بتحليله .

فالايدى التى تسوق الى السجن وتوصل اليه ايد غليظة ، ايدى حراس أشداء على المذنبين لا ترحم ولا ترثى ، بل تمعن فى الاذلال والاهانة .

والايدى التى تتلقى المحكوم عليه بالسجن داخل السجن أشد قسوة واكبر أمعانا فى الاذلال والاهانة ، لما تعودته من كثرة تلقى المجرمين ومعاملة المذنبين ، وقلوب الجميع لكثرة ما مر بهــا من الحالات جامدة متحجرة لا ترحم ولا ترق ولا تلين .

لهذا كانت حياة السجين الاولى ــ أى أول عهد السجين بالسجن ــ اشق فى فترة حياته الجديدة به ، لأنه يستبدل بحريته الحبس ، وبالعالم المفتوح السجن المغلق ، وبالانطلاق القيد ، وبالمعاملة الحسنة معاملة خشنة قاسية ، قد يقال : انه يستحق هذا جزاء اجرامه ، وان السلطة القائمة على المجتمع لابد ان تتعقب الجريمة وتقتص من مرتكبها جزاء له وردعا لغيره ، وان السجن هو ضريبة الخروج على القانون ..وكل هذا صحيح ، ولكنه لايمنع ان المجرم انسان، وان له نفسا فطرها الله على الشعور والاحساس ، وان نفسه ان كانت قد ماتت ساعة ارتكابه الجرم فانهــا الان تستيقظ ، وان ضميره الذى زايله وهو ينحرف عن السلوك السوى يعاوده ساعة الجزاء ، ويلح عليه بالندم على مافرط منه .

وعلى كل حال فهذا تقديم لشــرح (الموال) الذى هو موضوعنا بمهد لفكرته ، ولنترك بقية التعليق على وظيفة السجن وطبيعته لما بعد الفـــراغ من تحليل هذه القطعة من الادب الشعبى الطريف

وواضح أننا بصدد سجين يزج به الى السجن ، وأنه يصف شعوره عند دخوله السجن ربما لأول مرة ، كما يدل عليه استطلاعه لأدوار السجن واشخاصه ومرارة نفسه التى تدل على انه غير متعود .

والافتتاحية الطريفة فى تشبيهها السجن بالبيت ، والسجين بالضيف ، وحينئذ يوجد مجال للعجب من أن يكون الضيف فى هذا البيت موضع اهانة واذلال ، فما عرفنا بيتا يهان ضيفه كهذا البيت ، وربما يكون فى ذلك مغالطة ، لانه ماكان للسجن بحكم وظيفته ان يكون مأوى أو نزلا للضيفان ، ولكن الجمال فى هــذا التشبيه من شأنه أن يؤدى بنــا الى الطرف الاخر من التشبيه ، وهو أن السجن أداة تعذيب وارهاب ، تدفع الى الاعتقاد بأن السجن كما انه ليس مأوى لضيفان ، لا ينبغى له كذلك ان يكون أداة التعذيب والاذلال ،ويتعين عليه اذن ان يكون فى مركز وسط بين الطرفين

المتطرفين .

ومن لم تكن تعرف ما يحدث في السجن او ما يدور فيه من صنوف التعذيب والوان الهوان ، ولكنت جاهلا بكل ذلك ، فاسأل الشاعر ، فانه قد مضى شهرين عرف خلالهما ما يحدث فيه ، وهو جدير بأن يحكي لك هذا الذي يجري بين جدرانه والذي يتلخص لاول وهلة في الدعاء الى الله ان يكفينا شر السجن وما فيه ، فانه لبشاعته لا يتمناه المرء لعدو أو حبيب .

والسجن مراتب وادوار ، عدتها ثمانية ، ولكل دور رجاله وسجانوه . ولا يخلو أحدها من مسجونين شجعان ؛ بل أن هؤلاء من الكثرة بحيث يكونون غالبية الرجال ، فلن تجد سجينا ضعيفا ، بل كلهم شجاع جسور ، تنقلب الرغبة في الندم والتوبة عنده مع طول الهوان والحبس الى تفاخر وبطولة ! ويحكي بعض السجناء لبعض ما تعلموه ، فيتعلمون أكثر من ذي قبل فنون السرقة والاختفاء ، ويناقشون الوسيلة الى معاودة الجريمة والانتقام من المجتمع ، ولكن بالحرص والحذر . غير انهم بالرغم من ذلك يقعون مرة أخرى في قبضة القانون ، فالمذنبون بهذا لم يستفيدوا من حياة السجن حب الاقلاع عن الجريمة بقدر ما استفادوا المهارة في اخفائها وحب ارتكابها .

والدور الاول من السجن هو دور « الملكية » اي دور المدنيين الذين لا يلبسون الزي العسكري ، والذي يضم الموظفين الاداريين الذين يلبسون الملابس « الملكية » والذين يحمل اليهم الطعام في « عمود » يختلف عن عمود السجناء . وقد كانت كلمة ملكي في الادب الشعبي المصري هي مقابل كلمة عسكري أو جهادي . ولا يزال هذا شائعا عند العامة حتى اليوم .

أما الدور الثاني من السجن فيشمل الاجانب ، فيما يبدو « الخواجات » والمتمتعين بالحماية الاجنبية ، اي رعايا الدول الاجنبية الذين تحميهم قنصلياتهم وتحابيهم قوانين البلاد ايام أن كانت مصر خاضعة لحكم الاجانب الذين استطاعوا ان يفرضوا على البلاد قوانين جائرة تجعل المصريين اقل شأنا من الاوروبيين ، بل تفرق بينهم وبين الوطنيين في المعاملة . فالاجنبي داخل السجن نائم على فراش وله في حجرته الاثاث « النبولية » اللازم لاستعماله وراحته ، وبيده مرآة ينظر فيها وجهه ، ومشط يصفف به شعره وموبليات كثيرة .

ولا يفوت الشاعر هنا ان يندد بهذا الشعور الممض الذي كان يعتمل في قلب كل مصري ، ايام الاحتلال وامتيازات الاجانب من رؤية الاجنبي مميزا على الوطني ، يتمتع بالمزايا والاستثناءات وحسن المعاملة التي لا يحلم بها الوطني ، كما يلقى من التكريم والرعاية ما لا يلقاه ابن البلد الاصيل الذي هو اولى بهذه المعاملة .

لقد كانت خيرات البلاد كلها كلأ مباحا يرعاه « الخواجات » ويجنون منها اطيب ما فيها ، بل لعلها كانت وقفا على الغرباء عن البلد . فالشاعر يقرر في مرارة وحسرة أن الخواجه في داخل السجن — كما في خارجه — محظوظ ومبسوط ينام على الفرش الوثير ، ويقدم له الطعام الفاخر ، على حين أن ابن البلد مهان ومسكين ينام على « البرش » فوق « البلاط » ويقدم له أسوأ الطعام ، ويعامل أسوأ معاملة واقساها .

اما الدور الثالث ففيه من ارباب الحرف الحدادون والبرادون ، وكلهم يزاولون عملهم في صناعتهم .

وبالدور الرابع : النجارون والسباكون يعملون ايضا بجوار « كور » الحداد ، وبجانب مخزن السجن .

ويتطلع السجين فيرى طعام المسجونين من فول وعدس ، وقد تكدس اكواما في « القزانات » ، ولا حاجة بنا الى ان يبين لنا الشاعر أن هذا الفول أو العدس ، هو الغذاء الذي لو كان اشهى طعام لمله الذوق لدوامه وابدته . السوس والطين فيه هو « البتلمين » الرئيسي ، وهو يطهى كيفما اتفق ، لان الذين سيتناولونه

حيوانات في نظر الطهاة القسم .

ولا ننكر انه لا ينبغي ان يرتفع بمستوى الحياة في السجون اكثر مما هو في البيئة الخارجية ، حتى لايكون في ذلك اغراء للناس على ان يدخلوا السجن ليتمتعوا فيه بالعيش الرغد ، ولا سيما في البلاد التي يكون مستوى المعيشة فيها داخل السجن احسن مما هو خارجه .

وقد فطنت السجون المصرية الى كثرة ما تفرض من قيود فعمدت الى التخفيف منها ، فانشأت في هذه الايام او منذ وقت غير بعيد المقاصف « الكانتينات » تباع فيها مختلف الاطعمة والشطائر « السندوتشات » من جميع اصناف الطعام ، كما اباحت التدخين للمسجونين .. وكل هذا تطور محمود في سبيل الارتقاء بآدمية الانسان ولو كان سجينا

وبالدور الخامس من السجن : الطباخون والفراشون ذوو التوبة « النوبطشية » ، وكل عنبر تطلع له « تفة » بها الخبز والطعام .

اما الدور السادس : ففيه مهربو المخدرات من حشيش وافيون ، وخصوصا المراكبي « القواربي » الذي « يفلت » الافيون ويهرب الحشيش

ولعل هذا الدور يكون اكثر ادوار السجن « ايرادا » من السجناء ، لان معظم رواد السجن من مهربي المخدرات ، اذ يشغل تهريب المخدرات نسبة كبيرة من نسب الجرائم ، وتجارة المخدرات مغرية لطالب الكسب والثروة . وهي على مافيها من خطر تستهوى الكثيرين من طلاب المكسب الوافر والثروة العاجلة ولعل مما يزيد الاقبال على تجارة المخدرات بل تعاطيها ، هذا المنع المشدد الذي تحاط به « تجارة المخدرات وتعاطيها » فكل ممنوع مرغوب ! وربما لا يخفى — بناء على ذلك — انه ليس كل تجار المخدرات يصلون الى السجن ، فالذي يصل اليه هو من ضبط لا من اتجر ، وبقضية منطقية تنتهي الى الحكم الآتي : ليس كل من اتجر بالمخدرات يدخل السجن ، وبمفهوم العكس نقول:

بعض الذين يتجرون بالمخدرات لايدخلون السجن ، والواقع يؤيد ذلك فعلا ، فان الشخص يظل يتجر في المخدرات سرا حتى يضبط ، ولا يمنع ضبطه من انه قد زاول تجارة المخدرات مدة من الزمن . وكثيرا ما يحدث أن يعود الى هذه التجارة بعد خروجه من السجن ، بل انه في الكثير من الحالات تظل زوجته او احد اقاربه يزاول التجارة حتى حين خروجه من السجن. واترك للمصلحين الاجتماعيين استخلاص مافي ذلك من عبرة من حيث مايتعلق بالرغبة في القضاء على تجارة المخدرات بحلول عملية منتجة . وحسبنا أن نردد ما يقوله الشاعر « ولو انضبط يحيلوه على دور ستة بالافيون »

ودور سبعة ، فيه النقاشون ، وهو الدور الذي وضع فيه شاعرنا ، فها هو ذا في يده « كهنة » أي خرقة يقوم بالتلميع والتنظيف بالرغم عنه .

ونشير هنا الى طبيعة العمل في السجون ، وقد تناولته البحوث واشارت اليه مؤتمرات القانون الجنائي وهيئة الامم المتحدة وحقوق الانسان ، فقررت أن العمل في السجون يجب الا يكون هكذا باجبار السجين او بالرغم عنه ، بل ان العمل حق لا عقوبة ، وهو من الحقوق المتصلة بشخصية الانسان اللصيقة به، ولابد ان يكافأ عليه مكافأة تقرب — ان لم تعادل — اجر العامل الاجير في خارج السجن ، وان يكون له الحق في اختيار الحرفة التي تروقه وتلائم ميوله ، اذ أن العمل في السجون لا يزال حتى الآن عقابا وسخرة ، ولذا يقوم به السجين من كراهية وملل واحتقار ، ويدفعه السجان اليه دفعا . وقد ذهب علماء الاجتماع والجريمة الى انه ينبغي أن يكون العمل في السجون تأهيلا لما بعد الافراج، فيدرب السجين في السجن على احتراف عمل تكسب به عيشه الشريف في الحياة الخارجية بعد الافراج عنه حتى يعود الى المجتمع عضوا نافعا .

ويشير بيتان الى ان اصطبل الخيل بالسجن من كثرة التلميع

والتنظيف يلمع كالبللور ، وفي هذا تعريض بالعناية بالخيول واصطبلها اكثر من العناية بحجرات السجناء . فبينما تقيم الخيول في اصطبل طلق الهواء والشمس والاضاءة ، لا ينقطع تلميعه وتنظيفه ، والسجناء انفسهم مسخرون لهذا الغرض ، نجد حجرات السجناء وزنزاناتهم صغيرة ضيقة قذرة لا تدخلها الشمس ولا الهواء ، مملة قاسية لا تصلح سكنا للادميين ولا للخيول التي لاشك أن حظها في السجن أسعد بكثير من حظ الآدميين .

كذلك فان سور السجن الحديدي اشبه ما يكون بالفضة من كثرة التلميع والتنظيف ، ولم لا ؟ ولدى السجن آلات حية كثيرة من السجناء لابد ان يعملوا اى عمل : ان المهم هو الا يكف السجناء عن العمل والا يستريحوا لحظة ، وهل يستطيعون أن يخالفوا امر سجانيهم اذا أصدروا أوامرهم باعادة التنظيف والتلميع، أو لو اهتموا بنظافة اصطبل الخيول أوسور السجن اكثر من اهتمامهم بحجرات السجناء أو أدوات طعامهم وشرابهم ! .. ان السجين ملك للسجن يتصرف فيه السجان كيف يشاء وهو مدين للدولة بالعقاب الذي وقع عليه ، فلابد أن يظل عبدا طالما هو سجين

بل ان السجين ملزم ان يغني للباشسجان ، ملزم ان يغني له حتى يسر ويبتهج من أنات هذا السجين الكسير القلب الجريح الفؤاد « وقال الباشسجان سمعني ياولد على دا الدور » ، فمن لى « ياولد » هذا الدور، وهو يخاطبه بقوله :ياولد امعانا في التكابة والاذلال : ولم لا ؟ أليس كل مولود ولدا؟! أليس من حق الباشسجان أن يتسلى ببؤس هؤلاء السجناء ، وأن يقضي وقتا سعيدا طيبا على حسابهم ؟

لينس المسجون انه سجين وانه مقيد ، وانه معذب، لينس سوء معاملة السجان وليتكلف المرح والسعادة وانشراح النفس حتى يطاوعه بالغناء لاسعاد جلاده ، مادام الجلاد نفسه قد طلب هذا الغناء وأمر بهذه السعادة وان له على ذلك مكافأة . ويالها من مكافأة ! زيادة اليمك والجراية ، فروالة عدس بالزيت كبيرة ملمعة : أليس ذلك كافيا لاسعاد السجين مادام السجان بهذا قد سعد .

ويتطلع السجين الى الدور الثامن فيرى رجلا قد احدودب ظهره وتقوست قامته يسير على عصا فيسأله : كم من الزمن بقي له في السجن فيقول : انه قد قاربت مدته على الانتهاء : لم يبق له بالسجن حتى يفرج عنه الا سبع سنين ! مدة قصيرة لا شك اذ قورنت بما انقضى من مدة حبسه ؛ وان كان محكوما عليه بالمؤبد مثلا فانه يكون قد أفرج عنه تقريبا اذا لم يكن قد بقي له غير سبع سنين .

وفي بقية القصيدة معان رمزية كثيرة يشير بها الشاعر الى لعب الورق رمزا الى الحظ و « الزهر » حين يعاكس ويؤدي بصاحبه الى الخسران . والمعروف ان لاعبي القمار يبرعون في أوراق بعينها يلازمها حظهم ، فالآس والدوه والتريس لكل منها « حريف »، والاربعات والخمسات والستات لكل منها حريف . والذي يسوء حظه في اللعب يحرق « النقط » . والقاعدة العامة ان « الزهر » أي الحظ ــ حين يعلو بصاحبه ــ لاعجب أن يغلب الفشيم « الخشني » الحريف .

ويختتم بأن « السجن من نار ولو كان ابن باش يهينوه » ومن هذه الكلمة « باش » يتضح ان هذا الموال كان ايام الالقاب والتفاخر بها .

أرأيت كيف ألم الشاعر في هذه الاغنية الشعبية الطريفة بمآسي السجن واحاط بالكثير من صور الحياة !

ان أحسن ما نعلق به على هذه القصيدة الجميلة هو أن ندعو الى اعادة قراءتها واستعادتها مرة ومرات ، فانها كالوردة تشم ولا تعتصر . ولعل تحليلا أبعد لمعانيها ربما ذهب بطلاوة عبارتها وحلاوة ألفاظهـا

وكم في ادبنا الشعبي مثل هذه من قصائد وقصائد ●

الأبطال

● للشاعر الكندى : آرشيبولد لامبمان ●

● د . سليم الاسيوطى ●

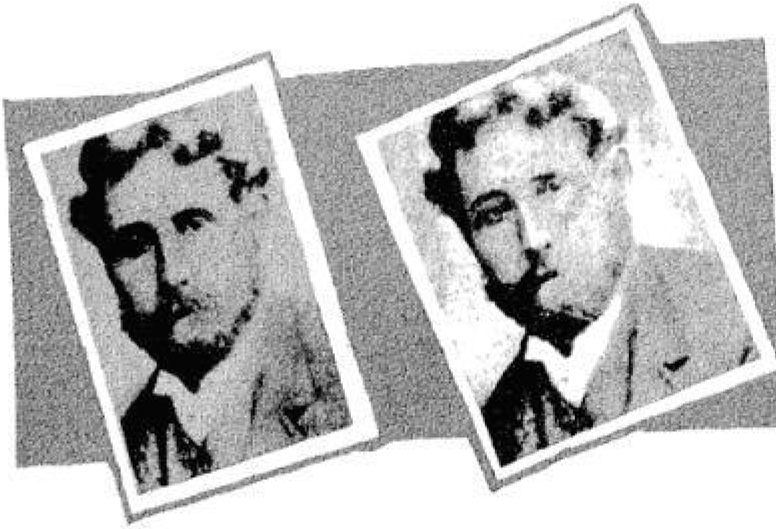
● اجمعت اراء النقاد على ان كتابات الشاعر ارشيبولد لامبمان هى افضل الطرق وايسرها الى دراسة كل الكلاسيكيات فى الشعر الكندى ..

ولقد تأكد هذا الرأى وتأيدت مكانة الشاعر الممتازة ، واتسعت دائرة قرائه والمعجبين به بعد ان اسهم بالكثير من ابداعه فى المجلات الاوروبية فى كندا والولايات المتحدة . وذاع صيته فى البلاد الناطقة بالانجليزية وخاصة بعد ان نشر الناقد الاديب « وليم دين هوول » عرضا وتحليلا لديوان الشاعر الاول فى مجلة « هاربر » ، ثم قيام ناشر من بوسطن بطبع ديوانه الثانى . ولم يعد هناك ما يعوق الاعتراف بروعة شعره شكلا ومضمونا ..

ولد آرشيبولد لامبمان فى قرية موريت فى مقاطعة اونتاريو الواقعة حول بحيرة ايرى . ثم انتقلت الاسرة الى « جوزر لاندنج » على بحيرة رايس ، وفى عام ١٨٧٦ التحق بكلية ترنتى سكوول فى بورت هول ، حيث بدأ ينظم الشعر .

نشر لامبمان فى عام ١٨٨٨ ـ « على نفقته الخاصة » ـ ديوانه الاول « بين أعواد الذرة » ، الذى ضم منتخبات من اروع شعره ثم تلاه ديوانه الثانى « اغانى الارض » ، وفى عام ١٨٩٣ تكالبت عليه الاحزان بموت ابنه ووفاة ابيه عام ١٨٩٧ بعدها سدد اليه القدر طعنة نجلاء وتدهورت صحته لاصابته بداء القلب ، فاصبح صريع الهم واحتواه الاكتئاب والضجر .

ومات بعد ذلك بوقت قصير كبير



القلب . وبعد وفاته نشر له صديقه دنكان كامبل سكوت ، اربع مجموعات من شعره فى عام ١٩٢٥، الاولى « قصائد شعر » فى عام ١٩٠٠ ، والثانية « اغانى الارض » فى عام ١٩٢٥ ، والثالثة « قصائد مختارة » والاخيرة « عند اسوار قلعة لونج سولت » وهى التى نتناولها الان

يجب أن ننوه بادىء ذى بدء ، انه فى سنى حياة الشاعر المتأخرة ، كان مفهوم الحياة لديه اشمل واعم مما رآه من عاصروه . فقد جنح بصفة عامة نحو دراما الحياة ونأى عن صور الطبيعة . وعلى الرغم من ذلك فان اروع انجازاته الشعرية كانت عند نهاية حياته ، وكانت تتركز على تسجيله لمظاهر الطبيعة فى شتى جوانبها ، وفى استجاباته لهذا الاتجاه .

واقوى برهان على صحة هذا الرأى هو قصيدة « عند اسوار قلعه لونج سولت » التى تصف وقفة البطل دولاك ورفاقه الشجعان للدفاع عن القلعة، وهى قصيدة ظل الشاعر يعمل فى صياغتها حتى شهور قليلة قبل موته .

ظهرت هذه القصيدة عام ١٩٤٣ ، وفى ضوء النقد الحديث يبين ماتصوره من قوة رثائية آسرة ، فى مضمونها وشكلها بحيث يظل قارئها متأثرا بقراءتها .

ان القصيدة لا يمكن تقديمها كلها هنا ، فقرتان منها تكفيان لاظهار قدرات لامبمان فى تقديم الابطال ومصيرهم بقوة درامية وتفهم كامل . والفقرة الاولى مقارنة جميلة محكمة البناء بين البطل الفرد و « ثور » ضخم طويل الاناة صابر ، صامت :

صامت ، أصفر الوجه ، مرارا وتكرارا
يحمل في صدق على العدو ويطوقه بأيد فولاذية
كل جندي يواجه الاعداء كلهم ريف
في دائرة صغيرة بائسة ، مثل « ثور » مجهد
أن عشرات الذئاب اليقظة ، قطيع ضار
تطارده اناء الليل واطراف النهار
بين الغابات المثقلة بالثلوج ، مثل مجاعة انطلقت
من عقالها ، يستدير في طريقه في النهاية
قبالة حائط من صخر ، ويقف في دفاع مستميت
الاعداء من حوله بأعصاب رهيبة وأسنان فولاذ
يحملون في صدق ، لا يتوقفون في ضراوة في التفافهم
الخاطف
هنا وهناك فوق طريق الثلج
يقذف بهم دامين ممزقين
حتى تكص على اعقابه روحة وجيئة
منهوك القوى مثخنا بالجراح
وتداعت مقاومته الجبارة
فاطبق عليه الجميع معا ! ..

Silent, white-faced, again and again,
Charged and hemmed round by furious hands
Each for a moment faces them all and stands
In his little desperate ring; like a tired bull-moose
Whom scores of sleepless wolves, a ravening pack,
Have chased all night, all day
Through the snow-laden woods, like famine let loose;
And he turns at last in his track
Against a wall of rock and stands at bay;
Round him with terrible sinews and teeth of steel
They charge and recharge; but with many a furious plunge and wheel
Hither and thither over the trampled snow
He tosses them bleeding and torn;
Till, driven, and ever to and fro
Harried, wounded and weary grown,
His mighty strength gives way
And all together they fasten upon him and drag him down.

ان شعر الطبيعة عند لامبمان يتناول الحقـــول والغابات وجداول المياه والطير والحشرات والفراشات ولكن هنا لأول مرة يتناول الشاعر واحدا من اعظم مخلوقات البراري في صورة ممتدة من اولها لآخرها فيجذب القارىء اللدواقة الى الانسان والتأمل فيه ، ويتجه الى شجاعته واقدامه ، وينبهر بقوة احتماله ثم خيبة آماله الفاجعة ، ويذهل لمكانته الرفيعة وقدره البطولي ، ان الطبيعة تشكل خلفية الانسان في القصيدة والفقرة الختامية من القصيدة مرثاة وجدانية بحق:

طوال الليل عند سفح الجبل
ترقد البلدة الصغيرة وادعة
والحراس يذرعون المكان بخطوات رتيبة في سلام
ولا احد من الشرق ولا من الغرب !
هل هناك اشاعة عن موت او خطر
لا أحد يحلم الليلة في فراشه
بان الدمار كان وشيكا ، والابطال
الذين واجهوه وصدوه لقوا حتفهم
ولكن على بعد من الغابة
حيث الهواء رخاء في شهر مايو
والمياه تتموج في ضوء القمر
رقدوا صامتين في الطين
النجوم في السماء لا تعد
تشرف من عل بنظرة حانية
وعيون الزنبق الناعسة في الغابة
مغمضة مثل شعار ملوك فرنسا ؟

All night by the foot of the mountain
The little town lieth at rest;
The sentries are peacefully pacing;
And neither from East nor from West

Is there rumour of death or of danger;
None dreameth tonight in his bed
That ruin was near and the heroes
That met it and stemmed it are dead.

But afar in the ring of the forest
Where the air is so tender with May
And the waters are wild in the moonlight,
They lie in their silence of clay.

The numberless stars out of heaven
Look down with a pitiful glance;
And the lilies asleep in the forest
Are closed like the lilies of France.

بعد الصوت الحازم العمق ، في الابيات السابقة .. الذي يصف نهاية الابطال ، يجيء الروي الرقيق فتهدأ الروح ويؤمن القارىء بان الصراع الرهيب بجوار النهر لم يكن مجرد انفجار لقوى بدائية ، بل كان عملا مجيدا يعيد الطمأنينة الى النفوس

ان قصيدة « عند اسوار قلعه لونج سولت» مرثاة عظيمة رائعة ، ظهرت فيها شاعرية لامبمان وسمو خياله واحساسه المرهف بالعواطف الانسانية والانجازات البطولية ، وبرزت خلالها مزايا من مثل الحكمة والقوة والجمال وكلها تعتمد على الوعي بان هذا الموقف بالذات والشخصيات المختارة فيه ما هي الا اجزاء في بناء كامل وعظيم .

الفنان والراقصة

● د . نعيم عطية ●

— ١ —

● ولد المصور الفرنسي الكبير ادجار ديجاه في ١٩ من يوليه عام ١٨٣٤ . كان ابنا لاسرة ثرية وتلميذا نجيبا . اراد ابوه ان يصبح ابنه رجلا من رجال القانون ، لكن الابن رفض ان يكمل دراسة الحقوق ، والتحق بمدرسة الفنون الجميلة عام ١٨٥٥ . ثم انضم الى رفاقه الشبان «الانطباعيين» واشترك معهم في معرضهم الاول في ١٥ من ابريل ١٨٧٣ ، ولكن ديجاه لم يكن يتفق مع رفاقه الانطباعيين في افكارهم كلها . وقال لادوار مانيه اكبر الانطباعيين :

— لا احسب انني منكم ، فانا أخالف كثيرا من آرائكم ... انني مجنون بالرسم ، متيم بالخطوط الثابتة . فاذا لم يكن ثمة خطوط متقنة فاللون لا يشد الى رسم متهاو . وانا لا افضل جمال الصدفة ، بل الجمال المتحكم فيه ... ان التصوير يا عزيزي مانيه يحتاج الى مايحتاج اليه تدبير جريمة من دهاء وتربص . وهذا لا يتأتى في الهواء الطلق كما تفعلون — بل في المرسم وبين الجدران !

***

وقد انضم ديجاه الى « الانطباعيين » بسبب رغبته العارمة في الامساك باللحظة العابرة . وقد قادته هذه الرغبة الى أن يصور شخوصه ساعة انغماسهم في العمل . وقد كشفت له الراقصات من امكانات الجسم الانساني وهؤلاء الراقصات سواء اثناء ادائهن لرقصاتهن ، أو ساعة تدريبهن عليها ، أو لحظات استراحتهن منها — هي اسهامه الحق في الحركة الانطباعية ، فهي لقطات للحظات عابرة في مسيرة الواقع . انها لقطات تعبر عن منتهى الحياة .

— ٢ —

كان يروق لديجاه أن يتتبع تدريبات « الباليه » ، بل وكان يروق له ذلك اكثر من مشاهد العرض الكامل للرقصات امام الجمهور ، كان يلتقط المتناقضات ، فيسجل على سبيل المثال في احدى لوحاته التضاد بين المدير البدين في خلته السوداء والراقصات الرشيقات في ثيابهن الهفهافة .. يذكرنا هذا المشهد بغراب ينقر الارض بمنقاره الاسود في حوض للزهور باحدى الحدائق .

وفي لوحة أخرى يسجل ديجاه التناقض بين رجلين ضجرين غير مكترثين ، قدر لهما ان يتواجدا اثناء تدريبات الباليه ، وبين الحركة والعناء والنشاط الدائر بين الراقصات . وربما كان هذان الرجلان من ممولي الفرقة ، ولعلهما عامرا الجيوب بالمال ، أو ربما هما صاحبا المسرح أجراه لهذه الفرقة ، وينتظران ليلة الافتتاح ليحصلا الايجار أو لعلهما جاءا يطالبان به مقدما . وكانت هذه الفرق لا تملك عادة حتى ايجار المسرح ، وهذه الراقصات الرشيقات المجفاوات ربما لم يتقاضين رواتبهن بعد ، بل ربما لم يتناولن افطارا ولا غداء ذلك اليوم .. هؤلاء الراقصات اللائي يرفلن في ثياب الرقص الزاهية الفاتنة فتيات فقيرات يتخذن من الرقص حرفة يرتزقن منها . وكم منهن ترك في البيت أبا عجوزا ينتظر كسرة خبز



أو أما ضريرة تنتظر جرعة من دواء .. عالم فاتن وقاس ، حافل بالاضواء والظلمة . عالم يخفي تحت بهارجه ضراوة وحزنا !.

دعك من العواطف الآن ايها القارىء .. ولنقف عند الواقع . لننظر الى الخطوط والالوان فحسب . درس « ديجاه » جيدا امكانات عرض مشاهده ، فكان يختار الزاوية المناسبة . تارة يطل على خشبة المسرح من احدى المقاصير الجانبية العلوية مما يسمح له بان يجمع الراقصات في شبه دائرة حول المدير .

ودرس « ديجاه » ايضا تأثيرات الضوء في حيزه المغلق ، واستغل التضاد بين وضاءة المصابيح وخلفية المسرح المظلمة وكانت النتيجة ان تثر « ديجاه » على لوحاته الوانا وردية ورمادية وبنفسجية وخضراء مشعة. وهنا وهناك نغمة قاتمة لابراز معالم المناظر والاشخاص .

هذه المشاهد البراقة رسمها «ديجاه» بالباستيل، اى بالألوان الطباشيرية على الورق . اختار « ديجاه » عالمه . وهو عالم « الباليه » . ولم يكتف «ديجاه» بتصوير « الباليه » في لحظاته العابرة الفاتنة بل تابع ايضا بواقعيته النفاذة ساعات التدريب في فصول معاهد الرقص . راقب الراقصات يركلين احذيتهن ، ويثبتن أربطتها ، ويبسطن عضلاتهن ويقمن بالتمرينات ، واكتشف لحظات الارتباك والخطأ ، وعرف ذلك

العالم الغائم من الداخل ، مزيحا بذلك النقاب عن جمال جديد .

***

وفي لوحته « فصل الرقص » التي صورها عام ١٨٨٠ يودع « ديجاه » لحظة من هذه اللحظات غير المعدة . زحزح شخوصه الاربعة الى الجانب الايمن من اللوحة وسجل التضاد بين الاردية الشفافة الرقيقة التي ترتديها الفتاتان الراقصتان ، وبين ثياب الخروج الثقيلة القاتمة التي ترتديها السيدتان المرافقتان والواقفتان خلف الراقصتين. ونلمح تضادا انسانيا يتجلى بين وجهي الفتاتين وقسمات السيدة المسنة . ربما كانت اما لاحدى الفتاتين . وربما كانت راقصة قديمة بدورها اعتزلت الرقص بسبب سنها .

ويلمح « ديجاه » دائما الى قصة وراء الخطوط والالوان ويترك المتفرج فريسة اعجابه يخمنها ويحكيها لنفسه من خلال التصميم المحكم والخط الدقيق والألوان الحالمة .

ومن المظاهر الغالبة في فن « ديجاه » ذلك التضاد بين منظر عادي ـ وفي بعض الاحيان قبيح ـ وبين الالوان الخلابة التي يسبغ فيها . راقصاته مثلا لسن على الدوام جميلات . انهن احيانا فتيات فقيرات عجفاوات هزيلات الاجسام نافرات العظام يكددن ، يلهثن ، يتصببن عرقا في سبيل عرض سيبدو في نظر الجمهور آية في الاناقة والرشاقة . وفي لوحة ديجاه « راقصتان تتدربان » لم يسجل مصورنا الجانب البهيج من « الباليه » بل صور التدريب الطويل الشاق والجهد المضني الذي يبذل خلف الاستار . ان الراقصتين المصورتين تبذلان جهدا لتدريب سيقانهن على الرقصة المطلوبة ، والارض قد رويت بالماء منذ قليل . الاناء موضوع على الارض الندية . ومن هذا الاناء الصغير يبدأ التكوين الصاعد بميل محكم نحو اليمين في منظور من زاوية فريدة .

ـ ٣ ـ

الاجساد ، هزيلة ، نافرة العظام ، صورت بلا اشفاق وبمجرد رغبة في الوصف لا ترحم ، بلا غنائية تمجدها ، بلا دفاع او تعزية او هجاء ، رؤية لا براءة فيها ، لا تبغي اثارة الاعجاب ، عطشى الى المعرفة كي تصف ، والى الوصف كي تعرف ، مضحية بكل شيء في سبيل التعبير عن الحركة .

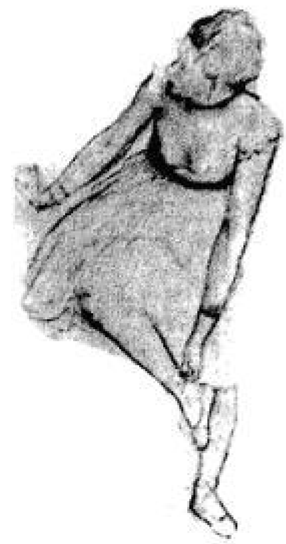
ومن الغريب ان هذا الفنان الغربي الهادف الى الحقيقة العارية يذكرنا باولئك المصورين الشرقيين الذين يغرقون رؤيتهم الحالمة في اكثر الايقاعات اللونية ثراء وندرة .

فن قاس ، يزيده قسوة وهج اللهب والظلال المنعكسة على البشرة من المصابيح الارضية ، مجسمة الوجنات الغائرة والظهور المحدودبة . وعندما تشتعل الالوان الطباشيرية تلمع تحت الثريات وضاءة خلابة في لوحات الباليه، براقصاتها المتقمصات في دوامة الرقص بارديتهن الهفهافة ، ومساحيقهن الصارخة . لا راحة في عالم الرقص .. للسكون شيء مكره عليه ، مجرد لحظة مؤقتة ، لحظة انتقالية . الخطوات محسوبة ، والوقوف على اطراف الاصابع ، ما هو طبيعي في عالم الرقص ليس طبيعيا في عالم الحياة ، الرقص حركة مجردة ، امتداد في الزمان والمكان. الراقصة ليست امراة ترقص لانها ـ على حد قول الشاعر مالارميه ـ ليست امراة ولا ترقص ، انها شكل ، طيف ، نسمة ، حلم ، مخلوق لا مثيل له ، فريد نادر ، شفاف رقيق ، جسم بللوري نوراني ، ثوب من الحرير الهفهاف المتطاير .

ـ ٤ ـ

كان « ديجاه » شخصية غريبة الاطوار . تارة صموت ، وتارة لاذع السخرية ، صعب الارضاء . ناقم على النساء . كاره لهن ، بينما صور للمراة اجمل اللوحات . وقد قال لصديقه دوار:





« أنا لا ارسم المرأة ذاتها ، بل أصورها على انها حيوان جميل .. حركاته رشيقة وابحاؤه بالألوان غنى. المرأة التى اغرقتها فى اضوائى ليست المرأة التى تعرفها انت باعتبارك رجلا من لحم ودم ، بل هى فراشة تتالق تحت ضوء مصباح ، وربما احترقت بناره بعد هنيهة .. النساء والفتيات فى لوحاتى لسن جميلات . قسماتهن بليدة، لكن الجمال يأتى من خارجهن ، من الاضواء التى تنعكس على قسماتهن ، وثيابهن ، على حركات الذراع المرفوعة ، والساق المنثنية ، والعنق المطوط ، والنظرة المتعبة . الراقصة مثل جواد السباق ، عنقه ممدود ، وسيقانه مشدودة . والعرق يتصبب على جسده العارى اللامع ، كما لو كان يرتدى ثوبا من الحرير الفاخر » .

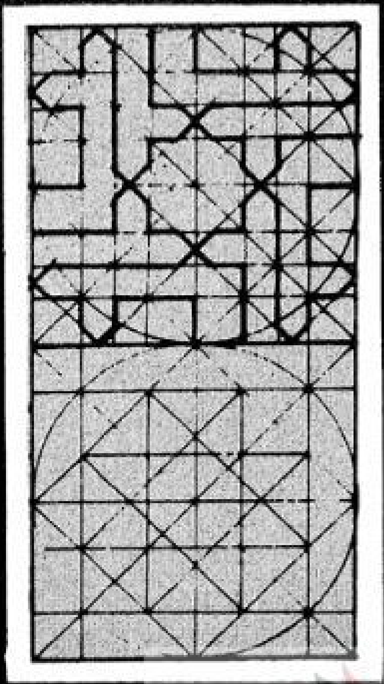
ولما ساله صديق لماذا لم يتزوج ؟ أجاب « ديجاه » بحزن : « كم كنت أود أن اجد امرأة بسيطة عادئة تفهم افكارى المجنونة . ويطيب لها ان تعيش الى جوارى ، وانا انفق حياتى اعمل فيما لا أحب سواه . ربما لم أتزوج خشية أن تغار زوجتى ذات يوم من فنى. وبعبارة اخرى ، ان حبى لفنى لم يترك فى قلبى محلا لحب آخر » .

— ٥ —

منذ عام ١٨٩٢ حقق « ديجاه » ثروة لا بأس بها من اعماله الا أنه اصبح عجوزا شحيحا ، ويتحاشى الانفاق على غير الضرورى لاقامة الأود. عاش حياته وحيدا فى البيت مع خادمته الوفية « زوى » . وفى مغيب حياته أضحى انسانا مكتئبا شرسا مثيرا للشجن ومع الوقت ازداد امعانا فى عزلته . رفض مقابلة أحد . وصد كل زائر بعبارات لاذعة . واذا حدثه أحد عن لوحاته قاطعه قائلا : « التصوير ؟ انه ما عاد يستهوينى أو يثير اهتمامى ! » ..

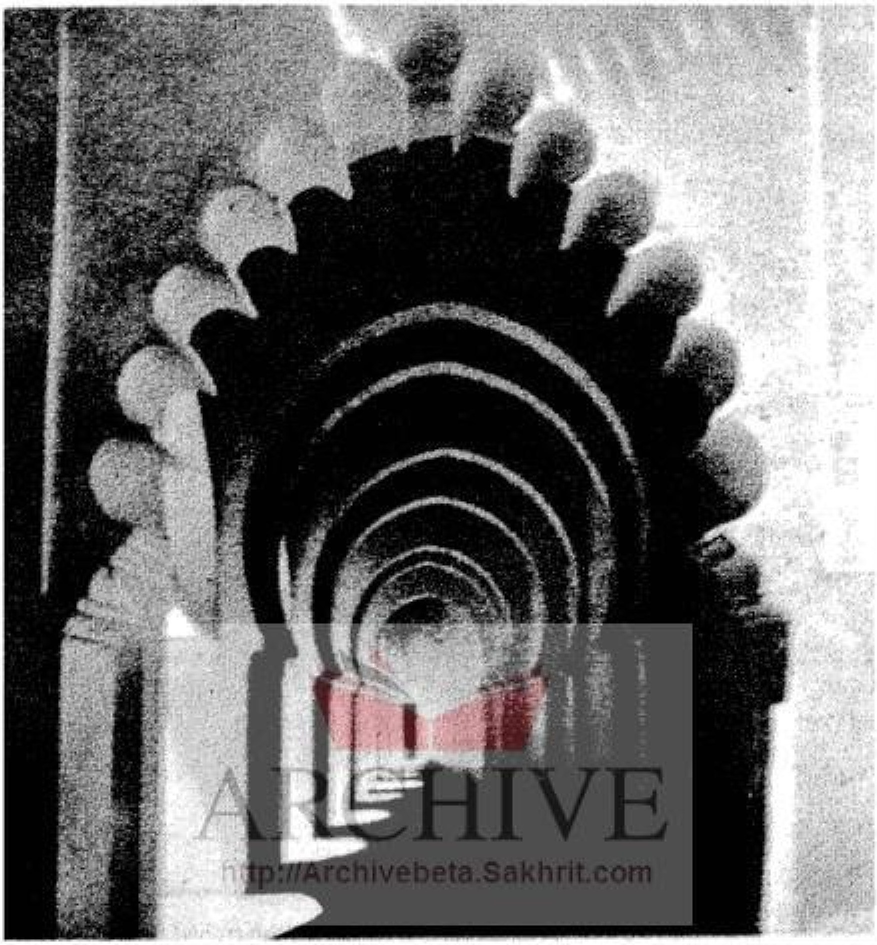
وفى ٢٥ من سبتمبر ١٩١٧ لفظ ديجاه انفاسه الاخيرة ، بعد أن كان السن قد تقدم به كثيرا ، فقد مات عن ثلاثة وثمانين عاما ، لكنه فى الواقع كان قد مات منذ امد بعيد قبل ذلك . مات منذ ان فقد نور عينيه ، فقد انتهى الفرض من الحياة قبل ان تنتهى الحياة . ●

الفن الإسلامي



جمال وتسبيح وابتكار

ان الذين يقارنون بين الفن الاسلامي وغيره ليس لديهم ادراك بحقيقة الفن الاسلامي ، لان هذا الفن لا يقارن بغيره اصلا ، فهو ليس براعة في تصوير مناظر وشخوص ، ولا محاكاة قائمة على الدقة ، وانما هو ايمان مصور في اشكال والوان وزخارف كلها تعبير عن احساس وتاملات تصل بالانسان الى ما وراء هذا الكون . فالفنان الاسلامي الاصيل لا يريد ان يحاكي الطبيعة ، لان الطبيعة من صنع الله ، وصنع الله لا يحاكى ، واذا كان الله سبحانه قد خلق الانسان على هذه الصورة فهو وحده القادر على ان يصنعها ، وما عدا ذلك جراة على الله سبحانه وتعالى ، وكل ما يستطيع الفنان ان يعمله هو ان ينقل الى الناس احساسه بجمال الخلق وابداع صنعة الخالق . وهذا النقل قد يتحقق عن طريق قطعة زخرفية وتحوير لهيئة ورقة شجرة وتكرارها على نحو يشعر الانسان بلانهائية الكون .



رواق فى مسجد ـ مغربى موحدى • تمتاز المنشآت المعمارية المغربية بأقواسها من طراز حدوة الفرس ذات الفصوص ، ثم تكرار هذه الاقواس مرة بعد أخرى حتى اذا وقفت فى أحد هذه الاروقة أحسست وكأنك تنظر فى مرايا متقابلة والصورة تتكرر الى ما لا نهاية ، والتعبير عن اللانهائية هدف من اهداف الفن الاسلامى ، فانه كما قلنا تعبير عن الايمان بالخالق سبحانه ، وهذا الايمان لانهائى • ولكيلا تشوب الاحساس باللانهائية شائبة فيعمد المعمارى المغربى ان تكون عقوده وهيئاته الهندسية بسيطة فى ظاهرها لكى تصبح عميقة فى معناها ، فهو لا يطلى العقود الا باللون الابيض ، ولا يصنع الارضية الا من الرمر الصافى والسقف من الخشب الثمين •

● « ان الله جميل يحب الجمال » حديث نبوى كريم سمعناه ورويناه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جميل لا يصدر عنه الا كل ما هو جميل حتى انه كان لا يحب الاسماء الجافية ، فاذا قدم اليه رجل اسمه جعثل سماه سالما ، واذا مر بواد سمى الماحل تركه ولم يمر فيه ، حتى اذا مر بواد يسمى مرحب قال : نمر فيه ..

وكان صلوات الله عليه رجلا جميل الطلعة مشرق الوجه حسن اللحية طاهر الثوب ، نظيفا فى كل شىء . كان يغتسل كل يوم مرات ، ويغسل ثوبه بيده ، وينصرف عن كل ما هو جاف غليظ ، وكان رقيق الحاشية ، عف اللسان بالغ الحياء ..

كان جميلا يحب الجمال فى كل شىء ..

ومن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر الفن الاسلامى ، فقد كان صلوات الله يحب الصوت الندى ، كان لا يحب التطريب ، ولكنه كان يرتاح لصوت بلال ، فقد كان فى صوت بلال عذوبة ..

ورسول الله هو الذى وضع بنفسه رسم مسجده ، ومسجده هو أبو المساجد الاسلامية ، فكل ما ظهر على الارض من مساجد جميلة ، وما يزينها من زخارف نابعة من بساطة الاسلام وجماله تحس فيها آخر الامر نفس الرسول صلوات الله وسلامه عليه لان الله سبحانه براه على أجمل صورة ، ومن نفسه السامية الصافية .

❋❋❋

والفن الاسلامى بكل صوره وجماله يصور ذلك كله أصدق تصوير ..

فانه فن يقوم على زخارف وكتابات والوان ..

وقد حسب بعض الناس أن الزخارف شىء جامد لا حياة فيه ، وظنوا أن تصاوير الفن الغربى بشخوصه من ناس

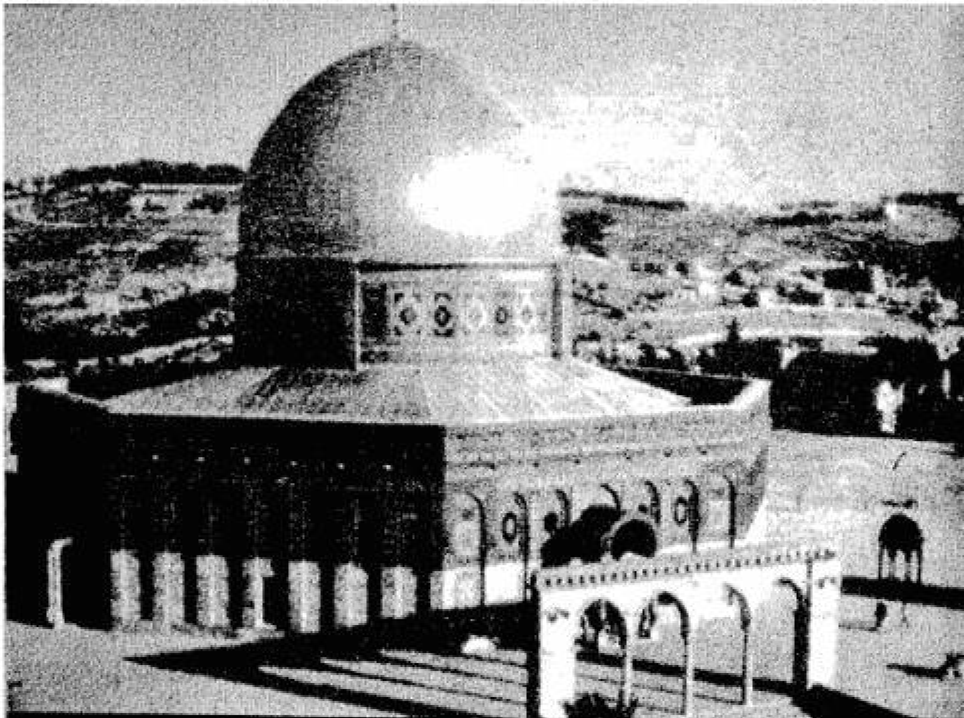
مسجد ابن طولون فى القاهرة واحد من مسجدين بنيا فى عالم الاسلام على طراز واحد ، والثانى هو مسجد سامرا الى الشمال من بغداد . هذا الطراز الفريد من المساجد يمتاز بما تمتاز به العمارة المصرية القديمة من متانة وصلابة ووقار ، فالبوائك التى تؤدى الى بيت الصلاة وبوائك المجنبات التى تفتح على الصحن المكشوف تقوم على دعامات حجرية لا على أعمدة رخامية لكى تكون امتن واصلب ، والزخارف على دعائم البوائك قليلة لا تزيد على نوافذ زخرفية والنقوش على الافاريز أعلى البوائك نقوش بسيطة تقوم على تكرار لهيئة ورقة الدالية اى ورقة العنب ، ولكن اكبر ما يميز مسجد أحمد بن طولون هو مئذنته المنفصلة عن مبنى المسجد ، وهى مقامة فى الجدار المقابل لجدار القبلة ، وسلمها من خارجها ، فهو سلم حلزونى لا يتكون من درجات وانما من منحدر . لان المئذنة لم تكن مجرد مبنى للاذان بل برج للحراسة ايضا ، وبدن المئذنة من الداخل مضىء عن طريق نوافذ مزدوجة .



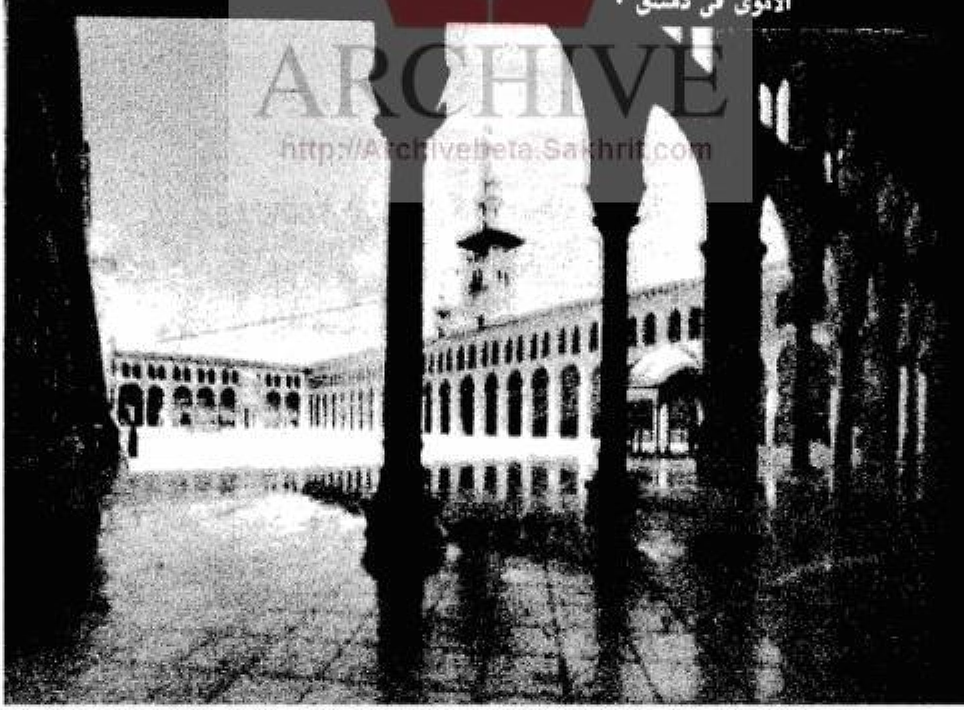


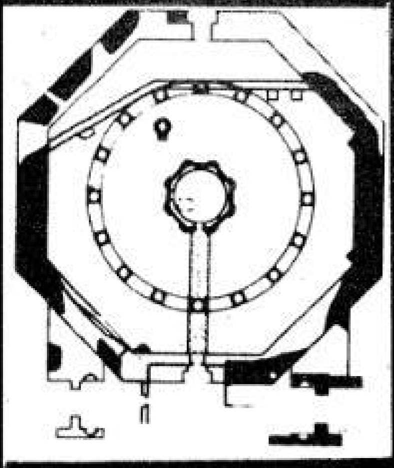
هذه الصور الاربع تعطيك فكرة عن تنوع الفن الاسلامي واتساع مجالاته ، فالصورة الاولى اعلى الصفحة عن اليمين هي كتابة زخرفية في اعلى عمود ، وانتص آيات قرآنية ، والصـــورة اسفلها نموذجان آخران من الكتابة الزخرفية على



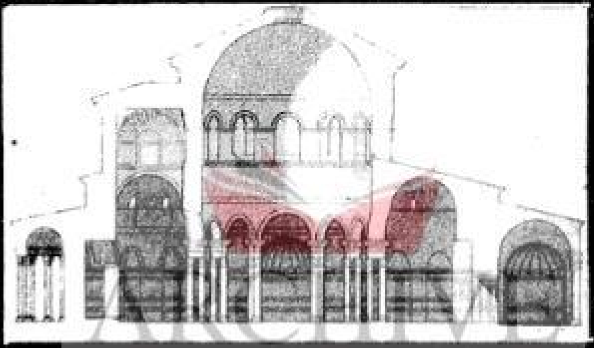


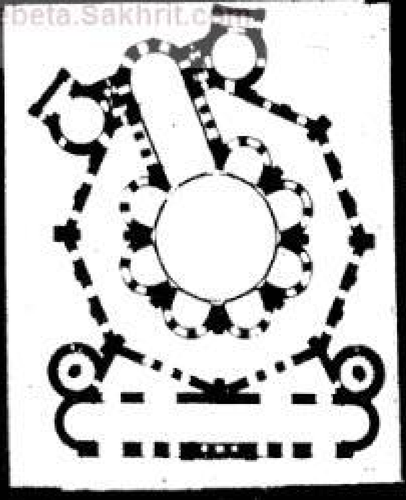
القاشانى الملون . والصورة الرابعة ـ العليا عن اليسار ـ لقبة الصخرة ، وهى من روائع الفن المعمارى الاسلامى الاول والصورة الرابعة (تحتها) لصحن الجامع الأموى فى دمشق .





رسم هندسي للتخطيط المعماري لقبة الصخرة ، في الوسط قبة صخرة موريا التي يقال ان الرسول صلى الله عليه وسلم عرج به الى السماء من عندها والصخرة مكشوفة ولكنها محاطة بأرضية من الرخام وترتفع حواليها اعمدة من الرخام تحمل القبة • والقبة من الخشب ولكنها مطلية من الخارج بماء الذهب • ثم يلي ذلك دهليز رخامي محاط بالاعمدة الرخامية الوردية ، ويلي ذلك دهليز آخر ثم الجدار المثمن المحيط بمسجد قبة الصخرة ، وجدرانه من الخارج مغطاة بالقاشاني الملون •





في اعلى مقطع راسي لمبنى قبة الصخرة وترى فيه الدهاليز التي تحيط بها واحدة بعد أخرى ويفصل كل دهليز عن الآخر نطاق من الاعمدة يدور حول الصخرة ، والرسم الى اليمين (ب) مقطع افقي في مبنى قبة الصخرة ترى فيه مدخل مسجدها والصخرة ونطاق الاعمدة الذي يحيط بها ثم الدهليز الاول وهكذا الى الجدار الخارجي •

وحيوان فن حى لان فيه مناظر أحياء واشجار ·

ولهؤلاء جميعا اقول ان الصورة ايا كان موضوعها فهي صورة لا حياة فيها، فكل ما ترى من لوحات ليوناردو · ورافاييلو والجريكو ، وجويا ، وديلاكروا — كلها صور جامدة لا حياة فيها ··

فالقول بان فن التصوير فن حى لانه يصور شخوصا ومناظر طبيعية ، انما هو خداع ، لان الصورة صورة ايا كان موضوعها ، حتى صور السينما المتحركة صور ميته ونحن الذين نبعث فيها الحياة بخيالنا وتصورنا ··

بل ان مجال الابتكار في ميدان الفن الغربي قليل ، فهو تصوير لاشياء من الواقع ، ومهما بلغ من اتقان الرسام فان الامر لا يعدو أن يكون تقليدا لشيء والتقليد أيا كان ليست فيه الا أصالة الاتقان ·

❀❀❀

اما الفن الاسلامى فكله أصالة واتقان وجمال ··

خذ الزخارف مثلا :من خطوط وزوايا وأقواس يوجد لك الفنان أشكالا بديعة يسرح فيها البصر وينطلق الخيال وتطمئن القلوب · وتأمل والله الابتكار المبدع في تلك الهيئات الهندسية التى صدرت كلها عن نفس الفنان دون تقليد لأى شيء ··

ومن شكل ورقة شجرة أو ورقة عنب يبتكر الفنان المسلم أشكالا هى العجب رقة ودقة وتشابكا ولا نهائية · لان الفن الاسلامي لا نهائي ، وانت اذ تتأمل شكلا زخرفيا تتكرر وحداته تشعر انك لن تنتهى أبدا ، فانك تبدأ دائما حيث تنتهى ، ولا تزال تتأمل وتتأمل حتى يستغرقك جمال الزخرفة وتشعر انها تفيض حيوية ، والحيوية تأتى هنا من الحركة ، والزخارف حركة متصلة فان الخطوط والزوايا والاشكال الهندسية والدوائر التى تتلاقى ثم تفترق وتتلاقى كلها حيوية وحركة ، والحيوية هنا لا تصدر عن نفس المتأمل كما يحدث في صور الشخوص ومناظر الطبيعة ، بل تأتى من الزخرفة نفسها لانها حية بانسيابها وتكرارها ، لان التكرار ليس مجرد تكرار انه توكيد ، وخذ مثلا شكل « برواز » مفرد وبرواز مزدوج ، فهل تظن ان البرواز المزدوج تكرار للبرواز المفرد ؟ بالعكس · انه برواز آخر يختلف عن الاول تماما ··

❀❀❀

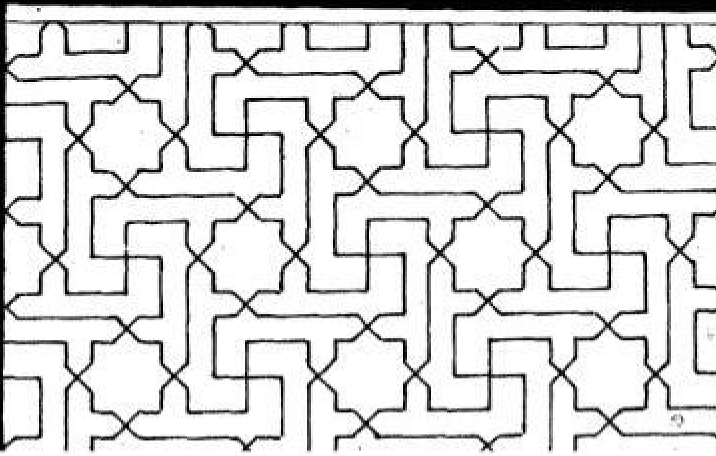
ومنذ الخطوط والمنحنيات والدوائر التى تتلاقى ثم تفترق لتعود وتتلاقى فى اشكال هندسية بديعة ، من قال انها لا معنى لها ؟ الذين يقولون ذلك هم المقلدون الذين يقرأون كلام بعض أهل الغرب ويظنون أن كل ما يصدر عن الغرب وأهله صواب ، وكل ما يصدر عن غيرهم غير صواب ، والطريف ان أكبر من تبينوا جمال الفن العربي هم نفر من أهل الغرب ممن وجدوا فيه تعبيرا فنيا جديدا حافلا بالمعانى وصور الجمال ،وهم الذين اطلقوا عليه اسم الأرابيسك فى حين اننا نحن نسميه التوريق ، ومما لاشك فيه ان لفظ الأرابيسك يحمل من معانى الرقة والجمال واسم العروبة أكثر مما يحمل اسم التوريق ·

❀❀❀

ولعل أجمل ما فى الفن الاسلامى هى ألوانه · فان المسلمين لم يستعملوا في زخارفهم أى ألوان ، بل اختاروا أولا الالوان القرآنية ، أى الالوان التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم وهى الابيض والاحمر والاخضر والاصفر والسندس والاستبرق والذهب والفضة ، فأما السندس فقد قالوا انه الاخضر الداكن · وأما الاستبرق فقالوا انه الازرق العربى المعروف Bleuf Arabic وقال بعضهم انه الازرق الداكن الذى استعمله الفرس والمماليك ثم الاتراك العثمانيون ، فجعلوه قاعدة للآيات القرآنية التى تكتب بحروف الذهب ، وقال الاتراك فى الآيات التى تكتب على هذا النحو كما تجد فى المساجد



ان الزخارف العربية او الارابيسك ليس مجرد خطوط وزوايا ومنحنيات وهيئات اوراق شجر متكررة ، انما هي تعبير فني عن احساس الانسان بالجمال المجرد اللانهائي الذي لا ينحصر في محاكاة صورة شخص بعينه او منظر طبيعي ، لان هذه كلها في نظر الفنان الاسلامي محاولات لتقليد صنعة الخالق ، وصنعة الخالق سبحانه لا تقلد والنماذج الثلاثة على الصفحة اليمنى تصور هذه الفكرة بأجلى بيان اما الصورة الرابعة على الصفحة اليسرى فآية من آيات الفن المعماري الاسلامي ، انها صورة لدار عين عائشة وهي احدى مقاصير بهو السباع في غرناطة .





التركية : زوارق من ذهب في بحر من استبرق .

❋❋❋

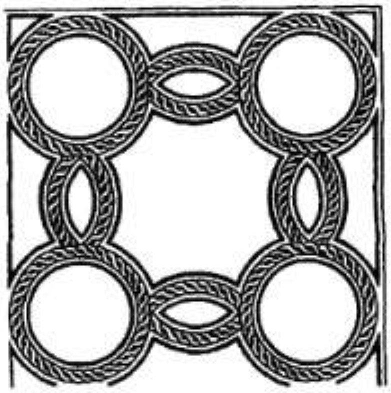
وابدع المسلمون فى فنون العمارة ، ولا ينجلى جمال العمارة الاسلامية بالوصف بقدر ما يتجلى فى المنظر والرؤية ، فقد أحدثك صفحات عن مسجد قلاوون ، ولكن صورة ذلك المسجد بتوازن أجزائه واتساق أشكاله وابداع أوضاع المئذنة والقبه والمنظرة (تسمى فى العمارة الغربية لوجيا) كل ذلك يبهر عقلك وقلبك ويجعلك تحار فى معانى الجمال التى تتبدى لك .

وانت تتأمل مسجدا من مساجد اصفهان كالمسجد الازرق (لان قبته زرقاء) او روضة التاج محل فى اجرا فى الهند او مسجد السليمانية فى استامبول او مسجد السلطان حسن فى القاهرة او مسجد عقبة فى القيروان ومسجد القرويين فى فاس او مسجد قرطبة الجامع ، تتأمل ذلك كله وتتعجب من صور الجمال الفريد التى تتراءى امام عينيك ، فيغنيك هذا عن كل كلام .

ولقد كتب أوليج جرابار كتابا ضخما عن مساجد السلاجقة فى ايران وما وراء النهر وآسيا الصغرى ، فابدع ايما ابداع ، وقال ان الآجر الذى بنيت منه هذه المساجد والروضات انما هو مادة فنية لا نظير لها فى الدنيا ، فانه آجر كأنه قطع الحلوى تستطيع ان تصوغ منه ما تشاء ، وكل ما تصنع منه يخرج جميلا انيقا وحلوا كذلك .

❋❋❋

وللفن الاسلامى مذاهبه ومدارسه ، وهذه المدارس يختلف بعضها عن بعض اختلافا بينا فى الهيئة الظاهرة ، فالفرق جسيم جدا بين هيئة مسجد هندى عظيم مثل مسجد قطب الدين ايبك الذى لم يبق منه كاملا الا مئذنته التى تسمى قطب منار وارتفاعها فى الجو سبعون مترا ، وهى فى ذاتها أثر فنى قائم بذاته مكتمل الشخصية والتكوين ، فان ارتفاع الآيات القرآنية المحفورة على جدران المنار يبلغ نحو المتر والنصف ، والبوابات الباقية من هذا المسجد قطع معمارية ضخمة متكاملة ، هذا المسجد يختلف فى شكله واسلوب بنائه ومادة بنائه عن مسجد الامير سعيد خدا بنده فى آسيا الصغرى ، فهذا مسجد بالغ الجمال بنى كله من الآجر ، حتى الكتابات على الجدران قطع من الآجر الاحمر الجميل .. والمسجد له بوابة جميلة تزدان بشرائط زخرفية ، وزخارفها كتابات آيات قرآنية كريمة ، واذا افضيت الى صحن المسجد وجدت بيت الصلاة امامك ، وهو بيت صغير جميل فوقه قبة من الآجر (الطوب الاحمر) فى الغاية من الحسن والدقة ، وعلى الرغم من هذا الخلاف الظاهر بين ما يعن من مسجد قطب الدين ايبك وما هو امامنا من مسجد سعيد خدا بنده ، فانك تشعر أن الاثنين واحد ، هناك البناء بالحجر الضخم الرصين الذى يتشبه فى ضخامته حجارة الاهرامات ، وهنا نجد البناء من قوالب صغيرة من الطوب الاحمر مصنوعة باتقان كأنها « علب حلوى » كما يقولون ولكن قطع الحجارة الضخمة وقوالب الطوب الصغيرة تتحدث نفس اللغة ،







شباك زخرفي يصور لك جمال الارابيسك وتداخل خطوطه وزواياه ومنحنياته تداخلا يلقى فى النفس احساسا باللانهائية ، والكون لانهائية . والله سبحانه هو الاول بلا بدايةوالاخر بلا نهاية اى ان فن الزخرفةالاسلامى تصوير لروح الاسلام .

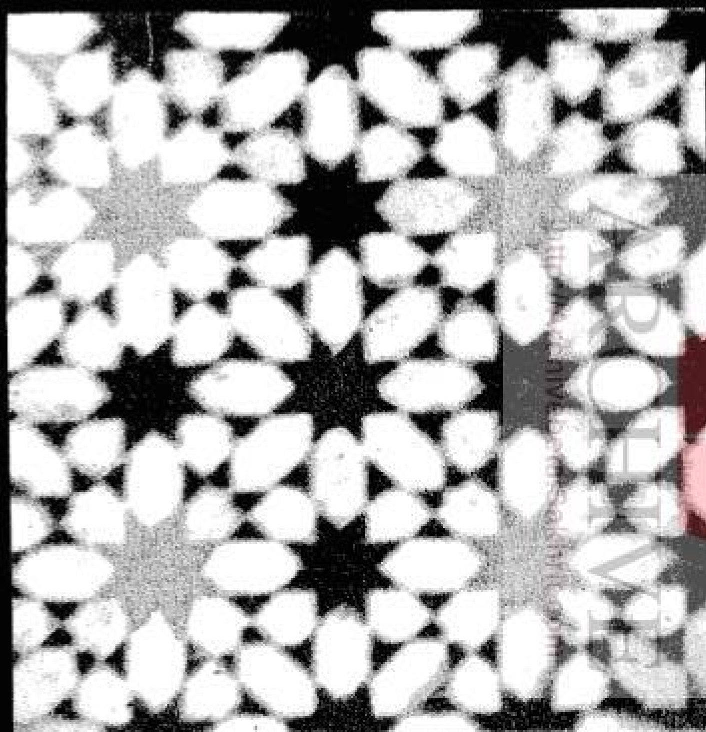
دورق او مزهرية من الزجاج الملون من العصر الفاطمى . لاحظ دقةالصنع ورقة الزخارف ومزاوجة الفنانالشكل العام للعمل الفنى وزخارفه وكتابته. كيف يقال بعد ذلك ان الفن الاسلامى خال من الحياة لمجرد انه يخلو من تصاوير اشخاص ؟

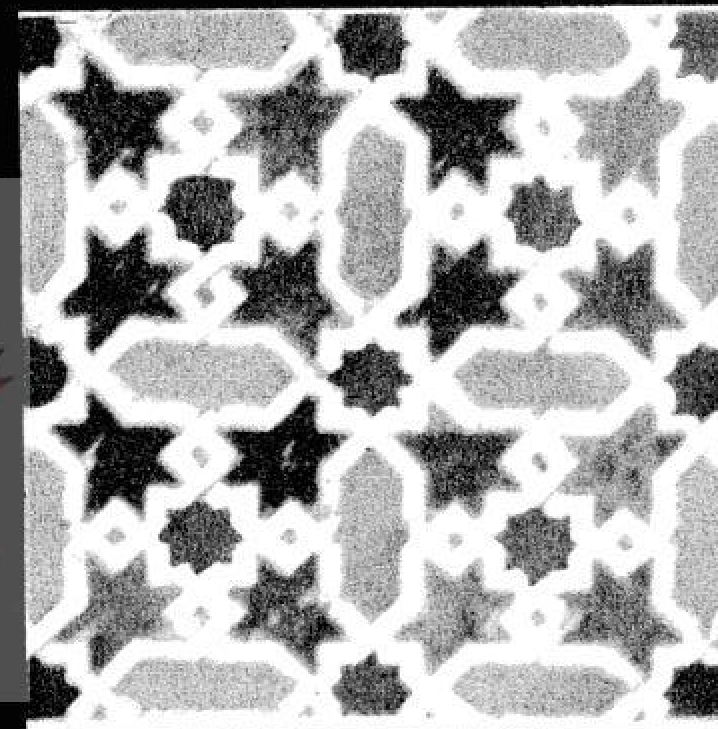
لغة الإسلام ،ببساطته بانسانيته بروحانيته .

❋❋❋

ذلك ان الفن الاسلامى لم ينبع من خيلاء أو رغبة فى التباهى والتفاخر ، وانما هو صدر عن الايمان ، فهو تعبير عن الايمان ، وما دام الايمان فى ذاته واحدا فلابد ان يكون التعبير واحدا وان اختلفت الفاظه ، ولهذا فانت اذ تقف للصلاة فى هذا المسجد أو ذاك فانت فى نفس المسجد ، لان الالفاظ التى تجول فى صدرك ويعبر عنها لسانك هى نفس المعانى التى تحدثك بها أشكال المساجد من حولك : معانى توجيه وتقديس وخضوع للخالق وايمان به ، كلها تقول شيئا واحدا : الحمد لله خالق الكون .

هذا ما اشعر به عندما اقف للصلاة فى مسجد المحمدية فى استامبول ، واصلى ثم اجلس واسند ظهرى الى واحدة من تلك الدعامات الحجرية وانظر الى بيت الصلاة الواسع الرفيع العلا ، واتأمل صفوف النوافذ الصغيرة المغطاة بالزجاج





يعتقد الكثيرون أن الزجاج الملون ميزة من ميزات الفن الغربى ، وان المسلمين لم يستعملوه الا فى منشآت المساجد العثمانية ، وانهم استجلبوا الزجاج الملون من البندقية ، وذلك كله غير صحيح فهذه النوافذ المصنوعة من الزجاج الملون ترجع الى القرن الرابع الهجرى ، وهى صناعة اسلامية خالصة ، وقد عرف الفنان المسلم كيف يطوعها لفكرته العامة عن الفن والتعبير الفنى .



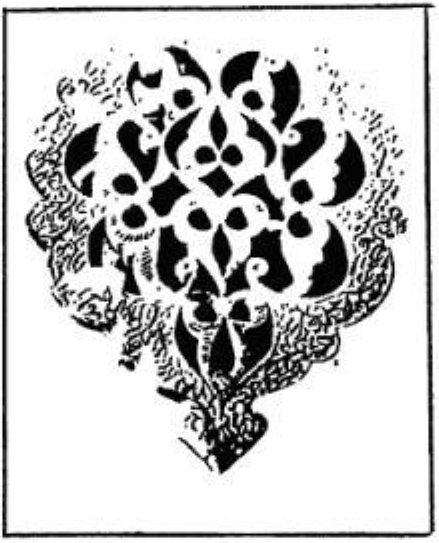
جوسق من جواسق بهو السباع فى حمراء غرناطة ، اجمل مثال على رقة الفن الاسلامي وتناسـقه والوحدة الفنية التى تربط كل عمل من اعماله .

اللون واتأمل دعامات القبة الضخمة بارتفاعها السامق ، والمحراب امامي آية من آيات الصنعة في الرخام ، والى جواره المنبر الخشبي بزخارفه لا تخفيها عني قلة الضوء،ثم اتأمل الافاريز النقوش الزخرفية على الجدران العالية ، والافاريز الآيات القرآنية المكتوبة بماء الذهب على ازرق اللازورد ، ويأخذني ذلك الجمال له فاسبح معه ، ثم اعود الى نفسي فاجد ان هذا كله لا يختلف الا في الظاهر عما عرفته في مسجد قطب منار أو مسجد الامير سعيد خدا بنده . كلها شيء واحد لانها تعبر عن شيء واحد هو الذي في صدري : الحمد لله سبحانه خالق هذا الكون ..

الاشكال تختلف ، والصور تتباعد والهيئات تتنوع ولكن التعبير واحد ، يصدق عليها قول الله سبحانه وتعالى : « في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

***

ذكرت هذا وانا قاعد اسبح في مسجد المؤيد في القاهرة ، والمسجد آية من آيات الفن ، ليس فيه اسراف في زخرف ولا زينة وانما هي جدران عالية من الحجر المنضد المصقول ترتفع عشرين مترا ، وفي اعلاها نوافذ صغيرة وقمريات يعشش فيها حمام يسبح لله، وعن يميني نافذة واسعة تطل على حديقة المسجد التي ما زالوا يجورون عليها ويأكلون منها حتى اصبحت شيئا صغيرا ولكن فيه خضرة ، والخضرة تريح القلب والخضروات ذات لون قرآني،وهي مخلوق حي جميل من مخلوقات الله تنطق كل ورقة فيها بما يمور في صدري وما يجري به لساني وما تتحدث به هذه



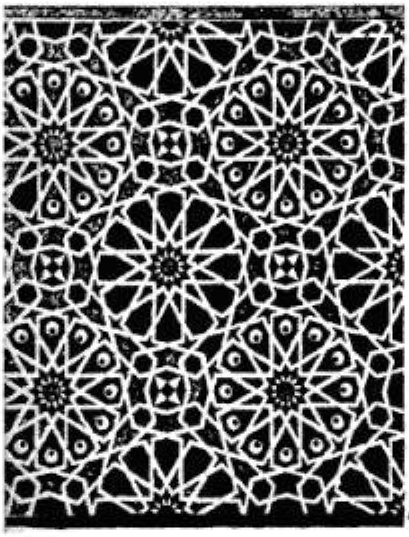
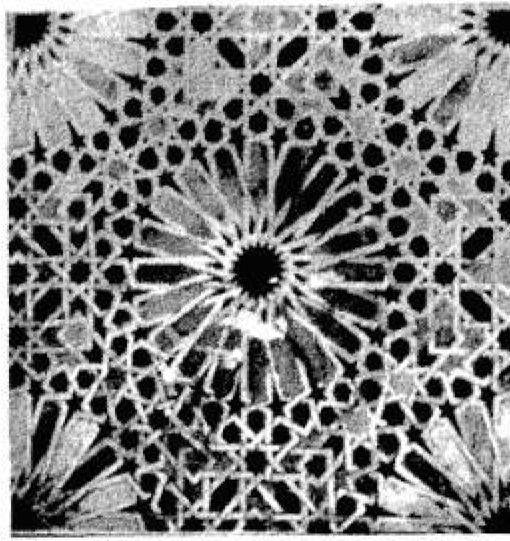
القطع المعمارية من حولي : الحمد لله سبحانه خالق كل شيء .

***

وتسبح بي خواطري مع المساجد في نواحي الارض وانا احبها جميعا فأتعجب من هذا الفن الاسلامي الواحد ، كله ينبع من القرآن الكريم ومن وحدانية الاسلام ، كلها بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .. لا فرق بين واحد منها وواحد ، فاشكالها الفنية تعبيرات أو صور من التعبير ، ولكنها كلها واحدة كلها معنى واحد والاشكال الفنية تعبير .

حتى مساجد الارياف في عالم الاسلام كله ، قطع فنية ، لان الفن هنا هو الروح والمعنى ، وفي قريتنا واحد منها ، على شاطىء النيل قطعة ارض صغيرة نظفوها ومهدوها وبلطوها وفرشوها بالحصر ، واقاموا حولها عمدا من خشب وسقفوها بعمد من خشب ثم وضعوا فوقها الحصر وزرعوا اشجار الليف فغطت هذه الخميلة بالخضرة ، وجعلوا قبلة المسجد شجرة جميز ذات ظل وارف ..

هنا ايضا اجلس واسند ظهري الى عمود خشبي واتأمل الخضرة فوقي وعن يميني وشمالي ، ثم القي ببصري الى ماء

النيل ــ نهر الجنة ، وأسعد انني هنا ايضا في فن اسلامي ، لان الفن ليس الزخرف أو الزينة ، وليس اتساق الألوان أو الاجزاء ، وانما الفن الاسلامي هو تعبير عن الايمان بالله الواحد ورسوله عليه صلوات الله ، وصدقني انني في مسجد قريتنا هذا أشعر بنفس الجمال الفني الذي أشعر به في جامع السلطان حسن في القاهرة ، لان المعنى واحد ، والروح واحد،والاختلاف في التعبير ..

❁❁❁

على منحدر جبل رفيع اللرا في وزيرستان اى بلاد قبيلة الوزيرى بين افغانستان وباكستان وقفت بنا السيارة لصلاة العصر . وكنا مازلنا في افغانستان المجاهدة ، وخرجنا الى فسحة مهدوها على سفح الجبل لتكون مسجدا ، هناك رأيت نفس منظر مسجد قريتنا ، نفس الارض المفروشة بالحصر ، نفس اعمدة الخشب . نفس الخضرة ، والقبلة ايضا تحددها شجرة ، هناك صلينا العصر ، وارسلت ببصرى الى الوادى تحتى والى الخضرة حولى واحسست انني هنا في نفس الاطار الفني الاسلامي ، اطار البساطة التي تروع النفس ، والتعبير البليغ عن جلال الله الذى يروع النفس، هنا أيضا شعرت بالفن الاسلامي كله ، لان الفن تعبير ، المعنى واحد واللفظ قد يختلف وقد لا يختلف .

❁❁❁

وأبدع المسلمون في استعمال الحروف العربية عنصرا زخرفيا وانشأوا من الحروف صورا هي الابداع بعينه ، ولم يجارهم في ذلك أحد من أهل الارض . ولقد حاول الالمان تقليد المسلمين في هذا المجال باستعمال الحروف الجرمانية وهي هندسية ، ولكنهم قصروا في ذلك عن العرب تقصيرا مشينا .

وبعد ،فان الفن الاسلامي بشتى اشكاله وآيات ابداعه سجل حافل لا تكفي فيه هذه السطور ، وانما الصور تعبر بأبلغ مما تعبر الكلمات ، فتأمل هذه الصور التي اخترناها لك وتفكر في جمالها تشعر بالفعل ان الفن الاسلامي تسبيح بالجمال الذي لا يصدر الا عن نفحات الخالق سبحانه .

د . حسين مؤنس



رائعة من روائع الكتابة الزخرفية فى الفن الاسلامى ، فان هذا النقش كما هو واضح انما هو بسم الله الرحمن الرحيم وسورة الاخلاص كاملة ، وقد عرف الفنان كيف ينسق الكتابة على هيئة زخرفية لا تجارى ، فجعل الالفات تتلاقى فى الوسط فى هيئة طبق نجمى ، ورتب الكلمات بالخط النسخى ، واستعمل اللون الازرق الفاتح المعروف بالعربى بظلاله ودرجاته المختلفة فى اضفاء الوقار على الآيات القرآنية ، لان غرضه لم يكن رسم هيئة زخرفية وانما نقل احساسه بالايمان فى صورة زخارف هندسية .

● أحمد مصطفى حافظ ●

بعد إمتـــاع بعيش نضــــر
وانطــلاق فى المــدى المنتشرِ
بعدَ إيـــلاف لسكون زاخــر
وانتشـاء بالجــوى المستعِـر
.. ننتهى ؟ لا بأس ! نمضى فى الثرى
لنرى ماذا وراءَ المحتضــر
ونرى ما ظــلَّ سـرا غامضـا
فى ثنــايا الغيب .. منذُ الحذر
.. لنرى أرواحَ قــوم قبلنـا
فارقــونا .. بعد عصفِ القدر !

***

نخلعُ الجســمَ لنبقى مثلهــم
دون « طين » حاجِــب للبَصـر
لا نرى الشمس ولا البَــدر ولا
لوعةَ الأحبــاب .. بعد السفـر
.. ثم نمضِى فى سُــبات طـاحن
تتلاشى .. كالصـدى المندثر
فى متاهِى بــلدة مجهــولة
ليسَ فيها للمُنى من أثــرِ !
والثــكالى واليتامى .. حشوهم
فى حنين ... ذائِــب .. منحسر !

***

آه من راحــة قلب مثقــل
لا نرى إلا .. بفقــد العُمْـر ! ●●

قصة

بقع الدم الوردية

● هدى جاد ●

رماها بنظرة .. تلعثمت اهدابها .. رماها باخرى ، دق قلبها .. حدد اليها البصر ، تلمظت امعاؤها ، لمحت ابتسامة احست بلذعة ثعبان .. استمعت الى ضجيج القطار !.

منذ كم من الاعوام يتبادلان النظر ؟. ومتى كانت اول نظرة تبادلاها معا ، او كل على حدة ؟.. يقولون عندما يشاهدون الصور التي مضت عليها عشرات السنين ان الايام تمضى سريعا ، سريعا ، سريعا ..

بودها ان تغمض عينيها لتجد نفسها على محطة القطار ، حيث تستقبل مدينة جديدة ، تستروح فيها نسمات البحر.

— اتريدين قهوة ام شايا ؟

— لا شيء لا شيء ..

يتصفح جريدته ، الملامح غارت في الوجه الكدود ، والجلد اقتربت طياته بعضها من بعض ، ربما يلوذ من المجهول، لكنه عندما تقارب لم يحسن الاحكام ، فتكونت موجات غير غاضبة واخذت تلتحم وتلتحم .

آه ، السنون تمضى سريعا .. يا للزمن، تذكر في مرارة من هذه السنوات العجاف الماضية ، حوارا دار بينها وبين زميلة :

— لو احببت يا مديحة ! لاحسست بمعنى الغيرة ، لكنك الوحيدة بيننا التي تختزن عواطفها ، وقولك المأثور ، « لم أجد بعد من هو جدير بحبى » !.

ليست غيرة يا صديقتى ، لكنه احتجاج على موقف غير شريف .. وليس معنى ذلك انني احب ، بمعنى ان اشاهد موقفا مشينا في الطريق مثلا فينتابني الغضب قد يكون مكتوما أو غير محجوز ، لكنه يجتاحنى اولا، وقد اتخذ موقفا ايجابيا أو لا اتخذ ، لكنى قطعا لا أرضى وقد يكون هذا كافيا او غير كاف ..

تماما كهذا الرجل يقبع امامى يرميني نظرة من حين لآخر ، فما زلت أحتفظ بنضارتى ، وليس معنى نظرته انه ما زال معجبا بى لكنها بذرة الحقد .. فلم غيرته الايام ولم تغيرنى .. لم طحنه الحقد ولم يتلبسنى رغم انني الطرف الخاسر ؟.. هل استكين .. لا .. هل انتظر موتى بيد غيرى ، قطعا لا .. فان كان لابد من الموت ، فليكن من اختيارى وعن اقتناعى ! .

بودى ان تقرأ افكارى بدلا من متابعتك



اسطراً فى صحيفة تقرؤها من عشرات السنين .. بودى ان تلم بخيوط متابعتى لافكارك انت المتبلدة .

يحس من يشاهدك وانت ترمقه وهو يأكل ان نظراتك تكاد تسحقه .. ان لقيمات الطعام تنفذ اليها سهام سمومك ..وقبل ان يهضم طعامك يموت صريعا، وتتهم انت باغتياله النفسى .. تماما ، كقاتل يحمل سلاحه تحت ابطه ،ويغمده فى قلب ضحيته .. قد تطفر بقع الدماء وتسيل بقعة بقعة .. ولكن ما هذا ؟.. ما هذا ؟.. أفى حلم انا ام فى يقظة ..

هل تلاحقت افكارى ، وصنعت قاتلا وقتيلا وبقع دماء ؟! لابد بدى االمس الحقيقة .. لم يعد هناك مفر من ان اصرخ او باضعف الايمان ، انادى القابع امامى ، زوجى ..

ـ الشاهد هذه البقع من الدماء ؟.

ـ دماء .. ؟ اية دماء ؟!

تحركى يا جثة .. دعى الصحيفة جانبا وانهضى لانقاذ روح ما زالت تصارع !

تحرك الجسد القابع وخرج راسه من النافذة ، لتلمح دماء تسيل من فوق سطح القطار .. كثر الهمس ..تجمعت الرءوس والاجساد ، وكون الحشد قوة رهيبة . كان لابد من ابلاغ ناظر المحطة الذى ابلغ بدوره من حادثة قتل تمت فوق سطح القطار .. فقد انتهز رجل فرصة خلو السطح من الناس ، وطعن غريمه الذى استدرجه بحجة السفر مجانا ؟.. اخطرت النيابة التى تولت التحقيق وتم القبض على الجانى ..

همست الزوجة التى اكتشفت حقيقة الامور منذ سنوات مضت :

ـ كم تبقى لنا من ساعات لنصل الى الاسكندرية ؟.

اتاها صوته يشيء فى نفسها الملل .. لم اعرف شيئا .. هزتنى الحادثة !.

اما انا فقد عرفت الكثير .. لم يبق من ساعات السفر الا دقائق ، لاصل الى بر الامان حيث لن ترانى بعد اليوم ، رغم مضى السنوات العجاف التى اعتصرت عودى .. رغم موتى البطيء ، الذى لم اشهد دماءه الا منذ لحظات !.

الماسات الزيتونية

● محمد قطب ●

لا شك ان القصص العلمى يحمل فى طياته سحره الخاص . وهو سحر ينبع من محاولة توظيف الوهم والحلم توظيفا فنيا وادبيا . واذا كنا نعلم ان امكانات العلم كما يقول « البيريس » لا نهاية لها ولا حدود فان الانطلاق بالخيال الى عوالم فيزيائية ورياضية قد أتيت ما يمكن ان نسميه بالوهمية اللحنية التى حلت محل الوهمية الدينية اوالخرافية التى دارت حولها بعض الأعمال الفنية حين عالجت موضوعات الجن والخرافة والأشباح والحيوان .

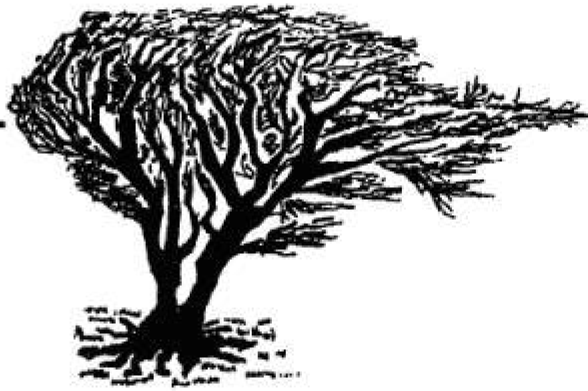
وحتى يكون للقصة فى توظيفها للحلم والوهم اطار شبه علمى فى التنبؤ والاحتمال فانها لجات الى العلوم التجريبية والتطبيقية ، وافادت من الانجازات العلمية الهائلة كحقائق تستند اليها فى انطلاقها الخيالى واقتحامها للعوالم الكونية . وسيظل للقصة العلمية زخمها وسطوتها وقوة تأثيرها اذا نجحت فى المزاوجة بين العلم كحقائق وتجريب وبين القصة كفن له أصوله واطره الخاصة به ..

والأدب العلمى حديث عهد فى الادب العربى ويكاد الاستاذ نهاد شريف يكون الوحيد الذى يخلص لهذا النوع من قصص الخيال العلمى ، حيث اثرى المكتبة العربية بعدة روايات ومجموعات قصصية « قاهر الزمن » ، سكان العالم الثانى ، رقم ٤ يأمركم ، الماسات الزيتونية »

ومجموعة « الماسات الزيتونية » ـ آخر ما صدر للكاتب ـ تثير عددا من الافكار والرؤى الغامضة فالانسان اصبح كائنا كونيا يقوم برحلاته عبر الكواكب واجواز الكون مختزلا المسافات الهائلة حتى اصبح للكون كله حضوره الآنى والكلى ، وتحول الفضاء بمظاهره المالوفة وغير المالوفة الى مادة فنية بعالم بها اغرب اشكال الحياة الفائقة تطورا وتصورا .

وتطرح المجموعة حلولا خيالية من امكانية اللقاء بين البشر ومخلوقات الكواكب الاخرى ومن محاولة الوقوف على اسرار الكون ومعمياته ، والجسد والغازه ، والروح وطاقاتها الكامنة وعما يمكن ان يحدث من هول نتيجة حرب نووية او قدوم عصر جليدى .

فى قصة « الناقوس الصدىء » مزاوجة بين العلم فى انجازاته والروح فى طاقتها الاثيرية ، لكمية المعلومات والحقائق والمعارف العلمية المبثوثة تشى بان الزمن المستشرف لتحقيق ذلك كله طويل طويل رغم أن الكاتب قد حدده مستقبلا بعام ١٩٩٠ ، لان تصل الى مركبة فضائية تسير بسرعة ثمانية ملايين ميل فى الدقيقة ، طموح علمى يطلقه خيال جامح بامل الوصول الى



حلول سريعة لمشكلات يعانى منها كوكب الارض كمشكلة الانفجار السكانى ، وهو وان علق حلوله على فروض علمية تجهض الخيال فى تصوره ، الا انه لم يفقد تفاؤله . . .

كما تتناول القصة العلاقة بين العالم وصديقه المتوفى ، وكان الناقوس هو وسيلة الاتصال بين الحياة والموت ، وتظل الرغبة فى استحضار الروح من عالمها البرزخى املا يداعب الخيال . واذا كانت هذه القصة تجريبا فى الحلول فان « جولة المساء » تدور احداثها وقد تحقق كثير مما جاء فى القصة الاولى .. فنحن فى زمن متقدم حيث اصبح الطبق الطائر احدث وسائل الاتصال .

والقصة تقوم على فرض علمى يتمثل فى حلول عصر جليدى خامس . وان جولة الطبق الطائر مقصود منها تحذير البشرية من فيضان مدمر . والتحذير يذيعه تليفزيون جمهورية مصر العربية . فالكاتب مؤمن بمصر وبمستقبلها العلمى . فكثير من احداث القصص وشخوصها تتخذ من مصر ورجالها العلماء نقطة بدء فى التناول . ومن هنا يرف من خلال العمل امل سافر وشاحب ناتج من التصادم بين الممكن والمستحيل .

***

وفى قصة « اللقاء الرهيب » تصوير لكائنات تحيا على الكوكب الازرق تشبه البشر فى تكوينهم مع اختلافات فى الاجهزة الداخلية للجسم ، فابدانهم قد خلت من الزائدة الدودية ، والطحال ، والاسنان ، والمريء .. ذلك لان الطعام لا يتعدى السوائل . وهذا الخلل فى التكوين جاء .. حين انحسرت الشمس وتسرب الاوكسوجين وبدت الحياة اقرب الى الاستحالة . وتلجأ الكائنات الى طلب المساعدة والسماح بهجرة جماعية الى كوكب الارض .

وفى القصة نلمح استفادة الكاتب من تاريخ الحياة على كوكب الارض وتطور مراحلها . وتبقى الفروض العلمية قابلة للتأويل والشك . ومن ثم تقترب القصة من جو « الفانتازيا » الخيالى رغم صدق الحقيقة العلمية من تاثير تسرب غازى الايدروجين والاوكسوجين على بناء الجسم .

وتتميز قصص « ظلال الصمت » « الطحلب » « سر القادم من اعلى » بانها ذات مستوى فنى عال حيث استطاع الكاتب ان ينجح فى المزاوجة بين الخيال العلمى وضرورة الفن القصصى . فالكاتب فى « ظلال الصمت » يراعى فى رسم الصورة قربها من فن التشكيل حيث يرصد الجزئيات ويصف خطوط اللوحة وارضيتها وجوانبها وصفا دقيقا ..

ولقد ادت التجزيئات والسيولة فى

الماسات الزيتونية

الوصف الى نوع من الغموض « الطين ذراته اردوازية ، او هي مزرقة وقد تميل الى الحمرة في الاعالي . والطين ذراته هشة ، هباء ، دقيق منثور ، لزج ، له رائحة صدا المعادن».

واللغة في القصة ترتكز على مستوى عال من الاداء ، ويحكم اختياره للنسق اللفظي ضرورة الانسجام والتوحد مع الموقف ومن ثم تتلاحق الفاظ مثل « يشتعل ، يلتهب ، حرارة ، يشوي ، غضبي .. الخ » لتؤدي الانطباع الذي يريد الكاتب أن يعبر به عن الهول الذي ينتج عن حرب ذرية كونية . والمشكلة تتمثل في ان الرعب لا يزال عالقا بالذاكرة وان الاطفال حين يصلون الى حد الزيادة المفرطة ينطلق مارد الحرارة فيأتي على الاقوات فينتحرون ارداناً حتى يبقوا على معدل التوازن .

والقصة صورة دامعة للمأساة التي يمكن ان تحل بالبشرية يوما ما،وسيظل الهول عالقا بالذاكرة على مستوى الزمن القريب وليس بالضرورة على مستوى الزمن الموغل والذي حدده الكاتب بعد الف عام .. وهذا الايغال قد يفقد القصة العلمية معقوليتها وان بقي منها ما يمكن تسميته بالنبوءة والتحذير .

***

وينقلنا الكاتب بقصة « الطحلب » الى عالم البحار ليستقي منها مادته . وهي تتناول خطين متوازيين يندمجان في النهاية. فالطحلب نبات خرافي يعيش في مملكته سعيدا يحس الانتماء والوجود مثله في ذلك مثل العالم الباحث الذي يحس بذاته في مجال البحث والدراسة . وفي رحلة للعالم الباحث يستوقفه الطحلب وبضربة سكين قاتلة يقتلع النبات الطحلبي ويمضي به الى بيته . وتتغير معاملة الاسرة للعالم ، فهو قد اصابته سكين من نوع آخر والسبب هو : « تركه لوظيفته كاستاذ بمعهد بحوث اعماق البحار واحالته الى المعاش » ويستغرق العالم - خروجا من دائرة الاحباط واللا جدوى - في دراسة النبات ، حتى يضحى الطحلب بديلا للجو الاسري المفتقد . ويغلق عليه من فيض نفسه فتختلط الرؤى بالاوهام والواقع بالحلم . ويتخيل انه سمع صوتا وهسيسا، وان مصدره نبات الطحلب « بدا الصوت ناعسا صدئا يأتيه من غور بعيد .. كان آسرا لا يقاوم » وحين تتلاشى الفوارق المعقولة ويضحى اللامعقول هو المسيطر، يتوهم العالم الباحث ان اذرع الطحلب تمتد اليه . فيداهمه الفزع ويسقط ميتا . وماكان املا في الخلاص بات سببا في الفجيعة . وفي القصة ربط بين قلق العالم ومادة البحث وهي الطحلب وفيها أيضا تنوع في البناء واداة التناول .

***

في قصة « سر القادم من اعلى » محاولة لفض الالغاز التي تحيط بالكون عبر كسر حاجز المكان والزمان فيصير الكون كلا واحدا ويقتنع الانسان بانه لم يعد محور الكون وآلته الوحيدة ، فهناك من يراقبه ويحذره . والكائن القادم من اعلى ذو تكوين مختلف، فرداؤه من صفيح مبرق وذراعاه وساقاه اربعة أطراف بالغة الدقة من مادة جلدية سميكة . وهكذا يتبدى الكائن في شكل مغاير تماما للكائن البشري على الارض . ولا بد لقدومه ، ولقطعه المسافات الهائلة بين الكواكب حتى يصل الينا ، من سر ، بل وسر مؤثر . ولقد كان السر عظيما وودودا ، لقد كان رغبة في الصداقة وحسن التواصل . « نحن ننشد صداقتكم » . وفي القصة يلجأ الكاتب الى استخدام الحدث الدائري حيث يطرح الموقف من زوايا مختلفة وبرؤى

متباينة فيحدث ما يمكن أن نسميه بالتراكم التتابعي للحدث .

وتقوم قصة « الماسات الزيتونية » على فرض مفاده « الا يمكن انبات حصوة ماس حقيقية بكلية شخص مريض » . والقصة خيط مستولد من خيال الكاتب ليقيم عليه بناء قصصيا يوحي بتصادم الذات مع الواقع . والقصة وان بعدت عن جو الفضاء والبحار الا انها قد ركزت على الشخصية الانسانية في اتزانها وقلقها واحباطها وبشاعة مسلكها . فالدكتور يزرع في كلى المرضى نوعا معينا من الذرات يساعد على تكوين عنصر الماس ليبيعه ويعالج به شقيقه . ولقد رصد الكاتب حالة اللاسواء عند الدكتور ، في حركاته الانفعالية ولوازمه النفسية . وهو رصد يتنامى وحركة الشخصية « الاختلاجة التي اعترت ركن فمه ، بل الطريقة المنفعلة التي شبك بها اصابع يديه حتى هربت منه الدماء دلت هذه كلها على انه يرزح تحت جبل من التردد » .

وفي المجموعة نلاحظ اهتمام الكاتب وعنايته بمقدمة القصة حيث يكثف الحدث وصولا الى عنصر التشويق « كانت العاصفة الترابية قد بدأت تهب على اشدها » – « اللقاء الرهيب » ، والصورة المتكررة في مقدمات قصصه هي الصورة الفنية التي تشي بالجو العام وبخيوط الحدث وعناصره . « في عنف وضراوة راحت العاصفة تمد مخالب قاسية فوق الغابة كوحش خراف .. » « ابن البرق » .

والكاتب في تعامله الفني مع قصصه قد يبدأ بالدخول مباشرة الى الحدث عن طريق الحوار الذي هو أداة الفعل والمشاركة « ادخل انه محلك ... تفضل .. » « الماسات الزيتونية » – كما قد تستهويه الصورة التشكيلية التي تقترب من اللوحة الفنية . ومن ثم يتضح لنا ولع الكاتب بالالوان ودرجاتها اللونية حيث تتضافر درجاتها لايجاد حالة متوازنة بين النسق الفني والجمالي المنظم وبين نبض اللون في نسبه وابهاره . كما تختلط الالوان بالاصوات ، بالحركة في نغم ممزوج بفيض من الوصف والرصد « كما تستلقى الظلال في ليونة ويسر ، خطا كان مبهم التفاصيل ، يخترق رحبة من الارض الفضاء حتى توقف في منتصفها وحملت ذرات الطين صفيرا مشروخ الايقاع .. » « تلال الصمت » .

كما ساير النسق الفني حالة الانفعال ودرجته وطبيعة الشخصية وتكوينها ، قلقها وخوفها وصراعها ، فكثر التساؤل وقصرت العبارة وامتدت تبعا لدرجة اللهاث النفسي ومداه « ما الذي يسمع ، هل اختلطت الكلمات فجاءت معكوسة عصية ؟ هل جن القوم فاصبحوا يهلون ؟ .. الخ « وسيقال لا يعرف » .

واذا كان الزمن المستخدم يتراوح بين القريب والموغل في البعد فانه قد يتحول الى زمن آني رتيب يعكس على القصة آنيته ورتابته وآليته كما في قصة « عندما يفشل العلم مرة » كما يعطيه الزمان القريب قدرة على التجويد والابانة حين يتعامل من واقع خبرته مع الاشياء والطبيعة والوجدان في حين يجهد الكاتب الزمان الموغل ويربكه في رسم الصورة وتكوين اللقطة كما في قصة « تقرير عاجل » اذ لابد في القصة العلمية أن تكون واضحة الاسلوب حتى يتواصل الخيط بين العمل والمتلقي فيكفي ما فيها من غموض في الفرضية العلمية سند القصة ومحورها .

فتعبير مثل « كأنها تطفو عبر تيار معنوي خفي » يوقع اللبس والغموض فيؤدي الى انفصام المتلقي وبتر الحدث وغموض الصورة .

قصة :

خبر الصفحة الأولى

● حسين عبد هادى ●

● يلف الظلام كل شيء . . مبنى قسم الشرطة ، الفناء . يجثم على صدر غرفة « الحجز » ، او « التخشيبة » ، ينساب صوت حسان الولى جهوريا ، واضحا : « والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والانثى ، ان سعيكم لشتى . . » .

تظل العينان مصلوبتين على قضبان النافــذة الحديدية . . قلت لحارس الباب الخــارجى لمستشفى قصر العينى : سادخل الاستقبال لانى . . مريض !

كذبت . دخلت . سقطت فى متاهة مظلمة . . المستشفى كقصر مهجـور . تثير الرياح الاشباح بين فروع الاشجار . فتطرق السمع وشوشة متعثرة . كبقايا كلمات يذروها الهواء . . ايقنت ان الكهرباء مقطـوعة . بدأت دوائر الضوء الواهنة لبعض الشموع تظهر . لا محل للتراجع ، فهذا هـو الوقت الوحيد ـ المتاح لى ـ لأزود توجتى . وارى مولودة الامس . ابنتى نجوى .

اقتربت من مبنى قسم الولادة . برز فجاة هيكله الضخم كعملاق هائل الحجم ، يحكم المكان . . لم يكن ممكنا ان انسحب مبكرا من العمــل ، فالحسابات الختامية يجب تقفيلهــا وتسليمها . . صدمنى شخص مادون اعتذار . تراقصت الارقام . تداخلت امام عينى . مددت قدمى متلمســا السلالم بحذر . بدات الصعود . اوقفتنى ممرضة مترهلة الجسم : ممنوع الدخول . . الكهرباء مقطوعة ، والقسم كله حريم . . .

يرتفع دبيب خطوات منتظمة ، يقطع صاحبها حجرة الحبس ذهابا وايابا . . يعلو شخير بعض النائمين كيف استسلموا للرقاد ؟ كيف ناموا ؟ ! . .

دفعت ما يجب للممرضة صامتا ، انفتح طريق الزيارة امامى ، ومن قبل كنت لاتخطى حاجز الزيارة الممنوعة ، فكيف اتردد فى الدفع ؟ . . صمدت الزوجة الراقدة فى ظلام دامس . همست : مساء الخير . .

قبضت على يدى : اهلا ابو نجوى . .

اقتربت منها . صاحت : انقذنى من هذا المكان .

تداخلت الاصوات حولنا . انهمك اصحابها فى احاديث شتى . ربت ظهر يدها بحنان مشجعا قالت : « لماذا لا تصدقنى . . يجب ان اخرج . . فحص الطبيب سلك العملية فى الظلام . توقف عندما صرخت . . »

انكمشت فى سريرها . جـذبت الغطاء حولها : اشعر ببرودة شديدة ، انى ارتعش . . زجاج الباب المجاور مكسور . طمأنته . تمتمت : « كلهــا يوم او يومين . . وتكونين بالبيت . . »

هربت من رائحة الدواء الى البلكونة . جذبتنى انوار لافتة « نيون » ضخمة لفندق ، كشاهد ساخر وسط الظلام .

بعود وقع الاتهام المرتفع يصفعنى . احملق فى الظلام لا ارى شيئا . . . قال المحقق : هل انت مذنب ؟ هـل انت مذنب ؟ اجب . . .

يندفع حسان فى تلاوة القرآن ، كأنه لم يتوقف ابدا . . .

قال زميل : لماذا تقتل نفسك بالعمل ، وكلنا نقبض نفس المرتب ؟ . . لماذا تقوم باعمال الآخرين ؟ ماذا تريد ان تثبت ؟ ولمن ؟ . .

يحس لسعة برد تنخر عظامه . يتلفع بالبطانية الصوفية . تنضح الارض بالرطوبة . . ايقظتنى اختى الصـغرى من نومى باكية . جرح سمعى عويل صاخب . فزعت . ركبنى خوف عظيم . . قالت منتحبة : ماما . . ماتت .

اشاحت براسها بعيدا . تشبثت بالسرير ملعونا ، كان الموت سينتزعنى منــه ايضا . . ظللت لفترة ارقب انعكاسات الانوار والظلام ، على زجاج

باب حجرتنا المغلق ، لا اجسر على الحركة ..

يتجرع ظلاما كالعدم . تتجسم وحدته . يلملم نفسه ، يتقوقع ..

سقطت في مكان واسع . كأنه الخلاء ، جريت خائفا .. لا اثر لبشر ، لا انيس .. انتشر ظلام ضبابي حولي . وجدت سلما حجريا ، من اين ظهر ؟ .. لم اهتم ، امتطيته . صعدت لاهثا .. امتدت السلالم امامي طالت ، تكاثرت ، اكتشفت فجأة بابا خشبيا متآكلا انزلقت منه للداخل .. اصطدمت بجموع الجالسين في صمت على امتداد القاعة الرهيب . بدأت قوى خفية تهاجمني ، احكمت الحصار حولي ، غلقت المنافذ . لا مخرج .. اندفعت ـ عشوائيا ـ وسط الاجسام المتلاحمة محاولا الهرب بلا جدوى ..

يدب الخدر في الجسد المرهق . ينكس رأسه . يستند بظهره الى الحائط البارد .. تلفتت في مختلف الاتجاه ، جدران حجرية ، صماء .. وغرباء انهمكوا في اداء طقوس غريبة .. فجأة ومض ضوء من الركن البعيد . اندفعت ـ على هديه ـ متخطيا الاجساد المتراصة . طرت في الهواء .. انفرج الركن عن فتحة صغيرة ، ولجتها على عجل . انبسط المكان امامي بلا نهاية . خطوت مترددا ..

السماء سوداء . تصفر رياح عاصفة حولي .. دهمني رعب قاتل .. وحدي على حافة عريضة ، عالية . تشبثت بالارض الترابية ، الهشة بلا فائدة .. ازداد هلعي .. المكان منحدر . زحفت اكوام ترابية ببطء من مختلف الاتجاهات .. تقلبت .. تحولت للهجوم . كاني بؤرة حركتها . ضيقت قبضتها حولي . حاولت الفرار بضراوة . بلا جدوى . هل قدر لي الدفن حيا ؟!

يشعر بيد حسان المولى تربت كتفه: يجب ان تنام قليلا ...

يستمر حسان بعد لحظة صمت : هذا يوم حافل ...

يهز رأسه موافقا . يحاول ان يثبته في الظلام الحالك ان يمسك بملامحه الطيبة ... صرخ المحقق ثائرا : هل انت مذنب ؟ هل انت مذنب ؟ .. تكلم .. اعترف .

يشعل سجين ما سيجارة في الظلام . ينتشر دخانها في الفراغ . يهمس حسان : هل الحق الاقارب مع احد كبار المحامين ؟

يجيب الرجل : طبعا ، طبعا .. هذا مطلبنا منهم ..

يغمض عينيه ، تعلو دقات صداع رهيب بالرأس . **قالت ابنة العم : اربعون جنيها معي ، تحويشة عمري ، لك .. للمحامي !**

يصرخ فجأة حسان : هل سيفرج عنا غدا .. في جلسة المعارضة ام .. ؟

يقاطعه مهدئا : سيفرج عنا طبعا ان شاء الله ..

يحس انفاس حسان اللاهثة ، تتلاحق . تخفي انفعالا عنيفا ...

وسط الجبال بين الصخور . حدث التحول اصبحت مجرد رقم ضخم على الملابس القاتمة .. رقم بين ارقام عديدة ، تتناثر الارقام ـ البشر بين الصخور كالبقع .. تسطع الشمس الحمراء على الجميع بقسوة . تلهبهم قارها .. تتخلل اشعتها ذرات غبار ارضية فتبدو الوجوه ضارية ، متفردة متآلفة .. كل يحمل فأسه . يتحرك ببطء . يكسر الصخر . هل اكسر الصخر ام يكسرني ؟!

ينوح حسان ، كمن يستغيث : لا اله الا الله ..

يجهش فجأة بالبكاء . يتعثر صوته: لماذا العذاب ؟ لماذا ؟ .. ماذا فعلت يارب ؟ ماذا جنيت ؟

يتنهد الرجل . كان بكاء حسان يفرج كربته .. قال رئيس العمل : الاتهام باطل .. لا اساس له .. لكن الاجراءات .. انت تعرف .. لابد ان تأخذ مجراها .. ثم يكون الفرج .

يرتفع صوت حسان بالتلاوة قويا لاينا تشتعل عيناي بالدموع .. صرخ المحقق هادرا : اجب .. هل انت مذنب ؟.. هل انت مذنب ؟!

يكاد الشك يتسرب الى اعماقي . اذا لم اكن مذنبا .. فهل يسجن برئ ؟!

الدراما المتفائلة

أحدث اتجاه فى السينما الإيطالية

● مارى غضبان ●



مارشيللو ماستروريان يمثل دور الصحفى فى فيلم «الشرفة»



مشهد من فيلم « الحياة المرة »

● السينما الايطالية التي شدت ملايين المشاهدين اليها وخطفت الاضـــواء من السينما العالمية التي كان مركزها هوليـود منذ حوالى عشرين سنة ـ تمر الآن بمرحلة جديدة.

لقد اثارت هـــذه السينما الايطالية عشاق السـينما في العـالم بواقعية روسيلليني ، ودى سيكا .. ثم دخلت بعد ذلك مرحلة الكوميديا النـــابعة من النقد الاجتماعي باسلوب مرح .. وكان على راس هذه المرحلة المخـرج العـالمي دينوريز .. وها هي تدخل هذه الايام مرحلة مغايرة تماما بالاتجاه الى تغليب الكوميديا .. اى التعبير الدرامى ولكن البعيد تماما عن المأســاة ، انها الدراما المتفائلة ! ..

ولعل هذا الاتجــاه هو ما يعبر به صناع الســينما الايطالية عن الحياة التى تعيشها ايطاليا الآن ، اذ أن ايطاليـا ، كما نرى جميعا تعيش صراعات وأزمات سـياسية خطــيرة الى جانب تهــديد العصابات والتضخم الفاحش والتحلـل من بعض القيم التى كان لها فى ايطاليا كل تقدير واحترام ، وهو ما كانت تعبر عنه السينما الايطالية فى الخمســينات والستينات ..

وبذلك نتبين ان هذا الاتجاه ، الجديد فى السينما وان كان معبرا عن واقــع ايطاليا الا انه فى نفس الوقت يؤدى الى تخفيف وطأة ما يستشعره النــاس ازاء هذا الواقع ، وذلك بهذه النظرة المتفائلة للغة السينما الى كل هذا الذى تعــانى منه ايطاليا واهلها ، وهذه هى رســالة الفن عموما ، والسينما بوجه خاص ..

ومن المعبرين عن هذا الاتجاه الجديد للسينما الايطالية ، نذكر ماركو بيلكيو

وفيلمه الاخير « القذف الى الفـراغ » والفيلم يحكي قصة أخ وأخته يعيشان معا ويتهم الأخ أخته بأنها مصـابة باضطرابات عقلية وغير متوائمة مع المجتمع ، وتكشف احداث الفيلم والسيناريو ان الأخ أكثر جنونا من أخته وان كلا الاخوين صـورة من أخيهما الاصغر المتخلف عقليا ، والذى مات فى سن مبكرة ..

الغريب فى هذا الفيلم ان الأخ يعمل قاضيا فى أحد المحاكم مطلوب منه ان يكون عادلا ..

ولقد كشف جنون القاضى قضـية عرضت عليه لينظـر فيها ، وكانت القضية لشاب مستهتر دفع اسلوبه فى الحياة صديقته الى الانتحـار .. وهو ما اراد « القاضى » ان يفعله مع شقيقته!!

مثل دور القاضى : الفرنسى ميشيل بيكوليه ، وقامت بدور الاخت ، الفرنسية آنوك ايميه ..

ان هذا الاتجاه الذى يعتبر ماركو بيلكيو خير ممثل له ، يعد ثورة ضـد المجتمع ومؤسساته فى ايطاليا التى تعانى من الانهيار ، ولكنه يعطى للامل مكانا فى نهاية الامر .. وهذا ما نجده فى هذا الفيلم قرب النهاية ، عنـدما تكتشف الاخت حقيقة اخيها وما يريد ان يفعله بها ..

وهذا هو التفـاؤل الذى تتميز به الدراما الجديدة فى ايطاليا ..

وهو الاتجاه المأمول له أن يصبح عالميا والذى يتوقع له ان يصبح له أنصار ، فى السينما سواء الامريكية او غيرها .

● من خلال الحوادث الساخرة ●

ومن مخرجى هذا الاتجـاه أيضا : اتورى سكولا وفيلمه « الشرفة »

وهذا الفيلم يعتبر مرآة صادقة لطبقة الساسة والمثقفين فى ايطاليا ..

وهو يحكى قصة مجموعة من الناس بينهم الصـحفى الذى فقد كل طموح ومقدرة على العمل ، وكاتب السيناريو الذى يكرر نفسه فى كل عمل جديد ، والسياسى الشيوعى الذى لم يعد له اى دور فى المجتمع ، والمنتج السينمائى الذى لا يؤمن الا بالمكاسب المادية فيفشل .. كل هذه المجموعة من الشخصيات نجدها فى « شرفة » ايطالية ثرية !..

واصحاب تلك الشخصيات تكتشـف حقيقتهم فى المادب التى تقيمها السيدة الثرية من وقت لآخر فى منزلها ..

والحقيقة تكتشفها من خلال الحوادث السـاخرة التى يزخر بها الفيلم الذى يكاد يخلو تماما من الحركة ! ..

● جيل فقد الأمل ●

وهناك مخرج ثالث ولكنه أصغر سنا انه : المخرج الشـاب ماركو توليـو جيوردانا وفيلمه « الحياة المرة »

الفيلم يحكى قصة شاب ايطالى هاجر الى امريكا اللاتينية ليعود بعد سـنين ويكتشف ان ايطاليا لم تعد البلد الذى عرفه سنة ٦٨ عندما هاجر منها .. ويبدأ رحلة البحث من الماضى ، ويكون علاقة صداقة مع مفتش بوليس ، ثم يتعرف من جديد على اصدقائه فى الماضى ونقط الضعف فى كل منهم ..

ويحاول ان يؤقلم نفسه حتى يستطيع ان يتعـامل معهم ، ويعيش فى الجـو السياسى المضطرب الذى يسود البلاد ، ليكتشف فى النهاية ، ان الارهاق قد اصـابه .. وانه غريب تماما عن كل ما يجرى على ارض وطنه !

ومن قصة هذا الفيلم نكتشـف ان جيل الشباب فى هذا الاتجاه السينمائى الجديد قد فقد الامل فى تحسن الاحوال .. جيل متشائم ، وذلك عكس الاجيال الاكبر سنا ، فهم لم يفقدوا الامل ... وهو ما نجده فى الامثلة السابقة ..



آني آيمي وميشيل بيكولي



قصــــة

فتيد مـــن دُخـــان!

● شفيق محمود عبد اللطيف ●

جلست « ســلوى » ترقب الافق البعيد ، ذلك الذى تراءى بين عينيها الفارقتين فى شرود ابدى ـ تتلمس فى الافق اجابة تثير فى نفسها الامل حول مستقبلها الضائع ..

لقد ذهب ذلك المستقبل ، واغلق وراءه الباب على اخواتها الثلاث اللاتى ينتظرن انفراج ازمتها بعد ان خــاب املها ثلاث مرات فى الزوج المنتظــر .. كما ان عقدة ابيها تقف حائلا امامهن جميعا ..

كانت «سلوى» تؤمن ان طلاقها من « احمد » وهو الشخص الثالث الذى دخل حياتها انما سيوصد الباب الى الابد امامها ، ومن ورائها اخواتهــا الثلاث .

لقد ناهزت الثلاثين من عمــرها ، وبدات تهزها دقات ضميرها .. لقــد جنت على شقيقاتها ، خصوصــا وان والدها يصر على ان تتزوج هى اولا ، لان « حل عقدتها » فى نظرها يمــكن ان يفسح الطريق للاخريات اللاتى ينتظرن

ظلت «سلوى» تحسب الوقت ، وتعد الايام ، وتعيد حساباتها .. هل ستظل عانسا ؟ .. كيف ؟ ولم ؟.. انهــا تحس بحيرة ابيها الذى لم يشــاركه احد فى هذه العقدة التى تستعصى على الحل .. لقد ماتت الام وتركت لــه اربع بنات يدرجن على سلم الحيــاة ويتقدمن فى العمر .. وكان مــطلب « سلوى » ان تبادر والدها بما يمكن عمله ، وهو ان يوافق عــلى زواج اخواتها كل حسب ظروفها ، وما تهيئه لها الاقدار ، لان هذا هو الحــل .. ولانها لا تريد ان تعيش اخواتهــا تجربتها المرة ..

وحملق الاب فى ابنته كيف تجرؤ على ان تقول مثل هذا ؟ .. ودار حول نفسه فى الحجرة يتلمس اجابة ، فقــد اطلقت سلوى فى وجهه الفكرة بجــراة واصرار .. وعليه ان يغير مفاهيمه عن الحياة ، والزواج ، والحب ..

وجلس « حسين » على المقعــد .. وعيناه مشدودتان اليها .. لكن سلوى مالت عليه والدموع تملا ماقيهــا ..

واستطردت تقول : ابى .. لا اريد ان تتعذب اخواتى بعذابى .. ان تجربتى اتحمل خطاها او نجاحهــا .. تعنى لقدرى ولا ذنب لاخواتى ..

وانطلقت الى اخواتها تعانقهن وتبشرهن بالمستقبل ، بالزوج ، والحب وسعادة الحياة . .

ونظرن اليها فى ذهول .. لقــد حدث شىء ما .. لابد ان سلوى تهذى .. صاحت « سلوى » : حقــا انك ياسناء تحبين مدحت .. وسهير متعلقة برافت ، وعنايات تحب سامــح



.. وانطلقن الى حيث يستلقى الاب على مقعده ، ولا يكاد يستطيع تفسير الموقف ووقف حسين ينظر الى بناته فى ذهول ، وهن ينظرن اليه ،لكن - بلا كلمات ..

وخيم الصمت المشوب بالقلق على الوجوه ، وغابت كل منهن فى عالمها ، فى غد ترسمه على شريط خرافى من الامل .. حقا ، لقد حطمت « سلوى » حاجز الصمت . حاجز اليأس .. وانتحت كل منهن زاوية من مكان ..

وتقدمت « سلوى » من ابيها فى خطى هادئة ، وهو يحدجها بنظراته ..

- ابى .. حقا لقد اخطأت فى حق نفسى عندما رفضت كل من تقدم لى ، بل حملتهم على ان يطلقونى . كنت مغرورة .. وبالتالى تأكدت لديك عقدة البنت الكبيرة .. احكمنا الحلقة حول اخواتى .. والان احطم تلك الحلقة بعد صمت طويل .. وعليك ان تسارع لتتزوج بيسرية هانم لقد كبر ولداها ، وهى الان تتطلع الى بقايا حياة معك .. ابى ، ان كل انسان يحتاج الى الحياة ، حياة جديدة ..

وانطلقت « سلوى » الى صورة امها على الحائط .. وصاحت : انا امى لم تمت ، لكننا نميت انفسنا .. ان الذى يجعلنا نعيش حياة سرمدية هو اليأس ، التقاليد ، العرف الخاطىء .. وننسى ان الحياة تتفتح براعمها بالحب بالامل ..

.. وتجمعت الفتيات الثلاث حول الاخت الكبيرة .. وكان شيئا جديدا قد حدث .. كل منهن تنطق عيناها بتساؤلات عن شيء ما .. هل حقا تغيرت الحياة فجأة ؟ هل يمكن ان يغير الاب من نظرته لزواج بناته ؟ هل تحطم القيد الحديدى الذى فرضه الاب ؟.. ربما .. وكيف لا ؟ ..

وسارعت « سلوى » الى يسرية هانم تلك السيدة التى لا تزال تحمل بقايا جمال ينحدر قليلا الى الذبول والقت على مسامعها كلمات احمر لها وجه يسرية ..

قالت سلوى : ان ابى يحبك، يحبك انك انت الامل الوحيد له ولنا .. انك ستعطين والدى حياة جديدة ،ستوقظين فيه الامل وحب الحياة وحب الاخرين

وابتسمت يسرية فى صمت ..

وادركت سلوى ماذا تعنى ابتسامتها .. انها تعنى ان والدها سيتزوج ليملأ البيت بعد غياب الام ..

ان عقدة حسين هى الوحدة ، فقدان الانيس ، السخط على الحياة ، على الزواج ، فهو رجل لا يحسن التصرف ينظر الى الحياة من زاوية ضيقة .. لكنه الان يغير حياته مع انسانة جديدة .. وجودها سيحل عقدة الفتيات الاربع .. سيحطم حاجز الصمت الكئيب الذى تجسد شبحه فى هذا المنزل ..

واقبلت يسرية ، وتلقتها احضان الفتيات .. اقبلت من أجل حياة جديدة ..

ووقف « حسين » وسط بناته ليقول : لا .. لن ارد خاطبا بعد ... الاقدار هى التى تصنع السعادة ، هى التى تهيىء مناخ الحياة السعيدة .. لكل واحدة ان تختار وليس لى خيار لان زمنى ليس زمنكم ..

وسحب يسرية فى هدوء والابتسامة الهادئة تشيع بناته اللاتى اطلقن الزغاريد .. اجل لقد تحطم القيد .. وبدت الحياة تتسع امام العيون التى ارقتها الدموع التى فى الماقى سنين طويلة !

صورة من الحياة

فوق السحاب

● عزت محمد ابراهيم ●

كان قد بقيت صفحات قلائل في الكتاب الذى اقرا فيه عندما حان موعد اقلاع الطائرة ، فطويته في يدى على نية الفراغ من قراءته أثناء السفر ..

وشقت الطائرة طريقها في الهواء فتناولت الكتاب وشغلت به عن أزيزها وهديرها ، ثم استوت على متن الهواء ، فكأنها لا تطير طيرانا ، وانما قد استقرت استقرارا لا يشعر معه احد بهزة او حركة .

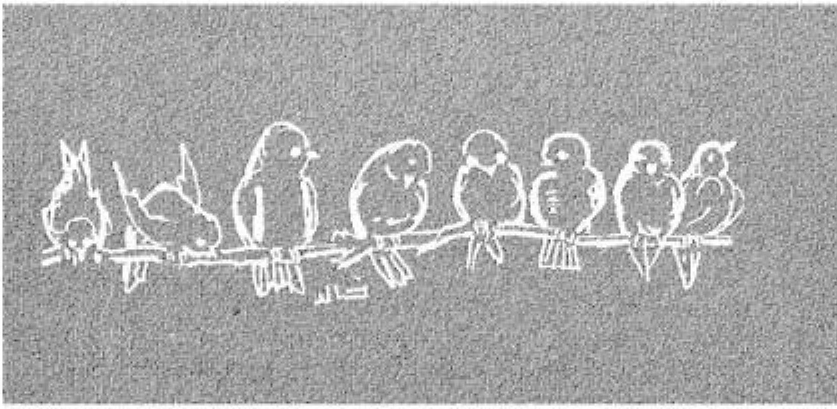
ومضى كل منا الى غايته : الطائرة تشق طريقها ماضية في سبيلها ، وانا اقلب صفحات الكتاب بين يدى ، وصاحبي الى جوارى قد شغل عنى وعن الطائرة بمنظر استهواه فاخذ يتامله عبر زجاج النافذة ، وكأن قد عز عليه ان يستمتع بالمنظر وحده ، او شق عليه ان يفوتني رؤيته وانا ماض في قراءة كتاب ، فلم البث ان جاءني صوته فيما يشبه الرثاء :

— دع عنك كتابك الذى تقرأ فيه ، فهو موجود معك لن تتخطفه منك الشياطين ، وفي وسعك أن تتم قراءته وقتما تشاء .. وانظر معي الى هذا المنظر الذى لا تتكرر رؤيته في كل حين !

وامتثلت اليه خائفا ان حرمني متعة القراءة .. وامتد بصرى عبر نافذة الطائرة الى الفضاء الخارجي الذى لايحده بصر ، فاذا بمنظر ممتع حقا يستحق النظر والتأمل بما يشيع في النفس من بهجة وبما يبعث فيها من ابتهاج ونشوة: الجو صحو ، والشمس ساطعة متلألئة بالضياء ، والسماء صافية الزرقة ، والطائرة كأنها قد حملت حملا فوق طبقة بعيدة المدى من سحاب أبيض ناصع البياض ، كأنه القطن المندوف ، حتى يبدو للرائي كأن الطائرة لا تطير بفعل أجهزتها ، وانما قد حملها هذا البساط السحرى من السحاب الابيض الى حيث تشاء ، فكأن صاحب البساط السحرى في قصص الخيال لم يبعد كثيرا في خياله ، فهذا هو على نحو من أنحاء الحقيقة والواقع ، وليس على ضرب من ضروب الاحلام والاوهام .

وطال أمد النظر حتى كدنا نمله معا ، فتحولت عنه أعيننا الى حين ، وجيء بطعام ، وفرغنا منه ، فأصبح الشبع مدعاة الى التفكير والتفلسف وهكذا حال الافراد والجماعات ، وما هي الا هنيهة حتى أخذ صاحبي الكتاب بين يديه ، ثم القى به القاء ، ومط شفتيه ازدراء وهو يقول :

— البراجماتية ،ووليم جيمس ،ما اقبح



أن يضيع الانسان حياته في مثل هذه القراءات وأمامه كتاب الحياة يتعلم من صفحة واحدة منه أضعاف ما يتعلمه من سواها في مئات الصفحات .. تلك افكار اصابها البلى ، ونخر في عظامها السوس وأفكار الحياة خصبة متجددة تمتع الذهن وتأخذ باللب وتسحر القلب وتثرى الوجدان ، ماالبراجماتية؟ وماالعقلية؟ وما النقدية ؟ وما التجريدية ؟ ما قيمة كل ذلك أمام نظرة واحدة من نافذة طائرة تطير فوق السحاب : هذه حقيقة واقعة جميلة آخذة باللب ، وتلك افكار بالية لمفكرين حمقى ، ليس أدل على حماقتهم جميعا من أنهم يلصقون ببعضهم البعض صفات الخبل والجنون والادعاء اليس كذلك ؟

ولم أحر جوابا ، اذ الحق ما قاله ، هؤلاء يكذبون اولئك ، ويسفهون آراءهم بقدر ما يعلون شأن أنفسهم ، ليأتي بعدهم أناس يسلكون نفس السبيل ، وينهجون ذات النهج : تسفيه لآراء الغير واعلاء لآراء الذات ، وهكذا ، لتظل الحقيقة ضائعة بين هؤلاء وهؤلاء ، ينشدها الناس فلا يهتدون اليها ، ويجرون وراءها فلا يعثرون لها على أثر ، ومن يتابع هؤلاء جميعا فيما يكتبون يدور معهم في حلقاتهم المفرغة ، ولا يكاد يظفر منها بطائل الا ان يصيبه الدوار ، او يلحق به التلف والبوار .

وكان على ان اجيبه عن سؤاله ، فقلت ان ما يستمتع به اليوم من مخترعات العلم الحديث لاشك وليد القراءة وثمرة المعرفة التي يحملها لنا الكتاب بين تضاعيفه . وكان بين صاحبي وبين الكتاب ثأرا قديما فقد صاح قائلا :

ــ عبث وهراء ، ان الاختراع وليد الحاجة فقط وليس وليد الكتاب ، أترى ان المخترعين كانوا يكفون عن اختراعاتهم لو لم يكن هناك سقراط والافلاطون وارسطو ، أترى اننا ما كنا نركب الطائرة أو القطار او السيارة لو لم يكن هربرت سبنسر ووليم جيمس وهيوم وبركلي ، ذلك كلام لا يقول به عاقل لان دحضه وتفنيده أبسط من انترجع فيه الى الكتب والمراجع والمصنفات .. الا توافقني على ان اكتشاف الانسان للنار كان اكبر خطوة خطاها في سبيل الحضارة الانسانية ، وان اختراعه لها هو اعظم اختراع في قائمة اختراعاته وابتكاراته . وهل تستطيع ان تدعى ان هذا الانسان البدائي الذي عاش في العصر الحجري قد قرأ كتب الفلاسفة والمفكرين قبل ان يكتشف اكتشافه؟لن تستطيع أن تدعى شيئا من ذلك ، لانه لم يكن هناك مفكرون ولا فلاسفة ، ولان الحاجة هي التي كانت الدافع وراء كل فلسفة لذلك الانسان ، ووراء كل تفكير يفكر فيه ، ويهتدي اليه .

وأومأت برأسي علامة الموافقة ، ودلالة

الهزيمة ، ورنت فى أذنى عبـــارة وليم جيمس التى لم يتلاش بعـد فى نفسى صداها : ان الجنس البشرى يستطيع أن يمضى قدما فى سبيله ، وأن يعيش على خير ما ينبغى بغير فلاسفة على الاطلاق • وكأن جيمس قد بعث من مرقده ليشارك فى هذا النقاش الصاخب فوق السحاب منتشيا بالنصر •

ومضى صـــاحبى تتدافع الكلمات من فمه تدافعا ويلاحق بعضها بعضا :

ان اكثر الاختراعات الحديثة قامت على كواهل أناس يعملون بأيديهم أكثر مما يقرؤون فى الكتب أو يتشدقون بالالفاظ •• الآلات البخارية والكهـربية اختراع أناس عاملين وليسوا بقارئين ولا كاتبين ولو كانوا كذلك، لكان قصارى أمرهم ترديد أقوال السابقين ، أو تسفيه وهدم الأولين ، والاتيان بجديد سقيم على أنقاض ما أتوا به ! •

ان ثلاثة أرباع الفلاحين فى العـــالم لا يزالون يتخذون المحراث والشـادوف والســـاقية أداة لزرعهم ، وهى آلات اخترعها اسلافهم منذ آلاف الســنين اختراعا ولدته الحاجة ، ولم تولده الكتب والفلسفة ، وعلى ذكر الفلاح ، فهو أكثر ثقافة وأوسع علما منك ومن كثيرين من أمثالك ، ولك أن تتبين ذلك بنفسك اذا قابلت فلاحا يوما وناقشته فى شئون زراعته وفلاحته وفصـــول السنة وما يصلح لكل فصل منها من زرع وانبات وقلع وحصد •• وستجد ان كل ما قرأته من كتب وعرفت من آراء لا يساوى شيئا امام خبرة الفلاح البسيط الذى لم يقرأ فى حياته كتـــابا ، وربما لم يذهب الى مدرسة يوما ، وذلك لأنه يستقى ثقافته ومعرفته من حيـــاته وما يحيط بهـــا ، وتستقيها أنت من الكتب •• وشتان بين ثقافة قوامهـا العمــل والخبرة ، وبين أخرى قوامهـــا النظر المجرد والتفكير السقيم ! ••

وقس على الفـــلاح الملاح والبدوى ، الأول يعرف الكثير عن الأرصاد والأنواء، وأحـــوال الجو ومنذرات العواصـف ، وارهاصات الهوج من الرياح •• والثانى يعرف الكثير عن مواقع النجوم ومنازلها، وكيف يهتدى بها وسط تيه الصحراء • وقد تنفق أنت حياتك كلها ، قارئا ناظرا مفكرا متأملا متدبرا ثم تغرق بعد ذلـك فى شبر ماء ، أو تضـــل فى بقعة من صحراء !

وماذا ستعرف انت من الكتب طيلة حياتك ؟ ستغلق عينيك آخر الامر على الجهل ، كما فتحتهمـا اول الامر عـلى الجهل ! •• وستبلغ الســـنين وراء السنين ، وفى اللحظة التى تنتهى فيهـا حياتك تكون هناك اشياء لم تعلمها قد علمها سواك ، وستحتاج الى أن تقـول ما قاله سيبويه وهو على فراش موته ، حين قضى وفى نفسه شىء من «حتى»! •

وبعد كل سنى عمرك ســـتقول : ما أجهلنى ، فلماذا لا تعترف بهذا منذ الآن وتختصر الطــريق ، وتستمتع بالحياة فتضرب بحجر واحد عصفورين، لا أن تضرب بهذا الحجر رأسك فتحطمه وتدميه ؟

***

وصاحبى هذا كان قد اســـتطاع أن يبلغ من الأرتى الصى صـــداها ، فقلت محتدا صاخبا يكاد صـــوتى يطغى على صوت نفث النفاثة :

ـ كأنك تريد أن يظل الجـــاهل على جهله ، ناعما به ، مطمئنا اليه ، مرتاحا فى وخيم مرتعه ، لا يحـــاول أن يخطو خطـــوة واحدة فى سبيل ازاحته عـن كاهله ؟

وكأن جوابه عن سؤالى قد كان محضرا قد هيأه فى ذهنه وأعده على طرف لسانه قبل أن أنتهى أنا من النطق به فقال :

ـ لا ، بل أريد للانســـان أن يعرف بنفسه ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فلا يكون بينه وبين العلم وساطة أو وسيط والكتاب عندى هو شر وســيط ، اننى أتميز غيظا من شعر شاعر يصف هـذا المنظر الذى أراه الآن ، ولكننى أستغرق فيه بكل كيانى ووجدانى ، وجوارحى ، لأننى أراه بنفسى ، ولا يصفه لى واصف

كاذب منمق اللفظ يضفى عليه من خياله السقيم ما يفسد به واقعه الجميل ، وكذلك اريد لكل معرفة ان يكون مصدرها الحس والمشاهدة والوجدان ، تماما كثقافة الفلاح والملاح والبدوى ، فهى على بساطتها معرفة حقيقية ، قامت على التجربة ، واستقامت على نهج الواقع .

قلت : — فانت لا تختلف فى شىء عن هؤلاء الذين انحيت عليهم بكل لائمة منذ قليل ، فبعضهم ردد ما تردده أنت الآن الحس مصدر للمعرفة ، والتجربة وسيلة من وسائلها ، يرفضون غيرها ، ولا يعرفون سواها ! ..

فرد قائلا : — هذا صحيح ، ولكنهم تفلسفوا فافسدوا بساطة المعنى ، وسهولة المقصد والغاية ، وغلفوه باغلفة من الاصطلاحات ، فاستحقوا كل لعنة تصب عليهم .

●●●

ولم اشأ ان امضى معه أكثر من ذلك فى الجدل والنقاش ، وأنا اعرف عنه انه كان قارئا نهما ، وكاتبا له بعض مشاركة فى ميدان الكتابة ، ثم خاب فى الاثنين معا أمله وضاع فيهما الرجاء ، فاشاح بوجهه عنهما ، وانصرف الى غيرهما من شئون الحياة ، وان كان قد افاد من القراءة شيئا ، فهى اللجاجة والعناد ، وطول الباع فى المحاورة والمداورة .

وابتسمت مكملا قوله : .. كما افسدت انت على نفسك وعلى متعة النظر الى هذا المنظر الذى اخذ بلبك ، فما رايك فى ان نكف معا عن هذا السخف وان نتطلع الى هذا المنظر الذى لا يتيسر لنا فى كل حين ؟!

●●●

وخلا كل منا الى نفسه ، اما هو فلا ادرى ان كان قد مضى فى الفلسفة ام مضى فى استمتاعه بما استهوى لبه ، واما أنا فقد تداعت افكارى لتجر اليها اسم « ارستوفانيس » فى القرن الخامس قبل الميلاد ، ولاذكر معه مسرحيته «السحب» أو استعيد ما تعيه منها الذاكرة .

وقد قيل فى « ارستوفانيس » انه اعظم مؤلف هزل عرفه المسرح اليونانى القديم ، اتخذ من الملهاة وسيلة للتعبير عن الآراء ، ومهاجمة ما لا يروقه منها ، وكان لا يعجبه « سقراط » ، ولا تروقه الفلسفة ، فخصهما بمسرحية «السحب» يرمز بها لهؤلاء الذين يحلقون بافكارهم بعيدا عن مشكلات الناس وأحوالهم ، وماذا يعنيهم منها ؟ وهم — ومن لف لفهم — المشغولون بمعرفة المساحة التى يقفزها البرغوث بالنسبة الى طول احدى قوائمه،أو مصدر طنين البعوضة بالنسبة الى جسمها .

وقد صور « ارستوفانيس » « سقراط » معلقا فى سلة تتأرجح فى الهواء ، اشارة الى ترفعه عن الناس ، ودلالة على ابتعاده عن سفاسفهم وصغارهم ويسعى اليه والده يريد أن يتعلم منه كيف تجديه الفلسفة فى الهرب من دائنيه ولا ينجح فى تلقى فلسفة « سقراط » أو اساغتها ، فيتقدم ابنه اليه حيث ينجح فيما فشل فيه — من قبله — أبوه ،وتكون دلالة نجاحه أن يصبح قادرا على ضرب أبيه ، مبررا ضربه بحجج فلسفية ، أو سوفسطائية ، يثبت بها صحة فعله من الوجهة الأخلاقية ويزمع ضرب أمه إيضا مستندا الى الحجج ذاتها التى تعلمها من « سقراط » المعلق فى سلة الهواء .

أما الأب الذى استبانت له النتائج العملية التى جرتها عليه دروس «سقراط» وفلسفته ، فانه يسارع الى اضرام النار فى دكان فلسفته : أس الشر ، وأصل البلاء .

★★★

وهبطنا من الطائرة فكتمت عن صاحبى ما دار فى نفسى فقد خشيت أن يصيح قائلا :

— من لنا ببطل آخر كبطل مسرحية « ارستوفانيس » يضرم النيران فى تآليف الخلاف « سقراط » فيريح الناس من شرورها ، والدوران فى مفرغ حلقاتها .

أو يصيح حانقا يائسا كما صاح من قبل غيره حين زفر زفرة يقول فيها :

لا رحم الله فيمن مضى
من علم العالم ان يكتبوا !

كتاب الـ « ٢٠٠ » فكرة

- تاليف : مصطفى امين
- اعداد : عادل عبد الصمد

الكاتب والاديب والصحفى الكبير مصطفى امين ، يعتبر هو الجامعة التى خرجت الكثير من الصحفيين الذين يتولون الاشراف على الصحافة اليوم ويلمعون فى سمائها .. فهو المعلم الذى قامت على يديه اصول وقواعد الفن الصحفى الحديث فى مصر ، وهو الذى اعطى لهذه المهنة كل حياته وفكره وحبه

ومن هنا فان حياة مصطفى امين تمثل سجلا زاخرا للكفاح والطموح والمثابرة ، وبذلك لم يبعد مصطفى امين عن قلمه الذى لم يتخل عنه فى كل المواقع والميادين والمعارك السياسية او الادبية او الفنية .

وعلى هذا الاساس فان الكتاب الذى بين ايدينا قد جمع فيه مصطفى امين « ٢٠٠ فكرة » هى فى الاصل خلاصة التجارب التى عاشها ورآها فاستوعبها ثم بلورها فى صورة سلسلة شائقة عظيمة النفع لامته التى يحرص ان يعطى لها كل مفيد وجديد ...

ففى هذه الافكار الادب والسياسة والعلم والفن والصحافة والقانون وفيها التنويه بشخصيات لعبت دورا عظيما فى المجتمع واخرى كانت وباء على المجتمع ...

ثم لم ينس مصطفى امين دور المرأة والاشادة بها عبر تاريخها الطويل وكفاحها العظيم

❁❁❁

ومن جولة سريعة وموجزة بين هذه الافكار نرى حب مصطفى امين للصحافة وتقديس مهنة الكتابة باعتبارها من ارفع المهن لانها تحمل شرف الكلمة وحرية القول الذى يتضمن الاصلاح والتقويم

وهو عندما يدخل محراب الكتابة فانه يغمره الحب والاخلاص والحق والايمان — ويقول « احاول ان اتجرد من أطماعى وشهواتى ومن احلامى ومخاوفى ، من صداقاتى وخصوماتى ، وعندما اقف أمام شعب الوطن العربى احس بخشوع غريب كأننى اقف فى حضرة امام عظيم »

وهو فى كل افكاره هنا يرسم لنا الطريق الامثل لنجاح الانسان فى عمله وفى حياته حتى يحصد خيرا لامته وله

ومصطفى امين ينظر لاى جريدة جديدة فى صحافتنا العربية كأنها ميلاد جديد له ، حيث يرى فيها شبابه ، ويحس ان له طوبة فى هذا البناء لان كل بناء مثل هذا قد سكب فيه من دمه

وعرقه واعصابه وفكره ، وهو بذلك يعتبر انه في مثل هذا الحلم الجميل قد امضى اجمل سنوات عمره .

وفي مكان آخر يعبر عن قيمة الكاتب ومكانته السامية بين امتـــه ، ومدى اعتزاز الكاتب بنفسه ...

وفي عصرنا الحالي حيث طغت المادية على الحياة ، يتعجب مصـــطفى امين بسخرية لاذعة من تغيير الاحوال في هذا العصر المادي الذي يعكس الامور بمرآة الفلوس ، ففي الماضي كانت قيمة الانسان بما في راسه ، فهل اصبحت قيمـــة الانسان بما في جيبه ؟

***

ويتساءل مصطفى امين هل لو بعث اليوم العالم اينشتين والكاتب برنارد شو ، والمؤلف شكسبير ، ودخلوا الى مطعم في لندن ، وفي نفس الوقت يدخل احد اصحاب الملايين فهـــل سيرحب « المتردوتيل » بالعـــالم والكاتب والمؤلف ام سيتركهم واقفين ينتظرون دورهم ويسرع بعد مائدة المليـــونير العظيم ؟

وهنا يرى مصـــطفى امين مستندا لمقاييس العـــصر ان « المتردوتيل » سيهمل شكسبير ، وسيحتفل بالشيخ المليونير حيث انه يستطيع ان يشترى المطعم بما فيه من اينشتين وبرنارد شو وشكسبير !

وفي الثلاثينات كان يوجد في الهند غاندي ، واغا خان ، وكان غاندي يمشي في الشوارع شبه عار ، وكان اغا خان من اغنى رجال العالم ، وكانت اغلبية الشعب الهندي تسير خلف غاندي وتفضله الف مرة على اغا خان ، لقد كان ذلك العصر عصر الروح والفلسفة والايمان بالمبادىء ... ولكن الدنيا الان تغيرت فاصبحت « الشيكات » انفع من الدرجات العلمية ، والرصـــيد في البنوك اكثر احتراما من المؤلفات والابحاث والفلسفات ..

ويا حسرتاه على العلم والثقافة في عالم تطحنه ماديات مسمومة !

ثم ننتقل الى فكرة اخـرى لتوضيح مكانة المراة المصرية التي تمتاز بجمالها الطبيعي عبر تاريخها العظيم الحـــافل بالكفاح لان المراة تخطىء عندما تعتقد ان المساحيق التي تضعها بكثرة تزيدها جمالا ، فهي جميلة من بعيد ، ولكن اذا اقتربت منها اصبحت تراها تشـــبه البهلوان .. فالمراة الجميلة هي المـــراة الطبيعية ونرى في التـــاريخ المصري السيدة الفاضلة صفية زغلول أم المصريين وكانت قد وصلت الى الســـبعين من عمرها فكانت بشرتها دائما تشبه بشرة فتاة في الرابعة عشرة من عمرها ، فكانت تقول انهـــا لم تضـــع « البـــودرة » او المـــساحيق على وجهها طـــوال حياتها ، وعندما خطبها سعد زغلول وعمرها سبعة عشر عاما ، لم تضع صفية زغلول طلاء على وجهها ولا حتى يوم زفافها ..

وفي جولة اخرى حول الفن والادب في كتاب مصطفى امين ، نرى ان الفن موهبة طبيعية لا يستطيع اى سد عال ان يحجر عليها او يقف حائلا بينها وبين الذيوع والشهرة ، وعلى هذا نرى ان ام كلثوم عندما كانت على قيد الحياة كانت بعض المطربات يتهمنها بانها السد الذي يمنع المطربات من الشهرة والظهور وماتت ام كلثوم منذ ســـنوات ولم تشتهر واحدة من المجهولات ولم تظهر واحدة مغمورة ، بل العكس هو الـــذي حدث فقد انكمش حجم بعض المطربات وتضاءل .

وكذلك الحال مع الرجال حيث كان البعض يرى ان عبد الحليم حافظ عائق منيع امامهم ، ولكن بعـــد وفاته ثبت العكس ، واصبحت الســاحة خالية ، وبذلك نرى انه لا يمكن هدم موهبة ولا القضاء على صوت جميل ..

وهكذا نرى في هذا الكتاب القيم عالما من الافكار والقضايا والموضوعات المتنوعة فهو خلاصة تجارب لرؤية لانسان كبير واديب فنان عاش لمجتمعـــه وتفاعل مع كل احداثه ...

دراكولا بين الرواية

● ترجمة : محمد عبد المنعم جلال ●

عالجت السينما العالمية افلام الرعب واخرجت الكثير منها وأغلبها يدور حول شخصية « دراكولا » . وقد يظن الكثيرون انها شخصية خيالية ، ولكن الواقع انها شخصية تاريخية حقيقية ، غير أن صاحبها لم يكن مصاص دماء كما صوره ابراهام ستوكر فى روايته . ومع ذلك فقد كان ابشع وافظع شخصية عرفها التاريخ فى كل العصور !

● **لم يكن السلطان محمد الثانى بالرجل الذى يتأثر بسهولة ، وكان هو الذى دخل على راس جنوده مدينة القسطنطينية واشاع فيها الخراب والدمار ، ومع ذلك فعندما بلغ ذلك المحارب الرهيب ، ذات يوم جميل من ايام سنة ١٤٦١ ، مدينة تارجونيست عاصمة ولاية فالاكيا ، لم يسعه الا ان يرتجف رعبا وهلعا امام المنظر المذهل الذى رآه امامه ،ففى وسط الخرائب والاطلال التى سودتها النيران ، كانت تقوم غابة من الخوازيق تتارجع عليها فى أوضاع مختلفة بشعة نحو عشرين الف جثة كانت فى طريقها الى التحلل .**

كانوا الوفا من الجنود الاتراك دون أى ريب ، وقعوا أسرى قبل ذلك بشهور ، أثناء معركة الدانوب ، وكان بينهم بعض البلغاريين والهنغاريين والأرمن والألمان .

وتحت الشمس المكفهرة الحارقة كانت تنبعث من الجثث رائحة وبائية ، ولم يكن يقطع الصمت المطبق الذى يجثم على المكان غير صياح العقبان .

رجل .. رجل واحد ، من كل الغرب كان يستطيع أن يأمر بهذه المذبحة الفظيعة الذى لم يسبقه فى فظاعتها أحد ممن عرفهم التاريخ .. لا جيل دى ريه ولا ذو اللحية الزرقاء ، ولا حتى ارزبيت باتورى المعروفة باسم الكونتيسه الدامية . رجل واحد هو الامبراطور فلاد الرابع الذى ولد سنة ١٤٣٠ ومات سنة ١٤٧٦ والذى لقبه معاصروه باسم « دراكولا » ، أى الشيطان والحيوان .

وفى أوروبا القرن الخامس عشر التى انهكتها الحروب المستمرة .. فى اوروبا هذه ، حيث كانت الجريمة والسرقة والسلب والنهب اشياء عادية ، افلح « دراكولا » فى الظهور كابشع وافظع صورة عرفها التاريخ .. والواقع ان قليلا من الرجال هبطوا الى هاوية الدم بمثل هذا الافراط ومثل هذا « الفن » فى انواع التعذيب .. ويشهد على ذلك نحو مائة الف ضحية من الرجال والنساء والاطفال والشيوخ لقوا حتفهم فى ابشع وافظع ما عرفته الانسانية من صنوف العذاب !

نعم ، كان الأمير يستحق اسمه عن جدارة واستحقاق ، فان ميادين القتال التى يعبرها على رأس جنوده . والمدن التى يغزوها ويدمرها والقلاع التى



والتاريـخ

يدكها لا تلبث أن تمتلىء بغابات خانقة من الخوازيق ·

ومن اين اتاه هذا الاصرار الرهيب ؟ ·· من العسير أن نقول ذلك ، وكل ما نعلمه ان بعض الاتراك ورثوا هذا التعذيب من آسيا القديمة ، ولا ريب ان « دراكولا » استعاد لحسابه أحد صنوف التعذيب المحببة لامدائه

وقد نقل الينا مؤرخو ذلك العهد هذه المذابح الفظيعة ، ففي سنة ١٤٦٤ هلك بأوامره وفي وجوده أربعون الف شخص من كل الاعمار ابتداء من الرضيع حتى الشيخ ،ومن الجنسين ،ومن كل الأوضاع ومن كل الاجناس والاديان ·· هنغاريون وساكسونيون ، وترانسلفانيون ، وفالاكيون اتراك ، وغجر ·

وفي وسط هذا الهلع الذى فوق طاقة البشر ، كان فلاد الرابع يبتسم بمزحة من الدعابة كما تشهد بذلك الحادثة التالية فان احد الاثرياء المدعوين الى مائدة «دراكولا» كان من عدم اللياقة والكياسة بحيث رفع أصبعه الى انفه أكثر من مرة مبديا اشمئزازه من رائحة العفونة التى تنبعث من الاجساد المتحللة ، ولم يكن بطيب « لدراكولا » أن يبخس احد بدعويه وسائل اللهو التى يقدمها لهم ، فأمر بأن يوضع ذلك الثرى على أحد الخوازيق فورا ، وفي مكان يعلو الخوازيق الاخرى حتى لا تزعجه رائحة العفونة !

ولم يقف خيال الأمير عند حد الخوازيق، فان صنوف العذاب التي كان يفرضها على سكان المدن الساخطة وعلى الجنود الأسرى كانت تختلف طبقا لمزاجه ·· كان يقطع الرءوس ويحرق الناس ويذبحهم ويكبلهم ، وكان يغرق ضحاياه ، في بعض الاحيان في قدور من الماء المغلى ·

حتى الدبلوماسيين كانوا لا يتمتعون بمعاملة خاصة ، فقد سمر قبعاتهم فوق رءوسهم وهم أحياء ، وذلك لأنه كان من سوء حظهم أنهم لم يخلعوها امامه ·

شخص مذهل يلح عليه جنون الجريمة والدم والتعذيب حتى في اشد أوقات عزلته ، ففي سنة ١٤٦٦ ، عندما وقع في الأسر على يد الملك ماتياس كورفن ، ملك هنغاريا ألقى في البداية في سجن بودابست ثم نقل بعد ذلك الى قصر فيزجراد على نهر الدانوب ·

وهناك استطاع « دراكولا » ان يوثق علاقاته مع سجانيه ، وقد طلب منهم أن يأتوه كل يوم ببعض الفئران والعصافير ومختلف الحيوانات الصغيرة ، وكان يخوزقها بعد ذلك بعناية تامة على اغصان صغيرة يضعها في دائرة داخل زنزانته ، ولكى يتفنن في متعته كان يطيب له في بعض الاحيان تقطيع ضحاياه الصغيرة ، الى قطع صغيرة وهى على قيد الحياة !

وقائمة فظائعه التى هزت البلاد واقلقت تركيا ، لا حد لها ·· وشخصيته الرهيبة لا تزال ماثلة حتى اليوم في الأذهان بكل فظاعتها وبشاعتها ·

والأغراض التى يرمى اليها فلاد

بمذابحه هذه معروفة طبعا، وهي افزاع جيوش الاعداء وفرض الاحترام في مدن ولايته والولايتين المجاورتين وهما ولايتا فالاكيا وترانسلفانيا، ومعاقبة المدن الثائرة ..

صفوة القول، تدعيم سلطانه سواء في الدول الاجنبية العظمى أو بين العصابات المعادية أو المواطنين العاديين لولايته، ولكنه لم يكن لا اول ولا آخر ملك يأتي بهذه الأعمال، ولابد من الهبوط الى اسافل شخصيته الباردة لكي نزيح الثياب عن الأسباب التي حملته على استخدام مثل هذه الأساليب التي لم يعرفها احد قبله ولا بعده في الجريمة .

المقتول المدفون حيا !

ولا نعرف الشيء الكثير عن طفولة الأمير الشاب، ولكننا نعرف أن الأتراك أسروه في سنة ١٤٤٣ ثم نقل الى المعتقل في اجريجوز بآسيا الصغرى هو واخوه رادو . وكان « دراكولا » في الثانية عشرة من عمره عندئذ، فقد استطاع فلاد الثالث المعروف باسم الشيطان، بعد أن ترك ولديه رهينتين، أن يتمكن من الهرب وأن ينجو بحياته .

ومن المؤكد ان الفتى « دراكولا » تعلم أثناء فترة الاعتقال ازدراء كل حياة بشرية وتعلم الحذر والغش والخداع والاستهتار . وشهادة سجانيه الأتراك تظهره لنا أميرا شابا مخاتلا وماكرا وعنيفا وناسدا متقلبا بصورة غريبة الى درجة أنه كان يثير رعب وخوف سجانيه أنفسهم !

وفي سنة ١٤٤٧ قتل فلاد الثالث، ودفن ابنه الاكبر ميرسيا وهو على قيد الحياة وكان «دراكولا» قد بلغ السادسة عشرة من عمره، فهل تكفي هاتان الواقعتان لتفسير التصرف المقبل لذلك الأمير الدموي ؟ كلا طبعا .. ولكن ليس هناك ما يسمح بالقاء أي ضوء على هذا الأمير الذي يجسد الشر بكل صوره ..

وحتى بعد ان مات « دراكولا » في سنة ١٤٧٦ وهو يقاتل الاتراك، بعد ان ظل أسير الهنغاريين عشر سنوات، بدا ان سره يزداد غموضا عن ذي قبل .

وعندما مات دراكولا قطع الاتراك راسه وارسلوها الى القسطنطينية حيث ظلت معروضة على وتد لكي يعلم الجميع انه بموت الامير يختفي واحد من اشد اعداء الدول العثمانية خطرا وباسا .

والواقع انه عندما اعتلى فلاد الرابع العرش كانت فلاكيا خاضعة لسلطان الدولة العثمانية كما كانت مولدانيا وترانسلفانيا .

وكان اول عمل رسمي له هو أن طالب بخضوع بيتر ملك ترانسلفانيا والكسيس ملك فلاكيا لتوحيد الامارات الثلاث الى امارة واحدة لكي تستطيع مقاومة تركيا . واذ رفض بيتر خوزقه فلاد، وعلى الفور خضع الآخر له، وحكم فلاد الرابع منذ ذلك الوقت الامارات الثلاث، ولهذا يلقبه بعض المؤرخين اول ملك لرومانيا . واستخدم وسائله القاسية لكي يسود النظام على أرضه البلقانية ولكي يقاوم الأتراك في نفس الوقت . وكانت معاركه الأولى التي انتصر فيها عليهم، ثم حرب العصابات التي قادها عندما استعاد الأتراك سيطرتهم على البلاد قد اكسبته احترام ملوك الغرب المسيحي، وما زال أهالي رومانيا المسيحيين يعتبرونه بطلا وطنيا .

بعد أن مات « دراكولا » نقل بعض الرهبان جثته ودفنوها بعيدا تحت صخرة لا يمكن تمييزها عن غيرها ..

ولكن جثة الأمير اختفت تماما .

وعندما فتح خ ج . فلورسكو وعالم الاثار الدكتور روسيتي القبرين الموجودين في كنيسة دير سناجوف وجدا في احدهما عظاما غير آدمية وفي الآخر تابوتا امتدت اليه يد التلف التام بداخله هيكل بشرى في حالة سيئة جدا، كما وجدا فيه بضعة أشياء أخرى اختفت كلها بعد ان عرضت فترة في معهد تاريخ بوخاريست .

ويقول فلورسكو ان الهيكل البشرى هو هيكل فلاد، ولكن اكتشافهما هذا لم يستطع ان يحطم الاسطورة التي نشأت في القرن التاسع عشر والتي تقول ان

قبر « دراكولا » كان فارغا . ويقـــول الخيال الشعبي ان الأمير الدموي ، بعد أن مات انضم الى شرذمة مصاصي الدماء الذين حكم عليهم أن يعيشـوا في حالة أبدية بين الحياة والموت !

الشبح في القصر الملعون

أما قصر « دراكولا » بالذات فلم يعد اليوم غير مجرد ذكرى . ولكن يجب قبل كل شيء ان نسرد قصته ، وهي قصـــة مذهلة ، فعندما أعتلى « دراكولا » عرش فلاكيا حاول طبعا ان يعرف الظـروف التي أحاطت بموت أبيه .. كان أخواه دراكول وميرسـيا قد ماتا ، ولم ينس الدور الذي لعبه النبلاء في موت اخويه وكان قد خوزق قبل ذلك بضع مئات في فناء قصره عندما علم أنهم بعـد ان اعتقلوا اخاه ميرسيا دفنوه وهو على قيد الحياة ، وعندئذ جن جنونه وترك العنان لغضبه أمام خدمه المذعورين ، واقسم ان ينتقم أبشع انتقام بحيث تبقى ذكـرى القصـــاص ماثلة في الأذهان على مـر القرون .

وكان ان دعا في يوم عيـد الفصح كل رعاياه ، ابتداء من العبيد الى النبلاء وبعد الوليمة الضخمة التي قدمها الأمير استولى على المدعوين خدر لذيذ . وفي الليل امر « دراكـولا » حراسـه بان يقبضوا على النبـلاء ، وكان عددهم للأمانة . ولم يلبث ان اوثق قيادهم وضم اليهم زوجاتهم واولادهم ، وسلك الجميع طريق بويناري حيث بلغـوها بعد يومين في مسيرة شاقة متعبة .

ولا يعلم احد كم من الوقت استمر بناء القلعة ، ولكن النبـلاء لم يلبثوا ان تساقطوا الواحد بعد الآخر وماتوا من التعب والبرد والجوع وهم يبنونه ... واليوم لم يبق من القلعة الشـامخة الا ذكرى بعيدة باهتة .

وفي ١٣ يناير سنة ١٩١٣ ، في نحو الساعة التاسعـــة والربع دمر زلـزال عنيف البرج الرئيسي للقصر وتساقطت احجاره ، وأخيرا وقعت هزة ارضية أتت على البقية التي كانت لا تزال موجـوده منه .

ولكن الاسطورة لم تمت ، ولم تمت الخرافة ، فان فلاحي المنطقة حين يتذكرون قصر الأمير يرفضـــون المضي الى مكانه . واذا ما سألهم أحد عن السبب قالوا ان شبح الوحش يلازم ارباض القلعة المهدمة والرجل المكلف بحراسة هـــذه الاماكن لا يجازف بالمضي اليهـــا ليلا الا ومعه كتابه المقدس الضخم قائلا أن الكتـــاب يملك القوة لطرد الأرواح الشريرة التي تحوم حول الأرض التي ســفك فيها ما سفك من دماء .

من التاريخ الى الرواية

ومضت اربعمائة سنة لم يعش فيهـا « دراكولا » الا في الأساطير والحكايات الشعبية والأغاني التي تتغنى بها بـلاده .. ونسى الغرب ذكرى هذا الرجل الذي جاوزت شخصيته كل حدود الشر .

ولكن لم يلبث الأمير أن استرد شهرته في أواخر القرن التاسـع عشر والواقع أن ابراهام ســتوكر ، وهو مـــواطن ايرلندي كان كل شيء يؤهله لأن يكون موظفا عاديا هادئا ، أخرج « دراكولا » من غبار الماضي ، فقد اولع لفجأة بقصص مصاصي الدماء وهو يقرأ روايات كارميلا وجوزيف شريدان ليفانو . ومنذ ذلـك الوقت عكف على جمع كل ما يصل اليه من مستندات عن مصاصي الدماء .

ومن تلـك الوثائق والمســـتندات والخرائط القديمة والمخطـوطات ولد « دراكولا » في سنة ١٨٩٧ . بتوقيـع ابراهام ستوكر ، ولا مراء في أن روايته هذه من اشـهر روايات الرعب التي ظهرت حتى لقيت نجاحا ليس له نظير وترجمت الى جميع اللغات تقريبا .

ولم يلبث أن أصبح الأمير مصـــاص الدماء من أشهر الشخصيات السينمائية واكثرها اثارة وسحرا ، وقد خلدها على التوالي بيلا ليجوزي وكريســتوفرلي . والروايات والافلام المختلفة التي تدور حول هذا الموضوع لا تعطينا غير انعكاس باهت لذلك الوحش الذي تجاوز في وحشيته وبشاعته حـــدود الانسانية .

● عن مجلة « هيستوريا » ●

سراب !

● عبد المنعم عواد يوسف ●

غدير لاح للعطشان   فهرول نحوه ظمآن
وحين اتاه وا اسفاه
ادرك انه ما كان غير سراب
سراب !

***

سراب كل ما قد كان   وهانا لم ازل ظمآن
فمن ذا يرشد الحيران   الى نبع المنى الريان

***

انا من عشت فى الصحراء   مشتاقا لقطرة ماء
واقطع الف درب من دروب التيه
لعلى ابلغ النبع اللذى ابغيه
وحين اراه .. وا اسفاه
ادرك انه ما كان غير سراب!

***

فصالى ان اعيش العمر بين مجاهل الصحراء
بلا اهل ، بلا صحب ، تحرق جوفى الرمضاء
اسير اسير من درب الى درب
وليس معى يؤانسنى سوى قلبى
وحين يرن صوت الصمت مبحوحا حوالينا
يصيح القلب يسالنى : الى اين ؟ الى اينا
واسمع من بعيد صوته المنشود يدعونى
كموسيقى ترددها حناجر الف حسون
انا النبع اللذى تبغيه   تقدم يا شريد التيه
فاسرع نحو رجع صداه   تعانقنى بديع رؤاه.
وحين اراه   وا اسفاه
ادرك انه ما كان غير سراب
سراب

أرجوزة حب ..

● احمد مرتضى عبده ●

أحبكِ ... فالحبك غــيرُ حبي
إذا قرُب الهوى وأردت قــربي
فعندى ألفُ بيت مـــن لجـــين
وعندى من سَـنا الاشراق قلبى
ولو راودت أطيــافُ الليــالى
لقلن بمـــا تردّدُ خلــفُ دربى
وأخبرنُ اليُراعـــة والقــوافى
فجاءت فى قصيـــد عنــك يُنبى
أصــاحبتى ليـالىُ استباحت
عيونا فى عيشــولى كُنّ حبى
وكنتُ بهـــن استبق الحكايا
وأشدو والرياح تدق جنبــى
وأفرغُ وحشتى خلف الأمــانى
أرقد حالمــا بضيـاء صـبُ
ورُحْن فراحت الدنيـا هبــاء
إلى أن جئت فى خجـل تـسلبى
بعينيك استراحُ صــبـا هواكِ
ومن شَـفتيك قد بلغت جَدبى
وأخشى أن تضيـــعُ بنا الأمـانى
كما ضـاعتْ حبيــاتى بجُـب
وأخشى أن تضيــعُ بنــا الأمانى
فلا نلقى التواصـلُ والتصبّى
فهـــاتِ الآن عينيـــك لعيْنى
أرى بهمـــا أمــانىّ ... ودربى

اللعب بالنار

قصة

• حنفي المحلاوي •

تلغراف ، كلمات معدودة ، ورقة صفراء ، حتى الحروف غير واضحة .. تلغراف !

لم يكلف نفسه مشقة البحث والاستقصاء ، الحقيقة عارية تماما .. انه بات ينتظرها دوما رغم ان ذلك بدا غير واضح عليه ، الشركة انهت خدمته واحالته الى المعاش ..

جاءته الكلمات تحمل معنى «الرفت» باسلوب مهذب . اوصله طريق الاهمال بكل القيم الى حياة المعاش وهو بعد دون الاربعين !.

هكذا بدا الطريق خدمته الظروف وعلاقاته الخاصة ، ونشاطه السرى . موظف صغير بدون مؤهلات ، كان على وشك الترقية الى مدير عام .. النهاية اصعب مما تصور !.

غابت عنه كلمات التفاؤل ، لم يعد بخلده بريقها ، استسلم غير عابيء بما وقع .. العقوبة بسيطة . استعملوا الرأفة فى الحكم عليه ، ان له مدة خدمة طويلة . تسبب اهماله فى خسائر جسيمة ـ عدا مابدر منه من اعمال منافية لشرف المهنة .

دائما يحدثه عقله ـ كان ينتظر لنفسه اكثر مما حدث له .. ومع ذلك لم يتصور مطلقا حياة التبطل والعيش على المقاهى ، وقراءة صفحات الوفيات .. واشد ما يحزنه الآن تلك الكلمات التى ذاق مرارتها على غير اوان : «المعاش المعاش» حفرت لها مكانا بارزا داخل عقله الباطن ، ربما من اثر الصدمة !.

فى كل حركاته يحاول الهروب، تطارده تعبث به ، تجرى خلفه صرخات مدوية يسمعها دائما بالحاح مخيف .. وسؤال زاده الما فى افواه كل من يعرفونه ـ يرسم علامة استفهام ؟! كيف يحال الى المعاش فى هذه السن المبكرة ؟!

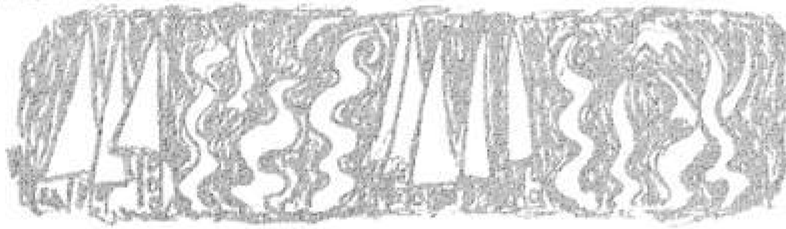
تكرار ممل فى كل جلساته ، نفس السؤال .. نفس كلماته ، رجل المعاش الصغير .. احتاروا معه ، الاجابة واحدة ، وبكل ما يملك : انه ضحية الظروف ..!

وكيف يجرؤ على مصارحتهم ؟.. صحيح انه يعرف جريمته . ولكنه لا يستطيع الالتفات ، يكتمها بين ضلوعه ، والعقاب ايضا اقل مما يستحق. يتذكره ورقة صفراء باهتة ، زفوا اليه الخبر .. يومها لم يعرف ماذا اصابه ؟. ضاع كل شيء . تآكلت آماله . وكان لقب مدير عام على الابواب ! .

دورة يومية ـ اعتادها . بدون توقيت . محاولات الهروب من نفسه من عالمه الخارجى والداخلى ..

خطوات بطيئة وتمها غريب، استعجب نغماتها . وفى الحلقة المعدة توقف . اخذ مكانه بجوارهم . دائرة بشرية وسط الميدان تجاوبه صياحهم .. ضحكاتهم ، تصفيق حاد مثلما كان يحدث له فى الاجتماعات .

دقق النظر فى المنظر امامه .. كهل عجوز ، مهرج ، ثيابه الغريبة بالوان زاهية ، وطفلتان فى ملابس بنفس الالوان ، ومعهم كلبهم لطخوه بالاصباغ على غير ارادته .. يقدمون العابا بهلوانية ؛ ليست جديدة .. ولكن لا باس ! .



مقارب الساعة تتدرج داخل اطارها المعلق فى الميدان ، الوقت مازال مبكرا ، لم تحن بعد ساعة الهروب الى النوم ..

نيران مشتعلة ، ادخنة سوداء تتصاعد برائحتها الخانقة ، طاقة كبيرة حفها اللون الاحمر توهجت من كافة جوانبها ، مجموعة من السكاكين الحادة رصت بعناية داخلها ..

مرة ثانية اعادته رائحة الدخان ، لابد ان شيئا حدث . صيحات اعجاب من الجميع ، تصفيق زاد على الحد .. وبغير مقدمات توقفت الحركة ، وساد السكون من جديد ، ومنديل قذر تدور به احدى الطفلتين .. لابد من دفع قروش معينة مقابل القيام بهذه اللعبة الخطرة . لعبة النار !.

لم تعجبه هذه الطريقة ، انها التسول المقنع .. تذكر الكثير من عمليات النصب والاحتيال . ولكن صبرا ربما يفى بوعده ويجتاز لعبة اللعب بالنار ..

خفق قلبه ، دار رأسه ، هذا الكهل مجنون ، مجنون .. ايضحى بحياته بهذه السهولة من اجل قروش معدودة !. التصق جسده بالآخرين ، لم يهزهم الموقف مثله .. اصطدم بضحكات ملؤها السعادة ، طفل يلهو ويصفق بغير انقطاع ، حاول اسكاته ، الموقف زاد حساسية ..

صحا من شروده على غير ما يتوقع ، أصوات مزعجة ، صرخات استغاثة ، اشتباكات بالايدى ، انطفأ كل شىء حوله .. لم يعد يرى سوى أشباح تتحرك وسط الزحام . ضاقت الدائرة وخلت من الاطفال ، الكل يحاول ان ينجو بنفسه ..

الرجل العجوز واطفاله والكلب ، لم يعد لهم وجود .. ماذا جرى ؟.

تلاشى الجميع ، ذابت أشكالهم ، تفرق الجمع الغفير ..

رجلان لم يألفهما من قبل . يتطاير من عيونهما شرر مخيف ، والعجوز بينهما يحاول التخلص من قبضة أيديهما بعضلات جسمه النحيل .. لقد رفض ان يخترق الطاقة المشتعلة كما وعد المشاهدين ؛ وكلمات التعليل التى يتعلل بها فارغة متخلخلة ..

حججه الواهية لم تسعفه للخروج من المأزق ..

مهما حق ، هو نصاب .. امسكوا به وسط الصرخات والشتائم .. صمموا على ضرورة اشعال النار مرة أخرى وان يخترقها الى الجانب الآخر ، وامام كل الناس ..

المحاولات غير ناجحة ، كالوا له مزيدا من الضرب والايذاء .. وهو يتلمس الاعذار .. سالت دموعه ، تعالت صرخات طفلتيه

تحركت فى داخله عوامل الشفقة ، قرر ان يتدخل .. لم يستمع له الرجلان رغم توسلاته .. اشار برد النقود واطلاق سراح العجوز .

احاطوه بأذرعهما . التفت حوله البقية الباقية من شتات المتفرجين . حسبوه زميلا للكهل المهرج . ضربوه ، دفعوه ليشاركه فى اللعب بالنار .. تصورهم من قرب نهايته .. الشرطة ، المحكمة السجن .. وبحركة ـ لم يمهدها فى نفسه ، جرى ينفلت هاربا من وسطهم . اطلق ساقيه للريح ..

ومن بعيد ، وبعيون الخوف ، اطل على مصير صاحب اللعبة بالنار ..

من مقدمة

كشاف الهلال

● اشراف ●
● الدكتور احمد حسين الصاوى ●

تعد الكشافات من اهم ادوات التوثيق والخدمة البيليوجرافية فى العصر الحديث . والكشافات عدة انواع ، واشهرها ما يتخذ تحليلا الى محتوى المواد المقروءة فى دورية او مجلة او جريدة ، او عدد من الدوريات او الصحف ، او غير ذلك من المطبوعات . والكشاف يقدم تحليلا لهذه المواد يقوم على اساس اتخاذ وحدة للتقسيم مستقاة من المادة ، قد تكون فكرة او اسما أو عنوانا او عبارة صيغت للدلالة على مضمون المادة ، وتستكمل هذه الوحدة باثبات التاريخ ورقم الصفحة وما اليهما مما يدل على مكان نشر الموضوع فى الاصل المكشف .

ويتبع فى عمليـة تصنيف مادة الكشاف منهج منطقى متكامل يدرج وحدات هذه المادة تحت « مداخل » معينة ، يشير كل منها الى موضوع خاص ، ويدل على طبيعة ما يدخل تحته من وحدات .

ويساعد الكشاف الباحثين وطلاب المعرفة على ان يصلوا الى كل ما يرغبون فيه من مادة تتصل بموضوع ما بايسر السبل واقربها . فما على الباحث الا ان يراجع الكشاف المعنى لكى يحصل على بيان بكل ما نشر مما يتصل بموضوع بحثه ، محددا بالتاريخ وارقام الصفحات التى نشر بها .

والصحافة – ولا شك – سجل عصرها ومرآة لاحداثه وافكاره وقيمه . ومن هنا فهى أحد المصادر التى لا غنى عنها لكل من يريد ان يبحث فى اى جانب من جوانب الحياة التى صدرت فى اطارها هذه الصحافة وسجلت نبضاتها ورددت ايقاعاتها . ومن هنا فهى مصدر غنى حافل يزود الباحث بقدر كبير من المعلومات والحقائق والمعطيات التى تمكنه ، بعد التمحيص والاستقراء والتحليل ، من الوصول الى نتائج محققة موثقة .

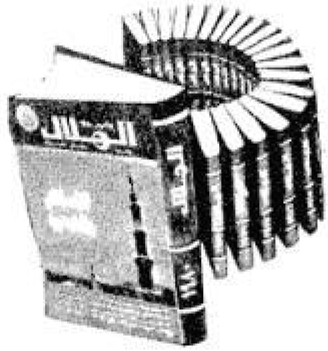
واذا كان هذا هو شأن الصحافة بعامة ، فان للدوريات الثقافية بالذات مكانة خاصة فى البحوث التى تتصل بفترة اصدارها ... زمانها والنشر كثير من تراثها ، واسدلت الظروف ظلالا كثيفة على بعض جوانبها . ان الدورية العلمية المتخصصة تحفظ الدراسات التى تتعلق بمجال علمى محدد وتسجلها فى اطارها التاريخى ، وهى – بالتالى – تهم الباحث الذى ينقب فى ذلك المجال المحدد . ولكن الدورية التى تصدر لنشر الثقافة العامة اكبر اهمية وابعد اثرا ، فهى تتجاوز دائرة المجال المحدد من حقل المعرفة الى ساحات ارحب . ومن ثم فان مثل هذه الدورية تقدم صورة اكبر لعصرها ، وسجلا متعدد الصفحات لما يتفاعل فيه من تيارات فكرية ، وما يسوده من مفهومات فى مجالات شتى .

ومجلة « الهلال » التى صدرت قبل بزوغ شمس هذا القرن ، فى عام ١٨٩٢ ، والتى مازالت تصدر وتحتل مكانها المرموق لدى قراء العربية فى مشارق الارض ومغاربها ، وسوف تستمر فى الصدور الى ما شاء الله هى فى مقدمة المصادر العربية نظرا لاحتفاظ صفحاتها بكم هائل من المعلومات والحقائق والبيانات والافكار التى وجدت ومازالت تجد طريقها الى صفحاتها .

ولمجلة « الهلال » خلال رحلة عمرها ، التى امتدت الى ما يقرب من تسعين عاما حافلة ، اهمية خاصة فى هذا الصدد .

- فهى اقدم دورية من نوعها فى عالم الصحافة العربية .
- واستمرار صدورها دون ما انقطاع طوال هذه الاعوام يجعلها سجلا وافيا متصل الحلقات لكل العهود التى تعاقبت على وجه الحياة المصرية ، منذ الاحتلال البريطانى وهو فى اوج سطوته حتى عهدنا الحاضر ، بكل ما يميز هذه العهود من ملامح وسمات
- وتميزت حياة « الهلال » نفسها بعهودها الخاصة . وكان لكل عهد منها معالمه التى طبعه بها من تولى خلاله امور تحرير المجلة وقاد ركبها .

وفى تقدير المؤرخ الصحفى ان العقود الاولى من عمر « الهلال » تمثل مرحلة



تتسم بظاهرة لا تكاد تكون مألوفة في غير صحافتنا • وهي أن صفحات الصحف ، والمجلات بوجه خاص ، كانت هي المنابر الاولى التي حملت الى عقول القراء وقلوبهم انتاج مختلف المفكرين والادباء والعلماء ، قبل ان تكون الكتب هي التي تحمل الزاد الثقافي من كتابنا الى جماهير القراء •

ولقد راعني حقا ، وانا اقرأ تجارب الجزء الاول من هذا الكشاف وارجع الى اعداد المجلة نفسها ، ما حفلت به صفحات هذا الجزء من زاد خصب للباحثين •

لقد قرأت لطلعت حرب وقاسم امين وفتحي زغلول ومصطفى صادق الرافعي ، وقرأت عنهم وعن سواهم من الاعلام ما لم اصادفه في اي مرجع آخر •

وبهرتني تلك المحاولات الجادة لتزويد القارىء بكل اخبار العلم ومنجزاته ، من شتى انحاء العالم •

واستوقفتني صورة المجتمع المصري في تلك الحقبة ، وقد برزت ملامحها من خلال ما كتب عن استخدام الكهرباء وتسيير الترام في شوارع القاهرة ، وما نشر عن الاقتصاد المصري ومحصول القطن وميزانية الدولة ، وما عبرت عنه اقلام الكتاب من مختلف الاتجاهات الفكرية حول موضوعات بالغة الاهمية ، مثل التعليم وتحرير المرأة وانشاء الجامعة والثقافة العربية والغربية ، وغيرها كثير •

وكان لمجلة « الهلال » اهتمام خاص بالادب العربي ، فحفلت صفحاتها ، بمختلف البحوث والمقالات التي تناولت عدة قضايا ادبية ، واحتفلت بقصائد كبار الشعراء المعاصرين فنشرتها مع دراسات نقدية ممتعة •

وحرصت « الهلال » كذلك على ان تنشر روايات جرجي زيدان الخالدة منجمة على فصول تلحق باعدادها • وكان من الابواب الثابتة بالمجلة باب لعرض الكتب الجديدة في مختلف مجالات المعرفة •

ثم ، اليس مما يدعو الى الاعجاب ان نعلم مما نشر في اعداد السنوات الاولى ان مجلة « الهلال » اتخذت « مكتبة للمطالعة » بدارها ، وان توزيعها امتد شرقا الى ايران والهند واستراليا وروسيا والولايات المتحدة والبرازيل ؟ ان هذا او ذاك امر لم تسبق اليه « الهلال » ولم تعرفه الصحافة العربية الا بعد ذلك بعشرات السنين •

ولقد رأت « مؤسسة دار الهلال » ان تصدر هذا الكشاف لمجلة « الهلال » ، التي تمثل اولى مجلاتها واعرقها ، وفي الوقت نفسه تقوم بتصوير كل مجموعاتها على افلام مصغرة (ميكروفيلم) وافلام دقيقة (ميكروفيش) • وعلى ذلك فسوف يكون في وسع الباحث الذي يستخرج من الكشاف مؤشرات لمادة معينة ان يجد بغيته بعد ذلك اما في مجموعات « الهلال » نفسها او في الافلام التي صورت لها •

وسوف يصدر الكشاف متضمنا مواد المجلة حتى نهاية السنة الحالية (١٩٨٠) في اربعة اجزاء • ويشمل الجزء الاول الذي يصدر قريبا مواد « الهلال » منذ عددها الاول الذي صدر في سبتمبر ١٨٩٢ حتى نهاية عامها الثاني والعشرين (١٩١٣ ـ ١٩١٤) • وتمثل هذه الرحلة العهد الاول للمجلة الذي انتهى بوفاة مؤسسها وعاملها الكبير المرحوم جرجي زيدان • وسوف يلحق بالاجزاء الاربعة للكشاف ، التي تتضمن المادة التحريرية ، جزء خامس يخصص للصور التي نشرت بالمجلة خلال تلك السنوات الطويلة •

ولقد عمل في اعداد مواد هذا الجزء ومراجعتها نخبة من المتخصصين في علوم الوثائق والمكتبات تستحق جهودهم كل التنويه والتقدير •

والا ذ جو ان يحتل هذا الكشاف مكانه من مكتبات المراجع ، وان يؤدي دوره في خدمة البحث والباحثين ، لنأمل ان يتقبله القارىء بقبول حسن ، وان يرضى عما بذل فيه من جهد •

والله الموفق •

د • احمد حسين الصاوي

زهرات من رياض العرب

● محسن فهمى ●

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد جاءكم شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه ابواب الجنة وتغلق فيه ابواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من الف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ، اذا اجتنبت الكبائر » .

وعن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان وعرف حدوده ، وتحفظ مما كان ينبغى أن يتحفظ منه كفر ماقبله »

وفى رواية أخرى عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وعن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أى رب منعته الطعام والشهوات، بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن : منعتـه النـوم بالليـل ، فشفعنى فيه ، فيشفعان » .

وعن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يصوم عبد يوما فى سبيل الله الا باعد الله بذلك اليوم النار عن وجهه سبعين خريفا » .

وعن سهل بن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الجنة بابا ، يقال له : الريان يقـال يوم القيامة : اين الصائمون ؟. فاذا دخل آخرهم اغلق ذلك الباب » .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى انا اجزى به .. والصيام جنـة (١) اذا كان يوم صـوم أحـدكم فلا يرفث (٢) ولا يصـخب (٣) ولا يجهل (٤) فان شاتمه احد ، أو قاتله ، فليقل : انى صائم ، انى صائم ، والذى نفس محمد بيـده لخـلوف (٥) فم الصائم ، اطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما: اذا افطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .

(١) « جنة » اى مانع من المعاصى
(٢) « الرفث » الفحش فى القول
(٣) « لايصخب » اى لايصيح
(٤) « لا يجهل » اى لايسفه
(٥) « الخلوف » تغير رائحة الفم بسبب الصوم .

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام

إليك المتاب..

هلْ إلى العفو يا إلهى سبيل   بَعُدت رحلتى وزادى قليل ..
واحتوتنى الهموم من كلّ صَوب   وطَوانى الأسى المَضّ الطويل
لم أزل سادرا على غير وعى   فى الهَوى ملء خاطرى التعليل
خَدعتنى الحياة ـ وهى لَعوب ـ   حين تُغرى النفوس أو تستميل
لم أقدّم إليكَ غير هنات   أنا منها ـ ما عشت ـ عان عليل

***

رب ألهمتنى البيان فهب لى   منه ما ترتضى ؛ وما لا يَميل
عن طريق الفلاح والنور يا   رب .. وفيما أخط أو ما أقول
أنا ضيَّعت فى الغواية عمرى   بالعمر قضاه مضنى ذليل
ما تمهّلت فى الطريق قليلا   لأرى كيف يستطاب الوصول
أو تزَوَّدتُ باليسير من النصح   ومالى منها نصيب فتيل
لست أرجو سوى رضائك يارب   فلا تخزنى ، وأنت الكفيل
إن هكن فى الركاب حظى كئيبا   لم يزل فى رحابك التأميل
فاليكَ الغداة وجهت رحلى   راجيا منكَ أن يطيبَ الرحيل

● مبارك المغربى ●
● أم درمان ـ السودان ●

١٨٩٢ ـ ١٩٨٠

بين العدد الأول من الهلال والأخير منه

٨٨ عاماً من العلم والثقافة والأدب والفن والطرافة

ولا زالت مجلة الهلال تحمل مواكب الثقافة وطليعتها وأوفرها مادة

الهلال كتب فيه كل أعلام الفكر ويكتب فيه كل أعلام العصر

الهلال يقدم لك عدداً زاداً من الفكر والأدب والثقافة

الهلال يقدم لك العلم .. والعلم سلاح العصر

فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر

ثمن العدد في	سوريا	٣٠٠ ق.س	الكويت	٣٥٠ فلساً	لبنان	٢٥٠ ق.ل		
البلاد العربية	العراق	٤٠٠ فلس	الأردن	٢٥٠ فلساً	السعودية	٤½ ريال		

سبتمبر ١٩٨

الهلال

مجلة الفكر العربي

وكسب جائزة



كلمة الهلال

هذا الصيف الطويل الثقيل

هذا شهر سبتمبر يطل علينا ، ومازلنا نعاني متاعب هذا الصيف الطويل الثقيل .

فمن مطالع هذا الصيف ، في اواخر ابريل الماضي بدأت مأساة افغانستان ، وهي في نظرنا رمز على روح هذا العصر القاسي الشرير الذى لم تعد دولة صغيرة او كبيرة تامن فيه على سلامتها .. انها مأساة دولة ضخمة تنقض على دولة صغيرة ذنبها انها صغيرة وفقيرة وتفترسها افتراسا ، وتزعم مع ذلك انها تفعل ذلك كله باسم الانسانية وللانسانية .

والعالم كله يتفرج ، وكل ما يستطيع ان يفعله هو التحسر والتوجع .

وخلال هذا الصيف تكشفت مأساة الولايات المتحدة ، وكانت املا عظيما للسلام والحضارة ، تكشفت عن عجز مخجل ، واصبح على العالم ان يبحث عن حصن آخر ياوى اليه .

وتزايدت متاعب أهل الدنيا جميعا ، فكل الناس فى الدنيا يقاسون من غلاء غريب فى الاسعار لم يسمع بمثله أحد من قبل . ففى بلاد كبرى مثل انجلترا وفرنسا تتوقف بالفعل صناعات كبرى مثل الفنادق الكبرى لان قليلين جدا من الناس يستطيعون أن يدفعوا ما بين ستين وثمانين جنيها اجرا لنوم ليلة واحدة فى هذه الفنادق

وقد بلغ من غلاء الاسعار ان منظمة كبرى مثل اليونسكو الغت مؤتمرين كبيرين لانها لا تستطيع دفع بدل السفر والاقامة اللائقة لرجال الوفود .

وتكشفت خلال هذا الصيف الطويل الثقيل الفوارق الكبرى بين الاغنياء جدا والفقراء جدا ، ففى عالمنا اليوم مئات قليلة يدفعون فى قص اظافر ايديهم والعناية بها فى المرة الواحدة ما يطعم مائة جائع من اهل افريقية وآسيا ..

والمصيبة ان هؤلاء الذين يتمرغون فى الغنى معظمهم افاقون او تجار سلاح او تجار جنس او مخدرات ، وهل يتصور انسان ان مجلة امريكية معروفة تدفع ربع مليون دولار لممثلة ذات اسم ذائع وجمال يقال انه رائع لكى تلتقط لها صورا بدون ثياب !

وهل تصدق ان محلا من محلات الازياء فى باريس يعلن عن قمصان « تفصيل » لذوى المال يبلغ ثمن القميص منها ثلاثمائة دولار امريكى فتتلقى مائتى طلب حجز فى اليوم الواحد ..

هذا ولم ينشط الموت كما نشط هذا الصيف ، ولو احصينا عدد من مضى عنا خلال هذا الصيف من كبراء الناس واصحابنا واحبابنا لما انتهت القائمة .

حقا انه صيف طويل أليم .

انه اطول صيف عرفناه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ..

انه صيف الأحزان اذا جاز ان نقتبس عنوان رواية جون اشتاينبك المشهورة مع تغيير طفيف .

اللهم نسألك ان تشمل هذا العالم الاسيف برحمتك ، وتجعل الشتاء القادم شتاء الآمال ..

المحرر

فى هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

شوال ١٤٠٠
سبتمبر ١٩٨٠

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفنى : موهوب جميل

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
— السنة الثامنة والثمانون — أول
سبتمبر سنة ١٩٨٠ — ٢١ من
شوال سنة ١٤٠٠

ص

من « الهلال »

جرت عادة الهلال على ان يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب واهل الفكر ، وينشر منها ما يستطيع نشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

موضوع الاستطلاع الملون لهذا العدد هو قطر اسلامي صغير صاعد هو ماليزيا ، وصورة الغلاف لشابة ماليزية هي رمز على شباب ماليزيا وجمالها .

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما تقدم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات أو ٤ ج . ا و تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

عالم

فوضى فوضى لماذا ؟

بقلم : رئيس التحرير

عندما بلغت يوليوس قيصر انباء ثورة في قبادوقيا في آسيا الصغرى ، قرر المسير بنفسه للقضاء عليها . وقال له أحد مساعديه : بيننا وبين قبادوقيا الوف الاميال ، وماذا يبلغ من أمر هذه الثورة مهما عظمت ؟

فقال قيصر : انها ثورة على النظام أيها الشاب ،واذا تركناها انتشرت وضاع النظام ، وهذه الدنيا لابد ان يكون لها قيادة .. انها واسعة حقا ولكن لابد لها من يد حازمة ، وروما صاحبة المسئولية اليوم وعليها ان تتحمل مسئوليتها .. هذه الحملة ستكلفنا جهدا ومالا ، ولكن لا مفر من اخمادها ، وانا ذاهب ..

ومثل هذا الكلام قاله نابليون عندما سمع أن الارشيدوق شارل قائد قوات النمسا قد كسر معاهدته مع نابليون ، ثم سار بجيوشه حتى حطم قوات الارشيدوق في أوسترليتز ..

وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربي:

لايصلح الناس فوضى ، لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وكنا نقرأ هذا الكلام ونقول انه غرور واستبداد ورغبة ، في سيادة الآخرين ، ولكننا اليوم ، ونحن نتأمل أحوال الدنيا نشعر أن هناك وجها من الحق في ذلك الذي كنا نحسبه هراء . ان الدنيا حقيقة بحاجة دائما الى قيادة ، الى قوة كبرى تفرض النظام وتفرض نوعا من الاستقرار على هذا الكوكب ، وسواء تحقق هذا بعنف أم بغير عنف ، وسواء أتم على وجه يحقق الخير والمنفعة لأكبر عدد من الشعوب أم حقق الخير لاصحاب القوة وحدهم (وهو الغالب) فانه يبدو

ان البشر لا يستغنون عن قوة كبرى تفرض الاستقرار — أو جانبا منه — على وجه هذا الكوكب ، ولقد قال دزموند موريس فى كتابه المشهور « القرد العارى » (يعنى بذلك الانسان) ان جماعات القردة فى الغابات لايمكن قط أن تستغنى عن رئيس من بنى جنسها ، وهذا الرئيس أو الكبير يكون فى الغالب قويا جبارا عاتيا مستبدا ، وهو يبطش بكل من يعارضونه او يخشى بأسهم من ذكور القطيع ، ولكنه فى النهاية يحافظ على القطيع فى جملته من أن تفترسه الفهود والنمور ، وهى ألد أعداء القردة . وقد ثبت بالفعل ان القبيلة من القرود اذا قتل رئيسها وطال الصراع بين المتنافسين على القيادة دون ان ينتهى الامر بانتصار سريع حاسم لواحد منها تفرق القطيع وضاع .

وقد كنا فيما مضى نقرأ ما قاله يوليوس قيصر ونابليون بونابرت ونقول: غرور وتبرير للاستبداد والسيطرة ، وكنا نبغض اشد البغض ما قاله بالمرستون مرة من ان بريطانيا تقوم بدور رجل البوليس على وجه الارض ، وهى عبارة بغيضة حقا قالها رجل استعمارى وقح . وكره هذا القول معنا كاتب فرنسى مفكر هو سان سيمون ، وقال ان العالم فعلا يحتاج الى قوة عليا تقر السلام بين الشعوب ، ولكن هذه القوة لا يمكن ان تكون غاصبا مستبدا يفرض على اهل الارض السلام الذى لا يخدم الا مصالحه ، ولكن هذه القوة تكون جماعة من اهل العلم والفكر واهل الخبرة بادارة شئون البشر فكأنه كان يردد بذلك بيت الشعر الذى قاله الشاعر العربى وذكرناه آنفا :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وافكار سان سيمون وهذا الشاعر العربى هى التى اخرجت الى حيز الوجود بعد ويلات الحرب العالمية الاولى «عصبة الامم » واخرجت بعد دمار الحرب العالمية الثانية فكرة « الامم المتحدة » ، ولكن عصبة الامم كانت فشلا منذ البداية ، فان الذين أنشأوها أقاموها على أساس معاهدة فرساى ، ومعاهدة فرساى كانت مهزلة سخيفة ألفها ثعلبان من ثعالب السياسة العالمية هما لويد جورج وجورج كليمانصو ، ووقع عليها اول رئيس من رؤساء الولايات المتحدة ينقصه الذكاء وبعد النظر وهو الرئيس وودرو ويلسون : ضحك عليه الثعلبان واستدرجاه الى الحرب ،وبأمواله وجنوده وسلاحه كسبا حربا كانت ولا شك ضائعة ، فلما تم لهما النصر استخدما الرجل الطيب الساذج فى تقسيم العالم بينهما ، ورسما للدنيا خريطة شوهاء كان مقدرا لها الفشل من أول يوم ،لانها لم تكن علاجا لمشاكل بل شفاء لاحقاد، وكان الاثنان لويد جورج وجورج كليمانصو يقرران مصائر الامم والشعوب وهما مسترخيان فى قاعة واسعة من قاعات مجلس المؤتمر فى ضاحية فرساى ، وبلغ من استهتارهما بالدنيا وأهلها ان بلجيكا ، وكانت حليفة لهما — قالت ان مستعمرتها « الكونغو » لا تكفيها ، لانها — أى الكونغو — صغيرة وفقيرة (وهى من أغنى بلاد افريقيا) فقال كليمانصو : ضموا اليها كتانجا وكانت كتانجا اذ ذاك داخلة فى نطاق ما عرف بانجولا ، وكانوا قد اعطوها مع موزمبيق الى آخر بلاد اوروبا تحضرا فى ذلك الحين وهى البرتغال .

وكان المفروض ان تكون عصبة الامم هى « القيادة » التى قال يوليوس قيصر ان الدنيا فى حاجة اليها ، ومن أهم شروط القيادة القوة والحزم والعدل . فما بالك وقد خرجت انجلترا وفرنسا من تلك الحرب العالمية الاولى وليس فى كيانيهما الا آثار من قوة وحزم ، لان الحرب امتصت قواهما جميعا ، فلم يكن قد بقى فى كيانهما الا الحقد ، وهو الذى حل محل العدل ، ونحن فى عالم العرب نعرف الحضارة التى كانت تتصرف بها فرنسا وانجلترا فى أعقاب النصر الزائف الذى حصلنا عليه فى حرب سنة ١٩١٤ ، وهى حضارة ترتبط فى اذهاننا باسماء سايكس وبيكو والجنرال اللنبى ولورانس وونجيت ومن اليهم من اساطين الكذب والخداع .

ولقد بلغ من حقد فرنسا وانجلترا على اعدائهما انهما ارادا أن يمحوا تركيا

• ... وكان الرجاء أن تستطيع الولايات المتحدة القيام بمهمة إقامة النظام في الدنيا، وكان ذلك هو الأمل الوحيد الباقي للعالم الحر، لأن فرنسا وانجلترا خرجتا من الحرب العالمية الثانية محطمتين فعلا ..!

من الوجود محوا . فقسموا الاناضول - اي آسيا الصغرى بين ارمينيا وايطاليا واليونان وتقاسموا البلاد العربية واحتلوا الاستانة ،وسمحوا للروس بأن يسيطروا على بحر البلطيق ، ولكنهم لم يسمحوا لروسيا بالدخول الى البحر المتوسط ،ثم مزقوا المانيا اربا ..

وكانت ثورة هتلر نتيجة طبيعيةلتلك المعاهدة ، ونحن الذين نحمل على أدولف هتلر اليوم ونصفه بالجنون والاستبداد ننسى ان الذين صنعوه هم الانجليز والفرنسيون ، لان الحقد لا يلد الا الحقد وما صنعه المنتصرون بالمانيا بعد الحرب كان كفيلا بأن يخرج الى الدنيا رجلا مثل أدولف هتلر ، ولم يكن الرجل مجنونا قط ولا بعيدا عن فكرة الحكم والسياسة والنظام ، بل هو كان منظما من الطراز الاول ، ولكنه كان انسانا يقوده الحقد والتعصب بالضبط كما كان الحقد هو قائد جورج كليمانصو وصاحبه لويد جورج . وكان هدفه الاول والاخير هو الانتقام لبلده المانيا من الهوان الذي لقيته على أيدي المنتصرين في حرب ١٩١٤ والحقد قاده الى الخطأ ، والعصبية القومية قادته الى التهور ، ومن هنا كانت اخطاؤه الكثيرة وافدحها كان اعتقاده انه لابد أن ينتقم بالقوة والسلاح ممن اذلوا بلاده ، ولقد ملك هتلر من أسباب القوة العسكرية ما كان كفيلا بأن يضمن له النصر ، ولكن الحقد أعماه وعصبيته الالمانية قادته الى الغرور ، فحسب انه يسود الدنيا بالطائرات والدبابات ،وكان بذلك أبعد ما يكون عن روح الحكمة التي تكلم بها سان سيمون ، وروح السيادة التي تصرف بها كل من يوليوس قيصر ونابليون . فخسر الحرب وخسر نفسه ، وكادت المانيا تضيع على يديه لولا ان الذين تولوا المانيا المحطمة بعد هتلر آمنوا بأن المانيا لا تبنى بالحرب ، لان الحرب لا تبنى شيئا ، اذ هي في الحقيقة تخريب ودمار ، وبفضل كونراد أديناور ولودفيج ايرهارد - ومن عمل معهما بنيت المانيا من جديد بالعمل والجهد ونسيان الاحقاد واستردت سيادتها واحترامها ، وأصبحت من أكبر بلاد الدنيا في عصرنا الراهن .

***

ولكي ينتصر الحلفاء على هتلر اغمضوا اعينهم عن روسيا وما كانت تفعله ثورتها الشيوعية التي قامت في أواخر الحرب العالمية الاولى . وبينما كانت عيون الدنيا كلها موجهة نحو هتلر وما يفعل ، غابت عن العيون مظالم الشيوعية وما كانت ترتكبه في روسيا ووسط آسيا وشمالها والذي فعله بالدنيا واهلها لينين ثم ستالين لا يقل عما فعله هتلر ، ولكن الصهيونية العالمية وجهت حقد الدنيا كلها على هتلر وتغافلت عن فظائع الشيوعيين ، لان الشيوعية في حقيقتها مؤامرة صهيونية على الاسلام والمسيحية والحضارة وكل القيم البشرية . وقد رسمت الصهيونية خطتها باحكام وجعلتها سبيلا من سبل تحقيق حلم الصهيونية باغتصاب فلسطين من العرب وانشاء دولة صهيونية في قلب العالم تسيطر على اقتصادياته .

• لقد كنا نشكو من بشاعات الاستعمار الرأسمالي واستغلاله حتى جاءت الشيوعية فزادت في ذلك كله على أسوأ الدول الاستعمارية، وأهدرت كرامة البشر على نحو ما نعرفه في أسوأ الأيام الهمجية ...

وقد نجح الصهيونيون في اقتطاع جزء من فلسطين وانشاءوا بالتواطؤ مع الشيوعيين والراسماليين معا دولة اسرائيل . ثم طمعت الصهيونية في بقية ارض فلسطين وارض العرب ، ولكن العرب تصدوا لها وبدات ماساة فلسطين ومحنة العالم العربي كله .

***

وكان الرجاء أن تستطيع الولايات المتحدة القيام بمهمة اقامة النظام في الدنيا ، وكان ذلك هو الامل الوحيد الباقي للعالم الحر ، لان فرنسا وانجلترا خرجتا من الحرب العالمية الثانية محطمتين فعلا . ثم ان اخطاءهما التي ارتكبتاها في حق شعوب الدنيا خلال عصور الاستعمار جردتهما من ثقة معظم البشر ، ويكفي أن يذكر الانسان الاستغلال البشع لبلاد آسيا وافريقية على يدي هاتين الدولتين اثناء عصر الاستعمار يكفي هذا لنفهم لماذا نزع العالم منهما ثقته ولم تعودا تصلحان لقيادة الدنيا ، وتحاول فرنسا منذ أيام ديجول أن تسترد مكانتها المعنوية والاقتصادية ، وفي السنوات الاخيرة عادت فرنسا مرة اخرى الى اسلوب الدهاء الاناني القديم لبناء مركزها واقتصادها ،ولكن ذلك لن يغني عنها كثيرا على المدى الطويل .

***

المهم انه لم تبق في الميدان لقيادة الدنيا وفرض النظام فيها الا الولايات المتحدة ، واما روسيا فقد اخرجت نفسها من الحساب لان نظامها الشيوعي جعلها تنادي بافكار واساليب في الحكم رفضها أهل الدنيا ، لانها عندما وضعت مذهبها الشيوعي وطبقته اشترطت أن تكون موسكو مركز التنفيذ كله ، ومعنى ذلك أن كل دولة تقبل النظام الشيوعي تدخل من تلقاء نفسها تحت التبعية الروسية ، أي أنها تفقد استقلالها وشخصيتها وتصبح تابعة للروس يوجهون امورها كيف شاءوا ، فالشيوعية على هذا امبريالية روسية هذا بالاضافة الى مساوىء الشيوعية في ذاتها ، وما تدعو اليه من هدم الاديان وتجريد البشر من الفضائل والقيم واهدار الكرامة الانسانية والحظر على الحريات .

ولقد كنا نشكو من بشاعات الاستعمار الرأسمالي واستغلاله حتى جاءت الشيوعية فزادت في ذلك كله على أسوأ الدول الاستعمارية ، واهدرت كرامة البشر على نحو ما نعرفه في أسوأ أيام الهمجية . ويكفي أن تنظر الى ما يفعله الشيوعيون الآن في افغانستان ، يقاتلون اهلها بالحديد والنار ويبيدون الناس بالالوف ثم يزعمون انهم يفعلون ذلك للنهوض بافغانستان ، وآخر ما لجأوا اليه الآن هو نقل الالوف من الافغانيين من بلادهم وتشريدهم في بلاد وسط آسيا واحلال ناس آخرين محلهم ،ومعنى ذلك انهم يقتلون البلد نفسه على أسوأ صورة .

***

بقيت اذن الولايات المتحدة في الميدان وتعلقت بها الآمال،وخاصة بعد ان انشئت هيئة الامم وما يتبعها من مؤسسات ثقافية وحضارية ، فان هيئة

عالم فوضى فوضى .. لماذا ؟

● إن الولايات المتحدة بما تملك من قوة وثروة وبما تمتاز به من تقدم علمي وتكنولوجي لا نظير له كانت تستطيع أن تقود الدنيا قيادة مسئولة وتحقق الكثير من آمال البشر .. فلماذا عجزت الولايات المتحدة عن ذلك ؟!

الامم بالفعل - ورغم ما يبدو من ضعفها وعجزها عن تنفيذ أى قرار تتخذه - تعتبر احسن ما توصل اليه البشر الى اليوم من المجالس العالمية ، وربما كان اكبر اسباب ضعفها هو مجلس الامن وما تتمتع به الدول الخمس التى تسمى بالدول الكبرى من حق الفيتو ، لان معنى ذلك ان الدنيا تحكمها هذه الدول الخمس وحدها دون بقية الدول اعضاء مجلس الامن غير الدائمين لأن الجمعية العامة التى تضم دول الدنيا جميعا أصبحت هيئة استشارية لا قيمة عملية لقراراتها ما لم يوافق عليها مجلس الامن .

●●●

ورغم ذلك كله فان الولايات المتحدة بما تملك من قوة وثروة وما تمتاز به من تقدم علمى وتكنولوجى لا نظير له ،كانت تستطيع ان تقود الدنيا قيادة مسئولة وتحقق الكثير من آمال البشر ، فلماذا عجزت الولايات المتحدة عن ذلك ؟

ان من يعرفون تاريخ الولايات المتحدة وطبيعة تكوينها يعرفون انها «امبراطورية» واسعة تحتاج دائما الى رئيس من طراز غير عادى لكى تسير أمورها سيرا حسنا . ولقد كان الرجال الذين انشأوا هذا البلد الضخم من أمثال جورج واشنطون وجون آدمز ، وتوماس جيفرسون ، والكسالدر هاملتون - من كبار الرجال حقا . ولقد عرفوا كيف يستقلون ببلدهم عن انجلترا ويضعون لها نظاما سياسيا شوريا مبتكرا هو نظام «الولايات» المستقل بعضها عن بعض داخليا ، المرتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا خارجيا ، ولا شك فى أن دستور الولايات المتحدة الذى وضعه وكتبه بيده توماس جيفرسون ثم ناقشه مع بقية زملائه واقروه ، لاشك فى ان هذا الدستور نموذج بديع من نظم التفكير السياسى السليم ، وقد أصبح منذ اقراره سنة ١٧٧٧ اساسا للتفكير الديموقراطى فى العالم كله . وقد أفاد منه الفرنسيون عندما قامت ثورتهم . وتحولت بلادهم من ملكية الى جمهورية، وسارت فى نفس الطريق كل الجمهوريات التى قامت بعد ذلك فى اوروبا وخارجها .

ولكن هذا الدستور نفسه لا يسير السير المرجو الا اذا قام على الحكم رجال افاضل مثاليون والا تحول الى نكبة ، والدليل الأكبر على ذلك هو أن دول امريكا اللاتينية ، وكلها جمهوريات نقلت دساتيرها من دستور توماس جيفرسون نقلا حرفيا تقريبا لم تستطع واحدة منها أن تحقق قدرا معقولا من الحكم الديموقراطى السليم الا فى النادر ولم تلبث غالبيتها أن تحولت الى استبدادات عسكرية تقوم على أساس الانقلابات ، وبدلا من أن تكون حكوماتها من الشعب وللشعب وبالشعب كما يقول توماس جيفرسون أصبحت الحكومات هناك جماعات من العسكريين التى تعرف باسم « الخونتا » ، لان الدستور الامريكى لا يضم ضوابط تصون الديموقراطية من أخطار المستبدين وعوامل الفساد وجيفرسون نفسه كان يقول ان ضابط الديموقراطية وحصنها الأكبر هو الشعب نفسه .

● إن من يعرفون تاريخ الولايات المتحدة وطبيعة تكوينها يعرفون أنها "إمبراطورية" واسعة تحتاج دائماً إلى رئيس من طراز غير عادي لكي تسير أمورها سيراً حسناً ...

ولقد ثار نزاع خطير بين الذين انشأوا الولايات المتحدة أنفسهم اثناء مناقشات الدستور فكان توماس جيفرسون الى جانب الحرية المطلقة في حين كان جون آدمز والكساندر هاملتون يصران على ضرورة وضع ضوابط وسياجات من أخطار الاستبداد والفساد وخاض أولئك الرجال معارك ضارية بين بعضهم وبعض وثارت بينهم عداوات شديدة ولكن رأى جيفرسون انتصر في النهاية رغم أن جورج واشنطن لم يكن راضيا عنه كل الرضا .

أما بقية الشعب الامريكي فلم تهتم كثيرا لشئون السياسة والدستور اثناء السنوات الاولى ، لأن الامريكيين كانت غالبيتهم مهاجرين اوروبيين ، والمهاجر يهتم أولا بأن ينشيء لنفسه كيانا اقتصاديا واجتماعيا ، وكانت الفرص واسعة ومتعددة ، فكان الناس مشغولين ببناء ثروات لا ببناء وطن . كانوا جميعا مشغولين بالافادة من فرص العمل والكسب الواسعة التي اتاحها لهم الوطن الجديد ، ولم يهتموا اهتماما كافيا بالقواعد الاخلاقية التي كان ينبغي أن يقوم عليها هذا الوطن كان الاهتمام قليلا جدا بالانتخابات والرياسة ، ولم يشعر الناس في الولايات المتحدة بوطنهم شعورا حقيقيا الا عندما قامت الحرب الاهلية (١٨٥٠ - ١٨٥٤) ونادى ابراهام لينكولن بضرورة الاهتمام بالوطن والمحافظة على وحدته والارتفاع بالقيم المعنوية والحذر من الغرق في الماديات وطالب بوضع حدود لاستغلال الاغنياء للفقراء والبيض للسود ، وبلغ من استنكار الناس لنداءه ان طالبت الولايات الجنوبية بالانفصال لكي تستمر في استغلال السود وعمليات ابادة الهنود الحمر ، فاعلن الحرب عليها ، وانتصر على الانفصاليين وحافظ للولايات على وحدتها ووضع لها وضعا معنويا جديدا نهض بها من بلد يتكون من جماعات من المغامرين وطلاب الكسب والثروة الى مواطنين يتعاونون على بناء وطن .

***

ولكن الروح الغالب على الفرد الامريكي ظل هو الروح المادي . وأصبح النموذج الامريكي الغالب هو نموذج الرجل القاسي الاناني الذي لا يتورع عن شيء في سبيل تكديس المال ولو ادى ذلك الى تحطيم غيره وخراب بيوتهم ومعظم من نسمع عنهم من اصحاب الملايين الامريكيين لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بعمليات غير انسانية بل وحشية ، لان المعبود الاكبر هناك أصبح الدولار ، في سبيله يهون كل شيء ، ويكفي أن تعرف مثلا أن ثروة رجل مثل لويس كينيدي منشيء بيت كينيدي المشهور أتت من انه كان سفيرا للولايات المتحدة في لندن عندما ظهرت في الافق احتمالات الغاء تحريم الخمور ، وقد عرف هو ذلك بصفته سفيرا متصلا بالرياسة فعجل بشراء توكيلات شركات الويسكي الانجليزية واتفق مع صاحب له على تمويل صناعة الويسكي الامريكي المعروف باسم البيربان ، وما كاد قانون رفع الحظر على الخمور يعلن حتى استقال السفير وعاد

عالم فوضى فوضى .. لماذا؟

• تكاد نظم الانتخابات في الولايات المتحدة أن تكون نظم " مهرجانات " لا نظم عمليات قومية ذات أهمية كبرى وهي تكون كذلك سواء أكان المطلوب انتخابه حاكما لولاية أو عمدة لبلد أو رئيسا للولايات المتحدة ...

الى الولايات المتحدة وأخذ يحصل الملايين وهذه قضية معروفة قررتها روز كينيدى نفسها في مذكراتها .

***

هذا الروح المادى الخالص الذى يسود الولايات المتحدة يعتبر من أكبر اسباب ضعفها ، ومن ناحية اخرى فان الحرية الواسعة التى يتيحها الدستور الامريكى للناس ، والحقوق التى يتمتع بها المواطن جعلت الامور هناك تصل الى حد الفوضى وانظر مثلا كيف قتل الرئيس جون كينيدى فى وضح النهار دون أن تصل يد العدالة الى القاتل الى اليوم مع ان الجناة فيما يقال معروفون ،ولقد احصت مجلة المانية عدد من اغتالتهم يد الاجرام فى أعقاب هذه الجريمة فبلغوا نحو ثلاثين : كلهم قتلوا فى ظروف غامضة على أيدى مدبرى الجريمة الحقيقيين .

وهذا أخوه روبرت كينيدى يقتل ويقبض على القاتل وفى يده المسدس ، ويشهد المئات بانهم رأوه ، ومع ذلك فان القاتل يظل فى السجن سنوات يعيش كأنه نزيل فى فندق ، ثم يطالب أهله فى النهاية بالافراج عنه لعدم توفر الادلة على اقترافه الجناية فيما يقولون !

والمحامون فى الولايات المتحدة جبابرة فى فنون الحصول على الاموال والبحث عن اساليب التهرب من القانون ، وقد قالت أحدى المجلات الاوروبية فى دراسة لها عن الولايات المتحدة : انه من الممكن ان تدفع هناك غرامة عشرة آلاف دولار عقابا لك على القاء عود كبريت على الارض ومن الممكن أن تقتل انسانا فى ميدان عام وتحصل على البراءة ، والامر كله غير متوقف على القانون بل على المحامى الذى تختاره والمبلغ الذى تستطيع دفعه لهذا المحامى .

***

ثم ان نظم الانتخابات فى الولايات المتحدة نظم مهرجانات لانظم عمليات قومية ذات اهمية كبرى ، وسواء اكان المطلوب انتخابه حاكما لولاية او عمدة لبلد أو رئيسا للولايات المتحدة ، فان العملية كلها تتخذ طابع المهرجان وتستخدم فيها كل وسائل الايهام والدعاية المسرحية ، وتنفق فيها الملايين وفى عملية الصراع على الرئاسة بين كينيدى ونيكسون انفق الحزبان الجمهورى والديموقراطى ٥٠٠ مليون دولار دفعها رجال الحزبين وهم واثقون بانهم سيستردون اضعاف ما دفعوا بطريقة او باخرى .

ولهذا فانك لا تضمن قط ان الذى يصل الى كرسى الرياسة فى الولايات المتحدة هو الافضل دائما،وانما هو الامهر فى وسائل الدعاية والاقدر على التأثير على عقول الجماهير ، والجماهير نفسها لا تنظر الا لصالحها ، والامريكى عندما يختار مرشحيه ويضع بطاقة انتخابه فى الصندوق يكون دائما متأكدا من انه يخدم نفسه أولا .

وها نحن نشهد اليوم عملية انتخاب الرئيس الامريكى الجديد ، واقرأ والله ما تنشره الصحف عما يعملونه لرونالد ريجان وصاحبه جورج بوش ، وما يعملونه للقضاء على جيمى كارتر ، وذنبه

● إن هيئة الأمم المتحدة على الرغم مما يبدو من ضعفها وعجزها عن تنفيذ أي قرار تتخذه - تعتبر أحسن ما توصل إليه البشر إلى اليوم من المجالس العالمية ...

الأكبر عندهم هو انه رجل صادق مخلص سليم النية ، انظر الى ما يدبره الصهيونيون فى الخفاء للتخلص من ذلك الرجل الذى وقف الى جانب قضية فلسطين • ان الذى نشهده اليوم انما هو « سيرك » لا عملية انتخابات فهل انت تضمن بعد ذلك ان الذى سيصل الى الرياسة سيكون اقدر رجل على قيادة مصائر العالم الحر ؟

●●●

ثم ان دقة الادارة الامريكية وضبطها هبطت فى السنوات الاخيرة الى مستوى لا يصدق ،فالروتين هناك قاتل ،والاوراق تتسكع فى ادراج الموظفين ولا تتحرك الا باساليب لا يعلم بها الا الله • هذا الى ان حالة الامن هناك ايضا سيئة • ولا يأمن الانسان على نفسه قط ، والكثيرون من رجال البوليس الامريكيين يرون القتيل مسجى فى الطريق فيعبرون على جثته وكانهم لا يرونها لان الواحد منهم لا يعلم ان كان القتلة رجال عصابة سيقومون بقتله هو اذا اتخذ الاجراءات اللازمة – كما قال صحفى فرنسى كبير هو ريمون كارتييه •

وفى مقال خطير عن الامن فى مدينة نيويورك نشرته مجلة « لايف » عندما كانت تصدر سئل رجل بوليس عن السبب فى عدم الاكتراث هذا فقال : ومن لاولادى اذا انا عدت اليهم جثة هامدة ؟

●●●

ثم انظر الى عجز الولايات المتحدة امام ايران ، وكيف انها تعجز عن استخلاص خمسين من رعاياها من أيدى الفوضويين وانظر الى عجزها امام دويلة لا تكاد ترى مثل اسرائيل ، وانظر الى موقفها موقف المتفرج من ماساة افغانستان ••

كل ذلك يدلك على ان الولايات المتحدة ليست « رجل البوليس » الذى يستطيع حفظ النظام على وجه هذا الكوكب • ان لديها من القوة المادية والتقدم العلمى ما لم يكن يحلم به يوليوس قيصر او نابليون ، ولكن الضعف الداخلى شديد والبنيان القومى ضعيف جدا ، والفكر السياسى ساذج والروح المادى غالب ، وروح الخير تكاد لا توجد فى ذلك البلد العظيم ••

تلك خسارة كبرى ان يكون هذا هو اكبر سند للعالم الحر

انها لكارثة ان تكون راعية الديموقراطية وصاحبة الحريات بهذا الضعف الروحى والقومى •

وهذا بدوره يهيب بنا نحن العرب ان نفيق من سكرتنا وان نؤكد ان الروس اذا ارادوا مثلا ان ينقضوا على كنوز البترول العربى فانهم قطعا لن يجدوا من الولايات المتحدة الموقف الحازم الذى يحلم به بعض العرب •وهذه اسرائيل تتحدى مشاعر ٨٠٠ مليون مسلم والولايات المتحدة معهم • ومع ذلك فان رجلا لايكاد صوته يخرج من حلقه مثل مناحم بيجين يسير فى طريقه الخبيث دون أن توجه اليه تلك الولايات المتحدة بجلالة قدرها كلمة عتاب •

د • حسين مؤنس

قضايا حول الشعر العربي

● محمد عبد الغني حسن ●

● قضايا الشعر في القديم والحديث كثيرة ، والشعراء لا يستريحون ولا يريحون ، فهم منذ القدم اثاروا كثيرا من المسائل المشكلة ، والامور المعضلة .. الم يثيروا في ادبنا المعاصر قضية « الشعر الحر » او الشعر المنفلت ، او الشعر التسيب ، او الشعر المتمرد ، كما يحلو لخصوم هذا الشعر ان يسموه نكاية به ، وازراء عليه ؟ كاننا في هذا العصر القلق المتعب لم تكفنا مشاكل غزو البلاد الامنة المطمئنة ، فجاءنا اخواننا شعراء التجديد ، بمشكل جديد ، فصرنا كما قال شاعرنا القديم :

ولو كان هما واحدا لاحتملته ... ولكنه هم ، وثان ، وثالث !

ونحن في هذا المقام ـ الذي لو يقوم فيه الفيل او فياله لزل عنه وزحل لنرجو أن يكون كلامنا خفيفا على قلب هؤلاء الشعراء المتمردين على قيود العروض ، حتى ولو كانت تلك القيود مجدولة من الذهب والجمان الخالص ..

ومن الغريب أن شيخنا وامامنا وأميرنا « شوقي » ، قد رفض كل قيد في الحياة ، اتباعا لمذهبه العظيم في تقديس الحرية الغالية حين قال :

والقيد لو كان الجما ... ن منضلا لم يحمل !

الا قيود الشعر بأوزانه وقوافيه ، فقد قبلها شوقي راضيا مختارا ، ونظم منها كل شعره المعجز المبدع ، فما استعصى عليه معنى ، ولا عزت عليه فكرة ، وجاء شعره سويا كالطبع السوي ، والخلق الرضي ..

وكذلك كان أستاذنا وزميلنا الراحل عزيز أباظة حين دافع عن قيود الوزن والقافية في محاضراته الرائعة (الشعر بين أصيل وهزيل) التي القاها بمجمع اللغة العربية في مؤتمر الدورة السابعة والثلاثين سنة ١٩٧١ م ..

ولهذا لن نتعرض لقضية « الشعر الجديد » إيثارا للسلامة ، واكتفاء بما قاله الكرام الراحلون من أمثال عباس محمود العقاد ، وعزيز أباظة ، وعلي الجندي ، وبهجة الأثري ، وصالح جودت ، في الرد على هذا المذهب الوافد الغريب .. ولأننا نود أن نصبر على هذا المذهب زمنا حتى يثبت جفاءه من نفعه ، ولأننا من ناحية ثالثة لا نود أن نتعرض لعداوة الشعراء عملا بالحكمة الشعرية القديمة القائلة :

● مادمنا قد أنزلنا الشعر منزل الاحتفال والاهتمام، والإيثار بالاستشهاد، فلابد أن نرويه على أصح وجوهه، وأسلم أوزانه .. وإلا عدونا الحدود التي وضعها له العرب وخلطنا في روايته بين عمل صالح وآخر سيئ ...

وعداوة الشعراء بئس المقتنى !

كما لن نتعرض الآن للخطأ اللغوى فى الشعر، ولو أنه شائع اليوم بلا انضباط بين أبنائنا واخواننا الشعراء العموديين، أو بعبارة أدق شعراء الوزن والقافية .

وسكوتنا عن التعرض للخطأ فى الشعر ليس لضعف منا، ولا لاباحة له .. ولكنا نكتفى بما حكم به عليه شيوخ النقد فى القديم، من أمثال الجرجانى صاحب الوساطة، وأبى هلال العسكرى صاحب الصناعتين، والقزاز القيروانى صاحب كتاب (ما يجوز للشاعر فى الضرورة)، وابن فارس صاحب كتاب (الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها)، وصاحب رسالة (ذم الخطأ فى الشعر) التى نشرها الدكتور رمضان عبد التواب محققة مدققة فى الجزء الذى صدر اخيرا من مجلة معهد المخطوطات العربية .

ولابن فارس كلام جيد لا بأس أن نستحضره هنا حيث يقول:

(فان قالوا ان الشاعر يضطر الى ذلك لأنه يريد اقامة وزن شعره، ولو أنه لم يفعل ذلك لم يستقم شعره، قيل لهم : ومن اضطره أن يقول شعرا لا يستقيم الا باعمال الخطأ ؟ ونحن لم نر ولم نسمع بشاعر اضطره سلطان أو ذو سطوة بسوط أو سيف الى أن يقول فى شعره مالا يجوز، وما لا تجيزونه انتم فى كلام غيره ! فان قالوا ان الشاعر يعن له معنى، فلا يمكن ابرازه الا بمثل اللفظ القبيح المعيب ! قيل لهم : هذا اعتذار اقبح واعيب . وما الذى يمنع الشاعر اذا بنى خمسين بيتا على الصواب أن يتجنب ذلك البيت المعيب، ولا يكون فى تجنبه ذلك ما يوقع ذنبا أو يودى بمروءة ؟)

والواقع ان التشدد فى نقد الأخطاء فى الشعر سيحمد اثره، كنقد الأخطاء فى الوزن والقافية، ولن يجرنا الى ان نلتقى مع شاعر كبير من الرواد فى اللغة، والشعر، والأدب، حين يقول رحمه الله - من قصيدته عن الأم (ست الحبايب) :

ما أشق الحياة لولا نسيم   من لدن امهاتنا يهب نديا

بزيادة سببين خفيفين فى الشطر الثانى، انكسر بهما الوزن كسرا لا يجبر وصوابه ان نعدل عن صيغة الجمع فى (امهاتنا) الى صيغة المفرد، فيعتدل الميزان حين تقول :

(من لدن امنا يهب نديا)

قضايا حول الشعر العربي

ولو ان التعبير بالجمع هو الأليق والأوجب هنا ٠

والتشدد في النقد أيضا لن يجرنا الى أن نلتقي مع هذا الشاعر الكبير نفسه في قوله من قصيدة (كنز الألغاز) ، والضمير في البيت يعود على (حواء) ، وهي كناية عن المرأة في كل العصور :

وهي فينا تقدست ذاتها/تستطيع منالا لكل مالا ينال !

والبيت كما تشهد آذانكم الموسيقية ، وقواعدنا العروضية مكسور كسرا لا يصلحه المجبر ، ولا حتى زميلنا المجمعي الراحل الطبيب الجراح مجبر العظام الدكتور محمد كامل حسين عليه رضوان الله ٠

بعد هذه المقدمة ـ وقد طالت والتمست عفوكم ـ سيكون حديثنا حول قضيتين اثنتين من قضايا الشعر : الأولى : اضطراب الوزن وعدم اقامته ، والثانية : نسبة الشعر الى غير أصحابه الأصليين ٠٠

وسنرتد بالقضيتين الى الأدب القديم ، وصولا بنا الى الأدب المعاصر ٠٠

ويدخل الشعر العربي مجال الاستشهاد به من أبواب كثيرة ٠٠ فهو مليح حين يقرأ أو يسمع ، وهو مليح حين يستشهد بالبيت أو الأبيات منه لتأييد قضية او اذاعة محمدة ، أو بناء مكرمة ، مما يؤكد صدق شاعرنا ابي تمام :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة العلا من اين تؤتى المكارم !

ويبدو ان كثرة الاحتفال بالشعر ، والاحتشاد به في الاستشهاد كانت سببا في الجناية عليه ٠٠٠ كما أن شدة العناية بروايته أدت الى قلة الاهتمام بمتنه ونصه ، ووزنه ، وصحة نسبته الى أصحابه ، وبهذا غدونا أمام سيل عرم من الأوهام والأخطاء ، وأصبح كل ما يروى يسمى شعرا ، سواء أكان موزونا أم غير موزون ٠٠

واذا كنا قد أنزلنا الشعر منزل الاحتفال والاهتمام ، والايثار بالاستشهاد ، فلابد ان نرويه على أصح وجوهه ، وأسلم أوزانه ، والا عدونا الحدود التي وضعها له العرب ، وخلطنا في روايته بين عمل صالح وآخر سيىء ٠٠

ولا يقال في هذا المقام ان النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يفرق بين الشعر الموزون وغير الموزون على الرغم مما أثر عنه من تقدير للشعر الكريم الصادق ، ولكرام الشعراء الذين نظموه. لان الله ما علمه الشعر مخافة أن يتهم بما لم يسلم منه الشعراء وأتباعهم من الغاوين ٠٠ وقد شهد الله له بقوله : (وما علمناه الشعر وماينبغي له) ٠

وهناك أكثر من حادثة تؤكد أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يقيم وزن الشعر حين يستشهد به أو يرويه ، وليس ذلك بعائبه أو ناقص من قدره ٠٠ فانه من الفصاحة بالمكان الذى لا يطاول ، ومن البلاغة في قمة لا تدانى ولكنه في الشعر غير ذلك ٠٠

يروى أن الشاعر « سحيما » (عبد بني الحسحاس) ـ وديوانه محقق منشور بعناية العلامة المغفور له عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ يستشهد ببعض شعره الحكيم ٠ فتمثل يوما بقوله :

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

ولكنه رواها هكذا : كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا

مما أخل بالوزن ، وجانب الأصل ٠ وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه حاضرا ذلك المجلس النبوى ، وسامعا رواية النبي ، فقال : انما هو : (كفى الشيب والاسلام) ٠٠٠ فأعادها النبي عليه الصلاة والسلام كالأول على غير وجهها الموزون ، فقال أبو بكر معقبا ومعلقا : (أشهد انك لرسول الله ، وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ٠

وفي حادثة ثانية روى النبي عليه الصلاة والسلام بيت الشاعر طرفة بن العبد :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزود

هكذا :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك من لم تزود بالاخبار

فاختل الوزن ، وتغيرت القافية ، ولكن بقي المعنى الجليل كما هو لم تغيره الرواية ...

وفي حادثة ثالثة روى عليه الصلاة والسلام بيت الشاعر العباس بن مرداس :

أتجعل نهبي ونهب العبيد (١) ... بين عيينة والاقرع

هكذا :

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين الاقرع وعيينة

ولا يعني هذا اغفالا من النبي عليه الصلاة والسلام لقدر الشعر أو اهمالا له ، والا فكيف يتفق هذا مع اهتمامه بروايته والاستشهاد به ؟ وانما كان ذلك انصرافا منه عن قول الشعر واقامة وزنه حين يرويه ، حتى تتحقق شهادة الله له كاملة من ناحية النظم أو الانشاد أو الاستشهاد .

وقد عرفنا موقفه الكريم من الشعراء الذين نصروه بالسنتهم ، حين دعاهم الى الرد على شعراء قريش من أمثال عبد الله بن الزبعرى ، وكعب بن الأشرف وأبي سفيان بن الحارث . وهل ننسى شعر حسان بن ثابت في الدعوة وفي الدفاع عن النبي ؟ وفي هجاء المشركين من قريش ؟ وهل ننسى شعر عبد الله ابن رواحة . وكعب بن مالك ؟

وهل ننسى ـ فوق ذلك ـ أنه كان عليه السلام يكثر من استنشاد الشاعرة « الخنساء » شعرها في رثاء أخيها صخر ، ويقول لها : هيه يا خناس ـ أي زيدينا ...

وهل ننسى أنه استمع لكعب بن زهير وهو ينشد أمامه لاميته المعروفة بإسم « بانت سعاد » فعفا عنه وأثابه عليها بردة اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان بمال كثير ؟

ونحن حين ندعو الى ضرورة اقامة الوزن حين ننظم الشعر أو نرويه ـ ـ منشدين أو مدونين ـ لا نجري هذه القاعدة الحتمية على النبي محمد بن عبد الله ، ولا نلزمه بها ، فقد رفعه الله بشهادته فوق هذه القاعدة .

أما من عدا محمدا من كل عربي أو ناطق بالعربية فاننا نأخذه بقيود الشعر وحدوده التي وضعها له العرب ، لا نستثني من ذلك أحدا مهما كان شأنه ، والا بات أمر الشعر فوضى ، وتنكلنا من ذلك القيد الذهبي الجميل الذي قيدته به الأوزان والقوافي ..

ومن عجيب الأمر أن شاعرا جاهليا مرموق المكان ومن أصحاب المعلقات قد اختل الميزان الشعري بين يديه في معلقته أو مجمهرته التي مطلعها :

اقفر من أهله ملحوب ... فالقطبيات فالذنوب

ونستطيع أن نسمي شعرها مكسورا اذا قسناه بالمقاييس الصحيحة الدقيقة التي وضعها الخليل بن أحمد . ولم يستطع أحد أن يعلل لنا سبب اضطراب الوزن عند (عبيد) ، ولماذا كانت نغمات هذا الشاعر المجود نشازا في الشعر العربي كله ؟ أكان ذلك منه فقدانا لحاسة الوزن السليم عند العربي الشاعر مهما كانت طبقته بين أصحاب الطبقات ؟ أم كان ذلك من اختلاف الرواة ولكن مهما اختلف الرواة فان عجيبا أن يرووا شعرا غير مستقيم الوزن . وهل فاتهم

(١) العبيد ، بضم العين : اسم فرس الشاعر

ذلك الاضطراب في الوزن ، ام عرفوه - بفطرتهم - وتركوه على حاله في امانة الرواية ؟

وايا ما كان الأمر فان هذه الظاهرة الغريبة في شعر « عبيد » أم تف ـ ابا العلاء المعري الذي جاء بعد « عبيد » بقرون فقال مشيرا الى اختلال الوزن عنده:

وقد يخطىء الرأي امرؤ وهو حازم كما اختل في وزن القريض « عبيد »

واذا كان عبيد بن الأبرص الجاهلي لم يسلم من اختلال الوزن في شعره . كمالم يسلم من التفاتة ابن منظور والمعري اليه ، فان الشاعر الجاهلي الآخر (المرقش الاكبر) لم يسلم من اضطراب الوزن بين يديه في ميميته المشهورة المنشورة في « المفضليات » بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر وزميلنا الأستاذ عبد السلام محمد هارون ومطلعها :

هل بالديار أن تجيب صمم لو أن رسما ناطقا كلم
الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم

ولم يسلم (المرقش) كذلك من نقد ناقد قديم بصير هو ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) حيث قال عن هذه الميمية : (والعجب عندي من الأصمعي اذ أدخله في متخيره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروي ، ولا متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى ، ولا أعلم فيه شيئا يستحسن الا قوله :

النشر مسك والوجوه دنا نير واطراف الأكف عنم

أقول:ومن الطريف هنا أن ابن قتيبة قد جانب الصواب حين زعم أن الأصمعي قد أدخل تلك الميمية في اختياراته المسماة « بالأصمعيات » فهي لم ترد فيها ولكن وردت في « المفضليات » للضبي ، وهو غير الأصمعي ... وشتان بين الرجلين ، وبين الكتابين .. وهو وهم من ابن قتيبة يؤكد من جديد أن الكمال لله وحده وقد صححه زميلنا عبد السلام هارون مشتركا مع المرحوم الشيخ أحمد شاكر .

واذا كنا رأينا الآن أن الوزن الشعري لم يستقم عند شاعرين من شعراء العصر الجاهلي ، فان شاعرين من فحول الشعراء في القرن الثالث الهجري ، بل من فحول الشعراء في تاريخ الشعر العربي كله قد أخذ على كل منهما اختلال الوزن واضطرابه بين أيديهما ، وهما أبو تمام والبحتري . فالناقد الامام الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠) وصاحب كتاب (الموازنة) المشهور يقع على بيت مكسور من همزية للبحتري . والبيت هو :

ولماذا تتبع النفس شيئا جعل الله الفردوس منه بواء

ويقول الآمدي في تعليقه على هذا الكسر : (وكذلك وجدته في اكثر النسخ . وهذا خارج عن الوزن،ثم اخذ عقب هذا يقطع البيت تفعيلة تفعيلة ليكشف زيادة سبب خفيف في البيت ، وهو الهاء من الله ، واللام من كلمة الفردوس . وهذا عيب فظيع في الشعر . ولكن الناقد عاد فروى للبيت رواية أخرى تقول : (جعل الله الخلد منه بواء) . ثم اعتذر له بقوله : (فان يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ...)

وفي كتاب (عبث الوليد) المنسوب الى « المعري » ذكر البيت مختلا كما في (الموازنة) . ولكن فيه ما يؤخذ منه أن الذي أصلح الخلل ووضع (الخلد) مكان (الفردوس) هو ابن العميد .. والغريب أن « أبا العلاء » في (عبث الوليد) أضاف بيتا آخر مضطرب الوزن عند البحتري ، وهو قوله :

● الشعر مركب صعب لا يجوز أن يجترئ عليه ضعيف الأداة أو ناقصها . وقد اضطرب الشعر عند بعض الشعراء القدامى على خطأ منهم أو على جهل من الرواة أو النساخ ..

واحق الايام بالحسن ان يؤ   ثر عنه يوم المهرجان الكبير

وللآمدى فى الموازنة كشف آخر عن وزن مضطرب فى شعر البحترى ، وهو قوله :

حلاتنا من حاجة ممنوع   مبتفاها ، وحاجة ممطولة

فتقطيعه ووزنه هكذا فى العروض : فاعلاتن مستفعلن مفعولن • وهذا لا يجوز فى العروض الا فى حالة التصريع ، أى اذا كان البيت مصرعا •

وقد تعقب الناقد الآمدى (أبا تمام) كما تعقب البحترى ، فوقع عنده على زحافات كثيرة فى الصدر ، أو فى العجز ، أو فيهما معا ••

والزحافات جائزة غير منكرة اذا قلت ، ولكنها اذا جاءت فى بيت واحد فى أكثر أجزائه أو تفعيلاته فان هذا فى نهاية القبح ، ويكون بالكلام المنثور أشبه منه بالشعر الموزون • ومن أمثلة ذلك عند أبى تمام قوله :

يقول فيسمع ، ويمشى فيسرع   ويضرب فى ذات الاله فيوجع

فحذف النون من (فعولن) الاولى ، وحذف الياء من مفاعيلن التى تليها وحذف بعد ذلك النون من (فعولن) التى هى فى أول الشطر الثانى •

وهذا الحذف لخامس فعولن ، وخامس مفاعيلن هو (القبض) عند أهل العروض وهو كله زحاف جائز ، الا أنه كما جاء على الكثرة والتوالى فى بيت واحد قبح جدا • ومن هنا صح للشاعر المطبوع « دعبل » أن يقول :

(ان شعر أبى تمام بالخطب وبالكلام المنثور أشبه منه بالكلام المنظوم) •

ولا يجيز مثل هذا الاضطراب النادر جدا فى شعر أبى تمام والبحترى أن يتخذ منه الشعراء الضعاف غير مكتملى العدة تكأة يسترون بها ضعفهم ويسوغون بها أخطاءهم •

والحقيقة أن الشعر مركب صعب لا يجوز أن يجترىء عليه ضعف الأداة أو ناقصها • وكما اضطرب الشعر عند بعض الشعراء القدامى عن خطأ منهم أو عن جهل من الرواة أو النساخ ، فانه قد اضطرب أحيانا عند بعض الأدباء القدامى • فقد ذكروا أن « أبا على القالى » صاحب « الأمالى » كان لا يقيم أوزان الشعر على كثرة روايته له واستشهاده به •

● للبحث بقية ●

القرآن والفكر

● د . محمد كمال جعفر ●

● وما اثر عن ابن عباس فى التفسير – باستبعاد التفسير المشهود المنسوب اليه على انه غير موثق – يتصل اغلبه بالناحية اللغوية حيث يلجأ ابن عباس احيانا فى تفسير كلمات القرآن الغامضة الى ما اثر من شعر قديم او استعمال عربى اصيل .. واليه ينسب هذا النصح لمن يستعصى عليه فهم لفظ قرآنى « اذا تعاجم شىء من القرآن ، فانظروا فى الشعر ، فان الشعر عربى »

ومن الامثلة التى تشير الى ذكاء ابن عباس وحسن تأسيه ما يروى عن سعيد بن جبير انه قال : « جاءنى يهودى بالكوفة وانا اتجهز للحج فقال انى اراك رجلا تتبع العلم ، فاخبرنى: اى الاجلين قضى موسى « القصص ٢٢: – ٢٦ » قلت : لا اعلم ، وانا قادم على حبر العرب « يعنى ابن عباس » فاسأله عن ذلك . فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك واخبرته بقول اليهودى فقال ابن عباس « قضى اكثرهما واطيبهما ، ان النبى اذا وعد لم يخلف » . قال سعيد : فقدمت العراق ، فلقيت اليهودى فاخبرته ، فقال : صدق ، وهكذا انزل ايضا على موسى » . « طبرى – ٢٠ – ٤٠ ».

وهناك من الادلة ما يثبت ان بعض الصحابة انفسهم اشكلت عليهم بعض الايات واصابتهم الحيرة فى فهمها، لا على وجه الطعن ، بل على وجه اشباع الرغبة فى التعلم فها هو عمر رضى الله عنه – تحيره الآية رقم ٢٦٦ البقرة « ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار ، له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء .. » فيسأل عنها اخوانه فلا يجد جوابا شافيا لديهم ، ثم يدركه ابن عباس ويقول « فى نفسى منها شىء يا امير المؤمنين » فيدنيه عمر ويقول له : قل يا ابن اخى ولا تحقر نفسك ، فيقول ابن عباس « هذا مثل ضربه الله فقال « ايود احدكم ان يعمل عمره بعمل اهل الخير والسعادة حتى اذا كان احوج ما يكون الى ان يختم له بخير حين فنى عمره واقترب اجله ، ختم ذلك بعمل من اعمال اهل الشقاء ، فافسده كله ، فحرقه احوج ما يكون اليه ؟ » . « طبرى – ٣ – ٤٦ ».

ومما تجدر الاشارة اليه ان المرحلة المبكرة من التفسير كانت تنحو نحو الاعتماد على المأثور ، اما من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو من اقوال الصحابة ثم التابعين وعلماء الامة الاسلامية . ثم حدث الانشقاق حول تفسير القرآن بالمأثور مما ادى الى نشوب

* بقيتها تنشر في العدد القادم *

حرب على الرواية والنقل . وصدر ذلك أولا على أيدي أهــــل الرأي الاسلاميين الذين ادعوا انهم يريدون ان ينأوا بالتصور والاعتقاد في الألوهية عما يجافي العقل ، وعما يتعارض مــع مقتضيات الحكمة والعدل .

ومن جهة أخرى فقد دبت الخلافات بين المسلمين اثر مقتل الخليفة عثمان ، وانقسم اتباع الامام على انقســـم الى خوارج وشيعة ، ولكـــل آراؤه التي تمسك بها . ومن سخرية القـــدر ان القرآن نفسه كان الوســـيلة الوحيدة التي اساء استغلالها فريق معاوية في مسالة التحكيم التي كان لهامن النتائج الخطيرة ما حمل الخـــوارج على تكفير بعض المسلمين بل تكفير الامام على نفسه

ويمكن ان يقال ان صـــداما حتميـــا وقع بين النقل والعقـــل حـــين أمر المفكرون المسلمون على تخطى ما رسمت حكمة الاسلام من حظر البحث في كنه الالوهية وعلاقة صفاتها بهالو فيرا لحهود الانسان فيما هو خـــلاق ونافع . فلم يقفوا عند ما رسم لهم ، واخذ الاتجاه يتشعب ويأخذ طرقا عديدة في كيفية التهرب من النص الصريح او القـــول المأثور المباشر . وتحالفت الظـــروف

السياســـية والاجتماعية في المحيط الاســـلامي لتقـــوم بعض الفـــرق بتأســـيس مذهبهـــــم الذي لم يعجزه أن يســـتند الى نصـــوص القرآن من جهة ، والى أن يلجـــأ الى اضعاف حجج خصومهم من هـــــذه النصوص من طريق المهارة في تأويلها وتكييفها بحيث تؤيد مذهبهم من جهـــة أخرى . ومن اهم النقاط التي ينبغي الانتباه اليها ان هذه الخلافات لـــم تكن في معظمها تعني العلماء المتخصصين حسب ؛ بل كانت ذات أثر فعال على مستوى الجمهور ايضا . وهنـــاك امثلة كثيرة تؤيد ان السواد الاعظـــم من المسلمين شارك فعلا في هـــــذه الخلافات وتحزب بها . ونلاحظ انـــه في المناطق التي علا فيها نفوذ أهـــــل السنة يكاد لا يوجد احد من اهـــــل الراي . او وجد بها قلة ، وان كـــان ذلك لم يمنع كلية وجود بعض المفكرين في طبقات الشعب العامة ، كما يلاحظ ان المذهب الحرفي النقلي تمتع بتأييد جموع الشعب ممن يقل لديهم مستوى الثقافة مما جعلهم احيانا يلجـــأون في تأييد المذهب الذي اعتنقوه الى اعمال العنف والتظاهر .

ويحتفظ التاريخ لبعض الحنـــابلة المتعصبين آنذاك بميلهم الى اثارعواطف الجماهير التي لم يكتمل فيها الفهـــم ضد المجددين،بإقحامهم في نزاع عقدي ينتهي الى فتنة عارمة تجتاح هؤلاء المتعصبين خصوصا في بغداد .

وقد اثيرت فتنة سببها النزاع حول تفســـير الآية ٧٩ من الاسراء : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » .. انتهت بالقتال فريقين وقتل عدد كبير منهم،مما اضطر الجند الى التدخل للقضـــاء على هذه الفتنة (انظر ابن الاثير حوادث ٣١٧ هـ » ..

لغة الفن

● تأليف : البرت كولا ●
● تقديم وترجمة : د . طه وادى ●

هذه الدراسة يوضح فيها الناقد الأمريكى المعاصر ألبرت كولا بعض السمات (الأسلوبية) الخاصة بالفن القصصى عامة ، والروائى بصفة خاصة ... ويمكن القول بأن الدراسة تتضمن محورين نقديين أساسيين : الاول يتصل بجوهر الفن القصصى ــ من حيث المضمون ــ وما ينبغي ان تتسم به موهبة الروائي ، حتى تقدم عملا قصصيا جيدا ... والثاني يتصل بلغة الفن القصصى وما تتسم به من دلالات وقدرات تعبيرية ، وما تختلف فيه عن لغة الشعر ــ على سبيل المثال .

بالنسبة للمحور الاول ــ وهو ما يتصل بجوهر الفن القصصى وما يجب أن يتسم به مضمونه والعناصر التي تتشكل منها بنيته الفنية ــ فانه يركز على :

ان الموهبة الجوهرية للروائي تبدى فى قدرته على ملاحظة تفاصيل السلوك الاجتماعى للأفراد الذين يصورهم ، بحيث توضح الرواية لقارئها واقعا كان خافيا عليه ، رغم أنه مما يشاهده فى حياته اليومية المألوفة ... لذلك يجب على الرواية أن تواكب واقع الحياة وأن توصله الينا مصورا ، وان الامانة فى تسجيل الواقع قد تكمن حتى فى مجرد الأسماء المعطاة للشخصيات ، وأن ما تقوم به الشخصيات من أفعال انسانية ــ ذات مغزى ! ــ هى التى ترسم عن طريق اطراد التسجيل والاخبار ، صورة الشخصية القصصية . وينتهى الى أن كل ما تقدمه من عوالم الفن القصصى ــ حتى الرومانسي ــ يجب ان يتوافق توافقا اصيلا مع الحياة ، بحيث تبدو أكثر واقعية وامانة فى التسجيل من الدراما والشعر .

واما عن المحور الثانى : ــ وهو ما يتصل بلغة الفن القصصي وسماتها التعبيرية ، ووظيفتها الفنية ، ومدى المطابقة بين السلامة اللغوية والجودة الفنية ــ فيذكر الناقد : ان الشعر اذا كان صنعة لغوية ، فليس شرطا التطابق بين جودة الرواية وجودة اللغة التى كتبت بها ، فقد تكون هناك رواية جيدة خالية من ومضات البلاغة ، بل قد تكون باسلوب ركيك مثل « من هنا الى الخلود » لجيمس جونز ...

وان ما ينبغى أن تكون عليه اللغة القصصية من وضوح يقوم فى الغالب على وصف الواقع المتحرك الذى يسمح بتصويره قدر الامكان ، وان الكلمات فى الرواية لا تشير الى معنى مجرد بل الى (تخيل) شيء مدرك ، او الى فعل حقيقى يقوم به أناس واقعيون ، كما ان الرواية يمكن ان تصور حركة التغيير من فصل الى آخر ، وليس من جملة الى اخرى الا فى النادر .

وأن لغة القصة لا تميل الى التجريد قدر محاولتها الايهام بالاقتراب من لغة الحياة اليومية . من هنا فليس للقصة قاموسها الفنى أو تقاليدها الصارمة فى التكنيك .

وافكار الدراسة ــ على هذا النحو المختصر ــ لا تخلو من ذكاء وموضوعية

القصصي

كانا حافزنا الى ترجمتها . واذا كان حديث انقاد عن مضمون القصة وصلتها بالواقع ، وطريقة رسم الشخصية ـ ياخذ حجما لا باس به من الاهتمام ، فان الامر الجدير بتواصل الاهتمام هو الحديث عن بلاغة الرواية كنوع ادبي ، وهنا تبرز (اللغة) اداة اساسية تستحق العناية والدراسة .

وملاحظات البرت كوك ـ هنا ـ بالنسبة للغة الفن القصصي موضوعية وصحيحة ، الا انها لا تقدم وجهة نظر متكاملة . وهنا نشير الى ما يبذله الشكليون الروس والبنيويون الفرنسيون في سبيل درس لغة الادب بصفة عامة . وفي هذا السياق تتجه العناية الى درس اللغة القصصية دراسة تحليلية تبرز علاقتها بالمضمون وقدرتها على رسم الشخصية . واذا كان بعض ادباء الفن القصصي يتهاونون في امر اللغة ، فما اجدر نقاده بالوعي بها والحرص على بذل جهد خاص في درسها ، وتحليل الرواية من زاوية تعاملها مع اللغة .

(بينما تثير القصيدة احاسيسنا اثارة مباشرة في شكلها المثالي ـ وهو حد يرتبط ارتباطا متناسقا ودقيقا بين السمع ونغمة الصوت والتعبير المنطوق ـ فان الرواية تبقى اثارة ذلك الانتظار العام والمنظم فنيا وتحافظ عليه ، وهو الانتظار لاحداث واقعية : ان فن الراوي (Narrator) يحاكي علاقات الاحداث الاستنتاجية الغريبة او تتابعها العادي . وبينما يوجد عالم القصيدة كاملا ومغلقا على نفسه ، متشكلا من النظام الخاص للالىء اللغة وشواردها ، فان عالم الرواية ـ حتى وان كان قصة وهمية « Fantasy » ـ يربط نفسه بالعالم الواقعي . كوهم مرئي يكيف نفسه مع الاشياء الملموسة التي يتحرك المشاهد بينها .

« ان مظهر « الحياة » و « الحقيقة » وهو غاية ما يطمح اليه الروائي، يعتمد على تقديم سيل لا يتوقف من الملاحظات، اي يعتمد على عناصر كثيرة يدخلها في معماره الفني . وهو نسيج من التفاصيل الحقيقية والقاطعة يربط الوجود الواقعي للقارىء بالوجود الوهمي للشخصيات »

فاليري « بروست »

ان الموهبة الجوهرية للروائي هي ان « يلاحظ » السلوك الاجتماعي : كطريقة تأسيس الفرد لبيته او ممارسته للحب او رد فعله تجاه الموت او نقضه لخطاب او تركيب جملة او التخطيط لمستقبله . فكم هو عميق من بلزاك ان يرى صانع المكرونة معرضا ـ بسبب بساطته ، لان يتألم ذلك الألم الحاد الذي يتعرض له « بيير جوريو » في رواية « الكوميديا الانسانية » . كما انها ملاحظة حقيقية ان تجار الجملة في مواد الطعام يميلون الى الاخلاص لاسرهم اكثر من رجال الوظائف العامة في رواية « المستخدمون » كما يميلون الى ان يكونوا اكثر بساطة في التفكير من صغار الراسماليين مثل « هولو » في رواية « ابنة العم » الذين يحتاجون الى تجريد اكثر في تعاملهم .

وكم هو حقيقي ـ كما يلاحظ هنري جيمس ـ ان الشريرين مثل « بوبان » يميلون الى المهن « الادبية » كالطباعة والتجليد ... وكم هي رائعة تلك العلاقة المهمة التي يضعها تولستوي للامير « اندري » بين تربيته النبيلة المبكرة

ومثاليته الدينية العميقة ، وهى علاقة ملاحظة فى أمثلة لا تحصى ، وفى حياة القديس فرانسيس بالذات .

وقبل كل شىء فان حكمنا على قيمة الرواية بالدرجة الأولى ينبغى ان يقوم على درجة صدق وعمق مثل هـــذه الملاحظات ، سواء فى تفاصيلها أو فى البناء الكلى للحبكة ، وهـــذا ما نحكم به على جدارة الرواية . فنحن نريد من الرواية بادىء ذى بدء ان توضح واقعــا كان خافيا علينا ، وهـــو ليس كواقع قصيدة يتشكل من ايقاعات و «تماثلات» وليس طقسا من طقوس الدراما ، أو واقع عواطف مجردة ، ولكنه نسيج لمعنى خفى نراه خبطا مما نشاهده فى حياتنا اليومية .

وعلى قدر ما يلاحظ الروائى فانه يمكن أن يضع مشاهداته مجتمعة بطريقة متنافرة ومتخبطة ، مثلما كان يفعـــل دريزر أو جيمس جـــونز وجيروم ، وويدمان من الكتاب المعـــاصرين . ان القصيدة ، اذا كانت فجة لغـــويا وموسيقيا فلن تكون شيئا على الاطلاق ... فالشعر بالدرجة الأولى « صنعة لغوية » ، ولكن الرواية الجيدة يمكن أن تكون بلغة ضعيفة ، ويمكن أن تكون رواية فقيرة بلغة جيدة .

لعل عدم امتلاك ناصية اللغة يوقـــع الروائى فى خطـــر ، ولكن المسألة الخـــاصة بين اللغـــــة فى الرواية والملاحظات التى تحكيها هذه اللغة ، تجعل من الممكن لرواية جميلة ان تكتب بلغة مسطحة وفجة وخالية من الجمال ، مثل هـــذه الرواية التى أثار أسلوبها امتعاض النقاد — رواية جيمس جونز الأولى ، وروايته الوحيدة « من هنـــا الى الخلود » .

وهنـــا لا نجـــد بصيصا من ومضـــة بلاغية فى هذا الأسلوب غير المصقول ، كما نجد عند دريزر أو ويدمان ، فليس هناك جرس أو رشاقة حركية ، أو حتى شخصية متميزة فى الأسلوب . فلغة جونز هنا خاليـــة من الجـــاذبية وتشبه أحيانا لغة الحياة العـــادية ، وتشبه لغة التقارير المكتبية الجـــافة مع افتقارها لما تتسم به هاتان اللغتان من حيوية الحديث اليومى وموضوعية الوثائق المكتبية السريعة . ويضيع فى هذا الوحل تلك اللآلىء الصغيرة العارضة فى استخدامه اللغوى .

ورغم كل هذا فلا تزال هذه الرواية رائعة وغير عادية فى عمـــق مفهومهـــا الانسانى ومداها الواسع من العلاقات الانسانية ... ان اتجاه « بروت » بعد عودته من رحلته العقابية ملاحظ بدقة ، ومحقق فى شكل الرواية العام ، سواء فى حد ذاته أو فى الاطار العـــام كلحظة فى تطور وعيه النامى وتحقيق دوره كانسان . وهذا الوعى أكثر تعقيدا مما يمكن تسميته « بالاحتجاج » ، ولقد حافظ الـــكاتب « جونز » على رؤيته الصحيحة له ، بوضـــعه فى علاقات متغيرة مع أناس آخرين لا يقلون عنه تعقيدا .

ومع خلو لغة هـــذه الرواية من كل محسنات ، فانها تعبر من هذه العملية الرائعة للعلاقات الشخصية ، ومن تلك الملاحظات الصادقة التأثير التى رصدها الكاتب ، والتى تتضافر فى النهـــاية لتخلق سيمفونية روائية محكمة ومؤثرة رغم ركاكة الأسلوب .

وليست التفصـــيلات الملاحظة (المرصودة) هى التى يجب ان تصدق مع الحياة فى رواية جيدة فحسب ، بل يجب ان تتوافق الحبكة ذاتهـــا فى واقعها الزمنى وعلاقاتهـــا الاجتماعية والسببية توافقا أصيلا مع الحيـــاة ، ذلك أن حبكة الرواية يجب ان تبـــدو أكثر واقعية مما يجب فى الدراما ، بل حتى ان كاتب الرومانس — الذى يبدو كمن يتعامل مع حبكة رمزية تماما — يبدأ بملاحظة الواقع ...

ان شـــخصية اهـــاب فى رواية (موبى ديك) لميلفل ، تبنى على الملاحظة العامة للطريقة التى يتصرف بهـــا كبار السن من أصحاب النفـــوذ تحت تأثير فكرة ما ثابتة ...

ان علاقة الروائى الخاصة بالواقـــع

• ان الموهبة الجوهرية للروائي تتبدى في قدرته على ملاحظة تفاصيل السلوك الاجتماعي للأفراد الذين يصورهم ، بحيث توضح الرواية لقارئها واقعا كان خافيا عليه . رغم أنه مما يشاهده في حياته اليومية المألوفة

تلزمه بان يسجل وان يتحرى الصدق في تسجيله . وحتى بروست قد تخلى عن ابتداعاته رغم ما كان يقسوله في اسبقية الخيال . وجين أوستن لم تصور في « نورث امبتون شاير »نبالات برية وذلك تحريا للامانة في التصوير

وسحر الكلمات له تاثيره في الرواية، وان واقعا تسجيليا يمكن ان تشعر به كامنا في مجرد الاسماء المعطـــاة للشخصيات ، والا فلم يعاني كثير من كبار الروائيين في اختيار اسماء معينة لشخصياتهم ؟ وتلك الاسماء كانت تحمل — على أي حال — بعض دلالات التورية في لغتهم الاصلية .

وهكذا فان الرواية بالنسبة لستندال مرآة تواكب واقع الحيـــاة الصعب وتوصله الينا ، ففي كل نقطة من الرواية وفي كل جملة نجد وضوحا اقتصاديا ودقيقا . وهذا الوضوح الذى يشبه وضوح المرآة يرجع في جزء منه الي استخدام الحديث العادي الذى يقيم كل روائي اسلوبه عليه تقريبا . ولكن حتى اذا قلنا ان جين أوستن وبروست يفعلان باللغة شيئا أكثر من مجرد السمر بحديث الاذكياء من البشر فان اســـلوبها أقل تكلفا من اسلوب افلاطون او ملتون . وهذا ما ينبغي ان تكون عليه اللغة القصصية من وضوح ، يقوم في الغالب على وصف الواقع المتحرك الذى يسمح بتصويره قدر الامكان . ومن « مدام لافييت » الى « جيد »، ومن « ديفو » الى « جيمس » فان الملاحظة الأخلاقية The moral Observation تقوم بالعمل الرئيسي الذى يحفظ للرواية استمرارها . ولكن تلك الأخبار الأخلاقية (القصصية) حين ترتبط بالموقف الاجتماعي تختلف اختلافا واضحا مع الوظيفـــة المجردة المقيدة التي تقوم بها مثل تلك الاخبار في الدراما منـــذ « سوفوكليز » الى « ابسن » .

ان الملاحظة يجب ان تــــكمن وراء الأخبار في الرواية ، والا سوف تبدو زائفة مهما كان الاسلوب بارعا والبناء معقدا . ففي رواية « عوليس » مثلا ، تقوم الملاحظات الجـــوهرية للعملية الاجتماعية التي يصورها الـكاتب في اجزاء بنيتها المعقدة ، حيث نجد ان بطلها بلوم يلاحظ شخصا ، بينما هــو ملاحظ من شخص آخر ، وما يقــول يميز عقله ، بينما يتميز عقله بصفة عامة بالسياق المبعثر لافــكاره ... فالزمان والمكان ووجه المدينة المتغير واهتمامه الجنسي والاقتصادي واخباره اليومية وعالمه الخاص ، تتضافر كلها على الســواء لترسم شخصية «بلوم». بينما الاوديسة يقل نصيبها من كل ذلك كثيرا ، وتكمن سخرية «جويس» في عنوانها بالتحديد. اننا نستطيع قراءة « عوليس » كقصيدة ولا نفعل ذلك لكي نسمع ايقاع الكلمات المتداخلة الصدى ، ولكن لنــرى كيف، تقوم الملاحظــات بالتعليق على بعضــها

البعض . فكل جملة من هذه الجمل تعطى رؤية قصصية عميقة مسلسلة فى وضوح يشبه فى بساطته وضوح العملية الاجتماعية التى يقدمها ديفو .

وحاجة الروائى لان يكسو الواقع لحما ، يمكن ان يؤدى به الى تقديم بعض ملاحظات فى شكل وثائق تسجيلية . فجويس يريد ان يعيد خلق كل ما يريد ان يراه ويسمعه فى المدينة كما يقر فى وعى بلوم وستيفين ومولى . ويمكن للوثائق التسجيلية ان تتسع بالشكل الذى نراه عند بلزاك ، او تضيق بالشكل الذى نراه عند وليم سانسون الذى يسجل الأماكن كجزء من بعض الملاحظات فى رواياته . ويميل الروائيون التاريخيون الى استخدام اخبار وثائقية لاسباب واضحة . وان آثار التسجيل لا يمكن ان نجدها فى اى رواية تقريبا ، بل نستطيع ان نعرف خبرا عاديا فى قصة على انه : ملاحظة لها دلالتها القصصية والتسجيلية معا .

وحين يستخدم جويس وفلوبير التفاصيل استخداما مجازيا فانهما يفعلان ذلك بطريقة « الملاحظة » (وهى السمة الاساسية للفن القصصى) ـ وليس من أجل بناء العالم الضيق الصغير الذى تبنيه الملاحظات فى قصيدة . فالذباب الذى يكتشفه آلن تيت فى كتابه « حدود الشعر » فى رواية « الأبله » (لديستوفسكى) هو ذباب رمزى فى طنينه حول جثة ناتاشا . وهو ذباب حقيقى فى حجرة حقيقية بالدرجة الاولى ، ومرئى كعنصر من لحظة ديناميكية تشتمل على زجاجات مشروب جاد الوف وبعض الريش الامريكى .

وحين تسمى اميل ديكنسون الموت فى قصيدة « بالاستغلال » ، فانها تتبانشط له نظائره ، وعندما تسميه كذلك « بالاستغلال الابيض » ، فانها تضع نظيرا آخر وصورة رمزية للاستغلال . ودقة صورة « الاستغلال الابيض » أمر يدهش حقا . لقد تعودنا على أن نتخيل الموت شيئا أسود ، والاشارة للسماء عادة ما تستعمل كلمة « ابيض » ، ولكن الابيض عام وشمولى جدا ، وذلك مايتصف به النور الذى تمتلىء به السماء . ثم كيف يمكن للاستغلال ان يأخذ لونا ؟ لهذا فتسميه الموت « استغلالا » ربط يدعو للدهشة ، وأن يكون هذا الاستغلال « ابيض » هو دهشة اخرى . وكثير من القصائد ـ ان لم تكن كلها ـ نسيج من مثل هذه الصور وعبارة عن سلسلة من جمل ايقاعية تبنى عوالم تتوافق معها بالتناظر .

وعلى قدر ما يجب على الرواية ان تلاحظ الاخبار الفردية ، فان ارتباط هذه الاخبار يجب ان يكون طليقا فى التنقل من خبر الى آخر . وينبغى أن ينشأ هذا الارتباط تلقائيا من العملية التى يقدمها الروائى ، حتى لا تصبح الرواية بناء جامدا يمكن أن نجده فى شكل سردى آخر . فما تجده من ارتباط فى الاوديسة او البطل وليندار ينبغى أن يختلف عما نجده فى كتاب الجمهورية أو الناموس الكنسى .

والشعر مثل الفلسفة ينظم العالم متخذا فى ذلك بصورة اساسية تحديدا بالتناظر ، وهو نظام ملموس ومجرد بصورة مثالية . أما الفن القصصى فهو مثل التاريخ يضم أخبارا قائمة على الملاحظة غالبا على أساس من خط سردى وفى القصص ليس الخبر اعجوبة فى حد ذاته أو كشفا لخبر آخر كما هو الحال فى الشعر ، ولكنه نقطة فى سياق وحسب . وتبنى الرواية وتتألف من مثل هذه السلسلة الطويلة من الاخبار التى لا تدعو للدهشة ، والمكررة غالبا ومن كل ومضة من الملاحظة . والرواية تستطيع أن تعالج حركة التغير ولكن ذلك يكون من فصل الى آخر ، وليس من جملة الى أخرى الا فى النادر . ومن تراكم تلك الرؤى المتشابهة فان الرواية توصل ما يسميه بول جودمان « تمددها الكامل من السياقات التى تنشىء فى بطء » .

ويستطيع الفن القصصى أن يقيم

ملاحظاته من أخبار ما هي في حد ذاتها نظائر لموجودات مفهومة سلفا • فحين يشبه فلوبير قصاصات ممزقة من خطاب بفراشات،او حين يصور صيحة الديك في حظيرة لكي يعبر عن القلق والوحشة اللذين يشعر بهما تشارلز في رواية (مدام بوفاري) فانه يستخدم النظائر كوسيلة لملاحظة الواقع الاجتماعي

وحين يجعل تولستوى أنا كارنينا تخلفض من رموشها في النهاية ، فان ذلك حقيقة « ملاحظة » كما أنه « مجاز » يعبر عن طمس النور الاخلاقي للواقع • وحين تقول أوستن ان « مريانا كان حساسا » تستخدم تجريدا مفهوما سلفا لتضع ملاحظة مبتكرة •

وقد يبدو في هذا مغالاة ولكن النثر الذي يكون ببساطة « نظائريا » (Analogical) لا يقنع بأنه قصصي بل سيكون شعرا منثورا مثل الفصل الأخير من الناموس الكنسي • كما ان النثر الخيالي الذي يستخدم التجريد كثيرا رومانسي خالص مثل « موت الملك آرثر » • والعلاقة الخاصة بين الفن القصصي والحياة الواقعية تعتمد على سرد اخبارها التي تكون ذات جانب من الملاحظة والحوار في •• حكاية جالجي غير ملاحظ رغم ان الشاهد من الناس يمكن ان يتتبعوا السلوك المجرد الذي يحكم الحوار ، وهذا الحوار يشير الى نظام مثالي – لا تعبر عنه سوى قصائد الحب التي تنتمي لتلك الفترة والتي يمكن أن نستشهد عليها •

وبينما نجدنا في كل الشعر تقريبا واعين لوجود التقاليد الفنية ، فان الامر في الفن القصصي ليس بهذه القوة ، بل أحيانا لا نجده مطلقا ،فليس هناك قاموس قصصي يماثل ذلك الذي للشعر • ان نثر الحياة العادية الذي هو الاسلوب النثرى العادى للقصص يأخذ من الحياة ويعطى ، حتى يعبر عن الشعور بالواقع الذي هو العاطفة المميزة للفن القصصي فيما أعتقد • ان ما نشعر به في القصص هو صدمات متتابعة وومضات من الملاحظة التي تربطنا بالواقع •

والحياة السرية للشخصيات تكشف عنها الملاحظات التي تصورهم • الننا مع تولستوى نعى معنى مشاعرايفان ايلتش بينما لا يعي هو بها • كما أن تشارلز بوفارى تحيط بها صور صماء • اما في الشعر فعلى العكس ، كل شىء موجود ومنطوق ومعروف في صوت الشاعر وشخصيته • أما في الدراما فنجد شخصية أو أكثر تعي المعنى الحاضر بطريقة او بأخرى ، طالما أن هذا المعنى يكمن في أحاديث تنطق بها الشخصيات

ومهما كانت الملاحظات في القصة رثاثية ، فانها لا تزال – بطبيعة الحال – قصصية وجزءا من حيلة فنية ، الايهام فيها أمر لا ينفصل عن معناها ، بل انه جزء من واقعها • « حتى اذا وضعت بتفصيل دقيق » – كما يذكر موريس بالانشو في حديثه عن اللغة القصصية – « وحتى اذا اكتشفت باعجوبة (في قصة) أسرار القلعة كلها ، فلسوف أظل واعيا باني لم أعرف سوى القليل لان هذا الفقر (في المعرفة) هو جوهر الفن القصصي : وهذا الجوهر يتمثل في تقديم ما يجعله غير واقعي ، ومحببا للقراءة على انفراد وغير مقبول بالنسبة لوجودي ، فليس هناك ثراء في الخيال ، ولا احكام في الملاحظة يمكن أن يعوض هذا الفقر ، طالما كان هذا الفقر كامنا في جوهر الفن القصصي نفسه ، ويمكن افتراض وجوده او الحصول عليه من خلال مضمون يزيد كثافة او يقل بالنسبة للواقع على قدر ما يسمح به »

ان الواقع الذي تتصل به ملاحظات القصة لا ينفصل ابدا عن الحياة الذاتية التي تنتظم هذه الملاحظات ، وحقيقة ان كلا منها مختارة بفقر نسبي اذا ما قورن بثراء وجود الانسان الحقيقي • ولكن هذا الثراء وهذا الوجود لا يستطيع اى شكل فني آخر ان يصوره كما تفعل ملاحظات الفن القصصي الرحبه •

نظرات في الأدب الأفريقي المعاصر

● مصطفى عوض الله بشارة ●

● يواجه الاديب الافريقي المعاصر عدة قضايا ادبية وفكرية تتمثل في لغة التعبير الفني وتعدد اللهجات المحلية وانعدام وسائل النشر ..

ولا شك ان تراث افريقيا يزخر بالكثير من الفنون الشعبية ، والاحاجي ، والأساطير التي تعبر في مضمونها عن القيم الأنسانية ، والخصائص والسمات الذاتية والأبداعية المتفردة للشعوب الافريقية .

ولقد وضح أتجاه الزنجية كمذهب أدبي في أغلب الأعمال الأدبية والفنية من شعر وقصة ورواية ...

وفي هذا الصدد قال الشاعر المعروف « ايميه سيزار » في أول مؤتمر دولي للكتاب الزنوج عقد في باريس سنة ١٩٥٦ م : « انهم يقولون لنا اختاروا بين الولاء لأفريقيتكم بما يستتبعه هذا من تأخر ورجعية الى الوراء ، وبين التقدم وما يستتبعه من شقاق وخلاف . »

ونحن نرد على قولهم هذا في بساطة فنقول : انه لا ينبغي أن يكون هناك خيار في هذا الأتجاه ، فالحياة نفسها لا تقبل هذا الخيار .. ولا أحسب ان المجتمعات الافريقية وحدها تتعرض لمثل هذه المشكلة ، بل ان كل المجتمعات الاخرى تتعرض دائما للمفاضلة بين القديم والجديد في مراحل من حياتها .. ومن ثم فان المجتمعات الأفريقية لا يمكن أن تهرب من هذا القانون الأزلي ، وليس من شك في أن هناك عناصر جديدة .. عناصر تقول انها أوروبية ! .. ولكن ليس من شك أيضا في انه ستبقى في ثقافتنا عناصر كثيرة من تراثنا القديم .

اننا نرفض ان نخضع تماما للعناصر الجديدة ، ونرفض تماما فكرة ان تنسحب من ثقافتنا الافريقية كل آثار التراث الافريقي القديم ! .. وهكذا – كما يقول سيزار – فان الادب الافريقي الجديد ، ادب انساني لا يتخلى عن ماضيه وهو ينهل من معين الثقافات الحديثة .

●●●

ويعتبر الشاعر الأفريقي « سيزار »

● الفلسفة الأفريقية تشتمل على أربعة عناصر من التصورات العقلية العامة، فالإنسان والحيوان، والمكان والزمان، وأدوات الوجود وظواهره المتعددة، ثم مباهج الحياة، والمسرة والمحبة والجمال والطبيعة. تمثل أهم عناصر الفلسفة الأفريقية ...

من المهتمين بالاتجاه الزنجي في مذكراته التي ضمنها ديوانه عن العودة الى وطنه الكبير « أفريقيا » .. ويصور بأبداع وروعة لواعج الشوق والحنين ، ومشاعر الغربة والبعد عن قومه وعشيرته ، وعن غابات قارته وأحراشها وحيواناتها الوديعة ..

وقد عبر الشاعر « أنوما كانى » عن الاتجاه الزنجي في كثير من قصائده ، وأبرز قصائده التي دعا فيها الى الاحتفاظ بالأصالة والذاتية الزنجية ، قصيدة « كل الذى وهبتنى اياه » والتي يقول فيها :

كل الذى وهبتنى اياه يا افريقيا !
البحيرات ، والغابات ، والخلجان ..
كل الذى وهبتنى اياه من ضروب الموسيقى والرقص ، وحكايات الأنس الجميل حول نار المصطلى !
كل ما وشمتنى به فى جلدى ..
من مواد ملونة ورثتها عن ابى وجدى فهى فى دمى ابدا لا تمحى !

والشاعر الافريقى « أوستاش برودنسر » يعبر عن عميق أشواقه وحنينه لوطنه « الأم » افريقيا فى قوله

كنا نعيش ببساطة وسعادة منذ فجر الحياة ...
كنا اخوة جميعا ، نأكل فاكهتنا ، ونشرب من ينابيعنا ..
ونستنشق الهواء ... ونغنى ونرقص .. ويغمرنا ضوء القمر .. !
ثم جاء يوم حين نزلوا على شواطئنا هؤلاء العيتان !
واختفى السلام ، والاغانى ، والرقصات!
لقد انقضت على اكواخنا تلك النسور!

●●●

وقد انتشر مذهب الزنجية ، وعبرت عنه دواوين الشعراء ، واقاصيص الأدباء ، امثال داماس ، ورابيما نابونجارا ، وليوبولد سنجور ، وتونولا اوكارا ، ومبول ليس ، وطائفة اخرى من كتاب وشعراء الأدب الافريقي الحديث ..

ومعظم اشعار وأقاصيص هازقيل مفهليل ، وم ... بولس تكشف عن ماساة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا وتعسف البيض واضطهادهم للأفريقيين ..

ويحفل جنوب افريقيا بعدد كبير من الشعراء والكتاب ، وفى مقدمتهم الكاتب القصصى فرديناند أيونو ، وهو من ادباء الكاميرون ، وكذلك مونجو بيتى الذى عالج فى احدى قصصه موضوع المبشرين

وتدخلهم في الشئون الداخلية للبلدان الافريقية . وما يبثونه بين صفوف المواطنين من الدسائس والشرور والأحقاد ..

●●●

ومن السنغال برز على مسرح أدب القصة الطويلة « بيراجديوب » الذى أورد « ليوبوله سنجور » عرضا لروايته « الكونت أمادو كومبا » في دراسته الادبية التى كتبها عن النثر الزنجي سنة ١٩٤٨ م ، ويقول فيها عن « بيراجديوب » انه أديب مبدع يمتاز بدقة الاوصاف وغرابتها كان يقول مثلا في وصف مطلع يوم جديد : « كانت السماء قد انتهت لتوها من غسيل وجهها ! » كما يعتبر « سنجور » كتابات « بيراجديوب » مرجعا « هاما » للأمثال الأفريقية الشعبية التى ذكرها « بيراجديوب » في أعماله الأدبية ، ونورد منها هذه النماذج :

« امنح المرأة حبك ، ولكن لا تمنحها ثقتك ! »

« اذا كان لابد من التعاون ، فابحث عن أولئك الذين ينتمون الى نفس جنسك ويحيون نفس حياتك »» !

«« لا يعرف الانسان فائدة في جسده حتى يضطر مرة الى الجلوس »» !

●●●

وفي احدى قصصه القصيرة التى نشرت له في بعض مجموعات ، وعنوانها « سارزان » .. يحكي « بيراجديوب » قصة الجاويش « كيتا » الذى حارب مع الفرنسيين في السنغال ومراكش وفرنسا ولبنان .. ثم عاد الى قريته في السنغال محملا بتعليمات من قائده الفرنسي بأن يعمل على تمدين أهل القرية .. ويحاول « كيتا » بالفعل ان ينفذ تعليمات القائد ، ولكن محاولاته باءت بالفشل الذريع ! وأهل القرية يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم حتى ليصيبه الجنون ! ويصبح « كيتا ـ سارزان المجنون » !

والكاتب القصصي « بيراجديوب » يسخر بأسلوب رمزى من أمثال هذا الجاويش الذى يحاول ان يمدين الافريقيين لممارسة نفس الاساليب العنصرية التى يمارسها قواده المستعمرون . والذى يرفض ان يعامل الافريقيين كأخوة له .. !

والرمزية ، احدى الاتجاهات الادبية المعروفة التى تزخر بها أقاصيص الكاتب الافريقي « كامارا لاى » ..

وفي قصته الرمزية ـ نظرة الملك ـ يروى المؤلف قصة رجل أوروبى يدعى كلارنيس ، ألقت به عصا الترحال والتشرد في أدغال أفريقيا ، وقد نشأت صداقة عابرة بينه وبين أحد البؤساء من أهل أفريقيا ، ويرجوه ذات يوم أن يتوسط له لدى الملك ليلحقه بأى وظيفة مناسبة في القصر ..

ولكن الملك يرفض طلبه ويعرض عنه .. ويلح الاوروبى النازح على صديقه البائس أن يعيد على اسماع الملك رجاءه وتوسلاته عساه بعطف فيأمر بتوظيفه والحاقه بالقصر، ويرفض الافريقي مطلبه ويصر على موقفه ، ويجيب على طلبه الاوروبى قائلا : حتى لو أردت أن تلحق بوظيفة عازف على الطبلة مثلا ، فان هذه الوظيفة بالقصر وراثية يلحق بها ابناء النبلاء وعلية القوم ، ولا يجيد عزف ايقاعاتها الا المتمرسون من المختصين ، وانت بلاشك تعرف العزف على الطبلة ، ولكن عزفك

مهما كان جيداً فانه يختلف تماما من ايقاعنا الافريقي الاصيل !

ولهذا السبب ، فان النظر سيصرف من أمر تعيينك لمثل هذه الوظيفة !

وواضح أن هذه القصة تعالج بأسلوب الرمز والايحاء النفسي العلاقة بين أوروبا وافريقيا ، وما ستؤول اليه الصلات التاريخية بين القارتين عندما ينطلق المارد الاسود من قمقمه ، عظيم الباس ، قوى الارادة والشكيمة ليحقق أهدافه وتطلعاته في الحياة الحرة الكريمة ..

وتتوالى الصور الرمزية في قصة « كامارا » ـ نظرة الملك ـ وهاهو الاوروبي يتجرد من النعمة غروره واستبداده ، وينز من وجدانه مشاعر الحقد والكراهية ، ويبدو امام الملك الافريقي انسانا عاري البدن حتى من ورقة التوت ، فيسرع الملك الى تغطيته بالعباءة الموشاة بماء الذهب !

ويرمز الملك في هذه القصة لمجد افريقيا عندما تحقق وثبتها وتطلعاتها وأمجادها وتغدو في عنفوان نهضتها وازدهارها ..

●●●

أما الفلسفة الافريقية فهي تشتمل على أربعة عناصر من التصورات العقلية الهامة ، فالانسان والحيوان ، والمكان والزمان ، وأدوات الوجود وظواهره المتعددة ، ثم مباهج الحياة ، والمرأة ، والمحبة والجمال والطبيعة ـ تمثل أهم عناصر الفلسفة الافريقية ..

وتؤمن مجموعة من القبائل الافريقية بتناسخ الارواح كقوة روحية يمنحها السلف لسلالته ويرمزون بكلمتي « ما جارا والظل » الى ائتلاف الروح والجسد في الكائنات الحية . . ويعتقدون بان الموت يضع خاتمة للوحدة البيولوجية التي تنتظم علاقة الروح بالجسد ، بينما تظل الروح باقية في عالمها المجهول ريثما تحل في جسد آخر عند ولادته ، ويتضح هذا الاتجاه الفلسفي في انتاج كثير من الشعراء الافريقيين ..

وهذه قصيدة للشاعر السنغالي « بيراجديوب » يؤكد فيها فكرة تناسخ الارواح بقوله :

كلا .. لن تنتهي صلاتهم ، اولئك الراحلون !
انهم في احشاء النساء وصدورهن
.. وفي الطفل عندما يبكي او يمرح ..
وفي وهج النار المستعر ..
انهم لا يمكثون في أعماق الارض ..
بل في كل قطرة من الندى تعلق هامة العشب والزرع .
في الصخور والغابات والبيوت !!
ان الموتى حقا ليسوا بموتى !!

●●●

وبعد ..
فلقد قصدت من هذه الدراسة الموجزة عن الادب والفلسفة الافريقية، أن أوجه الاهتمام الى تراث هذه القارة الفتية ، وما تشتمل عليه من الثروات الفكرية والفنية ، والامكانيات الابداعية التي بلاشك ستمكن الدارسين لهذا التراث من الالمام الشامل بخصائص الطبيعة وملامح البيئة الافريقية ، وسبر اغوار المعرفة الانسانية عبر مراحل النمو والتطور ..

● مصطفى عوض الله بشارة ●
● الخرطوم ـ السودان ●

جريتا جاربو

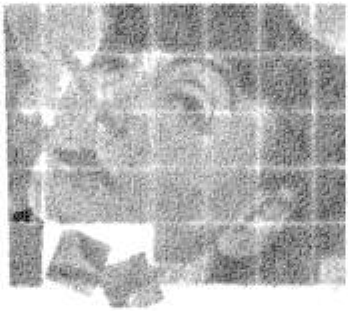
إمـــرأة نورانيـــة

● الجميلات فى الدنيــا كثيرات ، والفاتنات تراعن فى كل نافذة وخلف كـل مشربيــة ، ولكـن هذه كان لها ســحر على غير مثــال : جمال رقيق شفاف يخاطب الروح قبل الجسد ،ويلهم ولا يثير .. جمال نورانى لم تشهد العيــون له من قبل مثيلا .. فهذه هى جريتا جاربو : المرأة النورانية!

فى كل ميدان من ميادين النشــاط الانسانى : الســياسة والعلم والفن على الخصوص ـ شخصيات فريدة فى بابها، ولا يمكن أن تتكرر لا لامتيازها المطلق فى ميدانها ، فهذا الامتيــاز المطلــق غير موجود وما من سياسى أو عالم أو فنان الا وهناك من يجاريه أو يفوقه ، بل لان اولئك الاشخاص يتمتعــون الى جانب ميدان تفوقهم بصفات شخصية وانسانية تجعلهم « شيئا آخر » أو « حاجة ثانية » كما نقول ، فساره برنار لم تكن قط أقدر الممثلات ولا أوفرهن جمــالا ، ولكنهــا ستظل على مدى العصور ساره برنار رمز الممثلة الكبرى الفريدة فى بابهــا التى لا يمكن ان تتكرر ..

وفى السينما يذكرون جريتــا جاربو مثالا لن يتكرر فى تاريخ السينما ... امرأة خجول يحمر وجهها اذا تحدثت مع اى انسان ، واذا جلســت فى مطعم لم تنظر الى اى شىء حولها وتأكل مسرعة وتمضى ، ولا تشعر بالامان والراحة الا مع عدد محدود جدا من الاصدقاء الذين تعرف انهم يحبونها ويقــدرونها وعلى راسهم المخرج المشهور ارنست لابيتش

ولقد منحها الله وجها على غير مثال . وجه هو الصفاء بعينه والفتنــة النبيلــة التى لا توصف .. ان العين تقف أمام وجهها الجميل فتحس النفس بالفعل انها أمام جمال نورانى ، يلقبونها فى اللغات الاجنبية بالمرأة الالهيــة ، ولكننــا فى مفهومنا لا نعرف امرأة الهية ، ولكننــا نقول « نورانية » ، أى ينبعث من وجهها نور باهر صاف يملأ النفس بهجة ومحبة



فى مثل هذا الجمال قال شاعرنا :

صونى جمالك عنا اننا بشر
من التراب وهذا الحسن نورانى

وبالفعل كان وجه جاربو يعطيك نوعا من الجمال لا تجده فى اى وجه يطلع عليك ، فان من الجميلات من تلفتك او تثير مشاعرك او تحرك غرائزك ، ولكن جمال جاربو يرتفع بك عن كل ما هو مادى وحسى ملموس • كان فيها نوع من الملائكية والشفافية ، وانظر الى صورتها التى صدرنا بها هذا المقال تدرك ما الذى نريده بهذا الكلام ••

❀❀❀

هذه المرأة الخجل كانت تضم فى كيانها روح فنانة على غير مثال أيضا • رغم نورانيتها وخجلها كانت تمثل مشاهد الحب كما لم تمثلها امرأة على المسرح أو الشاشة •• الحب الصافى الاخاذ الذى يفنى فيه صاحبه ، وانظر الى مشاهد الحب التى قامت بها أمام ممثلين من أعاظم من ظهروا على الشاشة أو المسرح رامون نوفارو ، وجون جيلبرت ،وروبرت تايلور وغيرهم من الممثلين الذين كانت الشاشة تضىء بهم وتصبح فضية حقا • وكان المشاهدون لا يرون تمثيلا بل يشهدون حياة ! •

لقد كانت جاربو بوجهها المبدع وشعرها الذى كان بالفعل خيوط ذهب • وكان كيانها كله يتحول فى مشهد الحب الى كيان عاشق ، تتحدث عيناه ويداه وكل ما فيه عن الحب الشامل العميق ، لقد عرضوا عليها مرة أن تمثل لكليوباترا فنظرت طويلا الى ماء البحر أمامها ثم قالت : كليوباترا ؟ •• لست أنا •• انها امرأة بعيدة جدا عنى ••

خلال الثلاثينات واوائل الاربعينات كانت جاربو تمثل فيلما بعد فيلم ، وكان كل فيلم من افلامها فتحا فى عالم الفن ، حتى عندما مثلت فى تينوتشكا دور سفيرة روسية تعمل فى باريس وتقع فى غرام سفير بلد معاد لروسيا ، حتى فى



هذا هو الوجه
النوراني كما بدا في
رواية تولستوي
الخالدة : انا كارنينا .
البنت الروسية التي
ألهبت القلب .. فقد
تلقت جريتا عقب
عرض هذا الفيلم
مئات الالوف من
الرسائل ، متفاوتات
بعضها كتبتها الفتيات
المراهقات .. وثلث
الرجال كتبوا اليها
يخطبونها .. توقفت
عن القراءة .. ومن
تلك الحين لم تشجع
خطابا من واحد من
المعجبين .



لم تعرف السينما
وجها معبرا مثل وجه
النورانية . على هاتين
الصفحتين عشرات
الصور لجاربو ، فى
كل منها تعبير والهام .
وهى تبدو فيها طبيعية
جدا كأنها لا تمثل .





هذا الدور الضاحك الباكي تألقت جريتا وتجلت مواهبها حتى أصبح هذا الفيلم من روائع السينما التي لا تنسى !

***

هذه المرأة التي مثلت مشاهد الحب المثيرة في غادة الكاميليا ، وانا كارنينا والبعث ،وماتا هاري ــ كانت اذا خرجت من الاستوديو اتجهت رأسا الى بيتها ، فلا تخرج الا في اليوم التالي ، واذا خرجت ففي صحبة عدد محدود جدا من الاصدقاء ممن كانوا يقدرونها فعلا ، وكانت تفضل أن تتعشى في بيوت اصدقائها على العشاء في المطاعم · وكانت لا تطيق الجمهور ، ولا تحتمل العيون التي تتأملها من كل ناحية ، وكانت تحس بنفسها في أسعد حالاتها في بيتها مع أصدقائها ، وما أكثر ما كانت تدعوهم للعشاء عندها ·

وقد احبت جريتا جاربو اكثر من مرة ولكنها لم تصل بالحب الى نهايته ــ الزواج ــ قط · في اللحظة الاخيرة كانت تهرب من الزواج ومن الحب معا ،هربت من جون جيلبرت وموريتز ستيللر ، وفكتور سورن ·· في النهاية ايقن الجميع انها امرأة لا يمكن ان تتزوج · في ذات مرة اشترطت على جون جيلبرت ان يتم الزواج في جزيرة نائية · ولا يحضر الزواج الا القس وشاهدان ، وعندما اقترب الموعد تراجعت جريتا وسافرت الى أوروبا فجأة ، وكاد الرجل يتحطم من عنف المفاجأة ·· وبالفعل من ذلك اليوم انتهى جون جيلبرت ·

وقد حاولت جريتا انقاذه بعد ذلك عندما اصرت على ان يمثل امامها دور البطولة في فيلم الملكة كريستينا ، وقام بالدور فعلا ، ثم اختفى بعد ذلك ·

جريتا في دور الجاسوسة ماتا هاري ومعها الممثل الانجليزي رامون نوفارو · · · الدور لم يكن يوافق طبع جريتا ، ولكنها ابدعت فيه ·· انظر الى وجهها وحركة يديها



جريتا مع جون جيلبرت ،بطلها المفضل الذى بذل اقصى ما يستطيع من جهد ليتزوجها ، وكانت هى ايضا تريد الزواج منه، ولكن الزواج لم يتم لان النورانيات لايتزوجن. الصورة لهما فى فيلم الشيطان والجسد .

وجريتا جاربو اختفت أيضا ، المرأة التى بهرت الدنيا فى دورها فى رواية « الشيطان والجسد » وهو دور جرىء تكاد بطلته تزل قدمها فى الخطيئة ، هذه المرأة الضاحكة العابثة بل الخليعة فى الفيلم لم تلبث أن تحولت بعد دورها فى « الملكة كريستينا » الى راهبة ..

لم تجدد عقدها مع شركة « مترو جولدوين ماير » ، وطلبت الى وكيلها ومحاميها أن يعتذرا عن عدم قدرتها على الارتباط بأى عقد .. كان ذلك فى أواخر الاربعينات • ومن ذلك الحين لم تتصل جاربو بأحد ولا مثلت فيلما ولا ادلت بحديث فى الصحف أو الاذاعات ، بل ظلت تهرب من الصحافة والاضواء ، وتتنقل من بلد الى بلد ، ولا تزور الا صديقة واحدة لها فى السويد • وصديقا واحدا فى هوليود •

لم يوفق الى الحديث معها الا صحفى واحد ، هو الالمانى فردريك ساندز ، وقد ظل سنوات يتعقبها ويحاول الاتصال بها حتى وفق اخيرا الى لقائها فى بيت صديقتها فى السويد • وتحدث معها طويلا ولكنه لم يخرج بالكثير لان جريتا ـ النورانية ، انتهت بالفعل وتحولت الى ذكرى حتى بالنسبة لنفسها •

نعم ، واى ذكرى ! ذكرى امرأة هى المثل الاجمل فيما يتصل بالهيئة والاخلاق ..وهى المثل الاعلى للممثلة المبدعة المثقفة التى تفنى فى فنها فناء .. لقد اجمل فريدريك ساندز كتابه الجميل عن جاربو بقوله : كان لقائى معها لقاء مع ..ذكرى ، كنت اتحدث معها وكاننى احدث شبحا فى حلم • كانت دائما هناك ، بعيدة جدا عنى وعن حديثى وعن الدنيا .. لم اخرج من حديثى معها الا بهذا القليل ، وهو كل ما بقى منها .. كيانها كله اعطته للفن لم تركت صورتها ومضت تجوب الدنيا كانها زائر من كوكب آخر •

● د • حسين مؤنس ●

عندما أيقظني

أكانَ خيالاً أعانقهُ عندما زرتني
وأسدلت فوقَ عيونى هوَاك ..
فأيقظتنى ؟!

***

وأبصرت وجهك طيفَ غرامٍ
يغرّد فى غربةٍ لم تنمْ
بهمْس حنُون ..
ويَمسحُ عن رحلتى فى الدجى
غبارَ الظنون

***

أطيفك هذا الذى راعنى
فجمعتُ من صبوات الحدائق باقةَ زهْر
وخصلة عطر
وبللتها بدموع الغرامْ ..
ونادَمنى فى الكرى ، فانتشيتُ
فمرّغتُ وجهى فى شفتيهِ
وقبّلتُ - مستضحكا - وجنتيهِ
وأغمضتُ عينى على ثورةٍ ،
فى ابتهاجٍ حزين !
ولكنما أنت أيقظتنى ، وحنينى القديم
وشوقا توزّعه فى المساء
وأغنية من هَواى البعيد :
متى نعبُر الليل فى خفقة ، كالجناح الشريد

الشعر

● فوزى العنتيل ●

كعصفورتين وراءَ الرياح
إذا الفجرُ نفتشُ مدًا الجناح !..
وطارًا على قبلة للصباح !..

***

أُليفتك هذا الذى يرتمى على وحدتى
كنخلات قريتنا الوادعه
تغطى الحقول بأحلامها فى ليالى القمر
وتحتضن الطير حينَ يمر
بجيد تهدل منه الثمر

***

وفى الليل حين يطولُ السهر
على العاشقين
وكنا صغارا نحب السمر
فتورق من حولنا الكائنات
وتغرقُ أعيننا فى النجوم !.
فيا نجمةً لم أضم يدى على لمعة الماس
من نورها

ويا قمرا جاز أفقَ سمائى
وغابَ وأضواؤه فى دمى
ويا عمر طفل بلا أغنيات
ويا وردة نثرتها القبل
ويا قصة لم تكن فى كتابى سوى ذكريات
لأوجاعنا فى ليالى الشتاء
فيا متوجة فى بحار الضياء
متى يزحف البحر ، كى نلتقى ؟



من ديوانه الجديد :
رحلة فى أعماق الكلمات

قصاصات ملونة

● محمد شوقي امين ●

● « قراقوش » ... في دار الكتب ! ●

« قراقوش » المسمى باسمه أحد الشوارع في حي « الزمالك » بمدينة « القاهرة » ، هو أحد الأمراء المشاهير في دولة الأيوبيين بمصر ، وكان على جلالة قدره يضرب به المثل في الظلم والغشم ، ويرمى بالجهل والغفلة .

وقد جاءت دولة « بني أيوب » على أثر انهيار دولة الفواطم ، فلقي القصر الفاطمي على أيدي الأيوبيين ألوانا من العبث والتخريب والتدمير .

وكان الذي تولى شئون القصر الفاطمي هو « بهاء الدين قراقوش » وكان في ذلك القصر خزانة كتب نادرة ، مرتبة البيوت ، مقسمة الرفوف ، مفهرسة ، تحتوي على ألفي ألف كتاب ، أي مليونين فيما يقال . وإذا تمثلت أنت ثورا هائجا في دار التحف ، فلك أن تتمثل « قراقوش » في دار الكتب !

قيل لهذا الأمير الهمام متولي القصر : هذه الكتب قد عاث فيها العث ، ولا غنى عن تهويتها ونفضها ، وإخراجها من بيوتها .

وكان الذي أوعز بهذا القول نفر من دلالي الكتب ، فلم يفهم ذلك الأمير التركي مرادهم ، وهو لا خبرة له بعلم ولا أدب ، وإنما أراد الدلالون أن يوكسوا ما حوى القصر من نفائس المخطوطات . فأخرجت الكتب ، ومن بينها ما يشتمل كل كتاب منها على خمسين أو ستين جزءا ، إذا فقد بعضها لا يعوض ..

واختلطت الكتب وأجزاؤها حين أخرجت على غير دراية وعلى غير تنظيم ، فكان الدلال يخرج عشرة من كل فن ، فتسام بالدون ، وتباع بالهون لما أصاب أجزاءها من الشتات ، وكان الدلال وهو يعرف سر هذا الإجراء ، يتفق مع التجار على الاشتراك في ابتياعها ، فما اشترى بعشرة ، بيع بعد تلفيقه ولم شتاته بمائة !

● تفرغ علمي .. ●

من الوسائل التي اتخذت حديثا لتشجيع البحث والتأليف نظام التفرغ ..

واتخاذ هذا النظام يذكرنا بما دونه تاريخ الحضارة الإسلامية من تكليف العلماء والأدباء بالتفرغ للبحث والتصنيف

من أمثلة ذلك صنيع الخليفة « المأمون » مع امام نحاة الكوفة « الفراء » ، فقد كلفه أن يتفرغ لجمع أصول النحو وما سمع عن العرب ، وأشار بأن تفرد له حجرة من حجر الدار ، وأن يوكل بها جوار وخدم ، للقيام بما يحتاج

اليه الرجل في مختلف شئونه ، حتى لا يتعلق قلبه بشيء ، ولا تتشوف نفسه الى امر ، حتى ان اعوانه كانوا يؤذنونه باوقات الصلاة .

ويذكر « ياقوت » ان الخليفة امر بأن يحشد له الوراقون ، لكي ينسخوا له ما يريد نسخه مما يكتب ، وكذلك امر بأن يخصص له امناء ومنفقون ، يتلقون منه ما يقترحه عليهم ، ويتولون انفاذ ما يطلب حتى صنف الكتاب الذى كلفه الخليفة تصنيفه .

● مشكلة النشر .. من قديم ! ●

ابتدع « الفراء » حيلة طريفة ، عالج بها مشكلة التنازع والصراع بين طلاب كتبه وفئة الناشرين في ذلك العهد البعيد ، وهم الوراقون الذين ينسخون الكتب ويبيعونها للناس .

أملى « الفراء » كتاب « المعانى » على عدد من الوراقين ، فخزنوه عن الناس ، ليتكسبوا به ، وقالوا : لا نخرجه لأحد ، الا لمن اراد أن ننسخه له ، على أن يؤدى عن كل خمسة أوراق درهما ..

شكا الناس الى « الفراء » ، فدعا اليه الوراقين ، وكلمهم فى ذلك ،وقال لهم: قاربوا الناس ، تنفعوا ، وتنتفعوا .. ولكن الوراقين أبوا عليه .

كانت حيلة « الفراء » انه اذاع فى الناس انه سيملى كتاب « معان » آخر اتم شرحا ، وابسط قولا ، من الذى املاه قبلا . وجلس يشرع فى الاملاء .

هنالك خشى الوراقون ان يكسد الكتاب الذى بين ايديهم ، فعجلوا الى «الفراء» وقالوا له : نحن نبلغ الناس ما يحبون . وما لبثوا ان تسهلوا فى اجر النسخ وبذلك حصل الناس على الكتاب بأجر مقبول .

● احتكار العلم .. ●

الانسان هو الانسان ، من قديم الزمان ، حتى الآن ، فى كل مكان .

من ملك أن يحتكر أمرا لنفسه ، فعل ..

ولا يقتصر الاحتكار ، على فئة التجار .

العلم أيضا سلعة ، يتنافس فى احتكارها اصحابها ..

نرجع الى منتصف القرن الثالث الهجرى ، ونتمثل المسجد الجامع فى « بغداد » ..

هذا عمدة اللغة « ثعلب » يعقد مجلسه العلمى ، أو حلقته كما فى تعبير آخر وذلك فى مسجد بغداد الجامع ، فيحمى المسجد من أن ينعقد فيه مجلس للعلم غير مجلسه .

يقول التاريخ ان الامام « المبرد » رحل الى « بغداد » ، ولا عهد له بها ولا بأهلها ، فاختلت حاله ، واشتدت به الحاجة ، فتوخى شهود صلاة الجمعة فى المسجد الجامع ، فلما قضيت الصلاة ، اقبل على بعض من حضر ، وسأله أن يفاتحه السؤال ، ليتسبب له القول ، ولم يكن عند من حضر علم بالجواب ،فلما رأى « المبرد » ذلك انبرى يجيب رافعا صوته ، وطفق يفسر ، موهما أنه قد سئل وأنه قد طلب منه الجواب ، وانتبه الحاضرون ، فتألفت منهم حلقة عظيمة .

واتفق وجود « ثعلب » ، فتشوف الى الحلقة ، وكان كثيرا ما يرد المسجد الجامع قوم خراسانيون من ذوى النظر ، فيتكلمون ، ويجتمع الناس حولهم .

قصاصات ملونة

فاذا ابصرهم « ثعلب » ارسل من تلاميذه من يفاتشهم ، فاذا انقطعوا عن الجواب، انصرف الناس عنهم ·
فلما نظر « ثعلب » الى من حول « المبرد » ، امر « الزجاج » و «ابن الخياط» بالنهوض اليه ، وقال لهما : فضا حلقة هذا الرجل ·
ونهض معهما من حضر من أصحابه ، فلما صاروا بين يدى « المبرد » قال له « الزجاج » :
اتأذن - اعزك الله - في المفاتشة ؟
فقال له « المبرد » : سل عما احببت ·
فساله عن مسالة ، فاجابه بجواب اقنعه فنظر « الزجاج » في وجوه اصحابه متعجبا من تجويد « المبرد » الجواب ·
ثم ساله عن أخرى وأخرى ، حتى بلغت مسائله اربع عشرة مسالة ، وهو يجيب عن كل واحدة منها ، كشأنه في المسالة الأولى ··
لما راى « الزجاج » ذلك ، قال لأصحابه : عودوا الى شيخكم « ثعلب » ·· اما انا فلست مفارقا هذا الرجل ، ولابد لى من ملازمته والأخذ عنه ·
فعاتبه أصحابه ، وقالوا له :
تاخذ عن مجهول ، لا تعرف اسمه ، وتدع من قد اشتهر علمه ، وانتشر في الآفاق ذكره ؟
فقال لهم : لست اقول بالذكر والخمول ، ولكنى اقول بالعلم والنظر !
وكذلك استطاع « المبرد » ان يوطىء له مجلس علم ، ويعقد له حلقة درس، على الرغم من « ثعلب » !

لا أدرى ···

كان العلماء في الصدر الأول يتصونون عن أن يقولوا بجهل · أو يفتوا بغير علم ، فيكثرون من قول : لا أدرى !
ويبدو أن الناس يحبون أن يعاجلهم الجواب ، وكأنهم يستعظمون أن يكون هناك من لا يدرون ··· !
قال « الزعفرانى » : كنت بحضرة « ثعلب » فسئل عن شيء ، فقال : لا أدرى · فقيل له : أتقول : لا أدرى · واليك تضرب أكباد الابل ، واليك الرحلة من كل بلد ؟ فقال للسائل : لو كان لى دراهم بقدر ما لا أدرى لاستغنيت !
وسئل « الشعبى » عن مسالة ، فقال : لا أدرى · فقيل له : لأى شيء تلى مناصب العلم ؟ فأجاب : لأقول : لا أدرى ، حين لا أدرى !
وقيل له : اننا نستحى لك من كثرة ما نسأل فتقول : لا أدرى ، فقال : ولكن ملائكة السماء وجند الله المقربين لم يستحوا حين سئلوا عما لا يعلمون ، فأجابوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم !
وفيما ينسب الى « ابن عباس » قوله :
اذا ترك العالم قول : لا أدرى ، فقد اصيبت مقاتله !
وقال «عمر بن عبد العزيز » :
من قال عندما لا يدرى : لا أدرى ، فقد احرز نصف العلم !

خواطر ممزقة

● محمود العتريس ●

نامَ الكَرى عن مُقلتك ...
والليل طالَ بليلتك !
فى مضجع سلب الأسى منهُ ابتسامة سرحتك
وطيوفُ أحلام تهيمُ على مطارفِ مُقلتك
وهياكِلِ للذكرياتِ .. تطوفُ عبرَ متاهتكْ
وممزقاتُ خواطرْ تذكى مناهل عبرتكْ
والكونُ فى كهف الدجى يبكى الجمال بمقلتكْ
يبكى الأزاهير التى تذوى بروض سقايتك
ومصارعُ الآمالِ فى أخفى رحاب عشيرتك !

***

أنت الذى أسلَسْت للأيام حبل مودتك
ونثرتَ فى أفق الوجودِ الرحب عطر سماحتك
الحب دينك كان منذ باشرت أولَ رحلتك
وفطرت مشبوبَ الهوى . فذهبتَ محنةفطرتكْ
أشواقك الحرّى يزيدُ أوارَها من غلتكْ
وشجونك اللهفى تعربدُ فى صفاء سكينتكْ !

***

ودعت أيام الصبا فى موكب من فرحتِك
مستقبلاً عهد الشباب على مجامرِ لهفتكْ
سرنا على دربِ الهوى صنوين رغم إرادتك
العقلُ نمقل بضاعتى ، والوهمُ كل بضاعتكْ
فأخذت من أرض الملاحة ما أتاحَ ببهجتكْ
وأضعت أجمل ما وعاهُ العمر من أسطورتِك

***

ورجعت .. ما برح الشبابُ يسور تحت قناعتك
وأناملُ الاحلام تعبثُ فى سطور روايتكْ
لكن فؤادك صوحتهُ عواصف من لوعتك
وغدوت كهلا بينما هام الدجى فى هامتكْ
ولكم عرفت وكم غفرتَ وكم سخرت بعثرتك !

***

وتمر أطياف الزمان على مسارب دمعتكَ
ويردد الأمسَ البعيدُ صدَى صدَى أنشودتكْ
والكون فى كهفِ الدجى يبكى الجمال بمقلتكْ
فى مضجع سلبَ الأسى منه ابتسامة سرحتك !

مـــــع:

صلاح عبد الصبور
الفـــارس.. والشعر الحديث

● حوار اجراه : عاطف فرج ●

● كل منا له قضية يؤمن بها ، يدافع عنها ، بالـــكلمة تارة بالسيف تارة اخرى وبهما معا تارة ثالثة .

شاعرنا الكبير صلاح عبد الصبور فارس الشعر الحديث ، يشهر قلمه فى كل مرة يريد فيها دفاعا عن القضية مؤمنا بان الكلمة قد تؤتى ثمارها اليوم او غدا او بعد غد ، فهو يتحدث ولا يملك الا ان يتحدث او على حد تعبيره « من لى بسيف مبصر » يحقق عدالة الرؤية ووضوحها ..

نهات ماعندك يا صلاح حول معركة كانت بين انصار الشعر التقليدى وبين المجددين من اصحاب الشعر الحديث

● معركة على القارىء ●

ابحار فى الذاكرة ثم قول فى هدوء: « هذه المعركة كانت ظاهرة غريبة على الحياة الادبية . لان الحيـــاة الادبية عادة ترحب بالتجديد ، ويستطيع كل انسان أن يبدع فيها مايراه . وقد عرف تاريخ ادبنا العربى الوانا مختلفة من التجديد .

ففى تاريخ شعرنا العربى مثلا نجد الخلاف بين ابى تمام ومعاصريه حين قالوا انه خرج على عمود الشعر ، فقد اعتمد على منهج مختلف فى تـكوين الصورة الشعرية وهو تشبيه المحسوس بالمعنوى لا العكس ، كما عهـــد فى الشعر العربى ، كما كانت له بعض الاستعارات والتركيبات الغريبـة .. كانت هذه المعركة فى تراث الشعر العربى .

كذلك عندما نشأت الموشـــحات مثلا ظن كثير من النقاد فى ذلك العصر انها خروج على التيـــار الرئيسى فى الشعر العربى لكنها ايضا مالبثت ان اصبحت جزءا من تاريخ الشـــعر العربى .

فى أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ظهرت الوان جديدة من



الادب العربي مثل الرواية والقصة والمسرحية وهي الوان مستحدثة .. دله مستنبطة .. رغم ذلك لم تثر هذه الثائرة الكبيرة ..

لكن عندما ولدت موجة الشعر الجديد ثارت معركة بالغة الضراوة لان وجود نوع من الوان التعبير الشعري لا ينفي ولا يلغي نوعا آخر ، خاصة او ادركنا مثلا ان الشعر العربي في اواسط القرن العشرين مر بتغيرات كثيرة اختلفت به عن صورة الشعر في عهد شوقي وحافظ .. فشعر علي محمود طه ومدرسته كان كله او معظمه شعرا ثنائيا ورباعيا وخماسيا ولم تكن القصيدة ذات الوحدة القافية هي النمط الشائع .

ايضا شعر المهجريين فيه الكثير من التجديد الشكلي . وهو تيار مستمر وممتد في الشعر العربي ، وقد بلغ غايته في خمسينات هذا القرن .

ولوجود الراى الادبي المحافظ بهذا التجديد ووجود صدى له عند الكثير من القراء . ومن هنا كانت المعركة على القارىء لا معركة على الشعر .. معركة تستهدف الاستحواذ على القارىء . لان اصحاب الشعر التقليدى قد وجدوا فجأة ان قارئهم انصرف الى الخط الجديد من الشعر ومن هنا كانت حدة المعركة .

● الشعر تلوق ●

هل حسمت هذه المعركة ولصالح من ياترى ..

يقول فارس الشعر الجديد :

● لا يمكنني الاجابة من ذلك . لكن يمكنني القول ان التيار الجديد في الشعر قد ثبت ورسخت جذوره واصبح نمطا معروفا من انماط التفنن والابداع الشعرى في عصرنا الحديث بحيث لا يمكن الرجوع منه الى الاشكال التقليدية .

.. ويمكن لكل الانواع الادبية ان

الفارس والشعر الحديث

تتعايش وان يكون لكل منها جمهوره الذى يحبه ، فالشعر ليس مباراة كروية تدعو للتعصب .. الشعر مقدرة على التذوق بالنسبة للقارىء الجيد المجيد . وانا كاحد شعراء الاتجاه الحديث احب احيانا ان اقرأ مجموعة من الشعر الجاهلى واستمتع بها ايما استمتاع .

● القدرة على التعبير ●

اختار صلاح عبد الصبور طريق الشعر الحر . ورفض ان يكون من ابناء الشعر التقليدى ، فما هى اسباب هذا الاختيار عنده ؟

يقول صلاح عبد الصبور :

انا بدأت كشاعر يكتب كما يتصور الشاعر . فقد كانت كل قراءاتى تتجه الى الشعر العربى الكلاسيكى وانا افضل استعمال هذا اللفظ عن لفظ التقليدى . فانا دارس بحكم الدراسة وبحكم المحبة الشعر العربى الكلاسيكى ولا اعتقد ان ديوانا مما طبع وحقق قد فاتنى ان اقرأه كله او بعضا منه واعد نفسى تلميذا لكبار الشعراء العرب ابتداء من امرئ القيس وانتهاء بشوقى ..

وبدأت متاثرا بهذا الذى قرأته ولى قصائد تنهج هذا النهج .. لكن الحساسية الادبية تتغير بشكل ما عند الفنان . وعندما بدأ هذا الشكل الجديد وجدت نفسى فيه واقدر على التعبير عما يجيش بخاطرى وخاصة فى مجال القصيدة الدرامية والشعر المسرحى . فاثرت هذا الشكل للتعبير . ولو اننى فى بعض الاحيان احس بالحاجة الى ان اعود الى النغم القديم فى الشعر الكلاسيكى واستوحيه لاكتب من خلاله .

● التأثر والتأثير ●

من الشعراء الذين تأثر بهم الشاعر صلاح عبد الصبور : ناجى ، وعلى محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل .. الا انه هجر طريقتهم فى الكتابة فهل يعنى ذلك ان تأثيرهم عليه كان ضعيفا . أم ان المسألة لها وجه آخر فى تكوين الحساسية الفنية عند الشاعر ؟ ..

يقول صلاح عبد الصبور :

— ليس على محمود طه وناجى ومحمود حسن اسماعيل — الا فى البداية الاولى من التأثر ، لقد كانوا هم المشهورين فى أواسط وأواخر الاربعينات عندما كنا طلابا فى المرحلة الثانوية .. لكن بعد ذلك عكفت على قراءة التراث العربى جملة واحدة .. كما قرأت شعر المدرسة الرومانسية الانجليزية وخاصة شعر « شيللى » و « بايرون » وشعر المدرسة الانجليزية الحديثة وخاصة شعر « ت . س . اليوت » . وقرأت كل ما يترجم الى الانجليزية من اشعار سواء عن الالمانية أو الهندية او الفرنسية او غيرهما .

لذلك تكونت عندى حساسية تختلف عن التى عرفتها من على محمود طه ، وناجى ، ومحمود حسن اسماعيل . وكل ما يقرؤه الشاعر ينضم الى ذاكرته الشعرية . فاساتذتى يبلغون الالاف ، منهم الفلاسفة والمؤرخون والموسيقيون والفنانون التشكيليون ، فانا ادين مثلا

بالكثير للفيلسوف مثل افلاطون كما ادين المؤرخ مثل « توينبى » .

ولان الانسان حساسية متصلة ومتجددة والمتجدد باستمراره هو الذى يواصل عطاءه ولايقف عند عطاء معين او شكل معين ، فقراءة شاعر جديد حدث مثلى يضيف الى حساسية الشاعر ومزاجه وقدراته العقلانية والوجدانية ..

● انه شيكسبير ●

اذا كان مسرح صلاح عبد الصبور مسرحا شعريا ابتداء من مسرحية « مأساة الحلاج » وانتهاء بمسرحية « بعد ان يموت الملك .. » ومرورا بمسرحية « الاميرة تنتظر » و« مسافر ليل » . وهو قد تأثر بعملاق المسرح العالمى شيكسبير فكان من الضرورى ان نستوضح أوجه الاتفاق وأوجه الخلاف بينهما ..

فى تواضع شديد يقول صلاح :

هذا اكبر مما استحق لاننى اعتقد انه فى مجال الشعر المسرحى بشكل خاص والشعر بوجه عام، فان «شيكسبير» عظيم عظمة لا تطاول . وهذا لاينفى وجود مشاهد عنده سخيفة بمفهوم عصرنا . وهو كشاعر عبقرى استفدت منه قدرته على مخاطبة المجردات واحيائها مثل قوله انها الطبيعة . انها الفضيلة . كذلك محاولتى ان يكون التعبير شاعريا وشعريا وفى بعض الاحيان هادئا وساذجا لانه، قد يحتاج ذلك ، ثم لا يلبث ان يرتفع الى النغمة الشعرية العالية . كذلك منهجه فى البدء بحبكة المسرحية من اولها .

فمثلا عندما تقرأ الصفحتين الاوليين فى مسرحية « هاملت » نجد ان الحوار المتقطع بين الحراس ينبىء بكل ما يدور فى المسرحية من احداث بعد ذلك، وهذا ما يلفتنى فى شيكسبير ، فهو رجل مسرح فضلا عن كونه شاعرا ، فقد نشأ شيكسبير ممثلا ، ايضا ..

وما يلفتنى فيه ايضا ما نسميه بالترويح الفكاهى من خلال مدة الموقف العاطفى ، ففى « مأساة الحلاج» عندى مشهد السجينين فيه قدر كبير من الترويح الفكاهى ، كذلك فى مسرحية « بعد ان يموت الملك » عندى مشهد الخياط مع الملك وهو مشهد مضحك رغم شدة طغيان الملك .

« شيكسبير » معلم من معلمى المسرح الشعرى بوجه خاص والمسرح بوجه عام . الا أن هناك مسافة كبيرة تفصلنا عنه فمسرحه رومانتيكى والمشاهد فيه قصيرة ، ومساحة المسرحية الزمنية واسعة ، واشخاصه كثيرون . والحبكة فيه متناثرة ، فقد كان يعتمد على ثلاث او اربع حبكات جانبية ثم الحبكة الرئيسية . وربما كنا الان اميل الى جعل الحبكة موحدة ..

« شيكسبير » معلم كبير ومن لم يقرؤه فاته الكثير من اسرار الصنعة المسرحية

● لغة المسرح ●

لصلاح عبد الصبور اعتقاد بان لغة المسرح يجب ان تكون شعرا مرسلا . فسألته كيف يمكن ان تصل بهذه القضية الى ذهن المشاهد الذى يفضل العامية اساسا . ؟!

قال الشاعر الكبير :

نشأ المسرح فى ظل الشعر لان المسرح الافريقى القديم كان مكتوبا بالشعر ، وكانت المشاكل التى يتناولها هذا المسرح مشاكل لا يصلح لها سوى الشعر ، فهى صراع بين الانسان وقدره . العواطف فيها كبيرة والاحاسيس جياشة . وظل كذلك حتى ثبت المسرح الواقعى فى اواخر القرن الثامن عشر وهو مايسمى بمسرح الاسرة او الاجتماعى . فاصبحت لغته النثر . وكانت حجة هؤلاء الكتاب ان المسرح اصبح يعبر عن مشاكل الرجل الصغير او الرجل العادى وهو لا يملك ان يتكلم شعرا .

الان فى عصرنا الحديث أصبحت السينما اكثر قدرة على تحقيق هذه المشاكل من المسرح . واضطر المسرح ان يعود الى مايعرف بالمشاكل الكبرى او المشاكل المصيرية .

ولا يعنى ذلك ان تكون اللغة شعرا مقفى وموزونا بل ان يكون فيها قدر كبير من الشاعرية . والشعر ليس وقفا على النبلاء والامراء . ففى لحظة تكثف نفسى او حب شديد او غضب شديد يمكن لمن يعيش هذه اللحظة ان ينطق شعرا . فعندما يصل الانسان الى لحظة جيشان عاطفى ينطق شعرا منغما .

فالحزن العميق أو الفرح العميق او الانفعال العميق يصل بالانسان الى مرحلة من الشفافية تضفى على كلماته الشاعرية ..

واذا كانت السينما قادرة على التحقيق الدقيق لمشاكل الانسان فلا يبقى للمسرح سوى المشاكل الكبرى. المشاكل المصيرية مثل مشكلة الاختيار بين مواقف مختلفة لانسان ما . انفعالاته.. مشكلة وقوعه تحت ضغوط قدرية اكبر من قدرته كانسان . كل هذا لا يعبر عنه الا بالشعر .

وانا لا اقول بانه يجب ان يكتب المسرح شعرا بل اتنبأ بأن المسرح سيعود الى الشعر والشاعرية .

● الحزن نغمة ●

اشعار صلاح عبد الصبور تغلب عليها نغمة الحزن .. وهى نغمة مميزة فى كل اشعاره بدءا من ديوانه الاول . « الناس فى بلادى » ثم « اقول لكم » ديوانه الثانى ثم « احلام الفارس القديم » .. ديوانه الثالث :

« حزن تمدد فى المدينة »
« كاللص فى جوف السكينة »
« كالافعوان بلا فحيح »
« الحزن قد قهر القلاع جميعها »
« وسبى الكنوز »

سألته عن سبب حزنه !؟
ضحك الشاعر من أعماقه وقال :
وما هو سبب سعادتك حتى اسعد معك .. !؟

ولانى ليس عندى أسباب لذلك لقد شاركته ضحكه وقرات بكائياته ..

واذا كان لكل فنان قضية كما اسلفت يقف عندها فلصلاح قضية من ثلاث شعاب هى الحرية والصدق والعدالة . حرية الانسان فى القول والتعبير عن فكره ، وهى ليست حرية عنترية كما يقول . والصدق مع النفس بمعنى الا يفعل الانسان الا ما يؤمن به . والعدالة بمعنى انه عدل كما يقولون فى اللغة العربية بمعنى ان كل انسان معادل للانسان الاخر فى قدرته على التعبير عن نفسه .

واذا كان الليل قد اقترب من منتصفه ولا يزال بيننا حوار تخللته نسمات بدات تداعب العيون بعد انتهاء يوم حار مرهق فلقد ودعت الشاعر الكبير قبل ان :

« يستيقظ الشىء الحزين فى اواخر المساء .

يعود فى الاطراف والاعضاء
وينقل العينين والنبرة والايماء
فلا اجنى من الحديث الا « قبض الرياح » .

إنسان العصر

● عمر عسل ●

مسكينٌ إنسانُ زماني — يشقى ويناضل ويعاني !
ونتاج العلمِ وسطوته — قد هدَّ كيانَ الإنسانِ
أمراض العَصْر به عصفت — ومضى يشكو ، وهو الجاني !

***

مقهورٌ إنسانُ زماني — يتحسسُ شطَّ الإيمانِ
والبحرُ عميقٌ مضطربٌ — والقسوة في كلِّ مكانِ
ونذيرُ الحربِ يؤرقه — فيعيشُ سقيمَ الوجدانِ
وغريقٌ إنسانُ زماني — ويكافح موجَ الطوفانِ
ناس كالنمل تزاحمه — وضجيج ، وسمومُ دخانِ
والزمنُ العاتي يدفعه — جريا كطريدِ السجانِ

***

ومريضٌ إنسانُ زماني — بجميع عيوبِ الأبدانِ
قلب ، شريان ، أعصاب — أمعاء سوسُ الأسنانِ
ضوضاء الأرضِ تطاردهُ — والنومُ عدوُّ الأجفانِ !
هل يذكرُ إنسانُ زماني — أجدادا صُلْبَ البنيانِ
عاشوا في الريف بلا قلقٍ — في ظلِ رخاء وأمانِ ؟
البسمة فوقَ ثغورهمو — تذري بهموم الأزمانِ !

***

والحبُّ بقلبٍ نشوانِ — لا يعرفُ طعمَ الأحزانِ
يعطيه القوة لا يخبو — أو يشكو ضعف الخفقانِ
كانَ الأجدادُ بساطتهم — سرٌّ للمجد الرباني
وأتيتَ لتجري في لهف — وحياتك فوقَ البركانِ
وخلقت من الدنيا وجها — يشقيكَ هو الوجه الفاني
وصنعت حضارة أزماني — ياصانع حلو الأكفانِ !



كارولين عروس موناكو التى بهرت الناس من سنوات بجمالها وشبابها حتى لقبوها بعروس الدنيا ورشحوها للسعادة والهناء .

لكن كارولين كانت من سنتين طائشة عنيدة ركبها الغرور ، اعجبت برجل أعمال فرنسي يسمى فيليب جونو وتعلقت به واصرت على الزواج منه مع انها كانت تعرف انه صاحب لعب وعبث ولهو .

ونصحها ابواها فلم تنتصح وهددت بالانفصال عن الاسرة .. وتزوجت فتاها .. وظنت انها ضمنت الهناء .

وبعد اسبوعين فقط من الزواج بدات حقيقة فيليب جونو تتكشف لها وعرفت ان الناس لم يكونوا يخدعونها .
ففى سباق موناكو للسيارات قبل عامين ، وكانت كارولين عروسا



عمرها اسبوعين ضبطت زوجها يغازل اميرة زائغة المانية تسمى اجنيا فورستنبورج وتشاجرت مع زوجها علنا وخرجت غاضبة .
وظلت العلاقات تتدهور بين الاثنين ، لان فيليب جونو ركبه الغرور ولم يعد يحفل لمشاعر كارولين التى ذهبت لتعيش معه فى شقة اشتراها لها والداها هناك ..

واخيرا وقع الانفصال ..
انه مؤقت الآن ولكن معظم الناس يقولون انه نهائى .
وكارولين الآن عند والديها تبكى زواجها المحطم ، ومن حين لحين تخرج مع شاب صديق للاسرة هو روبرتينو روسيلينى ابن المخرج المشهور ..

وفيليب جونو لا يزال يعبث مع الاميرة الالمانية .







واذا اراد المصورون تصويره اختفى وراء احد اصدقائه .

والصور فى هذه الصفحات تشرح ذلك كله .

والذى استوقف نظرنا وجعلنا ننشر هذه الحكاية هى « بلاغة الصور » فان المصورين الذين صوروا الحكاية عرفوا كيف يأخذون الصور التى تتكلم بنفسها دون شرح ..

وهذا درس للمصورين الصحفيين ..

فتأمل الصور واحدة واحدة تجد القصة كلها امامك بأبلغ من ان يصورها اى كلام .



هذا ما تفعله الخمر

كرستينا اوناسيس عبرة من عبر عصرنا ..

منحها الله المال والشهرة والحسب ، فهى ابنة ارسططاليس اوناسيس صاحب الصيت الذائع فى ايامه ..

ولكنها لم تعرف طريقها الى السعادة بعد ، فهى عنيدة ذات شخصية مستقلة لا تسمع النصح من احد ..

تزوجت مرتين وفشل زواجها فى المرتين ..

ولم ترزق المولود فى اى من الزيجتين .

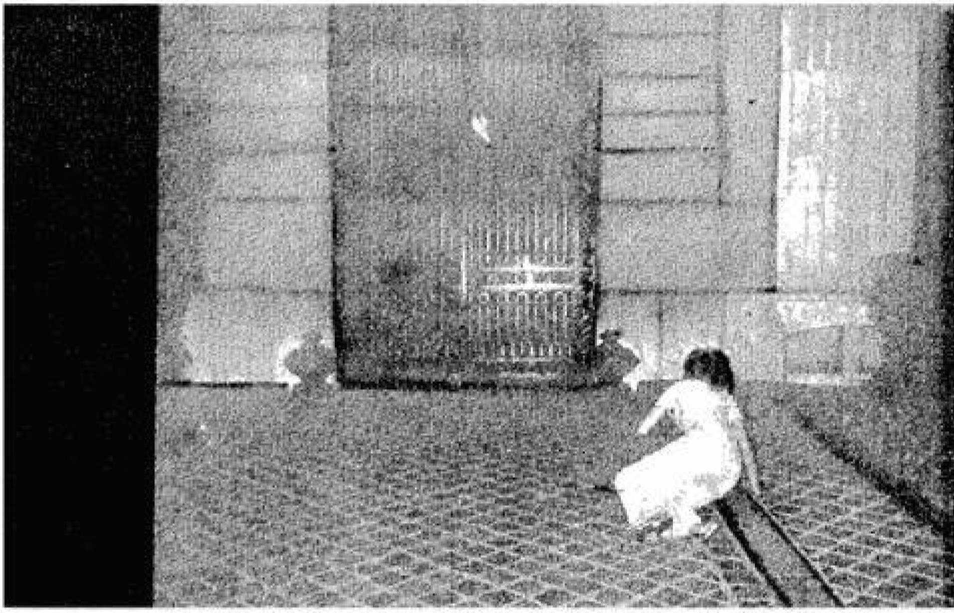
واخيرا قررت ان تعيش وحدها تسهر مع من تريد من اصحابها ثم تعود الى دارها آخر الليل وحيدة .

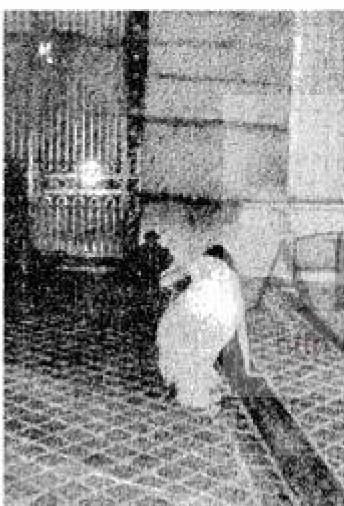
ولسوء حظها حسبت ان الخمر رفيق وتسلية .. وما اسوا ما حسبت وظنت ..

ففى ليلة من الليالى سهرت مع صديق وامتلا راسها بابخرة الخمور ..

وخرجت من سيارتها وسارت نحو البيت الذى تقيم فيه فى افينو فوش فى باريس ، وهو بيت عظيم ورثته عن ابيها .

ودار راسها وتعثرت وسقطت . وكان احد المصورين يتعقبها فالتقط هذه الصورة ، وهى فى ذاتها عبرة .









ناس وصور وحكايات



هـذا ماتفعله الخمـــر



التنس

صبيحة العصر

منذ ان ظهر بيسورن بورج الذي يسمونه ماكينة التنس قفزت لعبة التنس الى صدارة اللعبات الرياضية حتى كادت تغطى على كرة القدم .

والسر الاكبر فى ذلك هو بورج نفسه، فهو بالفعل عجيبة انسانية ، فهو فى الرابعة والعشرين من العمر ومع ذلك فقد كسب كاس ويمبلدون خمس مرات متتالية . وهو يتمرن على التنس منذ كانت سنه ثمانى سنوات ، ومن يوم ان اكتشف موهبته اصبح يتمرن فى اليوم من عشر الى خمس عشرة ساعة دون ان يكل ..

وقد ابتكر لنفسه طرازا خاصا من ملابس التنس يتميز برباط الشعر المعروف ، ويقلده فى ذلك الآن عشرات اللاعبين واللاعبات .

وبورج يستطيع ان يلعب مباراة حامية على مدى ثلاث ساعات متوالية دون ان يشعر باى تعب ، فهو آلة حقيقية ، وهو يقفز قفزات تصل احيانا الى مترين ليكون مضربه فى انتظار الكرة قبل ان تصل ..

وقد كسب بورج الى الآن نحو ستة ملايين من الدولارات . فهو يتقاضى مالا على كل شيء ، فشركة المضارب التى يستعملها تدفع له ١٠٠٫٠٠٠ دولار فى السنة ومثلها تدفعه شركات الكرة حتى القمصان والملابس الداخلية ، كلنا نشتريها بالفلوس وهو ياخذها وعليها فلوس ..

ارزاق ..

والصورة هنا رمز لصيحة التنس وهيئة بورج ماكينة التنس .



ثلج الشتاء

● سالم حقي ●

ليتَ أنا ... قبلَ المشيب التقينا !
لتهلنا .. من الهوى وارتوينــا
يا سبيَّ الجمال ! .. فاتَ زماني
ومضى موكبي ... وكان ، وكنّا !
جئت بعـــدَ الأوان .. ياليتَ أني
كنت عندَ اللقاء مثلك ... سِنا !
لعصرنا كرمَ الغرام سُـــلافا
وملأنا الكئوس ، حتى انتشــينا
بيْدَ أني أعيشُ ثلــجَ شتائي
قانعا بالحياة تمشي الهُـوينى !
أستعيـــدُ الذي مضى وتولّى
من شـــباب ... ماباله ما تأنى ؟!
خلّتني في الشتاء ! ... أغلقتُ بابي!
فلقد حرّمَ الغـــرامُ علينـا !
خلّتني في الشتاء ! .. لا تشعل النا
رَ .. وإلا تمردتَ ، فاحترقنــا
آه من يقظــة الغــرام بقلب
ليس من حقه الهـوى .. فاسكتنا !
ليتَ أنا ... قبل المشيب التقينا
ليتَ أنا .. حبيبتي ، ليت أنــا !؟

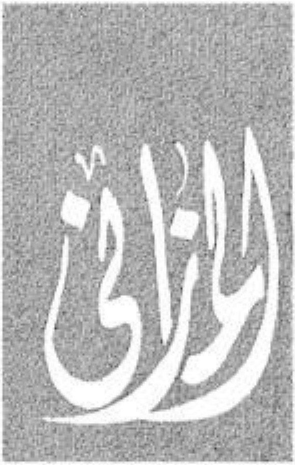
شخصية الشهر

إبراهيم عبد القادر المازني



كتب المازني كتبه ومقالاته فى اسلوب هو فى ذاته طرفة من طرف اساليب العربية على مر العصور ، فقد كان المازني رحمه الله جادا اشد الجد فيما يكتب ، لا يقول شيئا الا بحساب ، وكان واسع الاطلاع مقبلا على القراءة والبحث شأنه فى ذلك شأن العمالقة معاصريه ، ولكنه كان اذا امسك القلم ليكتب أرسل افكاره فى اسلوب خفيف سهل ممتنع هو فى ذاته شيء فريد فى بابه .

ولقد ترك المازني طابعه على الأدب العربي فى عصره ، وخلف لنا تراثا مجيدا فيه ادب وفيه قصص وفيه علم واسع وثقافة مستفيضة ، وهو الى جانب طه حسين والعقاد وعبد الرحمن شكرى رابع عماد من عمد تجديد العربية .



ملامح جيل

● د. عبد الحميد يونس ●

● لاحظ استاذنا المرحوم الدكتور طه حسين ان التجديد فى الادب اتخذ منهجين مختلفين، وان كان الحافز واحدا فيهما ... المنهج الاول هو التأثر المباشر بخصائص الآداب اللاتينية ، وبخاصة الفرنسية منها .. والثانى هو الذى غلبت عليه المؤثرات السكسونية ، التى يشخصها الأدب الانجليزى .

وكان ابراهيم عبد القادر المازنى من الرعيل الأول ، الذى توسل باللغة الانجليزية فى ثقافته . ولكن الانصاف يقتضينا ان نحد من احكامنا على الرواد العظام ، الذين كان لهم النصيب الأكبر فى نهضتنا الفكرية ، بصفة عامة ، والأدبية منها ، بصفة خاصة ، لان صمام الأمان فى المحافظة على الاصالة كان هو اللغة العربية فى الاعتراف بالتراث على تنوع عناصره ، وطول مساره ، والقدرة على نقل روائع الأدب الاوروبى الى اللسان العربى . وهذا هو الذى اثمر نهضتنا فى التفكير والتعبير جميعا . وهذا هو الذى شخص اعلام هذه النهضة بالملامح العربية البارزة ، ومنهم بطبيعة الحال ابراهيم عبد القادر المازنى .

واصبح من المشهور والدارج ان نعد المازنى من الذين وجهوا الحياة من الكلاسية الجديدة الى الرومانسية .

ويكفى ان يقرأ المرء كتب المازنى ، لكى يستعيد العيش معه ، لقد تبددت الاحكام القديمة التى ذهبت الى ان اروع الشعر اكذبه ، وحلت محلها احكام جديدة تقوم على التجربة والمعاناة والصدق فى التصوير والتعبير ...

وما ندا انظر الى المازنى فى المرآة الادبية ، وما نشره فى اشعاره ومقالاته ورواياته وصوره الأدبية ..

وما نستدا اقلب النظر فى ابداعه ونقده ، فلا تغيب عنى شاردة او واردة فى سيرته على طول مسارها ، وتعدد منعطفاتها .

ان هذا الجيل من الأدباء المجددين كلفوا بتسجيل ترجمة ذاتية لكل واحد منهم ، بل اننا نلمح فى اكثر كتاباتهم ، كما هو الشأن فى منظوماتهم ، ما يشبه الوثائق التسجيلية للنشأة والبيئة والطبقة ، بل نلمح الأحداث والحوافز والمشاعر ، التى تستوعبها مقومات شخصياتهم وملامح سيرهم الذاتية .

ونحن نتجاوز عن تفاصيل نشأته ، وحسبنا ان نشير الى ما استخلصناه من كتبه «التى ذكر فيها انه كان ينفر من مادة الحساب نفورا شديدا وانه



كان يرغب عن الجبر والهندسة .
ويذكر أصدقاؤه الذين زاملوه أنه كان مشغوفا بدراسة اللغة العربية والادب الانجليزى ومادة التاريخ وأنه كان كلفا بالترجمة من الانجليزية بنوع خاص ..
وكانت مادة الترجمة من أكثر المواد التى قام بتدريسها ، ولم يكن المازنى يعنى بالترجمة الى اللغة العربية فحسب وانما كان يحتفل كل الاحتفال بالترجمة من اللغة العربية الى الانجليزية .
ويذكر تلاميذه أنه كان يتخير أصعب النصوص فى الادب العربى ، ليمرسهم على ترجمتها الى اللغة الانجليزية ...
وتخير مرة احدى الرسائل المأثورة من ابن المقفع ، وهى الرسائل التى تعد نموذجا فى الأدب العربى ، ومثالا يحتذيه الناثرون ، وهى رسائل تتسم بالاطناب فى العبارة ، وبالمزاوجة وبالترادف وبالاقتباس من القرآن الكريم ومن الشعر القديم ، ومع ذلك استطاع الطلاب بتوجيه المازنى أن يفطنوا لمعظم ما فيها من أسرار البلاغة العربية ، وأن ينقلوا هذه الرسالة وأمثالها الى اللغة الانجليزية ، وأن يحافظوا على أكثر مقوماتها الفنية ، ومعنى ذلك أن المازنى كان قادرا بنفسه ، على أن يتغلغل المعانى وأن يدرك الظلال التى تحيط بالعبارات .
وعندما ترك التدريس واشتغل بالصحافة استغل قدرته الفائقة فى الترجمة ، فى نقل ما كان يدور من مناقشات فى المحاكم العسكرية ، التى عقدتها السلطات البريطانية لمحاكمة الوطنيين . ويستطيع المطلعون على وصف المازنى لهذه المحاكمات ، وعلى ما نقله من أقوال القضاة والشهود ، وأعضاء الاتهام ، أن يقروا معنا بموهبته الفذة فى الترجمة
وقد ترجم المازنى أيضا الكتاب الأبيض الذى أصدرته وزارة الخارجية البريطانية ، والذى تضمن جميع الكتابات والوثائق التى دارت بين اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى وقتذاك وبين وزارة الخارجية البريطانية من جهة ، وبين الساسة المصريين من جهة أخرى ، وهى الوثائق التى انتهت بتصريح ٢٨ من فبراير سنة ١٩٢٢ .
وقد ترجم المازنى كثيرا من الآثار الأدبية ، فنقل الى العربية ، فى أول شبابه قصة من الادب الروسى عن الانجليزية وجعل عنوانها «ابن الطبيعة» وجدير بالذكر ان النقاد قد اتهموه بأنه نقل من هذه الرواية صفحات بكاملها وضمنها قصته «ابراهيم الكاتب» ..
ثم أصدر مسرحية مؤلفة بعنوان غريزة المرأة أو حكم الطاعة . ومع أن حكم الطاعة سمة من سمات محاكمنا للأحوال الشخصية فان النقاد فطنوا الى أن المازنى لم يفد من مسرحية انجليزية فقط ، وانما نقلها نقلا يكاد يكون طبق الأصل مع تعديل يسير ..
وترجم المازنى من الادب الانجليزى أيضا «مدرسة الفضائح» ، ولم تنشر

هذه المسرحية للأسف الشديد ، ولكنها مثلت .

ويقول الذين شاهدوها او اطلعوا على مخطوطها ان المازني حافظ فيها على جزالة العبارة العربية وروح الفكاهة والسخرية ، وتخلص من سمات التدوين ، وجعلها مسايرة للحركة المسرحية .

ولانستطيع ان نعرف مذهب المازني في الادب الا اذا نظرنا الى اتجاهه نظرة كلية ، ذلك ان الحكم عليه من نثره الفني لا يمكن ان يعطينا حكما صحيحا على خصائصه الادبية . ومن هنا كان من الضروري ان نعرض لشعره ، وان كان من المعروف انه هجر الشعر مبكرا ، ولم يعد اليه بقية حياته .

***

وظهرت مدرسة الديوان ، وهي المدرسة التي حمل لواءها عبد الرحمن شكري وابراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد .

وكان المازني يرى أن الشعر العربي محصور في أغراض بذاتها ، وانه لن يتخلص ، على الرغم من طول عمره ، من البداوة التي لازمته ، لهذا الشعر لم يتجاوز الاغراض الجاهلية الا قليلا ، وهو ينزع الى المدح والهجاء والرثاء والغزل والوصف ، وبعض اغراض الحماسة ولكن المازني تفطن الى انه قد ظهر في التراث الادبي العربي فحول اختلف شعرهم في طول نفسه وفي وحدة عبارته ، وفي فلسفة الحياة فيه ، عما درج عليه شعراء العرب . واخذ المازني بالتعليل الذي اطمأن اليه المستشرقون ، ومن لف لفهم من الشرقيين ، وهو ان هؤلاء الفحول الافذاذ انما نبغوا في الشعر ، وغيروا في مضمونه ، لانهم لم يكونوا عربا خلصا ، وانما كانوا من الموالي الذين تجري في عروقهم دماء فارسية أو رومية .

وحاول المازني ، كما حاول زميلاه ، أن يستحدثوا التجديد في الشعر العربي ، وأن يجعلوه مسايرا لما درسوا من اداب الامم الاخرى وبخاصة الادب الانجليزي ، وذهب المازني شوطا قصيرا في تنقيح القوالب الشعرية ؛ وحاول أن يتخلص من القافية الواحدة في القصيدة العربية ، وأن يصنع القافية المزدوجة والقافية المتناظرة ، كما حاول ان يزاوج بين قواف مختلفة واوزان متباينة ، ولكنه لم يستمر في ذلك كثيرا وسرعان ما عاد للتقليد العربي الذي يحافظ على وحدة الوزن والقافية .

ولعل اهم تجديد قامت به مدرسة الديوان هو النفور من الاحتفال بالالفاظ ورنينها ، دون ان يكون لها مضمون نفسي ، فقد وصل اعضاء هذه المدرسة الشعر بالشاعر ، وجعلوه غناء لعاطفته وتصويرا لتجربته ، وان صبوه في القالب العربي القديم .

ونرى في شعره نظرته السوداء الى الحياة وتذبذبه بين الاقبال عليها والنفور منها . كما نرى فيه استخفافه بالحياة والاحياء ، وتهكمه من كل شيء ، وسخريته بكل شيء ، وذلك لا يمكن ان يجعلنا نغض الطرف عما يحتويه من تقليد ومحاكاة ، فنحن نرى ان المازني ، على الرغم من تجديده وعلى الرغم من تطويعه الشعر لوجدانه ، يقلد شعراء بعينهم ، فنجده يحاكي « ابن الرومي » الذي احب ، بل نجده يعارضه في قصيدتين من مطولاته ، هما الهمزية والنونية ، مع ان المازني ، قد صرح في اكثر من موضع ان التشطير والمعارضة لا علاقة لهما بالشعر الاصيل ولكنهما تدريب على النظم فحسب ونجده كذلك يحاكي مقطوعات مشهورة للشريف الرضي ، والحق انه تاثر بهذا الشاعر ، وكان يعود الى شعره بين الفترة والفترة .

واستطاع بعض النقاد عام ١٩٢٠ ان

يبينوا هذا التقليد فى شعر المازنى ، وان يردوا كثيرا من قصائد الجزء الاول الى اصولها العربية . وافاد المازنى من قدرته الفائقة على الترجمة الى العربية ، فاستطاع ان ينقل بعض المقطوعات من الشعر الانجليزى الغنائى وان يصبها فى قالب الشعر العربى باوزانه وقوافيه . واستطاع كذلك أن يجعل القصيدة الواحدة ، أو المقطوعة الواحدة ، تقليدا لشاعرين مختلفين، احدهما عربى قديم والآخر اوروبى حديث ، وكان هؤلاء النقاد يميزون الابيات ، التى حاكاها المازنى ، وكانوا فى الوقت نفسه يميزون المقطوعات الانجليزية ، التى نقلها ، وادعى انها من تاليفه . والعجيب انه كان امينا غاية الامانة فى النقل من الشعر الانجليزى دقيقا فى الترجمة ، يأتى بالتفصيل وبالصور وبالمعانى ، كما وردت بترتيبها فى المقطوعات الانجليزية ولم يكن يحجم اطلاقا من أن يتخير عناوين لقصائده ، اشتهرت فى الادب الانجليزى ، وظهرت فى المجموعات المتداولة .

وعندما رأى المازنى أن النقاد تدفعلنوا الى صنيعه فى اكثر شعره انكر هذا الشعر برمته وعابه ، وقال ان الشعر لا يستطيع بما فيه من قيود ان يكون وسيلة الأديب المتحرر الى تصوير نفسه والتعبير عن تجاربه ، وهجره ولم يعد ينشر منه شيئا على الاطلاق ، واتجه بكليته الى النثر .

وكان المازنى قد اشتغل بالتعليم فترة قصيرة ، لم يلبث ان خرج بعدها الى الحياة الطلقة الحرة ، ولم يجد بدا من الاتصال بالصحافة والاشتغال بالكتابة لها . وظل ما يقرب من اربعين سنة يكتب مقالا كل يومين فى المتوسط او على الاقل مقالين طويلين فى الاسبوع .. وكان يتناول فى مقالاته موضوعات شتى ،تتسم بخصائص مختلفة ، وتتخذ قوالب متغيرة . وكان اكثر ما عالجه هو المقال السياسى .. وكانت الجرائد فى العهد الماضى تعيش بالاحزاب وللاحزاب . ومن هنا كان المازنى مضطرا اذا اتصل بصحيفة ، ان يدافع عن الحزب الذى تمثله هذه الصحيفة ،وان يهاجم الاحزاب الاخرى .

ولم يكن المازنى يؤمن بفكرة حزبية معينة تجعله يتصل بحزب واحد ، او صحيفة واحدة مدى الحياة . وكان يتحول من صحيفة الى صحيفة اخرى تعارضها ، وينتقل من حزب الى حزب آخر . وقد سجل انه كان يسخر بينه وبين نفسه من هذه الاحزاب ، التى لا تعترك على موضوع ، ولا تتصارع على مبدأ ، وانها جميعا تدعى الزهد فى المنافع والسهر على الصالح العام .

وكانت مقالاته السياسية تتسم بالوضوح ، الذى استعاره من لغة الصحافة ، كما تتسم بالخطابية ، لان المناظرات السياسية كانت تقتضى بطبيعة الحال هذا اللون من الجدل العنيف ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يسف فى اسلوبه او فى الفاظه . وكان حسبه أن يرسل الفكاهة الخفيفة السهلة ، أو يقدم الصورة اللاذعة الساخرة ، ويستغنى بذلك عن السباب الذى عرف به الكتاب الحزبيون فى تلك الفترة . ولم يكن يوقع مقالاته السياسية ، ولكن اسلوبه الذى عرف به ، والذى كان يعز على التقليد ، كان يدل عليه .

ولا تعود شهرة المازنى فى المقالة الصحفية الى هذه الفصول السياسية، وانما تعود الى ضربين آخرين من الكتابة اولهما الدراسة الادبية أو النقدية ، وهو ما شغل به نفسه فى الطور الاول من حياته ، وكانت مقالاته هذه مرسلة وكان فيها طويل النفس غير مقيد بحيز محدود ، ولعله كان متأثراً بالمقالات الادبية ، التى عرفت من فحول الناثرين فى الادب العربى ، وكان يعنى فيها بفكرة من الافكار ، كما كان يحتفل بالاسلوب والصياغة اللفظية ، ويكثر من الاستشهاد باقوال الاقدمين والمحدثين

من شرقيين وغربيين . ونرى امثلة هذه الدراسات الادبية فى « حصاد الهشيم » و « قبض الريح » . ومع هذا كله فان ملامح المازنى النفسية لم تخف فى هذه الدراسات ، التى بدت فى بعضها فلسفته الخاصة بالحياة ، التى اوهمت بعض الباحثين بانه كان من غلاة المتشائمين او من الذين يقفون من الحياة موقفا سلبيا ، كما بدت فى هذه المقالات مقوماته الفنية الأخرى ، التى اتضحت فيما بعد . وكثيرا ما كان يخلط الجد بالهزل فى عرضه واحكامه ، ونجد ذلك فى نظريته فى انتحال الشعر الجاهلى فى كتاب « قبض الريح » .

ومع هذا كله نحن نستطيع ان نقرر أن المازنى كان يحقق قصاصا مصريا ، وانه افاد ، كغيره من المثقفين فى عهده ، من ثلاثة روافد : الاول الرافد المصرى الذى اعطاه الروح واكسبه مقومات الشخصية المصرية ، وجعله يحتفل بالملاحظة ؛ التى تتجاوز ذاته الى غيره ، وتتجاوز الطبقة العليا الى الطبقتين الوسطى والدنيا. ومنحه هذا الرافد ايضا ما اتسمت به قصصه من نقد للحياة باوضاعها الاجتماعية ، وسلبيتها وعدم اقبالها على الحياة ، ورغبتها الدائمة فى اجترار الماضى ، وايثار العرف فى التصرف والسلوك ، والاستعلاء على الحوادث ، والنظر اليها من خارج اطارها ، والاكتفاء بالسخرية منها والتندر عليها .

والرافد الثانى الرافد العربى ، وقد افاد منه فى تطويع اللغة لمقتضيات السرد والوصف والحركة والتحليل والحوار . ونحن نعلم ان المازنى كان يحب اديبا عربيا عكف على تصوير الحياة وتحليل الاشخاص ، وحكاية الحوار الدارج بشتى اللهجات ، وهذا الاديب هو الجاحظ . وقد افاد منه المازنى اختياره النوادر العجائب والغرائب فى الاشخاص والحوادث

اما الرافد الثالث ، وهو الاهم فى نظر المستشرقين الذين تحدثوا عن المازنى ، فهو رافد الادب الغربى . وقد أفاد منه المازنى الحرفية القصصية والتحليل النفسى ، والرسم المحدد للشخصيات ، والعقدة الاساسية والعقد الاضافية ، والعناية بتطور الاحداث فى اطار فنى محكم . وكانت افادة المازنى من الادب الروسى قبل الثورة على القياصرة اكبر من افادته من الادبين الانجليزى والفرنسى .

وقد اصدر المازنى روايات بالاصطلاح الفنى . مثل ابراهيم الكاتب ، وابراهيم الثانى ، وثلاثة رجال وامرأة ، وعود على بدء ، وميدو وشركاه . واظهر من الاقاصيص مجموعة كبيرة ، ضمنها بعض كتبه : صندوق الدنيا ، وع . الماشى ، وخيوط العنكبوت .

ويذهب بعض النقاد الى ان روايتيه الاوليين ابراهيم الكاتب وابرهيم الثانى ليستا قصتين بالمعنى الفنى الدقيق ، بل انهما ادنى الى الترجمة الذاتية ، لان المازنى يتحدث فيهما عن نفسه ، وعن احداث وقعت له ، وعن اشخاص اعترضوا سيرته . ويقولون ان قصة ابراهيم الثانى متابعة للقصة الاولى .

ويذهب الدكتور محمد مندور فى كتابه « نماذج بشرية » الى ان المازنى يتسم فى قصصه بخصلتين اساسيتين ، هما الشعر والسخرية . ولعله يقصد بالشعر الرؤية الفنية التى تستطيع ان تتابع الواقع فى مجراه العادى ، وان تمثل له نهاية مؤقتة او غير مؤقتة . ويذهب الدكتور مندور ايضا الى ان المازنى افاد من الادب الدرامى بخاصة فى ادبه المرسل ، اذ انه يتخير احداثا معينة لاشخاص معينين ، ويرسم لهذه الاحداث ، واولئك الاشخاص اطارا ضيقا ، يركز عليه انتباهه وتاليفه ايضا ، ومن هنا كانت عناية المازنى بالتحليل وبالحركة وبالحوار .

***

ويرى نقاد آخرون أن المازنى كان فى تلك الفترة من كتاب الطبقة الوسطى ، وانه آثر هذه الطبقة بعنايته الكبرى

وانه كان فى قصصه بعيدا عن الاكبار من شان ابطاله او اختيار شخصياته ممن يتجاوزون الحياة العادية ، بل كان يلتقط هؤلاء الاشخاص من الطبقة الوسطى ، وكان يتخيرهم لا على ان لكل واحد منهم خصوصية تميزه عن غيره . ولكنه كان يتخيرهم على انهم نماذج لخلق أو مهنة او سن اوجنس.

اما نحن فنرى ان المازنى لم يكن يتكلف القصة تكلفا ، وانه اذا كان قد أفاد من بعض القصص الغربي بصفة عامة ، والروسي بصفة خاصة ، فانه توسع فى الصورة العلمية التيعرفبها، والتي كانت عنده امتدادا للمقال ، حتى اصبحت هذه الصورة على الأيام قصصا فنيا او شيئا قريبا منه .

واهم سمة تطالعنا فى قصص المازنى هى استعماله لضمير المتكلم ، مما يجعل هذهالقصص ادنى للرسائل والمذكرات؛ ولكنه مع هذا الاستعمال لم يكن يتحدث عن نفسه ، بل كان يتقمص شخصية واحد من ابطاله ، ويجعله محور الاحداث ، أو يجعله المطالب بسرد هذه الاحداث وتحليلها والتعليق عليها . وهذا الضرب من الحديث الذاتى ، وان كان يضفى قوة على الاسلوب، ويقرب الاشخاص والاحداث من القراء ، الا انه يعد من الناحية القصصية من اضعف انواع الفن القصصى ، كما يذهب الى ذلكالنقاد.

ويرد المازنى على من انتقدوا فنه القصصى بأن ادبه انما يقوم علىالتجربة والملاحظة والخيال جميعا ، اى أن ادبه انما يؤثر الواقع النفسي لاالواقع الخارجى، ويعترف صراحة بأنابراهيم الكاتب هو ابراهيم المازنى ، وان معظم الاحداث التى صورت وقعت له بالفعل.

ويرى المستشرقون ان اهم اسباب الضعف البادى فى القصة المصرية، فى ذلك الجيل ، هو غياب المرأة فىالحياة ، فان تحجب المرأة فى عهد المازنى ، ثم خروجها الشكلى وعدم استطاعتهما تحطيم رواسب الحريم فى نفسها ، وعجز الرجل عن التغلب على شعوره بالاستعلاء على المراة ، والتحكم فيها .. كل ذلك حمل الادب المصرى ، وقتذاك ، لا يستطيع أن يصور اقوى مافى الناس من صراع ، وهو الصراع بين الرجل والمرأة ..

والواقع أن المرأة لعبت دورا كبيرا فى أدب المازنى ، ولا نقول فى حياته فتصويره للشخصيات النسائية أقوى من تصويره لشخصيات الرجال ، واهتمامه بتفصيل حياة بطلاته اكثر من اهتمامه بتفصيل حياة أبطاله . ولا نستطيع أن نجد لهذا سببا سوى ان المازنى كان اكثر التصاقا بأمه وكان اكثر حبا لها من اخوته ، اذ انها حملت عن أبيه ، بعد أن توفى ، جميع المسئوليات التى ينوء بها الرجال ، وقامت بتربيته هو واخوته ..

ويعد أدب المازنى صورة كاملة لحياته ، فقد اغرم بأن يسجل جميع الاحداث الشخصية التى تمر به ، وان بدت تافهة للوهلة الاولى . وكثيرا ما كان يضطر الى أن يعدل فى الحوادث بعض التعديل ، وأن يسقط الاسماء ، أو يغير فيها ، ولكن ذلك لا يمكن أن يخفى من دلالتها على سيرته وتوازعه ومزاجه الشخصى ..

وادب المازنى هو المرآة التى تنعكس عليها صورته وشخصيته وتجاربه ، وهو فى الوقت نفسه كان المعبر النفسى عنده من التشاؤم الى السخرية والفكاهة ، وهى فلسفة عميقة ، وان ظهرت ساذجة .

والمازنى يحكى بمظهره وسيرته وعلاقاته وابداعه ونقده ملامح جيل كامل ، قدر له ان يسهم بأمانة فى صياغة نهضة فكرية وادبية ، تجاوز تأثيرها الوطن المصرى الى العالم العربى بأسره ..

المازنى

حل بالسخرية عقدته النفسية

● د . احمد متولى مسلم ●

● يتميز ادب المازنى بالسهولة والطلاقة والاسترسـال . يخيل اليك انه لا يجد ادنى مشقة فى عملية الكتابة ..

كان يكتب كما يتكلم ، وكان يـكتب المقال فى نصف ساعة ، وقد يراجعـه مراجعة سريعة لاتغير منه ولا تبدل ..

ومع ذلك لم تكن الكتابة عنده بهذه السهولة ، انما السبب انه ـ حينما كان يكتب ـ لم يكن وحده !

كان فى خلفيته الاصفهانى ، والمعرى ، وابن الرومى ، وبشـار ، والشريف الرضى ، والمتنبى ، وابو تمام ، وكل اعلام التراث العربى ، والخيام ، وكارليل وبيكون ، وشيكسبير ، وجوته ، وديكنز وغيرهم من ادباء الانسانية قديمـا وحديثا ..

وكانت ذاكرته القوية تسع وتهطل بجمل وعبارات متلاحقة من هـذا التراث الكبير .

واسلوبه صورة لنفسه الحيـة الحساسة الزاخرة بالعاطفة .

وكان ـ وهو يكتب ـ يغور بعينيه فى جوانب نفسه ، ليسبر ما فيهـا ، ويتأمل ما وراءها ، وما يحيط بها . فكان فى كتاباته يمـزج بين الذات والموضوع ، وبين الحقيقة والخيال ..

وسنحاول ان نتعرف على اهـم العوامل التى تأثر بها المازنى انسـانا واديبا :

ا ـ حب الام :

كانت علاقة المازنى بامه علاقة مشبعة بالحب والاحترام ، وكان اثرها فى نفسـه أكبر من اثر ابيه ، لذلك انفرد المازنى دون ادباء جيله ـ بكثرة الحـديث عن المرأة فى حياته ، والمرأة فى صفاتهـا المميزة ، والمرأة فى علاقتهـا بالرجل ، والمرأة فى نظرتها الى الجمال ..

● وقد احب المرأة أما : وهـذه الفقرة من « قصة حياة » تنطق بذلك :

« لم أسمع ولم ار قط ـ فى طفولتى ـ كلمة أو ايماءة او نظرة ، تشى بالحـب بين ابى وامى .. وكان يخيل الى ان العلاقة بينهما قوامها الاحترام المتبادل ، أكثر مما كان قوامها الحب . وهـذا خطأ ، ولكنه هو الذى كان يبدو لى فى تلك السن الغضة . ولقد مات ابى وانا صغير ، وخلف امى فحزنت عليه اثنتين وثلاثين سنة ، ولم تخلع فيها السـواد يوما واحدا . وقد يكون هذا من الاكبار لا الحب .

« ولكنى اظنهما كانا متحابين ، فقد



كنت اسالها فتبتسم وتطرق استحياء، ويضطرم وجهها حتى في كهولتها الذاوية « اسالها : « ماذا كنت تحبين في هذا الرجل الزواج المتعب ، الذى جعل حياتك معه جحيما فائرا بالغيرة ؟ » فتقول قبل ان تفكر : « انك لا تساوى الظفر الذى كان القص يطيره من اصبعه؟» واحيانا تطردني من مجلسها ، فاقبل رأسها واقول لها : « اسمعى ! .. لم اعرف ابى كما ينبغى ان اعرفه ، فقد مات قبل ان اكبر ، ولكن القليل الذى عرفته مضافا الى الكثير الذى سمعته منك يقنعنى بانه « هو » لم يكن يساوى الظفر الذى يطيره القص من اصبعك .. وعزيز على ان اقول هذا عن ابى ، فقد كان على العموم رجلا فاضلا ذا كرامة ، واذا كنت ابخسه حقه فذلك لانك عندى بمنزلة لا تدانيها منزلة . انت خير الناس وسيدة الدنيا ، وكل من عداك هباء».

● واحبها زوجة : ورفعها فوق مستوى الغريزة الجنسية ، فالجمال ليس جسما ولكنه روح ، وهو ليس شيئا يوزن بالرطل ، وانما هو معان ومشاعر ، تدرك وتحس بضمير الفؤاد ولو ان الزوجين سارا في الحياة شريكين متعاونين على انجاح الشركة واحتمال متاعبها ، والصبر على بلاياها في سبيل مزاياها ، لارتاحا جدا ونعما بالحياة الزوجية ..

وقد تزوج المازنى عندما بلغ الشباب ولما ماتت زوجته تزوج مرة ثانية ، دليلا على تعلقه بالحياة الزوجية .

● واحبها ابنة : ابوها هو محور وجودها ، وقطب الرحى في حياتها ، وحبه لها سماوى ملائكى ، ليس من هذه الارض ولا يعكر صفوه الاحساس بانها ستحل يوما محله كما يفعل الابن ..

● واحبها حبيبة : المرأة ضعيفة اذا قيست بالرجل ، ولكن لها قوتين لا يستخف بهما الا الابله : قوة الحيلة التى انماها ضعفها البدني ، وقوة الجمال التى اودعتها الحياة كل قوتها فاين وجه العجب اذا كانت المرأة تصوغ الرجل دنياه ؟

والعاطفة مدار حياة المرأة . ان رسالتها تتمثل في منح الحنان وتقبله ، فاذا حرمت منه كانت كالشجرة التى لا تجد من يسقيها او يرويها ، فتذبل وتذوى ، وتموت منها - كل يوم - ورقات ..

« كان ابى مزواجا ، وكان يحب التركيات ، ربما لبياضهن وحسن

التعبير والثقافة والطاعة والادب، وقد ورثت عنه نقيضه ، فاللون الاسمر أثر عندي واحب الي ، والسمراء عندي اجمل واندى على القلب ، وعسى ان يكون هذا من التعصب لامي ولنفسي ، فاني اسمر .

« وما اعرفني استطعت قط ان اقول لواحدة : اني احبها بالغا ما بلغ جنوني بها ، لاني اشعر اني اذا قلت الكلمة فقد صرت عبدها - اي عبدا للمراة لا الكلمة - وانها حقيقة اذن أن تتخذني حصانا تركض به بين الوعور . وانا لا اطيق ان احس بقيد ما ، ولو كان من حرير .

« والرجل الذي يفقده الحب القدرة على الاعجاب بالجمال في صوره المختلفة يكون فاسد الذوق ..

« والرجل الذي ترضي عاطفة الحب عنده بالنظر الى المراة، والاستماع الى حديثها ، والتمتع بابتساماتها ، والذي يقنع من المراة بذلك ، يكون احوج الى الطبيب منه الى المراة .. »

٢ - عيوب الجسم :

في كتاباته يشير المازني الى قصره ، وضآلته ، وعرجه .

لقد سببت له هذه العيوب الجسمية عقدة نفسية منذ حياته الباكرة . وكان يتخفف من شعوره بهذا النقص بكثرة التحدث ببساطة عن هذه العيوب .

وكثيرا ما اتخذ من عرجه مسلاة ، فيتعمد ان يسير على احدى قدميه ، ساحبا الاخرى بعدها ، كانه يضحك منها قبل الآخرين .

فالمازني كان يصارح بعيوبه الجسمية ليعيد الاتزان الى نفسه ، فلا تشقى بعقدة النقص . وقد يكون اتجاهه للابداع الادبي تعويضا عن شعوره القوى بهذا النقص ، كأنما يثبت للناس ولنفسه انه - وعلى رغم قصره - قادر على العلو والارتفاع ، الى مستوى القمم الادبية . لذلك نراه يلجا الى التعمق وتكلف رصانة العبارة وجزالة اللفظ ، في كتبه المبكرة ، مثل «حصاد الهشيم» « ١٩٢٤ » ..

وبعد اشتغاله بالصحافة ، واكتسابه الثقة بالنفس ، سلست لغته تدريجيا حتى اقتربت من لغة الكلام العادى ، لكنها فصيحة على العموم ، فلم يستعمل من الالفاظ العامية الا ما كان من اصل عربي ، فكانت كتاباته في جملتها كأنها احاديث مجلس ، أو فكاهات سامر .

وكتبه في الفترة الاخيرة ، مثل « قصة حياة » ، و « ع الماشي » « ١٩٤٤ » - و « ابراهيم الكاتب » « ١٩٤٤ » - و « من النافذة » « ١٩٤٩ » - تتميز بالرقة والعذوبة والسهولة .

وتميزت كتاباته بالفكاهة وخفة الروح ، وكانت فكاهاته تعتمد على المبالغة في وصف الناس والاشياء ، وتجسيم نواحي الشذوذ فيهم ، ومداعبتهم بادعاء غير الواقع، واصطناع المواقف المحرجة ، وهو في ذلك مرآة صادقة للروح المصرى المولع بالتندر والدعابة ...

وقد تقارن المازني بجوجول، مؤسس المدرسة الواقعية الروسية ، وصاحب الاسلوب الساخر المرح ، وكانت العاهة التي تسبب شعوره بالنقص هي انفه الضخم المعقوف . وقد احتوى « جوجول » خجله من انفه ، بكثرة الكتابة عنه .

٣ - الفقر :

كان أبو المازني محاميا ، في سعة من الرزق ، ومات وابنه طفل في السنة الاولى الابتدائية ، وخلف مالا ليس بكثير ، ولكنه فوق الكفاية .

ومضى عام ، واذا بامه تستدعيه - وكانت على رقتها المفرطة تستطيع ان تكون حادة كالسيف ، وقالت له :

- أخنى علينا الدهر يا ابراهيم ، وأن الدهر - يا ابني - لظلوم . ولكن لا داعي لكثرة الكلام ، فما في ذلك فائدة ، والذى أريد أن تعرفه هو اننا افتقرنا ...

- هل معنى هذا اننا سنجوع ؟..

- لا اظن . ان عندى اشياء لاحاجة

بى اليها : مصروفات والاتات ، وما الى ذلك . وسأبيع منها وتقتات . والله المسئول ان يسترنا، وان يلهمنا حسن التدبير ..

وفى هذه اللحظة قطع المازنى الطفولة كلها وليا ، اصبح المسئول عن البيت ، وعن اخيه الصغير ، وعن امه وجدته لابيه ، وهو — بعد — لا يزال يتعلم الجمع والطرح والضرب ، وكلمات من الانجليزية لا يحسن ان ينطقهـا ... مسئول عن هؤلاء وهو المحتاج الى من يتعهده ويرعاه . هذه المسئولية المبكرة كان لها اكبر الاثر فى سرعة نضجه ، وشدة احساسه بنفسه .

كان اخوه الاكبر — غير الشقيق — قد اضاع ثروتهم ، ففقد المازنى الثقة بالناس ، وانطوى على سـوء الظن والتحرز ، وجنح الى العزلة شـيئا فشيئا . وتوخى الادب حتى لا يسيئه معه احـد ، وابى ان يرفع الكلفة مع الاخوان لتظل العلاقة قائمة على المودة والاحترام . وباختصار اورثه الفقـر عقدة نفسية اخرى ، ظل يعالجها طول عمره . ويقول لنفسه فيما يقول : « ان هذا الفقر حمانى تطرى المدللين ، واكسبنى جلدا . وافادنى قـوة نفس وجراة فى الكفاحوانى للخور بماقدرت عليه ، من الوقوف على قدمى، بلا معين سوى الله ، واسى بعده ، ولكن الضعف يعرونى احيانا ، فاتساءل : ما ضر لو زادت الدنيا مرفها مدللا آخـر ؟ .. اكانت تخرب ؟ . اكان لا بد لصلاحها ان اشـقى واطلب هـذا العذاب الغليظ ؟! »



وكبر المازنى وتخرج ، وصار معلما، يتقاضى اثنى عشر جنيها ، وهى ثروة فى سنة ١٩٠٩ ، وطبع الجزء الاول من ديوانه ، فاخذ اول نسخة منه ، وزار بها اخاه الاكبر ، الذى جنى عليه ما جنى ، فاذا بالدموع تسيل على خدى اخيه ولحيته ...

يعترف المازنى بان استاذه الاول كان الفقر : هو الذى آتاه القوة والقـدرة على الكفاح ، وعلمه التسامح والرفق ، والعطف وايثار الحسنى، وعوده ضبط النفس ، وتوخى الاتزان ، وحبب اليه الفقراء ، وفتح عينيـــه على القيم الحقيقية للناس والاشياء والحوادث، وجنبه ان يحترم المال لذاته .

وقد اشتغل المازنى بالتدريس عشر سنوات ، وعندما شبت ثورة ١٩ ترك مهنة التدريس واشتغل بالصحافة ، حتى توفى عام ١٩٤٩ ، عن تـسـعة وخمسين عاما

وقد كتب المازنى الوانا عديدة من المقالة : كتب المقـالات السياسية فى صحف الاحزاب ، وكتب المقالات الادبية والساخرة والمترفية ، فى المجـلات الادبية . وبعض كتب المازنى مجموعات من المقالات . ولا ننس ان المقـالات السياسية والاجتماعية هى التى ايقظت ضمير الامة ، والهبت ثورتها ، قبيل ثورة ١٩ وثورة ٥٢ .

٤ — تربية النفس :

كان المازنى معلما ، وقد بدأ رسالته بتربية نفسـه ...

والمعلم اذا احسن تربية نفسـه ، تسهل عليه تربية غيره .

وكانت اهم المبادىء التى أخذ نفسه بها :

● **التجـلد** : لما قامت ثورة ١٩ أغلقت المدرسة التى كان يديرها المازنى، واصبح بلا عمل ، وقال لصـديق يستفسره فى ذلك :

« الترف شىء لا يناله كل احد . وليس يضرنى ان اكون واحدا من هذه الملايين التى لا تجد الا الكفاف . وانا

أزعم نفسي كفؤا للحياة ، لاني مهذب مثقف . بل ادعي اني خير من هذه الملايين التي هي السواد الاعظم من الناس . واقول اني من معلميه، ومرشديها . افأزعم ذلك واكون اقل منها احتمالا للحياة وتصاريفها ، ودونها قدرة على الكدح وكسب الرزق ؟! »

● مقاومة الاحتلال : كان المازني ، منذ طفولته والى آخر حياته ، اهل اسرته الكبيرة الاوحد ، ومع ذلك الهبت شعلة الوطنية نفسه . ولم يكن احد في جيله يستطيع ان يعيش لنفسه، والا احس بانه جاحد عقوق. وفي غمار ثورة ١٩ حرر المازني - مع زميله العقاد - منشورات جماعة « اليد السوداء » السرية ، وكتبا في الصحف مقالات نارية ، حتى تقرر نفيهما على يد وزير الداخلية « ثروت باشا » ، الذي استقال في هذه الفترة ، ولولا استقالته لحل بهما قضاء النفي والتشريد .. وقد حامت حولهما الاتهامات في حوادث الاغتيالات التي وقعت آنذاك .

● التحصيل : في طبيعة المازني الاستخفاف . وكان يمكنه ان يستخف بكل شيء ، الا ما يتعلق بالادب من تحصيل ودراسة وكتابة . في صباه قرأ « الف ليلة وليلة » والجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب ، ثم قرأ « الاغاني » للاصفهاني باهتمام بالغ . وعكف على اشعار الشريف الرضي وابن الرومي والمعري « وهو كثير الاستشهاد بابن الرومي » ، ودرس تاريخ الادب العربي على نحو غير منظم ،لكن دراسته للادب الانجليزي كانت اكثر نظاما : قرأ نقد « هازلت » وتاريخ « ماكولي » وروايات ديكنز وثاكري ومارك توين، واشعار بيرون وشيللي وشيكسبير وشعراء البحيرة . وقرأ كثيرا من القصص الروسية ، وقرأ التوراة والانجيل . وفي سن الخمسين بدأ يدرس الادب العربي وتاريخه دراسة متأنية بترتيب العصور ...

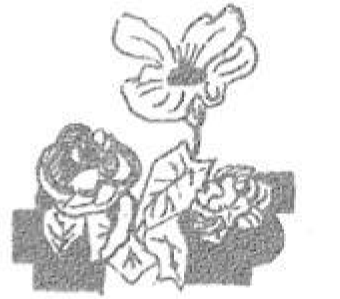
وفي مجال الكتابة اهتم المازني بالسلاسة ، والبعد عن المحسنات ، والابتكار في المعاني. والصدق في تصوير الحياة ، والتطلع الى المثل الاعلى .

● التواضع : المعقدون في الغالب يميلون الى التكبر لتغطية شعورهم بالنقص ، فما بالك بكاتب كبير يشعر بانه من قادة الفكر عند الملايين ؟ لكن المازني كان - على العكس - شديد التواضع ، ينبذ مخالطة ذوي الالقاب، ويؤثر عليهم صحبة الفقراء البسطاء، بل والجهلاء الاميين ، يعطف عليهم ، ويتفهم اساليب تفكيرهم ، ويسر بحديثهم . وكان خجولا يشعر بالحرج في المجتمعات ، وكان يجيد الاصغاء ، ويحسن الاستماع ، وكان خفيض الصوت ، طويل الصمت .

● التعلق ببيته وابنائه : كان متعلقا ببيته ، يعيش فيه حياة بسيطة ، وقد يكون حبه البيت عادة اكتسبها من حبه العميق لامه، وكان في بيته ديموقراطيا، لا يستبد برايه ، يتحدث الى ابنائه كاصدقاء ، ويجيب عن اسئلتهم بصبر ، وقد يكون ذلك رد فعل لما عانى في طفولته من قسوة وكبت .

وكان شديد الحب لابنائه ، شديد التعلق بابنته ، وكان موتها - في طفولتها - صدمة زلزلت كيانه ، وقد رثاها رثاء موجعا ، وكان من الاسباب التي اعتذر بها العقاد عن الزواج ما شهده من معاناة المازني عندما ثكل ابنته .

● التعاطف مع الناس : يقول المازني في ذلك : « لو وسعني ان املأ الدنيا سرورا واغتباطا لفعلت ، فاني عظيم الرثاء للخلق ، واحسب ان هذا تعليل ميلي للفكاهة . فاني اتسلى بها، وانشد أن ادخل السرور على قلوب الناس ، لاعتقادي ان عند كل منهم ما يكفيه من دواعي الاسى . وما دام في الوسع انتعرض عليهم الناحية المشرقة الضاحكة ، فلماذا نغمهم ونحزنهم ؟.. ثم ان للفكاهة مزية اخرى ، انها اقوى



ما أعان على احتمال الحياة ، ومعاناة تكاليفها ، والنهوض بأعبائها الثقال ، فهي ليست هزلا ولا تسلية فارغة ، وانما هي تربية للنفس » ...

٥ ـ مدرسة الديوان :

امتدت صداقة العقاد والمازني اكثر من سبع وثلاثين سنة . وتكونت مدرسة الديوان من العقاد والمازني وشكري . والعقاد جامعة كبرى ، اقل ما يتعلم فيها من يخالطه العلم الموسوعي ، والانضباط الثقافي ، وكان المازني يمر ـ كل أسبوع ـ على المكتبة التي يشترى منها العقاد كتبه ، ويشترى نفس الكتب التي اشتراها العقاد .

وكانت مدرسة الديوان تدعو الى التجديد ، وعدم التقيد بالقافية ، لكن المازني ـ لولعه بالجرس الموسيقي ـ لم يستطع ان يطرح القافية ، فطرح الشعر ، وكرس قلمه للنثر ، لأنه اطوع لمهمة التجديد والابتكار التي نصب نفسه لها .

واسلوبه في الكتابة يتميز عن اسلوب العقاد بالبساطة والسهولة والاسترسال ، لكنه التزم بشروط العقاد في المقالة الحديثة .

وقد كتب المازني عددا لا يحصى من المقالات ، عن ادق خلجاته ، وآرائه وآلامه ، وذكرياته ، وخبراته ، كانت فكاهاته تدور حول نفسه ، فيبهرنا بوجود هذه المعاني والخلجات في نفوسنا .. وكان تحدثه بضمير المتكلم تعبيرا عن احساسه بنفسه ، وقدره ، وعن شجاعته وصراحته ، في مواجهة المجتمع ، وعن حبه للناس ، الذي يملي عليه ان يفتح قلبه لهم ، ويحدثهم بصدق ومحبة .

وكان سابقا لعصره في اتمام منهج نفسي تحليلي يتناول الشخصيات ، والعلاقات التي تربط بينها ، لا سيما علاقة الرجل بالمرأة ..

وكان يلجأ الى الحوار فيعطي مقالاته جوا فكاهيا جذابا ...

وقد ابدع في تصوير البيئة المصرية في عصره بكل عاداتها وتقاليدها ، وافراحها واحزانها ، وفكاهاتها وأمثالها الشعبية ، لذلك كان اجدر ادباء النصف الاول من القرن العشرين بأن يكون أصدق شاهد على عصره .

٦ ـ اكتئاب المازني :

الاكتئاب هو الوجه الاخر لشخصية الانسان الساخر المرح .

وكثرة معاناة الالم تورث الملل ، وكثرة الملل تورث الاكتئاب واليأس .

وقد تعرض المازني لصدمات متعاقبة في بيئة التعليم ، ثم بيئة الادب والصحافة . لذلك تستشف ـ من وراء فكاهته الضيق والاكتئاب .

كان يستخف بالحياة ويعتبرها باطلا ومتاع غرور ، وتنطق بعض اسماء كتبه بذلك ؛ مثل « قبض الريح » ، و « حصاد الهشيم » و « خيوط العنكبوت » .

وقد كتب المازني رثاء لنفسه رفضت « اخبار اليوم » نشره . ويقول في ذلك « اريد أن يبتسم الناس عندما يسمعون نبأ موتي .. أن حياتي كلها سلسلة من الاسى . ان الدموع تجف سريعا ، ولكن الضحكة تعيش طويلا » .

يقول العقاد في رثاء المازني :

فعاش وما واساه في العيش واحد
ومات ولم يحفل به غير واحد
اراد خلود الذكر في الارض ضلة
فاورده النسيان مر الموارد ..

كان الادباء في مصر ، كجمال الصحراء التي تعيش على شحم السنام ومع ذلك لا يضنون على امتهم باي عطاء مهما كان ويموتون فلا يكاد يذكرهم احد !!

المازني

سيرة وتحية



● مصطفى الشهابي ●

● كان نحيل الجسم ، قصير القامة ، ولكن ادبه كان ملء السمع والبصر ، فهو احد القلائل الذين حملوا المشاعل في طريق الادب العربي، وفتحوا النوافذ نحو ادب الغرب فنقلوا منه ابدع آثاره في الفكر والثقافة ، مما كان له اعظم الفضل على الادب العربي الحديث .

يرجع اصل المازني الى بلدة « كوم مازن » بالمنوفية ، وقد ولد في ١٩ من اغسطس سنة ١٨٩٠ بمدينة القاهرة واتم دراسته الابتدائية بمدرسة القربية ودراسته الثانوية بالمدرسة التوفيقية فالخديوية .

●● وكان يشتهي ان يكون طبيبا ، ويعلل ذلك باسلوبه الساخر قائلا : « لان الطبيب ليس كمثله احد ، يقتل الناس ويأخذ كراء يده » ، ولذا التحق بمدرسة « كلية » الطب ، ولكنه لم يلبث أن تركها لأن منظر جثة احدث له اغماء فطرده ناظرها الانجليزي ، فاتجهت امنيته الى مدرسة الحقوق ولكنه فوجىء بزيادة أجور التعليم بها فعدل عنها الى مدرسة المعلمين العليا (الخديوية يومئذ » ، وكان من زملائه فيها يومئذ الاديب عبد الرحمن شكرى . وقد تخرج الاثنان عام ١٩٠٩ وارسل شكرى في بعثة الى جامعة شيفلد بانجلترا حيث حصل على درجة بكالوريوس في الآداب عام ١٩١٢ .

● أما المازني فقد اشتغل بالتعليم في المدارس الاميرية اذ عين مدرسا للترجمة بالمدرسة السعيدية ، وكان من تلاميذه فيها الاساتذة فكرى اباظة وعبد الرحمن عزام وآخرون . ثم نقل الى المدرسة الخديوية فدار العلوم مدرسا للغة الانجليزية . واخيرا آثر ولوج ميدان التعليم الحر فاشتغل مدرسا بالمدرسة الاعدادية احدى كبريات المدارس الثانوية الاهلية يومئذ ، وكان من زملائه فيها الاستاذان عباس محمود العقاد وأحمد حسن الزيات ، ثم عمل مدرسا بمدرسة وادى النيل الثانوية واخيرا عين ناظرا للمدرسة المصرية الثانوية .

● المازني المدرس :

اشتغل المازني بالتدريس نحو عشر سنوات يقول عنها : « وفي هذه السنوات العشر لم احتج ان اعاقب تلميذا او اوبخه او اقول له كلمة نابية ، ولم يقصر التلاميذ في محاولة المعاكسة ، ولكنني كنت حديث عهد بالتلمذة وبشقاوة التلاميذ ، فكنت اعرف كيف اقمع هذه الرغبة الطبيعية في الشقاوة » .

● المازني المترجم :

وقد شغل المازني اكثر وقته خلال فترة التدريس في الترجمة عن الانجليزية واليها وهذا ما اكسبه مرانا وحنكة قلما توافرا لغيره ، حتى لقد قال عنه العقاد : « لست اغلو اذا قلت انى لا

اعرف فيما عرفت من ترجمات النظم والنثر اديبا واحدا يفوق المازنى فى الترجمة من لغة الى لغة ، ويملك هذه القدرة شعرا كما يملكها نثرا ، ويجيد فيها اللفظ كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة . »

● المازنى الصحفى :

ولما شبت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ترك التدريس وولج ميدان الصحافة ، وقد عمل مع امين الرافعى فى جريدة الاخبار ومع عبد القادر حمزة فى البلاغ ورأس تحرير جريدة الاتحاد كما عمل فى صحف دار اخبار اليوم ، وفى كثير من الصحف والمجلات ، يعالج الادب والنقد والاجتماع ، كما كان يعالج الموضوعات السياسية بروح الكاتب المستقل .

وكان برغم عنفه فى مهاجمة خصومه ودفع عدوانهم عليه مهذب اللفظ ، عفا ، مؤدبا ينأى عن الصغائر ويترفع عن التجريح ، وكان شجاعا فى ابداء رأيه ، وفى العدول عن هذا الرأى اذا تبين انه كان مخطئا .

هاجم شوقى الشاعر ووصفه بانه قطعة متآكلة من قديم الزمن .. فلما مات شوقى رثاه وقال انه ظلمه حين جرده من مكانته ، ووصفه بانه شاعر عظيم وان فقده خسارة لا تعوض .

● المازنى الشاعر :

وكان المازنى فى مقدمة شعرائنا المجددين الذين حملوا راية الابداع والتجديد وكان من زملائه فى معركة الدعوة الى التجديد : شكرى والعقاد وابو شادى .

يهجو نفسه :

كان المازنى يشكو من سوء صحته وقصر قامته «ولثته الموخوطة» على حد تعبيره ، كما كان يشكو من العرج ، وقد اشار الى ذلك فى بعض ماكتب وانتهى به الامر الى ان اغرق فى وصف نفسه تصويرا يبعث على الضحك ، بينما هو محزون متألم .

● فى مجمع اللغة العربية :

وقد اختاره المجمع العلمى العربى بدمشق عضوا مراسلا له ، كما اختاره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عضوا عاملا به سنة ١٩٤٩ . وعلى الرغم من ان المدة التى قضاها المازنى فى عضوية المجمع كانت قصيرة فانه اسهم بنصيب كبير فى اعماله فاشترك فى لجنتى الاداب ورسم الحروف ، كما اختير ليمثل المجمع فى الاحتفال بمرور ٧٥ عاما على المجمع البولونى للعلوم والاداب .

● من مؤلفاته :

وللمازنى عدة كتب منها :

الديوان ، فى نقد الشعر ، بالاشتراك مع المرحوم عباس العقاد ، حصاد الهشيم « مقالات » ـ ابراهيم الكاتب ـ قبض الريح ـ صندوق الدنيا ـ رحلة الحجاز ـ بشار بن برد ـ الكتاب الابيض الانجليزى ـ مسرحية «غريزة المرأة » ـ ميدو وشركاه ـ ثلاثة رجال وامرأة ـ ابراهيم الثانى ـ اقاصيص ـ ع الماشى ـ من النافذة .

ومن مترجماته : رباعيات الخيام ـ الاباء والابناء لتورجنيف ـ سانين لارتز يباشف .

وله الى جانب كل ذلك من المقالات ما كان يوم كتابته زادا لقراء اللغة العربية .

● وفاته :

وانتقل المازنى الى جوار ربه فى العاشر من اغسطس سنة ١٩٤٩ ، واذا كان المازنى قد تعجل يومه قبل ذلك التاريخ بنيف وثلاثين سنة وزعم ـ بفلسفته وسخريته من الحياة ـ أن احدا من الناس لن يحفل برثائه، بقوله :

ولم يبكه اذ مات الا اجيرة
لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد
فلا دمع يروى يوم ولى ترابه
وكيف يروى تربة غير واجد
فلا تحسبوه انه ليس بالاسى
حقيقا ، ولااهل الهموم العوائد

ولكن محبى ادبه وجماهير قرائه نعيوه ورثوه بما هو اهله واصبح موضع الدراسات الجامعية ، فقدمت فيه الرسائل والفت في ادبه الكتب ، كما يدرس ادبه اليوم .

المازنى شاعرًا

● على غريب بهيج ●

نظم الشاعر هذا الشعر يوما وارتضاه
وبيوم آخر انكره .. ثم ، نفاه !
قال أن الشعر فن ماله عندى اداه
قلت ما انصف ابراهيم فيما قد اتاه..
اين من بالنظم يوما قد تقصى مبتغاه ؟
خير شعر الشاعر السلس القوافي ماعصاه
« محمود عماد »

هكذا قدم الشاعر محمود عماد ديوان المازنى الذى طبع فى عام ١٩٦١ ويضم شعر المازنى كله باجزائه الثلاثة ... وقد طبع الجزء الاول من ديوان المازنى فى عام ١٩١٣ ، والجزء الثانى فى اواخر عام ١٩١٥ ، اما ديوانه الثالث فلم يطبع فى حياته وانما طبع فى عام ١٩٦١ مع الجزءين الاول والثانى ..

ومعنى هذا أن شعر المازنى يمثل مرحلة مبكرة من حياته الفنية انتهت فى سن مبكرة اعقبها انقطاع عن نظم الشعر استمر زهاء ثلاثة وثلاثين عاما، حتى وفاة المازنى ، فما هى القيمة الحقيقية لشعر المازنى ؟ ولماذا هجر المازنى الشعر الى النثر ؟ وهل هجره فعلا ؟

لعل عبارة المازنى التالية تلقى الضوء على هذه الاسئلة . يقول المازنى فى مقال له بعنوان « الكتب والخلود » : « انا اكتب واقرض الشعر ، فما مصير كل هذا الذى سودت به الورق، وشغلت به المطابع ، وصدعت القراء ؟ انه كله سيفنى ويطوى بلا مراء ! .. فقد قضى الحظ ان يكون عصرنا عصر تمهيد ، وان يشتغل اثناؤه بقطع هذه الجبال التى تسد الطريق ، وبتسوية الأرض لمن يأتون بعدهم .

« ومن الذى يذكر العمال الذين سووا الأرض ومهدوها ورصفوها ؟

« من الذى يعنى بالبحث عن اسماء هؤلاء المجاهيد الذين ادموا ايديهم فى هذه الجلاميد ؟

وبعد أن تمهد الأرض وينتظم الطريق ، يأتى نفر من بعدنا ويسيرون الى آخره ، ويقيمون على جانبيه القصور شاهقة باذخة ، ويذكرون بقصورهم ، وننسى نحن الذين اتاحوا لهم أن يرفعوها سامقة رائعة ، والذين شغلوا بالتمهيد من التشييد » .

كان المازنى يبغى من وراء شعره ان يحقق نظريته فى الشعر ، تلك النظرية التى اعتنقها هو وزميلاه العقاد وشكرى وهى التى تدعو الى تحرير الشعر من اغلال الماضى بقيوده التى لم تعد ملائمة للعصر والتعبير من قضاياه .. وبمعنى آخر ان هؤلاء النفر كانوا يدعون الى ثورة فى عالم الشعر تتناول شكله وموضوعه . فمن حيث الشكل دعت مدرسة المازنى الى التحرر من القافية الموحدة ، والعمل على ادخال التنوع الموسيقى للقصيدة. ومن حيث الموضوع



دعت هذه المدرسة الى ان يكون الشعر تعبيرا صادقا من تجربة الشاعر وان تكون القصيدة ذات وحدة موضوعية، وان لا تكون تقليدا او معارضة لشاعر قديم مهما كان شأنه .

●● المعارضة في شعر المازني :

المعارضة في ابسط مفهوم لها هي استلهام الشاعر لقصيدة اعجبته فيقوم بنسج قصيدة يستعير فيها موسيقى تلك القصيدة المتمثلة في الوزن والقافية وكذلك بعض صورها ، واحيانا عباراتها والفاظها .

وقد يكون موضوع القصيدتين متفقا او لايكون . وابرع شعراء المعارضات في عصرنا الحديث هو امير الشعراء احمد شوقي بلا منازع .

والمعارضة اذا كانت استلهاما لقصيدة او تطويرا لموضوع ، او اعادة اخراجه برؤية جديدة ، واذا تمت ببراعة واقتدار ، فانها قد تكون عملا فنيا عبقريا كما نجد في معارضات شوقي . واستلهام الموضوعات واعادة اخراجها او صياغتها أمر لا ضير منه عند الفنان العبقري ، فمعظم اعمال شيكسبير هي تطوير لحكايات ووقائع تاريخية قديمة . كما ان الفنان يبدأ حياته الفنية بمحاكاة النماذج الرائعة لغيره من الفنانين السابقين ، ثم يطور، لم يجدد ، لم يبتكر .

واذا ذهبنا نتصفح ديوان المازني فسوف ندهش عندما نرى أن أروع قصائده ماهي الا معارضات اي استلهام ومحاكاة لنماذج أعجبته فاستلهمها فنسج على منوالها .

واهم شاعر استلهمه المازني وتأثر به وعارضه هو ابن الرومي ، خصوصا في قصيدتيه الرائعتين الطويلتين «الهمزية» قالها في عتاب صديق له ، و «النونية» التي مطلعها :

اجنت لك الوجد اغصان وكثبان
فيهن نوعان تفاح ورمان !

ويعتبر قصيدة المازني النونية والتى سماها « مناجاة الهاجر » من أروع اشعار المازني على الاطلاق ، ولا يضيرها انها معارضة لنونية ابن الرومي وعلى الرغم من ان المازني قد استعار منه كثيرا من الصور والالفاظ والاساليب وبعض الافكار ، الا ان قصيدة المازني قد افرغ فيها الشاعر حشدا هائلا من الافكار الجديدة والتأملات النفسية في الحب والناس .والحياة والطبيعة الى درجة جعلت منها اكثر من ند لقصيدة ابن الرومي نفسه .

ولا يتسع المجال لعرض شيء من هذه القصيدة التى نود ان يرجع اليها القارىء في الجزء الأول من ديوانه . غير اننا نحب ان نشير هنا الى انه لا اساس لما ذكرته الدكتورة نعمات احمد فؤاد في كتابها عن المازني من ان المازني قد انتزع صوره في هذه القصيدة من «البحر والصحراء » من قصيدة ذى الرمة التى مطلعها :

أأن ترسمت من خرقاء منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وذلك لسبب بسيط هو ان قصيدة ذى الرمة ليس فيها صور من البحر، كما ان صوره من الصحراء صور بدوية حسية لا علاقة لها بقصيدة المازني على الاطلاق . كما ان ذا الرمة من الشعراء الذين يصعب معارضتهم لظروف خاصة تتعلق بلغته وبيئته الصحراوية البدوية وطريقة بناء قصائده وموضوعاته .

وهناك همزية اخرى للمازني جاءت

المازنى شاعرًا

فى الجزء الثالث من ديوانه وعنوانها «عراك» عارض فيها المازنى ابن الرومى حيث استعار منه فى هذه القصيدة فكرة «المنلوج» الداخلى. ففى الوقت الذى يدير فيه ابن الرومى حوارا مع «هنوات صديقه ابن القاسم» نجد المازنى هو الاخر يدير الحوار مع نفسه حول الناس والحياة والخير والشر.

وقد خلع المازنى على هذا الحوار كثيرا من ثقافته الفلسفية والنفسية وتأملاته الذاتية وتبلغ هذه القصيدة ٣١٢ بيتا. واهم من عارضهم المازنى وتأثر بهم بعد ابن الرومى هو الشريف الرضى الذى تلمح ديباجته واساليبه وعباراته تتغلغل فى شعر المازنى بدرجة لا تغيب عن نظر المتأمل لشعره.

●● شعر المازنى فى الميزان:

لم يهجر المازنى الشعر الى الابد كما يزعمون أو كما زعم هو نفسه. فكل مقالاته وكتبه تشهد بغير ذلك، ذلك ان معظم مقالات المازنى قد ازدوج فيها الشعر مع النثر، كما أن معظم دراساته كانت تدور حول الشعر ونقده ودراسته. وتصفح كتبه وبخاصة «حصاد الهشيم» و«قبض الريح» سوف تلمس درجة تغلغل الشعر فى دم المازنى ومزاجه الفنى واسلوبه.

وقد يكون المازنى صادقا فيما ادعاه عندما هجر الشعر، من أنه لم يجده سلس القياد كما كان يريد. ولكن هناك ملاحظة لا بد منها وهى ان المازنى قد تعجل هجر الشعر عامدا لظروف خارجة عن عدم طواعية الشعر له. فالمازنى قد ابدع معظم شعره فى سن مبكرة، وهو لم يبلغ العشرين بعد من عمره كما انه هجره قبل ان يتم له النضج الفنى المطلوب. ولذلك كنا نجد شعر المازنى خليطا من التأثرات الثقافية المختلفة من عربية واجنبية فهو يستعير تعبيراته وموسيقى قصائده من الشعراء العرب وبخاصة ابن الرومى والشريف الرضى، كما يستعير بعض افكاره من شعراء الغرب وخصوصا الشعراء الذين ذكرهم فى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه من امثال «شلى» و«بيرنز» و«ميلتون» و«هينى» وغيرهم.

غير ان الظاهرة الواضحة فى شعر المازنى – رغم ما ذكرنا – هى محاولته الدائبة للتجديد فى الافكار والموضوعات والالتزام التام للصدق فى التعبير عن احاسيسه وافكاره ومشاعره، ولو على حساب الشكل الفنى، والاساليب والعبارات التى كانت تستعصى احيانا عليه لتدفق افكاره وتنوعها وجدتها.

ومن العجيب ان المازنى الذى كان يتدفق كالبحر فى نثره، كان يجد صعوبة كبيرة فى تطويع الشعر لأفكاره، خصوصا قوافيه التى كانت تضطره الى استخدام الفاظ غريبة ومشتقات شاذة مما الجأه الى شرحها فى ديوانيه الاول والثانى.

ويرجع ذلك فى المقام الاول الى ان المازنى كان فى بداية الطريق الى التجديد فى الافكار، ولم يكن امامه الا اللغة التقليدية القديمة ليعبر بها عن هذه الافكار الجديدة.

وقد اشار الاستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور الى هذا الجانب فى شعر المازنى حيث قال: ان المازنى: «كان يعانى فى سبيل التعبير عن هذه الافكار الجديدة والاحاسيس الجديدة بلغته التقليدية القديمة».

وتبقى كلمة الختام وهى ان المازنى لم يضيع ايامه فى الشعر سدى، فقد مهد الطريق امام جيل من المجددين افادوا من مدرسة المازنى شعرا ودراسة، كما ان لغة الشعر ظلت طابع اسلوب المازنى حتى آخر سطر خطته انامله. ●

سجود الفكر

● د . صلاح عيد ●

الى .. الى قيثارى وصودى
اجدد فيكما احلى عهودى !

وايام القوافى، حلم عمرى
وانشاد القوافى يوم عيدى !

ومنتدياتها اعراس بشر
تلالتها كباقات الورود . ؟

اذوق رحيقها حلـوا شهيا
واسقى شهدها عذب الورود !

وانقش تبرهـا ابهى نقوش
وانظم درها احلى عقود . .

زمان مثل بستان نضيـر
من الآمال والعيش الرغيـد !

وربيع للصبا والشعر غـال
هجرناه الى ربع جديد . .

وافق فى سماء العلم عـال
ونجم عند ذروته - بعيـد !

سموت الى محيط الضوء منه
وبى شوق المتيم للفريد . .

احاول صيـد لؤلؤة اللآلى
وان هى اعجزت اعتى الجهود . .

وان نفض العمالقـة الايادى
لها فى الياس والتعب الشديد

وقيـل طمـوحه جان عليه
ومسلمه الـى غرق اكيـد !

امن جـذب الحسان من المعانى
لجذب الارض او جذب الحديد ؟!

وهل خضعا لقانونين حقـا
ام انصاعا لقانون وحيد . .

سؤال لم يزل طـيرا شرودا
فهل سيجيء بالطير الشرود ؟ .

ايهجر روضة النغم المندى
ليركب صهوة الرقم العنيد ؟!

***

وهل فى جراتى فى العلم ذنب
وتنيبى لالحـان رقـود

أريد لها القيـادة وهى تابى
سوى دور الموجه والقـود

لأن العلم صار المتهـاه
فلا امل هنـاك لمستزيد

وهـذا كوننـا ما زال سرا
وفهم الكون فى طور الوليد . .

سعيت الى الحقيقة ، وهو عشقى
باخلاص وايمـان وطيـد !

وهذا السعى فيه متاع نفسى
وان عز المـراد على المريد !

وبعض معادلات العلم شـعر
وبعض ذويه الشعر من لبيـد

فمجد كـل ذى صبر عليهـا
يداوى كـل باس بالصـمود

يشيد لقومه بالعلم مجـدا
ولا تكفيه امجـاد الجدود

جرت من حولنـا الدنيا وتجرى
فهل سنظل رمزا للجمـود ؟

***

بحثت فلم اجد كالعلـم دربا
يقربنـا من الأمـل البعيـد

دعـوت اليـه ابداعا وخلقـا
وبابا للنباهة والخلـود

ولست اقول شعر مناسبات
ولا الهـو على وتر القصيد

ولكن دعوة للجـد تحيى
وتبعثنا جميعا من جـديد

● د . صلاح عيد ●
الكويت

النجاح

معناه عدم الشعور بالتعب

بقلم : موردتيمر ادلر
ترجمة : امين سلامه

● التعب النفساني نظام تحذير مبكر ينذر بأن هناك خللا ما — يمكن علاجه — ولكن ليس بالجراحة .

ربما كان الاخفاق هو اعظم تجربة شاقة يلاقيها الانسان في حياته .. لا شيء يثير الاعصاب اكثر من عدم النجاح ، فهو يسد الطريق في وجه المرء فلا يتقدم الى الامام .. انه دائرة خبيثة فالاخفاق يولد التعب ، والتعب يجعل من الصعب الاقدام على العمل ، وهذا ما يسبب الاخفاق !

يواجهنا هذا التعب بطريقتين رئيسيتين تعب البدء ، وتعب الاداء ..

ففي الحالة الاولى ، نظل نؤجل العمل الذي يجب ان ننجزه تحت المنظور ما . وذلك اما لانه شاق جدا ، او لانه صعب جدا ، فنتركه جانبا .. وكلما طال وقت ارجائه ، كثر شعورنا بالتعب !

وتعب البدء هذا حقيقي جدا ، وحتى اذا لم يكن بدنيا ، فانه ليس شيئا في عضلاتنا وعظامنا .. والعلاج واضح بين ولو انه ربما لم يكن سهل التطبيق — وهو : استخدام قوة الارادة .. ففي اللحظة التي أجد نفسي فيها مبتعدا عن عمل ، او انني اضعه تحت كومة من الاعمال الاخرى التي يجب انجازها — فالعلاج هو انني افرغ مكتبي من كل شيء آخر ، وأهاجم ذلك العمل المقيت اولا ، فلكي تمنع تعب البدء ، انجز العمل الاصعب أولا ! ..

منذ سنوات خلت ،تعهدت بكتابة مائة واثنين من الموضوعات تقدم لكتب كبرى في العالم الغربي ، وبتضمن كل موضوع مادة من الافكار العظمى التي ناقشها مؤلفو تلك الكتب .. وقد استغرقت كتابة هذه الموضوعات مني سنتين ونصف سنة ، وانا أعمل فيها ضمن أعمال أخرى — سبعة أيام في الاسبوع — ما كنت لانجز هذه المواضيع لو انني بدأت اولا بالافكار التي وجدتها أسهل الجميع . طبقت طريقتي الخاصة ، وعزمت على ان اكتب الموضوعات بحسب ترتيب أبجدي من الالف الى الياء ، ولم أسمح لنفسي قط بأن اتخطى أية فكرة صعبة . وكنت دائما أبدا عملي اليومي بالعمل الصعب، وهو كتابة هذه الموضوعات . واثبتت التجربة مرة أخرى نجاح هذه الطريقة .

أما تعب الاداء او التنفيذ ، فهو أكثر صعوبة في تناوله . فنحن لا نتردد في البدء فيه ، ولكن لا يبدو اننا سنقوم بالعمل صحيحا . تبدو صعوباته كعقبة كئود لا يمكن تخطيها . ومهما نعمل نجد اننا نخفق مرة ومرة . فتجربة الاخفاق المتزايد هذه تحمل معها عبئا مطرد الزيادة من التعب الذهني . وفي مثل هذا الموقف اعمل بجد قدر المستطاع . وبعد ذلك ليعمل العقل غير الواعي ما يعمله ..

● الخطأ يا عزيزي بروتوس ●

عندما كنت أضع خطة الطبعة الخامسة عشرة من دائرة المعارف البريطانية، كان علي أن ابتكر جدولا موضوعيا لمقالاتها المرتبة أبجديا .. لم تعمل مثل هذا الجدول من قبل . ويوما بعد يوم كنت أصل الى حلول لا تفيد .

وذات يوم وانا مجهد ذهنيا ، دونت على الورق كل الاسباب التى منعت تنفيذ هذه المسألة ، وحاولت ان اقنع نفسي بأن ما بدا مستحيل الحل كان مستحيل الحل فعلا ، وان المشكل كان في المسألة نفسها وليس في • والا شعرت ببعض الارتياح ، جلست ثانية في مقعدى المريح واستغرقت في النوم ..

بعد ذلك بساعة أو نحوها ، استيقظت فجأة والحل واضح في ذهني كل الوضوح ! ..

وفي الاسابيع التالية ، تأكدت صحة الحل الذى استنتجه عقلي غير الواعي • تأكدت من كل خطوة • ورغم انني عملت كل جزء بجد كما فعلت أولا ، ان لم يكن أكثر منه ، فلم يصحب عملي اى تعب أو كلل على الاطلاق .. كان النجاح عندئذ مبهجا بالدرجة التى كان عليها الاخفاق مجلبة للاكتئاب • شعرت بالفرحة التى يسميها علماء النفس اليوم « غمرة الفرح » .. تقدم لك الحياة قليلا من المسرات أكثر انعاشا من التجارب الناجحة لمواهبنا ، انها تطلق الطاقات لتقوم بأعمال اضافية •

وأحيانا ، لا يكون الشرك في المشكلة نفسها ، وانما في الموقف الاجتماعي او نحوه •• ويلوح أن اناسا آخرين يمنعوننا النجاح بطريقة ما • ولكن ، كما كتب شيكسبير « الخطأ ، يا عزيزي بروتوس ، ليس في طالعنا ، وانما هو في نفوسنا » . لذا نلقى اللوم على غيرنا ولنبعد المسئولية عن صدود انفسنا ؟ فانجاز العمل بنجاح يعني أن تعمل كل ما يلزم – وهذا يتضمن ، تعاون الآخرين ..

وكثيرا جدا ما يكون الشرك الذى يقف في طريقنا شخصيا محضا • فلماذا نتعرض للامور البشرية التى تسبب شرود ذهننا تدع المشاكل الشخصية تتملكنا محدثة اخفاقا ناتجا عن التعب ، ليسد الطريق أمام قوة انتاجنا في كل مجال •

● رد فعل غير متوقع ●

تدهورت حال احدى صديقاتي بسبب مشكلة عائلية تركتها تمر •• كانت ابنتها تتزوج رجلا ظنت أن والدها لن يستحسنه • أخبرت الفتاة امها بذلك بعد أن اخذت عليها العهود والمواثيق بالا تبوح بشيء • فانهمك الأم انشغال بالها بتلك المشكلة ، وحملها عبء الم الكتمان وتسرب تعبها الى عملها ، فتحول نجاحاتها الى اخفاقات • ولم ينقذ الأم من انهيار خطير الا عندما تدخل بعض الناس واخبروا الوالد بالموضوع • غير ان الوالد لم يظهر اى رد فعل مضاد كان متوقعا !

يبدو من غير المعقول ان يسمح المرء لحياته بأن تتعقد بهذه الصورة • ولكن هكذا تتعقد المشاكل ان لم تحل وقت ظهورها !

لذا يجب ان تكون اول خطوة لنا هي أن نستخدم التعب غير المفسر ، الذى ليس له اساس بدني ، أن نستخدمه كأنه جهاز « رادار » انذار مبكر – ثم نقتفي أثر التعب الى مصدره لنعثر على الهزيمة التى نحن مستمرون لها ولا نعترف بها • وبعد ذلك نشخص سبب الاخفاق •

● يجب ازاحته بسرعة ●

سبق أن ذكرت مثالا لطريقة النفاذ الى لب المشكل ، فأولا ، دون جميع الاسباب التى جعلت المشكلة مستحيلة الحل ، ثم حاول ادخال نفسك فيها وعندئذ لا تجد منها فكاكا • بهذا فقط يمكنك الوصول الى لبها • وبعد أن تحاول حل العقد ، كف عن التفكير باستمرار في المشكلة لبعض الوقت • دع عقلك غير الواعي يعمل في حل العقد • ففي تسع مرات من عشر ، سيخرج بالحل •

أقبح خطأ تقع فيه هو أن ننظر الى التعب الذهني كما لو كان تعبا جسديا .. يمكننا التخلص من هذا الأخير بأن نهب أجسامنا شيئا من الراحة لبعض الوقت • ولكن التعب الذهني الناتج عن الاخفاق لا يمكن ازالته بالاستسلام اليه والخلود الى الراحة • فهذه تزيد الأمور تعقيدا • فمهما يكن نوع ما يسد الطريق امامنا فيجب ازاحته بسرعة قبل أن يغرقنا تعب الاخفاق •

ومن بيانه يجبل المخلوقات البشرية ان يحققوا النجاح وهذه الضرورة مبنية في ماضينا البيولوجي • فبغير محاولة تعريف النجاح يكفي ان نقول انه ينتمي الى العمل الفني المستمر ، والى تادية الاعمال وحل المشكلات بمجرد ان تظهر • انه ممارسة الوفرة والغبطة و « غمرة الفرح » التى تسير مع الممارسة غير المعوقة لقدرات المرء البشرية . إذن فالنجاح يعني الا نشعر أبدا بالتعب !

● عن مجلة : ريدرز دايجست ●

قصة

موعد

● للكتاب البولندى : كازيميرس اورلوس ●

● ترجمة : سعد رضوان ●

● وقفت عند الركن الذى كانت توجد به « الدكة » التى اعتدنا الجلوس عليها، والواقع ان الركن نفسه لم يتغير كثيرا ، نعم ان شجرة الكستناء التى اعتاد الاولاد القاء فروعها بالحجارة لاسقاط الثمار ، قد اختفت، كما ان السيارات قد اصبح موقفها الان فى الجهـة الاخرى من الطريق ، واصبح لسيـارات « الترولى » خط سير فى هذه المنطقة ، وهاهم الناس يسيرون الان فى اتجاه المبانى العالية التى حلت محل الحقول التى كانت بالناحية الاخرى من الشارع ، ولكن الركن لازال محتفظا بشكله كما هو ..

وجلست على قضيب حديدى اقيم على اعمدة منخفضة كسور لمنع المرور على الاعشاب التى اتخذت نزلها حقيبة أوراقى الصغيرة .. وبينما انا انظر الى يدى التى اسودت بسبب صدأ المسامير التى تربط القضيب الحديدى الى الاعمدة ، اخذت افكر :

ـ سانتظر ربع ساعة اخرى ثم ارحل ، فانا واثق بانها لن تحضر ! .

وجلست ساكنا لفترة ، غير مفكر فى شىء ، لقد كنت أشعر بالتعب عقب نهار عمل مشحون، ولم اكن قد تناولت عشائى بعد .. وسمعت صوت اقتراب احدهم فرفعت راسى ، ولكن ذلك كان مجرد تخيل منى . وفى المكان الذى كانت تشغله « الدكة » يوما ، اخذت الريح تهز أوراق الكرمة الحمراء فى لون الكرز الناضج خلال شهر يونيو .

وعدت افكر : « واذا حدث وحضرت .. لقد اقسمت لى وقتها بصورة جدية انها سـوف تحضر الى هذا المكان فى الخامس من شهر اكتوبر بعد عشر سنوات ، لم اردت ؟ « واذا لم احضر فلتعرف انى قد توفانى الله » ـ لـم ابتسمت . كانت دائما متهورة ، فلن يكون غريبا على فتاة مثلها أن تخدعنى وتأتى اليوم ».

ونظرت الى يدى ثانية ، والى معطفى الذى البسه منذ سنوات خمس ، ثم حذائى ، انه ايضا عتيق مرتق ، وجلده متقطع مخدش .. وحدقت فى حقيبتى الصغيرة ، ان قفلها مكسور ، وجلدها ليس جلدا فهى مصنوعة من البلاستيك السويدى الجامد

كانت فتاتى فى ذلك الوقت ذات قوام نحيف وشعر طويل مرفوع ومعقود على شكل كعكة .. وكنا قد جلسنا على « الدكة » التى كانت تختفى هنا تحت واحدة من التكعيبات التى تملأ هـذا الشارع الهادىء ، وقبلنا بعضنا ، بينما الاولاد فى لعبهم يقذفون ثمار الكستناء فى اعلى الشجرة

كان هذا مكاننا المفضل للقاء ..

وحاولت أن اذكر منظرها عندما حضرت الى هنا للمرة الاولى ، وهى عائدة للتو من المدرسة مرتدية زيها المدرسى الازرق وقد حلت ازرار جاكتتها ، وحملت حقيبة كتبها

●●●

واصابنى الذعر ، عندما راودتنى فكرة انها قد تحضر الآن وهى تقود سيارة .. سيارة مستوردة غالية الثمن ، وتخيلت اللحظة التى ستقف فيها تلك السيارة الى جوار الحاجز الذى أجلس عليه ، وتنزل منها ، وتغلق الباب بخفة ورشاقة وتنظر حواليها وتبتسم ، أو لعلها ستكتفى بالنظر من نافذة السيارة وتهز راسها محيية ! ..

ومرت سيارتان ، وفى كل مرة ، كنت اظن انها هى الجالسة الى عجلة القيادة ..

وشعرت بغرابة جلوسى هكذا على السور وانا بمعطف العمل والحذاء القديم ، وقد امسكت الان بحقيبة الاوراق الرخيصة ، بينما انا فى سيارة اجنبية الصنع دون أن يكون لدى ما اقوله او افعله .. ولكن ؟

ـ عبط ، وغباء زائد منى .. لحسن الحظ انها قد نسيت كل شىء !

ورفعت راسى .. كان المكان خاليا تماما ولا يوجد اثر لانسان سواء عن قرب او على المدى البعيد ، حتى عند الشارع الصغير المظلل باشجار الدردار التى تتساقط اوراقها بفعل الرياح .

ووصلت سيارة « ترولي » الى المحطة ونزل منها ناس كثيرون واتجهوا ناحية العمارات الكبيرة التى انشئت فى الحقول .

وحاولت أن أقنع نفسي : « انها ستأتي ولاشك ، انها لا تزال العاشرة وخمس دقائق ، وهى من عاداتها دائما أن تتأخر »

وفجأة أصابنى شك فى أن يكون اليوم ليس هو اليوم المحدد بيننا . ترى هل كان موعدنا منذ عام مضى ، وأنا نسيت واختلط الامر علي ؟ .
وأمجتني فكرة انى قد حضرت متأخرا عن موعدنا عاما كاملا .. ليس كل انسان يمكنه الحصول على مثل هذا الوعد .

كنت قد حضرت الوعد على أحد أعمدة الحاجز من الداخل بمطواتي .. لمت وازحت أوراق الكرمة وبحثت فى الأعمدة الحديدية فلم أجد غير رقائق الصدأ !.

وجلست على القضيب ثانية ، ولكن .. ربما حضرت هى الاخرى ، مرتدية معطفا رماديا طويلا مثل معطفى ، سافرة على رجليها ، أو نازلة من سيارة « الترولي » ، وبقدميها حذاء قديم ، وقد غطت رأسها بمنديل خرجت من جوانبه خيوط غير منتظمة من شعرها ، وعندها ستقول :

– أنا لا أستطيع الاستمرار فى هذه الحياة ، خبرني ، ماذا يمكنني أن أفعل ؟
ومرة اخرى حدقت فى بحق ..

●●●

وتذكرت آخر لقاء لنا هنا على « الدكة » التى رفعها بعضهم من المكان .

كان الاطفال كعادتهم يسقطون الثمار من الشجرة التى لم يعد لها وجود الآن ، وكنت فى تلك اللحظة قد أصابنى خجل شديد جعلنى لا أجسر على تقبيلها أو احتضانها . كنت فى هذا اليوم أحمل فى جيبى بطاقة تجنيدى وتصريح خروجى بالاجازة

وكانت هى قد نجحت فى امتحان النقل من السنة الاولى الى السنة الثانية بالكلية الجامعية التى التحقت بها .. ووقتها كانت امينة معى حين قالت لى انها لا تستطيع انتظارى . لاشك انها ، كما يحدث فى العادة ، قد وجدت لنفسها شابا آخر ، أحد زملائها على الارجح ..

وجلسنا بعدها ساعتين لفترة من الزمن ، وقد فصلت بيننا حقيبتها .. وباقتراب الظلام تناقص الاولاد ورحلوا حاملين الثمار التى أمكنهم الحصول عليها . وكانت قطرات من الندى تسقط من أوراق اشجار الدردار ، تماما كما يحدث الان .. ثم مر علينا الرجل الذى يتولى أنارة المصابيح القائمة بالطريق وهو راكب دراجته ، وكنت جالسا فى صمت ، وقد تملكنى شعور بعدم الراحة ..
والتقطت الفتاة حقيبتها التى كانت تفصل بين مجلسينا على « الدكة » ، واقتربت منى ، وأخذت تتكلم عن الوعد ، موعدنا للقاء هنا بعد عشر سنوات ، وقد انتابها الحماس ، وضحكت وهى تقول :

– سيبدو شكلانا مختلفين ، ربما أصبح لون شعرى رماديا !

●●●

واخرجت مرآة صغيرة من جيبى ، واخذت ادرس وجهى ، ولمست الانتفاخ الخفيف الموجود تحت عينى ؟ ثم مررت بكفى فوق جبهتى .

ومن جديد هاجمنى شعور التعب ، كما راودتنى مرة اخرى ، الرغبة فى القيام والذهاب دون أن انتظر اكثر مما فعلت ..

واقترب زوجان من اليمين ، لايمكن أن يزيد عمر ايهما على عشرين سنة ، تماما كما كان عمرنا وقتها ، وكان هو يلف ذراعه حول الفتاة ، وهى تمسك به كأنها تشعر بالبرد ، ولم يكونا يتكلمان بل سارا فى عالم آخر لا يشعران بما حولهما لم اختلفا عند الناصية



موعد

وتذكرت : « يا للغباء .. يا لشدة الغباء ، يا لسذاجتي ! . لا شك انها قد نسيت الموعد قبل مرور عام على وعدها لي به ، وهي الآن جالسة مع زوجها امام التليفزيون يتحدثان ، ويضحكان ، ويشربان الشاي .. لا معنى للانتظار هكذا !! »

***

ومت .. كانت مصابيح الشارع قد أوقدت ، واخذ الضوء يتألق بين فروع اشجار الدردار .. لقد اصبحت الساعة الخامسة والربع، ولا انسان في الطريق ، ولكن « سوف انتظر قليلا .. خمس دقائق اخرى ! »

وتملكتني رغبة لا تقاوم في ان اراها ، حتى لو حضرت في سيارة وعليها معطف من الفرو ، وكعب حذائها الرشيق يرن فـوق الارض في كل خطوة .. غريبة في شكلها كاجنبية ، بلوم شعرها برائحة خاصة ، وقد التصقت بعينيها رموش صناعية .. انني ارغب في مقابلتها هكذا ، لاعرفها بصراحة .. ان الامور لم تسر سيرا حسنا معي ، فلم احقق شيئا ، و .. سأقول لها :

ـ انظري الي .. ان معطفي وحذائي باليين قديمين ، وهاهي حقيبتي قد جف جلدها .. هذه هي الحياة ، ان الانسان لا يستطيع ان يفر من حظه !

واخرجت منديلي ، ومسحت انفي ، خمس دقائق اخرى ، لم اشي .. لتكن الدقائق الخمس الاخيرة ..

وجلست لحظة دون حراك ، وقد الفلتحفيني، وسمع شيء خفـيف فرفعت رأسي ، كانت ورقة شجر ساقطة استمرت في سقوطها حتى استقلت على الارض ، صفراء ، صفراء ، ذابلة ..

وحدقت في ساعتي ، عشرون دقيقة بعـد الخامسة ، والتقطت حقيبتي ، وقلت لنفسي :

ـ انت دائما عاطفي خائب !

وفي هذه اللحظة ، سمعت صـوت سيارة اقتربت لناحيتها ، كانت السيارة تتحرك ببطء في الشارع الخالي مارة تحت فروع الاشجار التي تنثت أوراقها ..

وتوقفت السيارة أمامي مباشرة في مواجهة الحاجز المغطى بفروع الكرمة الحمراء مثل كريز برتيو . وترددت ، فلم اعرف ، هل يحسن ان اذهب ام ابقى ، ولم يخرج احد من السيارة الزرقاء اللون على ما اظن . ومرت سيارة ترولي يدق جرسها ، ثم مر بعض الناس .

ووقفت مكاني اراقب السيارة ، غير قادر على ان احرك قدمي او امضي بعيدا : « انها في السيارة .. انها تراقبني ، وربما تضحك مني » ورفعت يدي متحسسا جبهتي . كنت اعرق وقد رطب جلدي ، واخيرا فتح باب السيارة، ووجدت نفسي جالسا على الحاجز دون ان ادري ، وفي هذه المرة لم القِ بحقيبتي فوق الاعشاب

وخرجت من السيارة فتاة صغيرة في حوالي الخامسة او السادسة من عمرها . كانت ترتدي سترة طويلة من الجلد بدون أكمام مطرزة بخيوط ملونة ، وتحتها تنورة قصيرة ، وجوارب ساطعة تلتف حول ساقيها النحيلتين .

وعبرت الفتاة الصغيرة منطقة الحشائش بخطوات ربيعية ووقفت أمامي . كانت لها عينان سوداوان واسعتان ، وسألت نفسي : « اين رأيت هذه الفتاة من قبل »

وراقبنا بعضنا بعضا لدقيقة ، ثم قالت الصغيرة :

ـ اسمح لي من فضلك ان اسألك .. هل انت « ستاسولد » ؟

ـ عجيب ! . انها تنطق اسمي كما كانوا يدللونني في المنزل وفي المدرسة وانا صغير .. وهززت رأسي موافقا .

واخذت الصغيرة نفسا عميقا ، ثم ترددت قليلا قبل ان تقول بسرعة :

ـ امي .. طلبت مني أن اخبرك الا تنتظرها لانها في المستشفى ، فقد انجبت اخا لي سنسميه « بيتر » !

ولم اقل شيئا ..

وبقيت بمجلسي اضغط حقيبتي بين ركبتي، وابتسمت بضعف .. ومن جديد اخذت البنت نفسا عميقا ، ثم قالت :

ـ وقد طلبت مني امي ان اقبلك !

واقتربت مني ، ثم لفت ذراعيها حول رقبتي، وشعرت بكفيها الرطبتين الدافئتين خلف رقبتي، ثم تبلتني في خدي .. واحسست بانني في خفة ورقة شجر تسقط على الارض . وقبل ان اتمكن من قول شيء ، او حتى اربت رأس الصبية ، كانت قد استدارت وابتعدت بخطواتها الخفيفة

ولمحت جانب وجه الرجـل الذي كان يقود السيارة وهي تدخل الشارع الفرعي ، لابد انه أبوها ..

ولمت .. كان النور ينعكس من العمائر على الحقول ، ومرت سيارة « ترولي » ، وتساقطت اوراق من الاشجار ..

واستدرت ، وسرت في الشارع الخالي دون ان اعرف لنفسي وجهة .. وفجأة ، امتلأت بشعور من المرح ، نفس شعور المرح الذي كان يصيبني وانا طفل العب في فريق « الهوكي » .. واحسست برغبة في ان ارفع صوتي عاليا ، سواء بالسباب او بالغناء .. وقفزت الى اعلى ، والتقطت ملء يدي اوراقا من غصن شجرة منخفض ، وبدأت اسرع السير ، وانا اصفر نغما متداولا، واستمع الى صرير حذائي

وكان الشارع امامي خاليا ..

وجه القمر

● د. عزت شندي موسى ●

تعالَى بعيداً عن الأعين
نغني على نغم الأرغُن !

نمر إلى شاديات الغصون
ونأى خفيفاً .. عن المسكن

تعالَى لنكشف سر الجمال
ومعنى الدلال .. من السوسن

ونشفي القلوب بسحر الربيع
وما نمقته يدُ المحسنِ !

تعالى لكي تمسحي غمتي
إذا السوء في الناس قدمسّني

وخفّي إليّ فاني أكابد
بينَ الضلوع هوى شفّني

***

تعالى لأنضوَ ثوبَ الضجَر
وأنى بقربك صرف القدَر

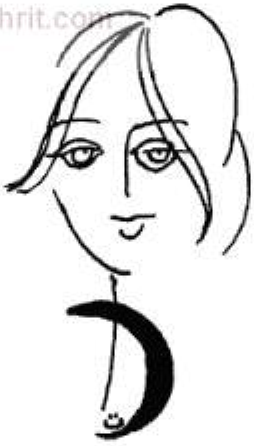
تعالى نشم عبير الورود
شذيًا كريح شذاك العطر

تعالى لنخطر حول الغدير
ونسعى إلى جاريات النهر

وأرقب شعرك حينَ يموج
إذا ما تهادى نسيم السحر

والحظ وجهك حينَ يضيء
إذا شعّ حولك ضوء القمر

.. رفيقة عمري: تعالى بقربي
فقربك منّي .. يطيل العمر!



اللغة الثالثة

جسر بين الفصحى والعامية

● لا تزال تطفو على سطح المساجلات الفكرية والادبية بين الحين والحين مناقشات ومعارك حول مابين الفصحى والعامية ... في هذا الموضوع تبرز «اللغة الثالثة» المشهورة في محاورات استاذنا توفيق الحكيم .. ما هي في رأيك مواصفات هذه «اللغة الثالثة» ؟ ..

● هل تؤيدها .. وهل ترى انها تحسم الخلاف فيما يثار حول الفصحى والعامية ؟

اعداد : موريس عزيز

إنقضى زمن المتحذلقين بالغموض والإغراب..

د. إبراهيم بيومي مدكور

● لقد عرض المجمع لهذا الموضوع في محاضرة عامة بالجمعية الجغرافية من محاضرات مؤتمره الاخير ، وقد وفاه الزميل الدكتور شوقي ضيف حقه ، والي حوله ما اثير من ملاحظة وتعليق

واعمال هذا المؤتمر في طريقها الى النشر .

● وانا لا ارحب بهذه التسمية لانا نشكو من الثنائية اللغوية منذ فجر هذا القرن ، ونسعى جاهدين الى التخلص منها – وهدفنا جميعا هو التقريب بين الفصحى والعامية ، فنيسر الفصحى بحيث يسهل على العامة ان يأخذوا بها ويستعملوها . بعثت الغريب وغير المألوف ، والحرص على استعمال الالفاظ السهلة السائغة التي يتداولها الناس ، واصبحنا نؤمن باننا لا نكتب ولا نتكلم لانفسنا ، بل نتجه الى القارئين والسامعين ، ونريد لهم ان يفهموا ما نقول من اقصر طريق .

وانقضى الزمن الذى كان يباهى فيه بعض المتحذلقين من الكتاب المتحدثين بالغموض والابهام ، والشذوذ والاغراب ، وكانما يقدمون لقارئيهم وسامعيهم احاجى والغازا يطالبونهم بحلها ، أو كانهم يريدون بهم ان يتسلحوا دائما « بمعجم الجيب » لتوضيح الغريب والغامض ، وحياة اليوم لا تتسع لشيء من ذلك بحال

ليس فى وسع أحد أن يرغم كاتباً على اختيار أسلوبه ...

فتحى رضوان

والذى لا شك فيه هو انا نعيش الآن فى جو فصحى حديثة معاصرة تختلف عن الفصحى القديمة ، وتنفر من غامضها وغريبها .. انها فصحى تلائم العصر ، وتعبر عن روحه واساليبه ، وتنبعث من ظروفه ومتطلباته ، ويلتقى عندها العامة والخاصة ، وفى ميدان اللغة والفهم والتفاهم لم يبق محل لتفرقة بين عامة وخاصة .

● .. والعامية بدورها هذبت الفاظها ، ورقت حواشيها ، وغذت من الفصحى بغذاء متصل . اخذت منها مفردات وتراكيب ، وكشفت عما فيها من أصول عربية قديمة وسمت بسمو التعليم والثقافة ، وفى مواقف عديدة لا تحس بفارق بينها وبين الفصحى الا النطق والاعراب .

وعامية اليوم تختلف هى الأخرى عن عامية الأمس ، تقترب باطراد من الفصحى بقدرما تبعد عن تلك الرطانات واللهجات القديمة ، اصبحت ترى اناسا لا تختلف لغة حديثهم عما يكتبون ويقراون . وقد اسهم انتشار التعليم ووسائل الاعلام من اذاعة وصحافة فى ذلك اسهاما ملحوظا ، ونحن سائرون فى الطريق ، وكل من سار على الدرب وصل .

● واعتقد انقضية العامية والاخذ بها أصبحت فى خبر كان ، وقربها من الفصحى يقضى عليها قضاء تاما ، ونحن موحدون لا نقبل الا لغة وطنية واحدة ، وهى الفصحى السهلة السائغة .. ولا تثيروا قضية الاعراب لانها قضية قديمة ، ولا تحول مطلقا دون الوحدة ...

واذكر جملة مشهورة لاحد خلفاء بنى امية ، وهى : « شيبنى اللحن وارتقاء المنابر » . ولا تنكروا شيئا من الثنائية بين لغة الخطاب ولغة الكتابة ، وتلك ظاهرة مألوفة لدى ارقى الشعوب وفى اعظم اللغات الحية .

انا لا اسلم بوجود « لغة ثالثة » ، وانما اعتبر كل اسلوب من اساليب التعبير سواء كانت فصحى خالصة او عامية خالصة او مزيجا بين العامية والفصحى هى لغة عند صاحبها يرتاح بالتعبير بها ولا يستطيع ان يصور ما يساوره من افكار وما يضطرب فى نفسه من انفعالات الا بها ..

وليس فى وسع اى سلطة ادبية سواء كانت مجمعا للغة او مجلسا اعلى للآداب والفنون او وزارة تعليم ، او شخصية من الشخصيات ذات التأثير بفضل ما انتجت من ادب وفكر وما قدمت من آثار احبها واعجب بها - ليس فى وسع احد من هؤلاء ان يرغم كاتبا من هؤلاء ان يختار لنفسه اسلوبا من اساليب الكتابة ، فالكاتب يتصل مباشرة بالجمهور ، وقد يقبله الجمهور فى عهد او فى عصر ، وقد ينصرف عنه فى عصر آخر ، والعكس صحيح .. .

وما ينشأ بين الكاتب وجمهوره من صلة هو الذى يحدد مدى اثر الكاتب لا على رواج اسلوبه ونجاح اثاره فحسب بل على غيره من الكتاب ورجال العلم . قد يتأثر جيل الشباب الذى يأتى بعده وسط صيحات الاستنكار والنقد اللاذع من كبار الكتاب الذين يعاصرونه ولا يقرون اسلوبه ، فاللغة نتاج اجتماعى لا يولد ولا يموت بقرار من احد ....

لا وجود للعامية في الأدب المكتوب

ثروت أباظة

والطريف ان مستشرقا المانيا هو « فولدوس » ، قدم بحثا لمؤتمر المستشرقين في الجزائر عام ١٩٠٥ عن القرآن قال فيه انه أول كتاب بالعامية، ولقد اغضب بطبيعة الحال هذا القول الجرىء جميع علماء العربية المجتمعين في هذا المؤتمر .

وقد تصدى له الشيخ عبد العزيز جاويش فكان احد اعضاء هذا المؤتمر، وفند رأيه واثبت بطلانه . وهذا يرينا ان الحوادث بين اساليب الاداء باللغة (اى لغة) متداخلة ومتفاعلة، وسيبقى ماهو في راى العلماء الطبقة الكلاسيكية والطبقة الشعبية وما بين ذلك . اردنا او لم نرد . سيوجد من يتذوق الشعر الجاهلي ويتمنى أن يعود ، ومن يعجب بالشعر العباسي ويعتبره قمة الشعر العربي ، وبين هؤلاء وهؤلاء سيوجد دعاة الشعر الحديث وستبقى كلها مدارس متجاورة ومتعايشة ....

● وكما ذكرت فانني لا أستطيع ان اليم من نفسي سلطة أدبية تمنع الكاتب ان يستعمل اللغة التي تروقه لان هناك سلطة القراء وهي الاكبر .

● ـ انا التمس لهؤلاء العذر ، وانا عن نفسي قد اكون متحازا لاني وضعت مسرحية من ثلاثة فصول وهي (شقة للايجار) باللغة العامية ، وذلك لان بعض الاعمال الادبية يحس صاحبها انها تكون اكثر صدقا وابلغ اداء اذا كتبها بالعامية ، ولكن هذه العامية لاتستطيع أن تنافس اللغة الفصحى ولا ان تزيحها من مكانها ، ولا ان تنقص من قدرها . فامهات الكتب والبحوث الكبيرة والدراسات الفنية والقانونية ومذكراتها الشارحة والمرافعات امام المحاكم ـ كلها ستبقى بالفصحى ولن يحترمها احد اذا اصطنعت العامية .

● انما يكون الصراع بين ندين متكافئين ولو احصيت ماكتب في الادب باللغة العامية لما استطعت ان تكمل عدد الاصابع الواحدة ، كتبها في محاولات فاشلة خصوم العربية والقرآن واللغة التي تجمع العرب ، وهي الجامع الوحيد لهم ، لان الدين يختلف في كثير من البلاد في داخلها وكثير من البلدان يختلف بعضها عن بعض ،ولكن لايزالون عربا ، فليس هناك خلاف ولا صراع ولا وجود للعامية في الادب المكتوب ..

● اما « اللغة الثالثة» التي تشير اليها فهي لغة عربية سهلة نستعملها جميعا في الحوار القصصي كما استعملها استاذنا الحكيم وغيره في الادب المسرحي العربي .

فالعامية في ذاتها ليست لغة انما هي لهجة تختلف من قرية الى قرية ، ولا أقول من اقليم الى اقليم ، وغني عن القول ان نتكلم عن اختلاف اللهجات من دولة الى دولة .

وانه ليس هناك لغة عامية بل لهجات عامية فشلت كل الفشل في ان تنشىء نوعا من الادب . ولعل اقرب مثال لذلك ما كتبه الطيب صالح في روايتيه بعد « موسم الهجرة الى الشمال » واللتين لم يتمكن عربي من قراءتهما الا في لغة أجنبية ، فقد ترجمتا الى الانجليزية ، والذي ترجمهما هو الطيب صالح نفسه مع ديفيد جونس .

ومعنى ذلك انه كان يترجم رواياته الى العربية لينقلها مستشرق الى الانجليزية ..

● اما ان « اللغة الثالثة » تحل المشكلة فانا ارفض وجود المشكلة ، وانا اتحدى ان يقرأ متعلم للهجاء سطرين باللغة العامية ان كتبا في جريدة لان الذين يتعلمون القراءة والكتابة انما يتعلمونها بالعربية ، اما ان اللغة الثالثة صالحة فهي من اصلح اللغات اذا كتبت في حوار قصصي او في رواية حديثة ولكنها لا تصلح لرواية تاريخية ، ومن المؤكد انها لا تصلح باى حال من الاحوال للسرد الادبي ، فالسرد الادبي جمال للفظ وموسيقى وتعبير في اجمل اشكال التعبير ، والا فلا ادب هناك .

وكل هذا انما ينصرف الى الادب المقروء فاذا تكلمنا عن الادب المشاهد والمسموع فالامر يختلف ، وله تفصيل آخر تحكمه القواعد الفنية والاجتماعية والادبية .

نحن والشمس

● محمد الحديدى ●

● علاقتنا بالكون الذى حولنا ليست علاقه ظاهريه او خارجية كل ما يدور داخل اجسادنا ، وكذلك افكارنا وعواطفنا . كيمياء حياتنا كلها ، هى نتاج تأثيرات الشمس والقمر والكواكب والاجرام السماوية .. ولو كنا نشأنا فى بيئة فضائية اخرى ، ولو ان هناك غيرنا يعيشون فى بيئة اخرى (وهناك احتمال كبير لذلك) ـ ولو اننا تمكنا يوما من ان « نهاجر » الى منطقة اخرى من الفضاء فاننا سنكون ايضا نتاج هذه البيئة الجديدة ، متأثرين بشموسها واقمارها ، واذا كان التطور قد ادى فعله فى فصائل كائنات الأرض كما نعرف ، فان فعله فى حالة كهذه سيكون اكثر اثرا واعظم وضوحا .

ماذا وراء الغلاف الجوى ، ومدار القمر ، حتى الشمس ..

فراغ . فراغ فى فراغ ؟ ابدا ، فهذا الفراغ ملء بالقوى والتأثيرات التى تنعكس علينا فى كل ثانية من حياتنا . وقد كشفت بحوث الفضاء عن اشياء كثيرة تقطع بأن « الفراغ » ليس «فارغا» وان « الفضاء » ليس على هذا القدر من الفضاء .. أعظم هذه القوى ، اكبرها اثرا يأتى من هذا النجم القريب منا . وهو الشمس .

● كتلة من المادة المبهرة ●

ليست الشمس سوى نجم من نجوم السماء ، تماما كالنجوم الكثيرة التى نراها فى الليل ، الا انه ليس من بينها ما هو قريب منا الى درجة تجعل الليل يصبح نهارا كما تفعل الشمس . ومن ناحيه أخرى فالشمس قريبة منا الى حد اننا متى واجهناها فانها تخفى كل ما وراءها من نجوم بعيدة .

والشمس نجم صغير جدا ، من اقل نجوم السماء شأنا ، ولكنها لا تزال كتلة هائلة من المادة المبهرة ، حجمها حوالى مليون مرة قدر حجم الارض ، وهى فى حالة توهج دائم ـ الى ان يشاء لها الله ان ينتهى عمرها كما انتهى عمر الكثير من قبلها ، ويقدر ذلك بخمسمائة مليون سنة من الآن .

ولك ان تقرا قصة « ه . ج . ويلز » « آلة الزمن » لتستمتع بتصور للعالم الأرضى عندما يحدث هذا : ـ فى كل ثانية ، يحدث انفجار هائل من نوع القنبلة الايدروجينية تتحطم فيه اربعة ملايين طن من الايدروجين فى تحول ذرى فظيع ..

يحدث هذا قريبا من مركز الكرة اللهبية الهائلة حيث تصل درجة الحرارة الى ١٣ مليون درجة مئوية ، تنتج عن ذلك ينابيع من اللهب تمتد بعيدا فى اعماق الفضاء المحيط بالشمس ، والى الكواكب المحيطة بها او التابعة لها ومنها الأرض يستمر هذا الجحيم المستعر وتتحطم اثناءه ذرات مادة الشمس وتتحول الى الكترونات وبروتونات تتطاير بسرعة

● الشمس نجم صغير جداً ، من أقل نجوم السماء شأناً ، ولكنها ماتزال كتلة هائلة من المادة المبهرة حجمها حوالي مليون مرة قدر حجم الأرض ، وهي في حالة توهج دائم - إلى أن يشاء لها الله أن ينتهي عمرها كما انتهى عمر الكثير من قبلها ، ويقدر ذلك بخمسمائة مليون سنة من الآن .

عظيمة على هيئة زوابع شمسية تنهال على الجميع ، بما في ذلك الأرض التي يتأثر جوها بهذه الضجة المتواصلة ٠ تتناثر على وجه الشمس بقع تشبه حب الشباب ، وهي مناطق تتزايد فيها أعمال العنف بصفة خاصة بين آن وآخر ، حجم كل بقعة يصل تقريبا الى حجم الأرض ، وعندما تتكاثر تصحبها أيضا زوابع مغناطيسية ٠٠

عندما تحدث هذه الزوابع فانها تؤثر على الاستقبال الاذاعي والتليفزيوني ، ولكنها أيضا تؤدي الى حدوث الأعاصير فوق المحيطات وردود فعلها على اليابسة. ومن تأثيرات القمر انه كثيرا ما يتلقى الزوابع الشمسية بظهره مؤديا الى ان تنحرف وترتطم بالأرض بزاوية مائلة ، أو ربما يزداد انحرافها فلا تلمس الأرض وتخطئها تماما ، وهو ما كشف عنه القمر صناعي سنة ١٩٦٤ ٠

وقد كان يمكن ان تستخدم البقع الشمسية في التنبؤ بأحوال الطقس لولا انه وجد انها تتغير من يوم ليوم دون نظام يمكن استنباطه ، ولكن لاتزال هنا « دورات » يمكن ملاحظتها ٠

وفي سنة ١٨٠١ اكتشف عالم انجليزي هو « سير جون هيرشل » ان بقع الشمس لها دورة تمتد على مدى أحد عشر عاما ٠ وقد وجد بعد ذلك ان لها علاقة بسمك حلقات النمو في الأشجار ومنسوب الماء في بحيرة فيكتوريا ، وعدد الجبال الثلجية التي تتكون في المناطق المتجمدة ، ومعدل حدوث حالات القحط والمجاعة في القارة الهندية ، وغير ذلك من ظواهر الحياة على كوكب الارض ٠

يبدو أن كل هذه الظواهر تتأثر بالطقس والطقس يتأثر بالبقع ، ويقول العلماء ان هذه الدورة ذات الاحد عشر عاما ترجع الى مئات الملايين من السنين ، وهو ما يدل عليه الفحص الميكروسكوبي لطبقات الترسبات الطينية في أعماق البحيرات القديمة ٠

كما يقول البعض بوجود دورات للبقع الشمسية تمتد الواحدة منها من ٨٠ ـ ٩٠ سنة ، تشتمل على الدورات الصغيرة ، وهكذا فاننا نخطىء عندما نقيس الأمور بمقاييس حياتنا كبشر ، وما يخيل الينا انه حدث هائل يمتد على فترات كبيرة من الزمن قد لا يزيد ـ بمقاييس الكون ـ على ان يكون ذبذبة سريعة أو لحظة خاطفة ٠٠

وقد وجد ان دورات التغير لها علاقة بالزلازل التي تقع في شيلي بامريكا الجنوبية وغيرها من مناطق الزلازل ٠

وهكذا فان أثر الشمس على حياتنا وتكويننا العضوي والذهني لا يقتصر على الامداد بالضوء والحرارة ، فالزوابع المغناطيسية تؤثر على الطقس والطقس يؤثر في كل شيء وكل كائن ٠

ولكن هناك عاملا آخر يجعل للقوى الكونية تأثيرا مباشرا على كل شيء حي. كما يقول الكتاب الكريم ، وهو خواص « الماء » وتأثيراته بالشمس ، وان كان العلماء والمفكرون يطرقونه بشيء من الحرص ، لانها مسألة يكتنفها الغموض المشوب بالشك ، فيما يبدو ، ولكن ٠٠ لا بأس من التأمل فيها على أية حال ٠

نحن والشمس

● « وجعلنا من الماء كل شيء حي » ●

نحن نعرف أن المادة تتكون من ذرات ولكن الذره كائن لا يوجد منفصلا الا فى التفاعلات الكيمائية والذرية ، ولو اخذنا غازا مثل الكلور مثلا ، فان حالته الغازية لا تعني انه « ذرات » متطايرة بالمعنى العلمي لكلمة الذرة ، فالذرات تتحد ليتكون منها « الجزيء » سواء كانت المادة عنصرا خالصا كالكلور ، أو مركبا من أكثر من عنصر كما فى غاز ثاني اكسيد الكربون الذى يوجد فى المياه الغازية مثلا ..

الجزيء هو اصغر جزء من المادة يمكن ان يوجد فى حياتها الفيزيائية وفى المركب الكيمائى - اى المادة التى تتكون من اتحاد أكثر من عنصر (وهناك اثنان وتسعون عنصرا) تتحد الذرات بأن تشترك فى عدد من الكتروناتها لتصبح هناك الكترونات مشتركة . اما التماسك بين الجزيئات والذى يجعل هناك قطعة متماسكة من المادة الصلبة أو قدرا من سائل فى إناء أو كمية من الغاز فى حيز مقفل (كالهواء داخل كرة القدم) فان هذا يحدث نتيجة وجود صلة بين الجزيئات نفسها ، هذه الصلة تتخذ اشكالا اتحادية أو ترابطية عديدة تختلف باختلاف المادة وطبيعة العناصر المشتركة فى تكوينها وعلى كونها فى حالة سيولة او صلابة او على هيئة غاز .

يتكون جزيء الماء من ذرتين من الايدروجين وذرة واحدة من الاكسجين كما هو معروف ،ولكن العجيب فى الامر هو أن ذرة الاكسجين تشتمل على «الكترون» واحد، ولذا فانها لاتستطيع أن تشترك فيه الا مع ذرة واحدة أخرى، وهى الذرة التى تمتد معها هى وزميلتها الاخرى فى الجزيء الذى يتكون من ثلاثتها ، اما الصلة بين الجزيئات فهى تتكون من الارتباط الهش الذى يحدث بين ذرة الأيدروجين وذرة الاكسيجين فى جزيء آخر ، وهو ما يسمى « الاصرة الايدروجينية » - (مفرد أواصر) ، وهو ارتباط ضعيف لايزيد على عشرة فى المائة مما يحدث فى المواد الاخرى .

ولذا فلكى توجد مادة الماء يجب أن يتوفر عدد كبير من هذه « الأواصر الايدروجينية » لتتماسك جزيئاته ، وهكذا فان الماء فى حالة السيولة ملىء بالترابطات الدقيقة المتداخلة التى تجعل منه سلسلة متشابكة ادت بواحد من الباحثين الى القول بأن كوبا من الماء يمكن اعتباره جزيئا واحدا ! .. والثلج اكثر ترابطا بالطبع وهو يكون تركيبا ايدروجينيا لا مثيل له فى الترابط ، ويتمثل ذلك فى تكوينه البللورى الدقيق الذى يبدو ان الماء عندما يصبح سائلا يعز عليه ان يتخلى عن هذا النظام البديع ، وتظل جزيئاته تتراكب على هيئة هى فى الواقع تكوين البللورات الثلجية ويظل هذا يتجمع ويتفكك بسرعة عظمى حتى ولو كان الماء ساخنا وهكذا فان من الظواهر العجيبة فى هذا الكون ان الماء يوجد فى حالاته الثلاثة فى وقت واحد ويتضمن الاناء بللورات للثلجية وماء سائلا وبخارا فى آن واحد! ... ملايين المرات فى الثانية الواحدة يتم فيها هذا التراكب وينفصل ويحدث هذا فى المحيطات كما يحدث فى اجسامنا التى يكون الماء ٦٥٪ من وزنها ..

الماء اذن عنصر على درجة عالية من المرونة ، ويتميز بظاهرة أخرى تثير العجب ، كل الأجسام تتمدد بالحرارة ، وبالعكس تتقلص بالبرودة ، وهكذا فانت تاتى بزجاجة ماء وتضعها فى « الفريزر » لعلها تسعفك بجرعة ماء باردة فى عز الحر ، حسنا ، سيبرد الماء داخل الزجاجة وينقص حجمه الى ان يصل الى درجة ٤ م ، وعندئذ يحدث العجب ، ويبدا فى التمدد ، الى ان يبدأ فى التجمد عند درجة الصفر ، ثم تزداد



حرارته انخفاضا ويزداد تمددا ، واذا لم تتذكر زجاجتك في هذه اللحظة فستذهب احلامك مع الريح لان الثلج سيتمدد وهو في حالة الصلابة وتنفجر الزجاجة ... هذا هو ما يجعل الثلج اخف من الماء وكان المفروض ان تكون المادة الصلبة أثقل مما تكون عليه وهي سائلة ، ولكن لو أن هذا كان هو الحل لتجمدت البحار والانهار في قاعها واستحالت الحياة فيها اذا وقع هذا ..

والماء ايضا يمكن ان يكون حمضيا او قاعديا ، وتحت ظروف معينة قد يتفاعل مع نفسه ! بالاختصار ، هذه المادة السائلة (والتي قد لا تظل كذلك اذا استمر الحال في مرفق المياه عندنا على ما هو عليه !) تبدو بسيطة وسهلة وشفافة وضرورية ولذيذة ، ولكنها من أكثر ما خلق الله الغازا وأسرارا ، سبحان علام الغيوب ..

كان لابد من « وسط » كهذا تحدث فيه التفاعلات البيولوجية، مادة يضعف الترابط بين ذراتها بحيث ينهار تحت اضعف الإثارات وبدون ان يتطلب ذلك قدرا كبيرا من الطاقة ، فهي « وسط » لا مثيل له ، والواقع ان كل التفاعلات والاجراءات المتعلقة بالحياة وعملياتها يتم في الماء ، ولذلك فهو المكون الاعظم للاجسام الحية . والتأثيرات الكونية على الماء تمارس عليه سواء كان خارج هذه الاجسام أو داخلها .

وقد اجرى عالم ايطالي تجارب عديدة على تفاعلات كيمائية لا تتخذ دائما مسارا ثابتا أو تعطي نفس النتائج ، ومنها الازالة الكيمائية للترسبات داخل المراجل البخارية ، ووجد أن هذه التفاعلات تصبح ثابتة ومتسقة لو أنها تمت في حماية درع نحاسية تبعدها عن تدخل الاشعاعات الشمسية .

وهكذا فالتفاعلات الكيمائية التي تحدث في الماء تتأثر بالانشطة الكونية ، ويدل ذلك على انه اما الماء واما المادة الكيميائية ، أو كلاهما ، تتأثر بالاشعاع الكهرمغناطيسي ، وكل الادلة تشير الى أن الماء هو موضع التأثر .

وقد ثبت تأثر الماء بهذا الاشعاع في ابحاث عديدة ، ويقول العالم الايطالي بيكاردي : « الماء مادة حساسة لتأثيرات دقيقة جدا ، ولديها القدرة لان تتوالق مع الاحوال المتغايرة بقدر لا يتوافر في أي مادة اخرى ؛ ولعله عن طريق الماء نرى أن القوى الكونية تحدث أثرها في الكائنات الحية » .

وقد وضح أن « عدم الثبات » الذي يتميز به الماء يبلغ أقصاه فيما بين درجتي ٣٥ ، ٤٠ مئوية وهي درجة حرارة أكثر الأحياء اهمية .

● الناس والشمس ●

« بقع في الشمس » ؛ درج العلماء منذ قرون على أن يعزوا كل كارثة

نحن والشمس

تقع على الارض ، لهذه البقع الشمسية . فهل هذا صحيح ؟ قبل ان نبدأ الاجابة ، او على الاصح — المحاولة البريئة لهذه الاجابة ، ربما يحسن بنا ان نتوقف قليلا عند غرام بنى الانسان بايجاد العلاقة السببية بين الاشياء من مجرد كونها تحدث فى آن واحد ، بل ان من بين اصحاب النظريات فيما فوق الطبيعة من يقول بان الاطار الزمنى هو العلاقة الوحيدة بين الاحداث ، ليس هناك سبب ونتيجة ، هناك لحظات تضم احداثا مقدرا لها ان تقع فى وقت واحد ، فانت اذا امسكت عود ثقاب واشعلت به الموقد ، فان اشتعال الموقد ليس نتيجة لاقتراب لهب الثقاب من الغاز القابل للاشتعال ، بل ان العلاقة بين الحدثين لا تعدو انهما من ضمن قائمة طويلة من الاحداث المقدر لها ان تقع فى هذه اللحظة . مثل هؤلاء لا يوجدون علاقة سببية ولا يعترفون بها ، انهم يوجدون علاقة قدرية فقط ، لا يمكننا ان نؤمن بهذا اذا اردنا ان نكون علميين او عمليين ، فنحن فى حاجة الى علاقات اكثر وضوحا واكثر ثباتا اذا اردنا ان نصبح قادرين على عمل شيء .

على النقيض الآخر من هم على استعداد لان يقولوا ان هذا نتج عن ذلك لمجرد ان حدثا منهما جاء فى اثر الآخر ، فالناس يحسدون كل يوم ، مهما كان حظهم من هذه الحياة ، ولكن عندما ينزلق احدهم ويسقط على السلم فان هذا لابد ان يكون نتيجة لان احدهم « نشه عين » ، اما الذين لم يحدث لهم شيء برغم انهم محسودون وهم الاغلبية ، فهم حالات ليست مسجلة ولا تستحق الالتفات ..

والذين يفكرون بهذه الطريقة يبحثون عن اوهى علاقة ليجعلوا منها قضية ، فاذا حلمت ان يديك مليئتان بالذهب وحدث بعد ذلك ان اتاك رزق ما من حيث لاتدرى فهذا تفسير الحلم ، اما اذا داهمتك كارثة مالية لم تحسب لها حسابا فهذا ايضا تفسير الحلم ذاته ، فبعض الناس تفسر احلامهم بالعكس ، وهكذا يتساوى الشيء ونقيضه فى سبيل اثبات نظرية نعدها ثابتة اصلا .. وهذا وذاك ، انكار العلاقة السببية ليحل محلها سياق زمنى محتوم ، وايجاد العلاقة المباشرة دون اى منطق يفهم ، وجهان لعملة واحدة . هى الايمان مسبقا بامور ليس عليها ادنى دليل ...

وليس ضروريا ان يكون العلماء استثناء من هذه القاعدة التى يبدو انها جزء من التكوين الاساسى للانسان وتدهش لو تأملت احوال العلماء والفلاسفة ، والكبار منهم ، الذين يتركون انفسهم ينساقون وراء الخرافة ! وقد كان ارسطو — وهو من دعاة المنهج العلمى فى ايامه — يعتقد ان عدد اسنان الرجل يزيد على عدد اسنان المرأة (بافتراض عدم الخلع) ، ولم يخطر بباله طيلة حياته ان يطلب من زوجته على الاقل ان تفتح فمها ليعد اسنانها ، وقد تزوج مرتين ، بحيث كان يمكنه اجراء هذه التجربة مرتين على الاقل !

بهذا الاسلوب فى التفكير قيل ان وباء الطاعون الذى حل بانجلترا سنة ١٦٦٥ كان نتيجة لظهور بقع فى الشمس ونشاط واضح فيها ، ومن قبله وباء سنة ١٣٤٨ الفظيع ، ولعله لم تكن هناك بقع فى الفترات التى وقع فيها حريق شيكاغو وزلزال سان فرانسسكو ، ولذا فانها تلحق بالاحلام التى لا يمكن تفسيرها .. لابد من اغفالها اذا اعيتنا الحيل .

وهناك باحث روسى اسمه

• ان نتائج عد كرات الدم البيضاء وغيرها من مكونات الدم، تختلف مع تطور البقع الشمسية، ويبدو أن غير ذلك من وظائف الجسم الحيوية يتأثر أيضا بما يحدث في الشمس، ومنها وظائف الجهاز العصبي الذي يعتمد اعتمادا شبه تام على الحث الكهربي.

« تشيجفسكي » (بتعطيش الجيم كما هو مفروض على اية حال) يرى ان اوبئة الطاعون الكبرى ، ومعها اوبئة الدفتريا والكوليرا التي اجتاحت اوروبا ، والتيفوس في روسيا والجدري في شيكاغو ، كل هذه حدثت في قمة دورة السنوات الاحدى عشرة ، وذلك لانه قضى سنوات يبحث عن مثل هذه العلاقات ، منها عدة سنوات قضاها في سيبيريا عقابا له على زعمه بأن التغيرات الاجتماعية هي ايضا نتيجة للبقع الشمسية وليس المادية الجدلية . ويستدل على ذلك بوجود حكومات ليبرالية في انجلترا فيما بين سنتي ١٨٣٠ و ١٩٣٠ وذلك اثناء « قمم » دورات البقع ، بينما حكم المحافظون في السنوات الهادئة. ولسنا ندري لماذا لا تؤثر بقع الشمس على دول تلبستها الدكتاتورية ولساد الحكم سنوات بعد سنوات مع انها تعيش تحت سماء صافية ومنها للبقع مباشرة. لعل البقع التي تلوث الارض اعظم اثرا من تلك التي تظهر في الفضاء .

الاكثر معقولية من هذا ، هو الاثر الفسيولوجي لهذه الاحوال الجوية .. هناك عالم فسيولوجي ياباني اسمه « ماكي تاكاتا » وهو صاحب «تفاعل تاكاتا » وهي طريقة لاكتشاف نسبة الزلال في الدم ، وجد ان نسبة الزلال في الدم تتغير مع تزايد نشاط البقع ، وذلك مع اختلاف اماكن التجارب وتنوع المستشفيات التي اجريت فيها، كما اجرى تجارب اثناء الكسوف الشمسي في سنوات ١٩٤١ ، ١٩٤٣، ١٩٤٨ ووجد انها تمنع اتمام التفاعل الذي ابتدعه كما يمتنع في اعماق المناجم ، بعيدا عن الشمس ، بينما تصبح النتائج اكثر وضوحا فوق قمم الجبال وفي الطائرات . كما ظهر ان نتائج عد كرات الدم البيضاء وغيرها من مكونات الدم ، تختلف مع تطور البقع الشمسية ، ويبدو ان غير ذلك من وظائف الجسم الحيوية يتأثر ايضا بما يحدث في الشمس ، ومنها وظائف الجهاز العصبي ، الذي يعتمد اعتمادا شبه تام على الحث الكهربي ، وبالتالي يتأثر بتغيرات المجال الكهرمغناطيسي في الجو المحيط به .

وقد اظهرت احصائيات اجريت في روسيا والمانيا ان حوادث السيارات تصل الى اربعة امثال المتوسط في اوقات النشاط الشمسي كما تتزايد حالات الدخول الى مستشفيات العلاج النفسي .

فهل هذا هو كل شيء ؟

هناك الكواكب وبقية اجرام السماء.

ماليزيا

بلد صغير اسلامي باسل جميل يشق طريقه إلى المستقبل بقدم ثابتة وإيمان عميق

ماليزيا من اصغر البلاد الاسلامية مساحة واغناها في الموارد ، انها بلد اسلامي صغير ميسور الحال في جنوب شرقي آسيا الحافل بالقلاقل والحروب والاخطار .. انها بلد يشق طريقه في شجاعة وايمان . ويسابق العصر وينهض بنفسه رغم المصاعب والاخطار ، وهو لهذا جدير منا بالتحية والاعجاب ..



تعتبر ماليزيا من أغنى بلاد العالم بالمطاط ، ففيها غابات من أشجار هذه المادة الغالية الداخلة في كل صناعة . وفي الصورة ترى عاملا ماليزيا يعمل الشقوق في لحاء شجر المطاط حتى تسيل المادة الغالية وتتجمع في آنية خاصة من الخشب . لاحظ أنه يستعين في عمله بمصباح مركب في خوذته المعدنية لأن الضوء في الغابة غير كاف للعمل .

● ماليزيا بلد اسلامي يكافح ليعيش .

في آسيا صراع الحياة يصل الى قمة دموية، لأن الشيوعية تضعضع البلاد والعباد بقوة لا تعرف الرحمة .. ومنذ أن اكتسحت الشيوعية الصين لم يعد بلد من بلاد القارة الضخمة في أمان . لأن الفقر هو الصفة العامة المشتركة بين معظم بلاد آسيا ، والفقر هو السلاح القوي الذي تستخدمه الشيوعية . انها تستغل فقر الناس لتمنيهم بحياة أسعد ، والى يومنا هذا لم تسعد الشيوعية شعبا واحدا ، بل انزلت سيادة الشيوعية بالمزيد من آلام البشر . وأمامك بلاد الهند الصينية جميعا وخاصة الفيتنام فتأمل الحالة التي وصلت اليها نتيجة للشيوعية ..

ماليزيا ، ذلك البلد الاسلامي يعاني

ماليزيا

من الخطر الشيوعية ، انه ليس بلدا فقيرا بل هو غني ومواردة وثرواته الطبيعية ضخمة ومتعددة • ولكن أكثر من نصف مساحة ماليزيا غابات واحراش وفي الاحراش يكمن الشيوعيون ومعظمهم صينيون ، وهم ليسوا حزبا واحدا بل أحزاب متعددة ، وهي تتصارع فيما بينها وتجلب على البلاد شقاء كبيرا • ولابد للمسئولين في ماليزيا من ان يحيلوا بعيون مفتوحة والا التهمها الطوفان الشيوعي •

بلد غريب التكوين

وماليزيا من أغرب بلاد العالم تكوينا فهي تتكون من جزءين غربي وشرقي : فالغربي هو النصف الجنوبي من جزيرة الملايو ، واما الشرقي فهو الجزء الشمالي والغربي من جزيرة بورنيو ، ويفصلهما بحر الصين الواسع ••

وماليزيا اتحــاد من ثلاث عشرة سلطنة ، ويرأس السلطنات كلها ملكا ينتخب كل اربع سنوات • وهـذا الملك يملك ولا يحكم ، لان السلطة كلها في يد رئيس الوزراء • وهناك مجلســان نيابيان يمثلان السلطنات كلها ، وعاصمة البلاد هي كوالا لومبور ، وهي مدينة كبيرة انشات اول الامر لتكون مركزا لاستخراج القصدير ، وهو اكبر موارد البلاد • ويقال ان الذين انشأوا البلد كانوا صينيين ولكن الانجليز اثناء استعمارهم لبلاد الملايو مدوه واعطوه طابعا انجليزيا • والت الا مرت في

شوارع كوالا لومبور احتفظت بالطابع المعماري الانجليزي في عصر الاستعمار •

والبلد جميل مزدحم بالسكان ازينه مبان من طراز العصر الفكتوري ، وهو بلد نظيف يسوده النظـام وتزينه المساجد الجميلة ، لان غالبية سكان ماليزيا من المسلمين •

ومعظم سلطنات ماليزيا تقع في شبه جزيرة الملايو ، وعددها احدى عشرة سلطنة ، اما الاثنتان الباقيتان وهما ساراواك وصباح فتقومان في جزيرة بورنيو ، وفيما بين ساراواك وصباح تقوم سلطنة اسلامية صغيرة هي بروناي وهي ليست جزءا من ماليزيا بل هي جزء من المملكة المتحدة أي انجلترا •

والناس الماليزيون صينيون • ومنهم هنود ، ومعظم الصينيين يعملون في التجارة • انها احتكار لهم تقريبا ، اما



من عالم ستة كانت كوالا لومبور قرية بدائية الشكل يسكنها العمال الصينيون الذين يعملون في مناجم القصدير • ولكنها لم تلبث ان تطورت الى مدينة واصبحت عاصمة مملكة ماليزيا • وكما يحدث في كل عواصم الدنيا اليوم تطلع العمارات الشاهقة بالعشرات حتى اصبحت المدينة تغطي اليوم مائتي كيلو متر مربع من الشوارع والمباني والحدائق •

الهنود فمعظم اهتمامهم بوظائف الحكومة وفي ماليزيا يوديون ومتنصرون ، وفيها أيضا عدد كبير من الوثنيين الذين يعيشون في الغابات • ولابد ان تضع الدولة خطة لتحويل اولئك الى الاسلام لانهم يكونون ربع السكان وما زالوا يعيشون على الفطرة ، ولابد من جهد كبير لتخليصهم من العصر الحجري الى القرن الحادي والعشرين ••

وفي رأيي ان الطريقة الوحيدة لذلك هي ادخالهم الاسلام ، لان الاسلام في ذاته حضارة ، انه هدى وعلم واخلاق • أدخلوهم الاسلام واتركوهم لسيعرفون طريقهم ، اما تركهم في الغابات فرجة للسائحين ومعرة الكاميرات فلن ينفعهم في شيء •

ان ماليزيا تعاني من الحركة الشيوعية التي يقودها الشيخ الصيني ،والشيخ ينع يعتصم بالغابات ، وفي الغابات يعيش اولئك الساكنين ، وهم فسيحة وضحية رجاله • لو ان الدولة الماليزية اختارت فرقة كاملة من المبشرين بالاسلام واطلقتهم في الغابات الكثيرة المسورة تماما ، لان الاسلام سيقوم الماليزيا بما لم يعجز عنه الله ••

ثلث سكان ماليزيا صينيون . ولهم في كل بلد حي خاص بهم يسمى تشاينا ـ تاون . واحياء الصينيين في العادة احياء تجارية مكتظة بالتجار والمحال التجارية والحركة والحيوية كما ترى في هذه الصورة . هذا المنظر هو منظر تشاينا تاون في كل الدنيا في الولايات المتحدة وهونج كونج واندونيسيا : نشاط تجاري واسع وفوضى وتزاحم وعمل متصل الى منتصف الليل . والصينيون مشهورون بأنهم من امهر تجار الدنيا .



بائعة في محل صيني في الحي الصيني في كوالا لومبور . انها تبيع عقودا لاحدى السائحات . ان ثلث سكان ماليزيا من الصينيين ويسدهم اكبر جانب من تجارة البلد . والقليل جدا من الصينيين مسلمون ، ولكنهم يدخلون الاسلام شيئا فشيئا في ماليزيا نظرا لما يتمتعون به هناك من رخاء وأمان .


THONG
HWA
東隆公司布莊



يفصل ماليزيا الغربية عن ماليزيا الشرقية بحر الصين ، وهو بحر واسع حافل بالاخطار نظرا لتقلباته الرجابية وعواصفه التي لاتهدأ ، وهو كذلك ميدان خصيب لصيد السمك ، والحكومة الماليزية تبذل جهودا ضخمة لكي تحمي هذا البحر من لصوص الاسماك ومعظمهم من الصينيين والفيتناميين ، تتولى سفنهم في البحر واصطياد الاسماك التي هي ثروة من ثروات ماليزيا . ان منظر بحر الصين رهيب كما ترى في الصورة فان سماءه دائما ملبدة بالسحب وامواجه دائما عالية ، واخطار الشعب فيه كثيرة ، وتحاول حكومة ماليزيا ان تستولد حرس لحماية هذا البحر واستغلال مياهه اكبر الافادة من اسماكه .

ان ماليزيا بلد غنى ، الى جانب المطاط والقصدير ، هناك زيت النخيل ، وزيت النخيل يعادل البترول في القيمة والاهمية في عالمنا الحاضر فهو غذاء عظيم وهو أساس صناعات كبرى ، واليابان ، وهي تستورد معظم زيت النخيل من ماليزيا تصنع منه العجائب .

ماذا يفعلون بالفيلة

ولكن نخيل الزيت له عدو مخيف هو الفيل ، والفيل حيوان نبيل ونادر وهو في طريقه الى الانقراض ، والدنيا كلها تحاول المحافظة على الفيلة اليوم ، في ماليزيا ما بين ٥٠٠ و ٧٠٠ فيل ، وكلها تعيش في الغابات ، بعضها مستأنس والبعض الآخر وحشي ، عيب الفيل انه يخرب الغابات ، باقدامه الضخمة وجسده الهائل يدوس كل شيء في طريقه ، وكل هذا محتمل ، ولكن الفيل يحب افتراس شجيرات نخيل الزيت ، لان هذه الشجيرات الصغيرة تنتج فاكهة صغيرة لذيذة الطعم ، والفيل يحب هذه الفاكهة ، فهو يبحث عنها طول النهار ، وفي اليوم الواحد يقتلع عشر شجيرات على الاقل ، ونخيل الزيت عظيم القيمة ويقدر الزيت الذي تنتجه النخلة الواحدة بما يعادل ثمانين دولارا في السنة ..

في الماضي كانوا يقتلون الفيلة ، ولكن هذا العمل أصبح اليوم جريمة كبرى ، ولهذا فان النية تتجه الى تجميع الفيلة في مساحة معينة من الغابات ، ان معظم الفيلة تظل مشكلة ، لان هذا الفيل حتى لو امكن تحقيق هذا البرنامج فان الفيلة تعيش في مساحات واسعة والفيل الواحد يتكلف مبالغ كبيرة ، فهو يأكل بخمسمائة فيل ، على أي حال فان هذه ليست المشكلة الكبرى أمام ماليزيا .

المشكلة الرئيسية ان ماليزيا بلد غني وسط بلاد فقيرة ، وبلد مسلم وسط بحر من الشيوعية والوثنية ، وبلد متحضر وسط اخطار لا تنتهي ، ان الشيوعيين غالبا خطر لا يمكن تجاهله مع الشيوعيين



غابات ماليزيا تضم اكبر مجموعة من اصناف القردة • وعشرات العلماء يذهبون الى تلك الاحراش ليرقبوا القردة ويدرسوا حياتها • وفى الصورة قرد من نوع الاورانج اوتان وقد اصبح هذا النوع من اندر القردة لكثرة اقبال العلماء على صيده لحدائق الحيوان او لتربيته ودراسته • وترى فى الصورة ان هذا الاورانج اوتان يستمتع بالزهرة واريجها وملامح وجهه تقول ذلك بشكل وضوح ، اما الصورة الصغيرة عن اليمين فترى فيها فيلين صغيرين يمرحان فى طين بركة من برك الغابات غير عالمين بعمق المأساة التى يعيشها جنس الفيلة فى ماليزيا •

قساة لا يعرفون الرحمة • انهم يبنون الحضارة فقط فى روسيا • خارج روسيا يحطمون كل شيء • كلنا مطالبون بالوقوف الى جانب ماليزيا • ان ماليزيا بلد ديموقراطى تسوده العدالة والمساواة ويزينه الاسلام ، والصينيون كثيرون جدا هناك ، وهم لا يريدون الاندماج الكامل فى الملاويين ، والهنود ايضا لهم متاعبهم الحقيقية •

اننا ـ اعضاء الاسرة الاسلامية ـ لابد ان نقف الى جانب هذا البلد الكريم • انه يناضل فى الدفاع عن نفسه ، يناضل ليسير الى الامام ، وهو يستحق كل خير • واقل ما نستطيع عمله هو أن نساعد اهله فى عملية نشر الاسلام فى الغابات لان بعثات التبشير كثيرة ونشيطة • ولابد لنا من وقفة ازاءها •

● د : ح • م ●







يسكن أهل الغابات في ماليزيا في مساكن تسمى البيوت الطويلة وهي عبارة عن أكواخ خشبية طويلة مقسمة الى مساكن متعددة وفي كل مسكن عائلة . وتفتح أبواب الأكواخ على فيراندا طويلة يتجمع فيها الناس . والأكواخ كلها كذلك الفيراندا مرتفعة عن الأرض .
الرجل الممسك بالقرص صياد ماهر وهو هنا يجرب مهارته في الرمى بقرص من البلاستيك قدمه اليه المصور .



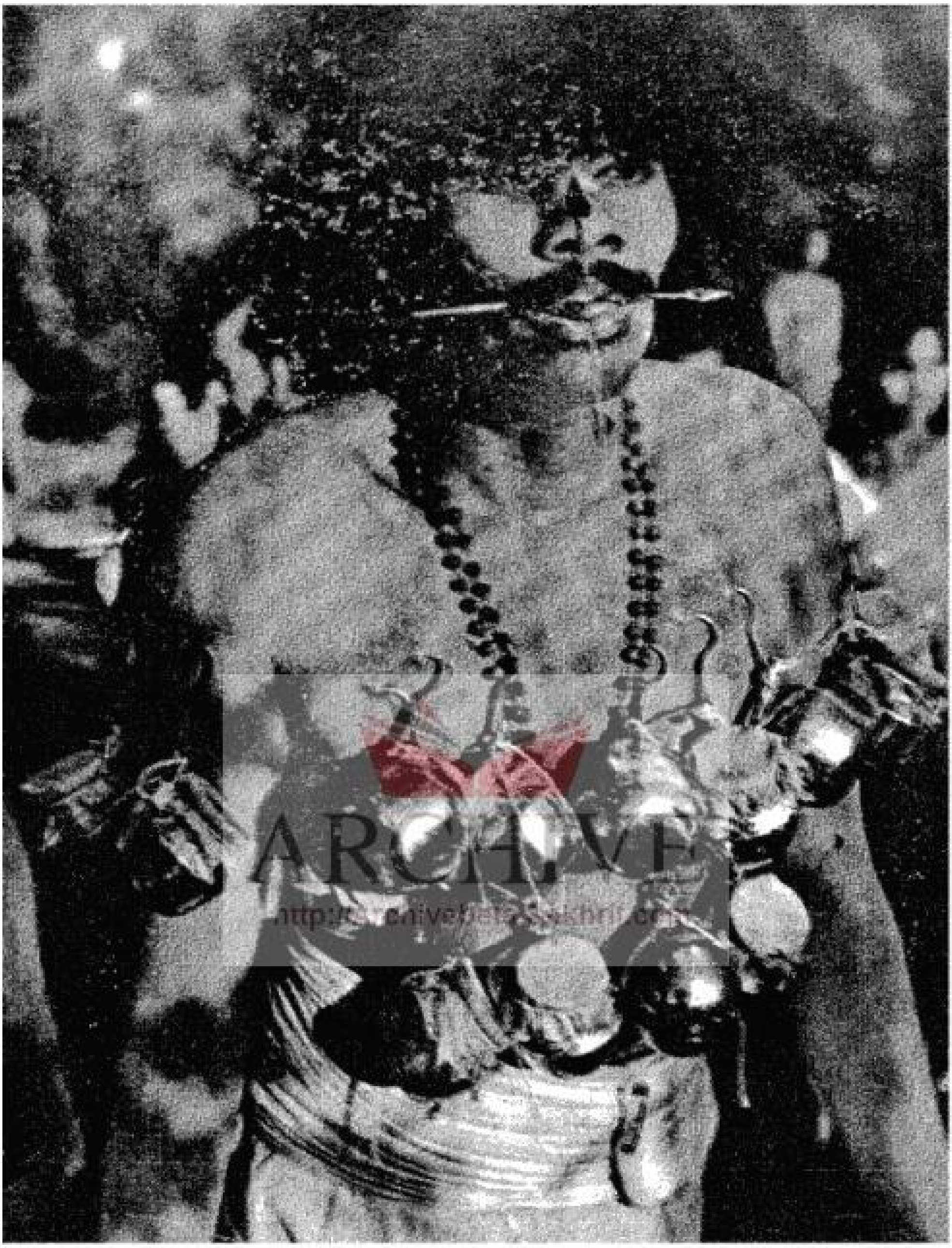
اطفال من قبيلة الايبان في الملايو يصعدون على سلم بدائي ليدخلوا مسكنهم او كوخهم في وسط الغابة . مازال الالوف من الماليزيين يعيشون على هذا الاسلوب البدائي ، ولكن حكومة ماليزيا تبذل قصارى جهدها في تحضيرهم .



واحد من سكان الغابات ينتمي الى قبيلة لا تزال في العصر الحجري . ان قبيلة هذا الرجل كانت تتسلى بصيد البشر لكي تجمع جماجمهم ، ولكن القبيلة كلها تغيرت احوالها واصبحت الآن تعمل في صيد الاسماك في البحر ، القبيلة تسمى الابيان .



تسكن غابات ماليزيا جماعات من البدائيين معظمهم وثنيون ، وهذا واحد منهم يحمل ابنته وينظر اليها في حنان واعجاب فخورا بها ، هؤلاء النـاس في أمس الحاجة الينا ، وعلينا ان نبذل جهدا ليدخلوا جماعة الاسلام ويدخلوا ميـدان الحضارة ·



هندى من سكان ماليزيا لا يزال يمارس شيئا من السحر يتلخص فى احتمال الآلام وادخال أسلحة حادة فى جسمه . وهنا تراه وقد انفذ سكينا فى شدقيه لتحصل بذلك عن ملاليم من الناس .



تطيير الطائرات الورقية لعبة شائعة في ماليزيا ، ويمارسها بعض الصيادين وهم في الماء ، فيغرسون في ماء البحر عمودا ثم يتعلقون به ويطيرون الطائرة ، ويدور بهم العمود وهم ممسكون بخيط الطائرة .



النحلة لعبة تقليدية في ماليزيا ، وهي ليست خاصة بالاطفال بل يشارك فيها الرجال ٠وفي الصورة رجل قد ادار اربع نحلات في آن واحد لكي تظهر براعته في طول دوران النحلات٠ ان النحلة قد تستمر في الدوران ساعة و٤٧ دقيقة ٠

لعبة اخرى ماليزية القرص الطائر ٠ ان اللاعب يلقي قرصا ليدور في الهواء ويستمر في دفعه ليدور بأي جزء من جسده عدا اليد ٠ ان بعض اللاعبين يستطيع المحافظة على القرص دائرا في الهواء نحو ساعتين





ابن سينا

فضل الحضارة الإسلامية على النهضة الأوربية في "عالم الطب"

● ابراهيم الكردى ●

● كان الطب في العصور الوسطى حكرا على العرب علما وعملا وتنظيما فلم يعرف طب عند غيرهم فيما بين منتصف القرن الثامن والقرن الخامس عشر الميلاديين .

وقد نشأ الطب في بغداد ، ونما وازدهر في عصر الرازى وابن سينا بعد ان مر بفترات زمنية متطورة ، فكان في أول الأمر يعتمد على الخبرة البحتة ، ثم تحول الى خبرة منظمة عقليا ثم خضع للتحليل والتجربة .

الطب عند العرب قبل الاسلام :

عرف العرب قبل الاسلام شيئا من العلاج والوقاية من الامراض ، وذلك ممن كانوا يخالطونهم من الامم الاخرى عن طريق الحج والتجارة مثل الفينيقيين وسكان آسيا الصغرى والجزيرة والبابليين والهنود والفرس والسريان .

كما كان يوجد بينهم بعض من يعلم الطب من اليهود الذين هاجروا من بلاد اخرى . وكذلك بعض المسيحيين « النساطرة » ممن يعلمون شيئا عن الطب اليوناني ، وكان لدى قبائل العرب الكهان والعرافون الذين يعتمدون على الفراسة ، وهي الاستدلال على حالة المريض بالنظر اليه من حيث الشكل واللون وطريقة الكلام .

كما كان هناك العلاج بالادعية والرقى والسحر والشعوذة والتمائم وهم يتوارثون هذه المهنة منذ القدم وعرفوا «بالاطباء» ، وكانوا يستخدمون بعض العقاقير والعلاجات التي لا يزال معمولا بها في بعض مناطق بلاد العرب مثل الكي بالنار والحجامة وغيرهما .

ومن الاطباء العرب في العصر الجاهلي :

لقمان الحكيم - وابن حزيم - والحارث بن كلدة وهو أول طبيب عربي . وأول محاولة يتعلم فيها العرب الطب كانت عندما تعلم الحارث ابن كلدة الطب على يد النساطرة السوريان .

والطب العربي لا نستطيع فصله عن الطب اليوناني ، لهما امتداد واحد دام حوالي عشرين قرنا من الزمان .

طب آل بختيشوع :

هي الأسرة النصرانية التي اشتغلت بالطب في جنديسابور ، واحرزت شهرة وحظوة ومجدا عند الخلفاء العباسيين لمدة قرنين من الزمان . وكانوا من الذكاء بحيث نجوا من نكبة البرامكة مع صداقتهم لهم ، وكانوا اطباء ممارسين اكثر منهم نظريين .

وكما تفعل كل دولة ناهضة تتطلع لبناء نفسها فان الخلفاء العباسيين الاولين لما علموا بخبر الطب

اليونانى وعرفوا نفعه استقدموا الخبراء وارسلوا البعثات العلمية الى حيث يوجد العلم . والذين استقدمهم الخلفاء العباسيون هم آل بختيشوع . اما الذين أرسلوا فى بعثات من العرب فكان منهم : **حنا بن ماسويه** : الذى رحل الى جنديسابور وتعلم الطب بها وقد ترجم بعض الكتب الطبية عن السريانية .

عصر التأليف فى الطب العربى :

عرف الأطباء العرب الكليات الطبية عند اليونان، ولم يحاولوا تغيير الأسس الفلسفية والطبيعية التى قام عليها الطب عندهم ولكن الاطباء العرب مع اعجابهم الشديد بأبى قراط وجالينوس فانهم قد عرضوا علمهما على خبرتهم، فابقوا ما هو صواب ونبذوا ما هو خطأ . ولما بدا انهم فهموا الطب وعرفوا اسراره بدأوا فى تأليف الكتب فى الطب وفى شتى العلوم .

لقد الف «حنا بن ماسويه» و «**حنين ابن اسحاق** » و « ثابت بن قرة » عددا من الدراسات فى طب العيون .

شيخ الاطباء المسلمين

ابن سينا

هو الحسين بن عبد الله بن سينا — ابو على المولود عام ٣٧٠ هـ او ٩٨٠م. الطبيب الفيلسوف والرياضى الفلكى من أعظم رواد الفكر الانسانى ، والمعلم الثالث للانسانية بعد أرسطو والفارابى لقب بالشيخ الرئيس ، صاحب التصانيف فى الطب والمنطق والطبيعيات والالهيات . فهو عمدة الحكماء وشيخ العلماء ..

كان فى شبابه جابيا ، فطاف بالبلاد وناظر العلماء واتسعت شهرته . وتقلد الوزارة فى همذان .

سار الى اصفهان وصنف بها أكثر كتبه ثم عاد فى آخر ايامه الى همذان ومرض فى الطريق اليها ومات بها ٤٢٨ هـ

من مفاخره فى الطب :

● **انه أول من وصف الغرغرينة التى تصيب مرضى البول السكرى**

● **كان اول من استعمل القسطرة فى علاج مرضى الامراض السرية حاقنا بها محلول نترات الفضة، ووصف علاجا للانحباس البولى**

● **اكتشف الانكلستوما .**

● **اهتم بالناحية النفسية للمريض بجانب ما يقدمه من عقاقير ..**

من مؤلفاته : بدأ الحسين فى تصنيف الكتب وهو فى الحادية والعشرين من عمره . بلغت مؤلفاته ٢٦٧ كتابا ،كان يكتبها فى فترات متقطعة فى رحلاته واسفاره . ومن اعظمها شأنا :

● **كتاب « القانون فى الطب »: وهو خير ما انتجته الحضارة** الاسلامية ، يمتاز بحسن تبويبه ودقته العلمية ، ويحتوى على :

علم وظائف الاعضاء ، علم الصحة، معالجة الامراض ، الادوية والنباتات الطبية ،

وقسم فيه الالم الى خمس عشرة درجة ، ثم سجل لعلاج هذه الامراض ما يزيد على ٧٦٠ دواء ،كما تعرض لكثير من أمراض الحب وكيف تعالج .

وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية واللغات الاوروبية وطبع ١٥ مرة فى اوروبا . وكان المرجع الاول فى دراسة الطب فى جامعات فرنسا وايطاليا وبلجيكا حتى منتصف القرن السابع عشر ...

ومن مؤلفاته ايضا كتاب «الشفاء» ويقع فى ٣٨ مجلدا ، وبه فصول من المنطق والطبيعيات والفلسفة والموسيقى واللغة والالهيات والرياضيات والفلك .

ومن الاطباء الكبار المسلمين الذين ترجمت كتبهم الى اللغة اللاتينيــة ثم اللغات الاوروبية ..

● ابو بكر الرازى المتوفى ٩٢٤ م وهو صاحب كتاب المنصورى فى الطب وكتاب الفصـــول فى الطب - وكتـاب الحاوى فى الطب .

وهى من اعظم الكتـــب فى الطب الاسلامى وكانت من اهم المـراجع فى جامعات اوروبا .

● ابو القاسم القرطبى وهو مـن اشهر جراحى العرب .

● ابن رشد الطبيب الفيلســوف المتوفى ١١٨٨ م وله عدة كتب هامة فى الطب ترجمت كتبـه وطبعت فى اوروبا عدة مرات

● الزهراوى وهو شيخ جــراحى الاندلس المولود فى القرن الخــامس الهجـرى له كتــاب فى الجراحـة يعد من اهم كتب الطب فى عصره ذكـر فيه آلات جراحيـة ابتــكرها هـو ورسمها فيه وبين طريقة استعمالها .

البيمارستانات الاسلامية

ولقد سبق المسلمون اهل اوروبا فى نظام انشاء المستشفيات البيمارستانات لعــلاج المرضى بها . وقــد كانت مستشفياتهم كبيرة واسـعة يدخلهـا الهواء النقى والشمس والماء النظيف.

وحينما عهد الى « ابى بكر الرازى » ان ينشىء « مستشفى بغداد » واراد اختيار افضل حى ينشئها به - علق قطعة لحم فى كل حى من احياء بغداد .. وبعد مدة اختار الحى الذى تأخر فيه فساد قطعة اللحم المعلقة فيــه . فهل كان يعلم شيئا عن الميكروبات ؟!

وكان المستشفى الاسلامى يحتوى على :



اماكــن ملاجىء للمــرضى ، واماكـن لدراسة الطلاب حيث كانوا يدرســون الطب فى اسرة المرضى اكثــر ممــا يدرسونه فى الكتب . وقد انشــأ المسلمون مستشفيات خاصة بالمجانين. كما كانت هناك جمعيات خيرية تعــالج المرضى الفقراء بالمجان فى ايام معينة.

اما مرضى السل فكان الاطباء يوصون بارسالهم الى الاماكن الجافة الحارة . وايضا كان الاطباء يهتمون بالعــلاج الطبيعى كثيرا .

ماذا استفاد الاوروبيون من الطب الاسلامى ؟

● اخذوا نظام العلاج بالمستشفيات المتخصصة .

● تعلموا الجـراحة وآلاتهــا التى ابتكرها الاطباء العرب واخذوها .

● عرفوا انواع الامــــراض التى وصفها العـــــرب وانواع الادوية والصيدلة

● اخذوا عن المسلمين كثيرا من المستحضرات الطبية كالاشربة واللعوق واللزقات والمراهم والــدهان والميــاه المقطرة

● عرفوا ايضا معالجة غشاوة العين بخفض العدسة او اخراجها .

● ايضــا عرفوا كيفيــــة تفتيت الحصاة .

● وعرفوا وصف الماء البارد لوقف النزيف .

● اخذوا عن المسلمين التخدير قبل العمليات الجراحية حيث كان المسلمون يستعملون « الزؤان » لتنويم المريض قبل العملية الجراحية وكذلك الافيون

● وقد تحقق عنـد الاوروبيين ان العرب المسلمين وضعوا اسس الصيدلة واستنبطوا انواعا كثيرة من العقــاقير والدليل على ذلك ان اكثر اسمائهــا عندهم لا تزال تحمل الاسماء العربية حتى الآن

● واخيرا يكفى المسلمون فخرا ان كتبهم ومؤلفاتهم الطبية ، ظلت مراجع علمية جادة فى جامعــات اوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادى ولا تزال مكتباتهم العلمية تزدان بها حتى اليوم . ●

ندوات وذكريات

• أماني فريد •

● شهد القرن العشرون في نصفه الاول ومابعده ، حركة ادبيةمصرية واسعة النطاق وبرز شعراء تركوا بصمات واضحة في عالم الشعر،وادخلوا عليه الكثير من التجديد والمناهج الحديثة .. من ابرز هؤلاء عزيز اباظة بمسرحياته الشعرية الشائقة ، ثم علي محمود طه بدواوينه واشعاره الحافلة بغزلياته وقصائد الوصف البديع للبلاد الاوروبية التي زارها ، وقصائد الشعر الوطني في المناسبات القومية والعربية .

والى جانب هؤلاء كان هناك الدكتور ابراهيم ناجي ، وكامل الشناوي،وصالح جودت ـ من كبار شعراء العاطفة والوطنية والشاعرية المتميزة سلاسة وجزالة في اللفظ والمعنى .

ولقد كان لبعض هؤلاء الشعراء مجالس وندوات عاصرتها ، واخص بالذكر منها هنا ندوتين أدبيتين احداهما ندوة علي محمود طه ، الذي عرف بشاعر الجندول نسبة الى قصيدته الشهيرة التي غناها له الموسيقار محمد عبد الوهاب .. ثم ندوة كامل الشناوي في جريدة الاهرام ، وهي الندوة السياسية الادبية التي كانت ملتقى اهل السياسة والصحافة والادباء والشعراء.

كانت ندوة علي محمود طه تقام في داره بشارع سليمان باشا ،حالياً «طلعت حرب » ـ وكان الكثيرون يطلقون على هذه الدار اسم حانة الملاح التائه ، نسبة الى قصيدة مشهورة لعلي محمود طه في احد دواوينه .

ـ لم تكن لندوة علي محمود طه اوقات محددة ، فقد كان زائروه يهبطون في اي وقت ومن اي مكان ، وقد يكون بينهم وافدون من سوريا أو لبنان أو من العراق أو من المغرب .

وكان من أطرف مالقي هذه الندوة أنها استضافت يوما مجموعة من المجندات الانجليزيات في مصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وسجلت احدى المجلات الاسبوعية هذا اللقاء مع المجندات والضيوف والشاعر صاحب الدار والندوة ..

وكان لدار علي محمود طه أو «حانة الملاح التائه » ـ بهو يبدو على هيئة حانة تضاء بالانوار الكهربائية الملونة ، وكان من رواد الندوة الدائمين الاستاذ علي ايوب المحامي وكيل الهيئة السعدية ، ووكيل مجلس النواب في اواخر الاربعينات وكان مكتبه يجاور دار علي محمود طه وكان اذا ما فرغ من اعمال مكتبه دلف الى ندوة الشاعر التي كانت تغص في المساء دائما بالزوار والاصدقاء ، من اهل الادب والشعر ومن علية القوم ..

كانت الاحاديث في الندوة تدورشيقة



كامل الشناوى



على محمود طه

ولا تخلو من الفكاهات والطـــرف التى يطلقها صاحب الندوة وضيوفه ،وكذلك أحاديث الذكريات من رحلاته فى اوروبا ولقاءاته هناك .

وفى ندوة على محمود طه قـــابلت المفكر الاديب العراقى الراحل روفائيـــل بطى ، وكان على جانب عظيم من الثقافة والعلم كما قابلت الشاعر الســـورى الرقيق صلاح الاسير والذى كان متزوجا من فتاة عراقية مطربة ..

وكثيرا ماكانت النـــدوة تنتقل الى مقهى كبير فى اسفل الدار او قريبا منها وخاصة اذا كان الموجودون فيها مـــن خاصة اصدقاء الشاعر ، حيث يتناول الجميع المرطبات والاطعمة الخفيفـــة ويتسامرون ، وقد يمر عليهم فى ذلك الوقت بعض الصــــحفيين أو الادباء فينضمون الى مجلس الشاعر وصديقه السياسى على ايوب .

وعندما كان الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى ينضم الى الجمع فى بعض الليالى فان ضيوف الندوة يشهدون مساجلات شعرية طريفة بينه وبين على محمود طه وغالبا ماتتناول هذه المساجلات الكثيرمن امور الحياة والفن ..

من الطريف فى هذا المجـــــال ان الشاعرين ظلا يتساجلان فى احــدى المرات ويكتبان أبيات شعرهما على علب السجائر الموجودة امامهما ، وكـــان موضوع المساجلة وصف شابة جميلة مرت أمامهما !..

هذه الندوة كانت تمتد فى بعـــض الاحايين الى منتصف الليل ، ويبـــدأ المقهى يستعد ليغلق ابوابه ، ولـــكن المجتمعين كانت تستغرقهم مساجلات الجلسة فلا يحسون بالوقت ..ثم ينفض السامر ويتفرق المجتمعون كلٌ الى داره فلا تبقى من الندوة الا ذكراها ...

اما ندوة كامل الشناوى فكانت ندوة شعر وسياسة وأدب وفن .. وكـــانت ندوة زاخرة بالفكر والاحاديث والاطعمة العديدة التى يمدها كامل الشناوى على مائدة فى شرفة ملحقة بمكتبه ...

وكان من روادَ هذه الندوة السياسى حفنى محمود صاحب المقالب المعروفة والصديق الحميم لصاحب النـــدوة . وعبد الجليل ابو سمرة ،وعلى ايوب، وعزيز مشرقى ، وقد يمر مكرم عبيـــد رئيس حزب الكتلة ، ثم عثمان خشبة النائب البرلمانى .

وكان يتردد على الندوة الدكتـــور محمود عزمى الكاتب الصحفى السياسى المعروف ، والاديب الكبير توفيـــق الحكيم .. ومحمد مصطفى حمـــام

الشاعر الذى يتدفق الشعر منه يرسله على سجيته فى سلاسة ويسر ..

واحيانا كان يحضرها الكاتب الكبير احسان عبد القدوس عندما يفرغ من عمله فى دار روزاليوسف فى ساعة متأخرة من الليل ثم يبقى حتى اخر الندوة أو ينصرف مع كامل الشناوى كذلك كان من رواد هذه الندوة حمادة الناحل المحامى والدكتور جمال العطيفى وكيل نيابة الصحافة فى ذلك الوقت ، ثم الاديب انيس منصور الذى كان وقتئذ محررا ومترجما بالاهرام ، وغير هؤلاء كثيرون .

كانت ندوة الشناوى كأنها تعج بضيوف من مختلف الاعمار والهوايات والمشارب ، يجمعهم كلهم شىء واحد هو حب هذا المنتدى الادبى الصحفى الذى كانت تثار فيه القضايا السياسية والادبية والفكرية .. وفى ندوة كامل الشناوى شاهدت المطربة اللبنانية بسمة نور الهدى تأتى بصحبة والدها محيية صاحب الندوة اثر هبوطها الى مصر لاول مرة ...

وماذا كان يفعل كامل الشناوى ، وكل هذا الحشد من الخلق يأتون ويذهبون ، وكيف كان يستطيع القيام بمسئولياته كرئيس تحرير لهذه الجريدة الكبرى ومكتبه يعج بكل هؤلاء الناس ؟.

الواقع ان كامل الشناوى كان شخصية فذة ،: يرى ويسمع ويستوعب وكان ذكيا بل داهية يستطيع ان يوفق بين متطلبات العمل ، وان يرضى الجميع .. وكان مشهورا بحب الدعابة والنكتة ، بل وفى بعض الاحيان « المقالب » مثل صديقه الحميم حلمى محمود .. وكان يحلو لكامل الشناوى فى بعض الاحيان ان يفتح ديوانا للشعر يقرأ منه بين الفينة والاخرى بعض الابيات ، او يتناول مرجعا من المراجع القديمة يستشهد ببعض مايحسم محور النقاش .

ولست انسى يوما كنت اجلس هناك حين اقتحم الندوة فى مكتب الشناوى عدد من اعضاء مجلس النواب فى عهد ماقبل الثورة وكانوا قد خرجوا لتوهم من اجتماع بالمجلس اثيرت فيه مسائل كانت موضع جدل ونقاش عنيف ، فجاءوا بعد انفضاض المجلس الى مكتب الشناوى يكملون جدلهم ونقاشهم ويعرضون وجهات نظرهم المختلفة علهم يجدون لديه التأييد والتحبيذ ، ليقدم هذه الاراء على صفحات الاهرام وكانت اذ ذاك منبرا للاراء والافكار ومختلف وجهات النظر . وكانت ندوة كامل الشناوى ومكتبه ، وهو رئيس تحرير جريدة الاهرام – ذات طابع سياسى ادبى شامل ، يسعى اليها الكثيرون وتضم الكثير من الشخصيات البارزة فى شتى المجالات .. وكان بعض المترددين على الندوة ، من الشخصيات الدائمة الحضور كل مساء تلازم رئيس التحرير طيلة سهرة الاهرام ، كما كان بعضهم الاخر يمر بها مر الكرام . خاصة فى مساء الخميس حيث تطول السهرة .

كانت ندوة الخميس او سهرة الخميس فى مكتب كامل الشناوى من امتع السهرات ، وغالبا ما كان يختمها الشناوى بالانتقال مع صفوة من اصدقائه – بعد ان تمثل الجريدة للطبع – الى مطعم من المطاعم الكبيرة والتى تكون فى الغالب قد خلت من روادها وتكاد تغلق ابوابها ، ولكن الشناوى وهو المعروف لديهم سرعان مايطالبهم بتجهيز « العشاء » حيث يلتف هو واصدقاؤه المقربون حول المائدة يكملون سهرتهم ونقاشهم مع الاطباق والشهيات ولا ينتهون من الطعام والنقاش الا ويكون الصباح قد تبلجت اولى خيوطه ، وبعثت الحياة تدب من جديد فى المدينة .. اذ ذاك ينفض السامرون وتنتهى سهرة الخميس فى ندوة كامل الشناوى الاديب والصحفى والشاعر الفنان والانسان .. ●

ضياع

● أحمد عبد الحفيظ سلام ●

أنا المسئول عن نفسي وذاتي ... فمالي قد سئمت من الحياة

أراني قد رضيت بظل كوخ ... أقمت له سياجا في الفلاة

حبيس فيه أملؤه خيالا ... وأسبح خلف أوهام الشتات

قضيت به زمانا من شبابي ... وأفنيت السنين الماضيات

ويبهر ناظريّ سراب حلم ... أطارده فيمعن في السبات

ويطرق مسمعي لحن عصي ... فيطمس ما بدا من ذكرياتي

ولو أني خرجت إلى طريقي ... أمهده بمجهودي وذاتي

أرى قدمي تسير ولست أدري ... سأبلغ ومنقصة من بارقاتي

رحاب التيه يسبح في مداها ... رجوم في رجوم .. ذاهبات

تعبت وزاغت الأبصار مني ... وتاهت فكرتي في شهرهاتي

ومافي التيه من أمل رفيق ... يشد يدي وقد وهنت قناتي

فلا أمسي يوصلني لصبح ... ولا صبحي على وعد مؤات !

أنا الانسان لكني شقي ... قلوب الناس تنعى أمنياتي

يقولون انتبه فالفجر يبدو ... بأزهار الربيع العاطرات

وأنت تهيم في دنيا القوافي ... خيالك ضارب في الكائنات

فمالك لم تحلق للمعاني ... وتقتطف الورود الناضرات

فقمت وكنت أحسبها قلوبا ... مضمخة بأطياب العظات

وروضت الشوارد من لحوني ... على أوتارها المترنمات

ونسقت النفائس في عقود ... يشف بريقها من بادراتي

ولكني وجدت القوم حادوا ... وهاموا في دروب مظلمات

ولما صاح في دنياي قولي ... لأسماع بدت متحجرات

علمت بأنني أمضي وروحي ... على أرض الوعود الكاذبات !

غرام الشعراء

● روبرت بروك وكاثلين ●

● د . سليم الاسيوطي ●

● كان اللقاء الاول للشاعر بمحبوبته الفاتنة فى أثناء قيامها بالتمثيل على مسرح سافوى ، فى مسرحية شيكسبير « حكاية شتاء » فقد جاءها مدير الفرقة وقال لها : (لقد وصلتنا دعوة الى حفل يقيمه الشاعر ايدى مارش ، وذكر لها اسماء بعض المدعوين ، ومن بينهم جلبرت كيسان الذى كان موضع اعجاب كاثلين بوصفه كاتبا واديبا . وكانت تعتقد دائما بأن اللقاء بكاتب واديب وجها لوجه ، متعة مثيرة الى اقصى حد.

ولكن حين وصلت الى الحفل وجالت ببصرها بين الحاضرين ساءها الا ترى بينهم احدا لها به سابق صداقة او معرفة . وانها لن تستطيع العثور على من يؤنسها فى هذا الحشد الغريب .. واذا هى تضيق بحالها ، وتتبرم بوضعها ، ثم لا تلبث أن تلمح حسب قولها : « شابا جميلا ، يبهر جماله الانظار ، يجلس على استحياء فى ركن من اركان القاعة .. وانى لاذكر جيدا انى قد اجتذبنى لألاء زرقة عينيه الجميلتين ، ورأيتني اجلس الى جواره وأنا لا ادرى من امرى شيئا)

سألنى : « هل انت على علاقة باحد هنا ؟ » واجبت بالنفى ، فأردف قائلا : « وأنا ايضا لا أعرف أحدا هنا »

وبعد هذا التعارف القصير جعلا يتجاذبان اطراف الحديث الذى دار حول مجموعة مختارة من الشعر قام ايدى مارش بنشرها مؤخرا ، وسألها اذا كان قد راقها شىء منها فأجابت بأن اروع شعراء العصر الحديث هو ولتر دى لامير ، وأن قصيدة « السمكة » التى جاءت ضمن هذه المجموعة هى اروع ما فيها ، ثم انشدت بعض ابياتها .. فخضبت الحمرة الشديدة وجه روبرت بروك ، وعلق قائلا لها :

« انك لذات ذوق جميل .. انى انا صاحب هذه القصيدة ! »

فكان لقوله هذا وقع مثير فى نفس كاثلين .. وهكذا انحلت عقدة من لسان كل منهما وراحا يتحدثان دون توقف .. وبعد الحفل وقبل ان يفترقا دعاها الى تناول الغداء معه فى اليوم التالى أو الذى يليه . وهكذا بدأت العلاقة التى خلدها الزمن ..

كان روبرت بروك قبل هذا اللقاء،



روبرت بروك

قد مر بتجربة حب فاشلة اورثته العصاب والاكتئاب ، وازهدته في الحب بكل الوانه .. وكانت كاثلين قبل لقاء روبرت تهيم حبا بهنرى اينسلي وفي هذه المرحلة من الصبابة والوجد اكتشفت ان محبوبها كان مرتبطا بزوجة تكبره كثيرا في العمر ، وقد انفصل عنهما واتخذ له عشيقة انجبت منه طفلا .. فكانت صدمتها شديدة الوطاة عليها كما قالت في مذكراتها : « ان ماتكشف لي المرهني لزما بالغا .. فكيف تستطيع امراة أن تعشق رجلاً مثل هذا الطراز ؟ وكيف يحدث هذا وانا عاشقة له ؟ » . لقد كانت صدمتها كالصاعقة انقضت عليها حتى مادت الارض تحت قدميها فقد كانت ايرلندية النشاة والتربية !!

***

توطدت بين كاثلين وروبرت اواصر الصداقة وتوثقت عرى المحبة واصبح من مالوف عاداتهما الخروج معا . وكانت كاثلين تستشعر متعة كبرى في صحبته والتجوال برفقته .. وكان اشد ما يفتنها فيه حيويته الدافقة ودعابته الحلوة واستمتاعه بالحياة الى ابعد مدى ، كما كانت تتملكه مادة الضحك من نفسه .

كانت كتاباته ، خاصة في رسائله ، تنساب في اسلوب جليل مشبوب احيانا هازل في احيان اخرى ، ولكنه لم يكن يتحدث بالاسلوب الذى يكتب به فقد كان حديثه بسيطا ، سريعا وكان صوته مرتفعا رخيما عذبا يحبب في الاستماع اليه .

لم يكن يجيد القراءة بصوت مرتفع .. وذات مرة كان هو وكاثلين في شقة ايدى مارش . واتصلت به صحيفة « التايمز » وطلبت منه كتابة نعي للشاعر جيمس فلورى فليكر . وقالت كاثلين انها لم تسمع بهذا الشاعر قط ، ولم تقرا له شيئا من شعره . كما انها لم تكن قد سمعت حبيبها يقرا شيئا من شعره ، فما كان الا ان قال لها : « يجب ان اقرا لك بعضا منه » وكان قد قرا لهما قبل ذلك بعض اشعار جون دون ، الشاعر الميتافيزيقى الغزلى ، فقد درجا على الخروج في نزهات سيرا على الاقدام في حدائق شيلتيرن .

وذات يوم ، في احدى هذه النزهات استلقيا على مقعد خشبى طويل

غرام الشعراء

وقد تشابكت أيديهما «وظلا صامتين اليوم بطوله» كما قال جون دون في احدى قصائده .. لم يكن يقبلها كما انه لم يحاول شيئا من هذا القبيل . فقد كان حسبهما أن تتشابك الأيدي وكفى، ففي هذا الوضع وعلى هذه الحال يشعران بأن روحيهما تتطارحان الغرام عبر الأثير ، هي نشوى وهو نشوان

في آخر لقاء لهما ، قبل سفره الى الخارج كانا معا في جولة سياحية في مدينة يارموث . وهناك اصطحبها الى مسرح « اكواريوم » وبعد مشاهدة العرض عادا معا الى بيتها ، حيث كانت تزكو نيران الخشب البحرية في المدفأة جلسا معا يتحدثان حديث الهوى ثم طلب اليها ان تنشده شيئا من روائع الشعر ، فقرأت كاثلين قصيدة الشاعر جون دون الخالدة : « ذكرى عام » .

وافترقا ثم رحل هو من يارموث ، وبعد رحيله بثلاثة أيام بعث اليها بنسخة من « المقطوعات » التي نظمها ومن بينها مقطوعة « الأمن » ، وأرفق بالنسخة رجاءه بألا تستاء لنشر الأشعار الخاصة بهما مجهولة الهوية ولن يتعرف احد عليها واضاف قائلا : « اني لأخجل من نفسي اذ اقرض الشعر وانا ارتدي الزي العسكري . ولكن مما يخفف عني الاحساس بالخجل ان الشاعر فيليب سيدني نظم الشعر وهو في زيه العسكري»

ومالبث ، على اثر هذا ، أن بعث اليها بتجارب مجموعته الشعرية ، وبها تصويب . أو اثنان . وهي تحتفظ الآن بهذه التجارب في أطار لديها . ولكن التصويبات قد حال لونها .

في بداية عهدهما بهذه الصلات المشتركة والاحاسيس المتبادلة اكتشف كل منهما انه يذوب جوى بحب الآخر

.. هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان كل منهما قبيل هذا الاكتشاف يعشق حبيبا آخر نكث بالعهد وكفر بالحب ، ومن ثم فقد لاذا بالحذر والحيطة ، خشية ان يكون الاحساس بالحب لديهما كاذبا أو سرابا . ونظم هذه المقطوعة :

قالت معشوقتي العزيزة ، ايها الحب كم انت جميل
وكم انت نادر الوجود !
ان الحب يتنقل وليدا ، احنيت راسها الصغير
وقبلت شعرها ، وضحكت منها
يالها من طفلة بريئة ..
حديثة العهد بالحب ، امينة على الحب ، وتتحدث بمرارة .
ولكن النساء على حكمة اكثر مما يعرفن
والأفكار التي تمور في داخلهن
اكثر ثقلا من الافكار التي تجول بخواطرهن
والا فكيف تعين على حبيبتي وهي الصغيرة الساذجة أن تبكي على الحب بمثل هذه اللغة الصادقة ؟

تروي لنا كاثلين أن الشاعر روبرت بروك كان حاد المزاج هونا ما، متوتر الأعصاب في كثير من الاحيان ولو قدر له ان يمتد الاجل طويلا لصلح حاله وصار الى غير ما كان عليه ابان حياته ، فقد مر بخبرات وتجارب كثيرة كانت كفيلة بأن تخفف من غلوائه وتصرفاته .

ولكن في غضون العمر الذي عاش فيه ، لم يتوافر للرجال من المعرفة بالجنس ما كان متوافرا منها لدى النساء . كان قبل معرفته بكاثلين قد احب امرأة واغراها على معايشته ، ثم اغواها ، وعاد يتبرم بها

ويتضجر منها ، فقد وسوس له الشك ، او اقنعته الحقيقة بانها حملت فأجهضت نفسها . ولقد غرس هذا الحادث في اعماقه شعورا بالذنب . ولكنه لم يلبث طويلا حتى تغلب على هذا الشعور وشفي .

تطوع الشاعر روبرت بروك للانضمام الى صفوف الجيش ، في البحرية البريطانية ، لانه كان ، وزملاؤه الذين معه يعتقدون ، بوصفهم « رجال ونستون تشرشل » سيسهمون في الجهود التي ستوقع بالالمان شر الهزيمة وتخلص البشرية من النازية الضارية !

لقد كان الخراط روبرت بروك في صفوف الجيش ، هروبا من واقعه لافتقاره الى معرفة ما هو في حاجة اليه او ماذا كان يريد ان يفعل بحياته .. فلقد ورد في خطاب له بعث به الى حبيبته . من البحار الجنوبية قوله : «اني في حاجة الى شيء اتمسك به فانا لا اعيش لنفسي ، اني نصف شخص نحسب . »

ولكنه كتب في خطابات اخرى تالية لهذا الخطاب : « ان الحب ، مجرد الحب ، الحب الصادق البسيط قد خلق مني شخصا كاملا متكاملا من جديد ، ومن ثم نستطيع القول بأن مزاجه الخاص كان يحكم تصرفاته ويتحكم في سلوكه .

واما خطاباته التي بعث بها بعد عودته من امريكا فكانت هادئة صافية كالسماء في يوم صحو مشمس ، خلت من كل افراط واسراف وجموح . وغدت سهلة الاسلوب ، ميسرة الصياغة ، تصور احاسيسه القوية التي كانت تؤلف بين قلبيهما . كما توجد خطابات اخرى جاءت في خاتمة صلاتهما ، تفصح كلها عن مصالحته مع نفسه .

وبعد عودة بروك من البحرية ،التي ابدع في اثناء الخدمة فيها اروع اعماله ، بدا شخصا مختلفا واحست كاثلين بانهما عادا فعرف كل منهما الاخر ، من جديد . كان قد بعث اليها بعدد عديد من الرسائل في اثناء غيابه .. وفي الوقت الذي كانت تتوقف فيه الرسائل كان يتصل بها هاتفيا مستفسرا « كيف انت ، يا حبيبتي ، هل انت بخير ، وفي صحة طيبة ، اني اعبدك!»

ولما حان موعد اوبته الى الديار واهلها ذهبت كاثلين وايمى ودبنيس براون لانتظاره على المحطة وتاخر القطار الذي يقله ساعات . وعندما وصل اخيرا وهبط من العربة نظر اليها نظرة شابها شيء من الفتور الذي لم تكن تتوقعه ، وقال : « ما كان ينبغي لك البقاء ساهرة حتى هذه الساعة المتاخرة من الليل ! »

ولم تحر هي جوابا، بل تابطت ذراعه وعادا معا كل الى دارة بلا احساس ان عرى الحب الوثيقة بينهما قد انفصمت .

ولكن سرعان ما تبددت هذه الاوهام الى رساله بعث بها اليها يناشدها فيها ان يسارعا بالتعرف على بعضهما البعض من جديد وقد كان ، واقبل الربيع ، وفي اثره الصيف وكان لهما في كليهما امتع ايام الحب واعذب كئوس الغرام . فقد عاد حلو الشمائل ، لين الجانب ، طيب المعشر كما تهوى .

وعلى الرغم من هذه الصلات الحميمة والعواطف المتبادلة المشبوبة لم يكن

غرام الشعراء

لحديث الزواج بينهما من نصيب الا فى اشارات عابرة .. لم تكن كاللين من جانبها على يقين من انها ترغب رغبة اكيدة فى الزواج لانها كانت تظن ان زواجها من روبرت سوف يحول بينها والمسرح فهى لا تستطيع الجمع بين بيت الزوجية وخشبة المسرح .

ولكنها عند نشوب الحرب العالمية الثانية ، أسرعت فجاة وطالبته بالزواج منها فورا حتى يهبها ابنا فالانجاب هو الانجاز الوحيدالذى تستطيعهالمرأة، ولكنه أجاب قائلا : « كم سيكوندهيبا فيما بعد ، اذا ما تبينت انك لم تكونى ترغبين حقا فى الزواج !! او اذا ما تكشفت لك الحقيقة بانك لا تحبيننى حقا . »

وتوقف عن الحديث فترة الى ان عاد يقول: « سوف نعود الى الزواج ، فى فرصة اخرى ، وسوف يكون لنا متسع من الوقت معا فى بارموث »

ولقد كان الموقف مؤثرا تاثيرا بالغا بعد موته ، اذ احتفظت امه فى حجرة الاستقبال بحاملين وضع على احدهما صورة فوتوغرافية مكبرة لشاعرنا والثانية لشقيقه الفرد ، وكان كل من يزورها يتساءل قائلا : « آه ، اهذا هو روبرت ؟ » وتجيب قائلة : « لقد كان لى ابن آخر . »

وبعد موته كان اصدقاؤه المقربون من الصفوة الممتازة التى كانت تختصه بالصداقة ، ويؤثرها هو بالحب والتقدير ، من مثل رئيس وزراء بريطانيا ، اللورد اسكوث ، ومستر تشرشل ، وجى ، اتش ، ويلز ، وبيرنردشو ، وجرانفل باركر — كانوا يذكرونه بوصفه الشاب الجليل ، ذهبى الشعر ، الذى فاق بجماله حدود الصدق والواقع .

لقد كانتامه امراة قوية الشخصية شديدة المراس ورائعة حقا . وكان لها تاثير قوى على الابن، ونفوذ وسلطان ولهذا كان يطلق عليها الملكة الهندوسية أو زوج المهراجا . ومن خلال سطور رسائله الكثيرة تتضح محاولاته لاخفاء الكثير من شئونه عنها ومن ثم فقد تكتم علاقته بكاللين ، فلم تعرف عنها شيئا قط الى أن جاءها الشاعر ايدى مارش ، صديق روبرت وانهى اليها نيته فى نشر مذكراته وهو فى حاجة ماسة الى الحصول على بعض خطابات كاللين ، فتساءلت الام فى عجب ودهشة ، ومن عساها ان تكون هذه الكاللين ؟

واجاب ايدى : « انها حبه الوحيد، فى حياته كلها ، ممثلة »

وقالت الام : « اتقول ممثلة ؟! انى لا احب هذه الخطابات فهى شخصية وخاصة الى حد لايرتاح اليه الانسان»

فحسم ايدى النقاش بقوله انه قد حصل على الاذن بنشرها . وحينئذ نزلت عند رغبته بشرط الا يذكر اسم كاللين فى هذه الخطابات ، وفعلا وعد ايدى بذلك واوفى بوعده فظهرت كل الخطابات ممهورة باسماء مرسليها فيما خلا خطابات كاللين التى ظهرت مذيلة بعلامة « x » وكانتنتيجة ذلك انظن الكثيرون خطاه ان « x »المجهول هذا ، كان شابا وان الشاعر روبرت بروك كان ذا ميول شاذة .

قصة البطاطا

● د . نعيم عطية ●

● سمعت اليوم لحادثة قد لا تعني شيئا ، لكنها جعلت الابتسامة تصعد الى شفتي ، وقد غابت عني هذه الابتسامة في الآونة الاخيرة .. ذهبت استرد ما لم يبع من كتبي من مخزن مؤسسة الكتاب بميدان العتبة ، ولم اكن اعرف مكان المخزن بالضبط ولم يكن وصفهم لي دقيقا ..

امام الباب الجانبي للمبنى الحكومي، وقف بائع البطاطا . امتلأت صيجانه السوداء علىعربته الخشبيةالمتآكلةبقطع البطاطا مرصوصة محروقة عند الاطراف ، بنية اللون عند الوسط ، موحية بمذاقها الشهي ولحمها الطري .

بجوار الفرن الصغير الذي يتصاعد الدخان من مدخنته المتآكلة صف من الكتب الممزقة ينزع بائع البطاطا من وقت لآخر بعض صفحاتها ، ويلقي بها الى قاع الفرن الملتهب ليسوي البطاطا المرصوصة ببطن الفرن .. كتاب واحد استوقفني . لم اكن اعرف ما هو ، فالغلاف والصفحات الاولى والاخيرة منه سبق ان نزعتها يد بائع البطاطا واكلتها النار التي لا تكف عن المطالبة بالوقود ، يحترق ويتأجج وينضج مادلع به اليه .

لكن الكتاب على الرغم من ذلك لم يبد غريبا عني . دفعني الفضول ان اقترب من العربة واتحمل عذرا لتلكئي عندها . سألت البائع « بكم البطاطا؟ »

ـ « بثلاثة قروش » .

ـ « اعطني واحدة » .

التقطت عيناي فيهذهالاثناء الكلمات المكتوبة على الصفحة التي امامي من الكتاب ، كانت لدهشتي صفحة من « قضية الشاويش صقر» ..مجموعتي القصصية الاولى !

تناول البائع مني القروش ، ومزق ورقة او ورقتين او ثلاثا من الكتاب القى بها الى النار وهو ينادي الزبائن ويغريهم « حلوة يابطاطا » !

القيت نظرة اخيرة على الصفحة التي امامي ، كانت من قصة «استقالة رجل يلهث » . تناولت البطاطا منالبائع وقضمت قضمة كبيرة شهية . وقلت له :

ـ حلوة البطاطا ، ياعم !

قال لي :

ـ بالهناء والشفاء ، يا استاذ !

نزعت بعض الاوراق من الكتاب ، ومددت يدي القى بها الى فوهة الفرن الذي علاه الهباب ، وقلت لنفسي : ما احلى ان تسهم كتب المرء في انضاج ما هو شهي . وكفى المؤلف من امثالي فخرا ان تحقق كتبه ذلك . ولم لا ؟

التحفة الملوكية

المنسوبة للإمام أبي الحسن الماوردي

● تحقيق : الدكتور فؤاد عبد المنعم ●
● اعداد : عادل عبد الصمد ●

ان القرآن الكريم هو المصدر الاول للمفكرين المسلمين ..

ولقد تضمن القرآن امرين هما : العقيدة والشريعة ، فلا عقيدة بدون شريعة ، ولا شريعة بدون عقيدة ..

والعقيدة هي ايمان بالله الواحد وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. فهي علاقة بين العبد وربه لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، فالله واحد « لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » ..

وأما الشريعة فانها قد تتغير بتغير الديانات«ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» ويتميز الاسلام كرسالة خاتمة للرسالات جميعا بأنه قد أتى بما يصلح لكل مكان وزمان ، فوضع اصولا لا تتغير ، وترك الفروع لتدور في فلك الاصول .

والشريعة هي علاقة أيضا بين المخلوق والخالق فهي عبادات ، وبين الناس وبعضهم البعض فهي معاملات .. وبين الراعي والرعية فهي سياسات . وعند مجاوزة الناس لما أمر الله فهي حدود . بل يدخل عنصر العبادة في كل عمل يقوم به الانسان : في صلاته ، وزكاته وحجه ، وفي طاعة اولى الامروالوالدين وفي معاملة الاصدقاء . والشفقة على الحيوان ــ فكل عمل هنا فيه أمر أو نهي هو عبادة .

ومما هو جدير بالذكر ان السياسة من الدين ، ولهذا كانت موضع ابحاث من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة المسلمين ، ومن ثم كان الامام أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي « المتوفى عام ٤٥٠هـ » والذى يعتبرمن اجل واقدر المصنفين في البحوث السياسية في عصره ، فهو على الرغم من كتاباته في مجالات كثيرة : كالتفسير والحديث والفقه واصوله ، والكلام والاخلاق والادب ــ فان كتاباته السياسية كانت موضع نظر واهتمام من المفكرين المسلمين في عصره وحتى وقتنا الحاضر .

وقد ترك لنا الماوردي من الكتب السياسية الكثير ، ومنها كتاب « التحفة الملوكية في الآداب السياسية » الذى اشتمل على عرض لمبادىء نظام الحكم في الاسلام وما ينبغي ان يكون عليه المسلم الحق في حياته الخاصة والعامة وما يهم كل مسلم ومسلمة لاصلاح المجتمع الاسلامي الكبير . فجاء في ذكر صفات العقل والمشورة ، ان العقل أساس التكليف . قال الله عز من قائل « ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وقال جل جلاله«ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب » فما خاطب الله تعالى الا اولى الالباب . وقال الله تعالى « وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون » .

وروى عن النبي صلى الله وسلم أنه قال « أول ما خلق الله العقل ، فقال له:

اقبل فاقبل . ثم قال له : ادبر فادبر . فقال عز وجل : وعزتي لاسكننك فى خيار خلقي ، وما خلقت خلقا اعز عل منك ، بك آخذ ، وبك أعطى وبك احاسب وبك أعاقب » .

وقيل لبعض الحكماء : بم يعرف عقل الرجل ؟ قال : بقلة كلامه وطول صمته، الا ترى أن الله خلق للرجل اذنين ولسانا واحدا .. فالحكمة فى ذلك : حتى يكون استماعه أكثر من كلامه ..

ويقال : ثلاثة اشياء مجلبة للآلام ومؤدية للامراض والاسقام : كثرة الكلام وكثرة المنام ، والاستكثار من الطعام ..

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صل الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت »

ولا يكفى فى الدلالة عل كمال المرء حسن ملبسه ، وملاحة شيمته وحسن لحيته ، بل هو كما قال النبى صل الله عليه وسلم « المرء مخبوء تحت لسانه »

وقال الاصمعى : ما احسن جواب يزدجرد وقد ساله انو شروان : ما زينة الرجل ؟ قال : العقل الذى يسود به عل سائر اقرانه ، قال فان لم يكن ؟ قال : علم يبلغ به درجات العقلاء .. قال : فان لم يكن ؟ قال : خلق حسن يعاشر به الناس .. قال فان لم يكن ؟ قال : كرم يستر ما نقص من دينه ، لان الدين تابع للعقل ، فاذا نقص العقل نقص الدين . قال : فان لم يكن ؟ قال ادب يستعين به عل ما ابتل به فى دهره .. قال : فان لم يكن ؟ قال : صمت يستر جهله .. قال فان لم يكن ؟ قال : صاعقة من السماء تنزل عليه فتحرقه !

ثم يوجب عل كل مسلم ان يستعين فى كل عمل يقوم به بالمشاورة بعد الاستخارة ، قال عليه الصلاة والسلام « ما خاب من استخار ولا ندم من استشار » .

وقد خص الله سبحانه وتعالى سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم بكمال الخلق وتمام العقل حتى انه سبحانه وتعالى قال عز من قائل « وانك لعلى خلق عظيم » .

ومع ذلك قال سبحانه وتعالى « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » ،وهذا هو صلى الله عليه وسلم ، اكمل الخلق عقلا وخلقا فبهذا الاعتبارلابد من الاستشارة فى كل امر تريده ، ولو استشرت اكبر منك أو أصغر منك . فاياك وترك المشورة اقتداء بالنبى الكريم وعملا بالكتاب العزيز ..

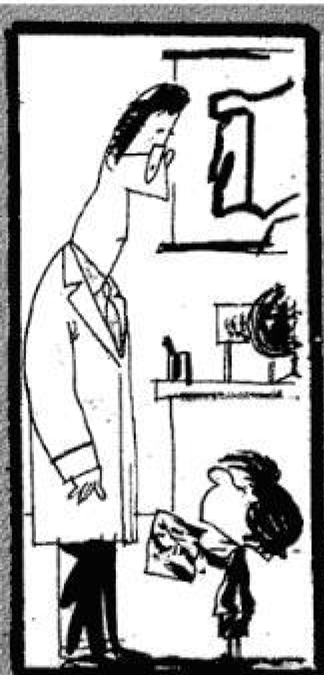
ثم ينتقل بنا الحديث من العمل واهميته فى تسيير الامور فنرى انه يجب على ولى الامر ان يقابل شكر نعمة الولاية التى انعم الله تعالى عليه بها باستعمال العدل مع الرعية ، واجتناب الجور فى كل قضية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سل سيف الظلم والجور سل الله عليه سيف الغلبة ولازمه الغم »

وفى الحقيقة ان اول شىء يجب على ولى الامر العمل به نشر العدل الذى هو صلاح العالم ، الهو الاساس الذى يبنى عليه نظام الملك ، لانه اساس الدين ، وهو ميزان الله فى الارض ، به ينتصف المظلوم ممن ظلمه ، وبه يؤخذ للضعيف من القوى ، وبه يتميز الحق من الباطل ، وهو من صفات الذات .. من تعلق به نجا ، وادخله الجنة ، وكل الاعمال توزن بميزان العدل ولم يخلق الله تعالى فى الارض افضل من العدل .

قال رسول اللهصلى الله عليهوسلم: « احب الناس الى الله واقربهم السلطان العادل وابغضهم الى الله وابعدهم السلطان الجائر » وقال ايضا « عدل السلطان يوما واحدا خير من عبادة سبعين سنة » . فالعدل هو الاساس الذى ينبنى عليه نظام العالم ، فاذا استعمل الملك العدل عمرت الارض وامن العباد وتحصلت الاموال ، وانتظمت الاحوال .

كاريكاتير

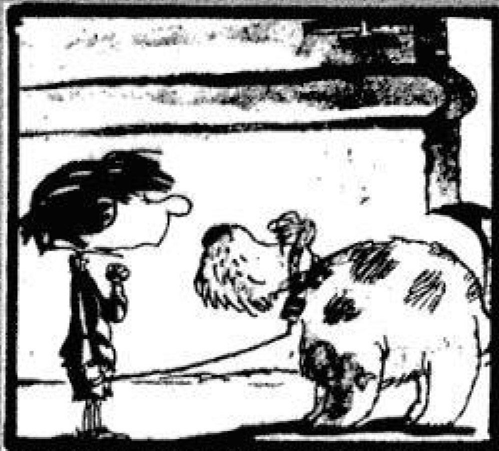
جيل جديد جدا !



الولد للمدرس : ما اقدرش ابدا اعطي الشهادة دي لابويا .. حرام ! ده حوالي يوصل لي الواجب كل يوم ، والآخر اروح اقوله اتفضل ، انت ساقط في كل المواد؟!

الولد للبنت : [illegible] ابدا [illegible] عرفت واحد [illegible] .. هو ده يصح [illegible]؟!





الولد للكلب : وانا وانت يابوبي ممكن نعمل شلة لها العجب : .. الشخشيخة الكلاسيك .. وانا عندي القوة الضاربة !



الولد لابيه : وحياتك يا بابا انا برغبة نفسي اطلع الاول على الفصل .. لكن اسأل ايه بقى في الـ ٣٩ واحد مجتهد في الفصل غيري !؟



الولد لزميله : اقصر الشر واعتذر احسن لك ! ابويا اهو زي ما انت شايف ، طول ايه وعرض ايه .. وممكن يفهمك ازاى تتكلم لابنه حبيبه !

أغوار الأشياء

● عبد العزيز الشناوى ●

تهالك على المصطبة . ادركه صوت زوجته :

ـ خيرا يا سالم ...

آه ، الا تنتظر حتى اجلس ؟. التقط انفاسى ؟. الم تر العرق المتفصد من جبينى .. ؟!

ـ ماذا قال لك طبيب الوحدة المجمعة ؟.

نصحنى بالراحة اسبوعين . برزت ضلوعى. تكور كرشى. صار «الابكرور»

ـ لقد جاء شنشى .. غاضبا !.

فى ذمتى له ثلاثة جنيهات ، عندما اعمل .. سوف اسد فمه الواسع . لماذا يغضب ؟ طارت الدنيا ؟ الا يكفى ان الدار مشققة الجدران ؟ واطئة السقف ؟ كل اسبوع ينط الى هنا ؟.

ـ مر شهران . وهل الشهر الثالث ..

ـ لقد جهزت « الزوادة » .

كيف اذهب مع « الترحيلة » . وقد امرنى الطبيب الا ابذل اى مجهود ؟. اعرف ان زوجتى تدرك معنى عدم ذهابى مع الانفار . يتحول الى استدانة. مشاجرات بينى وبينها، ربما تنتهى بأن تجمع ملابسها فى صرة . تذهب الى دار أمها . ستترك لى أولادى الستة!.

« لقد جئت من دار ابى بدونهم ، يكفى ان امى ستطعمنى !. »

ـ ماذا فعلت فى المستشفى ؟

قال لى الطبيب : تضخم طحال ... ماذا تنتظرين من انسان يعيش طول عمره بقدمين مغروستين فى الطين ؟. يشرب وحل القنوات ؟ يغمس اللقمة الجافة فى طبق الالم ؟!.

استلقى على المصطبة ..

ـ يبدو انك قد الفت الراحة !..

منذ متى عرفت طعم الراحة ؟. عندما كنت صغيرا ذهبت الى الغيط وفى يدى فاس صغيرة . حينما كبرت تعلقت بكتفى الفاس !.

ـ هل ستنام ؟.

لو نمت قليلا ، ربما انطفأ المسمار المشتعل فى بطنى .. استطيع ان اصلب ظهرى . حينما كان يعود ابى من « الترحيلة » . كان يظل نائما طوال يومين على ظهر الفرن . يشكو من كل عضو فى جسده .

ـ الجرار فى جرن داير الناحية .. هيا لتلحق بالانفار !.

كيف يذهب رجل مريض معهم ؟. ماذا يعمل ؟. ارقد تحت ظلال الاشجار؟ امسك الفاس . واسقط على الارض ، يضحك على العمال ؟.

ـ لكن كيف تمر خمسة عشر يوما دون ان يدخل يدك مليم واحد ؟. كنت تنتظر مثل هذه الايام كما ينتظر الاطفال العيد !. من اين تاكل انت وامك العجوز وزوجتك واولادك ؟. حياتك من اليد الى الفم . اليد المرتعشة تاتى بالقليل، الافواه مفتوحة من آخرها تبتلع الكثير نقيه المسجد يقول الملائكة لا تاكل ، لو خلقنا الله مثلهم !.

***

لماذا لوت زوجته ظهرها ؟. اسرعت نحو صحن الدار ؟. تطلع الى الحمامة الراقدة فى « البنية » ، فرخاها الصغيران يفرسان منقاريهما فى صدرها يطالبانها بالغذاء .. كيف تقدمه اليهما



وقد اصيب جناحها بحجر .. ؟ من الذى قذفه ؟ آه لو عرفته !

هوت الحمامة من « البنية » . راحت ترفرف بجناح واحد . البلت الزوجة. اسندت الفأس الى قرارة « الزوادة». لماذا تنظر الى ؟. تحثنى على النهوض ؟. الا تعرف انك مريض ؟. كانت طوال الليل تسخن الردة فى الطاسة . تضعها فى طرحتها . تربطها على بطنك !.

ــ هيا .. يا سالم !

لا يكلف الله نفسا الا وسعها ... الذهب والوسل لكل نفر ان يساعدنى.. « ما دمت مريضا ، لماذا جئت يا سالم ؟ » .

اخذت الحمامة تلتقط الحب. رفعت راسها نحو « البنية » . كيف ستعود اليها ؟. جناحها مكسور .. حاولت الطيران ، سقطت على الارض. وامسكت بها الزوجة ، وضعتها فى « البنية » .

اغمض عينيه .. ساعدت زوجتك الحمامة ، اعادتها الى فرخيها .. من الذى سيساعدك اذا ذهبت مع الانفار ؟. كل واحد يقول يارب نفسى ..

عندما كنت سليما اتقدم العمال . صيحاتهم تلاحقنى ، تطالبنى بالمساعدة لم ابخل على احد . كان أبى يقول :

ــ اعمل الطيب وألق به فى البحر سيلقاك يوما ..

متى يأتى هذا اليوم ؟. الآن كل واحد يمسك بالملعقة . يقذف بالطعام فى فمه . الخير ، الحب ، الوفاء .. كلمات فقدت بريقها !.

ــ سوف تمر ايام « الترحيلة » بالطول او بالعرض ..

مايزيد من آلامى ان زوجتى لا تصدق، لا تحس بالسكاكين التى تقطع امعائى. كيف اذهب مع الرجال ؟. اريد ان اصبح مسخرة بينهم ؟. من الذى سيبلل لى ريقا ؟ كنت اساعد الكثير منهم . لابد انهم نسوا خدماتى عليهم ..

ــ استلفت جنيها من الحاج جادالبقال لاشترى دقيقا ، ولاجهز « الزوادة » .. الا يكفى اننا نشترى منه الصابون والشاى و .. بالاجل ؟. اصبح دينى ثقيلا ، اربعة جنيهات ونصف .. آه اريد ان اقتل الألم ، ساعة الم ولا آلام كل دقيقة . !

●●●

جاءه صوت امه العجوز من جوف حجرة الفرن :

ــ توكل على الله يا ابنى ، ربنا يجعل لك فى كل خطوة سلامة .

وجه شندى الغاضب ، صورة الحمامة الجريحة وهى تطعم فرخيها . كلمات زوجته الشجعة . دعوات امه تمسح على آلامه .

نهض واقفا ، التقط الفاس فى يده ، حمل القرارة على ظهره .. ارتفعت صيحات الانفار :

ــ قرب .. قرب يا سالم !..

تحرك الجرار ببطء . اتسع الخطو، امتدت عشرات الايدى تاخذ بيده الممدودة ...

في علم الجمال



● ماهر شفيق فريد ●

« الصحيفة البريطانية لعلم الجمال » مجلة فصلية تصدر عن مطبعة جامعة اوكسفورد ، وتتناول قضايا الأدب والفن من زاوية فلسفية عميقة المنظور بعيدة الأغوار . وقد حوى عددها الاخير مقالة بقلم ن ١٠ . ماكادو ــ المحاضر في التربية بكلية جولد سميث بجامعة لندن عنوانها «الجمالي النزعة ، وعديم الذوق الفني» يناقش فيها هذين النمطين المتقابلين من متلقي الفن .

يقول الكاتب : كثيرا ما يستخدم مصطلحا « جمالي النزعة» و « عديم الذوق الفني» في سياق ابحاث علم الجمال ، دون تحديد واضح لمفاهيمها على سبيل التحقيق . ومن ثم كان واجبا ان ننظر اليهما نظرة اعمق ، لتبرز بعض المشكلات الرئيسية لطبيعة الفن ، ومنها هذه المشكلة : كيف يمكن للفن أن يولد استجابات متناقضة كتلك التي ينطبق عليها الاغراق في الناحية الجمالية من ناحية ، والعجز عن تذوق الفن من ناحية اخرى ؟

يمكن ــ في محاولتنا الاجابة من هذا السؤال ــ ان نقيم التفرقتين التاليتين :

اولا ــ الجمالي النزعة هو الشخص المعنى بالاعمال الفنية كعوالم قائمة براسها ، لا يحكمها غير قوانين علم الجمال .

اما عديم الذوق الفني فهو ــ على النقيض من ذلك ــ يحكم على الاعمال الفنية بمدى مطابقتها لعالمنا الراهن .

ثانيا ــ لا ينغمس جمالي النزعة الا في الانفعالات الجمالية الخالصة التي يولدها الفن ــ نعني الانفعالات التي يولدها فينا مرأى الرشاقة والتناغم وما الى ذلك بسبيل . اما عديم الذوق فلا يعنى بهذه الأشياء ــ ان عنى بها اساسا ــ الا لماما . والاحرى انه يجنح اما الى الانتقاص من الاعمال الفنية باعتبارها مفسدة لانفعالاتنا ومشاعرنا غير الجمالية او الى النظر الى الفن نظرة تعليمية على انه مرب للانفعالات غير الجمالية ، يزيدنا فهما لانفسنا وللحياة .

والمشكلة الرئيسية تثور عندما يحاول ممثلو كل من هذين الاتجاهين تطبيق مقاييسهم على كل انماط الفن ، دون

تمييز . انظر مثلا الى معالجة افلاطون للموسيقى فى كتاب « الجمهورية » وهى التى تبعث منها آراء اعداء الفن . ان افلاطون يعالج الموسيقى على انها لغة يطبق عليها احكاما خلقية ، فيمدح موسيقى الدوريين لأنها تعبر عن افكار حربية تستثير الهمم ، ويدين موسيقى الميكسوليديين لانها اباحية تميل الى الترخص . ومن ناحية اخرى نجد فى معسكر الجماليين باحثة مثل مرجريت مكدونالد تثنى فى بحثها المسمى «لغة القصة » على الموسيقى ، وتوصى بأن ينظر — على سبيل التغيير — الى الجملة القصصية كما ينظر الى الجملة الموسيقية ويمكن ان نعد ابحاث علم الجمال — منذ افلاطون وارسطو حتى يومنا هذا — سلسلة محاولات للتوفيق بين هذين الموقفين .

عالم جمال رحل

وندع « الصحيفة البريطانية لعلم الجمال » الى مجلة « ذا نيويورك ريفيو اوف بوكس» حيث نجد مقالة لهارى لفين ، استاذ الادب المقارن بجامعة هارفرد ، موضوعها ناقد أدبى وعالم جمال بريطانى كبير رحل عن عالمنا منذ شهور هو ايفور آرمسترونج رتشاردز « ١٨٩٣—١٩٧٩ » .

يقول كاتب المقال : عندما اصيب رتشاردز فى الربيع الماضى بالمرض الذى قضى عليه كان قد عاش حياة طويلة واسعة الرقعة ، ذات نشاط غير عادى ، وكان العالم كله له وطنا . ففى عامه السابع والثمانين اعاد زيارة الصين التى سبق له ان زارها فى شبابه ، ودرس فى جامعاتها ، وكانت مسرحا لكثير من تجاربه التربوية ومحاولاته اقامة جسور فكرية بين الشرق والغرب . ورغم صحته الآخذة فى التدهور ، قوبلت محاضراته هناك باستقبال حافل . ولمدة خمسة اسابيع ، اغدق عليه الطب الصينى كل براعته ، ثم اقلته الحكومة الصينية وفريقا من الاطباء طائرة عادت به الى جامعة كمبردج حيث توفى فى يوم الجمعة ٧ من نوفمبر ١٩٧٩ .

عندما كان رتشاردز طالبا جامعيا فى كليفتون وكمبردج كان يضطر الى التغيب عن الدراسة بين الحين والحين ، اذ كان يتهدده مرض الصدر ، ولكنه اعاد بناء صحته فيما تلا ذلك من أعوام حتى غدا متسلقا للجبال لا تكل له همة وعلى قمة جبل التقى لاول مرة بدوروثيا بيلى متسلقة الجبال البارعة التى غدت فيما بعد زوجته . واذ كانا رفيقى سفر لا ينفصلان ، كانا يقضيان اغلب عطلاتهما على جبال الألب او بحثا عن ذرى ابعد يتسلقانها . وحتى فى سنواتهما الاخيرة بولاية نيو انجلند الأمريكية ، بعد ان أصيبت مسز رتشاردز اصابة شديدة فى حادث عربة ، ظلا يخرجان الى الجبال اثناء عطلات نهاية الاسبوع .

***

كان رتشاردز انسانا ينظر الى الحياة من الذرى نظرة شاملة . وقد وصف قصيدة اليوت « الأرض الخراب » عند ظهورها بانها تحدث انفصالا بين الشعر وجميع المعتقدات — وهو رأى لم يتمكن اليوت من تقبله ، رغم أن صداقتهما

القائمة على الجدل كانت دافئة طويلة الامد .

لم يكن رتشاردز رجل معتقدات قدر ما كان رجل اتجاهات ، وكان من الطبيعى ان تتغير هذه الاتجاهات مع نموه الزئبقى . فاذ واجه مشكلةالقيم، وهو واقع تحت تاثير فلسفة ج.١.مور الاخلاقية ، وعلم نفس وليم جيمز ، وفسيولوجيا شرنجتون ، قرر ان يحل المشكلة على مستوى تجريبى

ولم يكن عبثا انه حاز مرتبة الشرف وهو طالب جامعى فى علم الاخلاق ، وان اول مقالة منشورة له كان عنوانها « الفن والعلم » ، لقد ظل التوفيق بين هذين الامرين شغله الشاغل .لقد جلب الى كلية الادب الانجليزى ،عند انشائها بجامعة كمبردج ، منهجاجديدا يجمع بين الفلسفة والتحليل ، بدلامن الاتجاه التقليدى الى دراسة الخلفية التاريخية والفيلولوجية للأدب .

كانت الدراسات الأدبية فى ذلك الحين – فى انجلترا والولايات المتحدة على السواء – تجنح اما الى ان تكون معنية بعلم الاثار ، أو الى أن تكون انطباعية النزعة . لم تكن النظرية ، واعادة تحديد معنى المصطلحات ، وتصور المشكلات ، امورا تهم العالم الاكاديمى ، رغم المجهودات المتفرقة لنقاد من طراز كنيث برك فى امريكا، وهربرت ريد فى انجلترا .

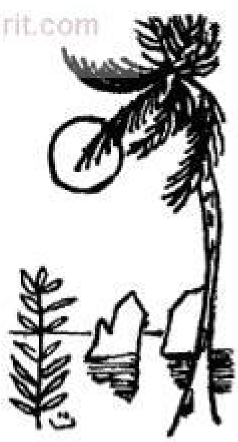
ووجدت ايديولوجيات ماركس وفرويد – ان خيرا وان شرا – تعبيرا عنها فى حقل النقد . اما علم اللغويات وان يكن وثيق الصلة بالأدب لدى كثير من مدارس النقد على ظهر القارة الاوروبية – فقد سلك دربه الخاص ، الى ان جاء المذهب البنيوى ليربط بين الأدب وعلم اللغة . كان رتشاردز هو الاستثناء الوحيد من هذا الانفصال بين مختلف الانساق الفكرية . فلاكثر من نصف قرن ظل يحاضر ويكتب عن القضايا التى تجدها اليوم فى أحدث اعداد المجلات الادبية والفلسفية .

كانت نقطة بدايته هى اشتراكه مع ذلك الناقد السريع البديهة تشارلز اوجدن فى تاليف كتاب «معنى المعنى» «١٩٢٣» . فىذلك المدخل اعان رتشاردز على مسح الارض واقامة القواعد ، ان لم يكن لـ « علمالرموز» فعلى الاقل لتاكيد اهمية علم المعانى باعتباره وسطا بين الفكر واللغة .ومن ذلك الكتاب انطلق رتشاردز بمفرده الى تاليف كتبه التالية التى كان لها تاثير عميق : « اصول النقد الأدبى » « ١٩٢٤» ، «الشعر والعلم»«١٩٢٦» « النقد التطبيقى » (١٩٢٩) ،«كولردج عن الخيال » «١٩٣٤ » ، « فلسفة البلاغة » ، « ١٩٣٦» ، « التفسير فى التعليم » «١٩٣٨» ، وغيرها .

لؤلؤ ومرجان

● تاج الدين سلامه نوفل ●

«سوسينا» فى داخل نفسى
روح متصـــل بكيـــانى
وجه يتلألأ فى طهـــر
ويشـــع بنــور الايمان
وعليــه وشـــاح من نور
كاللؤلـــؤ او كالمرجـــان
وكان الشمس بطلعتـــه
تشرق فى افق نـــورانى
فتـــراها فى زى عف
مثـل مـــلائكة الرحمن
زاهدة فى عرض الدنيـــا
لاتطمع فى العرض الفـــانى
لاتطمــــــع الا فى حبى
ورضـــاى عليها رضـــوانى
وتقوم من الليل تصـــلى
يحرس حجرتهـــا ملكان
وتناجى الله على وجـــل
ورجاء ـ نجـــوى كـــروان
ما بين قيام ، وصـــيام
وهدى ، وتلاوة قـــرآن
واراها اليوم بلا فخر
اتقى ، اتقى اهـــل زمانى
هل هى «رابعة» فى التقوى
ام هى بلقيس «سليمان»
ام هى من هى فى تقـــواها
لك ربى يا ابنة «عمران»
«سوسينا» بادئة عمرى
«سوسينا» خاتمة زمانى
فى حبـــك يا حبة قلبى
قلبى ينطق قبل لســـانى
فانا بــك شـــاعر كونيـــا
وانا بك اعظم انســـــان
وانا بك يامالكـــــة قلبى
ملك وله بك تاجـــــان
انى منتظرك فى شـــوق
فى وجد يغمر وجـــدانى !
ستطير الدنيـــا من فرح
بحبيبـــين يلتقيـــان
هيا نستغفر ونصـــلى
حتى يلتقى القمـــران !



قصة

الرباط

● عبد الستار خليف ●

● تشاجرت مع اختى الصغرى على اقتسام قطعة من « حلاوة الزمان »، فقذفتها بحجر وجافة اصطدمت براسها . سال الدم منه . صرخت وولولت . وضعت يدها اليسرى على موضع الدم ، ودخلت الدار تهتف على امها ..

وكان نصيبي علقة ساخنة من اخى الاكبر . ضربنى ضربا مبرحا .

حتى قررت الرحيل عن القرية لانجو من علقة ابى عندما يعود من الحقل فى المساء ..

اخلت اعدو ، واعدو ، وانا الهث .. والاف الدموع سالت باهتة على وجهى .. حتى وصلت الى مشارف المدينة . قررت ان استريح ..

بجوار بائع شاى له « نصبة » على قارعة الطريق ، جلست . لكن الرجل رمقنى بنظرة قاسية وقال بقلقلة : ماذا تريد ؟

هززت راسى فى مسكنة : لاشىء .

هنا هتف على صبيه : ولد ياشلاطة .

خرج الصبى من داخل النصبة ، وهو يجيب فى صوت رنان : حاضر يا معلمى ! .

اشار على : .

ــ ابعد هذه البلوى عنا ! .

فلم انج من ضربة قدم صبى بائع الشاى .

وتحاملت على نفسى وسرت ..

وجدت بعض الصغار يجلسون بجوار اكوام الزبالة . ينقضون النفايات لبيعها فى سوق « الخردة » ، جلست بجوارهم انقب مثلهم عن « الخردة » . وعندما جمعت بعض قطع النحاس والمسامير والصواميل .. وضعتها بجوارى . اختفت . سرقها صبى قذر يلبس بنطلونا وقميصا ممزقا . سألته :

ــ اين كومى ؟

بحلق فى ومط بوزه وقال فى بجاحة:

ــ ماذا تريد ؟؟ اهرب من وجهى !

ودفعنى للخلف . فسقطت .. انهال زملاؤه على بالضرب حتى جرحت فى اكثر اجزاء جسمى . تركتهم وسرت فى المدينة ، واذا صوت عربة من خلفى ينطلق بشدة ، واحدث وقوفها فجاءة صوتا مرعبا ، واطل السائق برأسه من كابينة القيادة وصرخ :

ــ امش على الرصيف . ستجلب لنا مصيبة فى هذا اليوم !

وهناك بجوار الجامع جلست ..

عندما خرج المصلون ، اقتربت من شيخ كان آخر من خرج من الجامع ، وقلت له :

ــ انى جائع يا سيدنا ، اريد قرشا اشترى به رغيفا .

وضع يده برفق على كتفى وسألنى :

ــ ما اسمك يا غلام ؟

لاول مرة احس بحنان فى هذه المدينة

القاسية التى لا تعرف الرحمة، مدينة بلا قلب !

اجبت : حسن ..

عاد يسأل .. واين ابوك ؟ . وامك.

اجبت : فى عزبتنا .

— ولم تركت عزبتكم واتيت الى هنا يا حسن ؟!

تلعثمت ثم اجبت : ضربنى اخى الاكبر لاننى جرحت اختى فى جبهتها.

ابتسم .. وربت على كتفى بحنان.. ما اسم ابيك يابنى ؟.

ترددت ثم قلت : صالح . صالح الراوى ...

دهش وهتف :

— انت ابن الشيخ صالح ؟!! من قرية « البرادلة » ، اننى اعرفه . انه شيخ طيب ، ومن اتباع الطريقة الشاذلية . كل عام يقيم ليلة لأولياءالله الصالحين . ويذبح الذبائح لاهل الله . لا اكاد أصدق أن ابنه على هذا المنظر المؤلم !.

صمت ، ثم اخذ يهز راسه فى حسرة والم واستطرد قائلا :

— لا تخف . ساعطيك قرشا على ان تعود الى قريتك .

ورن صدى الكلمة فى اذنى : قريتى .. اعود الى قريتى ، الى امى وابى واخى و « لوزة » اختى . كنت دائما العب معها : اعود الى الترعة ، والساحة الكبيرة التى امام باب الدار ، ونخلة البلح وكلبى وشجرة التوت ، والقلاع ، وصيد العصافير . وساقيتنا وارض الطماطم . ما احلى ذلك . لماذا هربت .. كيف طاوعتك نفسك على ان تترك قريتك. كان ابى سيضربنى ضربا مبرحا. خفت وهربت . قلت فى ذلة ومسكنة بصوت خائف !

— ان عدت سيضربنى ابى !.

— اخبر اباك ان الشيخ زكى المؤذن، قابلنى . واننى اشتكيت له . وسوف يحضر ظرفنا يوم السوق . سوف يؤنب اخاك الاكبر لانه ضربك . عد قبل حلول الظلام ، لان امك سوف تبحث عنك الآن ..

ووضع فى يدى قرشا ..

وفكرت فى شراء حلوى لاختى ..

وسرت عائدا الى قريتى .

انتبهت على صوت نباح كلبنا الصغير، يقترب منى وهو ينبح ويقترب . واخذ يتلمس اطراف ثوبى بفمه ويهز ذيله فى سرور لعودة صاحبه . ماذا فعلت امى؟. هل سالت اولاد الجيران عنى ؟. وابى .. هل انب اخى الاكبر على ضربى ؟!. وهل وضعوا العشاء كعادتهم وامتنعوا جميعا عن تناوله لحين عودتى ؟!

ظهرت اختى الصغرى على باب الدار ..

عندما شاهدتنى ، هتفت فى فرح:

— حسن . اخى حسن !.

واقبلت على .

وجدت جبهتها مربوطة برباط من الشاش الابيض . ومدت يدها وامسكت يدى ..

— امك سالت عليك ، اين كنت ؟!

وملت عليها وطبعت قبلة على الرباط مكان الجرح . واحسست ان هناك رباطا خفيا يربطنا معا ، اقوى من كل شىء ..

واسترسلت تقول فى فرح :

— شحاتة التمرجى ، وضع لى دواء احمر وربط راسى برباط ابيض . انظر .. اصبحت مثل العروسة .!

وربت عليها . واخرجت لها الحلوى التى اشتريتها بالقرش الذى اعطاه لى الشيخ زكى .

فرحت واطبقت يدها على الحلوى .

— كنا منتظرون من غير عشاء .. لقد ذهب « على » يبحث عنك فى « الجيرة » لناكل معا .

وضعت يدى على كتفها ودخلنا الدار ...

طرقات على الجليد

• يس الفيل •

.. قد يحكمون قيودى
ويطمسون وجودى . . .
ويرقصون بحقد
على رفات خلودى !
.. قد يحرقون شموعا
تلوب خلف السدود
لكنهم لم ينالوا
بغدرهم من صمودى !
ولو على النار القى
مكبلا فى قيودى
لسوف احمل فجرى
على رمود الرعود
واستعيد وجودا
يلوح خلف الحدود !

●●●

وانما انا احيا
بكبرياء عنيد
اخطو برغم احتراقى
الى صباح جديد
اخطو بالف تحد
لكل قيد بليد ! .

●●●

فيا رفاق نضالى
ويا دروع صمودى
الكيل فاض ، فثوروا ..
على بقايا الجمود
وامطروا الافق نارا
على ظلام حقود
وطهروا منه ارضا
عاشت منار الوجود
انتم قوای .. فهبوا
نجتاح تلك السدود
لتستعيد خطانا
مدارج الاخدود
لكى تعود قوانا
محطة للصعود !

●●

ذروة الإيمان

الصبر

● درية عبد الله ●

● الصبر ضربان : احدهما بدني: كتحمل المشاق والثبات عليها سواء كانت المشاق من عمل او من مرض ، يعتبر صاحبها صابرا .. . أما الصبر النفسي فهو متعدد ، فقد يكون عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ، ويسمى عفة .. وان كان من احتمال مكروه سمي صبرا ، وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما .. وان كان في اخفاء كلام سمي صاحبه كتوما

وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا ، واضاف اكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له .. وقال تعالى « ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » ـ وقال عز وجل « اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا » .

ولان الصوم من الصبر ، بل انه نصف الصبر ـ قال الله تعالى : الصوم لي وانا أجزي به ..

ووعد الله الصابرين بانه معهم فقال تعالى «واصبروا ان الله مع الصابرين» وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام : «تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور » .

وفي حديث عطاء عن ابن عباس ، لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال « أمؤمنون انتم ؟ » فسكتوا .. فقال عمر : نعم يا رسول الله . قال «وما علامة ايمانكم؟» قالوا : نشكر على الرخاء ، ونصبر على البلاء ، ونرضى بالقضاء .. فقال صلى الله عليه وسلم « مؤمنون ورب الكعبة ».

وقال المسيح عليه السلام : انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة اوجه ، صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة ..وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة .. وصبر على المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة .. وانما فضلت هذه الرتبة على ما قبلها وهي من الفرائض، لان كل مؤمن يقدر على الصبر من المحارم فاما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الانبياء لانه شديد على النفس . وقال ابو سليمان : والله ما نصبر على ما نحب . فكيف نصبر على ما نكره .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا »

فشفاء القلوب ودواؤها هو العلم والعمل والاخلاص فيه ●

هل يعايش الأديب أبطاله ؟؟

فوكنر وسارتر وكافكا

● د. عبد الفتاح الديدى ●

● هناك شبه كبير بين اللاعب فى مسرح العرائس الذى يحرك عرائسه ، وبين الأديب الذى يحرك أبطال رواياته ـ كلاهما يقوم بالخلق والابتكار للشخصية التى يحركها .. والحركة التى يدفع بها الأديب الكاتب واللاعب فى مسرح العرائس شخوصه الى الحياة فى العمل ، تحول العرائس والشخوص الروائية او الادبية الى ما يشبه الكائنات الحية التى لا يلبث كل منهما ان يتعاطف معها على طريقته . فهو يشاركها متاعبها او يسخط عليها . وقد يرفضها ، ولكنه يعجز عن الخلاص منها لانها ضرورة مثل كل ضرورة تنبعث من الوجود الحيوى للعمل ..

وتنتقل هذه العدوى من الأديب الكاتب واللاعب فى مسرح العرائس الى المشاهد او القارىء . فيعايش الجمهور بدوره الشخصية المبتكرة وينقلها الى واقعه ومعاشه اليومى ، فيضرب المثل باسم تلك الشخصية ويعنى بها الملابسات اليومية لحياة انسان فى واقعه الاجتماعى .. فنحن نقول عن هذا انه يشبه « هاملت » ، ونقول عن ذاك انه اشبه « باوتللو » ونستخدم اسماء مدام « بوفارى » لفلوبير ، و « البرتين » لبروست ، ونريد أن نرجع خصائص بعينها الى بعض من نعاشرهم من الناس .

والشخصية فى هذه الحالة لها دلالة معينة حتى اصبح علماء النفس يستخدمونها ايضا للاشارة الى حالات واضحة عند بعض الناس . فعقدة اوديب لا تزال تسرى على السنة الأدباء والجمهور للاشارة الى حب الام ، وعقدة الكترا لا تزال تردد حول البنات اللائى يعشقن الأب .

والأدباء الكبار فى العالم الغربى استطاعوا أن يثروا الأدب بالعديد من هذه الشخصيات ولكنهم عايشوا الواقع التى عاشوا فيها وشرحوا الظروف

الاجتماعى الذى خصوا به وجود الشخص فيه بحيث تصبح دلالة الانسان واضحة من طريق الظرف الاجتماعى وسلوك الانسان .

***

وقد الف فوكنر سبع روايات تحت عنوان « اهبط يا موسى » ـ التى يبلغ الذروة فى واحدة منها وهى « الدب ». وليس مقصد فوكنر ان يكتب عن الجنوب الامريكى بالذات ، ولكنه يكتب الى الجمهور الذى يعيش فى تلك الاماكن ويتمنى ان يقراه ذلك الجمهور بالذات ، ويود فوكنر ان يدافع عن الجنوب الامريكى فى طلب الخلاص له على يد موسى . فيصبح موسى رمزا للخلاص .

وهو يتجه الى الجمهور من خلال موسى . ويمضى فى رواياته ويخلق الشخصيات التى تحادث نفسها او التى تروى قصتها وهى تحادث سواها من الناس . ويخلق شخصية العم « باك » والعم « بادى » ، ويقول عنهما : هناك الاف من العم باك والاف اخرى فى الحياة من العم بادى !.

ولكن يتميز فوكنر بانه يخلق علاقات قرابة داخل رواياته ويجعل العلاقات الاسرية محورا تدور حوله الاحداث .. فالمدينة هى جيفرسون التى تحتاج الى خلاص موسى من فرعون العنيد ، والاسرة هى اسرة كومبسون . ومن خلال هذه الاسرة نرى العم باك والعم بادى وهما يتدافعان فى احداث الرواية من خلال شباك العلاقات الاسرية .

ويقوم فوكنر بتخصيص احداث الشخوص التى يحركها فى خضم التقاليد العائلية وكانه يوحى الينا بان التحرك



فوكنر

من خلال تلك العلاقات التقليدية جائز بل وممكن من اجل رفع الضغوط الاجتماعية ورسم المواقف الجديدة ..

ويمثل فوكنر طاقة هائلة فى التاليف الروائى . ولكنه يسحب كل الخيوط اعتبارا من علاقات الدم فى هذه السلمية . فالسلوك الفردى مشروط بالتراث الفسيولوجى والنفسى للافراد. وهذه التقاليد الموروثة فى العلاقات الاسرية تلقى الاضواء على كل التناقضات والتحركات الداخلية عند الافراد لانها تكشف الوسط الاجتماعى الذى نشا فيه كل منهم . ولا يمكن فى رايه ان يصل الانسان الى الوعى الذاتى اذا انقطع عن اصوله او اذا لم تتوفر له المعلومات عن ماضيه وتاريخه وعن كل ما اديه الى هذا المصير . وذلك حال احدى شخصياته الاجرامية واسمه « بوبيى » الذى اصبح مجرما آليا وغير قادر فى الوقت نفسه .

وسمة البطل المجرم غير القادر ، هى سمة ابطال الروايات والمسرحيات بعد الحرب العالمية الثانية. لذلك هو النمط الذى يبلغ الحد الاقصى او الذى يبلغ غاية الجريمة . وذلك ظرف نلمسه فى كتاب ومؤلفى المسرحيات والروايات عند انتباه الوعى الى حقائق التاريخ بعد الحرب العالمية فى منتصف الاربعينات.

فنجد نفس النموذج الاجرامى عند جان بول سارتر فى مسرحيته المشهورة من الايدى الملوثة اوالتى يسمونهااحيانا بالايدى القذرة .. فالمجرم العنين اذا صح هذا التعبير ، وبوبى عند فوكنر يشبه هوجو عند سارتر . كلاهما مجرم آلى عنين . وسارتر يوضح لنا شخصية هوجو من خلال العمل السياسى الذى ينبغى ان يؤديه . ويلاحظ هنا ان المجرم الآلى عنين امام الجريمة . بمعنى انه يقف منها موقف العنين ويرتكبها فى عجز وحماقة .

***

وعند فوكنر ايضا المقصود بالجريمة الآلية تحرير المصير بالنسبة الىالجنوب .. ولا يتوقف سارتر عن المشاركة فى معنى التحرير بالنسبة الى الحزب الذى يتبعه هوجو ويريد الخلاص وينشده بان يقضى على شخصية زعيم الحزب الآخر .

وتتلخص رواية الايدى القذرة عند سارتر فى ان حزبا من الحزبين الرئيسيين يحاول ان يتخلص من الزعيم رئيس الحزب الاخر عن طريق القتل. ويتطوع هوجو لاداء هذه المهمة الكبيرة للبرهنة على قدرته فى اداء عمل ضخم . ولكنه كان مكلفا باداء العمل بان ينفذ الىداخل القلعة المسلحة التى يسكن فيها زعيم الحزب الاخر . ولم تسنح له فرصة دخول القلعة بكل الاساليب . فانتظر حتى اعلن الزعيم فى الصحف عنحاجته الى سكرتيرة ، فقدم خطيبته جيسيكا لهذه الوظيفة .

وعندما تقدما معا الى قلعة الزعيم لقيامخطيبة هوجو بهذا العملكسكرتيرة له قبلهما الزعيم معا وعاشا فى القصر فى غرفة واحدة . وامام كرم الزعيم وحفاوته بلقائهما اصبح هوجو عاجزا تماما عن اداء مهمته ، واخفى مسدسه عدة مرات دون أن يملك التقدم لاداء جريمته . وظل يعيش فى القصر بدون عمل سوى اجراء المناقشات السياسية مع الزعيم فى اوقات فراغه .

اما زوجته او خطيبته فقامت بدور السكرتيرة وبدات عملها فى جد ونشاط حتى حازت رضا الزعيم واعجابه . وكانت هى تستعجل هوجو فى اداء مهمته ولكنه يعجز فى كل مرة عن ادائها وهو الطموح الى اداء عمل ضخم فى سبيل العقيدة السياسية .

وبدا الزعيم يغازل خطيبة هوجو . وفى مرة من المرات دخل هوجو على الزعيم فوجده يجلس جيسيكا على حجره ويلاطفها فلم يتمالك مشاعره واخرج مسدسه واطلق الرصاص على الزعيم . وعندما حضر الحراس اشار اليهما الزعيم بان هوجو لم يقم بجريمة قتل الا بسبب الغيرة على زوجته ، وانه لم يقتله بالمعنى المقصود من القتل .. وقبل ان يموت الزعيم اوصى بعدم المساس بهوجو لانه لم يقصد قتله حقيقة .!

والتقط هوجو من هذا الموقف الذى افسد جريمته وجعلها نفثة شعور فردى بالغيرة .

وهكذا ظلت الجريمة بالنسبة اليهعملا آليا اجراميا مصابا بداء العصر



سارتر

الذى لم يستطع أن يواجه مصيره بالشجاعة المطلوبة . وظلت جريمته جريمة سياسية عقائدية مع وقف التنفيذ .

***

وفوكنر هو من مواليد ١٨٩٧ وسارتر من مواليد ١٩٠٥ وكلاهما اشتغل بالادب ليحرر الشباب والبلاد .

والقضية التى يعالجانها هى ما اذا كان المثقف يتحول الى بطل الى منين امام التجربة عندما يتطلب الامر سلوكا عنيفا او يحتاج الى تدبير قوى امام احداث معينة ؟.

وهل اصبحت هذه الخصائص ملازمة للمثقف نفسه ازاء الوقائع المريرة ؟ .

وهل اذا عاش الكاتب ظروفا صعبة المراس مع ابطاله عانى هو نفسه من الاوضاع التى يمر بها هؤلاء الابطال ؟!
وهل صارت حياة الروائى جزءا من العمل الادبى ؟.

***

نعود الآن الى كاتب روائى ثالث ، عاصر أحداث الحرب العالمية الاولى ذلك هو الاديب العالمى فرانز كافكا الذى احتل مكانته الرفيعة بفضل اعماله الرائعة ورواياته المتازة التى الفها وعبر فيها عن أشياء غريبة اقرب ما تكون الى سيريالية الرواية . ومن رواياته المعروفة الذائعة الصيت القضية والقلعة وامريكا .

والغرب من ذلك انه خلف بعد وفاته سنة ١٩٢٥ عن ٤٣ سنة وصية فى شبه وثيقة ارفقتها بنهاية روايته عن القضية

ونص فيها على حرق جميع اعماله المطبوعة . وقام هو نفسه بحرق واتلاف كل المخطوطات التى تبقت لديه ..

ونحن نعلم ان فرانز كافكا ولد سنة ١٨٨٣ من اسرة يهودية ذات مستوى اجتماعى بارز بمدينة براج ودرس القانون فى جامعتها وحصل على الدكتوراه ، ثم عمل فى احدى شركات التامين . واحب بعد ذلك حبا اورثه العناء المرير مع معشوقته فيليسيتا باور . ثم عادت هذه العشيقة فى سنة ١٩١٣ ترغب فى تجديد علاقتها به سوى فتاة يهودية كانت تعمل رئيسة قسم فى احد المحلات الكبيرة . وارادت ان تحقق بعض الكسب المالى بالاقتران بفرانز كافكا فارسلت اليه زميلتها اليهودية مرجريت بلوخ لتقوم بدور الوسيط من اجل اعادة العلاقات الى ما كانت عليه من قبل ..

ولكن هذه العلاقة لم تدم طويلا لان فيليسيتا لم تلبث ان تركته للعناء والضيق والفقر والتشرد سنة ١٩١٧ امام اولى بشائر الحياة الصعبة . ورحلت بعد ذلك الى كندا حيث عثرت على زوج ثرى انجبت منه اولادا .

اما صاحبنا الروائى فقد ظهرت عليه من جديد اعراض المرض وعاش يعانى فى احدى المصحات القريبة من فيينا حيث مات سنة ١٩٢٥

اما الحبيبة الحقيقية لهذا الكاتب فظلت ترقبه من بعد وتتابع اخباره عن كثب وهى مرجريت بلوخ التى ارسلتها خطيبته لتصل بينهما من جديد ولتعيد علاقتهما مرة ثانية حتى يتمكنا من الزواج . الا أن هذه الصديقة اليهودية لم تملك امام رؤيته الا أن تقع فى حبه عندما ذهبت اليه كوسيطة لصديقتها، وحدث ما لم يكن فى الحسبان فقد حملت منه ولدا وهو الذى لم يكن يتصور اطلاقا امكان ذلك

وكانت مرجريت بلوخ تقوم بعمل فى احد افرع احدى الشركات الامريكية فى فيينا وتتمتع بوضع اجتماعى مناسب، فاستطاعت أن تتولى امر طفلها فى صمت دون ان تخبره بذلك . واستطاعت ايضا ان تواصل حياتها مع طفلها منه محتفظة بحبها لهما معا الى ان ظهرت على ابنها آثار الحياة القاسية خلال سنوات الحرب العالمية الاولى وتعرض لامراض كثيرة فى طفولته المبكرة توفى على اثرها سنة ١٩٢١ فى ميونيخ

ومعنى ذلك ان طفلها من فرانز كافكا لم يعش سوى سبع سنوات . والغريب انها عندما عادت القائه بعد ذلك مرة او مرتين فى فيينا — لم تستطع ان تكاشفه بتلك الحقيقة الرهيبة . مع علمها بانه كان لايتصور ذلك . وكان فى الحقيقة يعتقد ان الله غير راض عنه فحرمه من هذه النعمة الجليلة نعمة انجاب الاولاد

ولعلها اخفت عنه هذه الحقيقة اشفاقا عليه من أن يتعرض لصدمة قاسية اذا هو شهد ابنه وعاين حالته الصحية وتألم لمرضه أو لوفاته بعد ذلك [illegible] تتوقع ..



كافكا

ولكنها كتبت للاديب ثلاثين خطابا من خطاباته التى ارسلها اليها على فترات متقطعة سواء فى المدة الاولى التى عرفها فيها اثناء اقامته فى براج واثناء تأهبه للعودة الى حبيبته الاصلية او اثناء اقامته بعد ذلك فى اماكن اخرى . ولكن خطاباته الاولى لا تترك أى شك فى ان لقاءهما الاول كان مثمرا او كان يمكن ان يكون مثمرا على نحو ماروت لنا بعد ذلك مرجريت بلوخ فى سجل صور كامل احتفظت به ليخفى وقائع مريرة من حياة الروائى فرانز كافكا

وحياة فرانز كافكا كانت تبدو فى رواياته مجموعة من الرؤيات الغريبة والتهويمات الشبحية وكانه يصور حياته الخاصة بقلمه فى سجل احداث رواياته . وما كانت رواياته الا ذات دلالة كبيرة على مدى ما يعانيه هذا الكاتب الروائى وكانه هو نفسه فى هذه الحالة بطل رواياته .

وبطولة رواياته جملته اضعف من ان يواجه واقعه او يحفل بمصيره . وكان التمزق الذى انعكس على رواياته مرحلة من مراحل التطور داخل رواياته التى قرأناها وظهرت عند الناشرين او تلك التى بددها وحرقها وتركها سرا مجهولا فى سجل التاريخ . ولعلها كانت تحتوى على البطل المنشود .

● رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠ ●

شرقية الفحام

الأزهار

شعر : رابندرانات طاغور
ترجمة : أحمد مصطفى حافظ

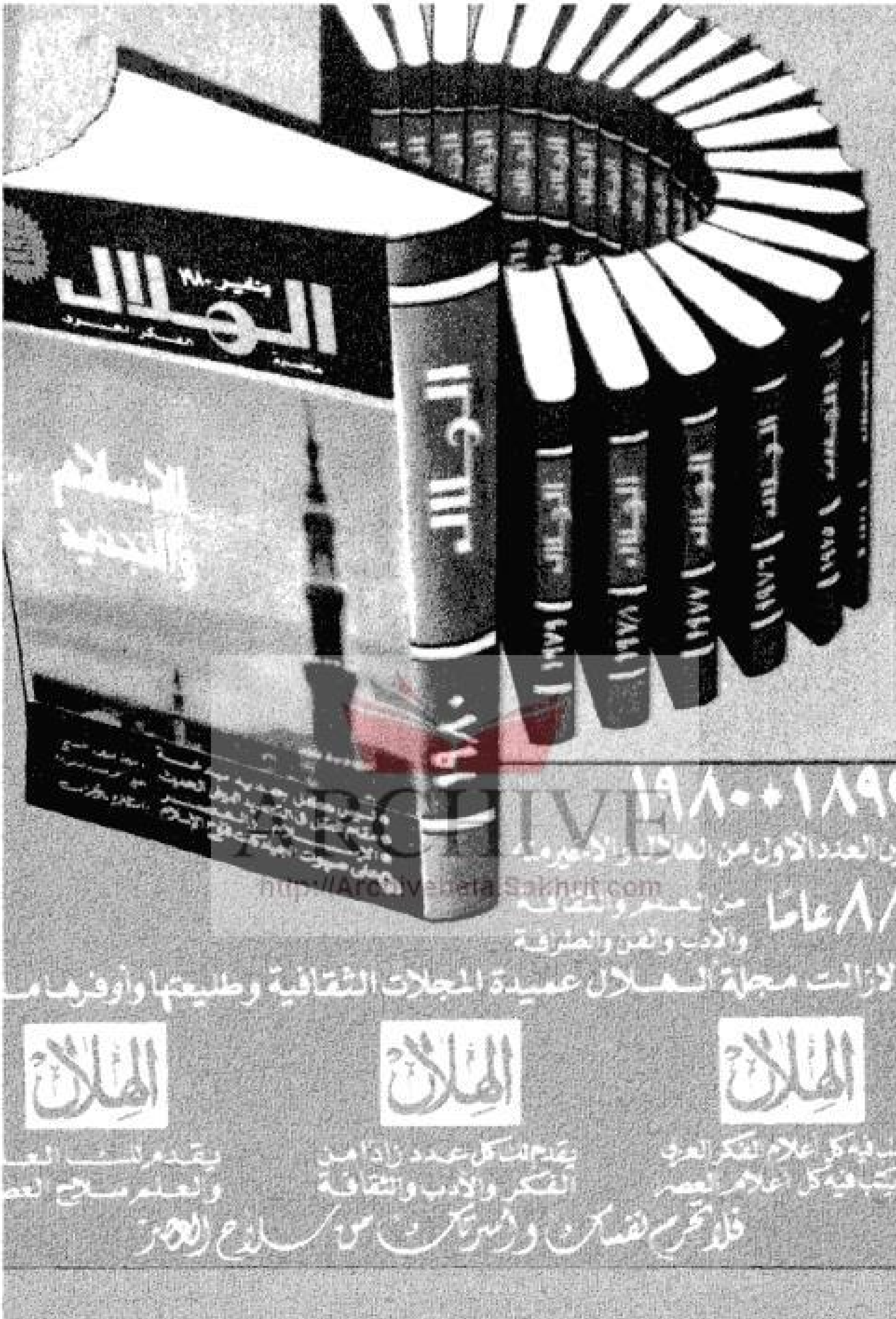
متحايل" تمسلك" القـــدره لتفتح برعم" الزهـــــره
تهز ثويجهـــا ... هـــزا" وتفركهـــا .. بلا" نـدره !
وقد تذرو وريقـــات : وتلقيهـــا بلا خبره ....
فلن" تحظى ببهجتهـــا ولن" تتفتح الزهـــره" !

❊❊❊

ولكن ... من يفتحهـــا بيسر .. سر" من نظـــره !
بلفظة (كن ..) يزخرفهـــا بفن" ... حيث" المهـــره !
وليس كمثلـــه شيء فيا تجلى صـــوره" !

❊❊❊

عصير" الزهر [illegible] يفتـــره فهبة" يطلع من أظـــــره"
تدفـــــق في شــــرايين يفتـــق طلعـــة نضره" !
ترى للزهـــر أجنحـــة : بمتن الريح ، منتشـــره"
قد انتعشـــن" بالـــوانٍ كأسرار الهـــوى العطره"
تدبـ" دبيب" أمنيـــة بقلب ، ذاع" ما ستـــره !
تبارك من يفتحهـــا بيسر .. شاق من نظره !


الهلال
الإسلام والتجديد
١٩٨٠
والأدب والفن والطرافة
لازالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها
الهلال
الهلال
الهلال
يقدم لك كل عدد زاداً من الفكر والأدب والثقافة
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد في البلاد العربية:
سوريا: ٣٠٠ ق.س
العراق: ٤٠٠ فلس
الكويت: ٣٥٠ فلساً
الأردن: ٢٥٠ فلساً
لبنان: ٢٥٠
السعودية: ٤ ½

الهلال
مجلة الفكر العربي
أكتوبر ١٩٨٠







- وضاقت الأرض بأهلها لماذا لماذا ؟
- الفراعنة اكتشفوا أمريكا قبل كولومبس
- المعلقات السبع .. لم تعلق !



- وسألونك عن الجبال .. • من عجائب خلقة الأرنب { استطلاعات بالألوان }


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأتوبيس الجوي

كلمة الهلال

الطريق الوحيد الباقى

بعد الذى حدث فى افغانستان وبولندا لا اظن ان انسانا على قدر معقول من الذكاء والعدالة الا ويرى الآن بوضوح ان الشيوعية فى حقيقة امرها خدعة ابتكرها يهودى حاقد على الدنيا والناس ، هو كارل ماركس ، وطورها يهود او اصحاب مطامع سياسية يبغون الفساد فى الارض من امثال فريدريش انجلز وفرديناند لاسال او مهاويس شواذ من امثال روزا لوكسمبورج وتيتشاييف .

ففى افغانستان اعتدت الدولة الشيوعية الكبرى على بلد فقير مسكين لتأكل ارضه وتحيل اهله الى عبيد ، ثم تقترب بعد ذلك من منابع البترول فى الخليج، ويبدون رحمة او نظر الى انسانية مضى اولئك الذين لا يكفون عن الحديث عن العدالة يسحقون الناس ويهدمون المدن ويخربون ما يمرون به من المزارع ومصادر الخير .

وفى بولندا كان العمال هم الذين ضاقوا بالشيوعية واعلنوا يأسهم منها وفشلها فى تحقيق ما وعدتهم به من ان النظام الشيوعى هو حكومة العاملين والكادحين ، وتبين لهم ان الشيوعية معناها تسخير البلاد واهلها ، لروسيا عن طريق ما يعرف بالحزب الشيوعى ، وهو فى كل مكان اقلية ضئيلة تستبد بالاكثرية ، فرجال لجان الحزب الشيوعى هم وحدهم الذين يعيشون فى سعة اما بقية الناس فيعيشون فى حرمان وضيق وفقر وشقاء .

وقبل يأسنا من الشيوعية يئسنا من الرأسمالية ، فهى حكم المال ورجال المال ، وهى انانية واستبداد وظلم وعبادة للمال . ففى الولايات المتحدة لا يعالج مريض دون مقابل قط مهما بلغ فقره ، واصحاب المصانع يستغنون عن اى عامل يرون انهم لا يحققون من ورائه اضعاف ما يدفعونه له ، ويطردونه دون اى تفكير فى مصيره او مصير اسرته ، وقد عرفنا نحن الوجه البشع للراسمالية أيام الاستعمار ..

اذن ما هو الحل.. ؟

دون ادنى شك ، وبكل عقل ومنطق ان الحل الامثل لمشاكل الجماعات والافراد نجده فى الخط المستقيم الذى رسمه الاسلام .

فالاسلام يامر بالعدل والشورى والاحسان والانفاق فى سبيل الله وتكافل الناس وتعاونهم ، وهو يامر بذلك لصالح الناس انفسهم ، فالله سبحانه غنى عن الناس يدلهم على الخير لصالحهم ، وليس فى الاسلام تنظيم دينى ضخم يثقل كواهل الناس ، وهو ينظر الى صالح الجماعة وصالح الافراد ويسوى بين الناس وينهى عن الاسراف فى جمع المال والاسراف فى انفاقه ، لان المال كله مال الله سبحانه .

ولو ادرك المسلمون فضائل دينهم والتزموا صراطه المستقيم لما كانوا فى هذا الهم الذى هم فيه من قرون .

المحرر

في هلالك هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

ذو القعدة ١٤٠٠
أكتوبر ١٩٨٠

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال .. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢ – السنة الثامنة والثمانون – اول اكتوبر سنة ١٩٨٠ – ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤٠٠

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : مومن صيد

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل الجهد في ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

غلاف هذا العدد وموضوع الغلاف بشرى لبنات حواء ، انهن يستطعن أن يكن فتيات في نضارة الصبا وهن يعاودن الخمسين ، والطريق الى ذلك مفصل في المقال ، اما برهان صدقه فتراه على الغلاف : باقة من البنات قرب الخمسين ...

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم – قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات أو ٤ ج . ا تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

وضاقت الأرض بأهلها.. لماذا؟

بقلم: رئيس التحرير

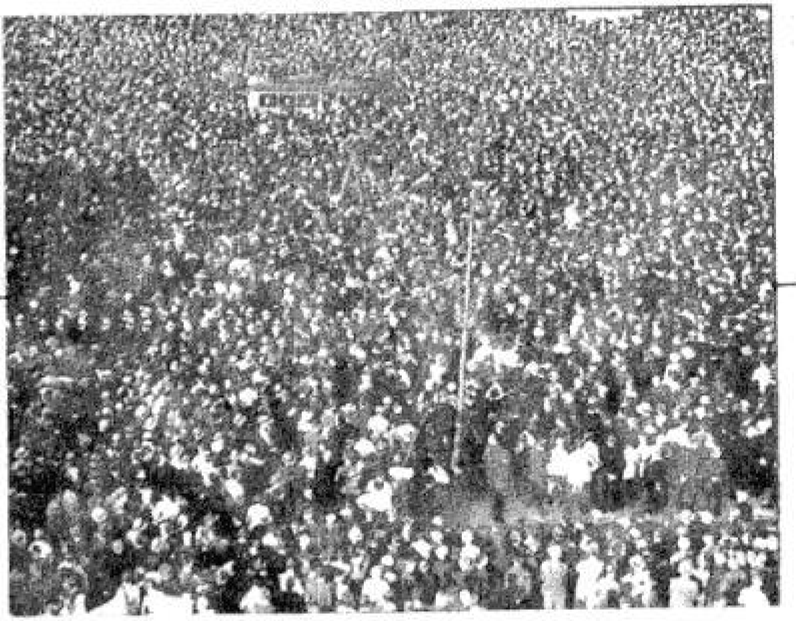
لا ، لا زالت الارض بخير ، ولا زال فيها طعام كاف لكل حى .. ولكن الذى ضاق هى اخلاق البشر . وكلما ازدادت الشعوب رضا ومالا زادت همجية وقسوة وانانية ، وشعوب الارض القوية الغنية تملك اربعة اخماس الارض وتحتجز خيراتها لنفسها ، وتنفق الملايين فى صنع الاسلحة لنشر الخراب ، ولهذا يموت الناس جوعا فى بقية الارض ، ولهذا يجوع الاطفال وتتضخم رءوسهم وتبرز عظامهم ويتهاوون للموت بدل الحياة .

هل حقيقة ضاقت الارض باهلها ؟

هل عزت الاقوات حقا حتى أصبح خمس البشرية يعانى الجوع ، وفى بعض بلاد الدنيا يموت الاطفال بالمئات بسبب نقص التغذية ؟

ان صور الاطفال الجوعى او المرضى بسبب سوء التغذية تثير الخوف فى النفوس ، وأمامى وأنا أكتب هذا المقال صور عن الجوع فى اوغندا وبعض نواحى الهند والهند الصينية تثير الرعب فى نفسى ، حتى أننى أحجمت عن نشرها مع المقال رفقا بالقارىء ، لان أشكال هؤلاء الاطفال لا تصدق ، والموت دون شك هو أحسن علاج لاطفال لا يحصلون على جزء ضئيل مما يلزم لاجسامهم حتى تنمو نموا سويا ، وعندما اقول ذلك أشعر بالالم البالغ يحز فى نفسى ، لانه عار علينا أن يجرى هذا تحت اعيننا ونحن نعلم ان فى الارض طعاما لكل مخلوق ولكن مطامع السياسة وسوء التنظيم وسوء التوزيع وسوء الخلق تحكم على الوف من الناس بالموت من الجوع أو بالحياة على طعام هزيل يؤدى فى النهاية الى خراب الجسد وعجز الانسان عن العمل ...

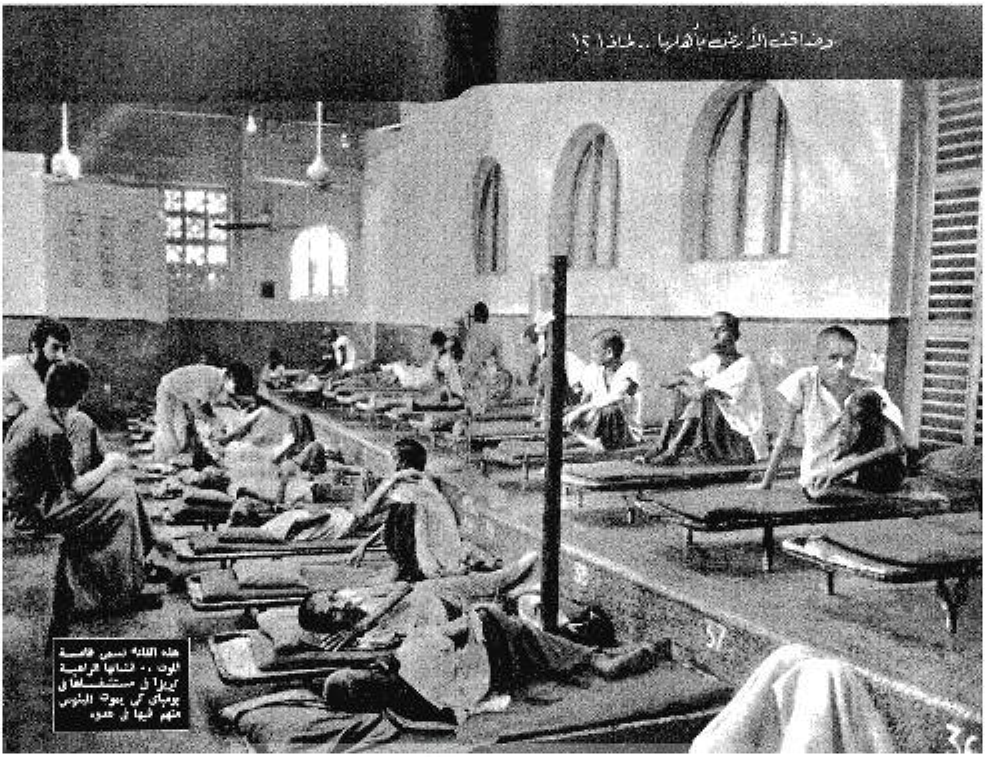
فانك تنظر الى خريطة الارض فينالك العجب .



فهناك شعب واحد هو الشعب الروسي يسيطر على مساحة تعدل الامبراطورية الرومانية كلها ثلاث مرات ، ولا يكفيه ذلك ، بل يسخر لخدمته ومصالحه شعوبا أخرى تخضع له وتعمل لحسابه، وحتى هذا لم يكفه فهاجم بلدا مثل أفغانستان وأخذ ينفق الملايين لكي يصل في النهاية الى اذلال هذا الشعب وسرقة أراضيه ..

ولو ان الروس بدلا من هذا العدوان الوحشي على شعب أفغانستان وفروا جهودهم وبعثوا الى هذا الشعب أغذية بقيمة ما ينفقونه في اليوم الواحد من العدوان عليه لكسبوا فيه سلطانا يعدل الف مرة قدر ما يسعون الى الحصول عليه بالعدوان البشع .. ولكن نتيجة عدوانهم هي القتل والهدم والتخريب على غير طائل واحراق الحقول وقتل الماشية وهي مواد الخير والرخاء ثم ـ وهذا أسوأ مافي الموضوع ـ ان هذه الحرب أخرجت من افغانستان نحو المليون ونصف مليون انسان أصبحوا لاجئين في الباكستان يعيشون مشردين فريسة الجوع في بلد غريب ، هم وأطفالهم يعيشون في خيام لا تحمي من برد أو حر يعتمد الانسان منهم في غذائه على قبضة من دقيق أو ارز وأكثر من يعاني من ذلك الحال هم الاطفال الذين يحتاجون الى أكثر من حفنة الدقيق أو الارز لكي يبنوا أجسادهم وأعصابهم وينشأوا ـ على الاقل ـ بشرا قادرين على مواجهة مطالب الحياة ،فضلا عما وراء ذلك مما تتطلبه من الانسان .

ان ضيق الارض باهلها وما تعانيه البشرية من خوف وجوع وحرمان كان دائما من صنع الدول الكبرى ،فقد كانت دول الفرس والرومان والمغول ثم الانجليز والفرنسيين من اكبر اسباب الخراب في الدنيا . ولقد خرب الفرس ـ لكي يقيموا دولتهم بلادا باسرها تمتد من العراق الى مصر ، وفي عمليات الغزو التي قام بها امثال قمبيز وكورش هلك الالوف من الجوع والحرمان وتهدمت عشرات المدن ، والذين يقرأون تاريخ الرومان ويعجبون باعمال بومبي وسولا وقيصر ولوكتافيوس ويتغنون بانتصاراتهم وما أنشأوه من الطرق والملاعب والحمامات واقواس النصر لا يذكرون الوف البشر الذين راحوا



هذه القاعة تسمى قاعة الموت .. انشأتها الزراعية كبذرا في مستشفاها في يوميان كي يموت البائس منهم فيها في هدوء

وضاقت الأرض بأهلها .. لماذا ؟!

ضحايا ذلك كله . ومصر التي كانت أعمر بلاد الارض في تلك العصور عرفت المجاعات والخراب وموت القرى في عصر الرومان ، لانهم كانوا يستنزفون خيرات مصر لكي يطعموا المتسكعين في شوارع روما ، وهؤلاء المتسكعون كانت وظيفتهم التهليل للقادة العائدين مما كانوا يسمونه ميادين النصر ، فكأن اولئك القادة الذين تزهو بهم صفحات التاريخ كانوا يقضون على ما هو طيب وصالح لكي يعيش ما هو سيىء وغير صالح . والباكس روماتا ، أى السلام الروماني كان في النهاية سلام القبور .

وهذا بالضبط ما تفعله روسيا اليوم رغم مرور العصور وتقدم البشرية ،فماذا والله تفيد روسيا من تخريب افغانستان؟ هل ستصل الى منابع البترول ؟مستحيل وعندما يصل الامر الى مصير بترول الخليج والجزيرة العربية ستكون الحرب العالمية امرا محتوما ، وفي الحرب سيكون مصير روسيا مثل مصير هتلر ، لان هتلر كان معتديا ،والنصر في النهاية لا يمكن ان يكون للمعتدى ، وتلك قاعدة اخلاقية ، ولكنها في نفس الوقت حقيقة تاريخية ، فمهما كانت قوة المعتدى فلا يمكن ان ينتصر في النهاية ، ولا يحيق المكر السيىء الا باهله، وهنا نذكر عبارة قالها قائد ياباني كان قد تقاعد قبل عدوان بيرل هاربر بشهور لقد ذهب مرة الى وزارة الحربية اليابانية ليزور أصدقاءه ، فقال له ضابط شاب : لقد خربنا بيرل هاربر في ساعات ! فقال القائد العجوز المجرب : هذا صحيح ولكنك خربت اليابان في نفس الوقت . لايستطيرك الفرح لانك أغرقت بعض السفن وقتلت بعض الامريكيين ، لانك في الحقيقة ايقظت ماردا رهيبا كان نائما وسلطته على اليابان ..

***

واذن فهذا العدوان كله لن ينفع الروس في شيء .

واذا كانت الشيوعية نعمة فلماذا تفرضونها على الناس بقوة السلاح ؟ لماذا لا تدعون الناس يتبينون فضائل هذه النعمة ويسعون بانفسهم للحصول عليها ؟

واذا كانت الشيوعية ستارا للسيطرة على الشعوب وأراضيها فليس هناك ستار يدوم الى الابد ، لابد أن تتمزق الستر وتظهر الحقائق في يوم ما ، وهنا سيجد كل روسي نفسه يخوض معركة للاحتفاظ بقطعة الارض التي يعيش عليها وليس الروس بأول شعب في التاريخ يسعى لسلب الاخرين أوطانهم صراحة أو من خلف ستار ، ولن يكونوا آخر شعب يدفع من دمه وأرضه ثمن انتهاكه حقوق الآخرين ..

***

وفي أيامنا هذه حاول الالمان والايطاليون واليابانيون استعباد الشعوب وسرقة أوطانها ، وكانت النتيجة أن ارض المانيا نفسها انتهكت وتمزقت وقتل هتلر نفسه بيده ،وفقدت ايطاليا كل ما كانت تملكه ومات موسوليني مشنوقا بيد مواطنيه في مدينة كومو ونزلت باليابان قنبلة هيروشيما ثم قنبلة ناجازاكي ..

وتحررت من نير هتلر وموسوليني والعسكريين اليابانيين شعوب أوروبا وآسيا والكثير من بلاد افريقيه .

والذين ارادوا أن يسرقوا لانفسهم بلاد الآخرين لكي تضيق الارض بأهلها ضاقت بهم أرضهم نفسها ..

لان الارض لم تضق بأهلها قط ،وانما الذى ضاق هي نفوس الظالمين والمستبدين وأخلاقهم .

***

ولكن ، الى أن تأتي هذه النهاية ويلقى الروس ومن تبعهم من دعاة الشيوعية عاقبة عدوانهم ماذا يفعل الملايين من المروعين بتهديد العدوان الشيوعي من افغانستان الى موزمبيق !

لابد من معاناة ولابد من صبر . كما عاني الناس من هتلر وموسوليني

خلال عصور الإستعمار لم تفعل الدول الإستعمارية شيئاً للنهوض بأهل البلاد وتعليمهم كيف ينتفعون بخيرات بلادهم، كان همهم الوحيد إستغلال البلاد وأهلها ونهب خيرات الآخرين وتحويل بلادهم إلى أسواق لمنتجات البلاد المستعمرة

وأذاهما اعواما طوالا حتى أزاحهما الله من الطريق ، فلا مفر لنا من الصبر على هذا الأذى الشيوعي حتى يتأذن الله ويريح الدنيا منه ، ولن ترتاح الدنيا منه الا بعد أن تكون أراض شاسعة بأسرها قد تحولت الى أرض موت ويباب ينطبق عليها كل حرف فى قصيدة ت . س . اليوت المشهورة .

واغرب ما نسمع ان الروس مثلا يعانون من ازمة فى القمح وأنهم يستوردون لا أدرى كم مليونا من الاطنان فى العام . كل هذه الارض فى أيديهم وليس لديهم ما يكفيهم من القمح ! اذن ماذا يفعلون بالارض ؟ القيت هذا السؤال على حاج من أهل طشقند لقيته ذات مرة فى مكة المكرمة ، فقال : ان الارض كثيرة والناس موجودون ومستعدون للعمل . ولكنك لا يمكن ان تقبل على العمل اذا عرفت ان ثلاثة أرباع المحصول ستؤخذ منك باسم الدولة فلا يبقى لك ولعيالك الا الربع .

ولا يمكنك ان تعمل بحماس وانت تعامل معاملة رقيق الارض ، فلا يسمح لك بالانتقال أو التحرك الا باذن السلطات . ان الانسان ينبغى أن يشعر انه انسان أولا لكى يبذل أى مجهود مثمر ، أما ان تضع فوق راس كل مزارع خمسة مفتشين ومراقبين ومحاسبين ، وكل منهم له عليك رياسة وسلطان ، وكل منهم يحصل على أضعاف ما تحصل أنت عليه من القمح الذى تزرعه بيدك فشىء غير محتمل ولا مقبول ، لهذا لا يعمل الفلاحون الا القدر الضرورى وصدقنى ان بلادنا وهى المعروفة عند العرب باقليم الشاش (طشقند) من الممكن أن تقدم القمح اللازم للروس جميعا ، ولكن الظلم يكسر الظهور ويصرف الانسان عن العمل .

***

وعندما نذكر ان الانجلوسكسون وحدهم يحتجزون لانفسهم نحو ربع الارض نجد الجواب على جانب كبير من السؤال الذى جعلناه موضوعا لهذا المقال . فهذا الجنس وحده يحتل من الارض الجزر البريطانية وكندا والولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلاندا . وهم بهذا الملك الضخم الذى فى ايديهم يضيقون الارض على أهلها ، واذا كان جنس واحد يأخذ لنفسه هذا كله فماذا يبقى للآخرين ؟ والجزيرة الشمالية وحدها من جزر نيوزيلاندا فيها من أراضى الزرع والضرع والخيرات أضعاف ما فى مصر كلها ، فاننا هنا فوق الاربعين مليونا نعيش على ستة ملايين من الفدادين أى مليونين ونصف من الهكتارات من الارض ، وفى تلك الجزيرة وحدها فوق العشرين مليونا من الهكتارات من الاراضى الصالحة للزرع ، وكل سكانها خمسة ملايين .

حقا ان الانجلوسكسون يزرعون أرضهم وينتجون قمحا كثيرا جدا ، ولكنهم يبيعون فائض قمحهم بأسعار هى فوق طاقة الفقراء الذين يحتاجون اليه .

هنا وانت فى نيوزيلاندا أو استراليا أو كندا تشعر أن الارض لم تضق بأهلها ولكنك تعرف فى نفس الوقت لماذا ضاقت أراضى الآخرين بأهلها ، فان الانجلوسكسون يبيعوننا القمح ولكنهم لا يأذنون لنا فى الهجرة الى جانب من بلادهم ليزرع المهاجرون منا ويعيشوا

منها • انهم يفتحون بلادهم للقادر الممتاز من الناس ، وهم يغرون أولئك الممتازين لكي يتركوا بلادهم ويذهبون اليهم ، فيزداد فقر البلاد التي نسميها نامية ، فهي لا تملك ما يكفيها من الارض أولا ، ثم يسلبها الآخرون خيرة ابنائها ثانيا ، فيزداد الاغنياء غنى ويزداد الفقراء فقرا ، وقد لوحظ ان فوق الثمانين في المائة من السنغاليين الذين يكملون دراستهم في فرنسا ويتخرجون أطباء أو مهندسين أو زراعيين وما الى هؤلاء لا يعودون الى بلادهم ، بل يبقون في فرنسا أو يهاجرون الى كندا ، فتظل السنغال على حالها وتزداد فرنسا وكندا رقيا ورخاء ، قرأت هذا في تقرير لهيئة الاغذية والزراعة • وعندما نقرأ مثل هذا التقرير نعرف بالفعل ان السبب الرئيسي في ضيق الارض باهلها هو سوء التوزيع والظلم والانانية ، وحرص الاقوياء على أن يظلوا أقوياء ، وحرصهم أيضا على أن يظل الضعاف الفقراء ضعافا فقراء •

***

الأزمة اذن في آخر الامر ازمة اخلاقية فان الارض لم تضق باهلها ، وانما هي الاخلاق التي ضاقت ، وهذه حقيقة نلاحظها حتى في محيطنا الضيق • فان بلادنا ــ بلاد العرب عامة ــ بلاد واسعة غنية ، وفيها من موارد الخير ما يمكن ان يتيح لكل عربي أن يعيش في رخاء ، ولكن انظر الى أرض السودان تموت لانها لا تجد التمويل اللازم لتعميرها ، واذا هم قصدوا بلدا عربيا غنيا يسألونه العون فرض عليهم شروطا ووضع قيودا تزهد الناس في العون •

بل ان أهل السودان انفسهم أضن بأرضهم من ان يسمحوا لمزارع غير سوداني بأن يهاجر اليها ويستقر فيها ويزرع فيأكل ويأكل الناس معه ، ولنا سنوات طويلة نحاول فتح باب الهجرة الى السودان دون جدوى ، والناس هناك يبدو انهم يفضلون ان يموتوا من الجوع على أن يأذنوا لناس من غير بلدهم أن يفلحوا الارض ليستخرجوا خيراتها لانفسهم وللناس معهم •

***

وكل هذه الانانية تعلمناها من الغرب الذي ابتكر حكاية الاوطان المقفلة على أهلها • وقد كنا في الماضي نعيش في عالم اسلامي ، اسمع لا يعرف الحدود أو القيود على حركة الناس ، ومعظم من يفلحون الارض في فلسطين والاردن اليوم أصلهم مصريون ، ضاقت بهم بلادهم فالتمسوا السعة في غيرها ، فعاشوا وعملوا وطعموا وأصبحوا في النهاية اردنيين أو فلسطينيين ، وهذا أمر لا يمكن أن يحدث الآن قط ، فقد أقام كل بلد حول اراضيه حواجز من حديد ووضعت الحكومات على الهجرة ألف قيد وقيد ، فظلت أراض شاسعة في بعض البلاد لا تجد من يفلحها ، وظلت شعوب أخرى تختنق في أرضها القليلة ، وهذا وذاك انتهى الى ما نعانيه اليوم من ضيق موهوم للارض بأهلها ، وجوع قاتل يستبد بالناس في معظم نواحي الارض وهل تصدق مثلا ان الناس في الكثير من نواحي البرازيل يموتون من الجوع ؟ وفي البرازيل من أرض الزرع ما يكفي حاجة البشر كلهم ويزيد ، ولكن حكومة البرازيل تفضل ذلك على أن تفتح حدودها للالوف ممن يحتاجون للارض ليزرعوا ويعيشوا • وفي بعض الاحيان يحرقون المحصول أو يغرقونه في ماء البحر حتى لا تهبط الاسعار ، فيموت الالوف والنار تلتهم الطعام •

***

ومهما تزعم البلاد الغنية المتقدمة من انها تبذل قصارى جهدها في معاونة البلاد النامية الجائعة فان احدا لا يصدق هذا الكلام ، وهو في الحقيقة كذب ، لان البلاد الفقيرة تحتاج الى اموال وآلات وخبرات فنية لتعرف كيف تستفيد من ارضها ، فاما المال فهو لا يعطى أبدا الا قروضا ، ومهما خفضت الارباح فهي تظل ثقيلة ، ولو ان بلدا صغيرا استدان من بلد غني او بنك عالمي عشرة ملايين جنيه

ويعد الاستعمار صار الحال أسوأ ، لأن دول الاستعمار الغنية لازالت تملك المصانع ومفاتيح العلوم والتكنولوجيا، وهي تبيع مصنوعاتها بأسعار خارجة تعجز عنها ميزانيات البلاد النامية لهذا يزداد الأغنياء غنى ويزداد الفقراء فقراً

بفائدة دنيا قدرها ثلاثة في المائة في العام فانه سيؤدي ثلاثين الف جنيه في السنة ارباحا للمليون الواحد ، وثلاثمائة الف عن العشرة ملايين ، وهذه هي الفوائد فحسب ، فاذا اراد ذلك البلد ان يشتري جرارات وماكينات زراعة اشتراها بسعر الذهب ، ومعنى ذلك انه سيأخذ عشرة ملايين يدفع منها ستة او سبعة ملايين ما بين فوائد واثمان آلات ، فكأننا لا رحنا ولا جئنا . كما يقول المثل .. ولهذا ، ورغم كل مايقال ويعمل فان البلاد الغنية ستصير كل يوم اغنى والبلاد الفقيرة ستصير كل يوم افقر ، لان الفقر هنا فقر اخلاق وانسانية ويبدو ان البشر لا يريدون أن يكونوا بشرا قط ، ويفضلون أن يظلوا الى آخر الدهر بهما جافية .

***

وانظر مثلا الى اسرائيل هذه الرابضة بالعنف والظلم في قلب بلادنا ، هل تتصور أن ميزانية ذلك البلد ١٣ الف مليون دولار في السنة ، أي ميزانية البلاد العربية مجتمعة باستثناء السعودية وبلاد الخليج ؟ وهذه الميزانية الهائلة تخصص لمليونين ونصف من البشر لكي يؤذوا الآخرين ويستمروا في احتلال أراضيهم والتضييق عليهم . ومن الذي يدفع لهم كل هذا المال ؟ البلاد الغربية الغنية وخاصة الولايات المتحدة! وماذا يفعل الاسرائيليون بهذا المال العريض : ينفقون أكثر من ثلثيه في السلاح والتدريب واقامة ما يسمى بالمستوطنات والعدوان على لبنان وقتل الفلسطينيين ، وهذا كله معقول ومشروع في نظر الذين يعطونهم ذلك المال ، ثم تسمع بعد ذلك رجلا يسمى رونالد ريجان يرشح نفسه لرياسة الولايات المتحدة ويقول انه لو وصل الى الرياسة فانه سيضاعف المال لاسرائيل لكي تعتدي أكثر وتقتل اكثر وتضيق الارض على اهلها أكثر ، فهل هذا معقول ، وهل في هذا التفكير ذرة من الانسانية أو ذرة من الاخلاق ؟

***

مع هذا المقال نشرنا صورة لشيء رهيب يسمى قاعة الموت ، وهي قاعة واسعة انشأتها الراهبة تيريزا في مستشفاها في بومباي لاولئك الذين انتهى املهم في الحياة ولم يبق امامهم الا انتظار الموت، وامثال اولئك الناس الذين يموتون من الفقر والجوع والمرض يتركون عادة في الهند ليموتوا في الشوارع والازقة او حيث قدر الله عليهم الموت وقد عرفت هذه الراهبة ان اشد مايؤذي المحتضر هو الرعب من الموت في الطريق لان الكلاب والقطط والفئران لا تنتظر حتى يلفظ انفاسه ، بل تنهش لحمه وهو حي ، فانشأت هذه القاعة الواسعة ، لا لكي يعالج الناس فيها بل لكي يموتوا دون رعب ، لكي يموتوا في هدوء ..

عندما يصل الامر الى هذا الحد تشعر معي ان الارض ضاقت باهلها لان الاخلاق ضاعت ، الانسانية وهنت والعالم كله في حاجة الى نوع جديد من التربية والتكوين . ومن الغريب ان سوء الخلق وقلة الانسانية يبدأ عند القادرين والاقوياء ، والا فهل خلت الهند كلها من رجل غني ينشيء قاعة للموت كما فعلت الاخت تيريزا ، بل ، هنالك اغنياء واغنياء ومهراجات وناس ينفقون على لعبة البولو ما يكفي لانقاذ الوف المساكين من الموت على ذلك الاسلوب الرهيب .

المعلقات السبع لم تعلق!

● د. احمد الحوفي ●

كان الناس – وما زالوا – كلما ارادوا ترويج فكرة ، او اذاعة قصة ، نحلوا لها من الدين سببا ، او نسبوا اليها امرا عجبا ، كهذه القصة التى نسبوها الى بعض قصائد من الشعر الجاهلى لبعض الكبار من شعرائه ، فقالوا انها علقت على استار الكعبة..

ويكاد رواة الشعر القدامى يطبقون على ان القصائد المعلقة سبع ، وهى قصائد طوال جياد تمتاز بطولها ، وبتنوع موضوعاتها ، وجزالة اسلوبها ، وابتكار كثير من معانيها ، وتصوير شخصية قائليها ..

وأصحاب المعلقات هم : امرؤ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعنترة ، وعمرو بن كلثوم ، ولبيد ، والحارث ابن حلزة .

وروى أبو زيد القرشى عن المفضل الضبى انه لم يعد عنترة والحارث من اصحاب المعلقات ، ووضع فى مكانهما النابغة والاعشى ...

وقال المفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التى تسميها العرب السموط .

وبعضهم يعد هذه السبع ، ويزيد عليها بائية عبيد بن الابرص التى مطلعها :

« اقفر من أهله ملحوب » ، فتصير المعلقات عشرا .

لكن لماذا سميت تلك القصائد معلقات ؟

من الغريب أن كثيرا من العلماء رأوا انها استمدت هذه التسمية من تعليقها على الكعبة ..

ولقد شاعت هذه الدعوى ، وما زال يشيعها بعض الدارسين المعاصرين ..

افهل هى دعوى صحيحة ؟

خير ما نفعله لتفنيدها ان نبدأ بمسايرتها من مولدها الى هرمها ، لنتعرف تطورها وما زيد عليها بتطاول العمر وامتداد الزمن ، ثم نناقش دعوى التعليق مناقشة هادئة ...

١ – لسنا نجد للدعوى طفولة قبل هشام بن محمد الكلبى « توفى سنة ؟ ٢٠٤ او ٢٠٦ هـ » فقد روى عنه أن أول شعر علق فى الجاهلية شعر امرئ القيس ، اذ علق على ركن من اركان الكعبة أيام الموسم ، حتى نظر اليه الناس ، ثم أحدر ، فعلقت الشعراء كذلك بعده ، وكان هذا فخرا للعرب فى الجاهلية ، وعدوا من علقوا شعرهم سبعة .

وواضح من هذا الرأى ان قصيدة امرئ القيس ونظرائه الذين علقت قصائدهم قد كان تعليقها فى فترة معينة هى موسم الحج ، ثم أنزلت ..

٢ – ثم جاء ابن عبدربه « ٣٢٧ هـ »

فقال : وقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد ، تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها باستار الكعبة ، لهذا يقال مذهبة امرىء القيس ، ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع ، يقال لها المعلقات ..

ونلاحظ ان في هذا الرأى زيادة على سابقه ، فالمعلقات اختيرت جملة وكتبت جملة ، ثم انها كتبت بماء الذهب ، وكتبت على القباطي المدرجة ، وليس في هذا الرأى توقيت لمدة التعليق ، كما وقتها ابن الكلبي ..

٣ – ثم تبعه ابن رشيق « ٤٦٣ هـ » فلم يرد عليه ، ولم ينقص .

٤ – ثم جاء ابن خلدون « ٨٠٨ هـ » فدان برأى ابن رشيق المنقول من كتاب ابن عبد ربه ، وقال : ان العرب انتهوا الى المباهاة بتعليق اشعارهم باركان البيت الحرام ، موضع حجهم ، وبيت ابراهيم ، كما فعل امرؤ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابى سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات ، فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر ، على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات .

ونلاحظ ان ابن خلدون زاد من عنده ان التعليق كان باركان البيت الحرام ، ولم يكن على استار الكعبة ، وان الغرض منه كان المباهاة ، وان وسيلته كانت القدرة والقوة والعصبية .

ومعنى هذا انه لم يكن تقديرا للابداع والجدارة بالتكريم ، على حين ان ابن عبد ربه وابن رشيق قد ذهبا الى ان القصائد التى علقت قد اختيرت من من الشعر القديم ، لانها أبرع من سواها ، واجدر بالتقدير .

٥ – وآخر من ننقل عنه من القدماء البغدادي « ١٠٩٣ هـ » لقد ذكر ان العرب في الجاهلية كان الرجل منهم يقول الشعر في اقصى الارض فلا يعبأ به ، ولا ينشده احد ، حتى يأتى مكة في موسم الحج ، فيعرضه على اندية قريش ، فان استحسنوه روى ، وكان فخرا لقائله ، وعلق على ركن من اركان الكعبة حتى ينظر اليه ، وان لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به ، واول من علق شعره في الكعبة امرؤ القيس .

وفي هذا الرأى زيادة هي ان الشاعر كان يعرض شعره على القرشيين في انديتهم ، فان ارتضوه علق مدة من الزمن ، وان لم يرضوه لم يعلق .

٦ – ثم جاء المؤرخ الفرنسى سيديو فنقل عن هؤلاء كلهم او بعضهم ، وقال ان المقبول من قصائدهم كان يكتب بماء الذهب على نفيس النسيج ، ثم يعلق على الكعبة ليحفظ حتى تطلع عليه الذرية .

وقد زاد من عنده ان التعليق كان لحفظ القصائد ، ليطلع عليها الابناء والاحفاد .

– ٣ –

تنتقل الى مرحلة اخرى يزداد فيها الامر انكشافا وافتضاحا .

١ – من الواضح ان العرض السابق كشف من تزيد في الدعوى بمرور الزمن وتطاول العمر ، وكشف من خلاف في التفصيل ، لسنا في حاجة الى تكريره .

٢ – ونحن نعلم ان اول من جمع اشعار العرب وساق احاديثها حماد الراوية ، وليس بمعقول أن يجمع الاشعار ، ويشتهر برواياتها ويغفل من هذه القصائد على ان ابا جعفر النحاس وابن خلكان يذكران في ترجمتهما له انه هو الذى جمع هذه القصائد .

اما حماد هذا فقد توفى سنة ١٥٥ هـ او ١٥٦ هـ اى قبل ابن الكلبى بنصف قرن ، وقد سماها المشهورات ، ولم يعرف عنه انه سماها المعلقات .

ومعنى هذا ان التسمية بالمعلقات لم تنشأ الا بعد ان جمع حماد هذه القصائد ورواها واذاعها ، فان اول من ذكر تعليقها ابن الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ او ٢٠٦ هـ

٣ – فاذا ما رجعنا الى الثقاة من القدماء لم نجد احدا منهم سماها المعلقات ، او اشار الى التعليق .

وحسبنا ان نذكر من هؤلاء ابازيد القرشى « ١٧٠ هـ » وابن سلام

« ٢٣٢ هـ » والجاحظ « ٢٥٥ هـ »وابن قتيبة « ٢٧٦ هـ » والمبرد « ٢٨٥ هـ » وابن الانبارى « ٣٠٥ هـ » وابا جعفر النحاس « ٣٣٧ أو ٣٣٨ هـ » والاصفهانى «٣٥٦ هـ » والباقلانى « ٤٠٣ هـ » والزوزنى « ٤٨٦ هـ » والتبريزى « ٥٠٢ هـ » .

وهؤلاء جميعا قد استشهدوا بأبيات من هذه القصائد ذكروا اصحابها ، وذكروا كلمة قصيدة او واحدة او طويلة او الطوال أو السبعيات ، ولم ترد كلمة معلقات الا مرة واحدة في كتاب ابن قتيبة في ترجمته للحارث بن حلزة ، ر،ن البغدادى نقل في كتابه الخزانة كلمة ابن قتيبة ، واسقط منها لفظ المعلقات ، فهى اذن من زيادة الناسخ في هذا الموضع الوحيد من كتاب الشعر والشعراء ، والا لابقاها البغدادى ، لانه ممن صدقوا التعليق كما سبق في تتبع الدعوى وتطورها .

٤ ـ اما شراح هذه القصائد فقد سموها باسماء أخرى ، فابن الانبارى في شرحه لها سماها السبع الطوال الجاهليات وابو جعفر النحاس سماها في شرحه لها السبع الطوال ،بل انه انكر تعليقها على الكعبة ، والتبريزى سماها في مقدمة شرحه لها القصائد السبع والقصائد العشر ، والزوزنى ذكر في مقدمة شرحه لها ان هذا شرح السبع ، واذا كان الغلاف المطبوع مكتوبا عليه المعلقات ، فانها من زيادة الناسخ أو الطابع .

٥ ـ على ان المذهبات التى اطلقها بعضهم على المعلقات بدعوى انها كتبت بماء الذهب في القباطى وعلقت على الكعبة قد اطلقها أبو زيد القرشى على قصائد الاوس والخزرج خاصة ، وهى لحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما .

٦ ـ ولنا أن نتساءل : كيف كتب العرب هذه القصائد بماء الذهب على النسيج الفاخر وهم امة يشيع فيها الجهل بالقراءة والكتابة ؟

وهل من المعقول ان ينبغ فيهم من يجيد الكتابة حتى يكتب بماء الذهب على النسيج ؟

وما الذى كان يدعوهم الى كتابة القصائد وتعليقها على الكعبة والقارئون فيهم قلة ضئيلة ؟

وليس معنى هذا اننى انفى معرفة بعضهم للقراءة والكتابة ، لاننى اثبت هذه المعرفة في مقام آخر .

٧ ـ ثم ان الكعبة هدمت ، وجدد بناؤها ، واشترك النبى صلى الله عليه وسلم في وضع الحجر الاسود في مكانه ، ثم جاء الاسلام ، وفتح النبى مكة ودخل البيت الحرام ، وحطم الاصنام، ولم يرد للمعلقات ذكر في هذه المرة او تلك .

٨ ـ اما قياس تعليق هذه القصائد على تعليق الصحيفة التى قاطعت بها قريش النبى ومن اسلموا معه ، فانه قياس غير صحيح ، لان كتابة صحيفة المقاطعة امر ميسور للعرب ، فهى لم تكتب بماء الذهب على نسيج ،وقد اثبت التاريخ الثبت هذه الصحيفة ، ثم ان العرب كانوا يفعلون هذا واشباهه في توثيقهم للحلف واشهاد الله عليه .

ـ ٤ ـ

أرجح انه تبين من العرض السابق ان دعوى تعليق بعض القصائد على الكعبة لاسند لها من القديم ولا من الحديث، وهى دعوى نجمت في القرن الثالث، وزيد عليها مع الزمن .

ولو انها كانت صحيحة لوجدنا لها ذكرا قبل القرن الثالث ولوجدنا لها اشارة في نص جاهلى من شاعر يخايل بشعره ، او في نص اسلامى من شاعر يباهى بشاعر من قبيلته ، أو يعير شاعرا خصما ، او قبيلة معادية بانها لم تنل هذا المجد ، ونحن نعلم ان الشعراء طيروا في الافاق مفاخر قبائلهم ومثالب خصومهم .

السنا من حقنا ان نقول انها معلقات لم تعلق او معلقات غير معلقات ؟

بلى ، من حقنا ان نقول هذا في هدوء واطمئنان .

زيزيت

● ادوار حنا سعد ●

« زيزيت » يافجرٌ بعث ألقى على العشر ظلّه
بعثَ الصبابة : ردت هَوى الشباب وشغله
كهولتى .. أيقظتهَا للحبِّ .. رقة طفله !
تصبو حنينا وتشكو لظى الفِراق ونصله
تلحى النصيح وتغضى عن العَيُون المطلّه !

***

مالى • برغم حَنينى ولهفتى المستهلّه ..
أميلُ عنك ، وأخفى شوقى ، وأقصرُ حبله
إلا حَديثا رقيقا يَحكى صباك ونبله ..
وغير ضمّة كفّ كأنها ، منّ قبله !
وغيرُ نظرة شوق بها من الشوق خجلَه •
ما صدّنى عنك إلا قلب تعودتُ بذله ..
حتى تمزق عِشقا فى عالم .. ما أضله !
رأى الحَرام حَراما لكن غوى ، فأحله
وفيك حسن برَىء أكرهتنى أن أجله !

الآن .. ألقى سلاحى وأذكر البوحَ كله !
أريك جرح فؤادى جرحا صرَيح الأدله !
أجدُ فى المقتل ثورا وضاء فى الصدر شعله !
لعله ، وهو يدعو يَلقى مجيبا .. لعله !

قصاصات ملونة

● محمد شوقي امين ●

شموع الزمن

قبل الوصول الى هذه الساعات التى نستخدمها جميعا لمعرفة الوقت وتحديد اقسامه ، خلال الليل والنهار، تعددت الوسائل التىتقوم مقام الساعة، وكان من بين هذه الوسائل ، ظلال الشمس فى النهار خاصة ، وحركة الماء فى النهار والليل معا . فعرفنا من ادوات الوقت : المزولة ، والمنجانة او على الاصح : الميقاتة . .

والاستغراق فى مطالعة احوال البشرية على امتداد عصور التاريخ يكشف عن مختلف الوسائل والحيل فى تحديد الزمان .

آخر ما عرفت من ذلك : شمع الزمن ، او : ساعة الشمع .

فى حديث للوزير الاندلسى المشرف « لسان الدين بن الخطيب » يتحدث امر هذه الشموع الزمنية الضخام التى كانت تستخدم فى القرن السادس الهجرى ، ومجمل امرها انه كانت تصنع شمعة ضخمة ، معلمة بعلامات مقدرة بحيث اذا أوقدت الشمعة ، واربدت معرفة الوقت ، تيسر ذلك بقراءة العلامة التى انتهت اليها ذبالة الشمعة ، فبقدر مايذوب من الشمعة يمضى من الزمن ! . .

ولكن وراء كل منفعة مضرة ، فقد كان من مضار الشموع الزمنية سوء اثرها فى العيون ، وقد حدث ان « أبا عبد الله » ثالث الملوك من « بنى نصر » كان الدهر ضايقه ، ونغص عليه ملاذ الملك ، مما اصاب عينيه ، لمداخلة السهر ، ومباشرة ضخام الشمع ، اذ كانت تتخذ له منها جذوع فى اجسادها مواقيت ، تخبر بانقضاء الليل وساعاته .

قبة سماوية .. فى الارض !

منذ اعوام طوال قرات فى صحف «القاهرة» انهناك مشروعاللانشاء مبنى ليكون قبة سماوية تتراءى فيها حركة النجوم .

وما تزاوله اليوم انما هو جديد .. من قديم .

انه يذكرنا بما هو منتقش فى صخر التاريخ الحضارى للدول الاسلامية ، فيما يخص صناعة الادوات الفلكية .

المؤرخ المعروف « بابن الشوطى » يحدثنا بصنيع «نور الدين بنالساعاتى» الذى كان يتولى تدبير عمل الساعات المشهورة على باب « المستنصرية » فى « بغداد » ، وكان منمشاهير المشتغلين بعلم الهيئة والنجوم ، وذلك فى القرن السابع الهجرى .

اما وصف ما صنعه«ابن الساعاتى» فيتلخص فى انه صور فى المدرسة المستنصرية صورة الفلك ، وجعل فيها

طاقات لطافا لها أبواب لطاف ، وفي الدائرة بازان « صفران » من ذهب في طاستين من ذهب ، وراءهما بندقتان من شبه « نحاس » لايدركهما الناظر. فعند مضى كل ساعة ينفتح فما البازين ، وتقع منهما البندقتان ، وكلما سقطت بندقة انفتح باب من ابواب تلك الطاقات ، والباب من ذهب ، فيصير حينئذ مفضضا . واذا وقعت البندقتان في الطاستين ، تذهبان الى مواضعهما ...

ثم تطلع شموس من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية ، وتدور مع دورانها وتغيب مع غيوبها ..

فاذا جاء الليل ، فهناك اقمار طالعة من ضوء خلفها ، كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ، ثم يبتدىء في الدائرة الاخرى الى انقضاء الليل ، وطلوع الشمس .. فتعلم بذلك اوقات الصلاة ... وللشعراء في وصف تلك القبة السماوية على الارض أشعار.

سر العفريت !

يسوق لنا « ابن الجوزى » امرا عجبا ، حدث في دار الخليفة العباسى « المعتضد » سنة ٢٨٤ هـ .

يقول انه ظهر في دار « المعتضد » شخص انسان ، فمضى اليه بعض الخدم ، لينظر من هذا الذى ظهر شخصه ، فبرز له الشخص ، وضربه بسيفه ضربة قطع بها منطقته وبلغ السيف الى بدن الخادم ، فلم يملك الخادم الا ان يفر هاربا ،على حين دخل الشخص في زرع في البستان ، فتوارى فيه ، فطلبه اعوان الدار ، فلم يقفوا له على أثر .

لما علم « المعتضد » بذلك ، استوحش منه ، ولما شاع الخبر رجم الناس الظنون ، حتى قالوا : ان هذا الشخص من الجن .. وحدث ان عاد الشخص مرات متعددة ، فأمر « المعتضد » بتشديد الحراسة على سور الدار ، واحكم عمارة السور ، واستدعى « المعزمين » ليسبروا غور ذلك الشخص المستور ..

وظل الامر خافيا ، والسر غامضا ، حتى ايام الخليفة العباسى « المقتدر ».

كانت الحقيقة وراء ذلك ان ذلك الشخص ما هو الا احد الخدم في دار الخليفة ، وانه كان يهوى احدى الجوارى اللواتى في دواخل الحرم ،ولم يجد من حيلة للقاء الجارية والتحدث اليها الا ان يصطنع لحى مختلفة الالوان ، اذا لبس واحدة منها لم يشك من يراه في انها لحيته الطبيعية ، فكان يتخير الوقت الملائم ويلبس واحدة من تلك اللحى المصطنعة، ويظهر في ذلك الوضع ، وفى يده سيف او غيره من السلاح ، فاذا خف اعوان الدار لطلبه ، دخل بين الشجر وفى بعض الممرات والعطفات ، ونزع اللحية ، وجعلها في كمه ، ويبقى معه السلاح ، كأنه بعض الخدم والاعوان الذين يطلبون الشخص ، فلا يرتاب به احد ، ويسأل : هل رأيتم احدا ؟..

وكان الشأن انه اذا وقع مثل هذا في الدار ، خرجت الجوارى من دواخل الحرم ، ليعلمن ماذا جرى ؟ وحينئذ تتاح فرصة اختلاط الاعوان بهؤلاء الجوارى ، وفى اثناء ذلك يستطيع ذلك الشخص ان يظفر برؤيته جاريته التى يهواها ، وان يخاطبها بما يريده

وهكذا يتحقق غرضه من هذه الحيلة التي دبرها ، وهو مشاهدة الجارية وكلامها !

وفي ايام الخليفة « المقتدر » خرج ذلك الرجل العاشق من دار الخليفة ، وتخلى عن خدمة الدار ، ومضى الى « طوس » فاقام بها الى أن مات .

وهكذا انقطعت احداثه في دار الخليفة .

وعرف الناس اخيرا سر ذلك العفريت ، لما تحدثت الجارية بعد ذلك بحديثه .

معاطب الكتابة

ما اكثر ماجنت اوضاع الكتابة على العلم .. وعلى العلماء !

لقد كان تشابه الحروف ونقطها سبيلا الى تحريف فاضح ، واضطراب في دلالة الكلام ، وتورط في مزالق واوهام .

ليس بين المعاصرين ممن طالعوا « كليلة ودمنة » من لا يعرف الثور « شترية » كما حكى قصته « بيدبا » الفيلسوف للملك « دبشليم » .. ولم يختلف العارفون في نطق « شترية » بحرف التاء المثنى بنقطتين بعد الشين المثلث النقاط .

وعلى هذا الوضع جرى تدوين اسم « شترية » فيما خرج من طبعات « كليلة ودمنة » في عشرات السنين . وبعد ذلك جاء الدكتور « عبد الوهاب عزام » ليسجل ان الاسم بهذا اللفظ الشائع تحريف ، سببه اختلال وضع النقاط وصحة الاسم هي « شترية »

بشين بعدها نون بعدها زاي . وقد تقاربت نقطة الزاي من نقطة النون ، فكان من اثر ذلك تشوه حرفين آخرين ، هما التاء والراء ! ..

وعلى الرغم من هذا التصحيح ، اصبح اسم « شترية » المحرف علما بالغلبة لا سبيل الى تصحيحه ، وهيهات أن يحل محله الاسم الصحيح: « شنزبة » !!

ولم يكن الثور « شنزبة » اول مجني عليه ، فقد جنت أوضاع الكتابة فيما جنت على عالم جليل ، في القرن الثالث الهجري ، او بالاحرى جنت على العلم ، اذ كانت سببا في انقطاع عالم العالم الجليل من الافادة به . واليك القصة :

قال « الطوسي » :

كنا في مجلس « علي اللحياني » ، وكان عازما على أن يملي نوادر في اللغة، ضعف ما املى من قبل . فقال يوما : تقول العرب : مثقل استعان بدقنه . فقام اليه « ابن السكيت » ، وهو في سن الحداثة ، فقال له : « يا ابا الحسن، انما هو مثقل أستعان بدفيه» يريدون: الجمل يستعين بجنبيه على النهوض .» فقطع « اللحياني » الاملاء .

فلما كان المجلس الثاني ، املى ، فقال : تقول العرب : « هو جاري مكاشري »، فقام اليه «ابن السكيت» فقال : « اعزك الله ، ماممعنى مكاشري؟ انما هو مكاسري اي كسر بيتي الى كسر بيته . » فالسين المهملة مكان الشين المثلثة النقط ، ليستقيم المعنى »، ولم يحتمل « اللحياني » صدمة يومه الى صدمة امسه ، فقطع الاملاء وما املى بعد ذلك شيئا ..

الروابي الحالمة

• جليلة رضا •

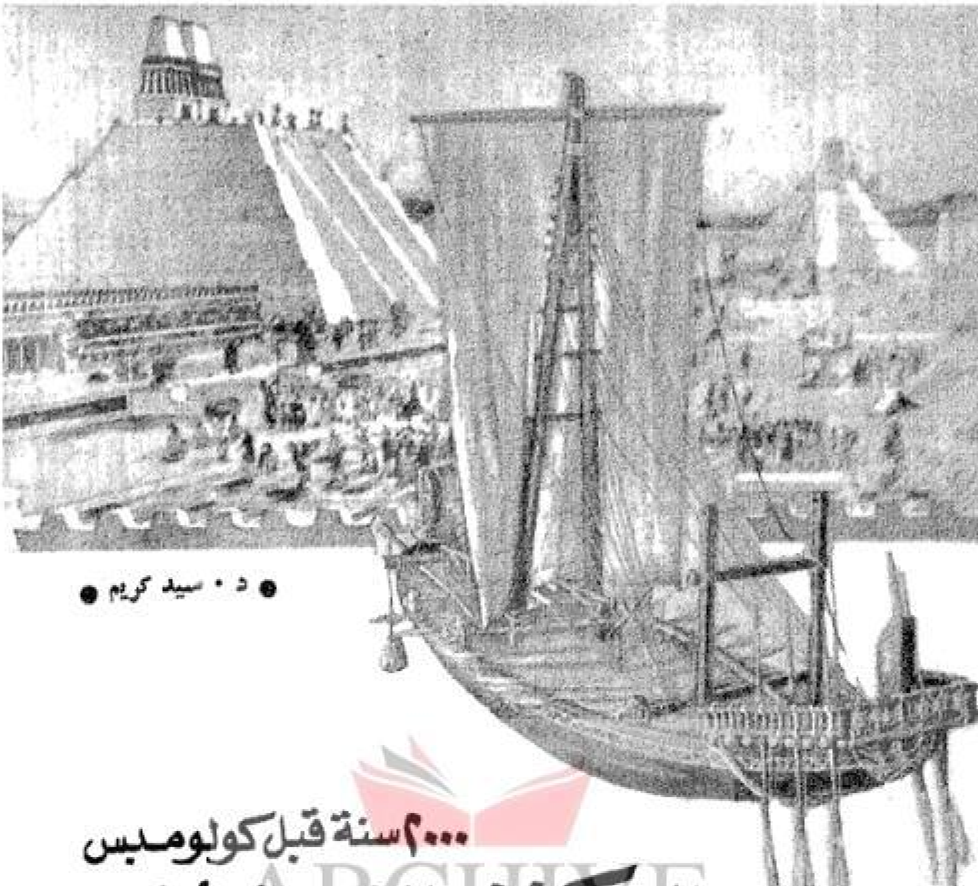
أى سر تزهو به وتفاخر ... نبتة النجز للنبات المجاور
وهى تبدو رقاصة تتثنى ... فوق غصن يطيها ويساير
أتراها تقص ليلة حب ... قد طوتها مع النسيم الثائر
حين قال النسيم يلثم ثغرا ... برعمى الشذا ، نقيا .. طاهر
حين مست يداه عبر دجاها ... وجنتيها .. وضم خصرا ثائر
ثم عاد النسيم يرسل لحنا ... لا تدانيه عبقرية شاعر !

***

أم تراها تقص ليلة حب ... مع نجم أتى الوجود كزائر !
ملّ طول الوقوف فى كبوته ... الرحب فشد الخطى لكون آخر .
دار من أفقه وحط عليها ... ناثرا فوقها سناه الوافر
فاذا النبتة الصغيرة تصحو ... ثرة الخوف فى تردد حائر !
حين ذاب الهواء والماء فيها ... وتلاشت مع السكيان العناصر
دغدغ النجم جفنها فتطست ... ثم أرخت له الشفاه ـ مباخر

***

أم تراها تقص ليلة حب ... قد طوتها مع الندى المتقاطر
مر فوق الربى وعانق حسنا ... وتملى من الصدور النوافر !
ورآها صبية تتوارى ... فى حياء .. وراء ظل ساتر ..
أى خمر وأى دورق عطر ... صب من راحتيه هذا الساحر !
فاستحمت مع الأثير أثيرا ... وتحلت بباسها المتناثر !
ثم نام الأبى تحت خطاها ... مؤمنا تارة ، وحينا كافر ... !
أتراها فى مسمع الدهر تلقى ... ذكريات عن إلها ومحاضر ...
أم تراها تلقن الروض درسا ... فى صفاء الهوى ونبل المشاعر !
أم تراها تجثو لرب عظيم ... وتصلى صلاة فجر حاضر .
هكذا الشعر يستحث خيالى ... حين أصحو مع الصباح الباكر
لهف نفسى : أنبتة تتراءى ... لى محيطا أخوضه وأغامر
حملتها خواطرى حلم ليل ... شاعرى .. وبالها من خواطر !..



● د . سيد كريم ●

٢٠٠٠ سنة قبل كولومبس
إستكشف الفراعنة أمريكا

● قدماء المصريين - كانوا اول من اثبت كروية الارض عندما صوروها والاله بتاح يصنعها على شكل البيضة . لقد حددوا بدقة متناهية محيط الكرة الارضية وطول محورها فيما بين القطبين لاقرب بوصة هرمية ، اذهلت علماء الدراسات الالكترونية الحديثة .

كانوا اول من حدد أبعاد النجوم والكواكب وتحركاتها فى القبة السماوية .

كانوا اول من رسم الخرائط الفلكية وحددوا اسماء النجوم والكواكب السيارة والبروج السماوية واتخذوا منها « بوصلة » يسترشدون بها فى الطواف حول العالم ، أو بين نجوم السماء ..

كانوا اول من قسم الزمن ، فوضعوا اول تقويم شمسى يعمل العالم اجمع بمقتضاه . قسموا الزمن الى سنوات ، واشهر ، وفصول وأيام ، وساعات ، ودقائق ، وثوانى ... لم تتغير حتى اليوم ، ولم تجد البشرية بمختلف حضارات شعوبها بديلا عنها .

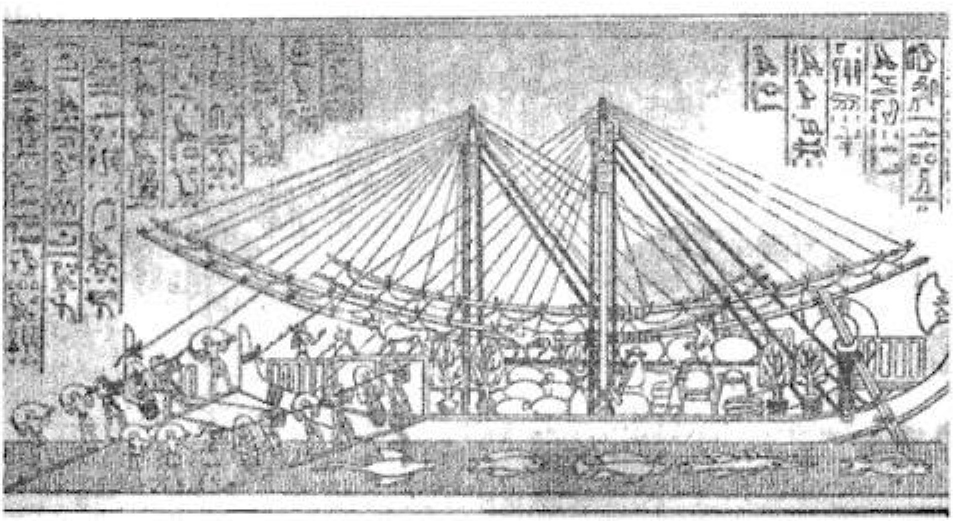
اكتشاف معبد فرعوني في أمريكا!

[illegible]

● كانوا أول من حدد بواسطة التقويم ودورة النجوم الخطوط الطولية والعرضية للكرة الارضية بالنسبة للهرم الأكبر – (مركز ثقل الكرة الارضية) ، وكانوا أول من رسم الخرائط المساحية للقارات والبحار نقل عنهم هيرودوت الى عالم الغرب اول خريطة تظهر فيها القارة الافريقية كاملة،واتصال البحرين الابيض المتوسط والاحمر بمختلف المحيطات والقارات ، وكانوا أول من بنى السفن الضخمة من خشب الارز ، والذى بلغ حجم بعضها ضعف سفينة كولومبوس ، وغيره من رواد العصور الوسطى .

هل كان المصريون القدماء بما وضع بايديهم من امكانيات مادية وروحية ضخمة ،وما تسلحوا به في مختلف علوم المعرفة وفنونها وادابها من مقومات مذهلة،هل كانوا يفتقرون الى مايدفعهم الى المغامرة للطواف حول العالم ليرتادوا مجاهله ويكشفوا أسرار ذلك العالم الذى حددوا بعلومهم أبعاده ، والاسرار التى كشفوا بمعرفتهم اعماقها ، قبل ان يخرجوا لاستكشافه ، واكتشافه ؟

● احدى سفن أسطول بعثات الاستكشاف التى أرسلها الملك أمنحتب الثالث عبر المحيطات لتصل الى امريكا وتعود بما حملته من المعادن والاخشاب والحيوانات التى حملتها من الارض الجديدة ..





● محكمة الآخرة «الثالوث المقدس عند كل من الفراعنة وحضارة المايا ..



لقد ترك الفراعنة بصمات أصابعهم في أكثر من مكان سواء فيما خلفوه من آثار معمارية ، أو علوم المعرفة وفنونها ، والعقيدة ومبادئها . فأطلق العالم القديم على ايزيس الفرعونية اسم « سيدة البحر الابيض » حيث اقيمت لها مختلف المعابد في دول جنوب اوروبا وغرب آسيا كما وصلوا الى شمال انجلترا ليقيموا معبد الشمس كما وصلوا الى شواطىء البحر الاسود في روسيا ليتركوا لوحات النصر التي سجلوا عليها وصولهم الى شواطئه .

ووصلوا الى فرنسا ،فعسكر جنودهم في احدى قرى نهر السين واطلقوا على معسكرهم اسم (بارا ايزيس) اى هبة ايزيس وهو الاسم الذى احتفظت به فرنسا لعاصمة النور ليصبح « باريس » .. كما تركوا بصماتهم على القارة الاسترالية وكثير من جزر المحيط الهادى التى مروا بها فى رحلاتهم حول العالم عبر المحيطين الهادى والاطلسى ليصلوا الى امريكا ويتركوا بصماتهم على شواطئها ، والتى وصلت الى قيام حضارات بأكملها .

ولا زالت البحوث الاثرية تكشف كل يوم عن أثر جديد مما خلفوه ، كان آخرها ما أعلن عنه العالمان الامريكيان ، كراندل وريمون لين فى اواسط الشهر الماضى اكتشافهما لمعبد فرعونى فى الصحراء الامريكية ..

ان أقدم آثار الفراعنة فى أمريكا تتمثل فى حضارتى المايا والاوزتيك التى كانت شاغل علماء الاثار فى العالم أجمع خلال القرن الماضى ولا زالت موضع نقاش وابحاث متوالية فى محاولة كشف العلاقة التاريخية بينها وبين الحضارة الفرعونية

● ان التشابه المثير الذى يربط بين هاتين الحضارتين والحضارة الفرعونية يتمثل فى أول مظاهره فى بناء الاهرامات التى تعتبر الطابع المميز لكل من حضارتى المايا والاوزتيك .. لقد جمعت بين كل أنواع الاهرام المصرية ابتداء من المصاطب الى الاهرام المدرجة المماثلة لهرم سقارة الى الاهرام المكسوة بالحجارة أو البياض .. ففى مدينة « تكتنهوا كان » وحدها ٣٠٠ هرم فى المدينة الجنائزية المشابهة لمدينة منف . كما ان تخطيط مدن العبادة ومعابدها وعلاقتها بمدن الحياة ومساكنها



● الملك اخناتون وعبادة قرص الشمس الاسرة الثامنة عشرة ..

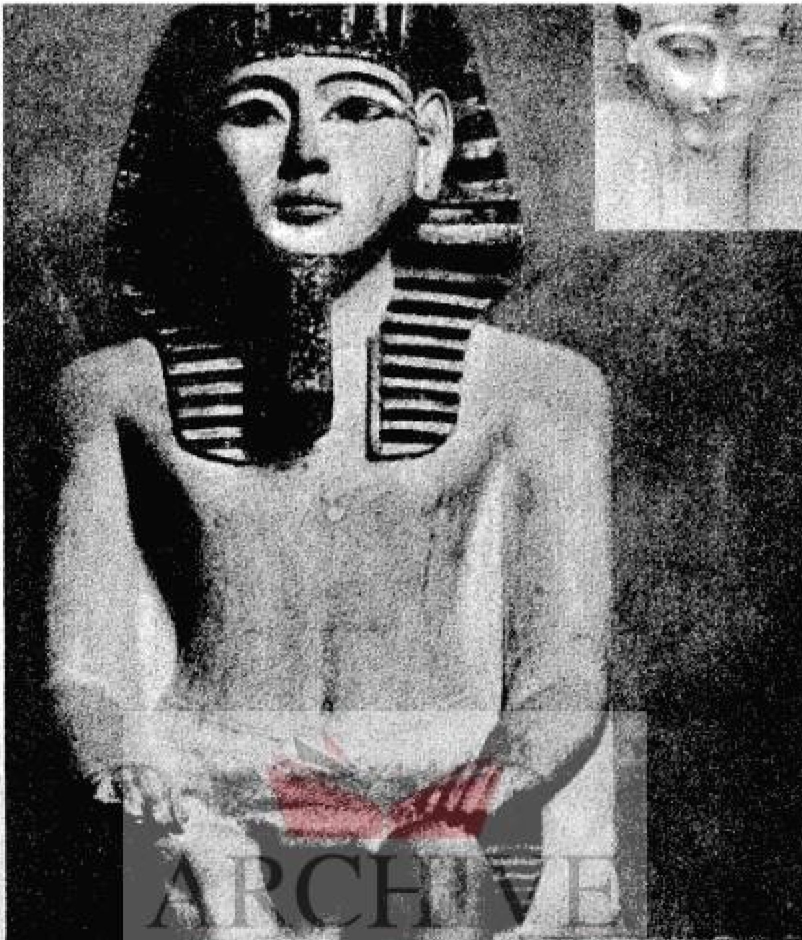


● ملك المايا الامريكية وعبادة قرص الشمس

يعكس كثيرا من نظريات تخطيط المدن الفرعونية في العهود المعاصرة لتلك الحضارات • وبوابات الشمس الفرعونية المعروف لها مثيل في بلاد المايا والاوزتيك كذلك طريقة بنائها باستعمال كتل الاحجار الضخمة في الاعتاب والاسقف وطريقة زخرفة واجهاتها بالرسوم والنقوش •

وأقام المكسيكيون المسلات المنحوتة من قطعة واحدة وقاموا بتسجيل الاحداث التاريخية والتقاويم الزمنية اسوة بالمصريين على جوانبها •

لقد عرف قدماء المكسيك فن التحنيط المتطور وطرق الدفن التي اتبعها الفراعنة حيث كانت تحنط جثث الحكام والامراء والكهنة ويوضع على وجه الجثة قناع وتدفن معه في قبره حليه وما كان يستخدمه في حياته الاولى من أدوات

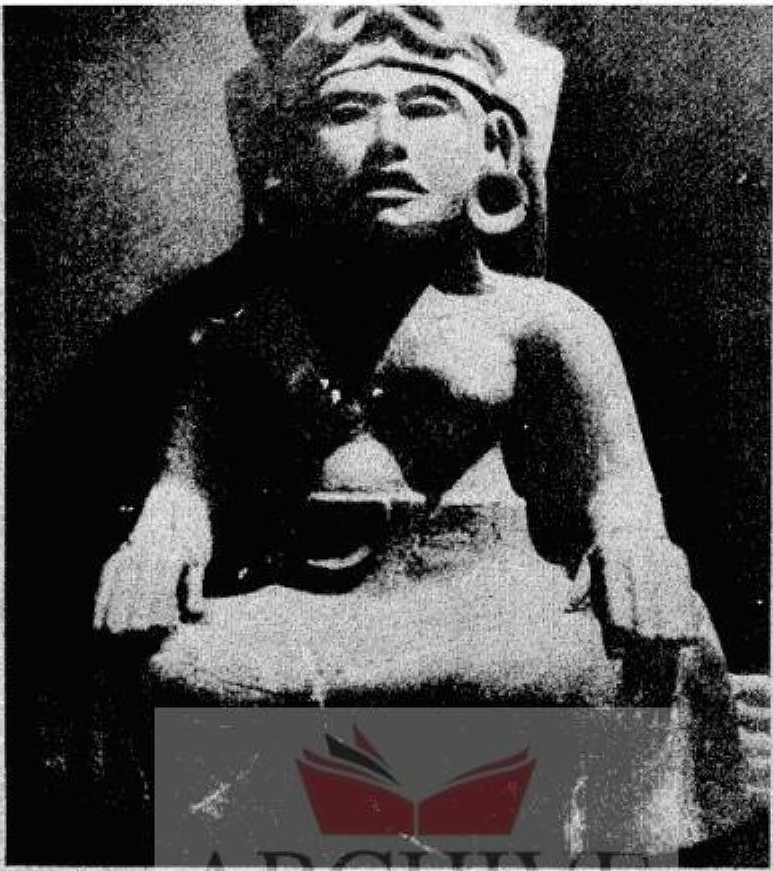


● تمثال الملك امنحتب الثالث

لاستخدامها فى العـــالم الآخر . هـــذا بجانب مختلف طقوس العقيدة وتقديم القرابين وعبادة الإله الواحد المتمثل فى أتوم القوة الخفية خلف الشمس .

هناك خيط من أهم الخيـــوط التى تربط تلك الحضارات بالحضارة المصرية القديمة وهى الرموز والنقوش التى تميزت بها تلك الحضارات المكسيكية القــديمة وتشابهها أو توافقها مع الرموز والنقوش الفرعونية أو الكتـــابة الهيروغليفية مما لا يدع مجالا للشك فى وحدة المصـــدر وكان الفضل فى كشفها للمهندس الاثرى الدكتور محمد حماد الذى قام بجمعهـا وتفسيـــرها فى جدول مقـارن ضـــمن الدراسات والبحوث التى قام بها وقدمها للهيئات الاجنبية ..

● رغم تلك الاسانيد وما ارتبط بها من براهين علمية وما تضيفه البحـــوث الاثرية اليها بما تكتشـــفه كل يوم من بصمات جديدة ومثيرة تؤكد علاقة تلك الحضارات بمصر الفرعونية ، فقد رفض أكثر علماء الغرب الاعتراف بعلاقة مصر بتلك الحضارات لانه لا يوجد بين وثائق تاريخ مصر القديمة ما يشير او يثبت ان المصريين القدماء قاموا بعبور المحيط أو انهم وصلوا الى شـــواطىء امريكا . كما انهم اقروا بان تلك الحضارات نشـــأت متكاملة العنـــاصر اى انها هبطت من مصدر خارجى وهو ما شـــجع الباحثين والكتاب على الاجتهاد فى وضع النظريات التفســـيرية الجـديدة التى ظهرت فى السنوات الاخيرة ، ومنها نظريات العالم



● تمثال لاحد ملوك الاوزتيك المكسيكية

السويسرى « فون دنيكن » في مؤلفاته التي أحدثت ضجة عالمية مثل « الهابطون من السماء » و « رواد العالم الخارجي » ـ « حضارات النجوم البعيدة » التي وصف فيها تلك الحضارات بأنها تنتمى الى شعوب أرقى مدنية من الارض وانهم هبطوا من كواكب أخرى بواسطة سفن للفضاء وعزز أقواله وآراءه بكثير من الاسانيد والوثائق التي تثبت انهم هبطوا من السماء وانهم ابناء اتوم اله الفراعنة الاول ، وحاول في ابحاثه أن يؤكد ان مصدر الحضارة الفرعونية هو نفس مصدر تلك الحضارات القديمة التي هبط بها روادها من كوكب آخر ، خاصة وان تلك الحضارات جميعها بدأت بمعرفة متطورة لعلوم الفضاء والفلك ومختلف العلوم والفنون التي ظهرت نامية ومتكاملة ولم تخضع لنظريات التدرج والتطور والارتقاء التي اتسمت بها مختلف الحضارات البشرية

● بينما نسب علماء الاطلنتولوجيا الامريكيون تلك الحضارات الى حضارة قارة الأطلنتس التي غرقت في المحيط في تاريخ معاصر لنشأة الحضارة الفرعونية ، وان شعب تلك القارة الذى وصل الى درجة عالية من الحضارة والعلوم والمعارف قد أبحرت بعض قوافلهم التي نجت من الغرق لتتجه شرقا في المحيط لتدخل البحر الابيض عن طريق جبل طارق وتصل الى أرض مصر وتضع نواة الحضارة الفرعونية ، كما اتجه البعض الآخر في المحيط غربا لتصل الى شواطىء امريكا لتكون نواة حضارة المايا ، كما وصلت بعض القوافل الى

جهات متفرقة من انحاء المعمورة لتعيش فى جزر المحيطات النائية ووصل بعضها الى جبال التبت ٠

● ان كانت تلك النظـــرية يمكـــن تطبيقها على الحضـــارة الفرعونية حيث أمكن اثبات تاريخ نشاة الحضارة المصرية مع تاريخ غـــرق قـــارة الأطلنتس فهى لا تتفـــق مع تاريخ حضـــــارات المايا والاوزتيك الامريكية التى يفصـــلها عنها فارق زمنى يصل الى خمسة الاف سنة ٠

● فعلاقة الحضارةالمصرية بالحضارات الامريكية يجب أن يبدأ بالبحث عن الحلقة المفقودة التى تمسك بها الباحثون وأنكروا بسببها علاقة الفراعنة بين التاريخ الزمنى والوثائق التاريخية المعاصرة التى تدعمه

كـــان البحث عن تلـــك الحلقـــــــة المفقودة هو المنطلق الذى تركـــزت عليه الابحـــــاث التى قمت بهـــا عـــام ١٩٦٣ واشتركت بها عن طريق هيئة الامم فى مؤتمر المكســـيك الخـــاص بالبحث عن حضارة الاوزتيك ٠ وقد آثار ذلك البحث جدلا فى كثير من الاوســـــاط العلمية ، وعقـــدت له عدة اجتمـــاعات فى مصر والخارج لمناقشة تفاصيله التى تكشـــف النقاب عن الحلقات المفقـــودة فى علاقة المصريين القدماء باكتشاف امريكا ودورهم فى بناء صرح حضـــاراتها القديمة ، بل وتذهب الى ما هو ابعد من ذلك ، لتلقى ضوءا على علاقة المصريين القدماء بسلالات اجناس الشعوب القديمة التى استوطنت الامريكتين ٠٠ لتجيب عن الاســـئلة أو الالغاز التى وضعها علمـــاء الاثار الذين يبحثون عن تـــاريخ حضـــارات المايا والاوزتيك وغيرها من الحضـــارات التى ظهرت على الشواطىء الامريكية ٠٠

تلك الاسئلة التى بقيت بغير جـــواب مقنع او صريح الى الآن !

من الذى اكتشف امريكا ؟

متى تم اكتشافها ؟

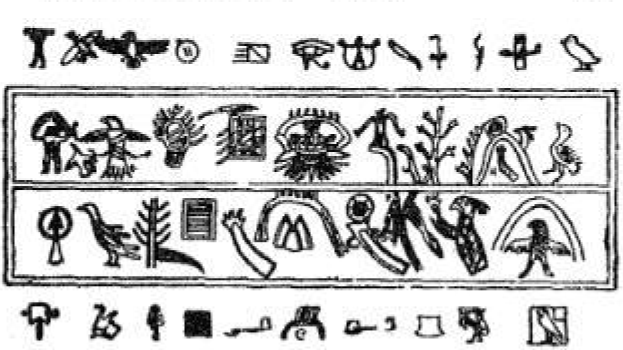
من اين اتى المكتشفون وكيف وصلوا؟

***

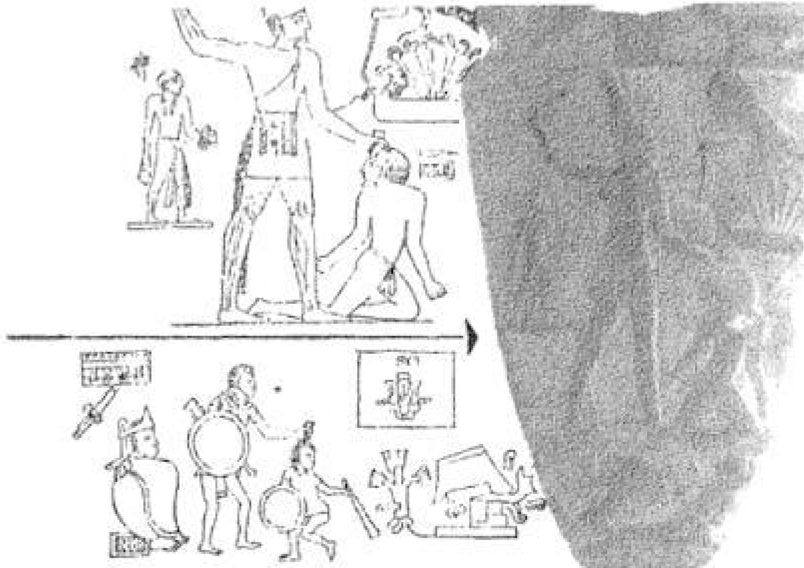
● ان الاجابة عن هذه الاسئلة تبدأ باقتفاء آثار بناة تلك الحضارات وتتبع مواقع نزولهم على شاطىء ذلك العـــالم الجديد ورفع بصماتهم التى تركوها على مختلف عناصر الحضارة وتراثها الاثرى ثم العمل على تحديد تاريخها أو عمـــرها الزمنى للوصـــــول الى الحلقه المفقـــودة بالبحث عنها فى « أرشيف » الحضارة الفرعونية المسجل والمعـــــاصر للتاريخ الزمنى لتلك الحضارات ٠

وكان تحديد عمر الحضارات موضع اختلاف كبير بين الاثريين وعلماء البحوث طوال السنوات الماضية ، فحدد البعض تاريخ نشاة حضـــــارة المايا ، اقـــدم الحضارات الامريكية بعام ٩٠٠ ق ٠ م – بينما رجع بها البعض الآخـــر الى ما يقرب من عام ٢٠٠٠ ق ٠ م ٠ فكان لذلك الخلاف أثره فى اسدال ستار الغموض على تلك الحضارة لعشرات السنين حتى توصـــل علماء التكنولوجيا الحديثة الى اكتشاف طريقةتحديد عمر الآثار بواسطة استعمال جهاز الكربون ١٤ ٠

● لقد تمكن العلماء من تحـــديد بدء حضارة المايا من خلال جهاز الكربون ١٤ فى الكشف عن عمر المخلفات العضـــوية بالآثار الحفريات وعظام المقابر والموميات المختلفة ، فتحدد عمر اقدم اثارها اى بدء الحضارة بـ ٣٤٠٠ ســـنه اى فى عام ١٣٨٠ ق ٠ م كما كشف ذلك التاريخ



● نقوش حضارة المـــايا الامريكيـــة ومقارنتهـــا بالحروف الهيروغليفيةالتى اكتشفها المهنـــدس الاثرى الدكتور محمد حماد



● لوحة الملك نعرمر مينا

● لوحة الملك موكيتزوما الاول



● محاربو الازتيك

● محاربو الفراعنة



لغز التقويم الفلكى ونقوشه التى اشتهر بها شعب المايا فوجـدت انها تتفق معه ومع بداية استعماله والعمل به .

بالرجـوع الى تاريخ مصر المعاصر والمسجل نجد ان ذلك التاريخ يشير الى عهد الملك امنحتب الثالث (امينوفيس) وهو العهد الذى اطلق عليه المؤرخـون اسم « عهد الترف والتأمل والفلسفة » اشتهر امنحتب الثالث برحلاته وبعثاته الاستكشـافية عبر البحار والمحيطـات وحول اسطول مصر الحربى وسـفنه الضخمة الى اسـطول للسلم لرحـلات الاستكشاف والتجـارة وما اطلق عليه « رحلات البحث والمعرفة » .

ويذكر تاريخ امنحتب الثالث (وهو والد الملك اخنـاتون) من بين رحلات البعثات الشهيرة التى قام بها وتعتبر من اشهر اعماله « رحلة البحث عن الحقيقة »



● مجموعة اهرام حضارة المايا

ـ او البحث عن مكان الجنه التى اختلف كهنة كل من معابد هيليوبوليس وطيبة والنوبة فى تحديد موضعها . أهى موجودة فى الشرق حيث يشرق منها الاله رع كل صباح ؟ ام فى الغرب حيث ياوى اليها فى الغروب ؟ ام فى الجنوب حيث ينبع النيل نهر الحياة التى يوجد بها عرش حعبى اله النيل ؟

لقد سجل تاريخ الفراعنة ان امنحتب الثالث فى السنة التاسعة من حكمه ارسل بعثاته الثلاث المشهورة ، بعد ما زود كلا منها بمجموعة من جنود البحر الاشداء ورجال العلم والمعرفة من كهنة الاله رع ، وفنانين وصناع فى مختلف الحرف والمهن ..

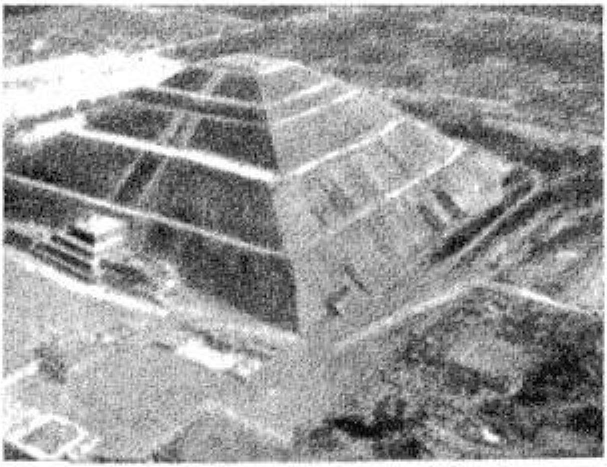
وأبحرت كل قافلة منها لتستكشف المجهول بحثا عن الحقيقة ، وتنقل الى اركان المعمورة أو أعمدة السماء الاربعة اساليب حضارة وادى النيل وتضم الى أملاك مصر ما تقوم باستكشافه من أراض جديدة ترفع عليها أعلامها المقدسة .

فالبعثة الاولى التى ابحرت لتقتفى أثر الشمس فى مدارها ومسيرتها نحو الغرب عبرت البحر الابيض حتى وصلت الى البحر الازرق العظيم (المحيط الاطلسى) ـ فكان اول اسطول بحرى فى تاريخ البشرية ينزل فى المحيط .

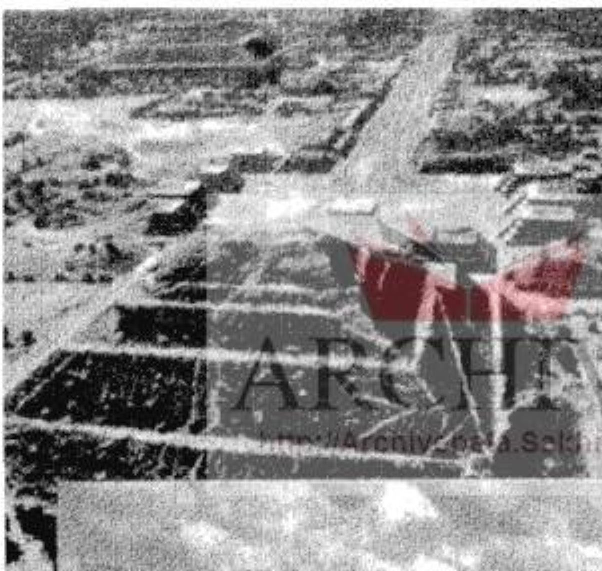
وانقطعت أخبار البعثة التى لم تعد الى وادى النيل ليفاجأ العالم الحديث عند اكتشاف امريكا بأن بصمات الفراعنة قد سبقتهم الى ذلك العالم الجديد لتترك آثارها واضحه على الاهرام المدرجه (اهرام القمر) المماثلة لهرم سقارة والاهرام المستوية المماثلة فى أشكالها واوضاعها لمختلف اهرامات منف . كما ارتفعت فى سماء البيرو بوابات الشمس واعمدة المعابد والتماثيل والمسلات وغيرها من عناصر الحضارة وحياة المجتمع .. فكانت حضارة المايا التى نشأت متكاملة بجميع مقوماتها عام ١٢٨٠ ق . م .. عام وصول البعثة الفرعونية الى شواطىء امريكا .

● اما البعثة الثانية التى أبحرت فى اتجاه الشرق فقد عادت بعض سفنها بعلمائها وصلت الى جنوب افريقيا ودارت حول راس الرجاء الصالح واستمر بعضها ليعبر المحيط ويصل الى شواطىء امريكا الجنوبيه ليترك بصماته على حياة بعض قبائل الهنود الحمر ويرجع بعض علماء الاجناس انهم ينتمون الى الفراعنة بما لهم من عادات وتقاليد وطقوس دينية متوارثة مازالوا يحتفظون بها الى الآن

كما وصلت بعض سفن تلك البعثة (بعثة الشرق) التى تفرقت عن بعضها بفعل العواصف والاعاصير .. وصلت الى شواطىء استراليا حيث تركت بصماتها على الشعب الاسترالى القديم التى تمثلت فى عبادتهم للشمس التى تسمى فى لغتهم القديمة « راء » الماخوذة من اسم رع الفرعونى القديم .



● هـــرم تيوتهواكان المدرج ومعابده الجنائزية حضارة المكسيك



● هرم سقارة المدرج ومعابده الجنائزية





● بوابة الشمس المصرية بالاقصر ..

كما ان هناك من العادات والتقاليد وأدوات الحياة كسلاح قوس البوميرانج الذى اشتهرت به استراليا فى صيد الطيور .. كذلك طرق صيد الاسماك بالحراب أو الاقفاص وجميعها صورة طبق الأصل مما كان يستعمله الفراعنة فى ذلك الوقت .. ما هى الا البصمات التى تركتها تلك البعثة التى استقرت على تلك الشواطىء ولم تعد .

● اما البعثة الثالثة وهى التى عادت بعدما وصلت الى جبل القمر عند منابع النيل لتسجل تفاصيل الرحلة على مجموعة من الواح الجرانيت وصخور الشلالات وأوراق البردى . وفى احدى النقوش المسجله على صخور جزيرة « كونوسو » شمال فيلة نص يقول : « بسط فرعون مصر امنحتب الثالث حدوده الى حيث شاءت ارادته حتى وصلت الى عمد السماء الاربعة .

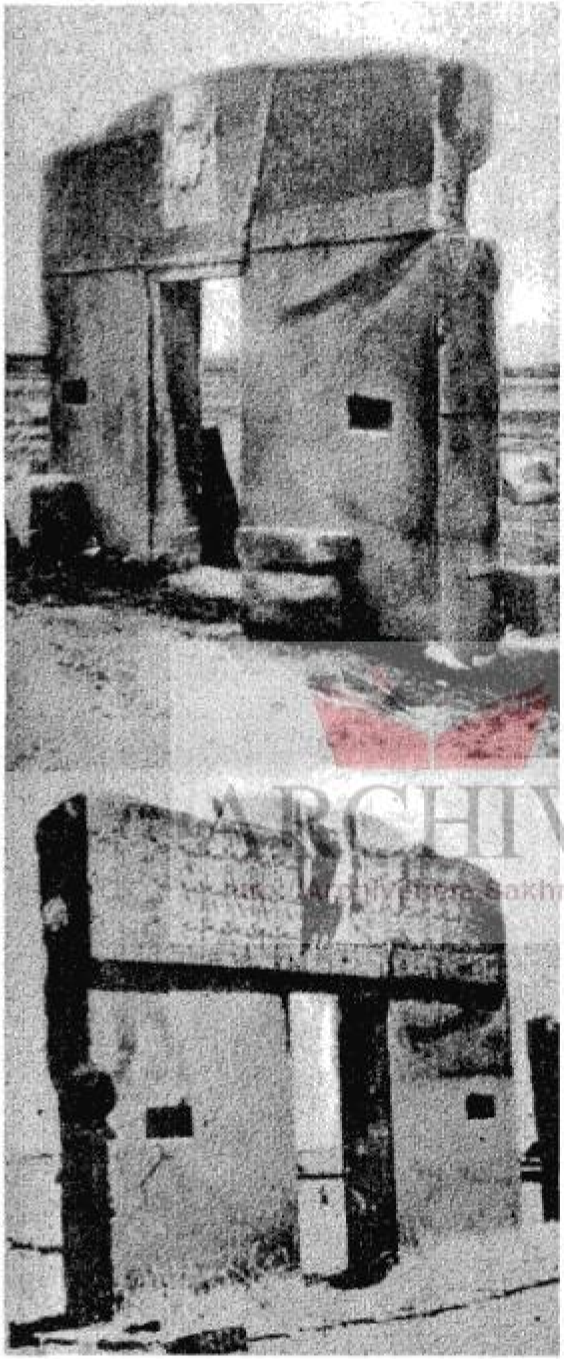
لقد اكتشف العالم المصرى الكبير الدكتور سليم حسن أحدى الوثائق التاريخية الهامة التى سجلت بعثات امنحتب الثالث فى اكتشاف امريكا

● بنفس الطريقة التى أمكن بها اثبات علاقة الفراعنة باكتشاف أمريكا ونشأة حضارة المايا الامريكية القديمة امكن تحديد علاقة الفراعنة بحضارة الاوزتيك المكسيكيه المشهورة التى امكن تحديد تاريخ نشاتها حديثا بواسطة (الكربون ١٤ المشع) فوجد انها ترجع الى عام ٦٠٠ ق . م الذى يعاصر عهد الملك « نخاو الثانى » فى عصر الاسرة ٢٦

وقد اشتهر الملك نخاو ، كسلفه امنحتب الثالث بمغامراته وبعثاته ورحلاته البحرية المشهورة التى أرسلها لتبحر فى البحر الاحمر وتخرج منه للطواف حول القارة الافريقية لاكتشاف مجاهل شواطئها حتى تصل الى المحيط الاطلسى .

وقد نقل هيرودوت عن الفراعنة أول خريطة فى العالم تظهر بها شواطىء افريقيا الجنوبية واتصال البحر الاحمر بكل من المحيط الجنوبى والمحيط الاطلسى التى رسمها الفراعنة أثناء رحلاتهم حول العالم .

وقد سجل الملك نخاو الثانى رحلاته المثيرة على مجموعة من أوراق البردى من احدى برديات بريس المشهورة يثبت وصول الفراعنة الى القارة الامريكية وقيام حضارة الارزتيك بالمكسيك وتقص



● بوابة الشمس الأمريكية في حضارات المايا والازتيك بمدينة تكتهواكان .

البردية تفاصيل الرحلة بالنص التالى :

« لقد بلغنا شواطىء جزيرة هائلة مجهولة ، وقضينا فى رحلتنا ستة اشهر فوق المحيطات الشاسعة لا نرى غير السماء ونجومها ليلا ، والمياه الزرق وحيتانها نهارا • حتى بلغنا الارض التى تغرب فيها الشمس بعد شروقها عندنا بيوم كامل •• تختلط ارضها بالذهب ويعلو سطحها الغابات الكثيفة ••• تجرى فيها انهار تحاكى نهرنا المقدس هيبة وجلالا ••

« لقد تركنا هناك رفاقا لنا ، ربما لا نتصل بهم بعد اليوم ابدا قد يبذرون بذور امة وينشرون دولة كما فعل مواطنون لهم من قبل فى بقاع اخرى من الارض شرقا وغربا •

« انهم سيحدثون اهل ارض الشمس الغاربة عن مصر ونيلها وعظمتها والهتها •• سيعلمونهم كيف يقولون ويكتبون • سيهذبون عقولهم بالايات والتعاليم التى حفرها كهنة امون رع على حوائط معابدهم وحفظوها فى بردياتهم المقدسة ••• وعبادة الالهة واستمطار رحمتها •• وتشييد الهياكل للاله الاعظم »

***

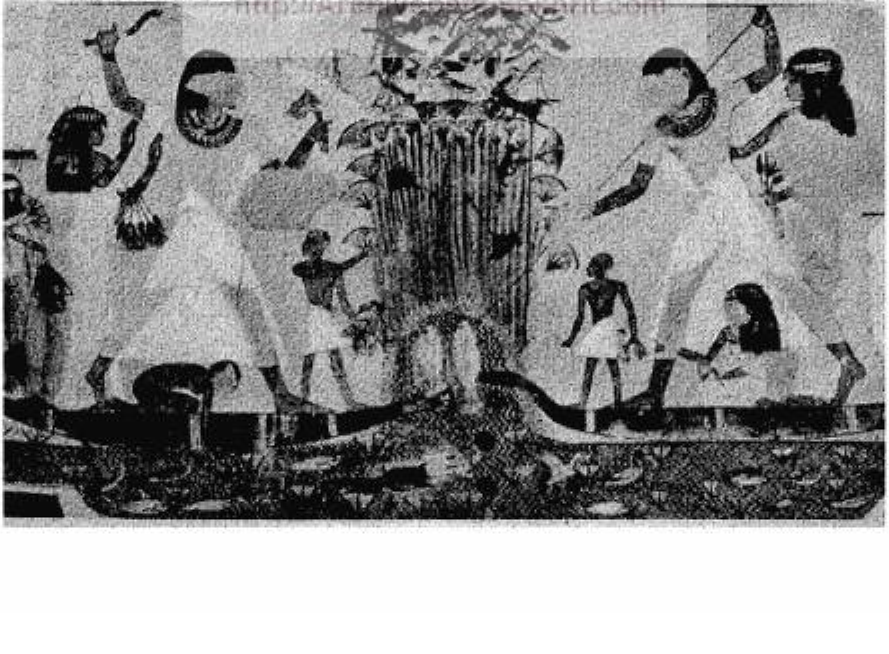
● مرة ثالثة اكتشف فيها المصريون القدماء القارة الامريكية حيث وصلوا هذه المرة الى الشاطىء الغربى للامريكتين عام ٣٢٠ ق٠م فى عهد بطليموس الثالث الذى حاول تقليد الامبراطور العظيم امنحتب الثالث ، فارسل بعثاته المعروفة الى بلاد ما وراء الشمس وما وراء البحار ليضمها الى مصر وينادى بنفسه ملكا عليها •

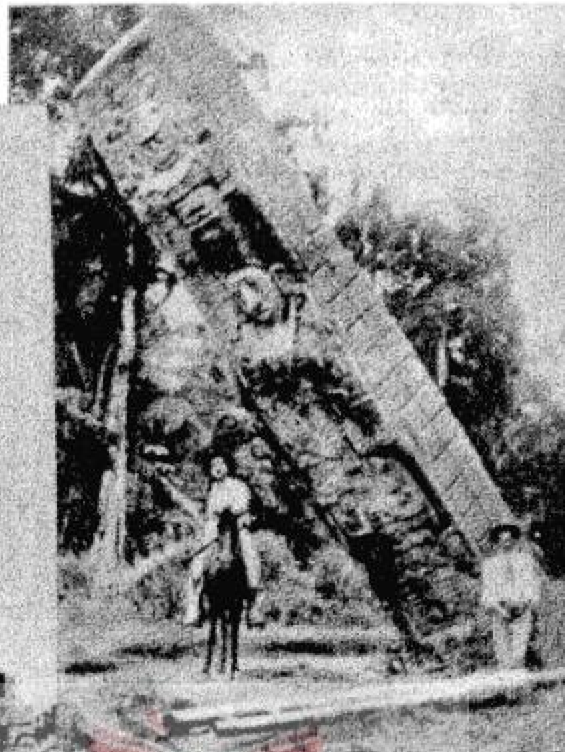
كان للابحاث التى قام بها البروفسور بارى فيل بالاشتراك مع عدد من الباحثين والعلماء فى جامعات نيوزيلنده وهاواى وهارفارد الفضل فى التوصل الى تلك النتائج المثيرة التى ربطت حلقات علاقة تلك الشعوب وحضاراتها بشعب مصر ، وامتدت لتؤكد وصول المصريين القدماء الى الشواطىء الغربية للامريكتين التى تطل على المحيط الهادى •

لقد امضى بارى فيل استاذ جامعة هارفارد بمشاركة هيئات البحث بالجامعات الاخرى وبمعاونة بعض علماء الاثار البريطانيين ، بضع سنوات يقارنون فيها النقوش المحفورة والمرسومة على الاثار والمقابر والكهوف •• ويقارنون ما هو أهم من هذا وهو اللغة التى يعرفها ويتكلمها الماورى الآن واللغة المصرية القديمة التى كان يتكلمها ويكتبها المصريون فى عهد البطالسة • وهو العصر الذى خرج فيه هؤلاء المصريون القدماء وابحروا حتى وصلوا الى نيوزيلنده والى ما بعد نيوزيلنده حتى وصلوا الى شواطىء امريكا •

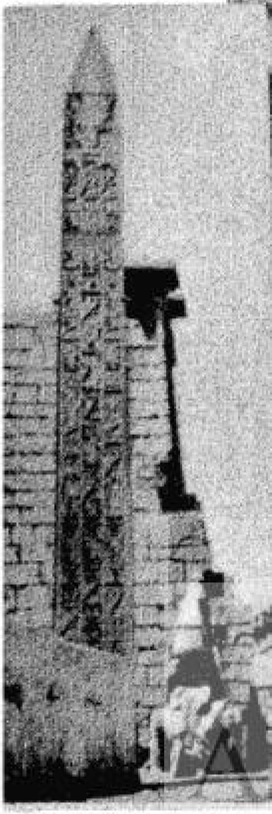
كان الخيط الاول الذى امسكوا به

● صيد الاسماك بالحراب والطيور بأقواس البومرانج تركها الفراعنة خلفهم فى استراليا ..





● احدى مسلات شعب المايا فى كيريجوا



● احدى المسلات الفرعونية بالاقصر

هو اساطير الماورى وخاصة ما يطلق عليه اســـاطير الخلق والعقيدة التى وجدوا تشابها كبيرا بينها وبين أساطير الخلق الواردة فى متون كتب العقيدة الفرعونية يطلق عليها أيضا أســطورة الخلق ولا تختلف تلك الاسطورة فى شىء عن أسطورة الخلق الفــرعونية التى ورد نصها فى متون العقيــدة بهليوبوليس وتاسوع التكوين بملائكته الثمانية الذين حملوا عرش الاله .

ويقول بارى فيل فى دراســاته ان « ماوى » لم يكن الها أو من ابناء الالهة أو أنصاف الالهة كما وصــفهم قــدماء المصريين بل هو رجل من البشر . رجل مصرى كمـا ورد فى احــدى الوثائــق المصرية القــديمة وكان مولده بمدينة الاسكندرية فى السنة الخامسة والعشرين فى عهد بطليموس الثانى وبالتحديد فى سنة ٢٦٠ ق ٠م

وتعلم ماوى فى جامعة الاســكندرية حيث درس فيها الرياضــيات وعلوم الفلك وكان استاذه العالم الســكندرى اراتوستين وصار ضابطا بحريا ثم قائدا لاحد الاساطيل البحرية .

وأمره بطليموس الثالث بقيادة بعثة بحرية تذهب عبر البحار الواســعة لتستكشف بلادا بعيدة مجهولة .فخرجت البعثة بأسطولها البحرى من الاسكندرية فى السنة الثــامنة من عهد بطليموس الثالث (٢٤٦ – ٢٢١ ق . م) لتعبر

ما بين البحر الابيض والبحر الاحمر فى قناة السويس التى كان قد أعاد حفرها أول مرة الملك سنوسرت الثـــالث عام ١٨٧٤ ق ٠ م ٠

وخرجت سفن ماوى من البحر الاحمر لتدخل فى بحار واسعة متلاطمة الامواج لم يسمع الناس عنها شيئا سوى ما كان يحمله الرسل من الرســـائل والخيرات والهدايا للملك من كل ارض ترســو بها سفنهم ويرفعون عليها علم بلادهم ٠

وتشرح ابحاث جامعة هارفارد طريق سير البعثة البحرية المصرية التى عبرت المحيط الهندى وسارت حول السواحل الجنوبية لشبه جزيرة الهنـد ثم ذهبت الى جاوه وسومطره فى اندونسيا واتجهت لتمر وســط الجزر المتعددة التى تقع شـــمال استراليا ٠٠ ثم دخلت المحيط الهادى ٠ وتمضى البعثة البحرية المصرية فى طريقها حتى تصل الشاطىء الغربى للامريكتين الشـــمالية والجنوبية ٠٠٠ وهناك رست السفن المصرية على الارض واعلنت ضمها الى المملكة المصرية ٠ وصار بطليموس الثالث ملكا على بلاد ما وراء البحار ـ او ما يسمى بامريكا ـ حيث بقيت بعض السفن لتنشر الحضـــــارة المصرية والعقيدة فى الارض التى تشرق الشمس من شـــواطئها كما ســـبقهم امنحتب الثالث فى استكشـــاف الارض التى تغرب الشمس عند شـــواطئها ـ وهى الشواطىء الشرقية لامريكا ٠

وعادت بقية السفن لتجوا فى المحيط الهادى مرة اخـــرى فتمر بجزر فيجى وتتجه جنوبا لتصل الى «زيلندة الجديدة» فرسوا عليها واستراحوا الى جوها المعتدل الشبيه بجو بلادهم مصر فاقاموا هناك واستقروا وصـــارت نيوزيلنده وطنهـم الجديد ، وصار اسمهم الماورى نسبة الى ذلك القائد البحرى الذى خـــرج من الاســـكندرية واعتبروه ابن الاله الذى نزل من السماء ٠

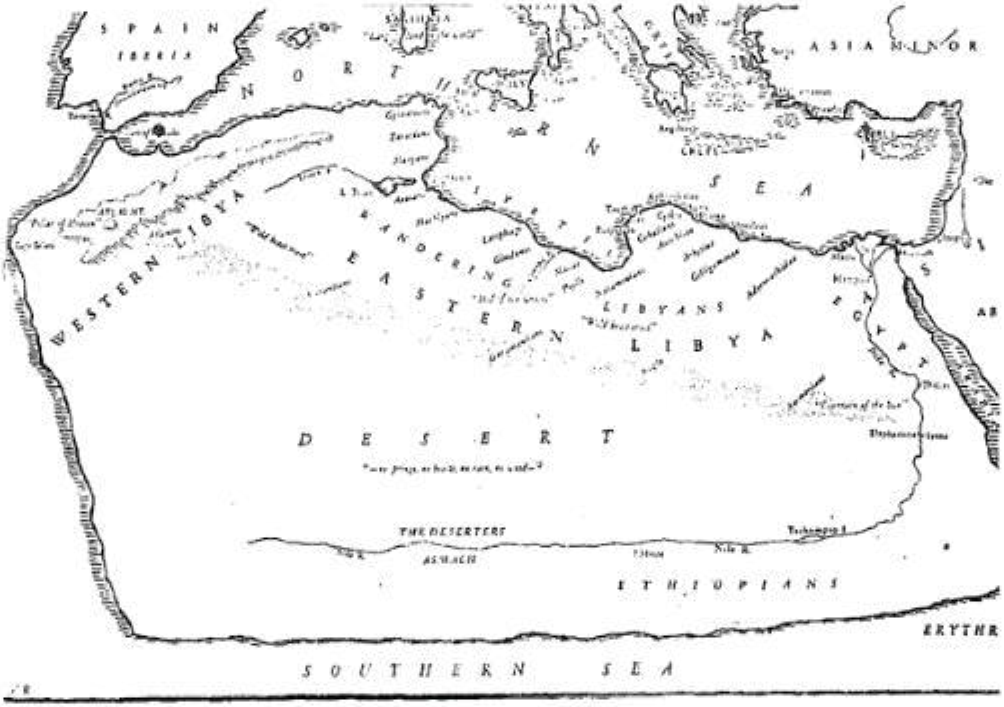
وفى هذا الوطن أقاموا حضــــارة من الزراعة والصناعة ومن العمارة والبنـــاء وغيرها من الفنـــون الوثيقـة الصـــلة بالحضارة المصرية القديمة ٠

ليست اسطورة الخلق او اســـطورة ماوى ابن الالهة هى الاسطورة الوحيــدة التى تربط شـــعب الماورى والبوليتيز بالفراعنة فالكثير من اســـاطير القصص الشعبى المرتبطة بأدب العقيـــدة والتى تمثل بطولات الالهه والصراع بين الهــة الخير والشر وقصص السحر والخرافات ومختلف أساطير الحب وقصصه وأشعاره وأغانيه نجد تشـــابها عجيبا بينها وبين ما تردد فى أرض الفراعنة مع اختـــلاف الاسماء وتقارب مرادفاتهـــا مما يؤكد انتقالها من وادى النيل الى ذلـــك ٠٠٠ العالم الجديد ٠

لقد اشترك عالم المصريات البريطانى « جريفيث » ٠٠ علمـــاء جامعة هارفارد الامريكية فى كشف علاقة لغــة الماورى القديمة والتى لا زالت متداولة حتى اليوم باللغة المصرية القديمة التى كانت سائدة فى عهد البطالـــة ـ وكانت مزيجـا من الفرعونية والعامية واليونانية ـ فاتبعوا



● اقدم خريطة للعـــالم رسمها الفراعنة ويظهر بها كل من البحر الاحمـــر والمحيط الاطلسى والهندى والطرق التى ســـلكوها للدوران حول العـــالم فى رحلة ماوى ٠٠



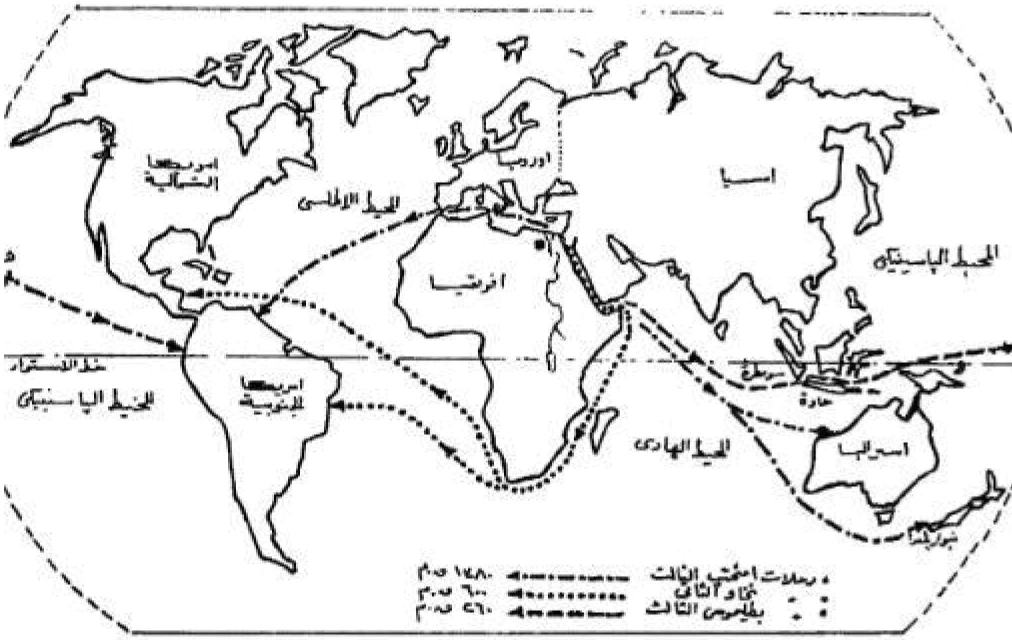
● خريطة افريقيا التي نقلها هيرودوت من الفراعنة وتظهر بها شواطيء افريقيا التي دار حولها الفراعنة واتصال كل من البحر الابيض والبحر الاحمر بالمحيطات ..

نفس الطريقة التي اتبعها شامبليون في فك رموز حجر رشيد ..

وتقوم هذه الطريقة على مقارنة « القيمة الصوتية » للكلمة في احدى اللغات بالقيمة الصوتية للكلمة التي تؤدي نفس المعنى في لغة أخرى بصرف النظر عن الحروف التي تتكون منها الكلمة ومن الشكل الذي تكتب به هذه الحروف والكلمات . وقد تمت المقارنة في جامعة هارفارد التي نقل اليها أكثر من الف صورة دقيقة للنقوش والرموز الموجودة على كثير من الاثار القديمة في مناطق الماوري ومقارنتها بالنقوش والرموز التي أخذت من الاثار المصرية القديمة والمنطقة الممتدة من وادي النيل الى مختلف شواطيء افريقيا وكريت . واعلنت الجامعة نتائج ابحاثها واكدت بان الماوري قد جاءوا من مصر ..

جاءوا في البعثة البحرية التي رأسها القائد البحري المصري « ماوي » كما وجد في اثار الماوري ضمن نصوص العقيدة « ان الشمس قد انكسفت يوم بدء رحلة ماوي من السماء ووصوله الى أرضهم حيث بارك الاله الاعظم ابنه ماوي في رحلته » فاستطاع « باري فيل » ان يحدد هذا التاريخ تماما وهو يوم ١٩ من نوفمبر سنة ٢٣٢ ق . م وذلك بالرجوع الى الجداول التي وضعها علماء الفلك في الجامعة وحددوا فيها مواعيد الخسوف والكسوف خلال الثلاثة آلاف سنة الاخيرة فوجد انه يتفق بدوره مع تاريخ خروج البعثة البحرية من مصر وتاريخ ظهور الحضارة ونشأتها على شواطيء امريكا الشرقية وجزر المحيط الهادي .

● هكذا استكشف المصريون القدماء امريكا قبل كولمبوس بألفي سنة ووصلوا الى شواطئها الشرقية والغربية لنخلفوا



● **الوصول الى شواطىء الامريكتين من الشرق والغرب مرورا باستراليا وجزر المحيط الهادى ..**

طبعات أقدامهم في أكثر من مكان وتركوا بصمات أصابعهم على أكثر من حضارة من الحضارات الامريكية القديمة ولا زالت العقيدة الفرعونية تلقى ظلالها على الكثير من سكان تلك الشعوب سواء من أهل البلاد الاصليين الذين أطلقوا عليهم اسم الهنود الحمر فى مختلف انحاء القارتين وانتقلت لتسيطر على ملايين الامريكيين فى العصر الحديث الذين يدينون بعقيدة اخناتون من مختلف طوائف الروزيكوش بمعابدهم وطقوسهم الفرعونية الخاصة والذين يعتبرون الهرم الاكبر كعبة العقيدة فيحجون لزيارته فى أفواج سياحية دينية الى اليوم .

● **ريشة على راس الامريكيين** ●

ريشة ماعت (رمز السمو والحق والعدالة) عند قدماء المصريين .

– كان رؤساء القبائل والحكام فى عصر ما قبل الاسرات يضعونها فوق رءوسهم للدلالة على مكانتهم ، وانتقلت فى عصر الاسرات ابتداء من الدولة القديمة فكان القضاة والحكام والقواد يزينون بها رءوسهم كحماة للحق والعدالة وسمو المركز . ظهرت تلك الريشة فى حضارات المايا الاوزتيك على رءوس الحكام والقواد وزعماء القبائل .

ومما يلفت النظر انها لا زالت تعتبر غطاء الرأس التقليدى لقبائل الهنود الحمر وبعض القبائل البدائية من سكان امريكا الاصليين . كما لفت نظر علماء الاجناس أن ريشة الرأس وجدت عند قدماء الاستراليين وشعوب الجزر النائية فى المحيط الهادى التى مر بها قدماء المصريين فى طريق رحلاتهم المعروفة التى وصلوا فيها الى شواطىء الامريكتين .

فالريشة التى حملها الفراعنة على رءوسهم تعتبر من البصمات المميزة التى تركوها فى البلاد التى وصلوا اليها فى رحلاتهم حول العالم او اركان المعمورة الاربعة التى وصفوها فى بردياتهم .

ولا زال المثل الشعبى « على رأسه ريشه » للتعبير عن محاولة التعاظم والغرور – يردده العامة الى اليوم .

هات الشباب

● ابراهيم عيسى ●

بعـــد ان اصبح ذكرى
جئتَ تدعـــونى إليـــك
الهـــوى قد كانَ مُـــرًا
ذقتـــه من راحتيـــك
بعـدَ أن أغضَى وَمَـــرًا
لم أعُد أبـــكى عليـــك !

***

كيفَ تَسْـــترضى أنينى
وهوَ قدْ صَـــار سَـــرابا
أنتَ أشـــقيْتَ سَـــنينى
وانقضَى عُمـــرى عَـــذابا !
قبل أن تدعُـــــو حنينى
هاتِ .. أرجعْ لى الشـــبابا !

ظالم

ظلمَ الحب فـــؤادى واشتكى
أيهـــا الهاجـــرُ من عَلمَكا
يا حَبيبى .. والهَوى قيثـــارتى
كل ما غنَّيـــتُ فى الحب لكا !
ضَحِكَ العصفـــور منه طربا
ورأى لهفـــة قلبى فَبَـــكى !
يا حَبيبى ... وأرانى فى الهَوى
بَشرًا يعشـــق فيكَ المَلَـــكا
فاذا همَّ فـــؤادى بالنَّـــوى
لاحَ طيف بالمُنـــى فارتَبَكا !

من روائى أسبانى إلى ناقد بولندى

● ماهر شفيق فريد ●

سرفنتس :

حوت مجلة « ذا لنــدن رفيو اوف بوكس » ، وهى مجلة نصف شــهرية ظهرت حديثا ـ عديدا من المقــالات فى آخر اعدادها • فهناك مقالات عن الثورة الفرنسية ، وعصر التنوير ، ونظـريات السياسة الغربية فى مواجهة المستقبل ، والناقد البريطانى ف • ر • ليفز ،الذى رحل عن عالمنا خلال ١٩٧٩ ، وحكـومة العمال البريطانية ما بين ١٩٧٤ و ١٩٧٦ وســنوات هنرى كيســنجر فى البيت الابيض ، والعــالم البريطــانى هوارد فلورى ، والروائى الاســبانى سرفنتس صاحب رواية «دون كيشوت »، وقصيدة « يوجين اونيجين » للشــاعر الروسى الكزندر بوشكن • ومن بين هذه المقالات سنتوقف عند المقالة الخاصة بسرفنتس

تحت عنوان « حيــاة سرفنتس الشاقة » كتب جبريل جوسيبوفتشى يقول : لسنا نعرف الكثير عن سرفنتس • لقد ولد عام ١٥٤٧ فى قلعة دى هنارس، على غير مبعدة من مدريد. كان جده ـ وهو اخصائى فى القانون الدولى لدى محكمة التفتيش ـ قد جمع ثروة بوســائل مريبة ، ثم اخلد الى العيش فى مدينــة اخرى مع عشيقة له سابقة ، تاركا أطفاله ـ الذين اهمل تعليمهم ـ يخوضــون معترك الحياة بمفردهم •

ووقع عبء رعاية الأسرة على كاهـل رودريجو ، أب سرفنتس ، الذى عن له ان يشتغل جراحا كى يعول اخوته •وفى ذلك الوقت كان الاطباء المتخرجون فى كليات الطب هم وحدهم الذين يصيبون شهرة ومالا ، تاركين للجــراحين قليل الاجر هزيل التدريب مهمة جبر الاطراف المكسورة ، وتقديم المطهرات الجوفية ، وفصد الدم فى حال الحمى •

ولكى تتقى الاسرة شر مصادرة أمتعتها او الزج بافرادها فى السجن لعجزهم عن الوفاء بديونهم ، كان عليها أن تتنقــل ما بين قرطبة واشــبيلية ومدريد أو مجريط كما كان يسميها العرب القدامى كان من الطبيعى ـ فى مثل هــذا الجو ـ الا يتلقى سرفنتس تعليما رسميا كبيرا ، وان بدا أنه وقع فى مدريد تحت تأثير معلم شجع مجهوداته الاولى فى كتابة الشعر • لقد كتب « سوناته » فى سن العشرين احتفالا بمولد ثانية بنات الملكة ولكنها لم تكن بالقصــيدة الجيدة •

وبمجىء عام ١٥٦٩ كان قد ســافر الى ايطاليا فى معية راع غنى للفنون • وفى العام التالى انخرط هو وأخوه فى سلك الجيش حيث اشتركا فى معركة ليبانتو عام ١٥٧١ ـ حيث جرح سرفنتس ثلاث مرات ، وأطاحت قنبلة بيده اليسرى • وفى ١٥٧٥ ، عندما كــان بحــارا فى الاسطول ، وقع فى اسر سفينة قرصان ، وأخذوه الى مدينة الجزائر رقيقا • وبعد أربع محاولات فاشلة ، للهرب ، أطلق سراحه بفدية عام ١٥٨٠ •

كتب سرفنتس مسرحيات لم يقدر لها النجاح ، الى جانب قصائد عديدة • وفى ١٥٨٥ نشر رواية عن حياة الرعاة•وفى عام ١٥٨٤ كان انجب ابنة غير شرعية

وتزوج بغير أمها ، وكانت زوجته فتاة من مدينة صغيرة، تصغره بثمانية عشر عاما. ومهما يكن من امر ، فانه ما أن تزوج حتى شرع يعاود الاسفار ، وخلال السنوات العشرين التالية ظل يحاول كسب معاشه : اولا بامداد سفن الارمادا بالمؤن ، ثم بجباية الضرائب ، وفي كلا المهنتين لاح انه وقع بين المطرقة والسندان : بين الفلاحين واسعي الحيلة من ناحية ، والبيروقراطيين الملتوين من ناحية اخرى . بل انه كثيرا ما تورط في متاعب ، ودخل السجن فترة بتهمة جريمة يكاد يكون من المحقق انه لم يرتكبها . ولابد انه لم يكن مهملا للكتابة طوال تلك السنوات ، فقد نشر الجزء الاول من راوية « دون كيشوت » في ١٦٠٥ ولاقى نجاحا فوريا .

وفي ١٦١٣ نشر مجموعة قصصية عنوانها « حكايات على سبيل القدوة » واتبعها بـ « رحلة الى جبل البارناس » في ١٦١٤ ، والجزء الثاني من « دون كيشوت » في ١٦١٥ و « برسيليز وسيجسموندا » وهي ملحمة مملة في ١٦١٧ . ولم يقدر له أن يعيش ليراها مطروحة في الاسواق ، وانما توفي — يا لعجائب المصادفة — في نفس يوم وفاة شيكسبير عام ١٦١٦ .

برنارد برنسون :

ومن « ذا لندن رفيو أوف بوكس » ننتقل — عابرين الاطلنطي — الى « ذا نيويورك رفيو أوف بوكس » ، حيث نجد مقالات عن الروائية دوريس لسنج ، وعن الناقد الفني برنارد برنسون ، وعن الملك تشارلز الثاني وعصر رجوع الملكية الى انجلترا في عام ١٦٦٠ ، والشاعر الانجليزي الكزندر بوب ، والاسكندر الاكبر عاهل مقدونية ، الى جانب قصيدة لجوزيف برودسكي الشاعر الروسي الذي يعيش في الولايات المتحدة .

يقول روبرت هيوز في مقالته عن الناقد الفني بولندي المولد برنسون : في ١٩١٨ كتب تاجر المقتنيات الفنية رينيه جيمبل في يومياته ما يلي : « لو وسع النمور الصغيرة اللدنة ان تنطق لكان لها صوت وذكاء هذا البولندي الاشبه بالسناتير : ان له مخالب من مخمل وبراثن قاتلة من صلب . لقد ترك لحيته تنمو كي يخفي الحقيقة الماثلة في انه نصف انسان . ان عينيه زرقاوان ، كي تزيداه مقدرة على الخداع .. وطموحه الذي يتآكله هو ان يشهد له بانه اعظم خبير في العالم بفن الايطاليين البدائيين ، وقد بلغ هدفه هذا منذ ثلاث سنوات خلت . انه يحتضر ، ولكنه سيظل يعيش طويلا طويلا . انه لم يعد يمارس اعمالا او يقبل مهاما ، ولكنه يشارك في الارباح . اقول له : « هاك خمسا وعشرين ألفا من الفرنكات يا مسيو برنسون » فيأخذها قائلا : « شكرا يا جيمبل » .

ربما كانت هذه الكلمات هي خير وصف لشخصية برنسون ، ذلك الثعبان العجوز القادر على اخافة المحيطين به . لقد كان يتسم بالرشاقة ، والالتواء ، وتوهم المرض ، والطموح الذي لا يعرف رحمة ، والجاذبية ، وقد مضت عشرون سنة على وفاته في ١٩٥٩ ، ولكنه يلوح كمن رحل منذ زمن بعيد ، وذلك جزئيا بسبب تمجيد أتباعه له ، وجزئيا بسبب بعده عن الاتجاهات الفنية الحديثة . ومع ذلك فانه ما زال مخلوقا شائقا بل واسطوريا .

ان قصة نجاحه واحدة من الع القصص في تاريخ الفن فهذا الفتى الفقير من ليتوانيا قد غدا ديكتاتورا للذوق الفني ، يملك الملايين ، وهذا الاستاذ بجامعة هارفرد قد غدا قرب نهاية حياته اشبه بجوته ، وهذا الشاب المريض بالنورستانيا قد عاش بعد وفاة أغلب معاصريه ، ولم يمت الا في سن الرابعة والتسعين في قرية بتوسكانيا اتخذ فيها مسكنه ، وظل تجار الفن ومقتنو اللوحات والمؤرخون والامراء والملوك والساسة يحجون اليها على امتداد نصف قرن .

لقد كان برنسون واحدا من اوسع النقاد حيلة واكثرهم خداعا للذات في ان واحد . كان خبيرا بالفنون عظيما ، ولكنه ايضا كان استاذا في فنون الانتهازية انتهى به الامر الى تصديق اكاذيبه الخاصة انه رجل يصعب التعامل معه ويصعب — قبل ذلك — الكتابة عنه .

أوائل الشهور العربية

● اللواء المهندس سعد شعبان ●

● عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس ●

● كيف يستساغ تفرق الدول الاسلامية على حقائق فلكية فى القرن العشرين ـ وبعد أن هبط الانسان على القمر ؟

● لقد وضع علماء العرب أسس علم الفلك ، واغلب نجوم السماء تحمل أسماء عربية ، وتطلقها الاوروبيون باسمائها العربية .

● لابد من هيئة عربية تحسم هذه القضية التى تؤرق رجال الدين والعلماء

تفوق أم تخلف

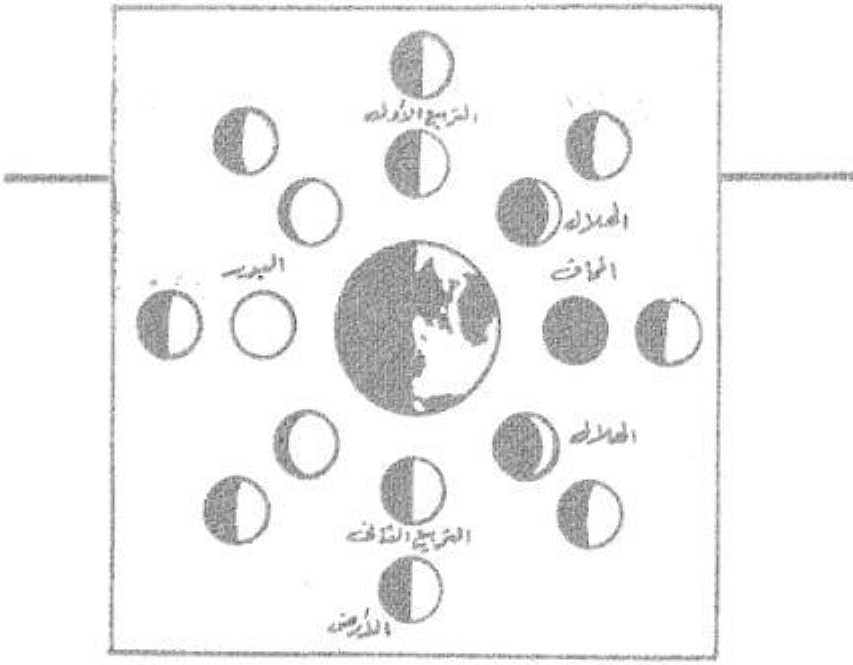
ما يكاد يقبل شهر رمضان كل عام أو يحل عيد الفطر ، حتى يثور جدل محتدم بين رجال الدين وبعض رجال العلم حول رؤية الهلال وموعد بدء الصيام ، أو حلول العيد .. وتطلع علينا الأنباء عن بدء الصيام فى دولة عربية ، وتخلف أخرى عنه يوما واحيانا يومين ، وعن احتفال بعض الدول الاسلامية باول أيام العيد ، وعدم اخذ بعضها الآخر بذلك ..

ويبدو موقف التفرق واضحا فى الأمة العربية ، عند حلول عيد الاضحى، اذ تاخذ بعض الدول بالموعد الذى يحدده تقويم ام القرى فى السعودية ليوم الوقوف بعرفه ، بينما تختلف اخرى عن هذا الموعد ، رغم ان حجاجا كثيرين من نفس هذه الدولة يكونون ماثلين على جبل عرفات .

والحقيقة ان هذا يظهر الامة العربية على غير كلمة واحدة ، ويجعلها أمام المجتمع الدولى ، فى مظهر التخلف عن ركب الحضارة . فكيف يعقل أن يتم هذا الاختلاف على أمر بسيط كهذا فى القرن العشرين .. وكيف يستساغ تفرق الاراء من حول راى فرغ العلم منه منذ قرون ، وانصرف العلماء عنه الى ما هو أجل واعقد ، بعد أن هبط الانسان على القمر ، وبعد أن أصبحت انجازات الفضاء المذهلة تشد كل العقول !

التقويم الهجرى

يعتمد التقويم الهجرى على حركة القمر ، ويتميز بسمات خاصة ، اذ يختلف عدد أيام الشهور بين ٣٠ ، أو ٢٩ يوما وبعضها يكون أحيانا ٢٨ يوما . والتقاويم الأخرى المعروفة فى عصرنا وهى التقويم الميلادى والتقويم القبطى والتقويم العبرى ، لها مميزاتها الخاصة أيضا . فالتقويم الميلادى يرتبط بحركة



منازل القمر

الشمس ، ورغما من ذلك فان عدد أيام شـــهوره يختلف بين ٣٠ ، ٣١ يوما او ٢٩ يوما حسب كون السنة كبيسة او بسيطة • وما ذلك الا لتصحيح اخطاء التقويم ، ودقة متابعة حركة الشمس على مدارها •

وكذلك الشـــان بالنسبة للتقـــويم « القبطى » فان بعض شهوره تقصر حتى ستة أيام مثل شـــهر « مسرى » لكى يصحح اخطاء التقويم خلال عام كامل •

اما التقـــويم « العبرى » فيعتمد على دورتى الشمس والقمر معا ، والســـنة العبرية لها اربعة انواع هى البســـيطة والكبيسة والمعتدلة والناقصة •

ولاشك ان التقويم « الهجـــرى » من اقل هذه التقاويم اخطاء ، ومن أكثرها مميزات لانه يرتبط بحركة القمر الذى يعتبر أقرب أجرام الســـماوات الينا ، ولا يزيد على كونه تابعا للارض يدين لها بولاء الجاذبية ، ويدور حولها فى حركة مستديمة •

تتابع ظهور القمر

ولابد لنا من وقفة لمعرفة حركة القمر وتتابع ظهـــوره لكى ندرك أن نواميس الله فى الكون ثابتة ، فمنذ خلق الله هذا الجرم السماوى لم يخرج عن مداره ولم يتعرض لانحراف •

والمتتبع لظهور القمر ليلة بعد اخرى يلاحظ ظهوره متأخرا عن موعد ظهـــوره فى الليلة السابقة بمدة ٥٠ دقيقة •

فحقيقة انه يدور حول الارض ٣٦٠ درجة خلال سبعة وعشرين يوما وثلث يوم تعنى انه يدور فى اليـــوم الواحد حـــول الارض زاوية قدرها ١٣ درجة • ومعنى ظهور القمر ، انه يبدو فوق خط الافق بالنسبة للمشاهد على الارض • فاذا ظهر اليوم فوق خط الافق فى وقت ما ، فانه فى اليوم التالى ، اى بعد دورة كاملـــة للارض خلال ٢٤ ساعه ، لا يعـــود الى

نفس موقعه فوق خط الافق بل يلزمه الدوران بزاوية ١٣ درجة أكثر لكي يصبح من الارض كموقعه في اليوم السابق . ويستغرق دوران هذه الزاوية (١٣ درجة) مدة ٥٠ دقيقة ، ولذلك فانه لو اشرق اليوم في ساعة معينة ، فانه غدا يشرق بعد هذا الوقت بمقدار ٥٠ دقيقة ، وفي كل يوم يتاخر ظهوره ٥٠ دقيقة أخرى . كما انه لا يظهر كل ليلة بنفس القدر ونفس الوجه بل يتدرج وجهه من الهلال الى البدر على النحو الذى تعارف عليه العرب باسم « منازل القمر » .

دوران القمر

يتم القمر دورته حول الارض خلال مدة ٢٧ يوما و ٨ ساعات ، في مدار بيضاوى تقع الارض في احدى بؤرتيه ، لكن هذا المدار أقرب الى الاستدارة .

وخلال مدة دورته هذه تكون الارض قد دارت حول الشمس على مدارها بمقدار ٢٧ درجة ولكي يعود القمر الى وضعه الاصلي بالنسبة للارض بعد دورة كاملة حولها ، لابد له أن يدور هذا المقدار الذى دارته الارض حول الشمس اى ٢٧ درجة زيادة ، ويستغرق ذلك أكثر من يومين .

لذلك فمدة دوران القمر الظاهرية بالنسبة لاهل الارض ، تظهر لنا مدتها تسعة وعشرين يوما ونصف يوم .وبتعبير ادق يتدرج القمر خلال منازله المختلفة من القمر البدر الى الهلال فالمحاق ، حتى يعود ثانية قمرا بدرا خلال شهر قمرى مدته تسعة وعشرون يوما ونصف يوم .

وللقمر حركة ذاتية اخرى هي دورانه حول نفسه ، فهو يدور حول محور خلال نفس المدة التي يتم فيها دورته حول الارض اى سبعة وعشرين يوما وثلثيوم

ومعنى ذلك ان نهار القمر الذى يعم فيه الضوء يبلغ حوالى ١٤ يوما تقريبا ، وكذلك ليل القمر ـ ان صحت التسمية ـ يسوده الظلام مدة ١٤ يوما اخرى تقريبا .

وجه واحد للقمر

تتساوى مدة دوران القمر حول نفسه مع مدة دورانه حول الارض ، لذلك يبقى وجه واحد منه ظاهرا لأهل الارض باستمرار بينما يبقى الوجه الآخر مختفيا .

ويمكن التحقق من ذلك بالنظر خلال التليسكوب عددا من الايام ليتحقق المرء من ظهور نفس المعالم عليه ، لا تتغير ولا تتبدل . ولذلك فللقمر وجه ظاهر واحد يعرف اهل الارض تفاصيله ووديانا وجبالا ووجه آخر مختف ،لم تره الأعين البشرية الا من خلال الصور التي التقطتها سفن الفضاء التي بدأ اطلاقها في الستينات من هذا القرن .

ويمكن تشبيه ظهور وجه واحد للقمر لاهل الارض ، بتصور حركة طفل صغير يجرى على محيط دائرة يقف في مركزها رجل يتابع حركة الطفل بالنظر اليه .

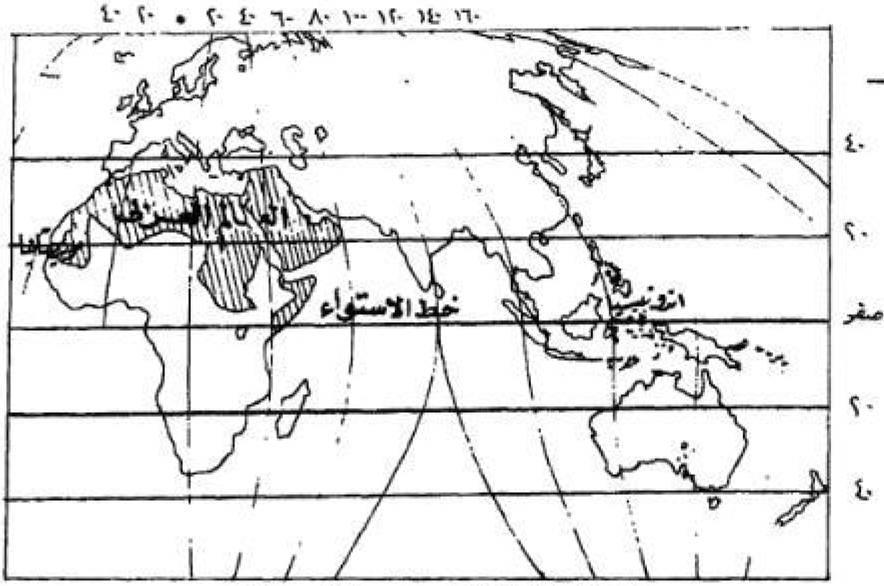
فان الطفل اذا بدأ في الدوران على محيط الدائرة ، فان الرجل يرى احد جانبي وجهه فقط ، وليكن الصدغ الايسر مثلا . فاذا واصل الطفل الجرى وواصل الرجل متابعته بعينيه ، فان الرجل سيظل يرى الصدغ الايسر فقط ، حتى يعود الطفل الى المكان الذى بدأ الحركة منه . وعندئذ يكون الطفل قد اتم دورة كاملة حول مركز الدائرة دون ان يستطيع الرجل رؤية الصدغ الآخر من وجه الطفل .

وكذلك الامر في هذا التشبيه ، بالنسبة للقمر والارض . فالقمر شبهناه بالطفل والارض بالرجل .وحيث ان مدة دورة الطفل حول الرجل هي نفسها مدة دورة الطفل دورة كاملة فان الرجل لم يستطع أن يرى الا نصف وجهه .

منازل القمر

منازل القمر ، أو وجهه هي مراحل ظهوره لأهل الارض .

ولقد ورد في القرآن الكريم « **والقمر قدرناهمنازل حتى عاد كالعرجون القديم**.



امتداد العالم العربي الاسلامي

لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » • ويظهر القمر كل يوم بشكل مخالف لشكله في اليوم السابق وتتدرج أشكاله من شكل الهلال الذى يكاد يضارع خطا دقيقا في أول الشهر حتى يكتمل بدرا تام الاستدارة • والاصل في ظهور القمر ، ان اشعة الشمس تنعكس على سطحه ، ونظرا لوضعه بالنسبة للارض لا يظهر لاهل الارض غير جزء مضيء فقط من هذا السطح •

ولتصور ذلك ، يلزمنا افتراض ان اشعة الشمس تسقط على سطح القمر في خطوط متوازية نظرا لبعده الكبير عنها •

ولذلك يأتى ترتيب المنازل على النحو التالى « القمر المحاق الذى لا يظهر من قرصه اى جزء مضيء — ثم الهلال — ثم التربيع الاول — ثم البدر المكتمل الاستدارة — ثم التربيع الثانى — ثم الهلال مرة اخرى — ثم يعود محاقا من جديد » •

وقبل ان يكتمل القمر بدرا ، تتزايد مساحته المضيئة من التربيع الاول ، يوما بعد يوم ، حتى يصبح دائرة مضيئة تامة الاستدارة • ثم يتناقص بعد اليوم الرابع عشر من البدر فتقل مساحته المضيئة الى التربيع الثانى ومنها الى الهلال ، حتى يعود مظلما مرة اخرى ويكون حينئذ فى المحاق •

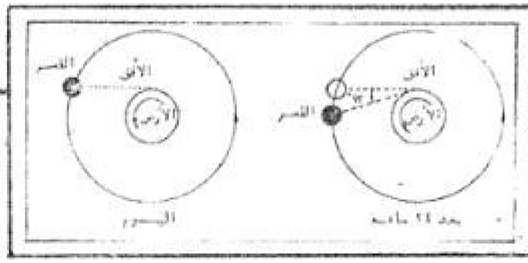
قصة الرؤية

وفى وقفة تجرد يجب أن نتناول أطراف القضية دون أن نشد أحد أطرافها فنغلبها على الآخر • فالاساس الشرعى الذى يستند اليه رجال الدين هو الرؤية التى وردت فى الحديث الشريف « صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته فان غم عليكم هلال رمضان فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » •

ويعتمد رجال الدين على شهود رؤية يرسلونهم الى المناطق العالية فى ليلة التاسع والعشرين يستقرئون صفحة السماء عن وجود الهلال •

وهنا لابد لنا ان نناقش معنى الرؤية فاذا كان شهود الرؤية هم الاساس الشرعى فى المشاهدة فلم لا يكونون هم العلماء الفلكيين الذين يرصدون الهلال بعدسات المراصد الفلكية حيث يتوقعون ظهوره كما تشير الجداول الفلكية ••

ان الشرع لم يحدد الرؤية بالعين ، او بالعدسة او بالمرصد • واذا كان لابد ان لايجافى رجال الدين رجال العلم ، فلم



يتأخر ظهور القمر ٥٠ دقيقة كل يوم

لا نطور وسيلة الرؤية اعترافا منا بانها واجبة . واخذا بأحدث الوسائل لتحقيق الغاية باستخدام آخر ما توصل اليه العقل البشرى .

ولابد أن ندخل في اعتبارنا كثيرا من الاعتبارات التى نقف امام اصرار البعض على أن الرؤية لابد أن تكون بالعين المجردة حيث لم يرد في القرآن الكريم نص بذلك ، والمفروض أن تتطور الرؤية حسب تطور وسائل العصر .

ولعل سؤالا يطرح نفسه هنا ، هو ماذا يكون الحال فى دولة اسلامية يسودها جو ملبد بالغيوم والسحب ، وتتعذر رؤية أى جرم سماوى فى لياليها ؟

واذا كان الله جلت قدرته قد خلق الكون منذ ملايين السنين ، وتجرى نواميس الفلك منذ بدء الخليقة على وتيرة واحدة دلالة على احكام صنعه جل وعلا فما هى احتمالات الخطأ فيما تحتويه جداول الفلكيين التى تحدد موعد ظهور كل كوكب وكل نجم بالدقيقة والثانية .. وهل عجز العرب الذين يرجع اليهم فضل اكتشافات فلكية عديدة ، والذين سموا أغلب نجوم السماء بأسماء عربية ما زالت قائمة الى الآن فى كل اللغات ، هل عجزوا عن مسايرة العصر ، الذى ننعته « بعصر الفضاء » ؟ وألا يدخل فى الحسبان أن شهود الرؤية فى أغلب الدول العربية غير مصر يأخذون مكافآت سخية ؟

نظرة على خريطة العالم الاسلامى

إن من رحمة الله بالأمة الاسلامية أن كل البلاد التى ينتشر فيها أغلب المسلمين ، تقع بين خطى الطول ١٢٠ شرقا حيث اندونيسيا حتى خط طول ١٥ غربا فى المغرب وموريتانيا . وفارق التوقيت بين أطراف هذه الرقعة تسع ساعات . ولذلك فأى بلد منها يشترك مع البلاد الاخرى فى جزء من سواد الليل . ومن هنا تظهر مرونة التعاليم الاسلامية التى يمكن أن تقودنا الى امكان اتحاد كلمتنا على اختيار مكان متوسط فى العالم الاسلامى هو (مكة) المكرمة ، واقامة مرصد فلكى فيه ، فاذا ثبت رؤية الهلال فيها فعلى الدول الاسلامية الاخرى أن تأخذ بهذه القاعدة الشرعية وتتبع مرصد مكة .

والحقيقة ان الجامعة العربية منذ عدة سنوات خطت خطوة ايجابية فى مضمار توحيد رؤية ورصد أهلة الشهور العربية وانعقدت لذلك عدة مؤتمرات كان أحدها فى الكويت ومثل مصر فيها الدكتور المهندس الفلكى ، عبد الحميد سماحه ، وانعقد الرأى بعد هذه المؤتمرات على اقامة مرصد فلكى اليكترونى فى مكة المكرمة يستطيع ان ينفذ بعدساته الى اغوار السماء ، ليرصد الهلال ويميز الهلال من أجرام السماء .

واختير لادارة المرصد أحد أعلام الفلك المصريين هو الدكتور ، محمود خيرى ، أستاذ الفلك السابق فى جامعة القاهرة ومدير مرصد حلوان سابقا .

ولقد خطت المملكة العربية السعودية خطوات ايجابية فى اقامة هذا المرصد واعداده للعمل . وبقى أن تتشكل هيئة من ممثلى الدول العربية تكون مهمتها الاتفاق على أوائل الشهور العربية .

وأحسب ان الاسلام الذى يحثنا على اتحاد الكلمة ، ووحدة الصف ، فيه من المرونة قدر كبير يعبر عنه الحديث « ان هذا الدين يسر ... ولن يشاد الدين احد الا غلبه » .

والحقيقة البالغة أن العلماء هم اهل الخشية ، ولذلك قال فيهم سبحانه وتعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

فتيات في الطريق إلى الخمسين وما بعدها..

● ان القول بان المرأة تصل الى الكهولة وسن اليأس في الاربعينات قناع من الاقنعة التى صنعها الرجال ليفرضوا على النساء سلطانا موهوما ، وقد تكفل الزمن باسقاط هذا القناع والاقنعة الاخرى .

فى بلادنا يسمون سن الاربعين بالنسبة للمرأة ــ لا الرجل ــ بداية سن اليأس ، ومنتصف الاربعينات هى اليأس ذاته ..

وغالبية الناس ينظرون الى المرأة فى سن الاربعين على انها عجوز انتهى أمرها واذا كانت أرملة وفكرت فى الزواج تلقى الناس ذلك بسخرية بالغة وعجبوا من أمر هذه « العجوز » التى قل عقلها وخرفت حتى فكرت فى الزواج ..

والغريب ان هذا لا ينطبق على الرجال قط ، فالرجل فى الاربعين ، وفى طريقه من الاربعين الى الخمسين يعتبر فى « عز شبابه » ، واذا هو كان أرمل واحجم عن الزواج عجب الناس من أمره .

ومع ذلك فقد ثبت علميا ان المرأة فى الغالب أصح من الرجل وأكثر احتفاظا بصحتها وقوتها ، فالشابة فى العشرين أقدر على الحياة ــ بيولوجيا ــ من الرجل وهى فى الثلاثين تحتمل أكثر مما يحتمل وفى الخمسين تظل المرأة محتفظة بقوتها كاملة فى حين يبدأ كيان الرجل فى التصدع ،وفى الستين تبدو المرأة عجوزا ولكنها تظل أعفى من الرجل وأكثر نشاطا ..

ولكن الرجل ــ وهو سيد المجتمع وواضع تشريعاته وأحكامه ، هو الذى أصدر على المرأة هذه الاحكام ، ليخفى ضعفه فى الغالب ، وليفتح أمام نفسه أبواب الحياة والاستمتاع ويغلقها دون المرأة ــ والصراع بين الرجل والمرأة ، وبين الذكر والانثى عموما حقيقة من حقائق الحياة ، ومن المعروف ان الانثى هى التى تقوم بالصيد فى عالم الاسود ، أما الاسد فمهمته الاكل ، والنوم ولا زيادة .

***

ولكن الرجال اذا كانوا قد أصدروا على المرأة هذه الاحكام الظالمة فهم يستندون الى بعض الحقائق .

الحقيقة الاولى هى أن الجمال فى الماضى كان يعتبر رأس المال الحقيقى للمرأة ، فاذا ذبل جمالها فقدت رأس مالها ، والى يومنا هذا ما زال الجمال يعتبر الجزء الأكبر من رأس مال المرأة أيا كان موقعها فى الحياة .

والحقيقة الثانية هى ان المرأة ملزمة بالبيت والاولاد ، وقد بالغ الناس فى ذلك حتى اتخذوه ذريعة للحجر على المرأة مع أنه ثبت بالفعل ان شئون البيت وتربية الاولاد ، لا يمكن أن تحول بين المرأة والقيام بنشاط واسع فى الاعمال

والمجتمع ، ومعظم النساء اللاتي وصلن الى زوجات ومسئوليات كبرى ربات بيوت وأمهات صالحات . بل ان انشغال المرأة بالاعمال وتحمل المسئوليات يعود بالنفع على المجتمع ، لان المرأة العاملة لابد لها من أن تحدد نسلها حتى لا تنوء تحت عبء الحمل والولادة المستمرين فلا تضيع حياتها في تربية اطفال كثيرين هم في الحقيقة عبء على المجتمع .

والحقيقة الثالثة هي أن الرجل الذي يحب كل شيء لنفسه ، ويعتقد أنه سيد المرأة يحسب انه رجل مهما كانت هي ممتازة ومهما كان هو تافها ، بل كلما زادت ثقافة الرجل زاد تمسكه بالسيادة والتحكم .

***

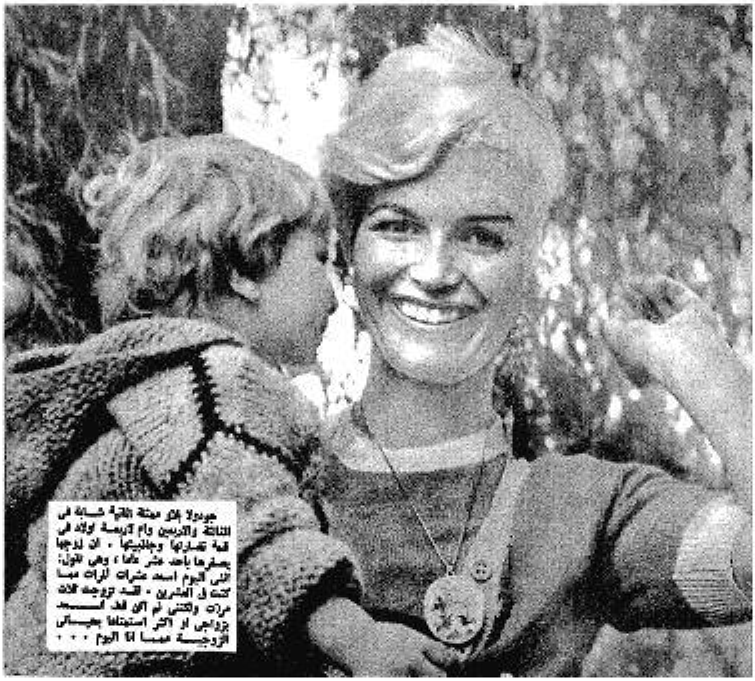
ولقد انتفضت المرأة في الغرب وجاهدت من الفترة من السنوات هذه الاحكام وأثبتت انها تستطيع التخلص من الوزن الثقيل الذي ظلت تحمله آلاف السنين نتيجة لهذه الحقائق التي ثبت في النهاية انها تحتمل التغيير .

فبالنسبة للحقيقة الاولى تقدم علم النفس بالصحة وأساليب المحافظة عليها وتحاشي السمنة وتجدد الجلد مما مكن للمرأة من الاحتفاظ بجمالها الى الخمسينات ، فتمكنت المرأة في غذائها وخرجت من جمود البيت الى نشاط الحياة ، وشاركت في الرياضة البدنية وابتكر المشتغلون بالتجميل من الادوات ما يحمي البشرة ويقلل التجاعيد ويحفظ للمرأة بريق شكلها سنوات طويلة .

لهذا نجد النساء في الغرب ناضرات تجاوزهن العمر مسرحات الشعر الى الخمسين وربما بعدها .

وأما الحقيقة الثانية : التزام المرأة بالبيت ، فان المرأة لم تنكر عليه المسئولية قط ، ولا هي تخلت عن التزاماتها حيال بيتها وزوجها وأولادها الا في النادر ، ولكن ذلك لم يعد قيدا عليها ليس الغرم بالتزاماتها الزوجية والبيتية دون تأفف أو ملل .

وأما الحقيقة الثالثة — وهي أنانية



جودولا بلي ممثلة المانية شابة في الثالثة والاربعين وأم لأربعة أولاد في قمة نضارتها وجاذبيتها . ان زوجها يصغرها باحد عشر عاما ، وهي تقول: انني اليوم اسعد عشرات المرات مما كنت في العشرين . لقد تزوجت ثلاث مرات ولكنني لم الق قط السعادة بزواجي او اكثر استمتاعا بحياتي الزوجية مما انا اليوم ...



فاي دوناواي ٤٠

أورسولا أندريس ٤٤

الملكة مارجريت ٢

كارين لونجيه ٤٠

ناتالي وود ٤١

إرنكا بلولهار ٤٤

راكيل ولش ٤٠

فتيات في الطريق إلى الخمسين

الرجل ـ فقد نجحت المرأة في كشف النقاب عن هذه الانانية وتخلصت مما كانت تفرضه عليها من عبودية .

***

ومن الحقائق التي تكشفت نتيجة لتحرر المرأة هي أن المرأة في الثلاثينات والاربعينات أكثر جاذبية للرجال من بنت العشرين ، فانها اذا حافظت على جمالها وراعت طعامها ولم تركن الى الركود وصلت الى ذروة نضارتها في الاربعين وما بعدها .

وفي هذه السن تصل المرأة أيضا الى ذروة عقلها وفتنتها وقدرتها على السيطرة على عواطفها وعلى مشاعر الآخرين ، فالزوجة في الاربعين لاتغضب لسبب تافه ولا تتصرف تصرف مراهقة وتعرف كيف تسوس زوجها في حكمة ورزانة .

ومع هذا المقال صور لعشرين امرأة في ذروة نضارتهن وسعادتهن الزوجية بعد الاربعين ، وبعضهن في الخامسة والاربعين وما بعدها ،وكلهن يقررن انهن الآن أسعد وأكثر استمتاعا بالحياة مما كن في العشرينات ،وفيهن غير متزوجات ولكن باختيارهن ، أما الباقي فهانت ترى كيف يظهرن والسعادة مشرقة على وجوههن ، وكلهن يقررن انهن سعيدات والكثيرات منهن متزوجات من رجال يصغرهن سنا مثل اورسولا اندريس (وزوجها يصغرها بخمسة عشر عاما) وجودولا بلاو (وزوجها يصغرها بأحد عشر عاما)وفيفي باخ (وزوجها يصغرها بأربعة عشر عاما) وفي هذه الحالات كلها يقرر الازواج انهم في غاية السعادة مع زوجاتهم .

***

وقد اخترنا الصور والنماذج من الممثلات وأهل الفن ، لاننا لا نستطيع ضرب الامثلة ونشر الصور خارج هذا النطاق الا بعد استئذان ، ولكنك اذا نظرت حولك رأيت بنفسك ان ما تقرر في هذا المقال هو الحق ، وان المرأة اذا أرادت (وأعانتها الظروف) استطاعت أن تظل في نضارة الفتيات ونشاطهن الى الخمسينات .

(معنيسه بنصرف)



هؤلاء النساء جميعا فتيات يسرن نحو
الخمسينات في شباب وفتنة وثقة
بالنفس وسعادة ظاهرة . كتبنا على كل
صورة اسم صاحبتها .

● د . ج . م ●

مع د. حسين نصار

● حوار أجراه : عادل عبد الصمد ●

● من المتفق عليه ان هناك علاقات او علامات فنية وفكرية تربط بين الكتاب والادباء على مر الأجيال ، ومن ملامح هذه العلاقة ، الدعوة الى اصلاح المجتمعات الانسانية من اجل تحقيق المزيد من الحب والخير والرفاهية لكل الناس .

ومن هذا المنطلق نود أن نضع ايدينا على ذلك الخيط الفكرى والفنى والادبى لعميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ومدير أكاديمية الفنون ، الدكتور حسين نصار .

والدكتور حسين نصار يمتاز بنشاطاته واهتماماته المتنوعة ، فهو عضو ورئيس الجمعية الادبية المصرية ، وعضو ورئيس الجمعية اللغوية المصرية ، وعضو مجلس ادارة اللجنة المصرية لنشر المعرفة العالمية ، وعضو مجلس ادارة اتحاد الكتاب .

نبدأ معه رحلة حياته ..

كانت نشأته بمديرية أسيوط سنة ١٩٢٥ فيقول هو عن نفسه :

تلقيت تعليمى فى « كتاب » ككل أبناء الاقاليم والقرى فى الريف ، ثم انتقلت الى المرحلة الابتدائية التى غرست فى نفسى حب العلم والقراءة ، حيث كان مدرسنا للغة العربية بالسنة الثالثة الابتدائية مولعا بقصة ابى زيد الهلالى وكثيرا ما القى شعرها علينا ، واتخذ من المسطرة سيفا يبارز به .. وكان ذلك عاملا أساسيا فى حبنا للمعرفة ..

ولا أنسى مدرس اللغة العربية أيضا فى السنة الرابعة الابتدائية لانه كان يحب مادته وتلاميذه ، واعتقد انه هو الذى غرس فى نفسى حب اللغة العربية ، كان هذا الاستاذ هو أحمد عوض الذى كان يعطينا دروسا خصوصية مجانية نقرأ فيها موضوعات الانشاء التى نكتبها وينقدها هو وبقية الزملاء .. ثم كون لنا مكتبة للفصل من أموالنا فجعلنا نحرص على القراءة من الصغر ..

أما فى المرحلة الثانوية فكنت مولعا بدراسة اللغة العربية والرياضة والهندسة بالذات ، والجغرافيا ، حتى حصلت على « التوجيهية » ثم التحقت بكلية الطب بجامعة الاسكندرية ، ولكن ظروف الحرب العالمية الاخيرة ، وكونى الولد الوحيد لاسرتى والخوف من الغارات ،جعلتني اترك جامعة الاسكندرية والتحق بكلية الآداب جامعة القاهرة .

●●●

ويستطرد الدكتور حسين نصار :

اما من ناحية تكوينى ثقافيا فيرجع لطبيعة مدينة أسيوط الهادئة ، ومكتبتها المعروفة باسم مكتبة البلدية ، حيث كنت من روادها الاساسيين من الصباح حتى المساء ، فتنوعت قراءاتى بين الادب والتاريخ فقد قرأت للمنفلوطى ،والرافعى وتوفيق الحكيم ، وطه حسين ، والعقاد، و د . أحمد زكى .. ومن المجلات التى لها الفضل فى تكوينى مجلة «الرسالة» ثم « الثقافة » و « الهلال » و (الاثنين) ثم مجموعة روائع القصص التى اصدرتها لجنة التاليف والترجمة والنشر ..

وبذلك لم تنحصر قراءاتى فى مجال معين أو فرع بذاته ، بل كانت متنوعة .

وكان ذلك سببا في اختياري للاسهام في تكوين مكتبة لكليه الآداب في الخرطوم بالسودان وكان معنا الدكتور محمد صفي الدين ابو العز « جغرافيا » ، والمرحوم احمد الخشاب « اجتماع » وسعيد عبد الفتاح عاشور « تاريخ » ممن لهم الفضل في انشاء كلية الاداب بالخرطوم ، وقد أوكل الى كل واحد منا ان يختار ما يناسب تخصصه لانشاء المكتبة بالكلية ، فكان على أن اختار الكتب الادبية عربية وافرنجية وقضيت سنة بالخرطوم واذكر انني في تلك السنة قرات كل مافي المكتبة من كتب دون استثناء .

واذكر هنا على سبيل المثال من الذين لهم الفضل في تكويني أيضا وتأثرت بهم في فترة الجامعة .. :

كان الاستاذ مصطفى السقا في خلقه وسلوكه العلمي الهادىء الدؤوب .

وأما الاستاذ أمين الخولي في رحابة صدره للمناقشة والجدل واثارة الطلبة للاشتراك في المحاضرات ، ثم الاستاذ أحمد أمين وكان في محاضراته يؤكد على نقاط معينه تستحق الدراسة ، والبحث .. احتفظت بهذه التوجيهات ونفذت كثيرا منها بعد تخرجي مباشرة .

***

ثم بعد هذا المشوار الكبير — في حياة الدكتور حسين نصار نريد أن نناقش قضايا تمس حقلنا الثقافي والادبي فقلت له :

من المسئول عما يحدث في الساحة الثقافية من اتهام دائم بأن الفكر والثقافة الآن في تدهور ؟

فيجيب بطبعه الهادىء ومنطقه القويم:

لا أحب كلمة « تدهور » ولكني اقول انه كان يجب ان تكون هناك حركة مستمرة ، وهذه الحركة الآن متوقفة او بطيئة . وبطء هذه الحركة له اسباب كثيرة لا يمكن ارجاعها الى شيء واحد ، ولكن يمكن أن نقول ان من اهم هذه الاسباب .

عزلتنا عن التيارات العالمية ، والسبب في هذه العزلة أمران :

الامر الاول : سياسي وهو انغلاق مصر على نفسها بعد حرب ٦٧ وقلة العملة الصعبة والازمة الاقتصادية التي عانيناها

الامر الثاني : ضعف اللغات الاجنبية في التعليم العام بحيث صار من الصعب على طالب الثانوي العادي القراءة باللغة الانجليزية مثلا ، وكنا في الجيل السابق نستطيع القراءة باللغتين الانجليزية والفرنسية .

***

● قلت : ويقال أيضا هناك عزلة بين الكاتب والمتلقي . وبذلك نرى ان كل فريق يعيش في واد يختلف عن الآخر .

قال : لا توجد عزلة اطلاقا بين كاتب ومتلق لاننا نرى ان المتلقي هو الذي يخلق الكاتب ويوجهه وخاصة في موضوعات الكتابة ان لم يكن في شكلها لان الموضوع هو المشترك الاول ، فانا كمتلق لا أقرأ الا ما يعنيني ..

ولكن الموجود هو ضعف التناول ، أو تخلف التناول نتيجة العزلة ، وربما قلة الطموح ، فالواضح ان طموح الاجيال الجديدة من القراء والكتاب محدود ، واسباب ذلك اجتماعية في الاغلب ، وربما تعود الى ماعاناه الشعب المصري في فترات سابقة مما قتل روح الطموح عندنا .. ومع المزيد من الحرية يستطيع شباب الكتاب أن يستعيد روح الطموح والرغبة في الخلق الجديد .

● النقد والحركة الادبية ●

● وما رأى الدكتور حسين نصار فيما يثار حول ازمة النقد الادبي ، وأي المدارس الادبية النقدية تتبع ؟

ويجيب الدكتور نصار فيقول :

ان الحركة النقدية متصلة بالحركة الادبية ، والنقد احد انشطة الفن الادبي بشكل عام ، فيرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه،ومن الممكن ان يحدث انخفاض في نمط ادبي وارتفاع في نمط آخر ، ولكن ان ينفصل الادب عن النقد لا يمكن

اما من حيث أي المدارس النقدية أتبع فاقول :

انني افرق هنا بين الابداع الادبي وبين

الدراسة الادبية فأنا لست مبتدعا أدبيا ولكن دارس أدبي واستاذ جامعي ، والاستاذ الجامعي مضطر ان يدرس الحركات الادبيه كلها ، فاذا ما اتبع مذهبا في دراسته فهو بذلك يتبع مذهبا دراسيا وليس مذهبا ابداعيا ،بمعنى انني اذا قلت انني أميل في دراستي الى مذهب معين فهو المذهب الاجتماعي الذى يرى ان الادب نتاج اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذى يصوره تأثرا كبيرا ومحتوما •

● الادب مرآة المجتمع ●

● هل الادب له القدرة على استيعاب مشاكل المجتمع والتعبير عنه في ادق الصور ، وهل استطعنا أن نوظف الادب في بيئتنا المصرية ؟

فيقول الدكتور حسين نصار :

ان الادب له القدرة الكاملة على تمثيل مشاكل المجتمع والتعبير عنه ، غير انى احترس هنا وأقول التعبير الفنى وليس التعبير المباشر ، فالتعبير المباشر من شأن القول السياسي أو الخطبة أو الدعاية ، أما في التعبير الادبي فله طريقته الخاصة التي تقوم على الايحاء لا المجاهرة ..

واحترس هنا أيضا من قضية توظيف الادب اجتماعيا ، فهذه القضية كانت من القضايا الكبرى في الدول الشيوعية وفي أول الامر فرضت على الادب وظيفة اجتماعية كاملة ، ولكنها بعدما هدأت ثورتها وفورتها اضطرت الى أن تتسامح كثيرا في هذه الوظيفة •

وإذن فليس الاديب هو الذى يوظف ادبه ، وانما النتاج الادبي هو الذى يسير بالمجتمع الى مرحلة جديدة من الفكر ومن التصور ان كان ادبا اصيلا ومعبرا عن ذلك المجتمع •

● بين الاصالة والمعاصرة ●

● والآن .. أترى أن جيلنا المعاصر له قيم ثقافية تميزه عن غيره من الاجيال السابقة ؟

ـ أعتقد ان له قيمه الخاصة به ، ومن أبرز القيم المتصلة بالمضمون ، النظرة العربية الشاملة ، بمعنى أن جيلنا نحن في شبابه لم يكن ذا فكر وحدوى . ثم نلاحظ أيضا من تلك القيم الاصالة ، فربما كان جيل الثلاثينات والاربعينات جيلا يريد الاتصال بالفكر الأوروبي والاخذ عنه واخراج انماط أدبية على مثاله ، والواضح في الجيل الحالي انه يريد اخراج انماط أدبيه تجمع بين القيم العربيه والغربية معا •

ثم هناك قيم أخرى مثل الاعتراف بالشعر الحر فلا يكاد يوجد الآن من معارضيه الا كبار السن الذين لم يستطيعوا استساغته وان كان هناك كثيرون منهم قد استساغوه ورضوا عنه •

● المسرح في غربة ●

● لماذا لم تتحقق رسالة المسرح عندنا برغم انه كانت هناك في الستينات نهضة مسرحية ؟

ـ في اعتقادى ان المسرح لا يزال يشكو من امرين •

اولا : كونه نباتا غريبا لم تتعمق جذوره تعمقا كافيا في البيئة المصرية •

ثانيا : انحصاره في مدينة القاهرة تقريبا ، ولا تستطيع القاهرة وحدها أن تمنح الحياة النشطة المتجددة لنمط أدبي ولا توفر له القبول العام ، ومن هنا يحتاج المسرح الى الانتشار في مجموعة من الاقاليم المصرية ليتوفر له عدد كبير من المتقبلين ، بل يعترف به اعترافا اجتماعيا واسع النطاق ، ويفقد غربته ، وهنا يمكن للنتاج المسرحي أن يجد نفسه ويستمر في ابداعه •

ويجب هنا التفرقة ما بين الفرق التمثيلية الخاصة وفرق الحكومة على تنوعها ، والفرق الخاصة يتحكم فيها الذوق الجماهيري على اتساعه ، وعلى أدنى مستوياته لتضمن التوزيع وملء الصالة ومن هنا نجد اللون الغالب هو الكوميديا بل الكوميديا الرخيصة غالبا والتي تفسد ذوق الجماهير أكثر مما تهذبه تطوره ، وللاسف فقد ساعد

التليفزيون أحيانا فى هذا العمل لانه يقبل على عرض هذه المسرحيات أكثر مما يقبل على أى شيء آخر .

وقد سمعت فى السنة الماضية ان التليفزيون لم يصور أى عرض من عروض مسرح الجيب مثلا ، ويكفى أن نجرى احصاء بسيطا لما يعرضه التليفزيون من تمثيليات جادة وهازلة فنجد الاغلبية العظمى من النوع الاخير .

وحديثى عن المسرحيات التى تخلق حركة فنية عند المتذوقين والكتاب انما أقصد المسرحيات الفنية الحقيقية .

● التراث وحركة الابداع ●

● وماذا تقول عن التراث وكيفية المحافظة عليه ؟

— أقول يجب ان تقرأ التراث الادبى القديم على أساسين :

الاول : ان نحسن تصوره فى مجتمعه الذى صدر منه .

الثانى : ان نحسن فهمه على أساس الثقافة الحديثة التى حصلنا عليها ، فاذا ماوجدنا — اعتمادا على هذين الاساسين — أشياء قادرة على الابحاء الحديث والابداع الخلاق كان من الواجب علينا الاقبال عليها وحسن عرضها للقارىء المعاصر والاديب الناشيء ليحسن فهمها

واعتقد أن آثار هذا النوع من الادب الخصب كثيرة فى عصور كثيرة عن تراثنا

● هى والمجتمع ●

● والآن .. يأتى دور الحديث عن رؤيتك للمرأة وما الدور المناسب لها فى مجتمعنا ؟

— ان المرأة شريكة الرجل فى ايجاد المجتمع الصالح للحياة وللبقاء وللتطور وليس هناك دور خاص للمرأة ودور خاص للرجل ، وانما يشترك الاثنان فى المحافظة على المجتمع ، ولا يوجد تفرقة مطلقا بين الرجل والمرأة الا من حيث التكوينات الخلقية فقط .

● الشباب بين الحركة والجمود ●

● هناك اتهام يتكرر كثيرا ويوجه للكتاب الكبار بانهم عقبة فى طريق الشباب ؟

— أتمنى أن يكون هذا الاتهام صحيحا .. لان معناه ان الشباب عنده ما ليس عند الشيوخ ، وان الحركة الفكرية فى مصر مستمرة ومتجددة .. اما عن الاعاقة فهذا أمر طبيعى أيضا ، وموجود فى جميع الاجيال وعندما كنا صغارا كنا نحس به ، وعلى الرغم من ذلك وجدنا بعض الكبار أخذ بأيدينا ويقدمنا للقراء

واعتقد ان جماعة من شباب هذا الجيل الجديد سيجدون ، مثلما وجدنا نحن ، الى جانب انه لابد فعلا ان يكافح الشباب ليستطيع أن يتقدم الى الجمهور فالكفاح عملية عامة .

● واخيرا ما هى رؤية الدكتور حسين نصار بالنسبة لاكاديمية الفنون ؟

— رؤيتى للاكاديمية هى أنها مقر الفن الرفيع بجميع أشكاله ، وهى الامل فى غد فنى أكثر ثراء وقيمة وعطاء ،واعظم اتصالا بالانماط العالمية سواء فى الشرق أم فى الغرب .

● ويبقى سؤال أخير .. ما هى فى رأى الدكتور حسين نصار أهم مؤلفاتك التى تعتز بها ؟

— لعل أهمها على التوالى

● نشأة التدوين التاريخى عند العرب — معجم آيات القرآن — مصر العربية — المختار من كتاب الكامل للمبرد — الثورات الشعبية فى العصور الاسلامية — الشعر الشعبى العربى — الطبيعة والشاعر العربى — دراسات حول طه حسين .

وفى نهاية رحلتنا مع الدكتور حسين نصار ، نسأله عن فكرة للغد المقبل :

فيجيب بعد لحظة تفكير وايجاز شديد:

المنى ان يأتى الغد فيجد مع الحرية التى تسود مجتمعنا الحب الذى يربط بيننا والطموح الذى يبعث كلا منا الى ان يقدم لمصر كل مافى طاقته . ●●

«نضوج»

● عبد المنعم الأنصاري ●

عطرك شلال ثرى يموج
سيدتى .. إنى أحب النضوج
وأهمل الوردة فى كمها
إلا إذا دل عليها الأريج
يامن منحت القلب أفراحه
لا تعتبنى بقول غر لجوج
وهل على مثلى من قائل
قد عشق الهزار أحلى المروج
ومن تجمعت لديها المنى
من كل لون ساحر فى نسيج ؟

***

حسنك يا سيدتى ناضج
وإننى أحب فيك النضوج
فإن بلغنا غاية المنتهى
غدا ، وجاوزنا السهى والبروج
وضمنا الفردوس — لا تسألى
يا حلوة العينين كيف الخروج
فمن أحب الدفء يسرى إلى
أوصاله ، فليس يخشى الأجيج

***

فأشعلى نارك فى موقدى
فإن مرآها بعينى بهيج !
والأفق يا سيدتى غائم
ومخدعى رانت عليه الثلوج !



حتى الدب يشكو من إلحاح زوجته!

هذه الصورة في غير حاجة الى تعليق .. فهذا الدب يبدو ان الصداع لحقه من كثرة كلام زوجته والحاحها عليه ، ومن يدري فلعلها تطالبه بشراء شيء فوق طاقته .. أما هي فقد أسعدها ان يلحقه الصداع فظلت صامتة تتفرج عليه على عادة الكثيرات من الزوجات غير الصالحات

ناس وصور

وحكايات ..

لا زال الأحرار يقاتلون



حتى لا ننسى شعب افغانستان الباسل ننشر هذه الصورة لعدد من المجاهدين وحدهم في الجبال .. كل رجل منهم يحمل بندقية وهي سلاحه الوحيد ورمز حريته .

كلنا نتحدث عن افغانستان ولكن من الذي يساعد افغانستان ؟ هناك الآن تعاون وترسل الاغذية والاسلحة .. وهناك عشرات الالاف من الافغانيين اللاجئين الى باكستان . ولكن معظم دول الدنيا في شغل عن المجاهدين البواسل من الرجال .

ولا ندري ماذا نقول لاخوات العرب والمسلمين جميعا : ان هذه المعركة معركتكم . والجنود المجهولون الذين يحاربون المحتل الروسي انما هم يحاربون في سبيلنا نحن . فاين المعاونة الحقيقية التي هي فرض واجب علينا نحوهم . وهذا ايضا ربما ضعيفة ..

لقد زعم بعد عرض الاعلام للافغانيين ما يقارب البليونين من الدولارات وفي نفس الوقت وقع ذلك البلد عقدا مع شركة فنادق . طوربا كلوب ؟ قيمته ثلاثة ملايين دولار لانشاء فندق فاخر لمتعة الاثرياء .



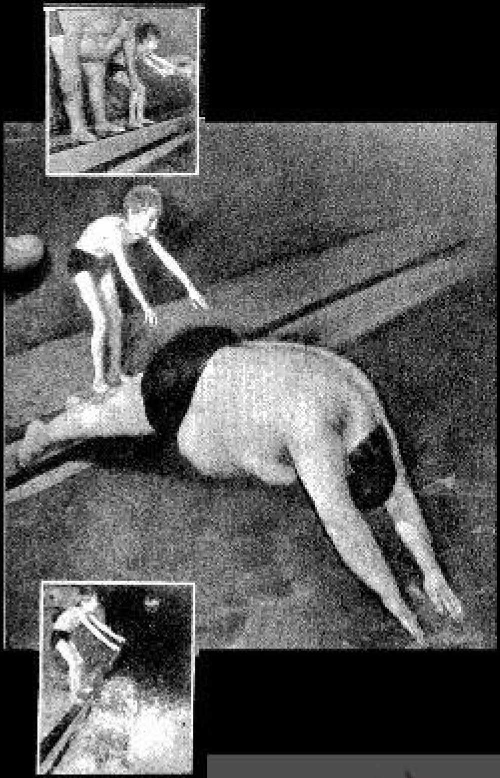
الحبيب والحبيبة

عندما ترى الصورة العليا يخيل اليك انها لحبيبين جلســا جنبا الى جنب في لحظات هدوء وسعادة ، ولكن عندما تنظر الى الصورة الســفلى تتضح لك الحقيقة وتتبين ان الامر على خلاف ما ظننت تماما .

كل يبحث عما يهمه



هذا الرجل يحاول
ان يكتشف امرا يهمه
بالنظر من ثقب المفتاح
ربما كان زوجا غيورا
او خادما شديد التطلع
ويبدو ان كلبه الصغير
ايضا لديه ما تهمه
رؤيته فمضى هو
الآخر ينظر من شق
الباب •



ناس وصور وحكايات

السمين يفوز دائما

كان المقرر ان يجرى سباق السباحة بين شاب بالغ السمنة وزنه لا يقل عن ١٣٠ كيلو جراما وصبى لطيف لا يزيد وزنه على ٣٠ كيلو جراما .

وكانت النتيجة معروفة مقدما ..

وعندما صدرت اشارة بدء السباق قفز السمين الى الماء واحدث من « الفرقعة » واضطراب المياه ما اوقف حركة الصبى المسكين ، فظل مكانه ..

وفاز السمين بالسباق ..

الدكتور أحمد أمين ومسئولية الأديب

● علاء الدين وحيد ●

« ان رساله الاديب هى من جنس رسالة الفيلسوف ، كلاهما يرمى او يجب ان يرمى الى ابراز الحقيقة ونقلها الى السامع او القارىء ... وغاية ما بين الفيلسوف والاديب من فرق ان الفيلسوف ينقلها الى عقل السامع او القارىء ، والاديب ينقلها الى قلبه.. ومن اجل هذا يستعين الفيلسوف بالمنطق وما يتبعه من مقدمات محكمة ونتائج مستلزمة ، فهى بالعقل اليق . والاديب يؤدى الحقيقة من طريق الخيال والاسلوب الجميل ، لانهما بالقلب اليق » .

احمد امين ، ـ فى « فيض الخاطر » ج١ ـ ط ٣ ـ ص ٢٢٥

● من السمات شديدة البروز فى حياة الاديب الكبير احمد امين الخاصة والعامة ، والتى انعكست على كتاباته ـ تحمله للمسئولية ، بالنسبة الى نفسه واهله واسرته ، ثم بالنسبة الى الآخرين خارج هذا النطاق ، لتشمل فى النهاية القراء جميعا بين الشعب العربى بأسره.

واحمد امين ازاء مسئوليته كاديب ، اسهم فى اثارة الكثير من القضايا الحيوية ، منها قضية الشكل والمضمون .. وقبلها اتخذ موقفه المعروف منحازا الى قضايا الجماهير . اما الشكل فمع انه لم يكن يهتم به كثيرا ، ويغيظه ما يثقله عند الآخرين من صنعة ثار عليها وهاجمها طويلا، الا أنه قدم الى العربية اسلوبا جديدا ، موضوعيته اكثر من فنيته . يمتاز بالوضوح والسهولة والبساطة ، التى يريد من خلالها ان يوصل بدقة ما يقول الى المتلقى ، بغض النظر من خلوها من الزخرف الذى تواضع الادباء عليه ..

وكان يردد دائما « ان لكل اديب نفسه وعواطفه واسلوبه وشخصيته ،



● د. احمد امين ●

فاذا مزج الفكرة بذلك كله كان فى الناتج جدة، وفى الموضوع طرافة... كحروف الهجاء ، كل الناس ينطقون بها ، ولكن اختلفت مناطقهم واصواتهم وحناجرهم، فكانت كان كل انسان ينطق بها نطقا جديدا ، وكأن الحروف لم تخلق بشكلها الخاص الا له . والقطعة من الذهب انما يتفاوت الصائغون بالمهارة فى صياغتها ، والذهب هو الذهب فى ايديهم جميعا » ... («فيض الخاطر» ج ١ ـ ط ٣ ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧) ..

ولذلك كان يكره ان يسير اصحاب الاقلام فى التيار السائد ، مقلدين من سبقوهم ، فلا تضيع شخصية كل منهم وتتشابه الاعمال او تكاد فحسب ، بل تجعل الاديب يتنفس هواء غير صحى !

ولذا كان من الجوانب التى اخذها احمد امين على اساليب اهل عصره ، جمودهم لا فى الكليات بل فى الجزئيات ايضا ، حتى انهم فى مجال التشبيه ، يستخدمون القديم الذى فات زمنه ولا يتزحزحون منه :

« يجب ان يكون الفرق بين الادب القديم والحديث كالفرق بين آلات القتال القديمة والحديثة ، والنظم السياسية القديمة والحديثة، والحياة الاجتماعية القديمة والحديثة ، لأن الادب ليس الا تصويرا لحياة يرقى برقيها ويتلون بالوانها ـ (« فيض الخاطر » ج٢ ـ ط ٢ ـ ص (٢٣٠) .

ولقد ظن كثيرون ان احمد امين فى ثورته على الاسلوب ، يقف ضد جمال الاسلوب . ولكن هذا غير صحيح ، فهو يعرف أن من مسئولية الاديب ، ان تكون كلماته جميلة معبرة مؤثرة..

« ولولا الجمال لاختفى كل فن ، فلا ادب ولا تصوير، ولا نقش ولاموسيقى، ولاختفت كل أسماء الفنانين ، ولما كان أبو نواس والمتنبى ، والجاحظ والحريرى، وشيكسبير وموليير وجوته

الدكتور أحمد أمين ومسئوليه الأديب

... ولا اسحاق الموصلى وبيتهوفن ، ولارافائيل ... ولكانت اصوات سوق النحاسين كموسيقى أشهر الموسيقيين ، ولكانت اصوات البوم والغربان كاصوات البلبل والكروان . ولا كانت كذلك كتب الا كتبا فى التجارة والحياة العملية ، بل وما كان الانسان الا آلة ، يعمل وينتج ويستهلك كآلة النسيج او آلة الطباعة ، على شرط الا يكون فى نتاجها اثر من آثار الزينة والجمال » - (« فيض الخاطر » ج٥ - ط١ - ص ١١٥ - ١١٦) .

ان اهم ما يفجر مواقف احمد امين الفنية والحياتية معا ، هو الصدق .. ولذلك كان هذا العنصر هو اللون الغالب فى كتابات اديبنا ، سواء فى المظهر الادبى او مخبره ..

ومن كلمات احمد امين فى هذا الصدد : « الصدق يمنح الادب قوة ، لان الاديب اذا عبر عما تكنه نفسه ويختلج به قلبه كان أقوى تأثيرا ، واشد حياة . والاديب الحق هو من تأثرت نفسه بالحياة ومظاهرها تأثرا خاصا يتفق ونفسيته ومزاجه ، ثم هو يحاول بادبه ان ينقل هذا التأثر الى الناس ، ويجعلهم يشعرون بما يشعر وينفعلون بما ينفعل ، فاذا هو لم يتأثر وحاول ان يؤثر كان اديبا زائفا ، وكان الفرق بينه وبين الاديب الحق كالفرق بين النائحة الثكلى والنائحة المستأجرة ..

« وهذا الصدق فى التعبير هو الذى يسبغ على الادب مسحة الخلود » - (« فيض الخاطر ») ج ١ - ط ٣ - ص ٢٣٦) .

وهذا الصدق هو الذى طبعه بطابعه وجعله لا يكتب الا ما يعتقد ، ولا ينادى الا ما يظن انه يخدم الصالح العام . واذا انتقلنا الى اسهام اديبنا فى دنيا المضمون ، لوجدنا انه منذ البداية ، اتخذ موقفا حاسما بالنسبة الى قضايا عصره وبلده وناسه . لم يكن يجلس فى مقاعد المتفرجين ، او يهنا بمتع السلبيين ، بل شارك بعرق المجاهدين ، وتعرض لما يلقاه اصحاب المبادىء . وفى هذا يقول فناننا العظيم كلمته المدوية الشجاعة ذات الدلالة :

« لعل الاديب مسئول عن مجتمعه ، اكثر من مسئولية الحاكم ، لأن الاديب اقدر على الاتصال بنفس الشعب ، واقدر على تحريك مشاعره . وهو يحس بمقدار خلعته للشعب ، واحساسه بالمسئولية امام الشعب » - (« فيض الخاطر » ج٩ - ط ٣ - ص ١٦٨) .

ومن الطبيعى أن أحمد أمين بهذا الصدق يدين الأكاذيب التى تسرى ، لافى الحياة العامة فحسب بل فى الحياة الثقافية ايضا ، والتى وجدها تتملق أصحاب السلطان لتنطق بلسانهم أو تدافع عنهم . وهى نقيصة المت بالحياة العربية منذ وقت طويل ، فالادب كما يقول احمد امين فى احد كتبه « اتجه اكثره الى مشايعة رغبات (القصر) ، وهكذا وقف الادب او اكثره يخدم الشهوات او الاغراض » . (« ضحى الاسلام » ج٣ - ط ٣ - ص ٣٥) .

ويمكن هذا الموقف واحدة من اولى معاركه الادبية الهامة ، حول مسئولية الادب او مسئولية الاديب. ومن ناحية أخرى كان أحمد أمين ، شديد الحفاظ على حرية الأديب . فبغير هذه الحرية ، لا يمكن له أن يبث قيمها لدى الاخرين ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه ...

يقول اديبنا الكبير ، من اصحاب الحضارة الاوروبية : « انهم سممونا باشياء كثيرة ، سممونا بقولهم ان الفن للفن ، وبقولهم : ان الاديب حر يقول ما يشاء » .. بينما يكتب فى موضع آخر فى كتاب ثان له هو « فيض الخاطر » ج١٠ (ص ٥٩) » موجها حديثه الى الاستاذ على الطنطاوى فى مجلة « الرسالة »



● بتهوفن ●



● هـ . و. جوته ●



● وليم شيكسبير ●

الذى طالب الادباء مناقشة غاية الادب، وهـل يكون الادب للادب ام الادب للحياة : « لست معك فى افكارك : ان يكون الفن للفـن ، والادب للادب ، ولست معك فى أن تطلب ان يكـون الادب للحياة — فليس من شك فى أن القطعة متى استوفت عناصرها الادبية كانت ادبا ، مهما كان موضوعهـا الاخلاقى ، وليس احد ينكر ان قصائد ابى نواس الفاجرة أدب ، كما لا ينكر احد ان الصورة العارية اذا اجيـد تصويرها فن جميل ، وان لم ترض عنها الأخلاق ، فالادب للادب والفن للفن»

وعند هذا الحد لا ينتهى حديث احمد امين ، والا لعد قولا متناقضا مع ما سبقه ، ولكن الرجل يستمر معلقا، مفسرا مضـمون ما يعنى بالفن : « ولكن هذا لا يمنع ان تكون سلطة المصلحين فوق سلطة الادباء، فاذا راى المصلحون ان ضربا من الادب يحل الأخـلاق ويفك عرى المجتمع، حاربوه بكل ما استطاعوا من قوة ، واذا راوا ان ضربا من الادب فى الامة ضعيف ويجب أن يقـوى ، طلبوا الاكثار منه بشتى الوسـائل وشجعوا عليه ومهدوا له السبل، وهذا هو موقفنا بالضبط .

«فقد كثر فينا ما نسميه بالادب الماثم، وهو من غير شك ادب ، وقد يكون أدبا راقيا ، ولكن يصح ان نخضعه لنظر المصلح ، فاذا كان المصلح الاجتماعى قويا ضرب على هذا النمط من الادب، ولو الى زمن محدود ، حتى تستكمل الامة قوتها ورجولتها » .

وهكذا يتداخل الفن للفن والادب فى سبيل الحياة ، وتتوازن الحرية مـع المسئولية فى رؤية احمد امين . ولايحرم الشـعب من احـد حقوقه او من زاد مشروع له ، فدغدغة الغرائز ، وعدم حماية المواطن من اعدائه ، وتركه وحده عرضة للغزو الفكرى الذى يريد هدمه والقضاء على معتقداته — هى الفوضى فى رايه .. كما ان هناك فارقا كبيرا بين الوطن المحتل ، الذى يرزح تحت اعباء باهظة تثقل كاهله ، وجمـود وجهل وضعف ومرض ، وبين الوطـن المستقل ، الذى تخلف من معظم هذه الاعباء ، فلا خوف عليه من رياح تهب عليه ، لانه ثابت الجذور ... وهكذا جاء حل المعادلة الصعبة باختيـار احسن ماق المنهجين ، فى مسـئولية الاديب .

***

ولا اظن ان تناول هذا الجـانب فى فكر احمد امين تستكمل ملامحه ، من غير الاشارة الى قضية اخرى اثارها اديبنـا الكبير منذ وقت طويل ، قبل أن يعرضها غيره باكثر مـن عشرين سـنة . وهى ما تشـكل الامية فى حياتنا ، وكانت نسبتها تبلغ فى منتصف الثلاثينـات ، اكثر من ثمانين فى المائة ، بحيث تجعل الفكر والادب والثقافة والفنـون ، عالما خاصا لا يستطيع الشعب كله ولوجه ، بل تقتصر الافادة منه على نوعية واحدة من الجماهير المتعددة . ومن هنا يجىء وصف

الدكتور أحمد أمين ومسئوليه الأديب

أحمد أمين للادب الذى يتيحه هذا المناخ مع انه يضع نفسه في خدمة الشعب ، بأنه أرستقراطي وليس ديموقراطيا .. والسبب انه يوجه اردنا أو لم نرد الى القلة وليس الى الكثرة والاغلبية ..

ويأسى كاتبنا كثيراً للوضع ، الذى يفرض على الملايين حرمانا وان تبقى بلا غذاء ـ على حد قوله ، ويجدها حالة « فى منتهى الخطورة » ، مسئولة عن العديد من الافساد الذى يلحق بحياتنا العربية العامة والفكرية معا ، ويقول :

« الغذاء الادبى ضرورة من ضرورات الحياة لكل انسان ، لا يصح ان يستغنى عنه الا الحيوان ، وضعف الغذاء الادبى يضعف الرأى العام ويجعله ضحيه للمهوشين من السياسيين والدجالين والمحرفين ، ثم هو ايضا ـ يدعو الى سوء تقويم الاشياء قيمة صحيحة ، فالشىء التافه يقوم باكثر مما يقوم الشىء الخطير ، كما اذا مرض المريض فلا يعنى بعلاجه واستدعاء الطبيب له ، ولكن اذا مات اقيم له الماتم وصرف عليه اضعاف اجرة الطبيب وثمن الدواء .. ومثل هذا كثير ، كما انه هو السبب في عدم انضباط العواطف وتهيجها لاتفه الاسباب وسكونها عند اقوى الاسباب ، فهو قد يقتل للتعدى على نوبته فى الماء ثم لا يتحرك اذا اهدرت كل حريته » !

وهذا العمق فى الرؤية ، يجعل صاحبه دائما لا يتوقف عند مجرد عرض القضية ، بل يفكر لها فى الحلول ، حلول تحطم التباعد القائم بين الفصحى والعامية بشكل حاد . ويهدى التفكير احمد امين الى « اللغة الثالثة » ، التى سبق بها غيره باكثر من ثلاثين سنة ، وذلك حتى نتمكن من التغلب على الامية ، وتاصيل الفصحى والالتزام بمصالح الجماهير أيضا !

ويتصل بمسئولية الاديب عند احمد امين ، قضية هامة اثارها كاتبنا واشار اليها طوال حياته .. وهى الدعوة الى ادب القوة فى مواجهة ما سماه ادب الضعف . والقوة والضعف اللذان يعنيهما ليسا فى الناحية الفنية ، بل من الناحية الاجتماعية والخلقية .. فقد وجد ان المجتمع المصرى أو العربى ، ران عليه ما ليس فى طبيعته ولا يتفق مع ما يدعو اليه الاسلام وسقط فريسة هجمات الضعف والفساد والانحلال ، منذ عصور طويلة بفضل ظلم بعض الحكام ، والقيم الهابطة التى افرخها هذا الظلم خاصة فى القرون الاخيرة . فكان الادب العربى فى معظمه ، أدب الضعف . ولا يبرر ذلك القول بأن الادب مرآة المجتمع فليست وظيفة الادب هى مجرد الاخذ عن المجتمع وتصوير واقعه ، بقدر ما هى الكشف عن جوهر الشعب وتأصيل مثله وحضه على استجماع قواه والتخلص من عيوبه .

***

ويرى أحمد امين ان ادب القوة الذى يدعو اليه ، عرفه العرب بشكل جيد ، فى الادب الجاهلى والاموى اللذين يناسبان عصريهما . ثم لا نكاد نعثر له على أثر بعد ذلك ، الا قليلا جدا . والسبب ان الادب العربى بتاثير لامبادىء بعض الكتاب غالبا ونفاقهم ، سقط فى هوة السلبية والبكاء على مصائب الدهر والاستجداء لنوال منح الحكام والاغنياء والاستهتار والمبالغة فى الاحاسيس وفى المجون « وكلاهما فرار من حياة الجد » .

ويصل التهافت بالادب العربى والادباء معا ، الى عدم الارتفاع الى قامة ما يعرض لهم احيانا من ساعات الصحو او لحظات القوة ، كما حدث بالذات ايام الحروب الصليبية وجهاد صلاح الدين الايوبى . واظهر الامثلة على ذلك ، الشاعر المعروف بهاء الدين زهير ، يتوقف احمد امين عند هذا المثال ، وتاخذه الدهشة :

« اليس عجيبا أن نرى شعر « البهاء زهير » وقد كان فى أسمى منصب من مناصب الدولة ، وكان مشرفا على الحروب الصليبية ومسهما فى تدبير شئونها ـ لا يذكر لنا فى شعره شيئا من اغانى



● أبو الطيب المتنبي ●



● ابن هانىء الملقب « بأبي نواس » ●

الفروسية ؟ ثم ينصرف بكله الى الغزل المائع .. على حين ان الصليبيين خلفوا لقومهم اغاني وأشعارا صليبية قوية ، ولم يخلف لنا الادب العربي في هذا الباب الا ما كان تافها ضعيفا » ؟ .. (« فيض الخاطر » ج ١ ـ ط ٣ ـ ص ١٥) .

وأدب القوة الذى يدعو اليه أحمد امين ، لا يعني بالطبع الغاء للاحاسيس الرقيقة او عاطفة الحب بين الرجل والمرأة او ما يعرض للمرء في حياته من حزن وتشاؤم .. فهذه ملامح انسانية كما لا يعني أيضا تحويل الادب الى افعال وردود افعال مفتعلة ، او مجرد شعارات مرفوعة . وانما يستهدف كاتبنا ، ان ينمي الادب في الانسان العربي اعظم ما فيه ، ويفجر كل طاقاته ، ويزيل عن سطحه ما تراكم من انهزامية ، سببتها مختلف الوان الظلم والاستعمار .

ان أحمد امين يدعو في توظيفه للادب، الى أن يعبر ويصور العواطف والاشياء الصحية لا المريضة ، باعلاء الاولى والحط من شأن الثانية . لا كما يحدث في معظم الاحيان ، عندما تعرض مثلا شخصية الخارج على القانون أو الاخلاق ،فتصوره بطلا محببا ..

يقول أديبنا : «وخير الادب ماانبعث عن عاطفة صحيحة لا مريضة ، فالشعر المتناهي في وصف ما يلاقي المحب من عذاب والذي يذوب رقة وحنانا ، ليس في نظري ـ مؤسسا على عاطفة صحيحة ، وهذا الشعر وان أرضى الجمهور وللدهم هو في كثير من الاحيان ـ جوف .. وهو في كثير من الاحيان نتاج عاطفة مريضة . وليس من الحق أن يبيع الانسان عواطفه بهذه السهولة . والشاعر المجيد هو الذى يثير العواطف بقدر ، ويبنيها على أساس عميق، أما أن هو غالى في ذلك واثار عواطف حادة لاسباب واهية كان ادبه خفيفا ضعيف القيمة مهما استلذه الناس واعجبوا به »

ولذلك كان رائدنا الفنان ، يطالب الصحافة الادبية أن ترفض « أن تنشر الادب الساقط المرذول ، المضعف للخلق والمفسد للرجولة » . (« فيض الخاطر » ج ١٠ ـ ط ١ ـ ص ٥٩) .

ويلاحظ احمد امين الذى عرف بميله الى المقارنة وقدرته عليها ، ان العرب لم يكتفوا بالانسياق الى ادب الضعف النابع من انفسهم ومجتمعهم ،بل انهم في اخذهم من الغرب وفكر وأدب اوروبا ، فضلوا في اغلب الاحيان ،ان ينقلوا أدب الضعف لا ادب القوة ، مما رجح كفة اللون الاول في نفس المتلقي العربي لما يكتب ادباؤه وكان له آثاره السيئة في عدم انطلاق الادب العربي بالقدر الكافي الذى يصبح فيه قوة تطيح بعوامل الانهيار النفسي الداخل ، وتدفع صاحبه الى تعويض مافاته واللحاق بالتقدم العالمى، بل ادى الى ابقاء الادب العربي نفسه سنوات طويلة ، اسيرا لقيم قديمة فات اوانها .. ابقته يجتر ماضيه واوهامه بلا طائل . وهذا كله دفع الجماهير ذاتها الى ان تسبق الادباء ممن يطلق عليهم حملة المشاعل الى رد فعل لا فكاك منه ، وهو التفكير المستمر القلق « في حياة خير من الحياة التافهة التى يحيونها » . ●●

أحمد أمين

سيرة وتحية

● مصطفى الشهابي ●

● حياة حفلت بالكفاح العقلي الخصيب المثمر ، وعقلية كبيرة نافذة البصيرة ، ومنطق جاد وفكر متقد يلتهم كل ما يقرؤه التهاما ثم يستوعبه ويتمثله ثم يقدمه للقراء مقالا او بحثا او كتابا ، يغذى النفوس وينير الافهام .

في اسرة مصرية متواضعة ، بحى المنشية بالقاهرة ، ولد احمد امين في أول اكتوبر سنة ١٨٨٦ ، وتلقى دراسته الاولى بكتاتيب هذا الحى ، ثم انتقل الى مدرسة والدة عباس الاول (بنبا قادن) ثم التحق بالازهر فمدرسة القضاء الشرعى حيث نال شهادة العالمية سنة ١٩١١ .

ولتفوقه عين مدرسا بهذه المدرسة مدة عامين ثم انتقل الى سلك القضاء الشرعى ولكنه عاد الى مدرسة القضاء الشرعى سنة ١٩٢١ ، غير أنه لم يلبث بها طويلا ، فقد اثارت السلطات المسئولة وقتذاك وطنيته الصادقة فى احاديثه وأفعاله ولذلك اضطهد حتى قدم استقالته وعاد للقضاء واشتاقت نفسه للتدريس ثانية فكاشف الدكتور طه حسين بهذه الرغبة ،وسرعان ماجلس احمد أمين بين أساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ويومئذ ألح عليه بعض أصدقائه بتغيير زى الشيوخ الى الزى الاوروبى فغير زيه سنة ١٩٢٧ ، كما فعل من قبله د . طه حسين ، وعلى عبد الرازق ، واحمد حسن الزيات ، وزكى مبارك - وغيرهم .

وفى تلك الكلية رقى استاذا مساعدا فأستاذا فعميدا سنه ١٩٣٩، ثم انتدب خلال ذلك مديرا عاما للثقافة بوزارة المعارف (التربية والتعليم) مع عمله فى الكلية . وفى أثناء تقلده هذا المنصب اقترح انشاء الجامعة الشعبية (قصور ودور الثقافة اليوم) ثم أحيل الى المعاش فى أول اكتوبر سنة ١٩٤٦ .

كان رحمه الله يميل للتدريس ويفضله على القضاء ، ولعل ذلك راجع الى البيئة التى نشأ فيها وتأثره بوالده فى الوعظ والارشاد وتلمذته لعاطف بركات أثناء نظارته لمدرسة القضاء الشرعى .

وكان حريصا على تناول الشئون الاجتماعية ومعالجة المشاكل التى تثار فى الصحف بطريقة الخاصة ، حتى أنه خصص لها حصة دعاها طلبته « حصة المربى » لما كانوا يتذوقونه خلالها من حلاوة وطلاوة .

كان يدرس لطلبة كلية الآداب بعض القصص الواردة بالقرآن الكريم، وبينما كان يتناول قصة نوح ويفسر الآية الكريمة : « .. قال يا بنى اركب معنا .. » لاحظ أن احد الطلبة نائم ، فنادى عليه : « يا فلان .. اركب معنا » ، فانتبه الطالب وتبلد النوم الى غير رجعة .

وكان يحب التفكه مع تلاميذه ،وكانت أول جملة يقولها عند دخول حجرة المحاضرات هى : « كم آنس حضر ، وكم آنسة حضرت ؟ » فيغرق الطلبة والطالبات فى الضحك ، غير أنه كان يؤكد لهم أن هذه الكلمات عربية صحيحة ..



● احمد امين ●

● في جامعة الدول :

وتلقفته الجامعة العربية وعينته مديرا للادارة الثقافية بها فى أول يناير سنة ١٩٤٧ فانشأ بها معهد المخطوطات وزوده بآلات التصوير ، وارسل البعثات الى تركيا وبعض البلاد العربية والاسلامية لتصوير كنوز الاسلاف الادبية والعلمية ٠

وفى أوائل سنة ١٩٤٨ نال الدكتوراة الفخرية من كلية الاداب تقديرا لما اداه لها من خدمات وعين استاذا غير متفرغ بها ٠

وتفس العام نال جائزة الدولة ٠

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد بل كان عضوا فى المجلس الاعلى لدار الكتب والمجلس الاعلى للمعلمين ، ومجلس كلية دار العلوم ٠

ولاحمد امين الفضل كله فى تاسيس لجنة التاليف والترجمة والنشر ، فقد لاحظ عقب تخرجه فى مدرسة القضاء الشرعى أن من وسائل النهوض بالعالم الاسلامى والعربى ، نشر الثقافة بشتى الوسائل من تاليف أو ترجمة أو نشر ، ولذلك انشأ سنة ١٩١٤ بمعاونة فريق من أصدقائه « لجنة التاليف والترجمة والنشر » ولم يكن عدد أعضائها يزيد يومئذ على خمسة عشر عضوا تفسيق مواردهم المالية عن تنفيذ اماليهم ، ولكن صدق عزيمة احمد امين ومثابرته وطدت اركان هذه اللجنة فاخذت تسير فى طريقها قدما ، حتى اصبحت احدى الدعائم الادبية فى مصر والاقطار العربية بفضل مئات الكتب التى اخرجتها فى شتى العلوم والفنون والاداب ٠ وظل احمد امين رئيسا لهذه اللجنة حتى يوم وفاته ٠

● دراسته للانجليزية

وادرك منذ فجر شبابه ان اكتفاءه بالثقافة العربية سيحرمه من الاتصال المباشر بالكنوز الموجودة فى أمهات الكتب الاوروبية وبخاصة الانجليزية ، لذلك اخذ فى تعلم الانجليزية والتحق بمدرسة لتعليم اللغات بالقاهرة ، رغم مشاغله العديدة وكبر سنه ، الى أن تعرف على سيدة انجليزية مثقفة ساعدته على تعلم الانجليزية والالمام بآدابها مقابل تعليمها اللغة العربية وآدابها . وقد نجح فى تلك الدراسة وأصبح يحسن القراءة والفهم بالانجليزية أكثر مما يحسن النطق والحديث بها ٠

وكانت له جولات قلمية فى شتى الموضوعات على صفحات مجلة الرسالة ثم الثقافة التى رأس تحريرها ، وفى مجلة الهلال وغيرها من كبريات المجلات العربية ، وكثيرا ما استمعنا اليه وهو يلقى أحاديثه العذبة الشيقة فى الاذاعة المصرية وغيرها ٠

وكان يرى أن الصحافة والاذاعة

والسينما في كل أمة انعكاس لثقافتها وعقليتها وأخلاقها وذوقها الفني ، وكان يقول انه ، لابد للحكومة من مراقبتها ، كما تراقب الفاكهة تأتي من الخارج فقد تكون متعفنة أوملوثة، وكماتراقب النقود من الداخل فقد تكون مزيفة • ،

وكان همه في كتاباته واذاعاته ان يقرر ويقنع ، لا أن يسلي ويمتع ،ويبحث لينتج ، ويصف ليعالج لا يلون ليعجب أو يلحن ليطرب • وكان يمقت التقعر في الأسلوب ويرى اللغة وسيلة افهام لا أداة ابهام ، ويدعو الى ان تكون لنا لغة فصحى سهلة شعبية ، «تنقى من حراشيف الكلمات »على حد تعبيره وتكون لغة التعليم والخطابة للجمهور ، ولا تكون اللغة الفصحى الا للمثقفين ثقافة عالية •

● **من مؤلفاته ومترجماته :**

قصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة بالاشتراك مع د .زكى نجيب محمود •

– الامتاع والمؤانسة لابى حيان التوحيدى مع آخرين •

– قصة الأدب في العالم في أربعة أجزاء بالاشتراك مع د • زكى نجيب محمود •

– زعماء الاصلاح ، وتتضمن سيرة عشرة من المصلحين المسلمين •

– رسالة الى ولدى وهي مجموعة مقالات كتبها للهلال •

– هارون الرشيد ، والمهدى والمهدوية ، والصعلكة والفتوة في الاسلام ، وقصة حي بن يقظان •

– فيض الخاطر – في تسعة اجزاء وهو مجموعة المقالات التي نشرها في مختلف الصحف والمجلات •

– فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، بأجزائه الثلاثة – وظهر الاسلام بأجزائه الاربعة • وتعتبر من أعظم المؤلفات العلمية المنهجية في تناول الحياة العقلية والأدبية وعرضها وبسطها بطريقة علمية سهلة •

وقد حظيت تلك المجموعة بثناء النقاد والمستشرقين وكبار الادباء

– حياتي ،•وفيه تجلت صراحته التامة وصدق احساسه ، اذ يقص تفاصيل حياته كما يقص الصديق المخلص لصديقه الحميم ، وتعرض فيها للتقاليد الاجتماعية السائدة يومئذ كالخطبة والشبكة والمهر وغيرها •

● **في المجمع اللغوى :**

وفي الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٠ عين عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية مع عشرة من اعلام الفكر والأدب ، اطلق عليهم الاستاذ لطفى السيد « العشرة الطيبة »منهم الاستاذ لطفى السيد ،و د • طه حسين، وعباس محمود العقاد. وفىزمرة الخالدين قضى احمد امين اكثر من أربعة عشر عاما. يجاهد في سبيل المحافظة على سلامة لغة القرآن وجعلها وافية بمطالب العلم والفن ،ملائمة للحياة العصرية في تطورها ، اذ كان يرى ان اللغة ملك للمتكلمين بها وليسوا ملكا لها ، ويدعو لان يكون للغويين في العصر الحاضر ما كان لمن سبقوهم من حق الاجتهاد في اللغة ما دام ذلك لايمس العناصر الاساسية للغة ، وكثيرا مانادى المجمع الى نبذ القداسة التقليدية التي اضفيت على المعجمات اللغوية وعدم التقيد بحرفية نصوصها •

وكانت له مكتبة حفلت بالنادر والثمين من أمهات الكتب العربية والانجليزية ، وقد حرص المؤتمر الاسلامى بالقاهرة على اقتنائها وهي اليوم تشغل احدى قاعات المؤتمر وتحمل اسمه •

وتخليدا لذكراه اطلق اسمه على احد شوارع مصرالجديدة بالقاهرة وخصصت جائزة باسمه تمنح كل عام لاول الحائزين على ليسانس كلية الآداب ، قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة • وهذه الجائزة هي مجموعة كاملة من كتبه •

وفي ٣ من مايو سنة ١٩٥٤ انتقل الى جوار ربه هذا الأديب الكبير والعالم الجليل فجف بذلك نبع طالما أمدنا بأدبه وعلمه ••

الإلهام

تاليف : اسحاق بابل
ترجمة : د • سليم الاسيوطى

كنت ارغب فى النوم ، وقد اعتكر مزاجى وساءت حالتى . واذ ذاك جاء ميشكا ليقرأ على « قصته » التى انجزها اخيرا . اخرج من جيبه زجاجة من النبيذ وقال : « اغلق الباب . ان هذا يومى . لقد انجزت قصتى واعتقد انها العمل الحقيقى ، فدعنا نشرب نخبها ، ياصديقى »

كان وجه ميشكا شاحبا ، مبللا بحبات العرق

قال : « ان الناس الذين يقولون بانه لا يوجد مثل هذا الشىء الذى يسمى السعادة ـ حمقى .. فان السعادة الهام . لقد ظللت اكتب الليلة الماضية بطولها حتى انى لم انتبه الى انبلاج الفجر . اذ ذاك خرجت وجعلت اجوس فى ارجاء البلدة . فان البلدة رائعة ، فى الصباح الباكر : الندى والصمت ، وقلة قليلة من الناس . كل ما فيها صاف ورائق كالبللور ، ويستطيع الانسان ان يرى مولد النهار : رطيب ، سماؤه زرقاء ، ورقيق كالطيف ..

« فهيا بنا نشرب ، ياصديقى . انى واثق اشد ما تكون الثقة ان هذه القصة تشكل نقطة تحول فى حياتى » . وصب ميشكا لنفسه بعض النبيذ وجرعه .. ارتعشت اصابعه . كانت يده على جمال رائع فهى نحيلة ، ناعمة الملمس ، واناملها مدببة

واصل ميشكا حديثه : « انت تعرف انه يتعين على تقديم هذه القصة للنشر ، ولسوف تحظى بالترحاب والقبول فى كل مكان . فالناشرون ـ اغلبهم ـ اليوم يطبعون كل غث تافه . ان العامل الفعال فى هذا الوضع هو ان تجد من يدفعك الى الامام بصورة او باخرى ولقد حصلت على وعد بذلك ، فان سوخوتين سوف يدبر كل شىء .. »

قلت : « ياميشكا ، يتعين عليك ان تفحص قصتك بعناية وتدرسها جيدا ، من جديد فلا شطب ولا حذف »

اطمأننت فى جلستى بارتياح ، وانكب ميشكا على كراسته . كانت الحجرة هادئة ساكنة ومظلمة نوعا ما .

قلت : « دعك من المقدمات وابدأ القراءة » .

بدأ واصغيت له باهتمام . لم يكن الامر سهلا ، لقد كانت القصة رديئة تورث الملل لا تدور حول بائع فى متجر احب راقصة وكان يقضى طوال وقته يتسكع تحت نافذة بيتها .. ورحلت فساءت حاله لان احلامه بحلاوة الحب وروحه قد ضاعت سدى

تراكمت من الالفاظ ترهات شتى . لقد كانت كلمات القصة جوفاء ، مبتذلة ، ومتهدلة كتفدخنى لابيح . فلم تسفر المحاولة من شىء ، اى نوع من الرجال كان هذا البائع !! وعلى اية صورة كانت تبدو هذه الراقصة ؟ !

قلت له فى بطء : « كما ترى !! ياميشكا ، كما ترى ، ان هذا الذى كتبت فى حاجة الى كثير من الروية والتامل والتفكير العميق .. ان الفكرة اصيلة مبتكرة .. والحب يظهر واضحا فى سياقها .. ولكنك كما ترى ، ومع النهج الذى سلكته فى تاليفها ـ فانه يجب ان تتولاها يد الصقل قليلا ، انت تعرف » ..

اجاب ميشكا : « لقد ظللت عاكفا على هذا العمل طوال ثلاثة اعوام متصلة . ان اجزاء صغيرة منه غير مكتملة ، تشوبه بالطبع . ولكن اذا ما نظرنا اليه كوحدة » ..

شىء لم ادركه قد نفذ الى قلبه ووجدانه . فارتعشت شفتاه ، واحدودبت كتفاه واستغرق وقتا طويلا جدا لكى يشعل سيجارة

استدار ميشكا ونظر الى . كانت عيناه كعينى طفل : تشعان بالحنان والحنان بالبهجة والسعادة

قال : « هيا بنا نخرج . ان الطقس افسد الهواء هنا »

كانت الشوارع مظلمة وساكنة ..

ضغط ميشكا على يدى بشدة وقال : « انى واثق الى اقصى حدود الثقة : انى كاتب موهوب . ابى يريدنى ان ابحث عن عمل . وانا لا اقول شيئا . وفى فصل الخريف يجب ان اذهب الى بتروجراد حيث يقيم سوخوتين الذى سوف يدبر لى كل امر »

توقف لحظة ، واشعل سيجارة جديدة من السيجارة السابقة ، وواصل حديثه اكثر هدوءا : « فى بعض الاحايين اشعر ان مثل هذا الالهام يوجهنى ، وحينئذ ادرك ان ما افعله هو الصواب . ان نوعى مضطرب يجثم على انه كابوس الى كابوس طوال الليل ، واشعر بالتعاسة تربض على جسمى وروحى ، فانقلب بنة ويسرة واتململ فى الفراش قبل ان استغرق فى سبات عميق ، وفى الصباح اشعر براسى تصدعه الام رهيبة مبرحة . وانا لا استطيع الكتابة الا فى اثناء الليل ، حينما يخلو الجو من حولى ويهدأ الكان على مقربة منى وانا منفعل متلهف لتحقيق انجاز عظيم » .

وصلنا بيت ميشكا . وسطع على وجهه نور مصباح الشارع . وبدا هذا الوجه متلهفا ، ناحلا ، شاحبا ، سعيدا

قال وهو يضغط على يدى بشدة اكثر من ذى قبل : « سوف اريهم ، لعنة الله عليهم ! .. انهم جميعا فى بتروجراد يعلمون ذلك »

قلت : « ان الحال سهان ، ياميشكا ، ان على الانسان ان يعمل .. »

اجاب وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة تفصح عن لطفه وكياسته ولكن بطريقة تظهر شعوره بالتفوق : « سامحنى يا صديقى ، انى اشبه احمق ـ انى ادرك حقيقة الامر ، فلا تنزعج . انى لا اعتمد على مجد اكتسبته بشوقى فى الادب . انظر الى هذا وسوف تلقى نظرة اخرى على الالف »

قلت : « حسن ؟ سوف اجيء فى الغد »

وبادلنا تحية الليلة عند الافتراق . وعدت الى البيت . لقد كان كل ما هناك يبعث على الانقباض والاكتئاب »

●●

التراث

ضرورة فنية

● د. عبد الله التطاوي ●

كثيرا ما يظهر عند النقاد العرب إيمانهم بضرورة التراث لضمان اصالة العمل الفنى الذى لا يمكن ان ينتظر صدوره من فراغ ثقافى او اجتماعى . وقد جرهم هذا الايمان بضرورته الى اباحة اخذ الشعراء بعضهم عن بعض فى كثير من الاحيان ، وان كانوا قد وضعوا شروطا وقواعد تحكم هذا الاخذ . ومن هنا يظهر الاتفاق على مسالة الافادة او الاخذ من القديم، ليظل الخلاف قائما فى تلك الفارقات التى ظهرت حول كيفية الاخذ وما قد يقع فيه الشاعر من اخطاء .

فى المستوى الاول ـ مستوى الايمان بضرورة التراث ـ نرى ابن طباطبا يوجب على الشاعر مداومة النظر فى الاشعار القديمة؛ لتلصق معانيها بفهمه، وترسخ اصولها فى قلبه ، وتصير مواد لطبعه ، ويذوب لسانه بالفاظها ، فاذا جاش فكره بالشعر أدى اليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه ، فكانت هذه النتيجة كالطيب تركب من اخلاط كثيرة ، فيستغرب عيانه ، ويغمض مستنبطه . وليس ثمة استثناء فى نظرتنا الى الشعراء من هذا المنظور التراثى، اذ يصبح لهذه القضية ان تمتد لتشمل شعراء العصور الادبية المختلفة ؛ وان كانت تزداد اصالة وبروزا عند من آمن منهم بان التجديد ممكن على اساس القديم . .

ان ما يثبته تاريخ الاداب المختلفة هو ان الشعراء قد لمسوا بانفسهم هذه الضرورة التراثية ، وان كان يبدو ـ فى كثير من الاحيان ـ ان التقاءهم بها صاحبه طموحهم فى ارضاء نقاد عصورهم ، ومع ذلك لم يروا ضرورة للانفصال التام من القديم، بل ان بعضهم قد بالغ فى محاكاته والاقتداء بنماذجه.

من هنا لا يقلل استثناء الشاعر العظيم بخروجه على التراث قاعدة ، اذ ان لهذا التراث سيطرته التي تخضع كل الشعراء ، دون ان يعني هذا اغلاق باب الاختيار من شرائحه المختلفة ، او ان يقع الشاعر ضحية الاستعباد لهذا التراث ، اذ ان الشاعر الجيد هو من يستطيع ان يطوع هذا التراث في خدمة فنه دون ان يفنى فيه ، وعندئذ تظل للغته اصالتها وفرديتها ودلالتها على مبدع العمل الشعرى ..

***

ان الاتكاء على التراث — على هذا النحو — لا ينفي عظمة الشاعر التراثي، وخاصة اذا تصورنا ان هذا الاتكاء لا يعني ان يتحول الشاعر بالضرورة الى نسخة مكررة من الاخرين ، اذ لابد له ان يضفي من فنه وشخصيته على ماهو بصدد الاخذ منه ، وهو امر يجعلنا حين نعيد النظر في شعرنا القديم أن نتبين مستويات الاداء فيه ، وان نحاول توزيعها فنيا بين هذا التراث وبين القدرات الابتكارية للشاعر الذى ربما يجمع بين المستويين ، دون أن يفصل فصلا كميا بينهما ، وخاصة انه يصبح من العسير أن نتبين حجم الواقع التراثي — اذا صح هذا التعبير — على الشاعر على وجه التحديد ، ذلك أن هذا الواقع التراثي كثيرا ما يتحول الى جزء من كيان الشاعر لا يستطيع الانفصال عنه ، بل يتغلغل في نفسه فيصدر عنه صدورا عاما نستطيع أن نسميه حسا تراثيا ، لا يرتبط بتنقل صورة جزئية بقدر ما يرتبط بروح العمل الفني كله ..

واعتقد ان هذه هي القاعدة في العملية الشعرية ، مهما قلنا بمحافظة الشاعر وتقليديته ، أو بتجديده وتحرره من القديم، ذلك ان قدرات الشاعر لا ينبغي ان تتوقف عند استيعاب القديم، بل يصبح من الضرورى له ان يزاوج بين مايفيده من تجارب اسلافه وتجارب معاصريه ، وهنا تتدخل طبيعة خبرته وحساسيته في بلورة هذه المزاوجة ، كما تتدخل في طبيعة الاختيار من هذا او ذاك ..

ومن هنا يصبح الواقع الاجتماعي والفني ضرورة ايضا ، كما تظل المزاوجة بين القديم والجديد من الضرورات التي ينبغي على الشاعر ان يحرص عليها ، وان يحققها . ولكن الشاعر قد يقع في حيرة من امره بين النموذج الفني وبين التجديد ، ويصبح التعامل مع النموذج في حاجة الى ادوات كثيرة على الشاعر ان يستكملها ، وعندئذ يصبح من الضرورى له ان يستكملها حتى لا يتهم بخضوعه النموذج او الاقتصار على التحوير والتعديل فيه ، اذ ان عليه ان يجتهد ، وان يستغل كل قدراته الخاصة في معالجة ما هو موروث ، واخراجه في شكل جديد لا يوهم بفكرة استعباد التراث لصاحبه، بقدر مايصور ضرورة تأثير الماضي في خبرة الحاضر .

ان النظر الى هذه القضية من جانب واحد يرتبط بجزئية من جزئيات القصيدة او بموضوع من الموضوعات قد يغير النظرة اليها ، وربما ينفي أن تكون الثقافة عامل اخصاب قادرا على تعميق التجربة ، وليس طبيعيا ان تتحول الثقافة الى عامل مضاد يعوق الشاعر عن الصدور عن تجربته والتوفيق بين انفعاله وثقافته ، اذ ينبغي الا تقضي الثقافة على الانفعال ، والا يتحول الشاعر — بناء على الرؤية التراثية — الى مجرد محتذ يتلقف أسلوبه من القديم ويكتفي به ، فمن الضرورى أن يعبر عن حقيقة نفسه ، والا يجعل الثقافة قيدا خارجيا يتحكم فيه ويسيطر عليه ..

***

أن طبيعة الاخذ الجيد يجب الا تجنى على فن الشاعر ، بل يجب ان تتحول الى ضرورة يفيد منها في ارساء الاسس الفنية والنقدية التي ينطلق منها فنه ، وكما قلنا من الصعب أن يصدر الفرض

فراغ ثقافي على الاطلاق : تقول ان الثقافة بهذا الشكل لابد ان تتحول الى واقع ضروري في كل العصور ، وان ظلت الفروق قائمة بين الشعراء في مدى افادتهم منها ، ولقد انتهى حازم القرطاجني الى هذه القضية حين قال :

« ان من المعاني ما يوجد مرتسما في كل فكر ، ومتصورا في كل خاطر ، ومنها ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بعض ، ومنها ما لا ارتسامله في خاطر ، وانما يتهدى اليه بعض الافكار في وقت ما ، فيكون من استنباطه ، فالقسم الاول هي المعاني التي يقالانها كثرت وشاعت ، والقسم الثاني ما يقال فيه انه قل ، أو هو الى حيز القليل اقرب منه الى حيز الكثير ، والقسم الثالث هو المعنى الذي يقال انه ندر وعدم نظيره .

« فالقسم الاول مثل مايتداوله الناس من تشبيه الشجاع بالاسد ، والكريم بالغمام ، وهذا القسم لا سرقة فيه ، ولا حجر في اخذ معانيه ، لان الناس في وجدانها ثابتة مرتسخة في خواطرهم سواء ، ولا فضل فيها لاحد على احد الا بحسن تاليف اللفظ ، فاذا تساوى الشاعران في ذلك فانه يستسمى بالاشتراك ، وان فضلت فيه عبارة المتاخر عبارة المتقدم ، فذلك الاستحقاق لانه استحق نسبة المعنى اليه باجادته نظم العبارة عنه ، وان قصر فيه عمن تقدمه فذلك الانحطاط » (١).

ومن هنا لا يتنافى قيام الصورة المشرقة للشاعر المبدع مع كونه شاعرا تراثيا ، ياخذ من الموروث فيضيف اليه من قدراته ، اذ ينبغي ان تكون هذه هي القاعدة ، وما عداها يؤخذ فيه الشاعر على طبيعة مسلكه وتطرفه اذا حدث ذلك .

ومن هنا ايضا راح حازم يتقدم بالمسالة خطوة اخرى حين عرض مايمكن للشاعر ان يضيفه ، وكيف يمكن معالجة ما هو موروث ، فجعل القسم الثاني هو المعاني التي قلت في انفسها ، او بالاضافة الى كثرة غيرها ، فما كان بهذه الصفه فلا تسامح في التعرض الى شيء منه الا بشروط منها ان يركب الشاعر على المعنى معنى آخر ، ومنها أن يزيد عليه زيادة حسنة ، ومنها أن ينقله الى موضع احق به من الموضع الذى هو فيه ، ومن ذلك أن يقلبه ويسلكبه ضد ما سلك الاول ، ومن ذلك أن يركب عليه عبارة احسن من الاولى ، فما وجد فيه شرط من هذه الشروط او ما جرى مجراها فسائغة مجاذبة الشاعر فيه من تقدمه ؛ وما ليس داخلا تحت تلك الشروط وما جرى مجراها مما يزيد في المعنى زيادةمقبولة فهو سرقةمحضة (٢) .

***

ومن هنا ينبغي ان نقف مرة اخرى على ما يمكن ان يسمى بالحس التراثي في صور الشعراء ، مما يسهل ادخالهم في هذه الدائرة التراثية ، دون انيعنى هذا الاستسلام الكامل للقديم ، اذ لابد ان تظل محاولات الاضافة والابتكار قائمة ، فليس من الطبيعي في عالم الادب ان يتوانى الشاعر حين يعيد التصوير ، بل عليه ان يستمر في محاولاته التجديدية دون ان يحجر ذلك على اعجابه بالتراث واخذه منه ، وهو امر تنبه اليه القدماء حين استحسنوا ما يسمى بالتضمين ، سواء تضمين الشعر او الامثال او غير ذلك من المأثورات .

وهناك قسمآخر وقف عنده حازم ، وهو ما سماه بالنادر من المعاني الذي لا يوجد له نظير وهي المرتبة العليا في

(١) منهاج البلغاء وسراج الادباء / ١٩٢
(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء / ١٩٤

الشعر من جهة استنباط المعانى ، لان ذلك يدل على نفاذ خاطر الشاعر وتوقد فكره حيث استنبط معنى غريبا واستخرج من مكامن الشعر سرا لطيفا والمعانى التى بهذه الصفة تسمى العقم لانها لا تلقح ولا تحصل منها نتيجة ، ولا يقتدح منها ما يجرى مجراها من المعانى ، فلذلك تحاماها الشعراء وسلموها لاصحابها علما منهم ان من تعرض لها مفتضح .

***

وعلى هذا النحو قسم حازم مراتب الشعراء على اساس ما يلمون به من المعانى ، وهى عنده اربع : اختراع واستحقاق وشركة وسرقة . فالاختراع هو الغاية فى الاستحسان ، والاستحقاق تال له ، والشركة منها ما يساوى الاخر فيه الاول فهذا لا عيب فيه ، ومنها ما ينحط فيه الاخر عن الاول ، فهذا معيب ، والسرقة كلها معيبة ، وان كان بعضها اشد قبحا من بعض ..

ان النظرة الموضوعية الى الشاعر من المنظور التراثى تتضح منهامواقفه المحدد حين يؤثر ان يمت الى التراث بصلات وثيقة ، دون ان يعد هذا الامر مصادرة لموهبته التى تكمن وراء الابداع الادبى بقدر ما تساعده على تعمق ما حوله ، وعلى الاخراج الفنى للتجارب النفسية ، فحين تتحول الثقافة الى ما يمكن ان يكون نظرية فى الفن يصدر عنها الشاعر تصبح فى غاية الاهمية ، لانها تدخل متمثلة فى شخصية الشاعر ، وتغدو جزءا من مقوماته الفكرية ، تساعده على ان يصور الكلى والجزئى انطلاقا من مكوناته الثقافية قديمها وجديدها على السواء .

ومن هنا يمكن ان ندخل عامل الاصالة ضمن عناصر الثقافة التراثية والحضارية بهذا الشكل ، فليس من المطلوب ان يأتى الشاعر بالمعنى الجديد الذى لم يسبق اليه على الاطلاق ، بل يطلب منه ما يعرف بالاصالة التى لابد للشاعر من تحقيقها حين يعمق احساسه بالتراث الماضى ، مع الاحتفاظ لنفسه بطابع استقلالى واضح لا يتعارض مع هذا الاحساس بقدر ما يدعمه ، كل ما هنالك انه يمنح صاحبه صفة التمايز التى تدل عليه وحده مبدعا لهذا العمل ..

وبهذا يصبح الفيصل فى قضية الاخذ والتأثر محددا فى عدم فناء شخصية الشاعر حين يعود الى التراث ، او تحوله الى نبت شيطانى لا نستطيع الاهتداء الى اصوله واسسه ، والا تحول الفن الى نوع من الزيف ، اذ لابد للاصالة من قواعد واضحة يستند اليها ، وتعد بمثابة دعائم ثابتة لما يصوره الشاعر فى فنه . ولذلك وقف النقاد عند مسألة حسن الاخذ واقروها ، ايمانا منهم بهذه الاصالة ، بل بضرورتها . فعند الحاتمى نجد هذا الباب (باب احسان الاخذ) وفيه يذكر عن العلماء بالشعر ان الشاعرين اذا تعاورا معنى أو لفظا او جمعاهما ، وكان الاخذ منهما قد احسن العبارة عنه ، واختار الوزن الرشيق حتى يكون فى النفوس الطف مسلكا كان أحق به ، وخاصة اذا اخفى الاخذ ونقله من موضوع الى آخر ..

وهكذا اقر النقد القديم ما نحن بصدده من ان التراث ضرورة فنية للشعراء ومن هنا يصبح للشاعر لا عليه ما اخذه من المصادر التراثية ، مع الاحتفاظ له بحقه فى الاضافة والابتكار ، بل مطالبته بذلك ، ومن هنا يبرز دور الكم الهائل من الشعراء القدامى الذين اثروا فى فن الشاعر ومنحوه من اصالة القديم ما اذا تناسق مع التجربة خلق نوعا من الفن الشعرى الجيد .

ويمتد الالحاح على ضرورة التراث حتى يحاول بعض النقاد ان يخضع له

قدامى الشعراء منذ الجاهلية ، وكان المعرفة بالشعر لا يغنى عنها شيء حتى فى اقدم العصور الادبية ، فقد حفظ النابغة وغيره كثيرا من اشعار سابقيهم ، وتوجت شاعريتهم بهذه المعرفة مما هيأ لهم مكانة بارزة بين الشعراء .

وهكذا ضرب الفكر التراثى بأبعاده فى الجاهلية ، وانتهى الى العصر الحديث فنادى به بعض النقاد الغربيين مؤكدا ضرورته فقال اليوت : « ان اى شاعر او اى فنان لا يمكن يدعى معنى لنفسه ، اذ لابد من وجود صلة قوية بين معانيه ومعانى الشعراء الاقدمين ، ولعل من اهم عناصر الجمال الأدبي مقارنة فن المحدثين من الشعراء بفن أسلافهم ، ولابد للحكم على الشعر الحديث من تقدير مستواه بالنسبة لمستويات الاقدمين ، وعلى الشاعر الا ينقل من القديم دون أن يسبغ شخصيته على ما ينقله ، والا كان مقلدا سخيفا ، كما أن عليه ان يكون محيطا بمجرى التيار الرئيسى للفن ، ثم عليه بعد ذلك ان يؤمن بهذه الحقيقة ، وهى ان الفن لا يتغير ، ولكن مادة الفن هى التى لايمكن أن تبقى كما هى » . (٣).

***

وعلى هذا يصبح من البديهى الذى لا يحتاج الى جدل طويل ان التراث ضرورة كبرى بارزة من ضرورات فن الشاعر فى العصور الادبية المختلفة ، وبخاصة فى العصور التى تلت العصر الجاهلى ، والتى يكشف التحليل الفنى لقصائد شعرائها كيف عرضت عليهم ، بل كيف عرضوا على أنفسهم نصوص التراث الشعرى مدونة ومشروحة ، مما فتح امامهم باب الاختيار لما يتأثرون به ، مما اسهم فى تقدمهم بالفن الشعرى فى شكله ومحتواه استنادا الى هذا التراث .

ولا شك أن الذوق النقدى المحافظ فى العصر العباسى خاصة قد شجع التراث كما شجع العودة اليه ، ورأى اهمية التزام الشعراء به ، وقد ساعد هذا الذوق نفسه على أن ترجح كفة البحترى المحافظ كفة ابن الرومى المجدد وأن يقف فى صفه علماء اللغة وكثير من الشعراء .

ومن هنا ننتهى الى أن القديم يواكب الجديد دائما ، ويسيران معا فى توازن دقيق ، ويصبح من مهمة الشاعر ابراز طبيعة موقفه التراثى وطريقة المعالجة الموضوعية الجديدة فى فنه ، وعليه عندئذ أن يختار وينتقى ويصطفى من هذا التراث الضخم الذى انتهى اليه حتى من بنى عصره ، ذلك ان آثار ما اختاره لابد أن تتضح فى فنه حين يتمهد ما اخذه بطريقته الخاصة ، وعندئذ يجمع بين أصالة المنبع بفروعه المختلفة ، وبين الاحتفاظ لشعره فى نفس الوقت بطابعه الخاص المتميز ، وهو طابع يمثل الجانب الذاتى أو الابتكارى فى الفن الشعرى ، وكان الشاعر لا يعد شعره بداية لتاريخ الجماعة التى ينتمى اليها ، وانما يعد عمله حلقة فى اعادة الموروث نموذجا يحتذيه .

والمهم فى تفسير قضية التقليد او المحافظة فى العصور الادبية ان العصر ينبغى ان يقبل هذا الامر ويشجع عليه ، وهو موقف تنبه له بعض النقاد القدماء حين صوروا طبيعة الحركة الادبية وما يموج فيها من تيارات بين القديم والجديد من وجهة نظرهم فقالوا « وانما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ، ابتدا هذا بناء فاحكمه واتقنه ، ثم اتى الاخر فنقشه وزينه » (٤) .

(٣) مقالات فى النقد الادبى « د . هدارة » / ٣٤
(٤) العمدة ٩٢/١

كتب وكتاب

باب جديد

يقدمه الهلال في الاعداد القادمة

وان كان الموقف لا ينتهى بهذه البساطة عند حد التزيين او الزخرفة ، بل يتجاوزها الى جوهر التجربة التى حرص الشعراء على تصوير طبيعتها ، استلهاما لواقعها النفسى والاجتماعى الذى يكشف أيضا عن طبائع العصر الجديد ، ذلك ان الاتجاه السلفى لا يعنى الانعزال عن الحياة الجديدة الا اذا فشل الشاعر فى الجمع بين الاتجاه السلفى والاتجاه التجديدى، بل عليه ايضا أن يكثر من عنصر التجديد حتى يسهل للتراث السير فى تزاوج متناسق مع العصر والحضارة .

وعلى هذا لم يكن ثمة ما يبرر تلك الضجة الكبرى التى قامت حول ابى تمام والبحترى بصفة خاصة ، وهو موقف عرض له الدكتور مندور فى قوله : « واما شعر كشعر ابى تمام والبحترى الذى نسميه بالكلاسيكى الجديد ، فمن البين ان العلاقة فيه واهية ، وانما هى معان كلاسيكية يصوغانها صياغة جديدة، والذى حدث ان مسالة السرقات لم تنشط الاحولهما، ولهذا جاء البحث عن اصالتهما لا يكاد يتصور ، وان تصور لم يكن من السهل ادراكه » (٥) .

ومن هنا تنتهى النظرة الموضوعية عنده الى ان المحنة لم تات من التقيد بالاصول الفنية للقصيدة القديمة ، ولا من الاخذ من نفس الموضوعات التى اخذ فيها الجاهليون ومن بعدهم ، فكلها موضوعات انسانية شغلت الشعراء منذ الازل وستشغلهم الى الابد، وانما اتتهم من تقيدهم بالتفاصيل (٦) .

ولكنهم حتى فى تقيدهم بالتفاصيل – اذا سلمنا بهذا القول – لم يعجزوا عن ابراز محاولاتهم الابداعية فى كثير من الاحيان ، فلا شك انهم افادوا من معرفتهم بما انتهى اليه القدماء دون أن يلغى هذا من شخصياتهم شيئا ، فلقد تحدد موقفهم من هذا القديم ، واتوا معه بالجديد الذى يعتمد عليه ، ويجعله نقطة البدء الاولى التى يبنى على اساسها ، ويسجل عليها بعد ذلك تجدد الحياة الانسانية والحركة الادبية .

●●●

وهكذا وقف النقد العربى القديم واعيا ازاء المواقف المختلفة التى اتخذها الشعراء من الموروث ، والتى ادت الى اختلافات واضحة فى تعاملهم معه ، وسجل للشعراء طبيعتهم ، وقوم عمالهم حسب قربها او بعدها من الاصالة المكتسبة من دقة الاتصال بهذا الموروث . ومن هنا كان القدماء بمنجاة من ذلك الخلط بين اسلوب من استعبدهم التراث ، واسلوب من احسوا ملكية هذا التراث ، وكانت لهم قدراتهم الخاصة على التعامل معه بذكاء ووعى وحساسية .

وعلى اية حال فان كثيرا من شعراء العربية الزوا احتذاء النماذج الفنية الناضجة دون ان يصادر هذا الامر قدراتهم الابتكارية الخاصة التى ظهرت – اكثر ما ظهرت – فى التصوير ، بل امتدت النزعة الابتكارية لتجدد فى شكل القصيدة اذا وجدت من دوافع التجديد ما يساعدها على ذلك ، وقبل هذا كله لا يخفى ما اضافوه الى مضمونها مواكبة منهم لروح العصر ، واستجابة لواقعه مع الايمان التام بهيمنة التراث .

د . عبد الله التطاوى
مدرس الادب العربى – اداب القاهرة

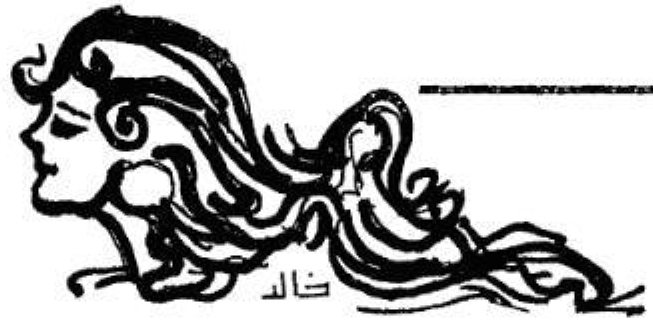
(٥) النقد المنهجى عند العرب / ٣٦٣
(٦) المرجع نفســــــه / ٣٦٣

●●

أصدائى..

● خليل فواز ●

أما لديك يا سرب الحمام نزول
لعلك من عند الحبيب رسول ؟ !
أتوق لمرآها وقد حال بيننا
رحيل ودهر باللقاء بخيل !
وكيف يتيح الدهر بيني وبينها
لقاء وحظى في الحياة قليل ؟ !
أبيت على الذكرى وأصحو على الجوى
وفي العين دمع والفؤاد ملول !
أقلّب عيني في وجوه تحيطني
وليس لوجه في الخيال بديل !
وكيف التأسي والفؤاد وخاطري
وعيناي أتباع لها وذيول ؟ !
وما فيك يا دنيا وجوه سوى الذي
يلوح لعيني والزمان يحول !
أقلّب وجهي في السماء فربما
يدل على قرب اللقاء دليل !
أحمّل أشواقي لكل سحابة
عساها إلى أرض الحبيب تميل !
أظن نسيم الليل يحمل عطرها
ومالك يا عطر الحبيب مثيل !
وأحسب أن البدر يعكس نورها
فأرنو بانتظاري له وأطيل !
وأسأل عنها النجم يكتم أمرها
أكان لها بين النجوم عذول ؟!



ودار لهـــا أشـــتاقها فى وجودهـــا
وزاد إليهـــا الشوقُ وهى طلـــول !
أهيمُ إليهـــا والنهـــار مُـــودِّعٌ
وأرحلُ عنهـــا والظـــلامُ فـــلولُ!
أجولُ وفى عينىَّ دار تضمهـــا
وفى الدار طيف للحَبيـــب يجـــول !

***

وتجمعُنـــا رغم افتِـــراق عيُونِنـــا
قلوب •• وتدنو فى الخيال عقـــولُ !
وكم صوَّر الوهمُ الجميـــلُ لقـــاءنا
وقد جمعتنـــا روضَـــة وأصـــيلُ !
يُظل علينـــا الزهرُ فى شطِّ جـــدول
ويحجبُ عنَّـــا الناظـــرين ، نخيـــل !
•• ورانَ علينـــا الصمتُ إلا تهامُسَـــا
ودار حديثٌ للعيـــون خجـــول !
وراحت طيُـــور الحب تصدحُ حولنـــا
ورقَّ نسـيم للأصـــيل عليـــل !
ترقَّت جذوعُ النخـــل حتى تمايلت
ونحنُ إذا مـــال النخيـــلُ نميـــلُ !
ودقاتُ قلبينـــا تدوى كأنهـــا
دفوف تزف شِـــفاهنا وطبـــول !
• ويمضى بنا الوهمُ الجميـــلُ مسارعا
كذلك عمر الحبِّ ••• ليس يطـــول !

امرأة أخرى

رواية محمد الحديدى

● يوسف الشارونى ●

لمحمد الحديدى حتى الآن خمس روايات هى بالتتابع « الجدران » «١٩٧٢» و « شبان هذه الايام » « ١٩٧٤ » و « شخص آخر فى المرآة» « ١٩٧٦ » و « قبل ان يهبط الظلام » و « امراة أخرى » «١٩٧٨» . وكان من قبل قد جرب موهبته الادبية فى الشعر فنشر ديوانه « أنشودة الغرباء » ، كما كتب القصة القصيرة فى مجموعته المعدة للطبع « ظلال واشخاص » . كما نشر مجموعة من دراساته فى الرواية الغربية بعنوان « نماذج من الرواية الغربية » . ومعنى هذا - وكما سبق ان ذكرت - أن الحديدى جرب قلمه فى اكثر من فن من فنون الأدب ، وانه وجد نفسه فى الفن الروائى بعد ان هيأ نفسه لهذا الفن .

والحديدى يحرص فى كل رواية من رواياته على مناقشة قضية من قضايا الانسان المعاصر ، مثل حريته التى يفتقدها فى رواية «الجدران» ، والفكر الذى يفتقده فى « شبان هذه الأيام » وهويته التى يفتقدها فى « شخص آخر فى المرآة » . ثم - على نحو ما سنرى - السعادة التى يفتقدها فى « امراة أخرى » . ومعنى هذا ان هناك صلة تربط بين روايات محمد الحديدى ، هى تركيزها على مناقشة قضايا الانسان المعاصر .

« امراة أخرى » تروى بضمير المتكلم كمعظم روايات الحديدى. بطلها «محمد سعيد الدسوقى » يحاول ان يحقق ذاته هذه المرة من طريق الحصول على سعادته ، كما حاول من قبل بطل الجدران - الذى لم نعرف له أسماً - ان يحقق ذاته من طريق الحصول على حريته ، وكما حاول بطل « شخص آخر فى المرآة » ، المزدوج الشخصية - الدكتور رمزى حسين بيومى استاذ الجامعة الذى نقلوا مخه فى جسد نجم الكرة لطفى مذكور على اثر حادث وقع لكل منهما - حاول أن يحقق وجوده عن طريق اثبات هويته . وكان الفشل نصيب الأبطال الثلاثة حيث لم يستطع ايهم ان يحصل على ما توهم انه يحقق ذاته . فبطل الجدران الذى كان يحاول الحصول على حريته داخل جدران أربعة يكتشف فى النهاية تناقض ما يجهد من اجل الحصول عليه ، فهو داخل الجدران اقل حرية مما كان

خارجها ، فتلك هى المفارقة : ان محاولة الحصول على مزيد من الحرية ينتهى بفقدان مزيد منها . وبطل شخص آخر فى المرآة يكتشف أن الموت اهون عليه من مثل هذه الحياة المزدوجة التى لا يستطيع أن يتصالح فيها باطنه « أستاذ الجامعة » مع ظاهره «بطل الكرة » . ولهذا فانه لا يقاوم فى النهاية ذلك القاتل الذى حاول اغتياله من قبل فلم يهشم الا جسده ، غير انه هذه المرة رحب به طالبا منه الاسراع لكى يخلصه من ازدواج شخصه الذى طالما عذبه .

***

وبطل روايتنا « امراة اخرى » لم يكن مصيره يختلف كثيرا عن مصير سلفيه . انه يحكى قصته وهو ملقى على الفراش كالبغل النافق ـ على حد تعبيره ـ « محمد الحديدى ، امراة اخرى ، كتاب اليوم ، مؤسسة اخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٩ » . وهو يعلن فى ختام اعترافاته قائلا : فى حالات كثيرة اشعر بالأسف لان هناك املا فيها اريده ، نعم ، بالضبط ، احيانا يسرنى أن اجد انه ليس هناك امل ، فارتاح من المحاولة الشاقة وفى ذات الوقت لا اتهم نفسى بالتقصير فى حق نفسى ، كان تتقدم لوظيفة ثم يتضح انك غير مستوف للشروط ، فيسرك ذلك انه سيوفر عليك عناء المنافسة والسعى ومعاناة الفشل فى النهاية . صحيح انك كنت تستطيع من البداية ان تتجاهل الاعلان الا ان ضميرك سيظل يؤنبك لانك لم تحاول ، ولكن عندما تكتشف ان شروط السن وسن التخرج والتقدير .. الخ لا تنطبق عليك ، فانك تستطيع ان تقف امام المرآة فى وقاحة ، وتصيح بالمغفل الذى ينظر اليك بكل ما فى الدنيا من غيظ وحقد ، ماذا تريدنى ان افعل ؟ لست انا الذى وضعت هذه الشروط « المرجع السابق ، ص١٥٢ » يقصد شروط الوجود فى هذا المجتمع عامة وشروط الوجود فى الحياة بوجه أعم .

وتنتهى روايتنا بقرار البطل ان يهرب ، بعد ان انطلق الى بيت جنان « المراة الأخرى فى حياته » حيث ودعها صامتا ، « ولم أحاول بعد ذلك أن اقترب منها . وعندما جاءوا بى الى هنا بعد ذلك بسنة واحدة ، احسست انهم انقذونى من العالم الذى يحيط بهذا المستشفى الكئيب . »

وليس لفشل ابطال روايات الحديدى الا دلالة واحدة هو وجود خلل فى درجة التماسك الاجتماعى يؤدى الى تمزق الطرفين : الفرد والمجتمع ، واحتجاج على تعذر التصالح بينهما . فما يعتقد الفرد انه حريته يعتقد الآخرون انه اعتداء على حريتهم ، والعكس فان ما يراه الآخرون حريتهم يراه الفرد اعتداء على حريته « الجدران » والأمر نفسه عندما يصر الآخرون على التعامل مع ظاهر الفرد بينما يصر الفرد أن يتعاملوا مع حقيقته والا يؤخذوا بالظاهر «شخص آخر فى المرآة» كذلك يتخبط بطل روايتنا هذه « امراة اخرى » عندما ـ يقوم بسلسلة محاولاته ـ مرة بعد اخرى وبتنويعات مختلفة للحصول على سعادته ، فيكتشف فى النهاية أنها تتعارض مع سعادة

الآخرين ، وكانما لا سبيل الى الوصول الى تلك المحاولة التى تجعل من سعادة الفرد سعادة الآخرين .. او المجتمع ، ومن سعادة الآخرين او المجتمع سعادة للفرد او لأفراده . ولا شك انها علامة من علامات التماسك والنضج الاجتماعى أن تتقارب — ولا اقول تتوحد — مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة بحيث يصبح ازدهار الواحد معناه ازدهار الآخر وليس على حسابه .

فى مراهقته المبكرة نجد ان بطلنا احب الصبية «تيسير» التى اقبلت مع اسرتها ذات صيف لقضاء اجازتها فى منزل مجاور لمنزل بطلنا . ورغم ان تيسير رحلت مع اسرتها ثم ماتت فيما بعد ، الا انها اصبحت جزءاً من شخصيته بل من وجوده . فقد ظل كلما اغمض عينيه لا يرى سوى صورة واحدة هى صورة تيسير وهى ترمقه بنظراتها الثابتة الطويلة من وراء الستار الشفاف الذى يغطى نافذتها « المرجع السابق ، ص ١٩ » .

ولهذا عندما التحق بالمدرسة الثانوية فى نهاية ذلك الصيف وسمعهم ينادون على زميل جديد اسمه تيسير ، قرر التعرف به ومصادقته — وهكذا كان حبه الأول طريقه الى صداقته الاولى ان منظر تيسير وهو جالس فوق ارض الحديقة ، يضحك ثم يضحك ، تماما كمنظر تيسير وهى ترمقنى من خلال الستار الشفاف الذى يغطى النافذة . لا يمكننى ان اغمض عينى دون ان اراه . كانت النافذة تجربتى مع الحب . والحديقة تجربتى مع الصداقة «ص٣٠» .

وقد اكتشف أن الصبى تيسير من فئة اجتماعية أعلى بكثير من فئته التى ينتمى اليها . ولكن بقدر تعارض هاتين الفئتين بقدر ما كان هناك نوع من التكامل بينهما ، على الاقل من جانب محمد سعيد الدسوقى الذى يشعر بهذين الاحساسين المتعارضين : غربته عن ذلك المستوى الاجتماعى الذى ينتمى اليه تيسير وحاجته اليه فى الوقت نفسه « ص٢٥» . والفقرة التالية توضح ذلك ، « والاسرة هى الاب ،الام وتيسير ، وقد دعونى الى الغداء معهم ، وكنت طول الوقت مضطربا لا ادرى ما افعل ، وكانى نزلت على ارض المريخ وتعرفت الى اسرة من ساكنيه . انقذنى تيسير بان دعانى الى ركوب دراجته نزلنا الى الطريق واخذ احدنا يركب والثانى يجرى خلفه . ثم جلسنا على الحشائش نلتقط انفاسنا »(ص ٢٥).

وفيما بعد سيكون والد تيسير هو الواسطة التى بها يلتحق فؤاد اخو بطلنا بالكلية الحربية . كما ان تيسير هو الذى سيقود بطلنا الى تطورات ابعد من مجرد هذا الحب البرىء الرومانسى الذى عرض له فى مراهقته المبكرة .وهى خطوات ماكان يمكن لمحمد سعيد الدسوقى ان يجرؤ على خطوها بمفرده — حتى حين يكتشف بطلنا ان ما معه من نقود لا يكفى لدفع فاتورة حساب المشرب وهو جالس مع سميرة — التى تعرف عليها عن طريق تيسير — فانه

يتصل تليفونيا به لكى يضيف الفاتورة على حسابه .

وهكذا توثقت العلاقة بين سعيد الدسوقى وتيسير الصبى . وكان تيسير هو الذى فاتح بطلنا فى موضوع الحب ، فقد كان تيسير بدوره يمر بتجربة حب تشبه تلك التى مر بها محمد الدسوقى .

***

وبانتهاء تجربة الحب الاول ، جاءت تجربة الجنس . ومع تجربة الجنس ظهرت فى حياة بطلنا تجربته مع الشعر ، كأنما ليتحقق لون من التوازن بين الحس والعاطفة فى حياته . وسيظل هذا الطريق المزدوج المتعارض المتكامل هو محاولة البطل ان يقطعه فى سبيل ان يحقق – عبثا – سعادته أو وجوده . سنجد هذا فى ازدواجية الحلم والواقع ، والمضى والحاضر ، « تيسير » الطفولة و « جنان » الرجولة . وهكذا التحق محمد سعيد الدسوقى بالقسم الادبى فى السنة التوجيهية كما كانت تلقب فى ذلك الوقت ، والتحق بعد ذلك بكلية الآداب . بينما التحق صديقه تيسير بالقسم العلمى ، وبعد ذلك بكلية الطب . وهكذا تظل العلاقة بين الصديقين محمد سعيد الدسوقى وتيسير سعيد عزت لا على مسافة طبقية فقط ولكن على مسافة مزاجية ايضا ، ومع ذلك فهى مسافة تحدد شخصية كل منهما دون أن تفصل بينهما .

ولم تكن تجربة الجنس فى حياة محمد سعيد الدسوقى بأنجح كثيرا من تجربة حبه الصبيانى . كانت تجربته الاولى مع الخادمة سعدية مجرد قبلة اقترنت فيها السعادة بالقرف . وهى تجربة ما لبثت ان انفضحت مما ترتب عليه ابعاد سعدية الى البلد « القرية » بالحرمان الذى ترتب عليه ان يكون عنوان القصائد « اشجان » « تسهد » « لوعة » وقوافيها تنتهى بكلمات مثل « الهموم » « لا يدوم » ، لا ندم » ، مما يوضح كيف يتكامل الشعر والجنس وان بدا كل منهما معارضا للآخر .

ولئن كان الشعر هنا نتيجة الحرمان من الجنس ، فقد كان حلم يقظة البطل ان يكون الشعر وسيلته الى اشباع الجنس : « لابد ان اصبح شاعرا عظيما أن اتخذ مما انا فيه من شقاء مادة لقصائد تفتت قلوب الناس وتجعل دواوينى كالماء والهواء وتوقع كل النساء فى غرامى . لابد ان أصبح « على محمود طه » واركب الجندول وتتغنى بشعرى عبد الوهاب وام كلثوم وتصحو الحسناوات من النوم لتمد كل منهن يدها الى التليفون الابيض المجاور للسرير ، وتطلبنى لتسألنى من ليالى كليوباترا . » (ص ٤٣ – ٤٤) .

وتلت ذلك محاولة مع وقف التنفيذ من جانب شخص فى الستين اوتجاوزها

إمرأة أخرى

تركت فى نفسه نفس الشعور المتناقض الذى تركته محاولته مع سعدية او بتعبيره عن هذه التجربة : مزيجا من الذعر والرغبة فى التجارب «ص٣٩» .

اما تجربته الثالثة والرابعة فكانت محاولات مع عاهرات وبصحبة صديقه تيسير . ولقد ادرك بطلنا ان الجنس هنا تجارة كأى تجارة أخرى ، حتى انه كان يظن من مظهر تلك البيوت فى اول الامر - ولعدم خبرته - انها توكيلات تجارية وان السيدات الجالسات امامها من زوجات اصحاب هذه التوكيلات أو لعلهن موظفات بها .وعندما دخل وجد ان كل شىء يبدو عاديا تماما كما لو كانت الفتاة - وكانت صغيرة السن نوعا ما - حكيمة اشعة مثلا . ولهذا ظل فيما بعد كلما دخل على مدير او رئيس او شخص كبير فى مكتبه تذكر تلك المرأة . لماذا ؟ « لان تيسير خرج وانا دخلت وهى باقية فى « مكانعملها» تماما كما يجلس المدير امام مكتبه ، ويخرج واحد من عنده ويدخل من يليه من الجالسين فى قاعة الانتظار .«اص ٥٤ » .

وكما انتهت محاولاته مع الجنس بهذا الاحباط انتهت ايضا محاولاته مع الشعر ، ومع اعداده رسالة الدكتوراه وكان يبرر فشله بقوله : لم يوجد بعد الاستاذ الذى يتمتع بالذكاء الكافى لاكتشاف موهبتى ، تماما كرؤساء تحرير الصحف الذين لاينشرون القصائد التى أرسلها اليهم .«ص ٩٠» .

بعد تجربته مع الحب والجنس كانت تجربته التى كانوا يطلقون عليها فى ذلك الوقت « المشى مع البنات » لقد تعرف عن طريق تيسير على فتاة سمراء تدعى سميرة ، اغتصب منها قبلة فى أحد شوارع المعادى المظلمة وتصنعت الغضب ثم اتضح انها متزوجة ثلاث مرات فى خمس سنوات .

واخيرا تنتهى محاولاته مع الجنس بزواجه - وقد اتضح ان الموقف لم يكن يختلف من موقفه مع العاهرات ، فقد بدا الحديث عن المهر والشبكة «ص ١٠٠» . فهنا وهناك تجارة .وقد انتهت تجربة زواجه كما انتهت كل تجاربه السابقة مع الحب والجنس . اذ اكتشف فى النهاية انه يعدو وراء سراب . كانت تجربة كلها شك وغيرة من جانبه حتى مما يحتمل ان يكون قد حدث فى ماضى زوجته قبل زواجها منه ووصل الامر الى حد ضربها .

ولان الزواج علاقة علنية وليست مثل العلاقات الاخرى ، فقد تمددت فى الرواية على مستويات مختلفة ، وكانت النتيجة واحدة : أخته انصاف وزوجها وصلت علاقتهما الى حد الطلاق ولو انه ردها مرة أخرى . وتيسير وزوجته جنان فقدته بسبب ادمانه شرب الخمر حتى الموت .

واخيرا يتوهم أن سعادته لن تتحقق الا مع حبه المفقود : جنان التى اكتشف انها لم تكن الا لتيسير طفولته . وعندما

انفرد بها وحاول ان يقبلها وقف الآخرون دون حصوله على ما توهم انها لحظة سعادته القصوى ، اعترضوا طريقه بالعصى والسباب ، حتى افلت منهم باعجوبة ، وهو يتوقع ان يستوقفه اى عابر ثم يمسك بخناقه ويجذبه الى الطريق ليلتف الناس حوله ويوسعوه ضربا بقباقيبهم او يرجموه بالحجارة .

ما أوسع الهوة بين الفرد ومجتمعه، بين الانا وال « هم » او الآخرين .

***

واخيرا فان محمد الحديدى لا يزال حريصا على ان يجذب قارئه بعنصر تشويق تتسم به معظم رواياته هو اضفاء لمسة غموض على بعض شخصياته او ما يتكرر من احداث على نحو ما نجد بالنسبة لبطلة الجدران والصديق العجوز والشبان الاربعة المجهولين الذين يطوفون بسياراتهم من حين لآخر . ويرجع غموض هذه الشخصيات الى تأرجحها بين الواقع والرمز .

نفس الطريقة فى رواية « شخص آخر فى المرآة » ، فهناك التليفون نسمع رنينه من حين لآخر حيثما وجد البطل وعندما نرفع السماعة لا نسمع احدا ، كذلك الشبح الذى كان يبدو لم يختفى قبل أن يمكننا المؤلف من معرفة حقيقته ، وما اذا كان حتى انسانا أو حيوانا . لم يتضح لنا ان الاول لم يكن الا الجراح الذى اجرى العملية ليزرع مخ الاستاذ الجامعى فى جسد الشاب الرياضى ليتكون منهما بطل قصتنا ، وانه كان يتلهف على معرفة نتيجة عمليته ، اما لماذا لم يرد أن يفصح من شخصيته فيبدو ان حرص المؤلف على وجود عنصر غامض فى روايته كان سببا أقوى من المبررات التى نستشفها لعدم افصاح الطبيب الجراح عن نفسه . اما الشبح فلم يكن الا زوج السيدة التى تتعلق بالبطل وكانت على يديه — لهذا السبب — نهاية البطل . وحرص الزوج القاتل هنا على اخفاء شخصه اكثر تبريرا من حرص الطبيب الجراح على هذا الاخفاء واكثر من هذا وذاك معا حرص المؤلف على ايجاد عنصر تشويق وجذب للقارىء .

اما فى روايتنا فان عنصرى الغموض والتشويق يأتيان من هذا الخلط المتصل بين تيسير الصبية التى احبها البطل فى صباه وجنان زوجة صديقه تيسير ، والتى احبها لتشابه شخصيتها مع شخصية اول حبيبة . فنراه يقول على جنان : كانت هى واقفة عند الباب هى تيسير الصغيرة وهى ترمقنى بنظرتها الطويلة من وراء الستار الذى يغطى النافذة .« (ص ١٢٨) » . وعندما كان ذات مرة برفقة جنان نسمعه يقول: تذكرت الحلم فتركتها تبتعد وأردت أن اناديها . ولكن ، هل اصيح بها : « تيسير » كما فى الحلم ؟ مجرد الفكرة جعلتنى اقشعر « (ص ١٥٢) » .

فهذه الازدواجية بين الحلم والواقع، بين تيسير حبيبة الطفولة وجنان حبيبة الرجولة ، هى التى اضفت على العمل الفنى غموضه ووهبته عنصر التشويق .. ●●

المحاسن والأضداد

د . محمد عبد المنعم خفاجي

ـ ١ ـ

الجاحظ عمرو بن بحر ، ابو عثمان (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ : ٧٦٧ ـ يناير ٨٦٨ م) علم من اعلام العرب الخالدين ، وامام من أئمة الفكر والادب والثقافة ، وشيخ من شيوخ النقد والبيان وعلوم الدين .

عاش أكثر من قرن من الزمان ،وشهد حضارة الاسلام الزاهرة في عصر المنصور والمهدي والرشيد والمأمون والمتوكل ، وعاصر التطورات الروحية والسياسية والاجتماعية ، والعقلية والادبية ، التي آلت اليها حياة العرب والمسلمين في ظلال العصر العباسي الاول ، ونال من تقدير عصره ، وتكريم أمته ، ما لم يلله مفكر .

كان اماما من أئمة المعتزلة ، وصاحب مذهب من مذاهبهم سمي (الجاحظية) وكان كذلك عالما من اكبر علماء جيله ، ومفكرا من أجل مفكري عصره ، كتب بطريقة علمية مبتكرة في النبات والحيوان وفي الاجتماع والتربية ، وفي الطب والكيمياء ، وفي الفلك والجغرافيا والتاريخ وعلم النفس ، وفي القصة والنقد والبيان والتراجم وغيرها . وكان يقوم مذهبه في البحث العلمي على الشك ويقيم آراءه على التجربة ، ويجمع آراء السابقين والمعاصرين ، وينقد ارسطو والفلاسفة . فكان بذلك موجها للفكر ومعلما للعقل ، ومصدرا اخذ منه فلاسفة العرب ، كما اخذ منه فلاسفة الغرب ، امثال بيكون وديكارت وغيرهما .

وما من أديب ، أو عالم في الأدب ، من أبناء العروبة ، على امتداد الاجيال اليوم ، الا أفاد من الجاحظ ، وأخذ عنه . فهو منشيء مدرسة وطريقة فنية في الأدب ، وصاحب مذهب في النقد ، ومؤسس مدرسة في البلاغة ، وشيخ من شيوخ اللغة ، وعالم من أعمق علماء القرن الثالث الهجري . وينوه به وبادبه وتراثه جميع رواد الفكر والمعرفة على مر الحقب .

ألف الجاحظ أكثر من خمسين وثلاثمائة كتاب ، في مختلف فروع الثقافة ، ضاعت كلها على مرور الايام الا القليل النادر منها .. ومما بقي لنا منها : كتاب المحاسن والاضداد ،وكتاب الحيوان ، وكتاب البخلاء ، وكتاب « البيان والتبيين » ورسائل عديدة ..

ـ ٢ ـ

وكتاب « المحاسن والاضداد » يعد من أصول القصة العربية القديمة ، التي نجد صورا منها في كتب الأدب والتاريخ القديمة ، بل وفي كتب التفسير ، ولا ننسى كتبا مثل الحيوان والبخلاء والاخبار الطوال ، وعيون الاخبار ، والعقد الفريد ، والامالي للقالي ، والاغاني لابي الفرج ، والفرج بعد الشدة ،

وسواها ، والتي عكست لنا مشكلات عصرها الاجتماعية والسياسية ،وصورت لنا حياة المجتمع وتقاليده وعاداته · وفي قصص الف ليلة وليلة وكتاب المكافأة وغيرهما الكثير من الامتاع وروعة التأثير .

و « المحاسن والاضداد » من روائع تراث الجاحظ · وقد جمع فيه ضروبا من الفكر والأدب ، مع سمو الاسلوب ، وروعة المضمون ، وجمال السرد ، وسعة المعرفة ، وغزارة المادة ، وسحر البيان · ويتجلى فيه القدرة على سوق الاخبار والنوادر والقصص وجمع نصوص الادب ، داخل اطار من الفن الانساني الرفيع · وبحسبه انه ينقلنا من الشيء وضده ، في لمحة خاطفة ، وبراعة فائقة

وقد طبع الكتاب طبعات عدة في القاهرة وغيرها ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية برقم ٨٦٥

وقد وقف الباحثون أمام بعض الاعلام التي وردت في الكتاب · وهي متأخرة عن عصر الجاحظ قليلا ، موقف الشك في تسمية الكتاب الى أبي عثمان · ومن هذه الاعلام : ابن المعتز (٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ) الذي ورد في الكتاب ذكر شعر له (١)،ومنهم :أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف الذي توفي في نحو عام ٢٩٨ هـ ، وقد ورد ذكر شعر فيه لعاصم ابن محمد الكاتب ، نظمه بمناسبة حبس أحمد له (٢) · ومنهم كذلك أبو علي الاسكري المصري (٣) ، وهو من جلاس الامير تميم بن تميم بن المعز الفاطمي ، وتميم بن المعز من شعراء مصر المجيدين وقد توفي عام ٣٧٤ هـ ، وتوفي ابنه تميم بعد ذلك ·

وورد في الكتاب أيضا تاريخ عام ٣٤٠ هـ ، كما ورد فيه كذلك اشارة الى أحداث تاريخية حدثت عام ٢٩٤ هـ ·

وفيه تنويه شديد بالحسن بن علي وبلاغته (٤) في فصل « محاسن المفاخرة » ، مما يصح حمله على روح التشيع ، وهي غير معروفة عن الجاحظ وقد يمكن أن نقول : ان هذا التنويه لا يحمل معنى أكثر من الرغبة في ذم الأمويين ·

وممن أكد نسبة الكتاب للجاحظ محيي الدين بن عربي في كتابه « محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار » ·

ويقول محمد كرد علي في كتابه «امراء البيان » (٥) ان الكتاب كله اوجله من قلم الجاحظ ، أو جمعه بعض العلماء من كلامه وكلام غيره · وهذا رأي « بروكلمان » أيضا ، فهو يقول : انه مجموعة ضمت الى كتاب صحيح النسبة للجاحظ قصصا وأخبارا من كتاب يحمل نفس التسمية للبيهقي ، وهو من أصحاب ابن المعتز · كما أضاف الى القسم الثاني عن النساء والحب والزواج نوادر ساسانية وعربية قديمة ومعاصرة (٦) ·

ورأيي يتمشى مع هذا الرأي · فكل ما في الكتاب من اضافات متأخرة عن عصر الجاحظ هي من زيادات النساخ ، سواء كانت هذه الزيادات من كتاب البيهقي ام من كتاب غيره ·

ويؤكد نسبة الكتاب للجاحظ موسوعية الثقافة التي يتضمنها ، وهذه الموسوعية الشاملة التي ترجع الى الأدب العربي ، والى آداب الفرس والهند واليونان وغيرهم هي من روح الجاحظ · فوق أن مدح الشيء وذم ضده مما كتب فيه الجاحظ كثيرا في كتبه ·

ـ ٣ ـ

و « المحاسن والاضداد » يتضمن نصوصا ادبية كثيرة ، جاهلية واسلامية ومحدثة ، ويذكر الجاحظ فيه محاسن

(١) ص ١ / ٤٧ ، ٤٨ و١٣١ المحاسن والاضداد ـ سلسلة كتب الثقافية ـ العدد ١٠ ، ١١
(٢) ٤٦ /١ المرجع نفسه
(٣) راجع ٩٢/٢ المحاسن والاضداد
(٤) ١٠١/١ ـ ١٢٠ المرجع نفسه
(٥) ٣٣٢/٢ امراء البيان ·
(٦) ٢ : ١٣٧ تاريخ الادب العربي لبروكلمان .

كل من الكتابة والمخاطبات والمكاتبات والجواب وحفظ اللسان وكتمان السر ، والمشورة والشكر والصدق والعفو ، والصبر على الحبس ، والمودة ، والولاية والصحبة أو الصداقة ، والتطير ،والوفاء والسخاء والشجاعة ، وحب الوطن ، وطلب الرزق ، والمواعظ ، والزهد ، والنساء ، والتزويج ، والغيرة والهدايا، ومحاسن وفاء النساء ، ومحاسن الوصائف المغنيات ، ومحاسن الفتيات ، ومحاسن الموت ، في افاضة وجمال وامتاع .

ثم يذكر اضداد اغلب هذه الاشياء .. بقدر كبير من الذوق الرفيع ، والاختيار الجميل ، والاستطراد البليغ، والاثارة للقاريء ، والامتلاك لزمامه ، مما هو من خصائص بلاغة الجاحظ ، التي عرف بها ، وعرفت به .

ويحتوى الكتاب على كثير من روائع الأدب والقصص والاساطير والفكاهات والنوادر والطرائف وبلاغات العرب ، كما يحتوى على قصص ونوادر ساسانية وعربية قديمة ومعاصرة ، وعلى قصص هندية على لسان الحيوان ، مما يشبه في منحاه « كليلة ودمنة » التى ترجمها ابن المقفع الى العربية ، وذلك كقصة الملك بلاش بن فيروز الفارسي مع أبنة ملك الهند ، وهي قصة طويلة . وفيه قصيدة شعرية قصصية لشهاب بن حرقة السعدى الأموى (٧)

ومن طرائف ما ذكره عن رجل من البخلاء ، قال : كان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ، ثم يقول له : كم من مدينة قد دخلتها ، ويد قد وقعت فيها ، الآن استقر بك القرار ، واطمأنت بك الدار ، ثم يرمي به في صندوقه ،فيكون آخر العهد به (٨)

وما ذكره عن عمر من تقديمه الموالى على أشراف قريش (٩) ، وكلام ابن القرية للحجاج في تخير الزوجة ، وكتاب الحسن بن وهب الى المتوكل في يوم نيروز .

ـ ٥ ـ

ان كتاب « المحاسن والاضداد » ليعد من اصول القصة العربية ، وهو تمهيد رائع لنشأة قصص المقامات العربية ، على يدى البديع الهمذاني (ـ ٣٩٨ هـ) وغيره ، بل هو تمهيد كبير لقصص الف ليلة وليلة العربية التي غزت العالم المتحضر ، والتي هي في الاغلب الاعم قصص عربية دون شائبة ، واذا انكر بعض كتاب الغرب ذلك فان الرأى العالمى يقر به ، فقصص الف ليلة معروفة في أنحاء الدنيا بأنها قصص عربية ، وقد اسهمت في خلق القصة الأوروبية الحديثة ويكفي ان تدرك ان ثلاثة كتاب أوروبيين بنوا مجدهم الادبي على اساسها : وهم : بوكاشيو (١٣١٣ ـ ١٣٧٥ م) وشوسر (١٣٤٠ ـ ١٤٠٠ م) ودون جوان صاحب كتاب « الديوان » الذى يضم مجموعة من تلك القصص مترجمة الى الأسبانية (١٠) .

و « المحاسن والاضداد » يعطينا المفاتيح لدراسة فن القصة عند الجاحظ من شتى أصولها الفنية . وفضلا عن ذلك فمادته الاسلوبية اتخذت اساسا

(٧) ١ : ٨٣ المحاسن والأضداد .
(٨) ١ : ٧٠ المرجع نفسه
(٩) ١ : ١٢١ المرجع نفسه
(١٠) ١١٦ و ١١٧ القصة العربية القديمة ـ محمد مفيد الشوباشي ـ سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٠٦

كتب ... وكتاب
باب جديد
تقدمه الهلال في الاعداد القادمة

لتعليم اللغة ، مما ظهر أثره في كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة (ــ ٢٧٦هـ) وفي كتاب « الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمداني » (ــ ٣٢١ هـ) ..

وان شئت فاقرأ مثلا قول الجاحظ في المحاسن والاضداد : وفي الدعاء للمسافر (تقول) : بأيمن طائر ، واسعد طائر ، ولا كبا بك مركب ، ولا تعذر عليك مطلب ، سهل الله لك السبيل ، وانالك القصد ، وطوى لك البعد بيسرة الظفر ، على الطائر الميمون والكوكب السعد ، كان الله لك في سفرك ، بصرك الله محلك ، وهداك رحلك ، ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا ، باسعد جد ، واحمد عاقبة ، اشخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة ، آيبا بالنجح (١١) الخ .

وفي الكتاب الكثير من المجالس الأدبية الرائعة (١٢) ،والحوار الأدبي البليغ ، والنصوص الشعرية والنثرية المأثورة ، التي تدولت ولا يزال يتداول بعضها على السنة الأدباء والكتاب والخطباء والبلغاء والمتحاورين والمتناظرين .

ثم ان الكتاب يعد أساسا لنشأة مجموعة من الكتب سميت باسم المحاسن والاضداد حينا ، وباسم المحاسن والمساوىء حينا آخر ، ومنها كتاب المحاسن للبيهقي الذي كان من اصدقاء ابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر ، واعتمد في كتابه على الجاحظ وكتابه(١٣)

وفضلا عن ذلك فان مادة الكتاب استغلت في كتب للتربية والوعظ والحكمة الفت في عصور كثيرة من تاريخنا الثقافي ، ومنها مثلا كتاب « أدب الدنيا والدين » للامام الماوردي الذي ألفه على نمط قريب من نمط الجاحظ في كتابه « المحاسن والاضداد .

بل ان مادة الكتاب قد افاد منها جميع الكتاب والمؤلفين في علم السياسة بدءا من ابن قتيبة في كتابه « عيون الاخبار » الى الماوردي في كتابه « الاحكام السلطانية » والفخري والطرطوشي في كتبهما في السياسة وتدبير الملك .
كما أن كثيرا من نصوص الكتاب قد استغلت في كتب الامالي المعروفة في الأدب العربي ، ككتاب الامالي للقالي القرطبي (ــ ٣٥٦ هـ) ، وكتاب أمالي المرتضى ، وكتاب امالي ابن الشجري ، وغير ذلك .

وفي الكتاب مادة واسعة للامثال العربية واصلها وتاريخ بعض استعمالاتها مما كان مادةعلمية سار علىضوئهاالمؤلفون في الامثال : مثل الميداني مؤلف كتاب (الامثال) وهو كتاب مشهور .

وعلى الجملة فان كتاب « المحاسن والاضداد » لأبي عثمان الجاحظ من أمتع المؤلفات الجاحظية ، ومن الطف الكتب العربية التراثية .واكثرها امتاعا وفائدة، وهو مادة أدبية شيقة وله اهمية في دراسة تراثنا الأدبي القديم ، وفي الافادة منه في معرفة النشأة الاولى للمؤلفات العربية في فنون الأدب .

(١١) ١ : ٩٤ المحاسن والاضداد
(١٢) يراجع مثلا : ٤ : ٢/٦ في مجلس ادبي لابي نواس مع طبقته من الشعراء .
(١٣) ٣ : ١٣٥ تاريخ الادب العربي لبروكلمان

سيد درويش

موسيقار الشعب

● بقلم وريشة : ابراهيم الكردى ●

فى مثل هذه الايام منذ نيف وخمسين عاما ، رحل عن الدنيا عبقرى موسيقى العصر ـ سيد درويش ..

كان مولده بالاسكندرية يوم ١٧ من مارس سنة ١٨٩٢ فى الساعة التاسعة صباحا بحارة البوابة الشهيرة بحارة الحاج بدوى بشارع السوق (.. الآن شارع الشيخ سيد درويش ، بقسم العطارين) .

وكان الولد الوحيد بعد ثلاث بنات من فريدة وستوتة وزينب ، فكان قرة اعين والديه واكثر اخوته تدليلا ..

● كان والده المعلم درويش البحر نجارا فقيرا ، ألحقه وهو فى الخامسة من عمره بكتاب (سيدى احمد الخياش) بكوم الدكة ، وحينما توفى والده ، وهو فى السابعة من عمره نقلته والدته الى مدرسة (حسن افندى حلاوة) الاهلية وفيها تلقى سيد درويش اول شعاع من اشعة الموسيقى حيث أبدى نبوغا فى حفظ الاناشيد وكان الاول على فرقته

وظل بهذه المدرسة سنتين يحفظ القرآن الكريم ، ثم انتقل الى مدرسة (شمس المدارس) التى كان بها مدرس اسمه (نجيب أفندى فهمى)يحفظ اغانى الشيخ سلامة حجازى . وسمع الطفل سيد وهو يغنى فاعجب به واحبه فلقنه اغانى الشيخ سلامة حجازى .

وبعد الانصراف من المدرسة كان سيد يجتمع بزملائه بمسجد سيدى (حذيفة اليمانى) ويغنى لهم الحان الشيخ سلامة حجازى والحان الاستاذين ندا والازهرى فكان أهل الحى يطربون من هذا الطفل العجيب ويصفقون له ويشجعونه ..

ثم التحق بالمعهد الدينى بالاسكندرية ولبس الزى المعمم وكان ترتيبه الاول فى امتحان النقل من السنة الاولى الى السنة الثانية وكان يقوم بأداء الأذان الشرعى بمسجد الشوربجى ، وكان يقوم باحياء حفلات خاصة لاصدقائه حتى اشتهر وذاع صيته . ولكن ذلك لم يعجب المعهد الذى كان يدرس به والذى لم يلبث أن طرده بحجة عدم مثابرته على العلم . فترك المعهد الدينى ليتفرغ لخدمة السيرة النبوية الشريفة وليستمر فى هوايته المحببة .

وكان يشبع نهمه للموسيقى بالاستماع الى كبار الموسيقيين أمثال ابراهيم القبانى وداود حسنى ـ وحفظ الحانهم

● فى هذه الظروف تزوج سيد درويش وهو فى السادسة عشرة من عمره ، ولم يمض قليل على زواجه حتى كسدت سوق عمله ، وضاقت الدنيا فى وجهه ، ولم يجد الا أن يعمل (مقاول بياض) فى احدى العمائر التى يجرى



● سيد درويش ●

تشبيدها • وكان يغني للعمال من فوق السقالات ، مما يجعل انتاجهم يزداد • وفي ذات يـــوم كـــان يجلس في المقهى المقابل لعمارة الاخوين امين وسليم عطا الله • فاعجبا بصوته ، وطلبا منه السفر مع فرقتهما الى سوريا ليغني بين فصول الروايات فقبل لقاء أجر زهيد • وهكذا دخل سيد درويش عالم المسارح والملاهي الذي سيكون عالمه المفضل فيما بعد •

● كانت الرحلة الاولى في حياته سنة ١٩٠٩ حينما كان في السابعة عشرة من عمره ورزق بولده محمد يوم سفره ، وأمضى في سوريا عشرة اشـــهر تعرف خلالها بالاستاذ عثمان الموصلي واخذ عنه كثيرا من التواشـــيح كما حفظ كثيرا من الأغاني التي ســـمعها في البـــلاد التي نزل بها ، ولكنه لم يحقق ما كان يصبو اليه ، وفشلت الرحلة •

● عاد الشيخ سيد ليستانف نشاطه في مسقط راســـه •• اذ كان عليه ان يكافح للحصول على رزق أسرته فعمـــل ثانية بالمقاهي ،استمع اليه الشيخ سلامة حجازي واعجب به وشـــجعه وتمنى له مستقبلا عظيما •

صعود نجمه :

وتوالت فترات جهـــاده ومعاناته من اجل فنه ، حتى تفتحت له أبواب النجاح فبدأ يعمل مطربا في (مقهى السلام) ، و (مقهى سلامون) وكان ذلك في عام ١٩١٤ حينما تعرف على سيدة حســـناء فكانت مصـــدرا لالهامه وألحانه ولكنها تركته لتصاحب أحد الصياغ الاغنياء فوضـــع عنها أغنيـــة سرعان ما انتشرت وذاعت وأعادت اليه محبوبته ثانية لتبقى مخلصة له طول عمرها •

وبدات ينابيع الفن تتفجر . وبدأ التلحين ، وأخرج بعض الادوار الغنائية العاطفية الناجحة ، ومنها (زورونى كل سنة مرة) التى تذاع كثيرا هذه الايام ..وغيرها من الادوار المشهورة التى سجلها بصوته على اسطوانات . فذاعت شهرته .

● وعرض عليه الفنان جورج أبيض السفر الى القاهرة ليعمل معه فى مسرحية (لويس الحادي عشر) فسافر سيد درويش ، وكان يغني بين فصول المسرحية فأثار الجماهير التى اعجبت به وصفقت له .. ثم غنى فى حفل كبير فى كازينو البوسفور سنة ١٩١٧ ، واعجب به (نجيب الريحاني) واتفق معه على تلحين رواياته وكانت اول رواية يلحنها له هي (ولو) وقد لاقت نجاحا كبيرا ..

فى هذه الاثناء خلع الشيخ سيد الجبة والعمة ليلبس البدلة والطربوش والياقة وسلسلة الساعة وبدأ يفرض شخصيته على العالم الفنى فى القاهرة .

ثم تقابل مع (بديع خيري) الزجال والشاعر الذى كتب له انجح كلمات الغناء .

وحينما قامت ثورة سنة ١٩١٩ كان سيد درويش على قمة النجاح ، فقد لحن كثيرا من المسرحيات التى انتشرت الحانها بين الجماهير بسرعة خاطفة .. واسهم سيد درويش فى الثورة بالحانه القوية التى كانت تسري بين الجماهير فتثير مشاعرهم الوطنية ، ومنها نشيد (بلادى بلادى) وهو النشيد الرسمى للدولة الآن .

● لقد بدأ سيد درويش بغناء الادوار الشائعة فى عصره ثم اكتشف فى نفسه موهبة التلحين فلحن الاغنية الفردية على نمط الاسلوب السائد مثل الموشحات والطقاطيق ثم المنولوج والاناشيد . ثم اتخذ لنفسه أسلوبا خاصا مميزا لا تقليد فيه ولا اقتباس من الموسيقى الغربية . وكان يتوخى دائما أن يكون اللحن مطابقا للمعنى والروح ..

كان الغناء فى عصره فنا اوستقراطيا منعزلا عن الغناء الشعبى ولكن سيد درويش حقق امتزاجا خصبا بين الموسيقى الارستقراطية والموسيقى الشعبية فقرب بين فن الخاصة وفن العامة ، فاصبحت موسيقاه واغانيه للشعب كله بجميع طبقاته .

وقد الف سيد درويش ستة وعشرين (اوبريت) وصل فيها الى مرتبة رفيعة خاصة منها (البروكة) التى تقف جنبا الى جنب مع اية « اوبريت » عالمية من حيث الحبكة الموسيقية المسرحية وروعة التعبير ، وقوة المؤالف الموسيقية الجماعية .

وقد حاول تلحين (أوبرا) كليوباترا ولكن لم يتح له ان يتمها . كذلك لحن وغنى (عشرة أدوار غنائية) تعتبر بمثابة « سيمفونيات » فى الموسيقى الشرقية الكلاسيكية ، وتعتبر نموذجا للفن الذى يجمع بين التركيب النغمى والطرب الرفيع .

● وذهب سيد درويش الى الاسكندرية ليكون فى استقبال الزعيم سعد زغلول عند عودته من منفاه ـ ولكن القدر لم يمهله للاشتراك فى الاحتفال ، فمات فى بيته فى ١٥من سبتمبر سنة ١٩٢٣ بمدينة الاسكندرية حيث دفن فى المنارة الشرقية .. ولم يشعر احد بوفاته ولم يسر خلف جنازته الا عدد قليل .. مات ، ولكنه ترك آثار فنه حية خالدة فى موسيقاه التى كانت اللبنة الاولى فى نهضة الموسيقى العربية الشرقية الاصيلة .

قضية للمناقشة

الشعر والنقد!

كلما تأملت شعر شوقي رحمه الله والهجوم النقدي العنيف الذي تعرض له في ايامه - شعرت بغير قليل من الأسف .. فقد كان هذا الشعر الجميل يشارك في احداث الحياة مشاركة فورية قوية مؤثرة .. كان يتعمقها تعمقا فلسفيا غنيا بالايحاءات ، وكان يتخذ منها دائما منطلقا للحث على العمل الكبير ...

كان شعر الشاعر يلهم وطنه وامته فهما عميقا مرتكزا على خلفية تاريخية طويلة عريضة ويضع يده آسيا مواسيا على مواطن الداء الحقيقية كما تمثلت في الأمية والانتهازية والجشع وعوامل الفرقة وغيرها .. واذا به ، هذا الشعر الراقي الحكيم - يتعرض لتلك الهجمات النقدية العنيفة التي لا تزال لها آثارها حتى اليوم ..

ومن آثارها ، هذا العزوف عما أصبح يدعى بشعر المناسبات ، وقد غدا سبة في جبين الشعر وجبين قائله وأصبح كل متأثر بالاحداث الوطنية والعالمية شاعر مناسبات أو « صانع أشعار حسب الطلب » .. وتلك لعمري افتقدت حياتنا وأدبنا نبعا ثرا من ينابيع الحكمة ، وأخلت منابرنا من هذه الاصوات العميقة النافذة الى القلوب والعقول تهديها الى الصواب وتحثها على البذل وتعلي من شأن القيم والاخلاق في وقت كانت الأمة فيه ولا تزال في أشد الحاجة الى تلك الدعوات الذكية الحكيمة المخلصة الى قيم الحضارة وأخلاقها ..

خطر لي ذلك وأنا أتأمل فلسفة شوقي للموت في قصيدته الرائعة « ذكرى كارنارفون » :

في الموت ما أعيا وفي أسبابه ... كل امرىء رهن بطي كتابه
النفس حرب الموت الا انها ... أتت الحياة وشغلها من بابه
تسع الحياة على طويل بلائها ... وتضيق عنه على قصير عذابه
هو منزل الساري وراحة رائح ... كثر النهار عليه في اتعابه
وشفاء هذي الروح من آلامها ... ودواء هذا الجسم من أوصابه

ثم ينطلق شوقي من هذه الحقيقة انطلاقا ذكيا بارعا الى دعوة الرجال الى عظائم الأعمال :

من سره الا يموت فبالعلا ... خلد الرجال وبالفعال النابه
ما مات من حاز الثرى آثاره ... واستولت الدنيا على آدابه

الا ما أعظم حظ شباب تلك الايام الذين كانوا ينهلون من مثل هذا الينبوع الثر من الحكمة ومن الحض الذكي المخلص على العمل والهمة اذا قيس بما يسمعه

وما يطالعه الشباب فى أيامنا من أشعار الغربة والضياع فى متاهات اللانهاية الزرقاء والحمراء والصفراء !

وغفر الله لنقاد تلك الأيام الذين تحاملوا على هذا الشعر العظيم ولا رحموا صاحبه .. لماذا لم يعجبهم ، على سبيل المثال ، عندما احتفل بانشاء بنك مصر ودعا سراة مصر الى مد يد العون لهذا المشروع الجليل الذى لا تزال أعظم صناعاتها الى اليوم مرتكزة عليه :

سراة مصر عهدناكم اذا بسطت ... يد الدعاء سراعا غير بخال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا ... رايا لراى ومثقالا لمثقال
هذا هو الحجر الدرى بينكم ... فابنوا بناء قريش بيتها العالى

وماذا على شوقى لو شارك البلاد حفاوتها وترحيبها بالرحالة المصرى الكبير احمد حسنين بعد أن قام برحلته الاستكشافية الشاقة فى الصحراء الغربية ودعا شباب مصر الى الهمة والسعى وبناء المجد لهم ولمصر :

قل للشباب بمصر : عصركم بطل ... بكل غاية اقدام له ولع !
اس الممالك فيه همة وحجى ... لا الترهات لها اس ولا الخدع
يعطى الشعوب على مقدار ما نبغوا ... وليس يبخسهم شيئا اذا برعوا

نعم ! كلما تأملت هجوم الدكتور طه حسين وهجوم العقاد رحمهما الله على هذا الشعر ـ شعرت بالاسى والاسف .. فقد استقرت أفكارهما استقرارا فى اذهان جيلهما والجيل التالى ، وحملت الكتب المدرسية والجامعية هذه الافكار حتى تغلغلت فى النفوس وأصبح الانفعال والتفاعل مع الاحداث والدعوة الى ما يسدد الخطى على طريق الخير والصواب أمرا يوجب الاعتذار ..

ففى قصيدة لى ـ على سبيل المثال ـ دعوت الى بعض القيم الحضارية أحسست ان على ان أعتذر او أرد على اعتراض محتمل ـ فقلت فى آخرها :

كم قائل لى : حكمة وخطابة ... اتعيد « موضتها » القديمة ثانيا !
واقول كلا بل دواء عاجل ... تقضى الضرورة أن اكون مداويا
فاقرأ من التاريخ حيثياته ... من قبل ان تر فى المنصة قاضيا

لقد اعتقد اكثر نقادنا الكبار رحمهم الله أن الشعر الاوروبى هو المثال الذى ينبغى أن يحتذى .. واعتقدوا أن مذاهبه المتنوعة دليل على الحياة والنشاط والغنى ، وانما كانت تلك المذاهب فى حقيقة الامر تعبيرا عن المحنة التى عاناها الشعر هناك بعد أن اخذ يفقد مضمونه الاساسى ممثلا فى القصة السردية (الملحمة) والحوارية (المسرحية) حيث ذهبتا الى النثر ، وتركتاه ـ بموسيقاه الضيقة وبحوره القليلة ـ يحاول أن يكون شعرا ذاتيا ، بعد أن أمضى عمره الطويل منذ عهد اليونان ، شعرا قصصيا راويا للاحداث والوقائع ..

ولقد حاول « ت ٠ س ٠ اليوت » عندهم أن يحتفظ بالشعر المسرحى دون جدوى ، فالمسرحية كانت قد وجدت فى النثر ميدانها الحقيقى وأقبل الاوروبيون اقبالا عظيما على شعر الشرق الغنائى ، كما مثلته رباعيات الخيام ..

بل ان الدكتور احسان عباس يذكر فى كتابه «فن الشعر» واقعة تشير الى أن أول من دعا الى التحول الى الشعر الغنائى ونادى بنقض نظرية المحاكاة الارسطية هو سير وليم جونز الذى كان دارسا للشعر العربى ٠

وهذا الاتجاه استمر بقوة عند الناقد الانجليزى جراى الذى وجد ان الاسلوب الشعرى فى الشعر الغنائى بما يحتويه من آيات العاطفة وفنون الابداع وحرارة الشعور وموسيقية اللفظ ـ اسمى من اى اسلوب شعرى آخر ، وان اسلوب الشعر القصصى واسلوب الملاحم بارد العاطفة باهت اللون خال من الروعة الشعرية ، واننا اذ نترك الغناء الى القصص انما نترك الشعر الى النثر !

ومع هذا فلم يكن الشعر الغربى قادرا على أن يكون شعرا غنائيا ناجحا ، لان خبرته قليلة بهذا الميدان الذى لم يوله الاهتمام الا حديثا اذا قورن بخبرة الاشعار الشرقية الطويلة فى هذا المجال .. كما أن أنغامه القليلة عددا ، تعوق تحقيق هدفه هذا ، وهل هناك أدل على ذلك مما عبر عنه «فاليرى» من القلق ازاء

موسيقى الاوركسترا وطاقتها الضـــخمة مقارنا اياها ، بفقر المصـــادر اللغوية ؟ كذلك ما حاوله فاليرى والرمزيون من تحويل الشعر الى موسيقى خالصة الامر الذى جعلهم يتحولون بدلالات الالفاظ تحولات غريبة شاذة حتى انتهى هـــذا المذهب بنهاية مؤسسه « مالارميه » ؟

ان جميع الحركات الشعرية الغربية منذ الرومانتيكية ، هى محـــاولات من هذا الشعر الغربي للتحول الى الغنائية بعد فقدانه لمضمونه القصصي . وهـــذه المحاولات بما تعرضت له من الاضطراب والتناقض فيما بينها ـ هى تعبير عن اخفاق ذلك الشعر فى التحول بسبب هذا العيب الاســـاسى فيه ، وهو ضعف الموسيقى ذلك الضعف الذى احسه وعبر عنه بصراحة رجال الرمزية فى الشعر الفرنسى .

***

كان محمود سامي البارودى قد أقام الجسر بين العصر الحديث وبين المنـــابع الثرة للشعر العربي في عصوره الزاهية فعل ذلك نظـــريا بمختاراته وعمليا بأشعاره ذاتها ومهد الارض لجيل التجديد العظيم : اسماعيل صبرى ، وشوقى وحافظ ، وغيرهم .. حتى جاء نقادنا الكبار ـ رحمهم الله ، واعتقد أكثرهم أن الحركات التي يعج بها الشعر الغربي هى علامات صحة وقوة وغنى وابداع ، فاتخذوها مثالا ودعوا اليها بكل ما وسعهم الجهد ، ووقفوا فى وجه اســـتمرار مد ذلك التجديد واتهموه بالتخلف والجمود والجهل والتكلف ..

واليوم ، وأنا أتأمل الاثنين : الشعر والنقد ـ اشعر بذلك الاســـف الذى عبرت عنه فى صدر هذه الكلمة وأشعر بمدى الخســـارة التى حلت بالشـــعر العربى ، أولئك النقاد العظام لم يتريثوا فى حكمهم قليلا ، بل اندفعوا يضعون العقبات فى طريق التجديد ..

كانت ثورتهم تهدف الى جعل الشعر العربي نسخة عربية من الشعر الاوروبى بينما سلك المجددون طريق الاعتدال : حفاظ على المقومات الموسيقية الوفيرة العميقة للشعر العربى ـ وهى مقومات لم تتوفر مطلقا لشعر آخر ـ وحياة فى عصرهم وتفاعل موضوعاتهم ومعانيهم بهذه الحياة ..

وحينما طغت موجة « الثورة الشعرية المحتذية للنموذج الغربى » طغيانهــــا وتحول الشعر الغلب الشعر الى عبث أو ما يشبه العبث ـ وقف الاستاذ العقاد نفسه ضد هذا التيار الجارف لاصالة المقومات الفنية وحتى المنطقية .. وقف ضد التيار الذى شارك هو فى بدايته مشاركة قوية فعالة ..

وكانت وقفة محمودة ولكنها جاءت متأخرة !

***

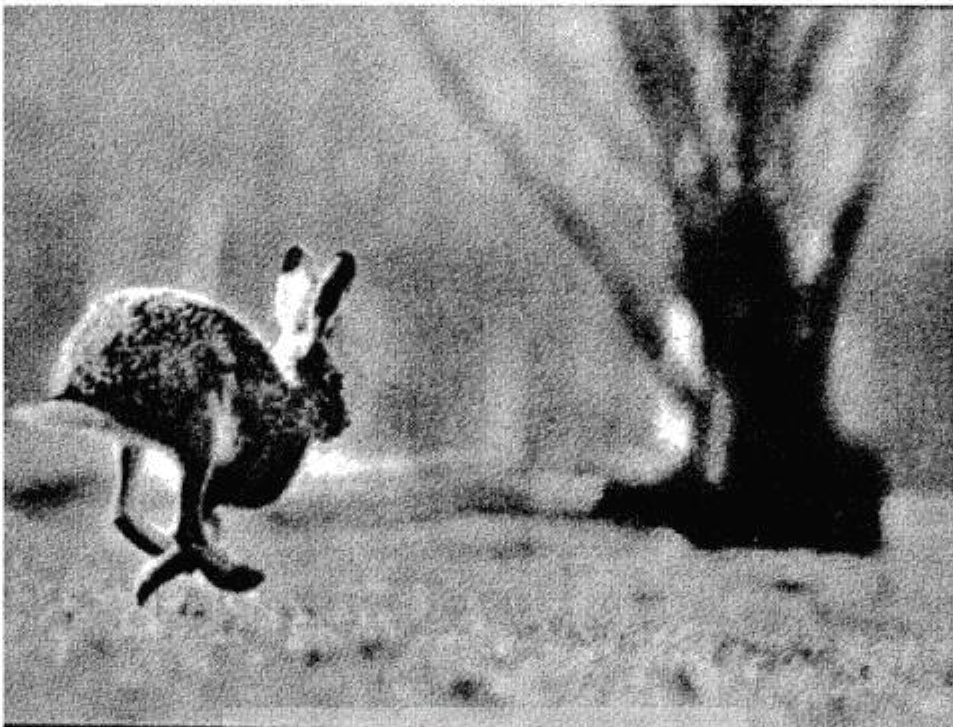
انني لا أريد أن يحل اتجاه شعرى محل اتجاه آخر الا على أساس من الفهم العميق والتقدير الصحيح . وما فعله البارودى كان مبنيا على هـــذا الفهم . وهذا التقدير ونتيجته تمثلا فى جيل شعراء التجديد الذى حمل لواء التصـــوير المتزن .. ولو لم تكن مذاهب الشعر الاوروبى المختلفة مجرد تعبير عن أزمة ومحنة يمر بها ذلك الشعر الذى يحاول مجرد أن يكون له كيانه الغنائى بعد ان فقد كيانه القصصي ـ لو لم يكن الامر كذلك فما كان أسعدني أن نتخذه مثالا ونموذجا .. لكن كيف ذلك وهو نفسه يحاول احتذاء النموذج الشرقى الغنـــائى فلا يستطيع لضعف موسيقاه ؟

د . صلاح عيد
الكويت

من عجائب خلقه :

الأرنب

هذا الارنب الوديع الجميل يتمتع بقوى لا تصدق ..
فهو يلتهم من خراب الارض خمسة امثال وزنه فى اليوم اذا استطاع وهو يعدو بسرعة ٨٠ كيلو مترا فى الساعة .
ومن هذه الناحية لا يجاريه حيوان آخر على الارض .
وهو يضرب اقوى الثعالب والذئاب والكلاب بساقيه الخلفيتين ضربة قاتلة اذا تمكن من احدها .
وهو يحفر لنفسه نفقا فى الارض يصل عمقه الى عشرين مترا وفى نهاية النفق يصنع غرفة له ولاسرته .
وهو يقفز فى ذلك النفق من بعد خمسة امتار ..
وهو اذا دخل النفق ظل يضرب بساقيه الخلفيتين والويل لاى حيوان أو انسان تصيبه الضربة .
وهو ماكينة توالد . فان الارنبة تحمل وتلد ست مرات فى السنة . وفى كل حمل تضع ستة ارانب ..
وهى تجمع فى رحمها بين حملين فى آن واحد ..



عند اصل هذه الشجرة يوجد باب جحر الارنب وهو هنا يعدو باقصى سرعته لان عدوا يطارده، فاذا اقترب من مدخل الجحر قفز قفزة تصل الى مترين وهبط داخل الجحر حيث لا يدركه احد.

الحقيقة الكبرى في حياة الارانب معروفة، وهي قدرته على الانجاب. والحق أن قدرة الارانب على التوالد تفوق كل تصور، ولو عاشت كل الارانب التي تولد لغطت اليابسة كلها بطبقة من الارانب سمكها اربعة امتار! لان الارنبة تستطيع أن تلد في السنة ست مرات، في كل مرة تخرج الى الدنيا ستة ارانب، ويحدث كثيرا أن الارنبة الحبلى تحبل مرة اخرى قبل أن تلد والى جانب الكيس الذى يضم الارانب الستة من حملها الاول ينشأ في رحمها كيس آخر فيه ستة أرانب أخرى، فتلد الارنبة هذا الشهر ستة ارانب ثم ستة اخرى في الشهر التالي!

والارنبة لا تظل دون حمل يوما واحدا فان موسم اللقاح بالنسبة للارانب عشرة اشهر من يناير الى اكتوبر، وخلال هذه المدة لا تمر بالارنبة الا ان تحمل وتلد، فهي تلد في الاسبوع مثلا وتأخذ في ارضاع اولادها، ولكنها لا تضيع وقتها، فهي تترك الصغار وتمضي لتحمل ثم تعود، وهي لا تعاني اي صعوبة في الولادة، لان الكيس الذى يضم الاولاد ينزلق في يسر الى خارج الرحم، ثم ينفجر ويخرج الاولاد دون أن تشعر الارنبة.

ولكن هذا النسل الكثير لا يعيش الا اقله، ربما لحسن الحظ لان اعداء الارانب كثيرون، اكبرها الثعالب والذئاب وبنات آوى والكلاب البرية والقطط وبنات عرس والطيور، وهذه كلها تعتمد اساسا على الارانب وامثالها في طعامها. ثم ان النبات من



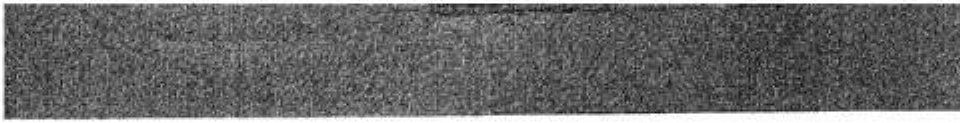
اسرع الحيوانات التي تطارد الارانب هي الكلاب ، وخاصة كلاب الصيد بشتى انواعها ، ولكن اسرع انواع الكلاب لا يمكن ان يلحق بالارنب لانه يجرى بسرعة ٨٠

الطبيعة وخاصة البرد الشديد ، لان الارانب التى نعنيها هنا هى الارانب البرية التى تعيش فى الغابات واراضى المراعى والحشائش ، وتسكن فى انفاق تحت الارض • ومهما كان النفق طويلا وعميقا فان المياه تتسرب اليه ، وتتجمد فى ليالى الشتاء القارسة البرد •

***

وليس فى الدنيا حيوان هو أمهر فى حفر الانفاق تحت الارض من الارانب ، فهى تعمل بمهارة وسرعة ، وتحفر بيديها فاذا تعبت يداها استدارت وحفرت بأقدامها الخلفية ،وهكذا تظل تعمل حتى

وسعة النفق لا تزيد على ثلاث بوصات أى ثمانية سنتيمترات ، ويتعمد الارنب أن يجعل فى النفق مناطق اختناقات لا يزيد اتساعها على خمسة سنتيمترات ، وذلك حتى يستحيل على الثعالب وبنات آوى التوغل فيها • ولهذا يندر أن تستطيع هذه الكواسر أن تتعقب الارنب فى مخبئه • فقد يصل طول النفق الى عشرين أو ثلاثين مترا ، ثم ان الارنب اذا دخل وكره وأوغل مترا استدار وصار بخلفه لكى يتلقى اعداءه بيديه ، ويداه فيهما أظافر كأنها من الفولاذ تستطيع أن تصيب وجه مطارده بجروح خطيرة • وفى أحيان كثيرة ، عندما يشتد الصراع





كيلو مترا فى الساعة ، ويضرب مطارديه بساقيه الخلفيتين ضربة هى اشبه بقذيفة مدفع .

يخرج الارنب منتصرا اذا تمكن من خمش وجه عدوه واسالة دمه بغزارة .

***

واكبر اسلحة الارنب هى ساقاه الخلفيتان ، فهما فى غاية القوة ، وهما تساعدانه على الجرى بسرعة لا تصدق ، لانه لا يجرى بل يقفز قفزات سريعة متوالية ، وتصل سرعة الارنب الى ٨٠ كيلو مترا فى الساعة ، وهى سرعة لا يفوقه فيها غير الفهد الاسود ، ولكن الفهد لا يستطيع العدو بهذه السرعة اكثر من ربع ساعة ، اما الارنب فيستطيع هنا فانه يعجز اى حيوان يتعقبه ، ومهما فعل الثعلب او ابن آوى فهو لا يستطيع اللحاق بالارنب ، اما الكلب فيستحيل عليه اللحاق بالارنب فى اى سباق ، حتى كلاب السباق ذات الاقدام الطويلة لا تستطيع اللحاق بالارنب ، ونحن لا نقصد هنا ارنب البيت ، وانما المراد الارنب البرى ، وحجمه يصل فى كمال قوته الى ثلاث او اربع مرات حجم الارنب البيتى .

والارانب البرية ليست صنفا واحدا، بل هى اصناف كثيرة تتفاوت فى الحجم والشكل ، واكبرها ارنب الغابات ، وهو حيوان فى غاية القوة والصلابة ، وهو



الارنب البرى حيوان عائلى او عشرى مع ان عائلته لا تدوم اكثر من شهور ، وتنتهى بنهاية الصيف ، ثم ينام نوم الشتاء ويصحو فى الربيع لينشىء عائلة اخرى ، وها هو يداعب عروسه فى الربيع .

فى المراعى الوفيرة العشب تتجمع الارانب وتلعب وتتصارع وتتنافس وتلهو ، ولهوها فى الغالب يتصل بالانجاب ، وفى هذه المجموعة من الصور ترى صراعا بين ارنبين وجدا ارنبة واجتهد كل منهما فى الفوز بها ، ثم انتهت بانهزام الاضعف وهربه .

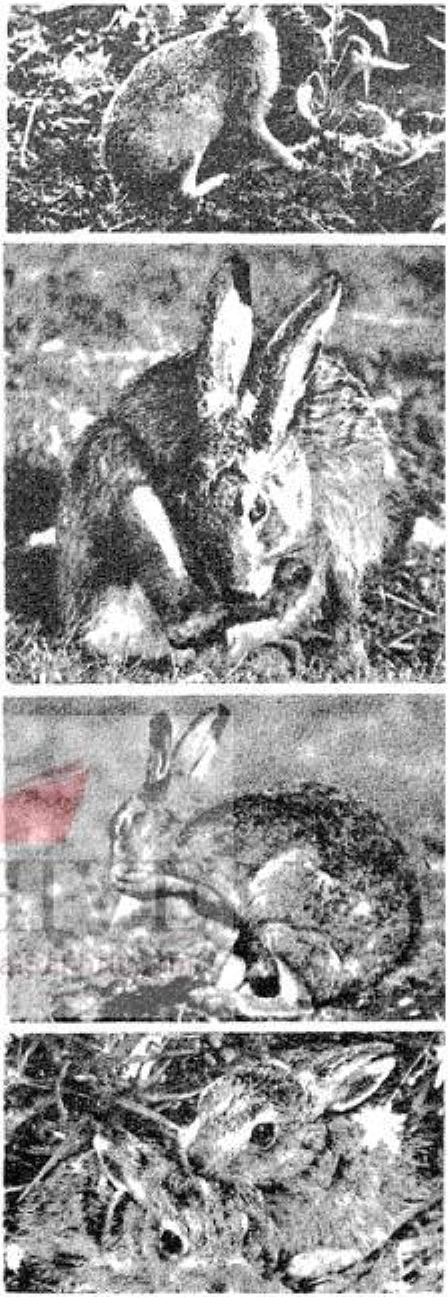




آذان الارنب من علاماته المميزة ، وهى ليست مجرد أجهزة للسمع بل هى اجهزة للترطيب ، لان الارنب اذا عدا بسرعة كبيرة ارتفعت حرارة جسمه الداخلية الى درجة فوق ما يتحمل جسمه فينشر اذنيه فى الهواء فتهبط حرارته فى الحال •

يأكل الارنب كثيرا ، ولكنه لا يأكل بغير حساب ، فقد منحه الله قدرة على تنويع طعامه ليحصل على كل الفيتامينات والمعادن اللازمة له ، وقائمة طعامه طويلة لا يعرفها الا هو •

لكل ارنب ذكر فى الطليعة مجال لايسمح لارنب آخر بان يتخطاه ، وهو يعين حدود ذلك المجال بأحجار يرصها على حدوده ويبول عليها ، ورائحة بوله هى التى تقرر ان هذا مجاله •



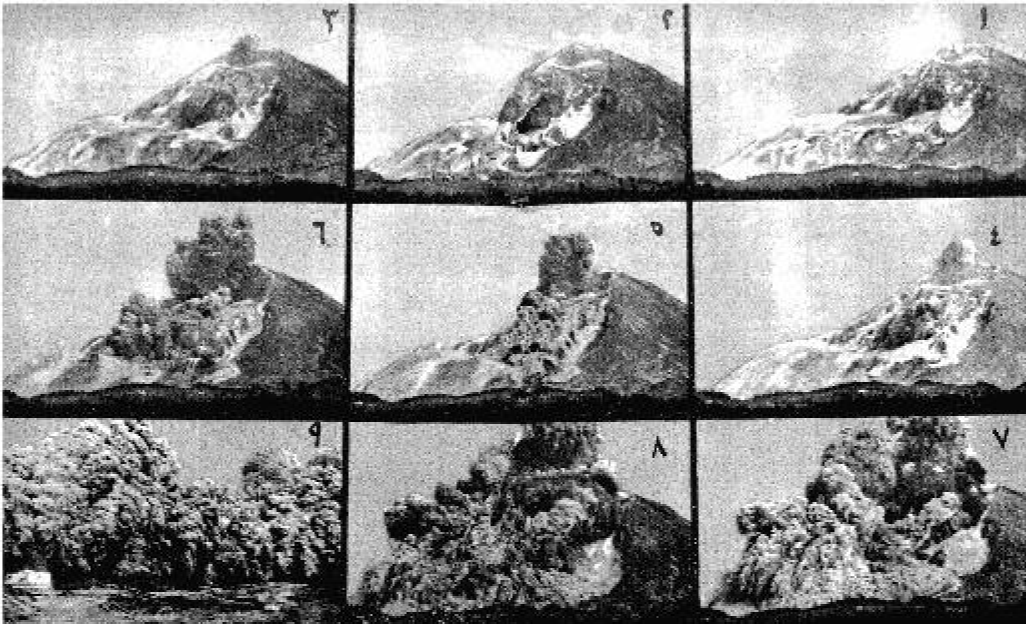
الارنبة مصنع هائل ، فلا عمل لها في الحياة الا ان تأكل وتحمل وتلد ، ولها في سرجها غدة تفرز سائلا ذا رائحة تجتذب الذكور .

ليس جبانا كما يظن ، بل هو في غاية الشجاعة ، ونادرا ما يخسر معركته مع عدو . وهو يلجأ دائما الى سلاحه الاكبر وهو العدو ، وهو لا يعدو خوفا ، بل لانه يعرف ان هذه أضمن وسيلة للخلاص من القتال ، فاذا حوصر ووجد الا مفر له من القتال استدار ووقف على قدميه الخلفيتين وقفز على خصمه بقوة هائلة كأنه قذيفة مدفع ، وهو اذ يقفز يجعل اظافر يديه امامه ، فيصيب عدوه اصابة خطرة . وكلاب الصيد تعرف ذلك ، ولهذا فهي في الغالب لا تهاجم الارنب منفردة ، بل يهجم الجمع منها على الارنب الواحد وهي تزمجر وتعوى ولا تلبث ان تمزق الارنب المسكين اربا .

والارنب من أكثر الحيوانات أكلا ، فهو لا يكف عن الاكل طول النهار ، وما دام هناك شيء يؤكل فهو لا يتوقف ولا يشبع ولا يتعب فكه ، ويزيد مشكلة أكله انه يفضل الثمار التي تنمو في باطن الارض كالجزر والبطاطس وابصال النباتات والزهور واللفت وما اليها ، وهو يلتهمها بصورة مخربة ، لانه لايكمل أكل ثمرة واحدة ، فقبل أن ينتهي منها يأخذ الاخرى ، بل يقضم منها جميعا ، وترجع سرعته في الاكل الى حرصه دائما على الهرب ، فهو يمضغ بسرعة عجيبة كأن فمه ماكينة ، أما الحشائش فهو يمضغها نصف مضغ ثم يبتلعها ، ويستطيع زوج من الارانب البرية أن يقضي على حقل جزر مساحته عشرة امتار مربعة في نصف يوم ، ولهذا فان الفلاحين لا يحبون الارانب البرية ويطاردونها فهي في الواقع خطر جسيم على المحاصيل .

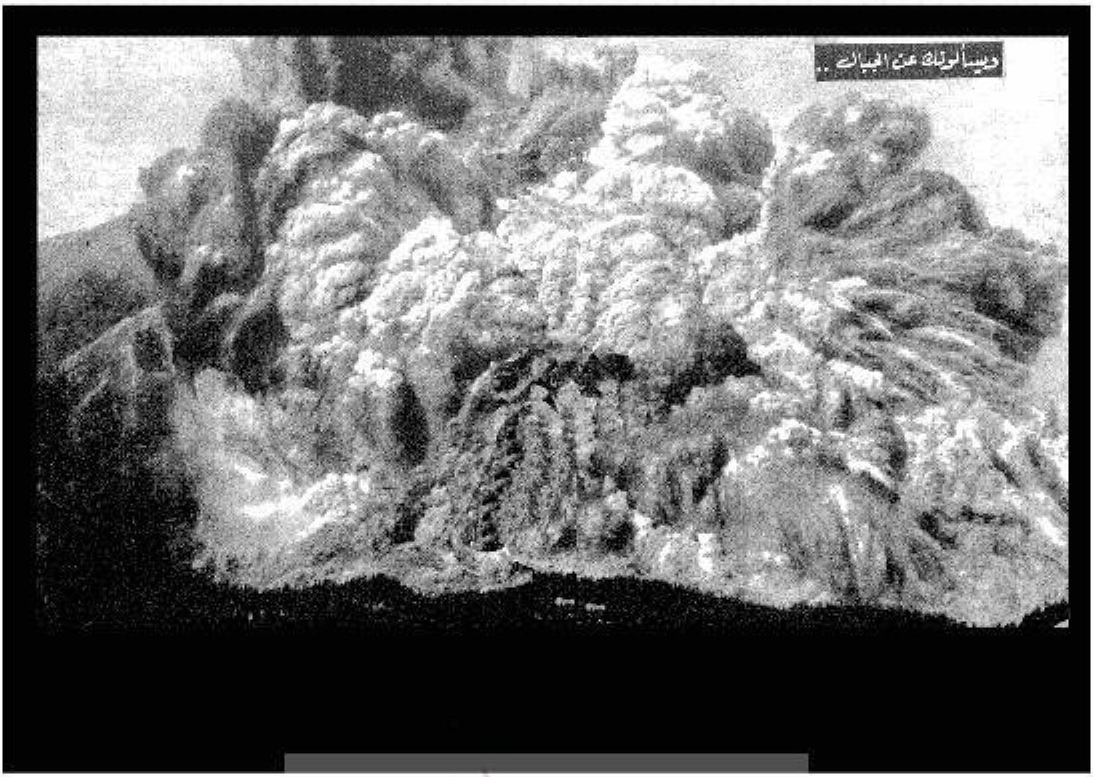
وفي بعض البلاد التي تخلو من الحيوانات المفترسة مثل استراليا ينمو الارنب الى احجام هائلة فيصبح طول الارنب حوالي المتر . وهنا يتحول الارنب الى خطر حقيقي ولهذا فهم يعمدون الى ابادتها .

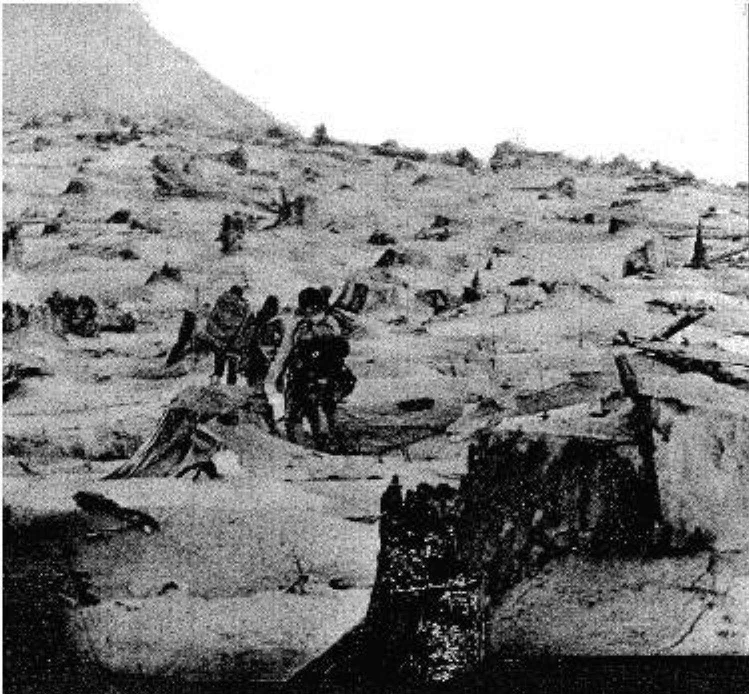
●●



ويسألونك عن الجبال..

هكذا سجلت عدسات المصورين مراحل نسف الجبل مرحلة مرحلة . في الصورة الاولى كان الجبل قائما كالوتد الضخم . وفي الصورة الاخيرة اصبح رمادا وبخارا وغازا .


ويسألونك عن الجبال ..



هذه المساحة الواسعة كانت غابة عامرة بالاشجار الخضراء ناضجة بالحيوية وشتى اشكال الحياة ، فاصبحت ارضا مواتا وخرابا كما ترى . زالت الاشجار وماتت جذورها ، احرقت الحرارة كل شيء هنا ولطخ الغبار الارض وعمت سحابات الاستكشاف تبحث عن اثر للحياة في ارض كانت [illegible] ١٠٣ [illegible] .

اثباتا لما تقوله الآية القرآنية من سورة طه ، نسف الله سبحانه وتعالى في الساعة الثامنة وسبع وثلاثين دقيقة من صباح الاحد ١٨ من يونيو ١٩٨٠ جبلا كاملا هو جبل سانت هيلينا الى الشمال من مدينة « سياتل » في ولاية واشنطون الامريكية .

ففي تلك الدقيقة وبعد علامات ودلالات نبه عليها الجيولوجيون انفجر الجبل كأنه قنبلة وطارت في الهواء قمته وارتفاعها ٤٠٠ متر بعدما زلزلها وحفر واستحالت هيئة الجبل فأخذت جوانبه تتهاوى وسط كتلة هائلة من الدخان والنيران .

ونسف الجبل الهائل نسفا وحل [illegible] بكل ما يحيط به الى عشرات الكيلومترات [illegible] في لحظة . ونحن نقرأ هذا الخبر ونعلم عن نسف الجبل الذي ذكره الله [illegible] سبحانه : « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا » .

ولابد ان ذلك جعل عبرات [illegible] فيه حالا من الاعصر الماضية ، وشهدت كانت الارض ترى شيئا شبيها وكتحول من كتلة من [illegible] الى [illegible] من الحمم تقذفها قشرة من الارض [illegible] في سطح الارض [illegible] من الوجود واخرى [illegible] ذلك .

ولكن الجديد هذه المرة ان الجيولوجيين شاروا بان شيئا ما سيحدث في القريب لذلك الجبل [illegible] اجهزة السيسموجراف لتسجيل الهزات الارضية [illegible] ما سيحدث في منطقة ذلك الجبل ، فقد سجلت هزات وسمعت اصوات [illegible] تحت الارض ، وحدث [illegible] واضح في حالة البحر قريبا من الشاطئ ، فاسرع العلماء والصحفيون نحو مكان الجبل ، واقاموا [illegible] ومركز [illegible] على [illegible] وبدأوا يسجلون ما يحدث من الظواهر الطبيعية والجوية والجيولوجية .

وكان من المعتاد ان يحدث انفجار بركاني كالذي يحدث عندما [illegible]

ويسألونك عن الجبال ..

الحياة في بركان خامد ، وقد حدث هذا في بركان ، أتنا ، من حين قريب .

***

ولكن الذى حدث صباح الاحد ٨ من يونيو ١٩٨٠ كان شيئا جديدا : جبل كامل يطير في الهواء ويختفى عن العيون وراء سحب الدخان والغازات والبخار والسنة اللهب وحمم اللافا التى تطايرت الى ارتفاعات وصلت الى خمســة كيلو مترات . وبلغ من اشتداد الحرارة فوق الجبل ان طائــرات الهليوكبتر التى حلقت هناك لم تستطع الاقتراب قط الى اقل من عشرة كيلو مترات .

وكان المصورون على الاهبة من زمن ، فصوروا ما حدث ثانية بثانية بواسـطة اجهزة « الزوم » اى التقريب التصويرى وفي صفحتين من هذا الاسـتطلاع ترى ثمانى صور تصور لك تطور الانفجار حتى طارت قمة الجبل وارتفاعها ٣٠٠ متر . وفي صفحتين اخريين ترى ســحابة الدخان والغازات الهائلة التى اختفت وراءها بقية الجبـل الذى اخذت بقية جدرانه تتداعى حتى اصبح اثرا بعد عين .

وقد رأى العلماء فى ذلك ظاهــرة من ظواهر الطبيعة ووضعوها موضع البحث العلمى ، ونحن نرى فيها ذلك الرأى ، ولكننا قبل ذلك ـ نراها مصداقا للآية القرآنية التى أوردناها آنفا ، وسبحان الله الذى انزل القرآن على رسوله بالحق ، وكل كلمة فيه حق وضمنه من حقــائق الكون وآيات الله فيه ما يتجلى صــدقه بالبينات يوما بعد يوم .

***

والذى حدث لجبل سانت هيلينا هو انه نشأ من ملايين الســنين عن بركان خمــد بعد ذلك ، وتجــمدت اللافــا والمقذوفات فى هيئة جبل صــلب متين الجدران . فقد كانت من بين مكوناته مقذوفات بازلتية منصــهرة جمدت بعد ذلك واصبحت حجرا صلدا لا تؤثر فيه المعــاول ، ولهذا فقد كــان العلمــاء يستبعدون ان يحدث فى هــذا الجبل الصلد انفجار ، لان الانفجارات لا تحدث قط الا فى الجبال البركانية المخروطية التى يتكون بنيانها وجدرانها من اللافا ، اما البازلت فاصلب من أن تمزقه الابخرة والغازات والمواد المنصهرة .

ولذلك ، فعندما أحس العلمــاء بأن هناك حركة غير عادية داخل الجبل الهائل ووضعوا اجهزتهم وتأكدوا من أن شيئا ما يحول فى داخله ، حذروا الناس من أن انفجارا من الممكن أن يحدث ، وطلبوا الى السكان أن يعملوا حســاب الخطر المحتمل ، ويتركوا بيوتهم قبل أن تقع كارثة .

وبالفعل وقعت ... واندفعت الحمم والغازات والاحجار والمعادن المنصــهرة لتطير برأس الجبل كله أو ما يســمى برداء الجبل ، وكله من الصخر الصلد ، واندفعت الحمم الى ارتفاع لا يصــدق وخرجت كرة من اللهب والدخان غطت الناحية كلها ، وبلغت قوة الانفجار ٥٠٠ مرة قوة انفجار قنبلة هيروشيما حتى ان قطعا ضخمة من قمة الجبل طارت عشرة كيلو مترات ثم سقطت مهشمة على الارض أو فى البحر .

وعقب الانفجار بساعات بدأت حجارة الجبل التى نســفت تهبط على الارض رمادا اسود فى دائرة مســاحتها ٢٥٠ كيلو مترا ، واخذ هذا الغبار يترســب حتى بلغ سمكه ١٥ سنتيمترا حطت فوق البيوت وفى الحقول والطرق ٥٠٠ستمائة



هذا الطريق القاحل شقه سيل اللافا الذى انحدر من الجبل فنشأ عنه طريق من الموت وسط الغابات . حتى مجارى المياه التي كانت تشق الغابة جف ماؤها وحلقت فوق المكان طائرة تبحث عن معالم الحياة



في الصورة السفلى ترى نطاق الغبار تحت الارض ، وهو يخترق امريكا الشمالية عرضا من المحيط الى المحيط كما ترى في الشريط الاحمر . ومن هذا النطاق انطلق الغبار من فوهة البركان وانتشر في الجو وسار شرقا حتى وصل الى نيويورك على ساحل الاطلسي وفي الصورة العليا ترى سماء نيويورك وقد انتشر فيها غبار بركان سان فرانسيسكو حتى حجب الشمس . كل المدن في الطريق غطتها سحب الغبار .

الف طن من الغبار حطت على الارض ، هذا هو الجبل الذى نسفه الله نسفا لجعله ترابا .

ولعدة شهور ظل هذا الغبار المتعلق في الجو يملأ الجو ويضيق الانفس ويملأ العيون . أصبحت المنطقة كلها غير صالحة للسكنى حتى ينتهي هذا الغبار ، ثم ان جو المنطقة كله تخلخل وتغير . لان هذا الغبار كله لم يأت من الجبل بل هو غبار متصاعد من باطن الارض ، فهناك في باطن الارض فراغات واسعة مليئة بهواء ساخن محمل بالغبار ، وفي اى مناسبة تتاح له ينطلق الغبار في الجو ويملأ السماء ، وهنا في حالة بركان سانت هيلينا امتلأ جو الولايات المتحدة بالغبار على مسافات بعيدة وصلت الى نيويورك .

❋❋❋

تلك هي قصة جبل راسخ كالوتد الضخم نسفه الله نسفا كما قالت الآية الكريمة . ونحن ننشر هذا المقال ومعه تلك الصور الناطقة ، وكلاهما كانه آية من آيات قدرة الله عز وجل ومصداقا لما جاء في كتاب الله سبحانه .

● ع . ف . ٠ ●

مناجاة

● اسامة أبو الفتوح الشافعي ●



كحديث الليل أناجيك ..
كحديث القمر المتستر خلف سحابات الاحزان
كحديث الموج المنحسر .. الممتد على رمل الشطآن !
كحديث تحكيه عينان ..
كحديث يصرخ ويدوى .. قد ضاق الحب بكل مكان !

***

بحديث الليل اناجيك ..
والقمر الزاوى يضحك ضحكا ممجوجا
والموج المنحسر الممتد يثور كوحش فى قفص ! ..
وصراخ القلب النازف يعلو :
قد ضاق بحبى كل مكان ! ..
اصبح كالسجن الصامد .. واضلعه سجان !
لم تعد الدنيا ترعى حبا .. قتل اخاه الانسان !

***

كحديث الليل اناديك ..
بحديث الحب الهامس فى ترنيمة شفتيك !
بحديث الخوف الساكن فى اطلالة عينيك !
كحديث الحب المسجون وراء ضلوع كالقضبان
كحديث تحكيه عينان ..
قد ضاق الحب بكل مكان !

***

بحديث القلب الضائع فى اجمل قصة حب !
بحديث يهمسه قلب للقلب !
بحديث يعرفه انسان ..
قد ضاق بحبى كل مكان !

رائد يمتد أثره فى الشعر والأدب إلى مختلف الأجيال

أحمد زكى أبو شادى

● د . مختار الوكيل ●

● ليس ابو شادى جديدا على ، ولا هو جديد على قراء العربية . ولقد كتبت عنه قبل اليوم مرات عديدة ، وكان أهم ماكتبته عنه ذلك الفصل المشهور فى كتاب « رواد الشعر الحديث فى مصر » الذى ظهر لى عام ١٩٣٤ وكنت جديد المعرفة بابى شادى ، كنت حينذاك شابا يخطو الى العشرين من عمره ، بهرته النهضة الادبية فى ذلك العهد ، تلك النهضة التى اخرجت الى الوجود جماعة « ابوللو » برياسة امير الشعراء احمد شوقى ..

ولقد انضممت الى « ابوللو » كما فعل الكثيرون من شعراء الشباب حينذاك . وهناك عرفت « ابا شادى »: فعرفت عالما من العلم ، بل موسوعة من المعرفة والثقافة ..

عرفت رجلا بالف رجل ، او اكثر من ذلك . عرفت رجلا مهنته التى يعيش منها هى الطب ، وتخصصه فيه التحاليل والمعامل ، فهو يعيش معظم وقته مع الميكروبات تحت المجهر يحللها ويرى فيها عالما جياشا حيا ..

وهو الى ذلك ، شاعر كبير ، وناثر قدير ، وباحث جليل متعدد الجوانب، يعيش مع النحل فى مملكته الرائعة ويصدر مجلة « مملكة النحل »، ويعيش مع الدواجن، ويصدر مجلة «الصناعات الزراعية » ، ويصدر فى الوقت نفسه مجلة الشعر الرائعة « ابوللو » لسان حال الجماعة الشعرية التى كان لهما اعمق الأثر فى الحياة الادبية المصرية فى الثلاثينات ، ثم يصدر الى جانب ذلك كله مجلة ادبية اسبوعية هى مجلة « الامام » التى كان يتولى والده الكبير محمد ابو شادى ، نابغة المحاماة المصرية اصدارها فى مطلع القرن الحالى ...

***

هكذا عرفت ابا شادى فى مطلع الثلاثينات من هذا القرن . وأول ماجذبنى اليه ، هو اشراقه وتفاؤله وابتسامه الدائم رغم الحوادث الجسام التى ملات حياته منذ نعومة اظفاره ! فمن يراه أو يسمع عنه يظن انه من أولئك الذين ولدوا وفى أفواههم ملعقة



ذهبية ، فوالده هو المحامي المدره الكبير محمد أبو شادي ، زميل سعد زغلول وابراهيم الهلباوي ، وهؤلاء الثلاثة هم الاساطين الذين اسسوا مدرسة المحاماة في البلاد ، وكانت لهم شهرة طبقت الآفاق . ووالدته هي السيدة أمينة نجيب ، أخت الكاتب الشاعر الكبير مصطفى نجيب زميل مصطفى كامل في الحزب الوطني .

ورجل مثل أبو شادي ورث هاتين الاسرتين لاشك يكون محظوظا وموفقا وسعيدا ، هذا هو ظاهر الامور ، ولكن الواقع كان على عكس مايراه الناظرون الى السطح ، فقد كان أبو شادي شقيا تعسا منذ باكورة الحياة ، فقد انفصل والده عن والدته وهو بعد غلام . ثم شقى بعد ذلك في حبه الاول ، وهي قصة لا مجال للتوسع فيها في هذه الكلمة ، وانما المهم انه أبعد عن حبيبته وارسل الى انجلترا ليواصل دراسته العليا هناك ، ويعود طبيبا يعمل في معامل الصحة في مصر في عام ١٩٢٢ ، والابتسامة تغمر شفتيه وتشع من عينيه ، وهو الشقي الحزين . ولكنه حزن كبير لا يقوى عليه الا الرجال الكبار ! وهو يعيش بالبسمة ويمدها زاده الذي يلتقى به في الحياة ، ويقول :

أعيش ببسمة واحد زادي
أشعتها واشربها مدامي !

ولاشك ان نشأة أبي شادي هي المسئولة عن توجيهه الثقافي العجيب المتعدد الجوانب . فهذا فتى يختلط منذ طفولته بعمالقة الفكر والبيان ممن يغشون مجلس والده الكبير ، من أمثال أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران ومحمد رشيد رضا ، وجرجي زيدان ، وابراهيم اليازجي ، وحفني ناصف ، ومحب الدين الخطيب ..

ولعله كان أشد ميلا لخليل مطران منذ نشأته الاولى هذه ، وظل منجذبا اليه بعد عودته من دراسته في انجلترا ، وتأثر بطريقته في النظم تأثرا شديدا . حتى لقد ذكر أبو شادي في مناسبات عديدة أمام كاتب هذه السطور انه متأثر بمطران وحركته التجديدية في الشعر العربي الحديث .

ومهما يكن من أمر فان حركة التجديد التي قام بها مطران في مطلع القرن

أحمد زكي أبو شادي

الحالي لم تكن بنفس الصراحة والقوة التي اتسمت بها حركة ابو شادي في الثلاثينات منه ..

ولقد كان « ديوان الخليل » اول ديوان يمثل مدرسة الشعر الجديد في مطلع هذا القرن الميلادي . ولقد تأثر به أبو شادي كما قدمنا ، فكانت وحدة القصيدة هي المبدأ الذي يدين به ابو شادي والذي بشر به في محيط « ابوللو » . ولاشك أن أبا شادي كان اول من دعا الى الدقة في المعنى الشعري بل والى ايثار المعنى على اللفظ فكان المعنى عنده أجل من أن يضحى به في سبيل اللفظ !

ومع ذلك لقد كانت ثروته اللفظية كبيرة ، وقارىء شعره المتسلسل المتدفق الغزير يستطيع ان يلاحظ ذلك الثراء اللفظي العظيم . ولكنه لاشك كان أبعد الناس عن المباهاة بالرنين اللفظي والاهتمام به والاحتشاد له دون جدوى

***

ولقد اختلف الناس ولا يزالون مختلفين في امر هذا الشاعر الكبير ، ولعل ماكتبه النقاد عن « ابي شادي » يعتبر ثروة رائعة ، ضخمة ، لا سيما وقد ترك لنا هذا الشاعر الكبير ثروة « شعرية » تزيد على خمسة وعشرين ديوانا ، من الشعر الجديد الرائد ، ولقد اختلف النقاد فيه كما قدمت ، فمن مؤيد له ومن متهجم عليه ، ولقد قرأ كلام نقاده والمتهجمين عليه في حياته ، وكان يفسح لمنتقديه في صفحات مجلة « ابوللو » ، وكان يفرح بالنقد ويهلل له ويهيىء له ، ويقدمه طالما صدر عن نفس صادقة كريمة لا تضمر الغش والتدمير وتستقط العيوب .

ومهما يكن من امر لقد فرض ابو شادي نفسه على الشعر العربي المعاصر فرضا ، وكان رائدا كبيرا من رواد الشعر العربي الحديث ، ومرد ذلك الى نهمه العظيم الى الشعر وحبه الفائق له ، فهو يقرأ كثيرا جدا ، يقرأ الشعر العربي حديثه وقديمه جاهليه واسلاميه ، ويقرأ الشعر الانجليزي قديمه وحديثه يستوي في ذلك شعر « شوسر » ، وشيكسبير وشيللي وكيتس وبيرون وغيرهم .

ثم هو كما سبق أن قدمت لم يقف عند الشعر ، ولكنه رجل متعدد الجوانب متسع الافاق ، فهو طبيب انساني النزعة ، كانت دراسته للطب والجراثيم بابا لذلك الحب الانساني الرفيع الذي طغى على روح ابي شادي وسيطر عليه طوال حياته العريضة .

وقد رزىء ابو شادي بناقديه الذين تعسفوا وامعنوا في القسوة عليه ، مدعين انه اغفل الرنين الموسيقي في قصائده وعابوا عليه بخروجه على قوالب التعبير التي اصطلح عليها الناس . والحق أن أبا شادي هو اول من توسع في كتابة الشعر الحر المطلق القافية ، ولكن مع الاحتفاظ بالتفعيلات والبحور العربية التي ارساها الخليل ...

وقصارى القول أن أبا شادي ، بما له من ثقافة واسعة ، واطلاع على الإبداع الشعري والفكري في مختلف ربوع العالم ماكان له ان يظل مقيدا بقيود الرنين وغيرها مما اصطلح القوم على انها من ضرورات النظم العربي .. واذا كان ابو شادي قد امعن في التجديد امعانا لم يبلغه شاعر قبله ، الا انه كان مشدودا الى رونق الشعر العربي وبهائه الخالد .. كما في قوله :

الا فانظروا ايها السادرون
قبور قبور قبور قبور !
وهل رمم هذه ام تراب
تراب تراب تراب تراب !

ولقد تألم ابو شادى من قسوة النقاد عليه ، ولكنه لم ييأس ولم يستسلم ، كما فى قوله :

ترى الم الاحرار سر وجودهم
ومن ذلك الحر الذى ما تألما ؟
اذا عرف الاحرار حمل بلائهم
فما عرف الاحرار بعد التندما !

ولقد قلت انني كنت مشدودا الى تلك البسمة الطلقة المشرقة على شفتيه ، ولقد صدق غاية الصدق عندما قال :

هذى حياتى كلها تعب على
تعب وافراح على اتراح !
ابكى واضحك غير انى لا ارى
الا الضحوك بنشوة الملاح !

وكان فى دأبه الطافى المستمر يبتسم ، ويحب ان يرى الذين يحطون به مبتسمين ، لقد كانت البسمة زاده الذى يعيش عليه ..

***

وكان ابو شادى من اكرم من قابلت من شعراء مصر وادبائها ، بل لعله كان اكرمهم فلقد كان ينفق من ريع بعض عقاره واراضيه التى ورثها عن ابيه على المجلات التى كان يصدرها ، وهى مجلة «ابوللو» ومجلة «الصناعات الزراعية» و«مملكة النحل» ومجلة « الامام » .. كما ينفق على اصدار دواوين زملائه اعضاء جمعية « ابوللو » وكتبهم ، ولم تكن فى مصر حينذاك وزارة للثقافة ، ترعى الادب والفن كما هو الحال هذه الايام ، ولكنه كان بجهده وماله يحاول ان يكون نواة لوزارة الثقافة ، بل لقد كان بحق ارهاصا لها ، ومن حر ماله !

ولقد يعجب بعض القراء فى هذه الايام اذا علموا ان ابا شادى هو الذى اصدر وعلى نفقته الخاصة دواوين الكثير من شعراء مصر المشهورين . واشهد انه صنع ذلك معى، بل ولقد اسهم فى طبع كتابى « رواد الشعر الحديث فى مصر » ، وعندما علم اننى نقلت الى العربية قصة تولستوى الخالدة « سعادة الاسرة » طلب ان يطلع عليها واخذها معه الى منزله فى المطرية ، وفى الصباح التالى جاءنى متهللا ، ليطلعنى على المقدمة التى كتبها فى المساء لتلك القصة ، وفيها ثقافة واسعة ودراية وخبرة واسعتان بادب القصة عند تولستوى وبفنه الرائع وباتجاهاته الانسانية الرفيعة التى خلدته بين قادة الانسانية .

ثم قصد معى الى الاستاذ العلامة محب الدين الخطيب وزكانى لديه لكى ينشر لى هذه الترجمة ، وقد نشرها ، وكانت هذه القصة اول تعريف لتولستوى فى مصر ، واشار الى ذلك الاستاذ سلامة موسى فى المجلة الجديدة حينذاك وكانت اول كتاب يصدر لى وانا فى العشرين وبفضل ابى شادى .

هذا بعض خلق ابى شادى الانسان المحب المشجع لاخوانه . وانا اتحدث بذلك اليوم وبعد سنوات طوال منذ عرفت ابا شادي ، فاجد اننا لا نصنع لشباب الادباء والشعراء بعض ما كان يصنعه ذلك الرائد العظيم فى تجرد واخلاص دون ادعاء او من !

***

قلت ان ابا شادى هو الرائد الاول للشعر الحديث ، وهو وان كان تأثر فى ذلك بمطران الا انه لايمكن القول بانه يتبع مدرسة معينة من الشعر ، فلقد

أحمد زكي أبو شادي

كان شعره يجمع خصائص كثيرة معروفة بين الفرق المختلفة . ولقد سبق ان قلت عنه في « رواد الشعر العربي الحديث في مصر » « انه ربما الحق بمدرسة الواقعيين المعبرين عن حقائق الحياة في صور صادقة من العاطفة والفكر المهذبين في بعض الاحيان ، والساذجين في اغلب الظروف !... وشعراء هذه المدرسة من شانهم ان يظهروا الكون في جماله وقبحه وقوته وضعفه ، غير عامدين الى زخرفة اللفظ ، او رصف الاستعارات البيانية الصناعية وقصاراهم ان يتناولوا المعنى من اقرب مورد ، فيصبوه في قالب من اللفظ السهل المعبر » .

ولقد انصرمت سنوات طويلة على هذا الكلام ، ولكنني وانا اعيد قراءة شعر ابي شادي الان ، لا اكاد اجد من الالفاظ مايعبر عن رايي فيه اصدق من هذه الالفاظ التي قلتها منذ اربعين عاما وانا بعد دون العشرين !

واستطيع ان اضيف الى ذلك ان ابا شادي من اجرا الشعراء العرب المحدثين في التعبير عن آرائه ، ولعلها جراة لم تتيسر لشاعر من قبله في هذه اللغة . واسمعه يقول :

قبلتها ، فلثمت احلامي واطياف الربيع
وضممتها ، فضممت اغلى النور من افق وديع
لا الروح تشبع لا ولا قلبي بخفق يتئد
نهم على نهم وجود لا يمل ولا يحد
روحان قد خلقا كما خلق الضياء مع الحراره
يتمازجان تهافتا ، وكلاهما قد نال ثاره!
هذا النعيم اراه راي العين لكني اخاف.
فيم التخوف والحياة جميعها روع اطاف
خذ يافؤادي لا تخف ، ماشئت من هذي الحياه
عمر جديد يافؤادي ماتجود به الشفاه!

وهذا الشاعر الذي يطرق الآفاق الجديدة . والبكر في شعره السلس المتجدد لايلبث ان ينقلب ذلك الصوفي الزاهد الذي يعشق الحرمان ويهيم به هياما ويكره الغرور ويزهد في الدنيا كما في قوله :

سئمت كل غرور استعز به
واشتقت مايشتهي الصوفي من زمني

❊❊❊

الحديث عن ابي شادي يطول ويطول ولا سيما لمثلي ، الذي عاش معه مرحلة كفاحه الرائع العظيم في « ابوللو » ، ولمس عن كثب تلك الروح العظيمة الملهمة الاسرة ، والتي كافحت ونافحت رغم الزمن العاتي ، ورغم الحساد والحاقدين ومضت في طريقها تنير السبيل للسالكين حتى آذن الله له بالرحيل من مصر في اعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٦ ، حيث استانف كفاحه الفذ الاسطوري في الولايات المتحدة الى ان توفاه الله هناك عام ١٩٥٤ .

ولقد كنت اريد ان امضي في الحديث عن ابي شادي وعن كفاحه في غربته الجديدة في نيويورك ثم في واشنطن حيث انطفات الشعلة الباهرة الاسرة .

واذا كانت لي كلمة اقولها في ختام هذه الصفحات فهي ان نحاول نحن المتاثرين بعبقريته الفذة ، نحن ابناء هذا الوادي الطيب الكافح ، ان نعيد رفاته الطاهرة الى ارض الوطن ، الوطن الذي احبه ، ولكن كره الاقامة فيه اثناء تسلط الملكية الفاسدة ، فهاجر الى امريكا ، حيث لم يكن اسعد حالا وظل الى آخر لحظات عمره يتمنى ان يعود لمصر الحبيبة ، بل كان اقصى امانية ان يدفن في وطنه ، فلقد قال :

وطني لو دعيت ان افتديه
ماتمنيت غير تخليد رمسي

قصـــــة

بقايا أعماق

● عزت نجم ●

كانت جلسة استرخاء ، فى ليلة آثرت فيها البقاء فى البيت لاستمتع ببرامج التليفزيون ... فرض علينا أصغر الاولاد حلقة اجنبية لغة ابطالها متآكلة ، ابواب تفتح واخرى تغلق ، مركبات اسعاف وحريق وشرطة تتعقب الجناة وخيول تركض وموسيقى تقلق النماغ ! ..

لاحظت زوجتى ان ولدى الصغير يجلس امامى رجلا على رجل واشارت اليه فى خفاء ان يراعى انى موجود . وبدلا من ان يعتدل فى جلسته قال لها :

ـ ماما ؟ .. لا علاقة بين الاحترام والجلوس رجلا على رجل !

ـ يا ابنى ، ربانا آباؤنا على ذلك .. للاب مقام !

ـ تماما مثل حكاية يرددها والدى . كنا زمان اذا قابلنا المعلم فى شارع ، انطلقنا مسرعين الى زقاق ...

تفصصت كلامه وبلعتــــه كارها ثم التفت اليه وقلت :

ـ القـــانون الرومانى اعتبر علاقة المعلم بتلميذه نوعا من الابوة أوجبت تحريم زواج التلميذ من ابنة معلمه . لعلك الان قد فهمت قيمة العلم .

بدا انه لم يقتنع . الساقان مازالتا على وضعهما ، بل زاد عليهما اهتزاز منفعل . قمت وتركت له الحجرة ثم لحقت بى زوجتى وقالت :

ـ زعلت ؟ تأخــذ على خاطرك من عيل !؟ .

ـ ابدا ...

وضاع صوتى كأنه نأى اختنق ...

وعندما توجهت الى حجرتى لانام ، اقبل ولدى وفى عينيه اعتذار متردد .. لم يجد الكلام المناسب ، ولكنه « تمحك » فى اشياء اخرى لا صلة لها فيما جرى ...

جلست على مقعــد جوار السرير وتناولت كتابا ، بدأت القراءة فيه منذ ايام ، مد ابنى يده الى به ثم قال :

ـ آسف يا بابا لم اقصد مضايقتك .. وايدك عل خمسه جنيه لاشـــترك فى رحلة لكنج مريوط ؟ ...

حانت منى نظرة الى نتيجة معلقة . الشهر يلفظ انفاسه ، خمســـه جنيه مرة واحدة .. الناس يا ابنى فى مثـل هذا الوقت تمشى جنب الحيط ؟ ...

واعادت الكلمات الى ذهنى موقفا لم انسه رغم عديد السنين ، عندما كنت طالبا فى كلية الحقوق فى بداية الاربعينات ...

كان لابد من شراء كتاب القـــانون الدولى العـــام بمبلغ كبير وقتـذاك وبالتحديد خمسة جنيهـــات ! ... أحسست بأن البيت فى حاجة الى هذا المبلغ ، ترددت وســـألت نفسى : والمستقبل ؟

كان والدى يرحمه الله لا يكف من الاستفسار عما اذا كان ينقصنى شىء ليأتى به مهما كلفه من مال وجهد ، رغم معاشه البسيط والحياة الصعبة التى نحياها ...

فكرت ان انسخ الكتاب الذى يقع فى الف صفحة لاوفر للبيت هـــذه الجنيهات التى تغطى ـ بالكاد ـ نفقات نصف شهر ! ...

استعرت نســـخة من المكتبة ، وانتهيت من نقل المجلد قبل الامتحان باسابيع . التقطت انفاسى ، واحتفلت مع نفسى بهذا الانجاز . دعـوتها الى فنجان شاى فى محل كبير بمحطـــة الرمل ، وعدت بعد الجلسة الممتعة الى الكلية لاشارك فى احتفالها بتوزيع الجوائز على انشــطتها الادبيـــة والاجتماعية .

نودى على اسمى كأحد الفائزين ، وكانت الجائزة كتـــاب القانون الدولى العام ! ... ●●

قصة

الضحية

● مراد صبحي متى ●

منذ ايام ، وايام .. و « الست أم صلاح » مستغرقة في خواطرها وافكارها الملحة .

رغم مقاومتها المستميتة لها .. اذ لابد ، بوسيلة او باخرى ، ان ينجب وحيدها « صلاح » . وليدا . يرثه بعد عمر طويل !

مضت تستعرض شريط حياتها ، منذ توفى المرحوم زوجها « أبو صلاح » ، وهو – صلاح – بعد جنين في احشائها .. لتنزح به الى « دمنهور » بعد ولادته من قريتها « شبراريس » التى لم تبرحها من قبل قط لتدخله المدارس بمختلف مراحلها ، قبل أن تنتقل معه الى الاسكندرية ، ليتم دراسته الجامعية بكلية « الزراعة » ، الى أن عاد الى القرية بعد حصوله على « الشهادة الكبيرة » ، بصحبة عروسه « سناء » زميلته السابقة بالكلية ، التى تزوجها بعد قصة حب ليهتم بأرضه التى آلت اليه عن المرحوم ابيه ، ويضع فيها كل علمه وآماله وأحلامه ، حتى اتسعت رقعتها ،وازدادت غلتها ..

لكن يا ميت خسارة عليك ، ياصلاح يا ابنى ، صحيح ، الحلو مايكمل والدنيا لا تعطي المرء كل ما يتمناه .فها قد مضت على زواجك اكثر من خمس عشرة سنة دون انجاب .. ومع ذلك ، لا تريد أن تشوف لك طريقة ، وتتحرك وما تسكت !

لكنها ، أم صلاح ، لم تسكت وعرضت عليه اختيار أحد حلين . اما أن يطلق زوجته ليتزوج بأخرى قادرة على الانجاب ، واما أن يبقيها ويتزوج عليها ! .. لكن « صلاح » رفض الحلين على طول الخط ، رغم الحاحها فى عرض اقتراحها ، طالبة منه أن يعدل عن صلابة رأيه ، ويطلب رضا أمه ، التى يعرف جيدا مدى تعبها من اجله ، ويوافق على الزواج من « زهرة »ابنة الحاج «رضوان» عمدة « محلة بشر » القسريبة ، فهى زينة البنات حقا ، ويا سعده ويا هناه.. من تكون من نصيبه !

فجأة ، قبع خاطر معين فى رأسها ، أخذ يلح عليها .. وعلى الفور صعدت الى سطح « السراى » بهدوء . كانت « سناء » مستندة الى السياج المنخفض ، هائمة في افكارها ، أما « صلاح » فكان يتعقد « أنفار الدودة » في حقول القطن، بحذر سارت « أم صلاح » على أطراف أصابعها ، وبكل قوتها ، دفعت زوجة ابنها الى قارعة الطريق لتسقط لتشق صرختها الهائلة سكون القرية المطبق .. سرعان ما خرج الجيران على الصراخ الذى تطلقه «أم صلاح» .. بعد ان أسرعت الى الهبوط الى جوار الجثة الشوهاء !

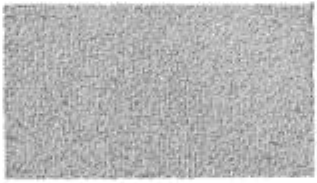
وفى التحقيق ادعت وهى تجهش بالبكاء انها كانت فى فراشها عند سماعها صوت السقوط العنيف !

وبسبب عقمها المستحكم ، ساد الاعتقاد بان « سناء » التعسة قد يئست بعد ذهابها الى كل طبيب ، وتعاطيها لكل دواء ، وتجربتها لكل « وصفة » .. وذهابها الى كل شيخ يقال عنه ان سره باتع دون جدوى ! فاقدمت فى ساعة يأس قاتمة على الانتحار !

وكادت الواقعة تذهب فى ضمير الزمن ليسدل عليها ستار النسيان ، شىء واحد دفع « أم صلاح » الى تغيير اقوالها والاعتراف للمحقق اعترافا شاملا كاملا بما اقترفته يداها ، بعد أن انهارت ، واستيقظ ضميرها ، وعادت الى صوابها .. هذا الشىء كان تقرير الطبيب الشرعى ، الذى جاء فيه أن « سناء » – التعسة – كانت حبلى ، فى أوائل شهرها الثالث ، من شهور حملها – المرجو العتيد .. !

●●

من رسالتي إليها



● احمد السمرة ●

عن جميل الخضوع لن أتوانى ... كي تهللي مرا حما وحنانا
ما تميمي الذي رشفت بويلي ... من وفاء الوفاء أن أتفانى
فالجراح العذاب تغدو شموعا ... كلما حاول الدجى يتدانى
واحتراق القلوب فضل أياديه ... لقاء جلا الوصال أوانا

***

لست أشكو الهوى إليك ضياعا ... أنت آثرت أن أضوع هوانا
أنت في عالمي شعاع غروري ... من جمال يذيبني ذوبانا
وأنا من أنا ؟! ظلال شهاب ... تتهاوى إلى المدى مريانا

***

يا انبثاق الحياة تسعدني الآ ... هة • تأبى لجرحها رحمانا
في انكساري تمتت النفس عمرا ... في رواق السماح ، ظلاء ، مكانا
يا رذاذ الشموس في بهج الصفو ... خيال البعاد عاد سنانا
صلبتني على جمالك أتـو! ... دلال بها الدلال زمانا
وضلالات عاشق تاه مايبد ... رى أيمضي حياته ميدانا ؟
من ضمير الزمان ! أنتقد العد ... ل فهل رق للمميل الآنا ؟

***

إن لثمت الضحى مباسم عشق ... طرزته المنى كوهم رؤانا
أو نثرت الشذى قماقم عطر ... قد عراه من الضنى ما عرانا
أو حضنت المدى مراوح تذكا ... ر عناها من الشجى ما عنانا
فاذكري للوفاء قبلة حب ... لم تعد تحتفي بذكر سوانا
أفحتم علي إشتعال قلبي ... كلما عاده الأسى خفقانا
أفهجر أردت حتى يقولوا ... ضاع في زحمة الدلال وهانا
أثلفتنا يد البعاد فهلا ... مردت يد اللقاء هوانا

رسالة كارلو فيفارى
ماري غضبان

المهرجان.. وأفلام المفهوم الكبير

الافلام الحربية او السياسية بوجه عام كانت دائما هي طابع الانتاج في الدول الاشتراكية نظرا لما عانته تلك الدول من حروب وصراعات في الماضي ، وايضا لعدم الرغبة في انتاج نوعيات اخرى من الافلام الاجتماعية التي قد تمثل رؤية معينة ضد نظام اى دولة من هذه الدول مما يثير الشعوب فيها .

ومنذ حوالي اربع او خمس سنوات .. تغيرت هذه الظاهرة واصبحت تلك الدول تنتج نوعيات اخرى من الافلام : كوميدية ـ انسانية ـ اجتماعية وعاطفية ..

ولعل هذا هو ما اخرج مهرجان « كارلو فيفارى » هذا العام عن شكله الذى اعتاد عليه في الماضي ، فاصبح يضم تلك النوعيات من الافلام ..

● وامام هذه الظاهرة الجديدة ، اصبحت لجنة التحكيم الدولية تواجه صعوبات كثيرة في منح جوائزها لاحسن الافلام ـ لجودة الانتاج المقدم ـ وخاصة وان هذه اللجنة تضم أسماء كبيرة في عالم السينما العالمية ،من امثال المخرجين: « عثمان سمبان » من السنغال و« مرينال سن » من الهند ـ و « بردم » من اسبانيا و ممثلة السينما الايطالية « جوفانا رال » . ويراس اللجنة البروفيسير بروسيل الذى وصف هنا باسم « مستر كارلو فيفارى » لانه دائما يراس لجان التحكيم في المهرجان .

وكان مما يميز المهرجان هذا العام . بالاضافة الى شكله الجديد ـ النظام الدقيق في عروض الافلام والذى نفذ وفق البرنامج المطبوع .. ثم عدد صالات العرض الملحقة بفندق « تيرمال » والمجهزة بآلات الترجمة الفورية ـ كل هذا بدقة شديدة لم يحدث خلالها اى ارتباك في التنظيم ..

ولقد وقع اثناء انعقاد المهرجان ـ حادث اليم للسيناريست التشيكى «بوب ريتش » فقد انتحر فالقى بنفسه من



مشهد من الفيلم المجرى .. « كل يوم أربعاء » ..

شباك الفندق ـ نتيجة أزمة نفسية طارئة .. ومع قسوة هذا الحادث ، فلم يشعر أحد بما يفسد النظام فى المهرجان .. فقد ساد الحرص على عدم اثارة أى ازعاج أو مشاكل بالنسبة للوفود ، واستمرت العروض كما هى ، وكان شيئا لم يحدث .. وهذا شىء نادر فى مثل هذه التجمعات الدولية .. !

● الافلام المرفوضة فى المهرجان ●

ولم يكن فيلم « انتبهوا أيها السادة » هو الوحيد الذى لم يقبل فى المهرجان . رغم موضوعه الاجتماعى الذى يعالج قضية اجتماعية وانسانية ..

ولقد رفض أيضا فيلم الجزائر «الخطوة الاولى» للمخرج محمد بوعمارى والذى تدور أحداثه حول مسئولية المرأة الجزائرية فى الوظيفة الادارية ، والتحول الاجتماعى الذى يحدث فى الجزائر عن طريق هذه التجربة الجديدة ، فبطلة الفيلم انتخبت عمدة لمدينة صغيرة ، وهذه المسئولية الجديدة جعلتها تدخل فى صراع دائم مع عائلتها ..

والمخرج الجزائرى محمد بوعمارى من المخرجين الشبان الجادين ، وقد سبق أن نال جائزة قرطاج الكبرى لاول أعماله السينمائية « اللحام »

كذلك رفض الفيلم السورى لوصوله متأخرا عن الموعد ـ وبدون ترجمة .

● افلام للاطفال فى المهرجان ●

والجديد أيضا فى المهرجان هو تخصيص صالة كبيرة مزودة بالفيديو تعرض يوميا ـ وطوال أيام المهرجان ـ افلاما مخصصة للاطفال . ومن المعروف أن تشيكوسلوفاكيا بها أكبر ستديوهات لانتاج هذا النوع من الافلام ..

وتقول الاحصائيات انه منذ عام ١٩٤٥ حتى الآن انتجت تشيكوسلوفاكيا ١١٠ افلام روائية للاطفال ، الى جانب الآلاف

من افلام « الكارتون » والعرايس .

وسوق افلام الاطفال موضع اهتمام الموزعين خاصة « العرب » منهم ، فقد قامت الكويت بشراء تسعة افلام طويلة للاطفال وكذلك دول الخليج ، ولوحظ ان هذا شيء يحدث لاول مرة .

● جوانا ، والسجن ، وأمل لم يتحقق ●

من أهم الافلام التي عرضت في المهرجان والذى نال الجائزة الكبرى « كريستال » الفيلم الالمانى « المخطوبة » للمخرجين « جونتر روكر » و « جونتر رايش » ـ والذى قامت ببطولته الممثلة الالمانية « جوتا » وهو مقتبس عن ـ « ثلاثية ايفا ليبولد » ـ « المنزل ذو الباب الثقيل » وتدور أحداثه في الثلاثينات قبل الحرب العالمية الثانية ، حول امرأة يقبض عليها لاتهامها في جريمة الاتجار في السوق السوداء ، ويحكم عليها بالسجن عشر سنوات .. وتعيش أياما عصيبة داخل أسوار السجن وأملها الوحيد أن تتزوج من خطيبها انتهاء مدة العقوبة .. ورغم أن خطيبها كان على علاقة بامرأة اخرى ، الا أنه حافظ على خطيبته وهي في السجن ، حتى انه طلب منها الزواج رسميا ، لكن سلطات السجن رفضت هذا الطلب .. ثم يموت الخطيب ، وتعيش هي في ذكريات حبها الذى ساعدها على احتمال ما تعرضت له من عذاب داخل السجن .

واهم ممثلي الفيلم « الممثلة الالمانية ـ جوتا » التي مثلت طوال الفيلم دور السجينة بدون مكياج ، وما تعرضت له من تعذيب وقسوة شديدتين .

● حبات المسبحة ومشكلة الاسكان ●

ومن الافلام التي عرضت أيضا في المهرجان وتتناول القضية الازلية ومشكلة الاسكان » الفيلم البولندى « حبات المسبحة » للمخرج كازيمير كوتس ، والمقتبس عن رواية « البين سيكريسكى » « هذا المنزل ليس موجودا » وتدور أحداثه حول رجل يعمل في صناعة الفحم ، يعيش مع أسرته في أحد الاحياء العتيقة



● الممثلة الالمانية «جوتا» في مشهد من الفيلم الالماني « المخطوبة »



● مشـهد من الفيـلم البولندى « حبات المسبحة ومشكلة الاسكان »

والآيلة منازلها للسقوط ، وحين تريد الحكومة أن تزيل هذه الاحياء لتبنى بدلا منها مساكن جديدة ، ينقلون الناس منها الى أماكن أخرى ، الا أن هـذا الرجل يرفض التنقل ، لحنينه الجارف وحبه لبيته وبيئته .. الا أنهم فى النهـاية يهدون له « فيللا » أنيقـة يعيش فيها حياته .. ويضطر الرجل لذلك ، غير أنه يعيش هذه الحياة وحيدا .. يائسا .. لأنه لم يتعود الوحدة والغـربة .. فلا أهل ولا جيران ــ كما كان فى الماضى .

وقد حاز الفيلم على جائزة خاصة من لجنة التحكيم .

● قصة غابات فيينا ●

وعرض أيضا فيلم «قصة غابات فيينا» المقتبس عن مسرحية بنفس الاسم للكاتب المجـرى « أودون فون هورفت » الذى يكتب دائما باللغة الالمانية والذى اختص بكتـابة المسرحيـات الرومانسية فى المسرح الشعبى ــ والفيلم يصور حكاية فتاة يريد أبوها أن يزوجها لفتى يعمل « جزارا » ويحين يوم الزواج وتخـرج الاسرة للاحتفال ، ولكن الفتاة تتركهم لتلتقى بشـاب « أبله » وتتزوجه ، ثم تنجب منه طفلا ..

ونظرا لحياة الفقر التى يعيشونها ، تضطر الى العمل « كخادمة فى ملهى » ، ويتهمونها بالسرقة .. لتدخل السجن ، وتقضى فيه مدة العقوبة ، لتخرج فتجد ابنها قد مات ، وزوجها قد ترك البلدة وهاجر .. فترجع ثانية الى خطيبها الاول الذى يغفر لها خطيئتها .. ويتزوجهـا ثانية .

والفيلم من اخراج الممثل «مكسيميليان شل » النمساوى الاصل الذى شاهدنا له عديدا من الافلام .

● الهند .. ومشكلة الجوع ●

عرضت الهند فيلما طويلا جدا ــ أربع ساعات .. تحت اسم « المعبودة المرة » وهو الفيلم الوحيـد فى المهرجان الذى يعرض « أبيض واسـود » ، وهو من اخراج المخرج الهندى « داتشـكوبتا » الذى يقطن مقاطعة البنجال فى الهنـد « موطن المخـرج الهنـدى الشـهير ساتيا جيت راى » وهذه المقاطعة بالذات تعانى من الجوع ..

● الامريكى دائما على القمة ●

والى جانب تلك النوعية من الافـلام والتى لاقت نجاحا ، فاننا نجد أن الافلام الامريكية كانت كما هى دائما فى مقدمة افلام المهرجان ، وقد عرض بعض من هذه الافلام .. نذكر منها « العدالة للجميع » اخراج نورمان جويسون وبطولة الممثـل آل باتشينو ، ويدور موضـوعه حـول الفوضى فى المحاكم الامريكية وما فيها من رشاو وفساد . وأيضـا عـرض فيلم « كرامر ضد كرامر » الذى شـاهدناه اخيرا فى القاهرة ..

ولا يستطيع الانسان وصـف الزحام الشديد .. فى الاقبال على مشـاهدته ، ويكفى ان عددا كبيرا جدا من الشاهدين لم يجدوا أماكن للجلوس فاضطروا الى مشاهدته وقوفا ، رغم عرضـه أكثر من مرة ــ نظرا لجودة الفيلم وروعة قصته واخراجه وتمثيله .

ومن هنـا يتبين .. أن أى مهرجان سينمائى يقام فى أى دولة من دول العالم .. اشتراكية أو رأسمالية .. لابد وأن تشارك فيه الافلام الامريكية التى تجد شعبية كبيرة عند الجماهير .

قصـــة

مسقط النهر

● محمد كمال محمد ●

● ايقظتها السيدة في غبش الفجر ، ونزلت لدكان اللبان تضرب بقبقابها وجوربها الرجالي المثقوب في وحل الشارع .. واحست بلسع البرد في جلبابها « الشيت » فلفت ذراعيها حول جنبيها بالوعاء الفارغ .

وهي عائدة ، اشتهت كوبا من اللبن الذي يملأ الوعاء في يدها .. كان ابوها يسقيها كوزا كل ليلة ، عندما يأتي باوعية اللبن ملآنة ، ليصبح في الفجر سارحا لزبائنه في المدينة الصغيرة .. وكان يملأ لها طبق الصاج لتفت الرغيف الطرى تتعشى ..

سقطت نظرتها على السلالم التي بدأت تصعد درجاتها .. كان ابوها يصعد مثلها كل صباح ، ليبيع للسيدة اللبن قبل ان تأتى الى المدينة الكبيرة . كان وجهه صبوحا وكان يدعو للسيدة وهي تعطيه النقود بالصحة والستر : في بيتهم قالت السيدة هذا لامها مؤكدة « ابنتك لن تخدم في بيت غريب »

السيدة تعرف ان في البيت بنتا قالت أمها للسيدة ان اباها كان يحمل جميل الاستاذ زوجها ، لنقلها الى المدرسة المجاورة للبيت حينما دخلتها .. هزت امها راسها في حزن لتركها المدرسة عندما ذهب ابوها ..

ساعتها كانت تجلس بجانب اوعية اللبن الفارغة من الشتاء الفائت .. كانت تصنع لنفسها اطباقا صغيرة كالغرابيل من شرائح القاب الاخضر ، تعلق في جانبيها دوبارة رفيعه .

كانت ترقب وجه امها متوسلة ، امها كانت لا تصدق ، وكانت مستغربة مجيء السيدة لتاخذها للخدمة في بيتها ..

عندما خطت بقدميها خارج عتبة البيت ، نادتها امها فجاة : « صباح ». اسرعت واحتضنتها .. كانت تنشج فنشجت معها .. وكانت تقول للسيدة « لا تكسرى خاطرها .. كانت وردة ابيها يشمها صبحا ومساء ، كنت اضمها في حجرى واغطيها بثوبى .. لولا خاطرك وحاجتي ما رضيت مفارقتها » .

اول ما خطت بقدمها داخل الشقة بوعاء اللبن ، انسرقت نظرتها مشغوفة تحطت على الصندوق الاسود .. وعندما تباطأت بجانب الصندوق وتمسحت به وحومت حوله بالمقشة ، تعجلتها السيدة صائحة لتكف من لكاعتها ، فاسرعت حركتها ، ثم عادت تتباطأ وتكنس خلف الصندوق وتحته .. هدرت السيدة من بعيد لتغادر مكانها ، فتسارعت يدها بالمقشة ، لكنها كانت تحبو حول الصندوق ، وتنبطح على ركبتيها امامه .. ونهضت اخيرا لتلتقط المنفضة ، وتنفض بها الوجه الزجاجى الرمادي : تحلم .. عندما يبيض الوجه – ويموج بالاشياء التى تطن وتغنى ! ..

خرجت الى الشرفة بمضرب الخيزران لتنفض السجادة والحشيتين صاحت السيدة خلفها فضربت بقوة كان الغبار يتطاير تحت عينيها ، وكان وجه امها يطل آسيا ، مشتاقة كما هي مشتاقة .. المسافة بينهما طويلة وبعيدة ، عميقة داخلها .. احست قدماها تقفان على بلاطة من الثلج ، وارتجفت ..

عندما دخلت بالسجادة الثقيلة تجرجرها خلفها نظرت الى وجه السيدة .. كان رماديا بلون البيت.. ستطلب منها ان تكتب خطابا لامها فرشت السجادة فى حجرة السيدة ونظرت الى وجهها متعجبة ..التفتت ناحية افطارها داخل المطبخ ، الرغيف لم ينقص منه غير لقمة ..

***

فى المغرب كانت اذنها توجعها ، كانت فى المطبخ تفكر فيما ستقوله لامها ، تثاءبت وثقل راسها كانت تشتهى النوم ، لكنها كانت تنتظر العالم الساحر :بعد قليل تنفتح ابوابه وقتها تكون لقمة العشاء فى فمها ، تنسل من داخل المطبخ وتقف فى الطرف البعيد من الصالة ، منجذبة العينين لحركة الظلال التى يتخفى بها وجه الصندوق .. فى حذر تقترب من المقعد الملاصق لمنضدة الطعام وتجلس على طرفه يشدها العالم المسحور لتدخله بكيانها .. ويمضغ فكها بلا وعى اللقمة التى تظل طويلا فى فمها .

تتجه بعينيها الى راس السيدة وزوجها متلصصة ، عندما تتيقن ان الراسين جامدان مشدودان للصندوق ،تسرق تاركة عشاءها ، تثقل قدميها على اصابعها ، يتوقف فكها ساهيا وتنزوى اللقمة فى شدقها .. وحينها تقف فى حذر داخل المربع الذى تدور فيه الدنيا ، تنسلب ذاهلة لصق ظهور المقاعد ، ثم تقعى بين الكنبة والمقعد الخلفيين وتمد امامها عنقها ماخوذة تتعجب لكثرة الخلق فى الصندوق .. تحمل همهم : اين سينامون فى آخر الليل ؟ .. هل سيلحقون العودة لبيوتهم ؟ .. تستغرب للبنت التى تدخل الحجرة وتخرج بفستان جديد فى غمضة عين — تذهل محملقة لعودة الرجل لابس « النضارة » للحياة بعد موته . تسبح فى بحر العجائب.

— « بنت !؟ »

ترد وهى بين الحلم والحقيقة ..

تهدر السيدة :

— « اذهبى نامى .. ستصحين مبكرة ! »

يغمغم زوج السيدة دون أن يتحرك راسه :

— « اذهبى نامى .. ستصحين مبكرة ! .. »

تذهب ...

اشتهت ان تدخل الدنيا الساحرة وحدها .. دون حذر ولا خوف تجلس مثل السيدة على المقعد امام الصندوق .. تفتح باصبعها الابواب العجيبة وتدخلها واحدا بعد آخر .

كانت فى الشقة وحدها .. وقفت امام الصندوق ومدت يدها متهيبة عبثت اصابعها بالمفتاح الفوقى وانتظرت .. نزلت الى الزر التحتى ، لمست بالاوسط — كبست صف الازرار وانتظرت . . امسكتها بكل اصابعها ..نزلت بها وطلعت .. لم تنفتح الدنيا ، جذبت كل ما امامها ، انخلع بعضها وسقط .. حملقت تحت قدميها وانزعجت ..

طوت نفسها وتكومت بجانب الصندوق ، انكمشت مثلجة .

عندما ارتفع مضرب الخيزران فى يد السيدة وتراجعت مرتعبة ، كان الغبار يتطاير بكثافة امام عينيها ... صرخت مع صرخة الالم ، كان وجه امها يطل آسيا .

كانت مقهورة فى داخلها لصمت الصندوق ! ..

فى الليل رقدت على فرشتها ، بعد ان اظلم وجه الساحر ، وانطفأت البهجة ، فتحت عيناها للسواد المحدق تدفق فى اذنيها هسيس الليل الساكن الذى لا تعرف من اين يجىء ..وحملها النهر الى السقف ..

اخرجت يدها من تحت البطانية المتخولة ، تحسست الصدر الدافىء لتدخل فيه ، حبت يدها على البلاط البارد .. « .. لولا خاطرك وحاجتى ما رضيت مفارقتها .. كانت وردة ابيها يشمها صبحا ومساء كنت اضمها فى حجرى والطيها بثوبى .. » ..

اغمضت على دمعة ! .. ●●

كاريكاتير

جيل جديد جدا !



الولد لابيه : ابسط يا سيدى .. انا خلاص حليت لكم مشكلة مستقبلى ! .. فيه عندنا فى الفصل بنت حلوة وابوها غنى .. ح احبها واتجوزها ونحقق كل الاحلام !



الولد لصاحبه : انا ما رحتش المدرسة النهارده لانى عندى تصريح خاص من حضرة الناظر لى شخصيا ! .. انما انت بقى مارحتش ليه ؟!


الولد لابيه : ودايما تقولوا الموسيقى فن جميل وبديع ،الخ ! لكن ساعة ما اعزف انا تقولوا ايه الدوشة الفظيعة دي ! .. حيرتوني معاكم !
الولد لابيه : يا سيدي ولا يهمك النمر الوحشة دي في شهادتي ! .. العظماء كلهم كانوا باخدوا نمر وحشة في امتحاناتهم، ماعندك تشرشل وبرناردشو وانشتين كانت نمرهم كده واوحش من كده !
الولد : انا خلصت الجزء الاكبر من مذكرات حياتي بس الحقيقة مش عارف اعطى امتياز نشرها لمين .. للاهرام ولا الاخبار ولا لمين من كبار الناشرين ؟!
الولد لزميله : بابا اترقى النهارده وبقى مدير عام .. يعني بقى رئيس باباك .. يعني من النهارده بقى تعرف مركزك، وتمشى دايما ورايا !

قصة :

قبل أن يخبو الضوء

● أحمد علي رجب ●

● كانت والدة بجواري ، ترتعد ... تخطو خطوة قصيرة ثم ترتد .. ولم يكن النور الاخضر قد اضاء بعد للمشاة ...
واحسست بذراعها المهتزة تصطدم بي ، فانحنيت نحوها وقلت ـ يبدو انك تريدين العبور الى الجانب الآخر من الطريق ـ يا والدتي ..
فأومأت برأسها ايجابا . وسرعان ما عانقت يدي يدها المضطربة . وانطلق لسانها يتمتم بدعاء طويل .
ثم تذكرت والدتي ، وتلك الرحلة الشاقة المضنية التي قطعتها وحدها بعد موت ابي ،وكيف أنها استطاعت . بتلك القروش الضئيلة المتمثلة في المعاش الذي خلفه لنا والدي . أن تبني أربع قلاع يتطلب بناؤها اضعاف صبر أيوب !

***

وفجأة ، رأيتني وجها لوجه أمام الاستاذ جميل ، مدرسي في المرحلة الابتدائية ، وكنت لم أره منذ أن أنهيت دراستي . كما كانت أخباره قد انقطعت عن منزلنا بعد ذلك بأربع سنوات ، أي منذ أن اجتازت شقيقتي مرحلة التعليم الابتدائي ، ولم أشأ أن تمر هذه الفرصة دون أن أجدد تعارفنا .
ـ استاذ جميل كيف حالك .. ؟
ـ بخير ، أهلا وسهلا .. هذا الصوت ليس بغريب على مسامعي .. لابد أنك أيها الصديق كنت واحدا من تلاميذي ، لكن من ؟
ـ كيف حال السيدة فتحية ؟
ـ رحمها الله !
ـ الى هذه السن المبكرة ؟
ـ ومتى كان الموت ، يا صديقي العزيز ، يحسب للسن أي حساب ؟

***

وبعد الظهر ، عندما عدت الى منزل ، الفيت والدتي في حال يرثى لها من الحزن ، فاخذت احاورها واضاحكها ، وادور بها في المنعطفات حتى وقفت على سر حزنها .
ـ جارتنا ام سوسن قالت كلمة ايقظت في نفسي كل أحزان الماضي .
ـ لكن عهدي بام سوسن طيبة ومؤدبة لا تنطق الا بالكلم الطيب .
ـ لا اقصد انها قالت شرا .. لكنها في حديث عابر عن زوجها ، دعت له قائلة : اسأل الله الا يحرمني من سماع صوته ! .. فتذكرت والدك عليه رحمة الله .
وبرق في خاطري منظر تلك العجوز التي كانت تحاول عبور الطريق وحدها وهي ترتجف ..
وقفزت الى رأسي فكرة ما ..
وعندما جلسنا لتناول الغداء ، حكيت لاسرتي قصة لقائي بالاستاذ جميل ، وفقدانه لزوجته
وفي الحقيقة كان اسم الاستاذ جميل منقوشا فوق شغاف قلوبنا . وما من احد منا الا وقد تأثر به في فرع من فروع انشطته المتعددة ، فقد كان ينظم الشعر ويهوى التصوير والموسيقى ..

***

وفي المساء شغلت أمي بالحديث مع أم سوسن ، بينما جلست ،أنا وشقيقاي في الشرفة وقلت :
ـ ما رأيكما في أن نبحث عن زوجة للاستاذ جميل .. ؟
ـ أيتزوج وهو في هذه السن .. ؟
ـ هو لم يكلفني بشيء وهو الآن لم يتعد الثامنة والاربعين .
ـ لكن .. من التي ترشحها لهذا الزواج ؟
قال شقيقي الاوسط هذا ، ثم رماني بنظرة فاحصة ..
أتراه قد فطن الى ما يدور في رأسي ؟

يعرف ان بيتنا سيخلو منا عما قريب . فهل سنترك امى بمفردها تتجرع كئوس الوحدة المريرة ؟

غير ان شقيقى الاصغر ما لبث ان ابتسم ، ثم قال :

ـ اقترح ان ندعو الاستاذ جميل لتناول الغذاء ، و .. لتجديد التعارف .

ونال هذا الاقتراح موافقة جماعية .

***

جملت كوثر المائدة بالورود ، ونقلت قفصين من اقفاص طيور الزينة الى صالة الطعام ، وصنعت امى ارزا ممزوجا باللحم واطباقا لذيذة من الحلوى .

وقلت لامى وانا ارمق ثوبها الجديد الذى ارتدته لهذه المناسبة :

ـ جميل هذا الثوب ، لكن لماذا هذا اللون القاتم ؟ لماذا توقظ أحزان الاستاذ جميل ؟

وايدتنى كوثر .. واضافت :

ـ وانا ساصلب لك شعرك يا اماه .. بطريقة افضل !

وقالت امى والحياء يكسوها :

ـ لكن .. لماذا هذا الاهتمام الزائد بى .. ؟

وانساب رنين جرس الباب داخل الشقة معلنا وصول الضيف ، فهرعت لاستقباله ، كان يتألق فى حلة جديدة ، كما كان قد استبدل برباط عنقه الأسود رباطا جديدا أكثر بهجة .. وعندما وقعت عيناه على شقيقتى صاح :

ـ تذكرت .. انت الآنسة التى كانت ترسم الادم، فى هيئة العفريت ..

وضحكنا .. وقدناه الى غرفة الصالون ريثما تاتى امى لترحب بقدومه لكنها لم تفعل ، فاستاذنت ونهضت ابحث عنها .. كانت جالسة فى غرفتها تبكى فى صمت .. !

ولاول مرة احسست باضطرابها .. رايت انها فى حاجة الى من يعينها .. فاسرعت استنجد بام سوسن وقالت جارتنا :

ـ يا ولدى .. لقد قصصت على امك فى حياء قصة المؤامرة التى تدبرونها .. فهى ذكية بما فيه الكفاية .. سابذل جهدى واصحبك ، وأحاول اقناعها .

وقالت امى بعد لحظات من الصمت الرهيب :

ـ لقد رأيت الاستاذ جميل من خلف الستار .. لم يكن كبير السن كما كنت أتوقع ، أعنى ، أقصد انه ..

وتدخلت أم سوسن :

ـ عادل سيتزوج بعد أيام ثم يعود الى الخارج ، وشقيقتاه قد أتما تعليمهما وسيلحقان به .. أما كوثر فهى مخطوبة .. وهى فى المرحلة النهائية من التعليم الجامعى ..

ثم التفتت أم سوسن نحوى وقالت :

ـ لماذا لا تسبقنا يا عادل الى غرفة الصالون .. ؟

***

وقف الاستاذ جميل محييا عند دخول السيدتين ، وقال بطريقته المرحة التى لم يتخل عنها :

ـ دعونى اخمن ،ايها الاصدقاء الاعزاء من الام ومن الصديقة .. اما امكما فهى بلا شك تلك السيدة ذات الثوب الجميل التى سأتشرف بمصافحتها الآن ... وبالطبع ، فان السيدة الاخرى هى صديقتها العزيزة ام سوسن ، وهذا لا يحتاج الى ذكاء !

وضحكنا جميعا . ووجهت امى الحديث الى جارتنا وهى تتعثر فى خجلها :

ـ فى الحقيقة .. الاستاذ جميل صاحب فضل على أولادى جميعا ،عوضهم الكثير خلال فترة كانوا هم فيها أحوج الى عطف رجل ، ووضع أيديهم على معالم الطريق ، لكن دعوتنا له تجىء متأخرة ، كالعادة .

وعندما جلسنا الى المائدة .. حرصنا على أن يكون مقعد الاستاذ مجاورا لمقعد امى ، وكأن عصفور مرح قد بدأ يملأ المكان شدوا وغناء .. بينما أخذت امى تنتقى قطعا من الشواء ثم تضعها الى طبق الاستاذ جميل ، فيتقبلها فى استسلام ، ويتمتم بكلمات شكر ! ●●

الحب و الغزل عندهم

● د • عز الدين فراج ●

● كما ان المحب يقف بالقرب من نافذة محبوبته يبثها هواه على اوتار قيثارته ، كذلك ذكور الضفادع اذا اجتمعت باناثها فى وقت الربيع وما بعده بقليل ارتفعت أصواتها بالنقيق معبرة عما يخالجها من شوق وهيام ! •

والضفدع يحدث نقيقه بالهواء ، يدفعه من رئتيه زفيرا فيمر على احبال الصوت فى حنجرته فتهتز الاوتار ، وينشأ هذا الصوت الذى نسمعه •• وترجع قوة هذا الصوت الى كيسين على جانبى فم الضفدع يمتلئان بالهواء ، فيرنان مع الصوت رنينا شديدا ، كما يرن جوف العود لما فيه من هواء كلما دق الموسيقى على اوتاره •

هذه قيثارة الضفدع • هذه أصواته ونجواه ، يرسلها الذكر ليستهوى بها الانثى ، وليحرك فيها الغرائز والمشاعر ، وكأنه « روميو » وقف تحت نافذة « جوليت » يطلب منها اللقاء والوصل والحب !

ويظل هذا الذكر المحب يرفع صوته معبرا عن شوقه وهيامه ، وهو غارق فى مائه ووحله ، حتى يجد من يبادله شوقا بشوق وهياما بهيام •• لقد استطاع الحيوان الضئيل فى حجمه أن يدرك بغريزته وفطرته أن اللقاء والوصل والحب والتزاوج أمور لا تفرض فرضا ، ولا تأتى بالعنف والقوة ، انما هى أمور تتصل بالعاطفة اتصالا كبيرا • ولا تتحقق الا بالملاينة والمحايلة والاسترضاء !

لقد ادرك ان التوالد والتناسل ضرورة من ضرورات المحافظة على النوع فارسل نقيقه ونجواه الى الانثى ليحقق اللقاء بها ، وفى اللقاء تزاوج وتناسل • وفى التزاوج والتناسل تزايد وبقاء وحفظ للنوع •



ويظل الضفدع الذكر يسترضي الشاه بأسلوبه الخاص في هذا الموسم المعلوم، حتى اذا ما انتهى هذا الموسم كف ذكر الضفدع عن نقيقه ، وصمت كصمت الانثى .

وفي الخريف عندما يبرد الجو ينام الضفدع نوما طويلا في شق بين الطحالب والحشائش ، او في حفرة من الطين على مقربة من الماء .

واذا تام هذه النومة ، ورقد هذه الرقدة ، الصق فمه وانفه فلا تحس له بحركة ، لان كل شيء قد توقف عن الحركة ما عدا القلب الذي يرسل ضرباته في ضعف واضح .. ويظل الضفدع على هذا الوضع حتى يحل الربيع ، فيصحو الضفدع الذكر من نومه ، ويعود الى نقيقه ليستهوي الشاه من جديد .

واذا ذكرنا ذكور الضفادع ونقيقها ، فلابد أن نذكر ذكور حشرة السيكادا البرازيلية التي تخرج صوتا رفيعا عاليا يشبه صفير القاطرة ، لتجلب به الاناث

وتثير اعجابها .

قد نرى نحن معشر البشر في هذه الاصوات نغمات لا ترضي ولا تطرب ، ولكن اناث هذه الحشرات ترى في هذه الاصوات نغمات ترضي وغناء يطرب . ويكفي أنها صادرة من ذكر محب ولهان ، جاء يعبر عن اعجابه وتقديره !

وانثى السيكادا تسمع كل هذه الانغام والاصوات في هدوء وصمت . ولعل صمتها هذا كان يلهب الذكر ، فيعود الى أنغامه وأصواته مرة بعد مرة .

وهناك أنواع من الصراصير تلجأ الى احداث أصوات خاصة تجذب بها اناثها، وتعبر بها عن غرائزها ، فصرصار الغيط الذكر يقف في المساء عند مدخل شقه ويرسل أصواتا متتابعة حتى تقترب منه احدى الاناث . عندئذ يستبدل بالنغمات العالية نغمات اكثر رقة وأوفر حنانا . ثم يأخذ هذا الموسيقى الناجح بعد ذلك في تدليل اليفته .

● اناث تتبرج وتتعطر ! ●

ومن الظواهر المألوفة في دنيا الحشرات ما نراه عند بعض الاناث من افراز مواد تفوح منها رائحة عطرة ، لتجذب اليها الذكور ، فيكون بينها لقاء فوصل للتزاوج فبقاء .

وقد وصف جان هنري فابر،أحد علماء الحشرات ، في مذكراته ، عرس فراشة ليلية تسمى « الطاووس الكبير » ، فقال :

« في صبيحة يوم شاهدت أنثى من اناث هذه الحشرة تغادر شرنقتها ، فعزلتها تحت جرس معدني .. وفي المساء دهشت عندما رأيت جميع داري ـ وليس معمل فحسب، قد حطت عليها جموع من فراشات هذه الحشرة .

«كان المنظر غريبا،عجيبا حقا فقد كانت اسراب ذكور هذه الحشرة تحوم حول هذا الجرس المعدني وتصعد الى السقف ثم تدور وتروح وتغدو وقبلتها هذا الجرس . كان عدد هذه الفراشات في المعمل وحده عشرين ، عدا عددا آخر مماثلا تناثر في غرفة النوم والمطبخ.



وفي اليوم التالي ازداد هذا العدد حتى تضاعف ، وفي نهاية الاسبوع بلغ مائة وخمسين فراشة . وكان بعضها جاء من مكان بعيد يقع على بعد الفي متر ، ان لم يكن أكثر من ذلك .. »

لقد فتحت هذه المشاهدات امام هذا العالم آفاقا من البحث والتفكير ،وتساءل كيف جاءت هذه الذكور ؟ وكيف عرفت بمولد هذه الانثى وخروجها من شرنقتها؟!

واخيرا انتهى بحثه الى ان اناث هذه الحشرة تخرج رائحة قوية جدا ،تشمها الذكور عن بعد وتسر لها ، فتأتي طائعة مختارة في شوق بالغ .. باحثة عن صاحبة هذه الرائحة .

والدليل على ذلك انه لو وضعت الانثى في علبة محكمة او في زجاجة مسدودة سدا محكما ، لا يأتي نحوها اى ذكر ، فاذا فتحت فتحة صغيرة أقبلت الذكور مسرعة نحوها ..

وتلعب ألوان الريش الزاهية دورا كبيرا في استجلاب رضاء اناث الطيور ومودتها حتى أصبحنا نعتمد أول مانعتمد على ألوان الريش في تمييز الذكور من الاناث .

وفي كثير من الحالات يسقط ريش الذكر سقوطا تاما ، ويظهر غيره قرب فصل التزاوج .

وللكثير من انواع الطيور نغمات خاصة لا تسمع الا في فصل التزاوج ، فهي في حقيقتها نغمات غزل ومداعبة وتودد ، يترنم بها الذكر من آن الى آخر لاستجلاب

رضاء خليلته ، ووقوعها في شراك حبه، حتى ترضى به شريكا ٠

وتأتي بعض ذكور الطير أثناء غزلها افعالا تهدف الى اثارة اعجاب الاناث ، فكثيرا ما نرى الديك الرومى يختال أمام الانثى رافعا رأسه ،وقد ملأ رئتيه بالهواء ونشر ريش جناحيه حتى وصلا الى الارض ثم يسير بعد ذلك في عظمة واعتداد وكبرياء ٠

وكذلك الطاووس الذى حبته الطبيعة بجناح يأخذ بالالباب بحسن ألوانه وبديع تنسيقه ، وكأنه غادة قد تجلت بثوب من سندس واستبرق ٠تراه يميل برأسه الى الخلف ويمط ريشه ، كأنه «مروحة» ابدع تنسيقها ونقشها ، كل ذلك ليجذب انظارها ويثير اعجابها ٠

وكما أن الهدايا يستعين بها المحب على كسب رضاء حبيبته وخطيبته ،كذلك بعض ذكور الحشرات والطيور ، فانها تقدم لاناثها بعض الهدايا بطريقة تتناسب مع بيئتها ومقدرتها ، فنجد مثلا ذكر ذبابة المخطار ، وهى ذبابة صغيرة سمراء اللون ، يبحث عن فريسة يقدمها هدية لانثاه ، بعد أن يغلفها بنسيج حريرى أو بفقاعات يصنعها من لعابه ٠

ومتى أعد الذكر هديته بالطريقة السالفة الذكر ، حملها بين ارجله ، حتى اذا ما التقى بالانثى المنشودة ، راح يمر امامها مرة بعد مرة لاجتذاب انظارها واغرائها بما حمله من هدايا ! ٠٠

وهناك نوع من الطيور يقرب فى حجمه من حجم العصفور يعرف بالطائر الاسترالى ، يبنى نفقا أو وكرا لانثاه فى أغصان صغيرة يجمعها بنفسه ، ويضع لها فى مدخل هذا النفق أصدافا صغيرة وأوراقا وبعض الثمار ، ثم يعمل الذكر بعد ذلك على اجتذاب الانثى لزيارة هذا النفق ، لتشاهد ما جمعه لها من أعواد وأوراق ثمار وأصداف صغيرة ٠٠

ولطائر البطريق الذى يعيش فى الاقاليم الباردة اسلوبه الخاص فى الغزل لا يحيد عنه ، فاذا أراد ان يتودد لانثى اختار حصاة وتقدم اليها فى زهو





واعجاب ، واضعا حصاته تحت قدميها ، فاذا التقطتها هذه الانثى فمعنى ذلك انها رضيت به زوجا ٠ وان لم تعبأ به تركت الحصاة من غير ان تلمسها ٠ وعندئذ ينصرف عنها الى اخرى ترضى به عن طيب خاطر ٠٠ وهو فى ذلك لايغضب ولا يخاصم ولا يثور ، لانه ادرك بفطرته ان الحب والغزل والتزاوج كلها أمور تقوم على الرضا والقبول قبل أى شىء آخر ٠

●●

رسالتي الأخيرة

(١)

واعرف انى احبك
وانى انتظرتك دهرا طويلا
اصارع من اجلك المستحيلا
افتش عنك
وعبر المطارات .. بين الممرات .. عبر البحار
اسائل عنك الربا والقفار
وابحث عنك
وانى وجدتك
وان حياتى خريف بدونك
وان عيونك .. كانت مع الليل حلمى وهمى
وانى مع الصبح الهو
اغازل كل عيون البنات
اداعبهن على العشب .. بين الحقول ..
واقطف من خدهن ورودا
اقربها للفؤاد فيصحو .. وينسى مع الورد طعم
ولكن ليل الغرام لعينيك وحدك
اداعب طيفك
احادث صورتك الشاعرية
اقبلها فى رضا ووداعة
وفى كل ساعة ..
اطالع كل رسائلك العاشقات وابكى
اعيش على يوم لقياك ابكى
اعانق نجم المساء وحيدا



(٢)

واعرف انى احبك
وانك مثلى
وانك تهوين شعرى ونثرى
وخطى ورسمى
وروحى واسمى
وترضين بالمستحيل معى
ولكن عمرى شتاء وليل !
وحزن وويل !

(٣)

لماذا اتيت لى الان نورا
يسامرنى فى الليالى الشريده ؟
لماذا تمنين قلبا حزينا
وتغرينه بالامانى السعيده ؟
وتدنين من راحتيه المجرات والساريات البعيده
لقد راح يشدو ...
ويغزل من ضوء عينيك الف قصيده
ولكننى لست اشدو مع القلب لا استلذ نشيده ..
لانى غدا سأموت وحيدا
وادفن بين الهموم وحيدا
فهل يا مناى تذيعين سرى ؟
وهل تحفظين الرسائل بعدى ؟
وهل تذكرين ؟
هل تذكرين ؟

● عـزت الطيرى ●
جامعة اسيوط

قصيدتي الأخيرة

● سعد عبد الرحمن ●



عبارة قصيرة ..
بل كلمة من احرف اربعة صغيرة
تلك التي انتظرتها ..
لاشهر طويلة مريرة
من فمك البخيل ، يا ايتها المغرورة
عبارة قصيرة
لكنها خطيرة ، خطيرة
لان في ان تنطقي او تكتبي حروفها
قد كمنت سعادتي الكبيرة
اواه يا حبيبتي
قد عطلت نباهتي بسماتك المثيرة
حتى اعتقدت الصدق
في وعودك الكثيرة
لكنني وقد تكشف الخداع
رايت ان اقول يا خادعتي : الوداع
فهذه قصيدتي الاخيرة .

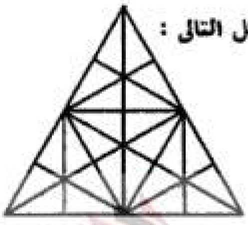
روح عن نفسك

اولا - : لغز شعرى ، ما الاسم الذى :

أوله ثالث تفـــاحة ورابع التفاح ثانيه

وأول المسك له ثالث وآخر الورد لباقيه

ثانيا : - كم زاوية فى الشكل التالى :



ثالثا : - هل انت قوى الملاحظة ؟

١ - على اى جانب تكون ارقام الصفحات الفردية فى الكتب العربية ؟

٢ - انت تستعمل الشوكة فى تناول الطعام مرة يوميا على الاقل ، فهل عدد اسنانها اربع ام خمس ؟

٣ - كم وجها لساعة محطة القاهرة ؟

٤ - قالوا ان الابرة ليس بها عين ، فهل صدقوا ؟

٥ - من الرجل الذى يسمح له الملوك والملكات بالجلــوس امامهم دون أن ينزع غطاء راسه ؟

٦ - ما الشيء الذى يخترق الزجاج دون ان يكسره ؟

٧ - ما الشيء الذى يشترك الانسان والحيوان فى لبسه ؟

٨ - له قدم فى الوسط وقدم على الجانب الايمن وفم ثالث على الجـــانب الايسر ، فما هو ؟

٩ - ما حجم التراب الموجود فى حفرة مساحتها متر مربع وعمقها متران ؟

١٠ - كم مرة تستطيع ان تطرح (١٠) من (١٠٠) ؟

رابعا - : اختبر معلوماتك الجغرافية :

١ - ما الفرق بين وادى النيل وحوض النيل ؟

٢ - ما الفرق بين السحاب والضباب ؟

٣ - ما الفرق بين الجندل وبين الشلال وما اضرار كل منهما واين توجـد الجنادل والشلالات فى حوض النيل ؟

٤ - أين توجد باريس فى غير فرنسا ، وبولاق فى غير القاهرة ؟

٥ - اين توجد القاهرة والاسكندرية فى غير جمهورية مصر العربية ؟

الإجابات

ولا : اللغز الشعرى : احمد

ثانيا : كم زاوية ؟ ١٠٤

ثالثا : هل انت قوى الملاحظة ؟

١ ـ الايسر
٢ ـ اربع
٣ ـ وجهان
٤ ـ نعم ، ليس بها حرف العين
٥ ـ الحوذى او سائق السيارة .
٦ ـ الضوء
٧ ـ الصوف
٨ ـ الباردة ، والباردة طولها ثلاثة اقدام .
٩ ـ لا شيء لانها حفرة .
١٠ ـ مرة واحدة وبعدها لا تصبح المائة مائة .

رابعا : ـ اختبر معلوماتك

١ ـ وادى النيل هو الاراضى الزراعية التى يرويها النيل اما حوض النيل فهو كل الجهات التى يصل ما يسقط عليها من امطار الى نهر النيل وروافده .

٢ ـ السحاب يتكون فى الفضاء العالى والضباب يتكون على سطح الارض او المياه .

٣ ـ الجندل هو الصخور التى تعترض مجرى النهر ، اما الشلال فهو انخفاض مفاجىء فى مجرى النهر وكلاهما يعوق الملاحة ويعرض السفن وما تحمله للاخطار .

وتوجد الجنادل الستة جنوب اسوان حتى شمال الخرطوم ويطلق عليها خطا شلالات . اما الشلالات فتكثر عند منابع النيل واشهرها شلالات فيكتوريا .

٤ ـ باريس وبولاق توجدان فى الواحات الخارجة .

٥ ـ فى الولايات المتحدة الامريكية أكثر من مدينة بهذين الاسمين .

المنفى

● رأفت سليم ●

الخريف وذبول الاحلام في رأس مجهد ، فوق وسادة تضيع حنانا ، ويتململ .. الانفاس لم تعد هادئة .. الاوراق تتساقط على ارض طريق اجرد ، على جانبيه ثلاث اشجار يابسة تقف اشباحا يكسوها الثلج ، فرشة حولها . العروس تنظر عليه ، تتمايل ، لها خدا تفاح ، تلمزهما غمازتان — مهرة صغيرة ، تكبر في ضوء الشمس الراحلة الى مغيب .. تصير امرأة لها وجه نوري متورد .. تظل تدور حول نفسها في رقص مبالية ، تلهث في الريح التي تهب كلما هبط الغسق وبعده ، تماسك تقاوم يضنيها الدوار اخيرا تسقط متكومة على ذاتها ، كرة تدحرجها الريح على الطريق .. الاوراق الصفراء المتساقطة تطير في كل الارجاء .

وفوق الجبل القريب عملاق من نور ، يتصاعد القمة ينتهر الريح لتسكت تتوقف الكرة عن التدحرج تلوذ بساق الشجرة الضخمة القديمة ، في المنتصف ينبعث الدفء من قلبها ، تعود المهرة امرأة جامحة ، قوية .. يصبح العملاق شمسا هادئة ، تغيب غمازتا التفاح ، تلمع ماسات الجليد — ايضا — على الارض .

على الاغصان الجافة ومن منعطف يظهر الفارس بلا حصان ، ينزل من فوق الشجرة الكبيرة يتذكر معطف الثلج الابيض قويا فارعا كسنديانة يتوقف حين يراها .

— من انت

تنظر اليه من خلال شعرها الطويل الليل المتدفق على الوجه وتحدق — ايضا — تقول :

— ومن انت ؟

يصرخ في وجهها :

— انت .. اقول ؟

تقول بسخرية : اغاظتني

يستشيط غضبه .. يندفع نحوها لا للعاصفة يتوقف لهتف به يغضب :

— ماذا تريد ؟

يقول مهتاجا :

— وماذا يمكن لمثلك ان يعطي ؟

تقول بخيل وهي تحدجه بعينيها :

— متطفل

— لست ..

ترد باصرار : متطفل

يقول :

— هو عالمي ايضا كما ..

— لاشريك لي

— لكن اشترك

— لا احبه — من تحبين .. ؟

— مواطني ملك لي لا شأن لك بها !

يلتفت : لم ؟

— اتركني وحدي

يتوقف : لا موت في الثلج !!

— وما شأني ؟؟

تقول وعلى شفتيها ابتسامة بصيغة :

— تموت معه

يعود اليها ..

— بك وجه عرس جامحه

تقول متعابية : غابت الشمس ..

— الا تجدها ايضا ؟

— ويعد ؟

— لست ادري

— حقا ؟ . تغتار ؟

تضحك تجري امامه جدلة يجري مشدوها خلفها ترتمي على الثلج يقف جامدا

النافذة نصف مفتوحة منتشية هواء ساعات الليل الاخيرة بارد . القى عنه الغطاء ارتعش قام فاغلق النافذة اصطدمت — في العودة — بصورتها داخل الاطار الفضي الى جانب بجوار السرير ، لم تسقط .. ساعته ايضا تشير بضوء فوسفوري اخضر في العتمة الشاحبة الى قرب مطلع النهار .. تثاءب ، جلس على حافة الفراش راسه لايزال ثقيلا .. الرأس الاخر بجواره لايزال مستغرقا في خدر النوم العذب فوق الوسادة ..

تأملها : الوجه مستسلم مهزوم في الضوء الباهت المنساب من الصالة الى الداخل .. المصباح الصغير مضاء منذ ان ساد السكون ليلة الامس ساعة متاخرة .. خلا البيت منذ البداية من الاطفال ، والسنوات تمر الاشواق والحنين في لقين متحابين : عطش دائم التماسك فراءه التفاهم بالصبر واللامبالاة غطاء شاحب للهفة مطروحة كل يوم : في لحظات التواصل والهدوء ، والليل يهبط والفضاء يوشك ان يسحب لها ياته الدافئة ملمسها المخملية لذيذة ساخن ، لسخونة لاسعة .. لنسمات حانية تولد دوما مع غياب الشمس مع بهجة الاضواء ، تلمع في الشوارع ، وقد تحرر الناس من ملابسهم الثقيلة الاذرع ، احسدو النساء والعطش لهات صبوب او يصعد الى التبرم والحرق .. والحدة تنسحب تتغير وزوجة جميلة ، رغم شحوب وجهها البادي ، خلال ساعات ليل طويل .. يدها تقبض على وسادة صغيرة الى جانبها ، اليد الذراع الاخرى مستسلمة فوق الصدر وفي الرأس ظل صغير ، ينمو ، يتشبث بها ، يبكي تقذفه الى صدرها العاري بلهفة ليسكت ، تهدهده .. تتشبع الاصابع الطويلة المسترقة الاظافر على الوسادة ، ترتعش يضطرب والصدر يعلو ويهبط تتسارع الانفاس حينا لتهدا تتسارع .. ظل جالسا ملتفتا اليها ، ساقاه على الارض ، يهم بمغادرة الغرفة .. الصالة في الخارج هادئة الاصوات بدأت تتسابق من الشارع اجمعة عالية كالعادة ، تهدهد بعمق على شفتيه ايضا بدت ابتسامة صغيرة سمعها — في الداخل — تتقلب تنهض تخرج اليه تستند الى باب الغرفة ليمس النوم شبه عار ، جميلة كعادتها ، قال لها :

— ماذا لاتعطين شعرك ؟

تثاءبت .. استدارت تتمطى .. جلست الى المرآة تمشط شعرها يبطء تطاردها احلام ليل عميق ، والطفل ابى في يديه يصرخ يهدهده حرب عرق سطح المرآة اللامع يخرج ايضا جريا في بحر عاتية يلفظه الى داخل عميق ، عميق ..

● محمد قنديل البقل ●

قراءات

ديوان شوقي

● توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور : أحمد الحوفي ●

مكانة شوقي في الشعر العربي لا ينكرها عليه الا جاحد لرسوخ قدم شوقي في هذا الميدان ونفوقه فيه ..

ومنذ أن طالعت المطابع العربية جمهرة القارئين بطبع شعره سنة ١٨٩٨ الى سنة ١٩٤٣ والناس مقبلون على تلقف هذا الديوان باجزائه التى طبعت متفرقة بين تلك السنين التى تقرب من خمسين عاما

ولقد كانت هذه الطبعات لهذه الاجزاء طبعات احتلفت النظرة فيها شرحا وتعقيبا فكان كل جزء من نصيب أديب ، من اجل هذا فقدت تلك الطبعات أو قل الديوان تلك النظرة الموحدة التى ترد الامور بعضها الى بعض وتسوق الشروح على نمط لا تخالف فيه وتسوى فى الشرح فلا تترك صعبا حينا لتعرض الى سهل حينا آخر ، الامر الذى لم يستو الديوان فيه استواء واحدا ٠

لهذا كله كان ديوان شوقى او الشوقيات فى حاجة الى تلك النظرة الواحدة التى تسوقه على نمط واحد ونهج متفق ٠

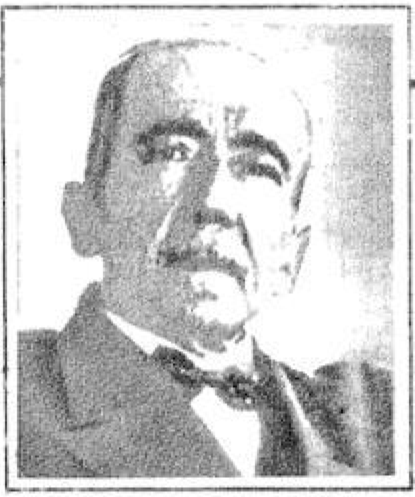
وكان لابد من أن ينبرى لهذا الجهد الضخم أديب متمكن ، له فوق تمكنه من الادب صلة المعاصرة بالشاعر وشعره والمناسبات التى قيل فيها ، اذ ما أحوج شعر الشاعر الى هذه الالمامة بتاريخ العصر ، واذا صح أن هذه الالمامة تتوفر لنا فى معالجة الشعر القديم بالرجوع الى المظان المختلفة التى تترجم للشاعر وتذكر ما يحيط به ، فهى فى الشعر الحديث عورها المعاصرة أو قرب المعاصرة ، اذ المظان هنا لا تغنى فالتاريخ لما يستوعب بعد هؤلاء المعاصرين بالحديث والتاريخ لذا كان من الخير لمن يعالج شعرا حديثا سبق به شاعره منذ حين أن يكون هذا المعالج لمثل هذا الشعر وللكتابة عن هذا الشاعر معاصرا أو شبه معاصر ٠

من اجل هذا رحبت الاوساط الادبية بهذا الجهد الذى عرض به أديبنا الأستاذ الدكتور احمد الحوفى لتحقيق وتوثيق شعر شوقى ، فهو لاشك قد عاصر شطرا من حياة شوقى ، ثم هو استاذ ادب ونقد يعنيه فى المقام الاول التنقيب عن تلك المناسبات التى قيلت فيها هذه القصائد ليفسح لنفسه فى مجال الشرح والتنقيب وليصدق تفسيره للدلالات التى تضمنتها ثم الاستدلال بما يؤيد ذلك من الوقائع

هذا فى الحق شرط اول يجب أن يكون فيمن يعرض لشعر شوقى ، وقد وجدناه فى الأستاذ الدكتور احمد الحوفى كما وجدنا فيه الشرط الثانى الذى يجب ان يتحقق لمن يعرض لشعر ضخم فخم كشعر شوقى ملء بالالفاظ والتراكيب المتأبية التى لا تلين الا لمن يملك مقادين : مقاد اللغة ، ومقاد البيان ٠

تحية للأستاذ الاديب الدكتور احمد الحوفى بعمله الكبير فى هذا الديوان الكبير ، تاركين للنقاد أن يقولوا فى هذا العمل كلمتهم ٠

قراءات



● احمد شوقي ●

الائمة الاربعة
للدكتور مصطفى الشكعة

هذا الكتاب يقع بفهارسه فيما يربو على الالف صفحة بقليل •

وهو عرض مفصل في الكلام عن الائمة الاربعة :

الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ ـ ١٥٠ هـ) وتحته فصول عشرة ، الفصل الاول منها في الكلام عن المنشأ والمربى لابي حنيفة •

والفصل الثاني منها عن شيوخ ابي حنيفة واساتذته ، والفصل الثالث منها عن حلقات ابي حنيفة ، والفصل الرابع منها عن صفات ابي حنيفة ومناقبه والفصل الخامس منها عن أبي حنيفة والسياسة ، والفصل السادس منها عن ابي حنيفة وهدايا الخلفاء ، والفصل السابع منها عن ابي حنيفة الامام ، والفصل الثامن منها عن فقه ابي حنيفة والفصل التاسع منها عن مؤلفات ابي حنيفة وفكره ، والفصل العاشر منها عن تلاميذ أبي حنيفة •

ثم يعقب هذه الفصول العشرة نماذج من كتب الفقه الحنفي : كتاب الآثار وكتاب المبسوط وكتاب الخراج •

ثم يتلو هذا الكتاب الاول بفصوله العشرة الكتاب الثاني وهو خاص بالامام مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ) وتحته فصول ثمانية .

ويعقب هذه الفصول الثمانية نموذج من المدونة لسحنون من فقه الامام مالك •

وهذا العرض لحياة الامام يقع في نحو من خمسين ومائة صفحة ويتلو هذين الكتابين الكتاب الاول عن أبي حنيفة والكتاب الثاني عن مالك •

والكتاب الثالث يتناول حياة الامام محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) •

وهذا الكتاب الثالث الخاص بالامام الشافعي يشمل هو الآخر فصولا ثمانية الفصل الاول منها في الكلام عن اسرة الشافعي ومنشئه ومرباه ،والفصل الثاني منها في فصاحة الشافعي ولغته ،والفصل الثالث منها في الشخصية العلمية للشافعي ، والفصل الرابع منها عن الشافعي والسياسة والفصل الخامس منها عن الشافعي ومذهبه في الشعر ، والفصل السادس منها عن الشافعي الامام ، والفصل السابع منها عن فقه الشافعي وكتبه ، والفصل الثامن منها عن تلاميذ الشافعي •

ثم الكتاب الرابع وينتظم الحديث عن احمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١ هـ) ويشمل هذا الباب هو الآخر فصولا ثمانية ويعقب هذه الفصول الثمانية نماذج من فقه الامام ابن حنبل من كتاب المقنع لموفق الدين عبد الله بن قدامة •

ويتلو هذا الكتاب كله فهرسان أحدهما الاعلام والآخر لمحتويات الكتاب •

وهذا الكتاب الموسوعي في عرضه الشائق واسلوبه السهل الميسر وجمعه الشامل ونظرته اللافتة ، يدل على جهد كبير لا ندرى كم افنى فيه الدكتور مصطفى الشكعة من وقت وجهد ، ولكن حسبه أنه زود المكتبة العربية بزاد عظيم نافع عن تاريخ هؤلاء الائمة الاربعة يضم كل ما كان لهم في حياتهم العامة والخاصة لا يعرض الا في القليل الى الموازنة بين آرائهم الفقهية وتفصيل ذلك الى الفقهاء لا الى الادباء والمؤرخين •

السياحة في سيناء

محو الامية وتعليم الكبار

من الاعمال المشكورة للمجالس القومية المتخصصة تلك السلسلة من الدراسات التى تصدر بعنوان : « مصر حتى عام ٢٠٠٠ »

وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن كتابان :

أولهما : السياحة في سيناء

وثانيهما : محو الامية وتعليم الكبار •

اما عن الكتاب الاول فهو كتاب الساعة ، كما يقولون ، فالتعريف بسيناء كاد ينقطع بعد ان الف في ذلك الموضوع نعوم شقير كتابه « تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها » ومن بعد هذا بأمد طويل ألف الدكتور عباس عمار كتابه عن سيناء وهو «المدخل الشرقي الى مصر »

وكان بين تأليف هذين الكتابين لفترة على الرغم من طولها الا أن هذين الكتابين على أية حال وصلا الناس بسيناء جغرافيا واجتماعيا وسياسيا • وعلى اختلاف مابين المنهجين لهذين الكتابين ، فلقد كان كلاهما ثروة علمية ، تحدث نعوم شقير في كتابه عن سيناء عامة منذ كانت الى أيامه ، وعرض في كتابه ما يعنى القارىء المستقصى عن سيناء أرضا وأهلا •

وبمثل هذا الاسلوب دخل الدكتور عباس عمار في كتابه « المدخل الشرقي الى مصر » غير أنه أوجز في نواح اطال فيها نعوم شقير ، وأطال في نواح أوجز فيها نعوم شقير وهى النواحي السياسية

وكتاب اليوم وهو السياحة في سيناء على الرغم من صغر حجمه وايجازه أشمل وأجمع ،فهو يعرض سيناء منطقة تستهوى السائحين بماضيها القديم العتيق وآثارها الخالدة الباقية وجغرافيتها الممتعة بمناظرها الطبيعية الخلابة ، ثم هو يشير من هنا ومن هناك الى مسالكها وطرقاتها ومعابدها وما عليه الاهلون من اخلاق وعادات هي مما يعنى به السائحون الذين سوف يطرقون جزءا من أرض مصر ظل بعيدا عن مصر وعن أن يكون مكانا مرتادا حقبة من الزمن •

ثم ان الكتاب بعد هذا ،يعد وصلا لما كاد ينقطع من التاليف عن سيناء ، وكم نرجو أن يفرد المتخصصون كتبا للحديث عن هذا الجزء من الوطن الحبيب الى مصر وهو سيناء •

أما ثاني الكتابين اللذين صدرا عن المجالس القومية المتخصصة فهو عن محو الامية وتعليم الكبار •

وهذا موضوع طالما ثار حوله الجدل والنقاش وأدلى فيه كل برأى فهو بالحق مشكلة الساعة في مصر ، اذ يراه الجميع سبة وعارا ويعزون اليه الكثير من التخلف في شتى الميادين التي تعانيها مصر ، فما من مشكلة تخص مصر يعالجها الباحثون الا ويردونها الى انتشار الامية وتفشيها وبلوغها حدا يهز المشاعر •

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا عن محو الامية وتعليم الكبار ، والذى أعدته المجالس القومية المتخصصة باقلام نخبة

قــــراءات



● د. عبد المنعم النمر ●

من المتخصصين فى تلك المجالس ، يكاد يدلك محتواه على تلك الجهود الدارسة التى شاركت فى اعداده ، فهو يحدثك عن تنظيم العمل فى مجال محو الامية ، كما يحدثك عن الابعاد المعاصرة لمحو الامية، ثم ينتقل بك الى دور المجلس القومى للتعليم ازاء هذه المشكلة ، ثم ينتقل أيضا الى أبعاد هذه المشكلة والاتجاهات المرسومة وأسلوب العمل ، كما يقدم بين يديك دراسات وتجارب منها ما هو خاص بتعليم الكبار ومنها ما هو خاص باعداد المعلمين وتدريبهم ، كما يكلمك عن دور الراديو والتليفزيون فى علاج هذه المشكلة ، وما يرى من وسائل لدفع المواطنين من الاميين للانتفاع بالفرص المتاحة لهم لمحو أميتهم .

وبتضمن الكتاب مع هذا توصيات مختلفة بشأن الفئات التى هى منابع الامية ، ثم الفئات ذوات السن العالى وما تراه المجالس بشأن هذا وذاك .

والكتاب لاشك دراسة فاحصة جامعة قد وقعت على أصول المشكلة ووفقت لوجود الحلول لها ، ولم يبق بعد هذا الا استلهام ما فيه والعمل بما أوصى لندرا خطر الامية عن مصر .

علوم القرآن الكريم

تأليف الدكتور عبد المنعم النمر

هذا الكتاب يقع فيما يقرب من مائتى صفحة تنقص قليلا ، وهو على صغر حجمه جامع فى ايجاز لما اتسعت له مطولات عرضت لعلوم القرآن ، وهو وان لم يجمع هذه العلوم جملة فقد عرض لاشهرها ، ممهدا بالكلام عن الوحى ثم عن زمن نزول القرآن ، وعن اول وآخر ما نزل منه ، ثم تكلم عن مكيه ومدنيه وسبب نزوله مفرقا لا جملة واحدة ، ثم عرض للكلام عن نزول القرآن على سبعة احرف ثم ختم الحديث بالكلام عن نقط المصحف وتشكيله ثم محكمه ومتشابهه .

هذا الحديث كله عن تلك العلوم القرآنية التى اختارها المؤلف موضوعا لكتابه مسوقة بأسلوب بديع وعرض شائق ، يستوى فى الافادة منه جميع الأوساط ، اذ ما أحوج المسلمين جميعا لا سيما ناشئتهم الى أمثال هذه الكتب التى تعرض لادق العلوم القرآنية ببيان وتفصيل فى أسلوب سهل لا يدق عن الفهم ولا يصعب على القارئين الذين تعودوا الا يجدوا الحديث عن امثال هذه الموضوعات الا فى موسوعات تجل على الاقتناء وفى عرض يصعب على الافهام .

ونحن اذا قصدنا حقا فى أن ننشىء قارئين قريبين من دينهم ملمين بقرآنهم يجب أن نسعى جاهدين فى أن ننشر لهم هذه المبسطات الجامعة الموجزة لنحثهم فيما بعد على الالمام بالمطولات الموسعة فهذه الخطوات المبسطة هى خير ما يمهد لقراءة ما بعدها من مطولات .

● رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠ ●

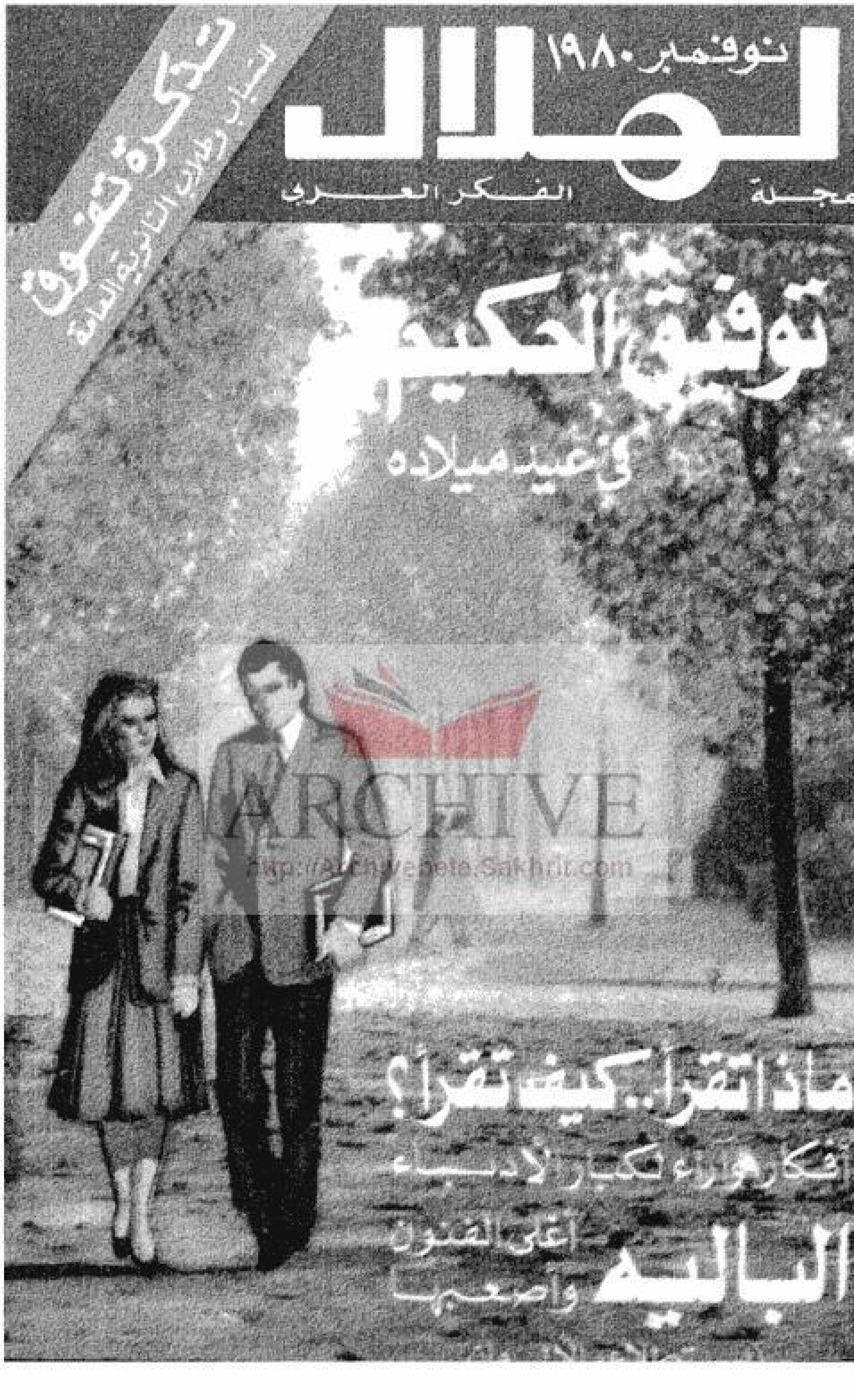
ترنيمة بلال

● حسين على محمد ●

خلف النوافذ والقيود
غنت عصافير البوادى
للذى زرع الصحارى بالأغاريد الشجية
والذى ملأ النوافذ بالورود
فى الليل تحلم عل صاحبها بلال
فى صبحه المكدود .. يجتاز السدود .

●●●

خلف النوافذ ، حط عصفور شريد
تقرأ المساء ...
فانبلج عن فجر جديد
فجر العصافير التى ...
غنت كثيرا للصباح
(أحد .. أحد)
والليل يرحل ... والجراح
والشمس — شمس محمد
تجتاز مكة ... والبطاح


الهلال
نوفمبر ١٩٨٠
مجلة الفكر العربي
تذكرة تفوق
لطلاب وطالبات الثانوية العامة
توفيق الحكيم
في عيد ميلاده
ماذا تقرأ.. كيف تقرأ؟
أفكار وآراء لكبار الأدباء
الباليه
أعلى الفنون وأصعبها

كلمة الهلال

تجارب العرب الطويلة المريرة

منذ حين ـ حل عالم العرب فى تجربة جديدة مريرة واليمة ، تجربة الحرب الشعوبية مع ايران .

لقد خضنا اوائل هذا القرن تجربة الشعوبية مع الاتراك . كان الاتراك قد فرضوا انفسهم من اوائل القرن السادس عشر الميلادى سادة للعرب ، واستخدموا الجاه السياسى والعسكرى فى فرض انفسهم على العرب .

وقد رفض العرب سيادة الاتراك منذ البداية ، سلموا لهم احيانا بالسيادة السياسية ولكن السيادة العرقية كانت مرفوضة دائما ، وقد صبرنا على تعسف الاتراك دهرا طويلا ، حتى كانت المواجهه من اوائل القرن الماضى ، ولا زلنا بالاتراك حتى اخرجناهم من عالم العرب ، ثم كان التصالح على اساس المساواة والاحترام المتبادل .

ثم تجرى اليوم معركة الشعوبية مع ايران . وايران كانت تستغل ايام الشاه تفوقا عسكريا موهوما ، وكانت تستغل ثورة الاكراد على العراق ، ففرضت على العرب حلا غير مقبول مع الزمن الطويل ، واستولوا على اقليم عربستان وغيروا كل ما فيه من اسماء عربية ، فسموا المحمرة مثلا خرم شهر . واقتسموا العراق فى شط العرب ، ولم يسمحوا للعراق بمساحة ينشىء فيها ميناء غربى شط العرب .

وعندما قامت ثورة ايران وانتشرت الفوضى والدعوات الدينية الباطلة هناك ، ونهج الايرانيون هذا النهج غير الانسانى الذى اثار سخط العالم كله اخذوا يتعالون على اهل عربستان ويعاملونهم معاملة سادة متميزين فرفض العراق ذلك ، واخذ يستعيد ارض العرب ويخلصهم من ذلك الكبرياء الشعوبى ، وهكذا قامت الحرب الايرانية العراقية .

والحرب بين الجيران امر طبيعى ويمكن احتماله ، ولكن دعوى الشعوبية والقول بان الايرانيين ارفع من العرب ، واصدار الاوامر الى البلاد العربية على الخليج ـ كل هذه امور لا تقبل اصلا ، ونحن نرفضها من اساسها ، ونقول ان المسلمين سواسية لا تتصر احدا منهم على احد ، ولكن عندما يزعم رؤساء ايران ان لهم الحق فى السيطرة على الخليج واصدار الاوامر الى اهله ، فنحن نرفض ذلك اساسا ونؤيد العراق فى رفضه لدعوى سيادة الايرانيين .

هذه تجربة سياسية اليمة جديدة يخوضها العرب ، ويبدو انه لا مفر لهم من خوضها ، والحق ان الاسلام لا يقر الشعوبية ، والعروبة لاتسلم قط بسلطان غير العرب على ارض العرب .

المحرر

الناس والكتب

• نصر الدين عبد اللطيف •

شعراء .. لكن عشاق

لطالما تلفت حولي في الناس والعصر اسال اين هم – بحق – الشعراء والعشاق ! ..

لا تقل لي ما يقال اليوم للناس في زحام الناس : انظر حولك !

انني افعل .. ولكن اكثر ما يسمع ويرى على ارض الواقع الشعري هنا هم المتشرون خطأ ، والمتحـــزبون عموديا او بغير اعمدة ! ..

فهل اولئك وهؤلاء هم – بحق – الشعر والشعراء ؟!

. . . .

ومن العشاق ، اكثر العشاق . في شوارع العصر، فانهم اخلاط معارف بغير معارف .. قلوبهم هواء ! .. هـــم عشاق خطف وسرية .. ومن يقمن من العشق في مالية ..

اين هم الآن فرسان حب الحيـــاة المبدعون والملهمون شعراً وعشقا ؟

. . . .

لازالت المياه في النهر تجرى ..

وان منهم – لابد – في النـــــاس والعصر – بقية ..

لقد يتاح ان نلتقي ببعضهم – ربما في طوارق الليل ..

ربما في زوايا الظل ..

وربما ايضا في كتاب فتحي سعيد الجديد ..

كتاب جذاب . القطع وحجمه مربع .. والغلاف لوحة بالالوان ..

وهـو عـدد متميـز في السلسلة العريقة : « اقرا » : رئاسة تحـرير انيس منصور .

من اجل هذا الكتاب – « شعراء لكن عشاق » – عاش فتحي سعيد رحلة وعرة مضنية بين احداث الماضي قريبه وبعيده .. وتقلب بين الصحائف والشخصيات والمواقف .. يجـرى وراء الحقيقـة في متاهات المنقـول والمنحول ! ..

لكنه عاد من رحلة المعاناة بكل هـذا الصيد الثمين :

ديك الجن : عاشق المأساة – عمـر الخيام : عاشق النجوم – حاتم الطائي عاشق الكرم –

– عروة بن الورد : عاشــق الصعاليك – مضاض ومى : عشاق العطش – حسان بن ثابت : عاشـق الرسول – الخليل بن احمد : عاشق العروض ..

وبكل الشاعرية في قلبه وقلمه ، قدم فتحي سعيد هؤلاء العشـــاق السبعة الكبار ، في نسـق بديع من

الحوار ، يعطيك به ما هو اوفى من السيرة الذاتية ، وماهو أقرب من مصير الحياة ! ..

و . وفى مثل هذه المساحة المتاحة هنا ، يصعب الانفتاح على مثل هذا الكتاب عرضا ونقدا ! ..

ثم يبقى الامل الطموح لهذه الكلمات ان تكون شارة مرحبة بكتاب جديد بديع .. وبطاقة تهنئة لشاعر عاشق يقول لنا فى هذا الكتاب اجمل ماقيل حتى الان عن سبعة كبار « عشاق لكن شعراء » ، وشعراء لكن عشاق »!

• فكر معاصر وقلب منير •

فى ايامنا هذى التى سادها - او كاد - الاعتقاد بانه قد انتهى ، فى علوم الدين عصر الاجتهاد .. - قيض الله لرسالة خاتم الانبياء ، داعية اماما ، موهوبا .. كلما تحدث فى الناس بما فتح الله به عليه ، دانت له الاسماع والابصار . وخشعت لبديع السموات والارض قلوب المؤمنين ! ..

ان الامام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى ، هو الان شارة الاجتهاد فى الفكر الدينى المعاصر ..

بزغ فى حياتنا الدينية والاجتماعية منذ سنوات قليلة ، كانما هو « اكتشاف » ثمين .. فتلاقت حول احاديثه ومظانه اهتمامات الناس ، يتزودون منه زاد الروح ويشهدون ويعجبون بما ينبض به علم الشيخ حماسة ، وفكرا ذكيا معاصرا ، وقلبا منيرا ! ..

ولكن المنية صديقنا الاديب د . السيد الجميلى لم تقنع له بالجلوس فى صفوف المريدين .. فاوحت له فكرة كتاب يحدث الناس فيه عن حياة وشخصية الامام الذى بهرهم .. وهو بذلك يعبر عن حبه للشيخ ، ويزيد محبى نفضيلته مما يحبون ..

وهكذا جاء هذا الكتيب الجديد الانيق : « الشيخ الشعراوى - حياته وفقهه » ، من منشورات دار المختار الاسلامى بالقاهرة ..

و .. لعلها نفحات الشيخ الشعراوى وتجلياته .. باركت قلم الاديب الطبيب الجميلى ، فابدع فى هذا الكتيب الصغير ، كل هذا الولاء ، والادب ، والحب الكبير ...

• أبواب الفن السبعة •

.. فى موقف الذروة من قصة « سؤال للبيع » ، فى المجموعة القصصية الجديدة « سؤال للبيع » :

« .. وسط الضوء الخافت فى الشرفة ..

« ضمها بين ذراعيه فى عنف ... تصورها فاطمة التى شاهدها منذ قليل تحت رحمة السلاح .. وهى بدورها وجهت اليه سهام نظراتها الحادة .. تلح عليه فى سماع الاجابة عن سؤالها ... »

.. هذا الكاتب الشاب حنفى الحلاوى ..

وهذه مجموعته القصصية الاولى ..

لقد اجتاز حنفى حواجز البدء والمحاولة !

الان هو ينطلق فى ثقة وذكاء ، يدق الباب الثالث من ابواب الفن السبعة ! ..

○

.. والصدق شعراً معجزة !!

لا باس انك لم تسمع باسمه كثيرا من قبل ..

ولا باس ايضا ان بلغتك اسمه فضولا وابتساما حين تلتقي به لاول مرة !..

لكنه ، للامانة ، شاعر صدق ..

الصدق هذه الايام .. والصدق ـ شعرا ـ معجزة ! ..

. . . .

في صفحاته الخمس الاولى ، مقدمة ديوانه ، لا يقدم نفسه ..

لا يبرز بطاقة هويته الشعرية ، لا يعرض لك في الشعر رايا ولا رؤية !.

انما هو يدخل بك من فوره الى موقعة الغزو الاول لقلبه .. لحظة أن وقعت عيناه على تلك التي يرسم لك بالكلمات صورتها الروعة ، الرشاقة ، الزى المتميز ، جبينها الواسع .. والشعر الذهب ! ..

لكنه ـ وهذه سهوة فادحة ! ـ لا يقول شيئا من عينيها ، ولون عينيها ! ..

بينما يقول عن قوامها: رفيعة طويلة كانها سارية على جبل . ـ وهذه مثرة جارحة !

. . . .

على ان ذهبية الشعر هذه المجهولة لون العينين .. ليست هي وحدها ـ الملكة ، والفازية والملهمة .. فلقد انفسحت الصفحات الخمس لاخريات غيرها معها .. حتى بدا كأن المقدمة كلها تسبح في عطر من صبوات ابن ابي ربيعة ، واطياف من اعترافات فتى العصر ! ..

كذلك فان قصائد الديوان كلـه ، الا اقله ، تموج بالملهمات ، يشتبك معهن في المواقف والمناسبات وبالاسماء معلنة جهارا ! ..

وانه ليذيل ختام احدى قصائده بتاريخ نظمها في « ٢١ مايو ٧٤ صباح حفل قران اختها الصغرى » ! ..

ولا باس ، فتلك على اى حال ، ميزة وحرية خاصة للشاعر ..

ولعلها فيما يرى ـ من علامات صدق الرواية في الموقف الشعري! ..

ولكن .. ماذا يبقى عند اخلاص حسنى ـ اسم الشاعر ـ بعد صدق الرواية في الموقف الشعري ؟ ..

ان ديوانه « عشر قصائد الى عينين » ـ من منشورات مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ يضم حتى الآن ، اجمل ما عنده ..

واجمل الاجمل عنده ، ينبئ انه شاعر ذو نفس ، اى فيه عذوبة ، ودفء ، ورى ، وجراة ! ..

ثم هو بعد ذلك شاعر رفيق بجمهور شعره ، واسع الكرم ..

فلقد اختار اخلاص حسنى لديوانه عنوان « عشر قصائد الى عينين » بينما الديوان بصفحاته المئتين يضم القصائد العشر ، ومعها بالفعل ، قبلها وبعدها استون قصيدة اخرى غيرها !



● خبر مبيتة ... في العدد القادم ●

حامل أختام المجد لم يطرق الباب !

.. وللكتب ايضا مثلها للنـــاس فى هذه الحياة الدنيا ــ حظوظ واقدار !

لقد كان من الممكن ان يملأ الدنيـــا ويشغل الناس كتاب « الحب فى ارض الشوك » ــ محمد كمال محمد ــ لو انه وقع فى دائرة اهتمام ناقد نابــه .. او صادفته مناسبة مثيرة .. او اتيح له من الاضواء فوق ما اتيح له !..

انه ــ الكتاب ــ مجموعة قصـص قصيرة ، وعاشق القصة القصــيرة ، محمد كمال محمد ، يعيشــها اعنى يكتبها باصرار واقتــدار ، حتى وهى تأخذ منـــه ولا تعطى .. حتى وهى بالنسبة له ، كما يقول الفرنســيون عن عمل المدرس فى التدريس : مهنــة بلا مجد ! ..

ولقد كتب محمد كمال محمــد من القصص القصيرة حتى الان فـــوق ما كتب موباسان .

بالطبع ، ليست الكثرة فى حد ذاتها هى المعيار الاول والاخير فى حســابات الفن ..

ولكن القصة القصــيرة هى الفن الاصعب ..

وفى كل ماكتب جى دى موباســان ، فان قصصه القصيرة « للامالة قصة فيما احسب » هى اروع ما بقى منــه للاجيال ! ..

وهنا ، وبغير محاولة لتصـــنيف ماكتب « موباســـان المصرى » على امتداد خمسة وعشرين عاما حتى الان لقد صدرت له تسع مجمـــوعات من القصص القصيرة ..

ثم هذه المجموعة الجـديدة « الحب فى عرض الشوك » ، من منشـــورات السلسلة اللامعة من دار الاخبـــار ــ كتاب اليوم ..

ولكن .. عشر مجموعات ، وقصص مئات ، ولاشىء بعد .. ؟!

لم يطرق الباب ــ حامل الختــام المجد ! ..

ولم يلمع فى مجتمع الموسرين وجــه جديد !

« الحب فى ارض الشوك » ! ..

ترى ، هل يرمز محمد كمال محمد بهذا العنوان ايضا ، الى ان الحب هو حبه العذرى للقصة القصيرة .. وان ارض الشوك هى ارض الحظـــوظ والاقدار فى حياة كتاب القصة المصرية القصيرة ؟!

● نصر الدين عبد اللطيف ●

في هلال هذا الشهر

الهلال
مجلة الفكر العربي

ذو الحجة ١٤٠٠هـ
نوفمبر ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
.. أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة الثامنة والثمانون ـ أول
نوفمبر سنة ١٩٨٠ ـ ٢٣ من
ذي الحجة سنة ١٤٠٠

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف
سكرتير التحرير الفني : موهوب عبيد

من «الهلال»

جرت عادة الهلال على ألا يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج إليها .. وهو مع ذلك يتقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، والهلال حين ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، ومن لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

● صورة الغلاف ●

الآن دخلنا في الموسم الدراسي ، ملايين العرب ـ صغارا وشبابا يرودون الى المدارس والجامعات ليقطع كل منهم جزءا من الطريق الطويل نحو الغد .. وهو طريق جميل أشبه بالروض الاخضر .. جعل الله مستقبل أولئك العرب الصغار جميلا في جمال خضرة الرياض .

الإشراف الفني
أحمد الورديجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوي ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادي ٧ دولارات أو ٤ ج . ا تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

تفكيرنا الاجتماعى كله فى حاجة إلى تغيير شامل

بقلم : رئيس التحرير

هذه الايام تفتح الجامعات والمعاهد العليا ابوابها ، ويدخلها فى مصر وحدها حوالى ١٥٠ الف شاب وشابة ·

والكثيرون جدا من اولئك الشبان والشابات غير سعداء بالكلية او المعهد الذى دخلوا فيه ، والكثيرون جدا ايضا منهم يشعرون بسعادة مشوبة بخوف وعدم اطمئنان ، لانهم دخلوا كليات ومعاهد ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها : جذبهم اليها بريق الاسم وسمعة الحرفة : كلية الطب او الهندسة او الاقتصاد فدخلوا – بالحق او بالاستثناء – وهم يجدون انفسهم اليوم فى طريق لا يامنونه ، او لا يامنون على انفسهم فيه ··

والكثيرون منهم كذلك يسيرون فى الطريق الذى قدر لهم ان يسيروا فيه دون تفكير قليل او كثير ،انما هم راضون دائما بما يجىء ، وحياتهم ليست من صنعهم ، ولكنها من صنع الآخرين دائما هؤلاء هم الغالبية ·

وبعد خمس سنوات او ست على الاكثر سنجد انفسنا امام حوالى ١٥٠ الف شاب وشابة يخرجون الى حياة عملية ضخمة معقدة · سيدخلون عالما مثقلا بالمشاكل ، وفرص العمل أمامهم قليلة ، ومشاكل السكن والحياة الراخية ··· امامهم عقد لا تحل · وستواجههم دون شك مشاكل اخرى وسينضافون الى جماهير الشباب الذين تخرجوا قبلهم فى السنوات السابقة على تخرجهم وسيقفون فى طابور الحيرة والمتاعب الطويل ·

وبعد قليل سيكونون قد دخلوا فى زمرة العاملين العاطلين لانهم يشغلون وظائف اى وظائف – والعاطلين لان رواتب هذه الوظائف او ايرادها لايسد جزءا من مطالبهم ، ولكن ليس لهم أى خيار ، فتلك هى الدنيا · وها هى الظروف من حولهم وهم فى أماكنهم من الطابور وليس أمامهم الا المسير فى أعقاب الآخرين ·

هؤلاء فى غالبيتهم سيتحولون مع الزمن الى انفار فى جيش هائل من الكهول المجاهيل الذين يعتادون الالم وينسون الطموح وتتلاشى من قلوبهم الآمال ، ويصبح جهدهم كله موجها الى الحصول على ضرورات الحياة : الزواج

في العالم المتقدم تلاشى التمييز في المجتمع بين الإداريين وهم أصحاب "الياقات البيضاء" الجالسون على المكاتب والعاملين أصحاب الأوڤرول .. الذين يعملون بأيديهم . بل أن أكثر الإداريين وهم حماة لروتين أو ما يسمى "بالروتين" أصبحوا عقبة في طريق الحضارة ، فلماذا لا يزالوا يتمتعون عندنا يتمتعون بكل هذه القوة ..؟!

والمسكن أولا ، ثم الاولاد ومطالب الاولاد بعد ذلك •

وعمل الموازنة المستحيلة بين الدخل والمنصرف حتى نهاية الحياة ••

ومن اليوم نرى طلائع هذا المستقبل العسير ، فقد لقيت منذ حين قريب عددا من خريجي كلية الطب يعملون جماعة فيما سموه مستوصفا ملحقا بمسجد • وليتهم يعملون هناك حسبته لله وطلبا للاجر والثواب ، ولكنهم يعملون اجراء • يتقاضى الواحد منهم خمسين قرشا عن الكشف يؤدى نصفها لصندوق الزكاة والباقي وقدره خمسة وعشرون قرشا عن الكشف يستبقونه لانفسهم ، وعدد الاطباء الشبان هناك عشرة يكشفون على نحو ١٠٠ مريض في اليوم ، يخص كلا منهم عشرة مرضى اى جنيهان ونصف ، فمجموع ما يخص الواحد منهم ستون جنيها في الشهر ـ بعد اسقاط ايام الجمعة ـ يجمعونها ملاليم •• وما اظن ان احدا منهم كان يقدر يوم دخل كلية الطب انه سيبدأ من نقطة الصفر هكذا ، فانهم دخلوا كلية الطب لكيلا يبدأوا من نقطة الصفر ، ومن يبدأ من نقطة الصفر على هذه الصورة لا يمكن أن يصل الى شيء كبير • لهذا فان الطريق امامهم طويل • طويل جدا • وتلك اشارة من اشارات كثيرة تدل على متاعب الغد الملبد بالغيوم امام اولئك الشبان •

***

وأنا لا اكتب هذه السطور لازرع اليأس في قلوب الشباب او أولياء أمورهم وانما أنا اثير هذه المشكلة لابحث معهم عن طريق للامل غير هذا الطريق المسدود الذى يقفون فيه ، والطرق كثيرة وللمستقبل السعيد اكثر من باب ،ولكننا مع الاسف الشديد نصر منذ حين على الا ندخل المستقبل الا من الباب الضيق • الذى اختارته لنا أجيال سابقة ، ووقفنا أمام هذا الباب الضيق في طابور طويل

ذلك أن الشاب المصرى تعود على أن يحدد اتجاه حياته وميدان نشاطه وأسلوبه في عمل مستقبله على نحو لا يدعو الى أى تقدير ، لانه يعمل ذلك كله بطريقة آلية وضعتها له الاسرة أو الظروف دون أن يكون له فيها رأى شخصي •

ومن هنا فان الانسان لا يستطيع ان يشعر باى عطف على طبيب شاب يتقاضى عن الكشف خمسة وعشرون قرشا ، لانه هو الذى ارتضى لنفسه ذلك ، وعندما نسمع أن الكثيرين من شباب الاطباء

تفكيرنا الاجتماعي كله في حاجة إلى تغيير شامل

الانجليز يتركون ديارهم ويعبرون البحر ليعملوا في فيافي استراليا ، ويبدأون بذلك مستقبلا زاهرا مضمونا تشعر بالتحسر لشبابنا لأننا لو طلبنا الى اى شاب من الذين يعملون في مستوصف ملحق بمسجد ان يحمل متاعه ويمضى ليبدأ حياته في قرية من قرى الصعيد لاعتبر ذلك امرا من وراء العقول ، لانه هو نفسه لا حيلة له في أمر نفسه، فكما اختارت له الظروف كلية الطب ، كذلك قررت له الظروف ضرورة العمل في القاهرة ، فاصبح العمل في غيرها شبه مستحيل بالنسبة له ، وما دام قد حدد لنفسه اتجاه الحياة وميدان النشاط على ذلك الوجه الضيق فكيف تستطيع أن تضمن له مستقبلا زاهرا ؟

الحقيقة ان شبابنا يعاني من ازمة خلقها هو بنفسه ، لانه عندما قرر الا يعمل الا في القاهرة والاسكندرية فقد حدد ميدان حياته بمكان واحد ، وانا افهم ما يقولون من ان الحياة في الريف فيها شظف وصعوبة وحرمان من بعض مظاهر الحضارة الموجودة في القاهرة ، ولكن ـ شظف الريف هذا وصعوبة الحياة فيه من صنعنا نحن ، ولو تصورت مثلا اننا من عشرين سنة جعلنا الشباب يعمل في الريف والزمنا كل موظف يعمل في بلد أن يقيم فيه بصورة دائمة لكانت في كل مدينة وقرية منه الآن جماعات تنشىء مجتمعا متقدما فيه معظم مالى القاهرة من وجوه الراحة وانه لمن المخجل أن يتقاعس شبابنا عن العمل في الريف لانهم عاجزون عن ان ينشئوا فيه بأيديهم مجتمعا مريحا مناسبا لهم كهذا الذى ينشئه شباب الانجليز في برارى استراليا . فهناك صحار موحشة انشأوا فيها من خمسين سنة مراكز تعمير ليس فيها الا آبار مياه فذهب الشباب والمهاجرون الانجليز الى هناك ، وانشأوا البيوت وخدموا أهل هذه المراكز النائية ونتيجة لتجمعهم فيها وهم أطباء ومهندسون ومعلمون وزراعيون وفنيون نشأ اطار حضارى متكامل في كل بلد وقامت الحكومة بإيصال الكهرباء وانشاء طرق المواصلات وأصبحت هذه المراكز مراكز عمران زاهرة فيها كل مستحدثات الحضارة بفضل شجاعة اولئك الشبان وحسن فهمهم للحياة . حقا ان شبابنا يقبل اليوم على الهجرة الى كندا او استراليا ولكنه يهاجر الى مراكز عمرانية كاملة انشأها غيرهم ، ولو كانوا يعرفون انهم سيذهبون الى مراكز صحراوية لما اقدموا على الهجرة قط .

لهذا فان شبابنا يرفض ان يقوم بالعمل الذى قام به شباب الانجليز من الذهاب الى الصحراء والعمل فيها بشجاعة وصبر ، وانشاء المراكز العمرانية التى تضم كل متطلبات الحياة الحضارية ولهذا تظل اريافنا على مستوى لا يرضى هؤلاء الشبان ، وسيظل مجال الحياة والنشاط بالنسبة لشبابنا محدودا ، ولن تصل مصر في مجموعها الى المستوى الحضارى الذى نريده ، لاننا نحن اخترنا هذا الطريق .

لقد كنت اتحدث منذ حين مع استاذ في كلية طب المنصورة ، فقال لى انه يذهب الى هناك يوما واحدا في الاسبوع يلقى فيه كل محاضراته ويعود ،وتعجبت من ذلك ، فبدأ يشرح لى شظف الحياة هناك وانعدام ما يسميه بوسائل الحياة المقبولة . وتبينت انه يعيش في عالم أنانى صغير من صنع نفسه ، وتركته يتكلم وسبحت مع افكارى عن مصر ومستقبلها ، وشعرت بضيق شديد ، لان المسألة فيما يتعلق بتكوين الشباب في الجامعة ليست مسألة المحاضرات التى

ميزان القيم الاجتماعية عندنا غير سليم ، ففي المفهوم العام أن صاحب المهنة المتخرج من الجامعة أعلى اجتماعيًا من صاحب المهنة الذي لا يتخرج من الجامعة. لماذا ؟ ألا يفيد المجتمع من هذا كما يفيد من ذاك ، فما أساس التمييز إذن ؟!

تلقى ، بل مسالة النموذج الذى يحتذى والمثل الاعلى الذى يترسم - والاستاذ - اراد أم لم يرد - ينبغى أن يكون النموذج الذى يحتذيه الشباب والمثل الاعلى الذى يترسمه • ولهذا فوجوده ضرورى • وحتى مع اعداد الطلاب الغفير يظل الاستاذ يؤدى هذه الوظيفة ويظل وجود الاستاذ فى مركز عمله بصورة دائمة أمرا ضروريا ولو لم يره الطالب الا فى المحاضرة ، يكفى أن يشعر الطالب أن استاذه موجود ، وانه يستطيع أن يقابله اذا أراد • ومثله فى ذلك مثل الاب بالنسبة للابناء فحتى لو كان الاب يقيم بعيدا عن أولاده لمطالب العمل فان شعور الاولاد بأن لهم أبا موجودا يشعرهم بالامان والاطمئنان •

***

ونحن هنا لا نلقى المسئولية على الشباب • وعبارة : « أصل شباب الايام دى •• » عبارة مهينة فى حق من يقولونها من الآباء والمسئولين عن تربية الشباب لان هذا الشباب من صنع يدنا اردنا ام لم نرد •

ولهذا فاننا نلقى أكبر جانب من المسئولية على هؤلاء الآباء والاساتذة ونقول لهم : الشباب لا يزال معكم وعليكم الا تتخلوا عن مسئوليتكم امامه عليكم أن تذكروا أن الزمان تغير ويتغير، وهذا التغير ينبغى أن يكون له الاعتبار الاول فى تقديركم • وهؤلاء الشباب محتاجون اليكم ومسئولية الاب نحو ابنائه لا تنتهى عند تحمل النفقات ، ومسئولية الاستاذ لا تنحصر فى القاء المحاضرات •

***

وأعود الى الشباب لاقول أن الزمان فعلا تغير ، ولابد أن يتغير معه الشباب • واذا كان الكبار لا يريدون أن يتحملوا مسئوليتهم فاحملوا أنتم مسئولية انفسكم ،والمستقبل آخر الامر مستقبلكم انتم لا مستقبلهم •

فانتم تتعجبون من أن السباك والنجار وميكانيكى السيارات ومن اليهم يكسبون اليوم مبالغ تصل الى خمسة عشر جنيها - وربما أكثر - فى اليوم ••

وقد سمعت رجلا يقول : ان عامل

تفكيرنا الاجتماعي كله في حاجة إلى تغيير شامل

الكهرباء الذي يقوم بالتركيبات الكهربائية في المبنى يكسب أكثر من مهندس الكهرباء الذي وضع كل الرسوم الخاصة بالكهرباء للبيت . وهو يتحول ذلك على انه شيء عجيب ، وفي رأيي أنه أمر طبيعي ، لان المسألة ليست مسألة عرض وطلب كما يقولون عادة ، فان المهندسين ليسوا أكثر من السباكين أو الميكانيكيين ، ولكن البيت الذي يبنى يحتاج لمهندس واحد وعشرين سباكا ومائة بناء وعشرين مبيضا وعشرين نجارا ، فالمطلوب من الحرفيين أضعاف المطلوب من المهنيين أصحاب المؤهلات العالية . ونحن نشترى سيارة واحدة للعمر كله (في الغالب) ولكننا نصلحها مائة مرة فكان ينبغي منذ البداية أن يكون لدينا مئات المتخصصين المهنيين الى جانب عشرات الجامعيين . ولم تشهد بلادنا حقبة اشتد فيها الاقبال على الانشاء والتشييد كهذه الحقبة الحالية ، ثم ان كل الناس أصبحوا طموحين الى متطلبات الرقى : السيارة والثلاجة وفرن الغاز أو الكهرباء والغسالة وما الى ذلك ، وتلك كلها في حاجة الى حرفيين يعنون بها ، ولا مفر من أن ترتفع اجور الحرفيين الى المستوى الذي هي عليه اليوم .

***

وما دام الامر كذلك فلماذا التزاحم على المؤهلات العالية ؟

الجواب لانها ليست مجرد مؤهل عال بل اننا جعلناها مستوى اجتماعيا فصاحب المؤهل العالي لا يكسب ربع ما يكسب الحرفي الذي يعمل بيده ولكن صاحب المؤهل الجامعي يظل رغم ذلك يمثل مستوى اجتماعيا ، ونتيجة لذلك فان الجامعي رجل مؤهل لكل الوظائف الكبرى ولكل المصاهرات . وانت اذا سمعت ان فلانا زوج ابنته لمهندس فانت لا تسال كم يكسب هذا المهندس ، انه مهندس وكفى ، ولكنه لو زوج ابنته لميكانيكي سيارات فانك لن تقبل الفكرة

الامر اذن محتاج الى تغيير النظرة الاجتماعية لابد ان يتغير عندنا ميزان القيم الاجتماعية حتى ندرك ان الشهادة الجامعية في ذاتها لا تميز صاحبها بشيء وان المهم أن يكون الانسان نافعا لمجتمعه قادرا على الكسب الحلال فيه وان العمل اليدوى ليس فيه عيب ، كذلك ينبغي ان نلاحظ . ان الحرف ارتبطت عندنا بشكل معين للعامل اليدوى سواء أكان ميكانيكي سيارات أم فنيا في الادوات الصحية أو نجارا وما الى ذلك . وقد آن ان تتغير هذه الصورة آن ان يعرف العامل المهنى انه لابد له من أن يغير صورته في نظر المجتمع ، وهذه الصورة لا يمكن أن تتغير الا اذا دخلت ميادين العمل اليدوية عناصر الشباب المتعلم المثقف ، لتعطى الصنعة وصاحبها صورة جديدة يقبلها المجتمع . وفي كل البلاد المتقدمة لا يفرقون فرقا اجتماعيا بين الكهربائي والطبيب . المهم أن يكون ناجحا في عمله وان يكون تكوينه الاجتماعي والفكرى مؤهلا له لاحتلال المكانة التي تصبو اليها نفسه .

***

وأنا أعرف ان ذلك يحتاج الى زمن ، لان التغييرات الاجتماعية وموازين القيم لا تتم الا بصعوبة . ولا يكون هذا التغيير حقيقيا الا اذا ارتبط بتغير شامل في المجتمع كله ونظرته الى الحياة ، فمن ثلاثين سنه مثلا لم يكن اشتغال البنات – والنساء أيضا – بالتمثيل شيئا

الأساس أن كل عضو فى المجتمع يأخذ قيمته من فائدته العملية للناس وما يؤدى لهم من خدمات أساسية لحياتهم. لهذا فإنه لا حق لنا فى التعجب من أن السباك والميكانيكى والنجار والمبلط يتقاضون الآن أتعابًا تفوق بكثير ما يتقاضاه المهنيون الجامعيون والإداريون ..

مألوفا او مقبولا ، نعم كان هناك دائما ممثلون ذوو قدر ، ولكن هؤلاء كانوا قلة وقد تقبلهم المجتمع لانهم موهوبون ، اما الآن فان الشباب يلتحقون بالمعهد العالى للتمثيل ويتخرجون ويلتحقون بالفرق التمثيلية ويتقدمون للزواج من أى أسرة محترمة دون حرج ·

مثل هذا ينبغى ان يحدث بالنسبة للحرفيين ، لابد أن يتجه الشباب اليوم الى الحرف ، وهناك والحمد لله معاهد كثيرة لذلك ولكنها مع الاسف لا تخرج عمالا يعملون بايديهم ، لاننا لازلنا نعانى من عقدة العمل باليد وعقدة الجلوس الى المكاتب ·

كلما قرأت فى تاريخ نهضة اليابان ازداد اعجابى باولئك الناس ، فقد بدأوا البداية الصحيحة · من اول الامر وضعوا العمل اليدوى قبل النظرى ، ولم يفرقوا بين مهندس حامل بكالوريوس وعامل يعمل بيده فى عنبر او فى مصنع ، لافرق اطلاقا فى الراتب او المظهر أو المكانة الاجتماعية ، لان الموضوع هناك موضوع مواهب واستعداد وميل شخصى · هناك شبان يميلون الى العمل النظرى ، هؤلاء يدخلون كليات الهندسة ويتخرجون مهندسين ، الى جانبهم شبان آخرون يميلون الى العمل بأيديهم ، هؤلاء يدخلون المصنع بعد الدراسة الابتدائية ويشقون طريقهم عمالا بأيديهم والمهندسون ليسوا رؤساءهم ولا أرفع درجة منهم ، وقد رأيت فى زيارتى لليابان عمالا رؤساء عنابر يرأسون مهندسين بالبكالوريوس ومن الغريب أن العامل هناك يخترع ويقترح التعديلات ويرسمها رسما هندسيا ويقدمها لرؤسائه ، وهؤلاء يجيزونها اذا أعجبتهم · وتسعون فى المائة من مبتكرات وتحسينات الاجهزة الكهربائية والالكترونية والمنزلية التى تراها من تصميم عمال ·

***

لقد آن الاوان لان تقف مسيرتنا وقفة قصيرة لنعيد النظر فى سياستها كلها واساليبها واشكالها فنحن فى طريق الغد ، والصورة التى سيأخذها هذا الغد متوقفة على تفكيرنا ، اما ان تدع التيار يجرفنا معه · ونحن نتأمل ونتعجب من ارتفاع اجور المهنيين وهبوط أرزاق اصحاب المؤهلات الجامعية فذلك لا يجدينا شيئا · ولو أننا مضينا فى هذا الطريق السلبى الروتينى فلن نصنع لانفسنا ولبلادنا المستقبل المنشود ·

● د · حسين مؤنس ●

توفيق الحكيم

في عيد ميلاده

هذا الشهر يحتفل العرب جميعا بيوم الميلاد الثالث والثمانين لتوفيق الحكيم .

وتوفيق الحكيم كاتب وفنان عظيم ، وشخصية ممتعة فريدة فى بابها، وانت اذ تجلس اليه وتستمع اليه لا تشبع قط من حديثه .

ولكنه الى جانب ذلك كله رمز للمفكر العربى وكيف ينبغى ان يكون . فتوفيق الحكيم اول مفكر في تاريخ العرب قرر أن يعيش من فكره وكتاباته . قدر ان يكون فى عالم العرب شبيها ببرنارد شو واناتول فرانس ، ومارسيل بروست ، وأمثالهم فى عالم الغرب .

فهؤلاء جميعا يقفون فى عالم الغرب رموزا على الفكر المستقل القوى الذى يعيش على فكره ويحدث التغيير الضخم فى المجتمع بفكره ، فهم نماذج لقوة الفكر وجلال قدره وقدرته على تغيير المجتمع .

قرر توفيق الحكيم ذلك وحققه ، وعاش فى عالم العرب مفكرا مطلقا يكتب ويوجه ويرسم للناس النماذج والمثل العليا بعمله وجده . فتوفيق الحكيم عاش عمره كله رجلا جادا يعيش للفكر ويقدسه ، واوجد فى مجتمع العرب شخصية المفكر المطلق الذى يصنع التغيير بقوة الفكر وحده .

لهذا يعتبر توفيق الحكيم علما عاليا فى تاريخنا الفكرى ، فان انتاجه الفكرى عظيم ، ولكن النموذج الذى أوجده لا يقل عظمة وجلالا .

ولهذا فنحن عندما نحتفل بميلاد الحكيم اليوم فاننا نحتفل بأديب عظيم وصانع عظيم من صناع مجتمع العرب الجديد .



توفيق الحكيم



رائد الأدب المسرحي

● د . محمد عبد المنعم خفاجي ●

هذا العملاق الشامخ ، هذا الانسان المبدع ، هذا الفنان الرائع .. اسطورة العصر ، وجاحظ القرن العشرين .

ابن الثمانين أو يزيد ، وصاحب مائة مسرحية شامخة فى ادبنا المعاصر ، ومبتكر نظرية « التعادلية » ، والمحلق فى اجواء الفكر والثقافة والمعرفة والانسانية توفيق الحكيم ..

- ١ -

انه الرائد الاكبر للادب المسرحي الحديث ، وعليه تتلمذت مدارس الرواية الحديثة ، ومن توفيق الحكيم ، الى نجيب محفوظ ، الى ثروت أباظة ، خطت الرواية العربية خطوات ما كان لها ان تخطوها فى قرون ، لولا عبقرية توفيق الحكيم وابداعاته والهاماته الخالدة .

واذا كان توفيق الحكيم يقول عن الجاحظ : « انه الاستاذ المباشر لاكثر زعماء القلم فى الادب العربى المعاصر ، لانه رفع علم التجديد ، وعلم الكتاب » كما يقول الحكيم فى كتابه « قلت ذات يوم » .

- فاننا نستطيع أن نقول ان الحكيم صورة من جاحظ البصرة العظيم ، وان أثر الحكيم فى أدبنا المعاصر سيصاحب أثر الجاحظ على امتداد العصور والاجيال .

لقد علم الحكيم ، كما علم الجاحظ ، حملة القلم ، صدق التجربة ، وقوة البيان ، وجمال الاسلوب ، وسعة الاطلاع ، وعمق الثقافة ، وتعدد المنابع الفكرية للكاتب ..

وسيبقى اسم الحكيم كما بقى اسم الجاحظ خالدا على مر العصور . ولقد كان للجاحظ ولالف ليلة وليلة أثر كبير فى أدب الحكيم ، فضلا عن الثقافة الاسلامية والعربية .

- ٢ -

ومن « مسرحية البخيل » لموليير التى قدمها مارون النقاش عام ١٨٤٧ فى بيروت ، الى المحاولات المتعثرة للادب المسرحى فى دمشق وبيروت ، الى المسرحيات الهازلة : الغنائية الساذجة ، والهزلية الماجنة ، الدموية الصاخبة التى مثلت على مسارح القاهرة قبل ثورة ١٩١٩ .

خرجت مسرحيات تاريخية وواقعية اجتماعية جادة ، لابراهيم رمزى ومحمد تيمور وعباس علام وفرح أنطون وابراهيم المصرى ، ومحمد لطفى جمعة وغيرهم .. ولكنها لم تعمر طويلا ، لان تيار الميلودراما الدموية الصاخبة قد اجتاحها بعد النجاح الواضح الذى ناله يوسف وهبى بمسرحية « الذبائح » لانطوان يزبك مما دفعه الى السير على هذا النمط ، مع المزيد من الدموع والدماء والمبالغة .

وفجأة يظهر مسرح الحكيم ، ليجد الفن المسرحى يتعثر فى أذيال الفشل ، ويسير كالاعرج فى ميدان مسدود ، فيكافح ويجد ويعمل من أجل خلق أدب مسرحى جديد فى أدبنا المعاصر ، يستطيع أن يقف مع روائع الغرب وشوامخ التراث .

- ٣ -

والمسرح فى جوهره عند الحكيم قضية ومشكلة وليس حكاية (حدوته) ولا عرضا للحياة ، فالكاتب المسرحى عنده يبدأ من القضية للحياة ، اما القصاص أو الروائى فيبدأ من الحياة الى القضية .

ولقد عالج الحكيم فى مسرحياته التى زادت اليوم على المائة كل القضايا الانسانية : الفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ، كما عالج العلاقة الخالدة بين الانسان وبيئته ، وبينه وبين زمنه ، وبين الرجل والمرأة فى مختلف الاطوار .

ومن الاشكال الفنية التقليدية والطليعية الجديدة ، والدراما الجادة التى تعانق روح المأساة الى الكوميديا الخفيفة والمتأثرة بروح الفودفيل الفرنسى - تنوع مسرح الحكيم كل هذا التنوع الخصب الثرى ..

اذ سار - كما يقول الحكيم نفسه فى مقدمة كتابه « المسرح المنوع » الصادر عام ١٩٥٦ - فى رحلة حياة طويلة ، فى وجهات مختلفة خلال امد طويل ، وحاول فى قلق ان يعمل على ملء الفراغ الموجود

توفيق الحكيم .. رائد الأدب المسرحي

في الادب العربي بالنسبة للادب المسرحي . على قدر امكانه وجهده .

ودور الحكيم في خلق أدب مسرحي في اللغة العربية دور بارز وكبير . ويمثل نقطة الانطلاق الرائعة في أدبنا الحديث .

وقد ساعد الحكيم على بلوغ غايته تمكنه من التراث ، والمامه بالثقافات الحديثة العربية والغربية ، والى ذكائه الحاد ، وخفة روحه ، وقدرته الفائقة في الحوار ، وسرعة الحركة في حواره ، واقتناع هذا الحوار لمختلف الطبقات القارئة لفنه المسرحي

ومواهب الحكيم الكثيرة الذكية والحادة ومقدرته اللغوية ، هما ذلك من العوامل الكبيرة في وصوله الى قمة النجاح الكبير الذي ناله في كتاباته المسرحية .

— ٤ —

ولقد ظل الحكيم طيلة السنوات التي كافح فيها بداب من أجل خلق أدب مسرحي في أدبنا العربي ، وظل وفيا كل الوفاء لمدرسته المسرحية الاولى في فرقة عكاشة ، وما كانت تقدمه من غنائيات وهزليات مقتبسة ، وكان يشارك في مدها ببعض هذه المسرحيات ، التي تكشف عن موهبة مسرحية مبدعة اصيلة في نفس الفنان توفيق الحكيم .

وما زال الحكيم يذكر مدرسته الاولى هذه بمزيد من الحب على الرغم من الاشواط الطويلة التي سار فيها في سبيل التجديد ، من أهل الكهف ، الى شهرزاد ، الى ما بعدهما .

وليس ذلك بغريب ، فان الجذور المسرحية الاولى التي ظهرت على خشبة مسرح الازبكية عام ١٩٢٣ قد هيىء لها أن تمد ظلالها في مسرح البولفار الفرنسي اذا كان كتاب « الفودفيل » المبدعين المشهورين يعملون ويحققون المزيد من النجاح الجماهيري المرموق .

ومن اجل وفاء الحكيم لهذه المدرسة الاولى الأم في حياته الفنية ، وعلى الرغم من النجاح الكبير الذي ناله في « اهل الكهف » و« وشهرزاد » .. نراه يرجع الى ابداع الكوميديا الخفيفة ، مع ما غلب عليها من التأثير الفكري الغربي الذي غلب على مواقفها وحوارها ، وروح الفكاهة والسخرية فيها .

وفي هذه المدرسة اخرج الحكيم مسرحياته : الضيف الثقيل ، والعريس وخاتم سليمان ، وعلي بابا ، والمرأة الجديدة .

كتب الحكيم مسرحية « رصاصة في القلب » عام ١٩٣١ ، ونشرتها له « مجلتي » بدءا من عدد ديسمبر ١٩٣٤ .. وهي من أجمل نماذج الاتجاه الكوميدي الخفيف في مسرح الحكيم . فضلا عن أنها نموذج فريد نادر في أدبنا المسرحي الكوميدي العاطفي الراقي .

والحكيم في « يوميات نائب في الارياف » يصور الفلاح المصري في صورة الذي يعاني الالم والعذاب والمشكلات الاجتماعية والنفسية المعقدة ، في مواجهة صريحة بين الواقع والقوانين التي تحكم هذا الواقع ، فهذه المسرحية هي صورة دقيقة للرؤية الواقعية لمصر عند توفيق الحكيم ، وهي مليئة بالنقد والغضب على الواقع .

وهو في « بيجماليون » يدور حول حيرة الفنان بين الحقيقة والحلم ، بين الفن والحياة ، وبين الواقع والمثال ، بين المرأة من جسد والمرأة من عاج ، وفيها يجسد الحكيم طموح الفنان ومواقفه ونزعاته وهي عمل مسرحي رفيع ،

— ٥ —

مسرحية أهل الكهف :

عمل مسرحي فني متكامل ، بل ثورة تجديدية كبرى في الادب العربي ، انها نقلة جديدة في تاريخ آدابنا ، فقد دعمت هذه المسرحية قيام فن جديد في أدبنا ،



حتى لنستطيع أن نقول : ان فنا جديدا قد ظهر فيه ، ونسب اليه ، ونشأ في ساحته ، وان ميدانا واسعا قد فتح أمام الادباء ، ليدخلوا اليه ،وان واديا فسيحا قد ظهر أمام عيونهم ، وصار في وسعهم ان يهبطوا فيه وأن يستغلوا عبقريتهم في كشف أسراره ، وأن يخرجوا منه الى عوالم سحرية بعيدة المدى .. حتى ليقول د . طه حسين عنها : « انها اول قصة تمثيلية الفت في الادب العربي » ، انها قصة تمثيلية تغني أدبنا ، وتضيف اليه ثروة لم تكن له .

ان مسرحية أهل الكهف اعترف بها النقاد المسرحيون جميعا على أنها مسرحية كاملة في بنائها الفني ، ومضمونها الانساني ، وتقف بجانب روائع المسرح العالمي ، من سوفوكليس الى ابسن ، وبرنارد شو ، وبيراندللو ..

ولقد نهج الحكيم نهج المسرح الاوروبي في علاجه لموضوعه في هذه المسرحية الرائعة ، واستمد من التراث الشرقي العربي ، الاسلامي والمسيحي ، أصول عمله الفني فيها ، فكان مضمونها اول صراع ناجح من اجل استخدام هذا التراث واستلهامه في المسرح العربي الحديث .

ومسرحية أهل الكهف تقوم على بعث أهل الكهف الثلاثة من سباتهم العميق ، الذى استغرق ثلاثة قرون ، ليستأنفوا الحياة ، ويدرس الحكيم بعد ذلك امكان استئنافهم لها ، وينتهي من دراسته الى أن ذلك مستحيل ، لان الحياة ليست جوهرا في ذاته،بل هي مجموعة الروابط التي تربطنا بالناس والاشياء ، فاذا انقطعت هذه الروابط بحكم الزمن ذبلت تلك الحياة وماتت في أجسادنا ، وهذا هو ما حدث في المسرحية لاهل الكهف ، اذ رأيناهم يعودون في النهاية الى كهفهم ليستأنفوا سباتهم ، أو ليموتوا ، بعد أن تبين أحدهم انه قد فقدال غير رجعة قطيع غنمه ، وفقد الآخر بيته وزوجته وولده ، ورأى سوقا للسلاح تقوم مكان بيته الذى هو قطعة من حياته . وأما ثالثهم فقد عثر بفتاة تحمل اسم خطيبته القديمة برسكا ، ولكنه لم يكد يتبين أن برسكا هذه ليست الا حفيدة لخطيبته القديمة الحبيبة حتى عاد هو الآخر الى كهفه على الرغم من نجاحه في جلب برسكا الجديدة اليه ، حتى لنراها تتبعه الى الكهف » .

وفي المسرحية يبدو التيار الاسلامي متغلغلا في أعماق نفس الحكيم ، الذى نراه يلجأ الى القرآن الكريم وتفسيره ويجتهد في استخدام القصة وفق النهج الغربي الذى يسير عليه الكتاب المسرحيون الاوروبيون وهم يستخدمون اساطيرهم الاغريقية والشعبية والدينية.

وعمق الثقافة الاسلامية في نفس الحكيم واضح كل الوضوح في حياته ، ففي أهل الكهف في مطالع حياته ، وفي تهذيبه لتفسير الامام القرطبي ، بل في كتابته لمسرحية محمد صلوات الله عليه ، نلمس آثار ذلك واضحة كل الوضوح ومضامين فكره الروائي في كثير من

توفيق الحكيم ..
رائد الأدب المسرحي



المواقف والحالات هي مضامين اسلامية .

ولقد مثلت هذه المسرحية عام ١٩٣٥ وكانت قد نشرت قبل ذلك بعامين في كتاب أحرز نجاحا أدبيا منقطع النظير .

ومسرحيه أهل الكهف وسواها من مسرحيات الحكيم الفكرية انما كتبها لتقرأ لا لتمثل ، لأن النجاح في المسرح المصري آنذاك كان للمسرحيات الهزلية التي تستجلب ضحكات الجمهور أو دموعهم .

وبهذه المسرحية دخل الحكيم صميم الميدان المسرحي الحقيقي ، بل دخل مجال التأليف المسرحي الفعلي ، وبدأ مرحلة جديدة من حياته هي المرحلة التي أعقبت سفره الى أوربا لينهل من منابع الثقافات العالمية ، وليبدأ التكوين الحقيقي لبنيته الفكرية ، حيث عاد عام ١٩٢٨ من فرنسا ليبدع وليعمل من أجل أدب مسرحي عربي حديث فيه ابداع الفنان ، وتجديد المفكر ، وخلق العبقري ، وفيه من ثراء الفن وخصوبته وحيويته الكثير .

— ٦ —

مسرحية شهر زاد (١٩٣٤) :

وهي عمل فني جديد يضاف الى أعمال الحكيم السالفة والى « أهل الكهف » بصفة خاصة ، وهي تسير في الاتجاه الفكري والاسطوري الذي سارت فيه مسرحية أهل الكهف .

ان الاساطير منبع حقيقي لعمل الفنان العظيم ،ومنجم ثري يستمد منه المبدعون أجل الهاماتهم وأروعها . والمسرح الاغريقي غني في افادته من الاسطورة والتراث الشعبي ، وظلت الاسطورة جزءا حيا من ابداع الكاتب المسرحي في العصر الروماني ، وفي العصر الوسيط، وفي عصر النهضة .. وجاءت نهضة المسرح الاوربي في العصر الحديث مؤكدة لضرورة استخدام الاسطورة في جوهر بناء المسرحية ، وأعمال ابسن وبرنارد شو وسارتر وسواهم حافلة بالكثير من

الاسلامي

واذا كان الحكيم قد استوحى اساطيره من القرآن الكريم في « أهل الكهف » ، فانه يستوحي من تراثنا الشعبي ومن « الف ليلة وليلة » أساطيره في « مسرحية شهر زاد » الخالدة . والحكيم يؤكد ضرورة استخدامه للاسطورة عدة استخدامات ، فمن استخدام فلسفي في « أهل الكهف» و « شهر زاد » الى استخدام سياسي واجتماعي في « براكسا » و « شمس النهار » و « السلطان الحائر » وايزيس ومع الاطار الاسطوري ناقش قضايا معاصرة عديدة ، الا ان هذه المسرحيات لم يكن لها علاقة بالتاريخ ولا بالماضي ، الا انها ليست مسرحيات تاريخية ، على الرغم من ان اطارها الخارجي اطار تاريخي في بعض الاحايين .

و « شهر زاد » غنية كذلك بالرمز ، فهي مسرحية رمزية بكل معنى الكلمة . واذا كان محتواها وأبطالها شرقيين ، فان الحكيم فيهايستمد من الفكر الاوروبي الحديث كل خصائصها ، وبخاصة من ميترلينك الذي ظهر واقترن مسرحه بظهور تيار الرمزية في المسرح الحديث، فمسرحياته الرمزية كانت تقف بجوار شوامخ المسرحيات الواقعية والعادية في زمنه ، مع شاعرية حواره . وكل هذه السمات تحققت كل التحقق في مسرحية شهر زاد الذي بدا الرمز فيها قويا ،حتى لكأنه وهو يقدم شخصياته المسرحية يعمل عمل الساحر ، اذ تبدو هذه

الشخصيات كأدوات فى يد قوة خفية تنبعث من واقع غير منظور .
وشهر زاد أدق وأرق فى ذوقها الفنى من « أهل الكهف » ، وهى كذلك أرهف منها فى الحس وألطف ، وجوها الشرقى أمتع منظرا ، وأوقع سحرا ، وروحها الصوفية أعرق تأصيلا ، وأعمق لغزا وسرا ، ومن « شهر زاد » ورث الحكيم لقب « عدو المرأة » ..

ـ ٧ ـ

المسرح السياسى والاجتماعى للحكيم:

والمسرح السياسى والاجتماعى فى أدب توفيق الحكيم مسرح أدى ويؤدى دورا كبيرا فى حياتنا ، ومن « الضيف الثقيل » عام ١٩١٩ ، الى « براكسا » التى فاجأ الحكيم بها الناس عام ١٩٣٩ اثر اضطهاد بعض السياسيين له ، فكانت أروع مسرحية سياسية بالمعنى الفنى الدقيق فى أدبنا العربى . وفيها تأثرات من أرستوفان ومسرحيته المعروفة « مجلس النساء » .. وتدور أحداث المسرحية فى بلاد الاغريق ، ولكن مضمونها نقد للديمقراطية الزائفة التى لا صلة لها بحقوق الانسان وكرامته فى الحياة .

وفى عام ١٩٤١ ظهرت مسرحية « شجرة الحكم » للحكيم، وحفلت بالنقد السياسى ، وبالسخرية من القادة الذين كانوا آنذاك يجيدون لعبة الكراسى من أجل شهوة الحكم .. وهذا النقد السياسى المبكر أحدث فيما بعد تيارا عنيفا من الثورة السياسية

وفى عام ١٩٦٠ ظهرت مسرحية « السلطان الحائر » للحكيم ، وهى أول مسرحياته السياسية بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وعالج الحكيم فيها مشكلات ضمان الحرية للمواطنين ، وضرورة العودة الى الشرعية فى الحكم عن طريق رأى الشعب

وفى مسرحية « شمس النهار » التى ظهرت عام ١٩٦٤ ، والتى تأثر فيها الحكيم بمسرح بريشت ، ويستغل الحكيم الحدوتة الشعبية للدعوة الى أن يستمع الى رأى الشعب فى اختيار حكامه بكامل حريته ، والى ضرورة التصاق الحاكم بشعبه ليتعلم منه قبل أن يحاول تعليمه . وهو فيها ينطلق من أجواء « ألف ليلة وليلة » ومن جوهر التراث القصصى العربى .

أما مسرحية «بنك القلق» ففيها نقد لاذع لأساليب المخابرات فى الانصات على حياة المواطن الخاصة .

وفى مسرحية « كل شىء فى محله » التى كتبها الحكيم عام ١٩٦٦ ، ونشرها عام ١٩٦٩ فى الطبعة الجديدة للمسرح المنوع ، تصوير لاذع لقرية مفككة تسيطر عليها الفوضى والاهمال والتراخى والايمان بأن كل شىء يمكن أن يوضع فى مكان أى شىء آخر .

وفى مسرحية « صلاة الملائكة » عام ١٩٤١ يدافع الحكيم عن قيم المعسكر الغربى الديمقراطى ، وهاجم المعسكر النازى الفاشستى ، ويرفع الصوت عاليا ليدعو الى السلام ، ولينـدد بالحروب وتجارها ومثيريها .

وفى مسرحية « أشواك السلام » (١٩٥٨) هاجم أساليب الحرب الباردة بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى ، ويدعو الى التعايش السلمى بينهما لخير الانسان والانسانية .

ونرى الحكيم فى « رحلة الى الغد » (١٩٥٧) ، و « لعبة الموت » (١٩٥٨) و « الدنيا رواية هزلية » (١٩٧١) ينبه الى أخطار استخدام التقدم العلمى فى افناء البشرية والقضاء على الحضارة ويدعو فى « الطعام لكل فم » (١٩٦٣) الى توجيه هذه الطاقات لاسعاد الانسانية وتوفير الطعام لملايين البائسين من الناس عوضا عن استخدامها فى صنع القنابل الذرية .

وفى « تقرير قمرى » (١٩٧٠) تتردد أفكار قضية غزو الفضاء ، وفى « شاعر على القمر » (١٩٧١) يتحدث عن قضايا الانسانية فى القرن الجديد .. وفى مسرحية « عصفور من الشرق » يصور الحكيم مشكلة الصراع بين الشرق

توفيق الحكيم .. رائد الأدب المسرحي

والغرب ، بين النزعة الروحية والنزعة المادية ، ويناقش فيها المذاهب السياسية والاقتصادية المعاصرة . وهي صرخة في وجه الدعوة الى الانفصال المطلق عن الشخصية القومية والذوبان في حضارة الغرب .

وعندما نعود الى الوراء الى أول مسرحيات الحكيم التي بدأ بها الكتابة للمسرح نقف أمام مسرحية « الضيف الثقيل » (عام ١٩١٩) التي يذكر الحكيم قصتها وكيف أنها دارت حول محام نزل عليه ضيف عجيب أقام لديه شهرا بالقوة ، ولم تجد معه حيلة في الخلاص منه ، وفي مسكن المحامي وهو مكتبه ظل الضيف يمارس عمله ، وفي غيبة المحامي المضيف ، كان الضيف يقابل المتقاضين ، ويقبض منهم مقدم الاتعاب ، ويؤدي دوره ، كأنه هو المحامي الاصيل .

انها مسرحية أقرب الى السياسة والتنديد بالاحتلال الانجليزي البغيض الذي كان يزعم آنذاك أنه ضيف مقيم الى أن تساعد الظروف الدولية على خروجه .. ولكن هذا الضيف الثقيل كان يخلق الاحداث الدولية التي تمكن لدعاويه الباطلة في البقاء طويلا في وطننا ، ويستغل كل مقدرات مصر وثرواتها وكأنه صاحب البلد الأصيل .

ان الحكيم لم يستطع في ظل الرقابة المفروضة آنذاك أن يخرج هذه المسرحية على المسرح ، ومن ثم لم تصل الينا هذه المحاولة التي ظهرت في ظلال ثورة ١٩١٩ لتعبر عن التحام الادب بقضايا الشعب

ونقف عند مسرحية « مصير صرصار » (عام ١٩٧٢) وهي مسرحية سياسية تمزج بين الفكاهة والسخرية في نقد حياتنا السياسية التي كان يهيمن على كافة نواحيها آنذاك سياسة « الفهلوة » والجهل والغرور والادعاء ، وخاصة في شركات القطاع العام ، وفي جانب التعليم والتربية والثقافة .

— ٨ —

وتتميز الكثير من مسرحيات الحكيم بنزعة اجتماعية كما في « عودة الروح » أو روحية كما في « عصفور من الشرق » وهو في « راقصة المعبد » يحاول دراسة الصلة بين الفن والحياة ، وفي « الرباط المقدس » يحاول دراسة الفنان الحائر القلق ..

و « عودة الروح » تصور المجتمع المصري في مرحلة الثورة الوطنية ان كل ذلك رد فعل من أجل الرغبة التي تفشل في تحقيق غايتها ، فتحس بنوع من الخيبة مما يدفعه الى الهروب من الواقع والاستظلال بظل الخيال . ومع الغرابة التي تبدو في أعمال الحكيم في بعض الاحايين ،فان فنه يتميز بوحدته وبرمزيته وبأنه صلة بين الفن والحياة ، وأنه يؤدي رسالة نحو مجتمعه لانه يعمل من أجل هذا المجتمع وفن الحكيم يقوم على مهارة في رسم الشخصيات وقوة في ابداع الحوار ، ويتميز بايثار العمل المتمس على التحليل النفسي ، وبادخاله عنصر السخرية في قصصه . وهو في ذلك متأثر باعلام المسرح في الغرب ، من امثال ماترلينك ، وبرنارد شو ، وأناتول فرانس ، وديكنز ، وابسن ، وسواهم .

والمسرح الاجتماعي في أدب الحكيم مسرح متميز ، ومع ذلك فقد عرف بالمسرح الذهني كما في مسرحياته «أهل الكهف» ،و « شهر زاد » و (بيجماليون) و « اوديب ملكا » ، و « سليمان الحكيم » ، و « عودة الشباب » . وهي مسرحيات قد لا تحقق نجاحا جماهيريا بحكم طابعها الذهني وخفوت الحركة الدرامية فيها ، ولكنها تعالج مشكلات انسانية عامة .

— ٩ —

وهي في اغلب الامر فلسفة واقعية ، لا تتنافى مع دأب الحكيم ومحاولاته في استكناه حقيقة الحياة ، والكشف عن مسارها .

وقد خص الحكيم مسرح النقد الاجتماعي بمجلد ضخم هو « مسرح المجتمع »الذي يحتوي على احدى وعشرين



مسرحية كتبها بين عام ١٩٤٦ وعام ١٩٥١ ، وعالج فيها جوانب كثيرة من مظاهر التخلف والفساد والانتهازية والنفاق في مجتمعنا .

والحكيم في مسرحياته : رحلة صيد رحلة قطار ، الطعام لكل فم ، وغيرها .

وفي دعوته الى مسرح الراوى والحاكي في كتابه « قالبنا المسرحي » .. وفي اعماله الجديدة التي ظهرت في السبعينات .. يمثل ابداع الفنان ، وعقل المفكر ، وتجارب الفيلسوف .. وأدبه ولا ريب اضاءة للعقل العربي في عصر الازمات والاضطرابات والثورات والحروب والكشوف الخارقة ..

– ١٠ –

المسرح الرمزى عند الحكيم :

وفي عام ١٩٦٣ نشر الحكيم مسرحيته « يا طالع الشجرة » ، وهي من مسرح العبث أو اللامعقول ، والحكيم فيها متأثر بأعلام المسرح العبثي في أوروبا من أمثال ، بيكت وآدموف ، ويونسكو .

وموضوعها هو صراع الانسان مع الكون ، ومحاولاته المستمرة للكشف عن سره ، والاهتداء الى حقيقته .

وقضايا الصراع الانساني الدائر داخل الانسان والزمان والمكان ،والصراع الدائر داخل الانسان بين عقله وقلبه قضايا يقوم عليها البناء الفني لمسرحية « يا طالع الشجرة »،وطالما حاول الحكيم الغاء القيود الزمانية والمكانية ، حتى لقد كتب في عام ١٩٣٩ في (الرسالة) يقول : انني حر من أغلال الزمان والمكان » . وكتب في شهر زاد في حوارته امام « حوض المرمر » يقول : « اني أهبط اليك الساعة من المستقبل الذى أعيش فيه لالقاك في الماضي الذى فيه تعيش الآن » .

ولقد استقطب الحكيم في مسرحيته « يا طالع الشجرة » عدة قضايا شغلته في مسرحيات سالفة ، وعبر عنها في ايجاز فني رائع ، ونضج فكرى كبير ، مستخدما قاعدة فنية قادرة على الاثارة المسرحية والفكرية جميعا ، وهي قاعدة المسرحية البوليسية العادية .. وصفة القانوني والمحامي ووكيل النيابة والمحقق تبدو دائما في حوار الحكيم فيها ، بل في غير هذه المسرحية أيضا . وتجيب المسرحية عن سؤال لا يزال الحكيم يواجه به نفسه ، وهو : كيف يوفق الفنان بين الفكر والفن في مسرحية واحدة ؟

– ١١ –

وبعد : فماذا تقول عن الحكيم ، الاديب ، والفنان ، والمفكر ، والرائد العظيم ، الذى خط في شموخ وعبقرية على سفر الزمن والحضارة آيات لاتنسى وتراثا خالدا باقيا على الايام ، وترك في حياتنا الفكرية والثقافية والادبية آثارا لن ينساها جيلنا ولا الاجيال المقبلة .

ان ما كتبه الحكيم هو قطعة من حياة مصر وروحها وتاريخها وتراثها الحضاري والانساني ، واذا كان الكثير مما كتبه ادباؤنا سوف يذهب بددا ، مع تقلب الايام وتطور الفكر والحضارة ، ومع التقدم الانساني الذى تمر به البشرية يوما بعد يوم ، فان ما كتبه الحكيم سوف يبقى حيا خالدا في ضمير الزمن والاجيال والحضارة ، وفي وجدان مصر وعقلها وتراثها العظيم .

بقى أن تدعو الى اخراج كتاب شامل – قائمة بيبليوجرافية – شامل لكل ما كتب الحكيم وما ألف ، وما كتب عنه ولكل آثاره المسرحية وغيرها وترجماتها المختلفة ،لتكون مرجعا في أيدى الباحثين والدارسين ، ولتعين طلاب الجامعات على دراسة أدب الحكيم وفكره وتراثه العظيم

قصاصات ملونة

● محمد شوقي امين ●

● ضريبة على الضحك ... وعلى البكاء !

الضرائب بطبيعتها ثقيلة على الناس ، وقد تعددت انواعها واختلفت اسبابها ، في تاريخ البشرية ، طوعا لسياسة الدولة ، وسلطان الحاكم . وما احسب انها بلغت من الجور والاعتساف ما بلغت في عهد احد حكام الاندلس في القرن السادس الهجري ، ذلك هو « محمد بن مردنيش » الذي ملك « بلنسية ومرسية » ، فاصبح امير الشرق الاندلسي .

يذكر المؤرخون انه اجحف بالرعية ، وعظمت في عهده المغارم وثقلت . وجعل على عروض التجارة مؤنا غريبة . واما رسوم الاعراس والملاهي فكانت عجبا من العجب !

ويحكي لنا اصحاب التواريخ قصة رجل رحل الى « مرسية » في عهد ذلك الملك ، فارا من وطنه « شاطبة » ، حيث كانت له فيها ضويعة ـ أرض يزرعها ـ وكان عائدها اقل مما هو ملتزم بأدائه عنها ، فترك الارض والاهل ، كالمستجير من الرمضاء بالنار !

ولما استقر في « مرسية » ، خدم الناس في البنيان ، فاجتمع له مثقالان ، وبينما هو يمشي في السوق ، صادفه قوم من اهل بلده ، ففرح بهم فرحا عظيما حين اخبروه بأن زوجته واولاده في عافية ، وأن ضويعته عندهم باقية . وطلب من اهل بلده هؤلاء أن يبيتوا لديه الليلة ، واشترى لهم لحما وشرابا ، وسهروا جميعا يضربون الدف حتى الصباح ، وهم يتسامرون ويتضاحكون .

وفوجىء الجمع بمن ينقرون الباب ، فلما فتح لهم قالوا : أنتم ضربتم البارحة الدف ، فاعطونا حق العرس الذى عملتم . فقال لهم رب البيت : والله ما كنا في عرس . فاخذه أولئك المكلفون جمع القبالات ، اى الضرائب ، وسجنوه ، حتى افتدى باحد المثقالين اللذين كسبهما من الخدمة في البنيان ..

وبعد ذلك عاد الى البيت ، فقال له اهل بلده ان فلانا وصل من « شاطبة » الساعة ، وهو ينتظرك في مكان كذا ، فذهب اليه ، فاخبره الوافد الطارئ بأن اولاده اصبحوا سجناء ، وان الضويعة صودرت لقاء ما عليها من الرسوم . فرجع الرجل الى البيت محزونا ، وعرف اهل بلده بما طرأ ، ولبثوا طول ليلهم يبكون جميعا ..

فلما كان من الغد ، اذا بناقر بالباب ، يقول : انا صاحب المواريث ، علمنا انكم بكيتم البارحة ميتا غنيا من قرابتكم . فقال رب البيت : « والله ما بكيت الا نفسي » فكذبه صاحب المواريث ، وحمله الى السجن ، حتى افتدى بالمثقال الثاني !

وهكذا ادى الرجل ضريبتين : احداهما على الضحك ، والاخرى على البكاء ..
فقد المثقالين ، ورجع بخفي حنين !

● اذكى العرب ●

لما مدح « ابو تمام » الخليفة العباسي بقوله :

اقدام عمرو في سماحة حاتم ... في حلم احنف في ذكاء اياس

قيل له : الخليفة فوق من ذكرت !
فارتجل قوله في الرد :

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره ... مثلا من المشكاة والنبراس

وحقا كان « اياس » يضرب به المثل في الذكاء ، حتى قيل : « انه أذكى العرب » .
ويذكرون له أن رجلا جاء يحاجيه لسأله : « ما تقول في المسكر ؟ قال « اياس » :

انه حرام · قال الرجل : وما حرمه ؟ انما هو تمر وماء ، وقد طبخت هذا وذاك بنار ، نفيم التحريم ؟ قال اياس : « أرأيت لو أخذت كفا من تراب وضربتك به ، أكان يوجعك الضرب ؟ » · قال : لا · قال اياس : « لو أخذت التراب ، وطرحت عليه التبن وصببت عليه الماء ، ثم كمزته كمزا ، وجعلته في الشمس ، ثم ضربتك به ، أكان يوجعك ؟ » قال : نعم ، وربما قتلني ·· قال اياس : فكذلك هذا · حين جمعت التمر والماء ، وحدث من أخلاطهما اختمار ، كان التحريم ! ··

ويحكى عن اياس انه مر في طريقه بديك ينقر الحب ، ولاحظ انه لا يقرقر ، على عادة الديكة في نقرها للحب · فقال لمن كانوا معه : ينبغي أن يكون هذا ديكا هرما ! قيل له : فكيف عرفت هذا من أمره يا اياس ؟ انك تراه عن بعد ، وانت لم تفتشه ، لتخبر حاله

فأجاب اياس : ما حاجتي الى ذلك ، وانا أستدل على ما أقول بما رأيت من شأن هذا الديك ؟ قيل له : فكيف استدللت ؟ قال اياس : اني رأيت هذا الديك ينقر الحب ، دون ان أسمع له صوت قرقرة · وتلك علامة هرمية · اذ ان الديك الهرم لا يقرقر ، خشية ان يجتمع اليه الدجاج ، فيشاركه في طعامه ·· اما الديك الشاب فهو على العكس من ذلك ، اذا ألقيت اليه الحب ، جعل ينقره ، وهو يقرقر ، رغبة منه في ان يجتمع اليه الدجاج !

وحقا احس اياس ، فكما يصدق على الديكة هذا القياس ، يصدق على الناس ·

● غفلة الأذكياء !

مما يلاحظ من أحوال الناس أن الرجل ربما كان متضلعا في علم ومعرفة ، مقدما في فهم وذكاء ، فاذا مارس من شئون الحياة ما هو معروف مألوف يدرك بأقل دراية وزكانة ، رأيته قد ظهر عليه من الغفلة وتصور الادراك ما لا يظهر في رجل لا فطانة فيه ، ولا خبرة له ·

الامثلة على ذلك لا تعز على من مارس الحياة ، وخالط الناس ، ولكن بعض هذه الامثلة فيها من الطرافة ما دعا الى تسجيلها في تاريخ أصحابها السالفين ·

من ذلك ما سجلوه من شأن « أحمد بن عبدالنور » في القرن السابع الهجري ، وكان قيما على العربية وغيرها من العلوم ، وكان له اعتناء بفك المعمى ، والتنقير عن اللغوز ، وله كتاب « رصف المباني في حروف المعاني » وهو أجل تصنيف في موضوعه ·

كان هذا الرجل من البله في أسباب الدنيا على قدر لا يكاد يصدق ، لولا تواتر حكاياته على ألسنة الثقات من الملازمين له ·

من ذلك انه اشترى قطعة ملف ·· قطعة من لفة نسيج ·· فلما بلها ، وجدها قد انتقصت ، على العادة في ذلك ، وتأكد له انتقاصها حين ذرعها ، فذهب بها الى بائع الملف ، فأخذ الرجل يبين له السبب ولكن العالم بفك الالغاز لم يفهم ما يقال له ، وبقي حائرا في الامر ، لا يعرف السر ··

ونظير هذا الرجل « أبو عمر بن الهندي » الفقيه صاحب الوثائق ، فقد حكى عنه انه خاصم يوما بعض الناس عند صاحب الشرطة ، فلم يبن عن حجته ، حتى عجب منه الشرطي ، وقال له : انت ذكي لغيرك ، عيي في أمرك ! فقال له أبو عمر : كذلك يبين الله آياته للناس ! ثم أنشد متمثلا :

صرت كأني ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق

وتعليل ذلك فيما نستظهره أن من فرغ للعلم همه ، وأخلى له باله ، نقص ذلك من فطنته للشئون الجارية في حياة الناس ، وأسواق العيش ، وجعله ذلك كالذاهل عما يجري حوله ·

وقد التفت الى هذه الظاهرة « لسان الدين بن الخطيب » فلم ينته من حكاية هذه النوادر وغيرها ، حتى عقب عليها بقوله :

« وفي موجودات الله تعالى عبر ، واغربها عالم الانسان ، لما جبلوا عليه من الاهواء المختلفة ، والطباع المشتتة ، والقصور عن فهم اقرب الاشياء ، مع الاحاطة بالغوامض » ··

إقرأ! ماذا تقرأ؟ كيف تقرأ؟

● د. زكى نجيب محمود ●

● لقد كانت صلتى بالقراءة نتيجة متفرعة من ميولى التى لا ادرى كيف نشأت ، ولكنها كانت مجموعة من الميول المختلفة فاستطيع ان اقول انه كانت قد استبدت بى ثلاثة اتجاهات فى وقت واحد منذ الشباب الباكر ، ولم اجد بدا من ان اسايرها جميعا فى خطوط متوازية .

واما تلك الاتجاهات الثلاثة فهى :

اولا : اتجاه قوى نحو الفكر الفلسفى ولقد اكتشفت فى نفسى ذلك الاتجاه منذ سنى المراهقة بمصادفة عجيبة ، وهى اننى وقعت على كتاب صغير يعرض لحياة الفلاسفة الثلاثة الكبار سقراط ، افلاطون وارسطو ، فوجدتنى مشدودا الى ذلك النوع من الحياة ومن التفكير .. فكانت تلك المصادفة نقطة ابتداء لاحد الخطوط الثلاثة التى مررت عليها فيما بعد حتى بلغ بى الامر فى هذا الطريق ان تخصصت فى الفلسفة ، واصبحت استاذا لها فى الجامعة ، ومؤلفا لمجموعة كبيرة من الكتب فى ميدانها ، ومنها ما هو اكاديمى صرف ومنها ما هو مصطبغ بالصبغة الثقافية العامة ولكن بلون فلسفى .

واما الاتجاه الثانى ، فهو اننى كذلك وجدتنى منذ الطفولة المتأخرة ـ اعنى منذ سن العاشرة أو الثانية عشرة ـ مشغوفا بقراءة الادب نثرا وشعرا ، ولعل ذلك الشغف قد جاءنى هو الآخر نتيجة لمصادفة أخرى ، وهو اننى كنت فى ذلك الحين موجودا مع والدى فى السودان ، « ووالدى كان موظفا فى حكومة السودان » ـ فكنت اتلقى مرحلة التعليم الابتدائى فى كلية غوردون بالخرطوم

وتصادف ان الزملاء السودانيين الذين كانوا يكبرونني سنا بكثير كانوا كثيرا جدا ما يجتمعون في فناء المدرسة ليتسابقوا في حفظ الشعر العربي ، وكانت البداية هي المعلقات كما ارشدني أحدهم . وأذكر تماما ذلك اليوم الذى استعرت فيه كتابا يجمع المعلقات مشروحة شرحا وافيا ..

***

وهنا أقول مرة أخرى ان تلك البداية قد كان لها ما بعدها على طول الحياة ، فانا لم انقطع عن قراءة الشعر العربي والاوروبي الانجليزى منه بصفة عامة حتى يومي هذا .. ذلك فيما يختص بالشعر ، اما فيما يختص بالادب النثرى فقد كانت بدايته حكايات الف ليلة وليلة ولا ازال حتى هذه الساعة اذكر تلك الايام المتوالية التى كنت اجتمع فيها مع زميل صغير في مثل سني لم نتبادل قراءة تلك الحكايات ، فاحدنا يقرأ والاخر يسمع ، وكان ذلك فى نهم لم اعرف لشدته مثيلا فى حياتى كلها بعد ذلك ، وايضا تلك بداية لخط جديد هو قراءة النثر الادبى ، وهو خط امتد بى الى يومي هذا ..

***

وأما الاتجاه الثالث فقد جاء متأخرا بعض الشيء اذ جاء وأنا فى مرحلة الدراسة الجامعية اذ وجدتني ابحث فى دار الكتب التى كانت موقعها فى ميدان باب الخلق بالقاهرة أبحث فيها عن كتب لا هى فلسفة خالصة ولا هى ادب خالص ولكنها كتب للفكر النقدى كائن ما كان الموضوع المنقود ، فربما كان ادبا منقودا بعمق أو ربما كان فكرا سياسيا أو اجتماعيا أو من اى ضرب كان ، ومرة أخرى أقول :

ان هذا الخط استمر معي الى يومي هذا بل لعله ان يكون صاحب الرجحان على الخطين الاول والثانى .

هذه الاتجاهات الثلاثة قد رسمت لى على طول الطريق أى كتب أختار لاقرأ . ومن حسن حظى — كما ترى — انني كنت متعدد الجوانب ، ولذلك لم يكن عسيرا ان أجد المادة التى اقرؤها اما فى الادب أو فى الفلسفة أو فى النقد بصفة عامة

وعلى هذا الاساس نفسه ايضا جاءت حياتى فى التأليف فكتبي التى جاوزت الآن خمسة واربعين كتابا يمكن تصنيفها الى هذه الاقسام الثلاثة ، فمنها الكتب الفلسفية الاكاديمية الخالصة ، ومنها الكتب النقدية على اختلاف الموضوع المنقود ، ومنها الانشاء الادبى الخالص وبخاصة فى ميدان أدب المقالة .

على هذا الضوء أستطيع ان استوحى خبرتى الخاصة فيما اقدمه للقراء ...

فالنقطة الاولى هى أن القراءة تبدأ من الميل والاتجاه لتكون قراءة متفقة مع طبيعة القارىء .

نعم ، الدائرة هنا مفرغة بمعنى ان الميل يخلق نوع المادة المقروءة ونوع المادة المقروءة بالتالى يخلق الميل .

لكن هكذا هو واقع الامر من اراد أن يحيا حياة القراءة فعليه أن يتلمس فى نفسه ماذا يقرأ ابتداء ليشبع من نفسه

رغبة يحسها ولا فرق بين قراءة وقراءة من حيث الموضوع فالمهم هو اشباع مافى نفسه من تطلع وتساؤل .

***

وبهذه المناسبة اقول ان افضل قراءة هى التى تجيب عن تساؤلات نشأت فى نفسه ولم يعلم ماذا يكون جوابها ، فلنفرض مثلا اننى سألت نفسى ذات يوم كيف نشأت الدولة ؟

ما هى أول دولة ظهرت فى الوجود البشرى وعلى أى صورة ظهرت ؟ثم عجزت عن تقديم الجواب لهذا السؤال فخير ما افعله هو أن أبحث عن مفكر أجاب عن هذا السؤال مثل هوبز لوك ، من فلاسفة الانجليز ، وجان جاك روسو من فلاسفة الفرنسيين .

فها هنا تجىء القراءة مستجيبة استجابة مباشرة لما يريد القارىء ان يعرفه ، فيكون الاثر فى نفسه أعمق وارسخ وادوم بقاء » .

***

وعند هذه النقطة من حديثنا يجب ان اشير الى ناحية غاية فى الاهمية فى موضوع القراءة الجيدة ، وكيف تكون . وهى انه لابد أن يكون بين القارىء والكتاب المقروء شىء من التفاعل ، بمعنى ان يتخيل القارىء فى الكتاب الذى بين يديه انه ليس مجموعة من الورق بين جلدتين ، انما هو انسان حى من أصحاب العامات الكبيرة يحدثه برايه فى الموضوع الذى اراد القارىء أن يستطلع فيه الرأى وكأى جلسة بين رجلين لا يجوز ان ياخذ الحديث طريقا واحدا ، أعنى أن يبدأ من الكتاب وينتهى عند القارىء . بل لابد ان يكون الحديث ذا طريقين ، فبقدر ما ياخذ القارىء افكار الانسان الذى يجالسه ، وهنا اعنى الكتاب الذى يقرأه يجب عليه أن يراه داخل نفسه بما يراه هو عن الافكار التى يتلقاها ، اذ ربما يجد فى بعضها ما يستحق التعديل أو ربما ما هو جدير أن يرفض . فليس مؤلف الكتاب المعين نبيا نزل عليه الوحى من السماء ، وانما هو بشر مهما علت قيمته، فهو يصيب ويخطىء .

وعلى كل حال فان الفاعلية العقلية الايجابية التى يبذلها القارىء فى مناقشة مادة الكتاب الذى يقرؤه كفيلة بأن تجعل تلك المادة المقروءة حية فى نفسه وذات أثر قد لا يبلى أبدا .

واذا شاء القارىء أن أصف له الطريقة التى اقرأ بها ، « وهى طريقة اعترف ان لها عيوبها » ــ فانى اقول اننى أضع على هامش الكتاب كلمة فى مقابل كل فقرة تحمل معنى من المعانى لاتذكر من خلالها مضمون تلك الفقرة من الكتاب ، واذا وجدت أحد المعانى لافتا للنظر بجودته وضعت علامة لاستدل بها فيما بعد على اهمية ذلك المعنى ، ثم اذا وجدت جودة الفكرة بالغة الاهمية وضعت قبالتها تلك العلامة مرتين او ثلاث مرات .

وكلما انتهيت من فصـــل من الكتاب لا انتقل الى الفصل التالى لا اذا عدت فراجعت الكلمات المكتـــوبة على هامش الكتاب والعـــلامات المرقومة الى جانب الافكار المتميزة حتى اضمن ان حصـيلة الفصل قد اصبحت متماسكة وواضـحة فى ذهنى •

وان رجلا مثلى قد قضى فى القـــراءة والكتابة نصـــف قـــرن كامل بل يزيد ، لا يسعه الا ان يوجه الى القراء رايه فى وجوب ان تكون القراءة جزءا حيويا من نشاط كل مثقف مهما كانت درجة ثقافته

وليعلم القراء ان حياة القراءة انما هى عبارة عن اكتساب خبرات مئات الناس الممتازين ، ولو أن الواحد منا قد اكتفى بخبرة نفسه فى حياته فخرج من حيـاته بحصيلة لا تكاد تكفيـه فى فهم اعمـاق الحياة التى يحياها هو والآخرون ، ولا اعماق العقائد الذى يؤمن بها ولا اعماق الصفحات التى يقرؤها ••

فقراءة كتاب ما هى بمثابة امتصاص خبرة عاشها صاحبها فى عدد كبير من السنين •• انى على سبيل المثال اعتقد ان قراءة مسرحية واحدة من مسرحيـات شكسبير او قصيدة واحدة من قصـائد المتنبى ،او قصة واحدة من قصص نجيب محفوظ ، قراءة مستنيرة فيها الفاعلية التى اشرت اليها ، انما هى بمثابة وجبة من الخبرة البشرية ربما يسـتحيل على القارىء العادى ان يجمعها ••

خذ مثـــلا حكايات الف ليلة وليلـة المراهقين المحرومين من حياة الغنى وحياة القصور وحياة البذخ ، تصور هـذا كله وكيف تصور احلام المراهقين وخصوصا تصويرا يشبع فى القارىء جوانب حرمانه •• ان كثيرين منا جدا ، وانا شـــخصيا واحد من هؤلاء ، لم تهيء له حياته نوعا من المغامرات فى الحروب أو فى صعود الجبـال أو فى اختراق المجهـــول من صحارى ومحيطات ، أفلا يكون من الخير لهؤلاء جميعا أن يعيشوا مع المغـــامرين المحاربين المخترقين لحجب الظلام وذلـك فيما يقرؤن لهؤلاء من كتب ••

واختصـارا، فاننى اؤكد لقرائى تأكيدا تمازجه حسرة عميقة فى نفسى بان الفرق بعيد بعد القطبين بين أن نتحدث لشاب من متوسطى الشباب فى اوروبا ، وشاب من متوسطى الشباب فى مصر ، فبينما نجد الاول غزير الخبرة لا عن طريق حياته المباشرة وحدها ، بل عن طريق ما قرأه عن حياة الآخرين فى فكرهم وفى نضالهم وفى مغامراتهم ومخاطراتهم •• بينما نجد الثانى على كثير من الضحالة أى على كثير من فقر الحياة فاذا كانت سنه ثلاثين عاما مثلا فكأنه ما زال فى سن الخامسة عشرة من حيث الخبرة وغزارتها •

فاذا كنت لاختم هذا الحديث بكلمـة اوجهها الى كل من يقرأ حديثى هـــذا ، فانى اقول : اقرأ ، ثم اقرأ ثم اقرأ •• تجـد نفســـك قـــد اضفت الى كـل سنة عشتها عشر ســـنوات من الخبرة اكتســـبتها من خبرات الآخرين ا•

من حصاد ندوة الحكيم

ومدرسة نجيب محفوظ في الإسكندرية

● نجيب محفوظ ●

لماذا لا تكون لنجيب محفوظ ندوة في الادب القصصي او الروائي ؟. لماذا لا تكون له مدرسة في هذا المجال كما كانت للكاتب برتراند راسل ؟.

هذا سؤال طرح نفسه على ندوة الادباء في صيف الاسكندرية هذا العام .. وهي الندوة التي كانت تعقد بالشاطىء كل صباح ، وتعرف باسم ندوة توفيق الحكيم ..

ودائما كانت تبدأ بمجيء « نجيب محفوظ » في العاشرة صباحا او العاشرة والنصف تماما . . ويحضرها الحكيم اذا كان بالاسكندرية وكذلك الاديب ثروت اباظة ، ثم مجموعة من المفكرين ، ولفيف من شباب وادباء الاسكندرية ..

في احدى جلسات هذه الندوة ، والمناقشات تدور حول فكر جان بول سارتر .. سألنا استاذنا نجيب محفوظ ما رأيك في « الوجودية » ؟ وهل انتهت بموت فيلسوفها سارتر ؟.

يقول نجيب محفوظ : ان « الوجودية » انتهت وماتت في أواخر عهد جان بول سارتر .. لان هذه « الفكرة » نشأت عندما كانت فرنسا في عصر القهر ، واراد الكتاب ، والناس أيضا ، أن يجتازوا هذه المرحلة من الحياة ويرتفعوا فوق مستواها .. فلما ذهب القهر وعادت الحرية ، أنتهى الغرض من مذهب « الوجودية » !

وعندما تصل مناقشات الندوة الى « المدرسة الحديثة » في ادبنا يقول نجيب محفوظ : ان توفيق الحكيم هو جيل الرواد ، ثم يليه جيلي ، وبعدنا يوسف ادريس وصلاح عبد الصبور ... وجيل الشباب هو الجيل الرابع ، وهم بين شعراء وكتاب قصة قصيرة وفيهم المسرحيون والروائيون .

وقد قرأت للبعض من جيل الشباب هذا ولم أقرأ لغيرهم ، ولذلك لا استطيع ان ادعي ان لدي الاحاطة الشاملة التي تعطيني الحق في الحكم على جميع اعمالهم .

والذي اطلعت عليه من انتاج هذا الجيل في القصة القصيرة والشعر والنقد ، على ان هناك مواهب جديدة ممتازة تعمل في اسوأ ظروف واجهها جيل ادبي مصري ..

ولكن هل تمثل كتابات هذا الشباب الجديد مجتمعنا الحالي ومشاكله ؟.

يقول الاستاذ نجيب : كل مشاكل وهموم الشباب الحالية ممثلة في كتاباتهم ، والتفوق يأتي عندما يتصل الكاتب بجمهور النقاد ــ وهذا جيل لم يكن لمثله مثل هذه الظروف ، لانه لا النقاد كتبوا عنه وليس له قراء ثابتون .

والادباء الاجيال القديمة رغم الصعوبات التي كانوا يواجهونها ، كان لهم في الساحة قراء يساندونهم في النهاية .. اما الآن فانه لا يكاد يوجد قراء ، بل مشاهدو تليفزيون ..

وانا انصح ادباء الشباب ان يحولوا الموضوعات الادبية الى مسلسل تليفزيوني وبعدها قد يتاح لهم ان يفرضوا انفسهم ككتاب !.

في عهدنا ــ في جيلنا ــ كان الكتاب يجد طريقه للنشر اولا وبعد ذلك يحول الى فيلم سينمائي او تليفزيوني ..

***

ويقول الدكتور عبد الحميد يونس الذي كان بين حضور الندوة : انا أفضل



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ

الاذاعة على التليفزيون ، لان الاذاعة تسمعها وأنت فى اى مكان ، بينما التليفزيون يجب أن تبقى امامه مرتبطا به ..

ويستطرد الدكتور عبد الحميد يونس : ـ كان لنا استاذ هو الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكان بيته مفتوحا للأدباء ، وعندما اختلفنا ونحن شباب فى بعض المسائل وقف الى جانبنا ماديا وادبيا مؤيدا ومرشدا ..

واسأل نجيب محفوظ عن اتجاهاته ونشاطاته للموسم القادم ، فيجيب بأنه حتى الآن لم يحدد برنامج نشاط لموسم الشتاء القادم ، وعندما يعود الى القاهرة سيجمع اوراقه ويبحث فيها، واما ندوته فى قصر النيل فهى مفتوحة لمن يأتى اليها من الشباب وغيرهم ..

ويستطرد نجيب محفوظ .. ان شباب هذه الايام هم معالم طريق لتصل اليهم ، هناك نوع درس التراث ودرس من قبله جيلا بعد جيل ، وهو يتطور ليعمل شيئا جديدا من هذا التراث ، انه جيل درس جيل الرواد وبينهم من عنده طموح كى يعطى جديدا ..

وهناك نوع متمرد لا يؤمن بشىء ، واذا كانت له ثقافة غربية ويتبع « الموضة » الادبية ويقلدها ، فانه لا يعترف بأى شىء غير ما يعرف هو ..

ولو كان هناك نقد يتابع اعمال الشباب لقال الناقد مثل هذا الكلام وافاد الادباء الحديثين ـ ان ما يحدث الآن هو ركود افعال الحياة على الادباء الشباب سواء من الرجال او النساء فالادبية فى زمننا هذا مثل الاديب تماما ..

ويطرح سؤال : لو اردنا ان نناقش قضية ادبية مما يشغل الاذهان فى هذا الوقت فما هى ؟.

ويجيب نجيب محفوظ : هناك عدة قضايا مثل النشر ـ النقد ـ سعر الكتاب .

والحكومة يجب ان تدعم الكتاب مثل الرغيف ، والاديب الذى يبدأ النشر يجب ان يتجه الى القطاع العام او الهيئة العامة للنشر، لان الناشر الخاص سيبحث عن الاسماء المضمونة لينشر لها كتابا .

هذا رغم ان هناك كتابا وادباء معروفين ولايجدون ناشرين.. ويتدخل توفيق الحكيم معقبا : ان الكاتب له قيمتان، قيمة تجارية وقيمة ادبية ـ ولا توجد حتمية تمنع وجود الاثنين !.

هناك بعض الكتاب لهم قيمة تجارية فيتهافت عليها الناشرون ، وهناك كتب وكتاب آراؤهم عظيمة وعميقة ولا يجدون من ينشر لهم .. فالناشر الخاص وراء القيمة التجارية ، فالهيئة العامة للنشر هى المسئولة عن الكتب ذات القيمة الادبية ..

ويتدخل محفوظ ليختم الحديث قائلا : هل قلنا ناشر ونحن كتاب صغار ؟. طبعا لا ـ لقد مررت عليهم واحدا واحدا . ورفضوا النشر ... لذلك انشأ المرحوم عبد الحميد جودة السحار لجنة خاصة لينشر له ولأمثاله من الكتاب ..

والناشر فى اوروبا تاجر ، وهو يعرف السوق الاوروبية ، ويعرف ان فيها مثقفين كثيرين يقرأون لذلك فهو يغامر بالنشر ..

● امانى فريد ●

عندما أحرق الأديب كتبه

● صلاح عبد الصبور ●

من اوجع الصفحات التي حفظها لنا ياقوت لروس فى معجسم أدبائه ، تلك الرسالة التي وجهها شيخ ادباء زمانه ابو حيان التوحيدى ، الى صـــاحبه القاضي ابى سهل على بن محمد ،حين نمى الى هذا الصديق عزم ابى حيان على احراق كتبه ، فكتب اليه لائما .. وكان رد لومه تلك الرسالة :

كان ابو حيان قد اوفى على نهــاية العمر ، بعـد ان خاض رحلة السنين شقيا مجهدا ، فقد كان أول ما وهبت له الحياة طفولة تفتقد حنان الام ، وتفيض بضنك الرزق ... ثم انفـق شبابه وحيدا لا يجد له ولدا نجيبا ، وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا ، وتابعا اديبا ، ورئيسا منيبا ... واحترف حرفة من أكثر الحرف اثارة للملـــل وارهاقا للبصر ، وتلك هى حــــرفة الوراقة او نسخ الكتب للادباء والمتادبين ... وقد يكون ذلك الذى طلب منه نسخ كتاب من الكتب جاهلا او مدعيا، أو واحدا من اهل الثراء والوجاهــــة الذين يظنون ان وجاهتهم لا تكتمل الا باقتناء الكتب واكتناز نفائس التصانيف

وكان من البدهى أن يلوذ أبوحيان ـ كعادة ادباء زمانه ـ باهل الوجاهة الاجتماعية مادحا أو نديمـــا ، ولكـــن يظهر ان إدبنا كان سيىء المظهر حاد الطبع ، فلم ينل من هؤلاء الوجهاء الا الزراية والعناء .

وكان اثقلهما وطــــأة عليه وجيهين اشتهرا بالادب وبرعا فى الحفـــــظ والروايه ، وهما ابن العميد والصاحب ابن عباد ...

وظلت الحياة تعطى ابا حيـــان قليلا وتمنعه كثيرا ، حتى بلـــغ التسعين ، تنظر وراءه عندئذ فى ســـــخط ، واستخار الله ـ كما يقــــول ـ اياما وليالى حتى أوحت اليه فى المنام بما بعث راقد العزم ، واجد فاتر النية ، واحيا ميت الرأى ... وعندئذ أعلن نيته فتلقى رســـالة صديقه العاتبة اللائمة ...

ورد أبو حيان على صديقه برسالة طويلة ، تنبض مرارة وحزنا ، يشرح فيها ما استقر عليه رأيه ، وينفض فيها بثه وحزنه، ويؤكد فيها عزمه النافذ..

يقول ابو حيان فى مطلع الرسالة ان

كتبه تلك قد حوت من اصناف العلم سره وعلانيته ، ولعله يقصد بالسر فنون الفلسفة ، وبالعلانية فنون الادب .. واما الخلف له او الحكمة فلا جـدوى منها . اذ انه لم يجد من يتحلى بحقيقة هذه العلوم راغبا ، واما الجانب الممثل للعلانية فى كتبه فهو لم يجد من يحرص عليه طالبا، فكان الناس عنده لايريدون حكمة تنير عقـــولهم او ادبا يحسن الوفهم ...

● ابو حيان يحاكم نفسه ●

ويحاكم ابو حيان نفسه فى آخـــر ايامه سائلا اياها لم آثرت الكتابة على غيرها من الحرف ... ويكون جوابه دون موارية انه كتب كتبه طلبا للشهرة بين الناس ، وليكون له عنـــدهم جاه ومال . وذلك مطلب زائف ، وان كان لم يتحقق ... ثم يميل الى تغضيبة « الخلود الادبى » بلغتنا نحن ، فيرى غير موارب ان الاجيال القادمة لن تعبا به ، وبخاصة اذا قاسها على الاجيال التى عاصرها وعاصرته ... !

« وشق على ان ادعها « اى كتبه » لقوم يتلاعبون بها ، ويدنسون عرضى اذا نظروا فيها ، فان قلت لم تسمهم سوء الظن ، فجوابى ان عيانى منهم ، الحياة هو الذى يحقق ظنى بهم بعـــد الممات ، وكيف اتركها لاناس جاورتهم فما صح لى من احدهم وداد ، ولا ظهر لى من انسان منهم حفاظ ... ولقـــد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة فى اوقات كثيرة الى اكل الخضـــر فى الصحراء ، والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامه ، والى بيـــع الدين والمروءة ، والى تعاطى الرياء بالسمعة والنفاق ، والى ما لا يحسن بالحر ان يرسمه بالقلم » ...

ويكشف لنا ابو حيان فى هـــذه الرسالة عن طائفة ســـبقته من الادباء والمفكرين الذين ادركوا اخفاق سعيهم نحو المعرفة ، وضنوا بثمرات قرائحهم ان تلقى امام دهماء الفكر تعبث بها ، وتتشدق بما فيها دون فهم او خلوص نية ، فاحرقوا كتبهم اوغسلوهابالماء ، او دفنوها فى باطن الارض قبـــل ان يفارقوا الحياة !

فمن هؤلاء ابو عمرو بن العلاء الذى دفن كتبه فى باطن الارض فلم يوجد لها اثر ! ..

ومنهم داود الطائى الذى كان يقال له تاج الامة اذ طرح كتبه فى البحر ، وقال يناجيها : نعم الدليـــل كنت ، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول ، وبلاء وخمول ! ..

فكان داود كان يكتب كتبه بحثا عن ذات نفسه، وطلبا لخلاصها من حيرتها، فلما استقرت واصابها اليقين لم تصبح لهذه الكتب جدوى ! ..

ومن هؤلاء المتخلصين من ذنب الكتابة قبـــل ان يفارقوا الدنيا ابو سليمان الدارانى الذى جمـــع كتبه فى فرن واحرقها ، ثم قال :

« والله وما احرقتـــك حتى كدت احترق بك » !

ومنهم ايضا سفيان الثورى العالم الفقيه وابو سعيد السيرافى العـــالم النحوى الذى يسميه ابو حيان « سيد العلماء »

● لماذا احرق ؟ ●

من حسن حظنا ان ابا حيان حين احرق كتبه لم يحرق ـ اذا كان قد فعل حقا ـ الا ما تأخر زمنه منها اى

ما كتبه في العشرين عاما الاخيرة من عمره ... أما كتبه الاخرى فقدحفظتها الرواة وتناقلتها من بعدهم الاجيال ، حتى بقيت صفحاتها لتجيب لنا عن سؤال نلقيه ونحاول أن نجيب عنه ، فما أكثر الكتاب والادباء في شتى العصور والامم الذين يحسون في أواسط العمر أو أخرياته ان سعيهم كان عبثا ، ويتمنون لو عاد عمرهم الى بدئه ، فاختاروا لهم نهجا مختلفا ...

وكتب أبي حيان في معظمها شبيه باليوميات وتبها كثير من ادب الاعتراف فكتابه الرائع «الامتاع والمؤانسة» هي ثمرة اربعين ليلة من السمر ، كان فيها أبو حيان ينادم أحد وزراء عصره ، ويفيده علم الادب ومذاهب الفكر ، بينما يجري كتابه « الاشارات الالهية » مجرى الخواطر والتأملات الصوفية والخلة .

أما كتابه « مثالب الوزيرين » فهو اشبه بمقالة طويلة في هجاء الصاحب بن عباد وابن العميد ، وحكاية ما كان بينهما من نوادر وتقلب وجفوة .

وهكذا يتضح لنا الهيكل النفسي لابي حيان ، وهو هيكل ليس غريبا من هياكل المثقفين كما ألفتها الحضارة في زمنه بل ألفتها الحضارة العربية الكلاسيكية بشكل عام . فقد كان دأب المثقف اذا آنس في نفسه نبوغا وتميزا ان يسعى الى بلاط أمير أو وزير ، ويقيد نفسه بخدمته أما مادحا أو نديما : وكذلك كان ابو حيان حين استوثق من موهبته ، فانقاد ينتقل من بلاط الى بلاط . ومن حاشية الى اخرى ...

ولكن أبا حيان حين دخل الى مهنة النديم لم يفطن الى أصولها ... وهبه رزق من العلم أوفره وافضله ، ومن الرواية أولقها وادقها ، ومن الفلسفة انفذها . فلن يرفع كل ذلك مكانته عن مكانة النديم ، وللنديم بعد ذلك شروط كان يفتقدها ، لعل من اولها طيب المنظر بحيث لا تؤذي سحنته عيني الوزير ، وذلك حظ افتقده أبو حيان ...

ولعل من هذه الشروط ايضا القدرة على الجري وراء وساوس الوزير او الامير من الجد الى الهزل ، او من الهزل الى الجد . ولم تكن فكاهة أبي حيان كما عرفناها الا لونا من السخرية الذكية الجارحة !

ولعل أبا حيان كان يدرك ذلك كله ، ولذلك فقد قصد أول الامر الذين عرفوا الادب ، ظنا منه أنهم سيعاملونه معاملة الند والنظير ، ولكنهم كانوا أقسى عليه من الوزراء الخلص ، فقد كان « دأب هؤلاء الوزراء الادباء أن يثبتوا له علمهم لا أن يفيدوا من علمه ... وقد عهد اليه أحدهم بدور « الناسخ » . أو « الوراق » فنا منه عليه بدور النديم الرفيق في حرفة الادب ! ..

وما زال الادباء في كل مكان وزمان مبتلين بأشباه الادباء من أهل السلطة الذين تتوزع سلوكهم نحو الادباء الخلص نوازع مختلفة من الاعجاب والحسد والحب والكره .

● محاورة مع ابن عباد ●

يحكي لنا أبو حيان في « مثالب الوزيرين » محاورة طريفة بينه وبين ابن عباد ... قال ابن عباد يوما « في لحظة صفو » :

ــ من أين لك هذا الكلام المفوف « الرقيق » المشوف « الناصع » الذى تكتب به الى فى الوقت بعد الوقت ؟

فقال ابو حيان « منافقا » :

ــ وكيف لا يكون كما وصف مولانا، وانا أقطف ثمار رسائله، واستقبع من قليب « بئر » علمه ، وارد ساحل بحره .

« وتنمر الصاحب ، وانقلب من النقيض الى النقيض وقال :

ــ كذبت وفجرت لا أم لك ، كلامى فى السماء وكلامك فى السماد !

● ليس وحده ●

لم يكن أبو حيان وحده فى هذا العناء الذى عاناه بين حكام زمانه ، فما أكثر ما تذكرنى مواجده بمواجد شاعر من اكبر شعراء العربية وكان مثله مفتقرا الى خصال النديم ، وشكا الحياة مثل شكواه ، وذلك هو الشاعر ابن الرومى

عاش ابن الرومى قبل ابى حيان بحوالى مائة عام ، ولكن الدهر كان لكليهما كالدهر والناس كالناس . ولنذكر أبياته فى محمد بن عبد الله ابن طاهر :

قد بلينا فى دهرنا بملوك
ادباء ــ علمتهم ــ شعراء ...
ان اجدنا فى مدحهم حسدونا
فحرمنا منها ثواب الثناء !.
او اسأنا فى مدحهم انبونا
وهجوا شعرنا اشد هجاء
قد اقاموا نفوسهم للورى
المدح مقام الانداد والنظراء !

● ماذا ارادوا وماذا لقوا ؟ ●

لقد اراد الادباء الستر والوقار عند ممدوحيهم ، وهكذا كان داب الاديب العربى ، ورزق بعضهم من الجد ما استطاع به ان يلصق نفسه بالحاشية فمضى فى طريقه مطمئنا برزقه ، مجودا صنعته ، كانما ما بنفسه لكى يرضى نفس ممدوحه .. وضاقت البلاطات ببعضهم فشكا و عول ولكنه، لم يطمح الى ادراك سر المأساة ، وهى انه طلب من الدنيا بالادب ما يطلب منها بغيره ، بل ان ابن الرومى ليكشف لنا فى ابيات واضحة القصد عن بعض ما يدور فى خوالجه اذ يجد الادب وسيلة الى الغنى كغيره من الوسائل ، وهو يلوم نفسه أو زمنه لانه حرم حقه من الغنى رغم سعيه الحثيث اليه :

اراني دون الالى بلغوا الا
مال من شرطة ومن كتاب ..
وتجار مثل البهائم فازوا
بالمنى فى النفوس والاحباب
ويظلون فى المناعم واللذا
ت بين الكواعب الاتراب
لم اكن دون مالكى هذه
الاملاكواتصف الزمان المحابى

ولكن ، ما بالنا نمضى بالملامة على ابى حيان وابن الرومى ، بل وعلى العصر كله .. انما كان الاجدر بنا ان نتمهل قليلا ونتظر فى عصرنا الحاضر ، هذا العصر الذى يزعم ادباؤه انتماءهم الى جماهير الناس وبسطائهم والذى يتردد فيه الحديث غير منقطع حول مكانة الادب ومكانة الاديب ..الا يجدر بنا ان ننظر بعين الفطنة النافذة لكى نقول مع الشاعر ان الدهر كالدهر والناس كالناس ، وقد ننتظر اديبا صادقا يحدثنا حين يوفل به العمر انه .. سيحرق كتبه !

الحياة أجمل بكثير مما نتصور

كان في الستين وهي في العشرين وتزوجا وعاشا معًا ٣٥ سنة من السعادة والوفاق والنجاح

● الاسطورة الصماء التي تتردد في اسماعنا هنا تقول : ان فارق السن الكبير لا يتفق مع الزواج ، والرجل بعد ان يغادر الخمسين لا ينبغي قط ان يفكر في امرأة دون الاربعين ، والاحسن الا يفكر في امرأة قط . ان ذلك ظلم لهذه المرأة وكل امرأة . .

وحول هذا الموضوع كتبت روايات وعملت افلام ، كلها تحكي مأساة البنت الصغيرة في حدود العشرين التي ساقوها رغما عنها الى الزواج من رجل في الستين والذين يكتبون هذا الطراز من القصص او يخرجون هذا النوع من الافلام لا يعرفون عن حقيقة الحياة الا قليلا ، حقا ان السن له حكمه ، والرجل في الستين لا يجوز له قط ، محافظة على كيانه وسمعته أن يفكر في الزواج من شابة ، ولكن هذا ليس قانونا من قوانين الحياة لا يقبل المناقشة ، لان الحياة الانسانية اساسا ليس لها قوانين لا تقبل المناقشة .

والحب والزواج والسعادة لا تعترف بالسن بنفس الطريقة الجامدة التي يتصورها أولئك الكتاب ان السعادة في الزواج بالذات ليس لها سن ، لانها تقوم اساسا على ارتياح انسان لانسان وشعور كل منهما بالامان والاطمئنان الى جانب صاحبه . وكل فوارق السن والشكل تتلاشى بعد قليل ، ويبقى بعد ذلك الامان والانس والصحبة الطيبة .

هذا هو ما حدث لواحد من اكبر الموسيقيين في عصرنا وهو روبرت شتولتس ، وهو آخر السلسلة المجيدة من الموسيقيين الالمان والنمساويين الذين بنوا مجد الفالس والاوبريت . انه من مستوى يوهان شتراوس وفرانتس ليهار وفالد توبفل وغيرهم من صناع تلك الموسيقى العظيمة الجميلة التي ملأت الدنيا مرحا ومسرة .

وكان هذا الرجل الذي ولد سنة ١٨٨٥ يقترب من الستين في سنة ١٩٣٩ ولكنه كان قد خلف وراءه عملا موسيقيا ضخما بلغ ذروته باوبريت تسمى «حاضره او « على عيني »وهي بالنمساوية « سير فوس دو » فلم يبق انسان في اوروبا الا ردد الحان هذه الاوبريت التي



هكذا كانت ايفون لويز أولريش سنة ١٩٣٩ عندما التقت بروبرت شتولتز الموسيقي العظيم • كانت في العشرين وهو في الستين ، وبدأت بينهما قصة الحب •

عرضت على كل مسارح أوروبا •

ولكن عندما دخل الالمان النمسا قبيل الحرب العالمية الثانية توقف النشاط الموسيقي في ذلك البلد ، واضطر روبرت شتولتس الى الانتقال الى باريس •

وهناك وجد نفس الجو المكفهر ، اشتروا منه أوبريت وكلفوه بعمل أخرى ولكن فرنسا كلها كانت تعيش على بركان وأحس روبرت شتولتس أنه ضائع ، وكان بطبعه رجلا لا يتمتع بأى مهارة مالية أو ادارية • كانت مهارته كلها هي الموسيقى ، والموسيقى وحدها •

وكان متزوجا من امرأة تسمى ليل ، كان يحبها جدا رغم انها كانت طائشة لعوبا ، وكان قد اشترى لها مجوهرات وعملات ذهبية بما يقدر بمليون مارك الماني ، وكان المارك يساوى عشرين قرشا مصريا بنقود تلك الايام •

وفوجيء الرجل ذات صباح بأن زوجته تلك هربت مع واحد من أصدقائه برت بكل النقود والجواهر ، حتى أوراقه الخاصه بما في ذلك جواز سفره وعقوده ودفاتر شيكاته • ويبدو ان هذا الصديق الزائف سيطر عليها في لحظة ضعف فحملت حقائبها وحقيبة المال الخاص لزوجها وأوراقه وهربت تاركة بطاقة صغيرة تقول فيها : آسفة لم أستطع الا أن البى نداء قلبى •

وجلس الرجل في غرفته في فندق جورج سانك وحيدا حزينا لا يملك الا بضعة جنيهات • وشعر بأن مركزه حرج لفرنسا في حالة حرب مع المانيا ، فهو مواطن لبلد عدو ثم انه لا يملك جواز سفر ، وفي هذه الحالة لا مفر من اعتقاله •

وفي أيام الحيرة والضياع تلك ذهب ليلتقي ببعض أصدقائه في مقهى الكريستال في شارع ماربليان في باريس • وبينما هو جالس يحكي همومه لاصحابه اذ دخلت فتاة حلوة في نحو العشرين من عمرها • كانت مليئة بالحيوية والنشاط والبشر والتفاؤل •

وسأل روبرت شتولتس صاحبا له :

– من هذه البنت الجميلة •



هكذا كان روبرت شتولتس عندما تعرفت به اينتسى وقررت ان تتزوج به.. كانت في العشرين وكان في الستين

ـ هذه ايفون لويز اولريخ وكلنا نسميها آينتسى .

ـ وماذا تعمل .

ـ انها بنت ناس أغنياء مخطوبة لرجل فرنسي صاحب ملايين . انها المانية ولكنها حاصلة على الجنسية الفرنسية في نفس الوقت ، هوايتها مساعدة اللاجئين .. انها انسانة عظيمة

ـ وهل تستطيع معاونتي ..

ـ طبعا ..

وناداها ، واقبلت ، وقص عليها روبرت شتولتس مأساة حياته ومخاوفه، فاقبلت عليه بكل نفسها ، وأصغت اليه ثم قالت :

ـ بكل سرور ، هذا شرف عظيم أن اخدم موسيقى عبقرى مثلك .. اطمئن .. سادبر لك الامر .

وتركته ومضت لتكلم اصحابا آخرين ، وانصرف شتولتس عائدا الى فندقه ، ومالت آينتسى على اذن صاحبه وقالت :

ـ ابراهام .. لابد أن أتزوج هذا الرجل !

وبعد أيام من ذلك اللقاء الاول اعتقلوه لانه لا يحمل جواز سفر ، وقضى في المعتقل اسابيع حتى ادركه اليأس، وكان بطبعه رجلا لا يتمتع بأى موهبة ادارية أو مالية ، بل كان بحاجة الى انسان يتوكأ عليه .

وفي ذات يوم ناداه مدير المعتقل وأبلغه انه تقرر الافراج عنه ، وعلم ان التى سعت في ذلك ونجحت فيه هي هذه الشابة الصغيرة ايفون لويز أو لريتس التى يسمونها آينتسى . وآينتسى اختصار وتدليل للتسمية التى سماها بل من يعرفونها وهي « دى آينتسيجه » أى الوحيدة أو الفريدة في بابها ، لقد دفعت من مالها نحو الفى جنيه ، بنقود تلك الايام لتحصل له على الافراج ، بل تمكنت من عمل بطاقة اقامة وبطاقة عمل له .

وعندما التقيا لم يعرف كيف يشكرها هذا الرجل كان لين اللسان وكل مهارته كانت الموسيقى . كان في داخله بحرا فياضا بالنغم ، وعندما التقى بآينتسى لم يكن قد أعطى الا القليل جدا مما عنده .



واحدة من الصور الاخيرة التي اخذت لهما معا . رغم انه كان قد اصبح شيخا مسنا يقارب التسعين الا انها ظلت تحبه وتسعد معه كما كانت يوم رأته أول مرة .

كان في حاجة الى انسان يحمل عنه مطالب الحياة ليفرغ هو للموسيقى .

وقد فهمت ذلك هذه الشابة الموهوبة كانت ثريه ومتزوجة من رجل ثري ، ولكنها عندما التقت بروبرت شتولتس قررت أن تترك زوجها وثروته وتهب نفسها لهذا العبقري الذى يحتاج اليها .

وكانت له نقود في أحد مصارف انجلترا ، فسافرت الى هناك لتأتيه بها ، ولكنها وجدت أن زوجته السابقة ليلى قد أخذت هذه النقود أيضا ، من هناك دبرت له أمر السفر الى الولايات المتحدة .. كانت انسانه صغيرة ولكنها عجيبة قادرة على كل شيء .

وفي غيبتها في لندن أحس انه لن يستطيع الحياة بدونها ، فأرسل اليها برقية يقول ذلك ويسألها ان كانت ترضى بالزواج منه .

كان يشك في الجواب ، لانه كان في الستين من عمره ، وكان رجلا أصلع مكرشا بعض الشيء ، وكان لا يفهم كيف ترضى به فتاة في الحادية والعشرين .

وعرفت كيف تحصل على الطلاق ضحت بكل ما كان عندها لتبدأ حياتها من جديد . ثم لحقت به في أمريكا حيث رتبت له كل شيء ، وربطته برجال برودواي وهوليود ، وما هي الا ثلاث سنوات حتى كان قد تزوجها وانتظمت حياته وبدأ انتاجه الموسيقي الغزير .

عاشت آينتشي مع روبرت شتولتس بعد ذلك خمسا وثلاثين سنة من السعادة والوفاق والنجاح .

كان في الستين عندما التقت به ، وكانت هي في العشرين ، وعندما تزوجا كانت في الثانية والعشرين وهو في الثانية والستين ، ولكن ذلك لم يمنع أن يسعدا بحياتهما خمسا وثلاثين سنة فقد توفي هو في السابعة والتسعين !

ثم يقولون لنا أن للحب والزواج سنا معينة ، وان فارق السن لا ينبغي أن يتخطى كذا سنة !

والحقيقة ان السعادة ارادة والسلوك تصرف والوفاق من عند الله ، ولكنه من عندنا أيضا !

■ د. حسين مؤنس ●

الخبز الأبيض • والخبز الأسود
الخبز الطرى • والخبز الجاف

• د • عز الدين فراج •

• قبل أن نتناول هذا الموضوع بالتحليل العلمى يحسن بنا أن نلم الماما موجزا بتركيب حبة القمح التى تدين لها البشرية بالفضل العميم منذ فجر التاريخ • ومعرفة طبقات هذه الحبة • وطريقة توزيع المركبات الغذائية والفيتامينات فيها يكشف عن القيمة الغذائية لكل طبقة من هذه الطبقات •

أولا : الاغلفة الخارجية : وتكون عادة ٨ ــ ١٠ ٪ من وزن الحبة ، وهذه الأغلفة هى المكونة للنخالة بنوعيها •

ثانيا : الطبقة الوسطى وهى طبقة رقيقة تكون ٤٪ من وزن الحبة ، وتأتى بعد الاغلفة الخارجية مباشرة • وهى أكثر الطبقات احتواء على عنصر الازوت •

ثالثا : طبقة الأندسبرم النشوى وهى الطبقة المكونة للدقيق الأبيض الصافى • وهى أكبر طبقات الحبة وأغلفتها اذ تكون ٨٢ ــ ٨٦٪ من وزن الحبة •

رابعا : الجنين ويكون فى العادة ٦٪ من وزن الحبة •

واذا طحنت جميع هذه المحتويات وصنع من دقيقها خبزا كان الخبز أسمر اللون •••

أما اذا صنع الخبز من محتويات طبقة الأندسبرم النشوى وحدها بعد نزع الطبقات والاغلفة الاخرى ، كان الخبز أبيض اللون •

وأراد العلماء أن يضعوا الخبز الاسمر والابيض فى كفتى ميزان فأخذوا يحددون كميات الفيتامينات المختلفة فى كل طبقة من هذه الطبقات ، فوجدوا فيها تباينا محسوسا كما هو واضح فى الجدول التالى :

الفيتامينات	اجزاء حبة القمح			
	الحبة كلها	الجنين	الاغلفة الخارجية « النخالة »	الاندسبرم النشوى
فيتامين أ	+	+ +		—
فيتامين ب ١	+ +	+ + +	+ +	—
فيتامين ب ٢	+	+ +	+ +	—
فيتامين هـ	+	+ +	+ + +	—

— غير موجود تقريبا
+ موجود بقلة
+ + موجود بقدر معتدل
+ + + موجود بوفرة

ومن هذا الجدول نستنتج أن جنين حبة القمح واغلفتها الخارجية المكونة للنخالة بنوعيها أغنى طبقات الحبة فى فيتامين « أ » ، وفى فيتامين « ب » الذى يساعد على نمو المجموع العصبى ونشاطه ، وأغناها أيضا فى فيتامين « ب » الواقى من مرض البلاجرا فى حين أن طبقة الاندسبرم النشوى التى يتكون منه الدقيق الابيض الصافى ، خالية من فيتامين ب بنوعيه • وهذا يفسر لنا سر عدم انتشار مرض البلاجرا عند اجدادنا الفراعنة •

وتعد الاغلفة الخارجية (النخالة) ، وكذلك الجنين مصادر غنية للفيتامين « هـ » المضاد للعقم • وقد اثبتت تجارب تغذية الفئران باغذية خالية من هذا الفيتامين انها ادت الى ضعف الحيوانات المنوية وضمور الخصيتين ، كما ادى فى أنثى هذه الفئران الى اجهاض الجنين قبل موعد ولادته • ويقال أن اعطاء هذا الفيتامين بكمية كبيرة للارانب تؤدى الى زيادة وزن صغارها عند ولادتها ، وانه امكن علاج حالات من العقم باعطاء اغذية غنية به مثل النخالة •

وراح العلماء يحسبون العناصر المعدنية فى اغلفة الحبة الخارجية • تلك الاغلفة التى نفصلها ونمنع خلطها بهذا الخبز المصرى فوجدوا انها تحتوى على الفوسفور الذى يغذى الاعصاب ويقويها ، وعلى الحديد الذى يمنع فقر الدم ، وعلى الكالسيوم الذى يبنى العظام والاسنان ، ويحافظ على قلوية الدم ، وعلى السليكون الذى يقوى الشعر ويزيده لمعانا ، واليود الذى يغذى بعض الغدد الداخلية ، كما أثبتوا أيضا وجود عناصر البوتاسيوم والصوديوم والمغنسيوم تلك العناصر التى تدخل فى تكوين الانسجة والعصارات الهاضمة •

وفيما يلى موازنة بين ما تحتويه حبة القمح كاملة من عناصر معدنية وبين ما يحتويه دقيق القمح الابيض من هذه العناصر •

	الـمـاد بالمليجرام الموجود بكل مائة جرام					
	الحديد	الكالسيوم	المغنسيوم	الصوديوم	البوتاسيوم	الفوسفور
حبة القمح دقيق القمح	٥ر٢ ٥ر١	٤٤ ٢٦	١٧٠ ٣٠	١٠٦ ٦٩	٥١٥ ١٤٦	٤٦٩ ٨٦

من هذا الجدول نرى أن دقيق القمح الأبيض فقد كثيرا من هـذه العناصر المعدنية المهمة في اداء الجسم لوظائفه الحيويه ، فقد هبطت نسبة الحـديد والفوسفور الى ثلاثة ارباع ما يوجد منها في الحبة الكاملة ، فكان الخبز الاسمر المصنوع بنخالته وبجميع محتويات الحبة أكثر قيمة غذائية من الخبز الابيض المصنوع من طبقة الاندسبيرم النشوى الموجود في قلب الحبة .

واتجه العلماء والاطباء بعد ذلـك الى الخبز الطـرى والمجفف فنقدوا الخبز الطري نقدا علميا صحيحا ،فجاء على لسان الدكتور « وستن رايس » الامريكى الحجة فى طب الاسنان العبارة التالية :

« ان طوائف البشر التي لا عهد لها بأمراض الاسنان هي التي أحسـنت استخدام اسنانها استخداما كاملا في طحن الخبز الجاف والاطعمة الجافة غير المهيأة التي تكبد الاسنان جهدا ومقاومة في هرسها ومضغها . وانك لتجد أقوى الاسنان عند أولئك الذين دأبوا على استعمال أسنانهم ومواضـغهم في طحن ما يتناولون من أغذية يابسة ، في حين اننا نرى علل الاسنان وأمراضها متفشية بيننا نحن الغارقين في تناول الاطعمة اللينة السـهلة الهضـم التي لا تتيح للأسنان فرصة القيام بدورها الطبيعي الذى خلقت له » .

وقد أيد الدكتور « دينيه باكارد » العالم السويسرى ورئيس معهد بحـوث أمراض الاسنان هذا الرأى بقوله :

« لقد خلقت الاسنان لتؤدى وظيفة المضغ تادية كاملة ، وظلت الاسنان تمارس هذه المهنة على أتم وجه حتى تحضر الجنس البشرى فتأنق في طعـامه واهتم بطهوه وتهيئته حتى صار على الزمن رخوا طيعا ، فتعطلت المواضغ والاسنان عن اداء مهمتها وضمر معها عظام الفك ، وأضحت فريسة سـهلة للجـراثيم والأمراض » .

ثم جاء الدكتور « ديشوم » الفرنسي يؤيد الرأيين السابقين ويزيدهما وضوحا وقوة بقوله :

« نرى اليوم اهل الريف وسكان المناطق الجبلية الذين لا يزالون يأكلـون الخبز الجاف ، كما كان يفعل أجدادهم من قبل ، محتفظين بأسنان بيضـاء قوية متينة البنيان . اما نحن اهل المدنية والحضارة فلا نأكل الا الخبز الابيض الطري أو الاسفنجي الذى نزعت منه فيتاميناته وعناصره المعدنية النافعة وبذلك ضعفت أسناننا هذه الآلة الثمينة الرابضة على عتبة جهازنا الهضمي » .

وعلى ضوء هذه الحقائق العلمية والتاريخية المؤيدة بالبحث والتجربة لا يسعنا الا ان نعود الى الخبز اليابس أو المجفف بعض التجفيف ، فهذا أول سـلاح نشهره لمكافحة علل الاسنان أو على الأقل لتخفيف ويلاتها .

أنا والحب..

● ابراهيم عيسى ●

أنا كالليل غريب
أتغنى بهواي
أنا كالبحر بأعماقي
مخثور من ناي
أنا كالملاح تاهت
عن مجاديفي يداي
عندما يحضرني الحب
تغشت مقلتاي
لم أعد أبصر إلا
دمعة تكوى حشاي
وبقلبي يا حبيبي
إذ تمتد دف وناي !

● قسم الفراق ●

قسما بحب كان بشرى النور في ليل الوجود
قسما بدمع جف في ذاتي ... وفي نهر الخدود
بتلفت الأمل الظمىء إلى ينابيع الوعود
بحنين أشواق الهوى ... بأنين أشواك الصدود
بمنى تطارد ذكرياتي ... والمنى أم ولود
برفات أيامي ... بحشرجة العذاب لدى العهود
بجنازة خرساء تعبر في متاهات الجحود
بمقابر الأحلام ... بالآلام تدميها القيود
قسما بجرح الكبرياء ... وبالسماء وبالوجود
قسما بقلبي ... وهو أشلاء بصدري لن أعود !

حديث السفير أحمد رمزى

التاريخ وحياد المورخين

● حوار اجراه : عاطف فرج ●

اذا كان الامام محمد عبده قد قال يوما .. « لعن الله السياسة،ومشتقات اللفظ من ساس . ويسوس . »فان حديث السفير عن التاريخ يجعلنا ننجو من لعنة الامام .

والسفير هو احمد رمزى كان ميلاده مع بداية القرن الحالى . فثمانون عاما هى عمر الرجل فى معظمها طائرا كالسندباد وان كانت سندبياته دبلوماسية ، مايكاد يستقر فى بلد حتى تصدر اليه الاوامر بتجديد المقام فى بلد اخر ، الى ان استقر به المقام أخيرا فى شقة تطل على نيل مصر الخالد ... والرحلةمابين كتبهوكتاباته والنيل الممتد امامه تقطعها عينيه بحثا عن ذكريات خلق او معلومة منونة ..

واحمد على رمزى السفير، اسم لم يطرق الاذن كثيرا مثل رفيق دربه يحيى حقى الدبلوماسى الاديب اوالاديب الدبلوماسى ، لان احمد لم تجرفه حرفة الادب وانما عشق التاريخ والتنقيب فى اوراقه الصفراء .

● بداية الرحلة ●

بعد ان تخرج احمد على رمزى من « مدرسة الحقوق السلطانية » سافر فى بعثة الى «جنيف» واستقر به المقام فى « لوزان »وهناك درس العلوم السياسية والاجتماعية، ولم يكتف بهذا بل التحق بمعهد العلوم العسكرية فى «زيورخ» وعندما عاد الى مصر اشتغل بالمحاماة امام المحاكم المختلطة ، ثم تقدم للعمل بالخارجية المصرية ، وتم تعيينه فى « الترياستا » بايطاليا وفيها تعلم اللغة الايطالية ثم سافر الى انجلترا واتقن لغة اهلها ، لدرجة ان « اللورد لويد ، وكنا معا فى دار المندوب السامى فى فلسطين ـ اعتقد اننى انجليزى ... ولست مصريا » .

وجهة نظر فى الحروب

قراءة الفنون الحربية جعلت التفكير عند السفير احمد رمزى مبنيا على قواعد تختلف عما اعتاد عليه الناس.. كيف ؟!

يقول : « مثلا الحروب الصليبية قامت ـ وليس كما يقول معظم المؤرخين ـ كرد فعل لانتصارين حققهما العرب : الانتصار الاول فى معركة « الزلاقة » بالاندلس ، والتى انتصر فيها « يوسف بن تاشفين» على جموع الفرنج كلها . وكانت معركة فاصلةلانها اخرت خروج العرب من بلاد الاندلس ٤٠٠ سنة .

المعركة الثانية هى تلك التى انتصر فيها « الف ارسلان » الملك السلجوقى على الملك البيزنطى ، وقامت هذه المعركة فى « الاناضول باسيا الصغرى بعد عشر سنوات من انتهاء المعركة الاولى فى الاندلس ..

هاتان المعركتان حركت اوروبا كلها بعد ذلك بخمس وعشرين سنة فيما عرف بالهجمة الصليبية .

وكما يقول الفن الحربى ان كل هجوم يعقبه هجوم مضاد .. وهكذا كانت الحروب الصليبية »

الهيام بالتاريخ .

هواية وصلت بصاحبها حد الهيام ، فما سبب حب السفير احمد رمزى للتاريخ ..

يقول : « السياسة لا تنفصل عن التاريخ ، والذى يحل مشكلات السياسة الالمام بالتاريخ.. واناكمشتغل فى السلك السياسى كان لابد ان اطلع على التاريخ السياسى الذى يستدعى الاطلاع على المراجع وجرائد الراى . ومنابع الراى فى اوروبا تكمن فى مجلات الراى ..

،اهتمام اسرائيل ، مثلا بالتاريخ يرجع الى ماقبل انشاء الجامعة العبرية فهم يهتمون بالتاريخ المصرى وخصوصا فى دولة المماليك .. ويسألون دائما انفسهم كيف عاشت هذه الدولة مدة طويلة ، وكيف انها حكمت سوريا وتركيا وبلاد الشام وبلاد اليمن . ثم كيف انهت مصر الحرب الصليبية . فالاستاذ «ماير» وهو مؤلف كتاب عن « الرنوك» التى كان يتخذها الامراء المماليك . و « الرنوك» هى الشعارات التى كان يتخذها الامراء ، فالظاهر بيبرس له «رانك» وقلاوون له «رانك» وقد جاءت كلمة « هانك ورانك » الدارجة عندنا من هنا .. « فهانك » تعنى سلاح «ورانك» تعنى شعار .

ودولة المماليك وخصوصا ايام صلاح الدين محل دراسة تفصيلية « .. عندهم فمؤلف آخر «ايال الون» الف كتابا من تاريخ القوى العسكرية ايام المماليك ظل يكتبه لمدة عشرين سنة . استخلص منه ان المدفعية لعبت دورا كبيرا فى معركة «مرج دابق» التى انتصر فيها العثمانيون على قنصوه الغورى .. نفس الشيء حدث مع «طومان باى» فى «الريدانية» ــ العباسية الآن ــ فرغم انه كانت عنده مدفعية الا انها كانت مدفعية ثابتة ، وكانت مدفعية العثمانيين متحركة فالتفوا حول مدافع طومان باى ودمروها .

فالتاريخ يختلط بالسياسة ويختلط الاثنان بفن الحرب . وقد لا يعلم الكثيرون ان روسيا ظلت محكومة بجيوش التتار لمدة تزيد على ثلاثة قرون .. وان التتار ايام الامبراطور «باتو» وصلوا الى المانيا وكادوا ان يغزوا اوروبا . وسببوا رعبا للاوربيين .. لذلك يجب ان يدرس التاريخ ويدرس عسكريا .. »

المؤرخ .. والحياد

سألت السفير احمد رمزى هل يجب ان يكون المؤرخ محايدا ويفترض فيه ذلك .. وهل يكتب التاريخ بشكل حيادى ام ان الواقع غير ذلك ..



السفير احمد رمزى

يقول : « ان كل دولة تكتب تاريخها كيفما تريد .. فلا احد يذكر ان البلاد الروسية كانت محكومة بالتتار لمدة ٥٠٠ سنة .. وفرنسا عندما تدرس الحروب الصليبية تدرسها بشكل ، وعندما تدرس احتلال المانيا لها تدرسها بشكل اخر .. فمثلا هى لا تذكر ان جنودها الفرنسيين الذين كانوا محتلين فى « الرينانية » فى المانيا كانوا يعتدون على النساء الالمانيات ولا يزال هذا محل انتقاد كبير من جانب بعض المثقفين الاوربيين وكان من نتيجة اعمال هؤلاء الجند ان قام هتلر يطالب بنقاوة الشعب الالمانى والعنصر الالمانى ، وقامت الحرب العالمية الثانية وخسرت اوروبا ٤٧ مليونا فى هذه الحرب ..

ايضا « هانتو » الفرنسى الذى كتب تاريخ الامة المصرية والذى انفق عليه فى عهد الملك فؤاد الاف الجنيهات لم يكن محايدا فى كتابته لتاريخ الامة المصرية ، وكان يقول اشياء غير صحيحة منها مثلا ان الانجليز عندما ارادوا ان يفتحوا السودان سنوا قانون الرعوية المصرية ، يقضى بان كل عثمانى يحضر الى مصر ويريد ان يأخذ الرعوية المصرية عليه ان يدفع ٢٥ جنيها ، وهذا يعفيه من التجنيد فى الجيش التركى . والذى لفت نظرى ان فئة من هؤلاء الذين اعتمد عليهم الانجليز كانوا من الاطباء ، وقد كانوا من خريجى الجامعة الامريكية او الجامعة «اليسوعية» فى بيروت فالطب المصرى لم يكن من خريجى القصر العينى اذن .. »

شعراء أسبان وشاعر يونانى

● ماهر شفيق فريد ●

«ذا هدسون رفيو» فصلية امريكية: تصدر فى مدينة نيويورك: وقد حوى عددها الاخير عددا من القصائد والقصص القصيرة: فضلا عن مقالات ومراجعات متنوعة: فهناك مقالات عن الاحلام: واسحق سنجر الروائى البولندى الفائز بجائزة نوبل فى الادب لعام ١٩٧٨، والمصور الفرنسى مونيه فى مرحلته الاخيرة، ورسائل تولستوى، وكتابات الشاعر الانجليزى مولدا الامريكى جنسية و. هـ. أودن مابين ١٩٢٧ و ١٩٣٩ قبل هجرته الى الولايات المتحدة، و«مراثى دوينو» للشاعر الالمانى رلكه والشاعر الامريكى بازيل بنتنج، والشاعر الاسترالى رودنى هول، والشعر البولندى الحديث، وتاريخ طباعة الكتب فى امريكا، فضلا عن مقالة موضوعها اربعة شعراء محدثين يكتبون باللغة الاسبانية هم: لوركا، وجيين، وساليناس، والكسندرى، هى التى سنتوقف عندها هنا.

يقول ادموند ل. كنج كاتب المقالة: اترى الاجيال الادبية مجرد ترتيب تاريخى مريح، أم هى حقيقة واقعة؟ ان عقول الكتاب الاسبان، المشغولة بما كان يحدث لوطنها، قد اهتمت بهذا السؤال أكثر مما ينبغى. بيد ان الناقد والشاعر الاسبانى داماسو الونسو فى مقالته المسماة «جيل من الشعراء ١٩٢٠ - ١٩٣٦»، والمنشورة فى احدى المجلات الادبية بمدريد فى مارس ١٩٤٨، ليس ممن تقلقهم هذه المسألة: فالونسو يؤمن ببساطة ان كوكبة الشعراء التى تشمله، وتشمل جيين ولوركا وساليناس والكسندرى وبضعة شعراء آخرين، تنم على خصائص مشتركة تكفى لكى تخلع على هؤلاء الشعراء لونا من الوحدة: انهم ليسوا ثائرين على شىء، ومن المحقق انهم ليسوا ثائرين على اسلافهم: او نامونو وماتشادو وخمينيث بل انهم يقرون ببنوتهم للشاعر خوان رامون. وقد مروا فى شبابهم بالتأثير المنبه والمثير «وكلمة تأثير ملائمة تماما هنا» لعدة ثورات جمالية اجنبية: التكعيبية فى التصوير، الحداثة فى الفنون التشكيلية، والمعمار، كما فى الشعر، حيث كان فاليرى قدوتهم فى تكريس نفسه لكمال التقنية على نحو يذكر بشعراء البرناس فى فرنسا القرن التاسع عشر. وقد جمع بين هؤلاء الشعراء الاسبان افتقارهم الى قائدومن لم تطوروا على شكل اخوة قائمة على فردية ودية متميزة، تزدرى كل ماهو روتينى ضيق الافق يتسم بالجلافة. كما اجتمع هؤلاء الشعراء على الاعجاب بالشاعر الاسبانى جونجورا من شعراء القرن السابع عشر.

كان الاعجاب بجونجورا هو الذى جعل عام ١٩٢٧ يرتبط بجيل ساليناس وجيين ودييجو وداماسو والكسندرى ولوركا والبرتى.

يقول البرتى انه هو ولوركا على وجه الخصوص قد جرتهما نزعة اندلسية خطرة، هددت بان تغزو كل شىء، وان تخلق وباء خطرا من شأنه ان يقضى على كل هؤلاء الشعراء، ومن ثم فان تمجيد جونجورا وتقلقل ابياته الاشبه بالمتاهة فى دفلنا الشعرى قد اعانا على طرد شيطان هذه النزعة الاندلسية. ان سيرة البرتى الذاتية، وهى خليط من اشياء متنوعة مرتبة تاريخيا ان قليلا او كثيرا: تمزج بين أحداث الاحتفال بذكرى جونجورا، ونمو صداقة البرتى مع مصارع الثيران اجناثيو ميخياس

بوالإيم لدى كثير من شعراء تلك الفترة مثل لوركا الذى خلد ذكرى مصرعه فى الحلبة فى قصيدته « مرثية مصارع ثيران » .

يقول البرتى : « كان اجناثيو يشعر بانه على راحته معنا ، حتى انه يوما دفع بنا جميعا الى قطار ، حملنا الى اشبيلية كان قد رتب ان يلقى سلسلة من المحاضرات والقراءات « مشاهير الطليعة السبعة الآتون من مدريد » كما دعتنا صحيفة « الشمس » « ال سول » او « كوكبة الثريا اللامعة » كما دعتنا مقالة فى صحيفة محلية احتفلت بمقدمنا . وكانت هذه الكوكبة اللامعة مكونة من : برجامين وشاباس وديبجو وداماسو الونسو وجيين ولوركا وشخصى ..

جورج سفيرس :

وننتقل من مجلة « ذاهدسون رفيو » الأمريكية الى مجلة « بى ان رفيو » الانجليزية فنجد تنوعا لا يقل عما فى المجلة الأمريكية : مراجعات كتب ومقالات من الناقدالفنى الانجليزى ادريان ستوك فى علاقته بالناقد الاسبق ولتر باتر ، ومن الفيلسوف الوجودى الالمانى المتوفى حديثا هيدجر ، والمفكر الفرنسى الحدبث ا . م . سيوران ، وترجمة انجليزية جديدة لمسرحية ابسن «براند» بقلم الشاعر جيفرى هيل ، وثلاث مقالات من الشاعر والناقد الانجليزى المعاصر دونالد ديفى ، والشاعر الوثرى ديفد جونز ، وقسم خاص عن الاديب الانجليزى ادجل ريكورد بمناسبة بلوغه الثمانين ، ومقالتين من الاديب الامريكى كونراد ايكن الذى كان معاصرا لاليوت بجامعة هارفرد ، ومن الشاعر الامريكى روبرت لويل فى مرحلته الاخيرة ، وجى بتلر وهو شاعر من جنوب افريقيا ، والشاعر الامريكى ا . امونز ، والاديب الارجنتينى خورخه بورخيس ، ومقالة من الشاعر اليونانى المعاصر الحاصل على جائزة نوبل فى الادب جورج سفيرس ، اخترت ان اتحدث عنها هنا .

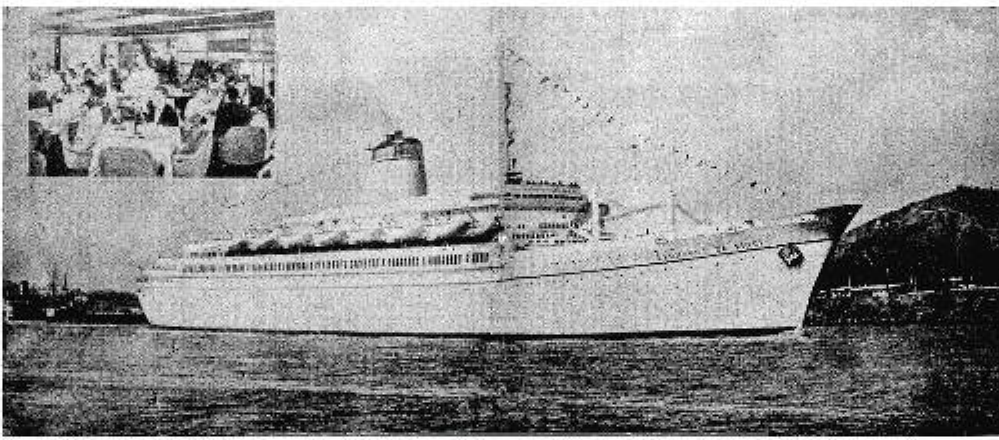
يقول مايكل كيلى تحت عنوان «الماضى والحاضر : افكار عن سفيرس » : كان سفيرس ، بحكم المهنة ، من رجال السلك الدبلوماسى ، وان عبء الدبلوماسية لينعقد حول تناوله للادب . فمقالاته تبينه فى صورة الساعى الى تحقيق السلام ، اذ تؤكد وحدة الموروث الادبى الاوروبى اكثر مماتؤكد انقساماته . ومن الخيوط المترددة فيها استمرار الثقافة اليونانية من ايام ايسخولوس الى ايام ماكريانيس ، ومن هوميروس الى المأثورات الشعبية . وقد رفض قبول الفكرة القائلة بوجود هوة تفصل فى راى بعض النقاد اليونانيين بين الكلاسيات وغير الكلاسيات . وقد فسر مصطلح « الكلاسيات » بانه لا يعنى « الآثار القديمة » وانما يعنى ببساطة « الفن الجيد » . وعلى ذلك فانه لم يدخل معركة الكتب بين القدماء والمحدثين التى شب اوارها فى اليونان خلال عقد الثلاثينات .

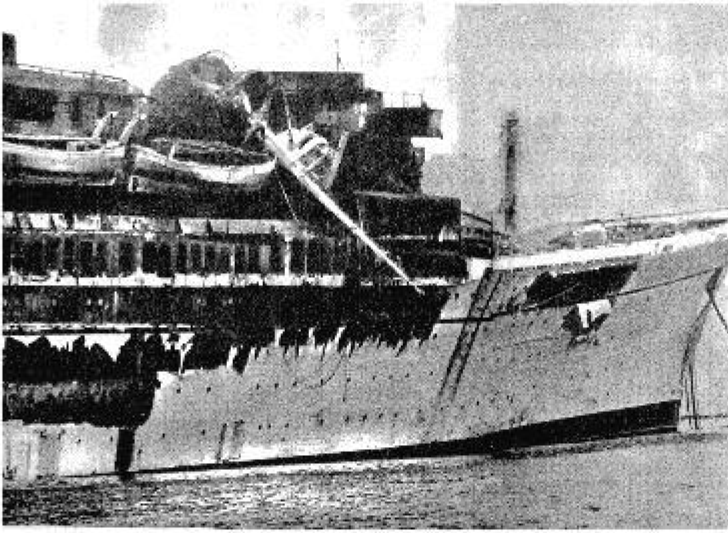
وهذا الرفض للاقرار بوجود فواصل كبرى بين أقسام الموروث الادبى الاوروبى هو الذى افضى به الى أن يرى وجوها للشبه بين الشاعر اليونانى كافافى ، وت . س . اليوت ، والى أن يؤكد ان الحضارة الاوروبية « اساسا من نسل قيم الهيلينية » . ومن المحقق أن اليونان تدين لغرب أوروبا ببقاء ميراثها . يقول سفيرس : « ان احسننا قد درس فى الغرب أو مضى اليه وحاول أن يعود الى اليونان بعد تحريرها من التاريخ بالموروث الذى ترك وطننا ، وذلك كى يحافظ عليه » .

وسفيرس فى اعماله الشعرية يسطو على اعمال الغرب كما يسطو على اعمال الاقدمين من بنى وطنه . لقد ترجم قصيدة « الارض الخراب » وغيرها من قصائد اليوت الى اللغة اليونانية ، واستخدم مقتطفات من الشاعر الفرنسى «رنبو» كى يتصدر اول ديوان له ، وهو ديوان يكشف من صوته الصادق كما يتضمن اصداء من ابناء سابقين ، كالادباء الفرنسيين يواكيم دى بلاى ، وبروست وملارميه ، والكتاب المسرحيين الاغريق الاقدمين ، عاكسا بذلك وحدة الموروث الاوروبى .

نهاية عصر المدن العائمة

في شهر يوليو الماضي شبت النار في اخر السفن الفاخرة التي كانت تسمى بالمدن العائمة . انها الباخرة ليوناردو دافنشي التي كانت قد احيلت الى المعاش سنة ١٩٧٨ ، ووضعت في ميناء لاسبيزيا قريبا من جنوا في ايطاليا في انتظار من يشتريها . وكانت الشركة التي تملكها تطلب ٣٢،٠٠٠،٠٠٠ مارك الماني ثمنا لها . ولكن بعد ان شبت النار فيها بصورة مجهولة واحترقت عن اخرها





فانها ستباع اليوم بسعر ١٥ قرشا مصريا للكيلو · ستباع « خردة » لكن يملكها من يشتريها ويستفيد من معادنها وما لم يحترق منها ·

بدأت ليوناردو دافينشي حياتها سنة ١٩٦٠ في نهاية عصر البواخر الكبرى · لان الطيران قضى بالفعل على البواخر الكبرى · فلم يعد يسافر بها الا طالب المتعة او النزهة من الاغنياء فقط · لان تذكرة سفر الدرجة الاولى على سفينة مثل ليوناردو دافنشي ثمنها ٦٠٠٠ دولار (ثلاثة ١٢ الرقما) والدرجة الثانية كانت تكلف ثلاثة آلاف دولار · وكانت المسافة تقطع في ١١ يوما لمن يستطيع ذلك الا الاغنياء وطلاب النزهة ·

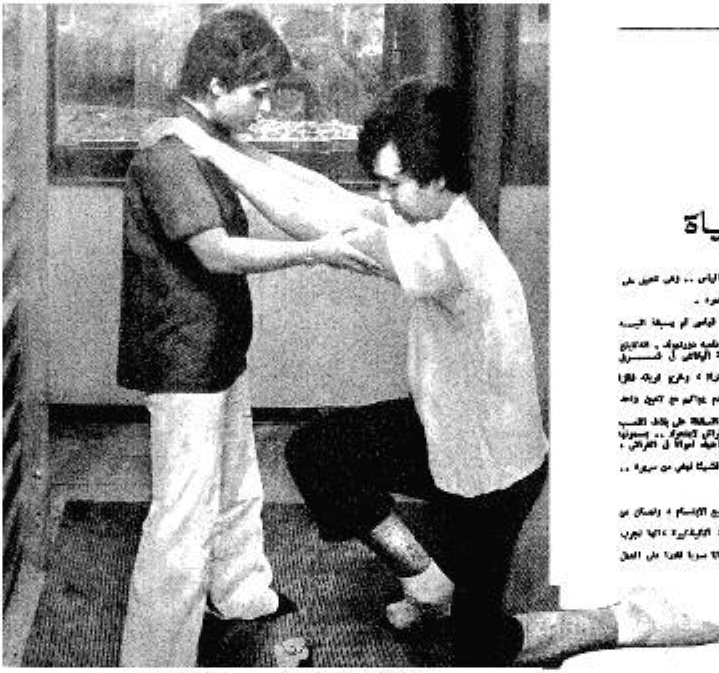
كانت مدينة عائمة كلها فخامة وجمالا وترفا · كانت آخر سلسلة من سفن الترف من امثال كوين اليزابيث الاولى وكوين اليزابيث الثانية والفرانس و « يونايتد ستيتس » وميكل انجلو ورافايلو ونورماندي · كانت رمزا على عصر انتهى ·

كان طولها ٢٣٢ مترا · وكانت مكونة من اربعة طوابق غير طوابق البحارة والآلات والمخازن · وكانت تتسع لعدد من الركاب يبلغ ١٥٠٠ بالاضافة الى البحارة والضباط والاداريين والخدم · وكان فيها ١٠ مطاعم وثلاث دور للسينما واربع قاعات للرقص وخمسة احواض سباحة · وكانت فيها فروع لعشرة بنوك وست شركات سياحة ونحو ستين دكانا تبيع كل شيء من الموبيليا والمجوهرات

والملابس والعطور الى الكافيار ·

ظلت ليوناردو دافنشي تقطع المسافة من جنوا الى نيويورك من ١٩٦٠ الى ١٩٧٥ ثم تبين انها لم تعد تؤتي ربحا · فاختلت رحلاتها اقل شيئا فشيئا حتى قررت الشركة الايطالية صاحبتها احالتها الى المعاش وتركتها في ميناء لاسبيزيا وعرضتها للبيع بمبلغ ٥٣ مليون دولار ·

ولكن النار اكلتها وجعلتها حطاما · ولا يزال رجال البوليس والامن يحاولون العثور على فاعل هذه الجريمة العالمية ·

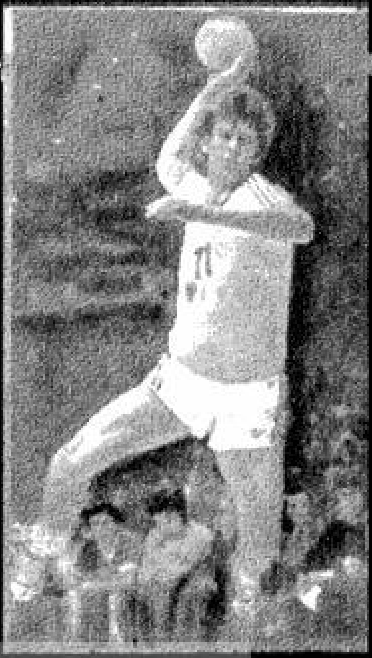


في هذه الصورة نراه كما هو اليوم مع مدربته في الايام الاولى للحادث ، انه يتدرب على المشي ، ووجهه كما ترى متفائل لا يدل على اي تشاؤم .

لا يأس مع الحياة

[illegible]

... : لا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس .



فى هذه الصـــورة نرى يواكيم اثناء مباراته السابقة عندما كان لاعبا من الطراز الاول ومن ابطال كرة اليد



ثم كانت الحادثة المشئومة عندما زلقت قدمه ووقع على راســه اثناء التدريب وفقد الذاكرة على اثر ذلك



وهذه صورته بعـد ان خرج من المستشفى وقـد نسى كل شىء حتى القراءة والكتابة





بين هاتين الصورتين ١٣ شهرا • في الصورة السفلى ترى يواكيم مع خطيبته قبل الحادث الذي أفقده الذاكرة ، وفي الصورة أعلاها تراه يتعلم المشي مستعينا بمشاية خاصة •



مرحلة جديدة من مراحل العودة الى الحياة بدأت من اسابيع .. انه يبتسم وعلى وجهه علائم الحيوية والذكاء .. انه يسير قدما نحو العودة الى الحياة الطبيعية .

حلم ..!

• عاطف السيد •

أريدُ فتاتي بضوع النسيم
بأعطافها ويعبثُ الندى !
إذا ما نظرتُ إليها سبتني
وبثت حديثاً كقطر الندى !
وإن غبت عنها رعتني وكانت
على العهد حتى أذوق الردى ...
تُواسي فؤاداً دهاهُ المشيب
وكان الشبابُ به مُوقدا :
رمته الخطوبُ بسهمٍ مريش
وأنشبَ فيه الأنامُ المُدى !

معى في الصباح .. معى في المساء

أطالع يومى بها والغدا ...
إذا ما مددت يدى نحوها
تمدّت إلىّ فمدّت يدا .. !
فأرقى ... وأرقى بأسبابها
وأدرك من روحها الفرقدا ..
أحسُّ بأن حياتى بها ،
ولولا هواها لضاعتْ سُدى !
أرى الودّ فيها نميراً مُصفّى
وإن كانَ ودُّ الأنام الصدى !
ترى خطواتى فتعرف ذاتى
وتدرك من فورها المقصدا !
أحلمٌ تبدّى أم الدهر أبدى
ولكننى لا أرى ما بدا !..

ماذا تقرأ؟! كيف تقرأ؟!

● اعداد : موريس عزيز ●

الإذاعة أضعفت فينا روح القراءة ..

● د . ابراهيم بيومي مدكور ●

● الاذاعة اضعفت فينا روح القراءة اضحت القراءة فعلا مشكلة جادة وجدير بهاان تعالج على ايدى المسئولين عنها والذين يعيشون معها ، واعنى بهم رجال التربية والتعليم ، ذلك لانهم هم الذين يستطيعون ان يخلقوا حب القراءة لدى تلاميذهم ...

ان التلميذ الذى يربى فى مدرسة مصرية اقل ميلا من زميله الذى اتيحت له الفرصة بالمدارس الاجنبية ذلك لان نظام هذه المدارس الاجنبية ان تعد فى كل فصل مكتبة خاصة تتناسب مع اعمار التلاميذ ، وهذه المكتبة تحت تصرف ابناء الفصل يستعيرون كتبها ويتبادلونها فيما بينهم ، ويحسون بهذا ان العلم والمعرفة لا يستمدان فقط من المدارس وانما يمكن الحصول عليها ايضا عن طريق الكتاب وهذا ما يملأ أوقات فراغهم وما يحببهم فى القراءة .

اما مدارسنا الخاصة والاميرية فلم تاخذ نفسها بهذا الواجب الذى اعده مكملا وضروريا لتكوين ثقافة الناشىء وزيادة معلوماته ، ومكتبة الفصل مطلوبة لرياض الاطفال كما هى مطلوبة لكل مراحل التعليم العام جميعا الابتدائى والاعدادى والثانوى .

بل اذهب الى ابعد من هذا الى ان طالبنا الجامعى اصبح اليوم يرى ان العلم سبيله الوحيد مذكرات الاستاذ لانها وسيلتنا نحن .

وعلى هذا كنا ندعو الى ان يكون فى جامعاتنا وكلياتنا مكتبات متخصصة .

وقد وضعت فعلا هذه المكتبات فى الثلاثينات والاربعينات ليتمكن الطالب ويحصل فى يسر على المراجع والبحوث واكرر مرة اخرى ان مكتبات الاقسام هذه مهملة وشبه معدومة . بل اشك كل الشك ان طلابنا الجامعيين يترددون على مكتبة الكلية او الجامعة كما كانوا يترددون قديما .

ولست فى حاجة الى ان اشير الى ان الكتاب هو الرفيق للباحث . ويوم ان ينتهى الدرس فى المدرسة والجامعة معا يبقى الرفيق الكريم للمثقف هو كتابه .

وما دمنا نتحدث عن القراءة وتحبيب الناشئين فيها . اود ان اشير الى ان الاذاعة اضعفت فينا روح القراءة ، لانها تقدم لنا فى سخاء معلومات كثيرة ومشوقة ربما استغنى شبابنا بها عن القراءة .

وقد شكوت ولا ازال اشكو من

ساعات الارسال ولا أعلم لها نظيرا فى البلاد التى لها مثل مستوانا الثقافى والحضارى .. وما اشبه ساعات الارسال عندنا بالارسال فى الولايات المتحدة الامريكية . لكن الامريكيين يعرفون كيف يستخدمون وقتهم بقدر ما نعرف نحن كيف يضيع وقتنا !..

وبهذا كان ارسالنا احيانا قاتلا للوقت وداعيا للكسل .. والذى يعنينى هنا الاذاعة المحلية فاما الخاصة فتوجه كما تشاء .

كم اتمنى ان تتوقف اذاعتنا المحلية ساعتين صباحا وساعتين فى الظهيرة وثلاث فى المساء ... والقراءة تتطلب ايضا الكتاب الملائم ، وفى الثلاثينات والاربعينات بدأنا نعنى بمكتبة الطفل وكان منا كتاب يكتبون من اجل الطفل، ولكن هذه المكتبة فى حاجة الى اداءاوفى وانسب .

وما يقال عن مكتبة الطفل يقال عن مكتبة المراهق والشاب . وهناك قراءات رخيصة أود ان يلاحظها المربون واولياء الامور ويحموا اولادهم منها .

عن القراءة كهواية وكعمل وكوسيلة للترف ..

● فتحى رضوان ●

اما الدعوة الى القراءة فهو امر مفروغ منه ... ولما كنت ممن لا يحبون الوعظ ولا يؤمنون بجدواه وحضوره اذا كان وعظا لفظيا غيرمقترن بالقدوة ـ فانا ادعو الشيوخ وكبار الاساتذة قبل الشبان والفتيان والفتيات الى القراءة ...

فكما ان البترول هو سر الحياة فى الصناعة والزراعة والمواصلات ، والطباعة وكل شىء نراه او نسمعه او نأكله ـ فكذلك القراءة هى الوقود لكل نشاط انسانى لا يستغنى عنه من اتم تعليمه العالى وحصل على اكبر الالقاب والاجازات العلمية ، والذى الم بالقراءة والكتابة الماما ضعيفا ...

فبغير القراءة تجدب الحياة وتتوقف التقدم ، وتسود السوقية والفظاظة والجريمة ويرجع الانسان القهقرى الى ما هو اسوأ ، من حياة الكهوف التى كان فيها الانسان ادنى ما يكون الى الحيوان الاعجم ...

اما كيف يقرأون فاعود مرة اخرى الى تأكيد انكارى للموعظة وكرهى لها لان هناك مثلا اجنبيا يقول (لو ان الشيطان كان ابا لوعظ) وقد التقطت هذه الكلمة بقصة (مسرحية دموع ابليس) فما أيسر الوعظ وما اشق تنفيذ ما يأمر به الوعظ ..

ولكن النقطة البداية فى القراءة ، هى ان يحبب فيها الطفل بالكتاب المشوق الانيق ، ثم بعد ذلك بالجو الذى يحيط به وينشأ فيه ، فلابد لابيه ولو كان حدادا او نجارا او استاذا جامعة من مكتبة فى بيته صغرت او كبرت يأوى اليها بعض الوقت وينصرف فيها الى شىء يقرؤه ، ويتأمل فيه .

لو ان هذه المكتبة وجدت فى بيوتنا ورأيناها منذ شبابنا ورأينا اخوتنا الذين يكبروننا وزملائنا يدخلون الى وتحت ايديهم كتب غير كتب المدرسة ويعتنون بها على ارفف المكتبة لـعلم الاطفال كيف يحبون الكتاب وكيف يشترونه وكيف يحافظون عليه ثم تصبح القراءة هواية

ـ عادة لم دمانا ، ولا يفيقون الصبر منها ...

فاذا نجحنا من اليوم بقيام حملة فى البيت والمدرسة وفى الصحيفة والمجلة والاذاعة المسموعة والمرئية ، وفى خطب المسجد والكنيسة ـ حملة دعوة مستمرة ليست من قبيل نوبات الحمى الراجفة التى تشتد على المريض حينا ثم تزول ثم تعاوده .. حملة هادئة غير منفرة مصحوبة بالجوائز والمكافآت تشارك فيها وزارة الثقافة على النحو الذى اهملت تنفيذه يوم كنت مشرفا بامرهـا . واعنى بذلك « لوريات » و « الوبيسات » تقف امام المدارس بمختلف درجاتها وتوزع بعض الكتب مجانا وتبيع بعضها بالتقسيط المريح ..

ويخيل الى انه اذا بذرنا بذور حب القراءة كهواية وكعمل وكوسيلة للترقى فعلينا ان نطمئن وندع المواطن يقرأ ما يشاء واينما وكيفما شاء فان كل قراءة مفيدة حتى ما كان منها فى القصص الفارغ او المجلات التى تصدر للهو والتسلية ، فانها ستقود حتما الى القراءة النافعة . ولكن على اجهزة الثقافة ان تحذر تطبيق القاعدة الاقتصادية التى تقول ان نقودا رديئة تطرد من السوق النقود الجيدة ، فالاسراف من صحف الاثارة الفارغة ومجلات الجنس والجريمة والرياضة المتعلقة بانباء الرياضيين قبل الرياضة نفسها ـ قد لا تجعل للجنسين وقتا للقراءة الجيدة .

● وعلى الاباء والمربين والاساتذة ان يكونوا دائما مع الجيل الجديد يغرونه بالكتاب الجميل والجيد والنافع دون ان يفوتهم أن الثقافة ليست السماجة وليس الكتاب الوقور هو المعقد غير المفهوم .

● اما ماذا يقرأ فانا احسب ان القراءة بطبعها تنقسم بحسب اهدافها الى ثلاثة أقسام . قسم يتعلق بالوظيفة التى يؤديها القارئ فى المجتمع مهندسا او طبيبا او محاميا ، فهذه قراءة عمل يقبل عليها الناس ليستزيدوا من ارزاقهم ولينتفعوا باقدارهم .

ويجب ان يكون هناك نصيب من وقت القارىء للقراءة فى الشئون العامة للوطن يعنى تاريخ وطنه فى مراحله المختلفة ، شىء من تراجم عظماء هذا الوطن فى مختلف الفروع . حقائق عن آثاره واماكنها وتواريخها ، ومؤسساته السياسية ، ثم مبادىء الثقافة العامة فى السياسة والاجتماع والقانون والفنون بمختلف انواعها .

ثم تأتى بعد ذلك الثقافة العامة التى تتناول الاثار الكبرى فى الاداب القومية والعالمية مبسطة احيانا او مختصرة ، ثم بعد ذلك موسعة وفى اصولها ..

● ولست انسى اننى كنت فى الاتحاد السوفيتى فاخطأت فى ذكر اسم مؤلف احدى الأوبرات العالمية فاذا بجميع الحاضرين وكان منهم الشيوخ والشبان والعمال ، قد بادروا بتصحيح خطئى فتعلمت من ذلك ان الثقافة عندهم ليست وقفا على الطبقات التى تتصور ان لديها من الوقت **والفراغ مايعينها على القراءة فى متابعة الادب والفن والموسيقى ، وعلينا ان نعود اولادنا وبناتنا الى الفهم ، بان الثقافة والقراءة ليست قراءة الكتب فقط انها القراءة فى سماع الموسيقى الرفيعة ورؤية التماثيل الرائعة فى الطبيعة والصور ، ومشاهدة المناطق الاثرية فى بلادهم وخارجها . فهذه كلها قراءات جاد بها التطور الحديث وعلينا ان ننتفع بها .**

قل لي كم تقرأ كل يوم .. أقل لك من أنت ..

● جلال العشري ●

في البدء كانت الكلمة ، وفي الختام تكون الكلمة ايضا .. فالكلمة هي الحد الفاصل بين الانسان والحيوان . وعندما نعرف الانسان بانه حيوان ناطق فالنطق هنا من المنطق والمنطق من الكلمة . وبمقدار ما يستوعب الانسان من كلمات بمقدار ما يترقى في سلم الانسانية . والكلمة ليست - فحسب هي روح الاديان التي جاءت لتبصر الانسان وتهديه سبيل الرشاد ، ولكنها ايضا روح العصر .

ومهما علت صرخات الميكروفون وضجيج الات السينما وصخب أشرطة التسجيل ، وتموجات الشاشة الكبيرة والصغيرة ، وغيرها من مستحدثات العصر التي تحجب الانسان عن معانقة الكلمة ، فستظل الكلمة ابدا هي ضمير العصر ، وهي شرف الانسان في هذا العصر ، والكلمة المقروءة هي أم الكلمات، لانها تحصيل من الانسان وهي التي تتم لا بالتلقي، عن طريق جهاز او آلة كما يحدث في الاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح ، وانما هي اللقاء الروحي الحي بين الانسان وبين الكتاب

فالكتاب هو خبز الذهن وخبز الروح وبدونه يصبح الانسان ظلا بلا لون وشكلا بلا مضمون وجسدا بلا حياة.

من هنا تجيء اهمية القراءة واهمية الكتاب واهمية الكلمة . قل لي كم كلمة قرأت في اليوم الواحد ، اقول لك من انت في سلم الانسانية !

● ولكن ليس كل ما يكتب يقرأ .. فثمة طريقة بعينها هي التي تجعل الانسان يفيد تماما مما يقرأ والانسان كالقالب الذي تحشر فيه الكلمات ، ان القراءة المثلى هي ان يقرأ الانسان ثم ينسى ما قرأ ، لانه كما قال احد الفلاسفة ان القارىء هو من ينسى ، بمعنى اننا حينما نقرأ ينبغي ان نتمثل تماما ما نقرأ بحيث يصبح جزءا من كياننا ووجداننا وسلوكنا العام ،

والسؤال الذي يترتب على ذلك هو ماذا نقرأ :

والاجابة هي أن نقرأ ما يسد نواقص بعينها في ثقافة الانسان . فلا يمكن لانسان أن يعيش في العصر الحاضر دون أن يطلع على ثقافة الاقدمين ودون أن يلم بعيون التراث سواء تراثنا العربي أو التراث الانساني بوجه عام ، هذا هو حجر الاساس والضلع الاول من اضلاع مثلث او ثالوث الانسان .

اما الضلع الثاني فهو مواكبة انجازات العصر في العلوم والفنون والاداب فهذا هو الضلع الثاني من اضلاع هذا الثالوث ، والضلعان هما بمثابة وجهي العملة الواحدة أو ما يمكن تسميته بالاصالة والمعاصرة فلن أكون أصيلا الا اذا قرأت تراث الاقدمين ، ولن أكون معاصرا الا اذا واكبت ابداعات الذهن البشري في هذا العصر ..

ومن محصلة هذين الضلعين تجيء الضلع الثالث من اضلاع هذا المثلث البشري والثالوث الانساني ، الا وهو ما موقفي مما قرأت .. بمعنى ان استيعاب ثقافة الاقدمين ومواكبة انجازات المعاصرين لا تكفيان وحدهما لخلق المثقف العصري ، وانما هذا المثقف لكي يكون اصيلا ومعاصرا لابد ان يتخذ موقفا ايجابيا مما طالع من ثقافات في الماضي والحاضر وكان له رأي ان لم يكن رؤية لهذا الذي حصله من هنا وهناك . وبين الـ« هنا » و «هناك» وبعد «الهنا» و « الهناك » يجيء الانسان المثقف العصري الذي يشكل ملمحا هاما من ملامح هذا العصر ..

سؤال يثير أكثر من قضية :

تسمح لي بالتقاط صورتك ؟

● د. نعيم عطية ●

● سيدة فرنسية تتناول افطارها على البلاج وقد عرت صدرها ، التقط احد المصورين صورتها ، ونشرتها صحيفة « الاكسبرس » ..

اشتكت السيدة ، لجأت الى القضاء ، واقامت الدعوى امام محكمة جنح باريس استنادا الى ان ما رتكب في حقها اعتداء على حقها في الخصوصية .. رفضت المحكمة دعواها وردت عليها بان شاطىء البحر حيث التقطت الصورة المنشورة ليس مكانا خاصا ..

الآن ، لو التقط لك احد صورة ، في مكان عام . وعلى الاخص في الطريق العام ، فهل هذا عمل مشروع ؟ اجل فالطريق العام مباح للجميع ، ولاتثريب مثلا على مصور سينمائي صور حركة المرور في الطريق العام ، والتقط بعض المشاهد ظهر فيها اشخاص من المارة ، ثم امكن لهم ان يتعرفوا على انفسهم او امكن للغير ان يتعرفوا عليهم بوضوح عندما عرض الفيلم السينمائي ، فلكل ان يجيل بصره في كل ما في الطريق العام ، وما يبين فيه للعيان من مشاهد ..

وفي قضية طرحت على محكمة فرنسية ، تعرف احد الاشخاص على صورته الملتقطة وهو في احد الاسواق العامة ، مطبوعة على « كارت بوستال » يضم مشهداً من مشاهد ذلك السوق ، باعتباره ترجمة لبعض مظاهر النشاط التجاري والزراعي في الحياة العامة الفرنسية .

ولجأ صاحبنا الى القضاء ..

لقضت المحكمة بانه وان كان للفرد ان يحرم على الاخرين نشر صورة له في حياته الخاصة الا اذا كانت صورته قد التقطت في سوق عام ، فان رؤية الفرد في مكان عام مستباحة لكل الناس ، وليس التصوير في هذه الحالة تثبيتا على الورق لمشهد التقطته عين المصور دون ان يكون ذلك محرما عليه باعتباره مشاركا في الحياة الاجتماعية التي تجري في الاماكن العامة . مثل الشوارع والشواطىء وملاعب الرياضة وحلبات السباق .

كما حكمت محكمة باريس بالنسبة لمشهد التقط امام احد المعالم السياحية باحد الميادين العامة ، وظهر فيه بعض الاشخاص بدوابهم ، واقرت المحكمة للصحيفة التي نشرت هذه الصورة حقها في هذا النشر ، حتى على الرغم من ان بعض هؤلاء الذين ظهروا في الصورة بدوا في مواقف غير مستحبة الظهور عليها ، وكان هذا التصوير على غير



رضاهم بل ودون علمهم ، ولكن ذلك لايعطيه الحق كله مادام التصوير قد جرى فى مكان عام ..

ولاشك ان اباحة نشر الصور الملتقطة فى الاماكن العامة قد يسبب لبعض من تلتقط صورهم فى تلك الاماكن اضرارا او مضايقات ، ومع ذلك فان مثل هذه الصور لا يمكن ان يحال دون نشرها ..

وعلى سبيل المثال ، فلقد حدث ان التقط مصور صحفى صورة لرجل وامرأة فى وضع يتسم بالالفة الشديدة ويقفان امام بعض المعروضات فى معرض عام للسيارات . ثم تبين ان تلك المرأة كانت زوجة لرجل آخر غير الذى ظهرت معه فى الصورة ..

وفى حالة اخرى التقطت كاميرات التليفزيون الفرنسى مشاهد لحفل عام غنائى راقص ، وظهرت فى تلك المشاهد بعض السيدات المتزوجات كن قد حضرن الحفل دون موافقة ازواجهن او خفية عنهم ...

وقد بعثت تلك السيدات الى التليفزيون برجاء يلتمس فيه عدم عرض المشاهد الملتقطة لهن ..

ولكن فى امثال هذه الحالات يكون لملتقط الصورة الحق الذى لاينازع فى اذاعتها او نشرها ..

وعندما انتشرت ممارسة مهنة التصوير فى الطريق العام ، وسببت الصور الملتقطة فى الطرق مضايقات لكثيرين ، اصدر عمدة احد الاقاليم فى فرنسا قرارا يمنع كل مصور محترف من التقاط صور المارة بالطريق ..

وعندما اثير امر هذا الخطر امام القضاء ، حكم بمشروعية هذا القرار وتأييد ما املاه وذلك استنادا الى ان تقييد صلاحية المصورين المحترفين فى هذا المجال جاء استجابة لضرورة احترام الشخصية الانسانية ، حتى يجىء تصويرها خلوا من كل قهر او خداع بالمفاجأة ..

وفى حكم لمحكمة السين الفرنسية ، اثير موضوع احد الناشرين وقد اصدر رواية غرامية مما يقبل عليه الجمهور ، واستخدم ذلك الناشر فى تزيين كتابه صورا ومشاهد داخلية من شقة خاصة بأستاذة من اساتذة الادب ..

وعندما تعرفت هذه الاستاذة على المشاهد الداخلية لشقتها اقامت الدعوى على صاحب دار النشر طالبة حذف هذه المشاهد من الرواية .

وحكمت لها المحكمة بطلباتها ، واستندت فى ذلك الى ان المدعية لم تأذن بنشر

هذا النشر ، وهو ما يعرضها لتساؤل جيرانها ومعارفها عما اذا كانت ترتضي لنفسها مثل موضوع واحداث هذه الرواية التي تختلف حياة بطلتها عن حياتها هي ..

وقد علق البعض على هذا الحكم بانه من المبالغ فيه ان يرسي مبدأ قائل بعدم جواز تصوير مبنى من المباني دون موافقة صاحبه . فهناك من المباني مايطل على الطرق العامة . ومن حق كل فرد ان يلتقط صورا للطريق العام وما يطل على جانبيه من واجهات المباني . ولهذا كان من الاسلم ان تقتصر الحماية على تلك المباني النائية عن الطريق العام والمحاطة باسوار تجعل من المتعذر على عيون الناس ان تتابع ما يجري بداخلها حتى بدا واضحا ان صاحبه قد انتوى من الاصل اقصاء العامة عن بيته كي ينعم فيه تماما بالحق في الخلوة والسرية بفضل طبيعة المبنى وموقعه .

وهو ذلك الحق الذي كفلته ايضا محكمة استئناف باريس للممثل جان فيرا حيث ادانت ما عمدت اليه احدى المجلات من الافصاح عن اسم هذا الممثل الحقيقي وعنوانه ورقم تليفونه وعناوين محال اقامته الثانوية ، مما يمكن الجمهور من ملاحقته والتطفل عليه ، ويعرض حرمة حياته الخاصة للاعتداء .

وبالمثل كانت ممثلة الاغراء بريجيت باردو قد تعرضت لاعتداء على حرمة حياتها الخاصة من قبل احد الصحفيين استطاع ان يلتقط من بعيد صورة لها في عقر دارها بملابس خفيفة وهي تحتضن طفلها ، وقد حكمت لها المحكمة بمصادرة هذه الصور ، وبالتعويض المناسب عن هذا الاعتداء على حقها في هذه الصورة ، وبصفة اعم على حياتها الخاصة ..

ونشر الصورة قد يصيب صاحبها بالضرر ، وذلك على وجه الخصوص عندما يفضي الاستغلال التجاري للصورة الى الحط من قدر صاحبها او التقليل من شانه او اثارة السخرية منه .

وقد طرحت على القضاء دعوى رفعتها سيدة وجدت صورتها مستخدمة للدعاية من بعض مستحضرات التجميل دون الاذن منها ، وقد قضت المحكمة في هذه الدعوى بانه مما يزيد من جسامة الضرر في هذه الحالة ان الصورة التي استخدمت سخرت للدعاية من مستحضرات للتجميل يمكن ان يفترض ان صاحبة الصورة من الجمال والنضارة مما يجعلها في غنى من استخدامها .

وفي دعوى اخرى امام محكمة استئناف باريس سجلت المحكمة ان الصورة استخدمت للدعاية عن صبغة للشعر الذي دب فيه المشيب ، وهو الامر الذي قد يضر بسمعة صاحبة الصورة المنشورة ، وان كانت المحكمة رفضت الدعوى على اساس ان المدعية لم تستطع ان تقدم الدليل على ان الصورة المنشورة هي صورتها ..

وقد يحدث الضرر من جراء ماينشر مصاحبا للصورة من اقوال . وفي احدى القضايا التي عرضت على المحاكم الفرنسية التقطت صورة لفتى وفتاة متكئين الى منضدة بار يحتسيان قدحين من الخمر ونشرت الصورة اول الامر رفق قصيدة للشاعر جاك بريفير ، ولم يكن ثمة غبار على هذا النشر ، ولجمال هذه الصورة وقوة تعبيرها تكرر نشرها في عدة محالات بمجلات بمختلفة الى ان انتهى بها الامر الى ان تنشر رفق مقال عن تردي الفتيات الصغيرات في الفساد وارتياد الحانات لاصطياد الرجال . وهكذا لم يكن الضرر الذي اصاب صاحبة الصورة ناجما من نشر صورتها في حد ذاته ، بل من التعليقات التي تضمنها المقال الذي ارفقت به بعد ذلك .

وفي قضية اخرى اوقعت المحكمة

الجزاء على احد ناشرى الصحف لانه اشار فى احد العناوين الكبيرة الى قضية دعارة معروضة على القضاء ، وارفق بالمقال صورة لامراة ، فاوحى ذلك بان صاحبة الصورة على غير الحقيقة ، هى احدى المتهمات فى القضية المذكورة .

ومن الامثلة التقليدية التى استوجبت تعويض صاحب الصورة نشر صورة شخص على انه مجرم وقع فى قبضة البوليس بينما يبين ان الصورة المنشورة هى لشخص آخر غير ذلك المجرم . وعندئذ يكون الضرر الذى لحق صاحب الصورة المنشورة محققا ...

كما حكمت محكمة فرنسية على المدير المسئول عن احدى المجلات لانه نشر على غلافها صورة لفتاة فى الثامنة عشرة من عمرها ، وعنوان النشر بعبارة « وضع النقاط فوق الحروف فى مسالة منع الحمل » وطبع على صورة تلك الفتاة ايضا ثمانية وعشرين دائرة تمثل الدورة الشهرية لحيض المراة .

وعلى خلاف الحالات السابقة حيث كان الضرر متوافرا ، قد يحدث فى حالات اخرى الا يكون ثمة ضرر فعلى من النشر . وعلى سبيل المثال عندما يعرض مصور فوتوغراف فى واجهة مجلة مصورة سيدة من عملائه ، او عندما تنشر مجلة من المجلات صورة لاحد المغنين او العازفين او الراقصين فى اوضاع هى من صميم ادائه لفنه ، فعلى الرغم من عدم استئذانه فى هذا النشر فلا مسئولية على المجلة ، لعدم توافر الضرر من نشر هذه الصور العادية لفنان يطالعه الجمهور اثناء عزفه او رقصه او غنائه .

على ان الحق فى نشر الصورة عرف ابعادا جديدة ايضا عندما اعتبر ان الجمال المعنوى او الجسدى لنجمة من نجوم السينما او المسرح او الاستعراض له قيمة تجارية . وهذا ما اتضح فى قضيتى بيتولا كلارك وبريالى .

وفى القضية الاولى التى حكمت فيها محكمة باريس سمح خطيب الفنية المعروفة بيتولا كلارك لاحدى الوكالات بنشر حديث لهما مصحوب بصور فوتوغرافية ، وكان هذا الحديث بلا مقابل ، لان النشر كان يتضمن الدعاية لهما . ولكن وكالة الانباء المذكور عمدت بعد ذلك الى التنازل . عن الكلاشيهات بعض هذه الصور الى وكالة اخرى تنازلت بدورها عن هذه الصور الى ناشر استخدمها فى نشر قصة باحدى المجلات الاسبوعية ..

وقد حكمت محكمة باريس لبيتولا كلارك بتعويض مناسب عن الاضرار التى نجمت عن نشر صورتها بالمجلة المذكورة دون اذن منها . وقد راعت المحكمة فى هذا التعويض ما كانت ستحصل عليه الفنية المعروفة من مقابل على نشر صورتها لو كانت دار النشر هذه قد التجات اليها مباشرة لاستئذانها فى نشر صورة لها مع القصة المذكورة .

اما فى القضية الثانية التى قضت فيها محكمة النقض فقد كان السيد بريالى قد سمح لبعض دور الازياء ان تلتقط صورته للدعاية عن ملابسها الجاهزة ، ولكنه عندما راى صورته هذه تستخدم على صفحات المجلات والصحف على نطاق اوسع من النطاق الذى حددوه لنشر صورته عند السماح بالتقاطها ، طلب تعويضا عن هذا النشر الموسع وغير المأذون به على اساس انه كان يمكنه لو استؤذن فى استخدام صورته بمناسبة هذه الدعاية التجارية الموسعة — ان يطلب مقابلا على ذلك .

وهكذا ، تكون ازاء تطبيقات متنوعة لحق جديد يكفل للفرد الا يتعرض احد له ولو بالتقاط صورة له او استغلالها على نحو ما ، وبخاصة فى اغراض الدعاية التجارية والصناعية .

والان ، ماذا تقول لمن يسالك « هل تسمح لى بالتقاط صورتك ؟ » ●●

الحياة في غير الزمان والمكان

● عزت محمد ابراهيم ●

● اذا بدا هـذا العنوان غريبا فستزول غرابته بعد حين، ولنبدا بادىء ذى بدء بخبر نشرته صحيفة يومية منذ حين تحت عنوان « هذه الانجليزية مولودة فى مصر منذ ٣ الاف سنة » ومدار الخبر ان الانجليزية .. دورتى ايدى يغلب على ظنها ويلح عليها او يبلغ عندها مبلغ اليقين انها مصرية فرعونية ولدت بمصر وعاشت منذ الوف السنين فيما يعرف اليوم بالعرابة المدفونة بجوار معبد ابيدوس الذى بناه الملك سيتى الاول .

ويرتقى يقينها درجة فتجزم مؤكدة انها كانت احدى العاملات فى هـذا المعبد تشتغل مع المشتغلين فيه، وتقوم على بنائه وتشييده ، وانقضت حياتها كما تنقضى حياة جميع الاحياء ، لم اصبح لها حياة اخرى بعد تلك الالوف من السنين هى هذه التى تحياها اليوم: انجليزية لم تنس حياتها القديمة الموغلة فى القدم ... فاعادت سيرتها الاولى لنشدت رحالها الى مسقط راسها القديم تعيش الى جواره كرة اخرى ، ولتستعيد ما كان لها فيه من سابق حياة .

تلك واحدة ..

واخرى من واديها لعل القارئين لا يزالون يذكرونها : فتاة « ابو كبير » التى شغلت الصحافة زمنا بموضوعها والتى قيل ان روحا هندية قد حلت بها ، فهى تتحدث الهندية او احدى لغاتها ، وتصف الاماكن التى عاشت فيها ، وتذكر اسماء ذويها ومن قد عرفتهم فى حياتها السابقة بالرغم من انها لم تبرح بلدتها التى ولدت فيها .. وقد لفت الامر اهتمام رئيس قسم « الباراسايكولوجى » ـ بجامعة فرجينيا ، لطلب مزيدا من المعلومات عنه ..

وقبـل هذه وتلك طيرت وكالات الانباء خبر اختين توام ولدتا فى انجلترا كانت قد ماتت من قبلهما اختان توأم فى حادث ،وجاءتا على اثرهما ، وبينهما وبين الاخريين أوجه من الشبه مثل ندبة على الخد كانت لاحدى القتيلتين، وليس فى هذا دليل على تقمص أو تناسخ او حلول ، انما هو مبحث من مباحث علم الوراثة لا ينكر ان يظهر فى الاشقاء جميعا علامة فى الجسد يرثونها من الاب او الام او منهما معا ..

ولكن الذى اثار اهتمام الابوين ثم من بعدهما العلماء والدارسون وعامة الناس هو ذاك الميل الفطرى فى الكتابة

عند احدى التوامتين مع امساك للقلم بطريقة غير مالوفة تشبه طريقة احداهما ، وقد كانت لهما لعب يلعبان بها ، واخفاها الابوان فى مكان بعيد تجنبا لاثارة الاحزان وبعث الدفين من الاشجان، وتراها احدى الاختين فتشير الى واحدة منها قائلة : هاهى عروستى « مارى » وكذلك كانت تسميها اختها الذاهبة !

ولا تكاد الصحافة تخلو زمنا من قضية تشغلها من هذا القبيل وتشغل معها قراءها من كل جماعة وقبيل ، ولعل ذلك كله ان يكون مناسبة للحديث عما يتصل بموضوع من حوله.

وليس فى واقعة الاختين دليل قاطع على صحة ما يقال من تقمص ارواح او تناسخها او حلولها ؛ فربما وجد الابوان فى ذلك نهزة للشهرة او الاثراء فاضافا وتزيدا وخلقا للموضوع اهمية ماكانت له ؛ وما كان ينبغى ان تكون الا من باب ما يجره الولع بالشهرة والمال من كذب وادعاء وتغرير ...

وقد يكون ذلك كله صحيحا ، ولكنه امر يستدعى — على كل حال — الانتباه والتفكير اذا عرفنا — مثلا ، ان المفكر الفنان الفرنسى .. « اوجين ديلاكروا » قد دون فى يومياته عبارة تقترب كثيرا مما نجده فى قول احدى الاختين ، فهو يقول : .. مهما كانت المناظر التى تقع أمام اعيننا غريبة وغير متوقعة فانها لا تدهشنا ابدا ، فهناك دائما صدى فى نفوسنا يتجاوب مع كل الانطباعات ؛ فاما اننا رأينا هذا الشىء من قبل ، واما أن كل التركيبات الممكنة للأشياء موجودة سلفا فى اذهاننا ، وعندما نجدها ثانية فى هذا العالم العابر ، لا نعمل اكثر من فتح خانة فى اذهاننا او فى ارواحنا » .

واقف امام هذه العبارة متاملا فاحصا مدققا لا يخلو تأملى وفحصى وتدقيقى من عجب واستغراب ، ولعله لا يخلو كذلك من شبهة رد الامر الى علل فى العقل واضطراب فى التفكير .

ويتضح من مراسلات « اوجين » مع « الاديبة الفرنسية » « جورج صاند » الحاح هذه الفكرة عليه حين تساوره الشكوك فى انه قد عاش معها هذه الحياة من قبل وفى زمان غير زمانهما ، وقد كان من المشغولين بموضوع الاتصال بالارواح شانه فى ذلك شان الكثيرين من ادباء ومفكرى اوروبا فى القرن التاسع عشر وقد كان منهم « فيكتور هوجو » .

ويقترب « برتراند راسل » من « ديلاكروا » فى تجربة مرت به فى واخر شبابه حين اختار فتاة لتكون زوجا له، وتصدت جدته — وكانت قد كفلته صبيا بعد موت أبويه — لتحول بينه وبين اتمام هذا الزواج متذرعة بعلل واسباب بينتها له ..

وكان « راسل » يكتب مذكراته ويحتفظ بها فى مكان امين بعيدا عن متناول الايدى، وقد سجل فيها مادار بينه وبين جدته من مناقشات واعتراضات ، ثم لم يلبث ان عثر على مذكرات كان يكتبها ابوه ، عرف منها انه كان قد تقدم للزواج من امه فى نفس السن التى تقدم هو فيها للزواج من فتاته، وان جدته قالت له نفس العبارات التى قالتها له، وانه سجل فى مذكراته نفس الانطباعات التى سجلها هو ! ..

وهنا يقول « برتراند راسل » .. « لقد خامرنى شعور مبهم وغريب باننى لا اعيش حياتى ، بل هى حياة ابى مرة اخرى ، وبدات اميل الى الظن بان هناك جانبا مرتبطا بالخوارق يتدخل فى الوراثة ! » .

واذا كان ما ذكره « ديلاكروا » و « برتراند راسل » قد جاء عرضا فى سياق الحديث من مجمل حياتهما — احدهما فى يومياته والاخر فى سيرته — فان هناك غيرهما قد خص هذا الموضوع بكتب مستقلة ودراسات مستفيضة .

من هذه الكتب والدراسات كتاب « قصتى الكبرى » للكاتب الانجليزى « هانن سوافر » ودعامة كتابه هى

الوسائة الروحية التى يمتاز بهابعض الناس من بعض بما يتوافق عندهم من جلاء سمعى وبصرى ، وهم قلة نادرة ، وقد يكون اكتشاف ما بهم من هـذا الجلاء مفاجأة لهم ما كانوا يتوقعونها او تدور لهم فى خلد » ..

ويتحدث « سوافر » من امثال هؤلاء الوسطاء فيذكر منهم سيدة تدعى « ليليان بيلى » وقد دعيت الى جلسة روحية ، لم لم تلبث ان راحت فى غيبوبة رات اثناءها ضابطا شابا ، واكتفت من الجلسة بهذا القدر مجتهدة ان تنسى ما حدث وقد خشيت على نفسها من خبل او جنون ، ولكن قدميها ساقتاها الى جلسة اخرى فاذا بها ترى نفس الضابط الشاب وكانه يتعقبها او يقتفى الرها ليسمعها قوله : اريد ان اجعل منك وسيطتى لاداء رسالة هامة .

ومضى المرئى يقول : ان اسمه كابتن « وليم رولن » وانه قتل اثناء الحرب العالمية الاولى وان امه مازالت من الاحياء ، مقيمة فى امريكا ، واملى على الوسيطة عنوانها ، وارسلت اليها تخبرها بما حدث فجاءتها اجابة جافة غليظة ، ولكن فيها الدلالة على صحة العنوان !

ويذكر « سوافر » طرفا آخر من امر هذه الوسيطة حين كانت تنتظر القطار يوما فرات رجلا بادى الاسى ظاهر الحزن ، ولم تلبث ان تجلت مواهبها الروحية فرات سيدة تحنو على الرجل كانها تواسيه وتطيب خاطره وهو لا يرى ولا يسمع ، ونفذت السيدة الى الوسيطة تبلغها رسالة الى الرجل المهموم الحزين تقول : انها زوجته « جين » وانها تطمئنه على ابنتهما المريضة التى اضناها السقم فهى فى طريقها الى الشفاء ..

وبهت الرجل حين سمع هذا الكلام ، فان « جين » هو اسم زوجه حقا ، وابنتهما عليلة ذات اسقام قد يئس الطب من شفائها ، ثم تحقق الرجل من صدق ما سمع حين تماثلت ابنته للشفاء !.

وفى كتاب « سوافر » شهادة حسنة من القائد البريطانى « لورد ردنج » ، وقد حضر احدى هذه الجلسات وكتب فى واحدة من كبريات الصحف مؤكدا اقتناعه بما رأى وسمع مما لم يداخله معه فيه شك او ارتياب .

وكانت بين مؤلف الكتاب ولورد « نور تكليف » المعروف فى زمانه بملك الصحافة — وشيجة قوية ، ومات « نور تكليف » فاتصل « سوافر » بروحه فى اكثر من جلسة روحية وسمع منه تعليقاته وسخرياته وطرق تعبيره المرحة اللاذعة التى ما كانت تغيب عنه او يخطئها سمعه .

ويقص « سوافر » قصة صديقه « وليم باريس » الذى كان موظفا فى السكك الحديدية ثم اصبح اكبر معالج روحانى فى العالم ، اما كيف اصبح كذلك ، فقد كان بعد وفاة زوجته الاولى بمرض السرطان ، ثم اصابة زوجته الثانية بذات المرض ، وقد نفض الاطباء ايديهم منها وتركوها تنتظر مصيرها المحتوم .

وسمعت هى بانباء المعالجة الروحية فالحت على زوجها — الحاح اليائس القانط — فى حضور احدى جلساتها ، وفيها سمع « وليم باريس » نداء روح تبشره ان سيكون معالجا روحيا لزوجه ولغيرها من الناس ، وما عليه الا ان يكف السمع ، ويعمل بما يملى عليه ..

وقيل ان الحالات التى عالجها فيما بعد قد بلغت اربعمائة الف حالة فى انحاء متفرقة من العالم ، منها الصين واليابان وسيام وفنزويلا وهو فى مكانه لا يريم ، وكان « باريس » يقدم وصفا شاملا للاماكن البعيدة النائية التى عالج فيها مرضاه بانتقاله الاثيرى تأكيدا لقوله وفعله ..

تحــدا!

● د . عبد الحميد محمود ●

سقطت صروح الكبر لا تمنعي
فغرورك المجنون لا يجدى معى
عسلية العينين كل ترفع
تبدينه لاشك دون ترفع
ان كان عندك من غرورى بعضه
فالنهر يهدر صاخبا فى المنبع
انا يا فتاتى فارس متمرس ...
ابدا بغير الفوز لا لم يقنع

***

دفعتك خطوتك الغريرة للهوى
وظننت ان الدرب ليس بمفزع
وبان كل مشاعر يرنو لحسنك
سوف يجثو فى خشوع الركع
خدعتك خطوتك الغريرة حلوتى
فسقطت فى شركى كطفل مسرع

***

فاذا وجدت بان حسنك لم يزلزل
عزتى ابدا ولم تتصدع
بدلت لعبتك اللطيفة فجأة
فلبست ثوب تكبر وتمنع

***

عسلية العينين الى ها هنا
اترقب الفوز الاخير لمطمعى
حتما ستقتربين من شولى كأى
فراشة عن شعلة لم ترجع

قصة: أحلام وردية

● عبد المنعم محمد موسى ●

كانت « سناء » كالازهر المتفتح .. جميلة ورقيقة حلوة ، يتيمة الابوين ، وتعيش في كنف قريب لامها لا يعرف الاساليب الحديثة في التربية يرى أن « ستر » البنت في زواجها ، لهذا كان ضيق الصدر بتفوق سناء في دراستها ، ويخشى أن تستمر في تفوقها بحيث تضطره في النهاية الى قبول التحاقها بالجامعة : ولا يجد سبيلا لمنعها من التعليم ، والسكوت في انتظار ابن الحلال فالتعليم بالمجان ، وهى لا تكلفه دروسا خصوصية ومعاشها من والدها تكفى نفقاتها الدراسية والشخصية .. ولكنه كان أسير افكاره وخوفه المستمر على « سناء » من شبان هذه الايام .. لهذا منعها من الاختلاط مع اسر الجيران التى لها أبناء شبان .

والغريب أن « سناء » رغم ماتتميز به من الجمال الرقيق : لم تلتفت أبدا الى العواطف التى يخشى كفيلها عليها منها .. كانت تعيش واقعها ، فهى تعى انها يتيمة ، لا أب لها ولا أم وتعيش فى أسرة من زوج وزوجة رقيقى الحال، لا يستطيعان اذا تقدم لها عريس من تجهيزها ، وانه ليس لها دخل غير معاش والدها المحدود ، وأن مستقبلها فى وظيفة مضمونة ..

لهذا جعلت لها هدفا وحيدا : أن تتفوق وتنتهى من دراستها دون تعثر لتضمن وظيفة مناسبة .. اغلقت قلبها تماما ولم تلتفت الى كلمات الاعجاب التى كانت آلافا تلاحقها كلما خطت فى شوارع المدينة ..

وعندما حصلت على الثانوية العامة بتقدير عال خضع كفيلها لرغبتها فى دخول الجامعة ..

وفكرت سناء اى كلية تختار ، انها تستطيع دخول الهندسة او الطب ، ولكن هذه الكليات تحتاج نفقات باهظة ، ومعاش والدها ومنحة التفوق لا يمكن ان تغطى متطلبات الدراسة والحياة الجامعية ، فضلا من أن مدة الدراسة فيهما اطول ...

وتوكلت على الله وسجلت رغبتها الاولى « كلية الاعلام » . هذه كلية ذات مستقبل كبير لمن يستطيع أن يشق طريقه بنجاح ، وهى لاتنقصها وسائل هذا النجاح . فهى تجيد الانجليزية والفرنسية وهى ذكية وطموح ...

●●●

وخلبت « سناء » لب زملائها بل وزميلاتها لرقة طبعها وكياستها وذكائها وسرعة المامها بدروسها ، وسلوكها المهذب .. فلم يعرف عنها أنها تجاوزت الزمالة البريئة مع اى طالب ، ورفضت رفضا باتا أن تتعدى معاملاتها مع زملائها حدود الجامعة .

ولم يكن هذا هينا على « سناء » . كانت تتعذب ، كان قلبها الغض البكر ، يتوق للعاطفة المبيتة ، ولكنها كانت فى سباق مع الزمن . يجب الا يشغلها شاغل من هدفها المرسوم ..

وتجاوزت سنى الدراسة الاولى ، كما حددها بعضها ، بتفوق ونجاح . وبدأت تتصل بالصحف لعلها تستطيع الحصول على دخل جديد يعينها على مواجهه اعباء الحياة والغلاء .

وتوجهت الى مبنى مجلة « المجد » وطلبت مقابلة رئيس التحرير ، وسألتها سكرتيرته عن اسمها فقالت « سناء » — سناء من ؟ قولى له « سناء » وهو سيعرفنى !

ولم تكن تعرفه او يعرفها ، ولكنها افكرت ان هذه الطريقة المتحجة ربما فتحت لها الابواب .

وقد حدث ، ولقد امر رئيس التحرير بادخالها وتقدمت فى حياء واضطراب ، وتاملها رئيس التحرير فادرك صغر سنها واضطرابها ، ولكنه دهش واعجب بشجاعتها وطلب اليها الجلوس .. وقال لا اعرف احدا باسمك يا « سناء » وقد وصفتك لى السكرتيرة ، فرأيت من باب حب الاستطلاع ان اسمح لك بالدخول .. ماذاتريدين بالضبط ؟

وحكت له « سناء » حكايتها باختصار وصراحة وقالت له اننى طالبة فى السنة الثالثة بكلية الاعلام ودخلى محدود واريد زيادته من مصدر شريف وانا استطيع ان اترجم بعض الموضوعات التى تحتاج الى ترجمة . اننى فى حاجة ملحة الى المساعدة ، فاذا ساعدتنى ، فلك الشكر ، واذا اغلقت الباب فى وجهى فليسامحك الله ..

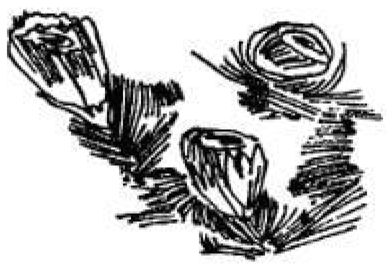
ونهضت واقفة بعد أن عرضت مطلبها ، فابتسم رئيس التحرير وأشار لها بمعاودة الجلوس ، وطلب لها فنجانا من القرفة الساخنة ، ودق الجرس لسكرتير التحرير وطلب منه ان يحضر بعض الانتاج الاجنبى التى تحتاج المجلة الى ترجمته ، وعاد سكرتير التحرير بدوسيه منتفخ ملىء بالاوراق وتركه على المكتب وانصرف .

وقال لها رئيس التحرير : يا ابنتى خذى هذا الملف ، واختارى منه ماتستطيعين ترجمته ، وعودى لى بعد اسبوع وسأكافئك على كل قطعة صحيحة الترجمة .

واضاء وجهها الجميل بفرحة السعادة والامتنان وتناولت منه الملف وكادت تهم بتقبيل يده فسحبها بسرعة وقال فى تأثر . « لو عاشت ابنتى لكانت فى مثل سنك ياسناء .. »

ونجحت « سناء » فى أعمال الترجمة واعترف لها الجميع بالقدرة على الفهم وحسن النقل الى اللغة العربية .. وبمرور الايام أصبحت وجها مألوفا محبوبا فى المجلة ، وكانت تمر على المجلة فى يوم معين من كل اسبوع لتسليم القطع التى قامت بترجمتها واستلام قطع جديدة .

وكان عزمى وهو محرر ناشىء بقسم الترجمة



هو المكلف باستلام القطع المترجمة منها ، فكان يتتهز الفرصة ويدعوها الى فنجان شاى او كوب من عصير الفاكهة فى كافيتريا المجلة ، ولم تجد « سناء » حرجا فى قبول دعوته لعزمى زميلها فى القسم الذى تعمل به ، وهو ، رغم ما تحسه من شعوره الجارف نحوها ، لم يحاول ان يستغل قبولها لدعوته استغلالا ينفرها منه ..

وكان حديثه لها بسيطا صريحا ، ومنه عرفت انه ، مثلها ، يتيم الابوين ، يكاد يكون مقطوعا من شجرة كما يقولون ، وانه هو الاخر شق طريقه فى الحياة بصعوبة حتى تخرج فى كلية الحقوق والتحق بهذه المجلة منذ فترة غير طويلة ..

●●●

وتمضى الايام وتنتهى « سناء » من امتحان السنة النهائية بالكلية ويزداد ترددها على المجلة فلم تعد تشغلها دروس أو محاضرات ، واستدعاها رئيس التحرير وقال لها : انى اتابع بسرور تقدمك فى أعمال الترجمة وأريد أن اتيحك فى ميدان جديد . تعلمين انه يعقد الان فى الاسكندرية المهرجان الدولى للسينما بفندق كبير هناك واريدك أن تذهبى لتغطية اخباره وكتابة عدد من التحقيقات الصحفية عن نجومه واجراء أحاديث معهم ...

وفوجئت « سناء » ، لم تكن قد غادرت مدينة القاهرة فى حياتها ، بل لم تكن تعرف من القاهرة غير الطريق من بيتها الى الجامعة والى المجلة . واطرقت برأسها فى حيرة ، وادرك رئيس التحرير بسرعة سبب حيرتها . فاردف قائلا . وسأرسل معك عزمى والمصورة فاتن ..

واشرق وجهها بالارتياح ورمقته بنظرة امتنان كبيرة لانه دون أن يحرجها ، حل لها مشكلتها .

وركب ثلاثتهم القطار السريع الى الاسكندرية ، وغاصت فى مقعدها فى سعادة طفل صغير فى حضن امه ، وتعلق بصرها بالمدن والقرى والمزارع التى يعبرها القطار بسرعة . وكانت احاديث رفيقيها فى الرحلة كأنها تصلها من مكان سحيق بعيد .. كانت لا ترد ولا تتبادل الكلام معهما ، انما كانت تهز رأسها أو تبتسم ابتسامة توحى بأنها تتابع مناقشاتهما ، ولكنها فى الحقيقة كانت حاضرة غائبة ..

نجحت « سناء » فى تغطية اخبار المهرجان وساعدها المامها الجيد باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وربما ساعدها اكثر ، ماتتميز به من كياسة ورقة وجمال ، بحيث لم يملك الكثير من الضيوف الا الاعجاب بها ومن ثم ركبوا

انسجم على سجيتها معها .. وهكذا استطاعت الحصول على معلومات كثيرة من نجوم المهرجان اغلبها شخصية وخاصة ، حشدت بها تحقيقاتها التى كانت تتابع ارسالها الى المجلة .

وفى ذات الوقت توثقت صلتها بعزمى ، ولانه من ابناء الاسكندرية ، فقد كان يصحبها فى اوقات الفراغ لزيارة معالم الاسكندرية ، وصحبها الى الحى الذى نشأ به والى المدرسة التى تعلم بها والى الكلية التى تخرج منها ، والى الشاطىء الذى كان يفضله ، وعرفها ببعض افراد عائلته واصدقائه السكندريين .

والواقع ان « سناء » لم تجد جوابا شافيا لسؤال قلبها . وطالما سألت نفسها هل تحبه ؟ هل ماتحسه نحو عزمى هو الحب .. انها تستريح له ولصحبته ولحديثه ولكن هل هذا هو الحب ؟

وكانت تحس او تتصور ان عزمى يوشك ان يفاتحها فى الزواج وكانت تخشى هذه اللحظة ، لانها للان لم تكون رأيا قاطعا . ولم تجد من تستشيره فهى تقريبا بغير صديقات او اصدقاء وكليلها وزوجته العجوز من بقايا عصر مضى ..

●●●

ودخلت عليها فاتن تعرض عليها صور التحقيق الاخير ، وتأملت « سناء » الصور ، ولفتت نظرها صورة التقطها مراسل أجنبى لفاتن ولعزمى مع بعض نجوم المهرجان . وكان عزمى يمسك بيد فاتن بلمسات الكيفية التى تعود أن يمسك بها عزمى يدها . ورأت فى عينيه نفس النظرة التى طالما طالعتها فيهما . وذهلت .. هل يحب عزمى فاتن ايضا .. هل كل ماظننته حبا ، وعزما على الزواج بها ، كان وهما .. هل تعمدت فاتن أن تدس الصورة عن قصد ؟! .

وتطلعت لفاتن فلم تلمح فى عينها معنى معينا ، انها كانت تنتظر رأيها فى الصور التى ستختارها لتنشر مع التحقيق المصور ..

ولم تستطع « سناء » التحكم فى افكارها ، فنحت الصور جانبا وسألت فاتن عن رأيها فى عزمى ، ولم تبد فاتن دهشة من السؤال كأنما كانت تنتظره . سألتها من اى ناحية ؟. وخجلت « سناء » ولكنها لم تستطع التراجع وقالت كانسان وكزميل .. وأكملت فاتن « وكحبيب » !.

ولم ترد « سناء » ، انما اطرقت الى الارض .. قالت « فاتن » اسمعى ياسناء ياحبيبتى . ان عزمى شاب صغير السن ؛ ونقطة ضعفه انه حرم منذ ولادته ، حنان الام وهو « عطشان » للاخر هذا الحنان . وهو يبحث عنه عند كل زميلة بالمجلة .. وقد اكتشفنا ذلك فيه من زمن بعيد ، وقبلناه منه على مضض لانه لا ينطوى على رغبات شريرة او غير بريئة . وكل ما يبدو منه فى تعامله معنا ، نحن زميلاته ، انما هو « استجلاب » للحنان والعطف من الطرف الاخر

وغادرت « سناء » مبنى المجلة وهى تشعر كأن كابوسا قد انزاح عنها .. لقد اتضحت الامور لها الان بعد توضيح فاتن . ومع ذلك فقد انحدرت دمعتان من عينيها ، ربما حزنا على « الاحلام الوردية » التى ظنت انها على وشك ان تعيشها وربما رثاء لامل بزغ وضاع ! .

● عبد المنعم محمد موسى ●

● مدير عام دار الكتب القوميه ●

بطاقة تعارف

واحد من أعلام الأدب الأوروبى المعاصر

باتريك موديانو

● محمود قاسم ●

● لم تسلط الاضواء في السنوات الاخيرة على اديب مثلما سلطت على « باتريك موديانو » في فرنسا .. خاصة بعد ان حصل على جائزة جونكور الادبية في العام الماضي عن رواية « شارع الحوانيت المعتمة ».. فقد حفلت الصحف والمجلات الفرنسية بالدراسات حول أدب هذا الشاب الذى زود المكتبة الفرنسية بمجموعة من الروايات الجادة في السنوات العشر الاخيرة .. وكانت جميعا تتصدر قوائم توزيع الكتب في فرنسا ابان صدورها ، وخاصة روايته الاخيرة التي ظلت لاشهر عديدة في قمة هذه القوائم ..

ولد موديانو عام ١٩٤٥ ، لوالد من اسرة تنتسب اصولها الى احدى المدن الصغيرة بشمال تونس .. وموديانو متزوج من سنوات وله ابنة صغيرة تملأ عليه عالمه كله ، وقد حققت اولى رواياته التي اصدرها عام ١٩٦٨ تحت عنوان « مكان للنجوم » شهرة واسعه في ارجاء فرنسا .

وقال النقاد حينذاك بأنه اديب يجمع مزيجا من عدة دباء منهم « كامي » « وتوماس مان » و « كافكا » الا ان هؤلاء النقاد عادوا بعد عشر سنوات يجمعون على إنه قد صنع لنفسه عالم « موديانو »الخاص به والذى لامثيل له من قبل في عالم الادب » .

وفي خلال السنوات العشر الماضية صدرت له ست روايات من اهمها « شوارع الحزام » و « المنزل الحزين » .. و « دفتر العائلة » .. كما قام باعداد السيناريو لمجموعة من الافلام السينمائية وعلى رأسها « لاكومب لوسيان » الذى اخرجه لوى مال عام ١٩٧٣ ..

وفي العام الماضي اتجه موديانو الى كتابة المقالات في النقد السينمائي .. كما قام بكتابة اشهر مسلسل عرضه التليفزيون الفرنسي تحت عنوان « السيدة والقاضي » والذى قامت ببطولته سيمون سينيوريه ..

***

● وموديانو شاب هادىء الطباع رقيق الاحساس يمزج بين الحياء والنقاء .. وهو يقول « لا احب التحدث كثيرا ، فانا ادهش من هؤلاء الناس الذين يجيدون الكلام .. »

ثم يقول « الكتابة شيء صعب : لكننا نمارسها ونحن وحدنا .. حيث لايوجد انسان امامك ينتظر منك ردا .. فالشيء الصعب هو ان تجد امامك شخصا ينتظر اجابة لما تقول »

وهو ذو طبيعة متفائلة يحب الحياة ولا يشبه أحد في الادباء الذين يتسمون بعدم الاتزان الفكرى أو الاضطراب العصبي ، فمن المشهور عنه انه انسان متزن تماما ، وتقول عنه زوجته ان له هدوءا واتزانا مع كل من تعامل معهم



باتريك موديانو

وأسلوبه يمزج بين البساطة والتعبيرات المرتبكة احيانا والغموض ، ويقول عنه الناقد فيليب لابرو .. كنا نخشى الا يحس اسلوب موديانو وبناءه الروائي سوى قلة من المثقفين، او تلك المجموعة التى كان ستندال يسميها « الحشد السعيد » لكن موديانو الان له الالوف من القراء وكتبه أصبحت فى قمة القوائم » .

ومديانو يردد فى حديثه اليومى « لاشيء يهم » .. لكن المتتبع لحياته الخاصة يدرك ان هناك شيئا هاما جدا هو أسرته الصغيرة التى يكتب من اجلها ..

***

ومن روايات موديانو الاخيرة كتب فرنسوا نورسييه عضو اكاديمية جونكور « فى كل عام تتنافس على جائزة جونكور — بعد التصفيات ست روايات او سبع لكن هذا العام لم يحدث تنافس قط فقد كان هناك كتاب واحد هو رواية موديانو »

واكثر ابطال رواياته يتسمون بانهم أشخاص لا جذور لهم ، ارواح هائمة، يطاردهم ماضيهم ويلاحقهم . وكما انهم يبحثون عن هوية لهم .. «فشمارا» بطل روايته « المنزل الحزين » انسان يشعر بالحنين الى بلد لم يعرفه قط

وكان موديانو نفسه الرجل الذى لم يشهد الحرب لانه ولد بعدها ، لكنه لا يمكن ان ينساها لان الاخرين دائما يتكلمون عنها ...

وفى مجال الحديث عن رواياته تبرز « المدينة الحديثة » فالبطل « شمارا» يحمل اسما هو مزيج من الروسية والمصرية ، وهو يقضى ظهيرته دائما تحت مظلة حيث يقابل يوما احدى نجوم السينما التى تحمل اكثر من اسم ، ثم ينضم اليهما احد الاطباء فيشاركهما أسلوب حياتهما . ويكسبون معا احدى مسابقات الاناقة ..

ويقول ماتيوجالى فى صحيفة الاكسبريس ٨ سبتمبر ١٩٧٥ — ان لموديانو سحرا خفيا جديدا ، ففى كل صفحة من صفحات روايته نرى هذا الكاتب الهائم المطارد الذى يعيش فى خلسة ، المرتبك دوما كانه سراب وكانه يطارد هويته .

ورواية «كتيب العائلة ١٩٧٧» يعانى بطلها من نفس حالة بطلنا السابق ، البحث عن كينونته ، ومحاولة الاهتداء العيش مع الاخرين ، والبطل هنا دون اسم مثل المثلة فى الرواية السابقة فالاسماء تخفى دائما الحقيقة وراءها .

ويقول ماتيوجالى ايضا « انه عند قراءة هذه الرواية فانك سوف تلحظ ان عملية البحث عن جذور تتضح اكثر عن اعماله السابقة ، واحداث الرواية تدور ابان الاحتلال النازى لفرنسا ، وهى الفترة التى تسبق مولد المؤلف وذلك من خلال علاقة بين

ب وابنه الطفلة التي سوف يكون لها كل ماحصل عليه المؤلف في حياته : اباء شرعيون ، ومسكن مريح ومجتمع هو على كل حال افضل من مجتمع الاجداد والاباء بالرغم مما فيه من معاناة تختلف كثيراً عن معاملتهم في الماضي ..

●●●

الجدير بالذكر أن موديانو مهتم دائما بمصر : فهو يلمح الى الملك السابق فاروق في احدى رواياته وهو يخلط أسماء ابطاله بالقاب مصرية قديمة مثل شمارا « شمس – لارا » وقد لقب ابنته « بزينة » وقد زار مصر عدة مرات لكن وسائل الاعلام لم تلتفت اليه

اما أحدث رواياته « شارع الحوانيت المعتمة » فيناقش فيها من جديد رحلة البحث عن جذور لابطاله .. وكما كان للممثلة أكثر من اسم ، فان بطل هذه الرواية كذلك ، وقد أسماه صاحب العمل « بجي رولاند » ، ولكن اسمه الحقيقي لا نعرفه ، فهو رجل فقد ذاكرته منذ سنوات ، وامرأته دينيس كوردند قد اختفت بعد ان فقدت الذاكرة كذلك منذ عشر سنوات .. ورولاند هذا يبحث عن نفسه » ومكانه من بلد لآخر ، فيسافر من روسيا الى الولايات المتحدة فتاهيتي وفرنسا ويعود اخيرا الى ايطاليا ..

وهو في كل هذه البلاد يسمى اسما جديدا ، ويهوى هواية جديدة في كل مكان ، كما أنه يلتقي بالعديد من الشخصيات الذين يكشفون له عن معنى الاحداث شيئا فشيئا .. ففي تاهيتي يتعرف على صورة اقرب اصدقائه اليه . على زوجته وهي اوردلو التي انتحرت خوفا من الشيخوخة .. كما يتعرف على جان ميشيل المصور الذي كان يصور زوجته دينيس من قبل حينما كانت تعمل عارضة ازياء .. وفي تاهيتي ايضا يموت زميله حزنا على انتحار زوجته ..

وعندما يصل الى نيس يخبره رئيسه بقصة رجل في الاربعين من عمره يذهب الى الشاطيء ويقاسم المصطافين اوقات فراغهم ويلتقط معهم الصور ، ولكن لا أحد يعرف اسمه ولا سبب وجوده ، كما أن الجميع يتناسون أن هذه الصور سوف تبلى يوما ..

وعندما يصل الى روما محطته الاخيرة يتجه وهو الرجل ذو الخيال الواضح كما يصف نفسه الى العمارة التي كانت تسكنها زوجته ، وعلى سلم العمارة يتذكر كيف راى وجهها الفوسفوري اللامع ، فهو مشهد صعب النسيان .. وهنا يقدم اسمه الحقيقي ..

لكن موديانو لا يبلغنا بهذا الاسم ولا بهوية بطلنا ، فالرواية تنتهي وكان المؤلف قد انهكته رحلة البحث مثلما انهكت بطله ، ولذا فهو يرفع قلمه فجاة عن الكتابة .

شخصيات موديانو هي « **نحن** » .. هي امتداد لشخوص « كافكا » و« بوزاتي « ومان » .. الباحثين عن ذواتهم ، غير موجودين والموجودين في نفس اللحظة .. يبحثون دائما عن شخصهم النقي ولكن ترى هل يجدونه » .

موديانو نفسه قد فعل ، لكن ابطاله يفعلون ذلك في شوارع معتمة ..

ويقول نور سيبه عن هذه الرواية انها « تشير الى ذكاء المؤلف الذي يجرؤ ان يكون نفسه ، ويعرف كيف يختار الارض التي يعيش عليها .. »

ويقول ناقد آخر ان موديانو هو التعبير عن الحياة ، لكن ما الحياة ؟.. انها ليست سوى مجموعة صور عثر عليها في علبة بسكويت قديمة وعقد زواج وجد في كتاب ، وصورة امراة في مفكرة ، وارقام تليفون . واوراق لا تقول شيئا للذي يجدها ..!

● محمود قاسم ●
● الاسكندرية ●

ليتني!

• د. عزت شندى موسى •

ايه يا شمس .. اشرقى فوق نفسى
قد ارانى السقام مغـرب شمسى !

كـم صـبـاح يلـوح لسـت اراه
لست أدرى : اصبحته كم كنت امسى

انا فى الصبح، كالليل كالمساء، طريح
فوق جنبى ـ لا اطـل براسى ...

ونهارى ، كالليل ، يمضى بطيئـا
فى ملال .. واليوم عندى كامسى !

ودوائى كرهتـه ، من حبـوب
لازدراء ، ومن مكيـل بكـاسى !

وحـديثى اشـارة فى اختلاس
وكـلامى ـ اذا نطقت ، كهمس !.

وصحابى .. منعت عنهم ، لخوف
ان يشـى اللقـاء نوبة نكس ...

كلمـا الشـمس آذنت بمغيب
اقبل الليل لابسـا ثوب عبس !.

واذا اشرقـت ، ذكـرتنى
بـبـلائى ، ونبهتنى لنحس !.

ليتنى كنت زارعا وسـط حقـل
اضرب الارض ـ لا امل ـ بفاس

ليتنى كنت بائعا كلما جلت انادى
... وصيحتى ملء جـرسى ! .

ليتنى كنت كادحـا اينمـا كنت
اباهى بقـوتى وبـبـاسى

ليتنى كنت فارسـا اقطـع الـو
دى طليقا بخـوذتى وبترسى ! .

ليتنى كنت قانصا اسـكن البيـد
ودنيـاى فى سـهامى وقـوسى

ليتنى البس المـزيق معـافى
لا بـسـتيما مدثرا بدمقس ..

الواقع الحضاري ضرورة فنيـــة.

● د . عبد الله التطاوى ●

اذا كنا فى المقالة السابقة قد انتهينا الى التسليم بصحة قضـــية التراث كضرورة فنية ، فان الواقع الحضـارى هنا يصبح محور الجدل والمناقشـــة حول قيمته وامكان اعتباره ايضا ضرورة فنية توازى الاولى ، وتتفاعل معهـا ، او تنميها وتضيف اليها ...

ذلك ان مادة الخبرة الجمالية كمـا يقول جون ديوى « بشرية فى علاقتهـا بالطبيعة التى هى جزء منها ، فالخبرة الجمالية مظهر لحياة الحضارة ،وسجل لها واحياء لذكراها ، وهى وسـيلة لترقية تطورها ، كما انها الى جانب هذا بمثابة الحكم النهائى على صـفحة تلك الحضارة ، ولئن كانت هذه الخبرة نتاجا يستحدثه الأفراد ويستمتعون به ، الا ان هؤلاء الافراد انفسهم ليسوا على ماهم عليه الا بسبب الثقافات او الحضارات التى يشاركون فيها » (1)

وفى رأينا ان مسألة صـدور الادب عاكسا لواقع اجتمـاعى معين بالمعنى الحضارى لا تستحق مناقشة طويلة ، اذ يصح اعتبارها مسلمة من المسلمات النقدية ، ذلك انه على المستوى السهل البسـيط يصعب تصور الادب بمعزل عن الهيئة الاجتماعية ، فهو مكمل لها بالضرورة .

وهو امر يزداد وضوحا من خـلال النظرة النقدية فى كثير من قصائد الشعر العربى ، تلك التى عكست الواقـــع الاجتماعى فى تفاعله مع الحركة الادبية ، وسجلت كثيرا من جوانب الحيـــاة بابعادها السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية ، حتى ليصح الاخذ بها حين تفصح عن نفسها كوثائق للتاريخ .

ان ماذهب اليه اوستن وارين ورينيه وليك من ان الادب يجب ان يكون أمينـا لطبيعته يجعلنا ننظر الى هذه الطبيعة من كل جوانبها ، اذ لابد لها من صـلة وثيقة بالواقع الاجتمـاعى المحيـط بالشاعر ، على عكس ماذهب اليه اليوت من امكانية هروب الاديب من شخصيته ومن واقعه .

صحيح اننا نعيش امام القصيدة كفن شعرى له مقوماته الجمالية ، ولـكن

(1) الفن خبرة ـ ص ٥٤٧

هذه الوقفة لا تحول دون النظـــر فى القصيدة كتجربة شخصية ترتبط فى كثير من جوانبها بالمجتمع وظروفه الحضارية ولا يمكن ان تصدر من فراغ ، ذلك ان القول بأن الفن للذاته بشـكل مطلق قد ينتهى بنا الى الانقطاع عن دراسة التاريخ السياسى والحضارى لمجتمع ما ، امـا اذا اعترفنا بقدرة الادب على رصـــد وقائع التاريخ وتوثيقه : أمـكن تصور مجموعة القضايا الاجتماعية الـكبرى ، بالاضافة الى مايحاول الشاعر ابــرازه وتصويره فى القصيدة من طبائع حيـاته الخاصة بأبعادها المختلفة .

فارتباط الشاعر بالحس الاجتمـاعى والحضارى يعدل أيضا من طبيعة النظرة الى الشعر العربى فى قضية الابداع الذى يصبح امرا طبيعيا حتى حين يتجســه الى الصنعة ليكسب بجمالها اعجــاب النقاد ، فى الوقت الذى يجمع فيـه من وقائع الحياة الاجتماعية بصورها المختلفة

فمن حق الشاعر ان يطلب الصـنعة وان يولع بها كيفما شاء ، وبمجـــرد العودة الى شريحة تاريخية فى ادبنـــا القديم نجد البحترى ــ عند بعض النقاد « املح الناس صنعة ، واحسن مذهبا فى الكلام ، يسلك فيه دماثة وسهولة مع احكام الصنعة وقرب المأخذ ، لا يظهـر عليه كلفة ولا مشقة » (٢)

وهنا نجد العصر يعلى بشهادته للصنعة لا عليها ، ويرفض التكلف فيها ، دون ان يعلق ذلك بموقف الشعر من المجتمع .

واستمرارا فى رؤية مواقف النقـاد نجد ابن المعتز يأخذ من الصنعة الشعرية كما اخذ البحترى ، بل تجاوزه فى نظر بعض النقاد فحكم عليه وله بالتـكلف والاجادة معا .

ولاشك أن مذهب الشـــاعرين ــ كنموذج لما يمكن تصوره فى أكثر من عصر من عصور الادب ــ يصـــدر عن روح العصر مما يجعل من الصـــعب اغفـال اى عنصر يدخل فى مقومات القصـيدة عند كل منهما سواء تعلق هذا العنصر بالعصر أو التراث أو الذات .

***

وهكذا تظل ظاهرة الارتباط بالحضارة والالمام بكل ظروف العصر متســقة مع ابتكار الشاعر واظهار قدراته الخاصة ، ولذا يظل غريبا موقف بعض النقـــاد الذين اشتد حرصهم على تقليدية الشعر كما اشتد حذرهم من التعرض الواضح الصريح لظاهرة الابتكار ، الامــر الذى نجد له صدى عند ابن رشيق ، وكـأنه يدرك خطورة تعريف الابتكار عـــنى الشعراء فيحاول أن يخفف من حدته حين يستعمل مصطلح « التوليد » ويعرفه بحذر حين ينفى عنه فكرة الاختراع لما فيه من الاقتداء بغيره ، ويرفض ايضـا ان يقال له سرقة .

ولاشك أن هذا الحذر من جــانب النقاد قد حد من حركة بعض الشعراء فى دائرة التجديد ، فاكتفوا ــ أحيانا كثيرة ــ بوضع الحضارى مكان البدوى فى قصائدهم ، واستمرت فكرة التقليد مسيطرة على فكر كثير منهم ، وان كانت مستترة عند البعض ، ولو أنهم جددوا حقا ــ كما يقول المرحوم الاستاذ طـه ابراهيم « لانصرفوا عن الديباجة جملة : حضريها وبدويها ، ولفطنوا الى أنهـــا أصلا من أصول الشعر لا يمكن قطعه ، وليست جزءا من جوهر الكلام ، وكــان لهم فى ذلك مثال يحتذونه ، فليســت للرثاء ديباجة وهو من أهم اغــراض الشعر العربى ، فماذا عليهم اذا كــان

(٢) ابن رشيق : العمدة ١٠٩/١

المديح كذلك ؟ ــ لو انهم فعلوا ذلك لجددوا حقا في شيء من نهج الشعر» (٣)

ويصح الرد على هذا التساؤل من اصبح الممدوح طرفا ايجابيا مؤثرا في العملية الشعرية ، وليس كذلك المرثي. من هنا كثرت الضوابط ، وكثر الجدل والحوار حول قصيدة المدح ، واحس الشاعر الضغوط من حوله من اكثر من جهة ، سواء فيما يتعلق بطبيعة ثقافته وسيطرة مصادرها التراثية عليه او سيادة التيار السلفي وانتشاره في العصر ا، رغبة الممدوح الذي كثيرا ما ابدى رايه في القصيدة ، أو رغبة الناقد الذي يتلقى عمله ليقومه ؛ وهو قادر على التأثير في انتشاره او عدمه ..

ظروف كثيرة احاطت بالشاعر جعلته حريصا في منهج القصيدة ، وخاصة قصيدة المدح ، اذ اقتصر على ماتحدث عنه الناقد القديم على انه استبدال ديباجة باخرى ، فليرحل الشاعر راحلا الى الممدوح وهو امر لا يعد جليل الخطر ، وكثير من الشعراء لم يرتضوا لانفسهم هذا التبديل في نهج الشعر فظلوا كانما يعيشون في البادية يهتدون بمذهب الاسلاف فحسب .

ولكن هذه الفئة من الشعراء لاتمثل الشعر العباسي كله ، اذ حقق كثير منهم ماراه المرحوم الاستاذ طه ابراهيم مفقودا في الحياة الادبية ، حققوه من ناحيتين :

الاولى : ان بعضهم اخذ من القديم ولم يقف مكتوف الايدي امامه ، فهو يقدسه ، ولكنه ــ مع هذا التقديس ــ يختار منه ، ولهذا الاختيار اسسه المرعية بناء علي مواقف ذاتية واجتماعية تبرز واضحة عندهم .

الثانية : ان بعضهم يصح أن نصفه بانه محافظ مجدد ، ولم تكن عناصر التجديد والاضافة من الندرة بمكان ، اذ انتشرت في كثير من القصائد وهي لاتكاد تنطبق على الممدوح مثلا في مجال المدح ، ومن هنا ينتفي الاتهام بالتعميم والاطلاق فلا ينسحب على الفن الشعري كله في هذا المجال . ومع هذا فقد ظهرت عند بعض الشعراء ابتكارات خاصة اكتملت في المحاولات المختلفة للتجديد في الشكل الفني .

***

لقد وعى الناقد القديم نفسه ان مجال المعاني قد ضاق على الشاعر المحدث . واصبح بصدد وضع قوانين خاصة للسرقة ، فجاء القانون عند ابن طباطبا مشابها لقوانين غيره من نقاد القرن الثالث الهجري اذ راى ان الشاعر اذا تناول المعاني التي سبق اليها فابرزها في احسن من الكسوة التي عليها لم يعب، بل وجب له فضل لطفه واحسانه فيه (٤) .

ولم يقف عند هذا الحد بل شغل نفسه بتفاصيل الاخذ كما صنع غيره من النقاد . اذ راى أن يستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الذي تناولها منه ، فاذا وجد معنى لطيفا في تشبيب او غزل استعمله في المديح ، وان وجده في المديح استعمله في الهجاء . . . الخ ، فان عكس المعاني على اختلاف وجوهها غير متعذر على من احسن عكسها واستعمالها في الابواب التي لا يحتاج اليها ؛ وان وجد المعنى اللطيف في المنثور من الكلام

(٣) تاريخ النقد الادبي عند العرب ١٥٠
(٤) عيار الشعر ٧٦

هناك القيم العربية القديمة ، وهناك حياة جديدة تختلف باختلاف العصور الأدبية لتضيف إليها مقومات أخرى يحتاجها العصر وتصدر باسمه .

او فى الخطب والرسائل فتناوله وجعله شعرا كان أخفى واحسن .

وعلى الرغم من ايمان ابن طباطبا بان المجال قد ضاق امام الشاعر لكى يجدد ويضيف ، زاد هو نفسه من ضيق هذا الامر حين حاول تحديد سبل الاخذ وتقنينها ليحصر الشاعر فى دائرتها وهو امر يمكن تقبله من قبيل الارشاد والتوجيه لدى بعض النقاد ، ولكنه حين يتعلق بالتفاصيل بهذا الشكل ، بالاضافة الى تقديرنا لمكانة الناقد فى العصر ، وخضوع الشاعر ـ غالبا ـ لاحكامه ، ادركنا خطورة هذه التفاصيل ايضا فى زيادة التضييق على الشاعر مما يحدد مجال الابتكار والتجديد والتطوير ومع هذا بقيت هناك جهود خلاقة لبعض الشعراء شهد لهم بها التاريخ الادبى وحوار النقاد من مثل موقف ابى تمام ومن سار على نهجه من الشعراء الذين زاوجوا مزاوجة هادئة بين التراث بكل خصائصه وبين الواقع الحضارى بكل ابعاده التجديدية .

***

وما ينطبق على ابى تمام فى هذا المجال ينطبق على غيره من الشعراء الذين آثروا عدم الانقطاع من الماضى او عدم الاستجابة لظروف العصر ، فاصبح الشاعر منهم مجددا ومبتكرا وتراثيا فى آن واحد . لقد اتاح منهج القصيدة الموروث الفرصة لهؤلاء للتمسك باهداب التراث واستمرار احترامهم له،وحرصهم عليه والافادة منه ، وبقى امام كل شاعر بعد ذلك مجال الابداع فى التعامل مع الصورة وغيرها من اساليب المعالجة الفنية التى يمكن للشاعر من خلالها ان يبرز ذاته فى صورة تلك المعالم البارزة التى تتسم بها مدرسته .

لقد حرص الشعراء على عدم الخروج على الروح العام للشعر العربى الا بقدر تلك الاضافات الفردية التى تتعلق فيها بشخصية كل شاعر على حدة .

وبهذا يتحدد الموقف العام للقصيدة العربية من حيث موقعها الموضوعى بين الواقع التراثى القديم ، وبين الواقع الحضارى المستحدث ، فهى ـ فى النهاية ـ نتاج طبيعى لهذين الواقعين ، الامر الذى تبرز من خلاله ضرورات الحياة الادبية موزعة بين التراث والحضارة فهناك القيم العربية القديمة وهناك طبيعة الحياة البدوية ، وهناك حياة جديدة تختلف باختلاف العصور الادبية لتضيف اليها مقومات اخرى يحتاجها العصر وتصدر باسمه وتتخذ منه شاهدا اصيلا عليها ، الامر الذى يترك اثره بارزا فى شكل القصيدة وسبل المعالجة الفنية لها .

لا يمكن أن يبقى العقل بمنأى عن إستخدامات الشعر فى الوقت الحاضر

الشعر والعقل فى القرن العشرين

● د . عبد الفتاح الديدى ●

هل يمكن ان يتغنى الشاعر بعقله كما يتغنى بحسه ووجدانه ؟

هل يصح العقل اداة الشاعر فى توصيل معانيه ؟ لقد اعتدنا من الشعراء ان يبدعوا فى الوصف والغناء ورواية المآسى والحروب وتداول المعانى الاليفة والغريبة وحكاية القصص عن تجاربهم ومغامراتهم ..

وعندما اسمع كلمة الشعر يطير وجدانى على اجنحة الخيال وأتاهب لسماع الالفاظ الحلوة الرقيقة العذبة واتوقع كلاما عاطفيا عن الحب والحبيب .

ولكن بعض الشعراء اصطنعوا العقل بصوره المختلفة فى اشعارهم ، ومهما كان وجدانهم رقيقا وحسهم دقيقا ومهما تكن لطائفهم واناقتهم وشفافيتهم فهم ينظمون الشعر منفعلين بنظراتهم العقلية ويتحدثون فى اشعارهم حديث العقل المرهف الوثاب ...

وقد اشجانا ابو العلاء المعرى باشعاره وأسعدنا باغاليه العقلية وعمق تجربتنا بخبرته العقلية الخصبة ولم يصدم احساسنا بالشعر فى أعماقه كانسان .

وكان ابو العلاء يهزنا هزا عنيفا باشعاره لانها تخفى وراءها سترا عقليا خالصا . وشعر هو نفسه بذلك واحس بانه لا يستطيع أن يقدم الا هذا اللون من الشعر فقال :

يبغون منى معنى لست احسنه
فان صدقت عزتهم اوجه عبس
ما يعجب الناس الا قول مختدع
كان قوما اذا ما شرفوا ابسوا
انا الشقى بانى لا اطيق لكم
معونة وصروف الدهر تحتبس !

وعرفت اوروبا الشعر الميتافزيقى عند الشاعر جون دون « ١٥٧٢ — ١٦٣١ » واتباعه فى القرن السابع عشر . وكان فى حياته عاشقا ومغامرا وحسيا فى نزعاته ولكن عقله كان يستعيد تجارب عشقه على نحو فلسفى طبع مدرسته بطابع الميتافيزيقا او ما وراء الطبيعة . وعندما قلده بعض اتباعه ممن لم يوهبوا سليقته الفلسفية اتجهوا الى الذين يتبعون اشعارهم من عقيدتهم الدينية

❋❋❋

وعاد الشعر فى القرن العشرين الى تجربة العقل من جديد . وكانت هذه النصيحة تعبيرا عن أوجه الحياة المختلفة التى صادفتها اوروبا واحساسا بان العالم الحديث قد تعمق الشاعر تعمقا مختلفا عن ذى قبل . وصار مطلب الناس من الشعر شيئا جديدا سوى ماقدمه هذا الفن من قبل . واحس الشاعر باعماق الحياة والفكر تجذبانه نحو التعبير العقلى بكل صوره .

فشهدنا شعراء مثل اليوت . وهربرت ريد ؛ وديى ليوس ؛ ولاسل ابركرومبى ووليام امبسون ، وجورج ويليامز واسال وتيرنر ، وادوين ارلنجتون روبنسون . ولورانس ، وجيفرز ، وروبرت جريفز .

أصبح الشاعر الآن مُطالبًا بأن يحسب حساب العقل بين أدواته الشعرية، ولا يمكن أن يبقى العقل بمنأى عن استخدامات الشعر في الوقت الحاضر .

واستيفن اسبندر ، والدوس هكسلى واودن - يتجهون نحو الفكرة فيستقون منه رحيق شعرهم ويقدمون خلاصة تجاربهم الفكرية فى اشعارهم ...

ولم ينس شعراء القرن العشرين ان ثمة اختلافا بين الفكر الشعرى والفكر الفلسفى البحت فارادوا ان يقدموا فكرا من خلال تجاربهم الشعرية بدون تأصيل مذهبى من الفلسفة ذاتها . ولهذا فلا يمكن أن يقال أن شعر القرن العشرين العقلى يتبع التراث العقلى والتعليمى فى حضارة الغرب ، ولكنه يستشرف عالم الفكر ويشعر فى قرارة نفسه أن تجربة الفكر الخصبة لا يمكن ان تظل بمعزل من تيار التعبير العاطفى . ولا يوجد مبرر للاعتقاد بان شعر القرن العشرين العقلى قد خضع لافرع الفلسفة التقليدية الاجتماعية أو الاخلاقية او التأملية أو الدينية . والسبب فى ذلك هو ان شعراء القرن العشرين آثروا أن يؤسسوا نسقهم الفكرى من داخل تجاربهم الشعرية ذاتها مع اسقاط المعرفة فى ذاتها واستبعاد كل مظاهر التعالم .

وتميز شعراء الفكر فى القرن العشرين باصالتهم فى هذا الاتجاه وبتحديهم لكثير من القوالب المذهبية التقليدية وباستكشافهم لابعاد جديدة فى مضمون الشعور الانسانى بحيث أمكنهم ادماج الفكر والعاطفة واحالتهم الحس الشعرى الى تجربة معمقة واحدة .

وحدد هيربرت ريد خصائص هذا الشعر بانه التعبير المتميز بالفكر الشعورى . وكان بعض الشعراء يفشلون فى تجربتهم للفكر الشعورى فينقلبون الى تعليميين ومدرسيين على طريقة النظاميين كما حدث فى شعر سيسيل دى ليويس الذى يعتبر شعره اقتباسا مباشرا من الافكار التجريدية وصياغة شعرية لقوالب عقلية جامدة . اما سواه من شعراء هذا الاتجاه فقد امكنهم ان يصوغوا أعمق الافكار خلال أحاسيس شعرية جميلة مما لا يخضع بحال من الاحوال للمصطلحات العقلية أوالفلسفية السائدة .

***

ولا يفوتنا ان نشير الى ان الفكر الشعرى ليس بابا من ابواب الفلسفة او فرعا من افرع الميتافيزيقا او نوعا من النظم الشعرى التقليدى على طريقة الشعراء التعليميين .

ليس الفكر الشعرى شيئا من ذلك ولكنه نسق فنى يتحرى التوازن الدقيق بين الفكرة والصورة وبين الرمز والانطباع وبين الاحساس والتعبير ويتوخى أن يبدع فى اطار الشعور الكامل للانسان بأزمة الوجود وحرارة الضمير بعيدا عن التصنيفات والتحليلات المذهبية .

ومن ابرز الشعراء الذين عبروا عن الفكر الشعرى ادباء الشاعر الايرلندى ويليام بتلر ييتس « ١٨٦٥ - ١٩٣٩ » ولكن فنالياته كان يتخللها تفكيره الفلسفى الشخصى الناشىء من متناقضاته الشخصية وتعبيره الرمزى العميق ومشاعره المثالية . واعتقد ييتس بان هذا العالم الذى نعيش فيه هو سلسلة من الحلقات او الدورات المتمثلة فى حالات العقل المتراجعة ابدا . وكل مانشاهده من اجسام أو مواد او اشياء او اقدار ماهو الا اسقاطات العقل ذاته او ارجاء الذاكرة . ويقول عن نفسه :

لقد كنت ملكا ..
وكنت عبدا !
ولم يكن هناك شىء
مجنون وضيع محتال
الا وكنته !
ولكن فوق صدرى
جثمت آلاف الرءوس !

وخاطب الشعراء الايرلنديين قائلا :

يا شعراء ايرلندا تعلموا تجارتكم !
غنوا حيثما طاب لكم ذلك ...
وازدروا الصنف النامي فى هذه الحقبة
انه من اسفله الى اعلاه خارج الاطار
انهم برءوسهم وقلوبهم الغافلة
وضعاء من نتاج المهد الوضيع
تغنوا باحوال الفلاح ..
وبالفرسان الاشداء من سادة الريف
وبقداسة الرهبان
وشاربى الجعة السوداء
من ذوى الضحك الصاخب
وتغنوا بالاشراف والسيدات
ممن انهزموا فى الوحل
خلال سبعة قرون بطولية !
اطلقوا عقولكم نحو تلك الايام
التى قد نعيشها فى المستقبل
بوصفنا ايرلنده التى لا تقهر !

***

والشاعر الاخر هو ادوين ميور الذى اصدر « أشعاره الاولى » فى ديوان تحت هذا الاسم سنة ١٩٢٥ والف العديد من الكتب عن الادب المعاصر وارتبط تفكير ادوين ميور النقدى بمذهبه فى الفكر الشعرى . وفى رأيه ان الاعمال الفنية تعبير عن عصرها وتتجدد من خلال الحقبة الزمنية التى تظهر فيها ولكن على هذه الاعمال فى نفس الوقت ان تنتزع نفسها من عصرها حتى تستطيع أن تلاحظه عن كثب .

والأدب الحالي — طبعا فى الربع الثانى من هذا القرن — فى نظره هو أدب انتقال وهذه هى نظرته الاساسية الى الادب على الرغم من انه لم يتأثر كثيرا بمسحة الادب الحديث . فاكتفى بتأكيد ان الادب يمثل مرحلة انتقال ويعتبر استجابة محددة لفترة بالذات . والعالم يتغير بسرعة والشاعر يتعلق بأفكار نسبية عرضية غير مقنعة تماما فى جمعياتها . وينبع احساس الشاعر من ايمانه بان الحقيقة قد تفتتت وتحطمت وبان عواطفه البسيطة واستجاباته الغريزية قد ضلت الطريق وساقته الى الضياع . وعلى الشاعر ان يصارع الثبات والجمود فى الزمن وان يحارب ما فيه من خلو من الدلالة .

ويعبر ميور عن السقوط بالمعنى الدينى كسبب لضعف الانسان فيقول :

قديما كنت عبدا قديما جدا ..
فقدت سيفى فى حرب لا اذكرها !
ومنذ ذلك الوقت ذراعى خفيفة جدا
وهذا العالم الكثيف سيصبح ايضا خفيفا ...
ولكن خلال هذا الغضب
يلمع جبل طروادة الساكن
ولكن الكثير من الجدران المهدمة والشجر الزائل
يظل كما لو كان يغرض نفسه
كذكرى سعيدة .

ويشير الشاعر فى قصيدة اخرى الى معنى الحياة والعالم فيقول :

تكتم على سرك !
فالزمن بغير تاريخ
وكل الاشياء واضحة
فلا تخف من خوفك
ولا مهرب امامك
فتدثر والتحف بنهارك الطويل
ولا تذرف دمعة
لان النجم او القضاء
لا شىء موجود
الا حيث انت .. فى اللاهنا !

***

ويتمثل الفكر واضحا فى اعمال توماس ستيرنز اليوت المولود سنة ١٨٨٨ . وكان شاعرا وناقدا فى آن معا . وكان يشبه باسكال فى ايمانه بان الانسان ضعيف بدون الله فأخضع فى آخر عمره كل مقوماته الجمالية فى اعماله الشعرية لعقيدته الدينية وابدى اهتماما خاصا بالمشكلات الاخلاقية . وبسود الاحساس

بالفتات والنفايات فى معظم أعماله .

وعنده أن الشعر تجربة دينية ووسيلة لنقل التجربة الدينية وتوصيلها ولكنه لايزال يفصل بين التجربة الدينية وبين التجربة الجمالية الخالصة . وعلى الرغم من احتقاره للحواس فقد استطاع ان يقدم مذهبا جماليا متكاملا . وذلك لانه يرتفع بالمدركات الفردية الى مستوى القيمة الكلية . ومن هنا لا يصبح الشاعر فى أعماله الشعرية معبرا عن عصره بقدر مايصبح فى عصره تعبيرا عن الاساس الحضارى بأسره للمجتمع .

ويرى اليوت أنه يتبع فى شعره مدرسة جون دون وأن من أقرب الفرنسيين الى هذا الاتجاه الشاعران تريستان كوبير وجول لافورج .

ويقول اليوت فى قصيدته عن الكلمات :

الالفاظ تستعصى ..
تتهدم وتتحطم أحيانا تحت الاحمال
تحت التوتر تفلت وتنزلق وتنعدم
وتبلى بعدم التدقيق ولا تبقى فى مكانها
ولا تظل ساكنة ..
انها أصوات زاعقة
تعنف وتسخر او مجرد ثرثرة
هاجمها دائما .
فالكلمة فى الصحراء تهاجمها غالبا
اصوات الاغراء ..
انها الظل الذى يصيح فى الرقصة الجنائزية
وهى الانين العالى للضياع الذى لاعزاء فيه !

اما هيربرت ريد مؤلف العقل والرومانتيكية سنة ١٩٢٦ فهو أقرب الى الفيلسوف والناقد المحترف . وهو صاحب مجموعات من الاشعار نشرها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة . ويرى ريد أن الجماليات هى أساس فلسفته ونظريته فى الفن تعتبر مكملا لتفسيره الفلسفى والشعرى للطبيعة . فالطبيعة عنده تخضع لنفس قوانين الفن وهى الايقاع والتوازن والنسبة . والشر نفسه ليس سوى اضطراب مصطنع يسببه الانسان فى قوانين الطبيعة . واعتقاد اليوت فى الانسجام الكامل فى الطبيعة هو أساس شعره . وتوجد فوق هذا مؤثرات صوفية من الفلسفة الوجودية عند كيركجورد وكارل بارت .

ومايعبر عنه الشاعر هو احساسه بالطبيعة . والطبيعة عنده هى جملة المقاييس وانواع السلوك الطبيعية الخاصة بالمادة فى اى عملية من عمليات النمو او التحول . ومعظم الصور فى أشعار هيربرت ريد تمثل عمليات طبيعية ... البذرة التى تصبح نباتا مزهرا .. المعدن الذى يتبلور وهو ينكمش ويبرد .. ومن هذه الصور مايبدعه الخيال وما يقوم بعرض الاشكال والقوانين التى لا تتمثل بالضرورة فى الطبيعة .

يقول هيربرت ريد فى احدى قصائده :

هذان التياران يلتقيان بداخلى
ليس الماضى والمستقبل سوى خطين
يتقاطعان عند نقطة بداخلى .
ومن هذه النقطة الزمنية اعاين الابد
أنا سيد كل الطبيعة والمعرفة
وكل مايوجد فى الزمان
يتحرك خلالى .. هذه الاطفال الوسيمة
تعبر الى الحياة .. وتلك العظام القديمة تتحلل
وأنا .. فى لحظة زمن ..
احتويها كلها !

وتلك الانماط من الشعر التى تمثل الفكر الشعرى ليست سوى لمحات من معالم الشعر الاوروبى خلال القرن العشرين . وصار الشاعر الآن مطالبا بأن يحسب حساب العقل بين ادواته الشعرية ولا يمكن أن يبقى العقل بمنأى عن استخدامات الشعر فى الوقت الحاضر . ويصعب أن نمس العقل كل مجالات الحياة دون أن يطبع الشعر كذلك بطابعه . فهذا الفن الحساس الرقيق ـ فن الشعر ـ اقرب الى كل مصادر الحياة والقوة والاصالة وعلى رأسها العقل بكل ابعاده وأعماقه .

لم يتنازل عن حقه في
فتح مدرسة إبتدائية فأخذوه
أسيرًا إلى المنفى ..

أسواني في مالطة

● سعد رضوان ■

● من يتصور في وقتنا الحالى ، ان فتح مدرسة ابتدائية بعدجريمة تتسبب في القبض على صاحب المشروع ونفيه الى مالطة !؟

ولكن هذا هو ماحدث لعلى فهمى خليل سنة ١٩١٤

كان على فهمى خليل الاسوانى ناظرا ومديرا لمدرسة ابتدائية تابعة لاحدى الجمعيات الخيرية فى اسوان ويوما زاره اثنان من اهالى بلدة دراو ، هما سليم افندى محمد سلطان ، والشيخ حسين على غربى ، ومعهما احد اعيان دراو اسمه محمد محمود خليفة ..

وكان الاولان مدرسان بمدرسة دراو الابتدائيه التى انشئت سنة ١٩١١ ثم حولها المجلس البلدى الى « كتاب » من الدرجة الاولى ، ثم اعادها مدرسة ثم عاد فحولها الى « كتاب » مرة اخرى — كل ذلك فى ثلاث سنوات فقط ! .. .

وبسبب عدم استقرار المدرسة فان اعيان البلدة قرروا ان ينشئوا مدرسة ابتدائية على حسابهم الخاص ولجئوا الى على فهمى خليل ليتولى هذا العمل .

والفرق بين « الكتاب » والمدرسة هو ان « الكتاتيب » لا تدرس كل العلوم ، ولا تعطى شهادات تصلح للاستمرار فى الدراسة ، فمهمة « الكتاب » هى محو الامية فقط ..

والى هنا والموضوع عادى ..

ولكن غير العادى هو ان على فهمى خليل فوجىء بان مدير المديرية — وكان بمثابة المحافظ فى ذلك الوقت — يطلبه لينبه عليه بعدم فتح المدرسة

ورفض على فهمى .. وكان ذلك يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩١٤

وفى يوم ٣ نوفمبر القى القبض على الرجل ، وجمع المدير اعضاء الجمعية صاحبة المدرسة ، وطلب منهم اصدار بيان بالتبرؤ من على افندى فهمى وعزله من الجمعية ومن المدرسة ورفض الاعضاء ، فطلب منهم المدير الاستعداد للقبض عليهم هم ايضا !

إما سبب هذه الضجة فهو ان الحرب العالمية الاولى كانت قد قامت وطلب الانجليز الذين كانوا يستعمرون مصر من السلطات المحلية اعتقال كل من تحوم حولهم شبهة امكانية الشاغبة واثارة القلاقل حتى يؤمنوا ظهر جيوشهم ..

***

والمهم انه فى صباح يوم الاربعاء ٢٥ نوفمبر رحل على فهمى — كما يرحل الاسرى — الى القاهرة ..

ويصف على فهمى حفلة الترحيل فى كتابه « أسارى مالطة » الذى نشره سنة ١٩١٩ بانهم ساروا به الى



محطة أسوان ، على يمينه شرطى وعلى يساره اخر وخلفه ثالث ، يكونون مثلثا متساوى الاضلاع !

وقد حضر المدير الى المحطة ليحضر الترحيل ، وثار على رجاله لانهم لم يكونوا قد وضعوا القيد فى يدى الرجل !. •

وادخل على فهمى الى القطار الذى وصل الى القاهرة صباح الخميس التالى ، وعرض على حكمدار القاهرة وقتذاك الانجليزى « هارفى باشا » الذى امر بارساله الى سجن « التخشيبة » حيث اعلنوه هو وشيخ آخر من الاقصر اسمه عبد المعطى الحجاجى بانهما قد تقرر نفيهما الى مالطة ، وان عليهما اعداد كشف باسماء من يطلبون وداعهم من الاهل والاصحاب قبل السفر !

وفى اليوم التالى نقلا الى ثكنات قصر النيل « ومكانها الان حديقة ميدان التحرير » . واللطيف انهم كانوا قد جردوا « الأسيرين » من نقودهما فى السجن ، فلما نقلوهما الى الثكنات اركبوهما عربة حنطور يجرها الخيل ، فلما وصلوا طلبوا منهما ان يدفعا اجرة الحوذى « العربجى » نقال على فهمى ان المشنوق لايدفع ثمن الحبل الذى يشنق به ! ..

***

ومن هذا المعسكر ثكنات قصر النيل ركب المعتقلون قطارا خاصا ، وكانوا خليطا من المصريين ومن اجناس أخرى منهم الالمان والنمساويون والاتراك ، وكان بين المعتقلين المصريين عدد من رجال الادارة اعلاهم رتبة البكباشى امين حلمى ، ومنهم احمد كرم الدين الذى كان طالبا بالبحرية التركية ومرض بالسل فجاء مصر للعلاج فى جوها الجاف ، فاسروه باعتباره احد جنود

الاتراك ، وكانت تركيا قد انضمت للالمان ضد الانجليز ، وقد مات الشاب في مالطة بعد اربع سنوات ونصف من الاعتقال ..

ونقلهم القطار من الكنتات الى الاسكندرية حيث الباخرة التى نقلتهم الى مالطة فوصلوها يوم الثلاثاء ١٠ ديسمبر . وقابلهم يوزباشى بريطاني هو المدير الادارى للمعتقل ، وطلب منهم انتخاب كبير لهم فانتخبوا البكباشي امين فاخبره الرجل بان هناك محلين للاعتقال؛ احدهما درجة اولى مخصص لكبار القوم والاغنياء من الاسرى ؛ والثانى درجة ثانية للعامة والفقراء من الاسرى؛ وعليه ان يفرز الاسرى المصريين ، فاخبرهم البكباشي امين بان جميع المصريين من الخاصة اهل الدرجة الاولى ..

وساروا فى طابور رباعي وعلى جانبهم الجنود في طرق معوجة وازقة وتلال ترتفع وتنخفض — فالجزيرة جبلية ؛ ثم وصلوا الى مشبع بين الجبال ، ومروا بسور المعتقل العالي ودخلوا بابه ، ثم اخترقوا سورا آخر بعد حوالى اربعين مترا مصنوعا من الاسلاك الشائكة به باب دخلوا منه وساروا مسافة اخرى الى ثكنات « فردالا » ..

وكانت ثكنات « فردالا » هى معتقل الخاصة ، بها مائة وخمسين غرفة واسعة ولها شرفات ، ومقسمة الى ثلاث درجات ، وقد فوضت السلطات القائمة بالاعتقال للاسرى تحديد الدرجة التى ينزل بها كل اسير وحددت خمسة اشخاص فى الغرفة للدرجة الاولى وسته للدرجة الثانية ، وثمانية للدرجة الثالثة .. واعطى كل اسير سرير من الحديد وحشية « مرتبة » وملاءتان من الكتان وغطاء ووسادة وصندوق ..

وكان بالمعسكر محلان يتبعان لمتعهد مالطى احدهما لبيع الخضروات والفواكه ،والثاني لبيع البقالة والملابس ويعمل بهما رجال مالطيون يبيتون بالثكنات ولا يخرجون منها الا للاستبدال .. وشرق هذا المعسكر بحوالى ستين مترا كان يقوم معسكر سانت كليمنت وهو مجموعة خيام هندية اى ذات العمود الواحد تضم كل خيمة خمسة او سته من اسرى العامة والفقراء ، وقد اعطى كل اسير منهم مشمعا ومرتبة من القش وغطاءان قديمان وثلاثة احرمة ، فلما هطلت الامطار اغرقت الحشيات والارض ، فاعطت السلطات لكل اسير حمالتين من الحديد وثلاثة الواح من الخشب يضعهما فوق الحمالتين ليكون سريرا يحميه من المياه والرطوبة ..

وكان المعسكران محاطين بالاسلاك الشائكة التى تقف حولها الحراس حاملين البنادق يطلقون الرصاص على اى اسير يقترب من الاسلاك ..

والطعام حسب جراية محددة يطبخها بعض الاسرى فى وعاء واحد . بطريقة سلق كل شىء مع بعضه ، الارز مع اللحم مع الخضار ، مما جعل اسرى الدرجة الاولى يؤلفون جمعية يدفعون جنيها كل شهر كاشتراك فيها ، ويستخدمون طهاة من اسرى الالمان والنمساويين ويشترون ما يحتاجونه زيادة عن الجراية من « الميس » ؛ وحذا مثلهم اسرى الدرجة الثانية ..

اما الاسرى من العسكريين فلم تكن لهم جراية بل تدفع لهم رواتب حسب درجاتهم ، وقد قام اسرى الدرجة الثالثة وفقراء الدرجة الثانية بانشاء مقهيين درا عليهم ايرادا ..

***

وبعد ثمانية اشهر من الاعتقال قررت الحكومة الانجليزية صرف كسوة للاسرى،

تصرف لكل منهم معطف وسروال خارجي وسروال داخلي وقميص وحذاء وجورب ومنديل ومنشفة ، وكانت الكسوة تغير كل ستة اشهر ، واغلبها لا يتلاءم مع اجسام الاسرى ، فالشخص الطويل يرتدي سروالا قصيرا او العكس ، والسمين حشر في ملابسه ، والرفيع تهدلت عليه الملابس الواسعة ، فقد كانت جميع الملابس ذات مقاس واحد.

وقد عزل الاسرى عن العالم تماما حتى ان اسيرا مالطيا مرض ونقل الى المستشفى في حالة خطرة وطلب رؤية زوجته واولاده ، الذين كانوا يحومون حول المستشفى ، ولكن السلطات لم تسمح لهم برؤيته قبل استئذان لندن ، وعندما وصل الاذن من القيادة العامة ، كان الرجل قد توفى !..

وكانت حنفيات المياه بالمعسكر بعضها ماؤه مالح من البحر للغسيل ، والاخر حلو من الارض للشرب ، ولكنه ملوث.

وكان للمعسكر طبيب عسكرى يحضر للعيادة لمدة ساعة كل يوم ولا يعود احدا في غير ساعة العيادة ولا يذهب الى مريض في حجرته مهما كانت حالته.

ويجرى التتميم على الاسرى مرتين ، فيدق جرس في منتصف العاشرة وقبل الغروب فيقف المعتقلون من كل درجة صفا ، ويقوم جندي بعدهم فان وجد العدد كاملا صفر اعلانا بالانصراف ، على ان هذه العملية كانت تستغرق وقتا طويلا ، فعدد الاسرى بمعسكر «فردالا» تسعمائة وخمسون وعددهم في «سانت كليمنتس» ستمائة ..

وكان يسمح لكل اسير بكتابة خطابين في الاسبوع باى لغة ولاى شخص في اى جهة ، بشرط الا يزيد الخطاب عن مائتى كلمة ، ولم يكن يسمح بدخول الصحف للمعسكر ..

ويوما افرج عن اسير نمساوى فكتب في جرائد بلاده عن سوء معاملة الاسرى في مالطة ، فاهتزت السلطات البريطانية ، وذهب حاكم مالطة اللورد متون وسال الاسرى عن احوالهم ، ثم صرح بدخول الصحف ، وطلب من الاسرى انتخاب لجنة تتسلم الجراية بالميزان وتتولى توزيعها ، واستبدل المدير والوكيل والطبيب بغيرهم ..

وكان المدير الجديد هو البكباشي « ارنولد » طيبا ونشيطا ، وسمح للاسرى بزرع الارض حديقة ، وتحسنت حال المقهيين وادخلت في احداهما الموسيقى يعزفها المان او نمساويون ، كما نشات ينابيع صناعية ربيت فيها اسماك زينة ، وسمح لاهالى الاسرى الذين يمكنهم زيارتهم بالزيارة مرة كل شهر ، كما انشا مغسل واصلحت الحمامات والحنفيات .

اما الطبيب الجديد فقد اعد صهريجين للمياه يوضع فيهما الكلور ولا يسمح بالشرب منها قبل مضى ثمان ساعات ، كما انه كان يعود المرضى في اى ساعة من ساعات النهار او الليل ، وفي الحجرات خلاف الطبيب الذى سبقه ..

ثم عين مدير ثالث جديد هو القائمقام « نيل » الذى راى ان الاسرى لم يخرجوا من اسوار المعتقل لثلاث سنين مضت ، فسمح بخروج مائة منهم للنزهة كل يوم مدة ساعتين ، كل اربعة معا وعلى جانبيهم الجنود مسلحون وامامهم ضابط ، وشرط الخروج هو الا يتكلم احد منهم مع الاهالي ولا يشترى شيئا او يترك الصف او يقف الا اذا وقف الجميع للاستراحة .. ثم صرح لهم بانشاء مسرح يمثل فيه الاسرى كما فتحت دار سينما .

وانتهت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ فاعيد الاسرى الى بلادهم على دفعات بعد ان حرموا سنينا ، من الحرية والاهل والعمل لا لسبب الا لمجرد الاحتياط ..

بعد ٥٣ سنة من الميلاد السينمائي العربي:

أين نحن من الثقافة السينمائية؟

• عبد الله أحمد عبد الله •

ثلاثة وستون عاما، كاملة، بين التاريخين: ٢٦ نوفمبر ١٩٢٧ - ٢٦ نوفمبر ١٩٨٠.

والاول هو تاريخ عرض اول فيلم مصرى - كان صامتا طبعا - هو فيلم « ليلى » بطولة وانتاج عزيزة امير، بدار سينما متروبول الذى اصطلحنا نحن اهل السينما على اعتباره ميلادا للفيلم المصرى والسينما المصرية.

فاذا استقرانا تاريخنا السينمائي: ورغبنا في الوقوف على مكان الثقافة السينمائية خلال هذه المساحة الزمنية الواسعة: فاننا نكاد نقول ان جملة « الثقافة السينمائية » لم تجر على لسان، لم تخطر ببال، لم يخطها قلم، الا بعد تسع سنوات من الميلاد السينمائي في مصر!

كان ذلك عند قيام اول مؤتمر سينمائي مصرى، تشرفنا بالدعوة اليه عام ١٩٣٦ واقيم بحديقة الازبكية لمدة ثلاثة ايام، وكان من اهم مقرراته وتوصياته: الاهتمام بالثقافة السينمائية بنشر المطبوعات كتبا وصحفا وترجمة المراجع السينمائية الى العربية وتنظيم المحاضرات والندوات التثقيفية وارسال بعثات للدراسة العلمية والعملية والعودة لتطبيق مادرسوه وتلقينه لصفوف جديدة من السينمائيين الجدد

وتدخل الثقافة السينمائية في اهاب قرار آخر من قرارات المؤتمر وهو ضرورة انشاء معهد للتمثيل، ومعهد للسينما .. وغنى عن التوضيح أن مناهج ومحاضرات المعهدين، من صميم الثقافة السينمائية.

واحمد الله أن عشت حتى رأيت كل قرارات هذا المؤتمر السينمائى الاول ١٩٣٦، قد تحققت بكاملها. وقام معهدا التمثيل والسينما وهما يؤديان رسالتهما الثقافية - نظريا وتطبيقيا - على النحو الملحوظ، سواء غلبت فيه الايجابيات، السلبيات او العكس..

لكن ثقافة القراءة والمحاضرة اين موقعها من الاهتمام على مدى نيف ونصف قرن؟

للحق وللتاريخ نقرر ان الوسط الصحفى المصرى كان يعرف منذ عام ١٩٢٩ مجلة باسم « الصور المتحركة » يملكها ويحررها حسنى الشبراوينى وكان مديرا لسينما اوليمبيا، وكانت بالطبع تقتصر على السينما الاجنبية صورا ومقالات.

ولم يكن الفيلم المصرى قد فرض على الساحة وجوده بعد: لم يكن مر عليه



مشهد من فيلم « آمنت بالله » لعزيزة امير

الا عامان ، وكان توزيع المجلة محدودا بعدد المهتمين بهذا الفن الناشىء منذنا لكن تعريفا بهذا الفن ، اعلاما بدنياه وعالمه شرحا لمصطلحاته ، لفروعه ، ومهماتها ، لكن شيئا من هذا يتوفر فى كتاب او صحيفة ، لم يتحقق - بمدى علمى ومتابعتى - الا فى سلسلة مقالات نشرها « طالب الحقوق » - وقتئذ - احمد بدرخان بجريدة الصباح الاسبوعية « ١٩٣٢ - ١٩٣٣ » وهى التى استلفتت انظار زعيم مصر الاقتصادى طلعت حرب فاستدعاه وعرض عليه ارساله مبعوثا من ستديو مصر لدراسة الاخراج السينمائى فى باريس .

وذلك هو ماتحقق فظفرنا بالمخرج الكبير الرائد احمد بدرخان . وقد صدر كتاب تضمن هذه المقالات باسم « السينما » وكان صاحبه قد اصبح خريج معهد السينما بجامعة باريس .

***

ولسنا فى مقام الاحصاء بمعناه ونحن نستعرض ماظفرت به السينما المصرية ومكتبتها من مطبوعات سينمائية ، انما حسبنا ان نشير الى جهود متعددة لزملاء قلم وفن كالاساتذة : محمد عبد القادر المازنى واحمد كامل مرسى ، والدكتور عبد المنعم سعد ، واحمد الحضرى ، وحسين عثمان ، فضلا عن كتاب لى شخصيا صدر فى الاربعينات وطبع مرتين باسم « صاحبة الجلالة السينما » ، واذا كانت هذه الكتب المشار اليها قد تناولت السينما تكنيكا وصناعة ودقائق فيلمية حرفية ، الا ان المكتبة السينمائية العربية لم تعدم كتبا اخرى تحوم حول السينما من حيث هى ذكريات ومذكرات وما الى ذلك ، وفى هذا المجال يذكر كتاب الزميل محمد السيد شوشة « رواد ورائدات السينما وكتاب « مذكرات ميكى ماوس عن ربع قرن فى الوسط الفنى - عام ١٩٦٠ » وكتاب « تاريخ السينما المصرية » للمخرج الهامى حسن .

فهل هذه الحصيلة المتواضعة جد من المقروءات السينمائية تناسب عمرا

سينمائي تجاوز نصف القرن وبدأ يخطو نحو نصفه الثاني ؟

هل هذا يحقق أملنا نحن السينمائيين الذين اجتمعنا عام ١٩٣٦ في أول مؤتمر سينمائي تنادى بوجوب نشر الثقافة السينمائية ؟

بل هل هذا هو قصارى جهد اخواننا السينمائيين وقد اتسعت آفاقهم السينمائية ، وبالتالي طموحاتهم وثقافاتهم ؟

***

ان الاذاعة كانت تقدم منذ سنواتها الاولى حتى اعوام الاربعينات سلسلة احاديث سينمائية بعنوان « حديث السينما » كان يتقلب عليه نفر من المثقفين السينمائيين يقدمون تعليقات ومعلومات واضافات مفيدة تشبع حاسة الهواية السينمائية وتوسع الى حد لا بأس به من دائرة المعرفة بالسينما ، الفن السابع – كما سموه في حينه ..

لكن هذه الاحاديث توقفت وانصرف اهتمام الاذاعة من الخدمة الثقافية للسينما الى الخدمة الترفيهية فاقتصرت برامجها على اللقاءات للدردشة مع نجوم السينما ؛ وتقديم ما يملأ فراغ الوقت ؛ ويخلف فراغ الذهن ...

لكن هذا الذي نتحدث عنه شيء آخر غير الثقافة السينمائية بمعناها الحقيقي من حيث انها علم ومعرفة وصناعة وتكنيك . وظهر التليفزيون في الستينات وكان له اسهام مشكور الى حد كبير ، لكنه ايضا دون المستوى المأمول . وقد اسف الكثيرون لالغاء « البرنامج المفتوح » الذي كان يقدم فيلما كل أسبوع تسلط اضواء ثقافية عليه وعلى ابطاله تستقطب اهتمام الملايين ، كما اسف الكثيرون لالغاء « مجلة السينما » وكانت جرعة ثقافية سينمائية لها فائدتها فماذا عن الثقافة على صعيد المحاضرة والندوة والنقاش المفتوح ؟

***

منذ الستينات هناك حركة ملحوظة النشاط تتمثل في جمعيات عدة تعرض افلاما وتفتح حولها نقاشا عاما ، قد تفلت منه معلومة سينمائية مفيدة ، او تمهد بمحاضرة قبل العرض ، او بأخرى بعده . ولكنها على اى حال تمثل تيارا من الاهتمام بالمعرفة السينمائية ، وخلق رأى عام سينمائي يتابع بالرؤية ، ويضيف الى ذهنه شيئا لابد انه مفيد .

على أننا نرى دورا هاما لنقابة المهن السينمائية في خدمة الثقافة السينمائية لم تلعبه بعد . ولا منذ قيامها ، بل ان النقابة ، وكانت تسمى « نادي السينما » في الاربعينات كانت اوفر نشاطا ، لكنها لم تكن تحت لواء نقابة ، كانت مجموعة من السينمائيين فنيين وفنانين ومنتجين وموزعين ، ومع هذا فكم شهدت قاعتها الحالية – قبل ٤٠ عاما – محاضرات سينمائية وجلسات موسيقية وامسيات حول كتاب او فيلم لكن النقابة منذ قامت رسميا وهي خالية من محاضرات تلقى ، او حوار يدور حول صناعتهم بفروعها المختلفة .

ولا ريب أن السينما كفن

متجدد ، فن متحفز لمواجهة الفـــول الجديد «التلفزيون» يبتكر ــ موسما بعد موسم ــ الجديد من الاساليب والمخترعات التى تثبت اقدام السينما فى مواجهة التلفزيون ، واعنى هنا ، مااستجد من سينما سكوب وصوت ستريوفونيك ، وافلام مجسمة ، وافلام ذات رائحة ، وما الى ذلك من مبتكرات متجددة لابد ان يحيط بها الذهن السينمائى المصرى اولا باول ، فهى من صميم المهنة ، وهى ثقافة مختصين ، تلك التى تدعو اليها ، فهناك كلام حول الثقافة السينمائية العامة التى ينبغى ان تسهم فيها النقابة وغرفة صناعة السينما ، واتحاد النقابات الفنية ، بالتعاون مع هيئات ونقابات عامة فى مجالات مختلفة لمجرد نشر الثقافة السينمائية واكتساب قطاع اكبر يوما بعد يوم من هواتها ، الذين قد يكسبهم فيما بعد عالم الاحتراف .

***

وتعود الى الكتاب ، والى المقالات الثقافية السينمائية فى الصحف فتترجم عن رغبة عامة فى أن تزيد وتتعدد ولابد أن تعنى بذلك الهيئة العامة للكتاب ــ ولها نصيب مشكور لكنه حتى الان اقل من المحدود .

ويرتبط بهذا الحديث الثقافى ــ السينمائى حديث آخر عن « السينماتيك » ــ المكتبة الفيلمية للتاريخ السينمائى والتوثيق السينمائى ــ وهى مشروع « لايدرى عنه الراى العام السينمائى شيئا ، ولعدم وضوحه مؤثرا ، لا يكاد الكثيرون يعرفون حتى الجهة المختصة به .

نيف ونصف قرن وثقافتنا السينمائية تبدو متخلفة !

***

ان دينا لافكاك من الوفاء به فى اعناق المثقفين السينمائيين ، وخاصة القادمين من دراسات حديثة بالخارج ، انيقدموا ماتعلموا لمواطنيهم فى كتب او مقالات ، والا فان الهواية السينمائية تبعا لقلة المعرفة السينمائية سوف تتقلص . والفن الذى لاتتجدد صفوف المهتمين به ، مآله الزوال والانقراض ، فليست المسالة افلاما تنتج وتوزع وتعرض وتشاهد ، ثم تتبخر من الاذهان لانها لا تلقى اذهانا متوقدة تتحدث عنها او ترفضها او تتقبلها او حتى تفهمها ، او تلهم دقائق صنعها . ويغرينى حسن النية فى هذا الحديث المخلص الغابة ، ان اشير بأسف ايضا الى ان مكتبة سينمائية جديرة بالذكر ، لا توجد فى اية جهة سينمائية ، بل اكاد ازعم أن الجديد المتتابع من ثمار العقول السينمائية فى الخارج ، ينقص مالقد يكون موجودا من مكتبات ، بل اكاد افتقدان هذه المكتبات ــ والموجود منها بل شحيح قديم ــ لم تجديدا تمتد اليها سحب منها كتابا واحدا .. ربما منذ سنوات !

ومع هذا فهل نحن نقرأء فيمن يملكون ان يسدوا هذه الفجوات الثقافية البارزة بعلمهم وثقافتهم ؟ . لا ... انهم كثير ،!

ومع هذا لا املك التخلص من همسات ملحة على سمعى ، ببيت الشعر القديم :
انى لافتح عينى حين افتحهـــا

على كثير ولكن لا ارى احــدا !

صور من أيام زمان

طب الركة

● مصطفى الشهابي ●

● شهد القرن العشرون طفرات واسعة فى عالم الطب مما دعا الى تقسيمه الى تخصصات عديدة كالطب الوقائى ، والطب الاجتماعى ، والطب المهنى ، والطب الرياضى ، والطب النفسى وغيره ..

غير انه كان هناك نوع من الطب ، لم يسمع عنه اغلب المعاصرين الا وهو « طب الركة » ، الذى ساد وانتشر وخاصة بين العوام ، حتى اوائل القرن الحالى .

و « الركة » هى قطعة خشب كانت النساء العجائز فى الريف يستعملنها لتنفيض الكتان من الاوراد الغريبة ، بينما يتحدثن عن الوصفات العلاجية التى سمعن بها او التى جربتها احداهن ومن هنا نسبة هذه الوصفات « الركة » .

و « الركة » او الركالة ، لغة ، هى قلة العلم والعقل ،.. يقال رك عقله اى نقص وضعف ، وربما كانت النسبة لهذا المعنى ..

وقد ساعد على انتشار طب « الركة » بين الجماهير ايام زمان الخوف من العلاج بالمستشفى الحكومى الذى كانوا يطلقون عليه اسم « الاشلا » وربما كانت كراهية عامة الناس وقتذاك المستشفيات ترجع الى سوء معاملة المرضى من جهة ولان اغلب المستشفيات كانت تقتصر على جرحى الجنود والمعارك ، ولذلك كان من مفهوم « الاشلا » إيضا الدماء والجروح وما الى ذلك ..

وسائل معرفة اسباب الامراض

كان المرضى فى تلك الايام يلجأون فى معرفة إسباب كثير من الأمراض الى الوسائل الاتية :

اولا : « قياس الاثر » .. وكان يحتكر هذه المهمة بعض المشايخ فى القرى والمدن ، فاذا اصيب اى فرد بمرض ما ، ارسل اهله للفقيه اثره ، اى قطعة من ملابسه ، كمنديل او قميص وبداخله بعض النقود .. فحينما يتسلم الفقيه الاثر يتلو بعض ادعية ، ثم يقبض على الاثر بيديه ، تاركا بينهما مسافة يقيسها باصابعه ، ثم ياخذ بعد ذلك فى التعزيم والتمتمة ، واضعا الاثر قريبا من فمه ، ثم يعيد القياس واخيرا يخبر الرسول ، حامل الاثر ، ان الاثر قد زاد ، وان تلك دلالة على قرب الشفاء وطول العمر ، وغالبا ما يطلب الرسول من الفقيه عمل حجاب .

***

ثانيا : « فتح الكتاب » ..

وكان يقوم به افراد يدعون انهم مغاربة ، واعتادوا ان يطوفوا فى القرى منادين « المغربى نجاب ، يفتح الكتاب » وكان علاجهم للمرضى بكتابة احجبة او عمل رقوة وبخور ..

ثالثا : « ضرب الودع » ..

كانت تقوم به الغجريات ولعلهن لازلن حتى اليوم ، وقد شاهدهم اغلب الناس فى بعض الافلام السينمائية وكن فى الماضى يعالجن المرضى احيانا بالبخور والرقوة ..

رابعا : « ضرب الرمل » .

وكان المشتغلون به من المغاربة والافريقيين يجلسون على نواصي الطرق عادة ، وامام الواحد منهم منديل به رمل أصفر . وكان ضارب الرمل يخط على الرمل خطوطا باصبعه بعد أن يرمى القاصد اليه نقودا يسمونها « بياضا » وجرت العادة أن يطمئن كل قاصد بتحقيق امانيه

اشهر الطرق

وكانت اشهر طرق الوقاية والعلاج هى : التمائم ، والاحجبة ، والبخور والرقوة ، وزيارة مساجد معينة او اماكن خاصة ، فضلا عن الوصفات الغريبة .

أ — التمائم ..

ولما كان الحسد فى نظر الكثيرين اهم اسباب المرض وخاصة بين الاطفال لذلك كانت تعلق فى شعر الطفل ، وفوق جبهته « فاسوخة » او خرزات زرقاء .. وكان من الشائع استعمال الـ « خمسة وخميسة » وهى على شكل كف يد صغير له خمسة اصابع ، وتصنع عادة من عاج او فضة او نحاس ، ولا يزال بعض اصحاب السيارات يعلقونها على الزجاج الخلفى للسيارة .

ب — الاحجبة .. !

كان الحجاب يعلق فى الرقبة ويصنع غالبا من الجلد الاحمر ، وتوضع داخله ورقة عليها آية قرآنية مكتوبة بحبر احمر او اخضر ، غير ان معظم الاحجبة كانت تكتب فيها اسماء غريبة مثل دهنش ، مهراش ، اهوج او مربعات فيها حروف وارقام لامعنى لها ..

وفى « السبوع » كان يعمل للمولود حجاب من قماش به بعض انواع من الحبوب وخاصة الفول وكان البعض يتحجب بالمصحف الشريف ولذلك صدرت « ولا تزال » طبعات صغيرة جدا ليوضع فى الجيب .. وبعض الاغنياء يضعه فى علبة صغيرة من الفضة او الذهب للتبرك .

ويطلق على الحجاب ايضا « الحرز » للاحتراز من الجن والحسد .

ج — البخور والرقوة ..

وكان البخور هو الوسيلة الشائعة لدفع المرض الذى يظن انه تسبب من الحسد ، فاذا اصيب احدهم بمرض وخيل له او لاهله ان ذلك بسبب حسد حاسد ، قامت من ستتولى الرقوة « وهى غالبا امراة » بايقاد الجمر ، ثم تتلو الفاتحة وسورتى الفلق والناس ، والاولى فيها استعاذة من « شر حاسد اذا حسد » — ثم تضع قطعة شبة فى حجم البندقة على الجمر فتسيح وتفور وتعلوها الفقاقيع ثم تخمد حركتها ، وحينئذ تضع شيئا من البخور على النار وتطلب من المريض ان يخطو فوق النار سبع مرات ، بينما هى تردد ادعية او رقى . ثم تخرج قطعة الشب من النار وتعرضها على المريض والحاضرين موهمة اياهم انها قد تجسمت على شكل الحاسد .. واخيرا تفقأ ما تزعم انه عينا الحاسد !

ولا يزال البخور شائعا حتى اليوم وخاصة لدى بعض اصحاب المحلات التجارية ويكاد « المبخراتى » يكون فى بعضها من الرواد المنتظمين وله راتب شهرى او اسبوعى .

وللبخور مواسم اهمها العشرة الايام الاولى من المحرم ، وخاصة يوم عاشوراء وفيها يطوف باعة البخور بانواع مختلفة منه .

وللرقوة صيغ كثيرة ، لكل منها مناسبتها .

د — زيارة اماكن خاصة :

وكانت ، ولم تزل ، زيارة بعض المساجد والكنائس والاضرحة والقديسين او بئر يوسف بالقلعة ، كفيلة بازالة العقم او الشفاء من امراض معينة ، كما كان تعليق خرقة على باب المتولى « زويلة » او شجرة العذراء بالمطرية وغيرها ، له نفس التاثير فى اعتقاد العوام .

هـ — وصفات غريبة ..

وكان المشعوذون والدجالون يلجأون عادة الى وصف اشياء ليس من السهل الحصول عليها ، ومن هنا

يتجلى ذكاؤهم اذ كلما كانت الوصفة معقدة وصعبة المنال ، كلما توهم المريض وآله انها هي الدواء الشافي ، وهي في نظر الجهلاء من وحي الجن حقيقة

علاج بعض الامراض

والى القارىء نماذج من وسائل علاج بعض الامراض لدى اطباء « الركة » :

العقم : كان اشهر علاج له هو ان تخطو العقيم فوق جثة قتيل .. .. ولذلك كانت مشرحة القصر العيني مقصد العقيمات .. واستعملت كذلك قطع من حبال المشانق لهذا الغرض لا تتجاوز ربع متر ، كانت تدفع العاقر مقابلها بضعة جنيهات احيانا !

الوقاية من العقم : وذلك باستعمال « حجر الكباس » يحكونه في اناء به ماء ثم يدهنون به جسم الوالدة منعا للكبسة . وحجر الكباس نوع من الزلط اذا حك في الماء تحللت منه مادة بيضاء !

موت الاطفال :

وكانت المراة التي يموت اطفالها صغارا تسمى « التموقة » وللابقاء على المولود كان الزوج وزوجته يقفان بعد اتمام الولادة امام العجوز التي اشتهرت بمزاولة هذه العملية ، بينما العجوز تقوم بذبح ديك اسود الريش ، ثم تنتف ريشه وتخرج احشاءه ، ثم تضع الريش والاحشاء مع خلاص الزوجة في لفة قماش وتدفنها تحت عتبة القاعة « الحجرة » التي ينام فيها الزوجان ، على ان تبقى في مكانها سبعة ايام ولا ترفع الا يوم « السبوع » بشرط عدم تمكين اية قطة او كلب من شمها ! ..

وغني عن البيان ان العجوز تظفر بالديك وباجر طيب ، فاذا عاش الطفل تكررت العملية عند ولادة طفل ثان وباجر مضاعف طبعا ، واذا مات الطفل فللعجوز حجتها ، لقد شم الدفينة كلب او قطة !

الحمى : اطلقوا عليها اسم « المشومة »

وكانت العجوز المعالجة لديها غالبا ما يسمى « عظام الكاف » ، وهو عظم من عظام مشط قدم ، فاذا لم يكن لديها طلب قالب طوب من قبر لم يدفن فيه احد منذ زمن لا يقل عن عام ، على ان يتم احضاره في ليلة الجمعة قبل اذان الفجر . وتوضع العظمة او القالب تحت راس المريض لمدة اسبوع .

النزلة المعوية : استعملوا لعلاجها « التقريفة » وهي ارغام المريض على الحمية القاسية فلا ياكل الا قليلا من الخبز والملح والفلفل الاسود مرة واحدة بعد الظهر ، وفي كل صباح تقوم العجوز المعالجة بالضغط على صدره وبطنه بشدة ، ثم تلف حول رقبته قطعة قماش حتى يكاد يختنق .. وبعد تكرار هذه العملية لمدة اسبوع يعطى المريض نصف ليمونة مغموسة في مخلوط من رماد الفرن والملح والفلفل الاسود لمدة اسبوع كل صباح على الريق .

الامراض العصبية والنفسية : عرف الزار بانه العلاج الوحيد لها ، ويضيق المقام عن الحديث عنه ، ولدى اغلب القراء فكرة عنه

وكانوا يستعملون « طاسة الخضة » وهي طاسة من نحاس منقوش عليها رسوم طيور وبعض نقوش اخرى وكتابات مبهمة ، يوضع فيها ماء ثم تحك بقعرها احجار ذات لون اخضر واحمر ، ثم تعرض للندى في مكان مكشوف اثناء الليل وفي الصباح وعند طلوع الشمس ، يشرب المريض هذا الماء .

بطحة الشمس: وهي احتقان الدماغ بتاثير اشعة الشمس ، وكانت تعالج بربط قطعة صوف طويلة حول الراس ثم تضييق اللفة بواسطة مفتاح بشترط ان يكون خشبيا أو حديديا ، لا يقل طوله عن شبر .. ويستمر لف المفتاح حتى يصرخ المريض من الالم ، وعندئذ يزعم المعالج ان عظام الراس التي كانت

مفككة ، قد ثبتت وترابطت !

الكوليرا .. روى المغفور له الاستاذ احمد امين فى كتابه « قاموس العادات والتعابير المصرية » ان البعض فى مصر عالجوا الكوليرا التى أصيب بها الناس مرارا بأشياء خرافية ، أشبه بعلاج الحمى وغيرها .. وذكر انه شاهد مرة من يصعد على سلم مزدوج فى الشارع ومعه مقص ، يقص به الهواء ، زاعما إنه يقص الميكروبات

حساب الجمل :

حساب الجمل هو التعبير من الحروف الابجدية ، « ابجد هوز ». فالالف تساوى واحدا والباء اثنين وهكذا .. وهو حساب قديم اخذه العرب من اليونان ، واستخدمه بعض العلماء الاوروبيين لتطبيق قوانين الرياضيات الاساسية . ولكن بعض الدجالين استعملوا هذا الحساب فى نواحى لا تمت للعلم بصلة .

ولعل اشهر الكتب العربية التى اقحمت حساب الجمل فى النواحى الصحية والاجتماعية هو كتاب « ابو معشر الفلكى » .

وقد استخدم هذا الكتاب حساب الجمل فى نواحى عدة يهمنا منها :

اولا — : اسباب المرض :

يقول ابو معشر : اذا اردت حساب المريض ومن اى شىء مرضه فاحسب اسمه واسم امه واسم اليوم الذى سئلت فيه ، واقسم المجموع على ٧ فان بقى واحد فمن الجن ، وان بقى ٢ فمن الهواء ، وان بقى ٣ فمن السحر ، وان بقى ٤ فمن العين وان بقى ٥ فمن الدم ، وان بقى ٦ فمن الصفراء ، وان لم يبق شىء فمن السوداء » !

ثانيا : معرفة نوع المولود :

ولمعرفة نوع المولود اهو ذكر ام انثى كانوا يتبعون حساب الجمل ايضا بان يحسب اسم الوالدة واسم امها واسم اليوم الذى يجرى فيه الحساب ثم يقسم المجموع على اربعة ، فان بقى واحد فذكر ، وان بقى اثنان فانثى وان بقى ثلاثة تسقط وان لم يبق شىء فلد توأمين ! ..

ثالثا : لوح الحياة ولوح الممات .

وبهذا الكتاب لوحان او جدولان ، بكل منهما خمسة عشر رقما مختلفا من ١ — ٣٠ فاذا اريد معرفة مستقبل المريض « على زعمه » فيحسب اسمه واسم امه واليوم الذى مرض فيه « او اليوم الذى يجرى فيه حساب الجمل » والاول اهم — ثم يضاف للمجموع ما مضى من ايام الشهر العربى ، ويقسم المجموع الكلى على ٣٠ ، ثم يكشف عن العدد الباقى فى لوح الحياة ، فان وجد به فان المريض سيبرأ ويحيا وبالعكس . ولكن القائم بذلك الحساب لم يكن ليجرؤ على مواجهة اهل المريض بتلك النتيجة المحزنة ! !

متحف لطب « الركة » فى انجلترا

وربما يتسرب الى ذهن القارىء ان مصر وحدها التى مرت بطب «الركة» ولكن الواقع ان الدول جميعا مرت بهذا النوع من الطب ..

وفى لندن يوجد « المتحف الطبى التاريخى » وهو يضم **معروضات عجيبة وطريفة كانت تستعمل فى القرون الماضية للعلاج من مختلف الامراض كعقود من الاسنان لتسهيل تسنين الاطفال ، وعقود من الخرز الزجاجى الملون لمنع البرد والزكام .. وقطع عظام بعض الحيوانات لعلاج النقرس والروماتيزم !**

اهم المراجع :

١ — طب الركة جزء اول لعبد الرحمن اسماعيل « ١٨٩٢ » والجزء الثانى طبع باسم مؤتمر المستشرقين العاشر فى جنيف ١٨٩٤ .

٢ — قاموس العادات والتقاليد المصرية لاحمد امين .

٣ — ابو معشر الفلكى

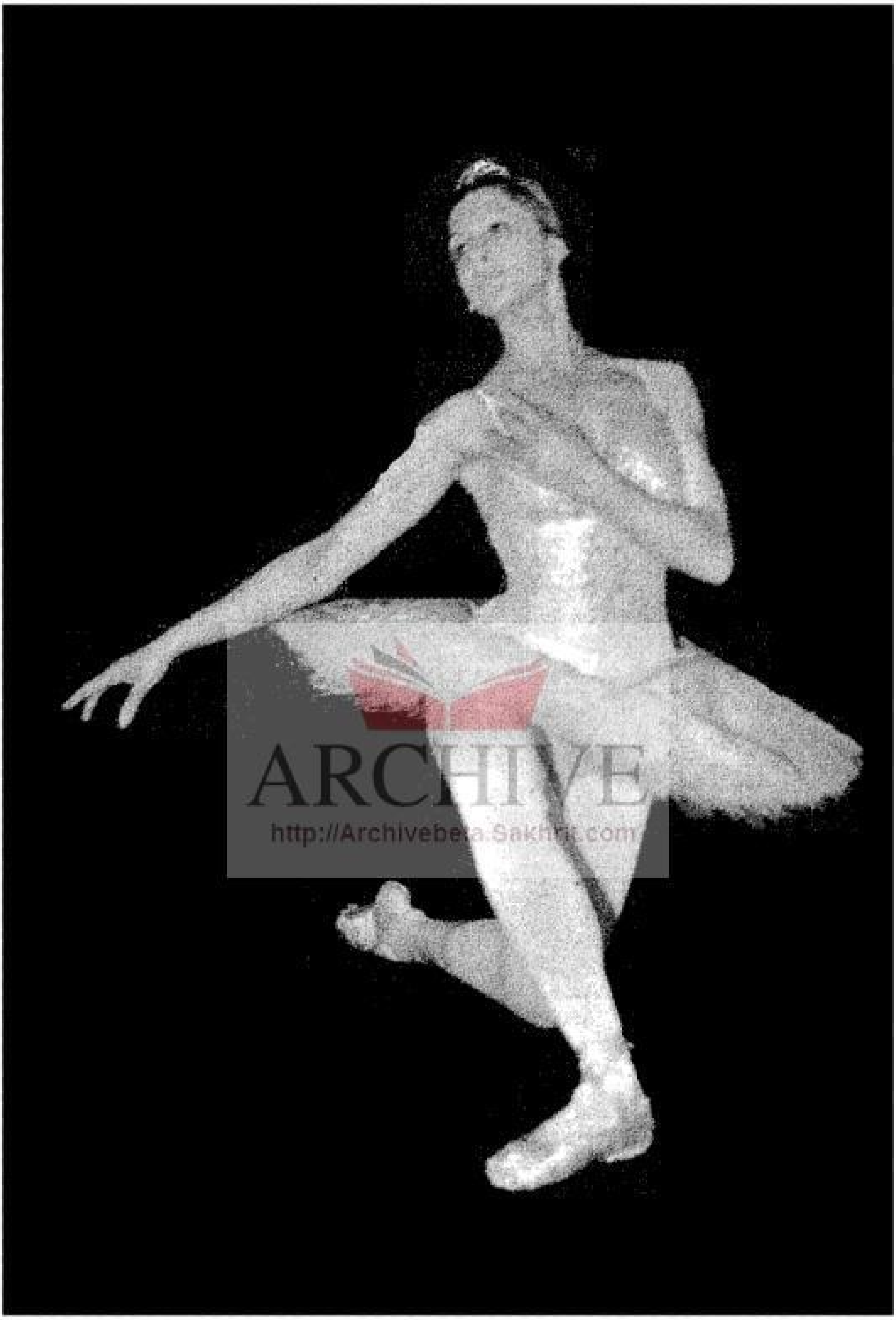
٤ — على هامش الطب لسليمان عزمى باشا .



الباليه

لون من الفن جميل يقوم على أصابع القدم

الباليه ارفع الفنون المسرحية واجملها يتلاشى شيئا فشيئا بسبب تكاليفه الباهظة ومطالبه المرهقة التى يفرضـــها عـلى راقصيه ، ثم ان التليفزيون يقضى شيئا فشيئا على الفنـــون المسرحية واحدا بعد الآخر .



الباليه

الباليت او الباليه بنطق اصبح زهرة جميلة من زهرات الحضارة الاوروبية . ولكنها غالية جدا ، لانها تتكلف كثيرا على المشتغلين برعايتها والعاملين فيها والذين يستمتعون بها ..

فان الصبي (او الصبية) الذى يريد ان يتخصص فى رقص الباليه لابد ان يبدأ من سن السادسة او السابعة على الاكثر ، ولابد ان يعمل فى الدراسة والتدريب اربع او خمس ساعات وهو صغير . وعندما يصل الى الرابعة عشرة تصبح ساعات الدراسة والتدريب نحو عشر ساعات فى اليوم .

والدراسة مضنية . فهى دراسة موسيقى وايقاع وخطوات رقصات والتدريب شاق جدا . فان رقص الباليه فيه عشرات الحركات . لكل حركة اسمها ومقياسها ، ولابد من التدرب عليها ساعات وأياما متوالية ..

ولابد من مراقبة الوزن والغذاء ، فان راقصة الباليه لا يمكن أن يزيد وزنها على ٤٥ كيلو جراما . وراقص الباليه لا يستطيع العمل اذا زاد وزنه عن ٥٠ كيلو .

وغذاء تلميذة الباليه وراقصته لابد ان يحسب بالجرام ، ولابد أن تكون فيه نسب محددة من البروتين والفيتامين والمعادن ، لان العظام والعضلات والاعصاب وليونة الحركة لابد ان تظل على نفس المستوى دائما .

واذا كانت الطالبة تريد ان تكون راقصة مفردة (سولو) فلابد لها من مذيه اخرى وتدريبات طويلة ، فاذا ارادت ان تكون راقصة اولى او باليرينا كانت المطالب اكثر واعسر فساعات التدريب لا يمكن أن تقل عن ست فى اليوم دون توقف ابدا ، ولابد لهذا من ان تنام الباليرينا ما بين ثمان وتسع ساعات فى اليوم . وعندما تستولى عليها العصبية ويعسر عليها النوم فانها تعجز عن القيام بالرقصات بالدقة والمهارة المطلوبتين ، ومن هنا فان قليلات جدا يستطعن ن يصلن الى درجة ، ولا يمكن ان تظل الباليرينا فى عملها الى ما بعد الثلاثين الا فى النادر ..

ومن كل مائة تلميذة تدخل معهد الباليت لا تصل الى درجة باليرينا الا واحدة . ولا تصل الى درجة راقصة سولو الا اثنتان او ثلاث . اما الباقى فيصبحن راقصات مجموعة . وأجر راقصة المجموعة زهيد جدا بالنسبة لتكاليف التعليم والتدريب والتغذية والفيتامينات وما اليها . وأى كاتبة ماكينة فى محل تجارى تتقاضى ضعف ما تتقاضاه راقصة المجموعة وتعمل ربع العمل . وليس لديها هموم أو متاعب .

ثم ان تكاليف فرقة الباليه عالية جدا لانها تتكون من اربعين راقصا وراقصة على الاقل . ولابد لها من اربعة مدربين ومدربات ومدير ادارى ومدير موسيقى . ولابد لها من مكان خاص للتدريب اليومى وهذا المكان لا يمكن ان يكون اى كلام . لابد ان يكون مكانا معدا اعدادا خاصا لاعمال الباليه .

ولابد لفرقة الباليه من مسرح ، فى الغالب هو مسرح الاوبرا ، ولكن مسرح الاوبرا لابد أن يعد اعدادا خاصا لفرقة



الباليه تدريب طويل ووقت وحرمان ، لان راقص الباليه او راقصته لا يصلان الى القدرة على القيام بالحركات التى تراها هنا الا بعد سنوات من التدريب اليومى الشاق والمحافظة على الوزن بالاقتصار على حد ادنى من الطعام .





الباليه

راقصات الباليه في فرقة مسرح الاوبرا في ميونيخ يعقدن ربطة احذيتهن . ان راقصة الباليه تستهلك في الليلة الواحدة ثلاثة ازواج من الاحذية ثمن كل منها عشرة جنيهات لانها تصنع من القطن والستان . ان الباليه فن مكلف جدا وبطالته كثيرة وهو يفترض في العاملين فيه جهدا شاقا لا يتحمله الا المتحمسون والمتحمسات من الشبان والشابات ، ولكنه فن جميل جدا بل هو اجمل الفنون المسرحية .



يظن الناس ان افراد المجموعة في فرقة رقص الباليه يؤدون ادوارا ثانوية ، وان عملهم لا يحتاج الى ذلك القدر من التدريب الذي يحتاجه الراقص المفرد ، ولكن الحقيقة ان عمل المجموعة لا يقل اهمية عن عمل الراقص المفرد او البالارينا فهو تدريب شاق

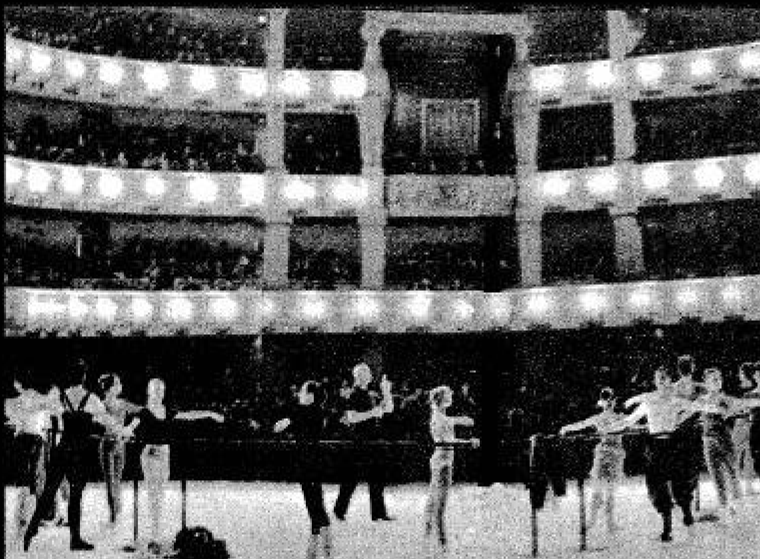




مجهد وعمل يحتاج الى دقة فى ضبط الحركة واحكامها على حركات المجموع ، وهذه الصور التى نراها تخفى وراءها الاما طويلة وتضحيات بلا حدود .



الباليه



فرقة الباليه في أوبرا ميونيخ تقوم بالتدريبات النهائية لاحدى السهرات . في هذه الحالات يضيء كل أنوار قاعة المسرح حتى تبدو الموجودات تحت الأضواء الكاملة وكأن المسرح غاصا بالمشاهدين .. ويد المخرج تدير حركة المجموعة بعد أن قسمها الى قطع . كي تنفذ التخريج في مشهد . وفي الركن الأيسر الأفراد يستريحون بين فترات التدريب .

الباليه لان الراقصات مناظر وحركات واضواء وموسيقى .

من هنا كان رقص الباليه أكثر الاعمال صعوبة وتكاليف ومنها عائدا . لان أجر الدخول لمشاهدة الباليه مرتفع ، والقليلون هم الذين يستطيعون دفع ذلك الاجر .

ولهذا كله فان الباليه يتلاشى شيئا فشيئا ، وليس في أوروبا كلها اليوم الا نحو عشر مدن فيها فرق باليه من بينها لندن وباريس وبرلين وروما وستوجارت وميونيخ وموسكو وليننجراد وميلان .

وليس أصل الباليه من غرب أوروبا . انما أصله من روسيا . والروس هم الذين ابتكروه وطوروه ووضعوا قواعده الاولى .

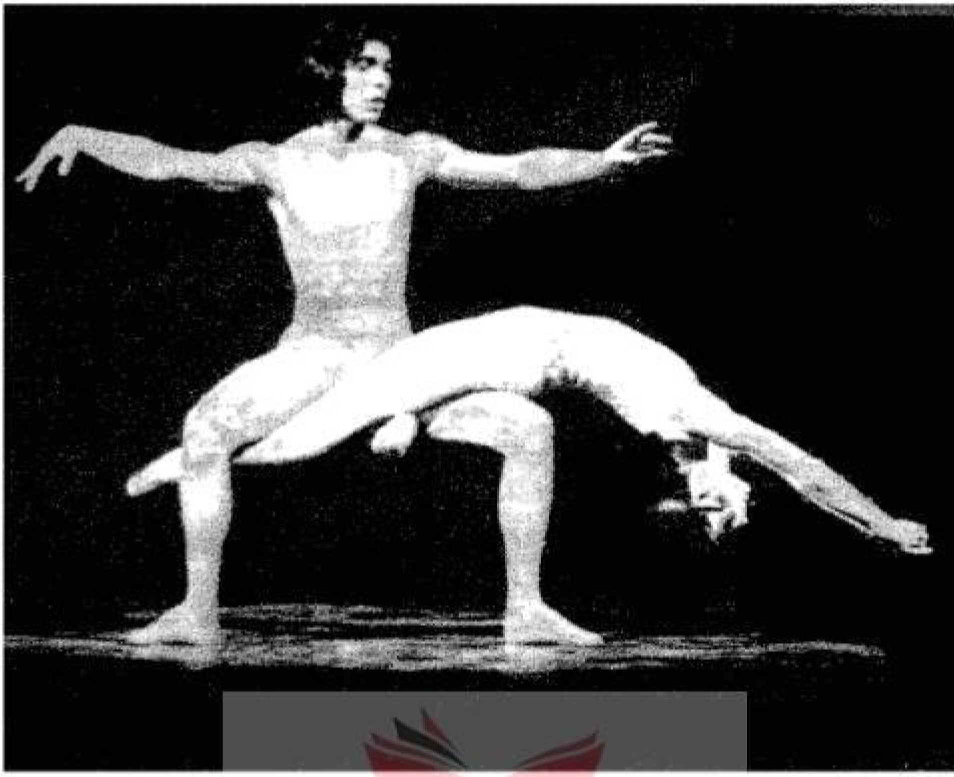
وقد تفرع عن فرق رقص القوازق . وهو رقص عنيف كله حركة وجهد ووقع موسيقى عنيف ، وراقص القوازق ينبغي أن يبدأ من سن صغيرة ويتدرج في الترقي حتى يصبح راقصا مفردا . وكان من عادة القوازق ، وكلهم مقاتلون ان يحيوا ليلهم البارد الطويل بذلك الرقص العنيف . ويشربوا معه الفودكا ولكل فرقة من محاربي القوازق فرقة رقص خاصة بها .

وكان الرقص مقتصرا أول الامر على الرجال . ثم أصبحت فرق رقص القوازق أصبحت تدعو فتيات ليرقصن مع الرجال . وشيئا فشيئا أصبحت الفرق مختلطة ، وظهرت راقصات مفردات وباليرينات الى جانب الراقصين المفردين والراقص الاول للفرقة .

ومن رقص القوازق العنيف هذا جاء رقص الباليه .

لا يصل الراقص او الراقصة الى اتقان مثل هذه الحركة الا بعد سنوات من التدريب الشاق ، لان المطلوب هنا اتقان عشرات الاشياء الصغيرة من السيطرة على القيام بالحركة المعينة والتنسيق مع الزميل الذى ترقص معه ، ثم لابد ان يكون المنظر العام متناسقا جميلا .





تعتبر هذه الحركة من أصعب حركات الباليه ، فهى ليست رقصا فقط وانما رقص ورياضة وتربية عضلات خاصة فى الجسم كله ، ثم ان اقل خطأ فى التنفيذ يمكن ان يؤدى الى عواقب وخيمة .

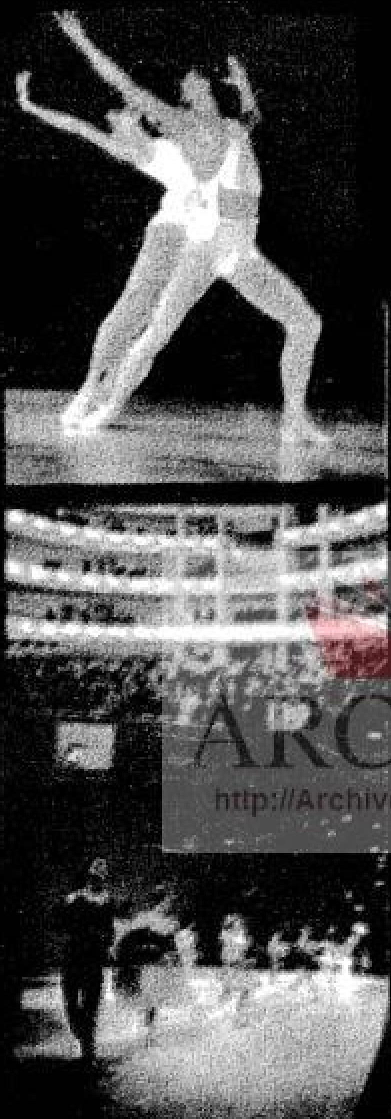
فان الموسيقيين الروس فى القرن التاسع عشر بدأوا يصنعون فنا خاصة للرقص ليدخلونها فى الاوبرات . وظهر رجال اخذوا يصنعون رقصات رقيقة للبنات ، واشتهرت بذلك مسارح لينينجراد .

وكانت الصلات وثيقة اذ ذاك بين أهل الفن فى روسيا وأهل الفن فى باريس . وكانت باريس الى قيام الثورة الشيوعية فى اكتوبر ١٩١٧ مقصد رجال الفن والفكر فى روسيا ، وكانت اللغة الفرنسية واسعة الانتشار بين المثقفين فى فرنسا .وحدث أن مخرجا من مخرجى مسرح الاوبرا كوتيك فى باريس زار لينينجراد واتصل برجال الفن هناك . وبدأ التفكير فى تطوير الرقص الروسى . ومن هنا ولد فن الباليه كما نعرفه .

وتقدم نبيل فرنسى من هواة الفنون وانشأ أول معهد وفرقة للباليه ، وكانت فرنسية روسية مشتركة ، وأصبحت باريس مركزا ثانيا للباليه . ثم اهتم بهذا الفن الجديد مركيز فرنسى ووقف أمواله على الباليه . فتطور ذلك الفن سريعا . وفى أوائل هذا القرن ظهرت أولى فرق فن الباليه . وظهرت كذلك أولى الباليرينات والراقصات المفردات .وشيئا فشيئا أصبح الباليه صيحة العصر فى الفن . وظهر راقصون ممتازون من أمثال سيرج ليفار ، وأمه روسية ، وأنشأ معهد الباليه فى باريس . وهذا المعهد هو الذى وضع أسس ذلك الرقص كما نراه اليوم .

وفيما بين الحربين العالميتين اتسع نطاق الباليه فأصبحت له الفرق والمعاهد

الباليه



يشكو فن الباليه اليوم من قلة اقبال الشبان والشابات على تعلمه بسبب المجهود الشاق الذى يتطلبه وندرة فرص النجاح وقصر عمر الراقص والراقصة فى العمل .

أ ـ

راقص وراقصة فى أوبرا ميونيخ . البنت تسمى آن مارى دى انجلوا وهى امريكية والشاب يسمى دانى رادو جينيك وهو استرالى . ان الشباب الالمانى لا يقبل على تعلم ذلك الفن الذى لا مستقبل له . المشهد هنا لرقصة تارنتيلا .

ب ـ

مشهد من رقصات باليه روميو وجوليت . تصور فترة التدريب الطويلة التى لابد ان يمر بها هذا الشاب وتلك الشابة حتى يستطيعا القيام بهذه الحركات .

جـ ـ

نهاية البرنامج ، بعد الجهد الشاق فى التدريب والتمثيل تقف الراقصات المعروفات امام الجمهور لتلقى اعجاب الجمهور بالتصفيق قبل أن يهبط الستار الاخير . تلك هى أعظم لحظة فى حياة الفنان .





اهم ما يحرص عليه راقص الباليه هو التسامي بالمشهد الذي يقوم به عن كل ما يوحي بأي فكرة مادية ، فالهدف الرئيسي من الباليه كله تصوير الحركة والحياة بعيدا عن معاني المادة والغرائز ، ولهذا تجد ان ملامح الراقصين والراقصات تتخذ هيئات بعيدة جدا عن كل عاطفة مألوفة .



انك تتصـــور ان الراقصة هنا تحاول اظهار شيء من بدنها ، وهذا بعيد جدا عن روح الباليه ، فان جهد الراقصة كله مركز الى دقة الحركة ورشـــاقتها ، وهى لا تفكر فى نفسها او فى المتفرجين ، انها تفكر فى الحركة التى تقوم بها .





ميلاد راقصة باليه : جيجي هيات فتاة المانية ظهرت عليها مواهب الابداع في الباليه في الركن الاعلى تراها تربط حذاءها ، وفي الصورة الكبيرة ترى مدربة الفرقه كونستانزا فيرون تحتضن النجمة الوليدة

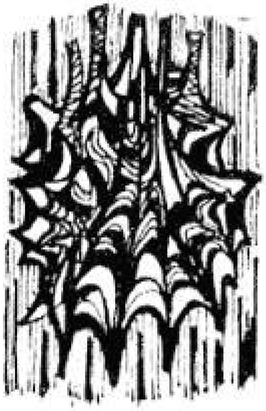
في كل بلاد أوروبا وأمريكا وظهرت البالرينات المشهورات • واصبح تعلم رقص الباليه بدعه اقبلت عليها الفتيات لا لكي يكن راقصات ، بل أصبح ذلك وسيلة للمحافظة على رشاقة القوام وجمال الحركات ، وحتى هنا في القاهرة نجد معاهد كثيرة للباليه ليس هدفها الاساسى اخراج راقصات باليه وانما تعليم صغار البنات الرشاقة وخفة الحركة والمحافظة على قوامهن ، ولا تخلو مدرسة بنات ثانوية من فرقة باليه •

ولكن الباليه كما يعرفونه في أوروبا لا يمكن أن يزدهر في بلادنا ، اذ لابد له من مسارح خاصة وفرق موسيقية خاصة به تعزف قطع تشايكوفسكى ورحمانينوف وسترافنسكي ومن اليهم • واذا كانت كبار العواصم الاوروبية تشكو من انها لا تستطيع تحمل نفقات فرق الباليه ، فكيف يكون الحال معنا ؟ ان الروس وحدهم اليوم هم الذين يحافظون على قواعد الباليه وتقاليده ، لان الدولة هناك تتبنى ذلك الفن ، وفرقة البولشوى تعد أعظم فرق الباليه في الدنيا ، وفيها يتخرج أعاظم الراقصين والراقصات • ويحدث كثيرا ان كبار الراقصين والراقصات الروس يتخلفون في عواصم الولايات المتحدة وأوروبا ويطلبون اللجوء السياسى ، ويحصلون عليه كما فعل نورييف وغيره • ويبدو ان الروس لا يهتمون في النهاية ، لان ذلك يجعل لهم فيادة عدا أكثر في الدنيا ، ونورييف اليوم أكبر راقص باليه في العالم •

انه فن جميل حقا ، ولكنه فن مكلف ولابد له من تقاليد طويلة وجمهور عريض ونفقات باهظة • ومشكلته الكبرى كما قلنا هو ان الشاب (او الشابة) الذى يتخصص فيه لا يضمن مستقبله ، وواحد في الالف يصل الى شيء ، والقليلون يصبحون راقصين في المجموعة والباقى لا يجدون عملا • ثم ان عمر راقص الباليه مهما طال فلن يتخطى سن الثلاثين في العمل ، وكان هناك في المانيا راقص باليه مشهور يسمى هانز بوسل أحالوه الى المعاش في سن الثامنة والعشرين فانتحر •

● د • ح • م ●

أطياف



• محمد علي عبد العال

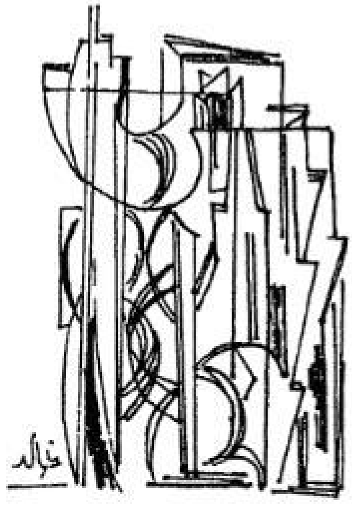
ما زلت اذكر ، ما حييت ، حديثنا ..
ووعودنا !
هل تذكرين مشاعلا في ليلنا
ونهارنا ؟!
هل تذكرين ملمسا بعيوننا ...
وخدودنا .
هل تذكرين تاوها في صمتنا
من وجدنا !
هل تذكرين ؟ .. لسوف اذكره انا
وحدي انا !

●●●

وعدت ستكتب ما تشاهده لنا ..
ما جاءنا ! ..
ما عذرها بعد الرجوع لعهدنا ..
ولحبنا !
ما عادت الآمال يغمرها السنا !
في حبنا ..
هل تذكرين .. لسوف اذكره انا .
وحدي انا !!

قصة

المسألة المهمة



● محمد الجمل ●

حضر للاثنين الى منزله حسب الموعد ... رحب بهم ، بدا عليه انه قد استعد لهـذا اللقاء .

استهلك الضيوف دقائقهم الاولى فى تأمل الصالون الأنيق ومحتوياته ، اللوحة البديعة السجادة العجمى ، الفازات ، الايطالية ، الستائر المدنية .. الراديو جهاز التسجيل ـ فى حين دخل عليهم المضيف يحمل صينية انيقة عليها زجاجات المرطبات .

استوى المجلس بينما انهمك احدهم فى تقليب صفحات المجلد الذى حمله معه ، واستسلم الآخر لتداعيات عالمه الخاص ، ووضع ثالثهم ساقا على ساق والثالث جلست شكلا متميزا يوحى بانه مقصود الاهتمام وله مركز الصدارة .

اخرج المضيف من حافظته الفا لبينا ، واجندة فاخرة ، فكان ذلك ايذانا ببدء الاجتماع .. تجمعت النظرات فوق وجه الاستاذ غازى ـ ذلك الرجل المهم الذى يحتل مركز الصدارة فى انتظار ما يقول .

بجدية وصرامة قال :

ـ الحق ان المسألة التى اجتمعنا من اجلها .. غاية فى الاهمية !

ومضى يتكلم مجاهدا فى اجتذاب اهتمام الثلاثة بالصوت الوقور والنبرات الموحية والجمل السميكة والوقوف بحدة عند المقاطع التى يشعر بانها حساسة قاطعة المضيف :

ـ لا نستطيع أن نلم كل ما نقول .. حاول الا توسع فى الموضوع اكثر من اللازم .. فلنتفق على شئ فى المسألة بقدر ما يتسع الوقت ولا مانع من تعديل ما نتفق عليه فيما بعد .

ـ ولكن .. علينا أن نحيط بكل أبعاد الموضوع ولو جلسنا حتى الصباح .. المسألة تهمنا وتهم غيرنا ويمكننا أن نفوز بتصورات رائعة .

ـ ما الضرورة انا فى حاجة الى رؤوس الموضوعات لم يمكننا أن نضع تحتها ما نشاء .

ـ اننا هكذا لن نختلف عن غيرنا .

ـ لا تغرقنا فى التفاصيل !

ـ التفاصيل هى التى ستقودنا الى لب الموضوع وجه الضيف الشارد حديثه الى الاستاذ غازى فجاة :

ـ ما هى دراسات حضرتك ؟

ـ الا تعرف دراساتى ؟ الم نتعارف منذ زمن ؟

انتفض الشارد فجأة بقوله : آسف .. اقصد .. هل صدرت لك أبحاث ؟

ارجمه غازى بقوله :

ـ كان من المناسب ان تستعيد معلوماتك قبل أن نجتمع !

ضحك صاحب المجلد فجأة وهو يقف عند صفحة فى مجلده . قال :

ـ هل سمعتم بهذا التعبير من قبل . يا عريجير العنطور يا خليف .. يا مانقس فى نزهة فى الريف

ضحك الجميع ، فثارت بعض التعليقات ، قال الشارد للمضيف :

ـ هذه اللوحة رائعة .. كم ثمنها ؟

رد المضيف : غالية .. ولكنى استطعت الحصول عليها بثمن مناسب .

قال غازى : فلنعد الان الى المسألة المهمة .

قال الشارد للمضيف : هل استطيع ان احصل عليها بنفس الثمن ؟

ـ تستطيع .. سوف نرتب ذلك فيما بعد .

قال المضيف لغازى : عليك ان تختصر الموضوع ..

مشاغلنا كثيرة كما تعلم !

ـ ولكن الموضوع يحتاج الى صبر وتركيز

ـ نحن في زمن السرعة .. لا أحد يحتمل البطء والتركيز في التفاصيل !

ـ ولكنا نريد ان تقدم تصورا متكاملا لمن ستعرض عليهم المسألة .

ـ هم أكثر منا عجلة وانشغالا .

تدخل صاحب المجلد ليقول : هل قرأتم هذا « الانسان فلان معتكف في بيته منذ عام لاصدار ملحمته الجديدة » ..

اعانه الله .

ساله الشارد ؟ الا يقابل احدا

ـ يرفض مقابلة أحد .. واحيانا يرفض الطعام ، واحيانا يهيم وحده في الطرقات !

ابتسم الجميع . تناثرت بعض التعليقات . قطعها الشارد برجاء للمضيف : الا نسمع شيئا من هذا « الركوردر » الجميل ؟

اداره المضيف على موسيقى صاخبة . عاد الى مجلسه عندما بدا غازى يقول : سأبدأ الان في طرح الافتراضات الاساسية للموضوع .

قاطعه المضيف : ما هي مصادرك التي بنيت عليها افتراضاتك ؟

ـ مصادر قديمة وحديثة !

ـ هل ستقدم لنا رؤية جديدة ؟

ـ اتصور ذلك !

ـ هل انت واثق ؟

ـ احاول ، احاول بكل جدية ..

بدأ غازى يتكلم بعض الوقت ، يتمهل ، يتصبب العرق منه رغم المروحة . يحشد كلماته بالاصرار .. يجمع الحيثيات للاقناع .. الى ان قال الشارد فجأة للمضيف :

ـ هل اجد مثل هذه القفازات في سوق المدينة ؟

ـ يمكنك ان تجدها .. المهم ان تحصل على احسنها بثمن مناسب .

ـ ولكني احتاج الى خبرة بالسوق .

ـ يمكنني ان اعاونك .

قال غازى بحزم مهذب : لنبدأ الان في تناول الموضوع .

بدا يتكلم . يستعيد تركيزه واهتمامه . يندمج في الموضوع الى ان قال صاحب المجلد وعيناه تقلب احدى الصفحات :

ـ خبر هام . تنعى الصلحة بكل الاسى قرة عين ابن الاستاذ فلان تغمده الله برحمته الواسعة » .

قال المضيف : انى اعرفه .. كانت لى معه جولات وجولات . اين الايام .

ثم انطلق غازى يطرح مقدماته بلا استئذان هذه المرة ، في حين دخل ولدا المضيف فجأة واخذا يعبثان بالقفازات وطفاية السجاير . نهرهما الاب وطردهما من الصالون وعاد الى مجلسه منزعجا بعض الشيء . قال لغازى

ـ واصل الحديث .

ـ ماذا كتبت في اجندتك حتى الان ؟

ـ بضعة سطور هامة .

ـ المهم ان تعلق التفاصيل بذاكرتك . فهي عندى اهم من رؤوس الموضوعات .

ـ انتى الفن مهمتي .. لا تقلق .

واصل غازى طرح حيثياته عندما نادت زوجة المضيف عليه . استأذن في التغيب لحظات عن المجلس . اقترب الشارد من الراديو . اخذ يقلبه . يختبر مفاتيحه . في حين نهض غازى ليزيد من سرعة المروحة ، في الوقت الذى كان صاحب المجلد يقلب في الصفحات باحثا عن لقطات مثيرة جذابة . عاد المضيف مهموما مشغول الخاطر مبلبل الذهن

قال له الشارد : مهام عائلية ملحة ؟

ـ مهام لا تنتهى .

ثم قال المضيف لغازى :

ـ ماذا كنت تقول ؟

تهيا غازى لمواصلة الحديث :

ـ كنت اقول ان ..

قاطعه المضيف بقوله : اعتبر انك انتهيت من طرح افتراضاتك الاساسية وادخل في الموضوع .

ـ المقدمات في نظرى اهم من النتائج

تدخل الشارد فجأة وقد بدا عليه انه في لحظة وعى حادة . قال لغازى :

ـ هل تستطيع ان تجلب اهتمامنا بشكل ما ... الى ما يشغلك ؟

ـ احاول ، مجرد محاولة متواضعة .

ـ هل تستطيع ان تساعدنا على الاهتمام بما تقول؟

ـ ثق انى في غاية الجدية .. اطمئن !

السمت ملامح صاحب المجلد بالجدية فجأة وبدا عليه انه غارق باهتمام حقيقى بين سطور صفحة . اشار بيده اشارة صارمة وهو يقول :

ـ هل عرفتم بهذا ، سندباد عصرى يحاول اعادة اكتشاف العالم .

عم السكون لحظات . بدا ان الجميع يحاولون بصعوبة فهم ما وراء هذا الخبر قطع السكون صوت الشارد وهو يسال المضيف :

ـ هل استطيع ان التقى معك على يوم لشراء بعض الاشياء بثمن مناسب ؟

ـ تستطيع .. بكل تأكيد .

تهيا غازى لمواصلة حديثه عندما كان المضيف ينظر في ساعته وهو يقول :

ـ نستطيع ان نقول اننا انتهينا في هذا اللقاء من طرح المقدمات . على ان ندخل في الموضوع مباشرة في لقائنا القادم !

● محمد الجمل ●
الإسكندرية

شظايا حب ..

● فاطمة يوسف عبد المقصود ●

ضاعت منا كل الكلمات
وسمت أحلاما علويه !
وغدت امواجا ميتة ،
أشياء تدخل تدخل في التاريخ
بغير هويه ..
فاراك بعيني سرابا
لجميع الصور المرئية
وتراني انت ..
شظايا حب .. وبقايا لطقوس وثنيه
فاتوه بقلب عيونك .
ابحث عن وطن لي ـ عن جنسيه
عن نفسي .. عن حبي الضائع
في طرق العمر المنسيه !

•••

تطلب مني ...
أن أصبح عندك تمثالا ..
يمشي بهدوء ورويه !
أن أحرق عمري قربانا ..
لتعيش ليال ورديه !
والثورة تكمن في صدري
بركانا يرجو الحرية !
والملل يمزقني اربا
والقلب يتوق لاغنيه
لاتنسى أني انسان
لي مثلك روح وقضية !

واتفقنا على اسم الجماعة

● رفقى بدوى ●

فى الحجرة الصفيحية ، على سطح المنزل المرتفع ، كنا نجلس نحن الثلاثة ، فى صمت نبحث عن اسم لجماعتنا الجديدة ..

كانت الحجرة متسخة ، وكانت عيوننا زائغة وعقولنا تفكر بشكل جدى فى استخراج اسم لجماعتنا ، وكنا قد اتفقنا فيما بيننا على ان يصبح رئيسنا من يمنح الجماعة اعظم الاسماء.

مرت اللحظات صعبة ، وتناثرت من بين الافواه اسماء رفضناها جميعا ، الى ان صحت « جحيمكو ليمتد » .

كانت الذات معذبة ، وكانت جلودنا التى تحتوينا مرقعة ، بل ان الرقع قد ازدادت اكثر مما يجب .

الدخان الذى تصاعد من سجائرنا ، ومن افواهنا كان يستهوينا ، وكنا نستعذب رؤيتنا فى جحيمكو ليمتد » !

كان صاحبى « ع » لعينا وعنيدا ، وكان فكره المتوقد قد خانه . وارغم على قبول الاسم ، ثم بدأ يراوغ — ولماذا ليمتد ؟

— ان العالم كله فى جحيم .

— لكنا نحن الجحيم ذاته !

صاح الصديق « س » :

— اننا قد اتفقنا على اسم الجماعة ولكننا — حتى الان — نرفض عضويتنا جميعا لها الى ان يعرض كل منا جحيمه ثم تقبله عضوا او نرفضه ..

***

كان « ع » يحكى ناظرا الى السقف الصفيح ، وقائلا ان جحيمه لا يحكى ، وانما بداخله ، وهتف طالبا منا جميعا ان نضع ايدينا وعندما حاولت ذلك هتف محذرا « ستحترقون » .

— فابتعدنا .. كان « وابور الكيروسين » قد احرق « بنطلونه » دون ان يدرى ! !

***

ثم قال « س » ان جحيمه فى زيجاته السابقة ، وان كل نساء الارض خائنات ! .» . ومد لنا جزءا من جسمه قد اصيب بالشلل التام .. لنتلمس جحيمه ..

صمتوا كان الصمت طويلا وممتدا بامتداد ثلاث دقائق كانها الدهر وفجاة وفى نفس واحد قالوا : — وانت ؟

— انا ، لا اعرف ، ولكن جحيمى ، انى لا اعرف ، لقد حاولت كثيرا ان اكون لكنى لم اكن ، وحاولت الا اكون لكنى كنت بالشكل الذى لا اريد ان اكونه !

***

فى اقتراع سرى نزيه نجحنا جميعا اعضاء مؤسسين « لجحيمكو ليمتد » :

كان اجتماعنا الاسبوعى يوم الاربعاء ، فى الاربعاء الاول نظر بعضنا الى بعض ، كانت عيوننا عميقة الحزن وكريهة الحزن وبدانا نشعر بذواتنا تتفرد وتتباعد بعضها من بعض ..

قام « عين » اللعين والقى بالكيروسين على الباب ثم دخل ، جلس لحظة ثم قام ضاحكا ومشعلا الكبريت فى الباب مرددا ، « جحيمكو ليمتد ، ليمتد ، وظل هكذا يضحك والنار تتصاعد والدخان يخنقنا ، لكنه يضحك مرددا : ليمتد : ليمتد

الشاب الظريف

أحد كبار الشعراء في العصر المملوكي

● عبد العليم القباني ●

● بدأت معرفتي بشعر هذا الشاعر في نهاية الثلث الاول من هذا القرن عندما كان الناس يطربون لمجموعة من الاغاني الهابطة المعنى لفظا ولحنا. ونجأة - وعلى غير العادة - استمعت لمطرب يغني قصيدة رقيقة التعبير رشيقة الكلمات تقول مطلعها :

لاتخف ما فعلت بك الاشواق واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى في حمله ، فالعاشقون رفاق !

وتساءلت عن صاحب هذه الكلمات الجميلة نقيل لي انه «الشاب الظريف» وهي تسمية غريبة على سمعي وتتلذ، وقالوا انه كان شاعرا مجيدا عاش القرن السابع الهجري من سنة ٦٦١ حتى ٦٨٨ .

ثم استمعت بعد ذلك الى المنشد « الشيخ علي محمود » . وهو ينشد قصيدة اخرى من شعر هذا الشاعر لها ما لسابقتها من الرقة والجمال يقول في مطلعها :

لي من هواك بعيده وقريبه ولك الجمال بديعه وغريبه !
يا من اعيد جماله بجلاله حذرا عليه من العيون تصيبه !
ان لم تكن عيني ، فانك نورها او لم يكن قلبي فانت حبيبه !

ولقد كان المرحوم المنشد الشيخ علي محمود كفيفا ولهذا حركت الشطرة الاولى من البيت الثالث احساسا بمأساته فكان يصل الى قمة الابداع الغنائي وهو يؤدي « ان لم تكن عيني فانك نورها » عدة مرات ، يبدع في كل مرة منها ابداعا جديدا ، في حين كانت دموع المستمعين اليه تتدفق شجنا وطربا . .

***

عندما اطلت السنة الواحدة والستين بعد الستمائة من التقويم الهجري ، وفد الى القاهرة رجل في الخمسين من عمره بعد ان طاف بعدد من البلاد ، وراح يدعو الى اتجاه في التصوف ، غريب لا تعرفه العامة في مصر ، معقد لا يتفق مع ما اعتاده الناس من بساطة ويسر .

كان الرجل هو الشيخ سليمان بن علي المعروف بعفيف الدين التلمساني، وعندما جاء الى القاهرة ونزل « بخانقاه سعيد السعداء » عند صديقه شيخها « شمس الدين الاربلي » ، وفي ذلك العام انجب طفله شاعرنا الشاب الظريف « محمد شمس الدين » موضوع هذا الحديث.



عاش « الشاب الظريف » حياته الاولى موزع الفكر والاحساس بين بيئة ابيه هذه وبين جماعات المصريين الذين اشتهروا بالرقة وخفة الروح تسرى احيانا بعض التعابير الدينية والكلمات التى تشى بحب مصر فى شعره من مثل قوله:

بحق هذى الاعين الساحره ... وحسن هذى الوجنة الزاهره
خف فى الهوى الله يا قاتلى ... فاليوم دنيا وغدا اخره ...
قلبى « مصر » لك مابالـه ... قد ذاب من اخلاقك القاهرة

***

عاش « الشاب الظريف » فى مصر محبوبا بين جماعة من المعجبين به ، ومن ثم اطلقوا عليه هذا اللقب « الشاب الظريف » الذى اصبح علما عليه .

ولقد حاول فى بعض المرات ان يعطى قصائده الغزلية الطابع الذى تفتتح به الرسائل الموجهة الى السلاطين فكان لهعدد من القصائد الرائعة التى نختار منها هذه المقطوعة :

اعز الله انصار العيون ... وخلد ملك هاتيك الجفون
وابقى دولة الاعطاف فينا ... وان جارت على القلب الطعين
حملت تسهدى والشيب هذا ... على راسى وذاك على عيونى

كذلك اشتغل بالتورية فبرع فيها كقوله :

لو لم تكن ابنة العنقود فى فمه ... ماكان فى خده القانى ابو لهب
تبت يدا عاذلى فيه فوجنته ... حمالة الورد ، لا حمالة الحطب!

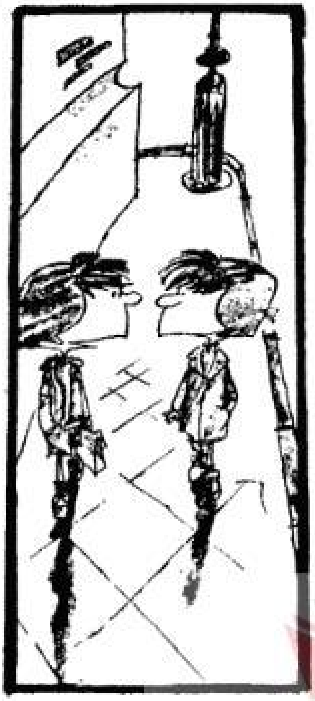
وانتقل والده الى دمشق وظل ابنه فى مصر ودارت بينهما بعض المراسلات الشعرية .

ثم لحق الشاب الظريف بابيه وهناك اراد الله له أن يموت شابا حتى تظل الصفة التى خلعها الناس عليه باقية الى الابد .. ومن ثم توفى بدمشق سنة ٦٨٨ هجرية غير متجاوز الثامنة والعشرين ربيعا ، وقد رثاه والده بعدد من القصائد نختار من واحدة منها هذه الابيات :

ياثار قلبى .. واين قلبى ؟ او ... يا كبدى لو يكون لى كبد
اين البنان التى اذا كتبت ... ومابين الناس خطها سجدوا
مافقدتك الاخوان يا ولدى ... وانما شمس انسهم فقدوا
يا ليتنى لم اكن اباك او ... ياليت ما كنت انت لى ولد !

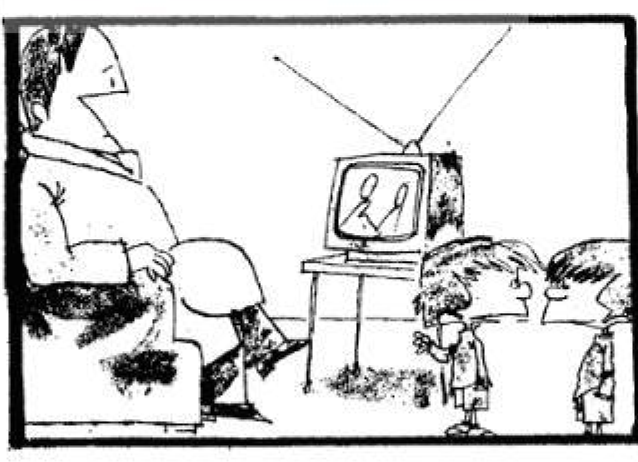
كاريكاتير

جيل جديد جدا !



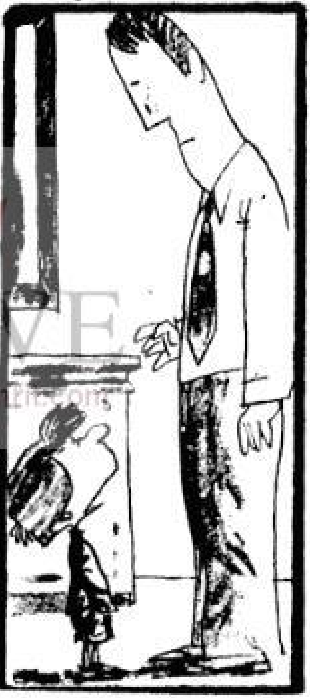
الولد لصاحبه : الصور .. في بيتنا بيقولوا الي لازم الجنت والا جري ل حاجه ... ليه ؟ علشان ياسيدي بقى ل ٦ ايام لا قطعت حاجه ولا كسرت حاجه ! ..

الولد لصاحبه : يظهر ان الكبار كلهم كده زي بابا ... برنامجه المحبوب المفضل هو برنامج الاطفال !





الولد لامه : سيبه يروح مطرح مايروح ... مادام قال يا انا يا هو فى البيت ، يبقى هو اللى يخرج .. هو كبير ويعرف يتصرف ، وانا الصغير بقى الافضل فى البيت !



الولد لابيه : وليه بس يا ابنى تستنى لغاية ماأكبر ، واكلمك راجل لراجل ... ماتبتدى من دلوقت احسن !



الولد لبائع الجرائد : انا عندى رواية عظيمة مدهشة ... ممكن تشوف لى ناشر كويس علشان ابقى غنى واشترى منك مجلات كتير !؟



عن الملاحة والجمال في الأدب العربي القديم

● د . عبد العزيز جادو ●

لقد كان – ولا يزال – لكل من البيض والصفر والحمر والسمر والسود من النساء – عشاق مغرمون. وكان لكل من هؤلاء المغرمين اشعار غزل قالوها فيمن كانوا يعشقون ... وكانوا يختلفون في ترجيح لون البياض على غيره . وكثير هم الذين يعتقدون اعتقاد الشاعر الذي قال :

شهد المؤمل يوم يلقى ربه ... ان البياض طراز كل جمال !

بيد اننا نرى في الادب العربي اقوالا وآراء لا تعد ولا تحصى في ترجيح السمرة تارة ، والسواد تارة ، والصفار تارة . ونورد فيما يلي بعض هذه الاقوال :

● البياض ●

يكون البياض آية الملاحة والجمال اذا مازجته الصفرة والحمرة ... قال أبو الفرج الأصفهاني في كتابه « النساء » : يمازج البياض لونان يزيدانه حسنا هما الحمرة والصفرة .

وقد غالى الفريق الأول ، فجعلوا صفة الحمرة اسما لحسان النساء كما قال (سيبويه) .. ومن هذا الفريق (جرير) الشاعر المشهور . سئل يوما عن (الأخطل) فقال فيه : « هو أوصفنا للحمر » ، أى للحسان الجميلات من النساء .

ومن امثالهم : « الحسن احمر » . قال احد شعرائهم :

هجان عليها حمرة في بياضها ... يروق بها العينين والحسن احمر

وقال آخر :

ذات خد يكاد يدميه وهم ... من مشير بالجد او بالمزاح ..
في بياض وحمرة فكان قد ... صيغ حسنا من ماء مزن وراح

وقال بشار بن برد :

واذا خرجت تقنعي ... بالحسن ان الحسن احمر !

وغالى الفريق الثاني بالصفرة ، فجعلوها عنوان جمال المرأة البيضاء . قال أحد هؤلاء وهو (ذو الرمة) :

بيضاء في دعج ، صفراء في نعج ... كأنها فضة قد مسها الذهب

وقال آخر وهو (قيس بن الحطيم) :

هيفاء مثل الشمس عند طلوعها ... في الحسن او كدنوها لغروب

وكلنا نعلم أن الشمس تكون صفراء عند شروقها ، وعند دنوها للغروب .

ولأبي الفرج الأصفهاني رأى في تعليل حدوث لوني الحمرة والصفرة يبديه في قوله : « أما الحمرة فتعتري البياض من رقة اللون وصحة الدم ، وأما الصفرة فتعتري البيض لاستتارهن وملازمتهن البيت ، والدعة والتضمخ بالطيب ... الخ . »

وقد يكون في هذا شيء من الحقيقة ..

● الصفرة ●

ومن العرب من كان يهيم باللون الأصفر أينما كان ، ســواء في الورود أو الأزهار ، أو اللباس ، أو الطعام . ويعشقون المرأة الصفراء .

وكانوا يشبهون الرجل الجميل بالديباج الأصفر ، كما هو معروف .

ذكر ابن الطقطقى أن محمدا بن ابراهيم بن الحسن بن الحســن بن على بن ابي طالب عليهم السلام كان من أحسن الناس صورة ، وكان يسمى الديباج الأصفر لحسنه وجماله فأحضره المنصور وقال له : أنت الديبــاج الأصـفر ؟ قال : كذا يقولون .

ووصف الأحوص بن محمد الشاعر (حبابة) جارية يزيد بن عبد الملك عندما غنته ، فقال :

وعهدى بها صفراء رؤد كأنما نضا عرق منها على اللون مجسـدا
مهفهفة الأعلى واســفل خلقها جرى لحمـه مادون أن يتخـددا

ولعل من أكثر الشعراء الذين رددوا التغنى بالصفراوات « بشـار بن برد » فقد روى المرتضى في أماليه طرفا من هذا . وقال في وصف قينة :

واصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود

قال أيضا يصف جارية مغنية :

لعمـرو ابى زوارها الصـيد انهم لفي منظـر منها وحسـن سـماع
تصـلى لها آذاننا وعيـوننا ... اذا ما التقينــا والقلـوب دواع
وصـفراء مثل الخيزرانة لم تعش ببـؤس ولم تركب مطيــة واع
جرى اللؤلؤ المكنون فوق لســانها لزوارهــا من مزهـر ويـراع

ويخبرنا المرتضى أن بشارا كثيرا ما يشبب بامرأة صفراء ، يروى مثلا على هذا قوله :

اصــفراء لا انسى هواك ولا ودى ولا ما مضى بينى وبينك من عهـد
لقد كان ما بينى زمانا وبينهـــا كما كان بين المسك والعنبر الورد

وقوله أيضا :

اصــفراء كان الود منك مبـاحا ليالى كان الهجر منك مزاحا ...

وكان جوارى الحى اذ كنت فيهم   قباحا ، فلما غبت صرن ملاحـا !

ويحدثنا الاصبهاني في كتابه « الأغاني » فيقول ان « قلم الصالحة » جارية صالح بن عبد الوهاب ، مولدة صفراء حلوة حسنة الغناء والضرب، حاذقة.. وان « مبتم الهشامية » كانت صفراء مولدة من مولدات البصرة • وبها نشئت وتادبت وغنت ، وهي جارية المتوكل • وقد عرف عنهـا انها أول من عقد من النساء في طرف الازار زنارا وخيط « أبريسم » ثم تجعله في رأسـها ليثبت الازار ولا يتحرك ولا يزول •

وكانت « عنان » جارية مولدة من مولدات اليمامة ، وبها نشـأت وتادبت ناشتراها « الناطفي » ورباها ، وكانت صفراء جميلة الوجه ، شـكلة ، مليحة الأدب والشعر ، سريعة البديهة ، ولها مساجلات مع أبي نواس ومروان بن أبي حفصة وغيرهما •

وكانت « دنانير » مولاة يحيى بن خالد البرمكي ، صفراء صادقة الملاحة • ومن احسن النساء وجها ، واظرفهن • واكملهن ، وأحسنهن ادبا ، وأكثرهن رواية للغناء والشعر •

وكانت « بذل » مولاة جعفر بن موسى الهادي والأمين بعده ـ صفراء مولدة من مولدات المدينة وربيت بالبصرة ، وقد روى انها كانت تغني ثلاثين ألف صوت ولها كتابات في الأغاني ، وكانت من احسن الناس غناء في دهرها ، واروى خلق الله تعالى للغناء •

لقد عرفت هؤلاء القيان بفن الاغراء والتمكن من سحر اربابهن وخلب عقولهم حتى لقد قال الجاحظ : « ليس يحسن سحر هاروت وماروت وعصـا موسى وسحرة فرعون الا دون ما يحسنه القيان » •

ويقول الاستاذ احمد امين في مقال له عن البغداديين : « انهم هاموا بالاورد الأصفر ، وتغزلوا بالوجوه الصفر ، وصبغوا ثيابهم بالصفرة ، وافتتنوا بالزهور الصفر ، واكثروا من اتخاذ الطعوم الصفر ، ومدحوا الجواهر الصفر » •

● السمرة ●

روى أبو علي القالي في كتابه « الأمالي » عن بهلـول الزبيري ، قال : « أتى رجل ابنة الحسن يستشيرها في امرأة يتزوجها فقالت: انظرها رمكاء جسيمة» والرمكاء ههنا السمراء •

وقال شاعر من عرب الجاهلية وقد ذكر امرأة :

من السمر اللذان اذا اسـكرت   وصرف الموت في السـمر اللذان
شـبيهات الرماح قنـا متـون   وكلما في القلـوب بلا سـنان

وشبه أحدهم السمرة بذوب كافور بمسك ، قال يصف حبيبا له أسمر :

انما السمرة فيه   ذوب كافور بمسك

وهذا التشبيه شبيه بما جاء في قصيدة لابن بسام في كتـابه « الذخيرة » يقول فيها :

قد القضيب وبدر ديجـور   وثغر در ولحظ يعفـور
تازل قلبي واي مصـطبر   يلي بتلك اللواحظ الحور
كانمـا نـوره وسـمرته   مسـك مشوب بذوب كافور

● السواد ●

لقد كان ابن رشيق ، والجاحظ ، والشريف الرضي ، والعباس بن الأحنف، وابن الرومي ، وأبو حفص الشطرنجي ، في مقدمة من تغزلوا بالسود من النساء

ويصفونهن مادحين لهن مفضلين لونهن « السواد » على لون « البياض » . وقد نستغرب نحن ذلك منهم ، ولكنه كان مألوفا في أزمانهم التي خلت من قبلنا ، وها هي بعض أقوالهم :

يقول ابن رشيق :

دعا بك الحسن فاستجيبي يا مسك في صبغة وطيب
تيهي على البيض واستطيلي تيه شباب على مشيب
ولا يرعك اسوداد لون كمقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد في أعين الناس والقلوب ...

أوليس النور : نور الهدى صادرا عن القلب ، والقلب أسود ؟ ..
أوليس نور العين صادرا عنها وهي سوداء ؟ ..
أوليس شعر الشباب أسود ، وهو محبوب مطلوب ؟ ..
أوليس شعر الشيخوخة أبيض وهو مكروه غير مرغوب فيه ؟ ..
فما يحزنك بعد يا سوداء ؟ .. أوليس المسك في صبغتك التي أنت فيها ؟
.. فتيهي على البيض واستطيل ، واستجيبي الحسن انه يدعو بك اليه ! »
وعلى هذا النحو يخاطب « ابن رشيق » محبوبته السوداء :
ويقول أبو حفص القطرنجي :

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونه قاعدة
لا شك اذ لونكما واحد انكما من طينة واحدة

ويقول ابن الاحنف في زنجية اسمها « بكتم »

أحب النساء السود من أجل بكتم ومن أجلها أحببت من كان أسودا
فجئني بمثل المسك أطيب نكهة وجئني بمثل الليل أطيب مرقدا

وقال الجاحظ في امرأة سوداء أحبها :

وإن سواد العين في العين نورها وما لبياض العين نور فيعلما

ولم يزد الشريف الرضي على معاني من تقدم ذكرهم شيئا ، قال :

أحبك يا لون الشباب فانني رأيتكما في العين والقلب توأما
سواد يود البدر لو كان رقعة بجبهته أو شق في وجهه فما

أما ابن الرومي فلم يصف حبيبة له سوداء . بل طلب منه أبو الفضل الهاشمي أن يذكر حبيبة سوداء له في شعره ويستغرق أوصافها الظاهرة والباطنة أيضا ، وقد فعل ، فأنشد فيها قصيدة طويلة مطلعها :

أكسبها الحسن أنها صبغت صبغة حب القلوب والحدق

ملامح إنسانية

الجار

● درية عبد الله ●

من اجمل واكمل ما في دب العلاقات العامة ، بل ومن ابسط قواعد اللياقة — ان يسلم الجار على جاره اذا التقى به وان يكون مستبشرا طلق الوجه رفيقا ، ينصح له اذا استنصحه ، ويحفظ داره اذا غاب عنها .

وليس حق الجوار — فقط — كف الاذى ، بل احتمال الاذى ، ولا يكفي احتمال اذى ، بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف ..

يقال ان الجار يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ، فيقول يارب سل هذا لم منعني معروفه ، وسد بابه دوني ؟

وبلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره في دين ركبه ، وكان يجلس في ظل داره ، فقال ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما ، ثم بادر فدفع اليه ثمن الدار وقال لاتبعها !

وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا ، فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران ، فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي !

وجملة حق الجار لجاره أن يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ، وان يهنئه في الفرح ، ويشاركه في السرور ، وان يصفح عنه اذا صدر منه او من احد أفراد اسرته خطأ ..

وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ماحق الجار ؟ ان استعان بك اعنته ، وان استنصرك نصرته ، وان استقرضك اقرضته ، وان افتقر عدت عليه ، وان مرض عدته .. وان أصابه خير هنأته ، وان اصابته مصيبة عزيته .. ولا تستعل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا تؤذه ، واذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها »

ثم قال : « اتدرون ما حق الجار .. والذى نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله » هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال مجاهد : « كنت عند عبدالله ابن عمر ، وغلام له يسلخ شاة، فقال يا غلام ، اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مرارا ...

فقال له كم تقول هذا ..

فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه ..

أغنيتي للفجر !!

● مديحة ابو زيد ●

قد كانت أغنيتي ..
وترا يعزف أحلى الانغام !
نجمة احلام تذخر باللمعان
تفسم مع الليل ضياء القمر
وتفيض حنان !
يا وحشة دربي كيف تضيع الالحان
كالزهرة تذوى في غير اوان
فالزمن القادر يصفعها
والريح تهز الانغام

***

يجذبني الظل الاسيان
أتجرد من عرف الانسان
اتحرر من قيد التقليد
خفقات فؤادي تلسعني
ان اسمع صوتا يوقظني
ويبدد وحشة أشجاني
ويلوح الشوك بواديك
لكني صامدة قلقه ..
وصوت الوجدان يناديني
لافك قيود الاسر
واشم ربيع الحب ..

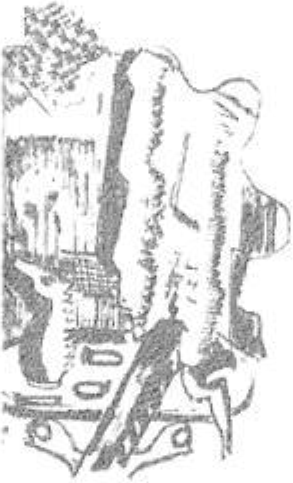
***

ما ابشع ان يصدمني الواقع
بحقيقة زيف الوجدان
فوجودك اوهام
تهدم صرح الاحلام
وتميت الزرع المخضوضر
ولتعلم ..
لن اخدع نفسي بالكلمات الشكلية
لن ابحر في التيه
فطريقك غريبه
وشراعك مجهول الاوصاف
فالريح تشد المجداف
لطريق في البحر يضيع

***

سيعود الوتر المعزاف
يعزف للالحان القدسية
اغنية عشق أبديه
سيغني للارض وللانهار
سيغني للازهار وللاطيار
ويقبل في الروض الاشجار
سيذوب ثلج الآلام
ويغني للفجر القادم : للالهام !

قصة
المرسم



● محمد خليل ●

جلست تراقبه في صمت ... تحاول العثور على اسلوب آخر ، بعد ان فشلت معه كل الاساليب ... تنتظر اللحظة التي تراه وقد آب الى فرشاته والوانه ...

قطع عليها تفكيرها رنين جرس الباب ... نهضت في تثاقل وفتحته ... تسلمت رسالة بريدية .. قفزت الدهشة الى وجهها ... مضت عشر سنوات دون رسالة واحدة ... عادت الى زوجها وهي تقلبها بين يديها وقلبها يخلق اضطرابا ، وفي صدرها تولدت رغبة جارفة لمعرفة مضمون الرسالة ..

قدمتها اليه معتقدة انها كفيلة بتحطيم قوقعة الصمت التي حبس نفسه داخلها ... تنهدت في مرارة عندما ظل صامتا مشيرا لها بوضع الرسالة فوق احدى المناضد ...

منذ امد على اغلاق المرسم والنكوص عن عالم الابداع وهو دائم الصمت في جل الاوقات .. امتلأت شعورا بالاختناق ، استلقت الى جواره فوق الفراش ، داعبته ملوحة بالرسالة أمام عينيه ... جذبها من يدها ودسها تحت الوسادة وادار وجهه للجدار ... تنهدت في ألم ، ورغم عذابها لم تفقد الامل في جمع اشلائه ببعث روحه من جديد

انسحبت خارجة الى بهو الشقة جلست فوق احد المقاعد وراحت تقدح فكرها .. وتلعن اليوم الذي عاد فيه زوجها مصرا على اغلاق مرسمه عقب مناقشة حول مضمون الاشراق والامل في لوحاته ...

وقعت عيناها على باب حجرة المرسم .. قامت واتجهت نحوه وامسكت بمقبضه . حركته في يدها مرات . رجعت الى الزوج الصامت مرة اخرى ، لمحته متوترا يخفي شيئا تحت الوسادة ... رنت اليه مستفسرة . اوما برأسه نفيا ... جذبت مقعدا وجلست تقلب احدى الصحف ...

اسبل عينيه متوسدا راحتيه .



حملت نبرات صوتها أبياتا لقصيدة شعرية .. تقلب على جنبيه مخفيا أذنيه بين ذراعيه ، أمرها أن تخفض صوتها . زاد اصرارها على القراءة بصوت مرتفع .. قال متخابثا :

– دعيني أقرؤها بنفسي !

أسرعت وقدمت اليه الصحيفة ... جلست الى جواره مصغية اليه ، امسك ورقة القصيدة ومزقها ونثر قصاصاتها حولهما ! ... علائب الاشجان فؤادها .. طافت عيناه فوق أعمدة الاعلانات والوفيات ، طوى الصحيفة بعصبية وألقاها بعيدا واشعل سيجارة ... تنهد في ضيق وخرج الى الشرفة . ولحقت به واتكأت بمرفقيها فوق حاجزها . شعرت بالصمت يضرب حولهما كتلة ديجورية . ودخان سيجارته بدا لها كحيات تخرج من داخله تطوق عنقيهما ...

تركها ودلف الى بهو الشقة ، ساقاه تتحركان بلا هدف . . . عاد وألقى بجسده فوق الفراش . دنت منه وطلبت اليه ان يقص الرسالة ... صاح ثائرا :

– مالك والرسالة ... دائما تدسين انفك في كل شيء ... دعيني !

ابتسمت دون أن ترد ... نهض مرة أخرى وغادر المكان . فالتقطته واخذت الرسالة ومضت بها الى احدى الغرف . نشرتها بين يديها ، مع السطر الثالث في الديباجة رفت ابتسامة حول شفتيها ، عند آخر كلمة كانت قد سرت في جسدها نبضات سعادة دغدغت مشاعرها ..

ركضت نحوه تهتف به ، طوقته بذراعيها حاول ان يتخلص منها . . . لوحت بالرسالة في يدها وهي تقول :

– ألم أقل لك ذات يوم ولم تصدقني ؟

رمقها مختلسا نظرة من الرسالة ، ورد عليها متسائلا :

– عن أي شيء تتحدثين ؟

أجابت وهي تبحث في جيوبه عن مفتاح المرسم :

– عن يقيني من أن شمس الفن لن تتركك في الظل الى الأبد ! ..

ارتسمت الدهشة في عينيه ، لم تدم الدهشة طويلا .. تأبطت ذراعه ، سارا نحو المرسم ، عندما انفرجت ضلفة الباب تدفقت من صدره لهفة السنوات العجاف .. دلف يتحسس في حب ادواته وحوامل لوحاته . . . عانقت عيناه كل شيء في المرسم ! .

وقف طويلا يتأمل اللوحة التي لم يتمها والتي كان يستلهم موضوعها من أسطورة « ايزيس وأوزوريس » ، وزوجته تروح وتجيء بين اللوحات تنفض الغبار عنها استعدادا لنقلها الى المعرض المطلوب بمناسبة تكريم زوجها!

روح عن نفسك

اولا : لغز شعرى : ما هى ؟

وقائمة أبدا لا تنام ٠٠ وما قعدت مذ قامت
تعيش اذا غسلوا رجلها وان حلقوا راسها ماتت

ثانيا : عملية حسابية : ضع الرقم المطلوب محل علامة ×

× ١ ×
٢ × ٣
+ ٣ ×
× ٢ × ٣
٥ × ٢×
٣٠ × ٨ × ١

ثالثا : اختبر ذكاءك :

سقط بحار من أعلى صارى سفينة فانكسرت ساقه اليسرى ، فربطها واستراح نصف ساعة تناول فيها فنجالا من الشاى ، ثم عاد الى عمله الاعتيادى فكيف تمكن من العودة الى عمله مع كسر ساقه ؟

رابعا : اختلطت اسماء بعض اعلام ادباء الراحلين عند الجمع ، فما هى اسماؤهم الصحيحة ؟

عباس لطفى المازنى ، أحمد صادق المنفلوطى ، مصطفى محمود الرافعى ـ مصطفى عبد القادر الزيات ، ابراهيم حسن العقاد ٠

خامسا : اختبر معلوماتك الجغرافية :

١ ـ فى أى البحار تصب الانهار الآتية :
الدانوب ، الفرات ، الرون ، الميسيسبى ، الرين ، الكنغو ، الاردن ، الفولجا زمبيزى ، التيمز ـ ؟

٢ ـ اذا كانت الساعة فى القاهرة الثانية عشرة ظهرا ، فكم تكون الساعة فى لندن ، موسكو ، واشنطن ، طوكيو ٠

سادسا : اختبر معلوماتك التاريخية :
من هو ؟

١ ـ ولد بدمشق حيث درس الطب على أبيه ثم قدم الى القاهرة واتم دراسته بالمارستان الناصرى وتتلمذ لابن البيطار ومن مؤلفاته « عيون الأنباء فى طبقات الاطباء » ، وفيه تناول بالذكر أشهر الأطباء من عهد اليونان الى عصره ٠

٢ ـ تعمق فى دراسة ارسطو وافلاطون وحقق مكانة عالية فى تاريخ الفكر

والطب والفلسفة ، ومن أهم كتبه « القانون » فى الطب و « الشـــفاء » فى الفلسفة .

٣ ـ اشتهر بتقواه وتقشفه وروى الكثير من أحاديث الرسـول ، وقد نعى على معاوية الترف والاسراف بمال المسلمين فأمره معاوية بالاقامة فى المدينة ثم نفاه عثمان الى الربذة .

٤ ـ من أعظم فلاسفة العرب ، برع فى الرياضيات والموسيقى واشتهر حتى أصبح لقبه « المعلم الثانى » .

الاجـــابات

اولا : اللغز الشعرى : النخلة

ثانيا : عملية حسابية :

٤١٥
٣٨٢
٨٣٠
٣٣٢٠
١٢٤٥
١٥٨٥٣٠

ثالثا : اختبر ذكاءك :

لقد كانت الساق خشبية .

رابعا : الاسماء الصحيحة :

عباس محمود العقاد ، مصطفى صادق الرافعى ، أحمد حسن الزيات ، ابراهيم عبد القادر المازنى ، مصطفى لطفى المنفلوطى .

خامسا : اختبر معلوماتك الجغرافية :

١ ـ المصبات بالترتيب : البحر الاسود ، الخليج العربى ، البحر المتوسط خليج المكسيك ، بحر الشمال ، جنوب المحيط الاطلنطى ، البحر الميت ، بحر قزوين ، المحيط الهندى ، بحر الشمال .

٢ ـ تكون الساعة فى لندن ١٠ صباحا ، وفى موسكو ٢ بعد الظهر ، وفى واشنطن ٥ صباحا ، وفى طوكيو ٧ مساء .

سادسا : اختبر معلوماتك التاريخية :

١ ـ ابن ابى أصيبعة ٢ ـ ابن سينا .
٣ ـ ابو ذر الغفارى ٤ ـ ابو نصر الفارابى

على شاطئ النيل

● تاج الدين نوفل ●

ومع الصباح المشرق
فى رحلة شعرية
والشمس يزهو شعرها
والطير ترقص حولنا
فى لوحة روحية
وبدون اى تاهب
فاذا بريح طيب
واذا بروح هائم
واذ ((بسوسينا)) معى
بجمالها الملك الكريم
وحيائها الشفق البديع
لفت وشاحا ابيضا
بنساب مثل سخائها
لم تبد منها زينة
والله مثل حبيبتى
جمعت بجانب فضلها

وعلى بساط ازرق
من وحى قلب عاشق
فى مائه المترقرق
وتنام بين الزنبق
رسمت بريشة خالق
وبلا معاد مسبق
واذا بوجه مشرق
واذا بقلب خافق
تسعى كنظم شيق !
ووجيهها المتدفق
ونورها المتألق
وبدت بثوب ازرق
يحمى حدود الخافق
الا رزانة متقى
فى حسنها لم يخلق
ادب النهى والمنطق

***

ياويح قلبى مساله
يحيا اذا هى اشرقت
نجرى ونمرح فى الحياة
ونتوه فى وسط الزحام
فلكم سمعنا عن هوى
ولى كما ولى الهوى
فلكم تفرق عاشقون
الا ان سر بقائنا
فى جنح قلب طاهر
ياسوسنى لا تعجلى
ان لم اجد لى مسكنا
وكفى فؤادك ماجنى
ولى من العمر الكثير

يهذى اذا لم نلتق
ويموت ان لم تشرق !
على هوى وتعلق
وقد نعود فنلتقى
فى مغرب او مشرق
اما الهوى العذرى بقى،
ونحن لم نتفرق
انا نحب ونتقى
وبروح حب مطلق
مهلا على ترفقى
عيناك بيتى فنصدقى !
وكفى فؤادى مالاقى
هلم نمسك ما بقى !

تذكرة تفوق

للشباب ولطلاب الثانوية العامة

لاحظنا فى مجلة « الهلال » ان عنصر الثقافة العامة يخرج من حياة ابنائنا فى الجامعات شيئا فشيئا . السباق نحو النجاح فى الامتحانات يستحوذ على انتباههم كله ، وفى النهاية يتخرجون دون زاد ثقافى له قيمة ..

وبدون شباب مثقف لا يمكن أن نبنى اجيالا قوية قادرة على حمل امانة الوطن ..

وعندما درسنا الامر تبينا ان المشكلة لا تبدا فى الجامعة ، بل فى التعليم الثانوى . فان سباق الدرجات والتقديرات لا يترك للشباب اى فرصة لقراءة سطر خارج عن الكتب المدرسية

فهناك دائما مدرســون محترفون يؤلفون كتبا عملية سريعة قد تجعل الطالب يحصل على درجة عالية فى اللغة الانجليزية ـ مثلا ـ دون ان يعرف اللغة ..

انما هى نماذج موضوعات انشائية تحفظ وملخصات للكتب الادبية المقررة تستظهر ..

ولا مكان لثقافة فى هذا كله ..

وهذا هو الفراغ الذى قررنا فى هذه المجلة ان نحاول ملأه دون ان نبعد الشباب عن المنهج المقرر له ..

كتب المادة العلمية :

- الدكتور جرجس الرشيدى

مستشار اللغة الإنجليزية

- الأستاذ محمد نجيب أبو العزم

الموجه بالتربية والتعليم

تذكرة تفوق

اللغة الانجليزية

وطلبة الثانوية العامة

● د . جرجس الرشيدى ●
● مستشار اللغة الانجليزية ●

● يزداد احساس الناس فى جمهورية مصر العربية بأهمية الدراية ان لم يكن باتقان اكثر من لغة اجنبية .. ولعل ذلك الاحساس قد ازداد بدرجة كبيرة بعد الاتجاه الى سياسة الانفتاح الاقتصادى وما استتبعه من انفتاح اجتماعى وثقافى .

ان قيام العديد من الشركات والبنوك الاوروبية والامريكية بانشاء فروع لها فى مصر ، اتاح لمن يتقنون اللغات الاجنبية فرصا للعمل بمرتبات مغرية .. هذا فضلا عن ان الاحتكاك بالمسئولين عن تلك البنوك والشركات يتطلب دراية بتحرير المراسلات والمذكرات بلغتهم ، كما يتطلب طلاقة فى التحدث اليهم ..

كذلك تبرز أهمية اتقان اللغات فى الاغراض الاكاديمية المعروفة التى تستخدم فيها اللغة ، مثل الاستماع الى المحاضرات فى الجامعة ، أو الاستفادة من المنح التى تقدمها الكثير من الدول الاوروبية والامريكية للاستزادة من العلم والتدريبات العملية فى تلك البلاد .

واذا كانت هذه هى بعض الاغراض الملموسة من تعلم اللغات الاجنبية وعلى رأسها اللغة الانجليزية التى هى اكثر اللغات الاجنبية انتشارا واستخداما فى سائر الاقطار فان النظرة المتعمقة فيما يتعلمه طلاب مدارسنا فيها تشير بوضوح الى ان ما يتعلمونه لا يفى بالاغراض التى يتعلمون من اجلها ..

فاللغة الانجليزية كما تعلم فى مدارسنا ما هى الا احدى المواد التى على الطالب ان يعيها بالقدر الذى ييسر له النجاح من عام الى عام حتى يحصل على شهادة الثانوية العامة فيعبر الى المرحلة الجامعية التى فى كثير من الاحيان ان يعبرها ايضا دون ان تزداد درايته باللغة التى لا يبقى فى ذهنه منها فى آخر المطاف الا الشذرات والفاظا مفككة لا تعينه على التعبير عما فى ذهنه بلغة مفهومة .

وفى سبيل مجرد النجاح فى المادة يعمد الكثير من الطلاب بل الكثير من المعلمين ايضا الى الاعتماد الكلى على ذاكرة الطالب .. فالمعلم المتمرس هو الذى يمكنه أن يستشعر بحكم خبرته ما قد يأتى فى امتحان آخر العام من موضوعات انشائية او اسئلة فى الروايات المقررة او الاسئلة اللغوية جرى العرف ان يسأل فيها الطلاب .. واذ يعد المعلم كل ذلك للطالب ، ويحدث هذا غالبا فى الدروس الخاصة ـ أن يستقيه الطالب من الكتب الخارجية التى هى أخطر آفة فى تعليم اللغات فى مصر ، يكون الطالب مستعدا لاجتياز الامتحان دون أن تكون له قدرة حقيقية على التعبير السليم فى شتى المواقف التى قد يجد نفسه فيها ..

ولقد سار تعليم اللغة الانجليزية فى مصر على هذا المنوال حتى تطبع الكثير من المعلمين بعادات سيئة وتشبعوا بمفاهيم خاطئة جعلتهم يسترسلون فى طرائق ميكانيكية عقيمة هدفها الاوحد هو تحقيق

هدف وقتى هو حصول الطالب على درجة تؤهله للنجاح فى الامتحان ·

ومن الامثلة المأثورة التى تبين استشراء هذا الاتجاه بين المعلمين أن تلميذ المدرسة الاعدادية يبدأ بتعلم بعض الاسئلة والجمل التى يعطى بها معلومات عن نفسه · ففى الدروس الاولى يتعرض التلميذ لاسئلة وأجوبة مثل ·

— How old are you ?
— I'm twelve years old.
— What school do you go to ?
— I go to Tanta Prep School.
— What is you father ?
— My father is a doctor.

يحفظ التلاميذ هذه الاسئلة وأجوبتها دون أن يوحى المعلم اليهم أن هذه الجمل يعرفونها للتعبير والتخاطب ، بدليل أنك اذا طلبت من التلاميذ اعطاءك الاجوبة الحقيقية التى تنطبق على كل فرد منهم ، تعجبوا ·· وربما تعجب معهم المعلم ·· أنك تريدهم أن يعرفوا أشياء ليست مقررة ولم يأت ذكرها فى الكتاب الذى بين أيديهم ! ··

وتستمر عملية التعليم على هذا النمط دون ان يحس الطلاب أو يرتبطوا باللغة على أنها شىء حى له ديناميكية · بل ربما ازداد الامر سوءا كلما تدرج الطالب الى أعلى فى السلم التعليمى فتزداد المادة المقروءة فى الكتب سواء أكانت قطعا للفهم والدراسة او قصصا للقراءة والاستيعاب · فيصبح شغل المعلم الشاغل شرح ما يستغلق على الطلاب من مفردات وتراكيب ، فتقل باضطراد فرصهم فى التعبير عن أنفسهم تعبيرا حرا · فيتدربون على اللغة باستخدامها حتى يتقنوها محادثة وكتابة ··

وحين يجد المعلمون والتلاميذ أنفسهم فى هذه الحلقة المفرغة يلجأون الى حفظ ما يعينهم على اجابة أسئلة الامتحانات مقرين بأنهم سوف يفشلون لو حاولوا تركيب الجمل من تلقاء أنفسهم ، وهو اساس الطلاقة فى التعبير ··· ويذهب الطلاب فى ذلك الى حد كتابة مايحفظونه حتى لو لم يكن هو المطلوب كاجابة لما يطلب منهم اجابته فى الامتحان ··

وقد تبينا ذلك بوضوح أثناء تصحيح أوراق الاجابة فى امتحان الثانوية العامة ·· فبهدف استبيان قدرات الطلاب الحقيقية وبتوجيه من الدكتور مصطفى كمال حلمى وزير التعليم الذى يدأب على تشجيع المحاولات الجادة فى تحويل التعليم فى مصر من عملية ميكانيكية الى عملية ديناميكية يكون منها لشخصية التلميذ وعقله المقام الاول — طلبنا من الطلاب الكتابة فى موضوعات انشائية تتصل بخبراتهم اليومية لا بالاحداث السياسية أو الاجتماعية الجارية التى يعى الطلاب موضوعات انشائية عنها ويحفظونها عن ظهر قلب ··

وبرغم بساطة هذه الموضوعات ومساعدة الطلاب بامدادهم بنقاط الموضوع متضمنة فى منطوق رأسه ، ضرب السواد الاعظم منهم بهذه النقاط عرض الحائط ،بل ضربوا برأس الموضوع نفسه عرض الحائط،وكتبوا ما يستظهروه رغم أنه بعيد كل البعد عن المطلوب ! ·

وأذكر أنه فى العام الماضى كان أحد الموضوعات عن الاعمال المتاحة للنساء فى مصر ، فكتب عدد من الطلاب مايستظهره عن حرب اكتوبر ، مع ختام الموضوع بجملة واحدة فى سطر واحد تعنى أن النساء أسهموا فى تلك الحرب!

وهناك أمثلة أخرى كثيرة لشطط الطلاب على هذا النحو ، ولم يكن ذلك عن عدم فهم لرأس الموضوع ، اذ أن هذا يوضع دائما فى لغة سهلة لا لبس فيها ولا غموض ، ولكن عن احساس بالعجز عن الاعتماد على النفس فى الكتاب ، فآثروا أن يكتبوا مما يحفظوه أملا فى أن تشفع لهم اللغة الجيدة التى كتبت بها تلك الموضوعات عند المقدرين ·

وبالطبع ، كان يعطى الطالب الذى كتب موضوعا خارجا تماما عن المطلوب صفرا ·· وقد حسبت النتيجة على عينة من ثلاثمائة ورقة اجابة فاتضح أن ٦٥٪ من الطلاب حصلوا على صفر فى الانشاء والباقون باستثناء قلة ضئيلة جدا — حصلوا على درجات منخفضة جدا ، بين نصف وواحد ونصف من ست درجات !

هذه صورة لحال اللغة الانجليزية فى مدارسنا · وقد تكون الصورة التى

قدمتها قاتمة ولكني قصدت الى أن أبين صراحة مواطن الداء حتى يمكن وصف الدواء الناجع · فاذا أيقنا أن الامور تسير من سيء الى أسوأ وأن مستوى الطلاب في مدارسنا تزداد انخفاضا عاما بعد عام ، ولمسنا مواطن الداء ومسبباته ـ يصبح من السهل أن تبذل الجهود المكثفة لوقف تيار التدهور ، واصلاح ما أعوج في مجال تعليم اللغات ·· ويحتاج ذلك بالدرجة الاولى الى تغيير جذري في مفاهيم المعلمين والمسئولين عن وضع المقررات والتوجيهات والامتحانات

ولعل أول الخطى في سبيل تطوير تعليم اللغة الانجليزية في مصر أن يسأل المعلمون أنفسهم ويتناقشوا فيما بينهم عن أهداف تعليم اللغة والوسائل الفعالة لتحقيق هذه الاهداف · وفي رأيي أن بدء التطوير بالمدرس أمر هام لان المدرس الذي يعتمد اعتمادا كبيرا على ما يصدر اليه من تعليمات وارشادات من أولى الامر قد لا ينفذها بنفس الكفاءة كما لو كان مقتنعا بها أو كانت صادرة من فكره هو ·

والواقع أنه اذا كنا نهدف الى أن يتعود الطالب الاعتماد على النفس في نموه الفكري فبالاحرى أن يكون للمعلم فكر تربوي وأن يكون قادرا على التفكير السليم والاقتناع بما يقوم به نحو تلاميذه ·

ومما يثلج الصدر انه حدثت بالفعل لقاءات كثيرة مع المعلمين ، واستمعنا الى آرائهم ووجدنا للكثير منهم عقولا متفتحة ورغبة أكيدة في دفع عجلة التطور ·

ومن المتفق عليه بين جميع المشتغلين بتعليم اللغة الانجليزية أن الهدف من تعليمها في مدارسنا هو أن نهيىء الطالب لان يلم بتراكيبها ، وأن يقدر على التعبير عن نفسه بلغة سليمة قراءة وكتابة وحديثا . كما يمكنه أن يفهم ويستوعب ما يسمعه أو يقرأه من محاضرات أو أحاديث أو كتب أو مراجع ·

وفي ضوء تلك الاهداف أعدنا النظر في الكتب المقررة وطرق التدريس وطرق

تقويم الطلاب ·

ان تعلم لغة أجنبية يقتضي تدريب أربع مهارات عند المتعلم ـ وهي الاستماع مع الفهم والكلام والقراءة والكتابة · ولكي يكون تعليم اللغة مجديا يجب على المعلم أن ينمي باستمرار تلك المهارات الاربع ·

فالمعلم الذي لا يسمع في الدرس الا صوته حتى لو كان ذلك ليقوم بالشرح والتعليق ، لاينمي الا المهارة الاولى وهي مهارة الاستماع · وحتى هذه فلا وسيلة لتأكده من انه ينميها فعلا ، وأن التلاميذ لا يبتعدون بعقولهم عما يقول · فللتأكد من أن الطلاب يتدربون فعلا على الاستماع مع الفهم لابد له وأن يقتصد فيما يقول ويسأل الطلاب ، ويشركهم في الدرس ، ليتأكد من أنهم يفهمون ما يقول ··

وحبذا لو أتاح الدرس أكبر فرصة للطلاب أن يتكلموا هم في الدرس ، فهو بذلك يدرب فعلا مهارة الحديث التي هي لب عملية التعليم ، اذ لو أتقن الطلاب الحديث ، سهل عليهم بعد ذلك القراءة مع الفهم ثم الكتابة ··

وفي رأينا ان المدرس الماهر يضع لنفسه حدا أقصى للحديث أثناء الدرس لا يزيد عن ٣٥٪ أما الباقي فيخلق فيه للطلاب المواقف المناسبة كي يعبروا عن أنفسهم أو يدربهم على القراءة والكتابة ·

ويجعل كثير من المعلمين من فكرة خلق المواقف ظانين أن عليهم أن يخلقوا مواقف مسرحية يلعب فيها الطلاب أدوارا مختلفة يتحدثون فيها باللغة التي يتدربون عليها ان الموقف المطلوب من المعلم ان يخلقه هو مجرد فرصة لاستخدام الطلاب لما يتعلموه من مفردات وتراكيب بطرق تختلف عن الفرصة الاولى التي قدمت لهم فيها ، فاذا جاء تركيب في الكتاب المدرسي يرى المدرس انه يستحق ان يدرب طلابه على استخدامه فعليه أن يطلب منهم ان ينسجوا على منواله في مواقف مختلفة حتى يمكنهم ان يستخدموه تلقائيا في أي موقف من مواقف حياتهم

ومن البديهي انه كلما زادت حصيلة

الطالب من المفردات والتراكيب اللغوية كلما سهل عليه التعبير بلغة سليمة وبالتالى يمكنه ان يحصل على درجة عالية فى اى امتحان يعتمد بالدرجة الاولى على كفاءة الطالب فى معرفة واستخدام اللغة وهو ما اتجهت اليه امتحانات اللغة الانجليزية فى السنوات الاخيرة .

ان مهارة القراءة بصوت مرتفع مهارة لن يحتاج اليها الطالب فى حياته العملية الا اذا كان خطيبا او مذيعا فى برامج اللغة الانجليزية فى الراديو او التليفزيون .. ان القراءة التى يحتاج اليها الطالب هى القراءة الصامتة مع فهم ما يقرأ . وحبذا لو تدرب على أن يقوم بذلك بسرعة مناسبة .

والمعلم الذى يهمل تدريب الطلاب على الكتابة يحرمهم من تنمية المهارة التى تعتمد عليها حسن ادائهم فى الامتحان ، فالامتحانات فى مصر كلها امتحانات تحريرية ، ولن يؤديها الطلاب بكفاءة الا اذا مارسوا أكبر قدر من التدريب على الكتابة ..

وربما تشكل أعمال الطلاب التحريرية عبئا كبيرا على المعلم الذى عليه أن يصحح تلك الاعمال ، ولكن اذا اقتنعنا بأهمية الكتابة للطالب فعلينا ان نبحث عن بدائل لما هو جار فعلا فى مدارسنا بحيث نعطى الطالب أكبر فرصة للتعبير الكتابى مع تخفيف العبء بقدر الامكان من على كاهل المعلم . فالتدريبات التى ينتج عنها اجابات موحدة بين كل الطلاب لا داعى لان يصححها المعلم بل تصحح جماعيا بعد اجابتها على السبورة ، وقد يصحح كل طالب اجابات طالب آخر . أما الاجابات التى يدخل فيها العامل الشخصى اى التى يختلف فيها الطلبة فى التعبير فهذه فقط يصححها المعلم ، وقد يصحح بعضها ليستكشف الاخطاء الشائعة بين الطلاب ان يكتبوا الكثير فى واجبات منزلية لا يصححها انما يجمعها من وقت لآخر ليتأكد من ان الطلاب يعملونها فعلا .

والمعلم الواعى يختار لتدريباته الكتابية بحيث تقيس كل المهارات التى ينميها فى طلابه ، فيقيس قدرتهم على القراءة والفهم والملهم بالاستخدامات الصحيحة لمفردات اللغة وتراكيبها وقدرتهم على التعبير وهى العناصر التى يتكون منها امتحان الثانوية العامة والتى سنتناولها بالتفصيل فى مقالات قادمة .

ولم يبق هنا الا أن ننوه بان التغييرات التى طرأت على امتحان الثانوية العامة هى تحول من نوع من الامتحانات نحو نوع آخر . فالامتحانات فى أساسها نوعان ، امتحانات تحصيلية وامتحانات مهارة وتعتمد الامتحانات التحصيلية على تلقين الطلاب معلومات والعمل على اتقانهم مقررات محددة يمتحنون فيها . وكانت امتحاناتنا من هذا النوع لمدة كبيرة ، مما ادى الى أن حول المدرسون المقررات الى قوالب جامدة يحتبس فيها فكر الطالب وقدراته ، مما ادى اخيرا الى الاعتماد الكامل على ذاكرة الطلاب فى تعليم اللغه الانجليزيه كما بينا آنفا .

ولكى نشجع المعلمين على تعليم الطلاب اللغة كلغة لها اهميتها فى انها وسيلة للتعبير والتوصيل نحونا نحو امتحانات المهارة التى تعتمد فى المقام الاول على ما حصله الطالب من اتقان للغة عامة مما يجعل المقررات والكتب المدرسية مجرد وسيلة لا غاية هدفها تعريض الطلاب للكثير من المفردات والتراكيب التى لا ينتهون الى معرفتهم بها فى الكتب انما يضيفوها الى حصيلتهم اللغوية ويستخدموها كلما استدعى الامر فى شتى المواقف .

وفى المقالات القادمة التى ستوجه الى الطلاب بالدرجة الاولى ، سنبين لهم كيف يمكنهم استخدام الكتب المقررة لتنمية مهاراتهم اللغوية بحيث يلمون باللغة الماما يسمح لهم بالتعبير التلقائى السليم ، وبالتالى الى اجابة الامتحان من حصيلتهم اللغوية ويحققون هدفين فى وقت واحد : اتقان اللغة ، ونجاح فى الامتحان .

●●

تذكرة تفوق

عبقرية عمر

● محمد نجيب ابو العزم ●
الموجه بالتربية والتعليم

● منهج العقاد فى عبقرياته ●

لم يكن العقاد مؤرخا يكتب تاريخ العظماء ، وانما كان باحثا عن سر هذه العظمة فى نفوسهم ، كان يرسم صورة لخلائق العظيم مستعينا فى ذلك بالمواقف والاحداث التى مرت بهم ، وبما قاموا به من أعمال وما أثر عنهم من اقوال • ويقف من هذه الاعمال والاقوال موقف الباحث المدقق يوازن ويقارن ليخرج فى النهاية برأى يوضح جوانب العظمة وصورة العظيم الذى يكتب عنه •

والعقاد عظيم عصامى فى عظمته ، مؤمن بقوة الفرد ودور العظيم فى مجتمعه ومن هنا كان ايمانه بالعظماء حافزا على الوقوف بجانب العظمة يجلو سرها ، ويدفع عنها ما يثيره الناقدون او الحاقدون ممن يسمون أنفسهم بالكتاب المنصفين ، فيتلمسون المعايب فيمن يكتبون عنهم • وكأنه من العيب عليهم ان يثنوا ثناء خالصا على انسان عظيم • ولهذا نجد أن العقاد قد تصدى لبعض أراء المستشرقين او المؤرخين او الناقدين •• يمحص آراءهم • ويفند دعاواهم • ويقدم الدليل تلو الدليل على نقاء صورة العظيم •

وكيف للعقاد او لغيره من الكتاب ان يحاسب عظيما كعمر بن الخطاب وهو الذى كان أشد من اعدائه فى محاسبة نفسه ••

ان نقد عمر لمن أصعب الامور ، فهو عمر بن الخطاب القوى الصارم اللين الرحيم ، الزاهد فى متع الحياة وبين يديه كنوز كسرى وقيصر ، الغيور على الحق والحرمات ، المؤمن البالغ القوة فى الايمان •

لقد كان عمر حاكما اتعب كل حكام التاريخ من بعده ، وجعل مسئولياتهم أمام الله فادحة • فاذا قال حاكم ساعة حسابه : يا رب عجزت • قال الله •• ولماذا لم يعجز عمر ؟

● الفصل الاول •• « عبقرى » ●

معنى العبقرية :

كان الرسول عليه السلام أول من وصف عمر بالعبقرية حين قال « لم أر عبقريا يفرى فريه » أى يصنع صنيعه ، ويقوم بما قام به من أعمال •

وأصل كلمة (عبقرى) مأخوذة من واد عرف عند العرب باسم (وادى عبقر) وكان يسكنه الجن ـ على زعمهم • ثم صار العرب ينسبون اليه كل ما بلغ درجة عالية من الجودة والقوة فقالوا :

ثوب عبقرى ، وظلم عبقرى . وعمل عبقرى .. ثم اشتق من تلك الكلمة المصدر الصناعى باضافة التاء . فقالوا: عبقرية فلان .

.. فمدلول العبقرية كما فهمه الاقدمون أو المحدثون لا يخرج عن كلمات ثلاث التفرد – السبق – الابتكار .

فلا يوصف بالعبقرية الا من تفرد بصفات وأعمال لم تتوافر الا للقليل النادر من الناس ، أو من أتى فى ميدانه بما لم يسبقه اليه غيره .

يحدثنا العقاد فى هذا الفصل عن :

● **عظمة الدعوة المحمدية وأثرها فى عمر .**

● **عظمة محمد عليه السلام فى توجيه اصحابه .**

***

أولا : عظمة الدعوة المحمدية وأثرها فى عمر .

ان عظمة أى دعوة من الدعوات أو عظيم من الدعاة تتمثل فى أمرين :

١ – الضرورة على بعث الحياة فى الامة بأسرها واثارة الحوافز والدوافع فى رجالها الصالحين لخدمتها .

٢ – الكشف عن الصفوة الممتازة من ابناء هذه الامة ، ووجود القائد الملهم القادر على تحديد الدور العظيم للرجل العظيم .

واذا نظرنا الى الدعوة المحمدية وجدنا انها لنموذج رائع لهذين الامرين فان هذه الدعوة قد بعثت الامة العربية وحولتها من قبائل متنافرة وجماعات متناثرة الى أمة عظيمة صنعت تاريخا ، وأقامت حضارة ، وقدمت للتاريخ رجالا أفذاذا لولا هذه الدعوة لظلوا فى طى الزمان لم نسمع بهم ، ولم نعرف عنهم ما رواه التاريخ من أعاجيب .

عمر وليد الدعوة الاسلامية .

اين كنا نسمع بأبى بكر وعمر وعلى وخالد وغيرهم . لولا الدعوة المحمدية التى بعثت كوامن العظمة فيهم ، وأتاحت لاسمائهم أن تلمع فى سماء التاريخ خلودا وانتشارا ؟

وأين كنا نسمع بابن الخطاب لولا هذه الدعوة ؟

قصارى ما كان يمكن ان يبلغه عمر أن يكون زعيما فى قبيلة ، أو عظيما فى جزيرته . ولكنه لا يعدو هذا النطاق .

حقا ان عمر كان قويا بالغ القوة النفسية . ولكنه لم يكن من أصحاب الطمع والسطوة وحب السلطان لانه كان مفطورا على العدل والانصاف ، فهذه القوة النفسية لم تكن كافية لان تصنع تاريخ عمر الذى امتد خلال الزمان .. وانتشر فى كل مكان .. بل ان الجاهلية التى نشأ فيها عمر والخمر التى كان يعاقرها فى جاهليته كانتا كافيتين لافساد تلك القوة .

فعمر بن الخطاب الذى عرفناه وليد الدعوة المحمدية دون سواها بها عرف وبغيرها لم يكن ليعرف ، وبها اقترن اسمه بدولة الاسلام والفرس والروم وكل دولة لها نصيب وقتئذ من التاريخ .

***

● **عظمة محمد فى توجيه اصحابه** ●

تتمثل هذه العظمة فى الموقف الذى كان بين النبى وصاحبيه أبى بكر وعمر . لقد كشف النبى عليه السلام حقيقة العظمة فى كل منهما ، وعرف أغوارها وأبعادها وقاسها بمقياس الحكمة فحدد لكل منهما دوره وزمانه ومكانه .

● **كان النبى عليه السلام يعرف العظمة فى عمر منذ ان دعا الله يعزبه الاسلام . الى ان اناب ابا بكر عنه فى امامة الصلاة .**

● **لم يكن استخلاف ابى بكر مفاضلة بين صاحبيه ، او اعترافا بفضل أبى بكر على عمر ، وانما هو التوفيق فى اختيار الرجل المناسب لموضعه وزمانه ، فقد وضع الرسول ابا بكر فى خير موضع حين ولى الاسلام والخطر عليه من داخله ومن اهله وخير علاج لهذه الظروف هو الالفة واللين والهوادة وادخر عمر للاسلام الى الوقت الذى كان الخطر فيه على الاسلام من اعدائه المحيطين به وبالجزيرة العربية ، وخير علاج لهذه**

الظروف هو الصرامة والحزم الذى لا يجبن ولا يتراجع .

● كان النبى عليه السلام يعرف صاحبيه حين عادل بينهما وشبه كلا منهما بالثين من الانبياء . فشبه ابا بكر فى لينه وهوادته بابراهيم وعيسى حين وقفا من العصاة من قومهما موقفا لينا رحيما .. وشبه عمر فى شدته بنوح وموسى حين دعا كل منهما على العصاة من قومهما بالدمار والهلاك .

● كان النبى عليه السلام يعرف ان المسئولية تبدل من اطوار النفوس فيميل اللين الى الشدة ويميل الشديد الى اللين . وهذا ما ظهر فعلا من ابى بكر وعمر وحدث بينهما فى كثير من المواقف .

.. فى محاربة المرتدين ومانعى الزكاة ، اشتد ابو بكر ، ولان عمر .

وفى يوم السقيفة كان ابو بكر شديد الغضب ، وعمر يخشى بوادر الحدة منه

***

ولعل سائلا يقول :

أكان النبى عليه السلام يفعل هذا عن قصد وتدبير ، حين استخلف أبا بكر وأجل اختيار عمر ؟ أم أن الامور جرت هكذا من باب المصادفة ؟

والجواب . هو أن النبى قد فعل ما فعل عن قصد وتدبير ، والذين ينكرون ذلك ويعتقدون أن التخطيط للمستقبل لبعيد من السياسات العليا المقصورة على عظماء زماننا ـ مخطئون فى فهمهم هذا ، لان العظمة ليست وقفا على عصر من العصور .. فهى قديمة قدم الانسان، لا سيما العظمة التى ترجع الى البصيرة النافذة والفطرة الملهمة .

والدليل على ان النبى عليه السلام كان يقصد ويدبر فى موقفه من صاحبيه تلك الرؤيا التى رآها قبل موته . ومضمون هذه الرؤيا .

ان النبى عليه السلام قد أراه الله فى منامه انه يرفع الماء من بئر فجاء ابو بكر فرفع دلوا او دلوين ، ثم جاء من بعده عمر فرفع الماء بقوة حتى ارتوت الارض وعم الخير ، واحس الناس بالسعادة والرضا .

وليس من العسير فهم ما تشير اليه الرؤيا من ان ابا بكر سيتولى الخلافة بعد النبى وان زمانه سيكون قصيرا محدودا، وان عمر سيأتى فى دوره لينجز الكثير من الاعمال العظيمة فاستحق ان يقول الرسول عنه « لم ار عبقريا يفرى فريه »

« ● المناقشة » ●

يقول الاستاذ العقاد :

« وكان النبى عليه السلام يعلم ان احتمال التبعة خليق ان يبدل اطوار النفوس ، فيجنح اللين الى الشدة ويجنح الشديد الى اللين » .

= ما معنى كل من (التبعة ـ خليق ـ اطوار النفوس)

= وضح الرأى الذى يعنيه الكاتب فى هذه الفقرة . ثم اذكر دليلا يؤيده .

= عادل النبى عليه السلام بين صاحبيه اجل معادلة . وضح كيف كانت هذه المعادلة .

يقول الاستاذ العقاد : ـ

« فى تلك المحنة التى تشخص فيها الابصار وتعظم التبعات وتودى زلة الساعة فيها بالكثير الذى لا تستدركه الاعوام ، كان عمر الحاد يخشى بوادر الحدة من ابى بكر »

● (تشخص فيها الابصار) ما المراد بهذا التعبير ؟

● (تودى زلة الساعة بالكثير الذى لا تستدركه الاعوام)

اشرح هذه العبارة مبينا علاقتها بالمحنة المشار اليها فى الفقرة .

● ما علاقة هذه الفقرة بالفكرة الاساسية التى يتحدث عنها الكاتب ؟

● ما وضع ابو بكر خيرا من موضعه وما وضع عمر خيرا من موضعه

وضح مدى التوفيق فى اختيار كل من الصاحبين لموضعه .

● فعل النبى عليه السلام ما فعل عن قصد وتدبير ـ ايد ذلك بالدليل .

ثانيا : الأدب والنصوص

مدارس الشعر وتطوره

● محمد نجيب ابو العزم ●
الموجه بالتربية والتعليم

● في بداية العصر الحديث اخذت عوامل النهضة تؤتي ثمارها ويظهر اثرها في رقي الادب وازدهاره .. ومن فنون الادب التي ازدهرت وتطورت عما كانت عليه من مظاهر الضعف في العصر العثماني ـ الشعر .. وقد مر الشعر في تطوره بمراحل اصطلح على تسميتها بالمدارس الشعرية .

وهذه المدارس هي :

● المدرسة الكلاسيكية الجديدة .

● المدرسة الرومانسية بالوطن العربي

● مدرسة المهجر .

● المدرسة الواقعية الجديدة .

ولكل مدرسة من هذه المدارس ظروفها التي نشأت فيها ، وروادها وشعراؤها الذين اشتهروا بها .. والخصائص الفنية المميزة لكل مدرسة . ومظاهر التقليد التي تربطها بالمنبع الاصيل للشعر العربي ،ومظاهر التجديد التي اضافها شعراء كل مدرسة الى هذا الشعر .. وأخيرا هناك النماذج الشعرية التي تمثل كل مدرسة من مدارس الشعر والتي تدرس لتعرف مدى وضوح هذه الخصائص في ثناياها .

● أولا : المدرسة الكلاسيكية الجديدة ●

واصدق اسم يطلق على هذه المدرسة هو مدرسة البعث والاحياء أو مدرسة المحافظين البيانيين الذين التصقوا بالتراث العربي القديم واتخذوا منه نبعا يغرفون منه ، ومنهجا يسيرون على هداه .

ورائد هذه المدرسة باتفاق جميع النقاد والآراء هو الشاعر الكبير محمود سامي البارودي الذي ترسم خطا القدماء في شعره . بل انه ترسم خطاهم أيضا في طريقه الى النبوغ في الشعر ، وذلك بمخالطة فحول الشعراء رواية وحفظا ومحاكاة للشعر الجيد حتى استقام أسلوبه وتهيأت قريحته لقول الشعر ..

جاء البارودي الى دنيا الشعر .. وكان الشعر قد أصبح على أيدي شعراء العصر العثماني جثة هامدة مكفنا في أثواب من المطرزات والمحسنات البديعية متقلا بقيود الصنعة الكثيفة التي ظن شعراء هذا العصر أنها هي الفن .

نبذ البارودي كل هذا واعرض عنه واتجه الى عصور القوة ، وهناك وجد النماذج الشعرية الرفيعة ، فاعجب بها وتشبع بفنها وصار كأنه واحد من أبناء هذه العصور ، يشعر كما شعروا ويعبر كما عبروا ويفكر كما فكروا .. فلما كتب الشعر كتب كما كانوا يكتبون ..

واهم السمات البارزة والخصائص الفنية الغالبة والمميزة لهذه المدرسة ما يأتي :ـ

١ ـ الالتزام بوحدة الوزن والقافية .

٢ ـ وحدة البيت في القصيدة ، بمعنى ان كل بيت يحمل فكرة مستقلة ومعنى مكتملا .

٣ ـ الحرص على سلامة اللفظ واصالته وقوة التعبير ومتانته .

٤ ـ البعد عن زخارف الصنعة .

والتحرر من قيودها الثقيلة والاهتمام باداء الفكرة ونقل المشاعر ٠

٥ ـ التأثر بالقدماء ٠ نتيجة لما حفظوه من شعرهم وما استقر منه في ذاكرتهم في كثير من المعاني والاخيلة ،ونثرالحكم في ثنايا الابيات ٠

٦ ـ تناول الكثير من الاغراض الشعرية القديمة كالمدح والرثاء والغزل والفخر والوصف ٠ وغير ذلك ٠

٧ ـ تعدد الاغراض في القصيدة الواحدة ٠

وبعد البارودى سار كثير من الشعراء على هذا الاتجاه ونذكر منهم الشاعر الكبير احمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ومعروف الرصافي ٠٠ وامتد هذا الاتجاه الفني الى الاجيال المتعاقبة من الشعراء امثال على الجارم ٠ ومحمود غنيم ،وعزيز أباظه وعلى الجندى ٠

واذا كان شعراء هذه المدرسة قد قلدوا القدماء في المظاهر والخصائص التي سبق ذكرها ، فانهم قد اضافوا الجديد الى الشعر العربي من حيث المضمون وذلك بانهم : ـ

● عبروا عن تجاربهم الخاصة التي تمس وجدانهم ومشاعرهم ٠

● أنهم كانوا مرآة لعصرهم حين ارتبطوا بقضايا مجتمعهم الاجتماعية والسياسية والوطنية ٠

● أن الكثير منهم قد حرص على وحدة الموضوع فلم تتعدد الاغراض في القصيدة الواحدة كما كان يفعل القدماء والبارودى من بعدهم ٠

ونأتي الآن الى دور التطبيق والتمثيل والنموذج الشعرى الذى نختاره لذلك ٠ هو قصيدة البارودى والتي هي بعنوان « في سرنديب »

ليس هذا العنوان خاصا بهذه القصيدة وحدها ٠ ففي شعر البارودى كثير من القصائد تحت هذا العنوان ٠

فقد كان البارودى واحدا من زعماء الثورة العرابية الذين نفوا الى جزيرة (سرنديب) بسيلان ٠٠ (سيرا لانكا الآن) ٠ وهناك قضى البارودى من عمره ١٧ عاما يعاني آلام الغربة والوحدة ٠ وهناك قال الكثير من أصدق شعره من قصائده تلك القصيدة ٠

من النظرة الاولى الى شكل القصيدة نلحظ أن البارودى سار على نظام الشعر العمودى الذى يلتزم وحدة الوزن والقافية

ومن القراءة الاولى نجد ايضا أن الاغراض قد تعددت في قصيدته ٠٠ ففي الابيات السبعة الاولى يعزف نغما حزينا شاكيا دامعا يكابد الشوق ، ويغالب الدمع ويناشد العاذل الا يقسو في لومه ولا يتعجل في عتابه ، فان للحب سلطانه الذى لا يقهر ، وللاشواق لهيبها الذى يمزق الاحشاء ويقطع نياط القلوب ٠ والقدر غالب والعقل غائب ٠٠

وفي الابيات الخمسة التالية من ٨ ـ ١٢ ٠ ينتقل البارودى من هذه المعذبة القريبة الشبه بالغزل والتسيب الى الشكوى من الغربة والزمان الذى ظلمه وقسا عليه ، ولم يكن هناك من ذنب سوى دفاعه عن دينه وعن وطنه ٠

فاذا ما انتقلنا معه الى الابيات من ١٣ ـ ١٨ ٠٠ وجدنا أن نغمة الحزن والشكوى قد تبدلت وتحولت الى الفخر والاعتزاز بالنفس فهو الغني بامجاده الذى لا يبالى بما فقده من مال ٠ وهو الشجاع الجرىء وهو الحليم المالك لزمام نفسه ، وهو الشريف الذى لم يلوث عرضه وهو العف الذى لا ينطق بفاحش القول ٠ ولا يبالى بعد ذلك بما افتراه الحاقدون عليه ٠

ثم يختم البارودى قصيدته ببيتين يحملان حكمة مكرورة عن الامل والتصبر

وعند القراءة المتأنية والفاحصة لهذه القصيدة نجد ان الكثير من معانيها قد رددها القدماء في شعرهم ، فالشوق الذى يثير الدمع والحب الذى لا يقهر ، والقدر

الذى لا يخلو من المعانى التى رددها العديد من الشعراء .

والشكوى من عقاب حل به دون ذنب جناه، ليست بالشىء الجديد على مسامعنا

وفخر البارودى جاء بنفس الصفات والمآثر التى كان يفخر بها الشعراء الذين طالما افتخروا بالحلم والجرأة ، وعفة اللسان ، ومضاعة الشرف ووفرة الامجاد .

وحكمة البارودى سواء ما جاء منها فى ثنايا القصيدة أو فى نهايتها هى حكمة قريبة المأخذ يبدو فيها التقل والتأثر بالقديم فقوله :

فان يكن ساءنى دهرى وغادرنى
في غربة ليس فيها اخ حدب
فسوف تصفوا الليالى بعد كدرتها
وكل دور اذا ما تم ينقلب ...

حكمة مستوحاة من قوله تعالى « ان مع العسر يسرا »

وخيال البارودى قريب مألوف لاسماعنا، ومن ذلك التصوير الاستعارى الذى يجعل العقل مصباحا ، والحب سلطانا ، والشك ليلا مظلما ، والدهر راميا والانسان هدفا .. الى غير ذلك من الصور التقليدية .

وعبارات البارودى تمتاز بأصالة اللفظ ، ومتانة النسج شبيهة بأساليب القدماء ، كما لا يخفى علينا ان كل بيت فى القصيدة وحدة معنوية مستقلة .

ويبقى بعد ذلك أن نقر للبارودى بالفضل فى انه خلص الشعر العربى من آفة الصنعة التى سيطرت عليه قرونا عديدة .

● مناقشة ●

قال البارودى :

لو كان للمرء عقل يستضىء به
فى ظلمة الشك لم تعلق به النوب
ولو تبين ما فى الغيب من حدث
لكان يعلم ما يأتى ويجتنب
لكنه غرض للدهر يرشقه
بأسهم ما لها ريش ولا عقب
فكيف اكتم اشواقى وبى كلف
تكاد من مسه الاحشاء تنشعب

● انثر بأسلوبك المعانى التى تضمنتها الابيات .

● ما قيمة وصف الاسهم بقوله

(ما لها ريش ولا عقب) ؟

● فى البيت الثالث عدة صور خيالية متداخلة يكمل بعضها بعضا . وضح هذه الصور مبينا ما بينها من تكامل .

● ما الغرض البلاغى من الانشاء فى البيت الاخير .

يقول البارودى .

الريت مجدا فلم اعبأ بما سلبت
أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لايخفض البؤس نفسا وهى عالية
ولا يشيد بذكر الخامل النشب
انى امرؤ لا يرد الخوف بادرتى
ولا يحيف على اخلاقى الغضب
ملكت حلمى فلم انطق بمنقبة
وصنت عرضى فلم تعلق به الريب

ـ ما الايحاء الذى تشف عنه الالفاظ (الريت ـ سلبت ـ ملكت) وما معنى كل من (بادرتى ـ منقبه) ؟

ـ ما الصفات التى افتخر الشاعر بها فى الابيات السابقة ؟

ـ فى البيت الثانى محسن بديعى ما نوعه وما أثره فى المعنى ؟

ـ وضح الخيال فى البيت الاخير.

ـ كيف تمثلت خصائص المدرسة الكلاسيكية فى هذه الابيات ؟

من مراسيم السمر

● معرج كريم ●

تدخلنى الغربة فى زمن التجوال
بقلب الريح
ادخل مملكة الله
فتنفتح الارض ثمارا
تنضج ـ فى لحمى ـ سطرا فى كتب التاريخ
وفصلا فى كتب الوراقين
ونارا فى « كانون » العالم
هذه القرية تلبسنى ، البسها ،
ادخل فى البيت الطينى
واخلع صخب العالم من اذنى
اجلس للسمر الشتوى
فيمتد بساط الشاى الاخضر
تنساب اللغة التلقائية
تجلس فى فسحة الليل
تلقى على جسدى آية من كتاب المواويل
أحجبة من نداء السواقى
تعينى اقبل زهرا تسلق
نافلة للغناء
فاغسل روحى بماء الطفولة
أخلع ثوبى . والقى بنفسى
لنهر المساء .



رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

ترنيمة الختام

نجوى !

• شعر : فيكتور هيجو •
• ترجمه : احمد مصطفى هلال •

مادام بكأسك شفيانا   ويظل ، بفيضك ، ملآنا
وجبيني الشاحب يشتاقني   يسديك فينسى الأشجانا
يستافه عبيرا .. بضمره   من روحك ، سرا ، نشوانا
كطيور تسري في ريش   من قلب ظلام يتغشانا

•••

مادام حديثك لي سلوى   ينساب بصحرائي صفوا
والثغر يرف على ثغري   برفيف النشوة والنجوى
ودموع مآق ... تتلاقى   لتكفكف في البلوى ـ شجوا

•••

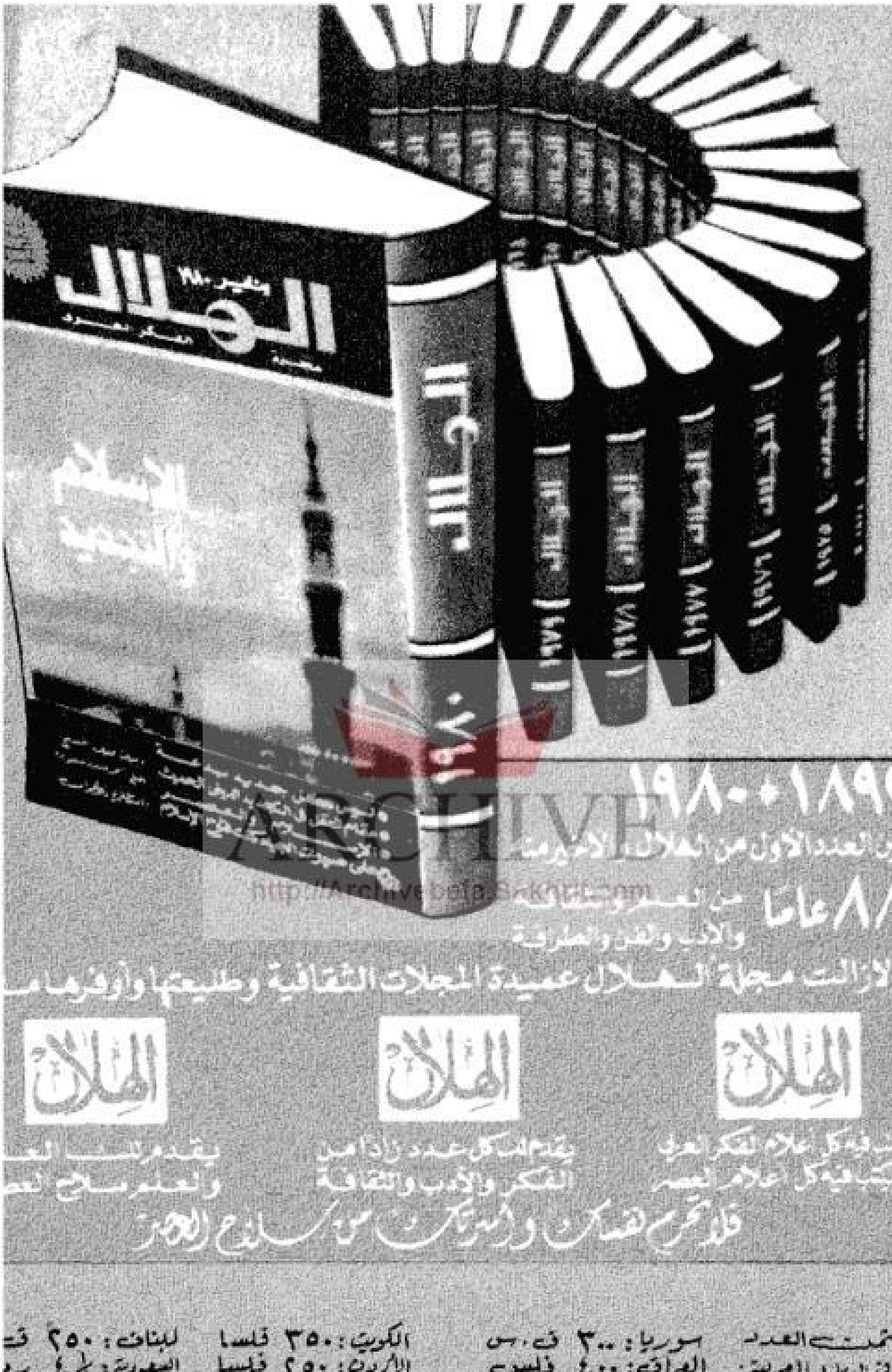
... مادمت أرى ورقا يهوى   من شجرة ورد في كرمك
يتوارى في لجج حيال   منتزعا من مجرى يومك

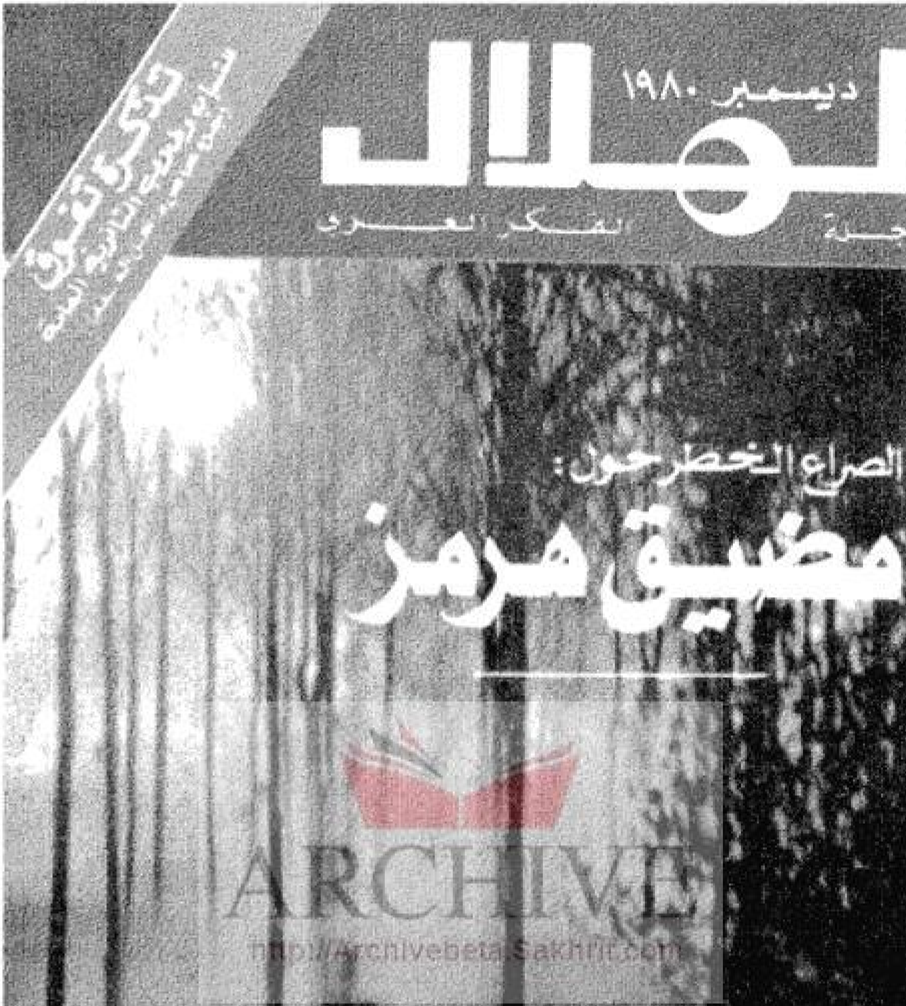
•••

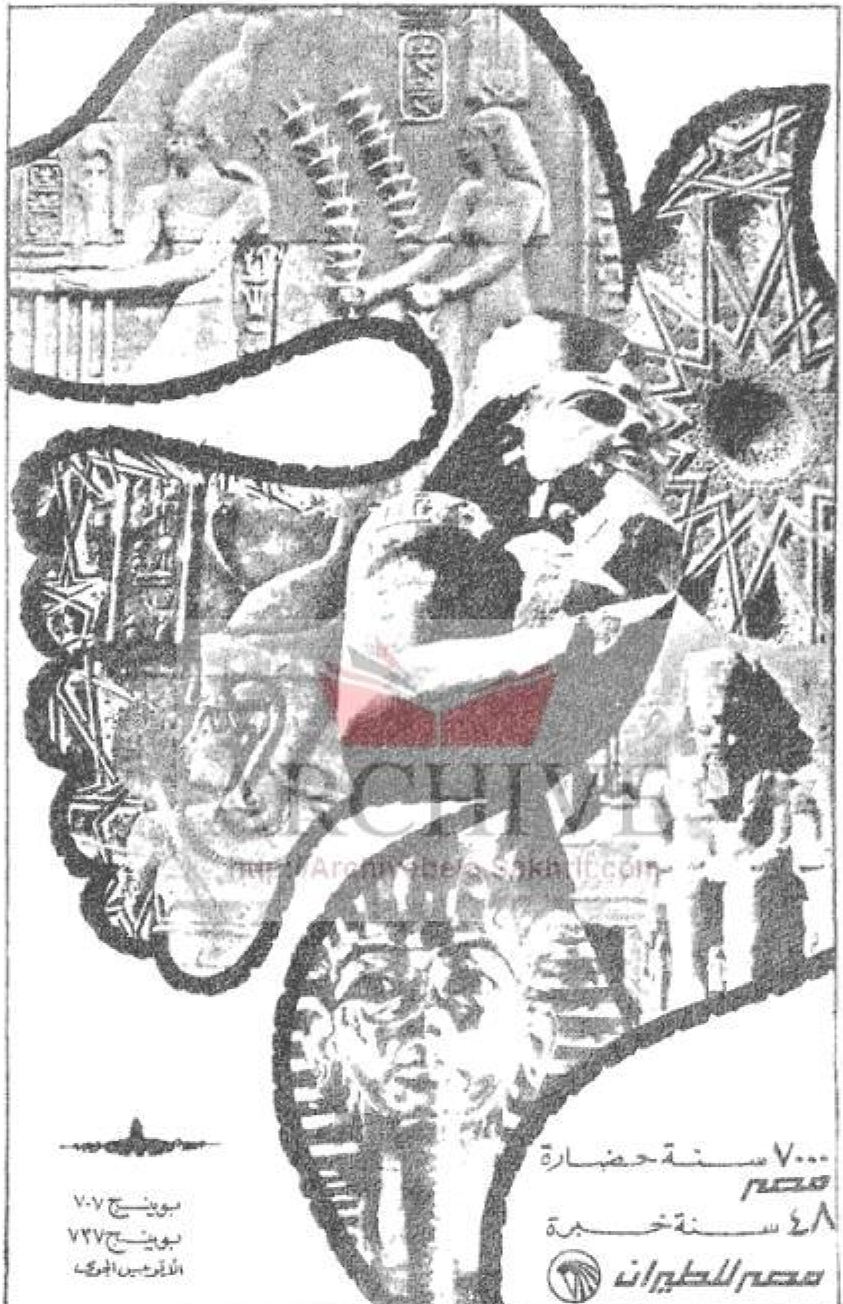
... سأقول لأيام تجري   لا وزن لها : مري • مري !
ماعاد بعمري متسع   لخطى الشيخوخة إذ تسري :
وخذي أزهارك .. ذابلة   إن شئت بها ، غري غيري
زهرة أحلامي يانعة   بصميم الروح .. مدى الدهر

•••

.. هيهات ! ستبقى مترعة   كأسي .. في حربك أو حبك
فبروحي فيض من لهب   يزري برماد في قلبك ..
وبقلبي قدر من حب   قد فاق ضياعا ... في حبك !


يناير ١٩٨٠
الهلال
الإسلام والتجديد
١٨٩٢ - ١٩٨٠
٨٨ عاما
والأدب والفن والمعرفة
الهلال
الهلال
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد في البلاد العربية:
سوريا: ٣٠٠ ق.س
العراق: ٤٠٠ فلس
الكويت: ٣٥٠ فلسا
الأردن: ٢٥٠ فلسا
لبنان: ٢٥٠


الهلال
ديسمبر ١٩٨٠
الصراع الخطر حول:
مضيق هرمز
● ڤينسيا .. فى خيال الشعراء العرب المعاصرين
● لمن جائزة نوبل فى الأدب لعام ١٩٨٠ ؟!
● الأعجوبة الثامنة فى هذا العالم


٧٠٠٠ سنة حضارة
مصر
٤٨ سنة خبرة
مصر للطيران
بوينج ٧٠٧
بوينج ٧٣٧
الأوتوبيس الجوى

كلمة الهلال

الهجرة النبوية الكريمة ومغزاها الحضاري البعيد

كلما اطل علينا يوم الهجرة النبوية الكريمة عادت بي الذكرى الى مسيرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وما تحمله من دروس وعظات ..

والهجرة في ذاتها حادث يمكن ان يكتب فيه المؤرخ مجلدا ضخما ، فهي هجرة المصطفى من مكة الى المدينة ، وهي هجرة الاسلام من مرحلة المتاعب والضيق وحصار المكيين الى مرحلة النصر وانشاء امة الاسلام وبناء قاعدة الانطلاق الاسلامي الرائع في الآفاق .

وقد نظر الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى الهجرة على انها هجرة من البداوة الى الحضارة من الفوضى الى النظام ، من السكون الى الحركة والتقدم ..

وقد دعا المسلمين الى الهجرة ، لا لكي يستقروا معه في المدينة ، بل لكي يتركوا حياة الضياع في الفيافي والقفار ويقروا في مواضع يزرعونها ويقيمون فيها حياة الحضر ويبدأوا مسيرة النظام والرقي ، ولهذا فقد امر بعض القبائل بان تقر في مواضعها وتترك حياة التنقل واعتبرها مهاجرة في منازلها ولها ثواب المهاجرين ، لان الرسول كان يعرف ان الحضارة والنظام والتقدم تبدأ بالاستقرار ، وان حياة الظعن وخلق البداوة لا يتحصل من ورائها خير ، كان يعمل ان يحول الاعراب الى عرب لكي تقوم امة الاسلام على قاعدة الاستقرار والعناء والانشاء ..

●●●

ان كل ما يقولونه ويكتبونه عن الهجرة لا يمس الا ظاهرها ، وهو الانتقال من مكة الى المدينة ، وما يروى حول رحلة الهجرة من قصص ، ولكن معاني الهجرة في الحركة الاسلامية الكبرى ابعد من ذلك واعمق واشمل وهذا هو الذي يجعلني اعيش مع الهجرة في ذكراها واتتبع آثارها في بناء الامة وبناء حضارة الاسلام وارى في نهاية الامر انها كانت هجرة بالانسانية كلها من عصر الجاهلية في الدنيا كلها الى عالم الحضارة والنور بعد الاسلام

ترى كم منا يفكر في هذه المعاني البعيدة ، وكم منا تحفزه ذكرى الهجرة الى ان يهاجر بنفسه من الجاهلية الى النور والعلم والايمان .

المحرر



كتب وكتاب

● نصر الدين عبد اللطيف ●

● المشترك .. الشاعر والملك ●

... زحمت الاضواء كل الانحاء في قلب جامعة قلعة النهر ! .. الليلة – في اسبانيا – مهرجان جائزة سرفانتس للشعر والادب هذا العام ...

فوق منصة التشريف كتاب وديوان شعر ... وعندها جوان كارلوس ، الملك ، تحيطه أسرة الجائزة، والجائزة، وعن يمينه الملكة الجميلة .

الفارسان : خيراردو دييجو ، وخورخي لويس بورخيس – الشاعر والكاتب الشاعر – يتقدمان فوق عاصفة من الاعجاب والثناء الجميل ! ..

في لحظة الذروة ، الشاعر والملك يتصافحان ...

وقال الشاعر للملك :

« يثير مشاعري كثيرا شرف تسلم الجائزة من ملك ! ..

« هناك شيء عظيم مشترك بين الشاعر والملك ، بيننا ...

« ان مصير الملك ، كمصير الشاعر ...

لم يكن يتعمد الشاعر ان يثير بما يقول حماسة الحضور الجماهيري ... مع ذلك فقد تفجرت الحماسة ضجة وهتافا ذاب فيه صوت الشاعر وما بقي من كلماته ! ..

ولم يسمع احد ما قال الملك ...

لكنه كان ما يزال يبتسم ...

والابتسامات أحيانا تقول ما لا تقول الكلمات ...

شيء عظيم مشترك بين الشاعر والملك ؟ : ... المصير !

لكن ، وبالتاكيد ، في المصير وما بعد المصير .. :

سوف يبقى الشاعر ... وقد لا يبقى الملك !!

● حصاد الف قلب يغني ويتعلب ! ●

... اكثر اللذى نظم شعراء العصر، واللذى دونوا ونشروا – مربي، او مر تحت عيني ! ..

لم يعتني الكثير ، هذا العام ، من دواوين الشعر .. ما صدر منها هنا، وما وفد من وراء البحر ! ..

وفي هذا الحصاد الشعري على امتداد موسمه ، لم يلفتني بمظهره ديوان مثل « اغنيات قلب » : فارع الاناقة والبهاء ، ياخذ القلب والعين معا !..

• • • • • • • • •

من رحيق الموهبة والتجربة ، ومن أحلى مراسي العمر ، أعطى مصـطفى عبد الرحمن في ديوانه « أغنيات قلب » دفء الـف قلب يغني ، ويتعذب ويحب ! ..

ومن حصاد العمر أعطى مصطفى كل شيء ليظهر ديوان شعره الجميل في هذا الرواء والرقة .. والطبع الجميل ! ..

. . . .

بعد : لحن الخلود ـ ليالي الشاطيء ـ أغاني الحياة ـ ربيع: الدواوين الاربعة للشاعر ، جاءت « أغنيات قلب » ، ديوانه الاكبر ، والاكثر ابانة عن تنوع معطياته ، واتساع المدى والعمق في أوتار قيثارته !

... منذ بعيد والنقاد ، اكثر النقاد ، يصنفون الشعراء ، وينسبون كل شاعر الى واحدة من مدارس الشعر قديمها وجديدها ...

وأستاذنا الدكتور عبد المنعم خفاجي يرى ، في مقدمة ديوان « أغنيـات قلب » ، أن مصطفى عبد الرحمن من شعراء « مدرسة الرقة العاطفية » ، كما أن اسماعيل صبري ، وابراهيم ناجي ، وصالح جودت ، من ذات المدرسة : الرقة العاطفية ...

لكن ، وكما يبدو ، فان هذه التسمية الظريفة تقوم على تركيبة لغوية يتعثر فيها المنطق ! ..

الرقة في معناها ، تكاد تكون هي العاطفة ...

والعاطفة كذلك تكاد تكون ! ..

والرقة والعاطفة ـ في اللغة ـ كلمتان تجريان تحت معنى واحد مقسم على كلمتين ! ..

واذن فلعلنا أن يخطر لنا القول بان اسماعيل صبري مثلا شاعر من مدرسة « الرقة الرقيقة » ... أو انه من شـعراء « مدرسة العاطفة العاطفية » ! ...

تلك على أي حال ليست هنا هي القضية ...

وبعيدا من تصانيف النقاد ومدارس الشعر ، فان « أغنيات قلب » ديوان شاعر مبدع ، خصب ، يغني للحياة والحب ، يصدح باناشيد الحرية ، يهتف للبطولات والنصر ، ويخفق بالنجوى الى الله في علاه ! ..

ولقد تحيرت ، كيف يمكن ان تتسع صفحاتي القليلة هنا لوقفة عنـد « أغنيات قلب مصطفى » .. ذلك ان قلب مصطفى عبد الرحمن يغني هنا ستا وستين من جميلات القصيد ، كلما توقفت عند جميلة منها : نازعتني اليها جميلة اجمل ! ..

وبارك الله جائزة الدولة للشعر ، التي فاز بها مصطفى هذا العام ... فلقد تذكرت ان في حيثيات الفوز بهذه الجدارة العالية ـ العرض لأغنيات قلب والتحليل والنقد ، وانها فصل المقال ، فيما كتب عن « أغنيات قلب » وما يمكن أن يكتب او يقال ! ..

● بقليل من العلم ، كثير من الهموم : ـ أعرف ! ●

جراح القلوب العالمي اللامع ، د . برنارد كريستيان ـ صدر له اخيرا في لندن كتاب جديد بعنوان : « حياة جميلة ، وموت جميل » ..

... ومن هناك ، بعث لي مجهول بهذا الكتاب ، مصدرا بعبارة اهداء ولكن بغير تعريف ولا امضاء ! ...

لم يفدني الكتاب كثيرا ، فمجمل ما يقول ان الموت ليس عدوا للانسان ، وان الموت للانسان ، احيانا ، افضل دواء ! ..

وبقيت حيرتي ردا على ذلك المهدى المجهول ...

لو أنه يقصد لي النصف الثاني من عنوان الكتاب : « موت جميل » :

فالحق انى والامانة اعرف ، بقليل من العلم وكثير من الهموم ، ـ ان الموت جميل ! ...

اما اذا كان يقصد بى النصف الاول من عنوان الكتاب : « حياة جميلة فاننى ـ والحق اقول ـ اعرف ، اسمع ، اشهد هنا وهنا ، حياة جميلة

ولكن ... حياة من ؟! ..

● الكتابة عن كتاب لم يكتبه بعد كاتبه ! ●

على غير موعد ، والوقت ضحى يوم امس ـ التقيت بكتاب مريح ! ، كتاب لا يقرا .. !

الغلاف ابيض صقيل .. العنوان على الغلاف وعلى الصفحة الثالثة بخط جميل : « منعطفات فى حياة شهريار عصره » ..

وبعد ذلك لا شىء .. فكل الصفحات اوراق بيضاء ! ..

وفهمت انه « ماكيت » مشروع كتاب ..

ولم افهم لماذا بعث به الى صاحبه ! ..

.. واضح انه اختار الموضوع والعنوان واعد صفحات الماكيت ، ولم يكتب الكتاب بعد ..

ولن اتساءل ، للمرة الثانية ، لم بعث به الى صاحبه .. فابيض الظن ان يكون دعوة للكتابة عنه او دعابة ..

ولعلها ـ هنا ـ البداية فى غرائب الناس والكتب ! ...

فالى ليضحكنى ـ (وليس هذا وقته !) ـ ان يكتب كاتب من الكتاب عن كتاب لم يكتبه بعد كاتبه ! ..

ان حياة شهريار ـ حقيقة او اسطورة ، وبعيدا عن حكايا الليالى مع شهرزاد ـ قد قتلها الكاتبون دراسة ، وشبع منها القارئون ! ..

واذا لم تكن هناك رؤية جديدة ملهمة ، فان حياة شهريار عصره لم تعد تفرز خيوطا ينسج منها كتاب ثمين ! ..

وكثير ، كثير على المنعطفات فى حياته كل هذه الصفحات فى الكتاب الابيض ! ..

واذا صح أن « المنعطفات » هنا تعنى المراحل ، فان أهم المراحل فى حياته ثلاث ! ..

فى البدء وشهريار ملك ، لم يكن له فى بيته حضور ملك .. وبدأ « انعطفت » الزوجة الى أحضان عبد من عباده الحاضرين ! ..

بعدها ، وهو ينتقم يتزوج كل يوم عروسا آنسة جميلة ، تزف اليه فى المساء ، ثم يأمر بها فتذبح فى الصباح !

وتاتى المرحلة الاخيرة والشهيرة مع شهرزاد والليالى ، وحكاياها ، روضته بها فاستراض ، وتربع بين الحشايا والطنافس يأكل ، ويسمع ويندهش ! ..

وخلال سنوات ثلاث الا قليلا ، وهن شهريار ، تغير ، وترهل .. اصبح غير من كان ! ..

وبعيدا عن شهرزاد لياليها ، واشباعها ، وفنها ، والتداد سحرها عبر الاجيال .. فاوكد الظن انه لم يبق لكتاب العصر ، شىء من شهريار عصره !• •

● لم يكن يزرع الكلمات في فضاء الهواء ! ●

ان للريح الف وجه ..
وكل الوجوه الى هواء !
و « الكتابة على وجه الريح » هي ـ هنا ـ اللفظ المنقول من معناه الى معنى يلابسه .. ولو اننا تجاوزنا معنى عميقا هناك في « ماساة الحلاج » الى معنى الوهلة الاول هنا ـ فانه ليس أوجع من توجس الفنان ـ ثانيا ـ ان كتابه قد يتجاوز اهتمام القارئين ..
وانه عاش المعاناة في ليالي الكتابة يزرع الكلمات في فضاء الهواء :
ليس ذلك بالقطع توجس كل الكاتبين في كل الكتب ..
ولكن .. لم اختار صلاح عبد الصبور لكتابه الانيق الثمين ، هذا العنوان الحزين ؟!
أهي انعكاسات عمق الشعر والشاعر ؟ ..
ان صلاح عبد الصبور شاعر أولا ، وشاعر دائما .. حتى وهو يكتب هذه الدراسات الشائقة ويختار لها عنوانا شاعرا ، مبهرا ، وشجيا ! ..
لقد انتخب لهذه المجموعة من دراساته ، باقة من الخالدين الاعلام في الفكر والشعر والحب والأدب :
أبو العلاء المعري ـ أبو حيان التوحيدي ـ أحمد شوقي ـ برتراند راسل ـ ديستويفسكي ـ سان جون بيرس ـ آرابال ـ اكيلوف ـ ت . س . اليوت ـ شكسبير ـ فلوبير ـ فولتير ـ كازانتزاكي ..
وكلهم عرض له صلاح في ألمع المواقف وحاوره ، وصوره من اعلا ومن الداخل ! ..
في البدء عنده كان شوقي ..
ولسوف يفرح العموديون بما قال عن أمير الشعراء أحمد شوقي ، رائد الشعر الحديث صلاح عبد الصبور ..
لقد تناول في الباب الأول مسرح شوقي الشعري .. وبدأ فطوف بنا في رحلة شائقة حول المسرح في ارهاصاته الاولى وبداياته وتطوره ، فروض لنا معالم الطريق ، وهيأنا لندخل معه مسرح شوقي .. ثم أطلق الاضواء معنا ومن حولنا ، ومشى هاديا يعطي الوعي ، والعمق ، والشاعرية .. وكان ـ كما هو مع الشوامخ الباقين في كتابه ـ ناقدا فارسا ونبيلا ! ..
واذا كان صلاح قد عرض هنا لشوقي في مسرحه الشعري ، فأوفى الحساب ، وأعلى المحامد والحسنات ، فلقد كانت له من قبل وقفة مع شوقي في مجامع شعره ، تجاوز فيها غلواء المتحزبين والادعياء ، وأقام لشوقي من موازين الفكر والعصر ما كرمه وأبقى عليه شأنه الباذخ ! ..
وأجمل الاجمل من أنعم الادب ، أن ينبيك عن شاعر كبير .. شاعر كبير ! ..
وتنفسح آفاق الحديث مشوقة تغري ، عن صلاح وشوقي ، وصلاح والآخرين في كتابه الجديد .. ثم لا ينفسح المجال هنا لاكثر من هذه الوقفة القصيرة عند الصفحات الاولى في بابه الاول ! ..
... الآن ـ ونحن على مشارف حصاد الفكر المبدع في مساجلات العقول الكبار ـ تتوقفنا شارات الضوء الاحمر ! ..
آه ....
وكان المنى ان يكون هنا حفل استقبال كتاب عظيم ! ..

● نصر الدين عبد اللطيف ●

في هلال هذا الشهر

الهلال

مجلة الفكر العربي

محرم ١٤٠١هـ

ديسمبر ١٩٨٠م

مجلة شهرية تصدر عن دار الهلال
اسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
ـ السنة الثامنة والثمانون ـ اول
ديسمبر سنة ١٩٨٠ ـ ٢٢ من المحرم
سنة ١٤٠١

رئيسة مجلس الإدارة : آمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : الدكتور حسين مؤنس

مدير التحرير : نصر الدين عبد اللطيف

سكرتير التحرير الفني : موسى حسين

من "الهلال"

جرت عادة الهلال على أن يطلب من العلماء والكتاب المقالات والدراسات التي يحتاج اليها .. وهو مع ذلك يقبل مع الشكر ما يتفضل به الكتاب وأهل الفكر ، ويبذل الفني ما يستطيع لنشر الصالح منها .. ولكن تحرير « الهلال » غير مسئول عن رد ما يرد من مقالات وبحوث وقصص وشعر دون طلب ، وهي لا ترد ، نشرت أم لم تنشر .

صورة الغلاف

هذا هو الخريف يمهد للشتاء . حقا إنه خريف صيفى مصرى معتدل ، ولكن مجلتنا هذه تقرأ على نطاق العالم ، وفيه بلاد خريفها بارد كثير الأمطار ، ولهذا الخريف البارد الذي جماله وسحره ، ونرى ذلك جليا في صورة غلاف هذا العدد

الإشراف الفني
أحمد الوردجي

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ٢٠٠ مليم ـ قيمة الاشتراك السنوى ١٢ عددا في جمهورية مصر العربية ٢٤٠ قرشا صاغا وتسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في جمهورية مصر العربية بحوالة بريدية غير حكومية . في الخارج بالبريد العادى ٧ دولارات او ٤ ج . لا تسدد بشيك مصرفي لقسم الاشتراكات بدار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب القاهرة .
تليفون : ٢٠٦١٠ ، عشرة خطوط .

هذا الصراع الخطر في ديار العرب والمسلمين

قد يؤدي الى خروج مضيق لهرمز من يدنا جميعا !!

بقلم : رئيس التحرير

● اذا اردت ان تأخذ فكرة عن هشاشة ما بناه الانسان على سطح الارض من معالم العمران فانظر الى برتقاله ، وتأمل الغضون على قشرتها ، فهذه الغضون التي تشبه الخدوش هي كل ما بنيناه على الارض من مساكن ومنشآت عالية او غير عالية ، ومدن ومصانع وطرق وجسور كل هذه تقوم في سمك لا يزيد على سمك الخدش ، واذا اردت ان تتصور نسبة الارتفاعات التي تصل اليها الطائرات في مسالكها فهي لا تزيد نسبيا على ارتفاع نصف سنتيمتر عن سطح البرتقالة ، اما الاقمار الصناعية فلا تزيد ارتفاعاتها عن سنتيمترين فوق سطح البرتقالة ،ومراكب الفضاء ومعامله التي تسمع عنها لا تبعد الا قدر ثلاثة سنتيمترات .

وهذا المثل يصور لك ضعف كل منشآت البشر على الارض .

ولو ذكرت ما يمكن ان يحدثه ابسط زلزال لتحققت مما نذكر من هشاشة حضارة البشر وامكانية زوالها في ثوان معدودات . وقد تحدث في ذلك الكثيرون من علماء الاحياء ومؤرخي الحضارة وقالوا ان زوال حضارتنا الراهنة امر محتمل ، بل أقرب الى الاحتمال من اى شيء آخر ، بل قال دزموند موريس انه لا يستبعد أن تكون قد قامت قبل حضارتنا الراهنة وما سبقها من الحضارات التي حدثنا بها التاريخ حضارات أخرى كاملة ، ازدهرت واينعت ثم قضى عليها الزلازل او باى جائحة من جوائح الطبيعة او بطغيان الثلوج ، ويكفي ان تعلم ان محور الارض لو انحرف درجتين زيادة على انحرافه الراهن لتغطى نصف الكرة الشمالي الى ما يقع جنوبي خط الاستواء بالثلوج ، وفي هذه الحالة لا يبقى في النصف الجنوبي حي لا على سطح الارض ولا في الهواء أو الماء ، لان جو الارض كله سيبرد الى درجة يستحيل معها استمرار الحياة .

***

وخلال السنوات الاخيرة انضافت الى عوامل فناء الحضارة عوامل جديدة ابتكرها الانسان بنفسه ، لان هذا الضعيف الذى وهبه الله العقل ليغنى به نفسه فاتجه به الى تخريب نفسه ، هذا المخلوق يقضى على الحياة على وجه الارض شيئا فشيئا ، وسيأتى دون شك وقت يقضى فيه على نفسه وعلى معظم مظاهر الحياة على وجه الارض ، فانه ماض في تلويث البيئة بصورة مخيفة ، فمعظم

كل عام يعلن العلماء عن قرب تلاشي طير أو حيوان أو نوع من السمك ، وتسرع جمعيات الرفق بالحيوان وحماية البيئة والطبيعة بالتحذير ، ولكن الإنسان ذلك الوحش الشرير لا يستمع لأي تحذير ، فهو يمضي في طريق افتراسه غير عابئ بمصير حي آخر ..

انهار أوروبا قد تلوث ماؤها تماما ولم يعد صالحا للشرب بسبب الاحماض والمواد الكيميائية السامة التى تنصب فيها باستمرار .

وكذلك الحال بالنسبة لانهار الولايات المتحدة ، فان التصنيع الضخم يفسد مياه الشرب ، ومعظم المصانع مقامة على ضفاف الانهار ، وفيها تصب نفاياتها ، وفي كل البلدان الصناعية الكبرى ماتت انهار كثيرة وانعدمت الحياة فيها ، فانقرضت الاسماك والنباتات البحرية وكل ما يعيش على ضفاف الانهار ، واصبح من المحرم استعمال هذه المياه للري ، بل ان مياه الري تتسمم في نواح كثيرة من اوروبا وامريكا ، لان الامطار في هبوطها الى الارض تذيب اطنانا لا تقدر من الدخان وغبار المواد الكيميائية السامة ، فاذا نزلت على النبات اماتتها وقتلت الارض فلم تعد تنبت بعد ذلك شيئا .

***

بل لقد أباد الانسان ، بما ركب في طبعه من الجشع على انواع بأسرها من الحيوانات والاسماك والطيور ، وقد فنيت أو كادت حيوانات الغاب ، ويقيمون لها الآن الملاجئ المحروسة ، وهى مساحات تخصص للحيوانات ويمنع فيها الصيد لكى تبقى نماذج من تلك الحيوانات قبل ان تبيد ، ومنذ الآن لا يمكن الابقاء على سمك العنبر وهو أكبر الاحياء المائية ، ولا على أسماك القرش بشتى أنواعها ويتنبأ العلماء بأنه خلال الخمسين سنة القادمة ستتلاشى كل الطيور البرية من أوروبا وكندا والولايات المتحدة وكذلك الغزلان والوعول والتيائل ، أما الدببة والثعالب والذئاب والارانب فقد بادت الا فيما ندر والدب الابيض يقضى ما بقي له من سنوات العمر مشردا متفردا مبعثرا فى المنطقة القطبية ، وعن قريب يتلاشى كل اثر لسمك السالمون بسبب تحكم الانسان فى الانهار التى يلجأ اليها ليبيض وينشيء اجيالا جديدة ، وقد اوشك اليابانيون على القضاء على اسماك الدلفين (الدرفيل) فى البحار المحيطة بالجزر اليابانية ، وذلك بسبب نشاط الصيد الوحشى فى بحار اليابان .

وفي كل عام يعلن العلماء عن قرب تلاشي طير أو حيوان أو نوع من السمك وتسرع جمعيات الرفق بالحيوان وحماية البيئة والطبيعة بالتحذير ، ولكن الانسان ، ذلك الوحش الشرير لا يستمع لاى تحذير ، فهو يمضى فى طريق افتراسه غير عابيء بمصير حى آخر .

وهذه الوحشية التى طبع عليها الانسان هى التى ستقضى عليه فى النهاية ويبدو انه من المحتم ان يقضى الجنس البشرى على نفسه فى غمار هذا السباق المحموم نحو ما يسمى بالتصنيع والدفاع عن الاوطان ، وفى يومنا هذا يمتلك كل من الامريكيين والروس من أسلحة الدمار النووية ما يكفى للقضاء على كل اثر للحياة على ظهر الارض ، ومهما تبذل من

جهود للحيلوله دون وقوع الحرب النووية فاننا لن نستطيع ، لان الانسان لابد سيثير هذه الحرب يوما ما . وعلى الرغم مما يبذل من الجهود التى تبذل للحد من الاسلحه النووية واستعمالها فيبدو ان ذلك فى الظاهر فقط ، لان دول العالم كله تتسابق للحصول على الاسلحة النوويه وتكديس القنابل المبيدة للحياة، وكل الدول تبدا نشاطها النووى بالقول بانها تسعى لاستخدام الطاقة النووية للاغراض السلمية فحسب ، ولكنها كلها دون شك تبدا بالمراكز النووية للاغراض السلميه ثم تنتقل الى مرحلة التفجيرات النوويه . ولم يعد سر القنبلة النووية بمختف عن احد ، فكل دول الارض - كبيرة وصغيرة - تستطيع صناعة القنبلة النووية بل هناك علماء شبان فى انجلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة يستطيعون أن يصنعوا قنابل نووية بنفقات قليلة جدا ، بل هناك من يستطيعون عملها فى معامل صغيرة وتفجيرها بأساليب فنية فى غاية البساطة وقد عقدت لجنة الطاقة النووية فى انجلترا اجتماعا من أربع سنوات لدراسة الطريقة التى يمكن بواسطتها حماية الدنيا من أى شاب من اولئك الذين يستطيعون صنع قنبلة نووية بأقل من مائه جنيه ، ليسعدوا بتفجيرها ومشاهدة الجزر البريطانية - من بعيد - وهى تتطاير فى الهواء .

❁❁❁

واذا كان المجانين الذين يخشى شرهم فى الغرب شبانا علماء يريدون أن يثبتوا كفاءتهم العلمية على حساب البشرية كلها ، فنحن لا ندرى من هم اولئك المجانين الذين يصرون على أن يتطاير عالم العرب والمسلمين فى الهواء بدون قنابل أصلا ، بل بالغباء وحده .

ذلك اننا - العرب والمسلمين أقصد - يا سيدى انه عجب ، او امتان عجب اذ شئت ، فقد وهبنا الله كل الاسباب التى تجعل السعادة والرخاء حقا لنا ، فنابى ذلك كله ونقسم على أن نظل فقراء وتعساء الى الابد .

وانت تعلم يا سيدى ان الله رزق أمه العرب والاسلام اليوم هبتين عظيمتين هما الوضع الجغرافى والبترول ولكنك لا تعلم - أو ربما تلاحظ - انه وهبنا كذلك مفاتيح الارض .

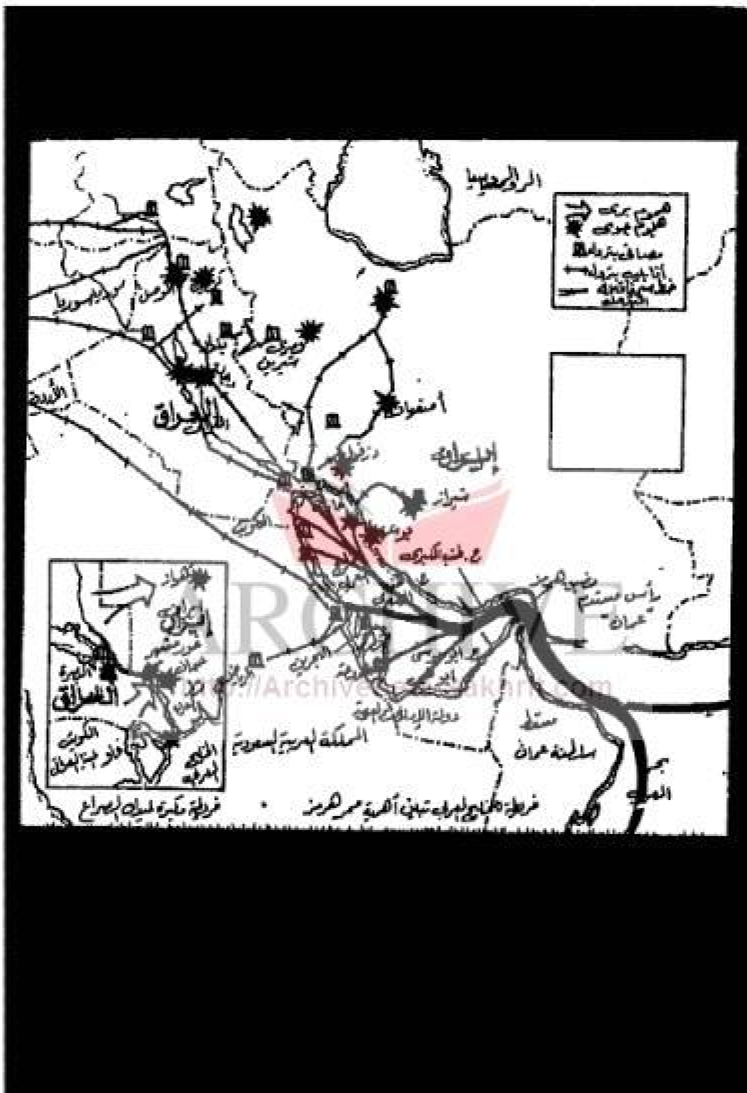
وبالمفاتيح اقصد تلك النقط التى تحكم المرور والانتقال من مكان لمكان على وجه الارض ، فان ستا من الممرات المائية الرئيسية فى الدنيا فى ايد عربية أو اسلامية :

مضيق جبل طارق
مضيق البوسفور
مضيق الدردنيل
قناة السويس
باب المندب
مضيق هرمز

مضيق ملقا (بين ملقا فى ماليزيا وسومطره فى ماليزيا) .

فتصور يا أخى اننا حزمنا أمرنا ووحدنا صفوفنا وقبضنا على هذه الممرات واستخدمناها لخيرنا وخير الدنيا صدقنى ان شيئا مثل هذا لو حدث لملكنا من عناصر القوة فى الدنيا تعدل ما نملك بالبترول .

ذلك ان الروس والامريكيين الذين يتنافسون على سيادة الارض لايستطيعون أن يفعلوا شيئا اذا نحن سيطرنا بقوة العروبة والاسلام المتحدين على هذه



خريطة الخليج العربي تبين أهمية مضيق هرمز

خريطة مكبرة لميدان الصراع

المرات الثلاث الست . هنا لا تستطيع روسيا ان تدخل البحر المتوسط الا بإذننا ، ولا تستطيع امريكا دخول البحرين الاحمر والابيض الا برأينا ، ولا مرت سفينة يابانية بحمولتها من مصر ملفا الا اذا اعطينا نحن اشارة المرور .

ولكن انظر ماذا تفعل بهذه القوة التي بين ايدينا . وأنت تعرف الكثير عن جبل طارق وقناة السويس وربما باب المندب ، ولكنك لا تعرف الا القليل عن مضيق هرمز .

فهذا المضيق الذى يحكم أبواب الخليج العربى لا تزيد سعته على اربعين كيلو مترا ، الساحل الجنوبى منه هو رأس مسندم فى سلطنة عمان ، والساحل الشمالى يقع فى ارض ايران ، عند جزيرة صغيرة تسمى هرمز . جزيرة صخرية صغيرة طولها من الشمال الى الجنوب اربعة كيلومترات ونصف ومن الشرق الى الغرب ستة كيلو مترات . انها أصغر من جزيرة الروضة الواقعة فى فى النيل ، ولكنها قاحلة لا تنبت شيئا . ان ارضها فى الغالب ملحية ، ولا ينبت فيها الا بعض الشعير والنخل فى قطع محدودة جدا .

وهذه الجزيرة تقع أمام جزء بارز من الساحل الايرانى يسمى أرمز او هرمز وكانت فيه مدينة او فرضة صغيرة لا اهمية تجارية لها .

فلما جاء العرب ،وهم أساطين البحار وقياطنتها فى العصور الوسطى نزلوا الجزيرة القاحلة وعمروها وجعلوها سوقا ومرفأ ومركزا من اكبر مراكز الدنيا التجارية . لقد تحدث عنها كل الجغرافيين العرب ، ابن رسته فى « الاعلاق ـ النفسية » القدسى فى « احسن التقاسيم » وابن حوقل فى « صورة الارض » ثم وصفها الادريسى وذكرها ياقوت فى معجم البلدان ، وكلهم يجمعون على أن جزيرة هرمز هى سوق كرمان ، وكرمان هى المقاطعة الايرانية التى تقع على مدخل الخليج العربى ، ومعنى ذلك ان العرب نزلوا بجزيرة قاحلة فجعلوها سوقا عامرة لتصريف منتجات مقاطعة من أغنى مقاطعات ايران هى كرمان .

وبفضل العرب انتقلت الاهمية التجارية من جزيرة قيس التى ينطقها العرب جش الى جزيرة هرمز ، وخملت جش وكذلك فرضة هرمز القديمة ،وحملت طريق السيطرة على أسواق هرمز سيطر العرب على مدخل الخليج العربى ،وعمروا رأس مسندم والبلاد الممتدة على ساحل الخليج الجنوبى من رأس الخيمة الى ابو ظبى ، وملكوا كل الجزر الصغيرة الاخرى فى مدخل الخليج وخاصة طنب الصغرى وطنب الكبرى وأم موسى .

***

وفى سنة ١٥٠٧ استولى البرتغاليون على جزيرة هرمز وفرضة هرمز وملكوا مضيق الخليج ، وقد تمكن عرب عمان من طرد البرتغاليين من الجزيرة ، أما فرضة هرمز فقد استعادها الشاه عباس الصفوى من أيدى البرتغاليين بمساعدة الانجليز سنة ١٦٢٢ . وقد هدم الشاه فرضة هرمز وانشأ مكانها ميناء يسمى بندر عباس . اما الجزيرة فقد ظلت بأيدى العرب ، وهى تاريخيا وجغرافيا تتبع سلطنة عمان ،فهى أساسا أرض عربية . وبهذه المناسبة لابد ان نذكر ان كل الشاطىء الإيرانى من الخليج يسكنه عرب ، فهذه اراضى عربية كانت تسكنها دائما قبائل عربية ، والقواسم الذين يحتلون بلاد الامارات العربية المتحدة اصلهم من الشاطىء الايرانى ، عبروا الى جزيرة العرب

إن الروس والأمريكان الذين يتنافسون على سيادة الأرض لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً إذا نحن سيطرنا بقوة العروبة والإسلام المتحدين على هذه الممرات المائية الست ، وهنا لا تستطيع أي قوة أن تدخل البحرين الأحمر والأبيض إلا بإذننا . .

وانشـــاوا الامارات العربية الزاهرة المعروفة .

وقد سيطر الفرس عـلى بلاد هــذه القبائل العربية فى العصر الصفوى بينما كان العرب متفرقين لا يفكرون فى وحدة فنحن اذ نقــول « الخليج العربى » لا « الفارسى » نحن لا نردد دعــوى عرقية لا معنى لها ، ولكننا نقرر حقيقة تاريخية جغرافية وحضارية .

وسيطرة ايران على القبائل العربية على الشاطىء الايرانى ، وهو يسـمى عربستان ،سيطرة عدوانية ، ولا يزال زعماء عربستان يعيشون فى بلاد الخليج بعد ان عدا الايرانيــون على بلادهم ، والاهواز ايضا بلاد عـربية ، وأصــل الاسم الاحواز ، وقد عمر العرب هــذه البلاد بعد الفتح العــربى وعربوا مدن اصطخر وتستر وعبادان والمحمرة التى سماها الايرانيون خرمشهر كل هذه بلاد تدخل فى النطاق العــربى ، وينبغى ان تعود الى العرب .

ومع ذلك فما كنا لنقول هذا الكلام لولا أن ايران فى عهد الشاه الســابق عدت عدوانا بالغا على حقــوق العرب ، فوضعوا يدهم على الاراضى التى يمر فيها نهر قارون (يسميه الايرانيون «كارون» وحصلوا جزيرة هرمز بل احتلوا جـزر ام موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى وزعموا انها أراض ايرانية ، وأعلنوا انهم ملكوا مفاتيح الخليج ..

والحق ان اى مفكر اسلامى لايعنيه من الذى يسيطر على مضيق هرمز ومداخـل الخليج ما دام مسلما يستخدمها لصالح المسلمين ، اى يجعل هذا المضيق مصدر قوة للاسلام كله ، اما ان يسـتولى على المضيق ليعلن عن ســيادة عجمية على العرب فامر فيه ضعف للعرب والمسلمين والايرانيين ولهذا فنحن نرفضه .

ان الحرب المخربه بين العراق وايران تدور رحاها بضراوة محزنة ومفزعة ،وقد تحدثنا عن هذه الحرب العمياء فى مقالات سابقة ، فلنكتف بان نختم هذا المقــال بحقيقة لابد واقعة اذا ظللنا نتحـــارب بهذه الضراوة : ستنتهى بخروج المضيق عن ســيطرة ايران والعرب جميعــا ، سيسطو على المضيق رجال الغــرب أو الغرب والروس ، ونخرج نحن خاسرين كما هى العادة دائما .

ترى كاذا يفتح العرب والمســلمون عيونهم ؟

هل قدر علينا ان نكون دائمــا قــوة لاعدائنا وضعفا لانفسنا ..

حكمتك يارب !.

● د. حسين مؤنس ●

ملامح من التاريخ القريب

قضية تعليم الفتاة

● د . احمد الحوفى ●

قد يحسب من يرى الفتيات العربيات يعمرن المدارس والجامعات وينافسن الفتيان في مجال التحصيل وفي الظفر باسمى الالقاب العلمية ، ان هذا حدث طبيعي نالته الفتيات منذ زمن بعيد ..

ولكن الحقيقة على نقيض ذلك الحسبان ، فان تعليم الفتيات في مصر وفي العالم العربي كله كان محظورا عدة قرون الى ما يقرب من مئة عام .

وعجيب جدا ان تصدى بعض الناس لحرمان الفتاة من التعليم ، وهم يعلمون ان الاسلام لم نقصر طلب العلم على الرجل دون المراة ، ولا على الفتى دون الفتاة : فان في تاريخ الاسلام كثيرا من النساء الفقيهات والمحدثات والطبيبات والشاعرات .

غير ان ركود المسلمين بعد نشاط ، وضعفهم بعد قوة ؛ وجهلهم بعد علم ، توقف بالمراة كما توقف بالرجال وعوقها اكثر مما عوقهم : فصارت تجهل القراءة والكتابة الا في قلة وندرة .

١ ـ صيحة الطهطاوى :

من الانصاف ان نرجع بواكير النهضة النسوية في العصر الحديث الى محمد على ، لانه انشا في مصر اول مدرسة للمرضات ، تخرج فيها عدد من الفتيات ونبغ بعضهن .

ثم جاء رفاعة رافع الطهطاوى ، احد مبعوثي مصر الى فرنسا ، فكان اول داعية في العصر الحديث الى تعليم الفتاة في كتابه الذى اسماه «المرشد الامين للبنات والبنين» المطبوع سنة ١٨٧٢ م اذ قال : « ينبغى صرف الهمة الى تعليم البنات والصبيان معا ، لحسن معاشرة الازواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك ، فان هذا مما يزيدهن ادبا وعقلا ، ويجعلهن بالمعارف اهلا ، ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والراى ، فيعظمن في قلوبهم ، ويعظم مقامهن ، لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المراة الجاهلة لمراة مثلها .

وليكن للمراة عند اقتضاء الحال ان تتعاطى من الاشغال الاعمال ما يتعاطاه الرجال ، على قدر قوتها وطاقتها ، فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بانفسهن ، وهذا من شانه ان يشغل النساء عن البطالة ، فان فراغ ايديهن من العمل يشغل السنتهن بالاباطيل ، وقلوبهن بالاهواء ، وافتعال الاقاويل ، فالعمل يصون المراة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة ، واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمومة في حق النساء »

ويسترعى الانظار ان رفاعة الطهطاوى

---

(١) بناء دولة مصر (محمد على) محمد فؤاد شاكر

(٢) المرشد الامين ٦٦



رفاعه الطهطاوي



حفني ناصف



قاسم امين

لم يقتصر على الدعوة الى تعليم الفتاة، بل أضاف الى دعوته مايسوغها ويرغب فيها ، من تنمية عقول النساء ، وتكميل اخلاقهن ومن صلاحيتهن للحياة الزوجية السعيدة ، وسلامتهن من الطيش والخرافة والسخف .

على أنه شفع الى دعوته فكرة اخرى هى أن تمارس الفتاة المتعلمة من الاعمال ماتطيق وما يلائم الانوثة ، وعلل لهذا بان العمل يقيهن شرور البطالة

ثم ناصر دعوة الطهطاوى كثير من المصلحين الذين درسوا فى اوروبا كما درس ،وناصرها كثير ممن لم يدرسوا باوروبا ، ولكنهم فهموا الاسلام على حقيقته ، مثل على مبارك ، وحفنى ناصف واحمد لطفى السيد وقاسم امين واحمد شوقى ، ومحمد عبده ، واحمد فارس الشدياق .

وكان من الفرص المواتية لنجاح دعوة الطهطاوى أن عصر اسماعيل كان عصر استنارة وحضارة ، فارتفعت الثقافة ، وتفهم الدارسون روح الاسلام، فاستجابوا لدعوات الاصلاح ، وساهموا فى التطور الذى كانت تغذيه صلات مصر بأوروبا، فافتتحت زوجة اسماعيل مدرسة السيوفية بالقاهرة سنة ١٨٧٣م لتعليم البنات ، ولم تلبث بعض مدارس ان نشأت على غرارها .

وفى نهاية عصر اسماعيل ظهرت طلائع من العالمات والاديبات ، مثل السيدة تموهان الطبيبة التى تعلمت فى مدرسة القابلات ، وشاركت فى تأليف بعض كتب طبية ، وكانت عضوا فى لجنة تحرير مجلة « اليعسوب » ومثل السيدة عائشة التيمورية ، والسيدة فاطمة الازهرية ، والسيدة ستيتة الطبلاوية .

***

ويبدو ان الدعوة التى تلت دعوة الطهطاوى كانت لحفنى ناصف ، اذ قرظ ديوان الشاعرة عائشة التيمورية المطبوع سنة ١٣٠٣ هـ « ١٨٨٥ م »[2].

وجاء فى تقريظه قوله : « عجيب من استئثار الرجال بالتعليم والتفضيل ، مع ان الرجال والنساء كالبيت لافضل لسمائه على ارضه ، ولا الطوله على عرضه ولا مزيه لجداره على بابه، ولا لحجره عل ترابه ..»

فهل بعد هذا يصح ان يقال : ان النساء اقل فضلا من الرجال ؟ فمابالنا ـ بنى الشرق ـ تطاولنا على واجباتهن بلا طائل . واهملنا تربيتهن وهن مربيات ابنائنا .. فنشأن اول وهلة ، على جهل وغفلة . وصادف التخريف منهن قلوبا خالية فتمكن . فربين الابناء وهم فى طور السذاجة على ما استقر عندهن.

وعلى هذا انصرمت الاعوام ، حتى رمى جسم الشرق بالالام .

وما نشأ كل ذلك الا من اهمال ذاك الصنف ، ومن لم لانسمع بأنثى لها رتبة فى الفضائل بعد الاوائل ،او سيرة فى الاداب بعد الاعراب ، او نبأ فى

(٢) طبع بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣٠٣هـ ونشر التقريظ فى آخر الديوان باسم (سليم رحمى) ولكن التقريظ مسجل فى (نثر حفنى ناصف) بشرح وتقديم الدكتور محمد مهدى علام وعبد الحميد حسن صفحة ١٦٧ طبعة المجلس الاعلى للفنون والاداب : ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩) م ومنسوب لحفنى ناصف ولا شك فى هذه النسبة لان الاسلوب هو اسلوب حفنى ناصف .

قضية تعليم الفتاة

العلوم بين العموم ، وانى يكون ذلك ، وما العلم الا بالتعليم .. » (٤)

٢ ـ صيحة زينب فواز :

وتعد « زينب فواز » من اوائل من شاركوا فى الدعوة الى تعليم المراة ، ففى مقال لها بعنوان « تقدم المراة » نجدها توضح مكانة المراة فى المجتمع ووجوب تعليمها وانقاذها من الجهل فقالت فى سنة ١٨٩٢ م والحاصل انه ما من امة انبعثت فيها اشعة التمدن فى اى زمان كان الا كان للنساء فيه اليد الطولى والفضل الاعظم ، كما لا يخفى ذلك على من اطلع على تواريخ المصريين واليونان القدماء ؛ فكل هذه الامم المتمدنة كانت تعتبر النساء كعضو لايتم العمل الا بمساعدته .

« نعم وان كان بيننا وبين نساء الغرب بون بعيد من حيث الحجاب والمنعة والبعد عن مخالطة الرجال بحكم الشرع ، الا انه لاحجاب بيننا وبين درس العلم واكتساب المعارف التى ترفع بواسطتها راية الفخر بانفسنا اظهارا لعلو منزلتنا .

« وما المانع ياترى بعد ان علم الكل من الرجال مزية تعليم المراة لو قام البعض منهم بتشييد مدارس لتعليم البنات على مقتضى القواعد الدينية ، لاننا نعلم علم اليقين ان التمدن فى شريعتنا الغراء متوفرة اسبابه » .

وطالبت بحقوق المراة السياسية واشتراكها فى جميع الاعمال التى يقوم بها الرجل ، فقالت سنة ١٨٩٢ م :

« وحيث قد اجمع السواد الاعظم منهم على ان الرجل والمراة متساويان بالمنزلة العقلية ، وعضوان فى جسم الهيئة الاجتماعية لا غنية لاحدهما عن الاخر فما المانع اذن من اشتراك المراة فى اعمال الرجال وتعاطيها الاشغال فى الدوائر السياسية وغيرها متى كانت جديرة بان تؤدى ماندبت اليه » .

ولم تكتف بنشر مقالاتها وارائها الجريئة فى قضية المراة ، ولكنها الفت كتاب « الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور » وهو يتضمن تراجم شهيرات النساء من العالم كله محاولة ان تبرز مكانة المراة سواء كانت مصرية او اعجمية . .

وقد شاركت « زينب فواز » بمقالاتها فى الدعوة الى النهوض بالناحية الثقافية والاجتماعية ، فنادت بانشاء الجامعة المصرية ، حتى لايضطر المصريون الى ارسال ابنائهم للتعليم بالخارج فقالت :

« ان العلم الحديث فى الشرق لم يخرج عن كونه طفلا لم يتعد سن الفطام ، وهو ضال لا ماوى له سوى مابنيت عليه المدارس من العلوم الابتدائية ، وليس بخاف ما تكبدته الامة بسبب ارسال ابنائها الى مدارس الغرب لتتميم العلوم فيتعلمون ماهو ادهى وامر ..

والحاصل انه يجب الان على كبار الامة ان يتموا تلك النهضة ؛ ويؤلفوا اللجان ، ويجمعوا مايقدرون عليه ؛ والامل وطيد بالا يمضى زمن قليل من الوقت حتى تجمع مايكفى لتاسيس تلك الكلية التى اقترحها صاحب اللواء من قبل ومن بعد ؛ فيظهر حينئذ نور الشرق الساطع وتكشف عنه غياهب الجهل المتراكمة (٥)

٣ ـ صيحة قاسم امين :

لايستطيع باحث منصف ان يتغاضى عن دعوات قاسم امين ، فان النهضة النسوية مقرونة بجهوده ، لانه درس فى مصر وفى فرنسا ، فراعه ما بين المصرية والفرنسية من فروق شتى فى الثقافة والمكانة والصلاحية للحياة الزوجية والاسرية ، وكاشف اصدقاءه بخواطره **فشجعوه على ان يكتب ، فالف كتابه الاول « تحرير المراة » سنة ١٨٩٩ م بين فيه ان تعليم المراة حق من حقوقها وواجب على اسرتها وعلى المجتمع ،**

---

(٤) نثر حفنى ناصف ١٦٧ للدكتور محمد مهدى علام والاستاذ عبد الحميد حسن .

(٥) راجع الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور والرسائل الزينبية لزينب فواز ومجلة فتاة الشرق سنة ١٩٠٦ م .


محمد عبده


عائشة التيمورية


احمد شوقي

وضرورة يقتضيها الدين والوطن ، وعاب الحجاب الطاغي الذي كان سائدا ودلل على انه يغاير الحجاب الذي شرعه الاسلام ، ودعا الى حق المراة في مزاولة الاعمال والوظائف العامة كما يزاولها الرجال ، وضرب امثلة من تاريخ النساء في الاسلام .

وكان لكتابه هذا دوى عظيم ، فانطلقت اقلام للرد عليه ، واتهمه بعض الكتاب بالخروج على الدين ، فالف كتابه الثاني «المراة الجديدة» سنة ١٩٠٠ م ناقش فيه مخالفيه ، وفند التهم التي صوبوها اليه ، مستندا الى القران الكريم والحديث النبوي الشريف واقوال الصحابة واعمالهم ، ومستنيرا بآراء الغربيين ، واصر على نبذ الحجاب الطاغي ، وعلى ممارسة المراة للاعمال العامة ، لتتاح لها الفرص التي تمكنها من اظهار مقدرتها .

ثم اندلعت ثورة الشعب على الاحتلال البريطاني ، وكانت ثورة عاتية ، شاركت النساء فيها ، اذ خرجن اول مرة في التاسع من شهر مارس سنة ١٩١٩ ، متجهات الى بيت زعيم الثورة سعد زغلول ، فتصدى لهن الجنود الانجليز ، وفرقوا جمعهن

ثم خرجن مرة ثانية في الرابع عشر من مارس واستشهدت احداهن برصاصة انجليزية وهي السيدة حميدة خليل

ولكنهن لم يخفن ، فاجتمعت منهن في السادس عشر من مارس ثلاث مئة وسرن في موكب رهيب الى ممثلي الدول الاجنبية في مصر ، وقدمن صورة من احتجاجهن على وحشية الانجليز .

وبعد هذا نظمن مظاهرة رابعة في العشرين من مارس ، واتجهن الى قصر النيل وهو اكبر معسكر للقوات البريطانية في القاهرة ، وجعلن يهتفن بالحرية والاستقلال .

وكانت مظاهرتهن الخامسة في الثاني عشر من ديسمبر سنة ١٩١٩ للاحتجاج على لجنة ملنر وللحض على مقاطعتها .

على انهن كن يلقين الخطب في المجتمعات(٦) ويؤلفن الجماعات ، وينشرن اراءهن في الصحف ، ويضطلعن باعمال الخير والبر ورعاية الفقراء .

واذا كان بعض نشاطهن سبق ثورة ١٩١٩ فان الثورة نمته وقوته وزادته عمقا وسعة وانتشارا ، حتى ان «الحزب النسائي» اسس في العقد الثالث من القرن العشرين بزعامة السيدة هدى شعراوي ، وكانت دعوته الاولى هي التسوية بين الفتى والفتاة في مجال التعليم ، وقد نبذت نساء الحزب الحجاب الطاغي ، وسفرن في اول الامر سفورا لاينكره الشرع .

اما التطبيق العملي للمساواة بين الفتى والفتاة في التعليم ، فكان في سنة ١٩٣٠ م اذ دخل الجامعة اول فوج من الفتيات بعد ان تعلمن في المدارس الثانوية .

وما زالت النهضة النسائية تمضي قدما ، حتى قامت ثورة يولية ١٩٥٢ م فنص الدستور الصادر في سنة ١٩٥٦ على منح المراة حقوقها السياسية ، وسرعان ماصار بعض النساء اعضاء في مجلس الامة ، وبعضهن نواب الوزارة وبعضهن شغلن مناصب الاساتذة في الجامعات ومناصب العمادة ، وما زلن يتطلعن الى مزيد .

« للبحث بقية »

---

(٦) تاريخ الحركة القومية ٢: ٣٦ عبد الرحمن الرافعي .

الرسول صلى الله عليه وسلم والشباب

● د . احمد شلبى ●

● فى مطلع حديثنا عن الرسول والشباب نحب ان نوضح ان ليس هنالك حد فاصل مميز يقف بين الصبا والشباب ولا بين الشباب والكهولة ، فلا نستطيع ان نقول لانسان انك اليوم تطوى عهد الصبا لتبدأ عهد الشباب ، او تطوى صفحة الشباب لتبدأ عهد الكهولة والشيخوخة لان الصلات بين هذه الاطوار صلات متداخلة ، وهذا شيء من فضل الله ، لامكان ان يعايش الانسان فترة الصبا والشباب معا ، وفترة الشباب والكهولة معا ، فينتفع بهذا وذاك أو قل ينتفع بهذا لذاك ..

ونقطة أخرى تتصل بأطوار الانسان هى ان الزمن ليس الشيء الوحيد الذى يحدد هذه الاطوار ، فالصحة الجسمانية والصحة النفسية لهما أثر كبير فى تحديد الوقت الذى ينتقل فيه الانسان من طور الى طور ، ومن هنا نستطيع ان نؤكد ان الرسول وكثيرين من أصحابه كانوا شبابا وهم فى العقد السادس أو بعده ، وسيرة الرسول توضح أنه كان شاب الجسم والعقل والقلب حتى تجاوز الستين ، ومرض مرض الموت ، وكان هو وأصحابه يديرون امور الدولة بأعلى درجات الكفاءة وهم حول الستين من العمر .

والشباب جيل يقف فى منتصف الطريق ، يأخذ من السابقين وينقل للاحقين ، فهو جيل يتلقى تجارب الشيوخ . وقدراتهم ، ويضيف لذلك ماجد من معلومات وتجارب ، ثم ينقل هذا وذاك للجيل التالى الذى سيقف شبان اليوم معلمين له ومدربين ، فحلقة الحياة والتجارب متصلة ، واضافات التجارب والخبرات والفكر ينبغى أن تشجع ليصبح كل جيل ملائما للعصر الذى يعيش فيه .. ولو لم يتلق الشباب عن الشيوخ لفقدوا خبرات الماضى وتجاربه ، ولكان عليهم ان يبدأوا من جديد فيما قد بدأه الجيل السابق ووصل فيه الى حلول ونتائج ، ولضاق وقتهم عن الاصالة الجديدة .

ومن هنا كان اهتمام الرسول صلى

الشباب جيل يقف فى منتصف الطريق ، يأخذ عن السابقين ، فهو جيل يتلقى تجارب الشيوخ ، وخبراتهم ويضيف لذلك ما جد من معلومات وتجارب ، ثم ينقل هذا وذاك للجيل التالى الذى سيقف شباب اليوم معلمين له ومدربين ، فحلقة الحياة والتجارب متصلة .

الله عليه وسلم بالشـــبـاب ، ذلك الاهتمام الذى يمثله الحديث الشريف « نصرت بالشباب » ، وهذا الحديث يصور عصر الرسول صلوات الله عليه أدق تصوير ، لجيل الشيوخ فى مطلع الرسالة لم يستطع أن يتخلى من عبادة الاوثان ولا عن تقاليـــد العصر ، لان نفوس هذا الجيل كانت قد رسخت فيها مع طول الزمن قيم الجاهليـــة ونظمها .. اما جيل الشباب فـكانت عبادة الاصنام تتعمق فى نفســـه ، وكان أميل للصفاء وراغبا فى التعرف على ما تحمله الدعوة الجديدة من فكر وقد حمله ذلك الى دراسة الاســلام فقنع به الكثيرون منهم ، ووقف بذلك جيلان متعارضين ، جيل يصـــارع الاسلام ويبرز فيه جانب الشـيوخ ، وجيل يدافع عنه ويبرز فيـــه جانب الشباب ، وبعض هؤلاء الشباب كانوا ابناء للشيوخ الذين عارضوا الاســلام وحاربوا المسلمين ، وبعض هـــؤلاء الشيوخ سقطوا فى المعارك وبضربات من ابنائهم احيانا ، وسنرى فيما بعد نماذج من شباب المسلمين الذين التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا عدته فى مختلف المواقف .

● الشباب والتحولات الفكرية :

فى ضوء ماذكرناه آنفا نستطيع ان نقرر أن الشباب هم العدة الهـــائلة للتحولات الفكرية وبدونهم تتعثـــر الدعوات الجديدة ، لان صفاء نفوسهم ونقاء عقولهم ، وعدم خضوعهم لاحمال مائلـــة من تقاليـــد الماضى يجعلهم مستعدين للدراسة والبحث وتقبـــل ما يعجز عن تقبله جيل الشيوخ .

بيد أننا نوضح نقطة شديدة الاهمية هى أن الشباب للاسباب التى ذكرناها آنفا قد تخدعهم دعوات لامعة المظهر ، فجة المخبر ، فيقعون فريســـة لهـــذه الدعوات ويعتنقونها ويتحمسون لهـــا لفترة من الزمن ، ولـــكنهم سرعان ما يكتشفون حقيقتها ويتمردون عليها . وهذا هو الفرق الهائل بين دعـــوة

الاسلام العميقة السامية التى تلقاها الشباب ، وزادوا حماسا لها من يوم الى يوم ، وبين دعوات الشيوعية والاشتراكية التى خدع بها الشباب حينا ، وايدوها ثم تفهموها بعد حين فانفضوا عنها .

ومن هنا نوضح ان الشباب الذين اعتنقوا الاسلام بمبادئه كانوا يزيدون حبا له واقبالا عليه كلما مر الزمن ، اذ يتعرفون على مزيد من مبادئه الرائعة ويزيدون ارتباطا برسول الاسلام الذى كان مثالا نادرا للقائد والرائد الذى يعمل للاسلام والمسلمين دون ان ينال اى شىء لنفسه وذويه..

وهذا يدفعنا ان ندعو الشباب الى التريث فى قبول الدعوات الجديدة فليست الدعوات الجديدة من عند الله كما كانت دعوة الاسلام ، وليست لها معجزات الاسلام ، ولهذا ينبغى على الشباب ان يستعملوا الاناة ، والا يتدفقوا على تاييد اية دعوة جديدة بحكم الرغبة فى التغيير ، وذلك حرصا على جهودهم من الضياع ، وقد رايت وانا استاذ بالجامعة جماعات من الشباب يتحمسون لفكرة ، وربما ارتكبوا الشطط فى تاييدها ، ولكنهم عندما تقدم بهم العمر تخلوا عنها ، لقد اعتنقوها بثورة عاطفية ، فلما نما العقل اجتنبوا انفعالات العاطفة .

● الشباب مع الرسول :

اذا عدنا الى مطلع الاسلام ، وجدنا الشباب ـ كما قلنا من قبل ـ هم خير نصير للدعوة الجديدة ، واول من نقابل فى هذا المجال عليا بن ابى طالب وهو اول من اسلم من الصبيان ، وكان آنذاك صبيا حدثا لم يبلغ الشباب بعد ، ثم نقابل ابا بكر الصديق وهو أول من اسلم من الرجال وكان أصغر عمرا من الرسول صلى الله عليه وسلم اى كان لم يكمل العقد الرابع من العمر ولم يستجب ابو قحافة والد ابو بكر لدعوة الاسلام فقد كان من الشيوخ الذين يصعب تحولهم الى الفكر الجديد كما ذكرنا من قبل ، وظل ابو قحافة على الوثنية حتى فتح مكة .

واتجه ابو بكر الى شباب مكة يدعوهم للدين الجديد ، ويذكر لهم مبادئه ويعرفهم بالرسول ، فاجتمع حوله نخبة رائعة من الشباب ، اخلصوا الاخلاص كله للدين الجديد ، وحملوا الويته معلمين ومهاجرين ومحاربين ، ومن هؤلاء سعد بن ابى وقاص وطلحه بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف ، وكان هؤلاء فى قمة الشباب لم يصل بعضهم الى سن العشرين بعد ، وسرعان ما دخل الاسلام كذلك شابان جديدان هما ابو ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود وكانا من العشرة الاوائل الذين دخلوا هذا الدين ، ثم توالى بعد ذلك دخول مجموعات من الشباب مثل ابى سلمة والارقم بن ابى الارقم وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث ، وسعد ابن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب ، واسلمت شابات صغيرات منهن اسماء بنت ابى بكر واختها عائشة ، واسلم خباب ابن الارث وعمير بن ابى وقاص اخو سعد ، وعبد الله بن جحش ، وجعفر بن ابى طالب ، ثم اسلم حمزة وعمر بن الخطاب وهما فى ريعان الشباب ، واسلم عبد الله بن عمر وهو فى الثالثة عشرة من العمر .

وعندما تراجع المهاجرين فى هجرة الحبشة الاولى نجدهم جميعا تقريبا من الشباب وزوجاتهم من الشابات ، وقد احتمل هؤلاء كل ضيم فى سبيل عقيدتهم ، وربما كانوا يستطيعون ان يدافعوا عن انفسهم ، ولكن الايات التى تبيح خوض المعارك بين الكفار

عندما اتجه أبوبكر إلى شباب مكة يدعوهم للدين الجديد ويذكر لهم مبادئه ويعرفهم بالرسول ، اجتمع حوله نخبة رائعة من الشباب أخلصوا الإخلاص كله للدين الجديد، وحملوا الوصية معلمين ومهاجرين ومحاربين .

لم تكن نزلت بعد ، فاستجاب هؤلاء للرسول وتركوا الديار والوطن فرارا بدينهم الى حيث طمعوا فى الرعاية والأمان وعندما تمت الهجرة الى المدينة واذن بالقتال كان هؤلاء الشبان ليوث وغى وابطالا مغاوير كما عرف عنهن فى الغزوات .

● طائر الجنة الفريد

سبق ان اشرنا الى وجود جيلين فى مطلع الاسلام هما جيل الشيوخ وجيل ابنائهم الشباب ، وقد تمسك الشيوخ او اكثرهم بعقائدهم الوثنية واتجه جيل الشباب الى الاسلام وحدثت أحداث جديرة بالذكر بين الاباء والابناء ، وسنقص فيما يلى طرفا من هذه الاحداث

واول من نذكره هو ابو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى كفله بعد وفاة عبد المطلب واعلن حمايته عندما جاءت له الدعوة ، ودافع عن الرسول دفاعا طويلا ، وكانت هيبته من الاسباب التى جعلت قريشا تتردد فى العدوان على الرسول ، وكان درعا يحمى الرسول صلى الله عليه وسلم بقوة وصلابة ، ومما ينسب له فى ذلك البيت التالى

والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد فى التراب دفينا

ومع هذه العلاقة وهذا الارتباط الوثيق لم يدخل ابو طالب دين الاسلام على ارجح القولين ، فهو واحد من الشيوخ الذين ضعفوا عن التحول من عقيدة الى عقيدة .

واذا كان هذا هو موقف الشيخ الاب ، فان من ابنائه من أسرع فى دخول الاسلام وضرب اروع الامثال فى الدفاع عنه مثل على بن ابى طالب الذى دخل الاسلام وهو صبى كما قلنا آنفا ، وبات فى فراش الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة مستعدا ان يضحى بنفسه من اجل نجاة الرسول وهو اخ للرسول صلى الله عليه وسلم فى المؤاخاة ، وبطل الابطال فى كل الغزوات ولقد عرفه التاريخ مبارزا مقداما فى غزوة بدر واحد والاحزاب .

وما ابناء ابى طالب جعفر وكنيته ابو المساكين ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له : اشبهت خلقى وخلقى وتلك قمة الاوصاف العالية . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عنه : « طائر الجنة الفريد »

وزوجته اسماء بنت عميس وهى من خيرة الزوجات ، اسلمت مع زوجها فى وقت مبكر . وقد هاجر جعفر

الى الحبشة ، وطاب له المقام هناك ، فكان زعيما للمسلمين والمتحدث باسمهم ومعلمهم ، وقد تصدى لعمرو بن العاص فى الحوار الذى دار بينهما أمام ملك الحبشة ، وانتصر جعفر اعظم انتصار .

وعندما عاد من الحبشة عقب انتصار المسلمين فى موقعة خيبر كان ثانى القادة الذين اختارهم الرسول لقيادة الجيوش فى غزوة مؤتة وهنالك لاقى ربه وهو يدافع عن الاسلام ..

وننتقل فى المقارنة بين جيل وجيل الى الحديث عن ابى عبيدة عامر بن عبد الله الجراح ، وكان أبوه فى قمة المعادين للاسلام ، ولكن الشاب ابا عبيدة اعتنق الاسلام عندما دعاه ابو بكر لذلك ، فقد كان قلبه نقيا ، تلقى بترحاب دعوة الاسلام وتقبلها ، وهاجر عقب ذلك الى الحبشة ، ولكنه سرعان ما عاد ليقف بجوار الرسول وحضر المشاهد كلها ، وفى مطلع هذه المشاهد ى فى غزوة بدر واجه ابو عبيد ، امتحانا قاسيا ..

لقد كان ابا عبيدة احد الابطال المسلمين فى هذه الغزوة ، وكان أبوه يقف فى صفوف المشركين ، ولما دارت المعركة وحمى وطيسها اتضح لابى عبيدة حرص والده على قتله ، لقد كان هذا الوالد يحاول من حين الى اخر ان يطعن ابنه ، وكان الابن يفلت منه ليقوم بدوره فى الصراع ، ولكنه سرعان مايجد اباه يوجهه مرة اخرى ، وادرك ابو عبيدة ان اباه يعرقل جهده ، وقارن بين ارضاء الله ورسوله وبين ارضاء ابيه فوجد من واجبه أن يعمل لمرضاة الله ورسوله وطعن اباه طعنة قضت عليه ، وبكى ابو عبيدة عقب ذلك ، فسئل : ابكى لانك قتلته ؟ فأجاب : لا ، ولكن كنت أتمنى ان يشرح الله صدره للاسلام ، وانى ابكى لانه مات على الكفر ..

● ماهو بالشعر ولا بالسحر .

وننتقل مرة اخرى فى المقارنة بين جيل وجيل للتحدث عن ابى حذيفه بن عتبة بن ربيعة وعتبه بن ربيعة هو سيد قريش فى عصره ، من فصحاء العرب وبلغائهم وهو والد هند زوجة ابى سفيان ، وقد ارسلته قريش مرة ليعرض على محمد المال والسلطان ليكف عما جاء به مما اثار قومه ومزق صفوفهم ، فاستمع له الرسول صلى الله عليه وسلم بكثير من الصبر والاناة حتى انتهى من كلامه

ثم ساله الرسول :

— او قد فرغت ؟

— بلى

— قال محمد ، فاسمع منى قوله تعالى : « قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ، ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها ، قالتا آتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها ، وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ، فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

وقد ذكرنا من قبل ان عتبة بن ربيعة كان من فصحاء العرب وبلغائهم ، فادرك ان هذا الكلام ليس من قول البشر ، وهزه التهديد الذى جاء فى الآية الاخيرة

فيروى انه وضع يده على فم الرسول صلى الله عليه وسلم ، اناشدك الله والرحمة ان تكف ..

وعاد عتبه الى قومه ، ولكنهم راوه على حال غير الذى كانوا يتوقعونه ، فقال بعضهم لبعض ، لقد جاءكم ابو

عندما يُذكر أبو حذيفة يرتبط به اسم شاب أسهم في التفكير الإسلامي هو سالم مولى أبي حذيفة الذي كان أحد أربعة أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يؤخذ القرآن منهم

الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، ولما جلس سألوه

— ما وراءك ؟

— لقد سمعت قولا ما سمعت والله بمثله قط ، ماهو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة ..

— قال له قومه . سحرك بلسانه !

ومع هذا الاحساس الذى دب فى نفس عتبه لم يستطع ان يتخلى من العقيدة التى كانت متغلغلة فى نفسه، نبقى على الكفر ..

اما ابنه ابو حذيفة فكان له موقف آخر ، كان شابا متفتح القلب والعقل لم تسيطر عليه عبادة الاوثان ، ولذلك ما ان احس بصدق الدعوة حتى اعتنقها ، وضحى بما كان ينتظره من زعامة قريش بدل ابيه ، فقد كان ابوه يعده لهذه الزعامة كما كان حذيفة ينعم بالغنى والمجد والترف ، ولكن هذا كله لم يكن شيئا ذا بال عند ابى حذيفة ، لقد كان الاسلام يفوق عنده كل شيء ، فآثر الفقر على الوثنية ، واصبح يعيش فى نور الاسلام بعد ظلام الشرك ، ويسعد بالمعرفة بعد ان ترك الجهالة ، غير حافل بمال او متاع ، واى مال أسمى من راحة النفس ، ولسعادة العقل وهدوء البال

وقد سقط عتبة بن ربيعة فى المبارزة التى دارت فى مطلع غزوة بدر ، كما سقط فى هذه المبارزة شيبة اخوه والوليد ابنه ، ولكن هؤلاء الصرعى من اقرب الناس الى ابى حذيفة لم يؤثروا فيه ، بل ابلى بلاء حسنا فى هذه الغزوة وفى سواها .

وعندما يذكر ابو حذيفة يرتبط به اسم شاب مهم فى التفكير الاسلامى هو سالم مولى ابى حذيفة الذى كان احد اربعة اوصى الرسول ان يؤخذ القران منهم وهم • عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة ، وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وكان سالم عبدا لابى حذيفة ، فلما دخل ابو حذيفة الاسلام أعتقه وتبناه ، ولما ابطل الاسلام التبنى سمى سالم مولى ابى حذيفة ، لان اباه لم يكن معروفا ، وزوجه ابو حذيفة بنت اخيه الوليد واسمها فاطمة ، وهذا يرينا صورة رائعة من صور الفكر الاسلامى ان يتزوج مولى احدى بنات السادة ، ولكن الاسلام رفع شان هذا المولى فى ميدان الفكر وميدان القتال حتى سقطا معا فى معركة من معارك الردة وهما يحاربان مسيلمة الكذاب ، ويروى ان بعض المسلمين راى سالما وهو فى النزع الاخر فساله سالم . ما فعل ابو حذيفة ؟ قالوا . استشهد • قال سالم • فاضجعونى الى جواره ، فاجابوه انه الى جوارك يا سالم ، لقد استشهد فى نفس المكان ..

لقد عاش البطلان معا وماتا معا فى خدمة الاسلام •

ڤينيسيا

في خيال الشعراء العرب المعاصرين

● د : محمد عبد المنعم خفاجى ●

ڤينسيا مدينة الحب والجمال والسحر ، والطبيعة الحسناء الخلابة ..
فتن بها الشعراء في الغرب .
وفتن بها الشعراء العرب فى الشرق .
وتحدثوا عنها أحاديث طوالا ، ملؤها الخيال ، والصور الشعرية الفاتنة ، التي ترسم مشاهد الطبيعة فى صور حرة من الفن والشعر والموسيقى الحلوة الهامسة

وأمامى الآن ثلاثة من شعرائنا المعاصرين ، كتبوا شعرا فى ڤينسيا ، وافتنوا فى تصويرها غاية الافتتان ، وبلغوا فى هذا التصوير مدى بعيدا عن الشاعرية والتحليق فى آفاق الخيال ما وسعهم التحليق .

وأول هؤلاء شاعرنا على محمود طه ، الشاعر المصور الفنان ، الذى يبهرنا بوصفه لمشاهد الطبيعة فى أوربا ، مما رآه فى سياحاته العديدة هناك ، « بحيرة كومو » ، و « نهر الراين » ، و « كرنفال ڤينسيا » ، بالاضافة الى ما ترجمه من قصائد غربية تتحدث عن جمال الطبيعة ومفاتنها هناك - بحيرة لامرتين ، بيت الراعى لدى ڤينى ، قبرة شيلى ، وغيرها من قصائد شعراء فى الغرب طارت شهرتهم فى وصف الطبيعة ، وعرفوا بعشقها والهيام بجمالها .

لقد عاش على محمود طه مع الطبيعة يناجيها ويحدثها ويصورها فى شعره ، فى وطنه الصغير الجميل « المنصورة » ، وفى وطنه الكبير مصر الحالمة الخالدة ، وفى وطنه الاكبر ، العالم الذى رآه الشاعر وتعرف عليه ، وفتن به وبالطبيعة فى وهاده وروابيه وشواطئه وأنهاره ، وسفوحه وقممه ، وجباله ، وبحيراته ومصايفه ومشاتيه .. لقد ركب الملاح من شاطئ المنصورة زورقه الحالم فى رحلة طويلة طول عمره شجية مثل شجوه ، وعل فيها من كؤوس المرح والألم واللذة والحزن ، والفرح والكآبة ، والسرور والعذاب ، والانبساط والوحشة ، والابتسامات والعبرات .

كان على محمود طه يحب الجمال ويعشقه فى كل جانب وكل مشهد وكل مكان ، وأحب من أجله الحياة والطبيعة والمرأة .

وقصيدته « أغنية الجندول - فى كرنفال ڤينسيا » من القصائد التى طارت شهرتها وشهرة الشاعر معها فى كل مكان فى حياته وبعد حياته (توفى فى السابع عشر من نوفمبر عام ١٩٤٩ م) ، وهى قطعة من الموسيقى الهامسة الجميلة التى ترتدى ثوب الخيال الفاتن ، وتبدو مكتسية اردية مزركشة من

التصوير الفني والصور الشعرية البهيجة ، ومهما قال عنها النقاد فانها مثل واضح لافتتان الشاعر في صوره الشعرية البديعة ، واخليته الغريبة البراقة

ماذا يقول لنا الشاعر علي محمود طه في قصيدته ؟

انه يحكي قصة فينسيا الحالمة ، عروس البحر ، وحلم الخيال ، والساحرة الفاتنة في مشاهدها ومجاليها ، ويتحدث عن عشاقها سمار الليالي ، وعن مواكب الغير في مختلف جوانبها ، وعن عيد الكرنفال ، وعن مسرى الجندول في عرض القنال .

ثم يقص قصة لقاء وغرام وحبيب قابله هناك لاول مرة ، هو من مصر حيث النيل والهرمان ، وهي من فارسوفيا حيث الطبيعة والبحيرة والجمال .

ويعود الشاعرليتحدث الى ملاح الجندول ، وليصف الجندول الراقص كالنجم الوضى فوق الماء الفضي .

فالقصيدة اذن تبدأ بحديث عن هذه المدينة السحرية ، مدينة الحب والجمال والطبيعة والسحر ، وتنتقل الى تصوير قصة حب فيها ، وتنتهي أخيرا بوصف الجندول وملاحة وجمال المشاهد والناس في المدينة .

انه اتساق كامل . ووحدة عضوية متكاملة ، في القصيدة .. والشاعر فيها مفتون بالطبيعة ، عاشق للجمال ، هائم مع حبيبه هيام العاشق الولهان .

والقصيدة مشهورة ، والناس يعرفونها ، ويعرفون منها مطلعها الجميل :

أين من عيني هاتيـــك المجـــال
يا عروس البحـــر يا حلم الخيـــال ؟
أين عشـــاقك سمار الليـــالي
أين من واديك يا مهد الجمـــال ؟
موكب الغيد وعيد الكرنفـــال
وسرى الجنـــدول في عـــرض القنال

كما يعرفون منها أبياتها المشهورة في وصف حبيبه :

ذهبي الشـــعر شرقي السمـات
مـــرح الاعطـــاف حلو اللفتـــات
كلما قلت له : خـــذ ، قـــال : هات
يا حبيب الروح يا انس الحيـــاة
انا من ضـــيع في الأوهام عمـــره
نسي التـــاريخ او انسي ذكـــره
غير يوم لم يعـــد يذكـــره غيره
يـــوم أن قابلتـــه أول مـــرة

و « التاريخ » هنا كلمة لم توضع موضـــعها ، ولو قال : الزمان مثلا لكان لاسلوب متساوقا .. ولكن الوزن ربما كان هو الذي اقتضاه اختيـــار كلمة التاريخ ، وكلمة الأيام بدلا من التاريخ كذلك قد تكون مناسبة ، ولكن مرجع الضمير اليها مؤنثا لا مذكر يحول دون اختيارها .

وفي القسم الاخير منه يقول الشاعر :

رقص الجنـــدول كالنجـــم الوضي
فاشـــد باملاح بالصـــوت الشجي
وترنم بالنشيد الوثني   هذه الليلة حلم العبقري

وهكذا تمضي القصيدة في اخيلتهـــا وصورها وموسيقاها الجميلة والفاظها المنغمة ، وأساليبهاالانيقةالمختارة .. الى نهايتها

والقصيدة من بحر الرمل الغنـــائي المشهور بموسيقيته وقد نظمها الشاعر في نمط قصائد الموشحات ، وافتن في قوافيه فيها افتتانا كبيرا .

وبعد زمن طويل من كتابة علي محمود طه لقصيدته « الجندول » يكتب شاعر كبير معاصر آخر قصيدة عن « فينيسيا » والشاعر هو الدكتور مختار الوكيل احد شعراء مدرسة ابولو الشعرية القدامى ، وشعره مشهور بالعاطفة الجياشة والموسيقى .

والشاعر « الوكيل » شاعر واديب وناقد ودبلوماسي كذلك حيث شغل اعمالا ومناصب سياسية ودبلوماسية حين كان موظفا كبيرا في جامعة الدول العربية ، وله ديوان « الزورق الحالم » الذي صدر عن جماعة ابولو عام ١٩٣٦ ويصدر له بعد ايام ديوان بعنوان « مواكب الذكريات » . كما صدر له عن ابولو كتاب « من رواد الشعر الحديث في مصر » عام ١٩٣٤ وكان له صدى واسع حين صدوره ، وترجم بعض روايات شكسبير ، ومنها « تاجر البندقية » ، وترجم بعض روايات شكسبير ، ومنها « تاجر البندقية » ، وترجم عن تولستوي وغيره .

وقصيدة الدكتور مختار الوكيل عن « فينيسيا » نظمها منذ وقت قريب . وعنوانها « الحب والموت والبعث في فينيسيا » وهي من الرجز ، وتتعدد فيها القوافي والصور تعددا كبيرا ، ومطلعها :

ظفرت بالشعر والاغاني   فصرت نشوان بلا دنان
يالي من هذا الهوى الفتان   القرب والبعد به سيان
والوصل يتساوى مع الهجران

ويتحدث في مطلعها بعد ذلك عن المدينة ومشاهدها وسحرها ، فيقول :

يا بلدة العشاق والجندول
يا عذبة الثغر لدى التقبيل   جئنا اليك من ضفاف النيل
جئنا اليك بالهوى النشوان   بالدفء يا حورية الاجفان

ويتحدث عن مأساة فينيسيا ، وهي غرق بعض مبانيها في الماء الزاحف عليها من كل مكان ، والهدد لها بالفناء والدمار فيقول :

بنت الغرام المنعم المعطاء   الله انزعها سلاف ضياء
قدت كاللؤلؤة بصدر الماء   اغرى بها الحب الذي اغراني
فقدت حدث الناس والزمان   يا اخواني من اهل هذى الدار
لا تفرقوا من صولة الاقدار   هنا رأيت الموت في الاحجار
ننقش حكم الواحد الديان   ويصدر الامر بلا استئذان
الدور غرقى الماء والاعصار   والبحر يجرى في فناء الدار
يا حور هيا رددي اشعاري   عسى يفيض الماء في البستان
ويرقص الزهر على الحسان

وينتقل الشاعر من ذلك الى الجندول ، والملاح ، والحب في فينيسيا ، فيقول :

يا ايها الملاح يا رفيقي   اعبر بنا في المركب المشوق
جندولك المحنى المشوق   يا حسنه يخطر كالهيمان
في مسبح الكتف ، الحسان

ثم يتحدث الى المدينة ، ويتحدث عنها في جمال وبهجة وانس فيقول :

يا معبد حبي كنت لي الالهاما   قصفت فيك الشعر والانغاما
وفي الغد اهدى لك السلاما   في قبلة من عاشق ولهان
مرنم الخطو من الاشجان

وهو يشير الى القبور الغارقة في الماء والى المدينة التي تعج فيها الحياة

ويزحف الموت اليها بالفناء ، فيقول :

الموت حي ها هنـــا يا صحبي
القائم في الجنـدول يرعى حبي
ويمزج القبـــلات بالطعـــان
ينســــاب في عـلى الاركان
من القصــــور الفذة البنيان
هيا اركبوا مراكب الطـوفان
هيا اخلطوا العطـور بالادران
لعـــالم يرقص في الاكفـــان

لا تنكـــــروه انه في ركبي
ويجمع الاعـــداء بالخـــلان
الموت بين هـــذه الجـــدران
يخطـــر عبر الموج في امان
خطـرة حكم الخلد في الاجفان
هيا امزجوا الافراح بالاشجان
وهللوا ، كالرعـد ، كالبركان

والقصيدة قوية البناء ، شامخـــة التصوير ، جليلة المعاني ، تتحدث عن الموت ، والحياة ، وعن الحب ، في « فينسيا » ، حيث المصور البـــارع الذي لا يفصل بين الحيـــاة والموت ، والذي يلف المدينة باردية متكاملة من عبرة الحياة وعظة الموت

وهي في جملتها ذات هدف انساني نبيل ، فهذا التصوير الجميل للطوفان الزاحف على المدينة ، مدعاة الى التامل وربما الى الاسراع في العمل من اجل انقاذها .

– ٣ –

وننتقل الى شاعر معاصر مشـــهور اخر هو الشاعر الديلوماسي ابراهيم صبري رئيس نادي القصيد الشعري، وصاحب ديوان « الغصن الثائر»وغيره من الدواوين .

وهو شاعر جليل المعـــاني ، بديع الصور ، عذب الموسيقى حلو الالفاظ وقصيدته بعنوان «اشواق واشواك» وفيها يتحدث عن قصة حب في القاهرة ثم ينتقل في رحلة الى فينسيا ،ويرى الجمال والسحر والطبيعة والمشـــاهد الخلابة فلا يزيده ذلك الا حبا لوطنه ووفاء له ، وهياما به ، والقصيدة من بحر الكامل وقافيتها واحـــدة ، وهي الميم

وفي مطلعها يقول الشاعر :

حتام نـــكتم حبنا حتاما ؟ والام نجلو في الهـــوا اللواما
لا نحن فزنا بالمرام ولاهمـــو قد اغمضوا عين الفضول كراما

ويستمر في هذا النغم الحلو العذب الجميل ، الى ان يقول :

ماذا على الحساد لو هم آمنوا بالحب وارتفعوا اليـــه مقاما

ويستمر الحديث على هذا النمط الجميل ، وفي هذا التصوير النبيل ، الى أن يقول الشاعر :

ورحلت انشـــد بالرحيل تاسيا فازداد قلبي في الرحيـــل هياما !
وتعجبت « روما » وحسناواتها ممن صبا عن حسنهن وصـــاما
نادته « فينسيا » الى احضانهـــا حيث القـــلوب مع الهوى تترامى
وجـــزيرة « الوران » تنثر لؤلؤا بالشط جاوز سحره الاحـــلاما
والشاطىء المسحور التي ســحره للسابحات الفـــاتنات .. وهاما
والغيد تخطر حيث لا خطر على قلب به امـل الحبيب اقـــاما
فعدت عروس البحـــر الهة الهوى لشـــج اتاها لا يروم غـــراما
والبحر للعشاق يبسم ضـــاحكا وقد استحال هديره انغـــاما
يتمايل الجندول من ضـــحكاته مثلا ، يقل احبـــة وتـــدامى
فكانمـــا مجـــراه جام مترع وسع الانام سلافة وقـــداما

الا فرادي الم يسعه سوى هوى ... في مصر ناجى النيل والاهراما
قد عاد لا يجد الجمال ولا المنى ... الا لديك ، ومن يسديك ، دواما
قد عاد والدنيا تغرد حبه ... فسلام يكتم وجه والاما ؟

وهكذا تنتهي قصيدة الشاعر بهذه النهاية الحلوة ، الجميلة التي ترفع من شان القصيدة ومن مكانتها ، حيث يمتزج الحب بالوطن في اتحاد انساني دائم

والقصيدة موسيقاها الشعرية حلوة وهي من بحر الكامل ، وقافيتها واحدة وهي الميم

- ٤ -

وماذا اقول عن هذه القصائد الثلاث الجميلة الناطقة بخيال الشعر ، وبجلال الشاعرية وبروعة التصوير وفتنة الموسيقى ، وحلاوة المضامين الشعرية

ان القصائد الثلاث نغم حلو جميل متصل ، يتآلف فيه الخيال مع الموسيقى في وحدة فنية كاملة ، ويتعانق فيه الشكل مع المضمون عناقا حارا ، وتتوفر فيه الوحدة العضوية مع التجربة الشعرية ، ومع التصوير الشعري الساحر كذلك

والقصائد الثلاث من جليل شعر الطبيعة والشعر الانساني ، وشعر الحب والوجدان والعاطفة ، ولكل قصيدة منها سماتها وميزاتها .

فحيث تقف قصيدة علي محمود طه عند الحب وحده ، تنحو قصيدة الدكتور مختار الوكيل منحى انسانيا فتصور ماضي المدينة وحاضرها وجوها الشاعري والسحري الفنان ، وامتزاج الموت والحياة فيها ، وتنحو قصيدة الشاعر ابراهيم صبري نحو عاطفيا ووطنيا جليلا ، وتكاد تشبه قصائد الشعراء الخالدين الذين آثروا الرحلة من اجل الحب ، ونحن نذكر الشاعر ابن زريق البغدادي الذي بكى حبه في غربته وهو في لحظاته الاخيرة ، ولكننا نرى الشاعر ابراهيم صبري ، يرحل ليتناسى صنيع الحساد له في الحب ، الى حيث الجمال والجلال والحب ، ولكنه يعلو بحبه عن ان يتخذ له حبيبا اخر ، الا حبيبه الاول في وطنه مصر الخالدة ، وطن النيل والاهرام ، ووطن الجمال والجلال والتاريخ

وهكذا خلد الشعر العربي المعاصر « فينيسيا » مدينة الجمال والتاريخ والحب ، ووشى الشعر العربي المعاصر بالآلئ من روعة الخيال ، وجلال المضمون ، وسحر التصوير وفتنة الموسيقى وبلاغة الاسلوب

والشعر العربي المعاصر يتجه الى الانسانية والى الانسان ، كما يتجه الى الحاضر والماضي والمستقبل ، ويعانق الحياة ، ويصور الفكر والعاطفة وتجارب الشعراء تصويرا جميلا ونبيلا وامينا .

ولاشك ان مضمون القصيدة العربية المعاصرة يتسع لكل فكرة ، ولكل معنى ، وكل خاطرة وتجربة ، وهو قادر على استيعاب تجارب الانسان المعاصر وافكاره ومعانيه .

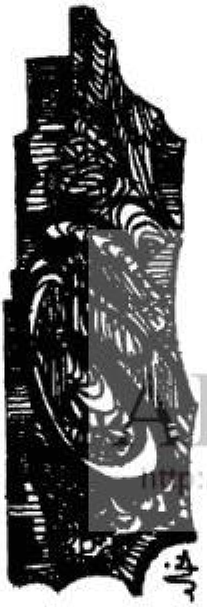
على اننا نلحظ ان القصائد الثلاث قصائد عمودية غنية بالموسيقى ، وبحلاوة الشاعرية ، والشعراء الثلاثة يكادون يغنون وهم يقولون الشعر ، كما كان البحتري يغني حين يقول شعرا ، حتى قال فيه الناقد العربي القديم ابن الاثير « انه اراد ان يشعر فغنى »

على انه لا يفوتني ان اقول ان قصيدة الدكتور مختار قصيدة معاصرة للمدينة تماما فهي تتحدث عن الحياة والموت فيها ، وتكاد تكون دعوة انسانية نبيلة الى انقاذ آثار الحضارة العالمية والمحافظة عليها حرصا على التاريخ ، وشواهد الحضارة البشرية وروائعها الخالدة .

الكون

فى ضمير الشاعر

• سليم الراعى •



ياكونُ فى الربيعِ والخريفِ والشتاء
والصيف .. ما أعتاك فى تقلب الآراء !
فى الجبَل البارد والوادى وفى الصحراء ..
تضمرنى : تظهرنى ياكونُ فى الأشياءِ
خواطرى البيضاء فى خواطرى السوداء
قصائد المديح ، فى قصائد الهجاء !

***

ياكونُ .. فى التراب والماء وفى الرياح ..
أوجدُ ، أم أضيعُ من تعاقب الأشباح ؟
ما الرأى ؟ والرأى من الظلام والصباحِ
لونان فى التعبيرِ عن ملحمة الـكفاح
ضِدّان فى جمجمة محدودة النواحى
يا كون ... انتَ الأبيض الأسود فى اللقاح !

***

لو كنتُ فى غيرِك ياكونُ من العناصرِ
تضعنى تلكَ الهيولى من صباح باكر
من الشروق الأبيض الخالدِ فى الأزاهر
من قيمٍ خضراءَ فى مسرى النسيم العاطرِ
من الظلام المورق المخضل بالبشائر
لقلتُ : ياكونُ سلمتَ فى ضمير الشاعر !

كراسلو ميلوز

الأديب الحائز على جائزة نوبل لعام ١٩٨٠

• معتز شفيق فريد •

● من رجال الادب ممن حصلوا على جائزة نوبل اناس طبقت شهرتهم الآفاق كبرنارد شو، وبرتراند رسل، وجان بول سارتر .. ومنهم أصحاب ذكر متواضع كالشاعر الفرنسي سولى برودوم، والفيلسوف الالماني ر. يوكن. والاديب البولندي كراسلوميلوز الذي حصل على الجائزة في هذا العام اقرب الى الفئة الاخيرة، وان لم يكن في ذلك - بطبيعة الحال - ما يعيبه. فكم من اديب سار ذكره بين قومه، ونبغ شأنه في زمنه، ثم عدت عليه عوادي النسيان، ولم نعد نذكره الا لماما، وكم من ادباء لم يشتهروا اثناء حياتهم ولكنهم كسبوا بعد موتهم ذكرا خالدا، ومقاما مجيدا..

كراسلوميلوز شاعر، وقاص، وكاتب مقالة، ومترجم. ولد عام ١٩١١ في لتوانيا، وان كان يعيش الآن في الولايات المتحدة الامريكية .. كان ابوه مهندسا انتقل باسرته الى روسيا، غير انه بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى آثر ان يعيش في بولندا، وهكذا شب الابن في مدينة ولنو، وتلقى دراسته في مدارسها الكاثوليكية. وفي سني دراسته الجامعية، انضم - ككثير من الشبان البولنديين في جيله - الى جمعيات ادبية سياسية يؤرقها مستقبل اوربا.

بدأ ينظم الشعر حين سافر الى باريس، والتقى فيها باحد ابناء عمومته. الشاعر الفرنسي اوسكار دي ل. واثناء الحرب العالمية الثانية، اشتغل في وارسو كاتبا ومحررا لمنشورات حركة المقاومة ضد النازي.

وفي السنوات التالية مباشرة للحرب، اشتغل سكرتيرا في السفارة البولندية بمدينة واشنطون. وفي ١٩٥١ ترك بولندا حيث قضى عشر سنوات في باريس، ثم هاجر الى الولايات المتحدة حيث يعمل الان استاذا للغات والاداب السلافية بجامعة كاليفورنيا في بركلي.

تشمل مؤلفات كراسلوميلوز:

- عددا من الدواوين الشعرية.
- «العقل الاسير» (١٩٥٣)
- روايتان.
- ترجمة ذاتية (١٩٥٥) تصور مشاهد طفولته في ريف لتوانيا.
- ترجمات عديدة للشعر البولندي الى الانجليزية، جمعها في كتاب «الشعر البولندي بعد الحرب» (١٩٦٥).

وعلى الرغم من تعدد جوانب كراسلوميلوز، فانه - في رأينا - شاعر في المحل الاول .. انه لا يثق بالشعر الذي ينغمس في النفي وفي الغضب العقيم من العالم. ولا يحبذ الاسراف في التورية الساخرة وهي ملمح شائع في قسم كبير من الشعر الحديث.

• يوم نهاية العالم •

بدأ كراسلوميلوز بنشر اشعاره في مطلع الثلاثينات، وكانت اشعاره - واشعار زملائه - زاخرة بالنبوءات التحذيرية، ومن ثم فقد دعاهم بعض النقاد «شعراء الكارثة». ان المناظر الطبيعية لموطنه لتوانيا هي لب صوره الشعرية. وفي ظل الاحتلال النازي لبلاده، قد انفسح السبيل لاتجاه كلاسيكي رصين، يؤكد ان نزعته الى التجريب غير مقطوعة الصلة بتقاليد الشعر البولندي القديم. وانتاجه الشعري رحب الارجاء، متعدد الاصداء، يشتمل على اناشيد ساخرة، ورسائل شعرية مكتوبة بروح القرن الثامن عشر، ومدونات لاحلامه. انه - في رأي بعض النقاد - رمزي معكوس



كراسلو ميلوز

ففي الرمزية يتقدم الشاعر من الواقع الخارجي الى واقع داخلي اسدلت عليه الاستار ، اما كراسلوميلوز فتحيط رموزه بكينونة الاشياء الجوهرية .

وقد قال هو ذاته ان خير قصائده اوصاف طفلية ساذجة للاشياء . وفي ١٩٤٨ نشر قصيدة عنوانها « اطروحة عن الاخلاق » ، وهي من بحر الاناسب ، من حكم الارهاب في ظل الانظمة الشمولية .

يعبر كراسلوميلوز عن ايمانه برسالة الشعر حين يقول :

في قصيدة له عنوانها « اغنية عن نهاية العالم » (١٩٤٤) يتخيل ، مستخلصا صورا من الحياة اليومية ، كيف سينطوي سجل الوجود . لن يكون هناك برق ، ولا رعد ، ولا شيء خارج عن المألوف ، وانما ستستمر الحياة في جريانها العادي :

يوم نهاية العالم
ستسير النساء عبر الحقول تحت مظلاتهن .
ويداعب السكرى اجفانهم ، سكير عند حافة مرج ،
وينادي باعة الخضر في الشارع
ويقترب زورق اصفر الشراع من الجزيرة
ويبقى صوت كمان في الهواء
مفضيا الى ليلة ترصعها النجوم .

اما قصيدته المسماة « نصيحة » فانه يرصد التغيرات التي طرأت على موطنه مع انتشار الصناعة ، وزحفت الحضارة على الارض العذراء .

اجل . من الحق ان المنظر الطبيعي قد تغير قليلا .
حيث كان ثمة غابات ، ثمة الآن مصانع صهاريج .
واذ ندنو من فم النهر نسد الانوف .
فتياره يحمل زيتا ، وكلورا ، ومركبات ميتلية :
براز ، وبول ، ومني ميت .

ويظهر اثر السريالية على كراسلوميلوز في قصيدته المسماة « تحولات بوبو » حيث يقول :

بوبو - وهو ولد قذر - تحول الى ذبابة .
وحسب طقوس الذباب غسل نفسه بصخرة من سكر ،
وعدا راسيا في كهوف من جبن .
طار من خلال نافذة الى الحديقة اللامعة !.

لخص كراسلوميلوز يوما خصائص الشعر البولندي قائلا : انه يجمع بين الفكاهة والفاجعة ، وانه لا يعنى بالانا قدر عنايته بدراما التاريخ ، وانه يستمتع باعادة صياغة الحكم الخلقية . وليس من العسير ان نتبين هذه الخصائص ، او بعضها ، في شعره . اتراه شاعرا عظيما ؟ هذا سؤال تصعب الاجابة عليه ، لان الزمن وحده هو القادر كالعادة - على غربلة الغث من السمين .

الامر الاكيد ، على اية حال ، انه لو كان الفريد نوبل ذاته على قيد الحياة ، لوافق على اعطائه الجائزة . فان ما تشترطه وصية نوبل من ان يكون الفائز بالجائزة راميا بادبه الى سعادة البشرية والرقي بها في معارج الكمال ، امر متحقق - وزيادة - في ادب كراسلوميلوز .. هنيئا لبولندا - هذا البلد الصغير الشجاع الذي لقي ما لقي ، طوال تاريخه ، من عسف الطغاة - هذا الوسام الذي حلت به جمهورية الادب ، صدرها ، جمهورية القيم الانسانية العليا حيث لا عسف ولا طغاة .

مع الدكتور عبد الحميد يونس

● حوار اجراه : عادل عبد الصمد ●

الدكتور عبد الحميد يونس استاذ الادب الشعبي الكبير الحاصل على جائزة الدولة التقديرية في الاداب لعام ١٩٨٠ واحد الكتاب القلائل في مصر الذين كرسوا حياتهم لدراسة السير الشعبية ، دراسة منهجية ، الى جانب اهتماماته بالاسس الفنية للنقد الادبي وصاحب المؤلفات العديدة في عالم الفكر والادب والنقد.

وفي هذا اللقاء معه نتعرف على جوانب من حياته وافكاره التي وجهته هذا الاتجاه ثم نصحبه في رحلة حياة وعلم وادب .

يقول الدكتور عبد الحميد يونس :

كنا في بواكير الشباب نفكر في التخصص العلمي على اساس قانون العرض والطلب في الحصول على عمل له مكانته في المجتمع ، الى جانب عدم التعرض للبطالة التي كانت فاشية وقت ذاك .. واذكر اننا كنا نفرق بين العمل من ناحية وبين الهواية من ناحية اخرى ، وكانت اهم الهوايات عندى هي الرسم الكاريكاتيرى .. ولذلك عندما اخترت او اختارت الحياة لى ان ابدأ كاتبا صحفيا رسمت بالقلم صورا مصرية ساخرة تبرز ملامح اصدقائي ، ومنهم من اعترض على تصويره وهددني بأن يرفع على قضية باعتبارى انني بالغت في السخرية منه .. مع ان الصور الساخرة التي كتبتها لم تذكر اسماء الشخصيات التي اوحت بها !

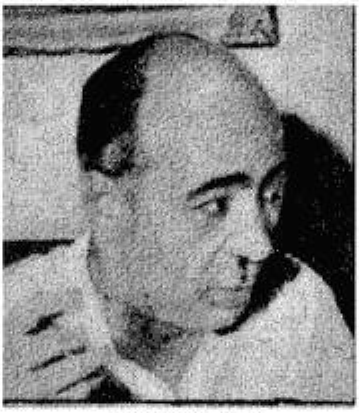
ومن الطبيعي ان اواجه تحديا خطيرا عندما تحولت من الظروف الطبيعية الى ما يقترب من النقص او العجز في في البصر ، فبعد السنة الثالثة الثانوية وتجاوزها الى الرابعة ، تعرضت لصدمة في الرأس في ملعب كرة «القدم» ونقلت الى المستشفى ، وكان على ان اواجه الحياة شبه فاقد البصر وهي مرحلة لم استطع بل لا استطيع الى الان ان أصورها ! ..

وادى بي الاصرار الى ان اسير في طريقين هما العمل والعلم معا . فاشتغلت في الصحافة وبذلت اقصى الجهد في استكمال الدراسة واخترت التخصص الادبي الذى عرفت به .

وهنا اقاطع الدكتور عبد الحميد يونس مستفسرا عما اذا كان قد استفاد من تجربة الدكتور طه حسين في مأساته وكيف وطد علاقته بعميد الادب العربي ؟

ويرجع بذاكرته الى الوراء ويقول :

في عام « ١٩٢٦ » واجهت الظرف الذى جعلني اخرج من الدراسة التقليدية ، وفي هذا العام نفسه



د. عبد الحميد يونس
رائد الادب الشعبي

اطلعت على كتاب الايام في جزءه الاول عندما نشر في فصول متعاقبة في مجلة « الهلال » ، وكان لذلك اثر السحر في نفسي ، وانا لا اقول ذلك على سبيل المبالغة لانه كان حافزا وانعبا لمواصلة الدراسة والقدرة على العطاء .. آية ذلك انني عندما بدات اعمل بالصحافة وكتبت للمجلة الجديدة التي كان يصدرها سلامة موسى ، واهديت اول ترجمة لي وهي كتاب « الزواج» لادوارد واسترمارك الى « طه حسين » ولم اكن قد عرفته او اتصلت به واستمرت العلاقة النفسية والروحية بيني وبينه ولكننا مثل كل افراد جيلنا كنا نتصور اننا موجة تختلف عن موجة الجيل السابق وارادت الحياة بعد ذلك ان احاول الالتحاق بكلية الاداب جامعة القاهرة بعد تجربة انا نفسي اعرف انني لا استطيع تكرارها ، وهي الامتحان التحريري للحصول على (البكالوريا » ولم استطع متابعه الدراسة في كلية الاداب لنفس الاسباب الخاصة ، لانني لم اقدر على كتابة الاجابات على الاسئلة بنفسي .. وكانت ظروفي لها من الحساسية ما يجعلني اخجل من اظهارها ، وتركت كلية الاداب لانني وجدت في خطاب رسمي ان الكلية لا توافق على مجرد الاعتذار عن رسم الخرائط في مادة الجغرافيا . وواصلت العمل : في جريدة « المساء » عندما كانت اول جريدة يومية لاتحاد نقابات العمال المصريين وفي جريدة « البلاغ » ثم اصدرت بنفسي مجلة اسبوعية هي مجلة « الراوي الجديدة » وفي سنة « ١٩٣٥ » التي استشهد فيها عبد الحكيم الجراحي وزملاؤه صودرت المجلة ، وعدت الى العمل الصحفي محررا ، وشاعت وقت ذاك المطالبة بان تكون مهنة الصحافة كمهنة المحاماه اى انه لا يجوز ان يعمل فيها الا من حصل على شهادة عالية ، واستثارني ذلك واعادني على ان التحق بكلية الاداب مرة ثانيه .

وتوثقت علاقتي بالدكتور طه حسين وكنت طالب امتياز في سنوات الدراسة وبعد ان تخرجت طلب الى الدكتور طه حسين ان اعمل بمراقبة الثقافة بوزارة المعارف ، وكانت أول جهاز ثقافي رسمي، وترددت لانني كنت لا اريد ان اكون موظفا حكوميا ، وكنت افضل ان اعمل حرا. وبعد تفكير والحاح من الاصدقاء عينت في ادارة الترجمة مع كثير من الزملاء ، بينهم الدكتور زكي نجيب محمود ، والاستاذ ابراهيم زكي خورشيد ، والمرحوم الاستاذ عبد الرحمن صدقي ، وغيرهم. ولما حصلت على « الماجستير » تحولت الى مدرس مساعد بكلية الاداب

● الادب الشعبي والجامعة ●

ودراسة الادب الشعبي لم تكن سهلة او يسيره ولكن المشكلة ظهرت بشكل اوضح اولا في اختيار موضوع الدكتورا وهو « الهلالية في التاريخ والادب الشعبي » كانت الصعوبة في الموافقة على الموضوع ثم في النصوص والوثائق، وانفجرت المشكلة في المناقشة .. لقد استمرت اكثر من خمس ساعات ، واختلف الاساتذة والح بعضهم على عدم الاعتراف بالموضوع والمنهج ، وكنت متحمسا في الشرح والرد ..

وظهرت المشكلة للمرة الثالثة عندما

طالبت الجامعة بايجاد كرسي استاذية للادب الشعبي اثار جدلا عنيفا في الجامعة وخارج الجامعة ، ويحب ان اعترف بحب اساتذتي لي لدرجة ان الدكتور طه حسين عندما عرف ان المرشح لهذا الكرسي هو شخصي ،ترك معارضته ووافق .. وفي خارج الجامعة اعترف الاستاذ العقاد بانشاء هذا الكرسي عندما عرف اسم المرشح له ، وظلت المناقشة حتى بعد انشاء هذا المنصب وشغله ، ولكن التطور الفكري سار في طريقه

● جيل واحد وفكر متنوع ●

في الوقت الذي اختار فيه الدكتور زكي نجيب محمود طريق البحث الفلسفي ، واختار نجيب محفوظ طريق التعبير بالرواية — اختار الدكتور عبد الحميد يونس طريق البحث عن مكونات الوجدان الشعبي من خلال ملاحمه ، وامثاله ، وتقاليده والفاتيه . فكيف كان هذا الطريق ؟

يقول الدكتور عبد الحميد يونس باعتزاز قوي بجيله الذي ينتسب اليه:

لقد تنوع الاهتمام عند افراد الجيل الذي انتسب اليه باهتمامات كلها شخصية وبعض الظروف التي واجهتها فان الروائي الكبير نجيب محفوظ تخصص في الفلسفة ولا يزال هذا الاهتمام موجودا عنده بصورة واضحة وابداعه تكمن فيه افكار واتجاهات فلسفية ، بل ان مجالسه فيها ايضا تاملات فلسفية ..

وكذلك الزميل الكبير الدكتور زكي نجيب محمود من المهتمين بالفكر الفلسفي ، ولكنه لم يركز اهتمامه على الدراسة النظرية وانما افاد من الفلسفة في تفسير الظواهر والمواقف ، وهو يعد من البارزين في وصل الفكر بالحياة الواقعية

اما انا فقد اتجهت الى الفلكلور الشعبي او الفلكلور تاكيدا لعلاقة الوجدان الجماعي بكثير من الاداب والفنون ، وحسبي ان اقول لك ان الادب الشعبي على سبيل المثال فيه تاثيرات تتجاوز البيئة والوطن ، حتى اننا من السهل ان نجسد ملامح من الادب الشعبي المصري او العربي في روائع مشهورة في الاداب العالمية .

● التجربة الفنية وتجسيم الشخصية ●

● الاهتمام بالعمل الادبي في تقويمك ياتي في المقام الاول ، وتاتي شخصية الاديب في المقام الثاني ، فما هي وجهة نظرك ازاء هذا الموقف الذي يضع الشخصية تالية للنص ؟

يقول بخبرته واستاذيته الموضوعية ان التقويم الصحيح للفن المتوسل بالكلمة وهو الادب ، يجعلنا نمزج بين العمل الادبي او النص ، وبين الشخصية فالابداع الادبي انما هو تحقيق الشخصية .

واذا كان هناك حافز خاص الى ابداع اثر ادبي بعينه ، فان ذلك لا نفصل بين الشخصية والادب . وما التجربة الفنية الا تجسيم للشخصية في موقف نفسي او اجتماعي .

● النقد وملكة الابداع ●

*** من الاخطاء الشائعة في الحياة الثقافية التي قمت بتصحيحها ، بيان ان ملكة الابداع وملكة النقد واحدة في جوهرها وليس الابداع اسبق من النقد ، وانهما فطريان — فهل لك ان تلقي بعض الضوء على هذا التلازم ؟.**

يقول رائد الادب الشعبي !

النقد الادبي الذي تفرضه الطبيعة الجمالية للفن المتوسل بالكلمة هو في حقيقته محاولة الكشف في اغوار نفسية الناقد من الحافز الذي دفع الى الابداع . ولذلك فانا نقول ان النقد يعتمد ايضا على الملكة ، والناقد فنان يعبر من الحافز الذي يكتشفه بابداع المنشيء لذلك الاثر ونحن نطالب الناقد بان يفيد من ملكته ومن خبرته الموصلة للتذوق الفني ، وان يستعين بكل المعارف والمناهج التي تظهره على الحافز الخاص في اطار شخصية

الأدب الشعبي لا يقوم بلهجة محلية لأن هذا الأدب فيه من عوامل التأثر والتأثير بين البيئات والأجيال ما يجعله يتسع لوجدان الشعب .

الاديب مع التأثر باسلوب المبدع ولنا هنا وقفة من الضرورى ان نسجلها وهى ان المتذوق او الناقد كثيرا ما يكتشف مقومات وخصائص اوبدائل لم يقصد اليها المبدع . وليس من شك فى أن هناك عوامل تؤثر فى الابداع على غير وعى من الاديب .

● **ثم التساؤل هنا عن الجانب النقدى وهو جانب اخر من جوانب شخصية الدكتور عبد الحميد يونس المتعددة الجوانب ، « وقد كانت جائزة الدولة التى حصل عليها عام ١٩٥٨ فى النقد عن كتاب « الاسس الفنية للنقد الادبى »**

ولذلك نريد أن نلقى الضوء على حياتنا النقدية ، فماذا يقول الدكتور عبد الحميد يونس ؟

ــ انى أرى انه لا يزال هناك اتجاهات مختلفة فى حياتنا النقدية ، هناك الذين يؤثرون الصنعة البلاغية ، وهناك الذين يؤثرون الرومانسية ، وهناك الذين يأخذون بمناهج جيال ماضية وايديولوجيات وافده .

والرأى عندى هو النظرة الواقعية للابداع الفنى وهى نظرة ليست تشريحية ومهما كان التخصص الدقيق فان الطبيعة الانسانية الحية متكاملة ومتطورة

ولذلك شغلت بالنقد الادبى الى جانب الدراسة ، وركزت الاهتمام على المجتمع والاديب المبدع والتجربة الفنية مع محاولة التعرف على طاقة الوسيلة او الابداع ، وهى اللغة الفنية وان كان هذا كله يعد ناقصا اذا افتقر الناقد الى موهبة الابداع لكى يفرق بين الاصيل والمصطنع ، ولكى يستحضر كل خصائص الاثر الفنى الذى ينقده

● **الادب والحياة** ●

● **من محاولات الدكتور عبد الحميد يونس فى الثلاثينات تصحيح المنهج الرومانسى فى الابداع او فى النقد الادبى ، فهل استطعتم ان توفقوا من خلال تلك المحاولة بين الادب والحياة؟**

يقول الدكتور عبد الحميد يونس :

كانت الدعوة الى وصل الادب بالحياة استجابة الى التطور الفكرى بمعناه المتسع ، والرومانسية التى قام بها المجددون ابداعا ونقدا هى فى الحقيقة ثورة ، ذلك لان الكلاسيكية فى تلك المرحلة كانت امتدادا يغلب عليه التقليد والصنعة اما الرومانسية فكانت تصدر من ذات الفرد وهو تحول كبير وان غلبت عليه الذاتية فى الابداع والنقد جميعا .

والاتجاه الواقعى فى جيلنا كان توسعا فى مفهوم الفن فالفرد ثمرة مباشرة لمجتمعه . والمحور الكبير فى ذلك التحول هو النظرة الى غاية الادب : وكنا نردد فى شبابنا تأكيدا لوصل الادب بالحياة .. ان الادب للحياة ، اى ان هناك غاية للادب وهى ليست النفعة بالمفهوم الدارج ، ولكنها الجمالية بالتفسير الاجتماعى الواقعى لكل ابداع فنى .

● **ثم نتناول جانبا اخر من فكر الدكتور عبد الحميد يونس ، وهو التراث الشعبى فنقول له ، بحكم تخصصك الكبير فى التراث الشعبى فما هو تعريفك للثقافة الشعبية**

ولماذا استهواك الادب الشعبي ؟
يقول شارحا ومفصلا بموضوعية

نحن لا نزال في حاجة الى تحديد مفهوم الثقافة ، فالمشهور ان الثقافة ترادف التعليم ، ولكني اقول ان كل انسان مثقف على اختلاف البيئات والطبقات ، ومن المشهور عند بعض الدارسين أن الثقافة هي المحصلة الكاملة للمعرفة والخبرة وانها تكمن ايضا في اللا وعى عند الكائن الانساني: ولكن هذا المفهوم المتسع لا يتناقض مع الدلالة الخاصة التي تجعل مسايرة التطور ايجابية والثقافة الشعبية تواما حيا يقوم على الاحتفاظ بالمعارف ، والتجارب والخبرات والاحتفاظ بها بجميع وسائل المكابدة والذكر والترديد وفيها الكثير من العادات والتقاليد.

والواقع ان اهتمامي بالادب الشعبي كان مسايرا لارتباط الادب بالحياة ومن ملاحظاتي المهمة انني عنيت بما نسميه « الشخصية الجماعية » ، ولذلك فكرت اولا في ادب ثورة ١٩١٩ الذي كانت تذوب فيه شخصية الفرد في شخصية الامة ، ولما وجدت صعوبة الوصول الى النصوص اتجهت الى الادب الشعبي ، وبدات بدراسة نص يقوم على التدوين والترديد معا وهو سيرة الظاهر بيبرس . وبعد ذلك اخترت سيرة حية لاتزال تتردد في بيئات مصرية وهي سيرة بني هلال .

واتسعت الدائرة امامي عندما وجدت ان جميع وسائل الاتصال تمتزج في الابداع الشعبي . وحاولت ولا أزال احاول ان اخذ بمناهج العمل الميداني الذي يعتمد على التسجيل والتصنيف وانا احس بسعادة وانا أحد اخوتي وابنائي يسهمون في هذا المجال ..

● **التراث والعلوم الانسانية** ●

وحول تحديد العلوم الانسانية التي تفيد المتخصص في دراسة التراث الشعبي او الفولكلور . **يقول الدكتور عبد الحميد يونس :**

نستطيع ان نقول ان دارس المأثورات الشعبية او الفولكلور مطالب بان يستعين بكل العلوم الانسانية ، ذلك لان مضمون المأثور الشعبي يرتبط بجميع العلوم الانسانية وخصوصا اذا ادخلت في الاعتبار ان الفولكلور لا يتركز على الادب الشعبي ، وهذا الادب ـ كما قلت ـ تشترك في تحقيقه جميع وسائل التعبير والاتصال ، كالحركة والايقاع وتشكيل المادة ، والفولكلور يستوعب التقاليد والعادات والطقوس الى جانب المعارف الشعبية كالطب الشعبي .

وتعد الحرف والصناعات الشعبية المرتبطة بالعادات والتقاليد او الدالة على خاصية الاتقان من اهم مجالات الفولكلور .

ويجب الا يغيب عنا ان للفولكلور مدلولا اخر فهو العلم المتخصص في دراسة المادة الشعبية المرتبطة بالعادة والطقوس ، او الاداب والفنون الشعبية ، وهذا المصطلح يشبه الميثولوجيا فانه ايضا يعني مدلولين الاول الاسطورة ، والثاني العلم الذي يدرس الاساطير .

● **الادب الشعبي واللهجة المحلية** ●

ومن خلال هذه الرحلة نسأل الدكتور عبد الحميد يونس فما هو الفيصل بين الادب الشعبي وغيره ؟.

يقول الدكور عبد الحميد يونس :

الادب الشعبي كما الح لا يقوم بلهجه محليه لان هذا الادب فيه من عوامل التاثر والتاثير بين البيئات والاجيال مايجعله يتسع لوجدان الشعب ثم انه كثيرا مايعبر عن قوميه متسعه كما هو الحال في الملاحم والسير الشعبيه هذه السير والملاحم استكملت نموها في العصر المملوكي وكانت تعبر بقوة عن الوجدان العربي والاسلامي في مواجهه العدو الصليبي ،

والادب الشعبي يرتقي في كثير من الاحيان الى المستوى الرفيع في الابداع وبخاصه عندما تذوب شخصيه الفنان

المبدع فى شخصية الجماعة . وليس من الضرورى ان يكون المؤلف مجهولا كما قلت فان المدائح النبويه التى اشتهر بها شعراء باعينهم لاتزال تنشد وتردد فى المواسم الدينيه .. والأكر بهذه المناسبه ان احد وزراء الاوقاف فى شبابنا وكان من الذين عرفوا بنظم الشعر التقليدى ، راى ان يخلص الحياه الادبيه من العاميه فقرر عقد مبارة ادبيه لترجمه السيره النبويه الشعبيه الى اللهجه الفصحى ورصد لها جائزة ماليه مغريه فما كان من الدكتور طه حسين وهو من اكثر الناس عنايه بالفصحى الا ان عارض تلك الفكرة ودافع عن السيرة النبوية الشعبيه واعترف بما لها من مقومات وخصائص مميزه فى الابداع الادبى...، والفيصل فى تمييز الادب رسميا كان او شعبيا هو مستوى الابداع ، وهو مانجده فى روائع شعبيه ووجوده فى روائع رسميه واللسان بالمفهوم الشمل يستوعب الفصيح والعامى . ومن هنا فان معايير النقد الصحيحه هى التى تعترف بالمستوى المنشود فصيحا كان او عاميا ولكن هذا يقتضى بالضروره ان نتخلص من بعض الاحكام المسبقة التى تخرج عن تلك المعايير النقديه.

● الفولكلور والوحده القوميه ●

● هل استطاع الفولكلور العربي ان يساهم فى تاكيد الوحده القوميه وتجسيد غاياتها ؟

يقول الدكتور عبد الحميد يونس

اكرر مقالته واقوله وهو ان الوجدان القومى قد تحقق بالتعبير بالادب الشعبى ، ولكن هذا لا يمنع الاستجابة كتبعض وطن او بيئة او طبقه : ولو اننا اعتمدنا على الدراسة الفولكلوريه المقارنه فاننا سنجد اتساع الخريطه الشعبيه العربية . هناك الملامح البدوية والريفية والمدنيه . وهناك الملامح المصريه والشاميه والمغربيه . وهناك الملامح العربيه والقوميه ..

واذا اضفنا الى ذلك التطور الذى نشهده الآن لوسائل الاتصال والتطور الذى تمر به الانسانيه فى الحركه ، فاننا نواجه ما يمكن ان يستمر بالتحول الى العالمية بل الى الكونية وانا اطالب بالاهتمام الذى يواكب طبيعه الابداع الشعبى فى هذا العصر وتقوم بجهود واقعيه تتوصل بالعمل الميدانى وبالاهتمام لظاهره تبادل التأثر والتأثير بين البيئات ثم دراسة مقارنة بين المأثور الشعبي فى الاوطان والقوميات على اختلاف لغاتها ..

وفى نهايه هذه الرحله ومن خلال تلك التجربه الثريه نسأله عما استخلصه من المشوار الطويل أ...

يقول الدكتور عبد الحميد يونس

ان الدرس الذى استخلصه وانا اراجع هذا المسار هو ان يعرف الانسان معرفه واضحه الغايه التى ينشدها . وهذا يقتضى ان يتخلص المرء فى شبابه من طلب المستحيل او لم عليه أن يسعى فى الطريق والخطوه الاولى هى اهم الخطوات ، والصعوبات التى يواجهها من الممكن ان يتغلب عليها بان يتخلص من القلق والتوتر . واهم من هذا كله ان يعرف ان الاصرار هو ارادة الحياة : وكلنا يتعثر فى الطريق وكلنا لم يبلغ الامتياز على الاخرين . سمعت معظم الاباء يقولون لابنائهم انهم كانوا الاوائل فى الدراسة. اما انا فقلت لابنائى الحقيقة!

وليست شخصيه الفرد صراعا مع النفس ومع الاخرين ، وليست مع ذلك تسليما او مواقف فى كل موقف لم مساوى كان عاديا وانا الان راض عن كثير مما انجزته واعاتب نفسى . كما اقول لابنائى اننى تخاذلت فى بعض الاحيان انه ليس مجرد اعتذار ، ولكنه درس لمن يعرف الغاية والطريق ●

الحب في مسيرة الحياة

● د. توفيق الطويل ●

● بالحب هزم المهاتما غاندي اعظم امبراطورية عرفها التاريخ الحديث ، وهي الامبراطورية البريطانية ، التي كانت - عندما كانت تستعمر - لا تغيب الشمس عن املاكها ليلا ولا نهارا .. وقد كفل لها اسطولها البحري وامكاناتها الحربية ان تفرض سيادتها على الدنيا باسرها ، فتصدى غاندي لمجابهتها، ووراءه مئات الملايين من الهنود العزل من كل سلاح ، الا من الايمان بمبدئه في (الاهمسا) A himsa وهو الكف عن الاذى ومقاومة السيئة بالحسنى ، ومحاربة الحقد والظلم والكراهية بالحب الذي يملأ شعاب النفس ، ويدفع صاحبه الى الصيام والصلاة طلبا للمغفرة لمن اساء او بغى وظلم !

والعالم كله لم ينس بعد كيف قاد غاندي مسيرات ضخمة مسالمة كانت تحتج على ظلم المستعمر البريطاني وبغيه ، وهاجم احداها البوليس الانجليزي وانهال على هؤلاء الثائرين المسالمين ضربا وطعنا وتثبيتا ، وهم يحتملون الاذى صامتين لا يردون على العدوان حتى بهتاف عدائي .

بمثل هذا استقلت الهند المسالمة العزلاء تحت راية الحب والمسالمة ، وخارت اعظم امبراطورية في التاريخ الحديث امام رجل اعزل من كل سلاح، لم يستخدم - هو ولا اتباعه - طوال كفاحه قنبلة ولا صاروخا ولا مدفعا ولا دبابة ولا غواصة ولا شيء مما يستعان به في الحروب من الات الفتك والقتل والتخريب والتدمير ! ..

وكان غاندي لايستريح حين يوصف جهاده بالمقاومة السلبية ، اذ كيف تكون سلبية وهي لا تتحقق الا لمن وفق في مجاهدة ميوله وغرائزه ، وضبط دوافعه ونوازعه ، والسيطرة على اهوائه ونزواته ..

وهذا هو الجهاد الاكبر كما قال المصطفى صلوات الله عليه وسلامه عليه ..وهذا هو المعنى الذي فات الفيلسوف الالماني « فردريك نيتشه » حين كان يخطط لظهور السوبرمان كما ستعرف بعد قليل !.

ومن سخرية الاقدار ان يموت غاندي امام الحب والمسالمة عام ١٩٤٨ قتيلا على يد مجرم اثم من اهل دينه، اغتال من فرط ضيقه بسماحته ومسالمته لاهل الاديان الاخرى !..

***

هذا هو الحب .. يطهر النفوس من الدنايا والضغائن والاحقاد ،ويصل بين الناس ما انقطع ، ويقيم بينهم التعاطف الوجداني ويربطهم بالتعاون الذي يتكفل بتحقيق مصالحهم، وحسبه ان يكفل للعزل من السلاح أن يهزموا اعظم امبراطورية في التاريخ الحديث فرضت سيادتها على الدنيا باسرها !

فلنتصور عالمنا العربي وقد صفت نفوس اهله ، وتطهرت من الحقد والكراهية ، وتعاونت دوله على البر والتقوى ، ولنتصوره - عندئذ - ماذا ستكون عليه حال امتنا العربية بالمائة والعشرين مليونا .. ماذا تستطيع - عندئذ - ان تحقق من امجاد اجدادنا الذين دحروا غزوات الصليبيين وغارات التتار ، ويوم كانوا ائمة الحضارة والفكر في الدنيا كلها ! ..

كان « السوبرمان » أي الانسان الاعلى الذي تحقق فيه المثل الاعلى للانسان ، مثار اهتمام الفلاسفة من قديم الزمان،وعرفت منه نماذج شتى، نتخير منها - الى جانب من ذكرنا - اربعة نماذج ، اشار اليها «برترندرسل » ممثلة في : احسن الناس عند ارسطو ، والسوبرمان عند نيتشه ، والحكيم المتحكم في انفعالاته بعقله عند فلاسفة الرواقية .. فأحسن

الناس عند ارسطو يتميز بالكبرياء والغطرسة ، واحتقار العجزة والاستخفاف بالضعفاء ، والترفع عن حب من كان دونه ، يقدم للناس المنافع ، ويستحي ان يتلقاها منهم !.. ولا يبلغ هذه المكانة الا الملوك وابناء الطبقة الارستقراطية !.

ومع ان ارسطو اطال في بحث الصداقة ، فانه لم يشر بكلمة الى حب الانسانية او تقديم الخدمات الى الاخرين .. انه كان يدرك الام البشرية ولا يستثار بها ، ولايشقى بسببها ، الا متى كان ضحاياها من اصدقائه ، وهذا هو مكان الحب ؛ في انسانه الاعلى .!

وقد احيا هذه الصورة وبالغ فيها « فردريك نيتشه » فيما اسماه بالانسان الاعلى ، او السوبرمان ، اذ انه اعاد جدولة القيم الاخلاقية ، وانتهى الى ان العوائق التي تعوق ظهور الانسان الاعلى هي تمجيدنا لقيم بالية يتمسك بها الدهماء وهم الكثرة الساحقة ، من مسالمة وحب وتعاطف ورحمة وحنان ، وحلم ودعة وطاعة وتواضع ومساواة وحرية وغير هذا مما سماه باخلاق العبيد !.

اما اخلاق السادة التي تتمثل في الانسان الاعلى المنتظر فهي عنده ارادة القوة والقتال والبغي والقسوة والسيطرة على الضعفاء والسير على جثثهم !..

وهكذا رد « نيتشه » الاستسلام الى شريعة الغاب، ولم يفطن الى ان التحكم في النفس والسيطرة على نزواتها وغرائزها ، وتطهيرها من الحقد والكراهية ، وترويضها على الحب والحنان والتعاطف والرحمة والدعة — هي شجاعة لا يقوى عليها الاصلاء الممتازين من الناس ..

ويقول مؤرخو الفلسفة ان احسن الناس عند ارسطو والانسان الاعلى عند نيتشه كان على تعارض ملحوظ مع الحكيم الرواقي ، ان الحكيم في الفلسفة الرواقية يعيش وفاقا للعقل ولاينساق امام عواطفه ووجداناته ، وهو يحتقر الاهواء والميول ويشعر بالانفعالات ولكنه لا يأذن لها — من فرط قدرته على ضبط نفسه — ان تتحكم في سلوكه ؛ وهو لايشعر بالحب والحنان والتعاطف الوجداني ، ولا يهزه موت الاصدقاء والاعزاء ، ولا يحس الما ولا حزنا ولاندما .. وهكذا انكر فلاسفة الرواقية الحب كعاطفة في حياة الانسان !

ومن هنا — وبسبب مبادئهم التي لاتتمشى مع منطق الاديان ، بدا الحكيم الرواقي — في رأينا — على خلاف مع القديس المسيحي ، برغم ان من آباء الكنيسة من اعجبه تزمتهم وتشددهم في مجال الاخلاق ، تقالوا ان الفلسفة الرواقية مدخل الى المسيحية فالقديس المسيحي بوداعته وحنانه وتعاطفه مع الاخرين ، تمثلت فيه اعلى صفات الحب في المسيحية ، وقد ابان عنها السيد المسيح عليه السلام في عظته الحوارية على الجبل .

هكذا ارتفعت المسيحية بالحب الروحاني الى العلا، وان قيل انه مقطوع الصلة بحياتنا العملية ..

اما الاسلام فقد صور المثل الاعلى للحب في الله تبارك وتعالى ، ففيه يجتمع من الكمالات المطلقة القصى ما يستطيع عقل بشرى ان يتصور ، وقد جعل القران « الحب » اسما من اسماء الله الحسنى، وقد جمع الله تعالى بين الرحمة والقوة في تعادل وتوازن ، فالله تعالى رحمن رحيم ودود محب غفور ، وهو تعالى في نفس الوقت قوى قادر منتقم قهار جبار ، وصفات المحبة والرحمة فيه تعالى لاتطغى على صفات القوة والجبروت ، كما ان صفات القوة والجبروت عنده تعالى لاتطغى على صفات الرحمة والمحبة والغفران ..

والله تعالى هو المثل الاعلى لكل من آمن بالاسلام واهتدى بهديه فالاسلام يدعو الى المحبة والرحمة والحنان ، بمقدار ما يدعو الى القوة والاقتدار ..

هذا هو الحب الذى يضاف قيمة عليا الى قيم الحق والخير والجمال وهو توكيد لانسانية الانسان ، واعلاء له فوق مستوى البهائم والوحوش الضارية ..

من أسرار طائرات الاستطلاع الاستراتيجي

● لواء مهندس : سعد شعبان ●

● بعدما احتدمت الحرب بين العراق وايران ، واصبحت منطقة الخليج العربي مهددة بامتداد نيران هذه الحرب اليها ، طلبت المملكة العربية السعودية من الولايات المتحدة الامريكية وسيلة حديثة للانذار الاستراتيجي • وتحركت اليها اربع طائرات امريكية من طراز «اواكس» لتقوم بمهمة الانذار المبكر للمملكة العربية السعودية عن تطورات هذه الحرب ، ووجد حاكم ليبيا في هذه الطائرات مادة للتهجم على المملكة العربية السعودية الامر الذى انتهى الى قطعه العلاقات الدبلوماسية بينهما •

ولان هذه الطائرات فريدة فى نوعها •• ولا يضاهيها فى دول العالم غيرها ، فاليك ـ عزيزى القارىء ـ قصتها •

مكنمارا ـ والد الفكرة

بدأ التفكير فى تصنيع طائرات « اواكس » فى منتصف الستينات على يدى وزير الدفاع الامريكي مكنمارا ، الذى رصد الفي مليون دولار للبرنامج الذى قصد به أن يكون تطويرا لاجهزة الانذار الاستراتيجي والعمليات التكنيكية بواسطة وحدات انذار محمولة على الطائرات ، ولذلك أتت التسمية أواكس AWACS من الحروف الاولى للجملة المثلة لهذه الاغراض •

Airborne Waning. & Coninl Sgstens

ويتمثل التقدم التكنولوجي فى هذا النظام فى وحدات اليكترونية حساسة محمولة على متن طائرات بعيدة المدى ، تتكون من أجهزة رادار،واجهزة استشعار من بعد ،واجهزةملاحية دقيقة لم تستخدم من قبل • وذلك بغرض الكشف عن الاهداف المعادية والمتحركة على أبعاد كبيرة يساعدها فى ذلك امكان الطائرات المجهزة بهذه التجهيزات الطيران على ارتفاعات شاهقة تزيد عن ٣٠٫٠٠٠ قدم وقد تصل ٣٥٫٠٠٠ قدم • ومن ثم يمكن لهذه الطائرات كشف تحركات الطائرات العسكرية ، وخاصة تلك الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة بقصد الافلات من شبكات الرادار •

نبضات الرادار كنبضات القلب

الوضع التقليدى الذى عرفت عليه محطات الرادار منذ استخدامها فى أواخر الحرب العالمية الثانية ، أنها محطات اليكترونية ، تنبعث منها اشعاعات كهرو ـ مغناطيسية تستطيع الكشف عن الاجسام المعدنية التى فى الجو ، مثل الطائرات • فتحدد بذلك ارتفاعاتها واتجاهاتها وأبعادها على شاشات اليكترونية عرفت باسم الشاشات الرادارية قبل ان يعرف التليفزيون • وأنه يمسح الجو المحيط بالمحطة الارضية لينطلق فى الجو موجها بواسطة هوائى

● أربع طائرات أمريكية تتسبب فى قطع العلاقات السياسية بين دولتين

● طائرات الأواكس تعمل كمحطات رادار طائرة وغرف عمليات معلقة فى الهواء

● الطائرة تحوى حاسبا الكترونيا سعة ذاكرته أكثر من مليون معلومة

يدور فى كل الاتجاهات بعد أن تنعكس النبضات عليه فيمسح الهوائى الذى حوله . ولذلك عندما تعذلك بعضهم وحاول تعريف الرادار بألفاظ عربية أطلق عليه اسم « الشعاع الاليكترونى الذى استدار » .

والحقيقة ان الاشعاعات الرادارية ليست متصلة ولكنها تموجات متقطعة تخرج على هيئة نبضات القلب . وتنطلق هذه النبضات فى الهواء بأعلى سرعة عرفتها البشرية وهى سرعة الضوء التى تعادل ٣٠٠ ألف كيلومتر فى الثانية وبين كل نبضة والتالية لها فترة سكون ، ونظرا لهذه السرعة العالية فان استقبال الانعكاسات يمكن ان تحدث على الاجسام المعدنية مثل الطائرات أو الصواريخ خلال فترة السكون وقبل ان تبدأ النبضة التالية .

ولا شك ان النبضات المنعكسة تتوقف على حجم الجسم المعدنى الذى تصطدم به النبضات . فتظهر الاهداف كنقط مضيئة بوضوح على شاشات الرادار المظلمة عندما تنعكس على الاهداف كبيرة الحجم كقاذفات القنابل ولكنها تبدو ضعيفة الاضاءة وصغيرة الحجم على الشاشة التى يمكن قراءة عناصر أبعاد الهدف على تدريجاتها سواء البعد او الاتجاه أو الارتفاع .

ولقد برع الطيارون الالمان خلال الحرب العالمية الثانية فى تضليل محطات الرادار الارضية التى توصلت بريطانيا وحدها الى سر انتاجها ، فأحدث ذلك خسائر جسيمة فى السلاح الجوى الالمانى . وكان عماد ذلك القاء الطائرات لفات من شرائط الالومنيوم التى تتعدد نتيجة لتيارات الهواء وتكون جسما مفرغا لا شكل له ولكنه يتحرك بدفع الرياح لخفة وزنه ، وفى نفس الوقت تنعكس عليها نبضات الرادار ، فتبدو على شاشات المحطات الرادارية وكأنها طائرات ، فتضلل الطائرات البريطانية التى تتوجه لاسقاطها

ولقد تحسن آداء المحطات الرادارية بتقدم العلوم الالكترونية وخاصة بعد أن وضعت الحرب اوزارها وكبرت مدياتها فأصبحت تكشف عن أهداف على أبعاد تبلغ بضع مئات من الكيلومترات ، ولكنها تحت كل الظروف لم تزد عن ٣٠٠ كيلو متر فضلا عن تأثرها بالعوامل الجوية الى حد كبير . ومع التقدم فى صناعة الطائرات النفاثة العسكرية التى تجاوزت سرعاتها سرعة الصوت مرتين أو يزيد أصبحت مهمة الرادار صعبة فى ملاحقة هذه الاهداف . كما أنه مع تقدم فن القتال فى الجو ، أصبح لزاما تزويد الطائرات بأجهزة اليكترونية تساعد فى تمييز الطائرات المعادية عن الصديقة حتى تسهل عملية التوجيه فى الجو ، وذلك بظهور علامات مميزة على شاشات الرادار تفرق هذا عن تلك .

وظلت محطات الرادار الارضية يعتريها كثير من القصور فى التغطية الجوية ، لأن النبضات الرادارية لها حدود انتشار سواء الى اعلى او الى أسفل ومن ثم افلحت عمليات التسلل فى الافلات من هذه الشبكات سواء بتعمد

الطائرات العسكرية للطيران العالي جدا او المنخفض جدا . ولقد اوضحت خبرة حرب فيتنام امكانات هذا التسلل وجدواه وخاصة بالنسبة للطيران المنخفض وتأكدت هذه الخبرة في العدوان الاسرائيلي على الدول العربية عام ١٩٦٧ حيث لم تستطع محطات الرادار الكشف عن الطائرات الاسرائيلية المغيرة التي تسللت من مطاراتها على ارتفاعات منخفضة ، حتى بلغت اهدافها في الاردن وسوريا ومصر .

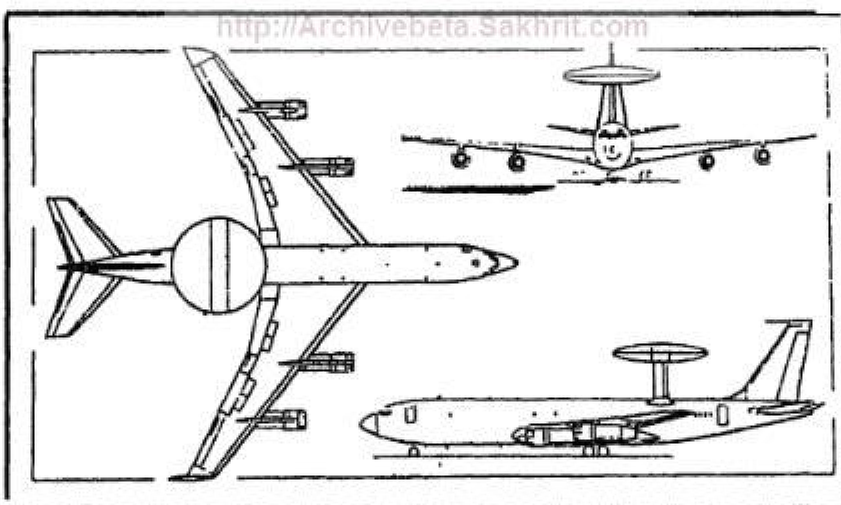
كما ان حقول التغطية الرادارية لم يكن من الممكن أن تكون تامة الاحكام حول كل الاهداف الحيوية والاستراتيجية والتكنيكية لدولة متسعة الرقعة ، فلابد من وجود ثغرات يمكن أن تتسلل منها الطائرات المغيرة .

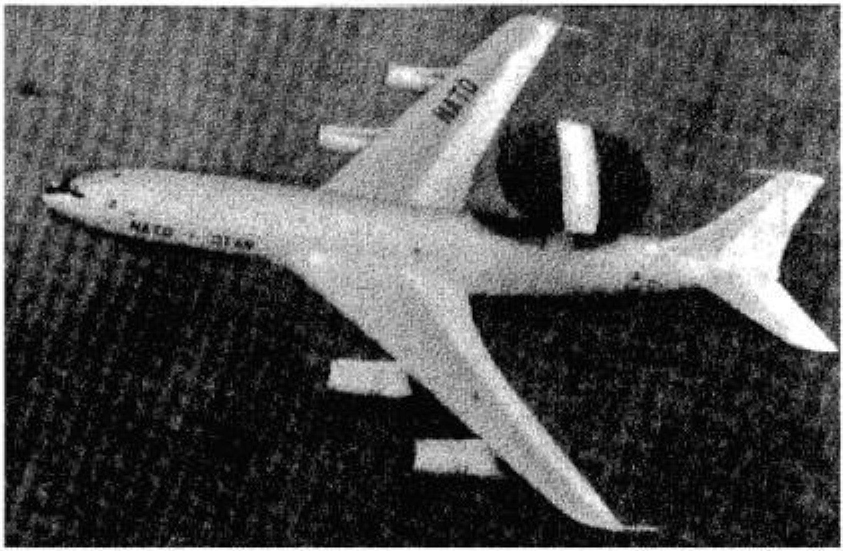
كل هذه العوامل وصمت الشبكات الرادارية الارضية بالقصور ، وجعلت من الممكن الافلات منها بل وتصيدها حتى نفسها بامطارها بوابل من قذائف المقاتلات القاذفة وقاذفات القنابل . من هنا برزت فكرة محطات الرادار المحمولة على الطائرات .

الرادار المحمول على الطائرات

في أوائل الستينات بدأ ظهور محطات الرادار المحمولة على بعض الطائرات العسكرية ، بغرض التغلب على بعض نقائص المحطات الرادارية الارضية ، وخاصة قاذفات القنابل ، مساعدتها في تحديد اهدافها الارضية بدقة . ولقد ثبت أن هذا النوع من الرادار ، رغم صغر حجمه ، يغطي مدى كبيرا ، وأصبح يخدم الاغراض الاستراتيجية حيث يبلغ حوالي ٧٠٠ كيلو متر ومن ثم أصبحت فترات الانذار المبكر بأي هجوم معاد طويلة حتى ٣٠ دقيقة ، بدلا من ٦ دقائق كما كان الحال في التسلل بالطيران المنخفض الذي لا تستطيع أن تكشفه الرادارات الارضية . كما أصبحت شاشات الرادارات المحمولة على الطائرات نواة لأجهزة التمييز بين الاهداف الارضية ، وعمليات الاستشعار من بعد . ويقوم ذلك على نظرية علمية تعتمد على ان

مساقط الطائرة او اكس



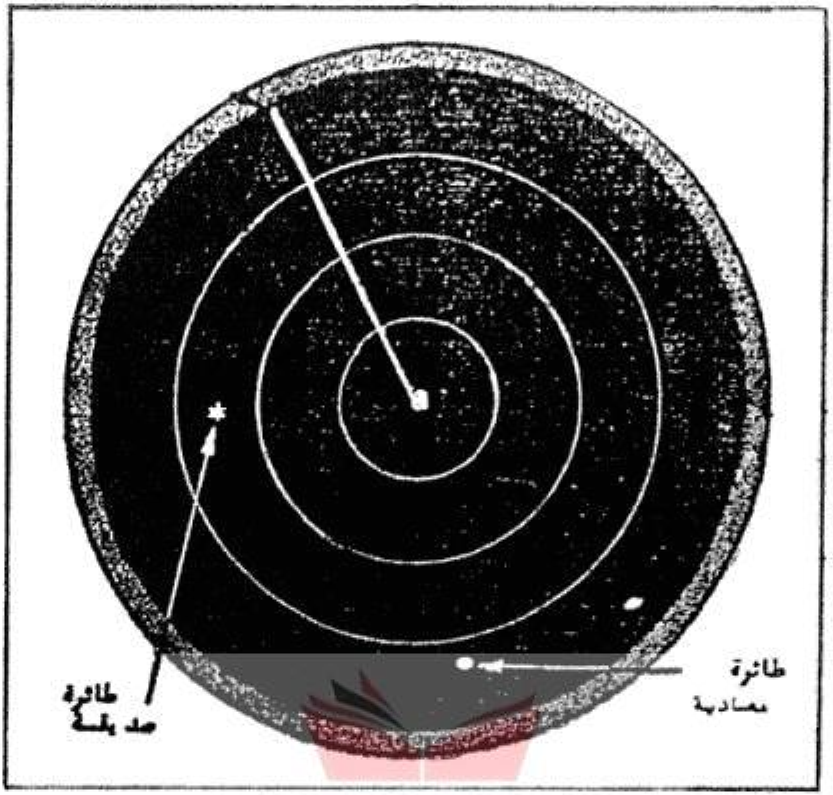


طائرة أو اكس



النبضات الرادارية كنبضات القلب

نبضات الرادار عندما تصطدم بسطح الأرض ، ينعكس بعضها الى أعلى ثانية فيصل الى اجهزة الطائرة وتظهر على شاشاتها ما يشبه خريطة للمنطقة التى تغطيها هذه الاشعاعات بحيث يمكن التمييز بوضوح بين الماء واليابسة ، وبين المبانى والاراضى المنبسطة،وبين المزروعات والصحراوات ، لان شدة انعكاس النبضات تتوقف على طبيعة السطح العاكس من حيث تضاريسه ودرجة توصيله • فالماء جيد التوصيل بعكس الصحراء ، والمناطق السكنية التى بها منازل تظهر صورتها على شاشات الطائرات بوضوح عن المياه الساكنة • والطرق المغطاه بالاسفلت مثلا تلمع أكثر من الصحروات • كذلك أصبحت الرادارات المحمولة قادرة على الكشف عن الاهداف العسكرية المتحركة على الارض أو فى الجو ، فأصبحت الطائرات الاقل ارتفاعا سهلة الظهور على شاشات الطائرات ، ومن ثم تأكد الانذار الاستراتيجى ، بوسيلة فعالة • حيث أصبح ممكنا معرفة



تمييز طائرة معادية من طائرة صديقة على شاشة الرادار

تحركات الاعداء من مسافات كبيرة ،وعلى هـذا الاسـاس تأكدت فكرة طائرات الاواكس •

الاواكس غرف عمليات طائرة

بعدما تبلـورت فكـرة مكتمارا عن طائرات الانذار الاستراتيجي •• واطلق عليها اسم « أواكس » ظهرت الى الوجود وبدأ استخدامها فى القـوات الجـوية الامريكية عام ١٩٧٧ متمثلة فى طائرات « بوينج ـ ٧٠٧ » مجهزة تجهيزا خاصا، وتتميز بشكل فريد ، اذ يعلو ذيلها قبة دائرية ، تضم هـوائي الرادار المتحـرك ويبلغ قطرها ٩٫٤ مترا = (٣٠ قدم) فى مستوى عال من مسـتوى جسـم الطائرة ويقدر بارتفاع ٦٫٨ مترا •

وتوالى الانتاج حتى أصبح لدى الولايات المتحدة الامريكية اسطول مكـون من ١٩ طائرة • تستطيع التحليق حتى ارتفاع يصل الى حوالى ١٢ كيلومتر =(٣٥٫٠٠٠ قدم) وتكشف عن الاهداف والتحركات حتى مـدى يقـرب من ٦٠٠ كيلو متر وتسـتطيع بهذا الكشف الاستراتيجى البعيد المدى ، مراقبة كل الاهـداف الارضـية البعيدة ، وكشف كل طلعات الطيران المنخفضة واجـراء عمليـات الاستطلاع فى جميع الاجـواء ، بحيث يصعب التسلل من أى ثغرات • ويوجد



مقارنة بين شاشة رادار وخريطة لنفس المنطقة التي تغطيها شاشة الرادار من طائرة

على طائرات الاواكس أجهزة اليكترونية حساسة ودقيقة ،صممت خصيصا لخدمة اغراض الانذار المبكر ، تتمثل بالاضافة الى أجهزة الرادار في حواسب اليكترونية لتخزين المعلومات واجراء الحسابات الدقيقة اللازمة للاستطلاع والكشف والتمييز وتحقيق عمليات السيطرة على الطائرات والقوات الاخرى من الجو ، الامر الذى يديره طاقم مكون من ١٧ فردا وتبلغ سعة الحاسب الاليكترونى على الاواكس اكثر من مليون معلومة وبذلك يتمثل في طائرات الاواكس بخلاف كونها محطات انذار مبكر معلقة في الجو ،كونها ايضا غرف عمليات طائرة ،ولذلك جهزت باجهزة اتصالات دقيقة وحساسة للاتصال بالوحدات الارضية والطائرات وقواعد الصواريخ والقوات البرية الصديقة •

ولذلك عندما احتدمت التهديدات الايرانية ، وارسلت اربع طائرات اواكس الى المملكة العربية السعودية تحركت حاملتى الطائرات الامريكيتين «ايزنهاور» و « ميدواى » الى المياه القريبة من المملكة السعودية واصبحت تشكل مع محطة ارضية اليمن في المملكة السعودية حلقة متكاملة للانذار المبكر باى تطورات لهذه الحرب •

السجل الثقافي

● محمد قنديل البقلي ●

● ان الحياة العلمية والثقافية منذ ان استوت لها اسسها واصبحت صحائف مدونة يلقى فيها الحاضر من الماضي، ويتلقى فيها المستقبل من الحاضر — كان لابد من تدوين منهجي يلم بما لكل زمن بسطا وشرحا وتفصيلا وتعريفا اذ لابد لكل مشارك في تلك الحياة العلمية والثقافية قراءة او تأليفا او تخطيطا من أن يكون على علم بما كان، ليمضي من حيث ابتدأ من سبق ولينتفع بالرأى، فيضيف اليه رأيا آخر .. فالحياة العلمية والثقافية ان لم تكن صفحات مبسوطة بين يدى كل جيل، كرر الناس انفسهم ولبثوا في امكنتهم وهم يحسبون انهم ماضون، وكرروا انفسهم وهم يحسبون انهم مبدعون.

وهذا مما لم يغب على من سلف كما لم يغب عمن يعاصرنا من شعوب غربية عرفت ما لهذا النوع من التدوين الفهرسي من شأن في حياتهم العلمية والثقافية، فبوبوا كل صغيرة وكبيرة ونسقوا هذا تنسيقا مفصلا مبسوطا كي يفيد منه كل مفيد.

وهذا الذى يجيد الغربيون صنعه اليوم من تبويب للعلوم وتنسيق للفنون وتصنيف للثقافات، سبق به الشرق منذ اقدم العصور، فلقد رأينا الخوارزمي محمد بن احمد بن يوسف المتوفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة للهجرة « ٣٨٧ هـ » يصنف كتابه « مفاتيح العلوم » فيؤرخ في كتابه هذا لكل علم ولكل فن، ويصنف الكتب المؤلفة في كل علم وفي كل فن تصنيفا منتظما مفيدا ينتفع به القارىء، وينتفع به المؤلف، وينتفع به المؤرخ الذى يريد أن يتكلم على تطور العلوم والثقافات

وفي هذا العصر الذى عاش فيه الخوارزمي عاش مؤلف آخر كانت وفاته قبل وفاة الخوارزمي بنحو من عامين هو ابن النديم أبو الفرج محمد بن اسحاق وكتابه « الفهرست » أو فهرس العلوم من أغنى الكتب في تصنيف العلوم والفنون والتاريخ لهذا التصنيف الذى يشبع رغبة القارىء في تطور الحياة العلمية والادبية والثقافية، ولم يجتزىء ابن النديم في كتابه هذا، اعني « الفهرست » على البيئة العربية وحدها بل عداها الى البيئات المجاورة التى كانت لها مخالطة أو شبه مخالطة بالبيئة العربية وكان ثمة بينها وبينها اخذ وعطاء، وهي البيئات اليونانية والفارسية والهندية ومضى السنون والقرون والمؤلفون في الشرق لا ينقطعون من هذا التأليف الفني، وكم من مؤلفين في هذا جهلوا ولم يعرفوا، وكم منهم من عرف وجهلت كتبه أو ضاعت مع ما ضاع من التراث العربي الزاخر، فما نظن ان الحقبة التى امتدت نحو قرنين من الزمن ولم تظفر فيها بكتاب في هذه البابة مرت هباء فارغة خالية من هذه التواليف الفنية، وما نظن ان ظهور السكاكي أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة « ٦٢٦ هـ » كان ظهورا بعد فراغ دام قرنين من الزمن، بل ان هذين القرنين منذ ان انتهى هذان العالمان الجليلان ابن النديم والخوارزمي كان لابد ان يكون فيهما تواليف في هذه البابة، فما

تعودنا عن الجهود العربية الشرقية ان تبدا ثم تنقطع وان يطول انقطاعها الى ما يقرب من قرنين لا سيما وان هذين القرنين لم يخلوا من تواليف كثيرة في شتى الميادين ، ولم يخلوا من حركات علمية وثقافية في شتى فروع المعرفة

ولعل طاشكبري زاده احمد بن مصطفى المتوفى سنة اثنتين وستين وتسعمائة « ٩٦٢ هـ » قد اقتفى أثر من سبقوه لاسيما السكاكي في مفتاح العلوم كما استوعب جهود مؤلفين اخرين كانوا فيما بين أوائل القرن السابع الهجري وأوائل القرن العاشر الهجري أي على مدى قرون ثلاثة ، فبعيد ، أن تكون هذه القرون الثلاثة التي مضت منذ ان انهى السكاكي تأليفه سنة ست وعشرين وستمائة « ٦٢٦ هـ » الى ان ابتدأ طاشكبري زادة تأليفه مع أوائل القرن العاشر الهجري .

مضت هي الاخرى دون مدونات في هذا الفن ، فلقد ضمن طاشكبري زاده في كتاب « مفتاح السعادة » الكثير من تواليف في هذا الفن حفلت بها هذه القرون الثلاثة .

ومن بعد طاشكبري زادة بقليل كان حاجي خليفة بكتابه الضخم الذي طالعنا به رمو « كشف الظنون » .

والقارىء لهذه الكتب الستة ، اعنى

١ ــ الفهرست لابن النديم
٢ ــ مفاتيح العلوم للخوارزمي
٣ ــ مفتاح العلوم للسكاكي
٤ ــ مفتاح السعادة لطاشكبري زادة
٥ ــ كشف الظنون لحاجي خليفة .
٦ ــ ايضاح المكنون لاسماعيل راغب

يرى فنا سبق به الشرقيون الغرب ،

ذلك حين تطالع كتبا من هذه الكتب الستة لا تراها جامدة عند ذكر المؤلف أو ذكر الكتاب كما نفعل نحن في فهارسنا اليوم التي تطالعنا بها دور الكتب في البلدان العربية المختلفة ، بل تراها تؤرخ الحياة الثقافية كل فرع وتسلسل ذلك التاريخ مناسبة في تسلسلها عبر القرون معقبة على كل تأليف ذاكرة ماله وما عليه في عبارات تدل على قراءة واستيعاب وتفهم لمحتويات كل كتاب واصلة تلك العصور بعضها ببعض منذ كانت الى ان انتهى الامر الى عصرهم ، فذكر الكتاب وحده اصبح امرا لا يغني في الميادين الثقافية التي يراد لها ان تكون الفكرة عنها من صولة لتمضي سلسلة التفكير والتأليف فيها ابداع وفيها تجديد .

وفي علمي ان شيئا من هذا كان قد سبق التفكير فيه ايام أن كانت للثقافة في وزارة التربية والتعليم ادارة تسمى ادارة الثقافة وكانت فيما فكرت فيه هذه الادارة انشاء شيء يسمى السجل الثقافي وانشيء لذلك قسم اختص بهذا النوع من العمل وكان هذا العمل في مبدأ أمره صورة مكررة مما تصنعه دور الكتب من اخراج فهارس ينتظم الكتب مرتبة على حروف الهجاء حينا ومرتبة على الفنون حينا اخر .

ثم هذه الفكرة تطور الى الاجود والى المضمون الحق الذي تعنيه كلمة « السجل الثقافي » فاذا الامر يحتذي فيه ما احتذي في هذه الكتب الستة من حصر شامل بكتب كل من خرجت به المطابع في العام ، ثم القاء نظرة على كتب كل فن يلقيها عالم متخصص بهذا الفن ويترجم ما اثر في نفسه عن ذلك بعبارة تفصح عما كان للمؤلفين في هذا الفن من ابداع وما كان لهم من جهود في ذلك الميدان ذاكرا مالها وما عليها رابطا هذا بما الف في هذه السابقة من قبل .

بهذه النظرة وبتلك الكلمات المؤرخة للحركة العلمية والثقافية استحق هذا السجل الثقافي اسمه المعنون به بعد هذا التطور ، ولكن للاسف لم تمض هذه التجربة طويلا بل اختفت وكانت العلة في اختفائها كما اظن هي صعوبة المهمة ، ولكنها ما ايسرها اذا اعدت لها العدة ، وما هان على من سبقونا لا يصح ان يصعب علينا وبعيد ان تكون للحركة العلمية والثقافية سلسلة موصولة تصل السنين بعضها ببعض وتصلنا بماضينا وتمهد لصلتنا بغدنا الا اذا عاد هذا السجل الثقافي للظهور على هذا النمط الذي وضع لواءه الاقدمون وحذا فيه حذوهم الغربيون ، وانا لصدوره لمنتظرون

ميلاد حقبة

• ادوار حنا سعد •

فى احتفال الاسكندرية بعيد ميلاد ابنها توفيق الحكيم – الثالث والثمانين « ٩ اكتوبر ١٩٨٠ » واهدائه مفتاح المدينة ..

بلدةُ النورِ كُوفئتْ بالوشاحِ وهى تهدى المفتاح للمفتاحِ
لابنها الرائدِ المحلّقِ أسرى سامقَ المرتقى جرىءَ الجناحَ
أطلقَ الفجرَ من براثنِ غيمٍ وحداً ركبَهُ لبابِ الصبّاحِ
وشفى الفكر من بقايا جمودٍ ودعاهُ إلى المروجِ الفِساحِ
بثّ فى بنية الكتابةِ فنّا وسنا زاد روعة المصباحِ
يربطُ الفكرَ بالحياةِ فيمشى نبتةً حيّة كزهرِ البطاحِ
فى جديد من روعة الشكل رآو من معينٍ الحضارةِ السحّاحِ
والثقافاتِ .. منجبات بذهنٍ ثاقبٍ ساحرِ الرؤى لمّاحِ
صوغه العبقرى سهلٌ عصىّ ومراميه نائيات الطماحِ
صوته صوت مصرنا .. وصداه عالمى .. مسراه مسرى الرياحِ
أنتَ فى داركَ المدلّة ضيفٌ فى حنايا الصدور والأرواحِ

***

وعلى ساحة المنار التقينا فى رؤى المجد والسنا الوضاحِ(١)
بلدة النور .. مدّت النور معنى لعُلاها .. على العصور الفِساحِ
لا أشوق التاريخ سرداً فحسبى عصرنا فى أريجه الفوّاحِ
نشأةُ الصحف والمسارح منها ودعاة التجديد والإصلاحِ
(بيرم) الشاعر المناضل غنّى كلمات ، لها صليل السلاحِ
ولحون (الدرويش) تعبير شعبٍ لا اهتزاز التطريب فى الأفراحِ
ثم كنتَ الخلّاق يرسم باللفـ ـظ مثيناً كاللون فى الألواحِ !
يوم ميلادك المنضّر رمزٌ هو ميلاد حقبةٍ وانفتاحِ
ردّكَ اللهُ كل عامٍ إليهِ فى غلالاتِ صحّة وارتياحِ
أنت مصباحنا والله ندعو أن تطولَ الحياةُ للمصباحِ !

---

(١) اليوم الحفل الذى القيت فيه هذه القصيدة بقلعة قايتباى الأثرية التى بنيت من ...ه سنة مكان فنار الاسكندرية القديم الذى كان احد اعاجيب الدنيا السبع ...



في مهرجان كبير ، كرمت الاسكندرية اديب مصر والعروبة استاذنا توفيق الحكيم في مناسبة الاحتفال بعيد ميلاده ثم سلمه المحافظ الدكتور نعيم ابو طالب مفتاح الاسكندرية ، اعتزازا من عروس الثغر والعاصمة الثانية للوطن ، باحد ابنائها الرواد ، وتقديرا لما قدم من ابداع في عالم الفن والفكر والادب العربي المعاصر ...

اقيم المهرجان عند قلعة قايتباي الاسكندرية ، وكانت مناسبة كبيرة ان يلتقي مهرجان تكريم اديب مصر الكبير ، بالاحتفال بمرور خمسمائة عام على انشاء هذه القلعة التاريخية الاسلامية الشهيرة ...

ناس وصور وحكايات

عندما تشترى عدسة لاصقة

اخترعت العدسة اللاصـــقة من نحو خمس وعشرين سنة ، وقد نفر الكثيرون منها لاول اختراعها بسبب ما كانت تسبب من المتاعب والاخطار فهى احيانا تلتصق بالقرنية ولا تنزع الا بعملية فى المستشفى ، وفى احيان اخرى كانت تسبب التهابات للعين واضطراب فى الرؤية .

ولكن الاطباء والفنيين ظلوا يواصلون جهودهم حتى تخلصت العدسات اللاصقه من معظم متاعبها ، واصبحت توجد منها انواع كثيرة تناسب كل عين . طبعا لاتزال النظارة العادية اســلم واحسن ، ولكن هنـــاك ناسا تضطرهم اعمالهم وظروفهم الى استعمال العدسات اللاصقة مثل الممثلات مثلا ..

وفيما يلى بعض ملاحظات نقدمها للقراء ليستعينوا بها عندما يريدون ان يستعملوا عدسة لاصقة .

١ ـ هناك العدسات اللاصقة الصلبة التى تصنع من انواع معينة من السلولوز واسمها العلمى CAB وهو اختصار لمصطلح علمى وتركيبها حامضى يناسب العين ولا يهيج القرنية ولا يسيل الدموع .

٢ ـ وعدسات صلبة من السلولوز نسيجها فيه مسام تخرج ابخرة العين وهى لهذا افضل من السابقة .

٣ ـ عدسات لدنة اسمها العلمى Hena وهى تناسب العيون تماما وتتعود عليها بسهولة بسبب ليونتها وتركيبها الحامضى ..

٤ ـ هذه العدسات كلها ذات الوان مختلفة تناسب العين ، والصور الست التى تراها على هذه الصفحة تعطيك كل اثنتين متجاورتين منها لونين وشكلين لكل نوع من أنواع العدسات اللاصقة الثلاث التى ذكرناها .

وهناك اصناف وانواع اخرى بعضها يصنع من السيليكون ، وعليك ان تستفهم من طبيبك وصانع نظاراتك بغاية الدقة حتى تحصل على العدســة اللاصقة التى لا تسبب لك اى متاعب .





وأنا أيضاً أصوركم أيها القرود

تزاحم المتفرجون حول قفص قردة الشمبانزي البالغ ماريا في حديقة حيوانات فرانكفورت وأخذوا يلتقطون لها الصور حاسبين انهم يسلون انفسهم بذلك على حسابها ..

لما كان منها الا ان اخرجت آلة تصويرها من آخر طراز واخذت تلتقط لهم الصور وتخرجها وتلقي بها على الارض وكأنها تقول : وانا ايضا اصوركم ايها المتسلين .



طفلة الأنبوب تصبح عروس جميلة

هل تذكرون الطفلة الانجليزية لويز براون التي تم اخصاب بويضتها في انبوب ثم اعادوها الى رحم امها لتنمو طبيعيا لان الام مصابة بشيء يمنعها من الحمل !

لقد اصبحت لويز الان عروس حلوة عمرها سنتان ، وهي تلعب طول اليوم في حديقة دار والديها في بريستول ..

انها عروس شقية .. تسبب لامها المتاعب طول اليوم لان حركتها لا تسكن ، ولابد للام من ملاحقتها ، واخيرا اشترت لها كلبا من الطراز الافغاني الشهير بوداعته وجماله وغزارة شعره ..

ها هي لويز تركب دراجتها وتمرح في حراسة كلبها الامين

فصاحات ملونة

• محمد شوقى امين •

اللغة العامية ـ كما يسميها علماء الفصحى ـ او : لغة الخطاب ـ كما هي في حقيقتها ـ امرها عجب ! .

لقد شغلنى ـ على امتداد نصف قرن ـ انى اجد في هذه العامية المزعومة من دقائق الفصحى المأثورة ما نفتقده في استعمالات الفصحاء والمتفاصحين على مر السنين .

من « كلام الناس قولهم : « العظمات لله » ، ومنه قولهم : « فلان عنده عظمة » . ومدلول قولهم الاول ان الجلال لله وحده سبحانه ، معبرا عنه بكلمة « العظمة » التى تحمل معنى الكبرياء . واما مدلول قولهم الاخر فهو ان فلانا فيه من الخصال المقوته خصلة التكبر والتعجرف والعنجهية .

ذلك ما في لغة الخطاب لكلمة «العظمة» فهو يعنى الفخامة والكبارة والعظم ، وصاحب العظمة هو من له من الخلال ما يقتضى التمجيد والتعظيم . واذكر ان المرحوم « على عبد الرازق » نشر مقالا عنوانه « عظمة محمد » صلى الله عليه وسلم ، تناول فيه الخصائص النبوية التى جعلت منه عظيما اى عظيم .

هنا يبرز البون الشاسع بين استخدام فصحاء الكتاب ، وما يعنيه الناس في لغة الخطاب . فاى الفريقين على صواب ؟.

الكتاب يستعملون « العظمة » في مقام المدح ، والناس يستعملونها في مقام الذم ، الا في حق الله تعالى ..

والمأثور المشهور في الفصحى يصدع بان العظمة والعظموت والتعظم والاستعظام هو الكبرياء والتكبر والنخوة والزهو ، واما الفخامة والكبارة وما في معناهما على المجاز ، فهي العظم والعظامة ، والموصوف بها عظيم .

وخلاصة ما اجمعت عليه نصوص اللغة ان العظمة هي الكبرياء ، واذا وصف امرؤ بالعظمة فهو ذم ، لان معناها كبره وتجبره المقوت ، لان العظمة في الحقيقة لله عز وجل ، وهي استقلاله واستغناؤه عن الغير .

ذلك ما جعل المعجمات الحديثة لا تثبت للعظمة معنى الا الكبرياء ، مضيا مع السائد المقرر في اصول اللغة ، وهو ما بقى جاريا على الالسن في لغة الخطاب ، لا على اقلام الكتاب.

على أن «العظمة» بالمعنى الذى يتوارد

على اقلام الكتاب ، فى مقام المدح ، يجد له مسوغا فى نص اثبتته بعض الاصول وان لم يكن له مكان الصدر فى تفسير العظمة التفسير المعجمى الاصيل الوثيق .

هذا النص يتمثل فى حكاية مقولات على هذا النحو : « لفلان عظمة عند الناس ، اى حرمة يعظم لهـا ، وله معاظم وحرم ، وانه لعظيم المعاظم ، اى عظيم الحرمه والحقوق المستعظمة » .

لنا بهذا ان نطمئن الى سلامة التعبير بالعظمة فى مقام المدح ، عن غير الكبرياء من حميد الخصال .

وعلى اصحاب المعجمات الحديثة ان يثبتوا ذلك ، تيسيرا فى اللغة ، ودعما لما تجرى به اقلام الكاتبين .

● فى ادب التقاضى ●

كان « اسلم » قاضى الجماعة — اى قاضى القضاة — فى « غرناطة » ، وذلك فى الربع الاول من القرن الثالث الهجرى ، وقد تلقى — فى تواضع واستسلام — درسا فى ادب التقاضى ، القاه عليه احد الشهود بين يديه !.

تقول القصة ان فقيها خاصم رجلا فى مجلس قضاء « اسلم » ، وجاء الفقيه بشاهد ، وقال للقاضى هذا شاهدى ، فاسمع منه .

فما كان من « اسلم » الا ان صعد نظره فى الشاهد وصوبه ، ثم قال له: « اشاهد مكتسب انت ، ام محتسب مدخر اجرك عند الله ، اصلحك الله ؟ »

وحرق الشاهد على ان يقول لاسلم : « احسن الظن بنا ، أيها القاضى، فليس هذا اليك. هذا الى الله المطلع على ما فى القلوب . انك لم تقعد هذا المقعد لتسال عن هذا وشبهه ، وانما عليك الظاهر ، وتكل الباطن الى الله . ان شئت فاسمع الشهادة كما يلزمنى اداؤها ، ثم اقبلها او اضرب بها الحائط . وليس لك ان تكشف الستر المنسدل بينك وبينى .

فان هذا التفسير للشهود يوقف عن الشهادة عندك . وفى ذلك من ضياع الحقوق ما لا يخفى » .

وكان تعقيب « اسلم » ان قال له:

« لك ما قلت ، فاد شهادتك ، يرحمك الله ! »

● بين الجرباء ، وسوداء العروس ●

التصرف اللغوى فى الاسماء والمسميات تختلف وجوهه وتتراوح ، حتى تبلغ حد التناقض . وليس ذلك من عبث باللغة، ولا هو سوء استخدام لها، ولكن لان وراء هذا التصرف ما وراءه من ابعاد واهداف .

الجرباء فى اللغة : ذات الجرب ، وهو البثور التى تعلو الابدان ، وتبعث على النفور ، وتكون منها العدوى . والناقة الجرباء هى التى تتوقاها الابل مخافة ان تعديها . وربما كان مقبولا الى حد ما ان تسمى السماء : الجرباء ، لما يتناثر فيها من الكواكب ، ولكن العجب ان يسمى العرب الجارية المليحة : الجرباء !. ومتى عرف السبب بطل العجب ، فان الحسناء سميت جرباء لان الحسان ينفرن منها ، لتقبيحها بمحاسنها محاسنهن !...

ولم يقتصر تسجيل ذلك على المراجع اللغوية ، فان التاريخ الاجتماعى يسجل من سميت بالجرباء فعلا ، لهذا السبب المبطل للعجب ؟ ..

يقول المؤرخون : كان لعقيل بن علفة المرى بنت يقال لها : الجرباء ، وكانت من احسن النساء .

وقد عنى « الاصفهانى » فى كتابه « مقاتل الطالبيين » وهو يؤرخ لعبد الله بن الحسن بن الحسين — رضى الله عنهم — بان يذكر فى جدالته « ام اسحاق » ، ويقول : انها كانت من اجمل نساء قريش ، على ما فيها من

انفة ونفرة . وان اسمها هى : الجرباء بنت قسامة ، وقد سميت بذلك لحسنها ، فكانت لا تقف الى جانبها امراة ـ وان كانت جميلة ـ الا استقبح منظرها . ولذلك كان النساء يتحامين ان يقفن الى جانبها . فشبهت بالناقة الجرباء التى تتوقاها الابل مخافة ان تعديها .

وفى مقابل ذلك ، ان العرب كانوا فيما يستعدون به لحفل الزفاف والجلوة ، ان يجتلبوا جارية دميمة ، لكى تقف بجانب العروس فى ساعة جلائها ، حتى يتجلى بالمقارنة حسنها .. وكانوا يسمون الجارية المجلوبة لذلك : سوداء العروس !

● مناقب العصا ...

لماذا لا تكون العصا ذات مناقب ، وقد كان لها فى حياة العرب شان اى شان ؟ ... ولعل خاتمة مناقبها انها كانت مثارا لطرائف فى الادب جعلت « الجاحظ » يفرد لها كتابا فى موسوعته : « البيان والتبيين » .

ولم يكن « الجاحظ » وحده هو الذى استأثر بالكلام على العصا ، وما اليها ... هنا « ابن قتيبة » ينقل لنا قصة عصوية ان تكن من الكذب ، فهى من الادب !

قال « الشرقى » : « صحبنى فتى من ولد « عمرو بن كلثوم » ومعه عصا لا يفارقها ، مشاة كنا أوركبانا ، وهو يقول :

ان الله قد جعل جماع امر « موسى » واعاجيبه وبراهينه ومآربه فى عصاه !

وكان يكثر من هذا ، وانا اضحك متهاونا بما يقول .

ويوما اكترينا حمارين ، وتخلف المكارى عنى ، فوقفت أنتظره . اما الفتى فكان اذا وقف حماره أكرهه بالعصا ، فيسبق . فقلت : هذه واحدة !

وخرجنا من غد مشاة ، فكان الفتى اذا اعيا توكأ على العصا ، وربما وضع طرفها على الارض ، فاعتمد عليها ومر كأنه سهم ، حتى انتهينا وقد تفسخت من الكلال ، واذا الفتى فيه فضل كثير . فقلت : وهذه اخرى !

فلما كان فى اليوم الثالث ، هجمنا على حية منكرة ، فسارت الينا ، فاسلمته اليها وهربت منها ، فضربها بالعصا ، حتى قتلها . فقلت : هذه ثالثة !

وخرجت فى اليوم الرابع ، وبنا شهوة الى اللحم ، فاعترضتنا ارنب ، فحذفها بالعصا ، وادركنا ذبحها ، فقلت : هذه رابعة» !

واردنا الا نؤخر اكل الارنب الى المنزل ، فاخرج عويدا ـ عودا صغيرا ـ وحكه بالعصا ، فأورت نارا ، وجمع قماشا وحشيشا جعله وقودا ، وشوى فيه الارنب ، ثم اخرجها وضرب جنوبها بالعصا ، حتى انتثر ما عليه من الرماد ، فقلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعض الخانات ، واذا البيوت ملأنه روثا وترابا . فنظر الى حديدة مطروحة ، فاخذها ، فجعل العصا نصابا لها ، وجرف جميع ذلك ، وجرد الارض ، حتى ظهر بياضها ، وطابت ريحها ، فقلت : هذه سادسة !

ثم نزع العصا من الحديد ، فاوتدها فى الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيابى ، فقلت : هذه سابعة !.

فلما صرنا يوما الى مفرق الطريقين، اردت مفارقته ، فقال : لو عدلت معى ، فبت عندى . فطاوعته ، وفى بيته لقيت اباه ، فاخبرته بالذى احصيت من خصال العصا . فقال : والله لو حدثتك عن مناقب العصا ليلة الى الصباح ، ما استنفدتها ! » .



عبدالله عنان وأجيال الشباب

● اجرى الحوار : عاطف فرج ●

● الاستاذ الكبير محمد عبد الله عنان واحد من هؤلاء الذين جمعوا بين حكمة الشيوخ وثورة الشباب، فلا يزال رغم الاربعة والثمانين عاما التى هى عمره ـ امد الله له فيه ـ صلب الرأى عن تبصر ، عنيد عن روية ..

وهو وان كان قد القى القفاز فى وجه الاجيال الشابة ممن حرفتهم حرفة الادب ، فاحترفوه ، او القوا بانفسهم فى غمار الحياة الادبية ، فصيرتهم كذلك ـ فاننا لا نختلف معه فيما يرى او لا يرى ـ لكن السؤال يظل قائما وهو ان الناظر من فوق قمة ، كيف يرى من هم عند السفح ؟!

والاستاذ عبد الله عنان قمته عضوية مجمع الخالدين ، وحصوله على جائزة الدولة التقديرية ، واستاذيته فى اكثر من جامعة فى المغرب وتونس وكذلك اسبانيا ـ ومن قبلها استاذيته فى معهد الصحافة المصرى عند انشائه ، واخيرا كتاباته المتعددة فى التاريخ وخصوصا تاريخ الاندلس ..

يقول عبد الله عنان وجهة نظره فى مسار الحركة الادبية ، والثقافية ، حاليا :

« ان الذين يحملون زمامة الحركة الادبية والثقافية . هم الشيوخ الباقون من الجيل الماضى ، وهم يساعدون على تدعيم المستوى الثقافى العالى الذى امتازت به مصر من باقى البلاد العربية

«ولم يظهر الى جانبهم اى من الشباب او ادبائهم الذين يمكن أن تعقد عليهم الآمال ؛ بان يكونوا من هذا الطابع . والشيوخ الباقون من هذا الجيل ، هم من جيل اشتهر وكان له من المزايا التعليمية والتربية العلمية العديد جدا.

« .. ومعظمهم من خريجى مدرسة المعلمين العليا التى الغيت . ولم ينشأ مثلها الى الآن » .

الذكر منهم احمد زكى، محمد عوض، بدران ، فريد ابو حديد ، عوض لطفى، وهم الذين حملوا عبء تربية الشباب فى المدارس اولا ، وثانيا هم الذين برزوا فى الميدان الثقافى والادبي ، ذلك ان

معظمهم تخرج في مدرسة المعلمين العليا . والباقون منهم قلائل ، اذكر منهم احمد نجيب هاشم ، كما ان معظمهم في مجمع اللغة العربية . وهؤلاء هم الذين يحملون امتياز المحافظة على المستوى الثقافي العالي الذي امتازت به مصر في الاجيال الحالية المعاصرة .

ولا اعرف بعد ان يتوفى اولئك الشيوخ المحترمون من الذي سوف يقوم بهذا العبء الجليل ، وادعو الله ان يبرز لنا من المجهول ، من الشباب او من في حكمهم من يقوم بهذا العبء . لكنني لا ارى امامي احدا من الشباب من الجيل الحالي يمكن ان نعلق عليه مثل هذا الامل » ..

● ضمير القاضي ●

الحكم الذي قال به الاستاذ عنان قاس ولا شك . وباعتباره اصدر حكما فان ضميره يجب ان يكون مثل ضمير القاضي ، لا حكم بغير معرفة ولا حكم بغير حيثيات .. فسألته ان كان قد قرأ ادب الشباب .. ومن هم الذين قد قرأ لهم ...

وتأتي الاجابة في جملة واحدة :

« .. قرأت ادب الشباب في الجرائد ..ولم اقرأ كتب الشباب لانها تافهة»

قلت له هذا الحكم ليس موضوعيا، ولا يصبح التعميم في مجال التخصص فما هي الاسباب في نظرك ؟!

يقول الاستاذ عنان :

« ليس هناك من بين الشباب كتاب من المستوى الادبي والثقافي المحترم ، فضلا عن انهم يقعون غالبا تحت تأثيرات دعائية لا تمكنهم من التفكير الصائب ، وهذا النوع من كتاب الشباب هو الاكثرية الحالية .

« وفي اعتقادي انه لن يمكن ان تعلق اية آمال كبيرة على مثل هذا الجيل ، ولا تعلق اية آمال على خريجي الجامعات كذلك في الوقت الحالي . لان التعليم الجامعي قد انهار ولم تعد الجامعة في مصر الا نموذجا من المدرسة العادية ، ولا تجري في الجامعة دراسات او بحوث عالية من النوع الذي يقوم على الحقائق والاساليب العلمية والجامعة في مصر قد نحت على مصراعيها دون اي قيد او اعتبار ، ودخل فيها الاخلاط من مستويات مختلفة ومتواضعة جدا » ..

ونعترض مرة اخرى .. يرى الاستاذ عنان ان الفرد ابن بيئته ، وانها هي الحكم النهائي عليه دون النظر الى الجزء المفروض عليه كالاسم واللقب وحياة الاسرة ، والجزء الاختياري وقابلية الانسان في الانتقال من مستوى ثقافي واجتماعي معين الى مستوى ثقافي واجتماعي آخر .. فقلت له ان بعض من دخل الجامعة من ابناء الطبقات الفقيرة بز الريادة من ابناء الطبقات الغنية . ولنذكر في ذلك طه حسين ..

قال الاستاذ عنان : « هذه قضية اخرى »

فلتكن ، وما هو العلاج في نظرك ؟!

قال : « العلاج يأتي بعد سنوات طويلة . فان انهيار الحركة الثقافية ، وعدم قدرة الجيل الحالي على القيام باي دور ايجابي « .. يجعل مصر تمر بفترة طويلة من الانتاج الادبي المضمحل والتافه الى ان يأتي جيل جديد يخلو من نقائص وعيوب الجيل الحالي » ..

● الناظرون الى السطح ●

والحكم على الاشياء قد يكون معياره شخصيا وقد يكون موضوعيا .. ولقد سالت الرجل : على اي المعايير بنيت حكمك السابق ؟!

قال الاستاذ عنان :

« هذا الحكم بنيته على ان الجيل الحالي ليس له انتاج ادبي محترم يغري بالقراءة. ومعظم انتاجه مقالات صحفية تافهة اطلع عليها احيانا بطريقة عابرة ، ولم توجد له اية كتب في اية موضوعات تغري بالقراءة .. وهذا معيار شخصي من حيث المستوى ومعيار موضوعي من حيث الموضوعات التي تعالج في مثل هذه الكتابات » .

وعدت أسأل الأستاذ عبد الله عنان : يقول الشباب اننا جيل بلا أساتذة ولم يعد يوجد من يضعنا على بداية الطريق .. فماذا قدمت للاجيال الشابة ؟!

قال : « لقد مر على كثير من ابنائي الشباب ومنهم تلاميذى في معهد الصحافة ، ومن بينهم الآن كتاب مرموقون ، ولقد مر على كثير من الشباب الجامعيين المرشحين للدرجات الجامعية يطلبون منى في ميدان التاريخ ان أمدهم بموضوعات تصلح لرسائلهم، وقد بذلت لهم النصح سواء في مصر أو في البلاد العربية ولا سيما المغرب الذي تتصل دراساتهم بدراستي المغربية والاندلسية .. »

● مقارنة ●

كان الأستاذ عبد الله عنان الى جانب كونه استاذا في معهد الصحافة .. كاتبا وصحفيا في جريدة « السياسة » سواء اليومية أو الأسبوعية .. لذا فانني سألته .. عن الفرق بين صحافة الامس وصحافة اليوم ..

قال : « كانت صحافة الامس تتميز بوجود عدد كبير من الصحافيين المثقفين ثقافة عالية يعملون فيها ، واضرب مثلا بذلك .. محمد حسين هيكل ، طه حسين ، توفيق دياب ، محمد صبرى السربونى ، محمود عزمى ، العقاد ، مصطفى عبد الرازق واخيه على ، عبد القادر حمزة ، حافظ عوض وغيرهم وغيرهم ..

كان هذا الجمع الكبير من الكتاب اللامعين هو الذى يعمل في صحافة الامس ، وكانت المقالة الصحفية . الافتتاحية او حديث اليوم يكتبه دائما كاتب من أولئك الاعلام. وكانت الاساليب الصحفية ترتفع الى مستوى عال من الجزالة والبلاغة لا يوجد مثلها اليوم على الاطلاق في صحافة اليوم وعلى ذلك فقد كانت صحافة الامس تمتاز بثروة بيانية وبلاغية لا يوجد مثلها اليوم على الاطلاق ..

ولاشك ان المستوى البيانى في صحافة اليوم ليس مما يدعو الى الارتياح وهو يتجه غالبا الى الاساليب العادية والعامية أكثر منه الى الاساليب البيانية البليغة » ..

● التاريخ بدلا من القانون ●

بدأ الأستاذ عبد الله عنان حياته كمحام لكنه هو هجر المهنة . واشتغل بالتاريخ فلماذا استبدل هذا بذاك ؟!

يقول : « ولا ان الصفة او الاتجاه الذى غلب على خلال عملى في الصحافة هو الشغف بالدراسات التاريخية العالية ، ولقد كانت معظم مقالاتى في السياسة الاسبوعية من هذا النوع ، وفي هذا الوقت بالذات بدأت اكتب الكتب التاريخية التى احتلت فيما بعد مقاما عاليا من كتب التاريخ المعاصرة أمثال : ديوان التحقيق ، والمحاكمات الكبرى ، مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام، ابن خلدون ، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، مصر الاسلامية .

« ثم بعد ذلك اتجهت الى الدراسات الاندلسية وهى التى غلبت على منذ ذلك الحين مدى خمسة وعشرين عاما .. لبثت اقوم فيها بدراسات الآثار والمخطوطات التاريخية في سائر مكتبات القارة ولاسيما « مدريد » و «الاسكوريال » و«القرويين الكبرى» بالمغرب ومكتبة « الفاتكان الرسولية» والتحف البريطانى والمكتبة « البدلية» و « مكتبة اكسفورد » .

وقد استطعت بعد ان لبث على هذه الدراسات مدى خمسة وعشرين عاما قضيت معظمها في « مدريد » وتعلمت اللغة الاسبانية منذ البداية. وكان رائدى في دراستي ان اخرج موسوعتى الاندلسية المكونة من سبعة اجزاء كبيرة ، نوه باهميتها صديقى المفقود له « هويتى ميراندا » في كتابه من تاريخ « بالانسية » ..

أمسية شعرية في البيت الأبيض

● د . سليم الاسيوطي ●

امسية شعرية في البيت الابيض

لقد كان حدثا فريدا في العصر عندما دعت السيدة الاولى في الولايات المتحدة الامريكية ، روزالين كارتر ، لخمسمائة من الشعراء وعشاق الشعر ، لحضور حفل تكريم في البيت الابيض يقام على شرف الشعر والشعراء في البيت الابيض ..

حدث ذلك منذ اشهر ، وكان المدعوون يمثلون تشعب ثقافة الولايات المتحدة والصورة التي أصبح عليها الامريكي . اذ ان الولايات المتحدة تضم الان ، من الشعراء عددا لم تضمه من قبل ، بحيث عاد النقاد هنالك عاجزين عن متابعة الطوفان الذي يتدفق من الشعراء دون توقف .

ولدى وصول الشعراء الى هناك انشأوا يتدافعون على طول الدهاليز ويتحركون في غير نظام مصعدين على الدرج ، لقد كان للمدعوين حرية اختيار اية حجرة من بين حجرات سبع هناك ..

وفي هذه الحجرات السبع اجتمع الشعراء والمعجبون بهم ، وجعلوا ينشدون جميعا ، مختارات من شعرهم .

وكان من بين الذين حظوا بتلك الدعوة ولبوها وقرأوا شعرهم ، ديفيد ايخاتوف ، ومارفن بيل ، وريتشارد وايرهارت ، وبعض المشاهير الاعلام ممن يتابعون الحركة الشعرية في طول البلاد وعرضها

بيد انه في الوقت نفسه كان هناك شعراء مجهولون فعلا حتى لدى جماهيرهم ، في ذلك اليوم ، وكان الشاعر جيمس ديكي هو الوحيد في الحفل الذي يتمتع بشعبية قومية بين الخاصة والعامة ، غير ان هذه الشعبية لم تكن تعزى الى شاعريته بل تحققت بصدور روايته الاولى التي أحرزت نجاحا رائعا فور نشرها .

لقد كانت هذه الرواية «الخلاص» ، وقد اثنى عليها الرئيس كارتر وعلى مؤلفها ، وكلاهما من الجنوب — وكان ذلك سببا قويا في ذيوع اسم جيمس ديكي وشهرته .

ان روح « التحية التي وجهت الى الشعر والشعراء الامريكيين » كما جاء في اعلان الدعوة لهذا اللقاء الادبي التاريخي — كانت نابعة من الروح الديموقراطية السليمة . فلقد برز بين الشعراء الذين القوا قصائدهم ، شاعر ياباني/ امريكي ، وآخر اسباني/ امريكي وثالث امريكي/ هندي ، ورابع اسرائيلي واربعة من الشعراء السود ، ومن المحتمل الا يكونوا من بين الشعراء العشرين اللذين يمثلون الصفوة من الشعراء الامريكيين ، ولكنهم بدون شك ، كانوا يمثلون جوانب الثقافة الامريكية المتعددة الالوان والمشارب وما وصل اليه الشعر الامريكي من الازدهار في العقد الماضي .

لقد كانت هذه الاجتماعات امسية شعرية على اوسع نطاق . ففي الحجرة التي على الطراز الصيني والتي ضمت



« لنترينات » عرض زجاجية ، حوت نماذج للرؤساء السابقين – قرأ فيليب لاركن هجوما عنيفا شنه على « هؤلاء الذين يمتطون صهوات الجياد في حديقة سنترال بارك العامة في نيويورك » ، في حين أن الشاعر ستيرلنج براون انشد قصيدة شعبية حماسية تصف نشأته في الجنوب العنصري ، عند نهاية القرن الماضي . انه شاعر أسود يبلغ الثامنة والسبعين من عمره » .

لقد كان جو الامسية خاليا من الرسميات والكلفة يمور بالحماس والحيوية .. وحينما أعلن الشاعر فيليب ليفن الذى كان سوف يتسلم في الاسبوع التالى جائزة « كتاب جماعة النقاد القومية » لعام ١٩٧٩ – انه يستبق قصيدة واحدة من الالقاء ، لقد يستبعد أن القاها غير مرة ، تصايح المجتمعون محتجين . ولما رددوا نصيحة الشاعر والت هويتمان : « اذهب الى حيث الاتوباء غير المثقفين » – ضحك ليفن قائلا : « لقد بذلت قصارى جهدى » . ولكنى غدوت مدرسا .

• الشعر للجميع •

وبعد انتهاء القراءات تشبع الجو بالحماس البالغ حينما تجمع الشعراء في الطابق العلوى ليتلقوا تحية الرئيس كارتر . وفي الخارج اشرقت الاضواء ، من خلال النوافذ المرتفعة الفخمة في الحجرة الحمراء ، على نصب واشنطون التذكارى في الخارج . ولكن لم يكن هناك في الداخل شعراء من هؤلاء الذين تطغى شهرتهم على الاخرين وتحجب عنهم الانظار . وبين هذه الاصوات الجديدة المتنوعة ، المتفاوتة ، المستقلة» كان يكمن وعى بالامكانات الجماعية للفن ، وقدرته على التعبير عن تجربة الطبقات والثقافات الكثيرة . ان الفن لم يعد خاصا بالصفوة ، ولكنه متاع للجميع ..

ومن بين شعراء الامسية كان هناك جيمس جيريل ، الحائز في العام الماضى (١٩٧٩) على جائزة « الكتاب القومى » وهو سليل اسرة واسعة الثراء ، أنيق الملبس ، والمظهر ، يملك مسكنا في اليونان وآخر في كونكتيكت .

وفيليب ليفن : الذى ينحدر من اسرة من مهاجرى غرب اوروبا في مدينة ديترويت – ويشكل هذا موضوعا هاما يظهر في اعماله – شغل عدة مناصب اورثته السأم والملل ، وهو الآن استاذ اللغة الانجليزية في كاليفورنيا ستيت يونيفرستى في مدينة فريسنو ..

وروبرت بلاى ، الذى يشارك زميله ليفن عداءه لحرب فيتنام ، على الرغم من حياتهما واعمالهما تشكلان خلافا دراميا حادا .

وادريان ريتش الشاعرة التى نشرت ديوانها الاول في عام ١٩٥١ وهى مازالت طالبة في كلية راديكليف ، بدات تنظم قصائد من الشعر الغنائى تميزت بجمال الصياغة والسمت بالوعى بالذات في عام

١٩٥٠ ، ثم اكتسبت على مر الايام صوتا اكثر ثقة واشد وضوحا فى الستينيات وما وافت السبعينيات ، حتى اعلنت هذه الارملة ، وكانت أما لثلاثة اطفال آنذاك انضمامها لحركة النضال النسوية وكرست جهودها وجهادها «لكفاح المرأة من اجل تقرير مصيرها » وفى العام الماضى (١٩٧٩) تركت كرسى الاستاذية فى جامعة رتجرز حتى تتاح لها فرصة اكبر ..

اما الشاعر كينل فيعمل باحثا اجتماعيا ميدانيا بتكليف من مجلس الشيوخ الامريكى (الكونجرس) للمساواة العرقية او العنصرية . وكان يتولى زعامة الشعراء فى نضالهم ضد حرب فيتنام . والان يقوم بالتدريس فى هاواى. وشعره الذى يحلله يجد فخامة جاوزت المألوف ، تملؤه روح التوتر وتسوده فكرة الطبيعة .

وجون أ. شبرى الذى عاش فى باريس فى الخمسينيات والان يكتب صفحة الفن فى مجلة « نيويورك مجازين » .

اما احدث قصائد الشاعرة ادريانى ريتش فهى سياسية محضة . وديوانها الذى يحمل اسم « حلم لغة مشتركة » فهو مجموعة من قصائد كتبت فيما بين ١٩٧٤ ، ١٩٧٧ ، تصور النساء تصويرا ثابتا بوصفهن طبقة مستضعفة مظلومة لا بوصفهن جنسا :

شىء ما يقتلنا او
يتركنا بين الحياة والموت
سورة غضب تحت اسم
القضاء والقدر
فى تشاد ، وفى النيجر وفى
فولتا العليا
نعم ، انه الرجل الذى
يتولانا ويتولى ابناءنا
حتى تتبلد عقولنا
من سوء التغذية
يشحذها
ومع ذلك فان حب البقاء
ان قوانا تنفد يوما بعد كل يوم
فى الصراع

لكى نوفر لابنائنا لونا
افضل من الحياة ،
ونغير الحقيقة لعشاقنا
ولو فى نظرة واحدة تترقرق
من الماء آ.

كان الشاعر فيليب ليفن يتصدر قائمة المدعوين الى الامسية الثقافية فى البيت الابيض فى واشنطون .

ومن قصائده ... الجزيرة الجميلة:

تجردنا من ثيابنا فى اول ليلة دافئة
من ليالى الربيع
وانطلقنا هابطين صوب نهر ديترويت
لنطهر انفسنا فى البحر
من قطع السيارات ، والسمك الميت
والدراجات المسروقة ،
والجليد الذائب . انى اذكر هبوطى
ويدى فى يد فتاة بولندية من الكلية
لم اكن قد رايتها من قبل، والصيحات
التى انطلقت بها زفراتنا ، التقت فى
الوقت نفسه
على السطح البارد ، مصمدة خلال
طبقات
الظلام صوب الجو النهائى
العاطل من جنوب القمر

ومن قصائد الشاعر روبرت بلاى ' الرجل النشيط يتحدث الى الشاعر :

لن استسلم لأم العزلة
ولا لأم الحب ، ولا لأم الحوار
ولا لأم الفن ، ولا لأم
الدموع ، ولا لأم المحيطات ،
ولا لأم الاسى ، ولا لأم الموت ،
ولا لليل الحاشد بالجندب ،
ولا لأم الحقول الواسعة
ولكن سوف استسلم الى اب الصلاح
اب المسرح الذى هو ايضا اب الصخور
الذى هو ايضا اب اللفتات المثالية
لقد امتدت ذراع من لهب وتطاولت
الى البادية ، الى الاماكن الظلماء ،
الى منظر الشواء الريفى ،
سوف استسلم لأب الصلاح والتقوى
الى صخور المرح ، الى فولاذ المال
الى اب الصخور

سطور مفقودة من قاموس الحكمة

• سالم حقي •

أيها الشاكي ! .. تمهّلْ   ولتقلْ : يا حبّ .. أهلا !
فغداً .. لاشكَّ أجملْ   وغداً .. لا شك أحلى !
مرح الطرفُ مليّا   وتمزّقْ ... في الحياءْ
ستَرى كونا بهيّا   لم تكن يوما ... ترّاه !
لا تقلْ : كنّا .. وكانْ !   يَعقبُ الليلَ ... الصباحْ
وتُبارِح الزمانْ   وسوف تذروها الرياح •
كل شيء .. سوف يَمضي   كل بدء ... لانتهاءْ
تتلظّى ! ... وتمضي !   قبلما يأتي الشتاء !
لا تنمْ لليأس .. وابدأ   كلّ يوم ... من جديد !
من ينَمْ لليأس ... يَصدأ   ويَعش عيشَ العبيد
لا تقلْ يوما : وداعا !   وارنُ للأفقِ البعيد ..
سترى فيهِ شعاعا   لغد آت .. سعيد !
أجملُ الأيامِ .. يومٌ   لم يزل طيّ الغيوبْ
تزدهي فيه وتنتشر   كلّ أحلام الشعوب !

يوم لا أكتب فيه.. يوم ناقص وحزين!

إحسان عبد القدوس

● حوار : سامية الشاذلى ●

● رغم كل انتاجه الكبير المتميز والغزير فان احسان عبد القدوس لا يزال يمارس الكتابة كهواية ، وليس احترافا وهو فى جميع ما يكتب سواء فى قصصه او كتاباته السياسية او الاجتماعية انما يعبر عن راى ، ويشعر أن اليوم الذى لا يكتب فيه يوم ناقص وحزين !..

واحسان الذى كان يمارس الكثير من أنواع الرياضة فى شبابه ، عاد يمارسها الآن كعلاج طبى ، او كما يقول بحكم السن ..

حول هذا كله وغيره اجريت حوارا معه ..

بدات حديثى بالسؤال عن طفولته .. كيف كانت ، وما هى المؤثرات الخاصة بها والعلامات المميزة ..

قال : ان اكبر مؤثر كما تصوره انا ، اننى ابن فنان وفنانة ، فولدت كانتى قوى من الانتاج الفنى »

وقد كانت الظروف التى تحيط بى عاملا اساسيا فى تشكيل قدراتى واتجاهاتى الفكرية .. ذلك لاننى عشت فى مجتمعين مختلفين ، مجتمع عائلة جدى الذى كان من رجال الازهر واحد رجال القضاء الشرعى ، وكان فى منتهى التدين والتحفظ وهو الشيخ احمد رضوان .. وكان جميع اهل البيت بما فيهم انا نعيش حياة التدين والتحفظ ،وفى الوقت نفسه عشت فى مجتمع امى التى كانت فنانة وكبيرة ممثلات مصر ، و صاحبة مجلة روزاليوسف، وكانت طبعا فى منتهى التحرر والتقدم الاجتماعى،

وهذا الاختلاف هو الذى جعلنى منذ صباى ابنى لنفسى فكرا جديدا يستطيع ان يجمع ويتحمل هذه المتناقضات ، ويبحث عن الوضع السليم من المجتمع السليم »

« بدات القصة قبل الصحافة »

● وبداية مشوارك مع الصحافة وكتابة القصة كيف كانت ؟

ـ انا اكتب القصة قبل ان اتصل بالصحافة او قبل ان تخطر على بالى .. لقد بدات كتابة القصة وانا فى العاشرة من عمرى ، تقليدا لوالدى الاستاذ محمد عبد القدوس الذى كان كاتب قصة وشاعرا معروفا .

اما الصحافة فان اتصالى بها بدا من خلال مجلة روزاليوسف التى اصدرتها امى،رغم ان مجلة روز اليوسف صدرت وانا فى الخامسة من عمرى ، الا اننى لم ابدا الصحافة الا بعد أن وصلت الى الدراسة الثانوية ، اى تقريبا وانا فى سن الرابعة عشرة ، ثم لم اتفرغ لها تفرغا كاملا الا بعد تخرجى فى كلية الحقوق اى وانا فى العشرين من عمرى ..

وكنت دائما احاول ان اجمع بين الصحافة والمحاماه ، ولكن لم يمر عامان حتى تفرغت كاملا للصحافة ،او بمعنى ادق تفرغت للسياسة والادب .

● مشكلة حياتى ●

● ما هى الشخصيات والحوادث التى كان لها تاثير فى مشوارك مع الصحافة وكتابة القصة ؟



احسان عبد القدوس

● ان حياتى تعتبر حوادث ... فلى مشكلة دائمــــة منذ اشتغلت بالصحافة ، وكما تعلمون فقد دخلت السجن ثلاث مرات ، وحاولوا اغتيالى اربع مرات .. ولى دائما مع كل رئيس حكومة مشكلة مرتبطة بآرائى ومواقفى السياسية .

● عن اول محاولة لكتابة القصة كيف بدأت ومتى ؟

يقول احسان عبد القدوس :

ـ لقد بدأت الكتابة فى العاشرة من عمرى ، وكان والدى يكتب مسرحية باسم « احسان بك » وتقليدا لوالدى جلست احاول ان اكتب مسرحيــــة واذكر اننى اطلقت عليها اسم « المعلم علم التلميذ طلع لص شريف » .. ربما كنت ايامها مغرما بقراءة القصــص البوليسية .. وبعد هذا اصــبحت هوايتى الوحيدة هى ان اجلس واكتب سواء كتبت قصة او ابياتا من الشعر او مجرد خواطر ..

● ولكن .. ما هى القصة التى كانت البداية لاحسان عبد القدوس ، والتى كانت السبب فى القاء الاضواء عليه ؟

قال وهو يسترجع الذكريات بنظرة باسمة : لا استطيع أن احدد بالضبط ولكن اول مجموعة قصص صدرت لى هى مجموعة « بائع الحب » ، و « صانع الحب » وهى التى انتشرت انتشارا واسعا واعطتنى اسما ككاتب قصة .

حكاية اول اجر

واستطرد احسان عبد القــدوس يقول : واذكر ان هذه القصة اول مـا طبعت فى مطابع جــريدة المصرى ، واعطانى الاستاذ سيد ابو النجا ، الذى كان مديرا لدار المصرى حينــذاك ـ خمسين جنيها ثمنا لها ، ولكنه بعــد ان انتشرت القصة كل هذا الانتشــار عاد ودفع لى خمســة وعشرين جنيهــا اخرى ..

ومعند تستطيعين أن تعرفي كم كانت تساوى القصص فى ذلك الوقت وبعد هذه القصة لم اعد اقبل ثمنا لنشر اى قصة اقل من ٥٠٠ جنيه وهو ما يساوى اليوم خمسة آلاف جنيه

● وكيف اكتشف الاديب الكبير نفسه كاديب ومتى ؟

ـ من خلال تقليدى اى عندما بدأت مثله ، اكتشفت اننى اديب ، واننى ممكن أن استمر ككاتب قصة .

ومضى يقول أن الطريق لكى يكتشف الانسان نفسه هو طريق التجربة ، أن يجرب نفسه فى كل ما يخطر على باله وقد ينجح وقد يفشل .

***

وسألت الاديب الكبير كيف يكتب القصة وما المكان والظروف التى يكتب فيها ؟

فأجاب :

ان كتابة القصة بالنسبة لى انا بالذات ، هو اولا ابداء رأى ، سواء كان رأيا اجتماعيا او سياسيا .. فاذا خطر لى رأى واريد ان اقوله فى قصة فاننى اقضى شهورا طويلة ابحث عن المجتمعات والاحداث والشخصيات التى يمكن أن تعبر عن هذا الرأى ، وليست هذه طبيعة كل كاتب لقصة ولكنها طبيعتى انا . حتى اننى فى كثير من القصص أسجل فى مقدمتها الرأى الذى تعبر عنه هذه القصة .

اما المكان فقد تطور مع تطور ظروفى .. اذكر فى الماضى اننى كنت لا استطيع ان اكتب فى مكتبى فى روزاليوسف اصبحت اكتب فى البيت ، واحيانا خارج مصر بحثا عن مكان يغرينى ويفتح نفسى لاجلس واكتب ..

وكنت اسافر الى فرنسا ولا تعجبنى المدن الكبيرة ، ولكننى اكتشفت بلدة صغيرة تسمى « كتلانا ش » تقع على مرتفعات الريفيرا ، وتطل على مناظر طبيعية فى منتهى الجمال حتى اننى جلست وكتبت فى عشرة ايام ما كان يمكن ان تستغرق كتابته شهرا او شهرين !

***

● ما رأيك فى القصة الصحفية .. هل تختلف فى كتابتها وتكوينها عن القصة الادبية ؟

ـ القصة عموما لا علاقة لها بالموهبة الصحفية ، لان القصة موهبة اخرى لها علاقة بالفن ، فهى موهبة فنية ادبية قد لا تتوافر فى الصحفى حتى لو كان ناجحا ، والا استطاع كل صحفى ناجح ان يكون كاتب قصة ناجح .. فمثلا توفيق الحكيم ليس صحفيا ، ولكنه كاتب قصة ، ونجيب محفوظ كذلك .. وعموما ليس هناك اى انتاج ادبى لا ينشر فى الصحافة ، اما انا فصحفى وكاتب قصة ، ولولا والدتى وصلتها بالصحافة لما كنت صحفيا ..

وسألته : يقول الدكتور يوسف ادريس انه توجد أزمة فى الفن القصصى والذى يوجد الان هو القصة الصحفية .. فما تعليقك على ذلك ؟ .

فأجاب بدهشة ليس هناك ازمة فى الفن القصصى ، وقد تكون ازمة استغلال الفن ، فلاشك ان وسائل النشر حاليا أقل ، وتحيطها ظروف تختلف عما كان فى الماضى

سألته : هل هناك نظام يومى لحياة الاديب الكبير ؟

فقال : نظامى اليومى يختلف بتطور حياتى ، ولكن هناك عنصرين تقوم عليهما معيشتى اليومية لم يتيسرا ابدا وهما القراءة والكتابة .. فانا لا استطيع ان اقضى اليوم دون ان اقرأ شيئا ، واليوم الذى أقضيه دون ان اكتب احس به كأنه يوم حزين ناقص او كأننى مريض ، ولعل سر استمرارى ككاتب الاحتراف ، فانا لا اكتب ابدا تحت مسئولية الاحتراف ، ولكننى اكتب دائما بدافع الهواية حتى ما اكتبه من موضوعات سياسية واجتماعية .

ومضى احسان عبد القدوس يقول :

كنت في العادة اكتب في الليـــل اكثر من النهار ، ولكن منـذ خمس سنوات بدات أعود على الكتابة بالنهار كثر من الكتـــابة بالليل .. ولا ادرى السبب ، هل انا تغيرت أم ان حكم السن له دخل في ذلك . .

انني الان مارس الرياضة كدواء صحى فقد مارست كل الرياضيات وانا شاب ، حتى المصارعة والملاكمة ولكنني لم اتفوق في أي رياضـــة الا في رياضة السباحة « والتنس»، ولكن منذ دخلت الجامعة حتى اليوم لم ادخل اى مســابقة رياضية ، ولم اعمدمزاولة الرياضة الا ، كما قلت لاسباب صحية

وانا عادة ابدا يومى في الســادسة صباحا ، انما اهم وقت لنومى مــن الثالثة ظهرا حتى الســادسة مساء .

● ما هي فلسفتك في كتابة القصة والتحليل السياسي ؟

ـ انني اكتب القصة كوسيلة لابداء الرأى ، فكتابة القصة تعتمد على رؤية الاديب للواقع الذى يعيشه المجتمع .

● ولكن ما هي القصــة القريبة من فكرك ووجدانك ؟

ـ الواقع كل قصصي نابعــة من فكرى ووجدانى ، ومهما اختلف رأى القارىء بين هذه القصص فانهـــا فكرىووجدانى .

من الواقع

● وخيال الاديب الكبير .. كيف يكون ؟

ـ خيالى ينبع من الواقع ، وربمـا كان هذا الذى يجعل القارىء يستطيع ان يعيش خيالى بسهولة لانه يجـد فيه واقعه .

● والاحساس بالجمال عند الاديب الكبير كيف يكون ؟

ـ الجمال حتى جمال المرأة « هـو جمــال الروح وجمــال الفكـر ، ولهذا لا تتعجبى عندما تجـدين رجلا يحب امرأة لست جميلة في شكلها، فلابد انها جميلة بالنسبة له في روحها وفكرها

فلسفتى في الحياة قدرية

● وما هي فلسفتك في الحياة ؟

ـ فلسفتي في الحيـــاة قدرية ، منتـــهى القدرية .. فانا لا اخطـط للمســتقبل الشــخصى ، ولكننى استسلم للقدر متمـــســكا بمبادئى واعيش هوايتى .

ولانني تدرى فقد تعودت الا التفاؤل ولا التشاؤم ، انما مجرد استسلام لما يمكن ان يحدث في الواقع .

قلت : ورؤيتك للمرأة كيف تكون؟ وما هي الصورة التى تحب أن ترى المرأة عليها ؟ .

قال ـ المرأة كالرجل تعتمد عــلى شخصيتها وعلى موهبتها وعلى ماتريد ولا فرق عندى بين شـــخصية المرأة وشخصية الرجل ، ولكن الفارق فيما يريده كل منهما ومـــا يــتكمل به شخصيته وكما تجاهد كل طائفة في سبيل كيانها كذلك المرأة ، ولا فرق عندى بين المرأة التي تعمل والمـــرأة التى لا تعمل .

لان هناك امرأة تفرض عليهـــــا احتياجاتها ان تعمل سواء الاحتياجات النفسية او الاجتماعية

● ورؤيتك للحب كيف يكــون ؟ وكيف كان في الماضي ؟

ـ الحب كما سبق ان قلت هـــو الاكتفاء والمسئولية ، واذا اكتفت المراه بالرجل الذى تحبه وتحملت مسئوليته كاملة فهذا هو الحب ..

وانا احب ان ارى المرأة حانية على الرجل فهذه هي الصورة التي أحـب أن أرى المـرأة عليها ـ طـاقه من الحنان .

قضايا حول الشعر العربي

● محمد عبد الغني حسن ●

ولعل من أعجب الاوهام في هذا الباب عند القدماء ما فعله ابن اسحاق المؤرخ الاخباري الذي اخذ عنه ابن هشام سيرة الرسول عليه السلام فان ابن اسحاق لم يكن ذا بصر بالشعر ولا صاحب علم به .

ومن هنا تسربت الى السيرة التي دونها ابن هشام أشعار كثيرة ، ولم يرد الرجل – وهو بالشعر جد عليم – أن يسكت عنها ، أو يصمت عن التعليق عليها ، فيعيدها مضبوطة مستقيمة سوية ..

والشعر المروى يملأ صفحات كثيرة من كتب الأدب والتاريخ والسير والطبقات والتراجم والمحاضرات والأخبار والنوادر ، كالبداية والنهاية لابن كثير والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، ونفح الطيب للمقرى والكشكول للعاملي . وسراج الملوك للطرطوشي ، والمستطرف للابشيهي ، وغيرها

ولابد أن ناخذ الشعر في هذه الكتب بحذر ، وخاصة فيما ظهر منها غير محقق أصلا ، أو غير دقيق التحقيق ، فان فيه اختلافا في الوزن وتحريفا في الكلام يخرجه عن وجهه ، وفيه خطأ في نسبته الى قائليه ، وذلك باب اضطراب في رواية الشعر العربي .

ومن حسن الحظ أن يكون عالم فقيه « كالامام الغزالي » ذا بصر بالشعر الذي يرويه في (احياء علوم الدين) – فهو يسوقه للتدليل والاستشهاد ويرويه على أصح وجوهه وأسلم رواياته وأبعدها من الاضطراب في الوزن ، وان كان في كثير من الاحيان لا ينسب الاشعار الى قائليها ، بل يكتفي بمثل قوله : « قال الشاعر » بدون تعيين وهو في هذا على الضد من الامام « أبي الحسن البصري الماوردي » . صاحب « أدب الدنيا والدين » و (الاحكام السلطانية) و (أدب القاضي) وغيرها من الذخائر النفيسة .

فهو يسوق في كتابه (أدب الدنيا والدين) كثيرا من الشعر للاستشهاد ، فيحسن روايته ، ويقيم وزنه وينسبه الى قائليه في كثير من الاحيان فان كان على غير علم أو يقين بالقائل سكت ولم يعين ، وما كان أكثر تحقيقه وهو يروى شعرا « لعدى بن زيد » العبادى الجاهلي كان يتوهم أنه لغيره . وروى الامام الماوردى شعرا للعباس بن الاحنف يوهم انه لغير العباس ، ولكن بالرجوع الى ديوانه نجده له .

وعلى سبيل التقابل يحضرنا هنا المؤرخ ابن كثير ، فيبدو من تصفح كتابه (البداية والنهاية) أنه كان لا يقيم وزن الشعر ، هذا الى أخطاء النسخ والطباعة في كتابه .

والشعر العربي مظلوم جدا حين يظلمه أصحابه اليوم بالكسر واختلال الوزن تحقيقا للتراث وممارسة ، والقاء .. وكثيرا ما تشتك مسامعنا في المذياع والمرناة اى التليفزيون وعلى خشبة المسرح ، بشعر يلقى مهشم الاضلاع ..

واذا كان (سيبويه) يضج اليوم – وهو في رحاب الله – بأخطاء النحو ، وكذلك (الخليل) يضج بعثرات الشعر والشعراء ، فاننا لنرجو للنحو والشعر

● تتمة ما نشر في هلال سبتمبر ١٩٨٠ ●

اليوم صلاحا على أقلام الادباء والمتادبين ، وعلى ألسنة الرواة والمنشدين .

وهناك طامة تجرى في زماننا هذا غير طامة الكسر في الشعر المنظوم والمروي في كتب التراث المحققه ، والمنشد في المناسبات ، وهي ـ أعني الطامه ـ نسبة الشعر الى غير أصحابه الحقيقيين ، وقائليه الاصليين .. واذا كان هذا حدثا وجائزا في العصور السابقة أيام كان الناس يعتمدون على الرواية الشعرية الشفوية ، ولم يكن هناك شعر مدون مسطور ، وانما كان شعر محفوظ في الصدور ـ فانهذا غير جائز في زماننا هذا حيث يتم تسجيل الشعر وتدوينه عن طريق الكتاب المطبوع الذى تعد نسخه بالآلاف كما كان الكتاب المخطوط على أصابع اليد الواحدة ، أو اليدين على الاكثر ..

وأوهام القدماء في نسبة الشعر الى غير قائليه كثيرة جدا تقع في البيت الواحد والبيتين والمقطوعة والقصيدة الكاملة . وهذا باب في بحر لا ساحل له ولا سبر لأغواره ، ويحتاج تحقيقه وضبطه وتصحيح نسبه الى مجلدات والى محققين ثقات ، يقابلون كتب الاخبار والنوادر والمحاضرات والادب بعضها ببعض ويرجعون الى دواوين الشعراء في مخطوطاتها المتنوعة ليبحثوا عن البيت المختلف في نسبته ، ويسلك بعض المحققين اليوم هذا المسلك الدقيق ، ولكنه عمل يحتاج الى جهد كبير من رجال التحقيق العلمي للتراث .

أما أوهام المحدثين والمعاصرين في نسبة الشعر الى أصحابه ، فهي ثقيلة غليظة ، ولا مقتضى لها مع وجود الكتب المطبوعة على أعين أصحابها ..

ومن هذه الاوهام ما وقع للابيات الآتية :

سهرت أعين ونامت عيون
لأمور تكون ، أو لا تكون
فاصرف الهم ما استطعت عن النـ
ـفس فحملانك الهموم جنون
ان ربا كفاك بالامس ما كا
ن سيكفيك في غد ما يكون

لقد نسبها صاحب كتاب (عقيدة الرسول) ص ٣٦ الى السيدة زينب رضي الله عنها ، كما نسبها العالم السعودي المعاصر الشيخ أحمد العربي الى الامام الشافعي في كتابه : (الامام الشافعي) وكلا النسبتين غير صحيحة ، والصحيح والمحقق أنها لأبي عبد الله المالقي القرطبي ، كما ذكر ذلك الامام السيوطي في كتابه (بغية الوعاة) جـ ٢ / ٣٢٧ . والقرطبي هذا هو غير الامام القرطبي المفسر المشهور .

ومن أغرب الاوهام ما وقع فيه لغوي معاصر من نسبة البيتين الآتيين الى شاعر معاصر :

قل لمن لا يرى الاواخر شيئا
ويرى للاوائل التقديما
ان ذاك القديم كان جديدا
وسيغدو هذا الجديد قديما !

والصحيح المؤكد انهما لابن شرف القيرواني صاحب (رسائل الانتقاد) التي نشرها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب باشا عضو مجمع اللغة العربية . والقيرواني هذا غير ابن رشيق القيرواني صاحب كتاب (العمدة) في صناعة الشعر ونقده ، وكانا متعاصرين وبينهما خصومات أدبية ومهاجاة .

ومن الاوهام في نسبة الشعر كذلك ما وقع في أبيات وصف القطار الحديدي التي تقول :

طرائق في نواحي القطر تبلغنا
أقصى المراد ولم تثقل بها قدما
مصر كصفحة قرطاس بتربتها
غدا القطار عليها الخط والقلما

لنا غنى عن قطار السحب منسجما

ولا غنى عن قطار النار مضطرما

الى أن يقول بيته المشهور فى ختامها :

مع السلامة يا من سار مرتحلا

عنا ، واهلا وسهلا بالذى قدما

فقد نسبها المرحومان عبد الفتاح صبرى باشا وعلى عمر بك فى كتابهما : (القراءة الرشيدة) الى مصطفى بك نجيب والد المرحوم سليمان نجيب مدير دار الاوبرا سابقا ، والصواب أنها للشيخ نجيب الحداد الشاعر اللبنانى المتمصر .. وابن شقيقه اليازجى ، ويراها القارىء فى ديوانه .

وهناك الابيات الرقيقة التى منها :

صاح فى العاشقين : يالكنانه

رشا الجفون منه كنانه ...

بدوى بدت طلائع لحظيه

فكانت فتانة فتسانه !

الى أن يقول ناظمها هذا البيت المشهور :

خطرات النسيم تجرح خد

يه ولمس الحرير يدمى بنانه !

لقد نسبها قوم الى بعض المشارقة ، وتوقف قوم عن نسبتها ، لانها لم يتثبت لها عندهم قائل .. ونسبها صاحب كتاب (الشوارد) الى أبى فراس الحمدانى والصحيح واليقين أنها للشاعر المصرى الحلبى الاصل : « الشهاب الاعزازى » من شعراء العصر المملوكى ، واشتهر بالموشحات وأبدع فيها ، كما يشهد له تغرى بردى فى « المنهل الصافى » وابن حجر فى « الدرر الكامنة » .. وتوجد هذه القصيدة الرقيقة فى ديوان الاعزازى المخطوط : والذى توجد منه نسخة جيدة الخط بمعهد المخطوطات العربية .

اما القصيدة الوعظية التى اشتهرت بين الداعين الى الزهد فى زماننا هذا ، والتى تقول :

الزم باب ربك

واترك كل دون

لا تجزع لرزقك

ما قدر يكون !

لقد اختلفت قوم فى نسبتها الى قائلها ، حتى لقد نسبها صاحب كتاب (الشرق فى فجر اليقظة) الى الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية، وصاحب كتاب (المواهب الفتحية) والصحيح انها للشيخ محمد عليش شيخ المالكية بالازهر فى عهد اسماعيل ..

ولقد نسبوا فى كتبهم الحديثة أيضا الى الشاعر محمود سامى البارودى الابيات المشهورة :

أعطرى لالا جبال سرنديب

وفيض آبار تكرور تبرا

وانا مت لست أعدم قبرا

أنا ان عشت لست أعدم قوتا

همتى همة الملوك ونفسى ..

نفس حر ترى المذلة كفرا

ولعل الشبهة جاءت من (جبال سرنديب) لان البارودى الثائر نفى بعد اخفاق الثورة العرابية الى جزيرة سرنديب أو سيلان ، وقضى فيها مع رفاق المنفى شطرا من عمره ، فتوهم المتوهمون ان سرنديب لا تأتى الا على لسان البارودى ، ولا تخرج الا من بين شفتيه ، فنسبوا الابيات اليه ، وهى من ديوان الشعر الذى ينسب الى الامام الشافعى ، وقد ذكرها المرحوم مصطفى سمير

ادهم فى كتاب (رحلة الامام الشافعى الى مصر) منسوبة اليه .
أما الابيات التى تقول :

ولسـت ابالى ان يقال محمد
أبل أو اكتظت عليـه المـآتم
ولكن دينـا قد اردت صـلاحه
احاذر ان تقضى عليه العمائم

فقد نسبوها الى الامام محمد عبده . ولعل الشـبهة هنا جاءت من رفعه الدعوة الى الاصلاح الدينى ، بل وهم السيد رشيد رضا صاحب (المنار) وتلميذ الاستاذ الامام وصفيه ، فنسبها اليه أيضا فى كتابه الضخم : (تاريخ الاستاذ الامام) ج ١ ص ١٠٣٦ ، على الرغم من شدة قربه له ، وصلته به .

والصحيح انها لعالم وفقيه ووزير مغربى مصلح هو الشيخ محمد كنسوس او اكنسوس المتوفى سنة ١٨٧٧ م اى قبل ان يرتفع للاستاذ الامام ذكر او يدعو الى اصلاح . وقد نظمها هذا الوزير الاديب الشاعر أسفا على ما أصاب وطنه الاسلامى .
من جهل رجال الدين وتقاعسهم ، ونحن مدينون بهذا التصحيح الى كتاب (الآداب العربية فى القرن التاسع عشر) للاب لويس شيخو اليسوعى .
ونسبوا الى اسماعيل باشا صبرى هذين البيتين :

اقول لهم فى ساعة الدفن خففـوا
علىَّ ولا تلقوا الصخور على قبرى
الم يكف هم فى الحياة حملته
فأحمل بعد الموت صخرا على صخرى ؟

وكأنهم استبعدوا ان يكون هذا الشعر لقائله الحقيقى : احمد شـوقى مع ما رزقه الله من ثراء ينتفى معه الهم ، ونسوا ان الهم قد يطرق باب المثرى كما يطرق باب المكدى على السواء . فليست هموم الدنيا فقد مال وحسب ، وفاتهم ان شوقى قال هذين البيتين فى ساعة من ساعات الضيق فى الحياة ، نشرهما صديقه الطبيب في مجلته (الزهور) فى حياة شوقى سنة ١٩١٠ فلو لم يكونا لشوقى لانكر نسبتهما اليه ، وصحح ذلك فى الزهور او فى غيرها ، ولكنه لم يفعل ، ونحن نكبر شوقى ان ينتحل لنفسه شعرا ليس هو صاحبه ..
ونختم هذه الانساب والنسب الكاذبة فى الشعر ببيتين قالوا ان حافظ ابراهيم نظمها فى شيخ عصرى مشهور ، وكان معهما فى المجلس (مجلس الشراب) اديب اشتهر بظرفه ... فقام الشيخ يصـلى حين حان وقتها ، وبقى حافظ والآخر مكبين على الكئوس ، فقال حافظ :

الشـيخ قام يصلى
ونحن نشرب عنه
تقبـل الله منـا
ولا تقبـل منه !

والواقع ان حافظ ابراهيم لم يكن ناظما للبيتين ، ولكنه كان مستشهدا بهما من محفوظه ، فنسبها أصحاب الفكاهات اليه ، وهما من منظوم « المقرى » صاحب نفح الطيب وصديقه المولى احمد بن شاهين اديب دمشق وظريفها فى القرن الحادى عشر . والحادثة هنـا كالحادثة هناك فى ذلك الماضى البعيد رحم الله الجميع ، وهدانا جميعا سواء السبيل .

فى ذكرى أمير الشعراء شوقى حكيم العصر

● على غريب بهيج ●

● الحكم والامثال مجال أبدع فيه الشعراء منذ العصر الجاهلى حتى العصر الحديث بدرجات متفاوته اختلفت من شاعر الى شاعر ، ومن عصر الى عصر .. والشاعر يستمد حكمه من تجاربه الخاصة ومن احداث عصره، ومن التراث الذى اتيح له ان يتعرف عليه ، ولكنها فى جميع الاحوال تشير الى عبقرية الشاعر ومدى قدرته على استيعاب التجارب الخاصة والعامة وصياغتها صياغة فنية تصلح لان يقتدى بها فى كل زمان ومكان ..

لذلك كنا نراها تطرب لحكم زهير بن ابى سلمى ، وطرفة بن العبد وغيرهما على الرغم من مرور ما يزيد على اربعة عشر قرنا من الزمان بين عصرنا وعصرهم.

وعندما بدأت النهضة الأدبية الحديثة واستهلها البارودى بشـــعره الذى جدد شباب الأدب العربى وأعاد الثقة فى الشعر العربى ورده الى أزهى العصور التى عرفها عبر تاريخه الطويل ، بدأ الشعراء ــ وعلى رأسهم البارودى ينثرون الحكم فى قصائدهم ، عالمين بأن أحد مجالات الشعر الخصبة هى أن يكون مثلا يضرب للناس او حكمة ترددها الاجيال وتنتفع بها ..

وجاء شوقى ليضع فى حسبانه أن من أهم رسائله فى الحياة كشــاعر ، أن يكون فى شعره عظة وعبرة لأبناء جيله ولمن يليهم من الاجيال لذلك لم تكد قصيدة من قصائده تخلو من أبيات فى الحكم والامثال .

وقد أفسح شوقى لحكمه المجال فاستوعبت الأخلاق والعلم والتعليم ، والحياة والموت الى غير ذلك من مجالات الحياة بآفاقها الرحبة وتجاربها العديدة .

واذا ذهبنا نتصفح ديوانه فاننا نراع روعة شديدة لذلـك الكم الهـــائل من الحكم التى يزين بها قصائده ، وكأنها اللؤلؤ المنثور بين هذه العقود النفيسة . وهى لآلىء متنوعة تنوع الحياة نفسها على نحو ما سنفصله فيما يأتى .



● **العلم والتعليم :**

على شوقى فى قصائده أو قل فى حكمه بأن يلفت النظر بشدة الى قيمة العلم والتعليم فى الحياة الخاصة والعامة. وله فى هذا المجال قصيدة رائعة عن العلم والتعليم وقيمة المعلم ، القاها بمناسبة افتتاح البرلمان الأول فى يوم السبت ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ وفى الحفل الذى أقامه نادى مدرسة المعلمين العليا بهذه المناسبة • وهى القصيدة المشهورة التى مطلعها :

قم للمعلم وفه التبجيلا   كاد المعلم ان يكون رسولا

وفيها يقول عن قيمة العلم بالنسبة للشجاعة الادبية :

ان الشجاعة فى القلوب كثيرة   ووجدت شجعان العقول قليلا

ويقول ايضا :

الجهل لا تحيا عليه جماعة
كيف الحياة على يدى عزريلا
ربوا على الانصاف فتيان الحمى
تجدوهم كهف الحقوق كهولا

ويحث على تعليم المرأة قائلا :

واذا النساء نشأن فى امية   رضع الرجال جهالة وخمولا

● وله قصيدة أخرى نظمها احتفاء بمقدم الطيارين الفرنسيين (فدرين و (بونيه) الى مصر فى سنة ١٩١٤ ومطلعها :

يا فرنسا نلت أسباب السماء | وتملكت مقاليد الجواء
غلب النسر على دولته | ونحى لك عن عرش الهواء

وبعد مقدمة طويلة يحتفى فيها بالطيارين ويعظم شان البلد التي أنجبتهما (فرنسا) ويعرج فيها على حضارة مصر القديمة ، وينتقل الى الجزء الثانى من قصيدته والذى يصف فيه الطيارة وصفا عصريا دقيقا ممهدا لذلك ببيته الذى يقول فيه مجلا لشأن العلم :

جل شأن الله هادى خلقه | يهدى العلم ونور العلماء

ثم ينتقل الشاعر بعد هذا الجزء الثانى الى الجزء الثالث والأهم فى قصيدته والذى يوجه فيه الخطاب الى شباب وطنه يحثهم فيه على الأخذ بأسباب العلم والحضارة ، ويستهله بقوله :

يا شباب الغد وابناى الفدى | لكم اكرم واعزز بالفداء ....
هل يمد الله لى العيش ، عسى | ان اراكم فى الفريق السعداء
انما مصر اليكم وبكم | وحقوق البر اولى بالقضاء ...

ثم ينتقل الى حكمه أو لى درره الغالية التى يقدمها لأبناء الجيل :

لا تقولوا حطنا الدهر فما
هو الا من خيال الشعراء
هل علمتم امة فى جهلها
ظهرت فى المجد حسناء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها
انما السائل من لون الاناء
فخذوا العلم على أعلامه
واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقرأوا تاريخكم واحتفظوا
بفصيح جاءكم من فصحاء
واحكموا الدنيا بسلطان فما
خلقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فان
هى ضاقت فاطلبوه فى السماء

● وفى قصيدة أخرى القيت فى دار الاوبرا الملكية سنة ١٩٢٠ احتفالا بانشاء بنك مصر يقول :

يا طالبا لمعالى الملك مجتهدا
خذها من العلم او خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل واقلال

وهو يرى أن الخلد أو الثناء فى الدنيا ليس لمرتبة يمنحها ملك أو حاكم بل هو أمر يتأتى بالعمل وبالعلم ، يقول :

وليس الخلد مرتبة تلقى | وتؤخذ من شفاه الجاهلينا
ولكن منتهى همم كبار | اذا ذهبت مصادرها بقينا
وسر العبقرية حين يسرى | فينتظم الصنائع والفنونا
وآثار الرجال اذا تناهت | الى التاريخ خير الحاكمينا ...
واخذك من فم الدنيا ثناء | وتركك فى مسامعها طنينا

ثم يقول :

شباب قنع لا خير فيهم　　وبورك في الشباب الطامحينا

● العمل والعمال :

واذا تركنا العلم والتعليم الى العمل والعمال فاننا نرى (شــوقي) معتنيـا بهذا المجال أيضا عناية كبيرة ، فضلا عن الأبيات المنثورة في تضاعيف قصائده فيما يخص العمل والعمال نراه ينشيء قصيدة بعنوان (أيها العمال) وذلك عام ١٩٢٣ مطلعها ·

أيها العمال افنوا العمر كدا واكتســـابا
واعمروا الأرض فلولا سعيكم امست يبابا

وفيها يقول :

اين أنتم من جدود خلــدوا هــذا الترابا
أرضــيتم ان ترى مصر من الفن خــرابا

ثم يقول :

بعدما كانت ســماء للصـــناعات وغابا

● الأخلاق وقيمتها :

على أن الأخلاق كانت دائما نصب عين أمير الشعراء وهو يلح دائما في تكرار حكمه التي تحث على مكارم الاخلاق واخذ بها في كل مجالات الحياة ، اذ بغيرها لا يعمر بنيان ولا يستقيم بناء ، أو كما يقول :

وليس بعامر بنيان قوم　　اذا اخلاقهم كانت خرابا

وهو يعلي من شأن الاخلاق الى الحد الذي يجعل فيه الاخلاق هي الدعائم التي بدونها لا تقوم لقوم قائمة ولا يعلو لهم شأن · يقول :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ويقول أيضا :

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا
فليس وراءها للعـــز ركــن

ويقول :

صبرا على الدهر ان جلت مصائبه
ان المصــــائب مما يوقظ الأمما
اذا الفاتل من اخلاقهم ســلمت
فكــل شيء على آثارها ســلما
وانما الأمم الأخــــلاق ما بقيت
فان تولت مضوا في اثرها قدما

ويقول أيضا :

وما الصـــلاح لقــوم كل عدتهم
حتى يكونوا من الأخـــلاق في اهب

ويقول في قصيدته نهج البردة :

صـــلاح أمرك للأخـــلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخـــلاق تســــتقم
والنفس من خيرها في خير عافيـــة
والنفس من شرهـــا في مرتع وخم

وهو يرى أن الأخلاق تحول دون مقتل القوم مهما كانت المصائب التي يصابون بها :

ولا المصائب اذ يرمى الرجال بها
بقاتلات اذا الأخلاق لم تصب

● الحياة والموت والخلود :

في ذكرى اللورد « كارنارفون » ، مكتشف مقبرة « توت عنخ آمون » رثاء الشاعر بقصيدة بدأها بفلسفة الحياة والموت كما فعل من قبله المصري . يقول شوقي في مطلع قصيدته هذه :

في الموت ما أعيا وفي أسبابه   كل امرىء رهن بطي كتابه
أسد لعمرك من يموت بظفره   عند اللقاء كمن يموت بنابه

ثم يتحدث عن الموت قائلا :

هو منزل الساري وراحة رائح   كثر النهار عليه في اتعابه
وشفاء هذى الروح من آلامها   ودواء هذا الجسم من أوصابه

وعن الخلود يقول :

من سره الا يموت فبالعلا   خلد الرجال وبالفعال النابه
ما مات من حاز الثرى آثاره   واستولت الدنيا على آدابه

وفي معظم قصائد الرثاء عند شوقي نجده دائما يستخلص فلسفته في الحياة والموت نابعة من تأملاته الذاتية · وتأمل هذه الأبيات من قصيدته في رثاء مصطفى كامل

الناس جار في الحياة لغاية
ومضلل يجري بغير عنان
والخلد في الدنيا - وليس بهين -
عليا المراتب لم تتح لجبان
فلو ان رسل الله قد جبنوا لما
ماتوا على دين من الأديان
المجد والشرف الرفيع صحيفة
جعلت لها الأخلاق كالعنوان
واحب من طول الحياة بذلة
قصر يريك تقاصر الأقران
دقات قلب المرء قائلة له :
ان الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثاني

وتصل تأملات الشاعر في الحياة والموت أقصى مداها في قصيدة (أبو الهول) يقول الشاعر مخاطبا أبا الهول :

أبا الهول ماذا وراء البقا
ء - اذا ما تطاول - غير الضجر ؟
عجبت للقمان في حرصه
على لبد والنسور الأخر !
وشكوى لبيد لطول الحيا
ة ، ولو لم تطل لتشكى القصر

● **مجالات أخرى :**

ولا يقتصر المجال بحكم شوقي عند العلم والتعليم أو العمل والعمال أو الحياة والموت أو الأخلاق ، وإنما يتسع مجال الحكمة عنده ليشمل كل مناحي الحياة مع قصيدة له في (ذكرى المولد) تستولى الحكم والتأملات على أكثر من نصف القصيدة ، وهي حكم متنوعة تنوعا كبيرا ، فمنها ما يدعو الى القوة ويحث على الاقدام مثل قوله :

وما نيل المطالب بالتمني ... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال ... اذا الاقدام كان لهم ركابا

ومنها قوله يذم الدنيا والاغترار بها مثل قوله :

أخا الدنيا أرى دنياك أفعى ... تبدل كل آونة اهابا
وان الرقط أيقظ هاجعات ... وأترع في ظلال السلم نابا
ومن عجب تشيب عاشقيها ... وتفنيهم وما برحت كعابا
فمن يغتر بالدنيا فاني ... لبست بها فأبليت الثيابا
لها ضحك القيان الى غبي ... ولي ضحك اللبيب اذا تغابى

وفيها يذم البخل والبخلاء ويحث على البر ، مثل قوله :

ولم أر مثل جمع المال داء ... ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته وزنها ... كما تزن الطعام أو الشرابا
وخذ لبنيك والأيام ذخرا ... وأعط الله حصته احتسابا
فلو طالعت احداث الليالي ... وجدت الفقر أقربها انتيابا
وان البر خير في حياة ... وأبقى بعد صاحبه ثوابا

● وفي الوطن والوطنيات يقول في قصيدة له قالها في منفاه ، بأرض الأندلس وهي القصيدة السينية المشهورة التي عارض بها سينية البحتري يقول شوقي :

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخلد نفسي
وهفا بالفؤاد في سلسبيل
ظما للسواد من عين شمس
شهد الله لم يغب عن جفوني
شخصه ساعة ولم يخل حسي

وفي قصيدة له بعد عودته من المنفى يقول :

ويا وطني لقيتك بعد يأس
كأني قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيئوب يوما
اذا رزق السلامة والايابا
ولو اني دعيت لكنت ديني
عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهي
اذا فهت الشهادة والمتابا

وهكذا كانت مجالات الحكم والأمثال والتأملات الفلسفية في شعر شوقي شاملة كل مجالات الحياة في عصره ، من المشاكل الخاصة الى المشاكل العامة التي تنطلق بين حدود الزمان والمكان وتصلح لكل العصور ، ولهذا يستحق شوقي لقب حكيم العصر الحديث .

اقــرأ..
مــاذا تقــرأ
كيف تقرأ؟

● اعداد : موريس عزيز ●

البدء بدوائر المعارف المبسطة

● نجيب محفوظ ●

ان جميع وسائل التعبير مثل الكتاب والمسرح والسينما والتليفزيون تصلح قنوات ثقافية ، لكن لاشك ان الكتاب يمتاز عنها جميعا .

اولا ـ من حيث انه تحت الطلب عند الطلب ..

ثانيا ـ انه يمكن معاودة قراءته او اجزاء منه للاستيعاب

ثالثا ـ انه الوسيلة الوحيدة التى يستطيع المتلقي ان يحافظ على ايجابيته فى الاتصال به ، بمعنى ان يقرأ ويفكر فيما يقرأ وهو مالا يتاح له عند المشاهدة او الاستماع

رابعا ـ انه يشرح دقائق الامور العميقة التى تتناساها الاجزاء الاخرى واذا لمستها ففى حذر شديد .

اذن فلابد لمن يقدر الثقافة ويحبها ان يجعل للكتاب نصيبا محترما من وقته وان يسعى لذلك ما استطاع لذلك سبيلا .

اما عن كيفية القراءة ، فالقراءة لا تستحق هذا الاسم الا اذا كان بامعان واستيعاب واذا اتخذ منها القارىء وسيلة للتفكير والمناقشة والحوار ، الدائم مع ما يقرأ ، فهى فى هذا مثل الطعام يفيد اذا حسن هضمه ويضر اذا تنزل « بلهوجه »

اما عن ماذا تقرأ فانا افضل ان يكون البدء بدوائر المعارف المبسطة ، وقد ترجم منها عدد لا باس به الى العربية .

فهذه القراءة تمتاز بالتنوع والايجاز الذى يناسب المبتدىء وتتيح معلومات متنوعة فى المعرفة البشرية واهم من ذلك انها تمكن القارىء من الاهتداء الى الفروع التى يجدها احب الى نفسه من غيرها فيتابع قراءتها فى مصادرها المتنوعة .

اقرأ بعينيك وعقلك وقلبك

● د : مصطفى محمود ●

القراءة هى أول أمر توجه من الله الى الناس فى القرآن ، فقال سبحانه وتعالى : « اقرأ باسم ربك » ..

وفى هذه الاية المختصرة اول تصريح بالقراءة ، ثم تسجيل لنوعية هذه القراءة ، وليست قراءة لأى معلومات وانما هى اقرأ باسم ربك ، معنى ذلك ان اسم الله الذى نعرفه هو الرحمن الرحيم ومعنى ذلك ان علينا ان نقرأ الخير والرحمة والفائدة وليست أى قراءة ..

فالعلم مثلا هو فى ذاته فى يد ممكن ان توظفه باسم الله او الشيطان ، فيمكن أن تقرأ عن الطاقة الذرية وتدرسها وتوظفها فى النهاية للخير باسم الله أو باسم الشيطان فتدمر بها أنفسنا .

فمن هنا جاء تحديد القرآن للقراءة فهو علم للخير والرفاهية .

معنى ذلك اننا جميعا مأمورون لتحصيل العلم والاستفادة بالعلم وذلك لتوظيف هذا العلم للخير والنفع العام .

اما القراءة لقتل الوقت والقراءة للتسلية فيما نرى الآن من روايات تدور نحو الدم والجنس فلا فائدة من ورائها ولا وظيفة بناءة ولا نتيجة فى اضاعة الوقت ، فهى قراءة لا فائدة فيها ولا داعى لها ، انما القراءة تكون لاحياء الوقت وليس لقتل الوقت .

تخيروا لقراءتكم الفن المفيد والعلم المفيد والدراسة التى تحيا بها أوقاتكم وافضل قراءة هى أن تقرأوا بعيونكم وبقلوبكم وعقولكم .

يقرأ الواحد منكم الكتاب بعين فاحصة وعقل نافذ ووجدان صاح ، وليس بعقل مستسلم سلبى يقبل أى شىء يلقى اليه ..

فتلك قراءة ضارة نتيجتها هى غسيل مخ القارىء . اما القراءة المطلوبة فهى القراءة الناقدة التى تقبل وترفض وتناقش الحقائق ، فليس كلها يكتب منزلا ، ولا يسلم مؤلف ولا اديب ولا مفكر من السقطات والاخطاء ، فعلى القارىء ان يقرأ ما يكتب قراءة النقد والتمحيص وليس قراءة التسليم والرضوخ ..

● محمد زكى عبد القادر ●

القراءة قديمة جدا عند الانسان منذ عرف الحروف والطباعة على الحجر ، وذلك قبل ان يعرف الطباعة على الالات والقراءة تعنى الرغبة فى المزيد من المعرفة ، وقد تطورت بتطور الحياة لوجود كثير من الاغراض والمعارف .

والقراءة غير مقصودة الى معرفة وتعلم القراءة نفسها فالقراءة تحتاج الى تعلم ، فهى اداة للمعرفة ومزيد من الفهم للحياة والقدرة على ممارستها وكسب الرزق والمعاش .

وهى بهذه المثابة اداة المعرفة واداة لكسب العيش تصبح ضرورة عامة لجميع البشر كان يحرم منها من لا يعرف القراءة ، ويستمتع بها من يعرفونها

وكذلك كان من يعرف القراءة ممتازا في المجتمع على من لايعرفونها .. والان يوجد في العالم الملايين من الاميين الذين لا يعرفون القراءة .

ونستطيع ان نجد الفارق واضحا بين الشعوب التي تزيد فيها نسبة المعرفة والقراءة ، حتى تبلغ في بعض الاحيان مائة في المائة ، ومن الشعوب التي لا تعرف اغلبيتها القراءة ويسود فيها الفرق بين هذين النوعين من الشعوب واضح ، فالشعوب التي تعرف القراءة تعرف كيف تحصل على المعارف والمعلومات اكثر تقدما من الشعوب الاخرى،ومن يعرفون القراءة يسيطرون بصورة او باخرى على من لا يعرفونها .

● ان بعض الناس يقرأون حرفا حرفا وسطرا سطرا وبعض الناس فهمهم ثقيل يقرأون بتمهل وهوادة، وهذا النوع لا يستوعب سريعا،ويوجد نوع اخر يقرا ويفهم لم يشئ وكأنه لم يقرأ شيئا .

ويوجد نوع يفهم ما يقرا ونوع يقرا ثم يفهم . وهذين النوعين هما في نظرى احسن القارئين ؛ لان القراءة ليست تلقينا عندهم ولكنها امتصاص للفكرة واللفظ وربما كانت الفكرة اهم عنده واعتقد ان هذا النوع من القارئين هم اصحاب الشخصية المتمة والذين يمكن ان تتفاعل القراءة معهم ويتفاعلون معها ؛ هؤلاء هم الذين يقبلون الرأى الذى يقراونه او يرفضونه .

● ولان القراءة ضرورة للمعرفة وفهم الحياة وادراك اسرارها والغازها فاذا تيسر لاى انسان وان لم يكن يعرف القراءة كوسيلة للمعرفة والحصول على المعلومات وفهم الحياة فلم تصبح القراءة ذات اهمية لان القراءة غاية وليست وسيلة ، فاذا حقق بغير قراءة ما يتحقق بها أصبحت القراءة غير واردة .

وانا في راى ان القراءة يجب على الانسان ان يقرأ كل ما هو في حاجته اليه لعمله او لرزقه او لهوايته او استعداده .

خمسة عوامل للقراءة الناجحة

● د : عادل صادق ●

ان الاداة الوحيدة التي تؤدى الى تكوين الانسان المثقف هي : القراءة .. والقـراءة ليست مجرد عادة نغرسها في الناس .. القراءة تتوقف على العوامل الاتية :

استعداد ـ ذكاء ـ بيئة ـ احتياج « وسيلة » ـ هدف

العامل الاول، وهو الاستعداد،واعتقد انه استعداد فطرى ، تكوين خاص لخلايا المخ في اى شيء .. نحن لا نعرف لماذا وكيف يخلق انسان بموهبة معينة كالرسم أو الشعر وهكذا .. هناك اشخاص يولدون باستعداد واندفاع فطرى غريزى للقراءة .

ثم يأتى العامل الثالث وهو الذكاء والذكاء ايضا استعداد فطرى ..حقيقة انه ليس من خلال البيئة ، ولكنه يولد به الانسان الى درجة تميزه عن غيره .. والذكاء يسهل للانسان القراءة والاستيعاب والفهم والاستفادة بمايقرا وذلك يدعم سلوكه والدفاعه ناحية القراءة ، كما ان ذكاء الانسان يتيح

له ادراك اهمية القراءة فى حياته .

ثم يأتى ثالثاً عامل البيئة، والبيئة معناها ببساطة ان يرى الطفل والديه وهما ممسكان بكتاب .. ان الطفل الذى يولد والكتبة تحتل موقعا متميزا فى المنزل ، يجد التشجيع والفرصة للقراءة فى المدرسة .. وينبغى ان تكون الانظمة التعليمية فى الدولة معتمدة على اتاحة فرصة النجاح والتفوق لمن يقراون

ثم يأتى العامل الرابع وهو اتخاذ القراءة كوسيلة ، اى أن يجد الانسان نفسه محتاجا الى ان يقرا ليحقق هدفا معينا وهذا هو اضعف العوامل ولكنه احيانا يكون البداية أو الوسيلة التى يكتشف فيها الانسان بنفسه أهمية القراءة لبعض الاعمال المعينة تتطلب من الانسان أن يقرأ والا يلفظ من عمله ..

ثم يأتى العامل الخامس وهو من اهم العوامل وهو ان تكون القراءة هدفا فى حد ذاتها ، وليست وسيلة او احتياجا أو حتى مجرد استعداد ورائى والقراءة كهدف معناها ان المعنى الحقيقى لحياة الانسان على الارض يتحدد من خلال درجة وعيه وثقافته

وبهذا فان الانسان يشعر بانسانيته ويشعر بدوره .. وبقيمته وبالتكامل من خلال نمو وتطور عقله .

والان . ماذا نقرا ؟

١ ـ يقرا الانسان فى مجال تخصصه وهذا نوع من التعليم .. ثم يقرا الانسان فى مجالات مرتبطة او قريبة من مجال تخصصه ، وذلك نوع من الثقافة ايضا فى ذات الاتجاه او المجال الواحد

والقراءة الجادة اما ان تكون فى المجال العلمى او فى المجال الادبى الانسانى

والحجم الزمنى الذى يعطيه الانسان للقراءة يتوقف على مدى نظرته الشخصية للقراءة واحتياجه لها .. فالبعض مثلا يقول ان القراءة تكون فى وقت الفراغ، والبعض الاخر يرى أن القراءة ضرورية كعمله وكنومه وكطعامه ولهذا فهى لها وقتها الثابت فى جدوله وليست مرتبطة بوقت فراغه ، بل ان بعض الناس لديهم نظام ثابت ومحدد للقراءة .. نظام زمنى وايضا نظام لما يقراون . اى ان القراءة فى حياتهم ليست شيئا عشوائيا وارتجاليا ..

●●

الحياة

فى غير الزمان والمكان

● عزت محمد ابراهيم ●

فى كتابه « سنحيا بعد الموت » ذكر الدكتور هارولد شيرمان وهو احد المشتغلين بالبحوث الروحية فى جامعة « ديوك » بامريكا ـ حادثتين وقعتا له ، كان فى احداهما طريح الفراش فى احد المستشفيات حين شب حريق فى منزل مجاور للمستشفى .. وحاول النهوض لاستطلاع جلية الامر فما استطاع حراكا ، ثم تذكر مريضا فى المستشفى اسمه « دافيد كوين » ود لو ياتى اليه فيحمله الى حيث يقدر على رؤية ماأشبع فيه رغبته فى حب الاستطلاع ..

ولم يكد الخاطر يلم به حتى راى المريض امامه !

وليس بالغريب ان يتذكر « هارولد» صاحبه ثم يراه ماثلا أمام عينيه ، فذلك امر معروف مشاهد كثير الحدوث عند أكثر الناس ان لم يكن عند الناس كافة ، وتعرفه فى مثلنا السائر « جبنا سيرة القط جانا ينط » . ولكن الغريب ما يأتى بعد ذلك ، فلا يكاد المريض يظهر امامه حتى يهتف به قائلا : هيا ، ضع ذراعيك حول رقبتى ، ساحملك الى النافذة التى تريد ان تطل منها » .. ثم ينبئه بما كان يجول فى خاطره وكأنه قد اتى ملبيا نداءه الذى لم تنطق به شفتاه وكان له طريقة خاصة فى قراءة الافكار ! ..

وكان ذلك بداية صداقة وطيدة بين الرجلين مدارها الخوض فى الحديث عن المسائل الروحية .. ثم فرقت بينهما الايام ، ومضت اعوام على فراقهما ، وألم بـ « هارولد » مرض اخر اعجزه عن الحركة ، وعملت تداعى الافكار عملها فتذكر صديقه القديم ، ثم اذا به يفاجأ برؤيته امامه ! ..

وعقدت الدهشة والخوف لسانه ، وكاد يصيبه خبل حين لم يجد امامه شيئا ، ولم يكن فى ريب من رؤيته قبل هنيهة .. ثم رآه مرة اخرى ماثلا امام ناظريه متمتما بكلمات لا تبين ، وحاول « هارولد » احتضانه ولكنه انسل منه كما تنسل الشعرة من العجين، وفى نظراته ما يبدو كأنه وداع الى غير لقاء .. وتبين لـ « هارولد » بعد ذلك ان صاحبه قد مات بعد هذا اللقاء بأيام معدودات !

وكان لـ « هارولد » صديق من رجال الشرطة يدعى « هـارى لوس » معنى بالبحوث الروحية ، وكان مريضا بعلة فى قلبه ، ولكنه بالرغم من ذلك كان بادى الانشراح ، منبسط الاسارير فاذا جاء للموت ذكر سخر منه ، لانه كان يؤمن كل الايمان بالحياة الاخرى ..

وارسل اليه « هارولد » يوما هدية وهو يعده بزيارته بعد ايام ، وبينهما من المسافة اميال عديدات ، وعاد الى بيته ليجد فيه مذكرة من سكرتيرة تقول : « حضر منذ ساعة شخص يدعى « هارى لوس » وقال انه ينتظركم فى بيته يوم الاحد القادم » ـ وهو ذات اليوم الذى كان « هارولد » قد عقد العزم على زيارته فيه !

وقد عجب لهذه الزيارة التى جاءت على غير موعد او تدبير ، وتأسف على ما تحمله صاحبه من مشقة لا تحتمله صحته العليلة ولا يقوى عليها قلبه الكليل ، وسارع الى الهاتف يعتذر اليه عما تجشم من متاعب وما تحمل من مشاق ، فاذا به يفاجأ بما لم يكن فى حسبان ، فصاحبه لم يبرح مكانه قط ، ولم يجشم نفسه عناء البتة ، فهو جالس فى بيته مرتديا بنطلونا عاليا ، منتعلا « صندلا » وسيارته فى مكانها هادئة مطمئنة لم تتحرك عجلة من عجلاتها !

وعزا « هارولد » الامر الى خطأ وقع فيه سكرتيره ، ولكن السكرتير اكد قوله ، ودلالة على صحته أدلى بأوصاف الزائر ، فاذا بها نفس الاوصاف التى كان عليها الرجل وهو فى منزله !..

واثار الجدل دهشة السكرتير ، وبدا عليه الذعر حين تذكر من الزائر امرا غريبا لم يعره ـ فى حينه التفاتا ، لقد لاحظ انه قد رآه فجأة امام مكتبه ، لا يدرى ان كان قد نجم من الارض ، ام هبط من سقف الغرفة ! ..

وتبين بعد ذلك كان هناك حالات لـ « هارى » مماثلة ، لم تكن هذه اولاها يجد فيها نفسه قادرا على « مغادرة جسده » والانتقال ـ الى مسافات بعيدة ـ فى زيارات لاشخاص معينين ، لم لا يذكر من ذلك شيئا ، ولا يعرفه الا من زارهم او الم باماكنهم ..

واراد ان يتأكد من صحة ما كان فقابل السكرتير وهو يقول : ارجو ان تتفرس فى جيدا لترى ملابسى هل هى ذاتها التى كنت ارتديها فى زيارتى السابقة ، ورد السكرتير قائلا : نعم ، ما عدا القميص ، فانه مغاير ، وكذلك كان حاله ـ عند الزيارة ـ بقميص غير القميص !

***

وقد نقل الاستاذ احمد نجيب هاشم الى اللغة العربية كتابا ممتازا حقا هو « الايطاليون » لـ « لويجى بارزينى » وفيه بعض ما يتصل بهذا الموضوع ، وهو ما جاء ذكره من الاب « بيودابيترالتشينا » الذى كان يتدفق عليه الزائرون فى قرية « سان جوفنى روتوندو » لما ظهر عليه من علامات القداسة ، وما اشتهر به من « معجزاته » فى علاج المرضى ، فهو قد ظهر مرارا فى وقت واحد للكثيرين ممن هم موضع ثقة دون ان يبرح صومعته .

وقد كان من اتباعه قائد طائرات امريكى كان فى اثناء الحرب العالمية الثانية فى غرض حربى ، واراد ان يتخلص من حمولة قنابله ليهبط فى احدى القواعد وكان على وشك ان يفعل ذلك وهو يحلق فوق قرية « سان جوفنى روتوندو » حين ظهرت امامه فجأة سحابة ضخمة على هيئة راهب قد رفع ذراعيه يأمره فى صرامة بالا يلقى قنابله فوق هذه البقعة ، وبلغ من تأثر القائد ان لم يجد مناصا من اطاعة الامر والابتعاد عن القرية !..
ومضت الايام وفسر ما كان او بقى كما تبقى النوادر تكفى للتفكه والتسلية ، ثم وقعت فى يده احدى المجلات القديمة وفيها مقال عن الاب « بيو » ، فادرك معنى ما حدث له ذات يوم فى قرية « سان جوفنى روتوندو » فشد اليها الرحال ليصبح من خلصاء حاميها وراعيها ..

وللكاتب الفرنسى « اندرية موروا » قصة عنوانها « وازن الارواح » بطلها

الدكتور « جيمس » المؤثر للوحدة المحب للانفراد ، المؤمن بوجود الروح ، والذى يدفعه ايمانه بوجودها الى البحث عن حقيقتها وكنهها ومعرفة ما يمكن معرفته منها ، وهو يعلم ان علماء الطبيعة قد اقروا بأن لكل طاقة وزنا ، وانه يمكن وزن الضوء وضغطه فى انبوبة زجاجية، فلم لا يكون الامر كذلك فيما يتعلق بالطاقة التى تحرك الانسان ؟

ذلك هو ما كان يشغل بال « الدكتور جيمس » وقد بدأ انشغاله به منذ قرأ بحثا فى مجلة طبية لطبيب كان يزن جثث الحيوانات قبل موتها وبعده ، فيلاحظ فرقا فى الوزن بين الحالتين فيعزوه الى وزن الطاقة او القوة المحركة او الروح ..

واتهم صاحب هذا البحث بالخبل ورمى بالجنون ، ولم يأبه احد لبحثه ولم يعره اهتماما ، ولكن البحث شغل « الدكتور جيمس » فاهتم به واخذ يجرى فيه التجارب على الانسان فى مستشفاه فى خفية عن الاعين ، حتى لا يتهم بما اتهم به سابقه ، ولم يأتمن احدا على سره غير مساعده، وغير «موروا» الذى يقوم بدور الراوى فى القصة ..

وقد اخذ « جيمس » على الراوى العهد والميثاق بالا يبوح بما رأى لاحد، ولكن « موروا » نكث بالعهد وباح به لعالم طبيعي جعل يتحدث معه فى شئون العلم وما كان من أمر الخيال الذى اصبح حقيقة واستشهد ذلك العالم على رأيه بما حققه العلم من خيالات «جول فرن» و « ج . ه . ويلز »

ووجدها « موروا » فرصة سانحة للحديث عن تجربة « جيمس » على انها مما يراود خياله لكتابتها فى قصة خيالية ، واثار دهشته بان عالم الطبيعة قد أخذ كلامه مأخذ الجد واطلعه على تجارب يستطيع من ورائها رؤية « الجواهر التى لا ترى » اذا وضعت امام الاشعة فوق البنفسجية وهو يعنى بذلك ان الطاقة فى جسم الانسان يحتمل رؤيتها اذا خضعت لمثل هذه التجربة

ولم يتردد « موروا » فى حمل هذا الرأى الى صاحبه « جيمس » الذى اجرى تجربتها ، وتحقق من صحتها بوضع جسم انسان مشرف على الموت فى ناقوس زجاجى يتعرض فراغه الداخلى للاشعة فوق البنفسجية ، واكتشف شيئا جديدا اخر ، هو ان الطاقة الحيوية لا تتحد الا مع طاقة ذات خصائص معينة ، اتحاد السالب بالموجب ، وانها تتنافر مع خلافهما تنافر السالبين والموجبين ، يعنى بذلك اتفاق الارواح وتنافرها مما يعرف الناس منها عجائب وغرائب ، مما يكون بينهم من التآلف واختلاف قد لا يجدون له تبريرا او تعليلا ! ..

ويعرف « موروا » من امر صاحبه مالم يكن يعلم ، فقد كان على علاقة بفتاة دانمركية على جانب كبير من الجمال ، وقد شغفته حبا وتزوجته من شفقة به لا عن حب له ، ورحلت الى بلادها فتعرفت على شاب من مواطنيها وارسلت الى زوجها تطلب الانفصال عنه لتتزوج من صاحبها الجديد ، فثار وأبى ان يرضخ لمشيئتها فيوافق على انفصال او افتراق .. ثم لقيت حتفها فغرق فى بحر من هم وكآبة حزنا عليها حتى ظهرت على مسارح « لندن » فتاة تمثل بعض ادوار « شكسبير » وقد حازت اعجاب الناس وحظيت بحسن تقديرهم لتمثيلها ورآها « الدكتور جيمس » فاحبها حبا جما انتهى بزواجه منها غير عابىء بداء وبيل ابتليت به وجعل ينهش جسمها نهشا ، فقد كانت تشبه زوجه الدانمركية شبها مثيرا للدهشة ، ولعله كان يعتقد بحلول روحها فيها او تقمصها لجسدها فكان فى ذلك سر اهتمامه بتجارب الارواح وطلب المزيد من المعرفة عنها

ويكاد يكون من المؤكد ان وراء اهتمام كل مهتم بامور الارواح والاتصال بها سببا يدفعه اليها ، كما فعل « الدكتور جيمس » فى عالم الخيال وكما فعل « فكتور هوجو » بعد وفاة ابنته فى عالم الواقع المحسوس .

الرعشة

● محمد فهمى سند ●



مدت شريان الإلفة
بين العينين الزائغتين وبين فؤادى المتصدع
فانفرست الأغوار الصمت الالماى
تشرب - فى مهل - نظرات ابحث عن المجهول
الشارب من دمنا احلاما ومواعيد ،
وإيماءا خضراء نداعبها ونهدهدها
حتى تولد بين النظرات اغان بشموها انعشاق ،
وتلقفها آلان الشوق المتسرع
مست جرحى النازف
فارتعش ، ومد شفاها خائفة ،
لشفاه احرقها ظما الايام
وخوف الحساد ، وقلب الليل المتقنع
اسبلت الكلمات
ومدت كفا دافئة
تمسح عن صدرى حزن الايام الخاوية

- ٢ -

حين تهلين ..
يشتعل القلب
ويقفز نحوك فى مرح طفلى
يحتضن الصدر الدافء ، والكف الحانية الخجلى
والشعر المتهدل ، والنغم السحرى
فتسربين بقلبى لجنان الحالات الابدية
يا عمرا غضا كشفاه الزهر المغسول بحبات الفجر
وعمرى يتشوق الحالات البكر
لايام تتوالد من عينيك كنور الله
ومن شفتيك كخفق القلب
ترويني بالأنفاس السحرية
ها انت الان معى ضوءا يتغلغل فى اوردتى
نغما يتردد فى نبضاتى
سرا كونيا يمنحنى مزياب الرضوان
ويغطسنى فى بحر الاحباب
فتغسلنى الشمس ، وتلبسنى ثوبا ذهبيا
فى المركبة القدسية

- ٣ -

يا حبى الاوحد المتجدد
يحميك الله من الحساد ، ومن كيد الاعداء
ويبقيك لقلبى نابا التنفس فيه الحب
الشهى حمرة شريانك ، حين تغنى الزيس
وحين تدور تفتش عنى ، او حين تطيب جرحينا
حين يصير العام ربيعا ، يتلاقى فيه العشاق
ويرقص كل الاحباب على ارض الطهر ، وتحت سماء الامن الدائم
ها انذا قد عدت صبيا مفتونا بغنائى للحب
لعينيك الدافئتين ، لنهرك حين يفيض
وطرفك حين يغرد ، طينك حين يخاطب حبات القمح
وقلبك حين يهدهد قلبى يا ام الاحباب واخت الغد !! ..

ندوات و ذكريات

● اماني فريد ●

في بداية حياته الادبية ، كان الشاعر الكبير احمد رامي ينظم القصيدة ، ثم انتقل من القصائد الى نظم الاغاني وكانت كوكب الشرق الراحلة أم كلثوم اثيرته في ذلك ، فقد كان من أول من نظم لها في ارق المعاني من وصف وحب وهجر ومعاناة .. وقد أرسل لها اول قصيدة غنتها عندما كان في باريس في بعثة دراسية ، فلما عاد واستقر في القاهرة موظفا كبيرا بدار الكتب انطلق يكتب روائع الاغنيات التي شدت بها كوكب الشرق على مدى العشرينات والثلاثينات وما بعدهما..

وأحمد رامي هو الشاعر الغنائي الذي انتقل بالاغاني من مرحلة الكلمات الدارجة السوقية الى مرحلة السمو بالالفاظ والمعاني ووصف المشاعر الانسانية في أرق وأعذب الكلمات..

التقيت بشاعرنا الكبير احمد رامي في مناسبات كثيرة وهو المع نجم في الأدب والشعر الغنائي ، فقد كانت له مجالس وندوات ادبية تضم كثيرا من الشعراء وكانت تربطه بالكثير منهم الى جانب صلات الأدب والشعر ، المودة الصافية والصداقة الخالصة .. وكان المهندس الشاعر علي محمود طه والدكتور الشاعر ابراهيم ناجي من خيرة صحبه وخلانه ، كما كانت للشاعر الكبير صالح جودت مثل هذه المنزلة في نفسه ، فكانت لهما مجالس وندوات ، وقلما كانا يفترقان

جلست يوما الى رامي في منزله اساله كيف ينظم الشعر ، فقال لي ان القصيد والاوزان تاتيه فيصبح وكانه في حالة مخاض ، وغالبا ما ياتيه الوحي الشعري وهو في فراشه فينازع ماحوله من حشيات واغطية ويسرع ليستخلص المعاني والكلمات من نفسه وتولد القصيدة او الاغنية ، وعندئذ تهدأ نفسه ..

وفي بعض الاحيان قد ياتيه الوحي الشعري وهو في الطريق ، وقد يكون الجو ممطرا فلا يشعر به .. ومن طريف ذكرياته انه فاجاته ذات مساء غارة جوية اثناء الحرب العالمية الثانية وهو في الطريق ، وكان مشغولا بنظم قصيدة هبط وحيها عليه ، فاستغرق في النظم لا يشعر بالغارة ولا بما يحدث حوله . وانتهت الغارة وهو سائر مع وحيه والهامه حتى اتم نظم قصيدته ، ولم يعرف بما حدث الا بعد ان عاد الى داره واخبره به ذووه !

واذا كان رامي يعتبر بحق علامة في طريق تطوير الاغنية المصرية فقد نهج نهجه وتخرج في مدرسته كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده .. ولقد سما بمعاني الاغنيات في اللفظ وفي المضمون وكانت ام كلثوم تنفرد بغناء كلماته في معظم فترات حياتها الفنية الحافلة وان كانت قد غنت في اخريات ايامها لغيره من الشعراء وان احتفظت بالخط الذي التزمته مع رامي من حيث سلاسته للفظ وجمال المعنى ورقته..

***

وذات مساء ضمني مجلس مع رامي



احمد رامي مع حرمه ونجله الوحيد

«كانت الشاعرة العراقية «نازك الملائكة» في زيارتي ، اذ كانت تمر بالقاهرة في طريقها الى الولايات المتحدة لاستكمال دراستها .. وكان في المجلس الشاعر ابراهيم ناجي والشاعرة الراحلة روحية القليني والموسيقار مدحت عاصم وغيرهم ، ودار الحديث عن المرأة والشعر وعما اذا كانت المرأة تختلف عن الرجل في هذا المضمار .. وكان من رأى رامي أن الشعر وهو نبض بالاحاسيس وتعبير عن مكنون النفس ، وأن المرأة في ذلك لا تختلف عن الرجل ، قد تتحدث عن الوطنية وتتغنى بحب بلادها وقد تتحدث في الحب والوصف وغير ذلك من المعاني وان كانت مشاعر الامومة وغيرها من المشاعر الاسرية قد تغلب عليها .. فالخنساء مثلا وهي من أشهر شاعرات العرب في صدر الاسلام قد اشتهرت برثاء اخيها صخر ، واذن فالشعر هو الشعر في الرجل والمرأة سواء ..

وفي ندوة اخرى ببيت الفنانين في القلعة ضمت مع شاعرنا الكبير رامي الشاعر عبد الله شمس الدين ، والادبية السنغافورية خديجة السقاف والشاعرة السكندرية فلوري عبد الملك — دار الحديث عن الشعر الوطني الحماسي ، وذلك بمناسبة النشيد الذى نظمه الشاعر عبد الله شمس الدين وهو نشيد « الله أكبر » والذى لقى نجاحا جماهيريا كبيرا ، قال رامي : ان الشعر الوطني الحماسي اذا كان جميلا مؤثرا في النفوس ، يستطيع ان يفعل اكثر مما تفعله الاسلحة في ميدان القتال ويستطيع ان يقود امة الى النصر

سألته ذات يوم ونحن نزوره في بيته عن رأيه في رفيقة حياته السيدة عطية خطاب ، فكان رده .. انها رفيقة طريق الحياة بكل ما في هذه الكلمة من معنى .. هي النور والوحي والأمل ، وهي انسي في رحلة عمر امتدت حتى الآن لاكثر من ثلاثين عاما !

وفي لقاء معه منذ أسابيع في مصيف الاسكندرية ، استقبلتني السيدة قرينته ونجله المهندس توحيد ، وكان شاعرنا الكبير يجلس في شرفة الصالون والتي يرى منها البحر على بعد امتار ، وقد بدا عليه السرور وهو ينظر الى البحر ويبتسم في هدوء وجزل رغم الضعف والهزال البادبان عليه ..

واقتربت منه محيية ، فنظر الي في تمعن وادركت انه لم يعرفني ، وذكرته في بنته باسمي فتفرس في أكثر وأكثر وقال : آه .. تذكرتها !



ندوات وذكريات

وتنفست الصعداء . اخذت تحدث اليه وسالته : هل تقرا شيئا فى هذه الايام ؟ الا تكتب شعرا ، قال : لا الآن لا ! ..

سالت ابنه المهندس : توحيد هل يذكر والدك شيئا من اشعاره القديمة هل يذكر مثلا رباعيات الخيام التى ترجمها عن الفارسية وظروف هذه الترجمة ؟ ..

قال : انه لا يتحدث عن الادب الاوربى ولا يفكر فى الشعر الا قليلا ...

وهو يكره الاضواء القوية لانها تسبب له ضيقا وترهق حالته العصبية

وتركت رامى واسرته وانا اغادر الدار وفى ذهنى تتوارد بعض ابيات من الشعر التى نظمها عندما قال فى الوحدة

رقد الساهدون حولى وعينى
ليس تقوى على انطباق الجفون
وفؤادى صاح يرجع بالخفق
نشيد الاسى ولحن الشجون
بين ماض عفت عليه الليالى
وخيال فى الاجل المظنون ..
واماني ضاعت بكيت عليها
بين اوراسها التى تحتوينى !
غمرتنى سكينة السكون حتى
كدت اصغى الى حديث السكون !

وفى الطريق مظلمة وورائى دار رامى تذكرت كلماته التى غنتها الخالدة ام كلثوم حين تقول

الذكرينى كلما الفجر بدا
ناشرا فى الافق اعلام الضياء
يبعث الاطيار من اوكارها
فتحييه بترديد الغناء
فتذكرت الذى طاف بسمعى
اذ مزجت الكاس فى كفى بدمعى
وهفا قلبى من طول انينى
فارحمى دمعى وغنى واذكرينى

وحقا هل فينا من يسمع الغناء ولا يذكر صاحب اجمل الكلمات الشاعر الكبير - شاعر الشباب احمد رامى ؟؟●

محراب الحب

● فتحية النميرى ●

لفرط اشتياقى مددت الخطى
الى حيث كان اللقاء هناك
واسرعت اطوى الدروب لعلى
أراك فاسعد حين أراك !
تلفت حول على غرة
فلاح لعينى بديع سناك ...
واشرق نور بهى علينا
وضمت يدى فى عناق يداك !

●●●

وضم كلينا الحنان الدفوق
تراقص فيه مراح الشباب ...
ويضحك طير الربا شاديا
وشمس المروج ووجه السحاب
ويسرى النسيم بعطر ندى
ويبدو الوجود قشيب الثياب !

●●●

تسائلنى كيف انى آتيت
وكيف التقينا بدرب الهوى
دعانى اليك بلا موعد
سهاد الليال وسحر الهوى ...
واشرب من راحتيك الحنان
كزهر الرياض رواه الندى !

●●●

فبالله قل لى اأنت معى
وهل انت مثلى ، فانى بشر ...
احسك انت ملاكا وضيئا
وانت لهيب بقلبى انتشر
وانت بريق السنا والشعاع
فمن اى نجم اتى والقمر
وانت لعينى روح الجمال
وابهى الفتون .. واشهى الصور !
وانت صلاة بمحراب قلبى
وانت المراد وانت القدر !

السلطان الذى هزم التتار بغير معركة

● مصطفى الشهابى ●

● كانت آسيا من اوائل القرن الثالث عشر الى اوائل القرن الخامس عشر اى بين ١٢٠٦-١٤٠٥ مسرحا تجرى عليه فظائع التتار وهؤلاء التتار قوم خرجوا من شمال الصين وانتشروا فى اسيا كالجراد يقودهم زعيمهم الطاغية جنكيزخان « ١١٦٧ - ١٢٢٧ م » ، حتى بلغوا جنوب شرقى اوروبا ، وكانوا يقتلون كل رجل يمكنه ان يحارب اذا كان خصما ، فاذا كان مواليا الحقوه بجيشهم ، هذا عدا سفك دماء الابرياء من الاطفال والنساء ونهب وتخريب ما يفتحونه من بلاد .

ومازالت فتوحاتهم تتسع حتى وصلوا بغداد واستولوا عليها بقيادة هولاكو « ١٢١٧ - ١٢٦٥ م » وقضوا على الخلافة العباسية وقتلوا الخليفة عام ١٢٥٤ م ثم زحفوا على الشام ولكن المصريين هزموهم بقيادة « قطز » فى معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م ، فارتد التتار شرقا واستقروا فى المناطق المعروفة باسم تركستان .

***

ومضت عدة اعوام حتى ولد تيمور عام ١٣٣٦ فى مدينة « كش » وهى على بعد خمسين ميلا من مدينة سمرقند التى هى عاصمة جمهورية « اوزباكستان » الروسية اليوم . ويقال ان تيمور هذا ولد وقد امتلأت كفاه بالدم ، ولذلك تنبأ الكثيرون بانه سيكون سفاحا ، وصدق ماذهبوا اليه الباس فقد عرف تيمور من صغره بشدة الباس والشجاعة ثم البطش .

وكان احد اجداده وزيرا لابن جنكيزخان ، ولكن اسرة تيمور ادعت تسلسلها من جنكيز نفسه ، ويؤيد المؤرخون الافرنج هذا النسب ، ولكن « ابن عرب شاه » مؤلف كتاب « عجائب المقدور فى اخبار تيمور » وهو ترجمة تهكمية له ، قال «ان تيمور كان ابن احد صناع النعال وانه عاش فى اول الامر من قطع الطرق وان اقب «لنك» ومعناها «الاعرج» انما اكتسبه نتيجة لجرح اصابه وهو يسرق الغنم» . واما كلمة « تيمور » فمعناها الحديد ، واللفظان تركيان .

ومهما يكن من امر نسبه فقد كان منغوليا « مغوليا » او تتريا ذا قامة شاهقة كانه من بقايا العمالقة ، عظيم مشربا بحمرة ، عظيم الاطراف عريض الاكتاف ، جهير الصوت لا يهاب الاكتاف ، جهير الصوت لايهاب الموت .

***

لم يظهر تيمور فى عالم التاريخ الابعد بلوغه الرابعة والعشرين ، وكان عمه قد فر من منافس له فى حكم بخارى ولكن تيمور بقى بها ورضى بحكمها كتابع لهذا المنافس بصفة مؤقتة ، واضعا نصب عينيه ان يكون جنكيزخان مثله الاعلى ، ثم لم يلبث ان انقلب على اميره واغتصب منه السلطة وبعدئذ تتابعت الاحداث وجرت بعض حروب اصيب فيها تيمور بجرح فى يده واخر فى ساقه ، ومنذ ذلك التاريخ يعرج ولذلك اضيف الى اسمه

« لنك » أي الاعرج كما ذكرنا واصبح اسمه تيمور لنك ، وانتهى الامر بان خلا له الجو في تلك المنطقة وصارت له السيادة عليها عام ١٢٧١ وجعل سمرقند عاصمة ملكه .

وبعد بضعة اعوام تذكر تيمور لنك مثله الاعلى فابتدأ سلسلة من الحروب ، واتجهت أنظاره الى البلاد المجاورة فاجتاحها واستولى على خراسان وما حولها ثم أتم فتح بلاد فارس واستولى كذلك على بعض المناطق شمال بحر قزوين والبحر الاسود .

وقد كانت حروب تيمور لنك ضد البلاد الاسلامية موضع امتعاض رجال الدين طالما اشاروا عليه بعدم محاربة المسلمين ، ولكن انقسام هؤلاء وتآمرهم بعضهم على بعض الى حد الحرب ، فضلا عن اساءة بعضهم التصرف حيالة كقتل رسله اليهم دون مبرر — كل ذلك دفعه الى قتالهم وهزيمته ، وفي هذا درس وعظة للعرب والمسلمين اليوم ، فالفرقة والطمع وتغليب النزعات الشخصية كلها امور شقي بها العرب والمسلمون قرونا طويلة

وفي اواخر عام ١٣٩٢ م غزا تيمور بلاد الاكراد وديار بكر واخيرا اقترب من بغداد فاخذ سلطانها « احمد بن حابس » يعد جيوشه لمقاومة الغازي التتري الجديد ، ولكن تيمور لنك لجأ الى الخداع والمصانعة واظهار المودة . ونجحت الحيلة فاطمأن سلطان بغداد وسرح جيشه ..

وما كاد نبأ تلك الحقيقة المرة يصل الى اسماع تيمور لنك حتى اسرع بجيشه صوب بغداد ، وما كاد يقترب منها حتى بادر سلطانها الى مغادرتها ، حاملا معه ما استطاع من اموال وذخائر حتى يتجنب المحنة العظمى التي تعرضت لها بغداد من قبل على يد التتار انفسهم ولجأ الى مدينة « مشهد علي » .

ودخل تيمور لنك بغداد واعاد ما تم به هولاكو من قبل من تدمير واحراق ونهب وقتل للاطفال والنساء والكهول ، ثم قصد الى « مشهد علي » وقبل أن يستولي عليها ، كان سلطانها قد هرب الى مدينة عند حدود الشام التي كانت تحت حكم سلاطين المماليك يومئذ . وقد رحب به واليها وارسل يخبر سلطان مصر الظاهر برقوق « ١٣٨٢ — ١٣٩٩ م » ، فبعث برقوق يدعو « ابن اويس » الى مصر ليقيم بالقاهرة ضيفا عليه .

ما فعله ببغداد .

اما تيمور لنك فقد فعل بمشهد علي

واصبح اسم تيمور لنك ، في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، اسم يخشاه الناس ولايذكرونه الا وقلوبهم تتمزق حسرات على اخ او اخت او ام او زوجة او ولد مقتول صرعه جند هذا الطاغية الذى خرج على آسيا يذبح اهلها دون أن تعرف الرحمة سبيلا الى قلوبهم

***

وعندما وصل سلطان بغداد الى خارج القاهرة ، بادر برقوق وكبار رجال دولته الى استقباله والحفاوة به . وروى له سلطان بغداد ما منيت به بغداد والعراق على يد تيمورلنك وان الاخير فاق سلفه هولاكو فيما كان يأتيه من طغيانه ، وذكر انه يتوقع ان تيمور لنك سيرسل في طلب تسليمه اليه ، فاكد له برقوق رفضه كلية لهذا الطلب وكتب الى نائبه في الشام بان يقتل رسل تيمورلنك وجواسيسه ، واعلن باسم سلطان مصر حمايه سلطان مصر لسلطان بغداد .

وعندما وصل رسل تيمورلنك بادر نائب برقوق بقتلهم وبعث بما ارسله من هدايا الى القاهرة وكانت تضم تسعة مماليك وتسع جوار وكان من جملة المماليك « وهم في الواقع اسرى » ابن وزير بغداد وابن قاضيها وابن محتسبها ، وليس فيهم مملوك حقيقي واحد . فسرحهم سلطان مصر ..

السلطان الذي هزم التتار بغير معركة

وعلم تيمورلنك بما حدث فجن جنونه وأرسل لبرقوق كتاب تهديد ووعيد .

ومما جاء في ذلك الكتاب قوله :

« .. اعلموا إنا جند الله مخلوقون من سخطه .. لا نرق لشاك ولا نرحم باك ، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا ، قد ضربنا البلاد وايتمنا الاولاد واظهرنا في الارض الفساد ، وذلت لنا أعزتها وملكنا بالشوكة ازمتها ..

« .. فان انتم اطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وان انتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتم ، فلا تلوموا الا انفسكم ، فالحصون منا مع تشديدها لا تمنع ، والمدائن لشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ...

« فاسرعوا برد الجواب قبل ان ينكشف الغطاء وتضرم الحرب نارها وتضع أوزارها وتصير كل عين عليكم باكية ... » .

فاجابه السلطان برقوق بالرد الحاسم ومما جاء فيه قوله :

« .. حصل الوقوف على الفاظكم الكفرية ونزعاتكم الشيطانية وكتابكم يخبرنا انكم مخلوقون من سخط الله .. وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم هذه اكبر عيوبكم ، وهي من صفات الشياطين لا من صفات السلاطين .. انكم كفرة ، الا لعنة الله على الكافرين .. ان قتلناكم فنعم البضاعة ، وان قتل احد منا فبينه وبين الجنة ساعة « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ... »

واعد برقوق جيشا مصريا لجبا لانقاذ بغداد من حكم التتار واعادتها الى حاكمها الشرعي .

وخرج السلطان برقوق في شعبان سنة ٧٩٦ هـ — ٥ يونيو سنة ١٣٩٤، على رأس جيشه وبصحبته سلطان بغداد ، نحو بلاد الشام . فلما وصل الى دمشق اقام بها واعاد فيها امداد وتنظيم الجيش المصري، ثم بعث بجزء كبير من ذلك الجيش لانقاذ بغداد من محنتها. وتحرك الجيش المصري صوب الشرق حتى وصل الى بغداد محطما كل مقاومة تترية في طريقه ...

وبعد تحرير بغداد من التتار رفعت هنـاك راية مصر الى جـانب راية سلطانها ، كما ضربت فيها النقـود باسم السلطان برقوق . ولبث الجيش المصري ببغداد مدة لحمايتها ورد اي عدوان . وفي نفس الوقت ظل برقوق بالشام على رأس ما احتفظ به من قوات مصرية يترقب قدوم تيمورلنك لقتاله .

وكان تيمورلنك يومئذ يحـاصر مدينة ماردين الواقعة في جنوب تركيا وشمال غربي الموصل، ولكنها قاومت جيوشه ولم يستول عليها الا بعد قتال شديد، ولما يئس من استسلام قلعتها ارتحل عنها وقصد الى آسيا الصغرى وبلاد الاكراد ، وفي طريقه علم بما قام به برقوق من استعداد لقتاله .

وتذكر تيمورلنك هزيمة اسلافه في معركة عين جالوت سنة ١٢٦٠ م على يد المصريين ، ولذلك اتجـه الى خراسان دون اية محاولة لاقتحام بلاد الشام ومهاجمة دمشـق او اعادة الاستيلاء على بغداد بعد تحريرها من حكم التتار .

وهكذا انقذت القاهرة شـقيقتها بغداد يومئذ من نير التتار .. ومصر كانت ولا تزال قلعـة العروبة وحصن الاسلام ..

بين عامين

● يس الفيل ●

لو تعلمين كم ترنحت خطاى فى دروبك الطويلة ٠٠ !
لو تعلمين كم تجرع العذاب فى يدى من كاسك النحيلة
وكيف داس عامنا الضرير فرحتى بارجل ثقيلة
وكيف ناح ماتم الوفاء فى ربوعنا الظليلة
لو تعلمين كيف نحت خلف ماتم الوفاء ـ يا بخيلة !
ما غرد النعاس مرة لديك ، ما ارتمى بعينك الجميلة !

***

اخاف ان اقول كل ما لدى ٠٠ ما لدى من ظنون !
اخاف ان يهون عطرك النقى ـ ان صمت ـ ان اهون
اخاف يا وجودى الحميم الف مرة تمرد الظنون !
وقسوة الظلام فى دروبنا ، وزحمة السكون
فى عالم ممزق الشراع ، فى يدى معذب حنون
يعيش عمره السجين مرتين ٠٠ فى غياهب العيون !

***

نعم اخاف ان يموت عامنا الجديد فى مجاهل الضياع
وينطوى على المدى شعاعنا الضرير خلف ماتم الشراع
ويرتمى رفات حبنا هناك فى العراء ، فى معاقل الصراع
نعم اخاف ان يدوس جبهة الضياع موكب الجياع
فياكل الشفاه والعيون والقلوب واللسان والذراع
ويحرق الشواهد التى هناك قد تشير مرة لزائر البقاع !

***

ونحن لا نزال يا وجودى الحميم عند مفرق الطريق
غرامنا هناك لم يزل يسير فى طريقه الوثيق
يود ان نعود الف مرة اليه ، فى شراعنا الوريق ٠ !
ليسبح الغريق فى مجاهل الظلام يا وجودى الغريق !
ليستريح عامنا على الشراع ليلة بشاطىء الرحيق
فهل هناك نلتقى ؟ متى ؟ متى يشدنا الضياء للشروق ؟

• تاريخ طبيعي •

الخانق العظيم

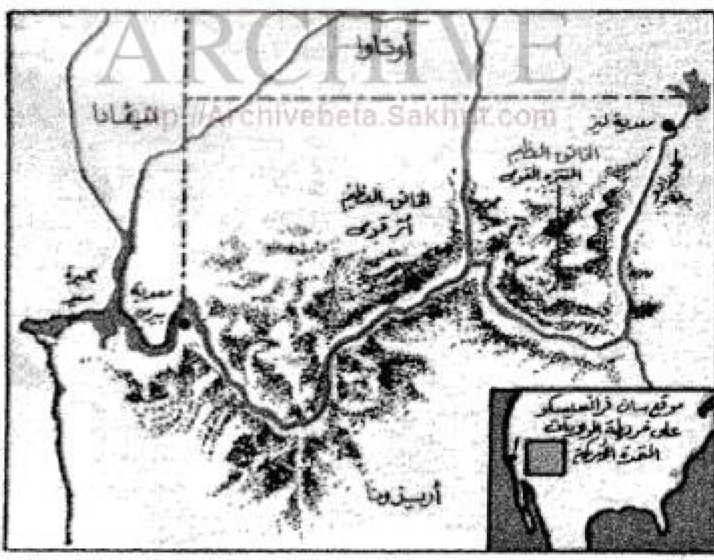
الجراند كانيون

الأعجوبة الشاهقة في هذا العالم

عجيبة من عجائب خلق الله سبحانه : نهر تفجر فوق هضبة من ملايين السنين ، ثم انصب منها على الصخور من ارتفاع شاهق ، واخذ ينحت الصخور ليصنع له مجرى ، واخذ يغور في الارض ، لان الماء اقوى من الحجر ، وما زال يغور حتى بلغ عمق مجراه في بعض الاماكن ١٦٠٠ متر ، وبين الصخور صنعت المياه مجار وكهوفا واشياء تروع النفس جمالا ورهبة ، ذلك هو الخانق العظيم ، الجراند كانيون ، ونهره العجيب ، الكولورادو أي الاحمر نسبة الى الصخور الحمراء التي شق فيها مجراه .



هذه الاشكال صنعتها المياه على مر ملايين السنين .



خريطة لخانق الجراند كانيون يشقه نهر الكولورادو النهر يجرى بين بحيرتين

● الكولورادو اعجب نهر في الدنيا يجري على عمق ١٦٠٠ متر بين جبال ومرتفعات بالغة الجمال

.. هذه الجبال معرض اجمل صخور الارض من خمسين مليون سنة . طول النهر والخانق ٣٤٩ كيلو مترا .

قبل ما بين ثلاثين الى خمسين مليونا من الاعوام ، حدثت في المنطقة الجبلية الفاصلة بين ولايتي نيفادا واريزونا في الولايات المتحدة حركة ارضية عنيفة رفعت سلسلة الجبال الواقعة هناك الفي متر ، وكان هناك نهر كبير يمر وسط الجبال فانحصر مجراه بين حافات الجبال التي ارتفعت ، وتجمع الماء حتى اصبح بحيرة واسعة ، وجعلت المياه تبحث لها عن مخرج حتى وجدت شقا في الجبال فانحدرت منه من ارتفاع شاهق ، وهبطت ، على الصخور وسالت في شق كبير بين الجبال ، وكانت مياه البحيرة كثيرة جدا لان الثلوج تتوج قمم الجبال المحيطة بها ثم تذوب وتنحدر اليها ، ثم تنحدر من الشق من الارتفاع الساحق وتنحت الصخور نحتا وتسيل متدفقة بقوة هائلة .

وعلى مدى تلك الملايين من السنين اخذت المياه تأكل الصخور وتصنع نهرا عجيبا يتلوى بين الصخور ، ويغور في الارض بسبب قوته الهائلة ، حتى اصبح الآن أعجب نهر في الدنيا ، فهو غائر بين الجبال تراه من مسقط يصل ارتفاعه الى الفي متر احيانا ، ولما كانت المياه الهابطة كثيرة جدا فقد أخذت تشق لانفسها ترعا ومجار شتى تتفرق ثم تتلاقى وتسير في طريقها حتى تصب في بحيرة واسعة .

هذا هو نهر كولورادو الذي يجري فيما يعرف بالخانق العظيم أو الجراند كانيون ، وهو عجيبة من عجائب الدنيا يسمونه العجيبة الثامنة ، ولكنه بالفعل عجيبة العالم الاولى !

●●●

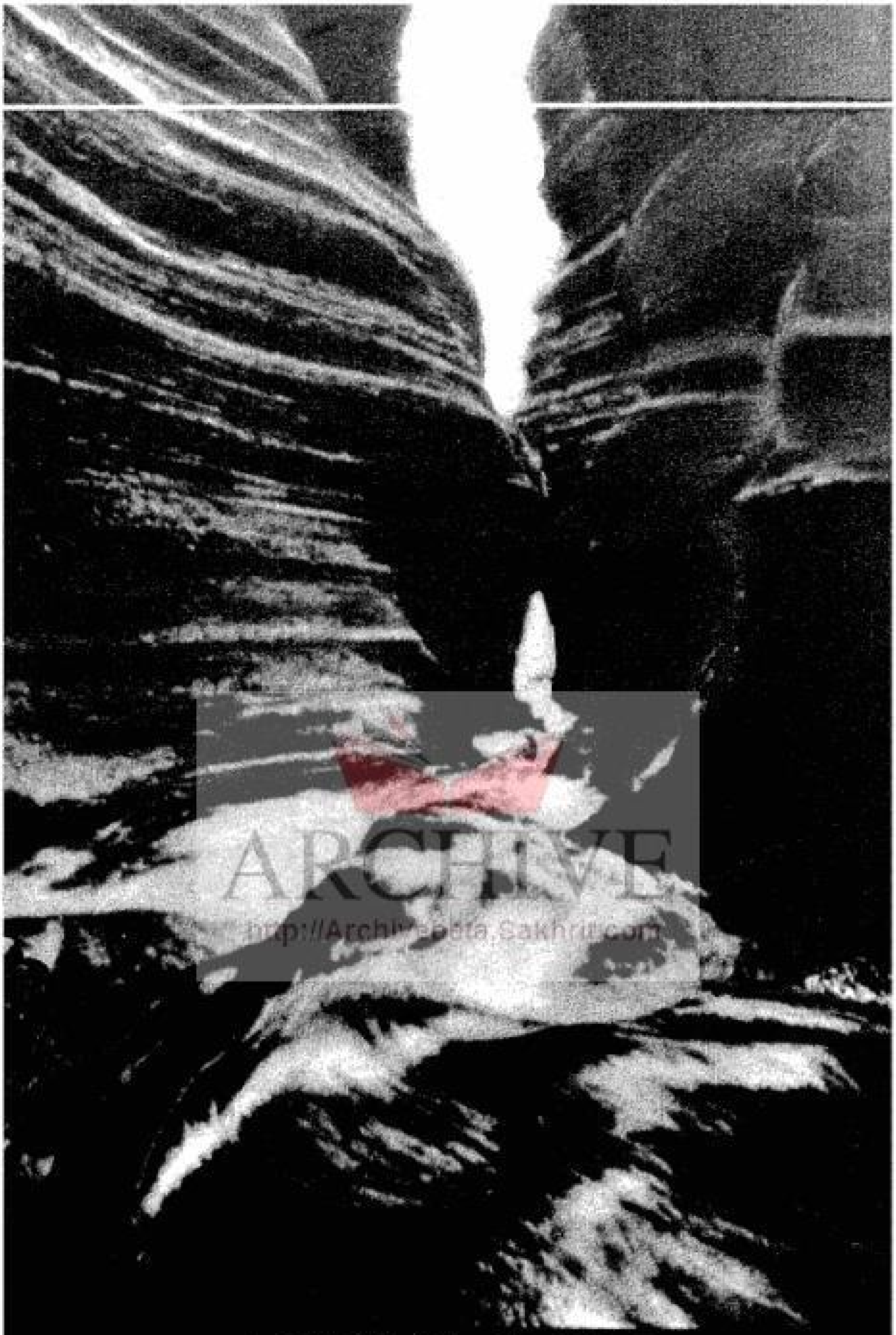
ذلك ان الخوانق كثيرة ، ومناظرها كلها رائعة ، ولكن هنا خانق أو مجموعة خوانق تجري بين جبال وتلف وتدور وتتلاقى وتتفرق . وأنت اذا نزلت الى مجرى النهر ووقفت عند الماء ونظرت الى اعلا ، هالك المشهد ، فانت ترى حائطين هائلين من الاحجار من كل لون . لان المياه تكفلت خلال ملايين كثيرة من السنين بنحت الصخور وأكلها والوصول الى باطنها .. هنا ترى قوة الماء بعينيك . فان الماء ، ذلك السائل الرقيق يعتبر من أقوى العناصر على وجه الارض ، فهو اذا سال رقيقا أكل على مر السنين كل ما يستطيع أكله من الصخور وحمل اطنانا من الرمال وسار بها مسافات شاسعة ليرسبها في الاماكن التي يهدأ فيها تدفق الماء او عند مصبات الانهار في البحر أو في بحيرة .

ونهر كولورادو هذا يحمل في مجراه الطويل الذي يبلغ ٣٤٩ كيلو مترا كل يوم ٥٥ مليونا من الرمال التي يجرفها والصخور التي ينحتها ويسير بسرعة ١٠ كيلو مترات في اليوم .. لكي تنقل هذه الكمية من الرمال والرواسب بهذه السرعة تحتاج الى ١١ مليون « كاميون » قلاب كل منها حمولة ٥ أطنان !

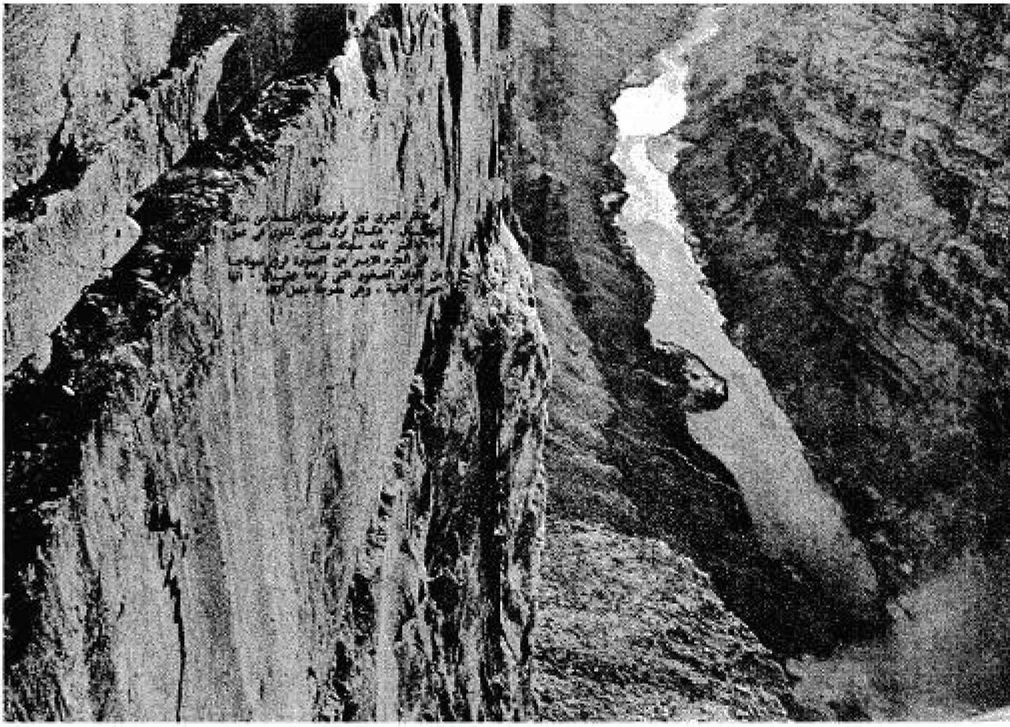
●●●

لا يمكن ان تصور جمال المشاهد في ذلك الخانق ، فقد كشفت المياه عن طبقات الصخور ، واطلعت الوانا لا تعرفها العين لانها لم تر لها شبيها .. الصور التي تراها مع هذه السطور تعطيك فكرة عن انواع هذه الالوان ، ولكنها بعيدة جدا عن الواقع ، لان عدسة الكاميرا تعجز كثيرا عن اظهار هذه الالوان الغريبة ، هل تصور مثلا عشر درجات من اللون البنفسجي او من الازرق ... هل يمكنك ان تصور الانتقال الذي لا يحس من الازرق الى البرتقال ؟

أحيانا كثيرة تقف ولا تصدق عيناك . الاشكال الغريبة التي صنعتها المياه والرياح من الصخور . الوان الزهور الغريبة التي تظهر برية من بين الصخور والمياه نفسها التي ترقرق في المجرى الضيق بين الجبال .



تتفرع من نهر كولورادو انهار صغيرة ، تفترق عن مجراه وتدور بين الصخور ثم تعود لتلتقي به ، وهذا هو المنظر الذى تراه اذا أخذت قاربا وسرت به في أحد هذه النهيرات ·





هكذا تبدو منطقة الكانيون في الشتاء : الثلوج تتوج اعالي الجبال والمرتفعات .

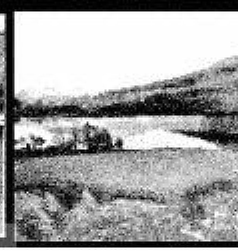


هذا مشهد فريد من نوعه على وجه الأرض . وهو منظر عام للخانق العظيم يجري في وسطه نهر الكولورادو . أحيانا يكون النهر على سطح الأرض وأحيانا أخرى يكون على عمق ١٩٠٠ متر يجري بين حوائط جبلية لاحظ تنوع الألوان .

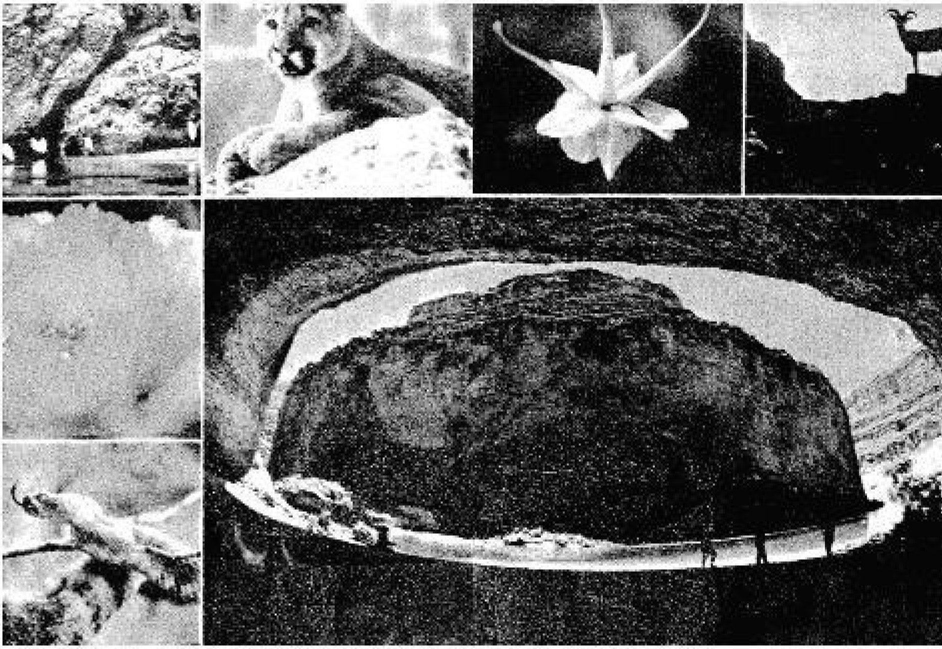






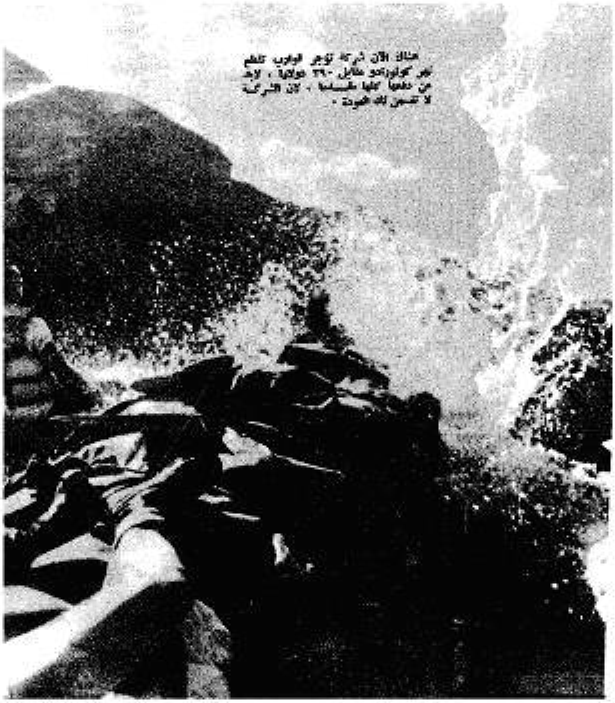


لا نظير في الدنيا للمناظر التي تقع عليها العين في الخانق العظيم بسبب تنوعها ، وفي هاتين الصفحتين يرى القارىء خمسة من أجمل مشاهد الخانق العظيم ولنهر الكولورادو ، وهي :
الصفحة اليمنى : أعلاه والصورتين أسفل منها نهر الكولورادو عندما يظهر على سطح الأرض قرب البحيرة ..
الصفحة اليسرى منظر فريد لبعض صخور الخانق العظيم ، وهي من أقدم صخور الأرض ، عمرها لا يقل عن ٥٠ مليون سنة .



من اليمين الى اليسار من اعلى
١ – نوع من الوعول ذوات القرون السميكة ، يعيش بريا في منطقة الخانق .
٢ – زهرة الايكاي ، واحدة من اجمل زهور الدنيا . انها تنمو على حافات نهر الكولورادو .
٣ – البوما وهي النمر الامريكي ، الذي يعيش في منطقة في الخانق يدعى يلوستون القومي .

٤ – طيور برية تعيش بريا هناك .
٥ – التقطت هذه الصورة من داخل مغارة كبيرة في الخانق ، هذه المغارات من صنع المياه ، والمغارة التي التقطت هذه الصورة من داخلها تسع لخمسة آلاف شخص .
٦ – هذه الرمال الحمراء توجد في موضع واحد في الدنيا : في الخانق العظيم وهناك ينبت نبات صبار الصخر .
٧ – حية خطرة تعيش في منطقة الوادي يتحاشاها السائحون .



ولكن الخانق ليس كله ضيقا ، في بعض الأحيان يتسع حوض النهر بين الصخور حتى يبلغ ١٠ كيلو مترات ويضيق أحيانا الى نصف كيلومتر . هنا في تلك الأجزاء الضيقة يندفع الماء الكثير بقوة لا توصف ، على مسافة كيلومترات فيندفع الماء بقوة هائلة حتى لا يستطيع القارب الثبات . تلك هي الأجزاء من المجرى التي يولع بها أهل المغامرات ، ومعظمهم من الشبان ، اذ يركبون قوارب من المطاط ويدخلون في صراع رهيب مع الأمواج والموت . الكثيرون منهم يموتون ، ولكن الشباب يولع بهذا اللعب مع الموت .

***

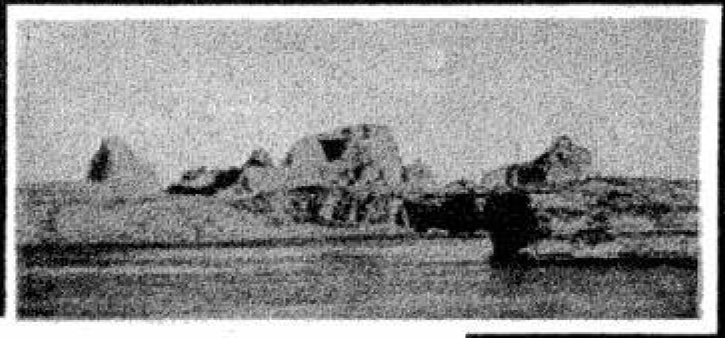
وكان الهنود الحمر يعرفون هذا الخانق ونهر كولورادو الذي يجري فيه وكانوا يعرفون أن الخانق خلقه الله الأعظم لكي يخفي وراءه أرض الأموات ، وكانوا لا يجرؤون على السير مع النهر الى نهايته . كانوا يخافون من الأرواح التي تحرس ذلك الطريق .

وكان أول من عرف الخانق من الأوروبيين نفر من الجنود الأسبان يتزعمهم ضابط يسمى فرانسيسكو باسكيه كورونادو ، وباسمه سمي الخانق كولورادو ، واللفظ اسباني معناه « الملون » . كان ذلك سنة ١٥٤٠ .

وفي سنة ١٨٥٧ شرع الامريكيون في دراسة هذا الخانق العظيم ، وكانت الناحية كلها وهي ولايتا نيفادا وأريزونا صحراء شاسعة ، ولكي يستطيع الناس السير في الصحراء واكتشاف الخانق اشترى الكولونيل بيل رئيس البعثة ثمانين جملا ، اشتراها من مصر وتونس وتركيا . ولم تنجح تجربة الجمال ، لأن الجمال لا يستطيع العناية بأمرها الا أهل الصحراء ، وما كان الامريكيون يعرفون ذلك ، وهكذا تركت الجمال تسرح في الصحراء حرة طليقة ، وقد ظلت تعيش هناك سنوات طويلة ، ثم انقرضت مع تقدم العمران .

وقد تم اكتشاف هذا الخانق العظيم ودراسته من كل ناحية ، ثم حولوه الى متنزه قومي (ناشيونال بارك) يتجول الناس فيه للنزهة والفرجة ، ولاشك ان زيارة الكانيون تعتبر من أمتع الفرج في العالم .

● د . حسين مؤنس ●





غروب الشمس عند بحيرة بويل ، من بحيرات الجراند كانيون . ان لون اشعة شمس الغروب البرتقالية عندما تسقط على الصخور الحمراء ينتج عنهـا هـذا المشهد البديع .

بعض الانهار المتفرعة عن نهر الكولورادو تسيل مياهها على الارض قبل ان تنحصر الى نهر الكولورادو عن طريق شلال يبلغ انخفاضه احيانا ١٠٠٠ متر .



عاد الهوى

● كريمة زكي مبارك ●

كان الفؤاد استراح
من الحنين اليك
رآك بالأمس تحنو ..
فعاد يهفو اليك
وعاد حبي وشوقي
وعدت أصبو اليك !

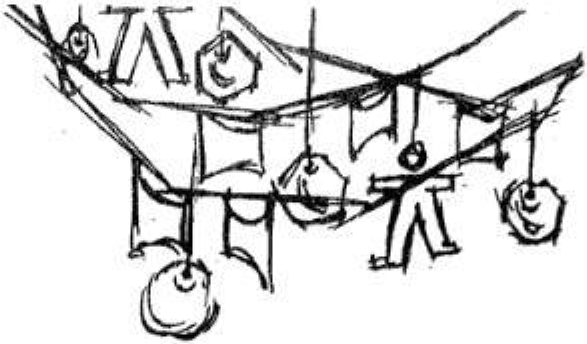
●●●

كان الفؤاد استراح
من الهوى والفتون
عاد الهوى يا حبيبي
وعدت أحيا شجوني
يا لوعتي من حنيني
وحيرتي وظنوني !

●●●

كان الفؤاد استراح
يا من حياتي فداك
عاد الهوى يا حبيبي
وعدت أشكو جفاك
يا ليتنا ما التقينا
وحن دمع عيوني
لكنني يا حبيبي
أهدي اليك حنيني !





أعياد الفن والأدب في عروس البحر

● سمير عبد المجيد ●

● عاشت الاسكندرية اياما مجيدة في عيد الفن والثقافة طوال الشهر الماضي .. وفي الحفل الختامي للعيد اقامت مديرية الثقافة مهرجانا على مسرح سيد درويش ، ضم كبار الشخصيات والادباء والفنانين ، ووزع الدكتور نعيم ابو طالب محافظ الاسكندرية شهادات التقدير والميداليات الذهبية والفضية على عمداء واساتذة الجامعة والادباء والشعراء والفنانين ..

● وفي كلمة تحية وتقدير لادباء وفناني الاسكندرية ومفكريها . قال المحافظ الدكتور نعيم أبو طالب ان الحفاوة والتكريم حافز على الابداع والعطاء الذي يحقق لبلدنا مانرجوه لها من نهضة وتقدم واضاف :

ان احياء النهضة الثقافية والفنية هدفا من اهم الاهداف التي نعمل على تحقيقها . ولقد وصيت على التشاور مع كبار الادباء والمفكرين والفنانين من ابناء الاسكندرية ، ومع كبار ادباء مصر لايجاد تصور كامل لاثراء الفنون والآداب وربط حاضر الاسكندرية بماضيها العريق ، وقد انتهينا من هذا التصور ، وتوصلنا الى وضع ركائز اساسية يمكن ان تقوم عليها الحياة الادبية والفنية والفكرية في عروس البحر المتوسط بفضل تعاون الادباء والفنانين ..

● وتحدثت في هذا المهرجان الفني الادبي الكبير السيدة وسام مرزوق مديرة مديرية الثقافة بالاسكندرية قائلة :

اذا كان التقدم المادي يمثل احد جناحي الحضارة فان هذا التقدم المادي يفقد معناه اذا لم يواكبه تقدم فكري وفني وثقافي يعطي تلك الحضارة بعدها الانساني والبهجة والجمال .

ان التقدم الفني يعتمد بالدرجة الاولى على عطاء المبدعين من الادباء والفنانين . ومديرية الثقافة بالاسكندرية وهي تدرك مسئولية تهيئة المناخ المناسب لكل فنان واديب وتوفير الوسائل التي تطلق ملكاته وتزيد من قدراته على الخلق والابداع - تأمل أن تكون قد شاركت بدور جاد في هذا المجال . ولولا عطاء الادباء والفنانين لما امكن لاي بلد أن يحقق النهضة والتقدم .



في مهرجان الثقافة بالاسكندرية .. الدكتور نعيم ابو طالب يسلم الجوائز
من اليمين . الفنان فتحي حسين، السيدة وسام مرزوق ، الشاعر علي الباز ، الشاعر عبد المنعم الانصارى .

● وفي ختام المهرجان قام الدكتور نعيم أبو طالب محافظ الاسكندرية بتسليم الميداليات الذهبية والشهادات التقدير – على ورق البردى والتي تحمل شعار المدينة – على الرواد من الادباء والكتاب والفنانين وأساتذة الجامعة الذين كرموا في عيد الفن والادب بالاسكندرية لدورهم البارز في اثراء الحركة الثقافية والفنية والفكرية .

وهؤلاء الرواد من الادباء والفنانين هم :

حسين صبحي رائد الحركة الفنية بالاسكندرية :

تقديرا لعطائه الطويل لخدمة النشاط الفني والثقافي .

السيدة وسام مرزوق ، مديرة مديرية الثقافة بالاسكندرية : لجهود المديرية طوال الاعوام الاخيرة في احياء الحركة الفنية والثقافية في الاسكندرية .

واساتذة الجامعة الدكتور : عاطف غيث – د . علي عيسى – د . محمد ثابت الفندى – د . عبد المعز نصر – د . محمد علي أبو ريان – د . محمد مصطفى عدارة – د . يحيي مصطفى حمودة – د . أحمد ماهر رائف – الفنان كامل ابراهيم .

● شهادات تقدير وميدالية فضية :

الفنانة احسان مختار – الكاتب شارل شميل – الشعراء محمد برهام – حسن شهاب – محمود عبد الحي – الدكتور علي الباز .

والادباء سعد الدين الوليلي – فوزي عبد القادر الميلادي – الفنان فتحي حسين – الفنان عبد الحي شحاته – الفنان محسن عبد ربه – الفنانة مينو راغب .

● شهادة تقدير وجائز مالية :

الشاعر ادوارد حنا سعد – الشاعر عبد المنعم الانصاري – ميلاد واصف وفرج خميس فرج ، عبد السلام بدر الناقد عبد الله هاشم – الاديب محمد الجمل – الفنانون انور صالح جعفر – مدحت مرزوق – صلاح يحيي – الشاعر الدكتور عبد الحميد محمود – الاديب محمود عوض عبد العال – الفنانة ليلى مهدي – الفنانة سمية فريد – الفنان شاكر المداوي .

قصة

ومضت الحياة!

● سعد حامد ●

● اركب « المترو » عادة من اول الخط ، لان منزلي قريب منه ، ولذلك كثيرا ما اجد مقعدا ، وفي ذلك الصباح ركبت «المترو» كالعادة ، ووجدت مقعدا وجلست ..

وعندما تجد مقعدا في اى مواصلة حاليا فانت لا ريب انسان محظوظ وسعيد ، ولا ريب انك ستكون مثار حسد الكثيرين من الواقفين ...

جلست وانا سارح في افكاري وتأملاتي غير منتبه الى « المترو » وهو يقف في المحطات ثم يعاود سيره ، وفي احدى المحطات ركبت فتاتان يبدو انهما طالبتان ، فهما تحملان كتبا دراسية ، وقد تخطتا العشرين من العمر ، وجاءتا فوقفتا الى جوارى ..

تناولت من احداهما مجموعة الكتب التي تحملها وحقيبة يد صغيرة في حجم الكف ، واعطت زميلتها كتبها واشياءها الى السيدة الجالسة امامى ...

وتفتا تتحدثان فى همس ، ويبدو انهما كانتا تستكملان حديثا بداتاه قبل ان تركبا ، وجاءنى صوت الفتاة التى احمل كتبها وهى تقول :

ـ الامتحان باق عليه عشرون يوما وامس اشتريت كتابين . ان الوقت لا يسمح بقراءتهما فما بالك بحفظهما !.

وقالت الفتاة الاخرى :

ـ هذه مشكلة يا سهام .. لا ادرى لماذا لا يعدون هذه الكتب من اول العام ..

وقالت سهام :

ـ واثمان الكتب يانو ل.. اشتريت هذا العام كتبا كلفتنى كثيرا . وكنا نعانى فى سبيل الحصول على ثمنها.. تصورى اننا بعنا بعض الاثاث من اجلها . لقد رفضت اول الامر هذا التصرف ولكن امى كانت تقول لى هى آخر سنة ، وستنالين الليسانس باذن الله وتعوضين كل شيء !

قلت لنفسي :

ـ لاريب أن الاب ميت، والام تكافح وتحارب بالمعاش القليل لكى تربى الاولاد .

واختلست النظر الى سهام .. كانت ترتدى فستانا رخيصا يظهر انها من اسرة مكافحة تشق طريقها بمشقة وعذاب وسط اصحاب الفساتين المستوردة والعربات الفاخرة

ونظرت الى كتبها التى احملها فى يدى ، فاذا هى كتب فى القانون ، لاشك انها طالبة فى كلية الحقوق ، ما شاء الله .. ستصبح محامية تدافع عن الحق المهضوم الذى نضيع جهارا نهارا . وفي كل مكان .

وعاد صوتها الهامس يطرق سمعى وهى تقول :

ـ انا للان لم ادفع المصروفات .ولا



بد من دفعها واستلام الايصال واستخراج « كرنيه » الكلية حتى يمكننى دخول الامتحان .. هى مبلغ بسيط كما تعلمين ، حوالى اربعة جنيهات ، ولكننا منذ اسبوع نبحث عمن يقرضنا هذه الجنيهات الاربعة اللعينة ولا نجد احدا !

ـ يا ليتنى كنت املك هذا المبلغ يا سهام .. اقسم لك بالله اننى كنت لا اتأخر عنك ابدا ، لكن الحال من بعضه كما تعلمين !

ـ انا اعلم يا نوال . ولا اظن انك تتأخرين عنى فى شيء ، وعسى الله ان يحلها ويفرج .. لقد ذهبت ماما الى خالتى والى بعض الجارات ولكنهن اعتذرن .. الناس جميعا يعانون من هذا الغلاء الفاحش ومن جشع التجار .

كنت انصت اليهما وانا اتشاغل بالنظر الى بعيد حتى لا تلحظا أننى أستمع الى حديثهما ، واختلست النظر الى سهام ، هذه الفتاة النحيلة ذات الثوب الرخيص التى تتشقق باظافرها فى الصخر لتجد لها مكانا فى المجتمع ، والتى تعانى هى واسرتها منذ أسبوع فى البحث عن أربعة جنيهات ـ وكم من مئات الجنيهات تضيع كل ليلة فى ملاهى المدينة ومشاربها ـ لتدخل امتحانها ، وتحصل على شهادتها ...

كنت استمع اليها وقلبى يتمزق فى صدرى .. لقد مررت فى شبابى بمحنات كثيرة كهذه ، ولكننى تخطيتها بمعونة الله وعونه حتى اكملت تعليمى وتوظفت ثم تزوجت وانجبت أولادا تعلموا بدورهم ، وشقوا طريقهم فى الحياة .

تصورت لحظتها انها ابنتى أو أنها ما أختى ، تلك التى تبحث منذ اسبوع دون جدوى عمن يقرضها اربعة جنيهات لتدخل امتحانها الاخير ، ولتحصل على شهادتها ، وكنت اعلم أنه فى حافظة نقودى اكثر من ورقة من فئة الخمسة جنيهات ...

وبهدوء شديد لايكاد يحس به احد، دسست يدى فى جيبى ، وأخرجت ورقة من تلك الاوراق المالية ، وبهدوء أشد وبلا أدنى حركة دسستها فى حقيبة يدها الصغيرة التى فى حجم الكف !.

ما زال « المترو » يسير .. يقف ثم ينطلق . ومازال همس الفتاتين يصل الى سمعى .. لكننى لم أعد أسمع منه كلمة حتى انتبهت الى نفسى والفتاة تمد لى يدها لتتناول كتبها وحقيبتها الصغيرة ، وكذلك فعلت زميلتها مع السيدة الجالسة امامى ..

وغادرتا « المترو » فى محطة « عين شمس »، وظللت اتبعهما ببصري حتى اختفتا فى زحام النازلين من « المترو »

لا ريب انها ستبتسم عندما تعثر على الورقة المالية فى حقيبتها، وسترفع عينيها الى السماء وتهمس :

ـ كم انت رحيم يا رب !

لكن ترى هل تخمن اننى انا الذى وضعتها ؟ .. من يدرى ! . على اية حال كنت انا سافتها فى قمة سعادتى

وتحرك بى « المترو » ، ومضى الى الامام ، كما تمضى الحياة دائما ، وانا اقول لنفسى :

ـ لا شك اننى سأنام الليلة وانا اسعد انسان فى القاهرة ! .

المافيا
في مهرجان صقلية السينمائى

● ماري عضبان ●

● حين تطأ قدماك ارض المطار في كاتانيا « صقلية » عليك ان تاخذ حذرك جيدا ، فهناك العصابات التى تسمى بعصابات « المافيا » والتى انتشرت انتشارا غريبا ، واصبح الخوف هو الظاهرة السائدة فى هذه المناطق الجميلة ..

لكن كيف نشأت « المافيا » ؟ ولماذا؟

ترجع نشأتها الى القرن الحادى عشر ، بعد الحروب الصليبية ، حيث سيطر على البلاد هناك مجموعة من الامراء ، تملكوا الارض واقاموا الاقطاعيات ، واصبح كل واحد منهم يريد التوسع فى املاكه ، بالطمع والجشع ، الامر الذى ادى الى قيام الحروب والصراعات بينهم وبين انفسهم كل هذا على حساب الطبقة الفقيرة المعدمة التى لا يملك ابناؤها شيئا ولكنهم لم يظلوا جامدين ، فكونوا فيما بينهم مجموعات تحت قيادة احد الزعماء ، لمحاربة هؤلاء الامراء ، والحصول على حقهم فى الحياة ..

كان الدافع فى البداية ، هو مصلحة الشعب والطبقات الفقيرة اولا واخرا ، وكانت لهم مبادىء ينبغى على الجميع ان يكون حريصين عليها ، وكل فرد تسول له نفسه ان يخون تلك المبادىء كان جزاؤه القتل ! ..

والغريب ان كلمة المافيا تعود الى اصل عربى « mualat » اى القوة والشجاعة ، لكنها تطورت بعد ذلك حتى اصبحت ظاهرة خطيرة تهدد الناس فى هذه المنطقة التى اصبحت تمتد حتى الولايات المتحدة الامريكية .. وشعارهم الان « لا اسمع ، لا ارى لا اتكلم » وهم يحاولون عبثا اقناع الناس بانهم يسعون للعدالة والمساواة ولكنهم وان كان هذا مبدؤهم فى اول نشاتهم ، الا انهم حادوا من الطريق ، واصبح الارهاب شريعتهم فى الحياة .

والغريب انه فى هذه المنطقة وفى هذا الواقع الارهابى ، يقام المهرجان السينمائى السنوى فى « تاورمينا » وهى القرية التى تبعد ستين كيلو مترا من كاتانيا وتشترك فى هذا المهرجان كل دول العالم ، وبينها بعض الدول العربية التى سيقام لها انشطة خاصة فى العام القادم نظرا للثقافة العربية التى تنتشر هناك منذ ان فتح صقلية العرب عام ٨٧٨ م ووجود كثير من الاثار المعمارية والعادات والتقاليد العربية المنتشرة هناك انتشارا كبيرا .. اما فى مهرجان هذا العام ، فقد اشتركت فيه اكثر دول الشرق والغرب ..

● من المافيا فى المهرجان »

وقد اشتركت ايطاليا فى المسابقة الرسمية للمهرجان بثلاثة افلام ، ابرزها فيلم من المافيا « اسمه التنبيه » اخراج داميانو دامياني .. ومن المعروف ان داميانو يكاد يكون متخصصا فى اخراج هذا النوع من الافلام البوليسية التى تعالج قضايا العدالة والحرية والمساواة .

وتدور قصة الفيلم حول ضابط بوليس يحاول افراد احدى العصابات



مشهد من فيلم « الراديو المفتوح »

المتخصصة في سرقة البنوك ان (يرشوه) بمبلغ من المال اضافوه الى رصيده في البنك حتى يكسبوا وده وصداقته ، وحتى لا يحاول أن يقبض عليهم حتى لا يقتلوه ويصبح هو في موقف حرج .. فاما ان يقبل « الرشوة » ويسكت ، واما ان يستمر في طريقه ويقبض عليهم ، وتكون نهايته القتل على ايديهم . خاصة وهو يعلم انهم قد قتلوا قبله اربعة من القضاة ..

ويجسد الفيلم الصراع النفسي الذي يدور داخل هذه الشخصية التي يلعب بطولتها بطريقة مثالية مقنع في الاداء الممثل « جوليانو جيما » الذي يقوم عادة بمثل تلك الادوار .

● من الضحية ولماذا ●

وبجانب هذه النوعية من الافلام نذكر أفلاما اخرى قدمت ما يشبه هذه الظاهرة من هذه الافلام فيلم « الراديو المفتوح » وهو فيلم بريطاني من اخراج كريستوفر بيتي ، وفي أول مشاهد الفيلم نرى جثة غريقة في دمائها في « باليو » في مدينة « بريستول » ويبدو تساؤل من القاتل ؟ ! من الضحية ؟ » ولماذا ..؟

لا احد يعرف . وبتحريات البوليس اكتشف أن للقتيل اخا اسمه روبرت يعمل في احد الملاهي الليلية لكنه لا يعرف شيئا عن اخيه . مما يؤدي الى مزيد من الغموض في الاحداث .. ويستمر البحث عن القاتل .

ولقد صور الفيلم « ابيض واسود » ليعيش الجمهور احداثه في شيء من النفور وكانت معظم مناظره تقريبا في الاحياء الفقيرة في لندن .

والى جانب هذه الافلام كانت هناك افلام اخرى عن « المافيا » تبرز جرائمهم وافعالهم ومن اهم تلك الافلام فيلم « الاب الروحي » الذي عرض في القاهرة .. ويصور بدقة نشأة وامتداد هذه العصابات في الولايات المتحدة الامريكية .

واثناء انعقاد المهرجان وقعت هناك عدة حوادث حيث قتل « المافيا » قاضيا في مدينة « بالرمو » وهو عائد الى منزله ، لكن هذا شيء اصبح عاديا ويحدث كثيرا ، ولا يستطيع احد حتى الان ان يقف امام هؤلاء ، بل ان السلطات في صقلية كثيرا ما تقف عاجزة امام جرائمهم وارهابهم ...

رفقًا!

● حلمي الخولي ●

يا طائرا ...
هز الليالي شدوه .
يا آسرا ..
سر الوجود سحره ..
رفقا ، بقلبي انه ..
عشق الليالي هزه
والشوق كأس يزدهي
والحزن يوما ينتهي
والحب باق دهره !
***
رفقا ، ولا ... تمعن صدودا .
انا لا اطيع لهم حسودا .
هيا .. ،
اقتحم تلك السدودا ..
فالروض زاه ، عطره ..
ووفاء قلبي ـ زهره
قم واسقه عودا فعودا .
فاللحن فيه جرسه ..
شدو الصبابة سحره ..
والعيد تاج للدنا
لم لا يكون الوصل عيدا
يمضي الزمان وحبنا ..
في مبسم الدنيا نشيدا ..
والقلب يرقص نبضه ..
بالشدو يهتف لحنه ...
يا طائرا ..
هز الليالي شدوه
***
بالاشواق .
وكأسي مترع .
والعشق نار ..
جمعته الاضلع ..
أنا أكتوي .. بالنار
نورا يسطع ..
ما عدت أدري
ما الزمان وطيه .
فلقد أضل .. العد مني ـ أصبع .
روحي انتشت ، لما مضت في ليله .
فهو الذي شاء الحياة بحبه .
مهما اطيل شكاية .. من بعده ،
او عذب القلب الجريح بوجده .
فالقلب يهتف دائما في قربه .
يا طائرا ..
هز الليالي .. شدوه .



وأنتِ.. في دمي!

محمد الشحات

.. واعرف ان السحب التي اسقط الدهر
هياتها
لم تكن من سنينى !
وانك اول بدء الرحيل
واول عشقى الطويل !
وان كلامك .. همسك
زادى القليل
وانك فى الاغنيات تكونين
فى الامسيات
وبين الذى قد مضى ، والذى قد يجيء
وبين الجراح التى لا تهادن
والفرح المستديم !

***

.. واعرف انك عشق يؤرق من يصطفيه
وهم يعذب من يرتضيه
واعرف ..
ورغم العناء ورغم الجفاء
احبك !
ورغم الجدار الذى بيننا
والقتال الذى حولنا ..
واعرف انك فى القلب
بين الشهيق وبين الزفير !
واعرف انك رغم الاكف التى اجهدتك
الجراح التى اسقمتك
بانك لى
والذى بيننا لم يكن
كالهراء ، الهواء ..
وما بيننا
ذكريات البيوت القديمة
وخبز القرى والشتاء الربيع
ولهو الطفولة
صخب الرجولة
صمت المشيب
الذى بيننا !
احبك والصدر يحمل
لغو المدينة
حزن الحبيبة
انك لى .. فادخلى فى دمى
وانشىء فى فؤادى المعالن
شمس الشروق
انشىء فى فؤادى اللهيب !



جرح في كرامة رجل !!

● غبريال وهبه ●

كان يجلس وحيدا خلف مكتبه بشرفته المطلة على النيل ، وامامه بضعة خطابات مفتوحة . امتدت يد الزمن الى بعض الرسائل فاحالت لونها الى الاصفر الباهت ، وقد توسطتها زهرتان ذابلتان ..

كانت هناك حقيبة يد سوداء خالية نصف مفتوحة ملقاة فوق أحد جوانب المكتب ، وهي التي تناول منها مراد « مخلفات الحب » .. انهمك في قراءة الرسائل واحدة تلو الاخرى ، وقد اطل من وجهه حزن عميق ، وجاش الغضب في صدره ، وانقد في ناظريه . وعندما عثر على صورة فوتوغرافية تطلع اليها في حيرة وذهول ، واذا بالغرفة تضيق به على سعتها ، وينخفض سقفها ، وتسود جدرانها . وهاهي ذي اصابعه المرتعشة تمزق الصورة شر ممزق ، وقد شملته قشعريرة كان لها في عروقه دبيب مروع ...

ان مراد عجوز طاعن في السن نحيف هزيل برزت عظام وجهه ، وكل بصره ، وهد المرض القاتل جسده المنهوك . وحتى صوته الاسمر المدوي الذي كان يعلو في ايام خلت ، فيضج ماكينات الطباعة ، قد فقده هذا الصحفي الكبير ... لم يبق له شيء سوى هذا الجلد الشاحب الذي يكسو عظامه . واحاله المرض المميت الى مجرد شبح . ويبدو ان الموت الذي بدأ ينشب فيه مخالبه المخيفة قد ترك له من القوة الواهنة ما اعانه في بحثه عن ادلة الجريمة التي اكتشفها الآن ، وما جعله يحلم بالثأر لنفسه .

ففي الصباح الباكر لهذا اليوم تلقى مكالمة تليفونية سمع فيها صوتا نسائيا يقول له :

– منذ عشر سنوات وزوجتك تخونك . انك الشخص الوحيد الذي لا يعلم انها كانت طوال هذه الفترة على علاقة برفلقي – سكرتيرك الخاص السابق ..

فقال مقاطعا في صوت متحشرج :

– مستحيل !

– اذا اردت ان تتأكد فافتح صوان زوجتك . وفي الدرج الاسفل من الناحية اليمنى تجد حقيبة جلدية صغيرة ، اقرأ ما تعثر عليه بداخلها .. عندئذ ستعلم الحقيقة !

وقبل ان يلفظ بكلمة واحدة كانت المحدثة قد وضعت السماعة مكانها ، فقال لنفسه : « يبدو انها خطيبة .. الشغالة التي طردتها ناهد اخيرا ! »

وعبثا حاول أن يطرد شكوكه التي التفتت واحدقت به وعزقت قلبه وهو يشك لاول مرة في اخلاص زوجته ووفائها ، فاذا به يغادر فراشه وهو يترنح ويجر قدميه الى صوان زوجته حيث وجد الادلة الدامغة على الكارثة التي حلت به ، فاحس كان تيارا من الزمهرير قد تسلط على عظامه ، وتجرع السم حتى الثمالة ، فاذا به يسري الى روحه ، ويدب في كل ذرة من جسده .

وهاهو ذا يئن ويتأوه من العار والهوان الذي لحق بيبته . واخذ ينسج في خياله قصة هذا الخزي وتلك الهزيمة سنة وراء اخرى ، وعاد القهقرى الى بداية هذه السلسلة المتواصلة التي لم فيها شرفه ، وديس فيها عرضه . يا للضربة القاسية التي اصابته في مقتل ، وجعلته يدب على حافة القبر ! انه يتساءل كيف يثأر من الاثنين قبل ان يموت .. وراح يتمتم لنفسه : « يا للتعيسين ! كيف غدرا بي وخانا ثقتي فيهما !!

لقد جازياني جزاء سنمار .. اهكذا ترد لي ناهد ما أعطتها به من حب وحنان !! ورفلقي !.. او ينسى ما اسبغته عليه من عطف ، وما اسديته اليه من مساعدة !! كنت اعده بمثابة ابني ، هو مدين لي بكل ما احرزه من نجاح وتفوق في مهنته . ومع ذلك اهداها اللعين صورته وخط خلفها افحش الكلمات ، وابانت رسائله عن سيل من الغدر والخيانة .. كلها تفيض بآيات الوجد والغرام ، والشغف والهيام ، وفيهما تعريض بغباء الازواج وسخافتهم ، وثقل ظلهم ، وتبلد احساسهم . ان تواريخ هذه الرسائل جميعها بعد زواجي من ناهد . يا للمرأة الشقية ! كانت في الحادية والعشرين عندما تزوجتها حقيقة كنت اناله في الثانية والخمسين ، ولكنني انتشلت هذه الفتاة من وهدة اليأس والفاقة ، ومنحتها اسمي العريض ، واسبغت عليها حمايتي في حياتي ، وامنت مستقبلها بعد مماتي . لم افرض عليها نفسي ، بل تزوجتني بمحض اختيارها .

كانت عاملة في صيدلية ودعوتها لنزهة في سيارتي .. وفي كازينو المعادي ، بعد ان ملأت معدتها الجائعة بالطعام ، قصت علي حياتها التعسة ، وكيف ان اباها « بلطجي » يعيش من كد امها اليونانية الاصل وعرقها . فهي تحترف مهنة التمريض ، وتتردد على المنازل لحقن المرضى فيختال معظم نقودها ، كما لا يقنع بالاستيلاء على مرتب ابنته بأكمله ، بل يجبرها على الرقص في ليالي الزفاف ، ويحتفظ لنفسه بما تجمعه من النقود ينفقها على ملذاته ، ولا يعود اليهم ليلا الا وهو يتخبط سكرا .

وذات يوم طلبت منه الاحتفاظ بخمسين قرشا لنفسها ، فانهال عليها بهراوة فسرق ظهرها ، وتسببت اصابتها في تبولها اللاارادي . لم اكملت حديثها لي قائلة : ولي سبعة اشقاء يتضورون جوعا . هربت شقيقتي السكيرى مع اجنبي وسافرت معه الى الخارج ، واصبحنا لا نعلم عنها شيئا . ثم اردفت قائلة انها لن تعيش كثيرا

فهى تشك فى اصابتها بالسل . وهم يحللون الآن لعابها للتأكد من نوع المرض ، بالاضافة الى تصوير صدرها بالاشعة .

هزتنى تعاستها ، وذدت اذوب حزنا عليها بعد أن اضرمت فى وجدانى لهيبا من العطف والحنان نحوها . فوددت أن اموت فاتبر وتسلم هى وتبرأ ، ولو يقبل الفداء لفديتها بنفسى . شعرت بجاذبية اليها وأنا ارى نظرات البراءة والسذاجة تطالعنى من عينيها الساحرتين . وعندما سألتنى هل أنا متزوج ، خفق قلبى فأجبتها بالنفى عارضا عليها الزواج ، فبرقت اساريرها سرورا . وتلألأ الفرح فى وميض مقلتيها واسعدتنى الابتسامة العريضة التى ارتسمت على شفتيها الباهتتين .

تزوجتها وتوليت علاجها حتى استردت صحتها واصبحت كالزهرة الرشيقة . وكان لى فى هذه الفتاة ، وفى لثغاتها الحارة ، ولمساتها العطوفة الحلوة وحنانها منبع انس وصفاء يفيض على مهجتى سرورا وطربا ، ويشمل جلوة الحياة فى كيانى كلما كاد يطفئها الوهن الهرم ، ويودى بهما الفناء والعدم ، فشغفت بها حبا ، وهمت بها صبابة ووجدا ، وبالغت فى تدليلها وامددت لها كل ماتصبو اليه من لذائذ العيش ومتع الحياة ، واصبحت كل رغباتها اوامر البيها دون مناقشة .

كانت تمضى شهور الصيف عند جدتها فى اليونان ، اما الشتاء فكانت تقضى شطرا منه فى كاتاركت بأسوان . منحتها حبى وثقتى سواء فى قربها منى أو بعدها عنى ، وكنت فخورا بجمالها .. ومع ذلك غدرت بى وخانتنى . لقد خدمت امتى فى ميدان الصحافة طوال تسع وثلاثين عاما وعملت مراسلا حربيا وسط تسع وثلاثين عاما واشدها ضراوة . وحزت ارفع الاوسمة ، ووليت حتى اصبحت رئيس تحرير صحيفة واسعة الانتشار . جابا الفخار لابى .. والمجد ، وانا فى اخريات حياتى المليئة بجلائل الاعمال ، تجللنى هذه المخلوقة بالعار بما ارتكبته من خطيئة واثم » .

●●●

وليت هذا فحسب ، ولكنها اسلمته لعذاب اشد هولا ، فقد قادته الى شك وريبة اشعلت فى فؤاده حرقة ، واحالت العالم من حوله ظلاما دامسا . انه مدحت ، زينة حياته الذى يباهى به الدنيا « اهو ابنه ؟ ايكون ابن رفائى ؟ وكاد يجن جنونه . ان مدحت يعيش بالقسم الداخلى بمدرسة للراهبات حيث تركته امه لرعايتهن . وفى كل مرة يعود فيها الاب من رحلاته واسفاره يسرع بزيارته ويلقاه بالاحضان . ورث مدحت رونق المحيا من امه ، وكانت عيناه تتألقان ببريق الكبرياء مع قوة بنيته النامية ، وقوامه الذى ينبىء بانه سيصبح فارع الطول كأحد ابطال الاغريق القدماء . كان معجبا بالشيخ المسن الذى يحمل اسمه ، واحبه بشغف ، وشتان بين الاثنين فثمة وود متبادلين أضرمهما قلب الاب وهو يحدب على الصبى حدبا حميما . هذه السعادة الابوية .. وتلك الذكريات السارة البهيجة التى تشكل صرحا مضيئا فى حياة الصحفى الكبير قد هدمته الزوجة القاتلة فوق رأسه .

عاد مراد يهمس لنفسه : « يا للغادرة التى لا ترعى عهدا ، ولا تحفظ ذمة ! لماذا لم ترث الاخلاص والوفاء من امها ؟! لم تخلت عنى فى مرضى ! اليست حليفة لانكستيس ؟! »

وظلت بذهنه صورة هذه الزوجة التى خلدها يوريبيدس الشاعر المسرحى الاغريقى فى القرن الخامس قبل الميلاد فى مسرحية تعرف باسمها .. وماهو ذا أدميتوس ملك تساليا قد حان حينه اذ حلت اللحظة التى كان محددا له أن يفارق الحياة فيها ، بيد ان الاله ابولون استطاع ان يجعل ملك الموت يتركه يعيش اذا ماقبل أحد غيره ان يحل محله ليموت بدلا منه . وعبثا حاول ادميتوس استمالة ابيه وامه ليفتدياه بالتنازل له عما تبقى لهما من عمر . وها هى ذى زوجته الكستيس تقبل عن طيب خاطر ان تحل محله فى الرحيل الى العالم الاخر .

●●●

احاطت يدا مراد الرعشتان براسه الذى كاد ينفجر ، بينما دماؤه تغلى وتفور من الحمى ، وسرت قشعريرة فى بدنه الرتيجف ، فالقى بنفسه على مقعد متهالكا مصعوقا مقهورا خائر القوى وهو يغمغم متلعثما :

ـ سأثأر لنفسى !

ولكن هيهات فكيف السبيل ؟! ايقتل الاثنين اللذين خدعاه فى شرفه ؟ انهما بعيدان بعدا شاسعا .. هى فى اليونان . وهو فى بعثة لامريكا لمدة عام للوقوف على احدث ماأستجد فى الفن الصحفى . أيرق اليهما لاستدعائهما ؟ ولكن قبل ان يصلا سيكون القبر قد ابتلعه فى جوفه . اعتصر ذهنه عصرا سعيا وراء وسيلة ينال بها ثأره .. وجاء الليل وهو مازال مطرقا واجما يفكر حائرا دون أن يصل الى حل . جرجر نفسه الى فراشه وقد استحال رجلا محطما مهدما .

وفى فجر اليوم التالى ساءت حالة مراد بعد ان انهدت عليه وطأة المرض ، واستفحل الداء الذى اعيى نطس الاطباء . فنقلوه الى مستشفى النادى للقوات المسلحة ليفحصه الدكتور جوفانى ريالدو الذى قدم الى القاهرة استاذا زائرا لمدة اسبوعين .

وقف الطبيب العالمى بجوار سرير المريض يحدث مساعده عن خطورة الحالة . فقد زحف السرطان على كليتى مراد واستشرى فيهما ، ومالم تحدث معجزة فانه قبل ان تطلع عليه شمس اليوم التالى سيكون قد غادر دنيانا الى العالم الاخر ! تلقى مراد النبأ رابط الجأش متظاهرا بانه لم يفهم شيئا مما التقطته اذناه .. فقد كان يحتفظ فى ذاكرته ببعض الايطالية التى درسها فى مطلع شبابه بمعهد بالقاهرة .

قال المريض موجها كلامه للدكتور ريالدو :

ـ هلا عدتنى مرة اخرى ؟

فاجاب الطبيب العالمى على لسان الدكتورة عطيات التى قامت بالترجمة اذ تخرجت فى جامعة ميلانو :

ـ نعم سأتى مرات .. الا ترغب فى ان تستدعى زوجتك ؟

ـ لن يجدى ذلك شيئا .. انها بالخارج ، وانا مستلق فى سكرة الموت . انهم تعرف واشعر بدنو اجلى .. واريد ان اجنبها مشهدى الذى مريض ، وسوف تعلم ان اجلا او عاجلا انها اصبحت ارملة . اخبروها بعد وفاتى ..

حاولت الدكتورة عطيات أن تطمئنه فقالت له معاتبة :

ـ دع الوساوس جانبا . وسوف تسترد صحتك فى القريب العاجل ان شاء الله .

ـ انى لا اخشى الردى ، وكثيرا ماواجهته قبل الآن . فى اوائل الاربعينات كنت مراسلا

حربيا لطبت أنباء المعارك في الصحراء الغربية من بوابات الحلفاء والمحور ، وشاهدت معركة العلمين التي كانت نقطة تحول في الحرب العظمى الثانية .

التقط الريض أنفاسه قبل أن يقول :

ــ ليس هذا فحسب ، بل حضرت معارك أعوام ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، في حروبنا المتتالية مع الصهاينة . ثم أكمل حديثه قائلا :

ــ وكم كنت أود أن أرافق قواتنا الظافرة هي تحرر سيناء وتدك معاقل العدو في حرب كتوبر المجيدة لولا أنني بلغت من العمر أرذله .

انسحب الاطباء فقابلهم مدحت خارج الحجرة وتساءل في لهف :

ــ كيف حال والدي ؟

صمت الطبيبان الايطاليان بينما تنهدت الدكتورة عطيات والدموع تلمع في عينيها ، فأدرك الغلام أن الامر جلل ، وهرول حزينا صوب أبيه ..

ــ تعال الي ياولدي ..

ارتكز الريض برفقة على الوسادة ، ورفع بدنه الواهن المضني بكل مشقة ، وأسند وجهه الأصفر الشاحب بيده ، وكان العرق البارد يتلألأ على جبينه ، وها هو ذا يحدث الصبي بصوت ضعيف مرتجف :

ــ انك الآن في الثالثة عشرة من عمرك يامدحت ولا جدال في أنك لم تزل طفلا بعد .. ولكنني سأخاطبك كرجل . عندي ما أقوله لك .

لم يستغرق الحديث بين الاب وولده وقتا طويلا ، انطلقت بعده جذوة لهب كثيبة من عيني الطفل الذي استغرقه التفكير ، وبدا وجهه جادا كأنما الموت الذي كان يستلب الحياة من والده قد انساب الى عمره سنينا عدة ، وزاد عقله مضاء وحدة ، وجعله في بضع دقائق يعبر مرحلة الطفولة الى الرجولة وقد اثقلت الاحزان كاهله ، وانغمس الى رأسه في لجة من الهموم ..

●●●

في العام التالي ، عند بداية الصيف والمضي على وفاة مراد مايقرب من أحد عشر شهرا ، كثر اللغط والحديث عن الزواج بين أرملته ورفقي .. ذلك الزواج الذي طال أمد انتظاره . والناس مابين ساخر ومستهجن !

وذات صباح وصل رفقي الى المنزل المطل على النيل ، حيث تعيش ناهد في عزلة بعد وفاة زوجها ، مكرسة جل وقتها لابنها ، وهي تنتظر عودة حبيبها من بعثته .

وعندما حل النهار اقبل مدحت نحوها بوجه متجهم . وسألها بلهجة جادة تفوق سنه :

ــ أحقا يا أماه انك على وشك الزواج من الاستاذ رفقي ؟

فقالت له بصوت مضطرب :

ــ من الذي انبأك بذلك ؟

لم ينبس الصبي بكلمة ، واردفت ناهد قائلة :

ــ على الابن الا يوجه اسئلة لوالدته !

فقال لها مدحت بلهجة قاطعة :

ــ انني لا انوي ان اجعل الاستاذ رفقي يحل مكان والدي .

ــ لاتنوي ! .. ماالذي تعنيه بقولك هذا ؟.. شيء مضحك والله ! .. ما للاطفال وهذه الامور ؟!

والتهب الغضب في مقلتيها ، وصاحت وهي تشير بيدها صوب الباب :

ــ اخرج من هنا فورا !

انتفض الصبي ومضى عابسا مكفهرا . وتوجه الى غرفته .

لم تمض سوى دقائق معدودات حتى كان مدحت امام غرفة الاستاذ رفقي ، ودلف الى الداخل دون أن يقرع الباب ، ويده اليمنى في جيب بنطلونه .

كان رفقي في هذه الاثناء واقفا امام المرآة يحلق شعر ذقنه فاستدار ناحية الصبي وقال له مؤنبا :

ــ من الواجب ان تستأذن في الدخول اولا .

ــ هذا منزلي ، ولي حديث معك .

ــ لك حديث معي ! .. تكلم !

ــ انني اعرف لماذا انت هنا . والذي تريده لن يتحقق . عليك ان ترحل ولا تعد الى هنا مرة اخرى . انني ارفض أن تتزوج امي .

ــ يبدو انك جننت !

ــ هل ستنصاع لامري ؟

فصاح رفقي مستنكرا :

ــ انصاع لامرك !

لم يصرخ وقد توهج وجهه احمرارا ، وطار الشرر من عينيه :

ــ بالك من شقي ابله !.. اقترب من وجهي ايها الشقي والا جدعت انفك ، وصلمت اذنيك !

واوسع الخطى صوب مدحت رافعا كفه واهوى به على وجه الغلام . فتقهقر مدحت الى الخلف ، واخرج ماكان يخبئه في جيبه .. فاذا بمسدس رابض في يده ، وصوبه نحو الهدف ، ثم ضغط على الزناد . ازمجر الرصاص . وترنح رفقي هنيهة ثم سقط جثة هامدة فوق الارض وقد اخترقت الرصاصة جبهته .

سمعت ناهد صرخة الرصاصة داخل الغرفة ، ورأت كل شيء فصاحت :

ــ ماهذا الذي فعلته أيهاالتعس !

واندفعت نحو ابنها لتجرده من السلاح . لم يبد مدحت اية مقاومة ، وتركها تنتزع منه المسدس . وعندما شاهدها تلقي بنفسها فوق الجثة الممددة كمن أصابها مس ، قال في حنق وهياج :

ــ قبل ان يموت والدي ، كاشفني بأن هذا الرجل عدوك وعدوي . وأمرني ان اكون يقظا وان افتح عيني جيدا ساهرا على حمايتك . واذا اقتضى الامر على ان ازيحه من طريقك وهاأنذا قد اطعت ابي ، ولبيت اوامره !

●●●

بعد ان الم وكيل النيابة بكل الوقائع السابقة ، مرت لحظة صمت ران فيها على وجهه التفكير العميق ، وسرح ببصره بعيدا ، ولم يلبث ان اقفل محضر التحقيق بعد ان قيد الحادث انتحارا ...

مغامرة!

● عبد الجواد طايل ●

ما بين ارض .. وسما
وبين جوع ، وظما ..
الغيث ، فجأة .. همى
جداولا ، جداولا !

***

لما تجلت كالشعاع
وطوفت مثل الشراع
تصب لحظة الوداع ...
سلافة من الطلا !

***

قالت الى اى اتجاه
تمضى بهذه الحياه
فقلت طائر دعاه
الحظ .. بعد أن سلا !

***

الى مواطن الجمال
بعالم من الخيال
وهيكل من الجلال
فكبرا .... وهللا !

***

ونحن مثل طائرين
نطير فوق قادتين
فكيف نلتقى .. واين
ان آجلا او عاجلا ؟!

***

قالت وقلب الطائره
معلق ... بالقاهره
الحب كالمغامرة ...
يزورنا ... ليرحلا !

تحت الشمس

● احمد على رجب ●

تسلل العمران الى قريتنا ... فى بادىء الامر كان يسير ببطء السلحفاة ، ثم اخذ يقفز مثل الارنب ، ثم ركض كحصان جامح ...

أزيلت أكواخ الطين لتحل محلها منازل الاسمنت المسلح .. كما انتصبت عمارات شاهقة مكان بيوت الطين النيء. وزحف الذين استعصى عليهم الحصول على مسكن فى المدينة ، زحفوا الى قريتنا ليجدوا المأوى المريح وكل متطلبات الحياة العصرية ... فقد انتعشت فى القرية مائدة عصرية حافلة بكل انواع المأكولات والمشروبات ، وانقلب دكان « حسيبة الخضرالية » الى معرض هائل يحوى كل انواع الفاكهة والخضروات ... كما اتسع مقهى القرية وتطور ، واكتست جدرانه بالبلور وتحول الى ناد حديث يضم كل انواع اللعب والتسلية !

كل هذا معقول ومقبول لدى العمدة ، ما دام الذين جاءوا بالحضارة هم الاطباء والمهندسون والمدرسون الذين كانوا قد رحلوا الى الخارج ، ثم عادوا وفى جيوبهم المال وكل أدوات الترف .

اما غير المعقول وغير المقبول ، والشيء الذى ينغص على العمدة حياته ، فهو ابراهيم بن نفيسة ، خادمة اليتيم الذى كانت اظافره لا تهدأ حتى عن حك جسده حتى عرف باسم ابراهيم « الجربان » ...

ابراهيم هو الذى لم يزد أجره الشهرى على ثلاثة جنيهات وكسوة سنوية متمثلة فى جلبابين اثنين ولا شيء تحتهما ، جلباب فى الشتاء وآخر فى الصيف .

ابراهيم هذا الذى كان يسبق الشمس فى البزوغ فيوقظ الحمار والبقرة والساقية والارض ، وينقل جبال الاسمدة والمحاصيل ، وينقى البذرة .. و .. و .. ثم يعود مع الغروب ليجهز حمار الركوب للعمدة ، وينطلق يجرى أمام الحمار ممسحا الطريق .. حتى يعطى الطبقة خاصة بمكانة العمدة المرموقة، ويعيد للاذهان عصر الترك والمماليك ...

ابراهيم هذا الذى قضى طفولة تعسة بائسة ، كان يقتطع من بين أيامها لحظات قصار يلهو فيها مع رفاق ملعبه ، يلعبون لعبة العروس التى تحب الشجار بينها وبين زوجها فتلجأ الى العمدة ، وأمر العمدة مصيره الخاص باستدعاء الزوج لسماع أقواله !

وكم تمنى ابراهيم أن يقوم ، ولو لمرة واحدة ، بدور زوج بهية ... أو بدور العمدة . لكن « صلاح » ابن العمدة الصغير ، كان يذكره دائما بأن كلا من الزوج والعمدة لابد أن يرتدى فانلة وصديريا تحت الجلباب وأن ينتعل حذاء ، ومن ثم ... فقد ظل ابراهيم يقوم بدور الخفير ، وصلاح يقوم بدور أبيه العمدة وخالد ، ابن شيخ البلد ، يقوم بدور زوج بهية ـ ابنة العمدة الصغيرة !

●●●

يشاء القدر أن يبتسم لابراهيم « الجربان » بعد طول تجهم ، فيسافر الى الخارج ... ويغيب بضع سنين ، ثم يعود الى القرية ليهدم داره القديمة ، ويقيم أخرى جديدة ، ويتطاول بها حتى تصبح أعلى من دار العمدة ! .. وياليت الامر قد وقف عند هذا الحد ، لكنه تجاوزه حينما جاء ابراهيم بسيارة أطول من سيارة الدكتور ميخائيل طبيب الوحدة ، وحصل على ترخيص لاستغلالها « كاتوبيس » صغير يصل القرية بالمدينة ... ثم يأتى بما هو ادهى وأمر ، اذ يصبح ابراهيم شريكا للحاج متولى تاجر الحبوب ، فيشتريان معا جرارا زراعيا ضخما وماكينة رى !

ويضرب العمدة كفا بكف وهو يخاطب شيخ البلد :

ـ العجب العجاب هو أن هذا الجوعان «الجربان» يأتى عليه يوم وقد أصبح قارون القرية ! ..

ـ الحق معك يا حضرة العمدة ، ولعله من علامات القيامة .. ألم تسمع قول الشيخ سيد امام المسجد .. « وترى الحفاة العراة يتطاولون فى البنيان »؟!

●●●

وفى الحقيقة ان هذا الحقد المنصب على ابراهيم ، من جانب العمدة ، كان مصدره خيبة أمل العمدة فى ابنه الوحيد صلاح ... فقد جاء هذا الولد الى الحياة بعد مولد ست بنات ، وكان كلما كبر ، كبرت معه آمال العمدة ... فكم كان يود أن يتخرج صلاح طبيبا او مهندسا او ضابطا ... ولو كان الامر بيد العمدة كى يجعله كل هؤلاء معا لفعل ... لكن صلاح هجر « الكتاب » منذ اليوم الثالث ، بعد أن قذف « العريف » بحجر كاد يفقأ عينه الوحيدة المبصرة ..

وتحول امل العمدة تجاه المدرسة ، وبقى صلاح فيها ست سنوات لكنه خرج منها اجهل مما دخلها ... ثم انطلق بعدها كالثور الهائج يطارد فتيات القرية .. ويعربد ، ويدخن ... وانكرت ام صلاح

وانكرت ، وعندها تأكيد صمدا الى البحث عن عروس لصلاح .. لعل في هذا ما يصلحه ...

وثارت ثائرة العمدة

ـ من هذه المجنونة التي ترضى بابنك زوجا ؟ الا تعيشين في هذا العالم يا امرأة ؟ الا تعلمين ان ابنة بدير ، الخفير النظامي ، طالبة في كلية التجارة ؟ . وابنة حامد .. عامل التليفون ، طالبة في كلية التربية وما من احد في القرية الا وقد صلح حــاله ، حتى ابراهيم بن نفيسة ! ..

والتقطت زوجة العمدة طرف الخيط :

ـ اسمع يا عمدة ... لقد تذكرت امرا هامــا ، لماذا لا تتكلم مع ابراهيم عن بهية ابنتك ؟

ـ بأي وجه أقابله بعد أن رفضت الراضه ثمن تذكرة السفر ؟

وتبرق في رأس العمدة ذكرى ذلك اليوم ، يــوم ان رفض أن يأخذ حجة دار نفيسة كرهينة نظير ثمن تذكرة السفر ... ولم تجد نفيسة أمامها ســوى الحاج متولي الذي أخرج حافظة نقوده على مرأى من الجميع وتقد ابراهيم مائة جنيه ، ولم يأخذ حجــة البيت ... ويرمها سخر العمدة من الحاج متولي وقال له متهكما :

ـ لماذا لا تقرض مدبولي مجذوب القرية مائة جنيه اخرى ؟ لقد سمعت أنه ينوي السفر الى الخارج .. !

وواجه الحاج متولي العمدة بطعنة .

ـ لو طلب مدبولي بنفسه مائة جنيه لاعطيتها له على الفور ! ..

واصر العمدة على احراج الحاج متولي ، فاستدعى مدبولي المجذوب ، والح عليه كي يطلب النقـود من الحاج ، وهدده وتوعده اذا هو لم يفعل .. لكــن مدبولي ، بعد هذا كله ، لم يزد على أن طلب « كرسي عسل » ..

وضحك الحاضرون ، وبهت العمدة ! ..

●●●

وقالت زوجة العمدة :

ـ يا عمدة .. هذا الحادث مضى عليه اكثر من خمس سنوات ، ولا تنسى انك انت التي ربيت ابراهيم وكسوت اكتافه لحما ، فلا تترك للحاج متولي فرصة كي يلتهم ابراهيم كلقمة طرية ... والذي يطمئنني ويطمئنك هو ان الحاج متولي لم ينجب الااناث ونفيسة ام ابراهيم قد ماتت .

ـ وبماذا ابرر امتناعي عن اقراض ابراهيم ثمن تذكرة السفر ؟

ـ قل له انك كنت تشفق عليه من ركوب الطائرة .. وتخاف عليه من الاغتراب ... هل اعلمك الكلام يا رجل .. !؟

●●●

وفي مساء اليوم استقبل ابراهيم العمدة وشيخ البلد ، وقادهما الى غرفة فسيحة فرشت با رائك البلدية ذات الوسائد اللينة والكسوة الزاهية وكست ارضها سجادة ذات وبرة كثيفة ورسوم دقيقة الصنع بهيجة الالوان ، وزينت جدرانها لوحات آية في الفن والجمال .. وفي ركن من الحجرة تربع جهاز التليفزيون الملون فوق منضدة تنتهي ارجلها بمخالب السباع .. وبالقرب منها انتصبت مروحة كهربية تدير راسها يمنة ويسرة لتوزع انبل النسمات على الحاضرين بالعدل والقسطاس !

وكان العمدة قد اعد اجابة لما املته عليه زوجته ، فهو يحب الآن في درب الشيخوخة وارقه قد فقدت الراعي الامين بعد سفر ابراهيم ... الى الخارج ، وابنه صلاح لا امل في اصلاحه ،

وام صلاح دائمة السؤال على ابراهيم .. ولولا ان ساقيها لم تعد تقويان على حملها بسبب اتروما تيزم والسن ، لصحبت العمدة في هذه الزيارة ... وبهية الصغيرة التي نامت حسنا وجمالا ، وشرطها سراط العذارى فصارت عروسا تبارك العلان فيها أبدع وسرور ـ يلمع العمــدة في عينيها معنى الشرف بعد لوعة الفراق ..

ويخاطب العمدة شيخ البلد :

ـ وانتظرت ياشيخ عبدالقوي ان يسعى ابراهيم ابني الى بيته ، بيت ابيه العمدة ، .. ولكنه لم يفعل .. ويكاد ابراهيم يصارح العمدة بحقيقة الموقف .. لكنه يؤثر تأجيل المبارزة ، فالحديث عن بهية رقراق ، يطفىء ظما القلب ويروي غلة النفس ..

ويقول ابراهيم :

ـ ارجو ان تقبل عذري يا ابي العمدة .. فقد شغلني بناء الدار واعمال اخرى !

ويدور الشراب المثلج المشهي صفائح اوروبية ... ويفض ابراهيم الاغلفة الذهبية لعلب الدخان لم يستأذن ابراهيم في التفيب عشية ليعود محملا بالهدايا ، لكن العمدة يقسم يمينا بالطلاق بانه لن يأخذ شيئا الا بعد ان يأتي ابراهيم ليرى ام صلاح وبهية التي تربت معه على مائدة واحدة ..

●●●

وتطول السهرة وتمتد ويبسط العمدة نفسه على سجيتها ، ويرفع كل حــواجز الكلفة ، وتكثر تعليقاته على المسرحية الـفكاهية التي يعرضهـا التليفزيون ...

ويسأل الشيخ عبد القوي ابراهيم :

ـ وماذا كنت تعمل في الخارج ؟

ـ كنت اعمل في مشروعات انارة الريف .. بدات بحفر الارض .. وحمل الاعمدة والمعدات .. وكان العمل شاقا ومرهقا ، لكنني سرعان ما تعلمت مهنة توصيل الكهرباء ، فخف المجهود وزاد الاجر

ويهتف العمدة :

ـ ابن ابيك والله يا ابراهيم !

ويفتح ابراهيم درج المنضدة .. ويستخرج منه مجموعة من الصور ، ويدفع بها الى العمـدة ليتأملها ، بينما يعلق ابراهيم على المناسبـة التي التقطت فيها الصورة ..

وتقع عينا العمدة على صــورة انيقــة ملـونة لابراهيم ، فيتأمل خصلة الشعر المتدلاة تحت الطاقية الشبكة الدقيقة الصنع .. ويزحف منهـا الى الوجه الذي محيت من فوقه كل آثار الشقاء .. وامتلأ نضارة وحيوية .. ثم ينتقل الى الرقبــة البلورية الشامخة تحيط بها الاتســة الحريرية اللامعة « لياقة » ذلك الصدر العريض تتوسطه فتحة جلباب الصوف الانجليزي ، ويطل من تلك الفتحة شريط من الصديري المرصع بالازرار الصدفية ومن فوق الجلباب استقر المعطف الامريكي الصنع .. وتصل عينا العمدة الى اسفل الصورة حيث الحذاء الانيق يعلوه الجورب الفاخر .

ويكاد العمدة ينكر أن هــذا هو ابراهيم الذي عرفه .. فيعود ليتأمل الصـورة من جديد .. ثم يدفع بها الى يد شيخ البلد ليتأملها بدوره .. فيصيح الرجل :

ـ الله اكبر ... ماهــذه الاناقة كلها يا ابراهيم !؟

فيجيبه العمدة

ـ بذمتك ياشيخ عبد القوي .. الا يبـدو على ابراهيم هيبة العمودية ووقارها !؟

إلى الشباب

لكل سؤال جواب

هذا الباب الجديد الذي تفتحه مجلة الهلال للشباب يحاول ان يقدم للأجيال الصاعدة خدمة ثقافية واسعة المجال سواء فيما يتعلق بالقاعدة الثقافية للطلاب الطامحين الى اعداد انفسهم لمستقبل زاهر كما يتجلى في المادة العلميسة القديرة في الصفحات التالية

واستكمالا لهذه الخدمة نرجو الشباب ان يبعثوا الينا باسئلتهم سواء فيما يتعلق بالدراسة او الثقافة او مشاكل الحياة ..
وسنقوم بعرض الاسئلة على اساتذة متخصصين ونشر الاجوبه ونرجو ان تكون الاسئلة واضحة ومختصرة لكى يكون الجواب عليها وافيا بما يريد الشباب ....

تذكرة تفوق

للشباب ولطلاب الثانوية العامة

لا حظنا في مجلة « الهلال » ان عنصر الثقافة العامة يخرج من حياة ابنائنا في الجامعات شيئا فشيئا ، السباق نحو النجاح في الامتحانات يستحوذ على انتباههم كله ، وفي النهاية يتخرجون دون زاد ثقافي له قيمة .. وبدون شباب مثقف لا يمكن ان نبني أجيالا قوية قادرة على حمل امانة الوطن وعندما درسنا الامر تبينا ان المشكلة لا تبدا في الجامعة ، بل في التعليم الثانوي . فان سباق الدرجات والتقديرات لا يترك للشباب أي فرصة لقراءة سطر خارج عن الكتب المدرسية

فهناك دائما مدرسون محترمون يؤلفون كتبا علمية سريعة قد تجعل الطالب يحصل على درجة عالية في اللغة الانجليزية مثلا ـ دون ان يعرف اللغة .

انما هي نماذج موضوعات انشائية تحفظ وملخصات للكتب الأدبية المقررة تستظهر ...

ولا مكان للثقافة في هذا كله ...

وهذا هو الفراغ الذي قررنا في هذه المجلة ان نحاول ملئه دون ان نبعد الشاب عن المنهج المقرر له ..

كتب المادة العلمية :

- الدكتور جرجس الرشيدي

مستشار اللغة الإنجليزيـة

- الأستاذ محمد نجيب أبو العزم

الموجه بالتربية والتعليم

اللغة الإنجليزية

وطلبة الثانوية العامة

• د. جرجس فؤاد الرشيدى •
• مستشار اللغة الانجليزية •
• بوزارة التربية والتعليم •

● ليعرف الطالب الأسباب التى من اجلها تاتى اسئلة امتحان الثانوية العامة بالشكل الذى تاتى به، عليه ان يعرف بعضا من اهداف تعلم اللغة الانجليزية ، وبالتالى يعرف ما يجب ان يعد نفسه فيه من مهارات ، وهو مايكون بالدرجة الاولى المحور لاسئلة الامتحان.

يتبين من المقال السابق فى عددالهلال الماضى ان تعليم اللغة الانجليزية فى المدارس الثانوية يهدف الى تهيئة الطالب ليقرا مع فهم ما يقرا وليعبر عن نفسه تعبيراً سليما .. وهذان الهدفان مرتبطان ارتباطا مباشرا بالتين من المهارات اللغوية الاساسية ، وهما القراءة والكتابة ..

وهذا لا يعنى ان مهارتى الاستماع والمحادثة روربة كخطوة اساسية فى تدرب الطالب اللغوى ، وتؤدى حتما الى اتقانه المهارتين اللتين تعتمد عليهما اجابة اسئلة الامتحان اجابة صحيحة

وبناء على ذلك ، تنقسم اسئلة امتحان الثانوية العامة الى قسمين رئيسين ، قسم يحتاج الى ان يعبر الطالب من افكاره ويكون من عنده الجمل المطلوبة ، ويأتى ذلك فى الانشاء او فى اجابة اسئلة قطعة الفهم ذات

تنقسم أسئلة امتحان الثانوية العامة في اللغة الإنجليزية إلى قسمين رئيسيين . قسم يحتاج إلى أن يعبر الطالب عن أفكاره ويكون من عنده الجمل المطلوبة .. وقسم آخر يعتمد على فهم الطالب اللغة المقروءة ومعرفته بالتراكيب والمفردات الصحيحة فيما يعرض له .

الاسئلة المباشرة ، او فى اختصار كل او جزء من تلك القطعة ، او فى اجابة اسئلة الروايات المقررة فى القسم الادبى ، او فى الترجمة خاصة الترجمة من العربية الى الانجليزية ..

والقسم الاخر يعتمد على فهم الطالب للغة المقروءة ومعرفته بالتراكيب والمفردات الصحيحة فيما يتعرض له من قطع للفهم او جمل مفردة . ويختبر فهم الطالب ومعرفته بالصحيح مما يتعرض له باسئلة موضوعية فى شكل اختيار الاجابة الصحيحة من عدة اجابات تعطى له او باكمال جمل ناقصة بكلمة واحدة او باكثر او باجراء بعض التحويلات المحدودة فى جمل تعطى له .. ويعتبر السؤال موضوعيا اذا كان لا يحتمل اكثر من اجابة واحدة ، وحتى لو كان يحتمل اكثر من اجابة فيكون ذلك فى حدود ضيقة بحيث لا يختلف مقداران فى الدرجة التى تستحقها اجابة السؤال

• • •

وفى هذه السلسلة من المقالات سأتناول اسئلة الامتحان واحدا واحدا لابين لابنائى الطلبة الهدف من كل سؤال وما يقيسه بالضبط من مهارات لغوية ، ولماذا يأتى بالشكل الذى يأتى به مع نموذج لكل نوع من الاسئلة ، والطريقة المثلى للاجابة عليه ..

ولكن قبل أن ابدأ فى ذلك ، أرى ان افرد هذا المقال لتبصير الطالب بالطريقة المثلى لاستعمال الكتاب المقرر حتى يحقق الهدف المرجو منه فى تدريب الطالب على استيعاب واستعمال التراكيب اللغوية .

ان الكتاب المقرر الان للترشيد اللغوى لطالب المرحلة الثانوية هو

Practice and Progress

وليدرس الطالب هذا الكتاب الدراسة المطلوبة عليه أن يعرف الهدف من ادخاله فى المنهج

جرت العادة منذ القدم ان تقرر رواية مختصرة من الروايات المعروفة فى التراث الادبى الانجليزى فى كل سنة من سنى الدراسة فى المرحلة الثانوية يصاحبها كتاب اخر به مقطوعات طويلة اما علمية او ادبية او ربما رواية اخرى خاصة فى القسم الادبى . وكان جل اهتمام المعلم ان يعرف الطالب معانى المفردات اللغوية الجديدة التى تأتى فى سياق الرواية احيانا بالانجليزية وفى معظم الاحيان بالعربية ، مع الاهتمام بان يعرف الطالب تفاصيل احداث الرواية او محتوى القطع العلمية او الادبية المقررة

كانت النتيجة انما يزداد فعلا هو معلومات الطالب العامة وربما حصيلته من مفردات اللغة ولكنه كان يعجز تماما عن تركيب جملة سليمة او عن التعبير عما يدور فى ذهنه فى عبارة صحيحة . ولقد حاولنا محاولات متوالية لاقناع المعلمين ان يجعلوا الاهتمام بأحداث الروايات او المعلومات التى تتضمنها القطع المقررة تأتى فى المقام الثانى حتى يكون المقام الاول للتدريب

فى هذه السلسلة من المقالات سنتناول أسئلة الامتحانات واحدا واحدا لنبين للطالب الهدف من كل سؤال وما يقيسه بالضبط من مهارات لغوية، مع نموذج لكل نوع من الأسئلة، والطريقة المثلى للإجابة عليه ..

على استيعاب الانماط اللغوية والمفردات والتراكيب التى تأتى فى الرواية .. ولقد نجح بعض المعلمين فى ذلك نجاحا لابأس به ولكن معظمهم لم يتمكنوا من التخلص من الطريقة التى درجوا عليها ودرج عليها اسلافهم ، او من الوقوع تحت اغـــراء التركيز على الاحداث والمعلومات ..

ومما شجع المدرسين على الاسترسال فى هذا النهج ان الطلاب كانوا يستمرئونه ويفضلون ان يكونوا سلبيين فهذا أيسر من ان يشاركوا مشاركة فعالة .

وقد امكن لقلـة فقط من المعلمين النابهين ان يستخدموا الرواية كموقف يمكن ان يبدءوا منه تدريب الطـلاب تدريبا مكثفا على استخدام اللغة فى ذلك الموقف اولا ثم فى مواقف اخرى مختلفة . ولما ايقن المعلمون والطلبة ان طريقة التدريس السلبيـة التى ليس للطالب فيها دور ايجابى لم تأت بالنتيجة المرجوة من تنمية قدرة الطلاب على التعبير السليم باللغة التى يتعلموها ، لجأوا الى اعدادهم للامتحان بتحفيظهم اجابات اسئلة كثيرة على الروايات او الكتب او حتى موضوعات انشائية على امل الا تخلو اسئلة الامتحان من بعض مايعدونه. وحتى قطع الفهم عودوا طلابهم على اجابة اسئلتها بطريقة عشوائية دون فهم حقيقى للنص او قدرة حقيقية على تركيب الجمل التى تكون اجابات الاسئلة . وبذلك تعود الطلاب على نقل اجزاء من النص حرفيا على امل ان يتضمـــن ما ينقلوه الاجابة الصحيحة فيحصلون على درجات لا يستحقونها

***

ولما استفحل الامر بهذه الصورة رأينا أن ما يحتـاج اليه الطالب هو كتـاب تعليمى لا يركز على قصة او قطعة تعطى معلومات انما يكون كل التركيز فى على التدريبات اللغـــوية التى تنمى المهارات الاربع للطالب . وقد اخترنا كتاب Practice and Progress لانه يحقق ذلك الهدف باسلوب لا ينقل المعـلم والطالب فى طفرة عنيفة مما تعودوه الى اسلوب حديث جدا يعتمد كلية عـلى المواقف المتغيرة التى يتدرب فيها الطالب على استخدام اللغة كأداة لتوصيـل مايريد ان يقوله . فالقطع القصيرة التى فى كل درس من دروس الكتاب تشبـه الى حد ما القصص والمقطوعات التى اعتاد عليها الطـــالب ولكن لقصرها وبساطة موضوعاتها وعدم ارتباطها بعضها ببعض لا تشكل عبئا لغويا على الطالب أو تغريه بمحاولة تذكر ما جاء فيها من احداث او معلومات ، وبالتالى يتركـز اهتمامه فى التدريبات اللغوية التى يأخذها المعلم المتمرس كأساس للتحادث مـع الطلاب فى مواقف مشابهة أو مختلفة تحتاج التعبير فيها الى ما ألموا به من انماط لغوية .

ولكن للاسف مازال بعض المعلمـين وبعض الطلبة وكل الكتب الخارجيـــة يركزون على شرح تلك القطع تفصيليا

إذا تتبعنا كل ما تقيسه أسئلة امتحان الثانوية العامة من مهارات تجد أن الكتاب يدرب الطالب عليها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، وعلى الطالب أن يقوم بهذه التدريبات ليعد نفسه للإجابة لهذه الأسئلة .

ويهتمون بمعاني كل المفردات التي ترد فيها ويضيعون الوقت في أسئلة واجابات للتأكد من استيعاب الطلاب لتفاصيل ما يجيء فيها من أحداث أو معلومات وهو ما يجعل الكتاب لا يؤتي الثمرة المرجوة منه

وفي الواقع فان القطعة التي في اول الدرس لا أهمية لها اكثر من انها وعاء مناسب لبعض المفردات والتراكيب التي يجب على الطالب أن يستوعبها ويضيفها الى حصيلته اللغوية التي يستخدمها في التعبير من نفسه . كذلك تشتمل كل قطعة على نمط لغوي هو ما يرمي المؤلف الى ابرازه للطالب كي يتدرب على استعماله والنسج على منواله . وبناء عليه فالمطلوب من الطالب اثناء قراءته للقطعة الا يهتم كثيرا بما يجيء فيها وانما يحاول فهمها كتدريب على القراءة مع الفهم reading comprehension ثم يستخرج منها المفردات والتراكيب الجديدة ويتدرب على استخدامها في مواقف او جمل من عنده ثم يتعرف على النمط اللغوي الذي تشتمل عليه القطعة وعادة ينص عليه الكاتب في السطر الاول تحت عنوان key structures قبل التدريبات التي يعطيها على هذا النمط . وعلى الطالب أن يتدرب على استخدام النمط اللغوي في جمل من عنده كما هو مطلوب في الكتاب وربما في مواقف اخرى تتصل اكثر بحياته اليومية

والتدريب على استخدام الانماط اللغوية هو اهم ما يجب ان يشغل بال المعلم والطالب في درس اللغة الانجليزية لان اللغة ما هي الا مجموعة من الانماط اللغوية التي اذا اتقن الطالب استعمالها في جمل سهل عليه ان ينسج على منوالها وبالتالي تنمو مهارته في التعبير التلقائي في كافة المواقف . ويقدم المؤلف للطالب اربعة وعشرين نمطا لغويا يفترض ان استيعابها كفيل بان ييسر للطالب التعبير باللغة الانجليزية السليمة . ويشتمل كل درس من الدروس الاربعة والعشرين بالوحدة الاولى من الجزء الاول للكتاب على احد هذه الانماط . فيبدأ مثلا بالترتيب الطبيعي للكلمات في الجملة الانجليزية فيأتي اولا الفاعل (who - which - that) يليه الفعل « action » ثم المفعول who - whom - which -that ثم الحال (how) ثم ظرف المكان (where) ثم اخيرا ظرف الزمان (when) الذي يمكن ايضا ان يأتي في اول الجملة . وهذا مثال لجملة انجليزية كلماتها مرتبة على هذا النمط The children played games quietly in this room yesterday.

ويمكن وضع Yesterday في اول الجملة

ثم يقدم في الدروس التالية استخدامات الازمنة المختلفة tenses بادئا بالمضارع what happens ثم الماضي what happened ثم what has happened ثم استخدام a, the, some ثم يعود الى ازمنة الافعال what was happening

ثم درجات الصفة ثم المبني للمجهول ثم المستقبل what will happen ثم what will be happening ثم what had happened ثم الـ indirect speech الجمل التي تبدأ بـ If يتبعها الفعل المضارع ثم استخدامات may, can have to, must واستخدام بعض الحروف prepositions بعد بعض الافعال . وفي الوحدة الثانية من الجزء الاول يكرر المؤلف نفس الانماط وبنفس الترتيب ولكنه يستخدم جملا مركبة اي مكونة من جزءين او اكثر مربوطة بادوات ربط مثل

and, both ... and, so, or, but, neither .... nor, either ... or not only .. but .. as well. which, whom, who whose, that

مع بعض الاشكال الاكثر تقدما للانماط والتراكيب التي درب عليها الطلاب في الوحدة الاولى . اما في الوحدة الثالثة في الجزء الثاني فيعيد المؤلف تقديم نفس الانماط في جمل معقدة اي مكونة من جزءين او اكثر ترتبط بادوات مثل

whose, that, which, whow, who

وادوات الزمن مثل

when, before, after, until, as, since, while where, as

وادوات اخرى مثل

(because)

since, because, بمعنى بما ان although, in order that, how ever, now that,

واستعمالات اخرى لـ If . اما في الوحدة الاخيرة من الجزء الثاني وهي الوحدة التي يدرسها الطلاب في السنة الثالثة الثانوية فيقدم الانماط مرة اخرى في جمل مختلفة التراكيب والاشكال

والمفروض في طالب الثانوية العامة ان يكون ملما بالاجزاء الاربعة وليس ذلك بالكثير بعد ان عرفنا ان الانماط تتكرر بنفس الترتيب في الوحدات الاربع بحيث ان الطالب الذي يدرس الجزء الاخير يدرس الاجزاء الاخرى دون ان يدري خاصة واننا كما بينت سالفا لن نهتم بمضمون القطع .

ولكن اذا احس الطالب ان النمط يقدم في الوحدة الرابعة بشكل متقدم يصعب عليه استيعابه فيمكنه ان يرجع الى نفس النمط كما قدم في الوحدة الاولى او ربما الثانية او الثالثة . ويذكر الكاتب دائما بجوار كل نمط جديد يقدمه رقم الصفحات التي جاء فيها النمط بصورته الاكثر بساطة في الوحدات السابقة

وليزيد الكاتب من معلومات الطالب اللغوية ، يقدم له مع كل درس تحت عنوان special difficulties بعض التراكيب التي تفيد الطالب في التعبير . والمفروض ان يستوعب الطالب هذه التراكيب لانها تدخل في بناء كفايته اللغوية .

وحين اقول يستوعبها اعني انه يعرفها ويتدرب على استعمالها اولا في الموقف الذي قدمت له فيه ثم في مواقف اخرى غير التي جاء فيها في الدرس

وهذه الطريقة في التدرب على استخدام الانماط والتراكيب اللغوية جعلت دراسة قواعد اللغة grammar بالطريقة التقليدية لا ضرورة لها مطلقا . قد يلفت المعلم نظر الطلاب الى قاعدة احيانا اذا راى ان ذلك يساعدهم على استيعابها ولكن ثبت بالتجربة ان تدريب الطالب على استخدام الانماط بطريقة تلقائية وذلك بممارستها اثناء الدرس اجدى بكثير من شرح القاعدة التي يقوم عليها النمط ولذلك نجد ان المؤلف كثيرا ما يتجنب ذكر ازمنة الافعال فيقول what happens Present tense وهكذا

واذا تتبعنا كل ما تقيسه اسئلة امتحان الثانوية العامة من مهارات نجد ان الكتاب يدرب الطالب عليها بطريقة مباشرة او غير مباشرة . وعلى الطالب ان يقوم بهذه التدريبات ليعد نفسه لاجابة هذه الاسئلة . واذا كنا سنتناول انماط الاسئلة كل على حدة في مقالات قادمة الا اننا ونحن هنا بصدد ذكر ما يمكن للطالب ان يستفيده من الكتاب المقرر سنسرد في عجالة انواع التدريبات التي يمكن للطالب ان يستقيها من الكتاب

إن تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس الثانوية يهدف إلى تهيئة الطالب ليقرأ مع فهم ما يقرأ وليعبر عن نفسه تعبيرا سليما .. وهذان الهدفان مرتبطان ارتباطا مباشرا باثنتين من المهارات اللغوية الاساسية ، وهما القراءة والكتابة .

ففي الكتاب تدريبات عديدة على كتابة الفقرات الانشائية بالاستعانة بكلمات مساعدة وهذا يدرب الطالب على تركيب الجمل وربطها بعضها ببعض باستخدام أدوات الربط التي تقدم له ابتداء من الوحدة الثانية الى آخر جزئي الكتاب وكذلك ترتيبا منطقيا حتى يكون في الفقرة فكرة تتطور من اولها الى آخرها . واذا كان الكتاب يدرب الطالب على كتابة فقرات مرتبطة بالقطع التي تجيء فيه فهذه مرحلة اولى من مراحل التدريب وعلى الطالب ان يحاول ان يستخدم نفس الطريقة لكتابة فقرات في موضوعات أخرى بعيدة عن مادة الكتاب وهو ما يطلب منه في امتحان الثانوية العامة

كذلك يدرب الكتاب الطالب على القراءة مع الفهم لقطعة معينة مع تلخيصها كلها او جزء منها . لذا عليه أن يتدرب على ذلك تدريجيا بادئا باجابة الاسئلة المباشرة التي تلي كل قطعة وترتيب هذه الاجابات بحيث يكون مجموعها ملخصا للقطعة وبالتدريج ينتهي الى ان يفهم نصا لم يتعرض له من قبل ويجيب على اسئلة عنه تختبر فهمه له ثم تلخيص النص او جزء منه . وبالطبع سيؤخذ في الاعتبار المحصول اللغوي للطالب المتوسط في اختيار او كتابة قطع الفهم للامتحان

ويعطي الكتاب ايضا تدريبا تدريجيا على كتابة الرسائل وعلى الطالب أن يتمشى مع هذا التدريج بحيث يبدأ بالتدريب على كتابة العنوان والتاريخ والتحية في أشكالها واماكنها الصحيحة ثم يتدرب على اختيار الجملة الاولى المناسبة للغرض الذي من اجله يكتب الخطاب ثم كيف يكتب الخطاب نفسه وختامه

وفي الكتاب تدريبات كثيرة على التراكيب والانماط اللغوية التي تقدم تحت عنوان

special difficulties, key structures

وتأتي هذه التدريبات مع كل درس من الدروس كما تأتي في التمرينات المتنوعة في اخر كل جزء من جزاي الكتاب . وننصح الطالب أن يجيب على كل هذه الاسئلة لان اسئلة اللغة في امتحان الثانوية العامة لن تخرج في شكلها عن تلك الاسئلة ولو أن مضمونها سيختلف بطبيعة الحال ولكن هذه أو تلك تعتمد أساسا على الالمام التام بما يقدم الكتاب من انماط وتراكيب

وبالاختصار فان كتاب

Practice and Progress

يشتمل على كل التدريبات اللغوية التي يحتاج اليها الطلاب فاذا اخذوها بجدية وتدربوا عليها وعلى مثيلاتها فلاشك ان مستواهم التحصيلي في اللغة الانجليزية سيرتفع وسيسهل عليهم التعبير بها شفاهة وكتابة وبالتالي سيسهل عليهم الحصول على درجات عالية في الامتحان . ●●

من دروس الأدب والنصوص
المدرسة الرومانسية في الوطن العربي

● محمد نجيب ابو العزام ●
● الموجه بالتعليم الثانوى ●
● ومقدم البرامج التعليمية بالتليفزيون ●

● **النزعة الرومنسية فى الشعر العربى ظاهرة ادبية وضحت معالمها فى العصر الحديث نتيجة لظروف وعوامل عدة :**

منها ما يتصل بالظروف الاجتماعية والفكرية التى مرت بها البلاد والامة العربية ومنها ما كان ثمرة لاطلاع ادبائنا على الشعر الرومانسى العربى . ومنها ما جاء نتيجة لرفض النهج التقليدى الذى سارت عليه المدرسة الكلاسيكية الجديدة .

***

والحديث عن المدرسة الرومنسية فى الوطن العربى يدعونا الى ان نقف امام معالم رئيسية ثلاثة :

* الشاعر خليل مطران .. كرائد لهذه المدرسة

* جماعة الديوان .. التى روجت للنزعة الرومنسية

* جماعة ابولو . التى اتخذت من مطران ابا روحيا لها ..

***

خليل مطران ..

وتتمثل البداية الاولى للرومنسية فى شعر مطران الذى تأثر بما اطلع عليه من الشعر الفرنسى الرومنسى ، وبنشأته فى احضان الطبيعة الساحرة فى لبنان ، وبما اوتيه من حس مرهف وعاطفة جياشة واحساس دائم بالغربة والوحدة ، فهو لبنانى هاجر تحت وطأة الظلم والعسف العثمانى الى فرنسا ثم الى مصر ..

وقصيدة المساء التى كتبها مطران تعد نموذجا مكتملا لهذه النزعه الرومنسية

***

ومن ابرز سمات الرومانسية عند

تمثل البداية الأولى للرومانسية في شعر خليل مطران الذي تأثر بما اطلع عليه من الشعر الفرنسي الرومانسي وبنشأته في أحضان الطبيعة الساحرة في لبنان، وبما أوتيه من حس مرهف وعاطفة جياشة.

مطران اننا نجد في شعره .

* التعبير عن العاطفة المشبوبة والوجدان الصادق .

* الانفعال بالطبيعة والاندماج فيها

* الشعور الدائم بالغربة في مجتمع ا... الشرور بأهله .

* تحليل العواطف الانسانيـة ، و... الجمال ، والنزوع نحو الخير والمثل العليا .

* الجنوح الى الخيال الواسع البعيد وبناء القصيدة بناء تصويريا .

***

وفى مقدمة ديوان مطران دعوة الى لتجديد فى الشعر العربي تتمثل في اتي:

ـ أنكر مبدأ وحدة البيت في القصيدة ودعا الى ضرورة تحقق البناء العضوي للقصيدة فلا ينفصل البيت عن سابقه ولا تاليه .

ـ القصيدة تعبير عن تجربة شعورية ذاتية لها طابعها الفردي ، ولا يمنع ذلك من انها قادرة على التأثير في الآخرين .

ـ وحدة الموضوع ، فلا تتعدد الاغراض في القصيدة الواحدة .. ولا ينتقل الشاعر بين الغزل والفخر ، والوصف والمديح ، والشكوى والحكمة كما كان الحال في المعلقات الجاهلية .

أما موقف مطران من اطار القصيدة لخارجية فقد حرص الى حد كبير على الارتباط بوحدة الوزن والقافية ، كما حرص على سلامة اللفظ ورصانته وقوة الاسلوب ومتانته ، متأثرا في ذلك بالخبرة التي اكتسبها من الشعر القديم ومع ذلك فقد جاءت القائه حية نابضة قوية الإيحاء والتأثير .

***

جماعة الديوان .

لقد لقيت النزعة الرومانسية التي نداها مطران استجابة وتأييدا لدى ثلاثة من الرواد الذين حملوا راية التجديد في الشعر العربي . وهم :

العقاد . والمازني . وعبد الرحمن شكري الذين تأثروا في منهجهم بالادب الانجليزي .

وقد أطلق عليهم اسم « جماعة الديوان » لان العقاد والمازني قد كتبا كتابا أسمه « الديوان » تناولا فيه الكثير من قضايا الشعر العربي المعاصر وبالاخص موقفهما من شعراء المدرسة الكلاسيكية ـ هذا الموقف الذي يتسم بالرفض والعداء السافر واتهام شعرائها بالاتباع والتقليد فسموها بالمدرسة الاتباعية ، ووصفوا شعراءها بالمقلدين .

وكان هذا الرفض حافزا لهم للبحث عن البديل . ومن هنا فقد التقوا مع مطران في الخطوط الاساسية العريضة

* الشعر تعبير عن تجربة شعورية ذاتية

ـ الشعر ينبغي ان يكون تعبيرا عن وجدان الشاعر ويحمل السمات النفسية لقائله

النزعة الرومانسية في الشعر العربي ظاهرة أدبية وضحت معالمها في العصر الحديث نتيجة لظروف وعوامل عدة منها ما يتصل بالظروف الاجتماعية والفكرية، ومنها ما كان ثمرة لاطلاع أدبائنا على الشعر الرومانسي الغربي، ومنها ما جاء نتيجة لرفض النزوع التقليدي الذي سارت عليه المدرسة الكلاسيكية الجديدة.

* ضرور تحقق الوحدة العضوية للقصيدة فليس من الشعر الجيد شعر ينفصل فيه البيت عن غيره، ولا الشعر الذي يمكن تقديم بيت فيه على آخر او حذف ابيات منه لم لا يتأثر البناء الفنى للقصيدة .

* الاعتماد على الخيال الى حد بعيد ورسم الصور الكلية الممتدة الواسعة .

وقد حاول عبد الرحمن شكرى أن يكسر مبدأ وحدة القافية فكتب ما يعرف بالشعر المرسل الذى ينتهى كل بيت فيه بقافية خاصة ومن ذلك قوله :

أرى فى اليوم ما هو فى أخيه
كذلك تكون أبقار السواقى ..
ولولا عصب عينيها لمسكت
تعانى الموت والسأم الثقيلا
ولولا نعمة الأمل المرجى
لأسلمنا النفوس الى الحمام
وليس العيش الا ما نعيشه
به أيام نمرح فى الشباب

وقد أيد العقاد والمازنى أول الأمر هذا الشكل فى الشعر، ولكنهما عادا الى الوزن الواحد والقافية الواحدة ولم يرق لهما هذا النوع من الشعر ..

***

● جماعة ابوللو :

فى عام ١٩٣٢ ظهرت حركة رومنسية فى الوطن العربى تمثلت فى جماعة شعرية تزعمها د . أحمد زكى ابو شادى، وكان لها ممثلون فى كل أنحاء الوطن العربى . ونذكر منهم ابراهيم ناجى، والتيجانى يوسف بشير بالسودان وابو القاسم الشابى من تونس

وهذه الجماعة قد اتخذت من مطران أبا روحيا لها كما قلنا ذلك لأنهم ساروا على السمات الأساسية للرومنسية فهم جميعا :

* يؤمنون بالتجربة الشعورية الذاتية .

* ويقدسون الطبيعة ويلقون أرواحهم فيها

* وهم فى الغالب مستسلمون للآلام والأحزان .

ومن أبرز ملامح التجديد عند شعر جماعة أبوللو

* تحرير القصيدة من وحدة القافية واستخدام عدد من القوافى فى القصيدة الواحدة .

* تقسيم القصيدة الى مقاطع كل مقطع يمثل وحدة معنوية وفكرية وشعورية

يقوم مقام وحدة البيت فى القصيدة الكلاسيكية .

* ايثار اللفظ الهادى الناعم الرقيق والبعد عن الكلمة الحوشية الغريبة مما جعل الاداء الموسيقى هامسا ناعما بدلا من الصخب وطنطنة الألفاظ

* الاكثار من الخيال المركب والصور الكلية الممتدة .

ونأتى الى دور التطبيق .. فنعرض

لقيت النزعة الرومانسية استجابة وتأييداً لدى ثلاثة من الرواد الذين حملوا راية التجديد في الشعر العربي وهم العقاد، المازني، عبد الرحمن شكري الذين تأثروا في منهجهم بالأدب الإنجليزي .

نموذجا شعريا لهذه المدرسة متمثلا فى قصيدة .

ظلام
للشاعر ابراهيم ناجي

❁❁❁

ابراهيم ناجى طبيب وشاعر ، مارس الطب باحساس الشاعر، وكتب الشعر مبضع الطبيب ، وهو من المعالم البارزة للشعر الرومنسى، ورائد من رواد جماعة ابوللو ..

التجربة الشعورية الذاتية فى النص

فى حياة الشاعر الكثير من التجارب العاطفية الا ان تجربة بعينها ملأت حياة الشاعر وامتدت فى عمره وضن الشاعر ان يبوح بسرها الا للخاصة من اصدقائه واستخدم التورية فى الافصاح بهذا السر حين اهدى ديوانه الاول الى « ع.م.ط» حيث ظن القارىء لهذا الاهداء انه يعنى صديق عمره الشاعر على محمود طه ، ويعلم الله الى من كان يشير بهذه الاحرف الثلاثة .

والنص الذى بين ايدينا صدى من الاصداء التى تجاوبت بين اطلال ناجى وبين ظلامه النفسى الذى عاش فيه .. فهو دائما يعزف على وتر الحرمان والام الصد والهجران .

واول ما يستوقفنا فى هذا النص ذلك العنوان الذى اختاره الشاعر لقصيدته « ظلام » .. فهو كلمة مفردة نكرة ، ولهذا التنكير دلالة خاصة وهى ان الشاعر لا يعنى الظلام المحسوس الذى نعرفه ، وانما يعنى ظلاما نفسيا خاصا هو وحده الذى يعرفه .

ولقد اختار الشاعر نظام المقاطع كاطار شعرى لتجربته الشعورية وما بها من دفقات ووحدات فكرية اذ لا يكفى البيت الواحد لاستيعاب الدفقة الشعورية والوحدة المعنوية والفكرية التى يريد الشاعر ان يعبر عنها ، ومن ثم فقد اختار نظام المقطع المكون من اربعة ابيات ليذيب فيه فكرته وشعوره

المقطع الاول

حوار داخلى

لا تقل لى ذلك نجم قد خبا
يا فؤادى ، كل شىء ذهبا
ذلك الكوكب قد كان لعينى
السموات ، وكان الشهبا
هذه الانوار ما اضيعها
صرن فى جنبى جراحا وظبى
كلما امتدت شعاعا خلفت
بعده سجنا ومدت غضبا

ففى هذا المقطع نجد الحوار الذى يدور بين الشاعر وقلبه .

قلب الشاعر وهو مستودع اسراره وهمومه يحاول ان يخفف من صاحبه الامه ، احزانه فيدعوه الى ان يفترض ان حبه كان مجرد نجم اضاء فى حياته حينا ثم اختفى ، وهكذا شان النجوم تافل وتسطع وتخبو وتلمع .. والسماء غنية بالنجوم .

ولكن الشاعر يرفض هذا النداء المنبعث من داخله قائلا :

انها لم تكن ذلك النجم . وانما هي كونه الخاص .. هي كوكبه الذي يحوطه هي سمؤه بكل مافيها من نجوم وشهب ، فاذا خبت كل هذه الانوار فاذن « كل شيء ذهبا » . واذاضاع كل هذا منه

سوما اقسى هذا الضياع — فلن يبقى بين جنبيه الارماح تجرح وجراح تؤلم .. وان يبقى الا ذكريات تاسره فيحيا سجين هذه الذكريات.

ولعلنا نلحظ في خيال الشاعر ذلك الامتداد حين يشبه حبيبته بالكوكب لم بالسموات ، والشهب.. وحين يصور الانوار التي ضاعت بالرماح والجراح ، وبالسجن والقضبان .

كما نحظ ايضا انه جعل من قلبه انسانا وصديقا يحاوره ويتحدث اليه ولا يغيب عنا ذلك النغم الحزين الذى يسرى في الابيات ويمثل الخيط الشعورى بين كل المقاطع . ويتمثل هذا النغم في الاحساس بالضياع الذى نستشفه من قوله « كل شيء ذهبا » . ومن اسلوب التعجب « ما اضيعها » او الاحساس بالالم في قوله « صرن في جنبي جراحا وقلبي » والشعور بالوحدة والعزلة ، قوله « صرن في جنبي جراحا وقلبي » والشعور بالوحدة والعزلة في قوله « خلقت سجنا ومدت قضبا »

***

المقطع الثانى ،

« صراع بين العقل والحب »

قلت اسلوه وكم من طعنة
بالمغارة وبالوقت تهون
فاذا حبك يطغى مزبدا
كتفوق السيل طغيان الجنون
وكذا تمضى حياتى كلها
بين ياس ورجاء وظنون

ما على الهجر معين ابدا
وعلى النسيان لا شيء يعين

وفي هذا المقطع تلمح سمة بارزة من سمات المدرسة الرومنسية وهى الارتباط العضوى بين الابيات ومابينها من تلاحم وترتيب يتعذر بل يستحيل معه ان تقدم بيتا على بيت .

ففى البيت الاول من المقطع نسمع نداء صادرا من عقل الشاعر يدعوه الى السلو والنسيان وشغل النفس بما يهون عليها الام الحرمان وان يستعين بالزمن على تخطى الجراح حتى تندمل

وفى البيت الثانى نجد رد الفعل السريع المفاجىء لذلك النداء وتلك المراجعة حين تهجم عليه مشاعر الحب الكبير ثائرة كالموج الهادر كالسيل المندفع كالجنون الثائر .

وعندئذ نرى الشاعر — كما في البيت الثالث — يحيا ممزقا حائرا بين الامل الذى يراوده من مراجعة العقل واليأس الذى ينتابه من ثورة الحب .

واخيرا يقر الشاعر بالاستسلام والعجز فلا جدوى من محاولة النسيان ولا امل في علاج ناجع لما احدثه الهجر في نفسه وهكذا نجد انفسنا امام بناء متماسك للابيات لا ينفصم فيه البيت من سابقه ولا من تاليه ، ولا يمكن معه ان تحذف بيتا دون ان يختل البناء ويهتز الفكر وينتقص المعنى .

***

المقطع الثالث :

« اثر الحب »

ذلك الحب الذى علمنى
ان احب الناس والدنيا جميعا
ذلك الحب الذى صور من
مجدب القفر لعينى ربيعا
انه بصرنى كيف الورى
هدموا من قدسه الصرح المنيعا
وجلالى الكون في اعماقه
اعينا تبكى دماء لا دموعا

في عام ١٩٣٢ ظهرت حركة رومانسية في الوطن العربي تمثلت في جماعة شعرية وهي جماعة أبولو وتزعمها د. أحمد زكي أبو شادي وكان لها ممثلون في كل أنحاء الوطن العربي ..

في هذا المقطع تطالعنا الخصائص الرومنسية البارزة في شعر ناجي وهي النزعة الانسانية . والخيال الممتد والموسيقى الهادئة اما النزعة الانسانية فتتمثل في ذلك الحب الـكبير الذى طهر قلب الشاعر من كل آثار الحقد والاثرة وسما بنفسه حتى اتسعت لحب الكون والناس والدنيا باسرها . والذى لون الحياة بالوان تشيع البهجة في قلبه والطمأنينة في نفسه فاذا الارض الجرداء الموحشة تبدو امام عينيه كأنها ترفل في حلل الربيع الحية البهيجة ولقد تعلم الشاعر من خلال هذا الحب النبيل شيئا جليلا فقد ادرك خطيئة البشر حين فهموا هذه العاطفة النبيلة فهما خاطئا وهبطوا بمعنى الحب الى المعنى الغريزى الرخيص ، فاذا بالكون الذى يقوم على مبدأ الحب يتألم ويتوجع لهذه النظرة القاصرة التى اساءت الى معنى الحب السامي النبيل .

واما الخيال الممتد فذلك الذى نلمحه في تلك الصورة الخيالية الواحدة التى تشخص الحب وتجعل منه انسانا يعلم ويصور ويبصر . ويجلو الحقيقة امام عين الشاعر . صورة واحدة تمتد بطول المقطع كله .

واما الموسيقا الهادئة . فنحس اثرها من تلك اللغة الهادئة والتراكيب المرنة السلسة . وهذا الهدوء وتلك المرونة انما يرجعان الى ان التجربة عاطفية ذاتية والشاعر يتجه هنا الى داخل نفسه فاذا تحدث بدا وكأنه يتحدث الى نفسه . والمعهود في حديث النفس ان يكون هامسا هادئا خفيض النغم بعيدا من الصخب وضجيج الالفاظ

●●●

المقطع الرابع :

« همسة عتاب »

لم تعينيني على صرف النوى
آه لو كنت على الدهر اعنت
فسعر نكس مني هامتي
آلذ السهر بيني وانت
وعجيب امر حب لم يهن
هو لو هان على نفسي لهنت
لهف نفس لهفة لا تنقضي
كنت دنياي جميعا كيف كنت ؟

المقطع الخامس :

« سمو واندفاع واحتراق »

كنت في برج من النور على
قمة شاهقة تغزو السحابا
وانا منك فـــراش ذائب
في لجين من رقيق الضوء ذابا
فرح بالنور والنار معا
طار القمة محموما وآبا
آب من رحلته محترقا
وهولا بالوله حبا وعتابا

وفي هذين المقطعين تطالعنا ظاهرتان بارزتان تقف امامهما وقفة متأملة متأنية :

الاولى .. ذلك الترابط الفكرى بين المقطعين . فالشاعر بعد ان عاتب

محبوبته التي لم تقف بجانبه امام احداث القدر والتي قضت بالبين والفراق وتركته وحيدا في لهفة تعصف بقلبه ـ يختم المقطع بسؤال فيه كثير من العجب والحيرة .. كيف كنت ؟ ثم يجيب عن هذا السؤال في المقطع الاخير .

وهنا نجد السؤال في مقطع والجواب في المقطع الذي يليه وهذا يؤكد لنا ما قلناه من ان بين المقاطع ترابطا فكريا قويا وان القصيدة قد تحقق فيها ما نسميه بالوحدة العضوية وحدة الموضوع والترابط بين اجزائها ووحدة الشعور وهو الاحساس بالحيرة والضياع والتمزق والالم الذي يمتد من بداية القصيدة حتى نهايتها .

اما الظاهرة الثانية ، فهي ظاهرة الخيال المركب . او الخيال الكلي الذي يتألف من مجموعة من الصور الجزئية الخيالية ليتكون من مجموعها صورة كلية متسعة وهذه الصورة الكلية نراها في المقطع الخامس فهي صورة تجسم لنا طبيعة العلاقة التي كانت بين الشاعر وحبيبته فهي في برجها العالي المضيء تتسامى وتترفع وتتأبى وتتدلل ، وهو كالفراش الذي يندفع بحرارة الشوق الى هذه القمة فيذوب وينصهر ويسعد ويتألم ثم يعود في النهاية محترقا معذبا كسير النفس وهو مع ذلك لا يكف عن حبها وعتابها .

صورة مادية محسوسة تتمثل في القمة والنور والضوء الفضي الرقيق ، والفراش الذي يندفع ويلهو ويطير ويعود من طيرانه محترقا . ولكنها تنقل الينا حالة نفسية معنوية هي تسامي المحبوبة ولهفة المحب واندفاعه والفرحة الطاغية التي تملأ قلبه لحظة لقائه بمن يحب . ثم الالم النفسي الذي يلمه من تدللها وصدها وهجرها ، ثم العودة آخر المطاف كسير النفس مهموم القلب ثم الاصرار على استمرار الحب الذي لم يهن ولم يرخص في قلب شاعرنا الكبير .

وبعد : فهذه ملاحظات مجملة حول قصيدة « ظلام » التي تمثل نرجسا شعريا جديدا بالقياس الى شعر المدرسة الكلاسيكية . نهج له مقوماته المعنوية والفنية المتميزه . هذا النهج ينتمي الى حركة شعرية واسعة عرفت في الادب الحديث باسم المدرسة الرومنسية .

سؤال حول قصيدة « ظلام »

يقول الشاعر ابراهيم ناجي :

قلت اسلوك وكم من طعنة
بالمداراة وبالوقت تهون

فاذا حبك يطغى مزبدا
كدفوق السيل طغيان الجنون

وكذا تمضي حياتي كلها
بين ياس ورجاء وظنون

ما على الهجر محسن ابدا
وعلى النسيان لاشيء بعين

ـ وضح باسلوبك الصراع الذي دار في نفس الشاعر من خلال هذا المقطع .

ـ ما مرادف كلمة « المداراة » ؟ وما قيمة التعبير بقوله « فاذا »

ـ في البيت الثاني خيال وضحه وبين اثره في تجسيد احساس الشاعر

ـ في البيت الثالث محسن بديعي . استخرجه وبين علاقته بما قبله

ـ في البيت الرابع تقديم عينه وبين قيمته في المعنى .

ـ قصيدة « ظلام » تمثل نهجا شعريا « مدرسة شعرية » فما السمات البارزة لهذا النهج الشعري .

محمد نجيب ابو العزم
الموجه بالتعليم الثانوى
ومقدم البرامج التعليمية بالتليفزيون

من عبقرية

عمر

العدل العمرى

● محمد نجيب ابو العزم ●

العدل : هو المساواة بين ابعد الناس واقربهم فى الحقوق والواجبات

والعدل العمرى الذى اتسم به عمر كما لم يتسم به احد قد استمد وجوده من روافد شتى واسباب متعددة نجملها فيما يأتى :

١ ـ الوراثة :

لقد ورث عمر القضاء من قبيلته وآبائه واجداده . فهو من بنى عدى الذين اشتهروا بين العرب بالعلم والحكمة فتولوا السفارة والتحكيم بين القبائل فى المنافرات والخصومات، وكانوا المتحدثين بلسان قريش الى غيرها من القبائل . فهو عادل ناشىء . فى مهد الحكم والقضاء .

٢ ـ القوة واستقامة الطبع .

لقد ورث عمر القوة والبأس من امه وابيه وجده والرجل القوى ذو البأس لا يحابى ولا يجامل ، فلا يميل مع الاقوياء لانه غير جبان ولا يظلم الضعيف لان ذلك عيب تأباه المروءة والكبرياء .

٣ ـ عبر الايام وتجارب الحياة ،

ونعنى بذلك الظروف القاسية التى مرت بها قبيلة بنى عدى الذين ذاقوا مرارة الظلم من بنى عبد شمس حتى اضطروهم الى الجلاء عن ديارهم لولا حماية من بنى سهم ابقت عليهم فلم يخرجوا . ومن هنا استقر فى قلوبهم بغض الظلم وحب العدل .

٤ ـ تعاليم الدين الاسلامى

فالدين الاسلامى يدعو الى العدل ويحث عليه . قال تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان » .. وقال جل شأنه « واذاحكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وعمر بن الخطاب من اشد المسلمين تمسكا بتعاليم الدين .

تلك الاسباب المتعددة جعلت العدل العمرى مستقيما لا يتناقض متساندا لا يتخاذل. فلانراه عادلا حينا ومنحرفا عن العدل حينا آخر . هذا العدل قد ملأ قلوب الناس روعة واعجابا فتحدثوا عنه وأشادوا به وبالغوا فى تصويره حتى أوقعهم ذلك في التناقض فكيف طرا هذا التناقض ؟ .

سبب التناقض

الصفات العظيمة اذا بلغت مبلغ القوة والبطولة ملأت قلوب الناس والرواة والمؤرخين بالاعجاب ، والاعجاب بدوره يدعو الى المبالغة فى عرض هذه الصفات . والمبالغة قد تؤدى الى التناقض ، واذن فمرجع التناقض هو المبالغة ، وليست المبالغة فى طبيعة الصفة العمرية صفة العدل .

وخير مثال لهذه المبالغة التى ادت الى ظهور التناقض فى صفة العدل هو قصة عمر مع ابنه عبد الرحمن .

وموجز القصة ان عبد الرحمن بن عمر شرب شرابا مسكرا ، فذهب الى عمرو بن العاص ليقيم عليه الحد ... فاقامه عليه فى فناء داره، وكان الواجب ان يقيمه على مشهد من الناس .. فلما سمع عمر بذلك غضب من عمرو وطلب

من عبقرية عمر

منه أن يرسل اليه ابنه عبد الرحمن . فلما وصل اليه ضربه عمر تأديبا له ـ لمكانته منه ـ فهو والد يؤدب ولده على ذنب جناه .

هذا عدل بطولي يدعو الى الاعجاب .. فعمر يسوى بين ابنه وبين كل الناس في اقامة الحدود .

ولكن لرواة المعجبين بعدل عمر لا يقفون عند هذا الحد . بل يبالغون في تصويره فلا يكتفون بضرب عمر لابنه بل يجعلونه يقسو في ضربه الى حد الموت ، ولا يكفيهم ذلك فيجعلون عمر يضربه بعد الموت ، استكمالا للحد . وهو لم يضربه من أجل الحد . ولا يكفيهم أن يموت عبد الرحمن حتى يجعلوا عمر يتم الحد على ابنه وهو ميت وهذا هو التناقض الذى تاباه طبيعة العدل . فالضرب الذى يؤدى الى الموت ظلم وقسوة ، والضرب بعد الموت امر لا تقبله النفس الانسانية .

موقف الاستاذ العقاد من هذه القصة ؟

العقاد لا يقبل هذه القصة برمتها . ولكنه يقول !

« فالذى يجوز لنا ان نقبله من هذه القصة هو الجانب الذى يستقيم مع عدله ورحمته » .

فعبد الرحمن يشرب الشراب المسكر ويذهب الى عمرو بن العاص ليقيم عليه الحد . وعمرو يتردد أول الامر ، ثم يقيم الحد على ابن عمر ، وعمر يغضب من واليه ومن ابنه فيستدعيه ويضربه .. كل هذا سائغ ومقبول .

اما الضرب حتى الموت ، والضرب بعد الموت فهذا ما يرفضه العقاد ، وترفضه صفة العدل والرحمة وهما من برز صفات عمر .

ويستدل الاستاذ العقاد على رايه هذا بامرين هما :

١ ـ أن عمر لم يكن متعطشا متسرعا الى اقامة الحدود وانما كان يتأنى ويتريث في اقامتها .. بل كان يعطلها ويدفعها اذا ثبتت الشبهة ودعت الحاجة الى ذلك ، حتى اذا ما اقام الحد كان رحيما في اقامة الحدود والامثلة لذلك كثيرة فقد أعفى المجلود من اتمام الحد عليه عندما لمح في جلاده قسوة في الجلد ، وبعث الى واليه أبى موسى الاشعرى يعنفه بالقول الشديد عندما بلغه أن أبا موسى قد جلد شاربا للخمر وسود وجهه وطوف به في الناس وامر الناس بالا يجالسوه او يؤاكلوه . فكتب له عمر قائلا : لئن عدت لأسودن وجهك ولاطوفن بك في الناس ، فهذه الرحمة العمرية في محاسبة المذنبين لا تتفق مع ما جاء في الرواية عن ضرب ابنه بالصورة التى ذكرها الرواة .

٢ ـ هناك رواية أخرى لقصة عمر مع ابنه عبد الرحمن . والراوى هو ابنه عبد الله بن عمر وفيها لم يذكر عبدالله امر الموت ولا امر الضرب بعد الموت . وجاء في هذه الرواية « ان عمر ضرب ابنه لمكانه منه ، ثم ارسله (تركه) فلبث شهرا صحيحا ثم مات بعده فحسب الناس انه مات بسبب الضرب وهو لم يمت بسببه » .

***

لا تناقض الآن في خلائق عمر ، ولا تناقض في طبيعة العدل العمرى ، فهو عدل مستقيم تغذيه الروافد المتعددة تمنحه القوة وتعصمه من العوج والانحراف .

***

سؤال : ـ

يقول الاستاذ العقاد :

« خذ لذلك مثلا عدله المشهور الذى اتسم به فكم رافدا لهذا الخلق الجميل في ذلك الرجل العظيم ؟ روافد شتى : بعضها من وراثة اهله وبعضها من عبر الايام » .

ـ ما معنى قوله اتسم به ـ روافد ؟

ـ تشير الفقرة الى سببين من اسباب العدل العمرى .. اذكرهما واذكر سببين آخرين .

ـ ما قيمة تعدد اسباب العدل في نفس عمر ؟

محمد نجيب ابو العزم
موجه اللغة العربية
ومقدم البرامج بالتليفزيون

رقم الايداع بدار الكتب ٢٦٧ لسنة ١٩٨٠

من التراث المعاصر

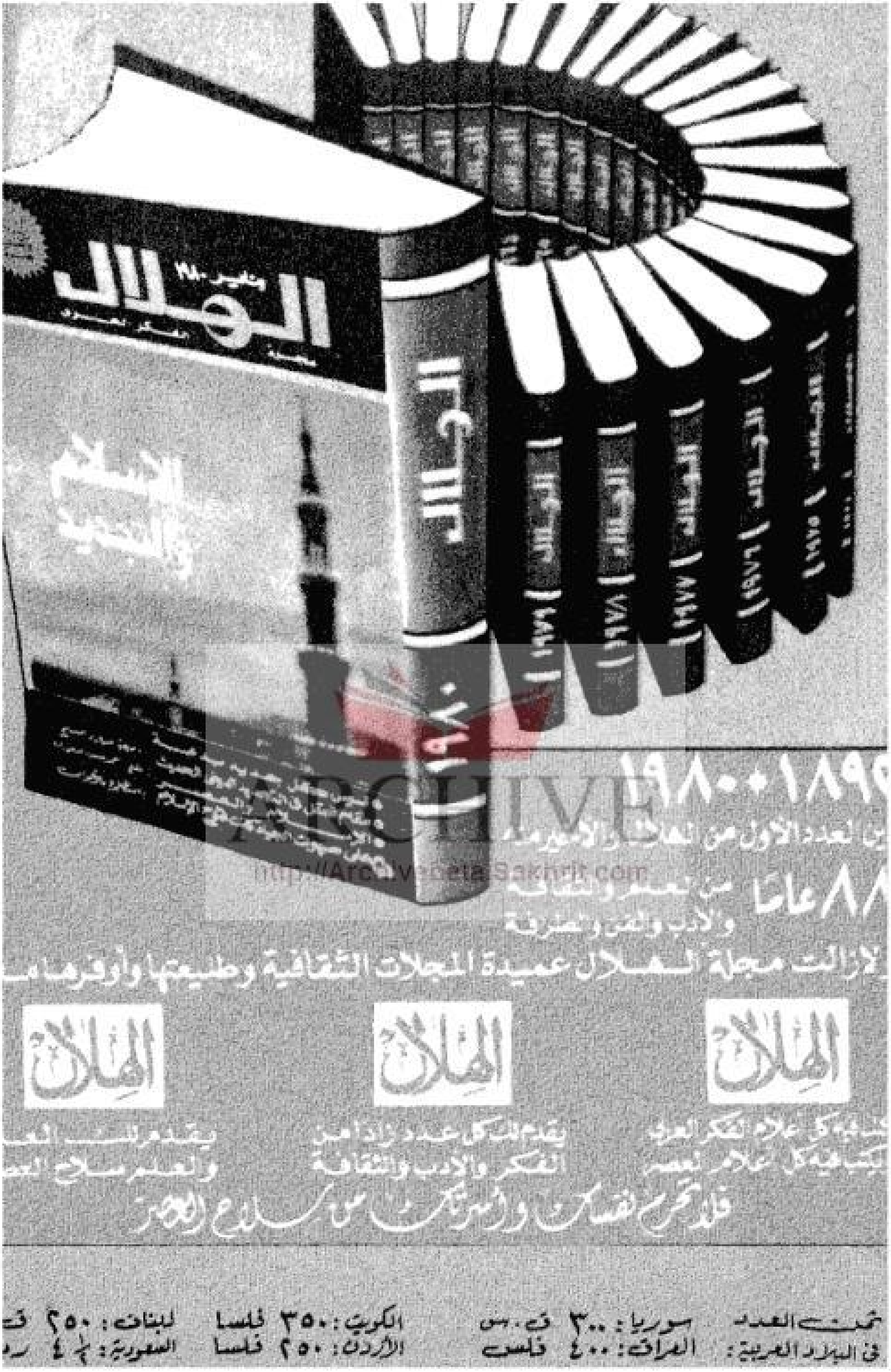
خواطر على شاطئ البحر

● عبد الرحمن شكري ●

أتطربُ من لحن الخرير ، كأنه
خواطرُ تتلوها عليك السرائرُ
خريرُك يحكي ضحكة الدهر صامتا ،
كأنك دهر بالحوادث مائر !
هو الدهرُ لا يخشى المنايا ، ولا يني
صباهُ ، ولا تقضي عليه المقادرُ
وأنت شبيه الدهر : لا أنت هارمٌ
ولا أنت منقوص ولا أنت خاسرُ !
ويبصرُ فيك النجم نجما مثاله

***

كما شام روحَ الإلف إلف موازرُ !
يحنّ إلى ما خلفَ أفقك ناظر ،
كما تطلب الغيب النهى والبصائرُ
كأنّ مُنى للنفس من خلف أفقه ،
تلوحُ كما لاحَ السرابُ المبادر
أوَ أن مجال السعد دارٌ محجوبة
على الأفق : ينحوهُ الطلوب المغامر !
بلى ، كل نفس للغريب مشوقة ،
وأن خوفتها من أذاه المحاذرُ !
أخفق وأعصار ورجع وسورة ،
كأنك حي ، نابض القلب ، شاعرُ !
وتصطخبُ الأمواج فيك كأنما
أصطخابك من حكم المنية ساخر !
ويصغر في مرآك عيشُ ابن يومه ،
ويكبر رأي معمل فيك ، سائرُ !
خواطرُ مثل الفلك فيك مواخرٌ ،
يضل عليها عازب اللب ، حائرُ !


الهلال
١٨٩٢ - ١٩٨٠
٨٨ عاما
ولا زالت مجلة الهلال عميدة المجلات الثقافية وطليعتها
الهلال
الهلال
الهلال
يقدم لك كل عدد زادا من
الفكر والأدب والثقافة
فلا تحرم نفسك وأسرتك من سلاح العصر
ثمن العدد
في البلاد العربية:
سوريا: ٣٠٠ ق.س
العراق: ٤٠٠ فلس
الكويت: ٣٥٠ فلسا
الأردن: ٢٥٠ فلسا
لبنان: ٢٥٠ ق
السعودية: ٤ ر